التنزيل [illegible] عظيمة من الله تعالى تتوسط بها المصالح كلها دينية كانت أو دنيوية لان [illegible] المقرون بالصفة لابد وان يكون مناسبا لتلك الصفة والامر في تنبيهه كذلك لان القرآن مشتمل على كل ما يحتاج اليه اهل هذا العالم المرضى والزمنى من الادوية وعلى كل ما يحتاج اليه الاصحاء من الاغذية فكان اعظم النعم من الله تعالى على هذا العالم انزال القرآن عليهم (قوله ميزت باعتبار اللفظ والمعنى) اما تميز بعض الآيات عن بعضها بحسب اللفظ فظاهر واما تميزها بحسب المعنى فلاختلاف معانى الآيات القرآنية من حيث ان بعضها متعلق باحوال ذات الله تعالى وصفات تقدسه وتنزهه و بيان كمال علمه وقدرته ورحمته وحكمته و بعضها متعلق بعجائب احوال خلقه من السموات والارض والكواكب وتعاقب الليل والنهار ونحوها و بعضها في المواعظ والنصائح و بعضها في تهذيب الاخلاق ورياضة النفس وبعضها في قصص الانبياء واحوال الماضين وبالجملة فمن انصف علم انه ليس في يد الخلق كتاب اجتمع فيه انواع من العلوم المختلفة مثل القرآن (قوله وقرئ فصلت) اى بفتح الفاء وتخفيف الصاد بمعنى فرقت آياته بين الحق والباطل او فصل بعضها من بعض اى انفصل باختلاف معانيها من قولهم فصل فلان من البلد فصولا اى خرج وانفصل (قوله الاسناد من [illegible] الى [illegible] رساله واسند اليه فصلت وهو آياته وهو اما حال بنفسه ومنبئة [illegible] او هو [illegible] موطئة والحال في الحقيقة عربيا وهي حال مؤكدة غير منتقلة اعلم ان الاحوال اربع موطئة ومقدرة ومؤكدة ومنتقلة لان الحال ما يبين هيئة الفاعل او المفعول فاما ان تكون مبينة للهيئة بالذات او بالغير فان كانت مبينة للهيئة بالغير فهي الحال الموطئة لانها لا تبين الهيئة بذاتها بل بما يتبعها من الصفة فان الحال الموطئة اسم جامد موصوف بصفة تبين الحال في الحقيقة كقرآنا في قوله انا انزلناه قرآنا عربيا وان كانت مبينة بالذات فاما ان تكون مبينة للهيئة الثابتة في الحال او في الاستقبال فان كانت مبينة لها في الاستقبال فهي الحال المقدرة وان كانت مبينة لها في الحال فاما ان تكون لازمة لذى الحال او مفارقة والاولى حال مؤكدة والثانية حال منتقلة (قوله يعلمون العربية او لاهل العلم) الاول على ان يعتبر تعلق يعلمون بالمفعول والثانى على ان ينزل منزلة اللازم (قوله وهو صفة اخرى لقرآنا) فيكون متعلقا بمحذوف اى قرآنا عربيا كائنا لهم وهو اولى من جعله متعلقا بقوله تنزيل او فصلت لان قوله عربيا صفة قرآنا وكذا بشيرا ونذيرا فلولم يكن هو ايضا صفة له بل كان متعلقا بتنزيل او بفصلت لزم ان يفرق به بين [illegible] انه تعالى [illegible] على هذه السورة [illegible] تنزيلا [illegible]

ميزت باعتبار اللفظ والمعنى جنسا وقرئ فصلت اى فرقت ولا بعضها من بعض باختلاف الفواصل والمعانى او فصلت بين الحق والباطل (قرآنا عربيا) نصب على المدح او الحال من فصلت وفيه امتنان بسهولة قراءته وفهمه (لقوم يعلمون) العربية او لاهل العلم والنظر وهو صفة اخرى لقرآنا او صلة لتنزيل او لفصلت والاول اولى لوقوعه بين الصفات (بشيرا ونذيرا) للعاملين به والمخالفين له وقرئا بالرفع على الصفة للكتاب او الخبر لمحذوف (فاعرض اكثرهم) عن تدبره وقبوله (فهم لا يسمعون) سماع تأمل وطاعة (وقالوا قلوبنا في اكنة) اغطية

والتعبير عن المفعول بالمصدر مجاز مشهور كقولهم هذا الدرهم ضرب السلطان
اى مضروبه ومعنى كونها منزلا انه تعالى كتبها فى اللوح المحفوظ وامر جبريل
ان يحفظ تلك الكلمات ثم ينزل بها على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ويؤديها اليه فلما حصل تفهيم هذه الكلمات بواسطة نزول جبريل سمى
بذلك تنزيلا وثانيها كون ذلك التنزيل من الرحمن الرحيم وذلك يدل على
ان ذلك التنزيل نعمة عظيمة من الله تعالى لان ما نشأ من هاتين الصفتين لا يكون
الا كذلك وثالثها كونه كتابا وهذا الاسم مشتق من الكتب وهو الجمع فسمى
كتابا لانه جمع فيه علوم الاولين والآخرين ورابعها قد فصلت آياته وقد ذكرنا
انها كذلك وخامسها كونه قرآنا عربيا كائنا للسالمين بلغة العرب وبشيرا
للمطيعين بالثواب ونذيرا للعاصين بالعقاب (قوله جمع كنان) وهو الغطاء
وفى الكلام حذف تقديره قلوبنا فى اكنة تمنعنا من فهم ما تدعونا اليه فحذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وحذف متعلق حرف الجر ايضا (قوله
ومن للدلالة على ان الحجاب مبتدأ منهم ومنه) اشارة الى فائدة زيادة
من فى قوله ومن بيننا مع انه لو قيل بيننا وبينك حجاب لاستفيد حصول الحجاب
المانع عن التواصل فى المسافة المتوسطة بينه وبينهم وحصول كلامه ان فائدة
كلمة من الدلالة على قوة الحجاب فى كونه مانعا واصل وذلك لان البين بمعنى
المسافة المتوسطة بين المتكلم والمخاطب [illegible] الى المتكلم تم [illegible] ارادة
الطرف الذى يلى المتكلم من تلك المسافة وكذا اضافته الى المخاطب تدل على
ان المراد طرفها الذى يليه فلو قيل بيننا وبينك حجاب لكان المعنى مجرد
حصول الحجاب فى المسافة المتوسطة بينهم وبينه بخلاف ما لو قيل من بيننا فانه
يفهم منه ان مبدأ الحجاب طرفه الذى يلى المتكلم واذا عطف عليه بان قيل
وبينك فهم ان ذلك الحجاب ايضا مبتدأ من الطرف الذى يلى المخاطب
واذا كان حجاب واحد مبتدأ من كل واحد من ذينك الطرفين فمعلوم انه لابد له
من منتهى وانه هو الطرف الاخر منهما فبالضرورة يكون ذلك الحجاب
مستوعبا لمجموع ما بينهما من المسافة بحيث لا يبقى جزء منها فارغا عن هذا
الحجاب ففائدة من الدلالة على قوة الحجاب وكماله فى المانعية عن التواصل
(قوله وهذه تمثيلات) اى قولهم قلوبنا فى اكنة الى قولهم حجاب وانث
ضمير القول لتأنيث الخبر اولكون كل واحد من الاقوال الثلاثة عبارة عن جملة
شبهوا قلوبهم بالشئ المحوى المحاط بالغطاء المحيط به بحيث لا يصيبه شئ من
خارج من حيث نبوها وتباعدها عن ادراك الحق واعتقاده وشبهوا اسماعهم
بآذان بها صمم من حيث انها تمج الحق ولا تميل الى استماعه وشبهوا حال انفسهم

ن (مما تدعونا
فى اذاننا وقر)
صمم الثقل وقرئ
بر (ومن بيننا وبينك
با) يمنعنا عن التواصل
ن للدلالة على ان
الحجاب مبتدأ منهم ومنه
بحيث استوعب المسافة
المتوسطة ولم يبق فراغ
وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم
عن ادراك ما يدعوهم
اليه واعتقاده ومج
اسماعهم له وامتناع
مواصلتهم وموافقتهم
الرسول صلى الله تعالى
عليه وسلم (فاعمل) على
دينك اوفى ابطال امرنا
(اننا عاملون) على ديننا
او فى ابطال امرك (قل انما
انا بشر مثلكم يوحى الى
انما الهكم اله واحد)



مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بحال شيئين بينهما حجاب عظيم وحاجز
منيع يمنع ان يواصل احدهما الآخر ويوافقه وتعظيم الحجاب مستفاد من تنكيره
ولقد بالغوا في وصف انفسهم بنهاية الاعراض عما يدعوهم الرسول صلى الله
تعالى عليه وسلم اليه حيث اثبتوا بينهم وبينه ثلاثة انواع من الحجاب احدها
الحجاب الخارجي المانع من الرؤية والابصار ثم حجاب الصمم ثم حجاب اكنة
القلوب والقلب محل المعرفة والسمع والبصر اقوى ما يستعان به في تحصيل
المعارف فهذه الثلاثة اذا كانت محجوبة كان ذلك اقوى ما يكون من الحجاب
نعوذ بالله من ذلك فلذلك اقتصر على ذكر هذه الاعضاء الثلاثة ثم انهم
لما وصفوا انفسهم بنهاية الاعراض عما يدعوهم اليه فرعوا عليه قولهم فاعمل
اننا عاملون (قوله لست ملكا الخ) بيان لوجه كون قوله تعالى قل انما
انا بشر مثلكم الآية جوابا عن قولهم قلوبنا في اكنة الآية وتقريره ان حاصل
ما ذكروه من الاعراض عن قبول ما دعاهم الرسول اليه يرجع الى امرين احدهما
كون ما دعاهم اليه مما تنبو عنه العقول والاسماع بناء على ان عقولهم السخيفة
تستبعد امر التوحيد ونشر من في القبور وسائر ما يكون يوم القيامة وثانيهما
كون بشريته حجابا مانعا يمنعهم من تصديقه في دعوى الرسالة بناء على ان
البشرية في زعمهم منافية للرسالة وانما هي من مناسب الملائكة وهو المراد من
قولهم ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل في ابطال امرنا اننا عاملون في ابطال
امرك فان عندنا ما ينافي رسالتك وهو ان البشر لا يكون رسولا وانت بشر مثلنا
فكيف تدعي الرسالة وليس عندك ما تدفع به هذا الدليل فالله تعالى امر رسوله
صلى الله تعالى عليه وسلم بان يجيبهم عما ذكروه من الامرين اما عن الثاني فبان
يقول ما جعلتموه منافيا للرسالة وهو البشرية هو المصحح للرسالة لان ارسال الملك
والجني الى البشر لا يوافق الحكمة من حيث ان البشر لا يمكنه ان يتلقى منهما
ما يلقى اليه كما قال تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا واما عن الاول فبان يقول
ان ما ادعوكم اليه من التوحيد والاستقامة في العمل ليس مما تنبو عنه العقول
والاسماع بل مما تقتضيه دلائل العقل وشواهد النقل (قوله متوجهين اليه)
لما عدى فعل الاستقامة في الآية بكلمة الى وهو لا يتعدى بها بل باللام ذكر
لذلك وجهين الاول انه من باب التضمين والثاني ان الاستقامة بمعنى الاستواء
وهو يتعدى بالى (قوله وذلك) اي الاستخفاف بالله وعدم الشفقة على خلقه
من اعظم الرذائل لان انواع السعادة باسرها منوطة بامرين تعظيم امر الله
والشفقة على خلقه فيكون الانصراف عنهما بالاشراك به وترك الانفاق في وجوه
الخير من اعظم الرذائل (قوله وفيه دليل) اي وفي تهديد المشرك على

لست ملكا ولا جنيا
لا يمكنكم التلقي منه ولا
ادعوكم الى ما تنبو عنه
العقول والاسماع وانما
ادعوكم الى التوحيد
والاستقامة في العمل وقد
يدل عليهما دلائل العقل
وشواهد النقل (فاستقيموا
اليه) فاستقيموا في افعالكم
متوجهين اليه او فاستووا
اليه بالتوحيد والاخلاص
في العمل (واستغفروه)
مما انتم عليه من سوء
العقيدة والعمل ثم هددهم
على ذلك فقال (وويل
للمشركين) من فرط
جهالتهم واستخفافهم
بالله (الذين لا يؤتون
الزكاة) لبخلهم وعدم
اشفاقهم على الخلق وذلك
من اعظم الرذائل وفيه
دليل على ان الكفار
مخاطبون بالفروع

شركهم وعدم ايتائه الزكاة دليل على ان المشرك حال شركه مخاطب بايتاء الزكاة اذ لولاه لما استحق بعدم ايتائها الوعيد المذكور واذا كان مخاطبا بايتاء الزكاة يكون مخاطبا بسائر فروع الاسلام اذلا قائل بالفصل (قوله وقيل معناه لايفعلون ما يزكى انفسهم) والمعنى على هذا فاستقيموا اليه بالتوحيد واخلاص العبادة له وتوبوا اليه مما سبق لكم من الشرك وسوء العمل وويل لكم ان لم تفعلوا ذلك فوضع موضعه المشركون الموصوفون بانهم لا يفعلون ما يزكى انفسهم وهو الايمان والطاعة للاشعار بان الاستقامة اليه فى الافعال والتبرى من سوء العقائد والاعمال هو تزكية النفس (قوله حال مشعرة) وجه الاشعار ان الحال وصف لذى الحال واثبات الحكم للموصوف مشعر بعلية الوصف ثم انه تعالى لما ذكر وعيد الكفار اردفه بوعد المؤمنين فقال ان الذين آمنوا الاية (قوله لايمن به عليهم) فيتكدر بالمنة فان المنة تهدم الصنيعة يقال من عليه منة اى امتن عليه ومن بهذا المعنى لازم لايجيء منه اسم المفعول الا بان يعدى بحرف الجر فلابد ان يكون الممنون بمعنى الممنون عليهم على طريق الحذف والايصال وجميع ما يعطيه الله تعالى عباده فى الآخرة تفضل منه تعالى وكرم وليس شيء منها بواجب عليه عند اهل السنة وما كان بطريق التفضل وان صح الامتنان به لكنه تعالى لايمن به عليهم فضلا وكرما (قوله اولا يقطع) اى لاينقطع اجرهم وثوابهم فى الآخرة بل هو دائم ابدى (قوله وقيل نزلت فى المرضى) فالمعنى على هذا ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات فى زمان اقتدارهم عليها لهم اجر غير مقطوع اذا عجزوا عنها بالمرض او الهرم اونحوهما روى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا كان على طريقة حسنة من العبادة ثم مرض قيل للملك الموكل به اكتب له مثل عمله اذا كان طلقا حتى اطلقه اواقبضه الى وقيل غير مقطوع بعد موتهم ايضا استدلالا بدلالة هذا الحديث (قوله كاصح ما كانوا يعملون) على حذف المضاف اى اكتب الاجر كاجر اصح ماكانوا يعملونه من الاعمال حال قدرتهم عليها ثم انه تعالى لما امر رسوله صلى الله عليه وسلم بان يقول للمشركين انما انا بشر مثلكم الآية امره ثانيا بان ينكر عليهم امرين اولهما كفرهم بالله تعالى بالالحاد فى ذاته وصفاته كالتجسم واتخاذ الصاحبة والولد والقول بانه تعالى لايقدر على نشر الموتى وانه لايبعث من البشر رسولا وثانيهما اثبات الشركاء والانداد له تعالى فقال عز من قائل قل ائنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين وتجعلون له اندادا والاستفهام فيه للانكار ويجب ان يكون الكفر المذكور اولا مغايرا

فيسيل معناه لا يفعلون ما يزكى انفسهم وهو الايمان والطاعة (وهم بالآخرة هم كافرون) حال مشعرة بان امتناعهم عن الزكاة لاستغراقهم فى طلب الدنيا وانكارهم للآخرة (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون) لايمن به عليهم من المن واصله الثقل اولايقطع من منت الحبل اذا قطعته وقيل نزلت فى المرضى والزمنى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر كاصح ما كانوا يعملون (قل ائنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين)

قوله تعالى ضرورة انه عطف احدهما على الآخر فوجب التغاير

في مقدار يومين) اى لا في نفس يومين لان اليوم لكونه عبارة عما

بين طلوع الشمس وغروبها لايمكن حصوله قبل حدوث السموات والشمس

ظاهر هذه الاية يدل على ان خلق الارض مقدم على خلق السماء

وما فيها من الشمس والقمر وسائر الكواكب فكيف يتحقق اليوم حال خلق

الارض وعلى تقدير ان يتقدم خلق السموات ومافيها على خلق الارض لايمكن

ان يحصل اليوم قبل ان يخلق الارض لان طلوع الشمس وغروبها انما هما

بالنسبة الى الافق ولا افق قبل تحقق الارض فظهر انه لا يتحقق اليوم قبل

خلق الارض سواء تأخر خلقها عن خلق السماء ام تقدم عليه فلما لم يتحقق اليوم حين

خلق الارض وجب ان يحمل قوله تعالى في يومين على مقدار يومين اوان يجعل

اليومان مجازا مرسلا عن الدفعتين على طريق اللزوم وارادة اللازم

(قوله ولعل المراد من الارض ما في جهة السفل) اى من البسائط العنصرية

التي هي الارض والماء والهواء والنار فسر الارض بالمعنى المجازي المتناول

لحقيقة الارض وسائر البسائط العنصرية واختار ان يكون المراد بخلق الارض

بهذا المعنى في يومين خلقها بنوبتين على معنى انه تعالى خلق لها في النوبة

الاولى اصلا مشتركا هو الهيولى الاولى التي هي حقيقة واحدة مشتركة بين

جميع العناصر وخلق لها في النوبة الثانية صورا جسمية ونوعية بها صارت

انواعا متمايزة على طبقات مختلفة والذي يدله على تفسير الارض بالمعنى العام

المتناول لجميع البسائط العنصرية انه تعالى ذكر في مقام بيان مقدار آثار قدرته

الكاملة وتفصيلها انه خلق الارض في يومين وانه جعلها مشتملة على ثلاثة

انواع من الصنع العجيب الاول انه خلق فيها جبالا شامخات ثابتات فوقها

لاستقرارها والثاني انه بارك فيها اى زاد في حيزها بما خلق فيها من البحار

والانهار والاشجار والثمار من الوان النبات وانواع الخيرات وجميع ما يحتاج

اليه من الخيرات والثالث انه قدر فيها اقوات اهلها بما يحدثه في كل ناحية

من نواحيها ثم ذكر استواءه الى خلق السموات من غير ان يتعرض لخلق ماعدا

الارض من العنصريات مع ان ما عداها ايضا من جملة آثار قدرته الباهرة

والمقام مقام تفصيلها فناسب لذلك ان يفسر الارض بمعنى يعم الجميع غاية

ما في الباب ان يجعل الضمير في قوله وجعل فيها رواسي من فوقها للارض

الحقيقية على الاستخدام . (قوله ثم خلق لها صورا) يدل على انفكاك

الصورة عن الهيولى وهو خلاف ماثبت بالدليل اللهم الا ان يحمل التراخي

المدلول عليه بكلمة ثم على التراخي في الرتبة فان قيل المستدل به على ثبوت امر

في مقدار يومين او بنوبتين

وخلق في كل نوبة ماخلق

في اسرع مايكون ولعل

المراد من الارض ما في

جهة السفل من الاجرام

البسيطة ومن خلقها في

في يومين انه خلق لها

اصلا مشتركا ثم خلق لها

صورا بها صارت انواعا

وكفرهم به الحادهم في ذاته

وصفاته (وتجعلون له

اندادا) ولايصح ان يكون

له ند (ذلك) الذى خلق

الارض في يومين (رب

العالمين) خالق جميع

ما وجد من الممكنات

ومربيها (وجعل فيها

رواسي)

يجب ان يكون مسلما عند الخصم حتى يصح الاستدلال به وكونه تعالى خالقا للارض في يومين لا يمكن اثباته بالعقل المحض وانما يثبت بالسمع ووحي الانبياء ومن انكر الوحي والنبوة كيف يسلم هذه المقدمة وكيف يمكن الاستدلال بها على فساد مذهبه اجيب بان الكفار يسلمون كون السموات والارض حادثتين مخلوقتين له تعالى فيمكن ان يقال لهم كيف تعقل التسوية بين الاله القادر على خلق هذه الاجرام العظام وبين الاصنام الموصوفة بالعجز التام وبقي ان يقال فحينئذ لا يبقى لكونه تعالى خالقا للارض في يومين نفع في الاستدلال واجيب عنه بانا لا نسلم ذلك بل به نفع فيه بناء على ان ذلك مذكور في التوراة ومشهور عند اهل الكتاب وان كفار مكة كانوا يعتقدون في حق اهل الكتاب انهم اصحاب العلوم والظاهر انهم قد سمعوا هذه المقدمة منهم وسلموها واعتقدوا تحقيقها فبهذا الاعتبار كان لخلقه تعالى اياها في يومين نفع في الاستدلال (قوله استئناف غير معطوف على خلق) لما كان هذا النظم يوهم كونه معطوفا على خلق وكونه داخلا في جملة الصلة بين فساد ذلك وهو وقوع الفصل بين اجزاء الصلة بالاجنبي وهو قوله تعالى وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين ومنهم من قال انه معطوف على مقدر اي خلقها وجعل فيها رواسي احترازا عن لزوم هذا الفساد (قوله من تفعة عليها) يعني ان قوله من فوقها في محل النصب على انه صفة رواسي وقوله ليظهر الخ بيان لفائدة قوله من فوقها يعني ان الجبال التي اثبتت فوق الارض لمنعها عن الميلان لو كانت تحتها كالاساطين الغرق فيه او مركوز فيها كالمسامير لمنعتها عنه لكن الحكمة المذكورة اقتضت كونها مرتفعة عليها لما ذكر من وجهين الاول ان يظهر للناظر ما فيها من وجوه الاستدلال ومن جملة الوجوه ان الانسان اذا رأى بعينه كون الجبال الثقال مبنية فوق الارض الثقيلة علم ان كل واحدة من تلك الاثقال التي بعضها فوق بعض مفتقرة الى ممسك وحافظ وما ذلك الحافظ الممسك الا الله تعالى والثاني كون منافعها ظاهرة للطلاب والظاهر ان قوله معرضة بسكون العين وكسر الراء بمعنى الظاهرة من قولك عرضت الشيء فاعرض بمعنى اظهرته فظهر ومن النوادر ان يكون الثلاثي متعديا ثم اذا نقل الى باب الافعال يصير لازما نحو كببته فاكب (قوله اقوات اهلها اواقواتا تنشأ منها) يعني ان المراد اقوات الارض ارزاق سكانها واضافتها الى الارض اما على حذف المضاف واما لكونها محلا لحدوثها فان الاضافة يكفي فيها ادنى ملابسة فان الشيء يضاف الى فاعله والى مفعوله والى من ينتفع به وغير ذلك والمعنى على الاول انه تعالى قدر الخبز لاهل قطر والتمر لاهل قطر والذرة لاهل قطر والسمك لاهل قطر

استئناف غير معطوف على خلق للفصل بما هو خارج عن الصلة (من فوقها) مرتفعة عليها ليظهر للنظار ما فيها من وجوه الاستبصار وتكون منافعها معرضة للطلاب (وبارك فيها) واكثر خيرها بان خلق فيها انواع النباتات والحيوانات (وقدر فيها اقواتها) اقوات اهلها بان عين لكل نوع ما يصلحه ويعيش به او اقواتا تنشأ منها بان خص حدوث كل قوت بقطر من اقطارها وقرئ وقسم فيها اقواتها (في اربعة ايام)

وقدر في كل قطر قوتا لاهل ذلك القطر وعلى الثاني انه تعالى خص بحكمته كل نوع من انواع الاقوات بقطر من اقطارها وجعل ذلك سببا لتعيش اهل البلد ان يراجعة بعضهم الى بعض للتجارة واكتساب الاموال ويؤيد هذا المعنى قراءة من قرأ وقسم فيها اقواتها (قوله في تتمة اربعة ايام) اى فيما يتم به اليومان الاولان اربعة ايام فالمراد بالتتمة ماتم به اليومان السابقان اربعة كانه قيل كان نصب الرواسيات وتقدير الاقوات وتكثير الخيرات في يومين آخرين بعد خلق الارض في يومين واشار بتقدير المضاف الى دفع ما يتوهم من المنافاة بين هذه الاية وبين ما تكرر في القرآن من ان خلق السموات والارض كان في ستة ايام وذلك لانه نص في هذه الاية على انه خلق الارض في يومين ثم انه جعل فيها رواسي واكثر خيرها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام ثم صرح بانه قضاهن سبع سموات في يومين فيكون مجموع ايام خلق العالم ثمانية ايام والمذكور في الايات الاخر انها ستة ايام وبينهما منافاة ظاهرة ولما قدر المضاف اندفعت المنافاة ويمكن دفع المنافاة بوجه آخر وهو ان الآيات الدالة على ان ايام خلق السموات والارض ستة لم يذكر فيها تقدير الاقوات فيجوز ان يصرف اليومان من الاربعة اليه ويبقى الستة لما سواه والله اعلم (قوله والى الكوفة في خمسة عشر يوما) اى في خمسة ايام بها تمت العشرة الاولى خمسة عشر يوما (قوله ولعله قال ذلك) جواب عما يقال لو كان الامر كما ذكرت لكان الظاهر ان يقال خلق الارض في يومين وجعل فيها ثلثة انواع من الصنع العجيب في يومين آخرين لكونه ابين للمراد وابعد من الشبهة وايهام خلاف المراد وتقرير الجواب ظاهر لمن تأمل فيه والفذلكة مأخوذة من قول الحاسب فذلك يكون كذا كالبسملة والحوقلة المأخوذتين من بسم الله ولا حول ولا قوة الا بالله يقال سبحل اذا تعجب اى قال سبحان الله وفذلك الحاسب اذا كتب تفاصيل الاعداد ثم جمع تلك التفاصيل وكتب في آخر الحساب فذلك يكون كذا وكذا مبلغا فان قيل كيف يكون قوله في اربعة ايام تصريحا بالفذلكة مع ان الفذلكة تقتضى ان يتقدم ذكر عددين اولا على وجه التفصيل وفي هذا الموضع لم يذكر العددان بل انما ذكر مدة خلق الارض فقط قلنا لا نسلم انه يجب ان يتقدم ذكرها صريحا بل يكفي فيها تقدمهما ولو بوجه كان والامر فيما نحن فيه كذلك لانه لما ذكر ان الارض خلقت في يومين وكذا السموات السبع علم ان ما في الارض من الرواسي وسائر الخيرات خلق في يومين آخرين بشهادة ما ذكر في القرآن من ان خلق السموات والارض كان في ستة ايام وعلى هذا الوجه كان قوله تعالى في اربعة ايام تصريحا بالفذلكة

في تتمة اربعة ايام كقولك سرت من البصرة الى بغداد في عشرة ايام والى الكوفة في خمسة عشر يوما ولعله قال ذلك ولم يقل في يومين للاشعار باتصالهما باليومين الاولين والتصريح على الفذلكة

خلق الارض ومافيها و يجوز ان يكون المراد بقوله والتصريح على الفذلكة التصريح بما هو شبيه بالفذلكة لا انه فذلكة حقيقة لانه غير مسبوق بذكر العددين ولانه فسر قوله فى اربعة ايام بقوله فى تتمة اربعة ايام اى فى اليومين اللذين تم بهما اليومان السابقان اربعة و هذا ليس بفذلكة بل هو بيان ابتدآء لمدة خلق ما فى الارض و ما عليها (قوله اى استوت سواء) على ان سواء اسم بمعنى استوآء منصوب على انه مفعول مطلق لفعل مقدر والجملة صفة ايام اى فى اربعة ايام كاملة مستوية بلا زيادة ولا نقصان ومن قرأ سوآء بالجر جعله صفة ايام فهو دليل على ان الجملة فى قرآءة النصب صفة له ايضا وقيل انتصابه على انه حال من احد ضميرى الارض اى مستوية والاول اولى لان المقام يقتضى توصيف الايام بانها مستوية لا تزيد ولا تنقص لا وصف الارض بذلك (قوله هذا الحصر) اى حصر مدة خلق ماذكر من الارض ومافيها وما عليها فى اربعة ايام مستوية كائن لمن يسأل عنها ، يقول فى كم خلق الارض وما فيها وما عليها ويكون السؤال سؤال استعلام لا سؤال استعطاء ويكون قوله للسائلين خبر مبتدأ محذوف صرح بالفذلكة بقوله كل ذلك خلق فى اربعة ايام سوآء ثم استأنف بان قال هذا الحصر والبيان لمن يسأل عن مدة خلق ذلك وان كان للسائلين متعلقا بقوله وقدر فيها اقواتها يكون السؤال سؤال استعطاء وهو طلب الخير فان اهل الارض كلهم طالبون للقوت محتاجون اليه (قوله من قولهم استوى الى مكان كذا اذا توجه اليه توجها لا يلوى على غيره) والاستوآء بهذا المعنى هو قصد الاستواء ونحوه استعمل اليه ولما كان الاستوآء الى الشئ بهذا المعنى محالا على الله تعالى لاستلزامه الانتقال من مكان الى مكان قال صاحب الكشاف رحمه الله ثم دعاه داعى الحكمة الى خلق السماء بعد خلق الارض ومافيها من غير صارف يصرفه عن ذلك فجعل الاستوآء الى خلق السماء مجازا عن ملزومه الذى هو ارادة الحكمة خلقها من غير ان يعارضها صارف يصرفها عنه (قوله والظاهر ان ثم لتفاوت مابين الخلقين) اى بحسب الرتبة على سبيل الترقى من الادنى الى الاعلى لان الكلام مع المعاندين المتمردين والمعنى أئنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين وفعل كذا و كذا واعظم من ذلك انه اسند تمت الحكمة ان خلق السماء وهى شئ حقير طائى كالدخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها الخ و مقصود المصنف من هذا القول دفع مايتوهم من المنافاة بين قوله ثم استوى الى السماء وخلقها و بين قوله أأنتم اشد خلقا ام السماء بناها رفع سمكها فسواها واغطش ليلها واخرج ضحاها والارض بعد ذلك دحاها فانه

سواء) اى استوت سواء
بمعنى استواء والجملة صفة
ايام و يدل عليه قراءة
منصوب بالجر وقيل حال
من الضمير فى اقواتها
وفى فيها وقرئ بالرفع
على هى سواء (للسائلين)
متعلق بمحذوف تقديره
هذا الحصر للسائلين
عن مدة خلق الارض
ومافيها او بقدر اى قدر
فيها الاقوات للطالبين
لها (ثم استوى الى السماء)
قصد نحوها من قولهم
استوى الى مكان كذا اذا
توجه اليه توجها لا يلوى
على غيره والظاهر ان ثم
لتفاوت ما بين الخلقين
لا للتراخى فى المدة لقوله
والارض بعد ذلك دحاها
ودحوها متقدم على خلق
الجبال من فوقها

الاول يشعر بان السماء خلقت بعد الارض و به قال ابن عباس والثانى يدل على ان خلق الارض كان بعد خلق السماء و به قال قتادة والسدى وهما متنافيان وجوابه المشهور بين المفسرين ان يقال انه تعالى خلق الارض اولا ثم خلق بعده السماء كما هو المفهوم من هذه الآية ثم بعد خلق السماء دحا الارض و بسطها و بهذا الطريق يزول التناقض والمصنف اشار الى رد هذا الجواب بقوله ودحوها متقدم على خلق الجبال من فوقها وتقريره ان دحو الارض كيف يكون متأخرا عن خلق السماء والحال ان خلق السماء على مايشعر به قوله ثم استوى الى السماء متأخر عن ارساء الجبال على الارض وتكثير خيرها وتقدير اقواتها ولا يخفى ان هذه الاحوال لا يمكن تحققها الابعد ان صارت الارض مدحوة منبسطة اما ارساء الجبال عليها فظاهر واما تكثير خيرها فلانه مفسر بخلق الاشجار والنبات والحيوان فيها وذلك لا يمكن الا بعد صيرورتها منبسطة وكذا تقدير الاقوات فيها فانها متفرعة على تمييز اقطارها واطرافها و اذا كان خلق السماء متأخرا عن هذه الاحوال المتأخرة عن الدحو استحال ان يكون الدحو متأخرا عن خلق السماء ضرورة كون الدحو متقدما على الاحوال المذكورة المتقدمة على خلق السماء كما يقتضيه قوله تعالى ثم استوى الى السماء فلما لم يجز كون الدحو متأخرا عن خلق السماء لم يصلح الجواب المذكور جوابا و بقى التناقض بحاله فلذلك اعرض المصنف عنه واجاب عن سؤال التناقض بوجه آخر وهو ان يجعل قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها باقيا على ظاهره وتجعل كلمة ثم فى هذه الآية للدلالة على تفاوت ما بين الخلقين لا للتراخى فى الزمان حتى يلزم التناقض (قوله امر ظلمانى) اشارة الى ان قوله وهى دخان من قبيل التشبيه البليغ والمعنى انه قصد وتوجه نحو السماء توجها يليق بذاته والحال انها امر مظلم عديم النور شبه الدخان فى بادئ النظر وحمله على التشبيه لتعذر ان يكون المراد حقيقة الدخان وهو ما ارتفع من لهب النار (قوله ولعله اراد به مادتها) اى و لعله اراد بتلك المادة البخار المتصاعد من الماء الذى انقلب اليه من اول ما خلق الله تعالى على ماروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال اول ماخلق الله جوهرة طولها وعرضها مسيرة الف سنة فى مسيرة عشر آلاف سنة فنظر اليها بالهيبة فذابت واضطربت من ذلك النظر ثم ثارمنها دخان فارتفع واجتمع زبدا فقام فوق الماء اما الزبد فبقى على وجه الماء فخلق الله تعالى فيه اليبوسة واحدث منه الارض واما الدخان فارتفع وعلا فخلق الله منه السموات فسمى الله تعالى ذلك البخار المتصاعد سماء والحال انه لم يكن على صورة السماء حال

(وهى دخان) امر ظلمانى ولعله اراد به مادتها اوالاجزاء المتصغرة التى ركبت منها (فقال لها والارض ائتيا)

الاستوآء اليه حيث قال ثم استوى الى السماء وهى دخان على طريق تسمية الشئ باسم ما يؤول اليه ثم بين انه جعل ذلك البخار المظلم سبع سموات حيث قال فقضاهن سبع سموات هذا على ان يكون المراد بالامر الظلمانى المادة التى صورت بصورة السماء ثم ذكر انه يحتمل ان يكون المراد بذلك الامر الظلمانى الاجزآء التى لا تتجزأ فانها فى ابتدآء خلقها كانت اشياء مظلمة عديمة النور ثم اذا ركبت وجعلت سموات وكواكب وشمسا وقمرا حدثت فيها صفة الضوء فحينئذ كانت متفرقة متأثرة ولما كانت اول حدوثها مظلمة صح تسميتها بالدخان تشبيها لها به من حيث انها اجزآء متفرقة غير متواصلة عديمة النور كالدخان فانه ليس له صورة تحفظ تركيبه (قوله بما خلقت فيكما) دفع لما يتوهم من ان قوله تعالى للارض والسماء ائتيا يستلزم ارادة ايجاد الموجود بالنسبة الى الارض لان الفاء فى قوله فقال لها وللارض ائتيا ... لمجرد ... استوى وقد مر ان الاستوآء الى السماء عبارة عن ... خلقها من غير ان يعارضه ما يصرفه عن خلقه ... عقيب الاخبار باستدعاء الحكمة خلق السماء بمعنى اراد وجودها ... الارض بعد الاستوآء الى السماء المتأخر عن خلق الارض فى يومين ارادة ايجاد الموجود والمصنف دفع لزومه بوجوه ... الاول ان قوله فقال معطوف على مقدر والتقدير ثم استوى الى السماء اى ثم دعاه داعى الحكمة الى خلقها فخلقها فقال لها وللارض بعد خلق ذاتهما ائتيا على ان يكون ... مخذوفا والمعنى أبرزا ما اودعتكما من الاوصاف ... و... ... ... من الحالات المتنوعة ومحصول الوجه الثانى ان المراد بخلقهما تقديرهما والحكم بوجودهما فى اوقات معينة و... ... فى ما قدرهما ولا يلزم ايجاد الموجود ... ان الخلق ... التقدير فقوله تعالى خلق الارض فى يومين معناه انه تعلق ... وجودهما فى يومين وقضاء الله بانه ... كذا فى مدة كذا لا يقتضى ... ذلك الشئ فى الحال ... تعالى بحدوث الارض فى يومين ثم ... للسماء وللارض ائتيا ... الوجود والحدوث من غير ان يلزم منه ايجاد الموجود واما ورد ان ... لما كان قوله تعالى خلق الارض فى يومين بمعنى انه قضى وقدر وجودها فى يومين كان قوله ثم استوى الى السماء اى الى ... بمعنى ثم دعاه داعى الحكمة الى تقدير السماء بعد تقدير الارض وتقدير كل واحد من الاشياء صفة ازلية لا يترتب بعضها على بعض ... الكلمة ثم فى قوله

بما خلقت فيكما من التأثير والتأثر وابرزا ما اودعتكما من الاوضاع المختلفة والكائنات المتنوعة او ائتيا فى الوجود على ان الخلق السابق بمعنى التقدير او الترتيب للرتبة او الاخبار او اتيان السماء حدوثها واتيان الارض ان تصير مدحوة وقد عرفت ما فيه اوليأت كل منكما الاخرى فى حدوث ما اريد توليده منكما ويؤيده قراءة آتيا من المؤاتاة اى ليوافق كل واحدة اختها فيما اردت منكما (طوعا او كرها) ... المراد ... ومراد

ثم استوى الى السماء اجاب عنه بوجهين الاول ان ثم لترتيب رتبة التقدير لا لترتيب زمانهما والثانى انها لترتيب الاخبار على الاخبا وحصول الوجه الثالث ظاهر وقد عرفت ما فيه من ان دحوها اى دحو الارض متقدم على خلق الرواسى من فوقها المتقدم على خلق السماء فكيف يقترن خلقها مع الدحو وفيه ايضا انه يستلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز الا ان يقال الاتيان المسند الى ضمير الارض غير ما اسند الى ضمير السماء فلا جمع بينهما فى لفظ واحد حكما وحصول الرابع ان المراد بخلقهما ايجادهما وباتيانهما موافقة كل واحدة منهما صاحبتها فى كونها سببا مؤديا الى حدوث ما اريد توليده منهما (قوله من المؤاتاة) يعنى ان وزن آتيا وآتينا بالمد فيهما فاعلا وفاعلنا مثل قاتلا وقاتلنا وسارعا وسارعنا وانهما ليسا من الايتاء بمعنى الاعطاء على ان يكون وزنهما افعلا وافعلنا مثل اكرما واكرمنا وانما جعله من المؤاتاة لامن الايتاء بمعنى الاعطاء لان الاول متعد الى مفعول واحد والثانى الى مفعولين وحذف المفعول الواحد اسهل من حذف المفعولين (قوله لا اثبات الطوع والكره لهما) لانهما من اوصاف العقلاء ذوى الارادة والاختيار والسماء والارض من قبيل الجمادات العديمة الارادة والاختيار فلذلك لم يكن المراد اثبات حقيقة الطوع والكره لهما بل المراد اظهار تأثير قدرته فيهما واستحالة امتناعهما من التأثر كما يقول الجبار لمن هو تحت يده لتفعلن هذا شئت اوابيت ولتفعلنه طوعا اوكرها يريد به ذلك الاظهار والاستحالة وان كان ذلك الشخص مما يصح اتصافه بحقيقة الطوع والكره الا ان مراد الجبار ليس اثباتهماله وانما مراده اظهار كمال قدرته وقوله وهما اى طوعا اوكرها مصدران وقعا موقع الحال اى طائعين اومكرهين (قوله اى منقادين بالذات) اى بالارادة والاختيار (قوله والاظهر) جواب عما يقال كيف خوطب الجمادات بقوله ائتيا وكيف اجبن بقولهن اتينا مع انهن لسن اهلا للخطاب والجواب وتقرير جوابه انه من قبيل الاستعارة التمثيلية من غير ان يتحقق هناك خطاب ولاجواب شبه تأثير قدرته فيهما وتأثرهما عنها بالذات اى لابالمشيئة والاختيار بامر آمر نافذ الحكم يتوجه نحو المأمور المطيع له فيمتثل امره ولايرد قوله بل يتلقاه بالقبول والامتثال وعبر عن الحالة المشبهة بما يعبر به عن الحالة المشبه بها (قوله وماقيل انه تعالى خاطبهما الخ) اى قيل لا يبعد ان يخاطب الله تعالى اياهما ويأمرهما بالاتيان وان يجيباه ويمتثلا امره بان يخلق الله فيهما حياة وعقلا ثم يوجه الامر والتكليف اليهما ويدل عليه قوله انا عرضنا الامانة

لااثبات الطوع والكره لهما وهما مصدران وقعا موقع الحال (قالتا أتينا طائعين) منقادين بالذات والاظهر ان المراد تصوير تأثير قدرته فيهما وتأثرهما بالذات عنها وتمثيلهما بامر المطاع واجابة المطيع الطائع كقوله كن فيكون وماقيل انه تعالى خاطبهما واقدرهما على الجواب انما يتصور على الوجه الاول والاخير

على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها فانه يدل على كونها عاقلة عارفة بالله وبتوجه تكليفه اليها و يعفو بة من قصر فى رعاية مقتضى التكليف وذلك كما انطق الله تعالى الجبال مع داود وانطق الايدى والارجل بالشهادة عما فعل اصحابهما قال المصنف وهذا القول انما يتصور ان لوكان المراد بالامر باتيانهما الامر بابراز مااودع فيهما من الاوصاف والاوضاع والكيفيات والامر بان تأتى كل واحدة منهما صاحبتها اتيانا تقتضيه الحكمة من كون الارض قرارا للسماء وكون السماء سقفا للارض ليصدق التأثير والتأثر المؤديان الى انتظام احوال اهل الارض واما ان اريد باتيانهما الاتيان الى الوجود والحدوث وهوالوجه الثانى اواريد باتيان الارض كونها مدحوة قرارا ومهادا لاهلها وباتيان السماء حدوثها على وفق التقدير الازلى وهوالوجه الثالث فلا يصح ذلك القول لان كون الشئ صالحا للخطاب قادرا على الجواب متفرع على وجوده والوجود حاصل على الوجهين المتطرفين فان السماء والارض حال توجه الامر بالاتيان الى الوجود اليهما او الى السماء وحدها كانتا معدومتين اوكانت احداهما معدومة اذلوكانتا موجودتين لما جاز ان يتوجه اليهما الامر بالاتيان الى الوجود لانه تحصيل الحاصل وايجاد الموجود وان كانتا معدومتين اواحداهما لم تكونا عاقلتين فاهمتين للخطاب قادرتين على الجواب فلايتصور ان يقال لا بعد فى ان يخلق الله فيهما حياة وعقلا ويخاطبهما ويجيبا خطابه فان قلت الوجود حاصل فى الارض على الوجه الثالث ولم يحصل فى السماء قلت يجوز خطاب اثنين وجوابهما بمجرد صلاحية احدهما لهما (قوله وانما قال طائعين) جواب لما يقال السماء والارض اسمان مفردان من قبيل المؤنثات السماعية ومدلول كل واحد منهما متعدد سموات وارضون فكان ينبغى ان يقال طائعتين حملا على اللفظ اوطائعات حملا على المعنى فلم قيل طائعين على لفظ جمع الذكور العقلاء وتقرير الجواب انهما لما وصفا باوصاف العقلاء من كونهما مخاطبات ومجيبات وطائعات ومكرهات عوملتا معاملة العقلاء وجمعا لتعدد مدلولهما كقوله تعالى انى رأيت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين (قوله خلقا ابداعيا) اى على طريق الاختراع لاعلى مثال اما قيد الابداع مستفاد من كون اتمامهن والفراغ منهن حال كونهن سبع سموات متفرعا على الاستواء الى السماء حال كونها دخانا اى شيئا حقيرا مظلما كالدخان فيكون خلقها ابداعيا من غير ان يكون على مثال اومستفاد من قوله تعالى فى مواضع اخر بديع السموات واما قيد الاتقان

وانما قال طائعين على المعنى باعتبار كونهما مخاطبتين كقوله ساجدين (فقضاهن سبع سموات) فخلقهن خلقا ابداعيا واتقن امرهن

فانه مستفاد من قوله تعالى فقضاهن اى اتمهن وفرغ من خلقهن فان قضاء الشيء اتمامه اما قولا كما فى قوله تعالى وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه واما فعلا كما فى هذه الآية والاتمام فعلا انما يكون بان لا يكون فى المفعول خلل ونقصان وهو معنى الاتقان (قوله والضمير للسماء على المعنى) اى ضمير فقضاهن فان السماء وان كان مفرد اللفظ الا انه فى معنى الجمع لتعدد مدلوله ويحتمل ان لا يرجع الى السماء لامن حيث اللفظ ولامن حيث المعنى بل يكون ضميرا مبهما يفسره سبع سموات كضمير ربه رجلا * وورد فى الاخبار انه تعالى خلق الارض فى يوم الاحد والاثنين وخلق سائر مافى الارض فى يوم الثلاثاء والاربعاء وخلق السموات وما فيها فى يوم الخميس والجمعة وفرغ فى آخر ساعة من يوم الجمعة وخلق فيها آدم وهى الساعة التى تقوم فيها القيامة والظاهر انه ينبغى ان يكون المراد به انه خلق العالم كله فى مدة لو حصل فيها فلك وشمس وقمر لكان مبدأ تلك المدة اول يوم الاحد وآخرها آخر يوم الجمعة (قوله شانها ومايتأتى منهما) اى من الحركات المختلفة والاوضاع المتجددة وكونهما مزينة بالثوابت والسيارات الى غير ذلك من الشؤون والاحوال فسر الامر بالشان فيكون واحد الامور فان الامر الذى هو مصدر قولك امرته بكذا امر يجمع على اوامر ومعنى ايحاء الامر بهذا المعنى فى كل سماء جعل كل واحدة منها على ما يتأتى منها من الشؤون والامور بحيث تأتى السماء به اختيارا عند من يقول بان الافلاك لها نفوس تؤثر فى اجرامها بارادته واختياره او طبعا عند من لا يقول بذلك والايحاء فى الاصل الالقاء استعمل هنا فى اظهار ما اراده فى كل سماء وقيل اوحى الى اهلها باوامره على ان الامر مصدر امره بكذا والآمر هو الله تعالى والمأمور اهل كل سماء الا انه اضيف الامر الى نفس السماء للملابسة فانه تعالى كلف اهل كل سماء بتكليف خاص فمن الملائكة من بقى فى القيام من اول خلق العالم الى قيام القيامة ومنهم ركوع لا ينتصبون ومنهم سجود لا يرفعون رؤسهم ولما كان ذلك الامر مختصا باهل تلك السماء كان مختصا بتلك السماء ايضا بواسطة اهلها فصحت اضافته اليها (قوله فان الكواكب كلها) يعنى ان المراد بالمصابيح جميع الكواكب النيرة التى خلقها الله تعالى فى السموات من الثوابت والسيارات وليس كلها فى السماء الدنيا وهى التى تدنو وتقرب من اهل الارض فان كل واحد من السيارات مختص بسماء من السموات السبع والثوابت مركوزة فى الفلك الثامن الان كونها مركوزة فيما فوق سماء الدنيا لاينافى كونها زينة لها لانا نرى جميعها كالسرج الموقدة فيها

والضمير للسماء على المعنى او مبهم وسبع سموات حال على الاول وتمييز على الثانى (فى يومين) قيل خلق السموات يوم الخميس والشمس والقمر والنجوم يوم الجمعة (واوحى فى كل سماء امرها) شأنها وما يتأتى منها بان حملها عليه اختيارا او طبعا وقيل اوحى الى اهلها باوامره (وزينا السماء الدنيا بمصابيح) فان الكواكب كلها ترى كانها تتلألأ عليها (وحفظا) اى وحفظناها من الآفات

(قوله او من المسترقة) وهى الشياطين الذين يصعدون السماء لاستراق السمع فيرمون بشهب صادرة من نار الكواكب منفصلة عنها لا يرجمون بالكواكب انفسها لانها قارة فى الفلك على حالها و ماذلك الا كقبس يؤخذ من النار والنار باقية بحالها لا ينقص منها شئ والشهاب شعلة نار ساطعة و الشهب جمعه (قوله وقيل مفعول له) لم يرتض به لاحتياجه الى اعتبار الفعل المعلل وتغير اسلوب الكلام الى ما لا حاجة اليه و يمكن جعله مفعولا له بجعله معطوفا على آخر مثله و يكون التقدير وزينا السماء الدنيا بمصابيح تنبيها بحالها و حفظا وهو ليس بابعد من تقدير العامل ثم انه تعالى لما امره بان يجيب المشركين بقوله قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد ثم يحتج عليهم بقوله أئنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين وحاصله ان الاله الموصوف بهذه القدرة القاهرة كيف يجوز ان يكفر به ويجعل له اندادا قال فان اعرضوا عن قبول هذه الحجة القاهرة واصروا على الجهل والتقليد فقل انهم لم يبق فى حقكم علاج الا انزال العذاب الذى نزل على من قبلكم من المعاندين والانذار التخويف والصاعقة قطعة نار تنزل من السماء فتحرق ما اصابته استعيرت هنا للعذاب الشديد تشبيها له بها فى الشدة والهول (قوله وهى المرة من الصعق او الصعق) بسكون العين مصدر من المتعدى و معناه الاهلاك وبفتح العين مصدر من اللازم بمعنى الهلاك يقال صعقته الصاعقة صعقا بفتح العين فى الماضى وسكونها فى المصدر اى اهلكته الصاعقة فصعق صعقا بكسر العين فى الماضى وفتحها فى المصدر اى هلك ومات (قوله حال من صاعقة عاد) اى من الصاعقة الثانية اى مثل صاعقة ... التى كانت وقت مجئ الرسل اليهم وتكذيبهم فالمراد كون متعلق الظرف حالا منها لان الصاعقة قطعة نار تنزل من السماء فتحرق فهى جثة والزمان كما لا يكون صفة للجثة لا يكون حالا منها ايضا ولا يجوز جعله صفة لصاعقة الاولى ولا ظرفا لانذرتكم ... لان انذاره وعيد المعرضين ليس فى وقت مجئ الرسل الامم الماضية وصاعقتهم كانت فى ذلك الوقت (قوله من جميع جوانبهم) ليس المراد بها الجهات الحسية والاماكن الحقيقية المحيطة بهم بل ما يشبه بها من جهات الارشاد وطرق النصيحة فتارة جاؤا من جانب الانذار والتخويف واخرى من جانب ... فيما اعد لاهل الايمان والطاعة ... الى ... ما ... من الوعد والايعاد ... من جهة الصاعقة ونحو ذلك ... رسول ...

او من المسترقة حفظا وقيل مفعول له على المعنى كانه قال وخصصنا السماء الدنيا بمصابيح زينة و حفظا (ذلك تقدير العزيز العليم) البالغ فى القدرة والعلم (فان اعرضوا) عن الايمان بعد هذا البيان (فقل انذرتكم صاعقة) خوفتكم ان يصيبهم عذاب شديد الوقع كانه صاعقة (مثل صاعقة عاد وثمود) وقرئ صعقة مثل صعقة عاد وهى المرة من الصعق او الصعق يقال صعقته الصاعقة صعقا فصعق صعقا (اذ جاءتهم الرسل) حال من صاعقة عاد ولا يجوز جعله صفة ... او ظرفا لانذرتكم ... المعنى (من بين ايديهم ومن خلفهم) اتوهم من جميع جوانبهم واجتهدوا بهم من كل جهة او من جهة ... الماضى بالانذار ... على الكفار ومن جهة ... قبل ...

اومن قبلهم ومن بعدهم اذ لقد بلغهم ﴿١٧﴾ خبر المتقدمين واخبرهم هود وصالح عن المتأخرين ناحيين اي الآفاق
بهم اجمعين ويحتمل
ان يكون عبارة عن الكثرة
كقوله تعالى يأتيها رزقها
رغدا من كل مكان (الا
تعبدوا الا الله) بان لا تعبدوا
اواى لا تعبدوا (قالوا
لوشاء ربنا) ارسال الرسل
(لانزل ملائكة) برسالته
(فانا بما ارسلتم به) على
زعمكم (كافرون) اذ انتم
بشر مثلنا لا فضل لكم
علينا (فاما عاد فاستكبروا
في الارض بغير الحق)
فتعظموا فيها على اهلها
بغير استحقاق (وقالوا من
اشد منا قوة) اغترارا
بقوتهم وشوكتهم قيل
كان من قوتهم ان الرجل
منهم ... ة
فيقلعها بيده ...
ان الله الذى خلقهم هو
اشد منهم قوة) قدرة فانه
قادر بالذات مقتدر على
ما لا يتناهى قوى على
ما لا يقدر عليه غيره
(وكانوا بآياتنا يجحدون)
يعرفون انها حق
وينكرونها وهو عطف على
فاستكبروا (فارسلنا عليهم
ريحا صرصرا) باردة
تهلك بشدة بردها من
الصر وهو البرد الذى
يصر اى يجمع او شديد
الصوت ذهوبها من الصرير (في ايام نحسات) جمع نحسة (من) من نحس نحسا نقيض سعد سعدا

حرصا لايمانهم (قوله اومن قبلهم ومن بعدهم) على ان يكون من بين
ايديهم حالا من الرسل اى كائنين قبلهم و بعدهم اوصفة لهم اى الرسل الكائنين
من قبلهم ومن بعدهم وللورد ان يقال الرسل الذين من قبلهم ومن بعدهم
كيف يوصفون بانهم جاؤهم وكيف يخاطبهم عاد وثمود بقولهم انا بما
ارسلتم به كافرون اشار الى جوابه بقوله اذ قد بلغهم خبر المتقدمين (قوله بان
لا تعبدوا اواى لا تعبدوا) اى يحتمل ان تكون كلمة ان فى قوله ان لا تعبدوا
مصدرية وان تكون مفسرة لما جاءت الرسل به لان قوله جاءتهم يتضمن
معنى القول (قوله على زعمكم) يعنى ان قوله ارسلتم به ليس اقرارا منهم
بكون اولئك الانبياء رسلا وانما ذكروه حكاية لكلام الرسل اوعلى سبيل الاستهزاء
كما قال فرعون ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون ثم انه تعالى لما بين
كفر قوم عاد وثمود على الاجمال اخذ فى تفصيل حال كل واحدة من هاتين
الطائفتين فقال فاما عاد فاستكبروا الاية كان هو يهددهم بالعذاب فقالوا نحن
نقدر على دفعه عنا بفضل قوتنا فرد الله تعالى عليهم بقوله اولم يروا ان الله
الذى خلقهم هو اشد منهم قوة فان قولهم من اشد منا قوة استفهام اريد به
النفى اغتروا بقدرة كائنة باقدار الله تعالى اياهم على بعض الاشياء وجحدوا
قدرة من هو قادر على كل شئ بقدرة ذاتية غير مستفادة من غيره فاستحقوا ان
يرد عليهم بان نفيكم من هو اشد منكم قوة جحد وانكار لما تعلمونه فان قوله
تعالى اولم يروا تقرير لعلمهم بذلك ثم ان المصنف فسر القوة فى قوله تعالى هو اشد
منهم قوة بالقدرة لان صيغة التفضيل تقتضى اشتراك الفضل والمفضل عليه
فى الوصف الذى هو مبدأ اشتقاق افعل ولا اشتراك بينه تعالى و بين الانسان
فى القوة التى هى عبارة عن شدة البنية وصلابتها المضادة للضعف فانه تعالى منزه
عن القوة بهذا المعنى وانه لا يوصف بالقوة الا على معنى القدرة فوجب ان يراد
بقوة الانسان القدرة مجازا لكونها مسببة عن القوة بمعنى صلابة البنية فتكون
القوة فى كل واحد من جانبى الفضل والمفضل عليه بمعنى واحد فيصح تفضيل
احدهما على الاخر فى القوة بالمعنى المجازى (قوله يعرفون انها حق
وينكرونها) يريد ان الجحود هو الانكار مع العلم (قوله وهو عطف على
فاستكبروا) ونظم الكلام هكذا فاما عاد فاستكبروا فى الارض بغير الحق وكانوا
بآياتنا يجحدون والمعنى انهم جمعوا بين الاستكبار اى طلب العلو فى الارض
وهو فسق وخروج عن الطاعة بترك الاحسان الى الخلق و بين الجحود بالآيات
وهو كفر وترك لتعظيم الخالق فيكون قوله تعالى وقالوا من اشد منا قوة اولم يروا
ان الله الذى خلقهم هو اشد منهم قوة اعتراضا واقعا بين المعطوف والمعطوف

عليه لبيان السبب الداعي الى الاستكبار والرد عليهم فجاز عموه ولما جمعوا بين الوصفين اللذين هما اصل جميع الصفات الذميمة لاجرم سلط الله عليهم العذاب فقال فارسلنا عليهم ريحا صرصرا في الصحاح الصر بالكسر برد يضر بالنبات والحرث والصرصر تكرير لبنى الصر ويقال ايضا صر القلم والباب يصر صريرا اى صوت فيكون الصرصر تكرير صر (قوله وقرأ الحجازيان) ابن كثير ونافع والبصريان ابو عمرو ويعقوب بسكون الحاء في نحسات على انه صفة مشبهة من نحس على وزن علم اصله نحسات بكسر الحاء فاسكنت للتخفيف اوعلى ان كل واحد من نحس ونحس بكسر الحاء وسكونها لغة اصلية في صفة فعل الا ان علماء التصريف لم يذكروا في الصفة من باب فعل بكسر العين الا اوزانا محصورة ليس فيها فعل بالسكون فذكر وافرح فهو فرح وحور فهو فرح وحور فهواحور وشبع فهو شبعان وسلم فهو سليم وبلى فهو بال اوعلى انه مصدر وصف به كرجل عدل وفيه ضعف لان الاصل الصحيح في المصدر الذى وصف به ان لايجمع وقدجمع ههنا ويمكن ان يعتذر عنه بان جمعه لاختلاف انواعه في الاصل وقرأ الكوفيون وابن عامر بكسر الحاء على انه صفة مشبهة من نحس كفرح فهو فرح واشر فهو اشر والمعنى في ايام مشئومات لان النحس مقابل السعد ونحوستها ان الله تعالى ادام هلاك الريح فيها على وتيرة وحالة واحدة لاتتغير واهلاك القوم بها لاكمازعم المنجمون من ان بعض الايام قد يكون في ذاته نحسا وبعضها سعدا استدلالا بهذه الآية فان اجزاء الزمان متساوية في حد انفسها ولاتمايز بينها الا بحسب تمايز ماوقع فيها من الطاعات والمعاصي ولا استدلال بالمحتمل (قوله على قصد وصفه به) اى وصف العذاب بالخزى وكون اضافة العذاب اليه من قبيل اضافة الموصوف الى الصفة كما تقول فعل السوء بالاضافة وتريد الفعل السيء على الوصفية فاصل الكلام عذاب خزى اى عذاب ذليل مهان فخزى صفة مشبهة اصله خازى فاعل كقاض ثم اضيف العذاب الى ماقصد توصيفه به فقيل عذاب الخزى كما قيل رجل صدق للدلالة على اختصاصه بتلك الصفة واستدل على ان اضافة العذاب الى الخزى على قصد وصفه بالخزى بقوله تعالى ولعذاب الآخرة اخزى اى اذل وازيد حوقا وخزيا فانه لولا ان المقصود توصيف العذاب بالخزى لما صح ان يجعل عذاب الاخرة مقابلا لعذاب الدنيا لكون الاول اشد خزيا بالنسبة الى الثاني ولما ذكرالله تعالى قصة عاد اتبعها بقصة ثمود فقال واما ثمود الجمهور على رفع ثمود غير منون لمنع صرفه للعلمية والتأنيث فانه اسم قبيلة ومن نونه وصرفه جعله اسم رجل وهو الجد الاعلى للقبيلة ورفعه على الابتداء لان اما لايليها الا المبتدأ ولايجوز الاشتغال فيما بعدها الا نادرا قال ابن

وقرأ الحجازيان والبصريان بالسكون على التخفيف او النعت على فعل او الوصف بالمصدر وقيل كن آخر شوال من الاربعاء الى الاربعاء وماعذب قوم الا في يوم الاربعاء (لنذيقهم عذاب الخزى في الحياة الدنيا) اضاف العذاب الى الخزى وهو الذل على قصد وصفه به لقوله (ولعذاب الآخرة اخزى) وهو في الاصل صفة المعذب وانما وصف به العذاب على الاسناد المجازى للمبالغة (وهم لاينصرون) بدفع العذاب عنهم (واما ثمود فهديناهم)

الحاجب وتختار رفع ما اضمر عامله بالابتداء اذا وقع بعد اما مع غير الطلب ولو كانت مع الطلب تختار النصب لئلا يقع الطلب خبرا واذا قدرت الفعل الناصب فقدره بعد الاسم المنصوب هكذا واما ثمود هدينا فهديناهم قالوا لان اما لايليها الافعال (قوله فدللناهم على الحق) اشارة الى ان الهداية عبارة عن الدلالة على ما يوصل الى المطلوب سواء ترتب عليها الاهتداء ام لا وليست عبارة عن الدلالة المقيدة بكونها موصلة الى البغية وفسرها الزمخشري في سورة البقرة بالدلالة الموصلة الى البغية واستدل عليه بوجوه ولما ورد عليه ان يقال لو كانت الهداية عبارة عن الدلالة المقيدة بكونها موصلة الى البغية لامتنع حصولها بدون الاهتداء مع انه تعالى اثبت الهداية بدون الاهتداء حيث قال واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى اى فاختاروا الدخول في الضلالة على الدخول في الرشد اجاب عنه بان الهداية فيه مستعارة للدلالة المجردة تشبيها لها بالدلالة الموصلة من حيث انها مكنتهم من الاهتداء بحيث لم يبق لهم بعدها عذر ولا علة فصارت بذلك كانها موصلة فسميت هداية لذلك واستدل المعتزلة بهذه الآية على ان الكفر والايمان يحصلان من العبد وذلك لانها تدل على انه تعالى ينصب الدلائل ويزيح العلل والاعذار الا ان الايمان يحصل من العبد لان قوله واما ثمود فهديناهم يدل على انهم من عند انفسهم اتوا بذلك العمى وهذا الاستدلال باطل لانه يستلزم ان يترك كثير من دلائل العقل والنقل منها قوله تعالى الله خالق كل شئ وقوله هل من خالق غير الله ولابعد في ان يسند الفعل القبيح الى العبد لكونه مسببا عن اختياره السئ واكتسابه القبيح والتحقيق ان معنى استحباب العمى اختياره لان المحبة ليست باختيارية اتفاقا والاختيار والايثار اختياري والمؤثر مجموع امرين احدهما من الله تعالى والآخر من العبد فظهر ان في لفظ الاستحباب مايشعر بان قدرة الله تعالى هي المؤثرة ولقدرة العبد مدخلا ما وان الايمان مقدور للقادرين فتأمل فيه فانه دقيق عجيب (قوله واضافتها الى العذاب) اى اضافة الصاعقة الى العذاب الموصوف بالمصدر للمبالغة في كونه مهينا ليدل على شدة وقع الصاعقة وقوتها فان اضافتها اليه من اضافة النوع الى الجنس بتقدير من والمعنى فاخذتهم من جنس العذاب المهين الذي بلغ في افادة الهوان للعذاب الى حيث صار كانه عين الهوان ما كان شديد الوقع كانه صاعقة مهلكة والهون مصدر بمعنى الهوان والذلة وصف به العذاب للمبالغة اى عذاب مهين كأنه عين الهوان فالمبالغة استفيدت من ثلاثة اوجه الاول من استعارة لفظ الصاعقة للعذاب والثاني من اضافة الصاعقة الى العذاب والثالث

فدللناهم على الحق بنصب الحجج وارسال الرسل وقرئ ثمود بالنصب بفعل مضمر يفسره مابعده ومنونا في الحالين و بضم الثاء (فاستحبوا العمى على الهدى) فاختاروا الضلالة على الهدى (فاخذتهم صاعقة العذاب الهون) صاعقة من السماء فاهلكتهم واضافتها الى العذاب ووصفه بالهون للمبالغة (بما كانوا يكسبون) من اختيار الضلالة (ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون) من تلك الصاعقة (ويوم يحشر اعداء الله الى النار) وقرأ نافع نحشر بالنون مفتوحة وضم الشين و نصب اعداء وقرئ يحشر على البناء للفاعل وهو الله تعالى (فهم يوزعون) يحبس اولهم على آخرهم لئلا يتفرقوا وهي عبارة عن كثرة اهل النار (حتى اذا ما جاؤها) اذا حضروها وما مزيدة لتأكيد اتصال الشهادة بالحضور

من وصف العذاب بالهون ثم انه تعالى لما بين كيفية عقوبة اولئك الكفار في الدنيا اردفه ببيان كيفية عقوبتهم في الآخرة ليحصل منه تمام الاعتبار في الزجر والتحذير فقال و يوم يحشر اعداء الله الى النار فيوم منصوب بمحذوف دل عليه مابعده من قوله فهم يوزعون تقديره يساق الناس يوم يحشر وقال ابو البقاء تقديره يمنعون يوم يحشر وقيل انه منصوب باذكر مقدرا اى اذكر يوم يحشر جميع الكفرة من الاولين والاخرين فهم يوزعون اى يحبس سوابقهم حتى يلحق بهم اواخرهم وهو عبارة عن كثرتهم قرأ الجمهور يحشر بياء الغيبة مضمومة وفتح الشين على بناء ما لم يسم فاعله ورفع اعداء لقيامه مقام الفاعل وحتى غاية ليحشر واذا منصوب بشهد ومعنى التأكيد في كلمة ما ان وقت حضورهم النار لامحالة هو وقت الشهادة عليهم وهو كقوله تعالى اثم اذا ما وقع آمنتم به اى لابد لوقت وقوع العذاب من ان يكون وقت ايمانهم روى انه صلى الله عليه وسلم ضحك يوما حتى بدت نواجذه ثم قال الا تسألون لم ضحكت قالوا لم ضحكت يارسول الله قال عجبت من مجادلة العبد ربه يقول يوم القيامة يارب اليس قد وعدتني ان لا تظلمني قال فان لك ذلك قال فاني لا اقبل على شاهدا الا من نفسي قال اوليس قد كفى بي شهيدا وبالملائكة الكرام الكاتبين فيقول يارب قد اجرتني من الظلم فلن اجيز على اليوم شاهدا الا من نفسي قال فيختم على فيه وتتكلم الاركان بما كان يعمل قال عليه الصلاة والسلام فيقول لهن بعدا لكن وسحقا عنكن كنت اجادل (قوله تعالى سمعهم) اى آذانهم وافرد لكونه مصدرا في الاصل وقوله ولعل المراد به نفس التعجب اى من غير ان يتحقق منهم سؤال وخطاب الاعضاء وعلى هذا يكون كيفية شهادة الاعضاء ان يظهر عليها احوال تدل على صدور تلك الافعال منهم فيكون الجواب بقالوا انطقنا الله ايضا بلسان الحال (قوله اى ما نطقنا باختيارنا) اى حتى نستحق توبيخكم هذا على ان يكون لم شهدتم سؤال توبيخ وقوله اوليس نطقنا بعجب على ان يكون سؤال تعجب (قوله تمام كلام الجلود) فيكون معطوفا على قوله انطق كل شئ اى انطقنا الله الذى هذا كله شأنه فمن قدر عليه قدر على انطاقنا لامحالة وان تم كلام الجلود عند قوله انطق كل شئ كان قوله وهو خلقكم ابتداء كلام من الله تعالى لبيان ان من قدر على خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة وصيركم حيوانا ناطقا اول مرة اى في الدنيا ثم على بعثكم وارجاعكم الى موقف حسابه وجزائه كيف يستبعد منه انطاق الجوارح والاعضاء قيل كيفية نطقها وشهادتها عليهم ان يخلق الله فيها الحياة والقدرة على النطق فتشهد كما يشهد الرجل على ما يعرفه

(شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون) بان ينطقها الله او يظهر عليها آثارا تدل على ما اقترف بها فتنطق بلسان الحال (وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا) سؤال توبيخ او تعجب ولعل المراد به نفس التعجب (قالوا انطقنا الله الذى انطق كل شئ) اى ما نطقنا باختيارنا بل انطقنا الله الذى انطق كل شئ اوليس نطقنا بعجب من قدرة الله الذى انطق كل حى ولو اول الجواب والنطق بدلالة الحال بقى الشئ عاما في الموجودات الممكنة (وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون) يحتمل ان يكون تمام كلام الجلود وان يكون استئنافا

وهذا القول لايتأتى على مذهب المعتزلة لان البنية شرط عندهم لحصول الحياة والعقل والقدرة واللسان مع كونه لسانا يمتنع ان يكون محلا للعلم والعقل فان قلنا انه تعالى غير تلك البنية والصورة خرج عن كونه لسانا وجلدا وظاهر القرآن يدل على اضافة تلك الشهادة الى السمع والبصر والجلود وان قلنا انه تعالى ماغير بنية هذه الاعضاء فحينئذ يمتنع كونها عاقلة ناطقة فاهمة وانما يتأتى على مذهب اصحابنا لان البنية ليست شرطا للحياة ولا للعلم ولا للقدرة عندنا فهو تعالى قادر على خلق العقل والقدرة والنطق فى كل جزء من اجزاء هذه الاعضاء وقيل فى كيفية نطقها وشهادتها ان تظهر فيها احوال تدل على صدور تلك الاعمال من ذلك الانسان وتلك الامارات تسمى شهادات كما يقال شهد العالم بتغيرات احواله على حدوثه (قوله تعالى ان يشهد) فى موضع النصب باسقاط الخافض من ان يشهد والجر على ارادته لان استتر لايتعدى بنفسه وقيل فى موضع الجر على تقدير المضاف اى مخافة ان يشهد اى كنتم تكتفون عند ارتكاب الفواحش بالتستر والاستخفاء من الناس ولم تعلموا انه تعالى لايعزب عنه مثقال ذرة من خفيات الامور وجلياتها حتى تخافوا من ان يفضحكم بان ينطق اعضاءكم ويشهدها عليكم ولكن ظننتم انه تعالى لايعلم كثيرا مما تعملون اى لايعلم ما فعلتموه خفية مستترين بالحيطان والحجب وظلمة الليل فلذلك اجترأتم على على ارتكاب الفواحش خفية وما علمتم انه تعالى مطلع عليها ومفضحكم بها بان ينطق جوارحكم ويشهدها عليكم قال طائفة من الكبار بلغ جهلهم الى ان ظنوا انه تعالى يعلم بعض الامور ويخفى عليه بعضها عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال ان الكفار كانوا يقولون ان الله لايعلم ما فى انفسنا ولكنه يعلم ما نظهره وعن ابن مسعود قال كنت مستترا باستار الكعبة فدخل ثلاثة نفر ثقفيان وقرشى او قرشيان وثقفى كثير شحم بطونهم قليل فقه قلوبهم فقال احدهم اترون ان الله يسمع ما نقول فقال آخر يسمع ان جهرنا ولا يسمع ان اخفينا وقال الثالث ان كان يسمع ان جهرنا يسمع اذا اخفينا فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فانزل الله تعالى وما كنتم تستترون الاية قيل الثقفى عبد ياليل والقرشيان ختناه ربيعة وصفوان بن امية (قوله اذ صار ما منحوا) فان القوة العاقلة نعمة انعم الله تعالى بها على عباده ليتوسلوا بها الى تحصيل العقائد الحقة التى هى سبب سعادة الدارين ومن توسل بها الى شقاء الدارين فقد خسر خسرانا مبينا وهذه الاية نص صريح فى ان من ظن انه تعالى يخرج عن علمه شئ من المعلومات فانه الهالك الخاسر وان ظنه ذلك يرديه ثم قال فان يصبروا اى اى ان امسكوا عن الاستغاثة والجزع مما هم فيه انتظار الفرج

(وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم) اى كنتم تستترون عن الناس عند ارتكاب الفواحش مخافة الفضاحة وما ظننتم ان اعضاءكم تشهد عليكم فما استترتم عنها وفيه تنبيه على ان المؤمن ينبغى ان يتحقق ان لايمر عليه حال الا وعليه رقيب (ولكن ظننتم ان الله لايعلم كثيرا مما تعملون) فلذلك اجترأتم على ما فعلتم (وذلكم) اشارة الى ظنهم هذا وهو مبتدأ وقوله (ظنكم الذى ظننتم بربكم ارداكم) خبران له ويجوز ان يكون ظنكم بدلا وارداكم خبرا (فاصبحتم من الخاسرين) اذ صار ما منحوا للاستسعاد به فى الدارين سببا لشقاء المنزلين (فان يصبروا فالنار مثوى لهم) لا خلاص لهم عنها (وان يستعتبوا) يسألوا العتبى وهى الرجوع الى ما يحبون (فما هم من

زاعمين ان الصبر مفتاح الفرج لم يجدوا ذلك وتكون النار مثوى لهم من الثواء وهو الاقامة وذكر فى مقابلة صبرهم استعتابهم فقال وان يستعتبوا بفتح ياء الغيبة وكسر التاء الثانية على بناء الفاعل اى وان اظهروا الجزع واستغاثوا فى ازالة ماهم فيه من العذاب لم يعتبوا اى لم يجابوا الى ذلك فكان جزعهم وصبرهم سواء فى ان شيأ منهما لايؤدى الى الخلاص يقال عتب عليه اى وجد عليه اى وغضب واعتبنى فلان اى عاد الى مودتى راجعا عن الاساءة والاستعتاب طلب العتبى وهو اسم من الاعتاب بمعنى ازالة العتب كالعطاء والاستعطاء فهو تعالى عاتب مغضب على المسيء بتعذيبه والمسيء مستعتب يطلب منه تعالى ان يعتبه اى يزيل عنه ماهو فيه من العقوبة والعذاب الا انه لايكون معتبا وقرئ وان يستعتبوا على بناء المفعول فماهم من المعتبين على بناء اسم الفاعل من اعتب بمعنى رضى وازال عنه اى ان استعتب احد منهم بان يطلب منهم ان يعتب ربه ويزيل مايعتب ربه عليه لم يقدروا عليه لانهم فارقوا دار التكليف والطاعة واتوا دار الجزاء فاين يقدرون على اعتاب ربهم ثم انه تعالى لما ذكر الوعيد الشديد فى الدنيا والاخرة على كفر اولئك الكفار اردفه بذكر السبب الذى لاجله وقعوا فى ذلك الكفر فقال وقيضنا لهم قرناء اى جعلنا القرناء وقدرناها قيضا لهم اى بمنزلة القيض الذى يستولى على الاب كما يستولى القيض على البيض وقيض البيضة قشرها فانهم لما صمموا على الكفر لم يبق لهم من الاصدقاء الا الشياطين وهذا معنى قول الجوهرى قيض الله فلانا لفلان اى جاءه به واباحه له اى قدره له واخدان جمع خدن وهو الصديق وقيل قيضنا ليس من القيض بمعنى القشر بل هو من القيض بمعنى البدل والعوض كما يقال دينار ثوب ان قيضان اذا كان كل واحد منهما مكافئا الاخر فى القيمة بحيث يصح ان باع احدهما بالاخر مقايضة اى مبادلة وهى بيع السلعة بالسلعة سمى بها لكونه معاوضة احد المتبايعين بالاخر ولما كان عقد المقايضة مبنيا على مناسبة احد البدلين للاخر كان معنى الاية جعلنا وقدرنا قرناء السوء لهم قيضا اى مناسبا لهم بحيث يليق ان يتخذوهم اخدانا واصدقاء يقبلون مادعوهم اليه ولم يرض بهذا الاحتمال لما فيه من التكلف وقد دلت الاية على ان كفر الكافر بارادة الله تعالى ومشيئته وان لم يرضه لانه حكم بانه قيض لهم قرناء فزينوا لهم الباطل وهذا يدل على انه تعالى اراد منهم الكفر لانه تعالى لما قيض لهم اولئك القرناء بارادته وهو يعلم انهم يزينون لهم الباطل ويحملونهم على الكفر لزم ان يريد منهم ذلك التزيين وما يترتب عليه لان من فعل فعلا بارادته وعلم ان ذلك الفعل يفضى لا محالة الى اثر فذلك الفاعل لابد ان يكون مريدا لذلك الاثر (قوله مابين ايديهم من امر الدنيا) جعل امر الدنيا بين ايديهم

(المعتبين) المجابين اليها ونظيره قوله تعالى حكاية أجزعنا ام صبرنا مالنا من محيص وقرئ وان يستعتبوا فما هم من المعتبين اى ان يسألوا ... ربهم فما هم ... مسعدون لفوات المكنة (وقيضنا) وقدرنا (لهم) للكفرة (قرناء) اخدانا من الشياطين يستولون عليهم استيلاء القيض على البيض وهو القشر وقيل اصل القيض البدل ومنه المقايضة للمعاوضة (فزينوا لهم مابين ايديهم) من امر الدنيا واتباع الشهوات وما خلفهم من امر الاخرة وانكاره (وحق عليهم القول) اى كلمة العذاب

(لكونها)

لكونها حاضرة لهم كما يقال لمن يجيء بعد الشخص انه خلفه وقيل ما بين ايديهم الآخرة لانها قدامهم وهم متوجهون اليها وما خلفهم الدنيا لانهم يتركونها خلفهم (قوله تعالى في امم) في محل النصب على انه حال من الضمير المجرور في عليه اي حق عليهم القول حال كونهم في جملة امم من المتقدمين وشبه كلمة في الواقعة في الاية بما في قول الشاعر فني آخرين قد أفكوا اي كانت في جملة آخرين وفي عدادهم في كونك مأفوكا عن احسن الصنيعة ولست باوحدي في ذلك واعلم انه تعالى لما وصف كتابه العزيز في اول السورة باوصاف جليلة ثم اخبر ان اكثرهم اعرضوا عن تدبره وقبوله بين طريق اعراضهم بقوله وقالوا قلوبنا في اكنة الى قوله فاعمل اننا عاملون وامر رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم بان يجيبهم فاجاب بوجوه من الاجوبة واتصل الكلام بعضه ببعض الى هذا الموضع ثم انه تعالى حكى عنهم طريقا آخر لاعراضهم من القرآن فقال وقال الذين كفروا الاية (قوله بالخرافات) وهي الهذيان والاحاديث التي لا اصل لها قيل خرافة اسم رجل من بني عذرة استهوته الجن وكان يحدث بما رأى فكذبوه وقالوا لكل ما يكذبونه من الاحاديث ولكل ما يستملح ويتعجب منه خرافات وكان بعضهم يوصي بعضا اذا رأيتم محمدا صلى الله عليه وسلم يقرأ القرآن لا تصغوا الى قرآءته والغوا فيه اي اشتغلوا فيه باللغو وهو ما ليس له معنى مفيد ليختلط عليه ما يقرأ فلا يتمكن من قراءته ولا يتمكن اصحابه ايضا من سماعه قال مقاتل اي ارفعوا اصواتكم بالاشعار والكلام في وجهه حتى يلبسوا عليه ولما ذكر الله تعالى ذلك عنهم هددهم بالعذاب الشديد وقال فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا وهذا تهديد شديد لان لفظ الذوق انما يذكر في القدر القليل الذي يؤتى به لاجل التجربة واذا كان الذوق وهو قدر قليل عذابا شديدا فكيف يكون حال الكثير منه (قوله المراد بهم هؤلاء القائلون) يعني ان التعريف في قوله الذين كفروا للعهد الخارجي والمعهود هم الذين يقولون لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه ويجوز ان يكون للاستغراق فيدخل فيه القائلون دخولا اوليا (قوله سيئات اعمالهم) يعني ان الاسوء لم يقصد به الزيادة على ما اضيف اليه ليفيد انه تعالى يجزيهم جزاء سيئات اعمالهم وجزاء اسوءها بل قصد الزيادة المطلقة واضافته الى ما عملوا لبيان انه بعض منه لا تفضيله عليه كما قال الاشج اعدل بني مروان ولا يقصد به ان بني مروان اهل العدل وان الاشج اعدلهم بل قصد به الزيادة المطلقة واضيف اليهم لبيان انه بعض منهم فان قيل الموصوف بافعل على تقدير ان يحمل على الزيادة المطلقة يجب ان يكون بالغا غاية الكمال في الوصف الذي هو مبدأ اشتقاق افعل فيبقيت الشبهة وهي

(في امم) في جملة امم كقوله ان تك عن احسن الصنيعة مأفوكا ففي آخرين قد أفكوا وهو حال من الضمير المجرور (قد خلت من قبلهم من الجن والانس) وقد عملوا مثل اعمالهم (انهم كانوا خاسرين) تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير لهم وللامم (وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه) وعارضوه بالخرافات او ارفعوا اصواتكم بها لتشوشه على القارئ وقرئ بضم الغين والمعنى واحد يقال لغي يلغى ولغا يلغو اذا هذى (لعلكم تغلبون) اي تغلبونه على قراءته (فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا) المراد بهم هؤلاء القائلون او عامة الكفار (ولنجزينهم اسوء الذي كانوا يعملون) سيئات اعمالهم وقد سبق مثله (ذلك)

اشارة الى الاسوء (جزاء اعداء الله) خبره (النار) عطف بيان للجزاء او خبر محذوف (لهم فيها) فى النار (دار الخلد) فانها دار اقامتهم وهو كقولك فى هذه الدار دار سرور تعنى بالدار عينها على ان المقصود هو الصفة (جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون) ينكرون الحق او يلغون وذكر الجحود الذى هو سبب اللغو (وقال الذين كفروا ربنا ارنا اللذين اضلانا من الجن والانس) يعنى شيطانى النوعين الحاملين على الضلالة والعصيان وقيل هما ابليس وقابيل فانهما سنا الكفر والقتل وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب وابو بكر والسوسى ارنا بالسكون كفخذ فى فخذ وقرأ الدورى باختلاس كسرة الراء (نجعلهما تحت اقدامنا) ندوسهما من الدوس انتقاما منهما وقيل نجعلهما فى الدرك الاسفل (ليكونا من الاسفلين) مكانا او ذلا (ان الذين قالوا ربنا الله) اعترافا بربوبيته واقرارا بوحدانيته (ثم استقاموا) فى العمل [illegible]

ان يجزون جزاء ما هو فى غاية القباحة من الاعمال مع انهم يجزون جزاء ما لم يبلغ الى تلك الغاية قلنا كل معصية من حيث كونها مخالفة للملك المتعالى فى غاية القباحة واليه اشار المصنف بقوله سيئات اعمالهم حيث جعل الاعمال السيئة مطلقا اسوء (قوله اشارة الى الاسوء) يكون قوله جزاء اعداء الله خبرا عن الاسوء بناء فى تفسير قوله اسوء الذى عملوا بقوله سيئات اعمالهم فانه يفهم منه ان يكون تقدير الكلام ولنجزينهم بمقابلة اسوء ما عملوا فيكون الاسوء من قبيل الاعمال فكيف يخبر عنه بالجزاء فينبغى ان تحمل الآية على تقدير المضاف اى ولنجزينهم جزاء اسوء ما عملوا فكذا قول المصنف سيئات اعمالهم اى جزاء سيئات اعمالهم (قوله فانها دار اقامتهم) يعنى ان كلمة فى ليست للظرفية بل للتجريد والمعنى ان النار نفسها دارهم وهم خالدون فيها كما فى قوله تعالى لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة يعنى انه عليه الصلاة والسلام اسوة لكم والامام الرازى رحمه الله جعل كلمة فى للظرفية حيث قال لهم فى جملة النار دار معينة وهى دار العذاب الخلد لهم والمصنف اقتفى اثر الزمخشرى فى جعله اياها للتجريد وهو ان ينتزع من امر ذى صفة امر مثل الاول فى الاتصاف بتلك الصفة لقصد المبالغة فى كمال تلك الصفة فى الامر الاول حتى كأنه بلغ فى اتصافه بتلك الصفة الى حيث يصح ان ينتزع منه امر آخر موصوف بتلك الصفة كالنار مثلا فانها لما بلغت فى كونها دار الخلد بالنسبة اليهم مرتبة عالية صح معها ان ينتزع منها [illegible] (قوله على ان المقصود هو الصفة) [illegible] (قوله [illegible] الحق) اى ينكرون ما يعرفون انه حق فانهم يعرفون [illegible] القرآن انه كلام الله تعالى لا ريب فيه [illegible] دونه [illegible] كان بعضهم يوصى الى بعض [illegible] الى قرآءة [illegible] وان يأتى [illegible] من انه [illegible] الناس [illegible] على طريق ذكر السبب [illegible] بقوله [illegible] مؤكد لفعله الذى دل عليه قوله لهم [illegible] يجزون [illegible] ويجوز ان يكون مفعولا له اى لهم ذلك الجزاء وان يكون منصوبا بالمصدر الذى قبله وهو جزاء اعداء الله والمصدر [illegible] بمثله [illegible] ثم جزاؤكم جزاء ثم انه [illegible] لما بين ان الذى حملهم على الكفر الموجب للعذاب الشديد [illegible] ربنا [illegible] عند الوقوع فى العذاب الشديد [illegible] اللذين اضلانا (قوله فانهما سنا الكفر) [illegible] ابليس ما قبل [illegible] قابيل [illegible] قابيل ثم انه تعالى لما ذكر جزاء الكفار [illegible]

وكرقبول ... في اشغالهم في الدنيا وفي الآخرة وهم الملائكة (قوله
من ... شهدوا الاستقامة) فان من اقر بان من هو رب العالمين ربه وما لكه
... يستوجب الاستقامة والثبات على مقتضى اقراره بان يستمر على
... وثنائه باللسان وصرف جوارحه وحياته الى العمل والاعتقاد على وفق
اقراره حتى يسلم لسانه وجوارحه وقلبه من الاعوجاج بان يخالف بعضها بعضا
فنسبة الاستقامة الى الاقرار نسبة الشيء الى المبدأ (قوله فيما يعن) اى
يعرض ويعترض لهم من الاهوال سواء كان في القبر اوعند البعث اوعند الموت
(قوله لاتخافوا ما تقدمون عليه) الخوف غم يلحق لتوقع المكروه والحزن غم
يلحق مما وقع من المكروه من فوات نافع اوحصول ضار والمعنى لاتخافوا ما انتم
قادمون عليه من امر الآخرة فلن تروا مكروها ولاتحزنوا على ماخلفتموه من اهل
وولد فانه تعالى يخلفه عليكم بخير ويعطيكم في الجنة اكثر من ذلك واحسن
ويجمع بينكم وبين اهاليكم واولادكم المسلمين في الجنة (قوله وان مصدرية)
ولا نافية لاناهية لان مافيه معنى الطلب لايصح ان يكون صلة لان المصدرية
على المشهور والفعل بعدها منصوب بان الا ان صاحب الكشاف والمصنف
يجوز ان ذلك والتقدير تتنزل عليهم الملائكة ملتبسين بان لاتخافوا اى بهذا
القول وهو انه تعالى كتب لكم الامن من كل غم فلن تذوقوه ابدا (قوله اومخففة
من الثقيلة مقدرة بالباء) اى ينزلون بان لاتخافوا والهاء ضمير الشان ولا ناهية
اى ينزلون ملتبسين بهذه البشارة ان لاتخافوا من هول الموت ولا من هول القبر
وافزاع يوم القيامة فان المؤمن ينظر الى حافظيه قائمين على رأسه يقولان له
لاتخف اليوم ولاتحزن وأبشر بالجنة التى كنت توعدوانك سترى اليوم امورا
لم تر مثلها فلاتهولنك فانما يراد بها غيرك (قوله وهو اعم من الاول) لان كل
مطلوب لايلزم ان يكون بحيث تنزع اليه الشهوة الطبيعية لجواز كونه من
الفضائل الروحانية والكمالات النفسانية (قوله حال من ماتدعون) اى
من الموصول اومن الضمير المحذوف اى ما تدعونه والمراد بالنزل الرزق المعد
للنازل وهو الضيف كانه قيل ولكم فيها الذى توعدونه حال كونه كالنزل
للضيف واكرامهم فيها بما لايخطر ببالهم فضلا عن ان يشتهوه او يتمنوه والعامل
فيها متعلق لكم اى ثبت لكم المدعى حال كونه نزلا وقوله من غفور رحيم متعلق
بمحذوف هو صفة انزلا واعلم انه تعالى لما ذكر اولا وعيد من اعرض عن القرآن
وتدبر معناه وذكر بعده فضيلة من اقر بالعبودية واستقام قلبا وقالبا بين ان
هذه رتبة استكمال ذات النفس وجوهرها وانه من اشتغل بتكميل الناقصين
بعد تكميل جوهر نفسه فانه اعلى شانا واحسن حالا بالنسبة الى من اكتفى

من التوحيد ...
واخلاص العمل ...
الفرائض ... ثم انها
(تتنزل عليهم الملائكة
فيما يعن لهم بما يشرح
صدورهم ويدفع عنهم
الخوف والحزن او عند
الموت اوالخروج من القبر
(ان لاتخافوا) ماتقدموا
عليه (ولاتحزنوا) على ما
خلفتم وان مصدرية
اومخففة مقدرة بالباء بان
لا تخافوا او مفسرة
(وابشروا بالجنة التى كنتم
توعدون) في الدنيا على
لسان الرسل (نحن اولياؤكم
في الحيوة الدنيا) نلهمكم
الحق ونحملكم على الخير
بدل ما كان الشيطان يفعل
بالكفرة (وفي الآخرة
بالشفاعة والكرامة حيث
تتعادى الكفرة وقرناؤهم
(ولكم فيها) في الآخرة
(ماتشتهى انفسكم) من
اللذائذ (ولكم فيها
ماتدعون) ماتتمنون من
الدعاء بمعنى الطلب وهو
اعم من الاول (نزلا من
غفور رحيم) حال مما تدعون
للاشعار بان ماتتمنون بالنسبة
الى مايعطون مما لايخطر
ببالهم كالنزل للضيف
(ومن احسن قولا ممن دعا
الى الله) الى عبادته (وعمل
صالحا) فيما بينه وبين ربه (وقال انني من المسلمين

بتكميل نفسه واعرض عن الالتفات الى حال غيره فقال ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وهذا صريح فى ان الدعوة الى الله احسن من كل ماسواه وكل من دعا الى الله بطريق من الطرق فهو داخل فى هذه الآية والدعوة الى الله مراتب الاولى دعوة الانبياء عليهم الصلاة والسلام فانهم يدعون الى الله تعالى بالمعجزات و بالحجج والبراهين و بالسيف والمرتبة الثانية دعوة العلماء فانهم يدعون اليه تعالى بالحجج والبراهين فقط والعلماء ثلاثة اقسام عالم بالله غير عالم بامر الله وعالم بامر الله غير عالم بالله وعالم بالله وعالم بامر الله اما الاول فهو عبد استولت المعرفة الالهية على قلبه فصار مستغرقا فى مشاهدة نور الجلال وصفات الكبرياء فلا يتفرغ لتعلم علم الاحكام الا قدر مالابد منه والثانى وهو الذى يكون عالما بامر الله وغير عالم بالله هم الذين عرفوا الحلال والحرام ودقائق الاحكام ولكنهم لايعرفون اسرار جلال الله تعالى وجماله واما العالم بالله و باحكامه فهم الجامعون لفضائل القسمين الاولين وهم تارة مع الله تعالى بالحب والارادة وتارة مع الخلق بالشفقة والرحمة فاذا رجعوا الى الخلق صاروا معهم ككواحد منهم كانهم لايعرفون الله واذا خلوا بربهم صاروا مشتغلين بذكره كانهم لايعرفون الخلق وهذا سبيل المرسلين والصديقين والمرتبة الثالثة الدعوة الدعوة بالسيف وهى للملوك فانهم يجاهدون الكفار حتى يدخلوا فى دين الله وطاعته والمرتبة الرابعة دعوة المؤذنين الى الصلاة فهم ايضا دعاة الى الله تعالى وطاعته وهى اضعف مراتب الدعوة الى الله فلما كانت كل واحدة من هذه المراتب داخلة فى الدعوة الى الله ظهر انه لاوجه لتخصيصها ببعض تلك المراتب وقيل نزلت الآية فى حقه عليه الصلاة والسلام فيكون قوله تعالى ومن احسن قولا تعجبا من المشركين الذين تواصوا باللغو فى قراءته عليه الصلاة والسلام من انه لا قول احسن من قوله ولا قائل احسن قولا منه وهو يدعو الى الله تعالى ولانه يعمل بما يقول و يظهر دين الاسلام الذى هو دين ابيكم ابراهيم عليه الصلاة والسلام (قوله قاله تفاخرا به) اى ليس الغرض من قوله تعالى وقال اننى من المسلمين مجرد ان يتكلم بهذا الكلام بل المقصود التوصيف بانه يتكلم به ابتهاجا بما انعم الله تعالى عليه من نعمة الاسلام وان يتكلم به اتخاذا للاسلام دينا ومذهبا فاحسن الاقوال قول من جمع بين خصال ثلاث اولاها الدعوة الى الله وثانيها العمل الصالح وثالثها التدين بدين الاسلام والافتخار ثم انه تعالى لما عد سيئات المشركين و بين سوء معاملتهم ما شرع فى حث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على الاصرار على دعوتهم الى الله والدعاء فقال ولاتستوى الحسنة ولاالسيئة والمراد بالحسنة ماهو

قاله تفاخرا به واتخاذا الاسلام دينا ومذهبا من قولهم هذا قول فلان لمذهبه والآية عامة لمن استجمع تلك الصفات وقيل نزلت فى النبى عليه الصلاة والسلام وقيل فى المؤذنين (ولاتستوى الحسنة ولا السيئة) فى الجزاء وحسن العاقبة ولاالثانية مزيدة لتأكيد النفى (ادفع بالتى هى احسن) ادفع السيئة حيث اعترضتك بالتى هى احسن منها وهى الحسنة على ان المراد بالاحسن الزائد مطلقا او باحسن ما يمكن دفعها به من الحسنات

عليه من دعوتهم الى الدين الحق والصبر على جهالتهم وترك الانتقام منهم والالتفات الى سفاهتهم وبالسيئة ما اظهروه من المخالفة والعناد بمثل قولهم قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر وقولهم لاتسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه فكانه تعالى قال يامحمد فعلك حسنة وفعلهم سيئة ولا تستوى الحسنة ولا السيئة فى الجزاء وحسن العاقبة فانك اذا اتيت بهذه الحسنة استوجبت التعظيم فى الدنيا والثواب فى الآخرة وهم بالضد من ذلك فلا ينبغى ان يكون اقدامهم على تلك السيئة مانعا لك من الاشتغال بهذه الحسنة ثم قال ادفع بالتى هى احسن (قوله وانما اخرجه مخرج الاستئناف) جواب عما يقال الظاهر ان يقال فادفع بالفاء الدالة على السببية لان نفى الاستواء بينهما سبب للدفع بالاحسن وتقرير الجواب ان صورة الاستئناف ابلغ فى الحث على دفع السيئة بالحسنة والحمل عليه لان اخراج الكلام على صورة الاستئناف انما يكون فى مقام الاهتمام بالحكم (قوله تعالى فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم) كلمة اذا فيه للمفاجاة والموصول مبتدأ وصلته قوله عداوة وفى الخبر وجهان احدهما اذا المذكورة الكائنة وقوله كانه ولى فى موضع النصب على الحال من الموصول كانه قيل فبالحسنة من يعاديك يصير مشبها بالولى والفائدة منوطة بالحال والثانى كانه مع ما اتصل به هو الخبر واذا ظرف لمعنى التشبيه والظروف تعمل فيها رائحة الفعل تقدمت على العامل او تأخرت (قوله تعالى واما ينزغنك) ان فيه شرطية وما مزيدة لتأكيد معنى الشرطية والاستلزام فلذلك لحقت نون التأكيد بفعل الشرط فانها لا يلحق الشرط بها مالم تؤكد بما كما مر وفى الصحاح نزغ الشيطان بينهم اى افسد ونزغه بكلمة اى طعن فيه مثل نخسه بعود وباصبع والمعنى ان الشيطان ان وسوس اليك بان القى فى خاطرك لاتقبل هذه الوصية وهى ان تدفع السيئة بالتى هى احسن فاستعذ بالله من شره وكلمة من فى قوله من الشيطان ابتدائية ونزغ صادر من جهته وان كان قوله نزغ بمعنى نازغ وهو الشيطان تكون كلمة من تجريدية على ان يجرد من الشيطان شيطان آخر ويسمى نازغا قال الشيخ ابن العربى قدس سره فى فتوحاته المكية روى ان اعرابيا من فصحاء العرب جاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد سمع انه عليه الصلاة والسلام اوتى جوامع الكلم وانه انزل عليه كتاب معجز تعجز فصحاء العرب عن معارضته فقال له يارسول الله هل فيما انزل عليك ربك مثل ماقلته فقال عليه افضل الصلاة والسلام وماقلت فقال الاعرابى قلت

وحى ذوى الاضغان تسب عقولهم * تحيتك القربى فقد يرقع النغل

وانما اخرجه مخرج الاستئناف على انه جواب من قال كيف اصنع للمبالغة ولذلك وضع احسن موضع الحسنة (فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم) اى اذا فعلت ذلك صار عدوك المشاق مثل الولى الشفيق (ومايلقيها) ومايلقى هذه السجية وهى مقابلة الاساءة بالاحسان (الا الذين صبروا) فانها تحبس النفس عن الانتقام

وان جهروا بالقبيح فانهم فى ريبة ﴿ وانْ سبقوا عنك الملامة لم تجل الحيا
فان الذى بينى وبينهم منه استماعه ﴿ وان الذى قد قيل خلفك لم يقل

فقرأ عليه الصلاة والسلام ولاتستوى الحسنة ولا السيئة الآية فقال الاعرابى هذا والله السحر الحلال والله ماتغيظت ولاكان فى قلبى انه نزل ويؤنى بأحسن مما قلت اشهد انك رسول الله والله ماخرج هذا الا من ذى ال انتهى كلامه والال بالكسر هو الله عز وجل اى والله مابلغ هذا الكلام الا من هو رسول الله جاء به من عند ربه لانه خارج عن وسع البشر امر ان تحى من بينك وبينه عداوة وحقد تحية كتحيتك اقرباءك ويقال نغل الاديم بالكسر اى فسد والعامة تقول نغل قلبه على اى ضغن (قوله الا ذوحظ عظيم) من الخير اى من الفضائل النفسانية والقوة الروحانية فان الاشتغال بالانتقام لايكون الا لضعف النفس وتأثرها من الواردات الخارجية فان النفس اذا كانت قوية الجوهر لم تتأثر من الواردات الخارجية واذا كانت لم تتأثر منها لم يصعب عليها تحملها ولم تشتغل بالانتقام فثبت ان هذه السيرة لايلقيها الا ذوحظ عظيم من قوة النفس وصفاء جوهرها ويحتمل ان يكون المعنى ومايلقاها الا ذوحظ عظيم من ثواب الآخرة فعلى هذا الوجه يكون قوله ومايلقاها الا الذين صبروا مدحا لهم بفعل الصبر وقوله ومايلقاها الا ذوحظ عظيم وعدا بأعظم الحظ من الثواب ثم انه تعالى لما بين فى الآية المتقدمة ان احسن الاعمال والاقوال هو الدعوة الى الله تعالى ومن المعلوم ان اعظم الدعوة الى الدعوة اليه تعالى هى تقرير الدلائل واقامة الحجج والبراهين الدالة على وجوده وانه الموصوف بالفردانية والقدرة القاهرة والحكمة البالغة شرع فى تقرير تلك الدلائل فقال ومن آياته الليل والنهار الآية فان تعاقب الليل والنهار على الوجه الذى تنتفع به منافع الخلق ومصالحهم وتبادل الشمس والقمر لما راد منهما من ظهور العلامات الدالة على وجوده تعالى ووحدانيته وكمال علمه وحكمته (قوله والمقصود تعلق الفعل بهما) اى بالشمس والقمر والجملة حالية لتقرير جهة الاشكال فان مقتضى الظاهر ان يقال الله الذى خلقهما تنصيصا على الامر بتخصيص السجود الذى هو نهاية التعظيم بمن يستحقه وهو رب العالمين على وجه يتضمن تعليل النهى عن سجود الشمس والقمر الا انه تعالى جمع الشمس والقمر مع الليل والنهار على خلاف الظاهر اشعارا بانهما مع كونهما عديين مأمورين مخلوقين من عداد ما لا يعقل ولايختار حالهما ابعد عن كونهما مسجودين فقال خلقهن فمن قال مرادا الشمس من هذه الاربع ذكور فكان المناسب تغليب المذكور على المؤنث والواحد

(فغلب)

(وما يلقيها الا ذوحظ عظيم) من الخير وكمال النفس وقيل الحظ العظيم الجنة (واما ينزغنك من الشيطان نزغ) نخس شبه به وسوسته لانها بعث على مالاينبغى كالدفع بماهو اسوأ وجعل النزغ نازغا على طريقة جد جده او اريد به نازغ وصفا للشيطان بالمصدر (فاستعذ بالله) من شره ولاتطعه (انه هو السميع) لاستعاذتك (العليم) بنيتك او بصلاحك ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لاتسجدوا للشمس ولا للقمر) لانهما مخلوقان مأموران مثلكم (واسجدوا لله الذى خلقهن) لضمير للاربعة المذكورة والمقصود تعليق الفعل بهما اشعارا بانهما من عداد ما لا يعلم ولايختار (ان كنتم اياه تعبدون)

فلم غلب الانثى الواحدة على الذكور قلنا تلك الاربع المتعاطفة جماعة مالا يعقل فلا يجوز ان يرجع اليها ضمير جماعة الذكور وانما يرجع اليها اما ضمير الانثى او ضمير الاناث لان الافصح في جمع القلة ان يعامل معاملة الاناث نحو الاقلام بريتها او بريتهن واختير الثاني في الآية وماقيل من انه قيل خلقهن بضمير الاناث دون ضمير الانثى لان الافصح في جمع القلة ان يعامل معاملة الاناث وفي جمع الكثرة ان يعامل معاملة الانثى فان الافصح ان يقال الاجذاع كسرتهن والجذوع كسرتها والمرجوع اليه في الآية جمع قلة فلذلك رجع اليه ضمير الاناث مما لاوجه له لان المرجوع اليه في الآية ليس لفظا واحدا موضوعا لما دون العشرة حتى يكون جمع قلة (قوله فان السجود اخص العبادات) به تعالى لان العبادة عبارة عن التذلل لله تعالى وتعظيم جنابه والسجود نهاية التعظيم فيكون اخص به تعالى بالنسبة الى سائر وجوه العبادة وتقديم المفعول في قوله تعالى اياه تعبدون للحصر والتخصيص فمن خص العبادة به تعالى لزمه ان لايسجد لغيره ضرورة ان اختصاص مطلق العبادة له تعالى يستلزم اختصاص اخص العبادة به بطريق الاولى فقوله فان السجود اخص العبادات علة للجواب المحذوف لقوله ان كنتم اياه تعبدون وتقدير الكلام ان كنتم اياه تعبدون لاتسجدوا والقمر قيل كان ناس يسجدون للشمس والقمر كالصابئين في عبادتهم الكواكب ويزعمون انهم يقصدون بالسجود لهما السجود لله تعالى فنهوا عن هذه الواسطة وامروا ان لايسجدوا الا لله الذي خلق هذه الاشياء فان قيل اذا كان لابد في السجود من قبلة معينة فلو جعلنا الشمس قبلة عند السجود كان ذلك اولى قلنا الشمس جوهر مشرق عظيم الرفعة له منافع عظيمة في صلاح احوال الخلق فلو اذن الشرع في جعلها قبلة في الصلوات بان يتوجه اليها ويركع ويسجد نحوها لربما غلب على بعض الاوهام ان ذلك الركوع والسجود للشمس لا لله فللاحتراز عن هذا الوهم نهى الحاكم الشارع من جعل الشمس قبلة بخلاف الاحجار المعينة فانه ليس في جعلها قبلة مايوهم الالهية فكان المقصود من اتخاذ القبلة حاصلا بالتوجه اليها مع زوال المحذور المذكور فكان جعلها قبلة اولى قال السدي لما نزلت هذه الآية قال المشركون لانسجد الا للات والعزى فنزل قوله تعالى فان استكبروا فان قيل ان الذين يستكبرون يقولون نحن اقل واذل من ان يحصل لنا اهلية لعبادة الله تعالى بالذات فلا نعبد الا من يشفع لنا عنده ويقربنا اليه واذا كان قولهم هكذا فما الوجه في جعلهم مستكبرين عن السجود لله

(فان السجود اخص العبادات وهو) موضع السجود عند الاقتران الامر به وعند ابي حنيفة آخر الآية الاخرى لانه تمام المعنى (فان استكبروا) عن الامتثال (فالذين عند ربك) من الملائكة (يسبحون له بالليل والنهار) اى دائما لقوله (وهم لايسأمون) اى لايملون (ومن آياته انك ترى الارض خاشعة) يابسة متطامنة مستعار من الخشوع بمعنى التذلل (فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت) تزخرفت وانتفخت بالنبات وقرئ ربأت اى زادت (ان الذى احياها) بعد موتها (لمحيي الموتى انه على كل شئ قدير) من الاحياء والاماتة (ان الذين يلحدون) يميلون عن الاستقامة (في آياتنا) بالطعن والتحريف والتأويل الباطل واللغو فيها (لايخفون علينا) فنجازيهم على الحادهم (أفمن يلقى في النار خير امن يأتي آمنا يوم القيامة) قابل الالقاء في النار بالاتيان آمنا مبالغة في احماد حال المؤمنين (اعملوا ما شئتم) تهديد شديد (انه بما تعملون بصير) وعيد بالمجازاة (ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم)

تعالى اجيب بان ليس المراد بالاستكبار والاستكبار عن السجود لله تعالى بل المراد الاستكبار عن قبول قول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في نهيه عن السجود لغير الله تعالى والمعنى فان استكبروا عن امتثال امرك وابوا الا اتخاذ الواسطة فذلك لا يقلل عدد من يخلص عبادته لله تعالى فان الملائكة المقربين عند الله تعالى ينزهونه عن الانداد دائما وقيل يسجدون له اي يسجدون له ويسجدون فيه وقيل يصلون وفيها السجود وغيره وجزاء قوله تعالى فان استكبروا محذوف وهو ما اشرنا اليه بقولنا فذلك لا يقلل عدد المخلصين حذف لدلالة قوله فالذين عند ربك يسبحون له عليه فانه علة للجزاء المحذوف اقيم مقامه واشار الزمخشري الى الجواب المحذوف بقوله فدعهم وشانهم ثم انه تعالى لما ذكر الدلائل الاربعة الفلكية اتبعها بذكر الدلائل الارضية فقال ومن آياته انك ترى الارض خاشعة شبه يبس الارض وخلوها عن الخير والبركة بكون الشخص خاضعا ذليلا عاريا لا يؤبه به لدناءة هيئته فاطلق اسم الخشوع عليه ثم اشتق منه خاشعة فهي استعارة تبعية بمعنى يابسة جدبة ولك ان تجعله من قبيل الاستعارة المكنية والتخييلية يقال ربا الشيء يربو اذا زاد وعلا وربا الفرس اذا انتفخ من عدوا وفزع وهو المراد ههنا لان المصنف فسره بقوله وانتفخت وقوله تزخرفت اي تزينت تفسير لقوله اهتزت فان النبت اذ قرب ان يظهر ارتفعت الارض له وانتفخت ثم تصدعت عن النبات ثم انه تعالى لما بين ان الدعوة الى دين الله تعالى اعظم المناصب واشرف المراتب ثم بين ان الدعوة اليه انما تحصل بذكر دلائل وجوده ووحدانيته واتصافه بصفات العظمة وذكر فيها دلائل وآيات كثيرة عاد الى تهديد من ينازع في تلك الآيات ويجادل بالقاء الشبهات فيها فقال ان الذين يلحدون في آياتنا الآية والالحاد في الاصل مطلق الميل والانحراف ثم خص في العرف بالانحراف عن الحق الى الباطل اي الذين ينحرفون عن تأويل آيات القرآن من طريق الصحة والاستقامة نجازيهم على انحرافهم ثم نبه على انهم يلقون في النار وان اضدادهم يأتون يوم القيامة آمنين (قوله بدل من قوله ان الذين يلحدون في آياتنا) لان الالحاد فيها كفر بالقرآن فلذا اكتفى بجواب الاول عن الثاني والذي يحكم به على البدل هو المحكوم به على المبدل منه فلزم ان يكون الخبر لا يخفون علينا (قوله اواولئك ينادون) معطوف على قول محذوف استبعد هذا الاحتمال من وجهين الاول كثرة الفواصل بينهما والثاني تقدم من تصح الاشارة اليه بقوله اولئك وهو قوله والذين

بدل من قوله ان الذين يلحدون في آياتنا او مستأنف وخبران محذوف مثل معاندون اوهالكون او اولئك ينادون

لايؤ منون وحق اسم الاشارة ان يشار به الى اقرب مذكور (قوله والذكر القرآن) فيكون من وضع الظاهر موضع ضمير الآيات ولما بالغ فى تهديد الذين يلحدون فى آيات القرآن اتبعه ببيان تعظيم القرآن فقال وانه لكتاب عزيز ان كان من العز الذى هو خلاف الذل يفسر بانه كثير النفع عديم النظير وان كان من عزه يعزه عزا بمعنى غلبه يفسر بانه منيع لايتأتى ابطاله وتحريفه فان القرآن وان كان لا يخلو عن طعن باطل من الطاعنين وتأويل فاسد من المبطلين الا انه تعالى وقاه بحفظه وقدرله فى كل عصر منعة يحفظونه ويحرسونه بابطال شبه اهل الزيغ والهوى ورد تأويلاتهم الفاسدة فهو غالب بحفظ الله تعالى اياه وكثرة منعته على كل من يتعرض له بالسوء (قوله لايتطرق اليه الباطل من جهة من الجهات) بان يذكر اظهر الجهات واكثرها فى الاعتبار وهو جهتا القدام والخلف ويراد الجهات باسرها فيكون قوله لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه استعارة تمثيلية شبه الكتاب فى عدم تطرق الباطل اليه بوجه من الوجوه بمن هو محمى بحماية غالب قاهر يمنع جاره من ان يتعرض له العدو من جهة من جهاته ثم اخرجه مخرج الاستعارة بان عبر عن المشبه بما يعبر به عن المشبه به فقال لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فقوله لايأتيه الباطل صفة ثانية لكتاب وقوله تنزيل من حكيم حميد تعليل لاتصاف الكتاب بالوصفين المذكورين فان كونه منزلا من حكيم يوجب كونه عزيزا كثير النفع عديم النظير وكونه منيعا غالبا لايتأتى ابطاله وكونه من حميد يستلزم كونه حقا لا يتطرق اليه الباطل (قوله اوعما فيه) عطف على قوله من جهة من الجهات اى لايأتيه الباطل عما فيه من الاخبار الماضية والآتية على ان الاخبار بمعنى المخبر بها ثم انه تعالى لما بين شرف آياته وعلو درجة كتابه رجع الى امر رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم بان يصبر على اذى قومه وان لا يضيق قلبه باعراضهم عن تدبر كتاب الله تعالى فقال ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل (قوله وهو على الثانى) لاعلى الاول اذ لا يتصور ان تكون هذه الجملة من مقول الكفرة ذكر المفسرون ان سبب نزول قوله تعالى ولو جعلناه قرآنا اعجميا ان الكفار كانوا يقولون لتعنتهم هلا نزل القرآن بلغة العجم فاجيبوا بان الامر لو كان كما تقترحون لم تتركوا الاعتراض والتعنت ولم يرض الامام بقولهم وقال انه لا يخلو عن الطعن فى القرآن لانه يقتضى تجويز ورود آيات لاتعلق للبعض منها بالبعض فلا يكون كتابا منتظما فضلا عن كونه معجزا ثم قال بل الحق عندى ان هذه السورة من اولها الى آخرها كلام واحد بعضه متعلق

و الذكر القرآن (وانه لكتاب عزيز) كثير النفع عديم النظير او منيع لايتأتى ابطاله وتحريفه (لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) لا يتطرق اليه الباطل من جهة من الجهات او فيه من الاخبار الماضية والامور الآتية (تنزيل من حكيم) واى حكيم (حميد) يحمده كل مخلوق بما ظهر عليه من نعمه (ما يقال لك) اى ما يقول لك كفار قومك (الا ما قد قيل للرسل من قبلك) الامثل ماقال لهم كفار قومهم اوما يقول الله لك الامثل ماقال لهم (ان ربك لذو مغفرة لانبيائه (وذو عقاب اليم) لاعدائهم وهو على الثانى يحتمل ان يكون المقول بمعنى ان حاصل ما اوحى اليك واليهم وعد المؤمنين بالمغفرة والكافرين بالعقوبة (ولو جعلناه قرآنا اعجميا) جواب لقولهم هلا نزل القرآن بلغة العجم والضمير للذكر (لقالوا لولا فصلت آياته) بينت بلسان نفقهه

(ءاعجمي وعربي) الكلام اعجمي ومخاطب عربي انكار مقرر للتحضيض والاعجمي يقال للذي لا يفهم كلامه ولكلامه وهذه قراءة ابي بكر وحمزة والكسائي وقرأ الباقون أأعجمي لكون قالون وابي عمرو سهلا الثانية وفصلا بينهما وورش ابدل الثانية الفا اذ سهلها بلا فصل وابن كثير وابن ذكوان وحفص سهلوا الثانية بلا فصل وقرئ أعجمي وهو منسوب الى العجم وقرأ هشام أعجمي

يحيى وهذا الكلام متعلق بما حكى الله تعالى عنهم من قولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر وجواب له ايضا والتقدير انا لو انزلنا هذا القرآن بلغة العجم لكان لهم ان يقولوا كيف ارسلت الكلام العجمي الى القوم العرب على لسان النبي العربي وصح لهم ان يقولوا قلوبنا في اكنة من هذا الكلام وفي آذاننا وقر منه فانا لانفهمه ولانحيط بمعناه اما اذا نزل هذا القرآن بلغة العرب وانتم من اهل هذه اللغة فكيف يمكنكم ادعاء ان قلوبكم في اكنة منها وفي آذانكم وقر فظهر انا اذا جعلنا هذا الكلام جوابا عن ذلك الكلام بقيت السورة من اولها الى آخرها على احسن وجوه الانتظام واما على الوجه الذي يذكره الناس فيختل امر الانتظام فهو عجيب جدا (قوله انكار مقرر للتحضيض) فان معنى التحضيض في قوله لولا فصلت الانكار والتوبيخ واللوم على ترك الفعل كما انها اذا دخلت على المضارع تكون للتحضيض على الفعل والطلب له فهي في المضارع بمعنى الامر وفي الماضي للانكار فيكون انكارهم بقولهم أقرآن اعجمي ورسول عربي او مرسل اليه عربي مقررا للانكار المستفاد من حرف التحضيض والاعجم يقال لمن لا يفصح ولا يفهم كلامه سواء كان من العرب او من العجم ويقال لكلامه ايضا والاعجمي مثله اي يقال لنفس من لا يفصح ولكلامه ايضا وزيادة ياء النسبة فيه للتأكيد والمبالغة كما يقال في احمر ودوار احمري ودواري ومنه زيادة ياء النسبة في الاعجمي سمي بذلك لآفة كانت في لسانه كأنه ينسب الذات الى صفته للمبالغة في اتصافه بها وليس النسب فيه حقيقيا بخلاف عجمي فان الياء فيه للنسب حقيقة يقال رجل عجمي اذا كان من الاعاجم منسوبا الى امة العجم فصيحا كان او غير فصيح فان قلت قد ظهر من كلامك ان الاعجمي كما يقال لذات من لا يفصح عن مراده لعجمة في لسانه وان كان من العرب يقال ايضا لكلامه الملبس الذي لا يوضح المعنى المقصود وشيء منهما غير مقصود ههنا لان المراد بالاعجمي ههنا هو الكلام المنتظم على لغة العجم كما يدل عليه قوله انه جواب لقولهم هلا نزل القرآن بلغة العجم قلت نعم الا ان مقصود المصنف بيان المعنى الحقيقي للفظ الاعجمي وهو لاينافي اطلاقه على الكلام المؤلف على لغة العجم بطريق الاستعارة تشبيها له بكلام من لا يفصح من حيث انه لايفهم معناه بالنسبة الى العرب (قوله وقرئ أعجمي) بسكون العين بعد همزة الاستفهام اي كلام منسوب الى العجم ورسول عربي او مرسل اليه عربي وقرئ اعجمي ايضا بسكون العين بدون همزة الاستفهام فيكون اخبارا بان القرآن اعجمي والرسول او الامة المرسل اليهم عربي

(قوله على الاخبار) اى لا على الاستفهام والانشاء والمعنى ولو جعلنا المنزل اعجميا لقالوا طاعنين فيه ومنكرين لكونه عجميا لولا فصلت آياته ولقالوا مستأنفين لبيان عدم كون آياته مفصلة ومبينة اعجمى وعربى اى المنزل اعجمى والمنزل عليه عربى على ان كل واحد منهما خبر مبتدأ محذوف والجملة مستأنفة لبيان ما ذكر (قوله وعلى هذا) اى قرآءة اعجمى بعد همزة الاستفهام يجوز ان يكون التفصيل بمعنى التفريق والتمييز لا بمعنى التبيين ويكون المعنى ولو جعلنا المنزل كله اعجميا لقالوا لا يجوز ان يراد هذا المعنى لان الهمزة تدل على انكار التفصيل بمعنى التفريق وهو ينافى التحضيض عليه وانما قال يجوز لاحتمال ان يكون المعنى ما ذكرناه اولا (قوله والمقصود) اى المقصود من قوله تعالى ولو جعلناه قرآنا اعجميا اما ابطال ما اقترحوه بقولهم هلا نزل القرآن بلغة العجم بناء على ان ذلك يستلزم تنافى وصفى المنزل والمنزل عليه واما الدلالة على ما ذكر والتعنت طلب زلة المخاطب ثم انه تعالى لما بين بطلان ما اقترحوه وانهم لا ينفكون عن التعنت فى الآيات كيف جاءت وصف القرآن بانه لوضوح آياته وسطوع براهينه هاد الى الحق ومزيل للريب والشك وشفاء من داء الجهل والكفر والارتياب ومن ارتاب فيه ولم يؤمن به فارتيابه انما نشأ من توغله فى اتباع الشهوات وتقاعده عن تفقد ما ينجيه ويسعده عما يرديه ويشقيه فقوله للذين آمنوا معناه لمن يؤول امره الى الايمان لصفاء جوهر نفسه عن الكدورات النفسانية والاخلاق الردية (قوله مبتدأ وخبره فى آذانهم وقر على تقدير هو فى آذانهم وقر) احتاج الى تقدير ضمير هو فرع على الابتداء فيكون وقر خبره وفى آذانهم بيان لمحل الوقر والمبتدأ الثانى مع خبره خبر الاول لانه لو جعل والذين لا يؤمنون مبتدأ وفى آذانهم خبره ووقر فاعل الظرف او جعل فى آذانهم خبرا مقدما ووقر مبتدأ مؤخرا والجملة خبر الاول لورد ان يقال ما وجه اتصال هذه الجملة بما قبلها مع ان ما قبلها قد اخبر فيه عن الكتاب بانه هدى وشفاء وفى هذه الجملة اخبر عمن لم يؤمن بانه فى آذانه وقر فكانتا جملتين متباينتين فى الغرض والاسلوب فلا وجه لعطف احداهما على الاخرى فلما قدر المبتدأ الثانى اتصلت بالاولى لتحقق الجامع بينهما باعتبار المسند اليه فيهما ولما اخبر عن الكتاب بانه هدى لاولئك اخبر عنه بانه وقر فى آذان هؤلاء وعمى عليهم فجعل نفس القرآن وقرا كما جعل فى نفسه هدى ثم ذكر وجها ثانيا لاتصال الجملة الثانية بالاولى وهو ان لا يكون قوله والذين لا يؤمنون فى آذانهم مبتدأ بل يكون فى محل الجر بالعطف على قوله للذين آمنوا ويكون قوله وقر معطوفا على هدى على طريق العطف على معمولى عاملين مختلفين

على الاخبار وعلى هذا يجوز ان يكون المراد هلا فصلت آياته فجعل بعضها اعجميا لافهام العجم وبعضها عربيا لافهام العرب والمقصود ابطال مقترحهم باستلزامه المحذور او الدلالة على انهم لا ينفكون عن التعنت فى الآيات كيف جاءت (قل هو للذين آمنوا هدى) الى الحق (وشفاء) من الشك والشبهة (والذين لا يؤمنون) مبتدأ وخبره (فى آذانهم وقر) على تقدير هو فى آذانهم وقر لقوله (وهو عليهم عمى) وذلك لتصامهم عن سماعه وتعاميهم عما يريهم من الآيات ومن جوز العطف على عاملين مختلفين عطف ذلك على للذين آمنوا هدى

(اولئك ينادون من مكان بعيد) اى هم تمثيل لهم فى عدم قبولهم واستماعهم له بمن يصيح بهم من مسافة بعيدة (ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه) بالتصديق والتكذيب كما اختلف فى القرآن (ولولا كلمة سبقت من ربك) وهى العدة بالقيامة وفصل الخصومة حينئذ وتقدير الآجال (لقضى بينهم) باستئصال المكذبين (وانهم) وان اليهود او الذين لا يؤمنون (لفى شك منه) من التوراة والقرآن (مريب) موجب للاضطراب (من عمل صالحا فلنفسه) نفعه (ومن اساء فعليها) ضرره [illegible] (وما ربك بظلام للعبيد) فيفعل بهم ما ليس له ان يفعله (اليه يرد علم الساعة) اى [illegible] اذا [illegible]

والمجرور مقدم على ما جوزه الاخفش واختاره المحققون من المتأخرين والوقر بفتح القاف الثقل فى الاذن وبسكونها مصدر يقال وقرت اذنه بالكسر توقر وقرا اى صمت وقياس مصدره التحريك الا انه جاء بالتسكين ووقرالله اذنه يقرها وقرا يقال اللهم قراذنه ووقرت اذنه على ما لم يسم فاعله فهو موقور والمعنى ان الذكر ذو وقر لايصل الى اسماعهم صمت آذانهم عنه قرأ الجمهور وهو عليهم عمى بفتح الميم المنونة اى ذو عمى على معنى عميت قلوبهم وهو مصدر عمى يعمى بكسر العين فى الماضى وفتحها فى المضارع كصدى يصدى صدى وقرئ عم بكسر الميم المنونة وهو صفة مشبهة وقرئ عمى بلفظ الماضى المسند الى ضمير القرآن وقوله فى آذانهم وكذا عليهم متعلق بمحذوف على انه حال من المصدر المذكور بعدهما لانه صفة له فى الاصل فلما قدم عليه وقع حالا منه وليس متعلقا بالظاهر بعده لانه مصدر فلا يتقدم معموله عليه (قوله اى هم) يعنى قوله تعالى اولئك لكونه اشارة الى ما عبر عنه بضمير الجمع فى آذانهم وعليهم ظاهر وضع موضع الضمير (قوله تمثيل) يعنى ان قوله اولئك ينادون من مكان بعيد استعارة تمثيلية شبه حالهم فى عدم قبولهم مواعظ القرآن ودلائله بحال من ينادى من مكان بعيد فكما انه لا يفهم ولا يقبل قول المنادى فكذلك هؤلاء لايقبلون دعوة من دعاهم الى الرشد والصلاح لاستيلاء الضلالة عليهم (قوله كما اختلف فى القرآن) اشارة الى وجه تعلقه بما قبله فانه تعالى لما بالغ فى وصف الكفرة بالعناد والتكذيب بنحو قولهم قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه سلاه عليه الصلاة والسلام بان قال له لست منفردا فى [illegible] الانبياء بالأذى من قومه فانا قد آتينا موسى الكتاب [illegible] بعض قومه ورده آخرون [illegible] آياتك هذا الكتاب فقبله اصحابك ورده آخرون [illegible] قلوبنا فى اكنة ونحو ذلك (قوله وهى العدة بالقيامة) و[illegible] فيها وعده [illegible] بنحو قوله بل الساعة موعدهم وايضا قد سبق [illegible] الكفار كقوله ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى اى [illegible] ربك [illegible] عذابهم الى اجل مسمى وهو يوم القيامة [illegible] المصدق والمكذب وفرغ من عذاب الظالمين و[illegible] لكن الحكمة اقتضت [illegible] ثم قال [illegible] ما جئت به فنفعهم ان آمنوا نفع [illegible] ولن كفروا فضرر كفرهم يعود عليهم فانه تعالى يجازى [illegible] به من الجزاء يوم القيامة ولما كان [illegible] اليوم [illegible] بقوله اليه يرد علم الساعة (قوله [illegible])

تعليل للحصر المستفاد من تقديم اليه على متعلقه فانه يدل على انه لا يعلم وقت الساعة بعينه الا الله وكذا العلم بحدوث الحوادث المستقبلة فى اوقاتها المعينة ليس الا عند الله تعالى وذكر من امثلة هذا الباب مثالين احدهما قوله وما تخرج من ثمرة من اكمامها والثانى قوله وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه والمعنى الى الله يضاف علم وقت وقوع القيامة واذا سئلت عنه فرد العلم اليه بقولك الله اعلم به كما يرد اليه علم جميع الحوادث الآتية من الثمار والنتاج وغيرهما ومن قرأ من ثمرات بلفظ الجمع قرأ من اكمامهن لا من اكمامها وذكر النحاة ان الافصح فى جمع القلة ان يعامل معاملة الاناث وفى جمع الكثرة ان يعامل معاملة الانثى فالافصح ان يقال الاجذاع كسرتهن والجذوع كسرتها والثمرات جمع قلة فالافصح ان يقال من اكمامهن والاظهر ان كلمة ما فى قوله وما تخرج نافية كالتى بعدها ويحتمل ان تكون موصولة مجرورة المحل عطفا على الساعة اى عنده علم الساعة وعلم التى تخرج ومن ثمرات بيان ما ويجوز ان يكون حالا ومن الثانية لابتداء الغاية وما الثانية ليست الا نافية لعطف ولا تضع عليها ثم ينتقض النفى بالا ولو كانت بمعنى الذى معطوفة على الساعة لم يجز ذلك (قوله الا مقرونا بعلمه) يعنى انه مستثنى مفرغ من اعم الاحوال ولم يذكر متعلق العلم للتعميم فان ذهن السامع يذهب حينئذ كل مذهب من ذكورة الحمل وانوثته وحسنه وقبحه وان امه تلقيه عند تمام الايام او قبله وان الثمرة تبلغ آوان النضج او تفسد قبله ونحو ذلك روى ان منصور الدوانقى اهمه مدة معرفة عمره فرأى فى منامه خيالا اخرج يده من البحر واشار بالاصابع الخمس فاستفتى فى ذلك العلماء فأولوه بخمس سنين وبخمسة اشهر وبغير ذلك حتى قال ابو حنيفة تأويلها ان مفاتح الغيب خمس وتلا قوله تعالى ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الارحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس باى ارض تموت ثم انه تعالى لما ذكر القيامة اردفه بذكر شئ من احوال يوم القيامة واوعد به القائلين بالشركاء والانداد فقال ويوم يناديهم وهو ظرف لقوله قالوا والايذان الاعلام وهو فى قولهم آذناك مجاز عن القول اى قلنا لك لان حقيقة الاعلام لا تتصور فى حقه تعالى لان اهل القيامة يعلمون الله تعالى ويعلمون انه يعلم الاشياء كلها بحيث لا يغيب عن علمه شئ مما يسرون وما يعلنون ولفظ الماضى فى قولهم آذناك مبنى على انهم قالوا ذلك قبل ان يناديهم الله تعالى قائلا لهم اين شركائى فان الظاهر انهم يتبرؤن من الشركاء ومن الشهادة لهم بالشركة حين عاينوا حقيقة الحال ويقولون له تعالى تبرأنا اليك ويجوز ان يخاطبهم الله تعالى على سبيل التوبيخ ويقول لهم

(وما تخرج من ثمرة من اكمامها) من اوعيتها جمع كم بالكسر وقرأ نافع وابن عامر وحفص من ثمرات بالجمع لاختلاف الانواع وقرئ بجمع الضمير ايضا وما نافية ومن الاولى مزيدة للاستغراق ويحتمل ان تكون ما موصولة معطوفة على الساعة ومن مبينة بخلاف قوله (وما تحمل من انثى ولا تضع) بمكان (الا بعلمه) الا مقرونا بعلمه واقعا حسب تعلقه به (ويوم يناديهم اين شركائى) بزعمكم (قالوا آذناك) اعلمناك (ما منا من شهيد)

اين الذين كنتم تشركون بي وتقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ومانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى و يجيبونه بقولهم آذناك من قبل هذا الخطاب فقوله فيكون السؤال عنهم للتوبيخ تفريع على انهم تبرأوا من الشركاء قبل هذا الخطاب والنداء اذ لاوجه لان يقال لمن تبرأ من الشركاء اين شركاؤك سوى التوبيخ (قوله او من احد يشاهدهم) على ان يكون الشهيد من الشهود لامن الشهادة كما فى الاول وعلى هذا يكون قوله وضل عنهم جملة حالية بتقدير قد من فاعل قالوا و يكون الضلال بمعنى الغيبة التى هى اصل معناه فانه يجوز ان لا يبصروا آلهتهم فى ساعة التوبيخ وان كان قوله تعالى آذناك ما منا من شهيد من كلام الشركاء على ما قيل يكون الشهيد من الشهادة لا من الشهود لانه لما كانت الشركاء هم المجيبين عن السؤال المتعلق بالعبدة لم يكن لقولهم ما منا من يشاهد العبدة المشركين معنى وحينئذ يكون ضلال الشركاء عن العبدة بمعنى عدم نفعهم للعبدة بالشفاعة لهم لانهم اذا لم ينفعوهم فكأنهم غابوا عنهم لا بمعنى حقيقة الغيبة لانهم هم المجيبون لما سئل عنهم العبدة (قوله والظن معلق عنه بحرف النفى) فان افعال القلوب تعلق بحرف الاستفهام نحو علمت ازيد قائم وبالاسم المتضمن لمعنى الاستفهام كقوله لنعلم اى الحزبين احصى وعلمت اين جلست ومتى تخرج وبلام الابتداء نحو علمت لزيد قائم وبحرف النفى نحو علمت ما زيد قائم وان زيد قائم وذلك لانها تقتضى ان تقع فى صدر الجمل وضعا فابقيت الجمل التى دخلت هى عليها على الصورة الجملية رعاية لاصل هذه الحروف وان كانت فى تقدير المفرد من حيث المعنى فان التعليق ابطال العمل لفظا لا معنى فالجملة مع التعليق فى تاويل المصدر مفعولا به للفعل المعلق كما كان كذلك قبل التعليق فالجملة المعلق عنها فى محل النصب به ويجوز ان يتم الوقوف على ظنوا على حذف المفعولين على معنى وضل عنهم ما كانوا يدعونهم ويدعونهم آلهة ثم استأنف فقال مالهم من محيص فعول الاستئناف والظن معلق عنه رد لقول هذا المعنى ثم انه تعالى لما بين ان هؤلاء الكفار بعد ان كانوا فى الدنيا مصرين على اثبات الشركاء لله تعالى يتبرؤون منهم فى الآخرة ذكر ان الانسان فى جميع الاوقات متغير الاحوال لا يثبت على حال واحد فان احس بخير وقدرة انتفخ وتعظم وان احس ببلاء ومحنة ذل وهان فقال لا يسأم الانسان من دعاء الخير اى من دعائه الخير فحذف الفاعل واضيف الى المفعول والمعنى ان الانسان فى حال اقبال الخير اليه لا ينتهى الى درجة الا ويطلب الزيادة عليها ولا يمل من طلبها ابدا وفى حال الادبار والحرمان يصير

من احد يشهد لهم بالشركة اذ تبرأنا منهم لما عاينا الحال فيكون السؤال عنهم للتوبيخ او من احد يشاهدهم لانهم ضلوا عنا وقيل هو قول الشركاء اى ما منا من يشهد لهم بانهم كانوا محقين (وضل عنهم ما كانوا يدعون) يعبدون (من قبل) لا ينفعهم اولا يرونه (وظنوا) وايقنوا (مالهم من محيص) مهرب والظن معلق عنه بحرف النفى (لا يسأم الانسان) لا يمل (من دعاء الخير) من طلب السعة فى النعمة وحرية من دعائه الخير (وان مسه الشر) الشدة (فيؤس قنوط) من فضل الله ورحمته وهذا صفة الكافر لقوله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وقد بولغ فى يأسه

آيسا قانطا من رحمة الله تعالى (قوله من جهة البنية) فان بناء فعول للمبالغة ومن جهة التكرير فان قوله قنوطا تكرير لقوله يؤوس من جهة المعنى وان كان مغايراله من جهة اللفظ وفى القنوط معنى ليس فى اليؤوس لان القنوط ان يظهر على المرء اثر اليأس فيضال وينكس ثم انه تعالى بين ان الذى صار آيسا قانطا لو عاودته النعمة والدولة يأتى بثلاثة انواع من القول الفاسد الموجب للكفر الاول هو قوله هذا لى والفرق بين ماذكره من الوجهين ان اللام فى الاول للتعليل وفى الثانى للاختصاص ومعنى الدوام مستفاد من لام الاختصاص لان مايختص باحد الظاهر انه لا يزول عنه وذلك المسكين ان كان عاريا عن الفضائل واعمال البر فكلامه ظاهر الفساد وان كان موصوفا بشئ من الفضائل والصفات الحميدة فهى انما حصلت بفضل الله وتوفيقه فكيف يستحق ذلك المسكين على الله تعالى بما انعم وتفضل عليه ببعض وجوه الفضل والاحسان فضلا آخر زائدا عليه فثبت بهذا فساد قوله هذا لى بمعنى انه حصل باستحقاقى اياه وكذا ان اراد به انى مالكه وهو مختص بى لا يزول عنى لانه اشتغال بالنعمة عن المنعم وذهول عن ان مقاليد السموات والارض بيد الله وانه اذا فتح على عبده بابا من ابواب فضله ليبلوه ايشكر ام يكفر فهو يقدر على ان يسده ويسلبه عنه والثانى من قوله الفاسد قوله وما اظن الساعة قائمة فانه اذا عرض عليه البعث والجزاء وقيل له كل امرئ يجزى فى الآخرة بما اكتسبه فى الدنيا فمن اطاع ربه فله جزاء الحسنى ومن عصاه فله مارا لظى فمن يتبرأ ويلتجئ الى انكار الساعة ويقول ما اظن انها تقوم والثالث قوله لست على يقين من قيام الساعة ولو فرض انها تقوم وانا ارد الى ربى فانه يعطينى الحالة الحسنى كما اعطانى فى الدنيا لان سبب الاعطاء متحقق فيها ايضا وهو استحقاق اياها واقتضاء ذاتى المجازاة بها فرد الله تعالى عليه قوله ان لى عنده للحسنى بان قال فلننبئن الذين كفروا اى لنفقهم على مساوى اعمالهم ثم انه تعالى لما حكى اقوال من انعم عليه من بعد ضراء مسته حكى احواله ايضا فقال واذا انعمنا على الانسان اعرض عن المنعم والاعتراف بفضله واحسانه والاشتغال بشكر نعمه الى الاشتغال بنفس النعمة والنظر اليها ونأى بمعنى بعد والباء فى بجانبه للتعدية ونأى الجانب عن الشكر يستلزم الانحراف عنه فلذلك فسره ثم جوز ان يكون الجانب عبارة عن النفس ويكون المعنى تباعد عن الشكر بذاته وكليته لا بجانبه فقط فانهم قد يحتشمون من التصريح باسم الشئ ويعبرون عن ذاته بالمجلس والمكان والجانب ونحو ذلك اشعارا لتعظيمه فيقولون حضرة فلان ومجلسه وكتبت الى جهته والى جانبه العزيز

من جهة البنية والتكرير وما فى القنوط من ظهور اثر اليأس (ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته) بتفريجها عنه (ليقولن هذا لى) حقى استحقه بمالى من الفضل والعمل اولى دائما لا يزول (وما اظن الساعة قائمة) تقوم (ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى) اى ولئن قامت على التوهم كان لى عند الله تعالى الحالة الحسنى من الكرامة وذلك لاعتقاده ان ما اصابه من نعم الدنيا فلاستحقاق لا ينفك عنه (فلننبئن الذين كفروا) فلنخبرنهم (بما عملوا) بحقيقة اعمالهم ولنبصرنهم عكس ما اعتقدوا فيها (ولنذيقنهم من عذاب غليظ) لا يمكنهم التفصى عنه (واذا انعمنا على الانسان اعرض) عن الشكر (ونأى بجانبه) وانحرف عنه او ذهب بنفسه وتباعد عنه بكليته تكبرا والجانب مجاز عن النفس كالجنب فى قوله فى جنب الله

من الطويل اذ الطول اطول الامتدا دين فاذا كان عرضه كذلك فما ظنك بطوله (قل ارأيتم) اخبروني (ان كان) اى القرآن (من عند الله ثم كفرتم به) من غير نظر واتباع دليل (من اضل ممن هو في شقاق بعيد) اى من اضل منكم فوضع الموصول موضع الضمير شرحا لحالهم وتعليلا لمزيد ضلالهم (سنريهم آياتنا في الآفاق) نعني ما اخبرهم النبي عليه الصلاة والسلام به من الحوادث الآتية وآثار النوازل الماضية وما يسر الله له ولخلفائه من الفتوح والظهور على ممالك الشرق والغرب على وجه خارق للعادة (وفي انفسهم) ما ظهر فيما بين اهل مكة وما حل بهم او ما في بدن الانسان من عجائب الصنع الدالة على كمال القدرة (حتى يتبين لهم انه الحق) الضمير للقرآن او الرسول او التوحيد او الله (اولم يكف بربك) اى اولم يكف ربك

دون نفسه وذاته (قوله مستعار مما له عرض متسع) لتعذر الحقيقة لان الطول والعرض من صفات الاجرام فلا يتصور ان في الدعاء واتساع العرض مستفاد من صيغة فعيل لانها للمبالغة وكل واحد من الطول والعرض مستعار للكثرة فيقال اطال فلان الكلام واعرض اى اكثر (قوله اخبروني) فيه تجوز ان الاول انه اطلق الرؤية واريد الاخبار لان الرؤية سبب للاخبار والثاني انه جعل الاستفهام بمعنى الامر بجامع الطلب ثم انه تعالى لما بالغ في وعيد المشركين وبين انهم يرجعون عن القول بالشرك والشهادة بكون ما زعموه في الدنيا انهم شركاء لله ذكر بعده كلاما آخر يوجب عليهم ان لا يبالغوا في الاعراض عن القرآن وقبول ما فيه من امر التوحيد والنبوة والحشر والجزاء فقال قل ارأيتم الآية (قوله شرحا لحالهم) فان من كفر بما نزل من عند الله بان قال هو اساطير الاولين اوكذا وكذا فقد كان مشاقا لله تعالى اى معاديا ومخالفا له خلافا بعيدا عن الوفاق ومعاداة بعيدة عن الموالاة ولا شك ان من كان كذا فهو في غاية الضلال ولما كان محصول الآية انكم لما سمعتم هذا القرآن اعرضتم عنه حتى قلتم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن المعلوم بالضرورة ان العلم بكون القرآن مما يجب ان يعرض عنه ويترك ليس مما يحصل بالبديهة وذكر العلم بفساد القول بالتوحيد والنبوة ليس كذلك فمن اعرض عنه واذكر ما فيه مما يتعلق بالاعتقاد والعمل قبل الراجعة الى النظر والاستدلال كيف يأمن ان يكون منكرا لما هو الحق الواجب الاتباع ومستوجبا للعقاب الشديد فالاصرار على تكذيبه والاعراض عنه قبل المراجعة الى النظر والاستدلال بعيد كل البعد لا يجترئ عليه عاقل وعدهم ان يريهم آيات آخر بعد الذي اراهم بنزول هذه الآية الكريمة والآفاق جمع افق وهو الناحية من نواحي الارض وكذا آفاق السماء نواحيها واطرافها فلو لم يكن القرآن والرسول الذي انزله هو عليه حقا لما وقعت الحوادث الآتية حسب ما اخبر عنها وهي بالغيب ولما طابق ما فيه من الاخبار المتعلقة بالنوازل الماضية لما هو المضبوط المقرر عند اصحاب التواريخ والحال ان المخبر امي لم يكتب ولم يقرأ ولم يخالط اصحاب التواريخ ولما نصر حملة القرآن ومن آمن به هذه النصرة الخارقة للعادة فان غلبة معادي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومعادي خلفائه وناصري دينه في كل زمان خارق للعادة وخارج عن المعهود فلو لم يكن امر الدين حقا لما كان لاهله ذلك الثبات والاستقرار فان الباطل ربما اتفق ثم يسكن ودولة

(تظهر)

تظهر ثم ... (قوله والباء مزيدة للتأكيد) اى مزيدة في فاعل يكف فان بربك في محل الرفع على انه فاعل يكف والمفعول محذوف والتقدير اولم يكفك ربك وانه على كل شئ شهيد بدل من ربك اى اولم يكفك ان ربك على كل شئ شهيد واصل المعنى سنريهم هذه الآيات اظهار الحق وكفى بها دليلا على ذلك ووضع المظهر وهو قوله ربك وانه على كل شئ شهيد موضع ضمير الآيات في قولنا وكفى بها دليلا للاشعار بالعلية لان هذه الآيات انما صلحت للدلالة على حقية ماهو الحق لكون منشئها من هو على كل شئ حاضر مطلع لا يغيب عنه شئ ما قال الزجاج ومعنى الكفاية ههنا ان الله تعالى بين لهم مافيه كفاية في الدلالة على حقية القرآن اودين الاسلام اوصدق نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ثم انه تعالى ختم السورة بقوله الاانهم في مرية اى في شك عظيم وشبهة شديدة من البعث والقيامة والا كلمة تنبيه بمعنى اعلم والله اعلم

(سورة الشورى خمسون وثلاث آيات مكية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(قوله ولذلك فصل بينهما) اجاب عما يقال انهم اجمعوا على انه لايفصل بين كهيعص وعلى انه يفصل ههنا بين حم وعسق فما السبب فيه وعما قال انهما عدا آيتين واخواتها مثل كهيعص والمص والمرعدت آية واحدة فما السبب فيه ايضا بجواب واحد وهو قوله لعله اسمان للسورة قال الامام واعلم ان الكلام في امثال هذه المواضع يضيق وفتح باب المجازفات مما لا سبيل اليه فالاولى ان يفوض علمه الى الله تعالى (قوله وان كان اسما واحدا فالفصل ليطابق سائر الحواميم) فانها جميعا سور اولها حم واسم هذه السورة وان كان خماسيا كان القياس ان تكتب حروفها موصولة الا انه فصل حم عن سائر حروف الاسم لما ذكر من المطابقة (قوله مثل مافي هذه السورة من المعاني) وهي الدعوة الى التوحيد والنبوة والمعاد وتقبيح احوال الدنيا والترغيب في امور الآخرة يريد ان الكاف اسم بمعنى المثل منصوب المحل على انه مفعول به ليوحي المبني للفاعل وذا اشارة الى شئ سبق وهو حم عسق والمراد بايحاء مثل هذه السورة ايحاء مثل ما فيها من المعاني لان مما ثلة الوحي لهذه السورة مماثلة معانيه لمعاني هذه السورة وقوله مثل ايحائها على ان الكاف صفة مصدر محذوف ولا بد من تقدير مصدر آخر مضاف الى اسم الاشارة اى ايحاء كايحاء ذلك اذلا معنى

... على كل شئ شهيد ... والمعنى اولم يكفك انه تعالى على كل شئ شهيد محقق له ... امرك باظهار الآيات الموعودة كما حقق سائر الاشياء او مطلع فيعلم حالك وحالهم اواولم يكف الانسان رادعا عن المعاصي انه تعالى مطلع على كل شئ لا يخفى عليه خافية (الا انهم في مرية) شك وقرئ بالضم وهو لغة كخفية وخفية (من لقاء ربهم) بالبعث والجزاء (الا انه بكل شئ محيط) عالم بجمل الاشياء وتفاصيلها مقتدر عليها لا يفوته شئ منها عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ حم السجدة اعطاه الله تعالى بكل حرف عشر حسنات (سورة حم عسق مكية وتسمى سورة الشورى وآيها ثلاث وخمسون آية) ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (حم عسق) لعله اسمان للسورة ولذلك فصل بينهما وعدا آيتين وان كان اسما واحدا فالفصل لتطابق سائر الحواميم وقرئ حم سق (كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك الله العزيز

الحكيم) اى مثل مافي هذه السورة من المعاني اوايحاء مثل ايحائها اوحى الله اليك والى الرسل من قبلك

فى الجملة يعم المؤمن والكافر بل لو فسر الاستغفار بالسعى فيما يدفع الخلل المتوقع عم الحيوان بل الجماد وحيث خص بالمؤمنين فالمراد به الشفاعة (الا ان الله هو الغفور الرحيم) اذ ما من مخلوق الا وهو ذو حظ من رحمته والاية على الاول زيادة تقرير لعظمته وعلى الثانى دلالة على تقدسه عما نسب اليه وان عدم معاجلتهم بالعقاب على تلك الكلمة الشنعاء باستغفار الملائكة وفرط غفرانه ورحمته (والذين اتخذوا من دونه اولياء) شركاء وانداداً (الله حفيظ عليهم) رقيب على احوالهم واعمالهم فيجازيهم بها (وما انت) يا محمد (عليهم بوكيل) بموكل بهم او بموكول اليه امرهم (وكذلك اوحينا اليك قرءآنا عربيا) الاشارة الى مصدر يوحى او الى معنى الاية المقدمة فانه مكرر فى القرءآن فى مواضع جمة فيكون الكاف مفعولا به وقرءآنا عربيا حالا منه (لتنذر ام القرى)

من سبئاتهم فيكون استغفارهم فى حق عامة من فى الارض محمولا على [illegible] المجاز فان قول من قال اللهم اهد الكفار وزين قلوبهم بنور الايمان وازل عنها ظلمة الكفر والفسوق والعصيان وان كان طلبا لسبب المغفرة لا لنفس المغفرة الا انه يصح ان يطلق عليه الاستغفار مجازا (قوله وذلك) اى الاستغفار بمعنى السعى المذكور لما ذكر الله تعالى ان الملائكة يستغفرون لمن فى الارض اشار الى انه يجيب دعاءهم ويغفر تعالى لا غيره فقال الا ان الله هو هو الغفور الرحيم (قوله والاية على الاول) اشارة الى وجه ارتباط قوله تعالى والملائكة يسبحون بحمد ربهم بقوله تكاد السموات يتفطرن على كل واحد من تفسيريه فان فسر بانهن يتشققن من عظمة الله تكون هذه الاية زيادة تقرير لعظمته فان مخلوقات الله تعالى نوعان عالم الجسمانيات واعظمها السموات وعالم الروحانيات واعظمها الملائكة فهو تعالى بين اولا كمال قدرته على الجسمانيات فقال تكاد السموات يتفطرن من فوقهن ثم انتقل الى ذكر الروحانيات فقال والملائكة يسبحون بحمد ربهم ثم ان الجواهر الروحانية لها تعلقان تعلق بعالم الكبرياء والجلال بالاستفاضة والقبول وتعلق بعالم الاجسام بالافاضة والتأثير فقوله تعالى يسبحون بحمد ربهم اشارة الى الوجه الذى لهم الى جناب ذى الجلال والاكرام وقوله ويستغفرون لمن فى الارض اشارة الى الوجه الذى لهم الى عالم الاجسام والتسبيح لكونه عبارة عن تنزيه الله تعالى عما لا ينبغى مقدم على التحميد الذى هو عبارة عن وصفه تعالى بكونه مولى النعم كلها ومعطى الخيرات باسرها فان كونه تعالى منزها فى ذاته عما لا ينبغى مقدم بالرتبة على كونه فياضا للخيرات والسعادات فلذلك قال يسبحون بحمد ربهم واما ان فسر بانهن يتشققن من فظاعة قول المشركين من نسبة الولد اليه تعالى فوجه ارتباط هذه الاية بما قبلها ما ذكره بقوله وعلى الثانى دلالة الخ (قوله الاشارة الى مصدر يوحى) فالكاف تكون فى محل النصب على انها صفة مصدر اوحينا ويكون قرءآنا مفعول اوحينا اى واوحينا اليك قرءآنا عربيا ايحاء مماثلا لذلك الايحاء اى ايحاء مفهما بلا لبس وسترة على ان الكاف فى كذلك نحو المثل فى قولك مثلك لا يبخل (قوله اوالى معنى الاية المتقدمة) وهى قوله والذين اتخذوا من دونه اولياء الله حفيظ عليهم وما انت عليهم بوكيل اى اوحينا اليك حال كونه قرءآنا عربيا لا لبس فيه عليك لما كان عليه الصلاة والسلام حريصا على ايمان المشركين متحزنا على اصرارهم على الشرك والضلال انكر الله تعالى عليه ذلك بقوله الله حفيظ عليهم وما انت عليهم بوكيل والمعنى ان امثال هؤلاء

(المصرين)

المصر [illegible] فى وسعك وقد زلك ان تهديهم والله وحده هو القادر على ذلك [illegible] الذى عليك هو الانذار فقط ثم قال واوحينا اليك مثل هذه الآية وما [illegible] من الانكار على حرصك الشديد على ايمانهم وتكرر عليك فى القرآن هذا النوع من الانكار حال كون مايدل عليه قرآناً عربيا لايخفى عليك معناه لكونه لسانك وانت تنزله منزلة الكلام المبهم الملتبس حيث لا تترك الحرص البتة (قوله اهل ام القرى) قدر المضاف لان نفس مكة لا يصح انذارها والعرب تسمى اصل كل شئ امه وسميت مكة ام القرى تشريفا لها واجلالا لاشتمالها على البيت المعظم ومقام ابراهيم عليه الصلاة والسلام ولما روى من ان الارض دحيت من تحتها و بين من حولها بقوله من العرب ويجوز ان يبين باهل الارض كلها وتقييده بالعرب لاينافى عموم رسالته عليه الصلاة والسلام لان تخصيص الشئ بالذكر لاينافى عموم الحكم لما عداه (قوله وحذف ثانى مفعولى الاول) والتقدير لتنذر ام القرى بعذاب الله تعالى على تقدير اصرارهم على الكفر حذف الثانى للتهويل وتقدير الثانى وتنذر ام القرى ومن حولها يوم القيامة وحذف اول مفعوليه لايهام التعميم (قوله اعتراض لا محل له) على قول من يجوز الاعتراض فى آخر الكلام والمشهور انه لايقع الا بين متلازمين كالمبتدأ والخبر والمعطوف والمعطوف عليه (قوله والتقدير منهم فريق) على ان فريق مبتدأ حذف خبره وجاز الابتداء بالنكرة لأمرين تقدم خبرها وهو الجار والمجرور المحذوف ووصفها بقوله فى الجنة (قوله والضمير) اى الضمير المجرور فى منهم لمادل عليه يوم الجمع فان المعنى يوم جمع الخلائق فى موقف الحساب (قوله بمعنى مشارفين التفرق) جواب عما يقال كيف يكون حالا من المجموعين والجماعة الواحدة لا يجوز ان يكونوا مجتمعين متفرقين فى حالة واحدة واجاب عنه بوجهين الاول ان المراد بالجمع اجتماعهم فى الموقف وكونهم متفرقين فيه مجاز عن كونهم مشارفين للتفرق تسمية لمايقرب من الشئ باسم ذلك الشئ والثانى ان المراد بالجمع اجتماعهم فى الموقف وكونهم متفرقين فيه مجاز عن كونهم مشارفين التفرق فى ذلك اليوم وبتفرقهم تفرقهم فى الدارين والاجتماع فى الزمان لاينافى الافتراق فى المكان ثم انه تعالى لما بين ان اهل الجمع فريقان بين ان ذلك بمشيئة الله تعالى فمن علم منه اختيار الهدى يهديه فيدخله بذلك فى جنته ورحمته ومن علم منه اختيار الضلال يضله ويجعله بذلك من اهل السعير (قوله ولعل تغيير المقابلة) فان مقتضى الظاهر ان يقال ويدخل من يشاء فى سخطه ونقمته وعدل

[illegible] (ومن حولها) [illegible] وتنذر يوم الجمع [illegible] القيامة يجمع فيه الخلائق اوالارواح والاشباح او الاعمال والعمال وحذف ثانى مفعولى الاول واول مفعولى الثانى للتهويل وايهام التعميم وقرئ لينذر بالياء والفعل للقرآن (لاريب فيه) اعتراض لامحل له (فريق فى الجنة وفريق فى السعير) اى بعد جمعهم فى الموقف يجمعون اولا ثم يفرقون والتقدير منهم فريق والضمير للمجموعين لدلالة الجمع عليه وقرئا منصوبين على الحال من هم اى وتنذر يوم جمعهم متفرقين بمعنى مشارفين للتفرق او متفرقين فى دارى الثواب والعقاب (ولوشاء الله لجعلهم امة واحدة) مهتدين اوضالين (ولكن يدخل من يشاء فى رحمته) بالهداية والحمل على الطاعة (والظالمون مالهم من ولى ولانصير) اى ويدعهم بغير ولى ولانصير فى عذابه ولعل تغيير المقابلة للمبالغة فى الوعيد اذ الكلام فى الانذار

(ام اتخذوا) بل اتخذوا (من دونه اولياء) كالاصنام (فالله هو الولي) جواب شرط مقدر

ان ارادوا اولياء بحق فالله هو الولي بالحق (وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير) كالتقرير لكونه حقيقا بالولاية (وما اختلفتم) انتم والكفار (فيه من شيء) من امر من امور الدين او الدنيا (فحكمه الى الله) مفوض اليه يميز المحق من المبطل بالنصر او بالاثابة والمعاقبة وقيل وما اختلفتم فيه من تأويل متشابه فارجعوا فيه الى المحكم من كتاب الله (ذلكم الله ربي عليه توكلت) في مجامع الامور (واليه انيب) ارجع في المعضلات (فاطر السموات والارض) وقرئ بالجر على البدل من الضمير او الوصف لالى الله وبالرفع خبر آخر لذلكم او مبتدأ خبره) جعل لكم من انفسكم) من جنسكم (ازواجا) نساء (ومن الانعام ازواجا) اى وخلق للانعام من جنسها ازواجا او خلق لكم من الانعام اصنافا او ذكورا واناثا (يذرأكم) يكثركم من الذرء وهو البث وفي معناه الذرو والذرو والضمير على الاول للناس والانعام على تغليب المخاطبين العقلاء (فيه) في هذا التدبير وهو جعل الناس والانعام ازواجا يكون بينهم توالد (يقتضى)

عنه الى ما هو ابلغ في الوعيد فانه يدل على ان الذين ظلموا انفسهم ليس لهم احد يتولى امورهم ويحميهم ولا من ينصرهم فيدفع العذاب عنهم فهم معذبون ابدا لظلمهم انفسهم ولا شك انه ابلغ في الوعيد من ان يقال ويدخل من يشاء في حفظه (قوله بل اتخذوا) اشارة الى ان ام منقطعة فيجوز ان تقدر ببل التي للانتقال وبهمزة الانكار وبالهمزة وحدها وببل وحدها والمصنف قدرها ببل وحدها اضرابا عن توصيفهم بانهم اتخذوا من دون الله اولياء على طريق التخصيص بعد التعميم للاشعار بان هذا الخاص مع كونه من افراد ذلك العام بلغ في كونه ظلما الى حد خرج بذلك عن كونه معدودا في عداده وقيل ام هذه بمعنى همزة الانكار والتوبيخ وصفهم الله تعالى اولا بانهم اتخذوا من دونه اولياء ثم قال له عليه الصلاة والسلام لست عليهم بوكيل وان هدايتهم ليست اليك ولو شاء الله لفعلها ثم اخبر عنهم بما وصفهم به اولا انكارا عليهم ووجه اتصال هذه الآية بما قبلها انه تعالى لما هدد المشركين بقوله الله حفيظ عليهم وبقوله والظالمون مالهم من ولي ولا نصير ثم حكم بانه هو الولي بالحق اردفه بما يدل على انه ولي المؤمنين بالنصر والاثابة ومذل اعداء الدين بالتعذيب والعقاب فقال وما اختلفتم فيه من شيء قيل انه حكاية قول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم للمؤمنين فكانه عليه الصلاة والسلام وكل الحكم الى الله في امر الدين وغيره فحكى الله تعالى ذلك في القرآن المجيد ويدل على ذلك قوله تعالى بعده ذلكم الله ربي عليه توكلت واليه انيب اى ذلك الحاكم بيني وبينكم هو ربي عليه توكلت (قوله بالنصر) اى عز بنصره المؤمن المحق على الكافر المبطل فان المؤمن اذا خالف الكافر في شيء من الاحكام وتمسك فيه باصل من اصول الشرع وهي اربعة الكتاب والسنة واجماع الامة والقياس فقد تأيد بنصر الله تعالى ونص كتابه فان الاصول الثلاثة الاخيرة مستندة الى الاصل الاول الذي هو الكتاب غاية ما في الباب انه لا يجوز الاجتهاد والقياس بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم (قوله او بالاثابة) اى يميز المحق من المبطل يوم الفصل والجزاء بان يجازي كل واحد من المختلفين على حسب ما استحقه فيثيب المحق ويعاقب المبطل (قوله تعالى ذلكم) مبتدأ والله خبره وربي نعت لله وعليه توكلت واليه انيب خبر بعد خبر قدم الظرف فيهما ليفيد الاختصاص (قوله وقرئ بالجر) اى على انه بدل من الهاء في عليه واليه او على انه نعت للجلالة في قوله فحكمه الى الله فيكون ما بينهما اعتراضا (قوله يكثركم) ضمير الجمع فيه للمخاطبين والانعام وفيه تغليبان تغليب العقلاء فان كم ضمير العقلاء وتغليب المخاطب على الغائب فان

مقتضى الظاهر ان يقال يذرأكم واياهن اورد بدل اياهن ضمير المخاطب (قوله فانه كالمنبع للبث) جواب عما يقال هذا التدبير ليس ظرفا للبث والتكثير بل هو سبب له فلم قيل يذرأكم فى هذا التدبير ولم يقل بهذا التدبير (قوله تعالى ليس كمثله شئ) المشهور عند القوم ان الكاف زائدة فى خبر ليس وشئ اسمها والتقدير ليس شئ مثله قال ابو البقاء ولو لم تكن زائدة لفسد المعنى اذ يصير المعنى على تقدير عدم زيادتها ليس مثل مثله شئ وهو فاسد لان نفى المثل عن مثله يستلزم ان يكون له مثل لا مثل لذلك المثل وهو محال تعالى الله عن ذلك وايضا فيه تناقض لانه اذا كان له مثل كان لمثله مثل وهو نفس ذاته وقيل ان كلمة مثل هى الزائدة كزيادتها فى قوله تعالى فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وتقديره ليس كهو شئ وهذا القول ليس بجيد لان زيادة الاسماء ليست بمعهودة وايضا زيادة المثل تستلزم ان يكون التقدير ليس هو شئ ودخول الكاف على الضمائر لايجوز الا فى الشعر ولم يرض المصنف والزمخشرى بهذين القولين بناء على ان القول بزيادة ماله فائدة جليلة وبلاغة مقبولة بعيد كل البعد وجعلا المثل كناية عن الذات كما فى قول العرب مثلك يجود ومثلك لايبخل وقول القبعثرى مثل الامير يحمل على الادهم والاشهب فان البلغاء يثبتون لمثل الشئ وصفا او ينفونه عنه ويريدون اثبات ذلك الوصف لنفس الشئ اذ نفيه عنه على ابلغ وجه وآكده لانه بمنزلة اثبات الشئ او نفيه بالدليل وكدعوى الشئ ببينة وذلك لان مثل الشئ انقص حالا منه كما هو القاعدة فى باب التشبيه فالمشبه مع كونه انقص حالا من المشبه به اذا اتصف بصفة كمال او تباعد عن صفة نقصان فكون المشبه به متصفا بالاولى ومتباعدا عن الاخرى اولى ومثله يسمى اثبات الشئ او نفيه بالطريق البرهانى وهذا الطريق لايتوقف على ان يتحقق لذلك الشئ مثل فى الخارج حتى يقال نفى مثل مثله يستلزم اثبات المثل له وهو محال بل يكفى فيه ان يقدر له مثل ثم يحكم عليه بانه متصف بكذا او متخلف عن كذا ليفيد ان المثل به اولى بذلك ولو توقف ذلك على ثبوت المثل والنظير له فى الخارج لكان قول القبعثرى مثل الامير يحمل على الادهم والاشهب اشبه بالذم منه بالمدح (قوله فى سقيا عبد المطلب) السقيا اسم بمعنى الاستسقاء روى ان عبد المطلب صعد اباقبيس مع رجال من بطون العرب ومعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ غلام يافع اى مرتفع يقدر على العدو واسراع المشى خرجوا مستسقين لانقطاع المطر عنهم مدة طويلة (قوله لداته) لدة الرجل تربه والهاء عوض عن الواو الذاهبة من اوله لانه من الولادة والمراد بالطيب الطاهر لداته رسول الله صلى الله عليه وسلم نسبت الطهارة والطيب الى لداته

فانه كالمنبع للبث والتكثير (ليس كمثله شئ) اى ليس مثله شئ بزاوجه ويناسبه والمراد من مثله ذاته كما فى قولهم مثلك لا يفعل كذا على قصد المبالغة فى نفيه عنه فانه اذا نفى عمن يناسبه ويسد مسده كان نفيه عنه اولى ونظيره قول رقيقة بنت صيفى فى سقيا عبد المطلب الا وفيهم الطيب الطاهر لداته ومن قال الكاف فيه زائدة لعله عنى انه يعطى معنى ليس مثله غير انه آكد لما ذكرناه

وقيل مثله صفته اى ليس كصفته صفة (وهو السميع البصير) لكل ما يسمع ويبصر (له مقاليد السموات والارض) خزائنها (يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) يوسع ويضيق على وفق مشيئته (انه بكل شئ عليم) فيفعله على ما ينبغى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى) اى شرع لكم من الدين دين نوح ومحمد ومن بينهما عليهم السلام من ارباب الشرع وهو الاصل المشترك فيما بينهم المفسر بقوله (ان اقيموا الدين) وهو الايمان بما يجب تصديقه ﴿٤٦﴾ والطاعة فى احكام الله ومحله النصب على البدل من مفعول شرع او الرفع على الاستئناف كانه جواب وما ذلك المشروع او الجر على البدل من هاء به (ولا تتفرقوا فيه) ولا تختلفوا فى هذا الاصل اما فروع الشرع فمختلف كما قال لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا (كبر على المشركين) عظم عليهم (ما تدعوهم اليه) من التوحيد (الله يجتبى اليه من يشاء) يجتلب اليه والضمير لما تدعوهم او للدين (ويهدى اليه) بالارشاد والتوفيق (من ينيب) يقبل اليه (وما تفرقوا) يعنى الامم السالفة وقيل اهل الكتاب لقوله تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب (الا من بعد ما جاءهم العلم) بان التفرق ضلال متوعد عليه او العلم بمبعث الرسول عليه السلام او اسباب العلم من الرسل والكتب وغيرهما فلم يلتفتوا اليها (بغيا بينهم) عداوة او طلبا للدنيا (ولولا كلمة سبقت من ربك) بالامهال (الى اجل مسمى) هو يوم القيامة او آخر اعمارهم المقدرة (لقضى بينهم) باستئصال المبطلين حين افترقوا لعظم ما اقترفوا (وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم) يعنى اهل الكتاب الذين كانوا فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم او المشركين الذين اورثوا القرآن من بعد اهل الكتاب وقرئ ورثوا وورثوا (لفى شك منه) من كتابهم لا يعلمونه كما هو او لا يؤمنون به حق الايمان او من القرآن (مريب) مقلق او مدخل فى الريبة (فلذلك)

كناية عن طيب نفسه وطهارته (قوله وقيل مثله صفته) بناء على ان المثل والمثل الصفة كما فى قوله تعالى ولله المثل الاعلى وقوله مثل الجنة فيكون المعنى ليس مثل صفته تعالى شئ من الصفات التى لغيره فانه تعالى وان وصف بكثير مما يوصف به البشر فليست تلك الصفات الثابتة له تعالى كالتى ثبتت لغيره تعالى وعلى القولين يكون قوله ليس كمثله شئ كلاما مستأنفا على سبيل التعليل لما قبله (قوله خزائنها) اشارة الى ان ملك المفاتيح كناية عن ملك الخزائن لما ذكر الله تعالى وحيه الى محمد صلى الله عليه وسلم بقوله كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم شرع فى تفصيل ما تضمنته هذه السورة من المعانى فقال شرع لكم من الدين الاية اى بين لكم يا اصحاب محمد من الدين ما وصى به نوحا وهو اول انبياء الشريعة ومعنى شرع بين المسلك وفتح الطريق الى مرضاته والدين هو الطاعة والانقياد واقامة الدين الدوام عليه باحياء شروطه وحدوده وخص هؤلاء الانبياء الخمسة بالذكر لانهم اكابر الانبياء واصحاب الشرائع العظيمة والاتباع الكثيرة (قوله وهو الاصل المشترك فيما بينهم) يعنى ان المراد بالدين الذى وصى به هؤلاء الانبياء اصول الدين وهى ما تطابقت الانبياء على صحته ولم يختلف باختلاف الشرائع كالايمان بالله وحده لا شريك له وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر (قوله او الرفع على الاستئناف) فتكون ان مصدرية ويكون الفعل معها فى تأويل المصدر كانه قيل وما ذلك المشروع فقيل هو اقامة الدين والاجتماع عليها وترك التفرق فى اقامته فان الامر اذا انتظم على هذا الوجه زال الفساد وظهر العدل وتباعد الناس عن التظالم فيتفرغون لعمارة دنياهم ويتوصلون بها الى اقامة دينهم وينالون المنزلة الرفيعة عند ربهم (قوله يجتلب اليه) اشارة الى ان يجتبى مأخوذ من الجباية وهى طلب الخراج لا من الاجتباء بمعنى الاصطفاء لانه لا يتعدى بالى بخلاف الجباية

فلاجل ذلك التفرق او الكتاب او العلم الذى اوتيته (فادع) الى الاتفاق على الملة الحنيفية او الاتباع لما اوتيت وعلى هذا يجوز ان يكون اللام فى موضع الى لافادة الصلة والتعليل (واستقم كما امرت) واستقم على الدعوة كما امرك الله تعالى (ولا تتبع اهواءهم) الباطلة (وقل آمنت بما انزل الله من كتاب) يعنى جميع الكتب المنزلة لا كالكفار الذين آمنوا ببعض وكفروا ببعض (وامرت لاعدل بينكم) فى تبليغ الشرائع والحكومات والاول اشارة الى كمال القوة النظرية وهذا اشارة الى كمال القوة العملية (الله ربنا وربكم) خالق الكل ومتولى امرها (لنا اعمالنا ولكم اعمالكم) فكل مجازى بعمله (لا حجة بيننا وبينكم)

فان فيها معنى الضم فلذلك تعدى بالى فيقال يجتبى اليه اى يوفقه له ويقربه اليه رحمة واكراما لما بين الله تعالى انه امر كل الانبياء والامم بالاخذ بالدين المتفق عليه كان مظنة ان يقال فلماذا نجدهم متفرقين فاجاب بقوله وما تفرقوا الامن بعد ما جاءهم العلم يعنى انهم ما تفرقوا الامن بعد ما اتاهم الاجماع على اقامة الدين المتفق عليه وعلموا بذلك ان التفرق ضلالة ولكنهم فعلوا ذلك لاجل البغى الحاصل منهم والحسد والعداوة المستقرة بينهم المانعة من الاتفاق فلذلك ذهبت كل طائفة الى مذهب ودعوا الناس اليه وقبحوا ما سواه ويحتمل ان يكون البغى مصدر بغاه بمعنى طلبه ويكون المعنى تفرقوا طلبا للدنيا والرياسة ثم انه تعالى اخبر انهم استحقوا العذاب بسبب تفرقهم الا انه تعالى اخر عنهم ذلك العذاب لان لكل عذاب عنده اجلا مسمى اى وقتا معلوما والمصنف فسر المتفرقين فى اصول الدين بالامم السابقة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفسر الذين اورثوا الكتاب من بعدهم باهل الكتاب الذين تفرق كل فريق منهم عن صاحبه بالانتساب الى كتاب غير كتاب الآخر فقوله من بعد ما جاءهم العلم بان التفرق ضلال ناظر الى ما اختاره من ان المراد بالتفرق اختلاف الامم السالفة فى الاصل المشترك بين ارباب الشرائع وقوله او العلم بمبعثه عليه افضل الصلاة والسلام ناظر الى ما نقله من ان المراد بالتفرق تفرق كل فريق من اهل الكتاب بالانتساب الى كتابه فعلى هذا يكون ضمير تفرقوا لاهل الكتاب ويكون المراد بالذين اوتوا الكتاب من بعدهم المشركين وبالكتاب القرآن وقوله لايعلمونه كما هو ناظر الى ان يكون المراد بالمتفرقين الاسلاف وبالذين اورثوا الكتاب المعاصرين وقوله او من القرآن ناظر الى ان يكون المراد بالمتفرقين مطلق اهل الكتاب وبالذين اورثوا المشركين (قوله فلاجل ذلك التفرق او الكتاب او العلم) الاول على ان تكون الاشارة الى مصدر تفرقوا والثانى على ان تكون الاشارة الى الكتاب الذى اريد به القرآن والثالث على ان تكون الاشارة الى المشروع المبين الذى هو الامر باقامة الدين والنهى عن التفرق (قوله وعلى هذا) اى على ان تكون الاشارة الى الكتاب او الى ما جاءهم من العلم يجوز ان تكون اللام فى موضع الى حتى تكون صلة ادع مذكورة صريحا وتفيد معنى التعليل ايضا قال الفراء والزجاج فى تفسيره فالى ذلك الدين الذى وصى به الانبياء فادع الناس (قوله تعالى وامرت لاعدل بينكم) يجوز ان يكون التقدير وامرت بذلك لاعدل بين شريفكم ووضيعكم فى تبليغ الشرائع وفى الحكم اذا تخاصمتم وتحاكمتم الى وقيل تقديره وامرت ان اعدل على ان تكون اللام زائدة بدل ان المصدرية كما فى قوله تعالى يريد الله ليبين لكم اى ان يبين

لكم اى اسوى بين شريفكم و وضيعكم فلا احابى احدا ولا اخص البعض
بامر اونهى (قوله لااحتجاج بمعنى لا خصومة) الحجة فى الاصل البرهان
والدليل ثم يقال لاحجة بيننا بناء على ان يراد الحجة من الجانبين لازم الخصومة
فيكنى بذكر اللازم عن الملزوم (قوله وليس فى الآية الخ) رد لماقيل من انها
نزلت قبل الامر بالقتال حين كونه عليه الصلاة السلام مأمورا بالدعوة فقط
ثم نسخت بآية القتال وما فعل بهم من القتل وتخريب البلاد وقطع النخيل
والاجلاء انما وقع بعد نزول آية القتال ووجه الرد ان هذه الآية انما تدل على
المشاركة القولية معهم لانهم قد عرفوا صدقه عليه الصلاة والسلام بما قام
من الحجج المتعاضدة وانما تركوا تصديقه والايمان به عنادا او بعد ماظهر الحق
وصاروا محجوجين به كيف يحتاج الى المحاجة القولية فلا يبقى بعد ذلك
الا السيف اوالاسلام (قوله تعالى والذين يحاجون) مبتدأ وحجتهم مبتدأ
ثان وداحضة خبر الثانى والجملة خبر الاول والمعنى ان الذين يخاصمون فى دين الله
تعالى نبيه قيل هم اليهود قالوا كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم فنحن خير
منكم فهذه خصومتهم فى دين الله تعالى من بعد ما استجاب له الناس فاسلموا
ودخلوا فيه قال الامام فى بيان مخاصمة اليهود فى دينه تعالى انهم قالوا الستم
تقولون ان الدين المتفق عليه يجب اخذه لا الذى اختلف فيه ونبوة موسى
عليه الصلاة والسلام وحقية كتابه معلومة بالاتفاق ونبوة محمد صلى الله تعالى
عليه وسلم ليست متفقا عليها فوجب ان يكون الاخذ باليهودية اولى واوجب
فهذه حجتهم وحكم الله تعالى بانها داحضة اى باطلة وذلك لان اليهود
اجمعوا على انه انما وجب الايمان بموسى عليه الصلاة والسلام لاجل انه صدقه
تعالى بان اظهر المعجزات على يده وكل من صدقه الله تعالى فى دعوى الرسالة
بهذا الطريق فهو صادق فى دعواه فيجب الايمان به فاجماعهم هذا يستلزم
بطلان حجتهم لان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد ادعى الرسالة
وصدقه الله فى دعواه بان خلق على يديه معجزات بينة باهرة واليهود شاهدوا
تلك المعجزات فان كان ظهور المعجزة دليلا على صدق مدعى النبوة يجب
الاعتراف بنبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وان لم يكن دليلا عليه فى حق
محمد عليه الصلاة والسلام فكيف يكون دليلا فى حق موسى عليه الصلاة
والسلام فجعله دليلا على صدق احدهما دون الآخر تحكم محض وعناد صرف
لما عظم الله تعالى ماتضمنته هذه السورة الكريمة من المعانى بان بين بانه كرر
وحيه اليه عليه الصلاة والسلام فى القرآن المجيد والى من قبله عليهم الصلاة
والسلام وبان اسند وحيه الى الله العزيز الحكيم ثم انكر على رسوله صلى الله تعالى

(عليه)

الاحتجاج بمعنى لاخصومة
اذ الحق قد ظهر ولم يبق
للمحاجة مجال ولا الخلاف
مبدأ سوى العناد (الله
يجمع بيننا) يوم القيامة
(واليه المصير) مرجع
الكل بفصل القضاء وليس
فى الآية مايدل على متاركة
الكفار رأسا حتى تكون
منسوخة بآية القتال
(والذين يحاجون فى الله)
فى دينه (من بعد ما استجيب
له) من بعد مااستجاب له
الناس ودخلوا فيه اومن
بعد ما استجاب الله لرسوله
فاظهر دينه بنصره يوم
بدر اومن بعد مااستجاب
له اهل الكتاب بان اقروا
بنبوته واستفتحوا به
(حجتهم داحضة عند
ربهم) زائلة باطلة
(وعليهم غضب)
بمعاندتهم (ولهم عذاب
شديد) على كفرهم (الله
الذى انزل الكتاب)
جنس الكتاب (بالحق)
ملتبسا به بعيدا من الباطل
او بما يحق انزاله من
العقائد والاحكام
(والميزان) والشرع
الذى يوزن به الحقوق
ويسوى بين الناس
اوالعدل بان انزل الامر به

عليه وسلم [illegible] على ايمان المشركين وعدم اقتصاره على تبليغ رسالته اليهم [illegible] يوم الجمع ومافيه من تعذيب المسيء على وجه يتضمن تهديدهم بان الله حفيظ عليهم وانهم مالهم من ولى ولانصير ثم بين استحقاقهم التهديد المذكور بانهم خالفوا الدين المتفق عليه بين ارباب الشرائع وهو الايمان بجميع مايجب الايمان به وطاعة الله تعالى فيما امر به ونهى عنه وعدم الافتراق فيه شرع الآن فى بيان انه انما شرع ذلك الدين المتفق عليه بانزال الكتاب المشتمل على انواع الدلائل والبينات فقال الله الذى انزل الكتاب (قوله والشرع) لفظ الميزان حقيقة فى آلة الوزن ويستعار للشرع تشبيهاله بالميزان العرفى من حيث انه توزن به الحقوق الواجبة الاداء سواء كانت من حقوق الله تعالى اومن حقوق العباد ويطلق على العدل والتسوية تسمية للشئ باسم آلته فان الميزان آلة العدل فسمى باسمه والشرع ينزل بانزال مبلغه وكذا العدل فانه ينزل بانزال الآمر به فى الكتب الالهية المنزلة بانزال مبلغها (قوله اوآلة الوزن) اى ويجوز ان يكون المراد بالميزان معناه الاصلى وانزاله اما حقيقة كما ذكره الزمخشرى فى سورة الحديد من انه روى ان جبريل عليه الصلاة والسلام نزل بالميزان فدفعه الى نوح عليه الصلاة والسلام وقال مر قومك يزنوا به وقيل نزل آدم عليه الصلاة والسلام بجميع آلات الصنائع واما مجاز عن انزال الامر باستعماله فى الايفاء والاستيفاء (قوله فاتبع الكتاب) اشارة الى وجه ارتباط ومايدريك الخ بانزال الكتب والميزان باى معنى يراد به يعنى ان قوله تعالى ومايدريك الآية كناية عن الترغيب فى اتباعهما واقامة حدودهما قبل مفاجاة اليوم الذى توزن فيه الاعمال فيوفى ان اوفى ويطفف لمن طفف (قوله وقيل تذكير القريب) عطف على قوله قريب اتيانها يعنى ان قريب فعيل بمعنى الفاعل ولايستوى فيه المذكر والمؤنث عند سيبويه فكان الظاهر ان يقال قريبة لكونه مسندا الى ضمير الساعة الا انه ذكر لكونه صفة جارية على غير من هى له والتقدير قريب اتيانها وقريب منه قول الزمخشرى ولعل [illegible] الساعة قريب بتقدير المضاف وروى عن سيبويه انه انما لم يقل قريبة لان المراد ذات قرب يعنى انه على معنى النسب لا على [illegible] الحدوث فى احد الازمنة فان الصفات التى كانت كالفعل انما يفرق بين مذكرها ومؤنثها بالتاء اذا قصد بها الحدوث [illegible] الفعل الذى [illegible] على الحدوث فكما ان الفعل تلحقه التاء اذا اسند الى المؤنث كذا [illegible] التى كانت [illegible] الحدوث [illegible] تلحقها التاء ايضا [illegible] وطالقة [illegible]
[illegible]

اى آلة الوزن [illegible] باعدادها (وما يدريك لعل الساعة قريب) اتيانها فاتبع الكتاب واعمل بالشرع وواظب على العدل قبل ان يفجاك اليوم الذى يوزن فيه اعمالك ويوفى جزاؤك وقيل تذكير القريب لانه بمعنى ذات قرب

على صورة اسم الفاعل كلابن وتامر بمعنى ذوى لبن وتمر اى لبنى وتمرى فلما لم تكن فى معنى الفعل لم تلحقها تاء التأنيث لعدم مشابهتها له معنى وان شابهته لفظا (قوله اولان الساعة بمعنى البعث) تسمية للحال باسم ماحل فيه (قوله استهزاء) فانه عليه افضل الصلاة والسلام لما هددهم بيوم القيامة قالوا مستهزئين متى تقوم الساعة وليتها قامت حتى يظهر الحق أهوّ الذى نحن عليه ام ماتدعوننا اليه فانهم لما لم يؤمنوا بها لم يخافوا مافيها فهم يطلبون وقوعها استبعادا لقيامها بخلاف الذين آمنوا فانهم مشفقون منها لعلمهم بانهم محاسبون ومجزيون بما عملوا فى الدنيا مع اعتنائهم بها اى مع اعتنائهم بها واهتمامهم بشأنها اى يجمعون بين الخوف منها والاهتمام بشأنها لتوقعهم مافيها من الثواب (قوله من المرية) فقوله يمارون معناه فى الاصل تداخلهم المرية والشك فيؤدى ذلك الى المجادلة فقوله فى تفسيره يجادلون تفسير له بمؤداه ولازمه وان كان من المرى وهو التعرض لضرع الناقة لاستخراج مافيه من اللبن يكون تفسيره بيجادلون حملا على الاستعارة التبعية بان شبه المجادلة بمماراة الحالب الضرع لاستخراج مافيه من اللبن من حيث ان كلا من المجادلين يستخرج ماعند صاحبه بكلام فيه شدة (قوله اشبه الغائبات الى المحسوسات) فان البعث مع كونه امرا ممكنا فى نفسه غير مستبعد من قدرة الله تعالى قامت على وقوعه دلائل قطعية فبلغ بكثرة شواهده مبلغ المحسوسات فان الكتاب المعجز ناطق بالاخبار عن وقوعه والعقول السليمة شاهدة على انه لابد من دار جزاء لئلا يكون تكاليف الحكيم عبثا (قوله بصنوف من البر لاتبلغها الافهام) كثرة البر مستفادة من تنكير لطيف ومن صيغة فعيل لانها للمبالغة وكونها بحيث لاتبلغها الافهام مستفاد من مادته فان اللطف ايصال نفع فيه دقة وعظم قدر ولاتبلغ قوة المتفكر الى ادراك كنهه فى ترزيق عباده من بنى آدم وغيرهم وان بذل جهده حيث جعله منوطا بترتيب العالم العلوى والسفلى ومافيهما من الصنائع العجيبة والتدبيرات الغريبة بحيث يعجز عقل البشر عن معرفة ادنى شئ منهما فضلا عن استقصائها (قوله اى يرزقه كما يشاء) اورد ان يقال ان اضافة العباد وهو جمع الى ضمير اسم الله تعالى من طرق الاستغراق فيفيد انه تعالى لطيف بجميع عباده فما المناسب له ان يقال بعده يرزقهم جميعا برا اوفاجرا ولايهلك الفاجر جوعا بمعاصيه فما وجه تخصيص ترزيقه بمن شاء اشار الى جوابه بان المخصص بمن يشاء هو نوع البر وصنفه وذلك لاينافى عموم جنس بره لجميع عباده فانه تعالى برابهم جميعا لابمعنى ان جميع انواع البر واصنافه تصل الى كل احد فانه مخالف للحكمة بل يصل بره اليهم على سبيل التوزيع بان يخص نعمة واحد وآخر

اولان الساعة بمعنى البعث (يستعجل بها الذين لايؤمنون بها) استهزاء (والذين آمنوا مشفقون منها) خائفون منها مع اعتنائهم بها لتوقع الثواب (ويعلمون انها الحق) الكائن لامحالة (الا ان الذين يمارون فى الساعة) يجادلون فيها من المرية اومن مريت الناقة اذا مسحت ضرعها بشدة للحلب لان كلا من المجادلين يستخرج ماعند صاحبه بكلام فيه شدة (لفى ضلال بعيد) عن الحق فان البعث اشبه الغائبات الى المحسوسات فمن لم يهتد لتجويزها فهو ابعد عن الاهتداء الى ماوراءه (الله لطيف بعباده) بر بهم بصنوف من البر لاتبلغها الافهام (يرزق من يشاء) اى يرزقه كما يشاء فيخص كلا من عباده بنوع من البر على مااقتضته حكمته (وهو القوى) الباهر القدرة (العزيز) المنيع الذى لايغلب (من كان يريد حرث الآخرة) ثوابها شبهه بالزرع من حيث انه فائدة تحصل بعمل الدنيا

باخرى فيرجع بذلك كل واحد منهم الى الآخر فيما عنده من النعمة فينتظم به احوالهم وتتم اسباب معاشهم وصلاح دنياهم وعمارتها فيؤدى ذلك الى فراغهم لاكتساب سعادة الآخرة ثم انه تعالى لما بين كونه لطيفا بعباده كثير الاحسان اليهم اشار الى ان الانسان مادام فى دار الكسب والاختيار لابد له من السعى فى طلب الخيرات وفى الاحتراز عن القبائح والسيئات فان لطفه تعالى واحسانه وان لم يكن مقدرا بقدر سعى العبد وعمله الا ان عادته تعالى قد جرت على ان جعله منوطا بسعى العبد وكسبه فقال من كان يريد حرث الآخرة نزد له الآية والحرث فى الاصل هو الزرع الحاصل بالقاء البذر فى الارض استعير للثواب الحاصل بمقابلة العمل (قوله ولذلك) اى ولكون ثواب الآخرة حاصلا بعمل الدنيا (قوله شيئا منها) اى شيئا كائنا منها على ان منها متعلق بمحذوف هو صفة للمفعول الثانى المحذوف لقوله نؤته قال الامام فان قيل ظاهر اللفظ يدل على ان من صلى لاجل طلب الثواب او لاجل دفع العقاب فانه تصح صلاته واجمعوا على انها لا تصح والجواب انه تعالى قال من كان يريد حرث الآخرة والحرث لا يأتى الا بالقاء البذر الصحيح فى الارض والبذر الصحيح الجامع للخيرات والسعادات ليس الا العبودية لله تعالى (قوله اذ الاعمال بالنيات) واذا عمل للدنيا لا للآخرة فلا يثاب فى الآخرة على ذلك العمل شيئا قال تعالى فى طالب ثواب الآخرة نزد له فى حرثه ولم يذكر ايعطيه الدنيا ام لا بل بقى الكلام ساكتا عنه نفيا واثباتا مع ان الرزق المقسوم له يصل اليه بلا محالة الا ستهانة بذلك والاشعار بانه فى جنب ثواب الآخرة كانه ليس بشئ وصرح فى حق طالب خير الدنيا بانه لا يعطيه شيئا من نصيب الآخرة تنصيصا على الفرق بين من اراد الآخرة و بين من اراد الدنيا وليس له من ثواب الآخرة نصيب البتة و بين ان طالب الآخرة يكون حاله ابدا فى الترقى والتزايد وان طالب الدنيا لا ينال مراده من الدنيا ويكون محروما من ثواب الآخرة بالكلية (قوله بل ألهم شركاء) يريد ان ام هذه منقطعة فيها معنى بل والهمزة و بل للاضراب عما سبق وهو بيان انه تعالى شرع لهم من الدين ما وصى به الانبياء المتقدمين وان الذين يحاجون فى دين الله حجتهم داحضة عند ربهم اضرب عن هذا البيان واستفهم استفهام تقرير وتقريع بان قال الهم شركاء اى نظراء يشاركونهم فى الكفر والعصيان ويعاونونهم عليه بالتزيين والاغواء وهم شياطين الانس والجن وسماه مازين لهم شركاؤهم من الطريق الباطل وسماه دينا للمشاكلة والتهكم (قوله وقيل شركاؤهم اوثانهم) وحينئذ ينبغى ان تكون الهمزة

ولذلك قيل الدنيا مزرعة الآخرة والحرث فى الاصل القاء البذر فى الارض ويقال للزرع الحاصل منه (نزد له فى حرثه) فنعطه بالواحد عشرة الى سبعمائة فما فوقها (ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها) شيئا منها على ما قسمناله (وماله فى الآخرة من نصيب) اذ الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى (ام لهم شركاء) بل ألهم شركاء والهمزة للتقرير والتقريع وشركاؤهم شياطينهم (شرعوا لهم) بالتزيين (من الدين مالم يأذن به الله) كالشرك وانكار البعث والعمل للدنيا وقيل شركاؤهم اوثانهم واضافتها اليهم لانهم متخذوها شركاء واسناد الشرع اليها لانها سبب ضلالتهم وافتتانهم بما تدينوا به او صور من سنه لهم (ولولا كلمة الفصل)

اى القضاء السابق بتأجيل الجزاء او العدة بان الفصل يكون يوم القيامة (لقضى بينهم) بين الكافرين والمؤمنين او المشركين وشركائهم (وان الظالمين لهم عذاب اليم) وقرئ ان بالفتح عطفا على كلمة الفصل اى ولولا كلمة الفصل وتقدير عذاب الظالمين فى الآخرة لقضى بينهم فى الدنيا فان العذاب الاليم غالب فى عذاب الآخرة (ترى الظالمين) فى القيامة (مشفقين) خائفين (مما كسبوا) من السيئات (وهو واقع بهم) اى وباله لاحق بهم اشفقوا او لم يشفقوا (والذين امنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات) فى اطيب بقاعها وانزهها (لهم ما يشاؤن عند ربهم)

الانكار فان الجماد الذى لا يعقل شيئا كيف يصح ان يشرع لهم دينا واما انه تعالى لم يشرع لهم ذلك الدين الباطل فمن اين يدينون به من عند انفسهم بغير حجة تكون عذر الهم فى التدين به واسناد الشرع الى الاوثان مع كونها بمعزل عن الفاعلية اسناد مجازى من قبيل اسناد الفعل الى السبب او من قبيل اسناده الى ما هو على صورة الفاعل الحقيقى فى زعمهم فانهم يزعمون ان الاصنام صور الملائكة او المسيح او عزير او غيرهم من العباد الصالحين فانهم يزعمون ان هؤلاء العباد سوالهم ما هم عليه من الدين الباطل ودعوهم اليه وفى بعض النسخ صور من شبه لهم من التشبيه فالمعنى شبهلهم ان عادته تنفعهم وتنجيهم (قوله اى القضاء السابق) سمى القضاء كلمة الفصل لان الفصل قد يطلق على قطع الحكم كما قال تعالى وهو خير الفاصلين ويطلق على القول الحق ايضا كما فى قوله تعالى انه لقول فصل ولاشك ان القضاء السابق كلام لفظى متلو ووعد صادق وقول حق فلذلك اطلق عليه كلمة الفصل ويحتمل ان تكون اضافة الكلمة اليه للملابسة على ان يكون الفصل بمعنى التمييز والفرق ويكون المعنى ولولا القضاء او العدة بالفصل اى الفرق بين مكذبى هذه الامة ومكذبى الامم السالفة لانبيائهم لقضى بين هؤلاء وبين المؤمنين بما جملة هذا بهم ولاهلكوا كما اهلك اولئك الامم (قوله او المشركين وشركائهم) على ان يكون المراد بالشركاء شياطينهم والاول على ان يكون المراد بالشركاء الاوثان (قوله وتقدير عذاب الظالمين فى الآخرة) احتاج الى تقدير المضاف لان كلمة لولا تستدعى تحقق مدخولها حال التكلم بها والذى يتحقق حال التكلم هو تقدير تعذيب الظالمين لا نفس عذابهم وقرأ الجمهور وان الظالمين بكسر ان على الاستئناف ولما كان العذاب الاليم غالبا فى عذاب الآخرة بين حال الفريقين فيها على طريق الاستئناف فبدأ باحوال الكفرة فقال ترى الظالمين اى ترى الكافرين يوم القيامة خائفين من جزاء كسبهم فى الدنيا او جزاء ما كسبوه فى الدنيا وهو الشرك او التكذيب وذلك الجزاء واقع بهم البتة خافوا او لم يخافوا فلذلك اوثر لفظ واقع على يقع مع ان المعنى على الاستقبال لان الخوف انما يكون من المتوقع لا الكائن ثم ذكر احوال المؤمنين وثوابهم فقال والذين آمنوا الآية (قوله فى اطيب بقاعها) بخلاف الثانى فانه يدل على ان ما يشاؤن عنده حاصل لهم منه او غيره ولا يدل على حصول مطالبهم وذلك مستفاد من اضافة الروضة الى الجنة فى مقام الامتنان فان الاضافة تنبئ عن امتياز المضاف عن المضاف اليه وكون الامتنان بكونها اطيب بقاعها

مستفاد من كون الكلام مقام الامتنان (قوله اى مايشتهونه ثابت لهم عند ربهم)
يعنى ان قوله عند ربهم ظرف الاستقرار العامل فى لهم فيدل على ان الاشياء
حاضرة مهيئة عنده تعالى وليس ظرفا لقوله يشاؤن لانه على الاول يكون
قوله مايشاؤن باقيا على عمومه ويكون المعنى جميع ما يشتهونه حاصل لهم
منه تعالى خاصة بخلاف الثانى فانه يدل على ان ما يشاؤن عنده
حاصل لهم منه اومن غيره ولايدل على حصول جميع مطالبهم ثم قال ذلك
هو الفضل الكبير وهذا تصريح بان الجزاء المرتب على العمل الصالح انما
حصل بطريق الفضل لا بطريق الاستحقاق (قوله ذلك الثواب الذى)
اشارة الى ان ذلك مبتدأ والذى خبره على حذف الموصوف وذلك الموصوف
اما الثواب الذى اخبرالله تعالى بانه اعده لعباده او التبشير المدلول عليه
بقوله الذى يبشرالله عباده فالاشارة على الاول الى ماذكر سابقا من الكرامة
المعدة لهم وحذف الباء التى هى صلة يبشر كما فى قولك امرتك الخير ثم حذف الضمير
الراجع الى الموصول كما فى قوله تعالى اهذا الذى بعث الله رسولا فانهم لايجوزون
حذف الجار والمجرور دفعة واحدة وانما يحذفونهما على التدريج الانادرا
كما فى قولهم السمن منوان بدرهم وعلى الثانى تكون الاشارة الى مدلول قوله
الذى يبشرالله كما فى قولك هذا اخوك لا الى المذكور سابقا اذلم يتقدم فى هذه
السورة لفظ البشرى ولامايدل عليه والعائد الى الموصول محذوف ايضا لكن
لايقدر الجار والمجرور لان العائد حينئذ فى حكم المفعول المطلق فيتعدى
الفعل اليه بنفسه (قوله وقرأ ابن كثير الخ) اختار المصنف قراءة نافع
وعاصم وابن عامر يبشر الله بضم الياء وفتح الباء وكسر الشين مشددة وهو
منقول من بشره يبشره بفتح العين فى الماضى وضمها فى المضارع والتشديد فيه
للتكثير لاللتعدية لان الثلاثى متعد بنفسه وقرأ الاربعة الباقية من السبعة
يبشر بفتح الياء وضم الشين المخففة ولافرق بين القراءتين من حيث المعنى
الا ان احداهما فيها معنى التكثير لا فى الاخرى وعلى قراءة يبشر من باب
الافعال يكون منقولا من بشر بكسر الشين فانه لازم يتعدى بنقله الى باب
الافعال يقال بشرت بكذا ابشر اى استبشرت به بخلاف بشرت بالفتح
فانه متعد (قوله على ماانعاطاه) اى اخوض فيه واباشره وفى الصحاح يقال
فلان يتعاطى كذا اى يخوض فيه (قوله نفعا منكم) اشارة الى وجه
جواز كون الاستثناء متصلا كما اشار اليه بعطف قوله وقيل الاستثناء منقطع
فان ودهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكذا ودهم اهل قرابته احتراما

اى مايشتهونه ثابت لهم عند ربهم (ذلك) اشارة الى ماللمؤمنين (هو الفضل الكبير) الذى يصغر دونه مالغيرهم فى الدنيا (ذلك الذى يبشرالله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات) ذلك الثواب الذى يبشرهم الله به فحذف الجار ثم العائد او ذلك التبشير الذى يبشره الله عباده وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائى يبشر من بشره وقرئ يبشر من ابشره (قل لااسألكم عليه) على ماانعاطاه من التبليغ والبشارة (اجرا) نفعا منكم (الا المودة فى القربى)

بفضلهم ورعاية لحقهم داخل فى جنس النفع الواصل منهم اليه عليه افضل الصلاة والسلام غاية مافى الباب ان يكون اطلاق الاجر على مطلق النفع مجازا بان يكون الاجر عبارة عن العوض المالى الواجب فى مقابلة العمل (قوله ان تودونى لقرابتى منكم) اى يجوز ان يكون المراد بالمودة مودة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالقربى القرابة بمعنى الرحم ويكون كلمة فى فى قوله فى القربى بمعنى اللام متعلقة بالمودة فيكون المعنى ان تودونى لاجل قرابتى منكم كما يقال الحب فى الله اى فى حقه ومن اجله ويجوز ايضا ان يراد بالمودة مودة اهل قرابته ويكون القربى مصدرا كالزلفى والبشرى بمعنى القرابة التى يراد بها الاقارب بتقدير المضاف اى ذوى القرابة واهلها فلا يكون قوله فى القربى ظرفا لغوا متعلقا بالمودة بل يكون ظرفا مستقرا متعلقا بمحذوف منصوب على انه حال من المودة اى الا المودة ثابتة فى القربى متمكنة فيها فتكون كلمة فى على بابها كأنهم جعلوا مكانا للمودة ومقرا لها كقولك لى فى فلان مودة وهذا النظم ابلغ من ان يقال الا المودة القربى او المودة للقربى فان قيل كيف يصح ان يكون الاستثناء متصلا والحال انه يفيد كونه عليه الصلاة والسلام طالبا للاجر على تبليغ الوحى وانه لا يجوز لوجوه اولها انه تعالى حكى عن اكثر الانبياء تصريحهم بنفى طلب الاجر فقال فى قصة نوح عليه الصلاة والسلام وما اسألكم عليه من اجر الخ وكذا فى قصة هود وصالح ولوط وشعيب عليهم الصلاة والسلام ورسولنا صلى الله عليه وسلم افضل الانبياء وسيد المرسلين فكيف يليق بشأنه ان يطلب الاجر على تبليغ الوحى والرسالة وثانيها انه عليه الصلاة والسلام ايضا صرح بنفى طلب الاجر فقال قل ما اسألكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين وقال قل ما سألتكم من اجر فهو لكم وثالثها ان التبليغ كان واجبا عليه لقوله تعالى بلغ ما انزل اليك من ربك وطلب الاجر على طلب الواجب لا يليق باقل الناس قدرا فضلا عن سيد الكائنات ورابعها ان متاع الدنيا اقل الاشياء واخسها بالنسبة الى الوحى الالهى وعلم النبوة فكيف يصح فى العقل ان يطلب اخس الاشياء بمقابلة اشرف الاشياء وخامسها ان طلب الاجر يوهم التهمة وذلك ينافى القطع بصحة النبوة فثبت بهذه الوجوه انه لا يجوز منه عليه الصلاة والسلام ان يطلب الاجر على التبليغ البتة فكيف يصح ان يصدر منه ما يجرى مجرى طلب الاجر وهو المودة فى القربى اجيب عنه بانه من قبيل قول من قال

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم ❊ بهن فلول من قراع الكتائب

لان حاصله انا لا اطلب منكم الا هذا وهذا فى الحقيقة ليس باجر لان الاجر

ان تودونى لقرابتى منكم او تودوا قرابتى وقيل الاستثناء منقطع والمعنى لا اسألكم اجرا قط ولكن اسألكم المودة وفى القربى حال منها اى الا المودة ثابتة فى ذوى القربى متمكنة فى اهلها او فى حق القرابة ومن اجلها كما جاء فى الحديث الحب فى الله والبغض فى الله

(مايجب)

ما يجب بمقابلة العمل ومودة اقربائه عليه الصلاة والسلام واجبة على قريش وقد روى عن الشعبي انه قال اكثر الناس على ان المراد بالقربى فى هذه الاية على وابناه وصاحبته فكتبنا الى ابن عباس رضي الله تعالى عنه نسأله عن ذلك فكتب ابن عباس الينا ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان وسط النسب من قريش ليس بطن من بطونهم الاوقد ولده وكان له فيهم قرابة وان فرض انه عليه الصلاة والسلام لم يبعث اليهم نبيا ولم يبلغ اليهم وحى الله تعالى لان اقرباءه عليه الصلاة والسلام ذووا قراباتهم فكانت صلتهم والامتناع من ايذائهم واجبة بحكم المروءة الجبلية فودتهم فى القربى لا تكون اجر التبليغ لوجوبها عليهم مع قطع النظر عن التبليغ فلا يكون عليه الصلاة والسلام طالبا للاجر على التبليغ الا انه عليه الصلاة والسلام سماها اجرا واستثناها منه تشبيها له به وهذا القدر كاف فى صحة الاتصال ولان حصول المودة بين المسلمين امر واجب قال تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض وقال عليه الصلاة والسلام المؤمنون كالبنيان يشد بعضه بعضا والآيات والاخبار فى هذا الباب كثيرة واذا كان حصول المودة بين جمهور المسلمين واجبا فحصولها فى حق اشراف المسلمين واكابرهم اولى فكأنه قيل قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة فى القربى ومن المعلوم ان المودة فى القربى ليست اجرا فى الحقيقة فرجع حاصل الكلام الى انه لا يسأل اجرا البتة (قوله روى انها لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك) الذين وجبت علينا مودتهم يريد ان ليس المعنى الا ان تودونى لقرابتى بل المعنى الا ان تودوا قرابتى وان قرابته كل من حرمت عليهم الصدقة وهم بنو هاشم وبنو المطلب وفى الحديث حرمت الجنة على من ظلم فى اهل بيتى وآذانى فى عترتى ومن اصطنع صنيعة الى احد من ولد عبد المطلب ولم يجازه فانا اجازيه غدا اذا لقينى يوم القيامة ومن ظن ان هذه نسخت بقوله تعالى قل ما سألتكم من اجر فهو لكم فقد غلط لانه لا يصح ان ينسخ مودة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى كف الاذى عنه ولا مودة آله واقاربه ولا التقرب الى الله تعالى بطاعته لان كل واحد منها من فرائض الدين واصوله فلا يتصور نسخه (قوله وقيل نزلت) عطف على معنى قوله ومن يكتسب طاعة سيما حب آله عليه الصلاة والسلام فانه يدل على ان قوله ومن يقترف عام فى كل من يكتسب حسنة ابا بكر كان اوغيره وعلى ان قوله حسنة عام فى كل طاعة سواء كانت مودة فى آل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اوغيرها كأنه قيل كل واحد من قوله ومن يقترف ومن قوله حسنة عام وقيل كل واحد منهما خاص والعامة على حسنا التنوين وهو مصدر على

روى انها لما نزلت قيل يارسول الله من قرابتك هؤلاء قال على وفاطمة وابناهما وقيل القربى التقرب الى الله اى الا ان تودوا الله ورسوله فى تقربكم اليه بالطاعة والعمل الصالح وقرئ الا مودة فى القربى (ومن يقترف حسنة) ومن يكتسب طاعة سيما حب آل الرسول وقيل نزلت فى ابى بكر رضى الله عنه ومودته لهم (نزد له فيها) اى فى الحسنة (حسنا) بمضاعفة الثواب وقرئ يزد اى يزد الله وحسنا حسنى (ان الله غفور) لمن اذنب (شكور) لمن اطاع

بتوفية الثواب والتفضل عليه بالزيادة (ام يقولون) بل ايقولون (افترى على الله كذبا) افترى محمد بدعوى النبوة او القرآن (فان يشأ الله يختم على قلبك)

قول نحو شكر وانتصابه على انه مفعول به وقرئ حسنى بالف التأنيث بلا تنوين وهو ايضا مصدر على وزن فعلى كالبشرى والرجعى وهو مفعول به ايضا ويحتمل ان يكون صفة كفضلى فيكون وصفا لمحذوف اى خصلة حسنى والحث على الحسنة المخصوصة وهي ان يودوه عليه الصلاة والسلام لقرابته منهم ويودوا قرابته اى اقرباءه . ذكر ان كل من يقترف حسنة واحدة اى حسنة كانت يضاعفها له عشر اضعافها (قوله بتوفية الثواب والتفضل عليه بالزيادة) يعني ان الشكر من الله تعالى راد به هذا المعنى مجازا لان معناه الحقيقي وهو فعل ينبئ عن تعظيم المنعم بسبب كونه منعما لا يتصور منه تعالى لامتناع ان ينعم عليه احد حتى يقابله بالشكر شبهت اثابته اهل الطاعة وتفضله عليه بالزيادة بالشكر الحقيقي من حيث ان كل واحد منهما يتضمن الاعتداد بفعل الغير واكرامه لاجله (قوله بل أيقولون) اشارة الى ان ام منقطعة متضمنة معنى بل الاضرابية وهمزة التوبيخ والكلام المضرب عنه هو الاضراب الاول وهو قوله ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله وبيانه انه تعالى لما امر رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم بان يتلو عليهم قوله شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا الاية وساق الكلام الى ان انتهى الى الاضراب الاول أضرب عن الامر بالتلاوة الى السؤال على سبيل التقرير والتهكم اى اهم يتبعون ما شرع لهم شياطينهم من الجن والانس واجرى الكلام حتى بلغ الى مقام الاضراب الثاني فوبخهم على امر آخر اعظم من الاول وهو نسبة الافتراء الى اكرم خلق الله تعالى فقال ام يقولون اى أيقولون [illegible] العظيمة وهي ان محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم شرع من تلقاء نفسه هذا الذي دعاكم اليه وسماه دينا وذكر انه تعالى وصى به الانبياء السابقة وامرهم ان يتمسكوا به وان يأمروا اممهم بالتدين به وهذا معنى قوله افترى على الله كذبا والمعنى ايقولون انه عليه الصلاة والسلام كاذب في دعوى انه تعالى ارسله نبيا ودعوى ان القرآن كلام الله تعالى اوحى اليه بواسطة [illegible] انه مفتري عليه تعالى في ذلك لانه تعالى لم يجعله نبيا ولم يوح اليه شيأ وانه [illegible] ما عي ذلك من تلقاء نفسه وقيل ام متصلة [illegible] لهمزة الاستفهام [illegible] [illegible] يصدقونك فيما تبلغه اليوم ام يقولون افترى على الله كذبا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] مصدوقا على [illegible] [illegible] [illegible] لان اتباعهم شرع [illegible] [illegible] [illegible] دعواه النبوة [illegible] كلام الله المنزل عليه الموحى اليه [illegible]

(ثم [illegible])

في نسبة بعثته اليه وانزاله عليه لان دلائل صدقه عليه الصلاة والسلام في كل واحد منهما بلغت في القوة والكثرة الى حيث سقط معهما احتمال كونه عليه الصلاة والسلام كاذبا مفتريا كأنه قيل ايجدون من انفسهم ان ينسبوا مثله الى الافتراء ثم الى الافتراء على الله وهو اعظم الفرى وافحشها (قوله استبعاد للافتراء من مثله) لما كان ظاهر النظم يدل على ان المقصود منه المبالغة في استبعاد الافتراء من مثله كأنه قيل من كان مثلك في كونه اعرف خلق الله تعالى به واخشاهم منه واكرمهم عنده منزلة بحيث يكون آدم عليه الصلاة والسلام ومن دونه تحت لوائه كيف يصح ان يفترى عليه فان الافتراء عليه لا يصدر الا ممن كان مختوما على قلبه جاهلا بربه ابعد خلق الله تعالى منه واما صدوره عمن هو مثلك فبعيد كل البعد وانما يتوهم ذلك منه ان لو كان ممن ختم الله تعالى على قلبه فكان بحيث لا يميز بين الحق والباطل ومن البين انك لست كذلك فمن اين يتصور منك ان تفترى عليه تعالى وعن قتادة يختم الله على قلبك اى ينسيك القرءآن ويقطع عنك الوحى يعنى لو كذب على الله وافترى لانساه القرءآن ولقطع عنه الوحى ولما عمل خيرا بسبب ختم قلبه فعلى هذا يكون الكلام استدلالا على عدم كونه مفتريا بانتفاء لازمه كما انه على الاول استبعاد لاصل الافتراء عليه (قوله استئناف) يعنى تم الكلام بذكر قوله تعالى فان يشأ الله يختم على قلبك وقوله ويمح الله الباطل ليس مجزوما بالعطف على جزاء الشرط لانه تعالى يمحو الباطل مطلقا لامعلقا بالشرط ولانه لو كان مجزوما به لما انعطف عليه ما بعده مرفوعا وهو قوله ويحق الحق وسقط لام الفعل منه لفظا لالتقاء الساكنين حال الوصل وخطا ايضا حملا على اللفظ كما في قوله تعالى ويدع الانسان بالشر وقوله سندع الزبانية استبعد الله تعالى اولا صدور الافتراء على الله تعالى عن مثله عليه الصلاة والسلام ثم اقام الدليل على انه عليه الصلاة والسلام ليس مفتريا وتقرير الدليل ان من عادته تعالى ان يمحو الباطل ويثبت الحق بوحيه او بقضائه فلو كان عليه الصلاة والسلام مبطلا كذابا لما ايده بالقوة والنصرة بل يفضحه ويكشف عن باطله ولما لم يكن الامر كذلك علمنا انه ليس من الكذابين المفترين على الله تعالى ثم انه تعالى لما انكر على المشركين ووبخهم على اتباعهم ما شرع لهم شياطينهم ونسبتهم اياه عليه الصلاة والسلام الى اصل الافتراء على الله تعالى الذى هو اعظم الفرى وافحشها ندبهم الى التوبة وبشرهم انه يقبلها من كل مسيء وان عظمت اساءته فقال وهو الذى يقبل التوبة عن عباده اى من اوليائه واهل طاعته ويدل عليه اضافة التشريف فى عباده واقل مالا بد منه للتائب الندم على الماضى والترك

استبعاد للافتراء عن مثله بالاشعار على انه انما يجترئ عليه من كان مختوما على قلبه جاهلا بربه فاما من كان ذا بصيرة ومعرفة فلا وكأنه قال ان يشأ الله خذلانك يختم على قلبك لتجترئ بالافتراء عليه وقيل يختم على قلبك يمسك القرءآن والوحى عنه او يربط عليه بالصبر فلا يشق عليك اذاهم (ويمحو الله الباطل ويحق الحق بكلماته انه عليم بذات الصدور) استئناف لنفى الافتراء عما يقوله بانه لو كان مفتريا لمحقه اذ من عادته تعالى محو الباطل واثبات الحق بوحيه او بقضائه او بوعده بمحو باطلهم واثبات حقه بالقرءآن او بقضائه الذى لا مرد له وسقوط الواو من يمح فى بعض المصاحف لاتباع اللفظ كما فى قوله ويدع الانسان بالشر (وهو الذى يقبل التوبة عن عباده) بالتجاوز عما تابوا عنه والقبول يعدى الى مفعول ثان بمن

في الحال والعزم على ان لا يعود اليه في المستقبل (قوله لتضمنه معنى الاخذ والابانة) من قبيل اللف والنشر المرتب فلتضمنه معنى الاخذ تعدى اليه بعن فيقال قبلته منه اي اخذته منه وجعلته مبدأ قبولي ولتضمنه معنى الابانة والتفريق تعدى بعن فيقال قبلته عنه اي عزلته وابنته عنه وقوله تعالى ويعفو عن السيئات معناه يعفو عن الكبائر اذا تيب عنها وعن الصغائر اذا اجتنبت الكبائر كما ذكره الزمخشري بناء على مذهبه وذلك لان عفو ما تيب عنه هو عين قبول التوبة والتجاوز عما تيب عنه فيتحد المعطوف والمعطوف عليه مع ان العطف يقتضي التغاير بل المعنى ان الله تعالى من شأنه ان يقبل التوبة من عباده اذا تابوا وان يعفو عن سيئاتهم صغيرها وكبيرها التي هي غير الشرك لمن يشاء بمحض رحمته او بشفاعة شافع وان لم يتوبوا وهو مذهب اهل السنة وقالوا ايضا لا يجب عليه تعالى شئ من قبول التوبة وغيرها واحتجوا عليه بهذه الآية فقالوا انه تعالى تمدح بقبول التوبة ولو كان قبولها واجبا عليه لما حصل التمدح العظيم به وقالت المعتزلة يجب ذلك عليه تعالى عقلا (قوله وقرأ الكوفيون غير ابي بكر) اي قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم يفعلون بالياء من تحت نظرا الى قوله من عباده وقوله بعده يزيدهم من فضله والباقون بتاء الخطاب التفاتا للناس عامة او خطابا للمشركين (قوله اي يستجيب الله لهم او يستجيبون الله) يجوز ان يكون قوله الذين آمنوا في محل النصب على انه مفعول به واصل الاستجابة ان تعدى باللام كما في قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم اي اجيبوا له ولرسوله فان استجاب واجاب بمعنى قال صاحب الكشاف في تفسير سورة القصص الاستجابة تتعدى الى الدعاء بنفسها والى الداعي باللام ويحذف الدعاء اذا عديت الى الداعي في الغالب فيقال استجاب الله دعاءه واستجاب له ولا يكاد يقال استجاب له دعاءه فان قلت فقد عدى الى الداعي بنفسه في قوله

وداع دعا يا من يجيب الى الندا * فلم يستجبه عند ذاك مجيب

قلت معناه فلم يستجب دعاءه على حذف المضاف الا انه حذف اللام الداخل بها كما في قوله تعالى واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون وذا على يستجيب ضمير فيه يعود على الله ثم الاجابة يجوز ان تكون مجازا عن الاثابة على الطاعة فان الطاعة المشابهة الدعاء فيما يترتب عليها من الثواب كانت الاثابة عليها بمنزلة اجابة الدعاء فعبر عن الاثابة بالاجابة على سبيل الاستعارة كما عبر بالدعاء عن الطاعة قال عطاء عن ابن عباس يستجيبهم اي يثيبهم على طاعتهم ويزيدهم من فضله سوى ثواب اعمالهم تفضلا عليهم ويجوز ايضا ان يكون

أو من لتضمنه معنى الاخذ والابانة وقد عرفت حقيقة التوبة وعن علي هي اسم يقع على ستة معان على الماضي من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الاعادة ورد المظالم واذابة النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية واذاقتها مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته (ويعفو عن السيئات) صغيرها وكبيرها لمن شاء (ويعلم ما تفعلون) فيجازي يتجاوز عن ايقان وحكمة وقرأ الكوفيون غير ابي بكر ما يفعلون بالياء (ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات) اي يستجيب الله لهم فحذف اللام كما حذف في واذا كالوهم والمراد اجابة الدعاء والاثابة على الطاعة فانها كدعاء وطلب لما يترتب عليه ومنه قوله عليه السلام افضل الدعاء الحمد لله او يستجيبون الله بالطاعة اذا دعاهم اليها

الذين آمنوا فى محل الرفع على انه فاعل يستجيب و يكون المفعول محذوفا ا يستجيبون الله بالطاعة اذا دعاهم اليها على ان استجاب بمعنى اطاع او اجاب ويؤيد كون الموصول فاعل يستجيب ما روى انه قيل لابراهيم بن ادهم ما بالنا ندعو فلا يجاب لنا فقال لانه دعاكم فلم تجيبوه ثم قرأ قوله تعالى والله يدعو الى دار السلام اى انه تعالى دعاهم وقرأ قوله ويستجيب الذين آمنوا فاشار بقراءة قوله والله يدعو الى دار السلام الى انه تعالى دعاهم و بقراءة قوله و يستجيب الذين آمنوا الى انه لم يجب الى دعائه الا البعض (قوله على ما سألوا) على ان تكون الاستجابة فعل الله و يكون المعنى و يجيب الله دعاء المؤمنين اذا دعوه بان تكون الاجابة على اصل معناها وقوله واستحقوا على ان يكون الفعل لله تعالى و يكون بمعنى الاثابة وقوله واستوجبوا له اى استحقوا به على ان الفعل لهم و يكون بمعنى الاطاعة (قوله لتكبروا) فان البغى قد يكون بمعنى التكبر فيكون المعنى لفعلوا ما يتبع الكبر من العلو فى الارض والفساد والوجه فى كون البسط مستلزما له ان الانسان متكبر بالطبع فاذا وجد الغنى والقدرة عاد الى مقتضى خلقته الاصليه و هى التكبر واذا وقع فى شدة و بلية انكسر وعاد الى التواضع والطاعة وقد يكون بمعنى الظلم اى اظلم بعضهم بعضا ووجه تعلق الاية بما قبلها انه تعالى لما قال فى الاية الاولى انه يجيب دعاء المؤمنين او يثيبهم على طاعتهم و يزيدهم على الثواب الذى استحقوه بها او انهم يستجيبون لربهم بالطاعة اذا دعاهم اليها و يزيدهم هو تعالى على ما استحقوه بالاستجابة تفضلا وكرما ورد عليه ان يقال مقتضى الاية على جميع التقادير ان يكون المؤمن فى سعة ورفاهية اما بان يجيب الله تعالى دعاءه او بان يزيده على ما استحقه من الكرامة والحال ان المؤمن كثيرا ما يبتلى بالشدة و انواع البلية والفقر الى ان يموت ولا يظهر فيه اثر الاجابة والزيادة فكيف الجمع بين هذه الحالة و بين قوله تعالى ويستجيب الذين آمنوا فاجاب الله تعالى بان شأنه تعالى ذلك الا ان اثر الاستجابة لا يجب ان يظهر فى الدنيا فانه تعالى يدبر امر الانسان فى الدنيا على ما تقتضيه الحكمة فيفقر ويغنى و يقبض و يبسط ولو اغناهم جميعا لبغوا ولو افقرهم جميعا لهلكوا (قوله وهذا على الغالب) جواب عما يقال من ان البغى قد يكون مع الفقر فلم شرط البسط فيه فانه كم من مقبوض عليه يبغى و كم من مبسوط له بضده . و تقرير الجواب نعم ان ذا قد يكون الا ان الغالب ان يكون البسط مؤديا الى البغى والفقر مؤديا الى الانكسار والتواضع فلذلك جعل البغى مشروطا بالبسط (قوله فيقدر لهم ما يناسب من شأنهم) روى انس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم عن جبر

(ويزيدهم من فضله) على ما سألوا واستحقوا واستوجبوا له بالاستجابة (والكافرون لهم عذاب شديد) بدل ما للمؤمنين من الثواب والتفضل (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض) لتكبروا و افسدوا فيها بطرا او لبغى بعضهم على بعض استيلاء واستعلاء وهذا على الغالب واصل البغى طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى كمية او كيفية (ولكن ينزل بقدر) بتقدير (ما يشاء) ما اقتضته مشيئته (انه بعباده خبير بصير) يعلم خفايا امرهم وجلايا حالهم فيقدر لهم ما يناسب شأنهم روى ان اهل الصفة تمنوا الغنى فنزلت وقيل فى العرب كانوا

عليه الصلاة والسلام عن الله عز وجل في حديث طويل انه قال يقول الله عز وجل ما ترددت في شيء انا فاعله ترددي في قبض روح عبدي المؤمن يكره الموت واكره مساءته ولا بد له منه وان من عبادي المؤمنين لمن يسأل لي الباب من العبادة فاكفه عنه لئلا يدخله العجب ويفسده ذلك وان من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا الفقر ولو اغنيته لافسده ذلك وان من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا الصحة ولو اسقمته لافسده ذلك وان من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا السقم ولو اصححته لافسده ذلك اني ادبر امر عبادي بعلمي بقلوبهم اني عليم خبير (قوله اذا اخصبوا) اي اذا اصابهم الخصب والرخاء وهو ضدا جدبوا اذا اصابهم الجدب والقحط وصاروا اليه (قوله انتجعوا) اي طلبوا وتضرعوا من النجعة بالضم وهو طلب الكلا في موضعه وتقول منه انتجعت فلانا اذا اتيته تطلب معروفه قال شاعرهم

وقد جعل الوسمي ينبت بيننا * وبين بني رومان نبعا وشوحطا

النبع والشوحط شجر ان يتخذ منهما القوس والنشاب والوسمي مطر الربيع الاول سمي به لانه يسم الارض اي يؤثر فيها سمة النبات نسب الى الوسم والمراد به مايتفرع عليه من الغنى والخصب يعني انهم لما مطروا واخصبوا اعدوا المراكب وطلبوا القسي والاوتار والسهام وحاربوهم فصار كأن المطر والخصب انبت آلة الحرب وهي القسي والسهام ورومان بضم الراء اسم رجل ثم انه تعالى لما بين انه لا يعطيهم بما زاد على ما تقتضيه الحكمة لاجل علمه بان اعطاء ذلك يضرهم في دينهم بين انهم اذا احتاجوا الى الرزق فانه يرزقهم ولا يهملهم جوعا فقال وهو الذي ينزل الغيث خص اسم الغيث بالذكر دون المطر لاختصاص الغيث بما ينزل رحمة ونفعا فانه اسم للمطر الذي يغيث الناس من الجدب (قوله ولذلك) اي ولكون اسم الغيث منبئا عن معنى الاغاثة من الجدب خص بالمطر النافع دون الضار والاعم منهما ولما كان حصول النعمة بعد اشتداد البلية اقصى مراتب الاغاثة وجالبا لكمال الفرح والمسرة اردفه بقوله من بعد ماقنطوا لمزيد الامتنان واستدعاء الشكر (قوله وينشر رحمته في كل شيء) اشارة الى ان ضمير رحمته لله تعالى وان قوله تعالى وينشر رحمته بعد قوله وهو الذي ينزل الغيث مع ان الغيث رحمة بالقصد تعميم بعد التخصيص اي من باب عطف العام على الخاص كأنه قيل ينزل الرحمة التي هي الغيث وينشر سائر انواع الرحمة ويجوز ان يكون ضمير رحمته للغيث ويكون المعنى وينشر بركات الغيث ومنافعه وما يحصل به من الخصب ولما كان محصول هذه الاية بيان ما يدل على تفرده بالالوهية اورد آية اخرى تدل

(اذا اخصبوا تحاربوا واذا اجدبوا انتجعوا) (وهو الذي ينزل الغيث) المطر الذي يغيثهم من الجدب ولذلك خص بالنافع وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ينزل بالتشديد (من بعد ماقنطوا) ايسوا منه وقرئ بكسر النون (وينشر رحمته) في كل شيء من السهل والجبل والنبات والحيوان (وهو الولي) الذي يتولى عباده باحسانه ونشر رحمته (الحميد) المستحق للحمد على ذلك (ومن آياته خلق السموات والارض) فانها بذاتها وصفاتها تدل على وجود صانع قادر حكيم (ومابث فيهما) عطف على السموات او الخلق (من دابة)

من حى على اطلاق اسم المسبب على السبب اوبما يدب على الارض وما يكون فى احد الشيئين يصدق انه فيهما فى الجملة (وهو على جمعهم اذا يشاء) فى اى وقت يشاء (قدير) متمكن منه واذا كما تدخل على الماضى تدخل على المضارع (وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم) مما صيكم والفاء لان ما شرطية او متضمنة معناه

عليه فقال ومن آياته خلق السموات والارض الاية (قوله من حى) اشارة الى جواب مايقال من ان المبثوث فى السموات هو الملائكة فكيف يجوز اطلاق لفظ الدابة عليهم مع انه اسم لما يدب على الارض اى يمشى عليها وهم طيارون فى السماء لا مشاؤن على الارض اجاب عنه او لا بان الدابة مجاز عن الحى على على طريق اطلاق اسم المسبب على السبب فان الحياة سبب لما يدب فاطلق عليها اسم الدبيب وعلى الدابة ولاشك ان الملائكة احياء وثانيا بان المراد بالدابة معناه اللغوى وهو ما يدب على الارض والدابة بهذا المعنى وان كانت مبثوثة فى الارض فقط الا انها رجعت مبثوثة فيهما بناء على ان ما يكون فى احد الشيئين يصدق عليه انه فيهما فى الجملة ومنه قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من الملح لامن العذب وقد يسند الفعل الصادر من واحد من الجماعة اليهم جميعا لو هو معه فيما بينهم فيقال بنوا فلان فعلوا كذا وانما فعله واحد منهم ولما بين انه خلقهما متفرقة بين ان خلقهما كذلك لا لعجز ولكن لمصلحة وهو قادر على جمعهم ايضا اى وقت شاء يعنى الجمع للحشر والجزاء والحساب فقال وهو على جمعهم اذا يشاء قدير (قوله وهو) مبتدأ وقدير خبره وعلى جمعهم متعلق بقدير واذا يشاء طرف لجمعهم لالقوله قدير لان اذا طرف لما يستقبل وقدرته تعالى ازلية وغير معلقة بالمشيئة (قوله واذا كما تدخل على الماضى) لما كان اذا للقطع والماضى هو الذى يدل على القطع كان دخوله على الماضى اصلا وعلى المضارع خلافه ولما كان الجمع المذكور فى قوله وهو على جمعهم اذا يشاء قدير جما للحساب والجزاء بين الله تعالى انه مطهر عبده المؤمن من جناياته بانواع من المصائب ليخفف عنه اثقاله فى القيامة فقال وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم من المعاصى لان ما اصاب المذنبين من اهل الايمان من المكاره كالآلام والاسقام والقحط والغرق والصواعق ونحوها عقوبات على الذنوب السالفة ويعفو الله تعالى عن كثير من ذنوبهم فلا يعاقب بها بحكم هذه الآية الكريمة * عن الحسن انه قال لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ما من خدش عود ولاعثرة قدم ولااختلاج عرق الا بذنب وما يعفوالله عنه اكثر وعن على رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير آية فى كتاب الله تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير ثم قال يا على ما من خدش عود ولاعثرة قدم ولا نكبة حجر الا بذنب وما يعفوالله عنه اكثر وما عاقب الله عبده فى الدنيا بذنب فالله ارحم من ان يثنى عليه عقوبته فى الآخرة وما عفا الله عن عبده فى الدنيا من ذنب فالله اكبر من ان يعود فيما قد عفا عنه رواه الواحدى فى الوسيط

وقال اذا كان كذلك فهسذه ارجى آية فى كتاب الله تعالى لان الله تعالى جعل ذنوب المذنبين صنفين صنف كفره عنهم بالمصائب وصنف عفا عنه فى الدنيا وهو كريم لا يرجع فى عفوه وهذه سنة الله تعالى فى ذنوب المؤمنين واما الكافر فلا يعجل له عقوبة ذنبه حتى يوافى به يوم القيامة والآية مخصوصة بالمذنبين من اهل الايمان واما الانبياء عليهم الصلاة والسلام والصبيان والمجانين فما اصابهم من الم ونكبة فليثابوا به فى الآخرة او لحكمة لا يعلمها الا الله تعالى مع ان قوله تعالى ما اصابكم وايديكم خطاب مع من يفهم ويعقل فلا يدخل فيه الاطفال والمجانين والبهائم ومنهم من انكر كون المكاره المذكورة اجزية للذنوب السالفة استدلالا بان الدنيا دار تكليف والجزاء انما يحصل يوم القيامة لقوله تعالى اليوم تجزون ما كنتم تعملون اليوم تجزى كل نفس بما كسبت ولقوله مالك يوم الدين اى يوم الجزاء فاجمعوا على ان المراد به يوم القيامة وحملوا قوله تعالى فبما كسبت ايديكم على ان الاصلح عند اتيانكم بذلك المكسوب انزال هذه المصائب عليكم (قوله ولم يذكرها) اى ولم يذكر الفاء بل قرأ بما كسبت بغير فاء والظاهر على هذه القراءة ان تكون ما موصولة بمعنى الذى وبما كسبت خبرها والموصولة التى صلتها فعل وان تضمنت معنى الشرط الا ان ذلك يجوز دخول الفاء فى خبرها ولا يوجبه وقيل انها شرطية حذفت الفاء من جوابها كما فى قوله تعالى وان اطعتموهم انكم لمشركون وقوله من قال من يفعل الحسنات الله يشكرها فان الجواب اذا كان جملة اسمية يجب دخول الفاء ولا يجوز حذفها عند جمهور النحاة وانما يجوز حذفها عند الاخفش وبعض البغداديين ثم انه تعالى ذكر آية اخرى تدل على وجود الاله القادر الحكيم وهى ان هذه السفن العظيمة التى فى عظمها وثقلها كالجبال تجرى على وجه البحر عند هبوب الرياح على اسرع الوجوه وعند سكون الرياح تقف ومن المعلوم ان محرك الرياح ومسكنها هو الله تعالى اذ لا يقدر على تحريكها ولا على تسكينها احد من البشر فيكون جرى السفن ووقوفها من الآيات الدالة على وجود الاله القادر الحكيم ووقوفها على الماء مع غاية ثقلها آية اخرى وفى تسخير السفن على الوجه المذكور حكمة بالغة ومنة عظيمة له تعالى علينا فانه تعالى خص كل جانب من جوانب الارض بنوع آخر من الامتعة فاذا نقل متاع هذا الجانب بالسفن الى الجانب الآخر وبالعكس حصلت المنافع العظيمة للتجار فلهذه الاسباب ذكر الله تعالى حال السفن الجارية قرأ نافع وابو عمرو والجوارى بالياء حال الوصل دون الوقف وقرأ ابن كثير بالياء حال الوصل والوقف والباقون بحذف

ولم يذكرها نافع وابن عامر استغناء بما فى الباء من معنى السببية (ويعفو عن كثير) من الذنوب فلا يعاقب عليها والاية مخصوصة بالمجرمين فان ما اصاب غيرهم فلاسباب أخر منها تعريضه للاجر العظيم بالصبر عليه (وما انتم بمعجزين فى الارض) فائتين ما قضى عليكم من المصائب (وما لكم من دون الله من ولى) يحرسكم منها (ولا نصير) يدفعها عنكم (ومن آياته الجوار) السفن الجارية (فى البحر كالاعلام) كالجبال قالت الخنساء

الياء في الوصل والوقف فاثبات الياء على الاصل وحذفها للتخفيف والجواري جمع جارية وهي السائرة في البحر والمراد بها السفن فحذف الموصوف لعدم الالتباس فان قوله في البحر قرينة معينة للمراد فلا يرد ان يقال الصفة متى لم تكن خاصة بموصوفها امتنع حذف الموصوف فلا يقال مررت بماش لان المشي من الصفات العامة والجري ليس من الصفات الخاصة بالسفن فلم حذف موصوفها ويجوز ان يقال الجواري وان كان في الاصل من الصفات المشتقة كما ذكر الا انه صار بمنزلة الاسماء الجامدة لكونه اسما للسفن بالغلبة قال تعالى لما طغى الماء حملناكم في الجارية يعني السفينة فلا حاجة الى تقدير الموصوف والاعتذار لحذفه وقوله في البحر متعلق بالجواري اذا لم ينزل منزلة الجامد بان يكون الجارية اسما للسفينة بالغلبة ويكون في البحر حالا منه اوصفة له اي كائنة في البحر او الكائنة فيه وكذا قوله كالاعلام واتفقوا على ان المراد بالاعلام الجبال واستشهدوا على اطلاق العلم على الجبل بقول الخنساء في مرثية اخيها صخر

وان صخرا لتأتم الهداة به ❊ كانه علم في رأسه نار

روى ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم استنشد قصيدتها هذه فلما وصل الراوي الى هذا البيت قال قاتلها ما رضيت تشبيهه بالجبل حتى جعلت في رأسه نارا (قوله فيبقين ثوابت) كانه اشارة الى ان يظللن ليس بمعنى انهن يركدن ويثبتن بالنهار دون الليل وهو اصل معناه يقال ظللت اعمل كذا بالكسر ظلولا اذا عملته بالنهار دون الليل ولا وجه لتقييد ركودهن بوقت الظلول وهو النهار فلما سبب ان يكون يظللن رواكد بمعنى يصرن ثوابت بعدما كانت جواري بريح طيبة وقوله يبقين ثوابت بيان لحاصل المعنى (قوله تعالى ان في ذلك) اي في اجراء السفن بارسال الريح اللائقة مع القدرة على اسكان الريح المستلزم لكونها ثوابت على ظهر البحر (قوله لكل من وكل همه) اي استعمالها واستعانتها على الصبر اي على حبس النفس على النظر في آيات الله تعالى والاعتبار بها والتفكر في آلائه المؤدي الى اداء شكرها بقدر الطاقة فالشكر نتيجة الصبر على النظر والفكر المذكورين (قوله او لكل مؤمن كامل) اي كامل في رعاية حقوق الايمان وثمراتها بان يكون آتيا بجميع ما كلف به من الافعال والتروك فيكون مجموع قوله صبار شكور كناية واحدة عن المؤمن الموصوف لان مرجع ما فيه من الاوصاف والاحوال الى الصبر على مرارة الطاعة ومرارة كف النفس عن المحرمات اللذيذة للنفس الامارة والى الشكر على ما اعطاه الله من النعماء فان المؤمن لا يخلو عن السراء

وان صخر التأتم الهداة به ❊ كانه علم في رأسه نار (ان يشأ يسكن الريح) وقرأ نافع الرياح (فيظللن رواكد على ظهره) فيبقين ثوابت على ظهر البحر (ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور) لكل من وكل همه وحبس نفسه على النظر في آيات الله والتفكر في آلائه او لكل مؤمن كامل فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر (اويوبقهن)

والضراء فان كان فى السراء شكر وان كان فى الضراء صبر ولا يجتمعهما فى تينك الخصلتين الا من آمن بالله واليوم الآخر وهذا كما يكنى بمجموع الطويل العريض العميق عن الجسم وبمجموع حى مستوى القامة عريض الاظفار عن الانسان (قوله او يهلكهن) اى او يهلك اصحابهن باغراق السفن بالريح العاصفة اى الشديدة يقال عصفت الريح اذا اشتدت والايباق الاهلاك فقوله او يوبقهن معطوف على المجزوم قبله وهو يسكن والمعنى ان يشأ يوبقهن ثوابت على ظهر البحر باسكان الريح اويهلكهن فهو من حيث اللفظ معطوف على قوله فيظللن رواكد على ظهره لانه الذى تعلق به المشيئة ومن حيث المعنى معطوف على ارسال الريح العاصفة المغرقة فاقتصر على المقصود ولم يتعرض لسببه اعتمادا على دلالة المقام عليه بل عطف المقصود الثانى على سبب المقصود الاول واشار اليه بقوله واصله او يرسلها فيوبقهن بعطفه على جواب الشرط مع ما عطف عليه فان يسكن جواب الشرط وقوله فيظللن عطف عليه وسبب مقصود منه وحذف من المعطوف السبب واقتصر على المقصود للاختصار وعدم الالتباس كما اقتصر على المقصود فى قوله ويعف عن كثير فان انجاء الكثير بطريق العفو ايضا مسبب عن ارسال الريح عاصفة وقوله ويعف مجزوم معطوف على قوله يوبقهن فكما ان الايباق مسبب عن الارسال فكذا الانجاء والعفو (قوله عطف على علة مقدرة) قرأ من عدا نافع وابن عامر من السبعة ويعلم بالنصب وذكر المصنف لهذه القراءة وجهين الاول انه عطف على علة مقدرة للايباق المرتب على مشيئة ارسال الريح عاصفة كانه قيل اوان يشأ يرسلها عاصفة فيوبقهن بما كسبوا لينتقم منهم وليعلم الذين يجادلون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتباعدون ويكذبونهم ان لا مخلص لهم من عقاب الله اذا عاقبهم فانهم اذا علموا ان السفن اذا ركدت على متن البحر باسكان الريح اوغرقت فى البحر بارسالها عاصفة عرفوا ان لا محيص لهم من هذه الورطة غير الله تعالى فيعلمون لا محالة ان لا مخلص لهم من عقابه اذا عاقبهم والعطف على العلة المقدرة كثير فى القرءان منه قوله تعالى فى سورة مريم ولنجعله آية للناس تقديره لنبين له قدرتنا ولنجعله آية وقوله تعالى فى الجاثية خلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت اى ليدل بهما على قدرته ولتجزى كل نفس الا ان ذلك فى هاتين الايتين مع وجود حرف التعليل ولم يوجد فيما نحن فيه والثانى انه معطوف على جزآء الشرط الا انه نصب باضمار أن كما تقول ما تصنع اصنع واكرمك بالنصب وان شئت قلت واكرمك بالرفع على تقدير وانا اكرمك واذا نصبت

أو يهلكهن بارسال الريح العاصفة المغرقة والمراد اهلاك اهلها لقوله (بما كسبوا) واصله او يرسلها فيوبقهن لانه قسيم يسكن فاقتصر فيه على المقصود كما فى قوله (ويعف عن كثير) اذ المعنى او يرسلها عاصفة فيوبق ناسا بذنوبهم وينج ناسا على العفو عنهم وقرئ ويعفو على الاستئناف (ويعلم الذين يجادلون فى آياتنا) عطف على علة مقدرة مثل لينتقم منهم ويعلم او على الجزآء

او نصب نصب الواقع جوابا للاشياء الستة لانه ايضا غير واجب وقرأ نافع وابن عامر بالرفع على الاستئناف وقرى بالجزم عطفا على يعف فيكون المعنى او يجمع بين اهلاك قوم وانجاء قوم وتحذير آخرين (ما لهم من محيص من العذاب . والجملة معلق عنها الفعل (فما اوتيتم من شئ فمتاع الحياة الدنيا) تتمتعون به مدة حياتكم (وما عند الله) من ثواب الآخرة (خير وابقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) لخلوص نفعه ودوامه وما الاولى موصولة تضمنت معنى الشرط من حيث ان ايتاء ما اوتوا سبب التمتع بها فى الحياة الدنيا

يكون باضمار أن وتكون فى محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف او على انه مبتدأ حذف خبره اى وشأنى اكرامك او وعلى اكرامك ايضا . مثل معنى الرفع فى القطع والاستئناف مع زيادة مبالغة فى المعنى والكوفيون يسمون هذه الواو واو الصرف لكونها صارفة للمعطوف عن اعراب ما قبله والمعطوف على المجزوم اذا صرف عنه نصب (قوله ونصب نصب الواقع جوابا للاشياء الستة) جواب عما يقال المضارع انما ينتصب بعد الواو والفاء بان مضمرة اذا وقع بعد الاشياء الستة التى هى الامر والنهى والنفى والاستفهام والتمنى والعرض ويعلم لم يقع بعد شئ منها فكيف جاز ان ينتصب بان مضمرة وتقرير الجواب انه انتصب المضارع الواقع بعد الجزاء بان المضمرة كما ينتصب الواقع بعد الاشياء الستة تشبيها للجزاء بالاشياء الستة من حيث ان مضمون كل واحد منهما ليس محقق الوجود اما مضمون تلك الاشياء فظاهر واما مضمون الجزاء فلكون وجوده مشروطا بوجود الشرط ووجود الشرط مفروض مقدر فلم يكن شئ منهما موجودا حقيقة فلما شابه الجزاء تلك الاشياء صار الواقع بعد الجزاء كالواقع بعدها فانتصب بان المضمرة وانتصب المضارع بعد الفاء فى قول الشاعر

سأترك منزلى لبنى تميم ✿ وألحق بالحجاز فأستريحا

يعنى ان المضارع غير ثابت المعنى كالتمنى والترجى ونحوهما فلذلك جاز أن ينتصب ألحق وما بعده وان لم يقع بعد الاشياء الستة ولا بعد الجزاء قيل فى توجيهه انه لما كان مستقبلا ضارع النفى وحمله الرضى على ضرورة الشعر (قوله بالرفع على الاستئناف) ثم الاستئناف اما بجملة فعلية على ان يكون الموصول مع صلته فى محل الرفع على انه فاعل يعلم واما بجملة اسمية على ان يكون فى محل النصب على انه مفعول يعلم وفاعله مستتر فيه راجع الى المبتدأ المقدر قبله اى وهو يعلم الذين الخ وعلى التقديرين تكون هذه الجملة معطوفة على جملة قوله ومن آياته الجوارى اى ومن آياته الدالة على كمال القدرة السفن الجارية فى البحر ثم ذكر ان وجه الدلالة انها مسخرة تحت امره الذى يتضمن تارة نفع من فيها وتارة بالعكس ثم قال ويعلم الذين يعاندون ولا يعترفون بآيات الله الباهرة ما لهم من محيص وهذه الجملة المنفية فى محل النصب لسدها مسد مفعولى العلم علق عنها الفعل بحرف النفى (قوله وقرئ بالجزم) فتكسر الميم لالتقاء الساكنين ولما ورد ان يقال لو جزم يعلم بالعطف على يعف لزم ان يكون العلم من نتيجة اعصاف الريح وكونه كذلك غير ظاهر فاوجه الجزم اشار الى دفعه بقوله فيكون المعنى او يجمع الخ يعنى ان قوله ويعلم الذين

يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص تحذيراً لهم وبهذا الاعتبار يصح جعله من تتابع اعصافها والمعنى ان يشأ يعصف الريح فيجمع بين امور ثلاثة هلاك قوم ونجاة قوم وتحذير آخرين فههنا فرق ثلاث فرقة هالكة وفرقة ناجية وفرقة محذورون من خبر الاولين ووجه كونه تحذيراً ان علمهم بذلك انما يكون باعلام الله تعالى اياهم واعلامه اياهم تحذيراً لهم ثم انه تعالى لما ذكر دلائل الوحدانية وكمال القدرة اردفهما بالتنفير عن الدنيا وتحقير شأنها لان المانع من قبول الدليل هو الرغبة في الدنيا فقال عز وجل من قائل وما اوتيتم من شيء الآية ونزولها في حق ابي بكر رضي الله عنه لا ينافي اتصالها بما قبلها بهذا الوجه (قوله فجازت الفاء في جوابها) اي في خبرها سمى الخبر جوابا نظرا الى تضمن المبتدأ معنى الشرط وقيل ما الاولى شرطية وهي في محل النصب على انه مفعول ثان لاوتيتم بمعنى اعطيتم والاول هو ضمير المخاطبين قام مقام الفاعل وقدم المفعول الثاني لان له صدر الكلام وقوله من شيء بيان لما الشرطية لما فيها من الابهام وقوله فمتاع جواب الشرط فلذلك دخلت الفاء عليه ومتاع خبر مبتدأ محذوف اي فهو متاع وما الثانية موصولة مبتدأ وخبر خبرها وقوله للذين متعلق بابقى نبه على خساسة الدنيا وانقراضها بتسميتها متاع الحياة الدنيا ثم وصف ثواب الآخرة بانه خير وابقى ثم بين ان هذه الخيرية بالنسبة الى من كان موصوفا بالصفات وجمع بينها وهي الايمان والتوكل على الرب تعالى لا على عمله نفسه والاجتناب من كبائر الاثم والفواحش ومغفرة الجاني والانتقام منه والاستجابة للرب تعالى اي اجابته الى ما دعاهم اليه من توحيده وطاعته (قوله تعالى والذين يجتنبون) في موضع الجر عطفا على قوله للذين آمنوا وكذا قوله والذين استجابوا لربهم بطريق عطف الصفة على الصفة لان الذات واحدة اوفي موضع النصب بتقدير اعني اوالرفع بتقديرهم الاول يسمى نصبا على المدح والثاني رفعا على المدح (قوله وبناء يغفرون الخ) يعني ان هم مبتدأ ويغفرون خبره واذا منصوب بيغفرون والجملة الاسمية عطف على الفعلية قبلها وهي قوله يجتنبون والتقدير والذين يجتنبون وهم يغفرون فدم المسند اليه في الجملة الثانية للدلالة على انهم الاخصاء المتميزون بالعفو عمن اغضبهم وآذاهم لا يذهب الغضب عقولهم كما يذهب عقول الناس والاخصاء جمع خصيص بمعنى المختص مثل قريب واقرباء يقال اختص بكذا اذا انفرد به وتميز والاضافة في قوله كبائر الاثم بمعنى من اي الكبائر من جنس الاثم قيل كبير الاثم هو الشرك وقال الامام هو عندي ضعيف لان شرط الايمان قد ذكر وهو يغني عن ذكر الاجتناب عن الشرك فالظاهر ان يقال كبائر الاثم تعم كل

فجازت الفاء في جوابها بخلاف الثانية وعن علي رضي الله عنه تصدق ابو بكر رضي الله عنه بماله كله فلامه جمع فنزلت (والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون) عطف على للذين آمنوا اومدح منصوب او مرفوع وبناء يغفرون على ضميرهم خبرا للدلالة على انهم الاحقاء بالمغفرة حال الغضب وقرأ حمزة والكسائي كبير الاثم (والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلاة)

كبيرة والفواحش جمع فاحشة وهي القبيحة وقيل هي المفرطة في القبح ثم قيل هما وصفان لعظائم الذنوب والعطف لتغاير الوصفين والموصوف واحد كأنه قيل يجتنبون المعاصي وهي عظيمة عند الله في الوزر وقبيحة عند العقل والشرع وقال السدي المراد بالفواحش ههنا الزنى وقال مقاتل هي ما يوجب الحد في الدنيا والعذاب في الآخرة (قوله نزلت في الانصار) لعله اشار به الى جواب ما يقال الاستجابة للرب تعالى اليس قد فهم من قوله تعالى للذين آمنوا وما ذكر بعده الى ههنا فا الفرق بينه وبين ماقبله حتى يعطف احدهما على الآخر وتقرير الجواب انه من قبيل عطف الخاص على العام بان يكون ما سبق عليه عبارة عن المؤمنين الذين يجمعون الصفات المذكورة ثم عطف عليه الانصار الذين استجابوا لربهم الحسنى كمال الاجابة والانقياد للاشارة الى انهم لكمال استجابتهم كأنهم ليسوا من عداد المؤمنين الموصوفين فيكون التعريف في المعطوف للعهد الخارجي قال الامام فان قالوا اليس انه لما جعل الايمان شرطا فيه فقد دخل في الايمان اجابة الله تعالى قلنا الاقرب عندي ان تحمل الاجابة على تمام الرضى بقضاء الله تعالى من صميم القلب وان لا يكون في قلبه منازعة بوجه من الوجوه ولا يلزم منه معنى تحصل فلذلك لم يلتفت اليه المصنف ومن امهات الفضائل اقامة الصلاة اى اتمام الصلوات الخمس برعاية جميع اركانها وشرائطها وسننها وآدابها (قوله ذو شورى) يعني ان شورى مصدر بمعنى التشاور كالفتيا بمعنى الافتاء والمعنى ان التشاور كان حالهم المستمرة ويدل عليه عطف الاسمية على الفعلية حيث قيل واقاموا الصلاة وامرهم شورى وبولغ فيه بجعل امرهم نفس الشورى مدحهم بذلك تنبيها على انه خصلة ممدوحة من الحسن ما تشاور قوم الاهدى والارشد امرهم (قوله على ما جعله الله لهم) اى ليس المراد من الانتصار الانتقام ممن بغى عليهم وظلمهم مطلقا باى وجه كان بل المراد الانتقام على الوجه الذي عينه الله تعالى لهم وهو رعاية المماثلة وعدم التجاوز عما حده لهم * عن النخعي انه كان اذا قرأها قال كانوا يكرهون ان يذلوا انفسهم فيجترئ عليهم الفساق قال تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به وقال وجزاء سيئة سيئة مثلها الى غير ذلك والمقصود من هذه الاية وصفهم بالشجاعة لان البغي الذي هو الظلم والتعدي اذا يصيبهم من اهل الشوكة والعلبة واذا انتقموا منهم بالحد المشروع كراهة التذلل وردعا للجاني عن الجراءة على الضعفاء فقد ثبت شجاعتهم وصلابتهم في دين الله ولهذا قال العفو مندوب اليه ثم قد ينعكس الامر في بعض الاحوال فيصير ترك العفو مندوبا اليه بان ادى الى كف زيادة البغي وقطع مادة الاذى دل عليه

نزلت في الانصار دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الايمان فاستجابوا واقاموا الصلاة (وامرهم شورى بينهم) ذو شورى لا يتفردون برأي حتى يتشاوروا ويجتمعوا عليه وذلك من فرط تدبرهم وتيقظهم في الامور وهي مصدر كالفتيا بمعنى التشاور (ومما رزقناهم ينفقون) في سبيل الخير (والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون) على ما جعله الله لهم كراهة التذلل وهو وصفهم بالشجاعة بعد وصفهم بسائر امهات الفضائل

وهو لايخالف وصفهم بالغفران فانه ينبئ عن عجز المغفور والانتصار عن مقاومة الخصم والحلم على العاجز محمود وعلى المتغلب مذموم لانه اجراء واغراء على البغي ثم عقب وصفهم بالانتصار بالمنع عن التعدي فقال (وجزآء سيئة سيئة مثلها) وسمى الثانية سيئة للازدواج اولانها تسوء من تنزل به (فمن عفا واصلح) بينه وبين عدوه (فاجره على الله) عدة مبهمة تدل على عظم الموعود (انه لايحب الظالمين) المبتدئين بالسيئة والمتجاوزين في الانتقام (ولمن انتصر بعد ظلمه) بعد ما ظلم وقد قرئ به (فاولئك ما عليهم من سبيل) المعاتبة والمعاقبة (انما السبيل على الذين يظلمون الناس) يبدؤنهم بالاضرار او يطلبون مالا يستحقونه تجبرا عليهم (ويبغون في الارض بغير الحق اولئك لهم عذاب اليم) على ظلمهم وبغيهم (ولمن صبر) على الاذى (وغفر) ولم ينتصر (ان ذلك لمن عزم الامور)

ماروى ان زينب اسمعت عائشة رضي الله عنها بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان صلى الله عليه وسلم ينهاها فلاتنتهي فقال عليه الصلاة والسلام لعائشة رضي الله عنها دونك فانتصري والاسماع السب (قوله وهو لايخالف وصفهم بالغفران) جواب عما يقال انه تعالى جعل العفو عن الجاني وغفرانه صفة مدح حيث جعله سببا لاستحقاق الثواب الباقي وهو يدل على ان ضده وهو الانتصار من الباغي صفة نقصان وقد جعل في هذه الآية صفة مدح ايضا فكيف يكون كل واحد من المتقابلين صفة مدح وتقرير الجواب ان الغفران عبارة عن التجاوز عن ذنب الذليل العاجز والانتصار من الباغي وهو الانتقام من الظالم الغالب فلا تقابل بينهما حتى يلزم من كون احدهما صفة مدح كون الاخر صفة نقصان والحاصل ان العفو على قسمين احدهما العفو الذي يكون سببا لتسكين الفتنة ورجوع الجاني عن جنايته والثاني مايكون سببا لمزيد جرأة الجاني وازدياد سفاهته فاية العفو محمولة على القسم الاول وهذه الاية محمولة على القسم الثاني فلامخالفة (قوله ثم عقب وصفهم بالانتصار) اى اورد عقيب وصفهم بالانتصار والشجاعة قوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها لاجل المنع عن التعدي والبيان لحد الانتصار (قوله وسمى الثانية سيئة) جواب عما يقال جزاء السيئة مشروع مأذون فيه وكل مشروع حسن فكيف سمى سيئة ثم انه تعالى بين ان العفو اولى فقال فمن عفى واصلح فاجره على الله وفي الحديث اذا كان يوم القيامة ينادي مناد من كان له على الله اجر فليقم قال فيقوم خلق فيقال لهم ما اجركم على الله فيقولون نحن الذين عفونا عمن ظلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة باذن الله تعالى ثم قال في مقام التحريض على العفو انه لايحب الظالمين فدل ذلك على ان الانتصار لايكاد يؤمن فيه تجاوز الحد والاعتداء لانه يكون في حال الغضب فربما يكون المجازي من الظالمين وهو لا يشعر به وقال مقاتل المراد بالظالمين المبادئون بالظلم واللام في قوله تعالى ولمن انتصر بعد ظلمه لام الابتداء دخلت على المبتدأ ومن يجوز ان تكون شرطية وهو الظاهر والفاء في فاولئك جواب الشرط وان تكون موصولة ودخلت الفاء في خبرها لتضمنها معنى الشرط وقوله تعالى بعد ظلمه من اضافة المصدر الى مفعوله كقوله تعالى بسؤال نعجتك ومن دعاء الخير اى من بعد ظلم الظالم اياه فاولئك المنتصرون ما عليهم لاحد من سبيل بلوم اوعقوبة لانهم فعلوا ماابيح لهم من الانتصار (قوله او يطلبون مالايستحقونه) تفسير ثان لقوله يظلمون الناس اعم من الاول يتناول الاضرار ابتداء والمجازاة على سبيل الاعتداء ولو كان تفسيرا لقوله ويبغون في الارض بغير الحق لكان المناسب

اى ان ذلك منه فحذف كما حذف فى قولهم السمن منوان بدرهم للعلم به (ومن يضلل الله فما له من ولى من بعده) من ناصر يتولاه من بعد خذلان الله اياه (وترى الظالمين لما راوا العذاب) حين يرونه فذكر بلفظ الماضى تحقيقا (يقولون هل الى مرد من سبيل) اى الى رجعة الى الدنيا (وتراهم يعرضون عليها) على النار و يدل عليها العذاب (خاشعين من الذل) متذللين متقاصرين ﴿ ٦٩ ﴾ مما يلحقهم من الذل (ينظرون من طرف خفى) اى يبتدئ نظرهم الى النار من تحريك لاجفانهم ضعيف كالمصبور ينظر الى السيف (وقال الذين امنوا ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم) بالتعريض للعذاب المخلد (يوم القيامة) ظرف لخسروا والقول فى الدنيا او لقال اى يقولون اذا راوهم على تلك الحال (الا ان الظالمين فى عذاب مقيم) تمام كلامهم او تصديق من الله لهم (وما كان لهم من اولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل) الى الهدى او النجاة (استجيبوا لربكم من قبل ان ياتى يوم لامرد له من الله) لا يرده الله بعد ما حكم به ومن صلة لمرد وقيل صلة ياتى اى من قبل ان ياتى يوم من الله لا يمكن رده (مالكم من ملجأ) مفر (يومئذ ومالكم من نكير) انكار لما اقترفتموه لانه مدون فى صحائف اعمالكم يشهد عليه السنتكم وجوارحكم (فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظا) رقيبا او محاسبا (ان عليك الا البلاغ) وقد بلغت (وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة فرح بها) اراد بالانسان الجنس لقوله (وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم فان الانسان كفور) بليغ الكفر ان ينسى النعمة رأسا و يذكر البلية و يعظمها ولا يتأمل سببها وهذا وان اختص بالمجرمين جاز اسناده الى الجنس لغلبتهم واندراجهم فيه وتصدير الشرطية

ان يؤخر عنه وان يقال و يطلبون بالواو دون اولا ان تفسير القاضى يعين الاحتمال الثانى حيث قال يظلمون الناس ابتداء واعتداء فى الانتصار و يبغون فى الارض بغير الحق يطلبون ما لا يستحقونه او يتكبرون فيها و يعلون تجبرا (قوله اى ان ذلك منه) اللام فى قوله ولمن صبر موطئة القسم ومن شرطية وقوله لمن عزم الامور جواب القسم المقدر ساد مسد جواب الشرط او لام الابتداء ومن موصولة مبتدأ ونهاية صلته وغفر وان مع اسمها وخبرها خبر المبتدأ وعلى التقديرين العائد الى من محذوف لدلالة فحوى الكلام عليه اى ان ذلك منه لمن عزم الامور كما فى قولهم السمن منوان بدرهم اى منوان منه بدرهم والمعنى ان الصبر على الظلم والاذى والتجاوز عمن ظلمه لمن معزومات الامور التى ندب الله اليها فينبغى ان يوجبه العاقل على نفسه و يعزم عليه ولا يرخص فى تركه او من عزائم الله التى لم تنسخ ولا تنسخ ابدا (قوله تعالى يقولون هل الى مرد من سبيل) فى موضع الحال من الظالمين لان الرؤية بصرية وكذا قوله يعرضون وخاشعين و ينظرون حال ايضا والطرف مصدر فى الاصل ولهذا لم يجمع قوله تعالى ومن يضلل الله اى ومن يغوه و يخلق فيه فعل الضلالة لاختياره ذلك ومباشرته اسبابه فليس له من يلى ارشاده ومعونته ومنع العذاب عنه (قوله مما يلحقهم من الذل) اشارة الى ان قوله من الذل متعلق بخاشعين ومن للتعليل اى من اجل الذل والمصبور من حبس وقيد ليقتل ذكر الله تعالى حالهم عند عرضهم على النار فقال خاشعين اى خاضعين حقيرين لسبب ما لحقهم من الذل والهوان يسارقون النظر الى النار خوفا منها اذلة فى انفسهم كما ينظر من قدم ليقتل الى السيف فانه لا يقدر ان ينظر اليه بملء عينه ثم انه تعالى لما وصف حال الكفار حكى ما يقوله المؤمنون فيهم فقال وقال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيامة الآية فقوله تعالى وقال يجوز ان يكون ماضيا على حقيقته و يكون يوم القيامة معمولا لخسروا وان يكون بمعنى يقول فيكون يوم القيامة معمولا له اى الخسران فى الحقيقة لهؤلاء الذين حرموا منافع انفسهم واهليهم واهلكوها

واهليهم باغوائهم وتمر بضهم للعذاب المخلد وحرموا الحور المعدة لهم في الجنة لو آمنوا بتركهم الايمان ثم انه تعالى لما اطنب في ذكر الوعد والوعيد ذكر بعده ماهو المقصود من ذكرهما فقال استجيبوا لربكم اى اجيبوا داعى ربكم يعنى محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال فان اعرضوا عن استجابته ولم يقبلوا هذا الامر فما ارسلناك عليهم حفيظا تحفظ اعمالهم وذلك تسلية من الله عز وجل لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم بين السبب في اصرارهم على الكفر فقال وانا اذا اذقنا الانسان اى الجنس و يدل على ارادة الجنس قوله وان تصبهم فانه لولم يرد به الجنس لما رجع اليه ضمير الجمع والمعنى ان قلبهم مملوء بحب الدنيا يفرحون باقبالها و يغتمون بزوالها يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون فلا يستجيبون لمن دعا الى سعادة الآخرة لذلك واعلم ان نعم الدنيا وان كانت عظيمة الا انها بالنسبة الى سعادة الآخرة كالقطرة بالنسبة الى البحر فلذلك سمى الانعام بها اذاقة بين تعالى ان الانسان اذا حصل له هذا القدر الحقير في الدنيا فرح وعظم غروره ووقع في العجب والكبر و يظن انه فاز بكل المنى و وصل الى اقصى السعادات وذلك لجهله بحال الدنيا و بحال الآخرة ثم بين انهم اذا اصابهم سيئة اى حالة تسوءهم كالمرض والفقر والقحط فانهم يظهرون الكفران لما تقدم من نعم الله عليهم و ينسون و يجحدون باول شديدة جميع ماسلف من النعم فقوله ان الانسان من وقوع الظاهر موقع المضمر اى فانه كفور وذلك للتسجيل على ان شان هذا الجنس كفران النعم ولهذا التسجيل اقام علة الجزاء مقامه فقال فان الانسان كفور يدل ان يقال فانه يذكر البلاء و ينسى النعم و يحقرها و يترك شكرها ثم انه تعالى لما بين شان الانسان وانه فى حالتى الانعام عليه واصابته بشئ ممايسوءه مشتغل بالنعمة عن المنعم ان اعطى اغتر وازداد حرصا ورغبة وان منع ازداد حزنا على فقده وكفرانا بين ان ملك السموات والارض لله تعالى وحده فله التصرف فيهما يبتلى تارة بالنعمة وتارة بالبلية فاللائق بمن انعم عليه ان لايغتر بالنعمة بل يزداد بها الشكر للنعم و يشتغل بطاعته ومن ابتلى ببلية ان يعتقد انها انما اصابته من شؤم نفسه و يشتغل بالتوبة والاستغفار ويلتجئ الى عفو الله ورحمته (قوله اولان مساق الاية للدلالة على ان الواقع مايتعلق به مشيئة الله تعالى) وذلك لانه تعالى بين سبب اعراضهم عن الاستجابة لربهم بان حالهم الركون الى الدنيا والفرح باقبالها والتحزن بزوالها والغفلة عن النعم بها فضلا عن الاجتهاد فى طلب مرضاته والاجابة الى مادعا اليه من توحيده وطاعته فانكر منهم هذه الحال لكونها مؤدية الى الاعراض المذكور ثم اكد هذا الانكار بان ملك

الاولى باذا والثانية بان لان اذاقة النعمة محققة من حيث انها عادة مقتضية بالذات بخلاف اصابة البلية واقامة علة الجزاء مقامه ووضع الظاهر موضع المضمر في الثانية للدلالة على ان هذا الجنس موسوم بكفران النعمة (لله ملك السموات والارض) فله ان يقسم النعمة والبلية كيف شاء (يخلق مايشاء) من غير لزوم ومجال اعتراض (يهب لمن يشاء اناثا و يهب لمن يشاء الذكور او يزوجهم ذكرانا واناثا و يجعل من يشاء عقيما) بدل من يخلق بدل البعض والمعنى يجعل احوال العباد فى الاولاد مختلفة على مقتضى المشيئة فيهب لبعض اما صنفا واحدا من ذكر اوانثى اوالصنفين جميعا و يعقم آخرين ولعل تقديم الاناث لانها اكثر لتكثير النسل اولان مساق الآية للدلالة على ان الواقع ما يتعلق به مشيئة الله لا الانسان والاناث

كذلك

السموات والأرض له ومقاليد التصرف فيهما بيده يعطي ويمنع لاراد لقضائه ولامعقب لما حكم ليس لهم من الامر شئ وانما الامر يجري بمشيئته فحيث يخلق مايشاء وان كان مخالفا لما يشتهونه فكيف يركنون الى عاوكه ويعرضون عن استجابة دعائه فظهر بهذا التقرير ان سوق الاية للدلالة على ان الكائنات مربطة بمشيئة الله تعالى وحده لادخل لمشيئة العبد فيها فناسب ذلك ان يقدم في تفصيل قوله يخلق مايشاء ذكر مالايتعلق به مشيئة العباد وهو الاناث فانه لو بشر احد بان زوجته ولدت انثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء مابشر به ويتردد في انه يمسكه على هون ام يدسه في التراب (قوله اولان الكلام في البلاء) لانه قد تم بيان حال الانسان اذا اذاقه الله الرحمة ثم شرع في بيان حاله ان اصابته سيئة وبلاء فقال وان تصبهم سيئة وقوله لله ملك السموات والارض الاية تذييل له فناسب ان يقدم في التفصيل ذكر ماهو من جنس البلاء بزعم العرب روى ان واحدا من العرب بشر بمولودة فقيل له نعمة المولودة هي فقال والله ماهي بنعمت المولودة نصرها بكاء وبرها سرقة (قوله اوللمحافظة على الفواصل) فانه لما قدم الاناث كانت فاصلة الآية الذكور على وفق قوله نكير وكفور وقدير ولهذه المحافظة ايضا عرف الذكور مع تنكير قوله اناثا (قوله اولجبر التأخير) عطف على قوله ولذلك يعني ان الوجوه المذكورة لما اقتضت تقديم الاناث ولزم منه تأخير الذكور مع ان حقهم التقديم لشرفهم وكونهم الاول في الوجود جبر مالزم من نقص حقهم بالتعريف فان التعريف تنويه بالاسم وتشهير له ورفع لقدره بناء على ان التعريف يكون للعهد فكأنه قيل ويهب لمن يشاء الفرسان الاعلام الذين يذكرون في المجالس والمحافل بالمفاخر والمعالي ولايغيبون عن الاذهان والخواطر ولايخفى ان مثل هذا التنويه يقاوم التنويه الحاصل بتقديمهم على الاناث (قوله لانه قسيم المشترك بين القسمين) فان القسم الثالث المدلول عليه بقوله اويزوجهم ذكرانا واناثا هو من وهب له الصنفان جميعا فهو قسم لمن وهب له انثى فقط كما ان من جعل عقيما قسيم للمشترك بين الاقسام المتقدمة وهو من وهب له اما صنف منهما او الصنفان جميعا والعقيم مفهوم مفصح بكونه قسيما للمشترك بين الثلاثة فلم يحتج بذلك الى تغيير العاطف ليدل عليه بخلاف القسم الثالث وهو الذي زوج له الصنفان فانه غير مفصح بكونه قسيما للمشترك بين القسمين الاولين فاحتيج الى تغيير العاطف ليدل على ذلك روى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال قوله تعالى يهب لمن يشاء اناثا المراد به لوط وشعيب عليهما الصلاة والسلام اذ لم يكن لهما الاالاناث وقوله ويهب لمن يشاء

اولان الكلام في والعرب تعد هن بلاء اولتطييب قلوب آبائهن اوللمحافظة على الفواصل ولذلك عرف الذكور اولجبر التأخير وتغيير العاطف في الثالث لانه قسيم المشترك بين القسمين ولم يحتج اليه الرابع لافصاحه بانه قسيم المشترك بين الاقسام المتقدمة (انه عليم قدير) فيفعل ما يفعل بحكمة واختيار (وما كان لبشر) وماصح له (ان يكلمه الله الاوحيا

الذكور المراد به ابراهيم عليه الصلاة والسلام اذ لم يكن له الا الذكور وقوله أو يزوجهم ذكرانا واناثا المراد به محمد صلى الله تعالى عليه وسلم اذ كان له من البنين ثلاثة على الصحيح القاسم وعبد الله وابراهيم ومن البنات اربع زينب ورقية وام كلثوم وفاطمة رضوان الله عليهم اجمعين وقوله و يجعل من يشاء عقيما المراد به يحيى وعيسى عليهما الصلاة والسلام وقال المفسرون هذا على وجه التمثيل وانما الحكم عام في كل الناس لان المقصود بيان نفاذ قدرة الله تعالى في تكوين الاشياء كيف شاء فلا وجه للتخصيص ثم انه تعالى لما بين علمه وقدرته وحكمته اتبعه بيان انه كيف يخص انبياءه بوحيه وكلامه فقال وما كان لبشر ان يكلمه الله كلمة ان مع ماعملت فيه في موضع الرفع على انه اسم كان ولبشر خبرها (قوله كلاما خفيا) اشارة الى ان قوله الا وحيا منصوب على انه مفعول مطلق بناء على كونه موضوعا موضع كلاما لان الوحي بمعنى الكلام الخفي المدرك بسرعة ضرب من الكلام كما ان من وراء حجاب وارسال الرسول ضربان آخران منه فان الكلام على لسان الرسول بمنزلة الكلام بغير واسطة تقول قلت لفلان كذا وكذا وانما قاله وكيلك اورسولك فصح وضع كل واحد منهما موضع المصدر كما تقول لا اكلمه الاجهرا والا خفية لانهما ضربان من الكلام وفسر الوحي بالكلام الخفي المدرك بسرعة وقيد الكلام بكونه خفيا لبيان ان كلامه تعالى القائم بذاته ليس من قبيل الاصوات و بكونه مدركا بسرعة لبيان انه ليس في ذاته مركبا من حروف يعني ان كلامه تعالى يدرك بسرعة لكونه عبارة عن تمثل المعنى وارتسامه في علم المتكلم تمثلا وقعيا ليس في ذاته مركبا مما ذكر كتمثل المعاني بصورة خيالية مشتملة على اجزاء كثيرة من غير تقدم وتأخر بينها فاذا لم يكن الكلام الخيالي كالحسي فالعقلي والمعنوي اولى والمقصود من الحصر المذكور بقوله الا وحيا الى آخر الآية نفي الكلام بوجه يقتضي الحدوث كالكلام الحسي المعهود لنا (قوله وهو مايعم المشافه به) اي تكليم الله البشر بهذا الكلام الخفي يجوز ان يكون بان يشاهده البشر و يواجهه كما روى انه عليه الصلاة والسلام حين عرج به الى السماء دنا فتدلى فكان قاب قوسين اوادنى فاوحى الى عبده ما اوحى اي انه عليه الصلاة والسلام شاهد ربه وسمع كلامه مشافهة روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في قصة الاسراء فارقني جبريل فانقطعت الاصوات عني فسمعت كلام ربي وهو يقول ليهدأ روعك يامحمد ادن ادن وفي حديث أنس نحو منه قال ومن سمع صريف الاقلام كيف يستحيل في حقه او يبعد سماع الكلام (قوله وماوعد به) عطف على قوله ماروى وقوله

كلاما خفيا يدرك بسرعة لانه تمثيل ليس في ذاته مركبا من حروف مقطعة يتوقف على تموجات متعاقبة وهو مايعم المشافه به كما روى في حديث المعراج وما وعد به في حديث الرؤية والمهتف به كما اتفق لموسى في طوى والطور لكن عطف قوله (اومن وراء حجاب) عليه يخصه بالاول

والهتف به عطف على قوله المشافه به اى تكليم الله تعالى وحيا يعم الكلام الهتف به ايضا بان يكلمهم الله ويسمعون منه من غير ان يشاهدوا ذاته كما يسمع من الهاتف والهتف الصوت والهاتف من يسمع صوته ولا يرى شخصه والتكليم بهذا الطريق هو الذى سماه الله تكليما من وراء حجاب والمراد به احتجاب السامع من الرؤية لا احتجابه تعالى من السامع لان الاستتار بالحجاب من خواص الاجسام وهو تعالى منزه عن ان يحيط به ستر فيحجبه عن خلقه فالتكليم وحيا وان كان متناولا لكل واحد من قسمى التكليم من غير واسطة وهما التكليم مشافهة والتكليم من وراء حجاب الا ان عطف قوله من وراء حجاب عليه يخصه بالاول فقوله تعالى الا وحيا يحمل على التكليم بطريق المشافهة مع المشاهدة واعلم ان الاشاعرة قالوا ان كلام الله تعالى صفة قديمة يدل عليها هذه الالفاظ والعبارات ليس من جنس الحروف والاصوات وقالوا يصح ان يسمع ذلك الكلام المنزه عن الحرف والصوت وقالوا كما لا يبعد ان يرى ذات الله تعالى مع انه ليس بجسم ولا فى حيز لا يبعد ايضا ان يسمع كلامه مع انه لا يكون حرفا ولا صوتا وزعم ابو منصور الماتريدى السمرقندى ان تلك الصفة يمتنع كونها مسموعة وانما المسموع حروف واصوات يخلقها الله تعالى فى بعض الاجرام وهذا القول قريب من قول المعتزلة ومن سوى الاشاعرة اتفقوا على ان كلام الله تعالى هو هذه الحروف المسموعة والاصوات المؤلفة ثم صاروا فريقين الفريق الاول الحنابلة الذين قالوا بقدم هذه الحروف ولا يقول به عاقل والفريق الثانى اتفقوا على انها حادثة ثم اختلفوا فى انها هل هى قائمة بذات الله تعالى او يخلقها الله تعالى فى بعض الاجرام فالاول قول الكرامية والثانى قول المعتزلة فكلام الله تعالى عندهم هو صوت يخلقه فى شئ وانه تعالى متكلم بكلام قائم بغيره وقولهم هذا قول مخالف للعرف واللغة فان الفعل انما يسند الى القائل لا الى الفاعل وصيغة اسم الفاعل انما تطلق على من قام به الفعل لا على من اوجده فلا يقال لخالق السواد اسود ولا لخالق الضلال ضال فوجب ان يكون المتكلم من يقوم به الكلام لا من يخلقه (قوله فالآية دليل على جواز الرؤية لا على امتناعها) رد على المعتزلة القائلين بان هذه الآية تدل على انه تعالى لا يرى وذلك لانه تعالى حصر اقسام تكليمه للبشر فى هذه الثلاثة التى هى التكليم على طريق الوحى وقالوا الوحى هو الالهام الذى هو القذف فى القلب او المنام فالاول كما اوحى الله تعالى الى ام موسى والثانى كما اوحى الى ابراهيم فى ذبح ولده والتكليم من وراء حجاب وهو ان يسمع كلامه الذى يخلقه فى شئ من غير ان يبصر السامع من يكلمه كما كلم موسى والتكليم بان يرسل رسولا من الملائكة

فالآية دليل على جواز الرؤية لا على امتناعها

وقيل المراد به الالهام والالقاء في الروع او الوحي المنزل به الملك الى الرسل فيكون المراد بقوله (او يرسل رسولا فيوحي باذنه مايشاء) او يرسل اليه نبيا فيبلغ وحيه كما امره وعلى الاول المراد بالرسول الملك الموحي الى الرسول ووحيا بما عطف عليه منتصب بالمصدر لان من وراء حجاب صفة كلام محذوف والارسال نوع من الكلام ويجوز ان يكون وحيا وان يرسل مصدرين ومن وراء حجاب ظرفا وقعت احوالاوقرأنافع او يرسل برفع اللام (انه علي) عن صفات المخلوقين (حكيم) يفعل ماتقتضيه حكمته فيكلم تارة بوسط وتارة بغير وسط اما عيانا واما من وراء حجاب (وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا) يعني ما اوحي اليه وسماه روحا لان القلوب تحيى به وقيل جبريل والمعنى ارسلناه اليك بالوحي

فيوحي الملك اليه كما كلم الانبياء غير موسى ولم يتصور التكليم مشافهة في حقه تعالى عندهم بناء على مازعموا من استحالة رؤيته تعالى لم يحصرهم خروج المشافهة عن الحصر وحصروا الكلام وحيا في الالهام والمنام ولو صحت رؤية الله تعالى لصح من الله تعالى ان يتكلم مع العبد حال ما يراه العبد فحينئذ يكون ذلك قسمارابعا زائدا على هذه الاقسام والله تعالى نفى القسم الرابع بقوله وما كان لبشر ان يكلمه الله الا على احد هذه الاوجه الثلاثة والفاء في قول المصنف في فالاية دليل فاء جواب الشرط المحذوف اي اذا حمل الوحي على الكلام المشافهة تكون الآية دليلا على جواز الرؤية لا على امتناعها وانما تدل على امتناعها اذا فسر الوحي بما فسروا به وهو الالهام حال اليقظة والرؤيا حال المنام (قوله وقيل المراد به) اي بقوله الا وحيا (قوله او الوحي المنزل به) عطف على قوله الالهام وقوله فيكون تفريع على القول الثاني اي اذا كان قوله الا وحيا بمعنى الا ان يكلمه وحيا كما اوحى الى الرسل بواسطة الملائكة وقوله اومن وراء حجاب بمعنى او يكلم بغير واسطة ملك كما كلم موسى عليه الصلاة والسلام يكون قوله او يرسل رسولا بمعنى او يرسل نبيا كما كلم الانبياء على ألسنة انبيائهم الا ان تبليغ الرسول امته لا يسمى ايحاء في العرف فتفسير قوله تعالى فيوحي باذنه مايشاء بان يقال فيبلغ اليه وحيه كما امره لايخلو من بعد (قوله ووحيا بما عطف عليه منتصب بالمصدر) لان شرط المفعول المطلق ان يوافق عامله من حيث المعنى لا بحسب اللفظ والاشتقاق ووحيا يوافق عامله في المعنى لان الوحي بمعنى الكلام الخفي من ضروب مطلق الكلام وتقدير قوله او يرسل اوارسالا لكونه منصوبا بأن المضمرة والارسال نوع من الكلام (قوله ويجوز ان يكون وحيا وان يرسل مصدرين) واقعين موقع الحال لان ان يرسل في معنى ارسالا وكما يصح ان يقع المصدر الصريح موقع الحال نحو اتيته ركضا ومشيا اي راكضا وماشيا فكذا يصح ان يقع موقعه ما كان في تأويل المصدر وكذا الجار والمجرور قد يقع موقع الحال كقوله تعالى وعلى جنوبهم بعدقوله الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم اي والذين يذكرون قائمين وكائنين على جنوبهم فمعنى الاية على تقدير كون كل واحد من الثلاثة في موقع المصدر الصريح وهو انما يقع موقع الحال اذا كان نوعا للفعل لا مطلقا فلا يقال اتيته بكاء اي باكيا ولو سلم ان المصدر الصريح مطلقا يقع موقع الحال فلا نسلم ان ان مع الفعل كذلك اذلا يصح جاءني زيد ان يمشي بمعنى ماشيا وان صح جاءني زيد مشيا نص عليه سيبويه ثم انه تعالى لما بين اقسام تكليمه مع انبيائه عليهم السلام وهي

انه تعالى يكلمهم تارة بواسطة وتارة بغير واسطة اما عيانا ومشافهة واما من وراء حجاب قال تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا اى ومثل ذلك الايحاء والتكليم على الطرق الثلاثة اوحينا اليك روحا تحيى به القلوب الميتة من عالم امرنا المنزه عن الزمان والمكان على ان تكون الاشارة الى التكليم المدلول عليه بقوله ان يكلمه الله ويجوز ان ترجع الاشارة الى قوله او يرسل رسولا اى ومثل هذا النوع من التكليم وهو التكليم بارسال الرسول كلمناك وهو قوله اوحينا اليك روحا من امرنا ومحل الكاف النصب على انه صفة مصدر محذوف اى وحيا مثل ذلك الوحى (قوله ماكنت تدرى) فى موضع الحال من الكاف فى اليك وكلمة مافيه نافية وقوله ما الكتاب استفهامية وهو جملة اسمية استفهامية ومحلها النصب لسدها مسد مفعولى الدراية وهى معلقة عنها بحرف الاستفهام وقد اتفق المسلمون على ان الانبياء معصومون من الكبائر والصغائر الموجبة لنفرة الناس عنهم قبل البعثة وبعدها فضلا عن الكفر الا انه تعالى نفى عنه عليه الصلاة والسلام دراية الايمان والعلم به قبل ان يوحى اليه ونفى العلم يكنى به عن نفى المعلوم فى مثل هذا المقام فالمفهوم من الآية ان لايكون عليه الصلاة والسلام قبل الوحى مؤمنا بالله وبوحدانيته الا انه لايلزم من نفى الايمان عنه عليه الصلاة والسلام بقوله ولاالايمان ان يكون كافرا بل اللازم هو عدم الاعتقاد وذلك لان المراد بعدم الدراية الجهل البسيط وهو كون النفس ساذجة عن الاعتقاد والحكم لاالجهل المركب الذى هو الكفر والاعتقاد الباطل ولهذا كانت الآية دليلا على انه عليه الصلاة والسلام لم يكن متعبدا قبل النبوة بشرع لان التعبد به فرع الايمان به وقيل المراد بالايمان هو الايمان بما لاطريق اليه الاالسمع ويجوز ان يراد كمال الايمان والتوحيد الذى هو عليه وقيل المراد بالايمان شعائر الايمان ومعالمه كالصوم والصلاة ونحوهما ومن لم يتبين له شعائر الايمان كيف يتعبدبها واسم الايمان يطلق على الشعائر ايضا قال تعالى وماكان الله ليضيع ايمانكم يعنى الصلاة واجمع اهل الكلام على ان الرسل قبل الوحى كانوا مؤمنين وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يعبد الله قبل الوحى على دين ابراهيم عليه الصلاة والسلام عن على رضى الله تعالى عنه قال قيل للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم هل عبدت وثنا قط قال لا قالوا هل شربت خمرا قط قال لا ومازلت اعرف ان الذى هم عليه كفر وماكنت ادرى ما الكتاب ولاالايمان ولذلك انزل فى القرآن ماكنت تدرى ما الكتاب ولاالايمان قال ابن قتيبة لم تزل العرب على بقايا من دين اسمعيل عليه الصلاة والسلام ومن ذلك الحج والختان وايقاع الطلاق والغسل من الجنابة وتحريم ذوات المحارم بالقرابة

(ماكنت تدرى ما الكتاب ولاالايمان) اى قبل الوحى وهو دليل على انه لم يكن متعبدا قبل النبوة بشرع وقيل المراد هو الايمان بما لاطريق اليه الاالسمع (ولكن جعلناه) اى الروح اوالكتاب اوالايمان

والمصاهرة وكان عليه الصلاة والسلام على ما كانوا عليه من الايمان بالله والعمل بشرآئعهم وفي الحديث انه كان يوحد الله ويبغض اللات والعزى ويحج ويعتمر ويتبع شريعة ابراهيم عليه الصلاة والسلام (قوله تعالى نهدي به من نشاء من عبادنا) اى نعطى به صفة الاهتدآء وهو يجوز ان يكون مستأنفا وان يكون مفعولا مقرر الجعل وان يكون صفة لنور اوتوصيفه تعالى بالذى له ملك السموات والارض للتنبيه على ان الذى تجوز عبادته هو الذى يملك السموات والارض فبين الله تعالى اولا ان ما اوحى اليه الكتاب والايمان يهدى ثم قال تعالى وانك لتهدى الى صراط مستقيم ثم بين ان ذلك الصراط المستقيم صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض ثم قال الا الى الله تصير الامور وعدا للطيعين ووعيدا للمجرمين

(سورة الزخرف ثمانون وتسع آيات مكية قال مقاتل الاقوله واسأل)
(من ارسلنا من قبلك من رسلنا)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(قوله اقسم بالقرءآن) فسر الكتاب المبين بالقرءآن لا بجنس الكتب المنزلة وجعل الواو فيه واو القسم ليكون المقسم به والمقسم عليه من واد واحد ويكون القسم المذكور من بدآئع الاقسام وان جعلت حم مقسما به كانت واو الكتاب المبين عاطفة اى بحم والكتاب المبين وان جعلت حم فى محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اى هذه حم او فى محل النصب على انه مفعول فعل محذوف اى اقرأ حم كانت الواو للقسم وقوله انا جعلناه قرءآنا جواب القسم ولا يخفى ان القرءآن لكونه مفخما عظيم القدر يصح جعله مقسما به ليتقوى به المدعى ويتأكد والمدعى ههنا هو انه الذى جعل القرءآن عربيا ولا نزاع لاحد فى كونه عربيا حتى يحتاج فى دفعه والرد على من انكره الى تأكيد الحكم بالقسم والجملة الاسمية وان بل المقسم به حقيقة ما يستفاد من اسناد جعله قرءآنا عربيا الى ذاته العظيم الشان فكأنه قيل والقرءآن المبين الذى ابان طريق الهدى من طرق الضلال وابان ما تحتاج اليه الامة من الشريعة والدلائل الواضحة على انه ليس بسحر وكلام مفترى على الله واساطير الاولين بل هو الذى توليا انزاله على لغة العرب مشتملا على كمال الفصاحة والبلاغة فرجع خلاصة الكلام الى اثبات عظمته بعظمته فلذلك كان من الايمان البديعة الدالة على شرف القرءآن وعزته بابلغ وجه وادقه لدلالته على انه ليس عنده شئ اعظم قدرا وارفع منزلة منه حتى يقسم به كما انه لا اهم عنده من وصفه حتى يقسم عليه قصدا للاهتمام فى اثباته وتحقيقه فاقسم وجعله مقسما له للتنبيه على انه لاشئ

نورا نهدى به من نشاء من عبادنا) بالتوفيق للقبول والنظر فيه (وانك لتهدى الى صراط مستقيم) هو الاسلام وقرئ لتهدى اى ليهديك الله (صراط الله) بدل من الاول (الذى له ما فى السموات وما فى الارض) خلقا وملكا (الا الى الله تصير الامور) بارتفاع الوسائط والتعلقات وفيه وعد ووعيد للمطيعين والمجرمين * عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ حم عسق كان ممن تصلى عليه الملائكة ويستغفرون له ويسترحمون له

* سورة الزخرف مكية قيل الاقوله واسأل من ارسلنا وآيها تسع وثمانون آية

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(حم والكتاب المبين انا جعلناه قرءآنا عربيا) اقسم بالقرءآن على انه جعله قرءآنا عربيا وهو من البدآئع لتناسب القسم والمقسم عليه كقول ابى تمام

اعلى منه فيقسم به فان الشاعر لما اراد المبالغة فى اثبات شرف ثغر المحبوبة اقسم عليه بان جعله مقسما به للاشعار بانه ليس شئ اعز منه يصلح لان يجعل مقسما به سواه فقال

وثنايا ك انها اغريض * ولآل تؤم وبرق وميض
واقاح منور فى بطاح * هزه فى الصباح روض اريض

الاغريض والغريض الطلع ويقال هو كل ابيض طرى ويقال هو البرد والتؤم جمع تؤمة وهى حبة تعمل من الفضة كالدرة وقيل هى اللؤلؤة ويقال ومض البرق يمض فهو وميض اذا لمع لمعانا خفيفا ولم يعترض فى نواحى الغيم والاقاح جمع اقحوان وهو البابونج الذى حوله ورق ابيض ووسطه اصفر والبطاح جمع ابطح على غير القياس وهو المسيل الواسع الذى فيه دقاق الحصى وقال منور بالافراد فى وصف اقاح على تأويله بالجنس شبه صفاء اسنانها بصفاء اوراق الاقاح وروض جمع روضة من البقل والعشب واريض فعيل من ارضت الارض بضم الراء اذا زكت ومبين فى قوله من حيث انه معجز مبين خبر بعد خبر لان وقوله او بين للعرب لكونه بلغتهم واساليب كلامهم عطف على مبين للاشارة الا ان المبين كما انه يجوز ان يكون من أبان بمعنى اظهر يجوز ان يكون من ابان بمعنى ظهر وقوله يدل على ان الله صيره كذلك خبر للمبتدأ وهو قوله والقرآن قصد بايراد هذه الجملة الاسمية بيان كون الاقسام بالكتاب المبين استشهادا بما فيه على المقسم عليه (قوله لكى تفهموا معانيه) لما كانت حقيقة الترجى والتوقع ممتنعة فى حقه تعالى لكونها مختصة بمن لا يعلم عواقب الامور جعل المصنف كلمة لعل مستعارة بمعنى لام كى وهو السببية الحاملة والحكمة الباعثة شبهت الحكمة الداعية الى الفعل بترجيه من حيث كون كل واحد منهما مؤديا الى وجود الفعل فى الجملة وجعله الزمخشرى مستعارا بمعنى الارادة اى ارادة ان يعقلوا ويفهموا اذ لو كان اعجميا لما فهموه بان شبه الترجى بالارادة ويجوز ان يكون لعل مجازا مرسلا فى معنى الارادة على طريق ذكر الملزوم وارادة اللازم لان التوقع ملزوم للارادة (قوله عطف على انا) اى فيكون القسم السابق واردا عليهما جميعا واهل مكة لما كذبوا القرآن وجعلوه كلاما مفترى حاصلا بتعليم البشر اقسم الله عز وجل على انه الذى جعله قرآنا عربيا ارادة ان يفهموا معناه وعلى ان القرآن لعلى رفيع الشأن فى المحل المنعوت بام الكتاب اوانه لعلى حكيم مثبت فى ام الكتاب وخبر ان قوله لعلى وفى ام الكتاب متعلق بالخبر وجاز ان يعمل ما بعد اللام فيما قبلها لان اصلها ان يكون فى الابتداء وانما اخرت لاجل ان والمعنى وان القرآن لعلى فى هذا المحل

وثناياك انها اغريض ١

ولعل اقسام الله بالاشياء استشهاد بما فيها من الدلالة على المقسم عليه والقرآن من حيث انه معجز عظيم مبين طرق الهدى وما يحتاج اليه فى الديانة او بين للعرب يدل على انه تعالى صيره كذلك (لعلكم تعقلون) لكى تفهموا معانيه (وانه) عطف على انا وقرأ حمزة والكسائى بالكسر على الاستئناف (فى ام الكتاب) فى اللوح المحفوظ فانه اصل الكتب السماوية وقرأ حمزة والكسائى ام الكتاب بالكسر (لدينا) محفوظا عندنا عن التغير (لعلى) رفيع الشأن فى الكتب لكونه معجزا من بينها (حكيم) ذو حكمة بالغة او محكم لا ينسخه غيره وهما خبران لان وفى ام الكتاب متعلق بعلى واللام لا يمنع او حال منه ولدينا بدل منه او حال من الكتاب (افنضرب عنكم الذكر صفحا) افنذوده ونبعده عنكم

الكريم وكذا قوله لذيشا متعلق بالخبر ايضا و يجوز ان يكون بدلا من ام الكتاب و يجوز ان يكونا حالين مما بعد هما لانهما كانا وصفين له في الاصل فلما قدما عليه انتصبا حالين منه فيتعلقان بمحذوف ولايجوز ان يكون شيء منهما خبرا له لان الخبر يجب ان يكون قوله على لاجل اللام لانهما اذا لم تدخل على اسم ان ولاعلى مايتعلق بخبر ان وجب ان تكون داخلة على الخبر ولايجوز ان يكون الخبر غير ما اقترن به اللام (قوله مجاز من قولهم ضرب الغرائب) يعني انه استعارة تبعية شبه ابعاد الذكر وتنحيته عنهم مع اقتضاء الحكمة انزاله عليهم بذود الابل وابعادها عن الحوض فاستعمل لفظ المشبه به وهو الضرب بمعنى الذود في المشبه و هو اهمال الذكر وعدم انزاله ثم اشتق منه نضرب ويحتمل ان يريد انه من قبيل الاستعارة التمثيلية وهي ماوجهه منتزع من متعدد بان يشبه حال الذكر في تنحيته مع تحقق دواعي انزاله والزام الحجة به عليهم بحال النوق الغريبة التي تذاد وتدفع عن الحوض بسبب ابل صاحب الحوض فان الابل اذا وردت الماء قد خلت بينها ناقة غريبة تطرد وتذاد حتى تخرج من بينها * والقونس منبت شعر الناصية و قيل العظم النابت بين اذني الفرس واصل اضرب اضربن مؤكدا بالنون الخفيفة فحذفت النون وابقيت الفتحة قبلها لتدل عليها والطارق مايطرق بالليل فيكون طارقها بدل البعض من الهموم والصفح الاعراض يقال صفحت عن فلان اصفح صفحا اذا اعرضت عنه اوعن ذنبه والصفح ايضا الناحية والجانب يقال نظر الى بصفح وجهه اى بعرض وجهه وناحيته والمصنف جعل الصفح بمعنى الاعراض و ذكر لانتصابه ثلاثة اوجه الاول انه مفعول مطلق من غير لفظ عامله لكونه موافقا له من حيث المعنى فان دفع الذكر عنهم وامتناع من انزال القرآن المشتمل على الاوامر والنواهي والمواعظ والمصالح مع كونه متوجها اليهم لاقتضاء الحكمة انزاله عليهم في معنى الاعراض عنهم فكأنه قيل افنعرض عنكم صفحا اى اعراضا بان نهملكم ونتركهم سدى فلا نأمركم ولاننهاكم عن قتادة قال والله لو كان هذا القرآن رفع حين رده اوائل هذه الامة لهلكوا ولكن الله تعالى كرره عليهم ودعاهم اليه عشرين سنة اوماشاء الله والثاني كونه مفعولا له على معنى افنعزل عنكم انزال القرآن والزام الحجة به اعراضا عنكم والثالث كونه حالا من الفاعل بمعنى صافحين ومعرضين ثم نقل قول من قال انه بمعنى الجانب والناحية فحكم بان انتصابه حينئذ يكون على الظرفية لنضرب لانه حينئذ لايكون مصدرا ولاعلة لابعاد الذكر ولاهيئة للفاعل اوالمفعول به فتعين ان يكون ظرفا لنضرب

مجاز من قولهم ضرب الغرائب عن الحوض قال طرفة
اضرب عنك الهموم طارقها * ضربك بالسيف قونس الفرس
والفاء للعطف على محذوف يعني انهملكم فنضرب عنكم الذكر وصفحا مصدر من غير لفظه فان تنحية الذكر عنهم اعراض اومفعول له اوحال بمعنى صافحين واصله ان تولى الشيء صفحة عنقك وقيل انه بمعنى الجانب فيكون ظرفا ويؤيده انه قرىء صفحا بالضم

اى ابعد عنكم الذكر جانبا كما يقول ضعه جانبا وامش جانبا اى فى جانب ثم ابدل كون صفحا بالفتح بمعنى الجانب بقراءة من قرأ بضم الصاد فان المشهور ان صفحا بالضم بمعنى الجانب لا غير فينبغى ان يكون صفحا بالفتح ايضا بمعنى الجانب ليتناسب القراءتان (قوله وحينئذ) اى وحين اذا قرئ بالضم يحتمل ان يكون طرفا بمعنى الجانب كما ان المفتوح لغة فيه يحتمل ايضا ان يكون تخفيف صفح بضمتين فى جمع صفوح كرسل فى جمع رسول وصفوح مبالغة فى صافح بمعنى كثير الصفح والعفو من الجانبين فيكون حالا من فاعل نضرب اى صافحين معرضين (قوله وهو فى الحقيقة علة مقتضية لترك الاعراض عنهم) بناء على اسرافهم فى الجهل والعصيان والكفر والطغيان والمعنى ان ذلك الاسراف كيف يكون سببا للاعراض المذكور وهو فى الحقيقة سبب لترك الاعراض (قوله على ان الجملة شرطية مخرجة للمحقق مخرج المشكوك استجهالا لهم) جواب عما يقال من انه كيف صح استعمال ان الشرطية فى مقطوع الوقوع فانهم كانوا مسرفين على القطع بحيث لا يشك فيه عاقل وحق كلمة ان ان تدخل على ما هو مشكوك الوقوع وتقرير الجواب انها قد تستعمل فى مقام القطع للقصد الى تجهيل المخاطب وما نحن فيه من هذا القبيل فانه استعمل فيه كلمة ان توبيخا لهم بالجهل بانهم مسرعون فى الضلالة والطغيان مع وضوح كونهم كذلك بالبراهين القاطعة فان استعمالها فى هذا المقام يخيل لهم ان الاصرار على ما هم عليه فعل من له شك فى كونه اسرافا فى الضلالة ونظيره قول الاجير ان كنت عملت لك فوفنى حقى وهو عالم بذلك (قوله وما قبلها دليل الجزاء) بناء على ان ما ذهب اليه البصريون من ان جزاء الشرط لا يتقدم عليه ويقولون فى مثله انه حذف الجزاء اعتمادا على دلالة ما قبل اداة الشرط عليه ثم انه تعالى لما وصفهم بالاسراف فى الطغيان والتكذيب على رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم قال وكم ارسلنا من نبى الآية وكم فيه خبرية فى موضع النصب على انه مفعول مقدم لارسلنا ومن نبى تمييز وفى الاولين متعلق بارسلنا او بمحذوف مجرور على انه صفة لنبى والمعنى ان عادة الامم مع الانبياء الذين يدعونهم الى الدين الحق هو التكذيب والاستهزاء فلا ينبغى ان تتأذى من قومك بسبب تكذيبهم واستهزائهم لان المصيبة اذا عمت خفت ثم قال اتماما لتسليته ووعده ووعيدا لقومه فاهلكنا اشدمنهم بطشا اى فاهلكنا الاولين الذين هم اشد واقوى من قومك فى البطش وهو شدة الاخذ فقوله اشد ظاهر وضع موضع ضمير الاولين للتنصيص على شدتهم وقوتهم والمعنى ان اولئك المتقدمين الذين ارسل الله تعالى اليهم الرسل فاستهزأوا برسلهم كانوا

وحينئذ يحتمل ان يكون تخفيف صفح جمع صفوح بمعنى صافحين والمراد انكار ان يكون الامر على خلاف ما ذكر من انزال الكتاب على لغتهم ليفهموه (ان كنتم) اى لان كنتم (قوما مسرفين) وهو فى الحقيقة علة مقتضية لترك الاعراض عنهم وقرأ نافع وحمزة والكسائى ان بالكسر على ان الجملة شرطية مخرجة للمحقق مخرج المشكوك استجهالا لهم وما قبلها دليل الجزاء (وكم ارسلنا من نبى فى الاولين وما يأتيهم من نبى الا كانوا به يستهزءون) تسلية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن استهزاء قومه (فاهلكنا اشدمنهم بطشا)

اى من القوم المسرفين لانه صرف الخطاب عنهم الى الرسول مخبرا عنهم (ومضى مثل الاولين) وسلف فى القرآن قصتهم العجيبة وفيه وعد للرسول ووعيد لهم بمثل ماجرى على الاولين (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم) لعله لازم مقولهم اوما دل عليه اجمالا اقيم مقامه تقرير الالزام الحجة عليهم فكانهم قالوا الله كما حكى عنهم فى مواضع اخر وهو الذى من صفته ماسرد من الصفات ويجوز ان يكون مقولهم ومابعده استئناف (الذى جعل لكم الارض مهدا فتستقرون فيها وقرأ غير الكوفيين مهادا بالالف (وجعل لكم فيها سبلا) تسلكونها (لعلكم تهتدون) لكى تهتدوا لى مقاصدكم اوالى حكمة الصانع بالنظر فى ذلك (والذى نزل من السماء ماء بقدر) بمقدار ينفع ولا يضر (فانشرنا به بلدة ميتا)

اشد بطشا من قريش واكثر عددا وجلدا ومع ذلك اهلكناهم فليحذر قومك الذين سلكوا مسلكهم فى الكفر والتكذيب ان ينزل بهم مثل ماجرى على الاولين و بطشا تمييز لاشد وقيل حال من فاعل اهلكنا اى اهلكناهم باطشين اوذوى بطش (قوله اى من القوم المسرفين) وهم قوم قريش اذ ضمير منهم راجع الى قومه عليه السلام الذين خوطبوا بقوله افنضرب عنكم الذكر صفحا ان كنتم قوما مسرفين ولا يرجع الى الاولين لان المعنى لايساعد ذلك الا انه عبر عنهم ههنا بضمير الغائبين بناء على انه تعالى بعدما خاطبهم بذلك اعرض عنهم والتفت اليه عليه الصلاة والسلام تسلية عن استهزائهم فصاروا غائبين فى موضع هذا الخطاب فلهذا عبر عنهم بضمير الغائبين ثم انه تعالى وبخ مشركى قريش وجهلتهم بانهم مع اعترافهم بقدرته تعالى وعلمه وعزته بقولهم خلقهن العزيز العليم يصرون على الشرك والتكذيب ويجعلون له من عباده جزأ فقال ولئن سألتهم الآية (قوله لعله لازم مقولهم) جواب عما يقال من ان قوله تعالى خلقهن العزيز العليم الى آخر ماذكر من الاوصاف ان كان من قول اهل مكة كان الظاهر ان يقال الذى جعل لنا الارض مهادا وجعل لنا فيها سبلا وجعل لنا من الفلك والانعام ماتركبه ولا يظهر وجهه قوله فانشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون لانهم لاينشرون شيئا ولا يقولون ايضا بالبعث حتى يقيسوه باحياء البلدة الميتة وان كان من قول الله تعالى مع ان اهل مكة هم المسؤلون لزم ان يكون المجيب غير المسؤل فاوجهه اجاب عنه اولا باختيار انه من قول الله تعالى الا انه لما كان لازم مقولهم الذى هو قولهم خلقهن الله اوتفصيلا لما اجملوه بذلك المقول نزل منزلة مقولهم فان لفظة الله اسم علم للمعبود بالحق المستجمع لجميع صفات الجلال والجمال فيكون متضمنا لهذه الاوصاف ومستلزما لها فكانهم ذكروا عند ذكرهم هذا الاسم الشريف هذه الاوصاف كلها فصح بذلك جعلها مقولا لهم وظهر ايضا وجه قوله وجعل لكم بدل لنا ووجه قوله فانشرنا به بلدة ميتا لانه كلام الله تعالى حقيقة فكانه قيل ليس من خلقها الى الذى هذه اوصافه وعدل عن حكاية عين مقولهم الى اقامة لازمه مقامه اوالى اقامة المفصل مقام المجمل الزاما للحجة عليهم حيث اعترفوا بما يستلزم تفرده بالالوهية ثم عبدوا غيره وانكروا قدرته على البعث لفرط جهلهم وغباوتهم و اجاب ثانيا بان مقولهم وجوابهم تم عند قوله العليم ومابعده ابتداء كلام من الله تعالى بذكر مصنوعاته التى لا يشاركه فى شئ منها احد غيره لما وصف الكفار خالقهن بالعزيز العليم وصفه الله تعالى بتلك الاوصاف ايضا على انها من تتمة كلامهم وان لم يتفوهوا

(بها)

بهـا ولم ينظروا الى كونهـا لا زم مقولهم ولا تفصيلا لا جمالى جوا بهم الدلالة على ان الذى وصفوه بكمـال العزة والعلم والقدرة هو الموصوف بان اسبغ عليهم هذه النعم الجليلة والآلاء العظيمة فكيف يكفرونهـا بعبادة غيره ونظيره فى كلام النـاس ان يقول الرجل هذا المسجد بناه فلان العـالم فيقول السامع لكلامه الزاهد الكريم فكان ذلك السامع يقول انا اعرفه بصفـات جيدة فوق ماتعرفه وازيد فى صفته فيكون النعتان جميعا من رجلين فى حق رجل واحد (قوله زال عنها النماء) يعنى ان البلدة الميتة من قبيل التشبيه البليغ شبهت البلد التى زال عنها النماء بالجسد الذى زالت الحياة عنه (قوله مثل ذلك الانشار تنشرون من قبوركم) يعنى ان الكاف فى محل النصب على انه صفة لمصدر محذوف اى تنشرون انشا را مثل انشار البلدة الميتة من حيث ان كل واحد منهما احياء بعد الاماتة والمقصود ان انشار البلدة الميت كما دل على قدرة الله تعـالى وحكمته مطلقـا فكذلك يدل على قدرته على البعث والقيامة (قوله ما تركبونه على تغليب المتعدى بنفسه الخ) يعنى ان ركب بالنسبة الى الفلك يتعدى بكلمة فى كقوله تعالى فاذا ركبوا فى الفلك وبالنسبة الى غيره يتعدى بنفسه كقوله تعالى لتركبوها فغلب ههنا المتعدى بنفسه لقوته على المتعدى بواسطة فى فقيل تقدير قوله ما تركبون ما تركبونه والمراد تغليب احد اعتبارى الفعل على الآخر لا تغليب احد الفعلين على الآخر لان الفعل المتعدى الى الفلك هو المتعدى الى الانعام الا ان تعديته الى احدهما تحتاج الى آلة التعدية وتعديته الى الآخر لاتحتاج اليها وذلك لايوجب التعدد فى نفس الفعل حتى يقال غلب احد الفعلين على الآخر وقوله ولذلك اى وللبناء على احد التغليبين الاخيرين عدى فعل الاستواء بكلمة على الى ظهور ماتركبونه مع ان الاستواء المتعلق بالفلك لايتعلق بظهره ولايتعدى اليه الفعل بعلى بل بفى لكونه محلا وبالمستوى وطرفا له (قوله وجمعه للمعنى) جواب عما يرد على قوله ظهور ما تركبون وهو انه لمـا اضيف الظهر الى ضمير ما تركبون افرد ضميره اعتبارا للفظ ما ولم يقل ظهورها فلم جمع لفظ الظهر مع افراد ما اضيف هو اليه فاجاب عنه بانه جمع اعتبار المعنى ما اضيف اليه فان ما تركبون متنا ول لجنسى الفلك والانعام المشتملين على افراد واصنـاف كثيرة (قوله معترفين بها حامدين عليها) اى ليس المراد من ذكر النعمة بالقلب مجرد تصورهـا واخطارها فى البـال بل المراد انه ذكرها من حيث كونها نعمة حاصلة بتدبير القادر العليم الحكيم مستدعية لطاعته والاشتغال لشكر نعمه فان من تفكر فى ان ما يركبه الانسـان من الفلك والانعام اكثر قوة واكبر جثة من راكبه ومع ذلك فقد كان مسخرا راكبه يتمكن من تصريفه الى اى جانب شـاء وتفكر ايضا فى خلق البحر

زال عنه الفناء وتذكيره لان البلدة بمعنى البلد والمكان (كذلك) مثل ذلك الانشار (تخرجون) تنشرون من قبوركم وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى تخرجون بفتح التاء وضم الراء (والذى خلق الازواج كلها) اصناف المخلوقات (وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون) ما تركبونه على تغليب المتعدى بنفسه على المتعدى بغيره اذ يقال ركبت الدابة وركبت فى السفينة او المخلوق للركوب على المصنوع لها والغالب على النادر ولذلك قال (لتستووا على ظهوره) اى ظهور ما تركبون وجمعه للمعنى (ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه) تذكروها بقلوبكم معترفين بها حامدين عليها (وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين) مطيقين من اقرن الشئ اذا اطاقه واصله وجده قرينه اذ الصعب لا يكون قرينة الضعيف وقرئ بالتشديد والمعنى واحد وعنه عليه الصلاة والسلام انه كان اذا وضع رجله فى الركاب قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على

مقبل حال سبحان الذى سخرلنا الى قوله (وانا الى ربنا لمنقلبون) اى راجعون واتصاله بذلك لان الركوب للتنقل والنقلة العظمى هو الانقلاب الى الله تعالى اولانه مخطر فينبغى للراكب ان لا يغفل عنه و يستعد للقاء الله تعالى (وجعلوا له من عباده جزأ) متصل بقوله ولئن سألتهم اى وقد جعلوا له بعد ذلك الاعتراف من عباده ولدا فقالوا الملائكة بنات الله و لعله سماه جزأ كما سمى بعضا لانه بضعة من الوالد دلالة على استحالته على الواحد الحق فى ذاته وقرئ جزأ بضمتين (ان الانسان لكفور مبين) ظاهر الكفران ومن ذلك نسبة الولد الى الله تعالى لانها من فرط الجهل به والتحقير لشأنه (ام اتخذمما يخلق بنات و اصفاكم بالبنين) معنى الهمزة فى ام الانكار والتعجب من شأنهم حيث لم يقنعوا بان جعلوا له جزأ حتى جعلوا له من مخلوقاته جزأ اخس مما اختير لهم وابغض الاشياء اليهم بحيث اذا بشر احدهم به اشتد غمهم به كما قال

والريح وفى كونهما مسخرين للانسان مع ما فيهما من المهابة والاهوال استغراق فى معرفة عظمة الله تعالى وكبريائه وكمال قدرته وحكمته فيحمله ذلك الاستغراق على ان يتعجب و يقول سبحان الذى سخرلنا هذا وما كناله مقرنين اى مطيقين ضبطه وتسخيره كيف نشاء يقال اقرن له اى اطاقه وقوى عليه واقرنت لفلان اذا صرت قرناله اى معادلا وكفوًاله فى الشجاعة غير مغلوب له وقرئ مقرنين بالتشديد والمقرن الذى يجعل مقرنا للشئ اى مطيقا له يقال قرنه فاقرن و قوله والمعنى واحد المراد به وحدة معنى المأخذ ولا ينافيه كون احد البناء ين للتعدية والآخر للمطاوعة (قوله واتصاله بذلك) اى اتصال قوله وانا الى ربنا لمنقلبون بما قبله من وجهين الاول ان الركوب للانتقال وان يتذكر به النقلة العظمى ولا يدع ذكره بلسانه و قلبه ليكون مستعدا للقاء الله تعالى غير غافل عنه والثانى ان الركوب مخطرا اى موقع فى خطر الهلاك وسبب من اسباب التلف اما ركوب السفينة فظاهر واما ركوب الدابة فانهما لاتخلو من العثار والنفار والتقحم فى المضايق والمهالك بسبب من الاسباب فركوبها تعريض النفس للهلاك فوجب على الراكب ان يتذكر امر الموت عند الركوب و يعلم انه هالك لامحالة وان هلاكه انما هو انقلابه الى الله تعالى والى مقام حسابه فيستعد للقائه باصلاح احواله (قوله اى وقد جعلوا له بعد ذلك الاعتراف) اى اعتراف الممكنات باسرها بانه ذو العزة البالغة والعلم المحيط وقدر لفظة قد للاشارة الى انه حال من فاعل قوله ليقولن و بين به وجه اتصاله بقوله ولئن سألتهم (قوله ولعله سماه جزأ) اى ولعل الوجه فى التعبير عن الولد بالجزء الدلالة على استحالته على الواحد الحق كما سمى الولد بعضا لكونه بضعة من والده قال صلى الله عليه وسلم فاطمة بضعة منى والبضعة بفتح الباء القطعة من اللحم فان الوالد ينفصل منه جزء من اجزائه ثم ينزل ذلك الجزء و يتولد منه شخص آخر مماثل الوالد فولد الرجل جزؤ منه فاثبات الولد له تعالى يستلزم التركيب لان كل ماله جزء فهو مركب وكل مركب ممكن والامكان ينافى الوجوب الذاتى والتركيب ينافى الوحدة الذاتية فيكون التعبير بالجزء عن الولد مشعرا باستحالة اثبات الولد لمن هو متصف بالوحدة الذاتية ومنزه عن الامكان والاحتياج الى الغير فالجعل ههنا بمعنى الحكم بالشئ والاعتقاد به كما فى قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا اى حكموا به ووصفوهم بالانوثة ويحتمل ان يكون ههنا بمعنى التصيير القولى (قوله وقرئ جزأ بضمتين) وهى قراءة عاصم فى قول ابى بكر فى كل القرءآن والباقون باسكان الزاى و بالهمزة فى كل القرءآن وهما لغتان واما حمزة فانه اذا وقف قال جزا بفتح الزاى بلا همزة فانه اذا وقف

قال جزا بفتح الزاى بلا همزة ثم انه تعالى اضرب عن الاخبار بانهم جعلوا ولدا واتخذ فيما هواهم وهو الانكار عليهم والتعجب من شأنهم حيث لم يقنعوا بان جعلوا له ولدا حتى جعلوا ذلك الولد شر الولدين وهو الاناث فانهن ابغض الاولاد عندهم ولو كان الامر كما زعموه وهو ان اتخذ لنفسه البنات واصفى عباده بالبنين لزم ان يكون حال العبد اكمل وافضل من حال المولى الخالق لكل شئ وذلك مما تستحيله بديهة العقل يقال اصفيت فلانا بكذا اذا آثرته به بحيث حصل له ذلك على سبيل الصفاء من غير ان يكون له فيه مشاركة (قوله تعالى واذا بشر احدهم) جملة وقعت موقع الحال (قوله صار وجهه) فسر الظلول بالصيرورة لكونها اوفق بالمقام واكثر الافعال الناقصة يستعمل بمعنى الصيرورة ولا يبعد كل البعد ان يكون على اصل معناه وهو ثبوت خبره لاسمه بالنهار دون الليل بمعنى بقى فى كل يومه متغير اللون ظاهرا عليه اثر الحزن والكآبة (قوله وفى ذلك) اى وفى قوله تعالى وجعلوا له من عباده جزأ الى ههنا دلالات وذلك لانه تعالى اخبر عنهم بانهم اثبتوا الولد للواحد الحقيق الواجب لذاته مع ان التركيب والامكان ينافيان الوحدة والوجوب واقبح من ذلك ما زعموه انه تعالى اتخذ اخس الجزءين لنفسه وآثر عباده بالشر فهما وبين دناءة ما نسبوه اليه تعالى بقوله واذا بشر احدهم الاية وما بلغ فى الدناءة الى هذا الحد كيف يجترئ العاقل على اثباته له تعالى (قوله وتعريف البنين لما مر فى الذكور) يعنى ان سوق الكلام لما اقتضى تقديم البنات مع تأخرهن عن البنين وجودا وشرفا ولزم من ذلك تأخير البنين جبر ذلك بتعريفهم تشريفا وتعظيما كما نكرت البنات تحقيرا لهن واهانة وانما قلنا ان الكلام اقتضى تقديم البنات لان الكلام انما سيق لتوبيخهم وانكار انهم اثبتوا له تعالى اخس الاولاد ولانفسهم اشرفها فكان ذكر البنات هو الذى سيق له الكلام اصالة وذكر البنين وقع استطرادا لمزيد الانكار والتعميم ثم انه تعالى زاد فى توبيخهم فقال او من ينشأ وقول المصنف وجعلوا له او اتخذ من يتربى فى الزينة اشارة الى ان من الموصولة فى محل النصب على انه مفعول به لفعل مقدر معطوف على قوله وجعلوا له اوعلى قوله ام اتخذ مما يخلق وان الواو عاطفة لذلك الفعل المقدر وان الف الاستفهام مقحمة بين المعطوف والمعطوف عليه لمزيد الانكار المستفاد من فحوى الكلام على الاول او من الهمزة التى تضمنتها ام المنقطعة على الثانى ولا يخفى ان ذم الاناس بان يقال فى حقهن او جعلوا للرحمن من الولد من هذه الصفة المذمومة صفته وان دل على ان التحلى والنشاءة فى الزينة وسعة العيش وان كان مباحا للنساء الا انه من المعايب ودلائل النقصان

(واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا) بالجنس الذى جعله له مثلا اذ الولد لا بد وان يماثل الوالد (ظل وجهه مسودا) صار وجهه اسود فى الغاية لما يعتريه من الكآبة (وهو كظيم) مملوء قلبه من الكرب وفى ذلك دلالات على فساد ما قالوه وتعريف البنين لما مر فى الذكور وقرئ مسود ومسواد على ان فى ظل ضمير المبشر ووجهه مسود جملة وقعت خبرا (اومن ينشأ فى الحلية) اى وجعلوا له او اتخذ من يتربى فى الزينة يعنى البنات (وهو فى الخصام) فى الجدال له (غير مبين) مقرر لما يدعيه من نقصان العقل وضعف الرأى ويجوز ان يكون من مبتدأ محذوف الخبر اى او من هذه حاله ولده وفى الخصام متعلق بمبين

لان التزين بالحلى لولا نقصانه فى ذاته لما احتاج الى تزيين نفسه بالحلية فاقدام
الرجل عليه يكون القاء لنفسه فى الذل وذلك حرام لقوله صلى الله عليه وسلم
ليس للمؤمن ان يذل نفسه وانما زينة الرجل الصبر على طاعة الله تعالى
والتزين بزينة التقوى كما قال عمر رضى الله عنه اخشو شنوا اخشو شنوا
وتمعددوا واياكم وزى الاعاجم يقال الغليظ من اللباس خشن ومن الطعام
واللباس ما هو الغليظ لاما هو الرفيق الناعم ويقال تمعدد فلان اذا قنع بعيش
معد بن عدنان ابى العرب وكانوا اهل غلظ فى امر المعاش فقوله وتمعددوا
اى كونوا مثلهم ودعوا التنعم وفى الحديث عليكم باللبسة المعدية ثم بين نقصان
حالهما بطريق آخر فقال وهو فى الخصام غير مبين وهذه الجملة حال
من فاعل ينشأ (قوله واضافة غير اليه لا يمنعه) جواب عما يقال كيف
يعمل مبين فيما قبل المضاف وقد ثبت فى النحو عدم جوازه وتقرير الجواب
ان ما ذكر فى النحو انما هو اذا لم يكن المضاف كلمة غير فان ما بعد غير يجوز
ان يعمل فيما قبلها بناء على ان غير فيها معنى النفى كانه قيل وهو لا يبين
فى الخصام فكما جاز ان يعمل ما بعد كلمة لا فيما قبلها جاز ان يعمل ما بعد غير فيما قبلها
ايضا ومنه مسئلة الكتاب من جواز زيدا غير ضارب فزيدا منصوب بضارب
كما ذكر فى قوله تعالى غير المغضوب عليهم (قوله وقرأ حمزة والكسائى وحفص
ينشأ) بضم الياء وفتح النون وتشديد الشين وقراءة باقى السبعة بفتح الياء واسكان
النون وفتح الشين من نشأ وينشأ على وزن يقاتل مبنيا للمفعول والتفعيل والمفاعلة
والافعال قد يكون بمعنى واحد نحو علاه الله تعالى وعالاه فعلى كما يقال اعلاه
الله تعالى فعلا ويظهر من نقل هذه القراءآت انه اختار قراءة العامة يقال
نشأت فى بنى فلان نشأ اذا شببت فيهم ونشأ وانشأ بمعنى كذا فى الصحاح (قوله
كفر آخر) اى غير كفرهم بالوجهين الاولين وهما اثبات الولد لرب العالمين
ثم نسبة اخس صنفى الولد اليه مع ابثارهم انفسهم على نفسه باشرفهما حيث
قالوا الملائكة بنات الله ومن قرأ عند الرحمن بكسر العين والنون الساكنة
وفتح الدال جعله ظرفا ولما استحال حمل العندية على القرب المكانى وجب جعلها
استعارة لاختصاصهم بمزيد كرامة الله تعالى وتشريفه اياهم تشبيها لحالهم
فى الاختصاص بمزيد الشرف والمكانة بحال من يكون عند الملك وفنائه بحيث
لا يحجبه عنه حاجب ولا بواب فاستعمل فى المشبه ماكان حقه ان يستعمل فى المشبه به
وقرئ عبيد الرحمن وانثا بضمتين وهو جمع اناث مثل كتاب وكتب وحمار
وحمر (قوله وقرأ نافع ءاشهدوا) بادخال همزة الانكار والتهكم على
اشهدوا فعلا رباعيا مبنيا للمفعول فسهل الهمزة الثانية فجعلها بين الهمزة والواو

(واتحدل)

واضافة غير اليه لا يمنعه كما عرفت وقرأ حمزة والكسائى وحفص ينشأ اى يربى وقرئ ينشا ويناشا بمعناه ونظير ذلك اعلاه وعلاه وعالاه بمعنى (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا) كفر آخر تضمنه مقالهم شنع به عليهم وهو جعلهم اكمل العباد واكرمهم على الله انقصهم رأيا واخسهم صنفا وقرئ عبيد وقرأ الحجازيان وابن عامر ويعقوب عند على تمثيل زلفاهم وقرئ انثا وهو جمع الجمع (اشهدوا خلقهم) احضروا خلق الله اياهم فشاهدوهم اناثا فان ذلك مما يعلم بالمشاهدة وهو تجهيل وتهكم بهم وقرأ نافع ءاشهدوا بهمزة الاستفهام وهمزة مضمومة بين بين وآأشهدوا بمدة بينهما (ستكتب شهادتهم) التى شهدوا بها على الملائكة (ويسألون) اى عنها يوم القيامة وهو وعيد وقرئ سيكتب وسنكتب بالياء والنون وشهاداتهم وهى ان لله جزأ وانه بنات وهن الملائكة ويساءلون من المساءلة (وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم) اى لو شاء عدم عبادة الملائكة ما عبدناهم

ولم تدخل بينهما الف الفصل اكتفاء بتسهيل الثانية وادخلها تارة كراهة لاجتماعهما فقال آ اشهدوا فقوله وآ اشهدوا عطف على قوله ءاشهدوا والباقون ادخلوا همزة الانكار على شهدوا ثلاثيا والفعل على التقديرين من الشهود بمعنى الحضور لامن الشهادة وقرأ العامة ستكتب بالتاء من فوق مبنيا للمفعول و رفع شهادتهم وقرئ ايضا سنكتب بنون العظمة شهادتهم اى شهادتهم على الملائكة انهم بنات الله تعالى بالنصب مفعولا به (قوله فاستدلوا بنفي مشيئته عدم العبادة على امتناع النهي عنها اوعلى حسنها) وتوضيح المقام يتوقف على تفصيل مذهب اهل السنة واهل الاعتزال في مسئلة ان الكائنات باسرها هل هي بارادة الله تعالى ومشيئته وانه لايجرى في ملكه الا ما يشاء او بعض منها بارادة الله ومشيئته والبعض الآخر بكراهته وسخطه فذهب اهل السنة الى ان الكائنات كلها من الطاعة والمعصية والكفر والايمان بارادة الله تعالى ومشيئته وان ما كان طاعة من فعل العباد فهو بمشيئة الله تعالى وارادته وقضائه وقدره ورضاه ومحبته وامره وماكان معصية منها فهو بمشيئته وارادته وقضائه وقدره وليس بامره ولا برضاه ومحبته وقالت المعتزلة المعاصي ليست بارادة الله تعالى ومشيئته بل بكراهته واستدلوا عليه بهذه الاية وبقوله تعالى في سورة الانعام سيقول الذين اشركوا لوشاء الله ما اشركنا ولاآباؤنا الى قوله قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الاالظن وان انتم الاتخرصون وتقريره ان لومعناه الامتناع للامتناع وان عبادة الملائكة كفر فالله تعالى حكى عنهم عين ماذهب اليه اهل السنة وهوقولهم لوشاءالله منا عدم الكفر اى ترك عبادة غيره لتركناها وفاقا ومعنى الكلام اننا ما تركنا عبادة غيره وكنا كافرين لانه تعالى لم يشأ منا ترك عبادتهم بل شاء منا الكفر وعبادة غيره فلذلك فعلنا ذلك ثم انه تعالى ابطل عنهم هذا القول بقوله مالهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون فثبت بهذه الاية بطلان القول بان الكفر بمشيئة الله تعالى وهو قول اهل السنة والمصنف اجاب عن هذا الاستدلال بانه انما يتم ان لوكان ما توجه اليهم من الذم والتجهيل المستفاد من قوله تعالى مالهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون لمجرد قولهم ان الله تعالى يريد الكفر من الكافر ولانسلم ذلك بل انما توجه اليهم الذم والتجهيل لاجل انهم قالوا لما اراد الكفر من الكافر وجب ان يقبح منه امر الكافر بالايمان فانه كيف يصح الامر بالشيء وارادة خلافه فكان خلاصة كلام المشركين لوشاء الله تعالى منا عدم الكفر لما كفرنا وانما كفرنا بسبب مشيئته تعالى كفرنا ومن المعلوم ان من شاء الكفر لاينهى عنه فلا يكون الكفر منهيا عنه ومن المعلوم ان من اراد الكفر

فاستدلوا بنفي مشيئته عدم العبادة على امتناع النهي عنها اوعلى حسنها وذلك باطل لان المشيئة ترجح بعض الممكنات على بعض مأمورا كان اومنهيا حسنا كان اوغيره ولذلك جهلهم فقال (مالهم بذلك من علم ان هم الايخرصون) يتمحلون تمحلا باطلا

يكون الكفر حسنا عنده فكيف تزعمون قبحه وتعيروننا بسببه فلما صرفنا الذم والطعن الى هذا القلم سقط استدلال المعتزلة بهذه الاية واعلم ان ارادة الله تعالى ومشيئته موافقة لعلمه وتابعة له لا لامره فكل ماعلم الله تعالى في الازل انه يوجد فقد اراد وجوده طاعة اومعصية وماعلم انه لايوجد فقد اراد ان لايوجد ولما علم من ابي جهل الكفر لا الايمان اراد منه الكفر وكذا اراد من سائر العصاة والكفرة عصيانهم وكفرهم على حسب ما علم منهم في الازل وقالت المعتزلة ارادة الله تعالى مطابقة لامره فكل ماامر الله تعالى به فقد اراده وكل مانهى عنه فقد كرهه فقولهم لوشاء الله ما اشركنا معناه لوشاء الله عدم اشراكنا لما اشركنا اي علمنا ان المشيئة قد تعلقت بالاشراكنا لابعدم اشراكنا ومقصودهم من هذا الكلام الاستدلال بانتفاء مشيئته تعالى عدم الاشراك على امتناع النهي عنه فان من لايريد عدم الاشراك فقد اراد نفس الاشراك ومن اراد الاشراك كيف ينهى عنه والاستدلال بثبوت مشيئة الاشراك على حسنه بناء على ما اعتقدوه من ان كل مراد مأمور به فيكون حسنا فذمهم الله تعالى وجهلهم في قولهم لما اراد الله تعالى الكفر والاشراك من الكافر كان حسنا وامتنع النهي عنه وامره بالتوحيد والايمان بناء على ان المشيئة لايجب ان تطابق الامر بل يجوز ان تتعلق بالمأمور به والمنهي عنه وبالحسن وغيره لان شان المشيئة ليس الا ترجيح بعض المقدورات على بعض بالوقوع (قوله ويجوز ان تكون الاشارة الى اصل الدعوى) وهو قولهم الملائكة اناث وانهم بنات الله تعالى فانه اصل بالنسبة الى مازعموه من ان عبادة الملائكة حسن مأمور به ويمتنع النهي عنه وهذا القول من المصنف جواب ثان عن استدلال المعتزلة بهذه الاية على ان الكفر والمعاصي ليست بارادة الله تعالى ومشيئته كما سبق تقريره وقد اوضحنا ما اجاب به عنه اولا بما لامزيد عليه وتقرير هذا الجواب ان ماذكرتم من الاستدلال انما يتم ان لو كان قوله تعالى مالهم بذلك من علم ان هم الايخرصون مرتبطا بقول المشركين لوشاء الرحمن ماعبدناهم وابطالا لقولهم الكفر بمشيئة الله تعالى وليس كذلك بل هو متعلق باصل دعواهم وهو قول الزجاج ورده الزمخشري بانه تمحل مبطل وتحريف مكابر وذلك لانه تعالى حكى عن القوم قولين باطلين وبين وجه بطلانهما حكى قولهم الاول بقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وابطله بقوله اشهدوا خلقهم الاية ثم حكى عنهم قولهم انهم بنات الله تعالى متمسكين فيه بانه تعالى اراد منهم ذلك وشاءه ثم حكم ببطلانه بقوله مالهم بذلك من علم وصرف هذا الابطال عما يليه الى كلام مقدم عليه تمحل بعيد وتحريف غيرسديد

ويجوز ان تكون الاشارة الى اصل الدعوى كانه لما ابدى وجوه فسادها وحكى شبهتهم المزيفة نفى ان يكون لهم بها علم من طريق العقل

(والمه نف)

ثم اضرب عنه الى انكار ان يكون لهم سند من جهة النقل فقال (ام آتيناهم كتابا من قبله) من قبل القرآن او ادعائهم ينطبق على صحة ما قالوه (فهم به مستمسكون) بذلك الكتاب متمسكون (بل قالوا انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مهتدون) اى لا حجة لهم على ذلك عقلية ولا نقلية وانما جنحوا فيه الى تقليد آبائهم الجهلة والامة الطريقة التى تؤم كالرحلة للمرحول اليه وقرئت ﴿ ٨٧ ﴾ بالكسر وهى الحالة التى يكون عليها الامم اى القاصد ومنها الدين (وكذلك ما ارسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون) تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ودلالة على ان التقليد فى نحو ذلك ضلال قديم وان مقدميهم ايضا لم يكن لهم سند منظور اليه وتخصيص المترفين اشعار بان التنعم وحب البطالة صرفهم عن النظر الى التقليد (قل اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه آباءكم) اى اتتبعون آباءكم ولو جئتكم بدين اهدى من دين آبائكم وهو حكاية امر ماض اوحى الى النذير او خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويؤيد الاول انه قرأ ابن عامر وحفص قال وقوله (قالوا انا بما ارسلتم به كافرون) اى وان كان اهدى اقناط للنذير من ان ينظروا و يتفكروا فيه (فانتقمنا منهم) بالاستئصال (فانظر كيف كان عاقبة المكذبين) ولا تكترث بتكذيبهم (واذ قال ابراهيم) واذكر وقت قوله هذا ليروا كيف تبرأ من التقليد وتمسك بالدليل اوليقلدوه ان لم يكن لهم بد من التقليد فانه اشرف آبائهم (لابيه وقومه اننى براء مما تعبدون) برئ من عبادتكم اومعبوديكم مصدر نعت به ولذلك استوى فيه الواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث

والمصنف اشار الى دفع ماذكره الزمخشرى فى رد قول الزجاج ووجه كلامه بان جعل قول المشركين اتخذ الله ولدا وان الملائكة بناته اصل الدعوى الصادرة منهم وجعل مابعده من الآيات مسوقا للانكار عليهم والاشارة الى وجوه فساد ما ادعوه وجعل قولهم لو شاء الرحمن ماعبدناهم جوابا منهم لما تضمنته الآيات السابقة من معنى الانكار والاحتجاج عليهم فى دعواهم الباطلة وهذا الجواب وان كان لايطابق مضمون تلك الآيات ولايدفعها الا انهم تشبثوا به لانقطاع حجتهم بحيث لم يبق لهم متشبث غيرذلك ولهذا جعله المصنف شبهة مزيفة ولما لم يكن قولهم لوشاء الله كفرا مستقلا منفصلا عن اصل الدعوى لم يكن ارتباط قوله تعالى ما لهم بذلك من علم الى ما تقدم عليه تمحلا وتحريفا (قوله ثم اضرب عنه) اى عن نفى ان يكون لهم متمسك عقلى ثم اضرب عن نفى ان لهم متمسكا فيما ادعوه لامن جهة العقل ولا من جهة النقل الى بيان ان ليس لهم حامل يحملهم على ذلك الادعاء الا التقليد المحض حيث قالوا وجدنا آباءنا على امة اى على سنة وطريقة قال صاحب الكشاف وقرئ على امة بالكسر وكلتا هما من الام وهو القصد ثم بين ان تمسك الجهال بالتقليد امر مستمر من قديم الزمان فقال وكذلك ما ارسلنا من قبلك الاية اى وكما قالوا ذلك بالتقليد تمسك مترفوا الامم السالفة ايضا بالتقليد يقال اترفته النعمة اى اطغته والمراد بالمترفين الاغنياء والرؤساء الذين آثروا النعمة واتباع الشهوات على الجد فى تحصيل سعادة الآخرة وظهر بهذا ان حب الدنيا وايثار لذاتها رأس كل خطيئة (قوله وهو حكاية امر ماض اوحى الى النذير) يعنى ان المأمور بقوله قل يجوز ان يكون النذير فيكون قل امرا ماضيا متعلقا بالنذير السالف حكاه الله تعالى فى القرآن على تقدير فقلنا له قل كذا وكذا ويجوز ان يكون امرا حاليا متعلقا برسول الله صلى الله عليه وسلم ويؤيد الاول قراءة من قرأ قال بدل قل اى قال النذير المرسل لمترفى قومه ويؤيده ايضا ما قالوا فى جوابه انا بما ارسلتم به بلفظ الجمع ولو كان الخطاب بقل لرسول الله صلى الله عليه وسلم لكان الظاهر ان يجيبوه بان يقولوا انا بما ارسلت به فلما لم يكن المخاطب بقل رسول الله

بل حكى الله تعالى عنهم انهم قالوا انا لا ننفك عن دين آبائنا وان جئتنا بما هو اهدى فانا بما ارسلتم به كافرون وان كان هو اهدى مما كنا عليه فعند هذا انقطع طريق النصح والارشاد ولم يبق الا الانتقام منهم فلهذا قال تعالى فانتقمنا منهم الآية (قوله وقرئ برئ و براء) وهما صفتان بمعنى واحد مثل طويل وطوال لمن هو بالغ في الطول وقرأ العامة براء بفتح الباء والف وهمزة بعد الراء وهو مصدر نعت به للمبالغة او بتقدير ذوالبراء (قوله استثناء منقطع) لان الفاطر تعالى غير داخل في قوله ماتعبدون لانهم كانوا لايعبدون الا الاصنام (قوله اوصفة) اى و يجوز ان تكون الاصفة بمعنى غير كافي قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الاالله لفسدتا الا ان كلمة ما حينئذ تكون نكرة موصوفة لا موصولة ولا مصدرية لان الا بمعنى غير لا يوصف بها الا النكرة قال ابن الحاجب و غير صفة حملت على الا في الاستثناء كما حملت الا عليها في الصفة اذا كانت تابعة لجمع منكر غير محصور لتعذر الاستثناء مثل لوكان فيهما آلهة الا الله والفطر الخلق ابتداء من غير مثال من قولهم فطرت البئر اذا انشأت حفرها من غير اصل سابق (قوله سيثبتني على الهداية) جواب عما يقال كيف قال سيهدين بالتسويف مع ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام مهديون لامحالة روى ان ابراهيم قال ذلك لابيه وقومه حين خرج من السرب وهو ابن سبع عشرة سنة ورأى اباه وقومه يعبدون الاصنام (قوله كلمة التوحيد) وهى ماتكلم به من قوله انى براء مما تعبدون الا الذى فطرنى فان البراءة من كل معبود سوى الله تعالى توحيد للمعبود بالحق بمنزلة ان يقال لااله الا الله الذى فطرنى بين تعالى ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام جعل هذه الكلمة كلمة باقية في عقبه اى في ذريته بان وصى بها بنيه ليرجع المشرك منهم عن شركه بدعاء الموحد اياه الى التوحيد فكلمة لعل بمعنى لاى ثم انه تعالى لما بين براءة ابراهيم من التقليد وتمسكه بالدليل فانه دعا اباه وقومه الى التوحيد ووصاهم بالملازمة على هذه الطريقة اضرب عن هذه القصة الى ماذكر مما انعم به على اهل مكة وهم من عقبه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال بل متعت هؤلاء وآباءهم وقرئ بل متعنا اى يقول بل متعناهم بانفسهم واموالهم وسائر انواع النعم ولم اعاجلهم بعقوبة كفرهم حتى جاءهم الحق اى القرآن ورسول مبين اى ظاهر الرسالة على ان يكون مبين من ابان بمعنى بان وظهر اومبين على ان يكون من ابان بمعنى اظهر وكان من حق هذا الانعام ان يطيعوا الرسول باجابته فلم يجيبوه وعصوا وهو قوله فلما جاءهم الحق يعنى القرآن قالوا هذا سحر الآية وقالوا استحقار الرسول صلى الله عليه وسلم لولا نزل هذا القرآن

وقرئ برئ و براء كريم وكرام (الاالذى فطرنى) استثناء منقطع اومتصل على ان ماعم اولى العلم وغيرهم وانهم كانوا يعبدون الله والاوثان اوصفة على ان ماموصوفة اى انى براء من آلهة تعبدونها غير الذى فطرنى (فانه سيهدين) سيثبتني على الهداية اوسيهديني الى ماوراء ماهداني اليه (وجعلها) وجعل ابراهيم عليه الصلاة والسلام اوالله كلمة التوحيد (كلمة باقية في عقبه) في ذريته فيكون فيهم ابدا من يوحد الله و يدعو الى توحيده وقرئ كلمة وفى عقبه على التخفيف وفي عاقبه اى فيمن عقبه (لعلهم يرجعون) يرجع من اشرك منهم بدعاء من وحد (بل متعت هؤلاء وآباءهم) هؤلاء المعاصرين للرسول من قريش وآباءهم بالمد في العمر و النعمة فاغتروا بذلك وانهمكوا في الشهوات وقرئ متعت بالفتح على انه تعالى

على رجل من القريتين اى من احدى القريتين كقوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان اى من احدهما والقريتان مكة والطائف الوليد بن المغيرة من مكة وعروة بن مسعود الثقفى من الطائف (قوله اعترض به على ذاته فى قوله وجعلها كلمة باقية) على ان يكون المنوى فى جعلها ضمير ذاته تعالى وتكون كلمة بل للاضراب عن الحكم بانه تعالى جعل تلك الكلمة باقية فى عقبه لما حكم بذلك اعترض على ذاته بطريق التجريد على منوال قول امرئ القيس

تطاول ليلك بالاثمد ❊ ونام الخلى ولم ترقد

فقال بل متعت هؤلاء وآباءهم بطول العمر وسعة الرزق فشغلهم ذلك عن استماع قول الناصح واراد بذلك الاعتراض المبالغة فى تعييرهم من حيث ان التمتع بزيادة النعم ينبغى ان يجعل سببا للشكر والتوحيد لا للشرك واتخاذ الانداد ونظير هذا الاسلوب ان يشكو الرجل اساءة من احسن اليه ثم يقبل على نفسه فيقول انت السبب فى ذلك باحسانك اليه وغرضه بهذا الكلام توبيخ المسئ لا تقبيح فعله ثم انهم لما استحقروه صلى الله عليه وسلم ولم يعدوه لائقا لمنصب النبوة بناء على قولهم منصب الرسالة منصب عظيم فلا يليق الا لرجل عظيم وان العظمة والشرف انما تكون بكثرة المال والجاه وهو صلى الله عليه وسلم ليس كذلك ابطل الله تعالى شبهتهم هذه بان نزلهم منزلة من يدعى اختصاص قسمة رحمة الله تعالى به فانكر عليهم ذلك فقال أهم يقسمون رحمة ربك وانكر كونهم هم المتولين لقسمة النبوة وحال عجزهم عن تدبير معيشتهم فى الحياة الدنيا والخويصة تصغير خاصة صغرها اشارة الى حقارة تلك المعيشة وهى ما يعيشون به من منافع الدنيا واسبابها وهو يعم الحلال والحرام وجعل المعيشة بهذا المعنى حاصلة لهم بقسمة الله تعالى اياها بينهم يقتضى ان يكون الحرام رزقا كالحلال كما ذهب اليه اهل السنة من انه تعالى لما قسم بينهم الحلال قسم الحرام أيضا لان منهم من يعيش بالحلال ومنهم من يعيش بالحرام وقد قال تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم اى ما يعيشون به وهو يقتضى ذلك وعند المعتزلة الحرام ليس برزق لان الرزق عندهم عبارة عن الملك والحرام لا يكون ملكا فلا يكون رزقا وقالوا انه لا يكون ملكا لان الملك ما يكون للشخص فيه يد محقة يدفع بها اليد المبطلة لغيره عينا كان او منفعة واليد انما تثبت باسباب شرعية عينها الله تعالى لثبوت الملك والاختصاص للمالك وهى غير متحققة فى الحرام فلا يكون ملكا وما لا يكون ملكا لا يكون رزقا وفيه ان الرزق لو وجب ان يكون ملكا لوجب ان لا تكون البهائم مرزوقة اذ لا يتصور لها الملك وقد قال تعالى وما من دابة

اعترض به على ذاته فى قوله [illegible] وجعلها كلمة باقية مبالغة فى تعييرهم (حتى جاءهم الحق) [illegible] التوحيد

او القرآن (ورسول مبين) ظاهر الرسالة بما له من المعجزات او مبين التوحيد بالحجج والآيات (ولما جاءهم الحق) لينبههم عن غفلتهم (قالوا هذا سحر وانا به كافرون) زادوا شرارة فضموا الى شركهم معاندة الحق والاستخفاف به فسموا القرآن سحرا وكفروا به واستحقروا الرسول (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين) اى من احدى القريتين مكة والطائف (عظيم) بالجاه والمال كالوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفى فان الرسالة منصب عظيم لا يليق الا بعظيم ولم يعلموا انها رتبة عظيمة روحانية تستدعى عظم النفس بالتحلى بالفضائل والكمالات القدسية لا بالتزخرف بالزخارف الدنيوية (أهم يقسمون رحمة ربك) انكار فيه تجهيل وتعجيب من تحكمهم والمراد بالرحمة النبوة (نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا) وهم عاجزون عن تدبيرها وهى خويصة امرهم فى دنياهم فمن اين لهم ان

يدبروا امر النبوة التى (١٢) هى اعلى المراتب (من) الانسية واطلاق المعيشة يقتضى ان يكون حلالها وحرامها من الله

(ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات) وأوقعنا بينهم التفاوت ٩٠ في الرزق وغيره (ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) ليستعمل بعضهم بعضا في حوائجهم فيحصل بينهم تآلف وتضام ينتظم بذلك نظام العالم لا لكمال في الموسع ولا لنقصان في المقتر ثم انه لا اعتراض لهم علينا في ذلك ولا تصرف فكيف يكون فيما هو اعلى منه (ورحمة ربك) هذه يعني النبوة وما يتبعها (خير مما يجمعون) من حطام الدنيا والعظيم ما رزق منها لامته (ولولا ان يكون الناس امة واحدة) لولا ان يرغبوا في الكفر اذا رأوا الكفار في سعة وتنعم لحبهم الدنيا فيجتمعوا عليه (لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج) ومصاعد جمع معرج وقرئ معاريج جمع معراج (عليها يظهرون) يعلون السطوح لحقارة الدنيا ولبيوتهم بدل من لمن بدل الاشتمال او علة كقولك وهبت له ثوبا لقميصه وقرأ ابن كثير وابو عمرو سقفا اكتفاء بجمع البيوت وقرئ سقفا بالتخفيف وسقوفا وسقفا وهو لغة في سقف (ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكئون) اي ابوابا وسررا من فضة (وزخرفا) وزينة عطف على سقفا او وذهبا عطف على محل من فضة (وان كل ذلك لما متاع (الاسلام)

في الارض الاعلى الله رزقها (قوله واوقعنا بينهم التفاوت في الرزق وغيره) كالقوة والضعف والعلم والجهل والغنى والفقر لانا لو سوينا بينهم في هذه الاحوال كلها لم يخدم احد احدا ولم يصر احد منهم مسخر الغيره فيفسد به نظام الدنيا و يخرب العالم فاوقع الله تعالى بينهم التفاوت ليسخر للاغنياء باموالهم الاجراء والفقراء بالعمل فينتفع الاغنياء بقوة الفقراء والفقراء بنعمة الاغنياء و ينتظم امر كل صنف منهم بالآخر (قوله لحقارة الدنيا) علة لقوله لجعلنا لمن يكفر بالرحمن واشارة الى ان الآية استئناف لبيان كون رحمة الله تعالى خيرا مما يجمعون قال الزجاج لما علم تعالى ان الآخرة احظ من الدنيا بقوله تعالى ورحمة ربك خير مما يجمعون ذكر حقارة الدنيا وما فيها من المنافع الجسمانية بهذه الآية وقوله ومعارج عطف على سقفا والتقدير ومعارج من فضة لان الظاهر ان المعطوف يشارك المعطوف عليه في قيوده وحذف لدلالة الاول عليه وكذا الكلام في الابواب والسرر وقوله عليها يتكئون وعليها يظهرون صفتان لما قبلهما يقال ظهر عليه اذا علاه قال تعالى فما اسطاعوا ان يظهروه اي يعلوه والمعرج آلة الصعود وهي المرقاة والسلم (قوله ولبيوتهم بدل من لمن) فيكون كل واحد من اللامين للاختصاص (قوله او علة) اي و يجوز ان تكون اللام الثانية للعلة كما في قوله وهبت له ثوبا لقميصه اي لاجل ان يخيطه قميصا (قوله وقرأ ابن كثير وابو عمرو سقفا) اي بفتح السين وسكون القاف بالافراد على ارادة الجنس الذي هو في معنى الجمع او اكتفاء بالواحد عن الجمع لدلالة البيوت عليه فان قوله لبيوتهم بدل عن لكل بيت سقفا على حدة والباقون من السبعة سقفا بضمتين وقرئ سقوفا مثل فلس و فلوس وسقفا بفتحتين وهو لغة في سقف بالفتح والسكون (قوله وزينة او وذهبا) يعني ان الزخرف يجوز ان يكون بمعنى الزينة كما في قوله تعالى حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت فيكون معطوفا على قوله سقفا والمعنى لجعلنا لهم كذا اي لبيوتهم كذا وكذا زينة عظيمة في كل باب يزينون بها بيوتهم من الاواني والفرش وغيرها و يجوز ان يكون بمعنى الذهب فيكون معطوفا على محل من فضة والمعنى لجعلنا لبيوتهم سقفا من فضة و زخرفا فنصب عطفا على محل من فضة وفي الصحاح الزخرف الذهب ثم يشبه به كل مموه ومزوق والمزخرف المزين ومعنى الآية لولا ذلك لفعلنا بالكفار ماذكرنا ولكنه تعالى لم يفعل ذلك لعلمه بان الغالب على الخلق حب العاجلة فان قيل حينما لم يوسع على الكفار للفتنة التي ذكرت فهلا وسع على المسلمين ليجتمع الناس على الاسلام اجيب بان التوسعة عليهم مفسدة ايضا من حيث انها تؤدي الى ان يكون الدخول في

الاسلام لاجل توسعة الدنيا وذلك من ديدن المنافقين فكانت الحكمة فيما دبره الله تعالى ثم انه تعالى اخبران جميع ماذكر انما يتمتع به فى الدنيا ثم يزول عن عن قريب فقال وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا اى وان الامر والشان كل ذلك لمتاع الحياة الدنيا على ان اللام فى لماهى الفارقة بين ان المخففة من الثقيلة و بين النافية وماصلة مؤكدة (قوله وقرئ به) اى وقرئ بالاسكان مع ان وما فقيل وان كل ذلك الامتاع وقيل ايضا وماكل ذلك الامتاع (قوله وفيه دلالة) وجه الدلالة ظاهر لانه جعل جميع ما ذكره من زينة الدنيا متاعا يتمتع به الانسان مدة قليلة ثم يزول و يذهب ثم حكم بان الجنة ونعيم الآخرة للمتقين من الكفر والمعاصى لا للمشركين الذين الهاهم الانهماك فى شهوات الدنيا عن السعى فيما يؤدى الى سعادة الآخرة لانه قد ضاع منهم ما افنوا فيه اعمارهم وقد حرموا من سعادة الآخرة ايضا بخلاف المتقين وفيه ايضا اشعار بما لاجله لم يجعل ذلك الذى حكم عليه انه متاع الحياة الدنيا للمؤمنين (قوله وهو) اى الذى لاجله لم يجعل ذلك للمؤمنين انه اى ماذكر من زينة الدنيا ممتع قليل بالاضافة الى مالهم فى الآخرة مخل به اى بمالهم فى الآخرة لما فيه اى فيما ذكر من الآفات والمصنف اشار بهذا الكلام الى جواب مايقال من انه تعالى قدبين ان الدنيا ومافيها من انواع الزينة والشهوات لحقارتها عند الله تعالى لايليق الا بالكفار كما قال صلى الله عليه وسلم لوكانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ماسقى كافرا منها شربة ماء ولولا كراهة ان يجتمع الناس على الكفر اذا رأوا الكفار فى سعة وتنعم لوسعنا على الكفار بما لايكون اوسع منه لحقارة حطام الدنيا عندنا فورد ان يقال اذا كان توسيع حطام الدنيا على الكافر سببا لاجتماع الناس على الكفر كان توسيعه على المؤمن ايضا سببا لاجتماعهم على الايمان فلم لم يفعل ذلك فنزل قوله تعالى وان كل ذلك الآية للاشارة الى جوابه كانه قيل كما لم يوسع على الكفار كراهة الفتنة كذلك لم يوسع على المؤمنين لان متاع الدنيا لقلته لا يصلح ان يكون مقصودا لذاته مع انه مخل ومفوت لثواب الآخرة لما فيه من الآفات ومن جملتها انه لو وسع عليهم لاحبوها وآثروا الاسلام لاجلها لا لله تعالى وطلبا لمرضاته واتباعا لما نصبه من الادلة القطعية ولا ازداد واحرصا وانهماكا فى الشهوات ولادى ذلك الى ان يقيض الله لهم شيطانا يزين لهم الباطل و يزلهم عن طريق الحق مجازاة لهم على ما آثروا الباطل على الحق (قوله يتعام و يعرض) مبنى على قراءة يعش بضم الشين وهى قراءة العامة من عشا يعشو بمعنى تعامى يتعامى اى يتظر نظر العمى ولا آفة فى بصره واما اذا كان فى بصره آفة مخلة للرؤية

(الحياة الدنيا) ان هى المخففة واللام هى الفارقة وقرأ عاصم وحمزة وهشام بخلاف عنه لما بالتشديد بمعنى الا وان نافية وقرئ به مع ان وما (والآخرة عند ربك للمتقين) الكفر والمعاصى وفيه دلالة على ان العظيم هو العظيم فى الآخرة لا فى الدنيا واشعار بما لاجله لم يجعل ذلك للمؤمنين حتى يجتمع الناس على الايمان وهوانه ممتع قليل بالاضافة الى مالهم فى الآخرة مخل به فى الاغلب لما فيه من الآفات التى قل من يتخلص منها كما اشار اليه بقوله (ومن يعش عن ذكر الرحمن) يتعام و يعرض عنه بفرط اشتغاله بالمحسوسات وانهماكه فى الشهوات

وقرئ يعش بالفتح اى يعم يقال عشى اذا كان فى بصره آفة وعشا اذا تعشى بلا آفة كعرج وعرج

وقرئ يعشو على ان من موصولة (نقيض له شيطانا فهو له قرين) يوسوسه ويغويه دائما وقرأ يعقوب بالياء على اسناده الى ضمير الرحمن ومن رفع يعشو ينبغى ان يرفعه (وانهم ليصدونهم عن السبيل) عن الطريق الذى من حقه ان يسلك وجمع الضميرين للمعنى اذ المراد جنس العاشى والشيطان المقيض له (ويحسبون انهم مهتدون) الضمائر الثلاثة الاول له والباقيان للشيطان (حتى اذا جاءنا) اى العاشى وقرأ الحجازيان وابن عامر وابو بكر جاآنا اى العاشى والشيطان (قال) اى العاشى للشيطان (يا ليت بينى وبينك بعد المشرقين) بعد المشرق من المغرب والمغرب من المشرق فغلب المشرق وثنى واضيف البعد اليهما (فبئس القرين) انت (ولن ينفعكم اليوم) اى ما انتم عليه من التمنى (اذ ظلمتم) اذ صح انكم ظلمتم (انفسكم) فى الدنيا بدل من اليوم (انكم فى العذاب مشتركون) لان حقكم ان تشتركوا انتم وشياطينكم فى العذاب كما كنتم مشتركين فى سببه (هو)

فحينئذ يقال عشى يعشى كعمى يعمى وزنا ومعنى كما يقال عرج بالكسر فهو اعرج اذا اصابته آفة فى رجله مخلة بالمشى السوى وعرج بالفتح لمن مشى مشية العرجان وليست به آفة تقتضيها فمعنى القرآءة بفتح الشين ومن يعم عن ذكر الرحمن وهو القرءآن كقوله تعالى صم بكم عمى ومعناها بالضم ومن يتعام عن ذكره اى يعرف انه الحق وهو يتعامى اى يتجاهل ويتعالى كقوله وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم قال الشاعر

* متى تأته تعشوالى ضوء ناره * تجد خير نار عندها خير موقد *

اى تنظر اليها نظر العشى لما يضعف بصرك من عظم الوقود واتساع الضوء (قوله وقرئ يعشو) باثبات الواو على ان من موصولة عارية من معنى الشرط وينبغى على هذه القرآءة ان يقرأ نقيض مرفوعا ولم تنقل هذه القرآءة فدل ذلك على ان عدم سقوط الواو ليس مبنيا على كون من موصولة بل هى شرطية كما فى القرآءة الاخرى الا انه ألحق الفعل الناقص بالصحيح فى ان يكون جزمه بحذف الحركة وقد حكى عن الاخفش انه قال هى لغة بعض العرب (قوله وجمع الضميرين) وهما ضمير الشيطان والعاشى فضمير الشيطان هو المنصوب فى قوله وانهم والمرفوع فى قوله ليصدونهم وضمير العاشى هو المنصوب فى قوله ليصدونهم والمعنى وان الشيطان ليصدن العاشين عن السبيل اعتبر معنى من بعد اعتبار لفظه فى قوله ومن يعش ونقيض له شيطانا وضمير يحسبون للعاشين اى ويحسب العاشون انهم مهتدون روى عن ابى بكر رضى الله تعالى عنه انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عليكم بلا اله الا الله والاستغفار فاكثروا منهما فان ابليس قال اهلكت الناس بالذنوب واهلكونى بلا اله الا الله والاستغفار فلما رأيت ذلك اهلكتهم بالاهواء وهم يحسبون انهم مهتدون وقطع المصنف بان ضمير قوله انهم مهتدون للشيطان والمعنى وهؤلاء الكفار العاشون يحسبون ان الشياطين مهتدون فقوله الضمائر الثلاثة مبتدأ وقوله الاول مبتدأ ثان وله خبر الثانى وضمير له راجع الى من والجملة خبر المبتدأ الاول والتقدير الاول منها له والباقيان منها للشيطان (قوله اى ما انتم عليه من التمنى) يعنى ان فاعل ينفعكم مضمر فيه راجع الى التمنى المدلول عليه بقوله ياليت بينى وبينك فقوله انكم فى العذاب مشتركون تعليل لعدم النفع بتقدير حرف التعليل وقوله مشتركون بمعنى تستحقون الاشتراك فيه ليصح معنى التعليل اشار اليه المصنف بقوله لان حقكم ان تشتركون (قوله بدل من اليوم) متفرع على كون قوله تعالى اذ ظلمتم بمعنى اذ صح وتبين انكم ظلمتم انفسكم فى الدنيا والا لما جاز كونه بدلا منه لان المراد من اليوم يوم القيامة ووقت ظلمهم انفسهم

يجوز ان يسند الفعل
اليه بمعنى ولن ينفعكم
اشتراككم في العذاب
كما ينفع الواقعين في امر
صعب تعاونهم في تحمل
اعبائه وتقسمهم مكابدة
عنائه اذ بكل منكم
مالا يسعه طاقته وقرئ
انكم بالكسر وهو يقوى
الاول (أفانت تسمع
الصم اوتهدى العمى)
انكار تعجيب من ان يكون
هو الذى يقدر على
هدايتهم بعد تمرنهم
على الكفر واستغراقهم
في الضلال بحيث صار
عشاؤهم عمى مقرونا
بالصمم كان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم
يتعب نفسه في دعاء قومه
وهم لايزيدون الاغيا
فنزلت (ومن كان
في ضلال مبين) عطف
على العمى باعتبار تغاير
الوصفين وفيه اشعار
بان الموجب لذلك تمكنهم
في ضلال لايخفى (فاما نذهبن
بك) اى فان قبضناك
قبل ان نبصرك عذابهم
وما مزيدة مؤكدة

هو وقت كونهم في الدنيا فليس احدهما عين الآخر ولابعضه ولااشتمال
بينهما وبدل الغلط لايقع في القرآن فلما كان تقدير الكلام لن ينفعكم اليوم
وقت تبين ظلمكم بحيث لم يبق لكم ولالاحد غيركم شبهة في انكم كنتم ظالمين
صح كون الظرف الثاني بدلا من الاول لاتحادهما بالذات وبقي هنا اشكال
آخر وهو ان اليوم ظرف حالي واذ ظرف ماضي فلايتحدان ذاتا الا ان يقال
جردت كلمة اذ هنا لمطلق الزمان وايضا اليوم ظرف حالي وينفعكم للاستقبال
لاقترانه بلن التي لنفي المستقبل فكيف يعمل الحدث المستقبل الذي لم يقع بعد
في ظرف حاضر الان يقال جردت كلمة لن هنا لمجرد النفي (قوله ويجوز
ان يسند الفعل اليه) اى ويجوز ان يكون قوله تعالى انكم في العذاب
مشتركون في محل الرفع على انه فاعل لن ينفعكم والمعنى لن ينفعكم كونكم
مشتركين في العذاب كما ينفعه قولهم البلية اذا عمت خفت والاعباء جمع عبء
بالكسر وهو الحمل الثقيل (قوله وهو يقوى الاول) اى يقوى ان يكون فاعل
لن ينفعكم ضمير التمني ويكون قوله انكم مشتركون تعليلا كما هو كذلك على
قرآءة انكم بالكسر لان ان تقتضي صدر الكلام فيمتنع ان تكون مع مافي حيزها
فاعلا لما قبلها ثم انه تعالى ذكر انه لاينفع الدعوة والوعظ لمن سبقت عليه
الشقاوة من الله فقال افانت تسمع الصم الاية الان قول المصنف انكار تعجيب
من ان يكون هو الذي يقدر على هدايتهم يفهم منه انه تعالى نزله صلى الله تعالى عليه
وسلم منزلة من يقول انا اسمع الصم واهدي العمى مريدا به تخصيص القدرة
عليهما به صلى الله تعالى عليه وسلم بناء على ان تقديم المسند اليه في مثل
انا اسعيت في حاجتك للقصر والتخصيص ردا على من زعم انفراد غيره بالخبر
اومشاركة الغير له فيه على انه قصر قلب او قصر افراد ثم انه تعالى تعجب
من تخصيصه القدرة على ذلك به وانكر عليه بقوله افانت تسمع الصم الاية
وهذا المعنى غير ملائم بالمقام وسوق الاية بل الظاهر انه تعالى نزله منزلة من يدعي
انه قادر على ذلك لاصراره على دعائهم مع تمرنهم على الكفر قائلا انا اسمع
واهدي على قصد تقوى الحكم لاعلى قصد التخصيص فعجب تعالى من ادعاء
ذلك وانكر عليه فالوجه على هذا ان يقول من ان يكون قادرا عليه من غير
توسيط ضمير الفصل وتعريف الخبر في قوله من ان يكون هو الذي يقدر على
هدايتهم لان مااختاره من التعبير يفيد كون المخاطب ممن يدعي اختصاص
الخبر به (قوله وفيه اشعار بان الموجب لذلك) اى وفي عطف قوله
ومن كان في ضلال مبين على العمى اشعار بان الموجب للصمم والعمى المدلول
عليهما بلفظي الصمم والعمى فانه تعالى لما وصفهم في الاية المتقدمة بالعشى

بمنزلة لام القسم في استجلاب النون المؤكدة (فانا منهم منتقمون) بعدك في الدنيا والاخرة (او نرينك الذي وعدناهم) اوان اردنا ان نريك ما وعدناهم من العذاب (فانا عليهم مقتدرون) لا يفوتونا (فاستمسك بالذي اوحي اليك) من الآيات والشرائع وقرئ اوحي على البناء للفاعل وهو الله تعالى (انك على صراط مستقيم) لاعوج له (وانه لذكر لك) لشرف لك (ولقومك وسوف تسألون) اى عنه يوم القيامة وعن قيامكم بحقه (واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا) اى واسأل اممهم وعلماء دينهم (أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) هل حكمنا بعبادة الاوثان وهل جاءت في ملة من مللهم والمراد به الاستشهاد باجماع الانبياء على التوحيد والدلالة على انه ليس ببدع ابتدعه فيكذب ويعادى له

واصله النظر ببصر ضعيف وصفهم في هذه الآية بالصمم والعمى وما احسن هذا الترتيب فان الانسان في اول اشتغاله بطلب الدنيا وميله الى الحظوظ الجسمانية يكون كمن بعينه رمد ضعيف ثم انه كلما ازداد اشتغاله بها واشتد اعراضه عن الفضائل الروحانية ازداد رمده فينتقل الى ان يصير اعشى ومن كونه اعشى الى كونه اعمى فالقوم بلغوا بسبب تصميمهم على الكفر وثباتهم على الغي والنفرة عن قبول الحق الى حيث كانوا اذا تلي عليهم القرآن كانوا كالصم واذا ظهرت المعجزات عليهم كانوا كالعمى فلذلك شبهوا بالصم والعمى واشير الى ان الموجب لذلك تمكنهم في ضلال لا يخفى ثم انه تعالى سلى رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وطيب قلبه فقال فاما نذهبن بك (قوله بمنزلة لام القسم في استجلاب النون) قد اشتهر بين النحاة ان نون التوكيد لا تدخل الا على مستقبل فيه معنى الطلب كالامر والنهي والاستفهام والتمني والعرض واما المستقبل الذي هو خبر محض فلا تدخل عليه نون التوكيد كلام القسم نحو والله لافعلن وما المزيدة على حرف الشرط لتأكيد معنى الشرطية والتعلق نحو فاما نذهبن فيكون ما داخل على اوله توطئة وابتداء لما داخل على آخره وهو معنى كونهما مستجلبين لها ومقتضيين اياها ثم انه تعالى لما بين انه لا ينفع اجتهاده في دعوة قومه الصم العمى وانهم لا يرجعون عما هم عليه من الضلال المبين وانهم قد استحقوا العذاب الاليم بين ان احد الامرين متعين اما ان انصرك عليهم في الدنيا واشفي به صدور المؤمنين او انتقم منهم في الآخرة اشد الانتقام ثم قال اذا علمت هذا فاعرض عنهم واشتغل بما يهمك وهو التمسك بالقرآن الكريم لانك على صراط مستقيم ولما بين ان التمسك به صراط مستقيم يوصل الى منافع الدين بين ايضا تأثيره في منافع الدنيا فقال وانه لذكر لك ولقومك اى وان القرآن لشرف لك ولقومك من قريش حيث يقال ان هذا الكتاب العظيم انزله الله لهؤلاء وقال مجاهد القوم هم العرب فان القرآن لهم شرف حيث انزله الله بلغتهم ثم يختص بذلك الشرف الاخص فالاخص من العرب حتى يكون قريش وبنو هاشم وبنو عبد المطلب اكثر حظا منه (قوله واسأل اممهم) لما كان سؤال من مضى قبله صلى الله تعالى عليه وسلم من الانبياء عليهم الصلاة والسلام ممتنعا احتيج الى تقدير المضاف وقيل لا حاجة الى تقدير المضاف بناء على ما روى عن ابن عباس قال انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما اسرى به الى المسجد الاقصى جمع له آدم وجميع المرسلين من ولده فأذن جبريل ثم اقام وقال يا محمد تقدم فصل بهم فلما فرغ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى سائر الانبياء والمرسلين من الصلاة قال له جبريل سل

(يا محمد)

يامحمد من ارسلنا من قبلك من رسلنا الاية فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لااسأل لانى لست شاكا فيه وعن عائشة رضى الله عنها قالت لما نزلت هذه الاية قال صلى الله تعالى عليه وسلم ماانا بالذى اشك وماانا بالذى اسأل وانما لم يسأل مع كونه مأمورا بالسؤال لانه صلى الله تعالى عليه وسلم علم ان الامر ليس لايجاب السؤال عليه بدلالة ان السؤال يكون لرفع الالتباس ولم يكن صلى الله تعالى عليه وسلم يشك فى ذلك فعلم بذلك ان المراد التقرير لمشركى قريش ونحوهم انه لم يأت رسول ولا كتاب بعبادة غير الله تعالى (قوله فانه كان اقوى ماحملهم على التكذيب) علة لقوله فيكذب ويعادى له فان التوحيد لما كان امرا اتفقا عليه كل الانبياء والرسل وجب ان لا يكذب ويعادى لاجله فان التوحيد هو معظم ماجعلوه سببا لبغضه صلى الله تعالى عليه وسلم ومخالفته (قوله يريد باقتصاصه) اى ليس المقصود من ذكر هذه القصة بيان نفسها بل المقصود تسليته صلى الله تعالى عليه وسلم بان فرعون مع بلوغه فى عز الدنيا الى غاية الكمال لما صار مقهورا باعوانه كان الامر فى حق اعدائك هكذا ومناقضة مقد متهم القائلة لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم فانهم ارادوا بها القدح فى نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم فبين الله تعالى بايراده هذه القصة ان موسى عليه الصلاة والسلام بعدان اورد المعجزات الباهرة التى لايشك فى صحتها عاقل اورد فرعون عليه ماقاله كفار قريش فى حقه صلى الله عليه وسلم من انه رجل حقير عديم المال والجاه الاترون انه حصل لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى واما موسى فانه فقير مهين وليس له بيان ولالسان فكيف يكون رسولا من عند الله الملك الكبير فثبت ان شبهته التى ذكرها كفار مكة وهى قولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم قداوردها بعينها فرعون على موسى صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ان تلك الشبهة لم تقدح فى نبوة موسى صلى الله تعالى عليه وسلم حيث بلغ رسالة ربه فلم يقبلوها فانتقم الله تعالى منهم فاغرقهم اجمعين فلوكان فى هذه الشبهة مايدل على قدحا من النبوة لنفعت فرعون فيما زعمه واذا لم تنفع ثبت بطلانها فهذا وجه كون ذكر قصة موسى وفرعون مناقضة وابطالا لشبهة كفار قريش (قوله تعالى اذاهم منها يضحكون) قيل انه عليه الصلاة والسلام لماالقى عصاه فصارت ثعبانا ثم اخذه فصار عصا كما كان ضحكوا ولما عرض عليهم اليد البيضاء ثم عادت كما كانت ضحكوا واستهزئوا من غير ان يتأملوا (قوله فاجاؤا وقت ضحكهم منها) لما ورد ان يقال ان كلمة لما لابدلها من عامل وان العامل فيها جوابها وقد اجيب عنها فى الآية الكريمة باذا المفاجاة وهى لاتعمل وكذا

فانه كان اقوى ماحملهم على التكذيب والمخالفة (ولقد ارسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملائه فقال انى رسول رب العالمين) يريد باقتصاصه تسلية الرسول ومناقضة قولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم والاستشهاد بدعوة موسى عليه الصلاة والسلام الى التوحيد (فلما جاءهم بآياتنا اذا هم منها يضحكون) فاجاؤا وقت ضحكهم منها اى استهزئوا بها اول مارأوها ولم يتأملوا فيها (ومانريهم من آية الاهى اكبر من اختها)

الا وهي بالغة اقصى درجات الاعجاز بحيث يحسب الناظر فيها انها اكبر مما يقاس اليها من الآيات والمراد وصف الكل بالكبر كقولك رأيت رجالا بعضهم افضل من بعض وكقوله

من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم * مثل النجوم التي يسري بها الساري

اوالا وهي مختصة بنوع من الاعجاز مفضلة على غيرها بذلك الاعتبار (واخذناهم بالعذاب) كالسنين والطوفان والجراد (لعلهم يرجعون)

مابعدها لايعمل فيما قبلها فالعامل في اذا المشار الى جوابه بتقدير فعل المفاجأة في محل اذا على انه مفعول به وجملة مالا يعمل النصب وفي محل لما على انه ظرف هذا حاصل ماذكره الزمخشري سؤالا وجوابا الا ان جعل اذا الفجائية منصوبة المحل بالفعل المقدر غير منقول عن النحويين فان المنقول في اذا الفجائية ثلاثة مذاهب وهي انها اما حرف فلا تحتاج الى عامل او ظرف مكان او ظرف زمان وعلى التقديرين لاتكون معمولا لفعل المفاجأة مقدرا لانه ان ذكر بعد الاسم الواقع بعدها خبر كانت منصوبة على الظرف والعامل فيها ذلك الخبر نحو خرجت فاذا زيد قائم تقديره خرجت ففي المكان الذي خرجت منه زيد قائم او ففي الوقت الذي خرجت زيد قائم وان لم يذكر بعد الاسم خبرا وذكر اسم منصوب على الحال فان كان الاسم جثة وقلنا انه ظرف مكان كان الامر واضحا نحو خرجت فاذا الاسد اي فبالحضرة الاسد اذ لاخفاء في صحة كون ظرف المكان خبرا عن الجثة وكذا قولك خرجت فاذا الاسد صائلا وان قلنا انها ظرف زمان كان الكلام على حذف مضاف لئلا يخبر بالزمان عن الجثة نحو خرجت فاذا الاسد اي ففي الزمان حضور الاسد وان كان الاسم حدثا جاز ان تكون اذا ظرف زمان او ظرف مكان ولاحاجة الى تقدير مضاف نحو خرجت فاذا القتال ان شئت قدرت فبالحضرة القتال او ففي الزمان القتال لصحة كون كل واحد من ظرفي الزمان والمكان خبرا عن الحدث (قوله الا وهي بالغة اقصى درجات الاعجاز) اشارة الى دفع ما يقال ان قوله كل واحدة من تلك الآيات اكبر من اختها يستلزم ان تكون كل واحدة فاضلة عن اختها ومفضولة عنها في حالة واحدة وهو تناقض باطل وتقرير الجواب انه ليس المراد ظاهر ما يفهم من الكلام بل المراد المبالغة في كون كل واحدة منها بالغة الى اقصى درجات الاعجاز بحيث اذا ظهرت آية واحدة منها اي آية كانت يحسب الناظر انها اكبر من كل آية تقاس عليها والمراد به وصف الكل بالكبر لان كل واحدة منها اذا كانت بحيث يقول الناظر في حقها انها اكبر من اختها مطلقا اي مما تقاس هي اليه من الآيات اي آية كانت لاجرم يكون كلها متساوية متماثلة في هذا المعنى فقوله الا هي اكبر من اختها اي في زعم الناظر ورأيه (قوله اوالا وهي مختصة الخ) عطف على قوله الا وهي بالغة وجواب ثان عن سؤال التناقض وتقريره انما يلزم التناقض ان لو كان المعنى كل واحدة منهما اكبر من البواقي مطلقا اي من جميع الوجوه وليس كذلك بل المعنى ان كل واحدة منها اكبر من البواقي باعتبار الجهة التي تميزت هي عن البواقي بتلك الجهة (قوله كالسنين والطوفان والجراد)

اى والقمل والضفادع والدم والطمس والعصا واليد البيضاء فانهم عذبوا بهذه الآيات فكانت عذابا لهم وآيات عظاما لموسى عليه الصلاة والسلام عذبهم الله تعالى بها لعلهم يرجعون عما كانوا عليه من الشرك ويتوبون (قوله على وجه يرجى رجوعهم) يعنى ان كلمة لعل استعارة تمثيلية شبه الله تعالى معاملته معهم بمعاملة من يرجو ويتوقع وجعلها الزمخشرى مستعارة لمعنى الارادة وفرع عليه كلاما مبنيا على مذهبه (قوله نادوه بذلك فى تلك الحال) اى فى حال تضرعهم لموسى عليه الصلاة والسلام بقولهم ادع لنا اى لاجلنا ربك مع ان مقام التعظيم ينافى النداء بالساحر فانه مباين للمعجزة فلا يكون دليلا على النبوة بل منافيا لها فان السحر صفة مذمومة ويحتمل ان يكون النداء بمعنى ياايها العالم الحاذق بناء على ان يكون السحر فيهم فضيلة عظيمة وصفة محمودة وليس المراد يا ايها الذى غلبنا سحره كما فى الوجه الاول بل يعظمونه بذلك النداء (قوله بعهده عندك) ذكر فى الآية اربعة اوجه وكلمة ما فى الثلاثة الاول منها مصدرية وفى الرابع موصولة وفسر العهد اولا بالنبوة فانها تسمى بعهد الله تعالى وثانيا بوعد الله تعالى اياه عليه الصلاة والسلام باستجابته دعاءه وثالثا بوعده تعالى اياه عليه الصلاة والسلام بكشف العذاب عمن اهتدى وتاب ورابعا بالتوصية من قولهم عهد اليه بكذا اى وصاه به واخذ عهده فيه على ان يفعل والباء فى جميع الوجوه للسببية اى ادع الله لنا بسبب عهده الذى عندك من النبوة اومن استجابة دعوتك او بكشف العذاب عن اهتدى او بالذى عهد اليك ووصاك به من الايمان والطاعة اللذين اتيت بهما وفاء بالعهد والاظهر انها فى الوجه الاول والرابع للقسم اى ادع الله لنا بحق ما عندك من النبوة او بحق الايمان والطاعة الذين عندك وفى الوجه الثانى والثالث السببية (قوله فوفيت به) لعله مأخوذ من قوله عندك بدل اليك فان اصل العهد بمعنى التوصية ان يتعدى بالى الا انه اورد بدلها لفظ عندك اشعارا بان تلك الوصية مرعية محفوظة عنده لا تصير ملغاة (قوله بشرط ان تدعونا) كانه جواب عما يقال كيف قالوا اننا لمهتدون مع ان تسميتهم اياه بالساحر تكذيب له بمنزلة ان يقال غلبتنا بالسحر لا بالمعجزة فلست نبيا وتقرير الجواب ظاهر (قوله فاجاؤا نكث عهدهم) الظاهر على قياس ما ذكره فى قوله تعالى اذاهم منها يضحكون ان يقال ذاتيا وارتقت نكث العهد على ان يكون الفعل المقدر عاملا فى لما نصبه على الظرفية ثم اذا نصبه على انه مفعول به الا انه اكتفى بذكر ما يدل على خلاصة المعنى (قوله انهار النيل) اى الانهار التى فصلوها

على وجه يرجى رجوعهم (وقالوا يا ايها الساحر) نادوه بذلك فى تلك الحال لشدة شكيمتهم وفرط حماقتهم اولانهم كانوا يسمون العالم الباهر ساحرا (ادع لنا ربك) اى لتدع لنا فيكشف عنا العذاب (بما عهد عندك) بعهده عندك من النبوة اومن ان يستجيب دعوتك او ان يكشف العذاب عمن اهتدى او بما عهد عندك فوفيت به وهو الايمان والطاعة (اننا لمهتدون) بشرط ان تدعو لنا (فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون) فاجاؤا نكث عهدهم بالاهتداء (ونادى فرعون) بنفسه او بمناديه (فى قومه) فى مجمعهم او فيما بينهم بعد كشف العذاب عنهم مخافة ان يؤمن بعضهم (قال يا قوم اليس لى ملك مصر وهذه الانهار) انهار النيل ومعظمها اربعة نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس (تجرى من تحتى)

تحت قصري اوامري او بين يدي في جناني والواو اما عاطفة لهذه الانهار على الملك فتجري حا
لمنها او واو حال وهذه
مبتدأ والانهار صفتها
وتجري خبرها (افلا
تبصرون) ذلك (ام انا
خير) مع هذه المملكة
والبسطة (من هذا الذي
هو مهين) ضعيف
حقير لا يستعد للرياسة
من المهانة وهي القلة
(ولا يكاد يبين) الكلام
لما به من الرتة فكيف
يصلح للرسالة وام اما
منقطعة والهمزة فيها
للتقرير لما قدم من اسباب
فضله اومتصلة على
اقامة المسبب مقام السبب
والمعنى افلا تبصرون
ام تبصرون فتعلمون
اني خير منه (فلولا القي
عليه اساورة من ذهب)
اي فهلا القي اليه مقاليد
الملك ان كان صادقا اذ
كانوا اذا سودوا رجلا
سوروه وطوقوه بسوار
وطوق من ذهب واساورة
جمع اسوار بمعنى السوار
على تعويض التاء من ياء
اساوير وقد قرئ به وقرأ
يعقوب و حفص اسورة
وهي جمع سوار وقرئ
اساور جمع اسورة والقى عليه
اسورة واساور على البناء
للفاعل وهو الله تعالى
(او جاء معه الملائكة مقترنين) مقرونين به يعينونه او يصدقونه من قرنته به فاقترن

من النبيل وطوالوت اسم رجل وتنيس بفتح التاء وتشديد النون وحاصل
كلامه انه احتج بكثرة امواله وقوة جاهه على فضيلة نفسه وعدم استحقاق
موسى للرياسة (قوله تحت قصري الخ) لما لم يمكن ان يكون النهر نفسه تحت
الشخص احتيج الى تقدير شيء يكون النهر تحته ويكون تحت الشخص ايضا بواسطة
كون ذلك الشيء تحت الشخص حسا كالقصر اومعنى كالامر وقال لما بين يدي
الشخص انه تحت الشخص لكونه في مكان اسفل من مكان الشخص والرتة
بضم الراء وتشديد التاء العقدة الحاصلة في اللسان حيث تمنع سلاسة التكلم
والجريان فان قيل اليس ان موسى عليه الصلاة والسلام سأل الله تعالى
ان يزيل الرتة من لسانه بقوله واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي فاعطاه الله
تعالى ذلك حيث قال قد اوتيت سؤلك ياموسى فكيف عابه فرعون بتلك
الرتة قلنا نعم انها زالت فكان عليه الصلاة والسلام في غاية طلاقة اللسان
وكمال البيان حال مخاطبته مع فرعون وملائه وانما عابه فرعون بما كان
عرفه به في الابتداء فان موسى عليه الصلاة والسلام مكث عند فرعون
زمانا طويلا وكان عليه الصلاة والسلام في لسانه حبسة حينئذ فوصفه فرعون
بما عهده عليه تمويها الضعفة الذين كانوا علموه منه قبل ذلك وام منقطعة
فتقدر ببل والهمزة حمل قومه اولا على ان يقروا بسعة ملكه وكثرة اسباب عزه
وشوكته ثم اضرب عنه وحملهم على الاقرار بكونه خيرا من موسى عليه الصلاة
والسلام بناء على ما قدم من ذكر اسباب فضله و زعمه انه عليه الصلاة والسلام
ضعيف حقير وقيل انها متصلة حذف معادلها واقيم ما هو السبب مقامه
والاصل افلا تبصرون لكون علمهم بانه خير منه سببا عن الابصار (قوله
مقاليد الملك) اي مباديه واسبابه المتقدمة عليه بحيث تكون بمنزلة المفاتيح له
فان عادة القوم حينئذ انهم اذا جعلوا واحدا رئيسا لهم سوروه بسوار من ذهب
وطوقوه بطوق من ذهب فاحتج فرعون على عدم رسالته عليه الصلاة
والسلام بانعدام هذا الامر في حقه قرأ العامة فلولا ألقي على بناء المفعول
وقرئ في الشواذ ألقى على بناء الفاعل اي الله فيكون اساورة منصوبا
على المفعولية وقرأ حفص اساورة على انه جمع سوار كاحمرة في جمع
حمار وهو جمع قلة والباقون اساورة على انه جمع اسوار كاعاصير جمع اعصار
واصل اساورة اساوير بالياء فعوض تاء التأنيث منها بعد حذفها كما في
بطارقة وزنادقة اصلهما بطاريق وزناديق جمعا بطريق وزنديق وقيل
بل هي جمع اسورة فهي جمع الجمع لا جمع اسوار وقرئ ايضا اساوير بالياء
واساور بدون الياء والتاء (قوله مقرونين به) منضمين اليه يعينونه على امر

(النبوة

أو مقترنين من اقترن بمعنى تقارن ﴿ ٩٩ ﴾ (فاستخف قومه) فطلب منهم الخفة في مطاوعته أو فاستخف
احلامهم (فاطاعوه) فيما امرهم به (انهم كانوا قوما فاسقين) فلذلك اطاعوا ذلك الفاسق (فلما آسفونا) اغضبونا بالافراط في الفساد والعصيان منقول من اسف اذا اشتد غضبه (انتقمنا منهم فاغرقناهم اجمعين) في اليم (فجعلناهم سلفا) قدوة لمن بعدهم من الكفار يقتدون بهم في استحقاق مثل عقابهم مصدر نعت به او جمع سالف كخدم وخادم وقرأ حمزة والكسائي بضم السين واللام جمع سليف كرغف او سالف كصبر او سلف كخشب وقرئ سلفا بابدال ضمة اللام فتحة او على انه جمع سلفة اي ثلة سلفت (ومثلا للآخرين) وعظة لهم او قصة عجيبة تسير مسير الامثال فيقال لهم مثلكم مثل قوم فرعون (ولما ضرب ابن مريم مثلا) اي ضربه ابن الزبعرى لما جادل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم

النبوة او يشهدون له بصدقه (قوله او مقترنين) على ان المراد اقتران بعضهم ببعض لاقترانهم بموسى عليه الصلاة والسلام وهو كناية عن كثرتهم واجتماعهم لانه اتم في الاعتضاد من التفرق ومحصول كلامه انه عليه الصلاة والسلام لو كان رسولا اصطفاه الله تعالى من عباده لطوقه وسوره بطوق وسوار من ذهب ولشيعه بمن عنده من الملائكة كما هو عادة السلاطين اذا جعلوا واحدا من خواصهم رئيسا لقومهم وليس عند موسى عليه الصلاة والسلام شئ من ذلك فكيف يكون نبيا (قوله فطلب منهم الخفة) يعني ان سين استخف اما للطلب او للوجدان اي وجدهم جهلا لا عديمي العقل يغترون بالتلبيسات الباطلة حيث اغتروا بقوله اليس لي ملك مصر الخ (قوله قدوة لمن بعدهم) السلف سواء كان مصدرا بمعنى المضي والتقدم من قولك سلف يسلف سلفا مثل طلب يطلب طلبا وصف به الاعيان للمبالغة او جمع سالف كحرس وحارس لا يتعدى باللام وقد عدي بها في الآية على طريق التنازع فلذلك فسره بالقدوة مجاز الان المتقدمين يلزمهم ان يكونوا قدوة لمن بعدهم غالبا ذكر لقراءة سلفا بضمتين ثلاثة اوجه الاول ان يكون جمع سليف بمعنى الفريق المتقدم كرغيف ورغف وكثيب وكثب والثاني ان يكون جمع سالف بمعنى المتقدم كصابر وصبر والثالث ان يكون جمع سلف بفتحتين كخشب وخشب (قوله وقرئ سلفا) بضم السين وفتح اللام وذكر لها وجهين الاول ان يكون اصله سلفا بضمتين ابدلت ضمة اللام فتحة كراهة اجتماع الضمتين والثاني ان يكون جمع سلفة كغرفة وغرف والسلفة الفرقة السالفة فمعنى قوله تعالى فجعلناهم سلفا جعلناهم ثلة سلفت اي جماعة مضت فان الثلة بالضم هي الجماعة من الناس (قوله وعظة لهم) ليتعظوا به فلا يجترئوا على اتيان مثل افعالهم من الاصرار على مخالفة الرسول واتباع الهوى فعلى هذا يكون المثل بمعنى الشبه والعبرة التي هي مثال يعتبر به ويستدل بتشابه الفعلين على تشابه الجزاءين وهو معنى كونهم عظة لمن بعدهم فانهم يشبه حالهم بحال قوم فرعون اذا داموا على العصيان فيخافون ان يعاقبوا بمثل عقابهم (قوله او قصة عجيبة) على ان يكون لفظ المثل مستعارا لها من معناه العرفي وهو القول السائر الممثل مضربه بمورده والمثل لما كان مصدرا في الاصل جاز اطلاقه على الواحد والجماعة والمذكر والمؤنث (قوله اي ضرب به ابن الزبعرى) وجعله مشبها للاصنام من حيث ان النصارى اتخذوه الها وعبدوه من دون الله وانت تزعم ان آلهتنا ليست خيرا من عيسى

عليه الصلاة والسلام فاذا كان هو من حصب جهنم كان امر آلهتنا اهون قال اكثر المفسرين لما قرأ النبي صلى الله عليه وسلم على قريش قوله تعالى انكم وماتعبدون من دون الله حصب جهنم امتعضوا وغضبوا من ذلك امتعاضا شديدا فقال عبد الله بن الزبعرى يامحمد أخاصة لنا ولآلهتنا ام لجميع الامم فقال عليه الصلاة والسلام هو لكم ولآلهتكم ولجميع الامم فقال خصمتك ورب الكعبة ألست تزعم ان عيسى بن مريم نبي وتثني عليه خيرا وعلى امه وقد علمت ان النصارى يعبد ونهما وعزير يعبد والملائكة يعبدون فان كان هؤلاء في النار فقد رضينا ان نكون نحن وآلهتنا معهم فلما ضرب به ابن الزبعرى مثلا وجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبادة النصارى اياه فرح المشركون من هذا المثل وضحكوا وسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم توقرا عن مجادلات السفهاء فانزل الله تعالى آية ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون ونزلت هذه الآية فالمثل على هذا التقرير بمعناه اللغوى وقال شرف الدين الطيبي رحمه الله المثل على قول ابن الزبعرى قوله فان كان هؤلاء يعني المسيح وعزيرا والملائكة في النار فقد رضينا ان نكون نحن وآلهتنا معهم وانما سمي مثلا لما فيه من الغرابة من بعض الوجوه ولذلك فرح المشركون وضحكوا وضجوا وسكت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى كلامه جعل المثل مستعارا للامر الغريب والقول العجيب الوارد في حق عيسى عليه الصلاة والسلام تشبيها له بالقول السائر في الغرابة وجعل ضربه عبارة عن التكلم به في حقه (قوله اوغيره) عطف على ابن الزبعرى اى اوضرب به غير ابن الزبعرى وهم بنوا مليح وهم الذين قالوا الملائكة بنات الله وعبدوهم ثم حكى ماقالوه فقال بان قال اى غير ابن الزبعرى فانهم قالوا ان النصارى ضربوا المسيح مثلا للملائكة وعبدوه وزعموا انه ابن الله والملائكة اولى بذلك (قوله وعلى قوله) عطف على لفظ قوله في قوله اى او قال غير ابن الزبعرى ذلك معترضا به على قوله تعالى واسأل وهو في محل النصب على انه حال من فاعل قال اى قال غير ابن الزبعرى ذلك معترضا به على قوله تعالى واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا فلما سمع المشركون ما قاله بنوا مليح ورأوا انه صلى الله تعالى عليه وسلم سكت ولم يجب توقرا عن مجادلات السفهاء فرحوا لظنهم انه عليه الصلاة والسلام صار ملزما به (قوله والملائكة اولى بذلك) اى بان يعبدوا وينسبوا اليه تعالى بالجزئية فكما ان النصارى يعبدون المسيح واليهود يعبدون عزيرا فكذا بنوا مليح يعبدون الملائكة ويجعلونهم بنات الله تعالى وهم اولى بذلك من المسيح وعزير

أوغيره بان قال النصارى اهل كتاب وهم يعبدون عيسى ويزعمون انه ابن الله والملائكة اولى بذلك وعلى قوله واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا

(معترضين)

معترضين على قوله تعالى واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون بان قالوا كيف يصح انكار وقوع عبادة غير الله تعالى فى ملة من ملل الرسل المتقدمين مع ان بعض اهل الكتاب وهم النصارى يعبدون عيسى عليه السلام ويقولون انه ابن الله ونحن افضل منهم قولا وفعلا لانهم عبدوا البشر وجعلوه ابن الله ونحن نعبد الملائكة المقربين الروحانيين ونقول انهم بنات الله بناء على ان المشركين الذين يعبدون الملائكة وهم بنو امليح جعلوا المسيح مثلا وشبها للملائكة فى كونه معبودا من دون الرحمن ويحتمل ان يكون المثل مستعارا من المثل السائر لقولهم العجيب فى حق عيسى عليه السلام ويكون صديدهم وضجيجهم سرورا منهم بوجود من يوافقهم فى عبادة غير الله تعالى (قوله اوان محمدا يريدان نعبده كما عبد المسيح) معطوف على قوله النصارى اهل كتاب يعنى ان بعض المفسرين ذكروا فى تأويل الآية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حكى ان النصارى عبدوا المسيح وجعلوه آلهتنا لا نفسهم قال كفار مكة ان محمدا يريد ان نجعله الها كما تجعل النصارى المسيح الها لانفسهم ثم عند هذا قالو آلهتنا خير ام هو ذكروا ذلك لاجل انهم قالوا ان محمدا يدعونا الى عبادة نفسه وآباؤنا زعموا انه تجب عبادة هذه الاصنام واذا كان لابد من احد هذين الامرين فعبادة هذه الاصنام اولى لان آباءنا واسلافنا كانوا متطابقين عليها واما محمد فانه متهم فى امرنا بعبادة نفسه فكان الاشتغال بعبادة الاصنام اولى وقيل لما نزلت ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون قالوا ما يريد محمد بهذا الا انا نعبده وانه يستأهل ان يعبد مع كونه بشرا كما عبدت النصارى المسيح وهو بشر جعل محمد عيسى شبها لآدم صلى الله عليه وسلم وعلى سائر الانبياء والمرسلين فى كونه بشرا يوهم كونه مستحقا للعبادة وعلى هذا معنى يصدون يضجون بفتح الياء ويضجون والضمير فى ام هو لمحمد صلى الله عليه وسلم يقال اضج القوم اضجاجا اذا جلبوا وصاحوا واذا جزعوا من شئ وغلبوا قيل ضجوا يضجون ضجيجا كذا فى الصحاح فعلى هذا قوله يضجون فرحا ينبغى ان يكون بضم الياء من باب الافعال فلما راى المشركون ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سكت ولم يجب ابن الزبعرى صدروا ورفعوا اصواتهم فرحا وظنوا انه صلى الله تعالى عليه وسلم صار ملزما بجدله على ماجرت العادة به من ان احد الخصمين اذا انقطعت حجته وصار مغلوبا اظهر الخصم الآخر الفرح والضجيج (قوله وقيل هما لغتان) فى الصحاح صد يصد صديدا اى ضج وصاح (قوله اى آلهتنا خير عندك) لما

اوان محمدا يريد ان نعبده كما عبد المسيح (اذا قومك) قريش (منه) من هذا المثل (يصدون) يضجون فرحا لظنهم ان الرسول صار ملزما به وقرأ نافع وابن عامر والكسائى بالضم ومن الصدود اى يصدون عن الحق ويعرضون عنه وقيل هما لغتان نحو يعكف ويعكف (وقالوا ءآلهتنا خير ام هو) اى آلهتنا خير عندك ام عيسى فان كان فى النار فلتكن آلهتنا معه اوآلهتنا الملائكة خير ام عيسى فاذا جاز ان يعبد ويكون ابن الله كانت آلهتنا الملائكة اولى بذلك او آلهتنا خير ام محمد فنعبده وندع آلهتنا وقرأ الكوفيون ءآلهتنا بتحقيق الهمزتين والالف بعدهما والباقون بتليين الثانية

اختلف في ان ابن مريم بمن ضرب مثلا فقيل انه جعل مثلا للاصنام وقيل للملائكة وقيل لمحمد عليهما الصلاة والسلام ذكر لقوله تعالى آلهتنا خيرام هو وجوها ثلاثة مرتبة على ترتيب اللف وجعل ضمير ام هو على الوجهين الاولين لعيسى عليه الصلاة والسلام وفي الوجه الثالث لمحمد عليه الصلاة والسلام وضربوا المثل بينه وبين آلهتهم استهزاء لا تمييزا للحق من الباطل (قوله ماضربوا هذا المثل الالاجل الجدل) والغلبة في القول يعني ان انتصاب جدلا على انه مفعول له للضرب وقيل هومصدر في موضع الحال اي الامجادلين مخاصمين بالباطل لاعيزين بين الحق والباطل وكونه لاجل الجدل ظاهر اما على الوجه الاول فلانهم قدعلموا ان المراد بقوله تعالى وما تعبدون هؤلاء الاصنام وكذا قوله عليه الصلاة والسلام هو لكم ولآلهتكم ولجميع الامم اذا لمراد بجميع الامم الذين هم عباد الاصنام الا ان ابن الزبعرى لخبثه وخداعه لما رأى كلام الله تعالى وكلام رسوله يحتملان العقلاء وغيرهم بحسب الظاهر مع علمه بان المراد منه الاصنام انتهز الفرصة وجادل بالباطل فصرف معناه الى الشمول والتناول لكل معبود سوى الله تعالى وتوقح في ذلك فتوقف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى اجاب عنه ربه بقوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى فدل على ان الآية خاصة بالاصنام وعبادهم على ان ظاهر قوله تعالى وما تعبدون لغير العقلاء واما على الثاني فلان المشركين يعلمون ان عبادة النصارى للمسيح لم تكن بحكم الله تعالى وانما تمسكوا في كونهم بحكم الله عز وجل بكونهم اهل الكتاب ولا يلزم ان يكون جميع ما فعله اهل الكتاب موافقا للكتاب فان النصارى انما عبدوه زاعمين ان الولد لا بد له من اب واذ لم يكن اب من البشر علمنا انه ابن الله وانه يستحق لان يعبدوه من المعلوم ان الولد من غير اب من البشر لا يقتضي كون الولد ابن الله تعالى كآدم وحواء عليهما الصلاة والسلام واما على الثالث فظاهر لان شيئا من افعال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واقواله لايوهم كونه داعيا الى عبادة نفسه فكيف يقولون ان محمدا يريد ان نعبده كما عبد المسيح (قوله وهو كالجواب المزيح لتلك الشبهة) سواء اوردت على قوله تعالى وما تعبدون من دون الله حصب جهنم بان المسيح قد عبد من دون الله مع انه ليس من اهل النار او على قوله تعالى واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون بان يقال انه عليه الصلاة والسلام يريد ان نعبده كما عبد المسيح فان معنى قوله تعالى ان هو الا عبد انه عبد كسائر العبيد فلا يستحق ان يعبد مع انا اصطفيناه وانعمنا عليه بالنبوة وبعثناه يدعو الناس الى توحيد الله

تعالى

(ماضربوه لك الاجدلا) ماضربوا هذا المثل الالاجل الجدل والخصومة لالتمييز الحق من الباطل {بل هم قوم خصمون} شداد الخصومة حراص على اللجاج (ان هو الا عبد انعمنا عليه) بالنبوة (وجعلناه مثلا) امرا عجيبا كالمثل السائر (لبني اسرائيل) وهو كالجواب المزيح لتلك الشبهة (ولو نشاء لجعلنا منكم) لولدنا منكم يارجال كما ولدنا عيسى من غير اب اولجعلنابدلكم (ملائكة في الارض يخلفون) ملائكة يخلفونكم في الارض والمعنى ان حال عيسى عليه السلام وان كانت عجيبة فالله تعالى قادر على ماهواعجب من ذلك وان الملائكة مثلكم من حيث انها ذوات ممكنة يحتمل خلقها توليدا كما جاز خلقها ابداعا فمن اين لهم استحقاق الالوهية والانتساب الى سبحانه وتعالى

تعالى وطاعته فكيف يصح له ان يدعو الناس الى طاعة نفسه ان يكون
من اهل النار ومن عبده فانما يعبد من سول له عبادته ولا يعبده حتى يقال
انه قد عبد فينتقض الايراد بان محمدا يريد ان نعبده كما عبد المسيح ومن جمله
ما افتريابه عليه انا جعلناه مثلا اى عبرة عجيبة وآية بديعة كالمثل السائر لبنى
اسرآئيل حيث خلقناه من غير اب كما خلقنا آدم من غير ابوين فهو
مثل لهم يشبهون به ما يرون من عجائب صنع الله تعالى فلا ينكرونه
ثم خاطب كفار مكة فقال ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة اى لو نشاء لولدنا
منكم يارجال مكة ملائكة كما ولدنا عيسى من غير اب اولو نشاء اهلكنا كم
وجعلنا بدلا منكم ملائكة فى الارض يكونون خلفا منكم كما يخلفكم اولادكم
فان كلمة من قد تكون للبدل تقول اخذت هذا من ثوبى اى بدلا منه
فقوله تعالى ولونشاء مرتبط بقوله وجعلناه مثلا وامرا عجيبا اى ولونشاء لجعلنا
منكم عبرة اعجب من خلق عيسى من غير اب دلالة على قدرتنا على عجائب الامور
وتخصيص الملائكة بالذكر للاشعار بالرد على من يزعم ان لهم استحقاق
الالوهية والعبادة وانهم بنات الله عز وجل ووجه الاشعار انهم على تقدير
ان يخلقوا توليدا لا يتولدون الا من اجسام والجسم لا يتولد الا من الجسم
فما يكون جسما متولدا من جسم كيف يستحق الالوهية والانتساب
الى الله تعالى (قوله لان حدوثه او نزوله الخ) اشارة الى ان المعنى وان
حدوثه او نزوله سبب للعلم بدنو الساعة بتقدير المضاف فى الموضعين ان كان
المقدر اولا الحدوث والنزول فانهما سببان للعلم بدنو الساعة لا لنفسها وان كان
المقدر اولا الاحياء لا يحتاج الى تقدير المضاف الآخر لان احياء الموتى لا يدل
على دنو الساعة بل يدل على نفسها قرأ العامة لعلم بكسر العين وسكون
اللام سمى المضاف المقدر علما لها مبالغة لكونه سببا للعلم بها او بدنوها والثنية
الطريق فى الجبل (قوله ثم يقتل الخنازير) الظاهر انه كناية عن منع
الانتفاع بجميع ما هو محرم فى شريعتنا واجراء جميع احكام هذه الشريعة
فى جميع الانام بقتل من خالفها (قوله الا من آمن به) اى بمحمد صلى الله
عليه وسلم قال عليه افضل الصلاة والسلام ليوشكن ان ينزل فيكم حكما عادلا
يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويدع الجزية وتهلك فى زمانه الملل كلها
الا الاسلام (قوله واتبعوا هداى او شرعى) احتيج الى تقدير ما يضاف
الى ياء المتكلم على ان يكون قوله واتبعون قول الله تعالى لان اتباع ذات الله
تعالى مما لا يتصور بخلاف ما اذا كان قول النبى صلى الله عليه وسلم بان امر بان
يقوله اى قل فاتبعون فلا يحتاج حينئذ الى تقدير شئ قبل المنصوب بقوله

(وانه) وان عيسى (لعلم للساعة) لان حدوثه او نزوله من اشراط الساعة يعلم به دنوها ولان احياء الموتى يدل على قدرة الله عليه وقرئ لعلم اى علامة ولذكر على تسمية ما يذكر به ذكرا وفى الحديث ينزل عيسى على ثنية بالارض المقدسة يقال لها افيق وبيده حربة بها يقتل الدجال فيأتى بيت المقدس والناس فى صلاة الصبح فيتأخر الامام فيقدمه عيسى ويصلى خلفه على شريعة محمد عليهما السلام ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى الا من آمن به وقيل الضمير للقرآن فان فيه الاعلام بالساعة والدلالة عليها (فلا تمترن بها) فلا تشكن فيها (واتبعون) واتبعوا هداى او شرعى او رسولى وقيل هو قول الرسول امر ان يقوله (هذا) هذا

الذى ادعوكم اليه (صراط مستقيم) لايضل سالكه (ولا يصدنكم الشيطان) عن المتابعة (انه لكم عدو مبين) ثابت عداوته بان اخرجكم من الجنة وعرضكم للبلية (ولما جاء عيسى بالبينات) بالمعجزات اوبآيات الانجيل او بالشرائع الواضحات (قال قد جئتكم بالحكمة) بالانجيل او بالشريعة (ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه) وهو ما يكون من امر الدين لاما يتعلق بامر الدنيا فان الانبياء لم تبعث لبيانه ولذلك قال عليه السلام انتم اعلم بامور دنياكم (فاتقوا الله واطيعون) فيما ابلغه عنه (ان الله هو ربى وربكم فاعبدوه) بيان لما امرهم بالطاعة فيه وهو اعتقاد التوحيد والتعبد بالشرائع (هذا صراط مستقيم) الاشارة الى مجموع الامرين وهو تتمة كلام عيسى صلى الله عليه وسلم او استئناف من الله يدل على ما هو المقتضى للطاعة فى ذلك (فاختلف الاحزاب) الفرق المتحزبة (من بينهم) من بين النصارى او اليهود والنصارى من بين قومه المبعوث هو اليهم (فويل للذين ظلموا) من المتحزبين (من عذاب يوم اليم) هو القيامة (هل ينظرون الا الساعة) ... [illegible]

اتبعون (قوله الذى ادعوكم اليه) وهو الاتباع المدلول عليه بقوله واتبعون وهذا هو المعنى سواء كان القائل هو الله تعالى او رسوله وان جعل ضمير وانه للقرآن يجوز ان يكون هذا اشارة اليه ايضا (قوله تعالى ولأبين) اللام فيه متعلق بمحذوف اى وجئتكم بها لابين لكم بين اولا ما جاءهم به ثم بين مالاجله جاءهم به ولما ورد ان يقال هلا بين كل الذى يختلفون فيه اشار الى جوابه بقوله وهو ما يكون من امر الدين (قوله الفرق المتحزبة) يقال حزب قومه فتحزبوا اى جعلهم احزابا اى فرقا وطوائف فكانوا كذلك كالنصارى فانهم اختلفوا فى امر عيسى عليه الصلاة والسلام وصاروا بعده طوائف ثلاثا منهم النسطورية وهم قالوا المسيح ابن الله ومنهم اليعقوبية وهم قالوا ان الله هو المسيح ومنهم الملكانية وهم قالوا ان الله ثالث ثلاثة المسيح وامه وابيه فعلى هذا ضمير من بينهم للنصارى فقط من جملة بنى اسرائيل لان كل حزب من هذه الفرق الثلاث انما هو من جملة النصارى واما ان اريد بالاحزاب اليهود والنصارى بناء على انهما تحزبا فى امره عليه الصلاة والسلام فقالت اليهود لعنهم الله زنت امه فهو ولد الزنى وقالت النصارى انه ابن الله فضمير من بينهم حينئذ لجميع بنى اسرائيل فانه عليه الصلاة والسلام بعث اليهم بالنبوة فخاطبهم جميعا بقوله قد جئتكم بالحكمة فمنهم من صدقه ومنهم من كذبه واصر على اليهودية قائلا بتأبيد دين موسى عليه الصلاة والسلام واليه الاشارة بقوله من بين قومه المبعوث هو اليهم وقيل من زائدة فالمعنى فاختلف الاحزاب بينهم على ان ضمير بينهم للاحزاب (قوله تعالى من عذاب يوم اليم) اى اليم عذابه كقوله فى يوم عاصف اى عاصف ريحه فقوله تعالى ولما جاء عيسى بالبينات الى قوله فاختلف الاحزاب من بينهم كالتفصيل لقوله ان هو الا عبد انعمنا عليه لما ضربوا ابن مريم مثلا اى عدوه من دون الله رد الله تعالى عليهم فى اتخاذهم اياه معبودا بانه عبد لامعبود غاية الامر انا انعمنا عليه بالنبوة وجعلناه مثلا يشبهون به ما يرون من الامر العجيب فلا يستبعدونه من قدرة الله تعالى ثم بين مقالته حين ما جاء قومه بالبينات وهى قوله قد جئتكم بالحكمة لابين لكم ما تختلفون فيه من امر دينكم فاتقوا الله ولا تخالفوا دينه واطيعون فيما ابلغه عنه وهو امر ان اعتقاد التوحيد والتعبد بالشرائع فمن كان حاله وشأنه هكذا كيف يتوهم فيه ما يقوله النصارى فى حقه من كونه مستحقا لان يعبد من دون الله من اجل همه الدعوة الى عبادة الله تعالى وتوحيده الا انا جعلناه مثلا بان خلقناه من غير اب اختلفوا فى امره فصاروا احزابا ... [illegible]

الضمير لقريش أو للذين ظلموا (ان تأتيهم) بدل من الساعة والمعنى هل ينظرون الا اتيان الساعة (بغتة) فجأة (وهم لا يشعرون) غافلون عنها لاشتغالهم بامور الدنيا وانكارهم لها (الاخلاء) الاحباء (يومئذ بعضهم لبعض عدو) اى يتعادون يومئذ لانقطاع العلق لظهور ما كانوا يتخالون له سببا للعذاب (الا المتقين) فان خلتهم لما كانت فى الله تبقى نافعة ابد الآباد (ياعبادى لاخوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون) حكاية لما ينادى به المتقون المتحابون فى الله يومئذ وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائى وحفص بغير الياء (الذين آمنوا بآياتنا) صفة للمنادى (وكانوا مسلمين) حال من الواو اى الذين آمنوا مخلصين غير ان هذه العبارة آكد (ادخلوا الجنة انتم وازواجكم) نساؤكم المؤمنات (تحبرون) تسرون سرورا يظهر حباره اى اثره على وجوههم

فيه ما قالوا فى شأنهم الباطل وهو برىء منه (قوله الضمير لقريش) فانه تعالى لما حكى عنهم ان منهم من ضرب ابن مريم مثلا ومنهم من فرح به ووقع فى الصديد ورفع الاصوات شرع فى وعيدهم بانهم استحقوا بذلك عذابا شديدا وانه لا ينجيهم من ذلك العذاب الا عدم قيام الساعة اى الساعة التى يحاسب فيها المكلفون ويجازى كل امرئ بما كسب وانها تأتيهم لا محالة فكانوا ينتظرونها (قوله غافلون عنها) اشارة الى جواب ما يقال ما فائدة قوله وهم لا يشعرون بعد قوله بغتة مع انه يؤدى مؤداه ويغنى عنه وتقرير الجواب ان مجئ الشئ بغتة اى فجأة يكون على وجهين الاول ان يجئ مع شعور القوم بمجيئه والاستعداد له والتفصى عن شدائده الا انهم لا يعرفون خصوص الوقت الذى يجئ فيه فهو فى اى وقت اتى يأتى بغتة والثانى انه يجئ والقوم غافلون عن اصل وقوعه مشتغلون بافعال من ينكر وقوعه رأسا غير مهيئين له بوجه ما والمراد باتيان الساعة بغتة ههنا اتيانها حال غفلة القوم عنها وعدم استعدادهم لوقوعها فوجب تقييد اتيانها بغتة بمضمون الجملة الحالية احترازا عن اتيانها بغتة على الوجه الآخر (قوله يتعادون يومئذ) اشارة الى ان يومئذ معمول لقوله عدو وتنوين يومئذ عوض عن المضاف اليه اى يوم اذ تأتيهم الساعة لما ذكر الله تعالى مجئ الساعة بغتة ذكر عقيبه بعض ما يتعلق باحوال القيامة فقال الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين الذين تكون الخلة الواقعة بينهم على الايمان والتقوى فان خلتهم لا تنقلب عداوة لانهم يشاهدون ثواب ما تحابوا عليه من الطاعات فتزداد محبة كل واحد منهم لصاحبه فضلا عن ان تنقلب عداوة بخلاف العصاة (قوله حكاية لما ينادى به المتقون) يعنى لفظ العباد وان كان يطلق لكل من هو مملوك مخلوق لله تعالى الا ان المراد به المتقون خاصة بقرينة ذكره عقيب الآية السابقة مع ان عادة القرآن العظيم جارية على تخصيص لفظ العباد بالمؤمنين المتقين وفى الآية تشريف عظيم لهم من وجوه الاول انه سبحانه وتعالى خاطبهم بنفسه من غير واسطة والثانى انه تعالى وصفهم بعبوديته والتذلل لوجهه الكريم والانقطاع عما سواه وهو تشريف عظيم يدل عليه قوله تعالى سبحان الذى اسرى بعبده اضافه عليه الصلاة والسلام الى نفسه بالعبودية له فى حكاية تشريفه اياه ليلة المعراج والثالث انه تعالى نفى عنهم جنس الخوف والحزن حين يفزع الخلائق روى ان الناس حين يبعثون يفزع كل احد منهم فينادى مناد ياعبادى لاخوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون فيرجوها الناس كلهم رافعين رؤسهم منتظرين روحا وكرامة من ربهم الكريم فتتبعها قوله

أو تزيّنون من الحبر وهو حسن الهيئة او تكرمون اكراما يبالغ فيه ﴿١٠٦﴾ والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل

(يطاف عليهم بصحاف من ذهب واكواب) الصحاف جمع صحفة والاكواب جمع كوب وهو كوز لا عروة له (وفيها) وفي الجنة (ماتشتهي الانفس) وقرأ نافع وابن عامر وحفص تشتهيه على الاصل (وتلذ الاعين) بمشاهدته وذلك تعميم بعد تخصيص ما يعد من الزوائد في التنعم والتلذذ (وانتم فيها خالدون) فان كل نعيم زائل موجب لكلفة الحفظ وخوف الزوال ومستعقب للتحسر في ثاني الحال (وتلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون) وقرئ ورثتموها شبه جزاء العمل بالميراث لانه يخلفه عليه العامل وتلك اشارة الى الجنة المذكورة وقعت مبتدأ والجنة خبرها والتي اورثتموها صفتها او الجنة صفة تلك والتي خبرها او صفة الجنة والخبر بما كنتم تعملون وعليه تتعلق الباء بمحذوف لابا ورثتموها (لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون) بعضها تأكلون لكثرتها ودوام نوعها ولعل تفصيل التنعم بالمطاعم والملابس وتكريره في القرآن وهو حقير بالاضافة الى سائر نعائم الجنة لما كان بهم من الشدة والفاقة (لايرى

الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين فيكس اهل الاديان الباطلة رؤسهم فيأس الناس منها غير المسلمين فيقال لهم ادخلوا الجنة وقوله انتم اكد المرفوع المتصل في قوله ادخلوا بالمنفصل ليصح عطف الاسم الصريح عليه وهو قوله وازواجكم وتحبرون في موضع النصب على الحالية اى مسرورين يقال حبره يحبره بالضم حبرا وحبرة اذا سره سرورا تهلل له وجهه وظهر فيه اثره والحبار الاثر وقد احبر به اى ترك به اثرا (قوله او تزينون) من قولك حبرته حبرا اذا حسنته وتحبير الخط والشعر وغيرهما تحسينه ويقال فلان حسن الحبر والسبر وحسن الحبر والسبر بالكسر والفتح اذا كان جميلا حسن الهيئة وقال الزجاج تحبرون اى تكرمون اكراما يبالغ فيه والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل اى في الوصف بالجميل ولما ذكر الجنة وانها موضع الحبور ذكر ما فيها من النعم فذكر اولا المطاعم بقوله يطاف عليهم بصحاف من ذهب فيها الاطعمة ثم ذكر المشارب بقوله واكواب فيها الاشربة ثم انه تعالى لما فصل ما في الجنة بعض التفصيل ذكر بيانا كليا فقال وفيها ماتشتهي الانفس وتلذ الاعين ثم ذكر تمام النعمة فقال وانتم فيها خالدون حذف العائد الى الموصول في قوله ماتشتهي الانفس اى ما تشتهيه الانفس ومعناه ما تطلبه القلوب من شهواتها وتلذ الاعين اى تستلذه بنظرها وهذا حصر لانواع النعم لانها اما مشتهاة في القلوب واما مستلذة في العيون (قوله تعالى وتلك) مبتدأ وقوله الجنة خبره والتي اورثتموها صفة الجنة او الجنة صفة لتلك والتي اورثتموها خبر المبتدأ او التي اورثتموها صفة بعد صفة وبما كنتم تعملون الخبر والباء متعلقة بمحذوف اى مستحقة به وفي الوجه الاول تتعلق الباء بمحذوف (قوله لانه يخلفه عليه العامل) اى لان الشأن ان العامل يخلف العمل بعد ذهابه ويستولى عليه ما ينسب الى ذلك العمل من الجزاء كما يخلف الوارث المورث ويستولى على ما ينسب اليه من امواله واملاكه بعد موته فكان العمل كالمورث والعامل كالوارث وجزاء العمل كالميراث فلما شبه الجزاء بالميراث استعير له اسم الميراث ثم اشتق منه اورثتموها استعارة تبعية (قوله ولعل تفصيل التنعم بالمطاعم) يعنى انه تعالى بعث رسوله صلى الله عليه وسلم الى العرب اولا ثم الى العالمين ثانيا والعرب كانوا في ضيق شديد بسبب المأكول والمشروب والفاكهة فلهذا السبب كرر ذكر النعم بها تكميلا لرغبتهم في الجنة وما يؤدى اليها من الاعمال الصالحة وتقوية لدواعيهم (قوله بعضها تأكلون) يعنى ان كلمة من في قوله منها تأكلون للتبعيض جئ بها للدلالة على كثرة ثمار الجنة وبقاء اعقابها في شجرها بعد الاخذ فان اشجار الجنة مزينة بالثمار ابدا

لايرى فيها شجرة عارية من ثمرها كما فى الدنيا فان اى ثمرة من ثمار الجنة تؤخذ نبت مكانها مثلها او اكثر ثم انه تعالى لما ذكر وعده فى حق المتقين اردفه بذكر وعيد المجرمين فقال ان المجرمين فى عذاب جهنم خالدون واحتجت المعتزلة بهذه الآية على القطع بخلود الفساق فى النار فقالوا لفظ المجرم يتناول الكافر والفاسق فوجب ان يكون كل واحد من الفريقين يخلد فى عذاب جهنم لقوله لايفتر عنهم وقوله وهم فيه مبلسون وخالدون والمصنف اشار الى الجواب بان حمل المجرمين على الكافرين الكاملين فى الاجرام وعلله بانه تعالى جعل المجرمين قسيم المؤمنين بالآيات حال كونهم مخلصين فكل من آمن بالاخلاص يدخل تحت قوله تعالى ياعبادى لاخوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون والفاسق من اهل الصلاة قدآمن بالله وآياته واسلم اى اخلص فى ايمانه فوجب ان يدخل تحت ذلك الوعد وان يخرج من هذا الوعيد وهو يستلزم ان يكون المراد بالمجرمين الكفار وان يكون الوعيد المذكور مختصا بهم و يدل عليه ايضا انه تعالى حكى عنهم مايختص بالكفار وهوالكراهة للحق وقدحكاها الله تعالى عنهم بعد هذه الاية بقوله لقد جئناكم بالحق ولكن اكثركم للحق كارهون والكراهة للحق مختصة بالكفار لان المراد بالحق اما الاسلام واما الرسول واما القرآن والمسلم لايكره شيأ من ذلك فثبت ماقبل الاية وما بعدها يدلان على ان المراد بالمجرمين الكفار (قوله آيسون من النجاة) الجوهرى ابلس من رحمة الله اى يئس ومنه سمى ابليس وكان اسمه عزازيل والابلاس ايضا الانكسار والحزن يقال ابلس فلان اذا سكت غما فالمبلس اليائس الساكت سكوت يأس من الفرج (قوله وهم فصل) عندالبصريين وفائدته ان يفرق بين الخبر والصفة فانك اذا قلت زيدالقائم ربما يتوهم السامع كون القائم صفة لزيد فينتظر الخبر فلما جئت بصيغة المرفوع المنفصل بين المبتدأ والخبر تعين كون مابعدها خبرا لا صفة لان الضمير لايوصف ولايوصف به والكوفيون يسمونها عمادا لكونها حافظة لما بعدها من ان تسقط عن الخبرية كعماد البيت فانه يحفظ سقف البيت عن السقوط (قوله مكسورا ومضموما) وجه الكسر جعل المحذوف لاجل الترخيم فى حكم الثابت كماذهب اليه الاكثرون ومن جعل الباقى بعد الترخيم اسما برأسه يقول يا مال بضم اللام لكونه منادى مفردا معرفة (قوله والمعنى سل ربنا) يعنى ان طلب القضاء وان كان متوجها اليه تعالى ظاهرا الى ان المطلوب من حيث المعنى ان يسأل مالك خازن النار منه تعالى ان يميتهم فيستريحوا عماهم فيه من العذاب والا لكان نداء مالك ضائعا خاليا عن الفائدة روى انه يلقى على اهل النار الجوع بحيث يعدل ماهم فيه من العذاب فيقولون

(ان المجرمين) الكاملين فى الاجرام وهم الكفار لانه جعل قسيم المؤمنين بالآيات وحكى عنهم مايخص بالكفار (فى عذاب جهنم خالدون) خبر ان اوخالدون خبر والظرف متعلق به (لايفتر عنهم) لايخفف عنهم من فترت عنه الحمى اذاسكنت قليلا والتركيب للضعف (وهم فيه) فى العذاب (مبلسون) آيسون من النجاة (وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين) مر مثله غير مرة وهم فصل (ونادوا يامالك) وقرئ يامال على الترخيم مكسورا ومضموما ولعله اشعار بانهم لضعفهم لايستطيعون تأدية اللفظ بالتمام ولذلك اختصروا فقالوا (ليقض علينا ربك) والمعنى سل ربنا ان يقضى علينا من قضى عليه اذا اماته وهو لاينافى ابلاسهم فانه جوار وتمنى للموت من فرط الشدة (قال انكم ماكثون) لاخلاص لكم بموت ولاغيره (لقدجئناكم بالحق) بالارسال والانزال وهو تتمة الجواب ان كان فى قال ضمير الله والا فجواب منه وكانه تعالى تولى جوابهم بعدجواب مالك

(ولكن اكثركم للحق كارهون) لما في اتباعه من اتعاب النفس وادءاب الجوارح (ام ابرموا امرا) في تكذيب الحق ورده ولم يقتصروا على كراهيته (فانا مبرمون) امرا في مجازاتهم والعدول عن الخطاب للاشعار بان ذلك اسوء من كراهتهم اوام احكم المشركون امرا من كيدهم بالرسول فانا مبرمون كيدنا بهم ويؤيده قوله (ام يحسبون انا لانسمع سرهم) حديث نفسهم بذلك (ونجواهم) تناجيهم (بلى) نسمعهما (ورسلنا) والحفظة مع ذلك (لديهم) ملازمون لهم (يكتبون) ذلك (قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين) منكم

ادعوا مالكا فيدعون يا مالك ليقض علينا ربك قيل فيسكت عنهم مالك ولا يجيبهم اربعين سنة وقيل لا يجيبهم مائة سنة وقيل الف سنة ثم يجيبهم ويقول انكم ماكثون مقيمون في العذاب ويحتمل ان يكون المجيب هو الله تعالى كما قال وهو تتمة الجواب ان كان في قال ضمير الله يعني ان قوله لقد جئناكم بالحق كلام الله تعالى بدليل قراءة من قرأ لقد جئتكم بالحق فان كان ماقبله مقولا له تعالى يكون هو من تتمة الجواب من حيث انه كالعلة للجواب بقوله انكم ماكثون وان كان ماقبله مقولا لمالك يكون هو جوابا منه تعالى بعد تمام جواب مالك (قوله ولكن اكثركم) اى كلكم لان الكفرة كلهم كارهون للحق اماطبعا اوتقليدا (قوله وهولا ينافى ابلاسهم) جواب عما قال قد وصفهم الله تعالى آنفا باليأس من النجاة فكيف يطمعونها وينادون مالكا بذلك وتقرير الجواب ان النداء المذكور انما ينافى وصفهم باليأس ان لو كان طلب الاماتة على وجه الترجي وليس كذلك بل هو على وجه التمني وقيل لا يبعد ان يقال انهم لشدة ماهم فيه من العذاب نسوا قضية ان لاخلاص لهم من ذلك العقاب فطلبوه على سبيل الطمع والرجاء ثم انه تعالى لماذكر كيفية عذابهم في الآخرة ذكر بعده كيفية مكرهم وفساد باطنهم في الدنيا فقال ام ابرموا امرا فانا مبرمون فام فيه منقطعة اضرب عن ذكر كيفية عذابهم في الآخرة الى ذكر حالهم في الدنيا والابرام احكام الامر واتقانه اى بل احكموا امرا في تكذيب الحق ورده اوفي المكر برسول الله صلى الله عليه وسلم قال مقاتل نزلت في تدبير كفار مكة في المكر به عليه الصلاة والسلام في دار الندوة كما قال تعالى واذيمكر بك الذين كفروا ليثبتوك (قوله والعدول عن الخطاب) يعني انه تعالى خاطب كفار قريش حال نسبة كراهة الحق اليهم واخبر عنهم بطريق الغيبة حال نسبة ابرام المكر اليهم للاشعار بان الثاني اقبح من الاول لان الالتفات الى الغيبة في مقام المخاطبة يكون لتحقير المخاطب واسقاطه عن صلاحية المخاطبة معه فلما اوثرت هذه الطريقة في نسبة الابرام اليهم اشعر ذلك بكونه اسوأ من كراهتهم (قوله او ام احكم المشركون) عطف على قوله ام ابرموا في تكذيب الحق فاعل ابرموا على الاول الكفار الذين عبر عنهم بقوله تعالى ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون على مكثهم وخلودهم في النار اولا بكراهتهم للحق ثم اضرب عنه الى الاخبار بانهم لم يقتصروا على كراهة الحق بل ابرموا امرا في تكذيبه ورده كانه قيل ابرم هؤلاء الذين هم للحق كارهون امرا يقدرون انهم يكيدون به الحق ويبطلونه بالجدل فانا مبرمون امرا في ابطال كيدهم باظهار الحق واثابة من اتبعه وتعذيب من خالفه (قوله تناجيهم) اى التكلم فيما بينهم على وجه المسارة وترك المجاهرة

(والدمر)

والسر ما احدث به نفسه ولم يكلم به غيره لاسرا ولاجهرا ثم انه تعالى اوجب الحق المذكور فقال بلى اى بلى يسمعهما و يطلع عليهما ومع ذلك فالحفظة ملازمون يكتبون ذلك لما قال بعض المشركين الملائكة بنات الله نزل قوله تعالى قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين تبكيتا لهم حيث ادعى الملازمة بين كينونة الولد له تعالى وكونه عليه الصلاة والسلام اول العابدين له اى ان كان ذلك وصح وثبت ببرهان صحيح فانا اول من يعظم ذلك الولد واسبقكم الى طاعته والانقياد له كما يعظم الرجل ولد الملك لتعظيم ابيه ومن المعلوم ان اللازم منتف فانه عليه الصلاة والسلام اشد الناس نفرة من ان يعظم احدا على زعم انه ولد لله تعالى فيستدل بانتفاء اللازم على انتفاء الملزوم (قوله فان النبي يكون اعلم بالله الخ) اثبات وتعليل للملازمة المذكورة (قوله ولا يلزم من ذلك) اى من تعليق كونه عليه الصلاة والسلام اول العابدين لذلك الولد كينونة الولد واتى بكلمة ان التى حقها ان تستعمل فى حق تعليق المحتمل بالمحتمل لكون كل واحد من كينونة الولد وعبادته له عليه الصلاة والسلام من الامور المحتملة الوقوع لان صدق الشرطية لا يستلزم صدق المقدم ولا كونه من الامور المحتملة اذ المحال قد يستلزم محالا آخر كما فى قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وكذا كينونة الولد له تعالى مما يستحيل فى نفسه مع انه يستلزم ان يكون عليه الصلاة والسلام اول من يعبده من قريش ففرض وقوعها وحكم بكونها مستلزمة لمحال آخر تبكيتا لمن زعم وقوعها واحتماله (قوله بل المراد نفيهما على ابلغ الوجوه) فان الشرطية المذكورة تدل على نفى كل واحد من كينونة الولد له تعالى ومن عبادته عليه الصلاة والسلام لذلك الولد اما دلالتها على نفى الولد فمن حيث انها مستلزمة لعبادته عليه الصلاة والسلام له ومن المعلوم ان هذا اللازم منتف فعلم من انتفائه انتفاء الملزوم وهو كينونة الولد له تعالى فثبت به ان الشرطية قد دلت على نفى الولد بواسطة ان يضم اليها استثناء نقيض التالى فان استثناءه ينتج نقيض المقدم واما دلالتها على نفى عبادته عليه الصلاة والسلام لذلك الولد المفروض كينونته فمن حيث ان تلك العبادة قد علقت بالمحال وجعلت مسببة عنه ومن المعلوم ان الموقوف على المحال محال (قوله والدلالة) معطوف على قوله نفيهما اى بل المراد نفيهما والدلالة على ان انكاره الولد ليس لعناد بل مبنى على النظر والاستدلال حيث استدل على نفيه بانه لو كان له ولد لكان هو عليه الصلاة والسلام اولى الناس بتعظيمه والاعتراف به بناء على استحالة ان يكون الاعرف بالله تعالى و بما يصح له وما لا يصح والاولى بتعظيم ما يوجب تعظيمه تاركا له شديد النفرة عنه (قوله

فان النبي يكون اعلم بالله وبما يصح له وما لا يصح واولى بتعظيم ما يوجب تعظيمه ومن تعظيم الوالد تعظيم ولده ولا يلزم من ذلك صحة كينونة الولد وعبادته له اذ المحال قد يستلزم المحال بل المراد نفيهما على ابلغ الوجوه كقوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا غير ان لو ثمة مشعرة بانتفاء الطرفين و ان هنا لا تشعر به ولا بنقيضه فانها لمجرد الشرطية بل الانتفاء معلوم لانتفاء اللازم الدال على انتفاء ملزومه والدلالة على ان انكاره للولد ليس لعناد ومراء بل لو كان لكان اولى الناس بالاعتراف به

وقيل معناه ان كان له ولد في زعمكم فانا اول العابدين لله الموحدين له والانفين منه او من ان يكون له ولد من عبد يعبد اذا اشتد انفه او ما كان له ولد فانا اول الموحدين من اهل مكة وقرأ حمزة والكسائي ولد بالضم (سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون) عن كونه ذا ولد فان هذه الاجسام لكونها اصولا ذات استمرار تبرأت مما يتصف به سائر الاجسام من توليد المثل فما ظنك بمبدعها وخالقها (فذرهم يخوضوا) في باطلهم (ويلعبوا) في دنياهم (حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون) اي القيامة وهو دلالة على ان قولهم هذا جهل واتباع هوى وانهم مطبوع على قلوبهم معذبون في الآخرة (وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله) مستحق لان يعبد فيهما والظرف متعلق به لانه بمعنى المعبود او متضمن معناه كقولك هو حاتم في البلد وكذا فيمن قرأ الله

وقيل) اى وقيل ليس المعنى ان كان للرحمن ولد وثبت ذلك ببرهان قاطع وحجة واضحة فانا اول من يعظمه تعظيما لله تعالى بل المعنى ان زعمتم ان له تعالى ولدا فانا اول من كذبكم وخالفكم في زعمكم الباطل ووحدالله وخصص العبادة به تعالى او فانا اول من انف منه ومن عبادته على ان يكون العابد من العبد بمعنى الغضب يقال عبد يعبد عبدا فهو عابد وعبد اذا انف وغضب وفي الصحاح العبد بالتحريك الغضب والانف يقال عبد اى انف قال ابو عمرو وقوله فانا اول العابدين من الانف والغضب والمعنى ان كان للرحمن ولد كما تزعمون فانا اول من غضب للرحمن ان يقال له ولد وقيل ان نافية اى ما كان للرحمن ولد فانا اول من قال بذلك وعبد ووحد ولم يرض بالقولين الاولين لانه ليس لزعمهم ذلك مدخل في كونه عليه الصلاة والسلام اول العابدين لله تعالى الموحدين له ولا في كونه عليه الصلاة والسلام اول الانفين منه فانه عليه الصلاة والسلام سواء اثبتوا لله ولدا او لم يثبتوا عابد لله تعالى موحد له وانف من اثبات الولد له فلم يكن للتعليق وجه وفائدة وكذا لا وجه لكون ان نافية بمعنى ما كان لان الاخبار بقوله فانا اول العابدين بالفاء السببية الواقعة بعد كلمة ان يستدعي ان يكون مابعد الفاء مرتبا على ماقبلها بان تكون للشرط والجزاء فجعل ان في مثل هذا الموضع نافية خلاف الظاهر (قوله وهو دلالة) اى قوله تعالى فذرهم يخوضوا دليل على ان قولهم الملائكة بنات الله وان لله ولدا على ماروى ان النضر بن عبد الدار قال ان الملائكة بنات الله فنزلت جهل باطل وقوله تعالى ويلعبوا دليل على ان ذلك القول اتباع هوى وقوله تعالى حتى يلاقوا الخ دليل على انهم مطبوع على قلوبهم والمعنى قد ذكرت الحجة القاطعة على فساد ما قالوا فلم يلتفتوا اليها لاجل استغراقهم في اتباع الهوى وحب الرياسة فاتركهم في ذلك الباطل واللعب حتى يصلوا الى يوم الجزاء فانهم ان لم يهتدوا بدعوتك وتبليغك فقد حصل بها الزام الحجة وازالة المعذرة فلا فائدة بعده في تكرار الدعوة والاستمرار فلم يبق الا تخليتهم وشأنهم (قوله والظرف متعلق به) يعني ان في السماء متعلق بقوله اله لانه فعال بمعنى مفعول من قولهم اله بفتح اللام الاهة اى عبد عبادة وفعال بمعنى مفعول كثير نحو كتاب وامام وقولنا الله اصله الاله فلما ادخلت عليه الالف واللام حذفت الهمزة تخفيفا لكثرة دورانه في الكلام فمن قرأ وهو الذي في السماء الله وفي الارض الله جعل الظرف متعلقا بقوله الله لان اصله اله والاله في الاصل يقع على كل معبود ثم غلب على المعبود بالحق فهو في الاصل بمعنى المعبود

والراجع مبتدأ محذوف لطول ﴿ ١٩١ ﴾ الصلة بمتعلق الخبر والعطف عليه ولا يجوز جعله الخبر اذ لانه لا يبقى
له عائد لكن لو جعل صلة وقدر لانه مبتدأ محذوف يكون به جملة مبينة للصلة دالة على ان كونه فى السماء بمعنى الالوهية دون الاستقرار وفيه نفى الآلهة السماوية والارضية واختصاصه باستحقاق الالوهية (وهو الحكيم العليم) كالدليل عليه (وتبارك الذى له ملك السموات والارض وما بينهما) كالهواء (وعنده علم الساعة) العلم بالساعة التى تقوم القيامة فيها (واليه يرجعون) للجزاء وقرأ نافع وابن عامر وابو عمرو وعاصم وروح بالتاء على الالتفات للتهديد (ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة) كما زعموا انهم شفعاؤهم عند الله (الا من شهد بالحق وهم يعلمون) بالتوحيد والاستثناء متصل ان اريد بالموصول كل ما عبد من دون الله لاندراج الملائكة والمسيح فيه ومنفصل ان خص بالاصنام (ولئن سألتهم من خلقهم) سألت العابدين او المعبودين (ليقولن الله) لتعذر
المكابرة فيه من فرط ظهوره (فانى يؤفكون) يصرفون عن عبادته الى عبادة غيره (وقيله) وقول الرسول

وباعتبار الغلبة متضمن معناه وعلى التقدير بن يصلح عاملا فى الظرف (قوله والراجع مبتدأ محذوف) لما ورد ان يقال صلة الذى لابد ان تكون جملة وليس فى الآية سوى قوله فى السماء اله فان جعلت قوله فى السماء متعلقا باله ولم تقدر شيئا لم تنعقد جملة وان جعلت اله مبتدأ وفى السماء خبره تنعقد جملة لكنها تكون خالية عن العائد وتكون مثل قولك هو الذى فى الدار زيد فاوجه تصحيح الكلام اجاب عنه بان تقدير الكلام وهو الذى هو فى السماء اله حذف المبتدأ لدلالة المعنى عليه وذلك المحذوف هو العائد الى الموصول وحذف العائد الى الموصول لطول الصلة بمعمول الخبر فان فى السماء متعلق باله وزاد الكلام طولا اذ المعطوف داخل فى خبر الصلة (قوله ولا يجوز جعله) اى لا يجوز جعل الظرف الذى حكم عليه بانه متعلق بالخبر خبرا لقوله اله لان الجملة حينئذ تبقى بلا عائد لكن لو جعل الظرف المذكور صلة للموصول وجعل اله خبر مبتدأ محذوف لجاز لان الظرف لاشتماله على العائد يصلح صلة وحينئذ تكون جملة هو اله لبيان ان كونه تعالى فيهما انما هو بالالوهية والربوبية دون الاستقرار (قوله وفيه نفى الآلهة السماوية والارضية) وذلك لان الموصول مع صلته وقع خبرا لقوله وهو ومثل هذا التركيب يفيد الحصر لما تقرر من ان الخبر المعرف تعريف الجنس قد يفيد حصر الجنس فى المبتدأ نحو عمرو الشجاع اى الكامل فى الشجاعة كانه لا اعتداد بشجاعة غيره لقصورها عن رتبة الكمال (قوله كالدليل عليه) لان قوله وهو الحكيم العليم لما دل على اختصاص الالوهية به تعالى ايضا لان اختصاص لوازم الالوهية يستلزم اختصاص نفس الالوهية به فثبت به بطلان قول من قال الملائكة الكائنون فى السماء بناته والمسيح الكائن فى الارض ابنه (قوله وقرأ نافع وابن عامر الخ) اختار قراءة ابن كثير وحمزة والكسائى فانهم قرأوا يرجعون بالياء من تحت ليوافق ما قبله فانه عبر عنهم بلفظ الغيبة من قوله ام ابرموا امرا الى هنا والباقون بالتاء من فوق وهو فى كليهما على بناء المفعول وقرئ بناء الخطاب على بناء الفاعل ايضا وتبارك يحتمل ان يكون مشتقا من البركة بمعنى الثبات والبقاء او من البركة بمعنى كثرة الخير مثل كونه خالقا للسموات والارض وما بينهما فان من اختص به ملك السموات والارض وما بينهما يكون واجب الوجود لذاته ثابتا باقيا ازلا وابدا ويكون كثير الخير ايضا وعلى التقدير بن يكون منزها عن ان يتخذ ولدا لان الولد لابد ان يكون من جنس الوالد ولا شئ فى الموجودات من هذا شأنه الا الله الواحد القهار ثم انه تعالى لما اطنب فى نفى الولد عنه تعالى اردفه بذكر ان لا شفاعة لمعبودهم عند الله فقال ولا يملك الذى يدعون من دونه الشفاعة ثم استثنى منهم

وَنَصْبَهُ للعطف على سرهم او على محل الساعة اولا ضما رفعله اى وقال قيله وجره عاصم وحمزة عطفا على الساعة وقرئ بالرفع على انه مبتدأ خبره (يارب ان هؤلاء قوم لايؤمنون) اومعطوف على علم الساعة بتقدير مضاف وقيل هو قسم منصوب بحذف الجار او مجرور باضماره او مرفوع بتقدير وقيل يارب قسمي وان هؤلاء جوابه (فاصفح عنهم) فأعرض عن دعواهم ايسا من ايمانهم (وقل سلام) تسلم منكم ومتاركة (فسوف يعلمون) تسلية للرسول وتهديد لهم وقرأ نافع وابن عامر بالتاء على انه من المأمور بقوله ﷺ عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزخرف كان ممن يقال لهم يوم القيامة ياعبادى لاخوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون

عيسى وعزيرا والملائكة عليهم الصلاة والسلام فقال الا من شهد بالحق فانهم عبدوا من دون الله ولهم عندالله شفاعة ومنزلة ومعنى قوله شهد بالحق اى بانه لااله الا الله وحده وهم يعلمون بقلوبهم ماشهدوا به بألسنتهم وفيه دليل على انه لايتحقق ايمان ولاشهادة حتى يكون ذلك عن علم بالقلب لانه تعالى شرط مع الشهادة العلم وقيل معنى الآية لايملك الشفعاء ان يشفعوا الا لمن شهد بالحق وهو المؤمن المخلص فحذف اللام واوصل الفعل او الاشفاعة من شهد بالحق فحذف المضاف (قوله ونصبه) قرآءة حمزة وعاصم بكسر اللام والباقون بفتحها وذكر المصنف لنصبه ثلاثة اوجه الاول العطف على سرهم اى احسبون انا لانسمع سرهم ونجواهم وقول محمد عليه افضل الصلاة والسلام شاكيا منهم والثانى العطف على محل الساعة فانها مفعول المصدر اضيف اليه كانه قيل انه يعلم الساعة ويعلم قيله كذا والثالث كونه مفعولا مطلقا لفعله المضمر اى وقال قيله وشكا شكواه الى ربه والقال والقيل والقول بمعنى واحد ثم قيل الفعل المضمر معطوف على قولنا المضمر قبل قوله ولئن سألتهم اى قلنا له عليه افضل الصلاة والسلام ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فانى يؤفكون وقال قولا آيسا من ايمانهم وهو قوله يارب ان هؤلاء قوم لايؤمنون فعلى هذا يكون تقدير قوله فاصفح عنهم فقلنا له اصفح عنهم اى لما كان آيسا من ايمانهم امرناه بالمتاركة والاعراض الكلى (قوله بتقدير مضاف) اى وعنده علم الساعة وعلم قيله ثم حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه واعرب باعرابه (قوله وقيل هو قسم منصوب بحذف حرف القسم) وايصال الفعل اليه محذوفا كما فى قولك الله لأفعلن او مجرور باضماره كما فى قولك الله لافعلن كانه قيل واقسم قيله او بقيله والواو فيه لعطف الجملة القسمية على الجملة الشرطية وهى قوله لئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله اومرفوع على انه من قبيل قولك لعمرك لافعلن فان تقديره لعمرك قسمى لافعلن وكذا تقدير الاية وقيله يارب قسمى واقسام الله تعالى بقيله رفع منه تعالى وتعظيم لدعائه والتجائه وجواب القسم على الاوجه الثلاثة قوله ان هؤلاء قوم لايؤمنون ويجوز ان يكون الجواب محذوفا مثل لينصرن اولا فعلن بهم ما اريد (قوله تسلم منكم ومتاركة) يريد انه عليه الصلاة والسلام لم يؤمر بان يجيبهم ويسلم عليهم بل انما امر بالمتاركة اى اذا ابيتم القبول فامرى التسلم منكم والمتاركة (قوله على انه من المأمور) اى على ان قوله فسوف تعلمون من الذى امر بان يقوله لهم ﷺ تم هنا ماتعلق بسورة الزخرف والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من لانبى بعده وعلى آله وصحبه اجمعين

(سورة الدخان ست اوسبع وخمسون آية مكية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(قوله والقرءآن) لم يفسر الكتاب المبين بجنس الكتب السماوية ولا باللوح المحفوظ لان ضمير انزلناه يرجع الى الكتاب وهذا الحكم مختص بالقرءآن من بين الكتب فيكون الكلام من قبيل قوله * وثناياك انها اغريض * فى كونه من بدائع الاقسام من حيث كون المقسم به والمقسم عليه من واد واحد وذلك لان المقصود من المقسم عليه وهو قوله انا انزلناه فى ليلة مباركة تعظيم القرءآن بانه كثير البركة حتى جعل الليلة التى انزل فيها مباركة بنزوله فيها فلما اكده بجعل القرءآن مقسما به فقد اثبت عظمته بعظمته فكانا من واد واحد (قوله ان كان حم مقسما بها) فيكون حم مجرور المحل باضمار حرف القسم ولايجوز ان يكون منصوب المحل بحذف الجار وايصال الفعل اليه لانهم قالوا فى الفرق بين حذف الجار واضماره ان المضمر لايكون مذكورا لفظا و يكون اثره باقيا فى الكلام والمحذوف هو المتروك اصلا لابقاء له بحسب لفظه ولا بحسب اثره وههنا اثر الجار قائم فى حم بشهادة جر المعطوف عليه وهو الكتاب (قوله والا فللقسم) اى وان لم يكن حم مقسما بها سواء جعلت تعديدا للحروف او اسما للسورة مرفوع المحل على انها خبر مبتدأ محذوف اونحو ذلك يكون واو والكتاب المبين للقسم ووصف الكتاب بالمبين لكونه مشتملا على بيان ما بالناس حاجة اليه فى دينهم ودنياهم و هو من قبيل اسناد الحكم الى سببه لان المبين فى الحقيقة هوالله تعالى (قوله فى ليلة القدر او البراءة) وهى ليلة النصف من شعبان سميت ليلة البراءة والصك لان الله تعالى يكتب لعباده المؤمنين البراءة فى هذه الليلة كما ان من يجبى الخراج اذا استوفى الخراج من اهله يكتب لهم البراءة وذهب الاكثرون الى ان ليلة القدر تكون فى شهر رمضان فى العشر الاواخر فى اوتارها لقوله تعالى انا انزلناه فى ليلة القدر وقوله شهر رمضان الذى انزل فيه القرءآن فعلم منهما ان ليلة القدر من ليالى شهر رمضان وروى ابوسعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه سئل اى ليلة هى فقال التمسوها فى العشر الاواخر من رمضان واطلبوها فى كل وتر واكثرهم على انها السابعة والعشرون منه واختلف المفسرون فى هذه الليلة المباركة فقال الاكثرون انها ليلة القدر وقال عكرمة وطائفة آخرون انها ليلة البراءة واحتج الاولون بوجوه الاول انه تعالى قال انا انزلناه فى ليلة القدر وقال ههنا انا انزلناه فى ليلة مباركة فلو لم يكن المراد بالليلتين واحدا لزم التناقض والثانى انه تعالى قال

(سورة الدخان مكية الاقوله انا كاشفوا العذاب الآية وهى سبع اوتسع وخمسون آية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(حم والكتاب المبين) والقرءآن والواو للعطف ان كان حم مقسما بها والا فللقسم والجواب قوله (انا انزلناه فى ليلة مباركة) فى ليلة القدر او البراءة

ابتدئ فيها أنزاله او انزل فيها جملة الى سماء الدنيا من اللوح ثم انزل على الرسول عليه السلام نجوما وبركتها لذلك فان نزول القرآن سبب للمنافع الدينية والدنيوية اولما فيها من نزول الملائكة والرحمة واجابة الدعوة وقسم النعمة وفصل الاقضية (انا كنا منذرين)

شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن فوجب ان تكون الليلة المباركة من ليالى رمضان لامن ليالى شعبان ولانه تعالى وصف الليلة المباركة بقوله فيها يفرق كل امر حكيم وقال فى ليلة القدر تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر اى تنزل من اجل كل امر قضاه الله تعالى لتلك السنة الى قابل من عمل ورزق وحياة وموت وقيل بكل امر من الخير والبركة كقوله تعالى يحفظونه من امر الله اى بامره وقال ههنا رحمة من ربك وقال فى تلك الآية سلام هى واذا تقاربت الاوصاف وجب القول بان احدى الليلتين هى الاخرى واحتج الآخرون على انها ليلة النصف من شعبان بان لها اربعة اسماء منها الليلة المباركة وليلة البراءة وليلة الصك وليلة الرحمة وبما روى انها مختصة بخمس خصال منها ماقاله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم فظهر بهذين الوجهين ان الليلة المباركة هى ليلة النصف من شعبان (قوله ابتدئ فيها انزاله) جواب عما يقال ما معنى انزال القرآن فى هذه الليلة مع انه تعالى انزله فى جميع الشهور ولياليها وايامها وروى ان عطية الحرورى سأل ابن عباس عن قوله تعالى انا انزلناه فى ليلة القدر وقوله انا انزلناه فى ليلة مباركة كيف يصح ذلك مع انه تعالى انزل القرآن فى جميع الشهور فقال ابن عباس يا ابن الاسود لو هلكت انا ووقع هذا فى نفسك ولم تجد جوابه لهلكت نزل القرآن جملة من اللوح المحفوظ الى البيت المعمور فى سماء الدنيا ثم نزل بعد ذلك فى انواع الوقائع حما لا لا قال قتادة وابن زيد انزل الله القرآن فى ليلة القدر من ام الكتاب الى سماء الدنيا ثم نزل به جبريل على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نجوما فى عشرين سنة (قوله وبركتها لذلك) اى لا لذاتها لان اجزاء الزمان متشابهة بحسب ذواتها فان الزمان عبارة عن مدة ممتدة تقدرها حركات الافلاك والكواكب وانه فى ذاته امر واحد متشابه الاجزاء فلا يكون بعض اجزائه افضل من البعض الآخر لذاته والالزم ترجح احد طرفى الممكن على الآخر لا لمرجح وانه محال فوجب ان يكون امتياز الليلة المباركة عن سائر اجزاء الزمان بمزيد القدر والشرف بسبب انه حصل فيها امر شريف له قدر عظيم بارادة الفاعل المختار فانه لايبعد من الفاعل المختار ان يخصص وقتا معينا بامر شريف وعزه بذلك عن سائر الاوقات التى قبله وبعده ومن المعلوم ان امر الدين اعز واشرف من امر الدنيا وان اعظم الاشياء قدرا من بين امور الدين هو القرآن لانه ثبت به نبوة سيد المرسلين محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وبه ظهر الفرق بين الحق والباطل فلما خص الله تعالى تلك الليلة بانزاله فيها كانت لذلك كثيرة الخير والبركة ولو لم يكن فيها الا انزال القرآن

الذى فيه خير الدين والدنيا لكفى ذلك بركة وشرفا لها مع ان لها شرفا وقدرا عظيما من وجوه اخر كنزول الملائكة والرحمة واجابة الدعوة وقسم النعم والارزاق وفصل الاقضية روى ان الملائكة تنزل الى الدنيا ليلة القدر ومعهم جبريل بالرحمة من الله تعالى والسلام على اوليائه فيسلمون على كل عبد قائم اوقاعد يذكر الله تعالى وروى عنه عليه الصلاة والسلام من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه والعمل فيها بطاعة الله افضل من العمل فى الف شهر ليس فيه ليلة القدر اى من العمل فى ثلاث وثمانين سنة واربعة اشهر وليلة القدر سميت بذلك لكونها ليلة تقدير الاعمال والارزاق والآجال ومعنى تقديرها اظهار مقاديرها وانيانها فى النسخ ودفعها الى جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وقيل سميت بذلك لكونها ليلة العظمة وهى ليلة جليلة القدر عظيمة الامر فهى خير من الف شهر قال ابن عباس تقضى الاقضية كلها ليلة النصف من شعبان وتسلم الى اربابها من الملائكة ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان وقيل يبدأ فى ليلة البراءة باستنساخ الامور من اللوح المحفوظ وكتب الكتب بارزاق العباد وآجالهم وجميع الامور الحكمة الواقعة فى تلك الليلة الى مثلها من السنة القابلة ويقع الفراغ فى ليلة القدر فدفع نسخة الارزاق الى ميكائيل ونسخة الحروب والزلازل والصواعق والخسف الى جبريل ونسخة الاعمال الى اسرافيل صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة المصائب الى ملك الموت قيل ليلة البراءة مختصة بخمس خصال الاولى تفريق كل امر عظيم والثانية فضيلة العبادة فيها روى انه عليه الصلاة والسلام قال من صلى فى هذه الليلة مائة ركعة ارسل الله اليه مائة ملك ثلاثون منهم يبشرونه بالجنة وثلاثون يؤمنونه من عذاب النار وثلاثون يرفعون عنه آفات الدنيا وعشرة يدفعون عنه مكايد الشيطان والثالثة نزول الرحمة قال عليه الصلاة والسلام ان الله تعالى يرحم امتى فى هذه الليلة بعدد شعر اغنام بنى كلب والرابعة حصول المغفرة قال عليه الصلاة والسلام ان الله تعالى يغفر لجميع المسلمين فى تلك الليلة الا لكاهن اوساحر اومشاحن اومدمن خمر اوعاق لوالديه اومصر على الزنى والخامسة انه تعالى اعطى فيها رسول الله صلى تعالى عليه وسلم تمام الشفاعة وذلك انه عليه الصلاة والسلام سأل ليلة الثالث عشر من شعبان الشفاعة فى امته فاعطى الثلث منها ثم سأل ليلة الرابع عشر فاعطى الثلث ثم سأل ليلة الخامس عشر فاعطى الجميع الامن شرد عن الله شراد البعير ومن عادة الله تعالى

فى هذه الليلة ان يزيد فيهما ماء زمزم زيادة ظاهرة (قوله استئناف
يبين فيه المقتضى للانزال) اى ان قوله تعالى انا كنا منذرين يبين به
مقتضى اصل الانزال وقوله فيهما يفرق كل امر حكيم يبين به ما يقتضى
اختصاص ذلك الانزال بليلة مباركة فان جواب القسم وهو قوله
تعالى انا انزلناه فى ليلة مباركة يتضمن معنيين الاول انزال القرآن والثانى
وقوع ذلك الانزال فى الليلة المباركة فعلل الاول بقوله انا كنا
منذرين اى نخوف الخلق بالعذاب ردعا عن الكفر والمعصية وشوقا الى
الايمان والطاعة وذلك يقتضى ارسال الرسل وانزال الكتاب وعلل
الثانى بقوله فيها يفرق كل امر حكيم اى محكم متقن لايبدل ولايغير على
ان الحكيم بمعنى المحكم كالبديع بمعنى المبدع اوكل امر ذى حكمة تلتبس بها بان
يكون وقوعه على مقتضى الحكمة فان ما يبين ويفصل فى تلك الليلة من الامور
كالآجال والارزاق وغيرهما كائن لامحالة على وفق الحكمة البالغة
ومقتضاها ولما كان انزال القرآن الكريم من اجل الامور اختص انزاله بوقت
الامور الحكمية والحكيم حقيقة فاعل الامر لانفسه فجعل الامر حكيما من قبيل
الاسناد المجازى وقيل ينسخ من اللوح المحفوظ فى هذه الليلة مايكون فى تلك السنة
من ارزاق العباد وآجالهم وجميع احوالهم من الخير والشر حتى حج الحاج
فيكتب فلان يحج وفلان لايحج حتى مايكون فى تلك السنة من الخصب والرخاء
عن ابن عباس رضى الله عنه قال انك لترى الرجل يمشى فى الاسواق وقد وقع
اسمه فى الموتى وعنه عليه الصلاة والسلام قال تقطع الآجال من شعبان الى
شعبان حتى ان الرجل لينكح ويولد له ولقد اجرى اسمه فى الموتى (قوله وقرئ
يفرق بالتشديد) لكثرة المفرقات ويفرق على بناء الفاعل ونفرق بنون العظمة
ونصب كل امر فى كل واحدة من قراءة يفرق بالياء ونفرق بالنون والفاعل فيهما
هو الله تعالى (قوله اى اعنى بهذا الامر امرا حاصلا من عندنا) اشارة
الى ان قوله امرا منصوب على الاختصاص اى على المدح بتقدير اعنى وان قوله
من عندنا متعلق بمحذوف هو صفة امرا اى اعنى امرا حاصلا من عندنا وكائنا
من لدنا وصف به الامر زيادة على تفخيم الامر وتعظيمه فخمه اولا بان وصفه
بقوله حكيم ثم زاد فى تفخيمه بان نكره ونصبه على الاختصاص ووصفه بقوله
من عندنا واشار الى وجوه زيادة الفخامة بقوله اى اعنى بهذا الامر امرا
حاصلا من عندنا (قوله لانه موصوف) تعليل لجواز كونه حالا من امر
وهو نكرة ولا ينتصب الحال من النكرة المختصة الا مقدما عليها وليس تعليلا
لكونه حالا من ضمير حكيم لانه معرفة ورد على كونه حالا من امر انه يلزم

استئناف يبين فيه
المقتضى للانزال وكذلك
قوله (فيها يفرق كل
امر حكيم) فان كونها
مفرق الامور المحكمة
والملتبسة بالحكمة استدعى
ان ينزل فيها القرآن
الذى هو من عظائمها
ويجوز ان يكون صفة ليلة
مباركة ومابينهما اعتراض
وهو يدل على ان الليلة
ليلة القدر لانه صفتها
قوله تنزل الملائكة
والروح فيها باذن ربهم
من كل امر وقرئ يفرق
بالتشديد ويفرق كل اى
يفرقه الله ونفرق بالنون
(امرا من عندنا) اى
اعنى بهذا الامر امرا
حاصلا من عندنا على
مقتضى حكمتنا وهو
مزيد تفخيم للامر ويجوز
ان يكون حالا من كل
او امر او ضميره المستكن
فى حكيم لانه موصوف

مجئ الحال من المضاف اليه في غير المواضع المذكورة (قوله وان يراد به مقابل النهي) عطف على مايفهم من الوجوه المتقدمة فانها مبنية على كون الامر بمعنى الشان واحد الامور وذلك لانه لاخفاء في ان الامر في قوله كل امر حكيم بمعنى الشان وان المعنى كل شان ذى حكمة اى مفعول على ما تقتضيه الحكمة فيكون الامر في قوله امرا من عندنا بمعنى الشان ايضا ان نصب بتقدير اعنى اوعلى ان يكون حالا من امر اوضميره لانه حينئذ يكون عبارة عن الامر الحكيم المذكور اولا فذكر احتمال ان يكون منصوبا بتقدير اعنى اوعلى الحالية من امر اوضميره في قوة ذكر انه بمعنى الشان ايضا لان ذكر الملزوم في قوة ذكر اللازم فلذلك عطف عليه قوله وان يكون المراد به مقابل النهي ثم بين ان انتصابه على تقدير ان يكون المراد به مايقابل النهي اما على انه مفعول مطلق ليفرق اولفعله المضمر او على انه حال من احد الضميرين وكونه مصدرا ليفرق اما مبني على ان المعنى فيها يفرق كل شان حكيم فرقا او يؤمر بكل ذلك امرا من عندنا وذلك لان معنى قوله فيها يفرق كل امر حكيم ان كل ذلك يؤخذ ويفصل ويستنسخ من اللوح المحفوظ وهو بمعنى فيها يؤمر بكل شان ذى حكمة لانه تعالى اذاقضى بالشئ وقدره اى اظهر قدره واثبته في نسخ الملائكة فقد اوجبه لنا اذا امر به فيكون فرقا وامرا بمعنى واحد فلذلك صح ان يوضع امرا موضع فرقا وان يوضع يفرق موضع يؤمر والمصنف اشار الى كونهما بمعنى واحد بقوله من حيث ان الفرق به اى من حيث ان فرق الشان الحكيم من اللوح واثباته في نسخ الملائكة يكون بايجابه والامر به فيكونان بمعنى واحد وان كان حالا من فاعل انزلناه اومفعوله يكون المعنى على الاول آمرين وعلى الثاني مأمورا وعلى التقديرين لا يكون من عندنا صفة لامرا بل يكون متعلقا بيفرق او يكون صفة لمصدر محذوف مؤكد لامر اى آمرين امرا كائنا من عندنا (قوله اى انا انزلنا القرآن لان من عادتنا ارسال الرسل بالكتب) ولما كان المبدل منه وهو قوله انا كنا منذرين استئنافا يقصد به تعليل الانزال كان المقصود بالبدل ايضا ذلك ولم يتعرض للمبدل منه اشعارا بكونه في حكم الساقط وان المقصود هو البدل وزاد قوله بالكتب ليصح كونه تعليلا للانزال (قوله لاجل الرحمة عليهم) اشارة الى ان انتصاب رحمة على انها مفعول له للارسال ولو جعل انتصابها على انها مفعول به لقوله مرسلين لكان له وجه غايته ان تجعل الرسل انفسهم رحمة للمبالغة الا ان المصنف لم يلتفت اليه لان البدل منه لما لم يعتبر فيه تعلق الفعل بالمفعول به بل كان معناه انا كنا فاعلين الانذار كان المناسب ان لايعتبر تعلق الفعل به في البدل ايضا ويكون معناه انا كنا فاعلين الارسال

وان يراد به مقابل النهي[3] وقع مصدرا ليفرق اولفعله مضمرا من حيث ان الفرق به اوحالا من احد ضميري انزلناه بمعنى آمرين او مأمورا (انا كنا مرسلين رحمة من ربك) بدل من انا كنا منذرين اى انا انزلنا القرآن لان من عادتنا ارسال الرسل بالكتب الى العباد لاجل الرحمة عليهم ووضع الرب موضع الضمير للاشعار بان الربوبية اقتضت ذلك فانه اعظم انواع التربية

ليتطابق البدل والمبدل منه فى ان كل واحد منهما منزل منزلة اللازم (قوله
اوعلة ليفرق اوامرا) عطف على قوله بدل اى و يحتمل ان يكون قوله انا كنا
مرسلين استئنافا لبيان علة فرق كل شأن حكيم من اللوح اى لبيان علة
الامر به فقوله او امرا منشأه اوالفعل الناصب لقوله امرا على المصدرية
اوالحالية والمعنى امرنا بكل شان حكيم امرا اوانزلنا القرءآن امرا لان شأننا
ارسال الرحمة وعدم امساكها وكون شأنه تعالى ذلك يصلح علة لفصل
الامور الحكمة ولامره بها لان كل واحد منهما من باب الرحمة اما
الاول فظاهر واما الثانى فلان المقصود الاصلى من تكليف العباد تعريضهم
للمنافع والرحمة لهم وهذه صفاته لان توسيط ضمير الفصل مع تعريف الخبر
من جملة طرق الحصر ففيه تعريض بان آلهتهم لا تسمع ولا تبصر وليس لهم
مدخل فى تربية شئ من الكائنات العلوية والسفلية فمن انتفى عنه لوازم الربوبية
بالكلية كيف يكون ربا (قوله خبرآخر) فان غيرالكوفيين قرأوا رب السموات
بالرفع على انه خبر بعد خبر اوعلى انه خبر مبتدأ محذوف اى هو رب السموات
او على انه مبتدأ ولا اله الا هو خبره (قوله اى ان كنتم من اهل الايقان
فى العلوم الخ) يعنى يجوز ان يكون قوله موقنين منزلا منزلة اللازم ولا يعتبر
تعلقه بمفعوله الغير الصريح وان يكون بمعنى موقنين فى اقراركم بان خالق هذه
الاجرام هوالله تعالى بان يعتبر تعلقه بمفعوله ولكن حذف ذلك المفعول لدلالة
المقام عليه وقوله علمتم ان الامر كما قلنا اشارة الى ان جواب الشرط محذوف
مدلول عليه بما ذكر قبل الشرط وليس الجواب نفس ماذكر قبل الشرط على
رأى الكوفيين ولا مضمونه القدر بعده على رأى البصريين لان كونه تعالى
رب السموات والارض وما بينهما امر محقق على جميع التقادير وليس تحققه
موقوفا على بعض التقادير والاعتبارات حتى يصح تعليقه بكونهم موقنين فلما
لم يجز ان يجعل كونه تعالى ربا لما ذكر فى نفس الامر معلقا وموقوفا على كونهم
موقنين جعل المعلق على ذلك علمهم بماذكر قبل الشرط اماالعلم الواقع قبل ذكر
الشرطية اوالعلم المطلق بذكرها الا ان الايقان على الثانى يكون مجازا عن الارادة
بطريق اطلاق اسم المسبب على السبب اى ان كنتم مريدين اليقين فاعلموا
كونه رب السموات والارض ومابينهما وكونه واحدا لا شريك له على ان يكون
الجواب المحذوف مادل عليه ما قبل الشرط او ما بعده من قوله لا اله الا هو
(قوله وقرئا بالجر) يعنى من قرأ رب السموات بالجر على انه بدل من ربك
وهم الكوفيون قرأهما بالجر ايضا على انهما بدلان او عطفا بيان لرب السموات
ومن رفعه رفعهما ايضا على انهما بدلان او نعتان له او خبر بعد خبر لقوله انه اوخبر

(مبتدأ)

او علة ليفرق اوامر او
رحمة مفعول به اى يفصل
فيها كل امر او تصدر الاوامر
من عندنا لان من شأننا ان
نرسل رحمتنا فان فصل
كل امر من قسمة الارزاق
وغيرها وصدور الاوامر
الالهية من باب الرحمة
وقرئ رحمة على تلك
رحمة (انه هو السميع
العليم) يسمع اقوال
العباد ويعلم احوالهم وهو
بمابعده تحقيق لربوبيته
وانها لاتحق الا لمن هذه
صفاته (رب السموات
والارض ومابينهما) خبر
آخر او استئناف وقرأ
الكوفيون بالجر بدلا من
ربك (ان كنتم موقنين)
اى ان كنتم من اهل الايقان
فى العلوم او ان كنتم موقنين
فى اقراركم اذا سئلتم من
خلقها فقلتم الله علمتم
ان الامر كما قلنا او ان كنتم
من يدين اليقين فاعلموا
ذلك (لا اله الا هو) اذلا
خالق سواه (يحيى و يميت)
كما تشاهدون (ربكم ورب
آبائكم الاولين) وقرئا بالجر
بدلا (بل هم فى شك يلعبون)

مبتدأ مضمر (قوله رد لكونهم موقنين) الا انه انتقل فيه الى طريق الغيبة تحقيرالهم واعراضا عنهم حين افرطوا فى العناد ولم يقبلوا رسول من يقرون انه خالق السموات والارض ومابينهما ولا كتابه ووجه انتظام الآيات من اول السورة الى هنا انه تعالى عظم كتابه المبين بان جعله مقسما به واكد به الاخبار بانه هوالذى تفرد بانزاله فى ليلة شريفة كثيرة الخير والبركة وعلل تخصيص تلك الليلة بالانزال بكونها مفرق الامور الحكيمة الحاصلة من عنده تعالى وعلل نفس الانزال بان شأنه وعادته انذار المعاندين بالعذاب بان يرسل اليهم رسلا مؤيدين بالكتاب السماوى لاجل الرحمة عليهم واقتضاء الربوبية اياه ثم وصف ذاته المكرم باوصاف جليلة تحقيقا لربوبيته وارشادا الى ان الربوبية لاتحقق الا لمن هذه اوصافه وسلك فى قوله ان كنتم موقنين وقوله ربكم ورب آبائكم سبيل الخطاب ايها ما لحجتهم وتوبيخا لهم بان انزال هذا الكتاب وارسال هذا الرسول انما هو من قبل من تقرون به وتقولون انه خالق السموات والارض ومابينهما فالكم لاتقبلونهما ولا تؤمنون بهما مع انكم تدعون انكم موقنون فى هذا القول والاقرار ومن ايقن به يلزمه ان يستيقن ان ملكوت كل شئ بيده وانه يرحم من اطاعه وينتقم ممن عصاه فالكم لا تخافون عذابه لاصراركم على مخالفته وعصيانه ثم التفت من الخطاب الى الغيبة فقال بل هم فى شك يلعبون تحقيرالشأنهم وابعادالهم عن موقف الخطاب لكون شانهم التزلزل والامتراء وكون افعالهم الهزؤ واللعب لعدم التفاتهم الى البراهين القاطعة وعدم تمييزهم بين الحق والباطل والضار والنافع ولما بين ان شأنهم الحماقة والطغيان وعدم قبول الحق والانتفاع به التفت الى حبيبه صلى الله عليه وسلم تسلية له واقناطا من ايمانهم وبيانا لكونهم من اهل العذاب والخذلان لا من اهل الرحمة والغفران فقال فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين فدل انزال الكتاب من السماء بانزال العذاب منها عليهم على ان قوله تعالى يوم تأتى السماء مفعول به لقوله ارتقب يقال رقبته وارتقبته نحو نظرته وانتظرته واختلف اهل التفسير فى هذا الدخان فذهب ابن مسعود رضى الله عنه الى ان المراد به ما اصاب قريشا من القحط وشدة الجوع حتى اكلوا الكلاب والجيف والعظام المحرقة وذلك انهم لما عاندوا وابوا عن متابعة الحق وكذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف فاصابهم ذلك بسبب دعائه عليه الصلاة والسلام والمصنف اختار هذا القول ثم اشار الى ان اطلاق الدخان على شدة القحط وغاية الجوع اما كناية حيث اطلق اللازم واريد الملزوم اومجاز مرسل حيث اطلق

رد لكونهم موقنين (فارتقب) فانتظر لهم (يوم تأتى السماء بدخان مبين) يوم شدة ومجاعة فان الجائع يرى بينه وبين السماء كهيئة الدخان من ضعف بصره اولان الهواء يظلم عام القحط لقلة الامطار وكثرة الغبار اولان العرب تسمى الشر الغالب دخانا وقد قحطوا حتى اكلوا جيف الكلاب وعظامها واسناد الاتيان الى السماء لان ذلك يكفه عن الامطار

المسبب واريد السبب فان شدة القحط والجوع مستلزمة وسبب لان يرى الهواء مظلما كالدخان اما من ضعف البصر من شدة الجوع واما لتكدر الهواء بسبب غلبة اليبس على الارض وكثرة ما تصاعد منها الى الهواء من الغبار المكدر واما لان العرب يجعلون الدخان والظلمة استعارة للشر الغالب من حيث ان كل واحد منهما يمنع تمام الابصار والسماء لا تأتى بالقحط والمجاعة فاسناد اتيانهما اليها من قبيل اسناد الحكم الى سببه لانهما يحصلان بعدم امطار السماء (قوله او يوم ظهور الدخان المعدود من اشراط الساعة) عطف على قوله يوم شدة ومجاعة فعلى هذا يكون الدخان مستعملا فى معناه الحقيقى وهو دخان يأتى من السماء قبل يوم القيامة فتكون الارض كلها كبيت اوقد فيه النار مع الدخان وليس فيه فرجة يخرج منها الدخان (قوله يخرج من قعر عدن ابين) فى الصحاح ابين اسم رجل نسب اليه عدن فقيل عدن ابين ويقال فلان ابين من فلان اى افصح منه (قوله او يوم القيامة) عطف على قوله يوم شدة ايضا اى ويحتمل ان يكون المراد بالدخان نفس يوم القيامة كما يحتمل ان يراد معناه الحقيقى واطلاق الدخان على يوم القيامة من قبيل اطلاق اللازم وارادة الملزوم وهو يوم القيامة فانه لشدة اهواله يظلم العين حتى لا يرى الانسان فيه ايما توجه الا الظلمة مستولية عليه وكان الفضاء كله صار دخانا وانكر ابن مسعود رضى الله عنه ان يكون المراد بالدخان غير ما اصاب اهل مكة من شدة الجوع واحتج عليه بانه تعالى حكى عنهم انهم يقولون ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون فاذا حمل على القحط الذى وقع صح انتظام الكلام فانه روى ان الامر لما اشتد على اهل مكة مشى ابو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع نفر من اصحابه وناشدوه الله والرحم وقالوا يا رسول الله استسق الله لنا فقد اصابنا شدة وواعدوه ان دعا لهم وكشف الله تعالى عنهم تلك البلية ان يؤمنوا فلما ازالها الله تعالى عنهم استمروا على شركهم ولم يؤمنوا واما اذا حملناه على ظهور علامة من علامات القيامة اوعلى امور نفس القيامة فلا يصح ذلك لانه عند ظهور علامات القيامة او ظهور نفسها لا يمكنهم ان يقولوا ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون ولا يصح ايضا ان يقال لهم انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون لانه حينئذ يمتنع الكشف ولا يصح الايمان بعده فلا يبقى وجه لان يعدوا بالايمان عند تقدير الكشف ويمكن ان يجاب عنه بان هذه العلامة لم لا يجوز ان تكون كسائر علامات القيامة فى انها لا توجب انقطاع التكاليف ويصح الايمان عند ظهورها (قوله مقدر بقول وقع حالا) يعنى ان قوله تعالى هذا عذاب اليم الى [illegible]

الدخان ونزول عيسى ونار تخرج من قعر عدن ابين تسوق الناس الى المحشر قيل وما الدخان فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية وقال يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث اربعين يوما وليلة اما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكام واما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخريه واذنيه ودبره او يوم القيامة والدخان يحتمل المعنيين (يغشى الناس) يحيط بهم صفة للدخان وقوله (هذا عذاب اليم ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون) مقدر بقول وقع حالا وانا مؤمنون وعد بالايمان ان كشف العذاب عنهم (انى لهم الذكرى) من اين وكيف يتذكرون بهذه الحال (وقد جاءهم رسول مبين) بين لهم ما هو اعظم منها فى ايجاب الاذكار من الآيات والمعجزات (ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون) اى قال بعضهم يعلمه غلام اعجمى لبعض ثقيف وقال آخرون انه مجنون (انا كاشفوا العذاب) بدعاء النبى صلى الله عليه وسلم فانه دعا فرفع القحط (قليلا)

على انه مفعول قول مقدر اى يغشاهم قائلين هذا عذاب اليم ربنا اكشف عنا العذاب الاية فعند ذلك يقول الله تعالى كيف يتذكرون ويتعظون ويوفون بما وعدوه من الايمان عند كشف العذاب وقد جاءهم ما هو اعظم وادخل فى وجوب الادكار من كشف الدخان وهو ما ظهر على يد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الآيات البينات من الكتاب والمعجزة وغيره وهو قوله تعالى وقد جاءهم رسول كريم ثم تولوا عنه (قوله ومن فسر الدخان بما هو من الاشراط الخ) جواب عما احتج به ابن مسعود رضى الله عنه وتقريره ان مجرد ظهور ما هو من اشراط الساعة لا يوجب انقطاع التكليف وعدم اعتبار الايمان بعد ظهوره ولا يوجب ايضا لزومه وعدم انكشافه فلا يمتنع ان يغوث الكفار بالدعاء بان يقولوا يا ربنا اغثنا مما نحن فيه من غشيان الدخان يانا فيكشفه الله تعالى عنهم بعد الاربعين فربما يكشفه عنهم يرتدون (قوله ومن فسره بما فى القيامة) جواب عنه ايضا وتقريره ان نفس القيامة لا تنكشف بعد ظهورها وان الايمان لا يعتبر بعد ظهورها واتيانها الا ان قولهم ربنا اكشف عنا العذاب ليس المراد بالعذاب كشف نفس القيامة وازالتها بل معناه تمنى ان يردوا الى الدنيا فيؤمنوا كما حكى عن امثالهم انهم يقولون لو ان لنا كرة فنكون من المؤمنين وقوله تعالى انا كاشفو العذاب قليلا انكم عائدون مأول بالشرط والتقدير والمعنى ان رددنا كم اليها تعودون الى ما كنتم عليه من الكفر والتكذيب على اسلوب قوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه فالكلام مبنى على الفرض والتقدير (قوله فان ان يحجره عنه) اى يمنع قوله منتقمون من ان يعمل فيما قبلها لاقتضائها صدر الكلام (قوله وقرئ نبطش) بضم النون وكسر الطاء من ابطشه اذا حمله على البطش ومكنه منه والبطش الاخذ بالشدة فقوله تعالى البطشة الكبرى على هذا يجوز ان ينتصب على انه مفعول به بجعلها باطشة بهم على الاسناد المجازى نحو جد جده او على انه مفعول مطلق لنبطش على حذف الزوائد نحو انبتكم من الارض نباتا ومفعول الابطاش محذوف للعلم به اى يوم نبطش الملائكة البطشة الكبرى ثم انه تعالى لما بين ان كفار مكة ليسوا موقنين بل هم فى شك يلعبون وامره عليه الصلاة والسلام بان ينتظر يوم تأتى السماء بشدة ومجاعة بين ان كثيرا من المتقدمين ايضا كانوا كذلك ومن جملتهم قوم فرعون فقال ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون اى امتحناهم بالامر والنهى بارسال موسى اليهم او اوقعناهم فى الفتنة اى فى الشدة والبلاء فان حملت فى الآية على المعنى الاول تكون الاسناد فى قوله فتنا حقيقة عقلية لانه تعالى هو الذى

ومن فسر الدخان بما هو من الاشراط قال اذا جاء الدخان غوث الكفار بالدعاء فيكشفه الله عنهم بعد اربعين فربما يكشفه عنهم يرتدون ومن فسره بما فى القيامة اوله بالشرط والتقدير (يوم نبطش البطشة الكبرى) يوم القيامة او يوم بدر ظرف لفعل دل عليه (انا منتقمون) لا لمنتقمون فان ان تحجزه عنه او بدل من يوم يأتى وقرئ نبطش اى نجعل البطشة الكبرى باطشة بهم او نحمل الملائكة على بطشهم وهو التناول بصولة (ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون) امتحناهم بارسال موسى عليه السلام اليهم او اوقعناهم فى الفتنة بالامهال وتوسيع الرزق عليهم

وقرئ بالتشديد للتأكيد او لكثرة القوم (وجاءهم رسول كريم) على الله او على المؤمنين او فى نفسه لشرف نسبه وفضل حسبه (ان ادوا الى عباد الله) بان ادوهم الى وارسلوهم معى او بان ادوا الى حق الله من الايمان وقبول الدعوة يا عباد الله ويجوز ان تكون ان مخففة او مفسرة لان مجئ الرسول يكون برسالة ودعوة (انى لكم رسول امين) غير متهم لدلالة المعجزات على صدقه او لائتمان الله اياه على وحيه وهو علة الامر (وان لا تعلوا على الله) ولا تتكبروا عليه بالاستهانة بوحيه ورسوله عم وان كالاولى فى وجهيها (انى آتيكم بسلطان مبين) علة النهى ولذكر الامين مع الاداء والسلطان مع العلاء شان لا يخفى (وانى عذت بربى وربكم) التجأت اليه وتوكلت عليه (ان ترجمون) ان تؤذونى ضربا او شتما او ان تقتلونى وقرئ عت بالادغام (وان لم تؤمنوا لى فاعتزلون) فكونوا بمعزل منى لا على ولا لى ولا تتعرضوا لى بسوء فانه ليس جزاء من دعاكم الى ما فيه فلاحكم (فدعا ربه) بعد ما كذبوه (ان هؤلاء) بان هؤلاء (قوم مجرمون) وهو تعريض بالدعاء عليهم بذكر ما استوجبوه به ولذلك سماه دعاء وقرئ (ليلا) بالكسر على اضمار القول (فاسر بعبادى ليلا) اى فقال اسر او قال ان كان الامر كذلك فاسر وقرأ نافع وابن كثير

اخبرهم بارسال موسى عليه الصلاة والسلام اليهم فاختاروا الكفر على الايمان وعلى الثانى يكون مجازيا عقليا من باب اسناد الفعل الى سببه لان المراد بالفتنة حينئذ ارتكاب المعاصى فانه تعالى كان سببا لارتكابهم اياها بان امهلهم ووسع رزقهم (قوله وقرئ بالتشديد) فيكون صيغة التفعيل فى فتنا اما للتأكيد او المبالغة فى الفتنة او لتكثيرها لكثرة متعلقها فان لكل فرد من القوم نصيبا من الفتنة فيكون ما للقوم كثيرا (قوله بان ادوهم الى) على ان تكون ان مصدرية ناصبة للمضارع وهى توصل بالامر نحو امرته ان قم اى بالقيام والمعنى جاءهم بان ادوا اى ملتبسا بهذا القول وعباد الله مفعول به طلب منهم ان يؤدوا اليه بنى اسرائيل بدليل قوله فارسل معى بنى اسرائيل ثم ذكر احتمال ان يكون عباد الله منادى ويكون المفعول محذوفا اى اعطوا فى الطاعة وقبول الدعوة يا عباد الله وعطف عليه جواز ان تكون مخففة والمعنى وجاءهم بان الشان والحديث ادوا الى عباد الله وقيل عليه وقوع الخبر فى هذا الباب طلبيا نادر وحمل الآية على النادر القليل بعيد ثم جوز ان تكون هى المفسرة لتقدم ما هو بمعنى القول لان الرسالة تتضمن القول (قوله بسلطان مبين) اى بحجة واضحة يعترف بها ويتذلل لها كل عاقل ففى ذكره فى مقابلة العلاء شان لا يخفى كما فى ذكر الامين مع الاداء قيل انه عليه الصلاة والسلام لما قال وان لا تعلوا على الله الآية توعدوه بالقتل فقال وانى عذت بربى وربكم ان ترجمون اى تقتلونى بالحجارة قال قتادة وكان ذلك عادتهم فى القتل وعن ابن عباس قال ان تشتمونى باللسان (قوله وقرئ عت بالادغام) اى بادغام الذال فى التاء قيل هى قراءة حمزة وابى عمرو والكسائى (قوله وان لم تؤمنوا لى) اى ان لم تصدقونى فيما بلغتكم عن الله تعالى اى لاجل ما أتيتكم به من السلطان المبين فاللام فى قوله لى لام الاجل (قوله بعد ما كذبوه) اشارة الى ان الفاء فى قوله تعالى فدعا ربه للعطف على مقدر اى انهم كفروا ولم يؤمنوا فدعا موسى ربه بان هؤلاء قوم مجرمون سماه دعاء مع انه ليس بدعاء صريح لانه دعاء عليهم على سبيل التعريض كانه قيل انهم قوم تناهى امرهم فى الكفر والعصيان وانت اعلم بهم فافعل بهم ما يستحقونه قرأ العامة ان هؤلاء بفتح ان على اضمار حرف الجر (قوله اى فقال اسر او قال ان كان الامر كذلك فاسر) ولما كان عطف قوله فاسر على قوله فدعا ربه من قبيل عطف الانشاء على الاخبار بحسب الظاهر ذكر له وجهين الاول ان يضمر القول بعد الفاء اى فقال الله تعالى اسر بعبادى

ثم بوصل الهمزة من سرى ﴿ ١٢٣ ﴾ (انكم متبعون) يتبعكم فرعون وجنوده اذا علموا بخروجكم (واترك

البحر رهوا) مفتوحا ذا فجوة واسعة او ساكنا على هيئته بعد ما جاوزته ولا تضرب به بعصاك ولا تغير منه شيأ ليدخله القبط (انهم جند مغرقون) وقرئ بالفتح بمعنى لانهم (كم تركوا) كثيرا تركوا (من جنات وعيون وزروع ومقام كريم) محافل مزينة ومنازل حسنة (ونعمة) وتنعم (كانوا فيها فاكهين) متنعمين وقرئ فكهين (كذلك) مثل ذلك الاخراج اخرجناهم منها او الامر كذلك (واورثناها) عطف على الفعل المقدر او على تركوا (قوما آخرين) ليسوا منهم فى شئ وهم بنوا اسرائيل وقيل غيرهم لانهم لم يعودوا الى مصر (فما بكت عليهم السماء والارض) مجاز عن عدم الاكتراث بهلاكهم والاعتداد بوجودهم كقولهم بكت عليهم السماء وكسفت لمهلكهم الشمس فى نقيض ذلك ومنه ماروى فى الاخبار ان المؤمن ليبكى عليه مصلاه ومحل عبادته ومصعد عمله ومهبط رزقه وقيل تقديره فما بكت عليهم اهل السماء والارض

ليلا والثانى ان يكون فاسر جواب شرط محذوف كانه قيل قال الله تعالى ان كان الامر كما تقول فاسر وقرئ فاسر بقطع الهمزة و وصلها على ان سرى واسرى لغتان بمعنى انه سار بهم ليلا (قوله مفتوحا ذا فجوة واسعة او ساكنا) يعنى ان الرهو مصدر اما من قولك رها بين رجليه يرهو رهوا اى فتح او من قولك رها البحر اى سكن يقال افعل ذلك رهوا اى راهيا ساكنا فقوله البحر رهوا من قبيل رجل عدل اى راهى ساكن او وصف البحر بالمصدر للمبالغة او بتقدير ذى رهو والفجوة الفرجة المتسعة بين الشيئين اى اتركه على حاله منفتحا متفرقا بين كل فرقين منه طريق متسع يابس وكان موسى عليه الصلاة والسلام امر بضرب البحر بعصاه حتى ينفلق طرقا وقام كل فرق فى الهواء كالطود العظيم فلما عبر هو و بنو اسرائيل سالما خاف ان يدخله القبط مع فرعون ويعبروا كما عبر هو واصحابه واراد ان يضرب به بعصاه فينطبق كما ضرب به اولا فانفلق فامر ان يتركه منفتحا ساكنا على حاله وهيئته من انتصاب الماء فى الهواء وكون الطريق يبسا ليدخله القبط فاذا حصلوا فيه جميعا اطبقه الله تعالى عليهم فيغرقهم اجمعين قرأ العامة انهم مغرقون بكسر همزة ان على الاستئناف اخبر الله تعالى موسى انه يغرقهم ليطمئن قلبه فيترك البحر على حاله (قوله كثيرا تركوا) يعنى ان كم خبرية للتكثير منصوبة المحل بتركوا وفى الآية اختصار والمعنى ففعل موسى ما امر به من ترك البحر رهوا فدخله فرعون وقومه فانطبق البحر عليهم فاغرقوا جميعا فحين ذلك تركوا بساتين كثيرة وكذا وكذا والنعمة بكسر النون ما انعم به عليك و بفتحها التنعم ونضارة العيش (قوله مثل ذلك الاخراج) اشارة الى ان الكاف فى محل النصب على انها صفة مصدر محذوف منصوب بفعله المحذوف المدلول عليه بقوله انكم متبعون وقوله كم تركوا وقوله اورثنا لان كل واحد من الاتباع والترك والايراث انما يحصل بعد الاخراج فعلى هذا يكون قوله تعالى واورثنا معطوفا على تلك الجملة الناصبة للكاف وعلى قوله او الامر كذلك تكون الكاف مرفوعة المحل على انها خبر مبتدأ محذوف و يكون قوله واورثنا معطوفا على تركوا والمراد بايراثها نقلها اليهم نقل الميراث الى الوارث لان بنى اسرائيل ليسوا ورثة للقبط حيث لم يكونوا منهم فى شئ من قرابة ولا دين ولا ولاء فنقلها اليهم يكون اشد عليهم واغيظ لهم فوق خروجها من ايديهم (قوله وقيل غيرهم) اى وقيل المراد بالقوم الآخرين غير بنى اسرائيل لانهم لم يعودوا الى مصر (قوله مجاز عن عدم الاكتراث) وهو المبالاة والاعتناء بشان الهالك يعنى ان البكاء المدلول عليه بقوله بكت مجاز مرسل عن الاكتراث بهلاك الهالك بطريق ذكر المسبب

﴿وما كانوا منظرين﴾ ممهلين الى وقت آخر ﴿ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين﴾ من استعباد فرعون وقتله ابناءهم ﴿من فرعون﴾ بدل من العذاب على حذف المضاف او جعله عذابا لافراطه في التعذيب او حال من المهين بمعنى واقعا من جهته وقرئ من فرعون على الاستفهام تنكيرا له لنكر ما كان عليه من السيطنة ﴿انه كان عاليا﴾ متكبرا ﴿من المسرفين﴾ في العلو والشرارة وهو خبر ثان اى كان متكبرا مسرفا او حال من الضمير في عاليا اى كان رفيع الطبقة من بينهم ﴿ولقد اخترناهم﴾ اخترنا بني اسرائيل ﴿على علم﴾ عالمين بانهم احقاء بذلك او مع علم بانهم يزيغون في بعض الاحوال ﴿على العالمين﴾ لكثرة الانبياء فيهم او على عالمي زمانهم ﴿وآتيناهم من الآيات﴾ كفلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى ﴿ما فيه بلاء مبين﴾ نعمة جلية او اختبار ظاهر ﴿ان هؤلاء﴾ يعني كفار قريش

وارادة السبب فان الاكتراث المذكور سبب مؤدي الى البكاء عادة وحمله على المجاز لان مجرد عدم البكاء مع قطع النظر عن كونه مترتبا على عدم الاكتراث لايدل على خساسة الهالك والآية مسوقة للدلالة عليها فان المراد بها التهكم بهم والدلالة على ان حالهم منافية لما عندهم من التعظم على الناس والافتخار بما لديهم من اسباب العز والشرف ولابد مع حمل نفي البكاء على عدم الاكتراث من جعل الآية استعارة بالكناية بان شبهت السماء والارض بمن يصح منه الاكتراث وجعلت نسبة الاكتراث اليهما استعارة تخييلية دالة على التشبيه المذكور لكونه من توابع المشبه به ولولا هذا لما صح نسبة الاكتراث اليهما وكانت العرب اذا مات منهم من له خطر وقدر عظيم يقولون بكت له الارض والسماء يعنون به ان المصيبة بموته عمت الخلق فبكى له الكل حتى الارض والسماء فاذا قالوا ما بكت عليه الارض والسماء يعنون به ما ظهر بعده ما يظهر بعد موت ذوي الاقدار والشرف يعني انه كان بحيث لايعتنى بوجوده ولايكترث بهلاكه والتحقيق ان عدم بكاء السماء والارض عليهم كناية عن انهم لم يكونوا يعملون على الارض عملا صالحا ينقطع ذلك بهلاكهم فتبكي الارض بانقطاعه وانهم لايصعد الى السماء منهم عمل صالح ينقطع ذلك بهلاكهم فتبكي السماء بانقطاعه قال مجاهد ما مات مؤمن الا بكت عليه السماء والارض اربعين صباحا ذكر الله تعالى ان حالهم تخالف حال من يعظم فقده من المؤمنين (قوله وما كانوا منظرين ممهلين الى وقت آخر) اذا جاء وقت هلاكهم او لم يمهلوا الى الآخرة بل عجل هلاكهم في الدنيا ثم انه تعالى لما بين كيفية هلاك فرعون وقومه بين كيفية احسانه الى موسى وقومه فقال ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين وهو قتل الابناء واستخدام النساء والرجال في الاعمال الشاقة (قوله بدل من العذاب) اما على حذف المضاف اى من عذاب فرعون واما على المبالغة بجعل فرعون نفس العذاب (قوله تنكيرا له لنكر ما كان عليه من السيطنة) كانه قيل هل تعرفون من هو في عتوه وشيطنته ثم بين حاله في ذلك بقوله انه كان عاليا من المسرفين (قوله لكثرة الانبياء فيهم) علة لكونهم مختارين على جميع طوائف الناس فان بني اسرائيل مختارون بهذا الوجه على من عداهم من قوم كل عصر لانتفاء هذا المعنى فيهم (قوله او على عالمي زمانهم) فانه تعالى اختارهم على اهل ذلك الزمان بان وفقهم للايمان بالنبي المبعوث في ذلك الزمان والاهتداء بهداه واعطاهم ما هم عليه من العذاب المهين باهلاك اعدائهم بالاغراق (قوله نعمة جلية او اختبار ظاهر) البلاء حقيقة في الاختبار وقد يطلق على النعمة وعلى المحنة ايضا مجازا من حيث ان كل واحد منهما يكون سببا وطريقا للاختبار بان امتحن الله تعالى باصابة كل واحد

منهما للمكلف معاملة من يختبره ليعلم المطيع الشاكر من خلافه علم تحقق وعيان والبلاء في الآية يحتمل ان يكون بمعنى النعمة لان الآية التي آتاها الله تعالى بني اسرائيل كفلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى ونحو ذلك نعم جلية اي ظاهر كونها نعمة ولم ينفرد بها موسى عليه الصلاة والسلام بل لكل واحد من بني اسرائيل حظ منها وان يكون بمعنى الاختبار لانه تعالى كان يختبرهم بايتائها اياهم وينظر كيف يعملون فان قيل ان كان المراد بالآيات فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى ونحوها فلا شك انها في انفسها نعم جلية فما معنى قوله تعالى مافيه بلاء مبين اي نعمة جلية قلت لعل الكلام من قبيل قوله تعالى لكم فيها دار الخلد من حيث ان كلمة في للتجريد (قوله لان الكلام فيهم) لان الله تعالى لما حكى عن مشركي قريش انهم تولوا واعرضوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وطعنوا فيه حيث قال واني لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون وهددهم بقوله يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون وضرب لهم مثلا قوم فرعون ومجيء رسول كريم اليهم وصدهم اياه وتدمير الله تعالى اياهم وقطع دابرهم اعتبارا واتعاظا ذكر من قد تحهم ما هو اعظم من الاول وهو تكذيب الله اياهم لانهم يقولون لابعث ولاحساب ولاجزاء فظهر بهذا ان الكلام فيهم وان قصة فرعون وقومه مسوقة للدلالة على انهم مثلهم في الاصرار على الضلالة والانذار عن مثل ماحل بهم (قوله ماالعاقبة ونهاية الامر الا الموتة الاولى) جواب عما يقال القوم كانوا ينكرون الحياة الثانية اي البعث بعد الموت وليس النزاع الا فيه فكان من حقهم ان يقولوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمنشرين اي بمبعوثين بعد الموت يقال انشر الله الموتى ونشرهم اذا بعثهم وقوله ان هي الا موتتنا الاولى يؤذن ان يكون النزاع في الموت بان يكون المسلمون يثبتون موتة ثانية وهم ينفونها بحصر الموتة في الاولى وليس الامر كذلك وتقرير الجواب ان ما ذكر انما يلزم ان لو كان المعنى ما الموتة الا الاولى وليس كذلك بل المعنى ما العاقبة الا الموتة الاولى يقصدون به انكار البعث بعد الموت كما لو قالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين وذلك انهم لما اخبروا بان عاقبة حياتكم هذه ونهايتها امر ان الموت ثم البعث انكروا ذلك بحصر نهاية الامر في الموتة الاولى المزيلة للحياة الدنيا وتوصيف الموتة بالاولى لايستدعي ان يثبت الخصم موتة ثانية فيقصدوا بذلك انكارها لان كون الشيء اولا لايستلزم وجود ما كان آخرا بالنسبة اليه كما في قولك حج زيد الحجة الاولى ومات وكما لو قال اول عبد

لان الكلام فيهم وقصة فرعون وقومه مسوقة للدلالة على انهم مثلهم في الاصرار على الضلالة والانذار عن مثل ماحل بهم (ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى) ما العاقبة ونهاية الامر الا موتة الاولى المزيلة للحياة الدنيوية ولاقصد فيه الى اثبات ثانية كما في قولك حج زيد الحجة الاولى ومات

املكه فهو حر فان عبدا عتق سواء ملك بعده آخر ام لا (قوله وقيل لما قيل لهم انكم تموتون موتة يعقبها حيات) وذلك قوله تعالى وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم وهو جواب بوجه اخر اختاره صاحب الكشاف محصوله انهم لما اخبروا بالموتة التى تعقبها حياة انكروا ذلك بان حصروا الموتة التى من شانها ذلك فى الموتة الاولى وهى ماكانت متقدمة على الحياة الدنيا لا التى تزيل تلك الحياة كما فى الوجه الاول وليس مقصودهم من هذا الحصر انكار طريان الموت على الحياة الدنيا بل المقصود انكار ان يكون ذلك الموت تعقبه حياة ثانية فالحصر بهذا المعنى هو الذى يستفاد من ان يقال ماهى الاحياتنا الدنيا وما نحن بمنشرين ولما كان المتبادر من لفظ الموتة ما يزيل الحياة وكان اطلاقه على ما كان قبل الحياة الدنيا بعيد او كان انكار البعث بهذه العبارة بعيدا ايضا لم يلتفت المصنف اليه (قوله خطاب لمن وعدهم بالنشور) يعنى ان الكفار الذين انكروا البعث والنشور قالوا لمن وعدهم بذلك ان كان ذلك ممكنا معقولا فاجعلوا لنا احياء من مات من ابائنا ليستدل به على صدقكم فى الوعد بالنشور ولما حكى الله تعالى عنهم ذلك خوفهم بمثل عذاب الامم الخالية فقال أهم خير ام قوم تبع والذين من قبلهم اهلكناهم انهم كانوا مجرمين وهذا استفهام انكر به كون كفار قريش خيرا منهم فان قيل مامعنى قوله تعالى أهم خير ام قوم تبع مع انه لاخير فى كل واحد من الفريقين اما فى كفار مكة فظاهر واما فى قوم تبع فلانه تعالى ذمهم بقوله انهم كانوا مجرمين اشار المصنف الى جوابه بقوله اهم خير فى القوة والمنعة اى ليس المراد الخيرية فى الدين بل المراد الخيرية فى القوة والعدة كما فى قوله أكفاركم خير من اولائكم اى وليس كفار قريش باقوى من قوم تبع ومن تقدم عليهم فقد اهلكناهم بجرمهم فكيف لايخافون ان يصيبهم مثل ما اصاب هؤلاء (قوله تبع الحميرى) حمير قبيلة من اليمن سميت باسم ابيهم وهو حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ومنهم كانت الملوك فى الدهر الاول قيل كل واحد من ملوك اليمن يسمى تبعا لان اهل الدنيا يتبعونه وان تبع فى الجاهلية بمنزلة الخليفة فى الاسلام فالتبع على هذا بمعنى المتبوع وقيل سموا تبعا لانهم يتبعون آباءهم ويقتدون بهم فى سيرتهم فالتبع بمعنى التابع والقيل ملك من ملوك حمير دون الملك الاعظم المسمى بالتبع واصله قيل بالتشديد فخفف كميت فى ميت كانه الذى له القول والامر والنهى (قوله وحير الحيرة) اى بنى الحيرة وهى قرية بقرب الكوفة كفو لهم مدن المدائن اى بناها قال قتادة ذكر لنا ان تبعا كان رجلا مسلما من حمير سار بالجنود حتى حير الحيرة ثم اتى سمرقند فبناها وكان قبل

وقيل لما قيل لهم انكم تموتون موتة يعقبها حياة كما تقدمتكم موتة كذلك قالوا ان هى الا موتتنا الاولى اى ما الموتة التى من شانها ذلك الا الموتة الاولى (وما نحن بمنشرين) بمبعوثين فأتوا بآبائنا) خطاب لمن وعدهم بالنشور من الرسل والمؤمنين (ان كنتم صادقين) فى وعدكم ليدل عليه (أهم خير) فى القوة والمنعة (ام قوم تبع) تبع الحميرى الذى سار بالجيوش وحير الحيرة وبنى سمرقند وقيل هدمها وكان مؤمنا وقومه كافرين ولذلك ذمهم دونه وعنه عليه الصلاة والسلام ما ادرى اكان تبع نبيا ام غير نبى وقيل لملوك اليمن التبابعة لانهم يتبعون كما قيل الاقيال لانهم يتقيلون

عهد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم باربعين عاما وكنيته ابو كرب واسمه اسعد وهو اول من كسا البيت سبعة اثواب وكان يعبد الاوثان ثم اسلم على يد حبرين عالمين وانه اتى البيت الحرام فطاف به و نحر عنده وحلق رأسه واقام بمكة ستة ايام ينحر بها للناس و يطعم اهلها ويسقيهم وأرى فى المنام ان يكسوا البيت فكساه نوعا من الثياب ثم ارى ان يكسوه احسن من ذلك فكساه المعافرى ثم ارى ان يكسوه احسن من ذلك فكساه الملاء والوصائل فهو اول من كسا البيت واوصى به (قوله بمآل قوم تبع والذين من قبلهم) اشارة الى ان قوله والذين من قبلهم فى محل الرفع بالعطف على قوم تبع كانه قيل اهم خير ام هذان ثم بين مآلهما بقوله اهلكناهم تهديدا لكفار قريش (قوله او حال) اى من الضمير المستكن فى الصلة و هى قوله من قبلهم فعلى هذا الوجه ايضا يكون الموصول معطوفا على قوم تبع ثم اشار الى جواز ان يكون قوله والذين من قبلهم اهلكناهم مرفوع المحل على الابتداء وان يكون اهلكناهم خبره ثم ذكر سبب هلاكهم فقال انهم كانوا قوما مجرمين اى فمن ابن يامن هؤلاء من بأسنا وهم يسيرون بسيرتهم (قوله وما بين الجنسين) يعنى ان من قرأ وما بينهما اول السموات والارض بالجنسين ومن قرأ بينهن نظر الى كون المرجع اليه جمعا (قوله وهو دليل على صحة الحشر) اى على ثبوته فانه لو لم يحصل البعث والجزاء لكان هذا الخلق لهوا وعبثا لانه تعالى خلق نوع الانسان وخلق ما ينتظم به اسباب معاشهم من السقف المرفوع والمهاد المفروش ومافيهما ومابينهما من عجائب المصنوعات وبدائع الاحوال والهيئات ثم كلفهم بالايمان والطاعة على وجه المشروح بلسان نبيه الامين وكتابه المبين فاقتضى ذلك ان يتميز المطيع من العاصى بان يكون المطيع متعلق فضله واحسانه والعاصى متعلق عدله وعقابه وذلك لا يكون فى الدنيا لقصر زمانها وعدم الاعتداد بمنافعها لكونها مشوبة بانواع الآفات والمحن فلا بد من البعث والنشأة الاخرى لتجزى كل نفس بما كسبت فى دار التكليف فظهر بهذا وجه اتصال الآية بما قبلها وهو انه تعالى لما حكى مقال منكرى البعث والجزاء وهددهم ببيان مآل المجرمين الذين مضوا قبلهم ذكر الدليل القاطع الدال على صحة البعث والجزاء فقال وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين (قوله الا بسبب الحق) يعنى ان قوله الا بالحق اى ملتبسا بالحق ماخلقناهما بسبب من الاسباب الا بسبب الحق الذى هو الايمان او الطاعة او الجزاء و يجوز ان يكون فى موضع الحال من الفاعل اى ماخلقناهما فى حال من الاحوال الا فى حال كوننا محقين عالمين بالحق ملتبسين به ثم انه تعالى لما ذكر مايدل على انه

(والذين من قبلهم) كعاد و ثمود (اهلكناهم) استئناف بمآل قوم تبع والذين من قبلهم هدد به كفار قريش او حال باضمار قد او خبر من الموصول ان استؤنف به (انهم كانوا مجرمين) بيان للجامع المقتضى للاهلاك (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما) وما بين الجنسين وقرئ وما بينهن (لاعبين) لاهين وهو دليل على صحة الحشر كما مر فى الانبياء وغيرها (ماخلقناهما الا بالحق) الا بسبب الحق الذى اقتضاه الدليل من الايمان والطاعة او البعث والجزاء (ولكن اكثرهم لا يعلمون) لقلة نظرهم (ان يوم الفصل) فصل الحق عن الباطل او المحق عن المبطل بالجزاء او فصل الرجل عن من اقاربه واحبائه (ميقاتهم) وقت موعدهم (اجمعين) وقرئ ميقاتهم بالنصب على انه الاسم اى ان ميعاد جزائهم فى يوم الفصل (يوم لا يغنى) بدل من يوم الفصل

لابد من البعث والجزاء ذكر عقيبه حال يوم البعث فقال ان يوم الفصل ميقاتهم اجمعين اي وقت موعدهم على ان الميقات اسم للوقت المضروب للفصل والموعد مصدر بمعنى الموعود اى انه وقت لما وعدوا به من الاجتماع في المحشر للحساب والجزاء سمي يوم البعث بيوم الفصل لانه تعالى يفصل فيه بين الحق والباطل وبين اهل الجنة والنار وقيل لانه تعالى يفصل فيه بين المؤمن وبين ما يكرهه ويفصل بين الكافر و بين مايوده و يريده و يوم الفصل منصوب على انه اسم ان وميقاتهم خبرها واجمعين تأكيد للضمير المجرور في ميقاتهم واجاز الكسائي والفراء نصب ميقاتهم على انه اسم ان و يوم الفصل ظرف واقع في موضع خبر ان اي ان ميقاتهم واقع في يوم الفصل (قوله اوصفة لميقاتهم) فيكون مرفوع المحل اومنصوبه على القراءتين في موصوفه لكونه مبنيا على الفتح (قوله اوظرف) اى و يجوز ان يكون يوم لايغني منصوبا على انه ظرف لفعل يدل عليه الفصل اى يفصل بينهم يوم لا يغني ولايجوز ان يكون بنفس الفصل لانه مصدر فلا يجوز ان يفصل بينه و بين معموله باجنبي وهو قوله ميقاتهم اجمعين فانه وقع فاصلا بينهما فسر يوم الفصل بقوله لايغني اى لاينفع ولا يدفع وذكر مولى في الموضعين للابهام والتعميم فان المولى يطلق على القريب والمعتق والمعتق وابن العم والجار والصديق والصهر وكل من ولي امر واحد فهو وليه ومولاه فواحد من هؤلاء اى واحد كان لايغني عن مولاه اى مولى كان شيأ من الاغناء اى اغناء قليلا على ان يكون انتصاب شيأ على انه مفعول مطلق ليغني وان تنكيره للتقليل او التعميم فاذالم ينفع بعض الموالى بعضا ولم يدفع عنه شيأ من العذاب سوى ما عنه له كان عدم حصوله ممن سواهم اولى (قوله الضمير لمولى الاول) يعنى ضمير الجمع يرجع الى ماهو مفرد اللفظ لكونه في معنى الجمع لانه عام لكونه نكرة واقعة في سياق النفي ولعل تخصيص المولى الاول بارجاع الضمير اليه من حيث ان الكلام حينئذ يكون محمولا على الافادة وان جعل الضمير للمولى الثاني يكون محمولا على الاعادة والتأسيس اولى من التأكيد وذلك انه تعالى حكم اولا ان احدا من الموالى لاينفع مولاه اى مولى كان ولا ينصره بان ينفع في حقه فان النصرة في القيامة لاتكون الابالشفاعة اما في دفع العذاب او تحصيل البغية و رفع المنزلة فان حمل الضمير للمولى الثانى تكون الجملة الثانية تأكيدا للاولى وان جعل للاول تكون المعنى كان الموالى لا يملكون ان ينفعوا مواليهم لا ينصرون ايضا اى لايملكون ان يرى نفعهم غيرهم و ينفع لهم وهذا معنى جديد غير الاول والتأسيس اولى من التأكيد (قوله ومحله الرفع) اى على انه بدل من واو لاينصرون اى لاينصر الامن

اوصفة لميقاتهم او ظرف لما دل عليه الفصل لاله الفصل (مولى) من قرابة اوغيرها (عن مولى) اى مولى كان (شيأ) شيأ من الاغناء (ولاهم ينصرون) الضمير لمولى الاول باعتبار المعنى لانه عام (الا من رحم الله) بالعفو عنه وقبول الشفاعة فيه ومحله الرفع على البدل من الواو او النصب على الاستثناء (انه هو العزيز) لاينصر منه من اراد تعذيبه (الرحيم) لمن اراد ان يرحمه (ان شجرة الزقوم) وقرئ بكسر الشين ومعنى الزقوم سبق في الصافات (طعام الاثيم) الكثير الآثام

رحم الله فينصره بالعفو عنه وقبول شفاعة الشافعين في حقه بعد ان يأذن لهم فيها و يجوز ان يكون منصوب المحل على انه مستثنى متصل من واو ينصرون لما اشتهر من انه يجوز فيما بعد الا النصب على الاستثناء و يختار البدل اذا كان في كلام غير موجب بشرط ان يكون المستثنى منه مذكورا او الآية من هذا القبيل وقيل انه بدل من مولى الاول او مستثنى منه متصل اى لا يغني مولى الا المؤمنون او الا المؤمنين فانه يؤذن لهم في الشفاعة فيشفعون في حق بعض المؤمنين والاول ارجح لانه اقرب لفظا و معنى واعلم انه تعالى لما اقام الدليل على حقية البعث والقيامة ثم اردفه بوصف ذلك اليوم ذكر عقيبه وعيد الكفار بقوله ان شجرة الزقوم طعام الاثيم ثم وعد الابرار بقوله ان المتقين في مقام امين والزقوم في لغة العرب اسم شجرة صغيرة الورق وثمرتها وافرة مرة تكون بتهامة سميت به الشجرة التي وصفها الله تعالى بانها شجرة تنبت في قعر جهنم واغصانها ترتفع الى دركاتها وثمرتها نزل اهل النار (قوله والمراد به) اى بالاثيم الكافر لا مطلق ذي الاثم كافرا كان او فاسقا لان الاصل في المفرد الذي دخل عليه حرف التعريف ان ينصرف الى المذكور سابقا الا ان يحمل على العموم والمذكور سابقا هنا هو الكفار فينصرف اليهم فان المفسرين قالوا المراد بقوله لا يغني مولى عن مولى الكفار و بقوله الا من رحم الله المؤمنون لان بعضهم يشفع لبعض وكذا بين الله تعالى بعد هذه الآية انه يقال للزبانية في حقهم خذوه فاعتلوه الى قوله ان هذا ما كنتم به تمترون اى تشكون فيه ولا تؤمنون به ولا يشك فيه الا الكافر ومراد المصنف من تخصيص الاثيم بالكافر والاستدلال عليه ان يجيب عن تمسك المعتزلة بهذه الاية على وعيد الفساق بناء على ان الاثيم من صدر عنه الاثم فيكون الوعيد المذكور هنا متناولا للفساق قيل نزلت الاية في ابي جهل وقيل في الوليد بن المغيرة ويؤيد الاول ما روى ان ابا جهل كان يقول انا اعز اهل هذا الوادي واكرمه فيقال له في الآخرة ذق انك انت العزيز الكريم اى المتعزز المتكرم كما قلت ذلك في الدنيا (قوله وهو ما يمهل في النار) من المهلة اى يوضع في النار و يترك فيها بالامهال والتؤدة حتى يذوب اختار ماروى عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله تعالى عنهما ان المهل كل ما يذاب بالنار كالفضة والذهب والحديد والرصاص ونحوها وسمي بالمهل لانه يمهل في النار حتى يذوب وقيل المهل دردي الزيت وقيل هو عكر القطران والكاف في قوله تعالى كالمهل في محل الرفع على انه خبر بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف اى هو كالمهل وكذلك قوله تعالى تغلي في البطون في قراءة من قرأ بالتاء الفوقانية فان الجمهور

والمراد به الكافر لدلالة ما قبله وما بعده عليه (كالمهل) وهو ما يمهل في النار حتى يذوب وقيل دردي الزيت (تغلي في البطون) وقرأ ابن كثير وحفص ورويس بالياء على ان الضمير للطعام او الزقوم لا المهل اذ الاظهر ان الجملة حال من احدهما

(خذوه) على ارادة القول والمقول له الزبانية (فاعتلوه) فجروه والعتل الاخذ بمجامع الشئ وجره بقهر وقرأ الحجازيان وابن عامر ويعقوب بالضم وهما لغتان (الى سوآء الجحيم) وسطه (ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم) كان اصله يصب من فوق رؤسهم الحميم فقيل يصب فوق رؤسهم عذاب هو الحميم للمبالغة ثم اضيف العذاب الى الحميم للتخفيف وزيد من للدلالة على ان المصبوب بعض هذا النوع (ذق انك انت العزيز الكريم) اي قولوا له ذلك استهزاء به او تقريعا على ما كان يزعمه وقرأ الكسائي انك بالفتح اي ذق لانك او عذاب انك (ان هذا) ان هذا العذاب (ما كنتم به تمترون) تشكون او تمارون فيه (ان المتقين في مقام) في موضع اقامة وهو قرآءة نافع وابن عامر والباقون بفتح الميم (أمين)

قرأ وابها فحينئذ يكون ضمير تغلى للشجرة وتكون الجملة خبرا آخر او خبر مبتدأ محذوف اى هى تغلى والمصنف جعل ضميره للطعام او الزقوم بناء على قرآءته بالياء من تحت او بناء على ان الاظهر ان الجملة حال من احدهما فان كان حالا من الطعام يكون العامل معنى النسبة والاضافة كما فى قولك زيد اخوك شجاعا كانه قيل انسبه اليه غاليا الا ان الظاهر ان المراد بكون الجملة حالا من الزقوم كونها حالا من الضمير المستتر فى قوله كالمهل فان مافيه من الضمير وان كان راجعا الى شجرة الزقوم الا ان المراد منها نفس الزقوم لان اضافتها اليه للبيان غاية مافى الباب ان يكون المراد بالزقوم وهو الشجرة ثمرها فيكون العامل فى الحال معنى التشبيه المستفاد من الكاف ولم يرض بكون الجملة حالا من نفس المهل حتى يكون ضمير تغلى راجعا اليه بناء على ان الغليان فى البطن انما هو فعل الطعام قائم بنفس المطعوم لا بما شبه به المطعوم وهو المهل فانه لا يوصف بانه يغلى فى البطون فكان اسناد يغلى الى ضمير المهل بعيدا غير ظاهر (قوله غليا مثل غليه) اشارة الى ان الكاف فى محل النصب على انها صفة مصدر محذوف ليغلى (قوله على ارادة القول) يعنى ان قوله تعالى خذوه الى آخر الآية فى محل النصب على انه مقول قول مضمر اى يقال للزبانية خذوه اى الاثيم فاعتلوه اى فجروه بغلظة وقهر يقال عتله اى ساقه بجفاء وغلظة والعتل الغليظ الجافى وفعله من باب ضرب يضرب يقال اخذ فلان بزمام الناقة فعتلها اذا قبض على اصل الزمام عند الرأس وقادها قودا عنيفا (قوله كان اصله يصب من فوق رؤسهم الحميم) الظاهر ان يقال كان اصله ثم صبوا فوق رؤسهم الحميم الا انه اختار ذلك النظم لكونه عين نظم القرآن فى آية اخرى ولما ورد ان يقال ما وجه جعل العذاب مصبوبا وهو لا يصب لكونه من قبيل المعانى والصب انما يتعلق بالاجسام المائعة اشار الى جوابه بان اصل المعنى الامر بصب نفس الحميم وهو الماء الذى كان فى غاية الحرارة الا ان الزبانية امروا بصب عذاب هو الحميم للمبالغة فى كون الحميم سبب العذاب حيث جعل نفس العذاب مع انه سببه (قوله فى موضع اقامة) فسره به بناء على انه اختار قرآءة نافع وابن عامر فانهما قرأ المقام بضم الميم وهو موضع الاقامة والباقون بفتحها والمقام بالفتح فى الاصل موضع القيام خاصة ثم استعمل فى مطلق الموضع والمكان حتى قيل لموضع القعود والاضطجاع مقام وان لم يقم فيه اصلا فهو من الخاص الذى استعمل فى معنى العموم قال اهل السنة كل من اتقى الكفر صدق عليه انه متق فيدخل فى هذا الوعد قال المصنف المتقى فى عرف الشرع من يقى نفسه عما يضره فى الآخرة وله ثلاث مراتب الاولى التوقى عن العذاب المخلد بالتبرى

من الشرك والثانية ان يجتنب كل ما يوجب الاثم من فعل او ترك والثالثة ان يتنزه عما يشغل سره عن الخالق و يتبتل اليه بشراشره (قوله يأمن صاحبه) يعني ان الامين من قولك امن الرجل امانا فهو امين وهو ضد الخائف ووصف المقام به مجاز لانه من صفة صاحبه في الحقيقة ووصف به المحل على طريق عيشة راضية بمعنى ذات رضى يرضى عنها صاحبها (قوله الدلالة على نزاهته) اي تباعده عن وجوه السوء لكونه في غاية البهجة والزينة فان الجنات والعيون من اقوى اسباب نزهة الخاطر وانفراجه عن الغم كما قيل ثلاثة تنفي عن القلب الحزن الماء والخضرة والوجه الحسن (قوله من البراقة) وهي التلألؤ واللمعان (قوله الامر كذلك الخ) يعني ان الكاف اما في محل الرفع على انها خبر مبتدأ محذوف او في محل النصب على انها مفعول ثان لفعل الايتاء المدلول عليه بقوله ان المتقين في مقام امين وقوله وزوجناهم معطوف على ذلك الفعل المحذوف اي مثل ذلك آتيناهم وزوجناهم وعلى الاول يكون معطوفا على يلبسون عدل الى لفظ الماضي لكون التزويج في حكم الواقع وللدلالة على كونه نعمة جليلة وفضلا عظيما (قوله قرناهم بهن) يعني ان تزويجهم بهن ليس معناه انشاء عقد التزويج لان التزويج بمعنى العقد لايتعدى بالباء فلا يقال زوجته بامرأة وزوجت بها بل يقال زوجته امرأة وتزوجتها وفي التنزيل فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها ولو لم يكن المراد عقد التزويج لقيل زوجناك بها بمعنى كنت فردا فجعلناك شفعا بها قال ابو عبيدة معنى زوجناهم بحور عين جعلناهم ازواجا بهن كما يزوج النعل بالنعل اي يجعل كل واحد منهما شفعا بالاخر (قوله والحوراء) اشارة الى ان الحور جمع الحوراء كما ان العين جمع العيناء اصله العين بضم العين كحمر في جمع حمراء ثم كسرت العين لاجل الياء كما في بيض واصل الحور البياض يقال احور الشئ بمعنى ابيض وتحوير الشئ تبييضه وقيل لاصحاب عيسى عليه الصلاة والسلام الحواريون لانهم كانوا قصارين وقال مجاهد سميت نساء الجنة حورا لانه يحار فيهن الطرف من بياضهن وصفاء الوانهن ثم اختلفوا في هؤلاء الحور العين فقال الحسن انهن من نساء الدنيا ينشئهن الله خلقا آخر وقال ابو هريرة انهن لسن من نساء الدنيا (قوله يطلبون) اشارة الى ان يدعون من صفة المتقين وان وزنه يفعلون من قولهم دعا بكذا اذا استحضره فعلم منه ان الوقف على عين لازم لانه لو وصل يدعون بقوله عين لتوهم ان الدعاء فعل الحور العين وان وزنه يفعلن فان صيغتي جماعة الذكور والاناث يستويان في باب الناقص فيقال الرجال يدعون والنساء يدعون والتقدير مختلف (قوله لايتخصص شئ منها بزمان ولامكان) مستفاد من اطلاق قوله بكل فاكهة وقوله

يأمن صاحبه من الآفة والانتقال (في جنات وعيون) بدل من مقام جيء به للدلالة على نزاهته واشتماله على ما يستلذ به من المآكل والمشارب (يلبسون من سندس واستبرق) خبر ثان لان او حال من الضمير في الجار او استئناف والسندس مارق من الحرير والاستبرق ما غلظ منه معرب او مشتق من البراقة (متقابلين) في مجالسهم ليستأنس بعضهم ببعض (كذلك) الامر كذلك او آتيناهم مثل ذلك (وزوجناهم بحور عين) قرناهم بهن ولذلك عدى بالباء والحوراء البيضاء والعيناء عظيمة العينين واختلف في انهن نساء الدنيا او غيرهن (يدعون فيها بكل فاكهة) يطلبون ويأمرون باحضار ما يشتهون من الفواكه لا يتخصص شئ منها بمكان ولازمان

(آمنين) من الضرر (لايذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى) بل يحيون فيها دائما والاستثناء منقطع اومتصل والضمير للاخرة والموت اول احوالها اوالجنة والمؤمن يشارفها بالموت ويشاهدها عنده فكأنه فيها او الاستثناء للمبالغة فى تعميم النفى وامتناع الموت فكأنه قال لايذوقون فيها الموت الااذا امكن ذوق الموتة الاولى فى المستقبل (ووقاهم عذاب الجحيم) وقرئ ووقاهم على المبالغة (فضلا من ربك) اى اعطوا كل ذلك عطاء وتفضلا منه وقرئ بالرفع اى ذلك فضل (ذلك هو الفوز العظيم) لانه خلاص من المكاره وفوز بالمطالب (فانما) (يسرناه بلسانك) سهلناه حيث انزلناه بلغتك وهو فذلكة للسورة (لعلهم يتذكرون) لعلهم يفهمونه فيتذكرون به

تعالى يدعون يجوز ان يكون مستأنفا وان يكون حالا من مفعول زوجناهم ومفعول يدعون محذوف اى يدعون الخدم ويستحضرونهم بكل مايقصد تناوله تذكها اى لمجرد التنعم والتلذذ فان نعيم الجنة لايقصد به الا ذلك (قوله آمنين) يجوز ان يكون حالا ثانية وان يكون حالا من فاعل يدعون فيكون حالا متداخلة والضرر كالتخمة واخراج المزاج عن الاعتدال والتأدية الى الاسقام والاوجاع (قوله والاستثناء منقطع) لان الموتة الاولى ليست مما يذاق فى الجنة والمعنى لايذوقون الموت فى الجنة ابدا لكن الموتة الاولى قدذا قوها قبل دخول الجنة وحمل الاستثناء على الاتصال لماكان بعيدا بحسب الظاهر لان الموتة الاولى ليست من جنس مايذاق فى الجنة ذكر ثلاثة اوجه الاول ان يكون ضمير فيها للدار الاخرة المدلول عليها بذكر مايكون فيها من فصل المحق عن المبطل بالجزاء والموت مما يذاق فى الآخرة لكونه اول احوالها والثانى ان يكون الضمير للجنة والموتة الاولى كانها واقعة من حيث ان اهل السعادة يشاهدونها عند الموت و يرون منازلهم فيها فكانوا اذا ماتوا فى الدنيا فكانهم ماتوا فى الجنة لكونهم مشارفين دخولها فصح بذلك ان نستثنى الموتة الاولى من موتهم فى الجنة والثالث ان الاستثناء للمبالغة فى نفى الموت عن اهل الجنة بتعليقه بالمحال وهو ان تكون الموتة الاولى مما يمكن ذوقها فى المستقبل كانه قيل لايذوقون فيها الموت على جميع التقادير الا على تقدير ان يستقيم ذوق الموتة الاولى فى المستقبل فانه حينئذ يجوز ان يذوقوها فى الجنة ومن المعلوم بالبداهة ان ذوقها فى المستقبل محال فيكون ذوق الموت فيها محالا لكونه موقوفا على المحال ومثله يسمى نفى الشئ بدليله ونظيره قول النابغة

ولاعيب فيهم غير ان سيوفهم ❊ بهن فلول من قراع الكتائب

يعنى ان كان فلول السيف من قراع الكتائب عيبا فهذا عيبهم لكنه ليس بعيب بالاتفاق فثبت انتفاء العيب عنهم لكون ثبوته لهم موقوفا على المحال (قوله وقرئ ووقاهم بالتشديد على المبالغة) اى لالاجل التعدية لان المخفف ايضا يتعدى الى اثنين واحتج اهل السنة بقوله تعالى فضلا من ربك على ان كل ما وصل اليه العبد من الخلاص من النار والفوز بالجنة ونعيمها فانما يحصل بفضل الله تعالى ورحمته وانه لايجب عليه شئ من ذلك كما زعمت المعتزلة (قوله وهو فذلكة للسورة) الفذلكة فى الحساب اجماله بعد التفصيل بان يذكر تفاصيل الحساب اولا ثم يجمل تلك التفاصيل ويكتب فى آخر الحساب فذلك يكون كذا وكذا مبلغا وقوله تعالى فانما يسرناه بلسانك من قبيل هذا القبيل لانه تعالى بعد ما اقسم بالكتاب المبين على انه انزله فى ليلة مباركة من ما يقتضى انزاله ان

شأنه اوسال الرسل مؤيدين بالكتب السماوية رحمة لعباده ببيان ما يسعدهم مما يشقيهم ثم فصل ذلك وشرحه الى آخر السورة ثم اجمل ذلك بما معناه ذكر بالكتاب المبين قومك فانا سهلنا عليك تلاوته وتبليغه اليهم منزلا بلغتك ولغتهم وقيل معناه سهلناه على لسانك فتقرأبه من غير كتابة ولانظر فى مكتوب استدل بعض المعتزلة بقوله لعلهم يتذكرون على انه تعالى اراد من الكل الايمان ولم يرد من احد الكفر واجيب بان الضمير فى لعلهم راجع الى اقوام مخصوصين وهم المؤمنون فى علم الله تعالى وهذا على تقدير ان يكون الترجى مجازا عن الارادة ويجوز ان يكون على اصل معناه ويكون من قبل من شاهد نزوله مسهلا فصيح اللفظ واضح المعنى (قوله ولما لم يتذكروا فارتقب) اشارة الى ان الفاء فيه فاء الجواب لشرط محذوف اى ومن لم يتذكر به فارتقب فيهم ومفعول الارتقاب محذوف فى الموضعين اى فانتظر ماوعدناك من النصرة والظفر والعلو فى الدنيا والآخرة انهم منتظرون ماوعدناهم به من العذاب فى الدنيا والآخرة اى صائرون الى ذلك وان لم يعتقدوه فينتظرونه او فانهم منتظرون مايحل بك من دوائر الدهر كما قال تعالى خبرا عنهم نتربص به ريب المنون ولن يضرك ذلك * تم هنا مايتعلق بسورة حم الدخان * بفضل الله الكريم المنان * والحمد لله وحده * وصلى الله على من لا نبى بعده

(سورة الجاثية ثلاثون وسبع آيات مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قوله ان جعلت حم مبتدأ) على انه اسم للسورة احتيجت الى اضمار مثل تنزيل حم لئلا يلزم الاخبار عن المنزل بتنزيل والتقدير تنزيل الكتاب من الله قال صاحب الكشف ففيه اقامة الظاهر مقام المضمر ايذانا بانه الكتاب الكامل ان اريد بالكتاب السورة وفيه تفخيم ليس فى قوله تنزيل من الله ولهذا لما لم يراع فى حم السجدة هذه النكتة عقب بقوله كتاب فصلت ليفيد هذه الفائدة مع التفنن فى العبارة وان اريد به الكتاب كله يكون الكلام من باب التشبيه البليغ على معنى ان تنزيل هذه السورة كتنزيل الكتاب كله فى ان الفائدة المترتبة على انزاله من التحدى به وكونه هدى للناس وشفاء لما فى الصدور مترتبة على انزالها ووجهه الطيبى ايضا على التشبيه حيث قال يعنى تنزيل هذه السورة كتنزيل سائر القرآن فيكون فى قوله من الله العزيز الحكيم دلالة على وجه التشبيه فكونه من الله عز وجل دل على انه حق وصدق وصواب وكونه من العزيز دل على انه معجز يغلب ولايغلب وكونه من الحكيم دل على انه مشتمل

ولما لم يتذكروا (فارتقب) فانتظر ما يحل بهم (انهم مرتقبون) منتظرون مايحل بك * عن النبى عليه السلام من قرأ حم الدخان فى ليلة اصبح يستغفر له سبعون الف ملك وعنه صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ حم الدخان ليلة جمعة اصبح مغفورا له

(سورة الجاثية مكية وهى سبع اوست وثلاثون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

حم تنزيل الكتاب) ان جعلت حم مبتدأ خبره تنزيل الكتاب احتيجت الى اضمار مثل تنزيل حم وان جعلتها تعدادا للحروف كان تنزيل مبتدأ خبره

(من الله العزيز الحكيم) وقيل حم مقسم به وتنزيل الكتاب صفته وجواب القسم (ان فى السموات والارض لآيات للمؤمنين) وهو يحتمل ان يكون على ظاهره وان يكون المعنى ان فى خلق السموات لقوله (وفى خلقكم وما يبث من دابة) ولا يحسن عطف ما على الضمير المجرور بل عطفه على المضاف بأحد الاحتمالين فان بثه وتنوعه واستجماعه لما به يتم معاشه الى غير ذلك دلائل على وجود الصانع المختار (آيات لقوم يوقنون) محمول على محل ان واسمها وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب بالنصب حملا على الاسم (واختلاف الليل والنهار وما انزل الله من السماء من رزق) من مطر وسماه رزقا لانه سببه (فأحيى به الارض بعد موتها) يبسها (وتصريف الرياح) باختلاف جهاتها واحوالها وقرأ حمزة والكسائى وتصريف الريح

على الحكم البالغة وعلى انه محكم فى نفسه يشبع ولا ينسخ انتهى (قوله وقيل حم مقسم به) فيكون فى محل النصب بحذف الجار وايصال الفعل اليه والمعنى اقسم بحم الذى هو تنزيل الكتاب اى منزله ان فى السموات الآية (قوله وهو يحتمل ان يكون على ظاهره) اى بان لا يقدر مضاف ويكون المعنى ان فى نفس السموات والارض لآيات لما فيهما من احوال دالة على وجود صانع قادر حكيم مثل مقاديرها وكيفياتها وحركاتها وكون الارض مهادا والسماء سقفا محفوظا ويحتمل ان يكون فى الكلام مضاف مقدر ويكون المعنى ان فى خلق السموات ويدل على هذا المحذوف قوله فيما بعد وفى خلقكم فانه لو لم يكن مبنيا على حذف المضاف لكان الظاهر ان يقال وفيكم بدل وفى خلقكم فان فى خلق هذه المخلوقات على هذا النظام العجيب لآيات باهرة على كمال قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته (قوله ولا يحسن عطف ما) يعنى ان كلمة ما فى قوله وما يبث موصولة فى موضع الجر عطفا على المضاف فى قوله وفى خلقكم لا على المضاف اليه لانه ضمير متصل مجرور ولا يعطف عليه الا باعادة الجار سواء كان مجرورا بحرف الجر او بالاضافة فيقال مررت به وبزيد وهذا غلامه وغلام زيد ويقبح ان يقال مررت به وزيد وهذا غلامه وزيد لانه يشبه العطف على بعض الكلمة لان الضمير المتصل لشدة اتصاله بعامله صار كشئ واحد ثم ان قباحة العطف عليه لا تزول بتأكيده بالمنفصل مثل ان يقال مررت بك انت وزيد الا عند الجرمى فانه يقول ان اكد جاز والا فلا (قوله باحد الاحتمالين) اى المذكورين فى قوله ان فى السموات وهما كون الكلام على ظاهره او على حذف المضاف وكذا كلمة ما المعطوفة على المضاف يحتمل ان يكون عطفها عليه على حذف المضاف فى المعطوف ويكون المعنى وفى خلق ما يبث من آيات وهو الاظهر بحسب المعنى ليتلاءم المعطوف والمعطوف عليه ويحتمل ان يكون على ظاهره على معنى فى نفس ما يبث آيات كما فى قوله ان فى السموات والارض لآيات ولما كان كون نفس ما يبث آيات لا يخلو عن خفاء بخلاف كون خلقه آية بين وجه الاول بقوله فان بثه الخ يعنى ان نفس ما يبثه آيات لما فيه من وجوه الدلالة على وجود الصانع وعلمه وقدرته وحكمته من بثه وتنوعه الخ (قوله محمول) اى فى ارتفاعه على محل ان واسمها واعلم انه لا خلاف فى كسر تاء آيات فى قوله لآيات للمؤمنين لانها اسم ان وانما الخلاف فيما ذكر بعده فى الموضعين وهو آيات لقوم يوقنون وآيات لقوم يعقلون فان جمهور القراء غير حمزة والكسائى قرأوا برفع آيات فى الموضعين وهما قرآ بكسر التاء فيهما وبتوحيد لفظ الرياح ومبنى قراءة الرفع كونه معطوفا على محل ان واسمها فان محلها الرفع على الابتداء او على

الفاعلية على احتمال الظرف على رأي الاخفش ووجه قرآءة الكسر ظاهر وهو العطف على لفظ اسم ان في قوله ان في السموات والارض لآيات للمؤمنين فانه لاخلاف في كسر التاء فيه على انها اسم ان كانه قيل وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات كما تقول ان في الدار زيدا او في السوق عمرا وقوله يسهما على تشبيه الرطوبة الارضية بالروح الحيواني في كونها مبدأ التوليد والتنمية وتشبيه زوالها بزوال الروح وموت الجسد (قوله و يلزمهما العطف على عاملين) اي و يلزم كل واحدة من القراءتين عطف معمولين على معمولي عاملين مختلفين على قرآءة الرفع واما على قرآءة نصب آيات فان لفظ آيات حينئذ يكون معطوفا على اسم ان الذي هو معمول كلمة ان ولفظ اختلاف يكون معطوفا على خلق السموات الذي هو معمول كلمة في وعلى التقديرين فقط عطف بحرف واحد وهو الواو معمولان وهما لفظا اختلاف وآيات على معمولين قبلهما وهما لفظا خلق السموات وآيات وكل واحد منهما معمول لعامل مخالف لعامل آخر فقوله في والابتداء او ان معناه احد العاملين في والاخر الابتداء او ان ورفع آيات بالعطف على محل ان واسمها واما ان نصب فالعامل الاخر حينئذ كلمة ان ومثل هذا العطف لايجوز مطلقا عند سيبويه وجمهور البصريين لان العاطف ينوب مناب العامل فهو عامل ضعيف لايقوى ان ينوب مناب عاملين مختلفين ولو ناب رافع وناصب لكان رافعا وناصبا في حالة واحدة وهو لايجوز ومنهم من يجوزه مطلقا ومنهم من يفصل و يقول ان كان احد العاملين جارا وكان المجرور مقدما نحو في الدار زيد والحجرة عمرو جاز والا فلا وهذا العطف غير محقق في قوله تعالى آيات لقوم يوقنون سواء قرئ مرفوعا اومنصوبا لتكرير كلمة في في قوله وفي خلقكم فلم يكن العاطف نائبا عنها وانما يتحقق في قوله لآيات لقوم يعقلون على كل واحدة من قرآءتي الرفع والنصب كما ذكر (قوله الا ان يضمر في) اشارة الى توجيه اعراب الآية على رأي من لايجوز العطف المذكور وهو ان يضمر العامل في احد المعطوفين حتى لايلزم نيابة العاطف مناب عاملين الا ان اضمار حرف الجر وابقاء عمله نادر ضعيف جدا الا ترى انه لايجوز ان يقال مررت به وزيد بجر زيد واجيب عنه بانه لما تقدم ذكر حرف الجر لفظا قويت الدلالة عليه فصار كانه ملفوظ بخلاف المثال المذكور ونظير اضمار العامل في احد المعطوفين قول الشاعر

أكل امرئ تحسبين امرأ ✽ ونار توقد بالليل نارا

قدر سيبويه وكل نار واضمر كل مع نار المجرور لتقدم ذكره لئلا يلزم العطف على معمولي عاملين مختلفين فان النار المجرور معطوف على امرئ المجرور

(آيات لقوم يعقلون) فيه القرآءتان و يلزمهما العطف على عاملين في والابتداء او ان الا ان يضمر في او ينصب آيات على الاختصاص او يرفع باضمار هي

بكل ونارا المنصوب معطوف على امرأ المنصوب بحسبين وقوله تعالى واختلاف الليل والنهار اى فى تعاقبهما على المقادير المتقنة التى لا تتفاوت فى كل سنة صيفا وشتاء وربيعا وخريفا بان يزداد طول النهار على طول الليل تارة وتارة بالعكس وما يزداد فى النهار الصيفى مثلا يزداد مثله فى الليل الشتوى اى يتبدل النهار بالليل وبالعكس او باختلاف مطالع الشمس فى ايام السنة ولاخفاء فى دلالته على وجود الفاعل المختار وعلمه وقدرته وحكمته وكذا فى دلالة ارسال الرياح المختلفة الشرقية والغربية والجنوبية والشمالية واللينة والعاصفة والحارة والباردة ونحوها وانشاء تلك الرياح المختلفة والسحاب وانزال المطر منه الى الارض الميتة واحيائها بتولد النبات وتشعبه شعوبا مختلفة الانواع وهى ساق الشجرة واغصانها واوراقها وثمارها المختلفة الانواع والاصناف والهيئات والالوان والطعوم والروائح وما ذلك الا بتدبير العليم الحكيم تعالى شانه ما اعظم برهانه (قوله ولعل اختلاف الفواصل الثلاث) وهى قوله للمؤمنين ولقوم يوقنون ولقوم يعقلون واعلم ان العلم المستفاد من النظر فى الآيات والدلائل على ثلاث مراتب بعضها اقوى واكمل من بعض فاول المراتب مرتبة الايمان ثم مرتبة التصديق لان التصديق قد لا يكون ثابتا بل يزول بالتشكيك بخلاف اليقين ثم مرتبة استحكام العلم وقوة اليقين فان مرتبة اليقين متفاوتة بالكمال والنقصان بحسب كثرة الدلائل وامعان النظر فيها فان النظر الصائب كلما تكرر وتجدد استحكم العلم وقوى اليقين وعبر عن هذه المرتبة بقوله تعالى لقوم يعقلون لان العقل المطلق ينصرف الى الكامل الذى تم استعداده للاستفاضة من المبدأ العالى الفياض ثم ان الآيات والدلائل المذكورة فى هذه الآيات الكريمة مختلفة الدقة والظهور اظهرها السموات والارض فالنظر الصحيح فيها يفيد العلم بانها مصنوعة لابد لها من صانع قادر على ما يشاء فيؤدى الى الايمان بالله تعالى والاقرار بوحدانيته وادق منها خلق الانسان وانتقاله من حال الى حال ومن هيئة الى هيئة وخلق ما على الارض من صنوف الحيوانات والدواب من حيث ان التفكر فيها واحوالها يستلزم ملاحظة السموات والارض لكونهما من اسباب تكون الحيوانات وانتظام احوالهم ولما كانت هذه الآية ادق بالنسبة الى الاولى كان التفكر فيها مؤديا الى مرتبة اليقين وادق من هذه الآية الثانية سائر الحوادث المتجددة فى كل وقت واوان من نزول المطر وحياة الارض بعد موتها وغير ذلك من حيث ان استقصاء النظر فى احوال هذه الحوادث يتوقف على ملاحظة السموات والارض لكونهما من اسباب هذه الحوادث ومحالها وعلى ملاحظة الحيوانات

لعل اختلاف الفواصل الثلاث لاختلاف الآيات فى الدقة والظهور

المبثوثة على الارض من حيث ان تجدد هذه الحوادث انما هو لانتظام احوالها وتحقق اسباب معاشها ولما كانت هذه الآية الثالثة ادق بالنسبة الى الاوليين وكانت متجددة حينا فحينا بحيث تبعث على النظر والاعتبار وكلما تجددت كان النظر فيها مؤديا الى استحكام العلم وقوة اليقين فلذلك جعل قوله للمؤمنين فاصلة للآية الاولى وقوله لقوم يوقنون فاصلة للثانية وقوله لقوم يعقلون فاصلة للآية الثالثة وظهر بهذا التقرير ان المراد بالمؤمنين والموقنين والعاقلين من يؤول حالهم الى هذه الاوصاف ونظيرها قوله تعالى هدى للمتقين فان الكتاب هدى للناس كلهم الا ان الانتفاع والاهتداء به لما كان مخصوصا بالمتقين اى الصائرين الى التقوى قيل هدى للمتقين فكذا الامر هنا فان الصائرين الى الايمان نظروا فى السموات والارض وآمنوا والصائرين الى الايقان نظروا فى انفسهم وفى الدواب المبثوثة فى الارض فايقنوا والسائرين فى اختلاف الحوادث المتجددة استحكم يقينهم بسببه ثم انه تعالى اشار الى هذه الآيات وحكم عليها بانها دلائله حال كونها متلوة على رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم اسند التلاوة الى نفسه لكونه سببا حاملا لجبريل على تلاوته وقوله بالحق حال من الفاعل اى ملتبسين بالحق اومن المفعول اى ملتبسة به و يجوز ان تكون للسببية فتتعلق بنفس نتلوها اى نتلوها بسبب الحق واقامته بين الخلق والفاء فى قوله تعالى فباى حديث جزائية اى ان لم تؤمنوا بهذه الآيات المتلوة بالحق فباى حديث بعده تؤمنون والمقصود الدلالة على انه لابيان ازيد من هذا البيان ولا آية ادل من هذه الآيات ولما لم يمكن حمل قوله تعالى فبأى حديث بعد الله على ظاهره من حيث ان ما اضيف اليه يجب ان يكون من جنس ماقبله فى مثل هذا التركيب وهو تعالى ليس من جنس الحديث ذكر له وجهين الاول انه من باب اعجبنى زيد وكرمه فان المراد اعجبنى كرم زيد الا انه قدم ذكر زيد للدلالة على تعظيم كرمه حيث جعل ذكر نفسه وسيلة الى ذكر كرمه فكذا فى الآية قدم اسمه تعالى لتعظيم ذكر آياته وللاشعار بان التجاوز عنها تجاوز عنه تعالى والوجه الثانى ان يحمل الكلام على حذف المضاف و يجعل تقديم ذكره قرينة له والتقدير فبأى حديث بعد حديث الله اى بعد كتابه وقرآنه وقد سماه حديثا فى قوله تعالى الله نزل احسن الحديث فحينئذ يكون المراد بالآيات الدلائل المتلوة و يكون عطفه على حديث الله من قبيل عطف الخاص على العام لان آياته المتلوة هى حديث الله المقيد بكونه دلائل وحدانيته وكمال قدرته وعلمه وحكمته ويحتمل ان يكون المراد بها القرآن كما ان المراد بحديث الله ذلك و يكون عطفه عليه لتغاير الوصفين ومن قرأ يؤمنون بياء الغيبة اعتبر موافقة قوله لقوم

تلك الآيات الله) اى تلك آيات دلائله (نتلوها عليك) حال عاملها معنى الاشارة (بالحق) ملتبسين به اوملتبسة به (فبأى حديث بعد الله وآياته تؤمنون) اى بعد آيات الله وتقديم اسم الله للمبالغة والتعظيم كما فى قولك اعجبنى زيد وكرمه اوبعد حديث الله وهو القرآن كقوله الله نزل احسن الحديث وآياته دلائله المتلوة او القرآن والعطف لتغاير الوصفين وقرأ الحجازيان وحفص وابو عمرو وروح يؤمنون بالياء ليوافق ماقبله (ويل لكل افاك) كذاب (اثيم) كثير الاثم (يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر) يقيم على كفره (مستكبرا) عن الايمان بالآيات وثم لاستبعاد الاصرار بعد سماع الآيات كقوله يرى غمرات الموت ثم يزورها (كأن لم يسمعها) اى كأنه فخففت وحذف ضمير الشان والجملة فى موقع الحال اى يصر مثل غير السامع (فبشره بعذاب اليم) على اصراره والبشارة على الاصل او التهكم (واذا علم من آياتنا شيئا) واذا بلغه شئ وعلم انه منها (اتخذها هزوا) لذلك من غير ان يرى فيها ماينا سب الهزؤ والضمير لآياتنا وفائدته الاشعار بانه اذا سمع كلاما وعلم (الآيات) انه من الآيات بادر الى الاستهزاء بالآيات كلها ولم يقتصر على ما سمعه او الآية [illegible]

يوقنون ولقوم يعقلون ومن قرأ بتاء الخطاب جعل تقدير الكلام قل لهم فبأى حديث تؤمنون (قوله تعالى فبأى) متعلق بتؤمنون قدم عليه لانه صدر الكلام وقوله تتلى فى موضع الحال من آيات الله اى متلوة ومستكبرا حال من المنوى فى يصر وكأن لم يسمعها حال بعد حال على قول من يجوز انتصاب حالين من ذى حال واحد اى يصر على الكفر بآيات الله متعظما مشبها بغير السامع او حال من المنوى فى مستكبرا وكأن مخففة من الثقيلة واسمها مضمر وهو ضمير الشان والحديث اى كأنه لم يسمعها (قوله يرى غمرات الموت ثم يزورها) اوله لايكشف الغماء الا ابن حرة اشار بكلمة ثم الى ان زيارة غمرات الموت بعد رؤيته اياها مستبعدة مستنكرة عقلا وعادة وهو مع ذلك يزورها بعد استيقانه اياها الخ فى مدحه بالشجاعة بانه يقدم على غمرات الموت وشدائده بعد رؤيتها والغماء الشدة وغمرات الموت شدائد الحرب ثم انه تعالى لمابين شناعة من لم يؤمن بآيات الله بقوله فبأى حديث بعده الله وآياته يؤمنون اى اذا لم يؤمنوا بها مع ظهور كونها من آياتنا اتبعه بوعيد عظيم لهم فقال ويل لكل افاك اى كذاب (قوله والبشارة على الاصل او التهكم) فان البشارة قد تطلق على الاخبار بالخبر النافع المفيد للفرح والسرور مطلقا اى سواء قرنت بما يوجب المسرة او بما يوجب الحزن والمساءة وقد تطلق على الشر والخبر المؤلم اذا قرنت به كما فى هذه الآية قال الجوهرى البشارة المطلقة لا تكون الا بالخير وانما تكون بالشر اذا كانت مقيدة به كقوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم فعلى الاول تكون البشارة المذكورة فى هذه الآية محمولة على التهكم وعلى الثانى تكون على اصل معناها وهو الاخبار بالشر حيث ذكرت مقارنة له ثم انه تعالى وصف الاثيم المذكور اولا بانه يصر على الانكار والاستكبار عن الايمان بالآيات معجبا بما عنده قيل نزلت الآية فى النضر بن الحارث وكان يشترى من احاديث الاعاجم ويشغل بها الناس عن استماع القرآن وسبب نزولها وان كان خاصا الا انها عامة فى كل من كان موصوفا بالصفة المذكورة ثم وصفه ثانيا بانه ينتقل من مقام الاصرار والاستكبار الى مقام الاستهزاء فقال واذا علم من آياتنا شيئا اتخذها هزوا (قوله لذلك) اى لعلمه انه من آياتنا (قوله وفائدته) اى وفائدة العدول عن الظاهر وكان الظاهر ان يقال اتخذه هزوا اى اتخذ ذلك الشئ الواحد الذى بلغه لانه تعالى قال اتخذها اى اتخذ آياتنا هزوا للاشعار بانه لم يقتصر على الاستهزاء بذلك الشئ الواحد الذى بلغه بل يخوض فى الاستهزاء بجميع

(اولئك لهم [illegible]) من قدامهم لانهم متوجهون اليها او من خلفهم لانه بعد آجالهم (ولا يغني عنهم ما كسبوا) من الاموال والاولاد (شيئا) من عذاب الله (ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء) اي [illegible] (ولهم عذاب عظيم) لا يتحملونه (هذا هدى) الاشارة الى القرآن ويدل عليه قوله (والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز اليم) وقرأ ابن كثير ويعقوب وحفص برفع اليم والرجز اشد العذاب (الله الذي سخر لكم البحر) بان جعله املس السطح يطفو عليه ما يتخلخل كالاخشاب ولا يمنع الغوص فيه (لتجري الفلك فيه بامره) بتسخيره وانتم راكبوها (ولتبتغوا من فضله) بالتجارة والغوص والصيد وغيرها (ولعلكم تشكرون) هذه النعم (وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا) بان خلقها نافعة لكم (منه) حال مما اي سخر هذه الاشياء كائنة منه او خبر لمحذوف اي هي جميعا منه اولما في السموات وسخر لكم تكرير للتأكيد اولما في الارض وقرئ منة على المفعول له ومنه على انه فاعل سخر على الاسناد المجازي او خبر محذوف (ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) في صنائعه (قل للذين آمنوا يغفروا) حذف المقول لدلالة الجواب عليه والمعنى قل لهم اغفروا يغفروا اي يعفوا ويصفحوا (للذين لا يرجون ايام الله) لا يتوقعون وقائعه باعدائه من قولهم ايام العرب لوقائعهم او لا يأملون الاوقات التي وقتها الله لنصر المؤمنين وثوابهم ووعدهم بها والآية نزلت في عمر رضي الله عنه شتمه غفاري فهم ان يبطش به وقيل

الآيات التي انزلها الله تعالى على رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ويجوز ان يكون ضمير اتخذها للشيء وتأنيثه لكون الشيء بمعنى الآية (قوله من قدامهم) قال صاحب الكشاف الوراء اسم للجهة التي يواريها الشخص اي يسترها من خلف كانت او قدام وجعل الوراء في الآية بمعنى القدام لان شخص الكافر يواري جهنم اذا نظر اليها من خلفه لانه متوجه اليها فيكون حائلا بينها وبين الناظر اليها والمصنف جوز كونه بمعنى الخلف ايضا لكون جهنم خلفه بمعنى انها بعد موته ولما ذكر ان جهنم مصيرهم يعذبون فيها بين ان ما ملكوه في الدنيا لا ينفعهم ولا يدفع عنهم شيئا من عذابها فقال ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئا ثم انه تعالى لما وبخهم على كفرهم بالقرآن وذكر انواع ضلالهم في حقه وهددهم عليها بوجوه متعددة جعله كالجبل المشار اليه بالحس ونكر خبره تنكير تعظيم وتهويل فقال هذا هدى اي كامل في الهداية وليس بمظنة التكذيب والاستهزاء والذين كفروا به وكذبوه لهم عذاب فوق العذاب بسبب كفرهم به وتكذيبهم اياه (قوله وقرئ منة) بكسر الميم وتشديد النون ونصب التاء على المفعول له او على انه مصدر مؤكد لفعله المحذوف اولقوله سخر لكم لكونه بمعناه وفي الصحاح من عليه منا اي انعم عليه ومن عليه منة اي امتن عليه امتنانا وقرئ ايضا منه بفتح الميم ورفع النون وضم هاء الضمير على ان المن مصدر مضاف الى الضمير وذكر لارتفاعه وجهين الاول انه فاعل سخر على الاسناد المجازي اي سخر جميع ذلك منه عليكم كقولك احياني اقبالك علي وسداد امري حسن رأيك في والثاني انه خبر مبتدأ محذوف اي تسخير ذلك منه عليكم ثم انه تعالى لما بين دلائل التوحيد والعلم الكامل والقدرة البالغة اردفه بتعليم الاخلاق والافعال الجيدة فقال قل للذين آمنوا الآية حث المؤمنين على ترك المنازعة مع الكفار والتجاوز عما يصدر عنهم من الكلمات المؤذية والافعال الموحشة (قوله تعالى يغفروا) مجزوم على انه جواب الامر والقول محذوف لدلالة الجواب عليه ونظيره قوله تعالى في سورة ابراهيم قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة (قوله اولا يأملون الاوقات) مبني على ان الايام تطلق على اوقات النعمة والمحنة جميعا (قوله والآية نزلت في عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه) الا انه اختلف في سبب نزولها فيه فقال

ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انهم نزلوا في غزوة بني المصطلق على بئر يقال له
المريسيع فارسل عبد الله بن ابي غلامه ليستقي له الماء فابطأ عليه فلما اتاه قال
ما حبسك قال غلام عمر قعد على طرف البئر فما ترك احدا يستقي حتى ملأ قرب
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقرب ابي بكر رضي الله تعالى عنه فقال عبد الله
ما مثلنا ومثل هؤلاء الا كما قيل سمن كلبك يأكلك فبلغ عمر قوله فاشتمل على سيفه
يريد التوجه له فانزل الله تعالى هذه الآية وروى ان فنحاص اليهودي لما نزل
قوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا قال احتاج رب محمد فسمع بذلك
عمر فاشتمل على سيفه وخرج في طلبه فبعث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حتى
رده وقال مقاتل ان رجلا من بني غفار من كنانة رهط ابي ذر الغفاري شتم
عمر بمكة فهم ان يبطش به فامر الله تعالى بالعفو والتجاوز وانزل هذه الآية وقال
القرطبي والسدي انها نزلت في ناس من اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم من اهل مكة كانوا في اذى شديد من المشركين قبل ان يؤمروا بالقتال
فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فانزل الله هذه الآية
ثم نسختها آية القتال قال الامام اكثر المفسرين يقولون انها منسوخة وانما قالوا
ذلك لانه يدخل تحت الغفران لا يقتلوا ولا يقاتلوا فلما امر الله تعالى بهذه المقاتلة
كان ذلك نسخا ثم قال والاقرب ان يقال انه محمول على ترك المنازعة في المحقرات
وعلى التجاوز عما يصدر عنهم من الكلمات المؤذية والافعال الموحشة والمصنف
اختار ما ذهب اليه الامام حيث لم يرض بقول من قال انها منسوخة بآية القتال
اذ لا منافاة بين فرضية القتال مع الكفار الذين استكبروا عن الايمان وقبول الجزية وبين
الامر بالاعراض عنهم وترك المنازعة معهم في محقرات الامور (قوله علة للامر)
اى الامر بالمغفرة كانه قيل انما امروا بان يغفروا ليوفيهم الله جزاء مغفرتهم
يوم القيامة (قوله فيكون التنكير الخ) نشر على ترتيب اللف فان اريد
بالقوم المؤمنون المذكورون بقوله قل للذين آمنوا كان الظاهر ان يقال ليجزيهم
او ليجزي القوم معرفا تعريف العهد الا انه نكر تعظيما لشأنهم كانه قيل
ليجزي قوما اي قوم من شأنهم الصفح عن السيئات والتجاوز عن الاذيات
وتجرع المكاره والصبر عليها وان اريد به الكفار المذكورون بقوله للذين
لا يرجون ايام الله يكون وجه التنكير تحقيرهم وان اريد به كلا الفريقين يكون
التنكير للشيوع والابهام وكذا قوله والكسب المغفرة او الاساءة او ما يعمهما
فانه من قبيل اللف والنشر المرتب (قوله وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي
لنجزي بالنون) اي بنون العظمة كانه قيل قل لهم اغفروا واصفحوا عن
آذاكم ولا تكافئوهم باذيتهم حتى نكون نحن الذين نجازيهم ونكافيهم
وباقي السبعة قرأ ليجزي بياء الغيبة مبنيا للفاعل اي ليجزي الله وقرئ ليجزى

انها منسوخة بآية القتال
(ليجزي قوما بما كانوا
يكسبون) علة للامر
والقوم هم المؤمنون
او الكافرون او كلاهما
فيكون التنكير للتعظيم
او التحقير او الشيوع
والكسب المغفرة او الاساءة
او ما يعمهما وقرأ ابن
عامر وحمزة والكسائي
لنجزي بالنون وقرئ
ليجزى قوما وليجزى قوما
اي ليجزى الخير او الشر

قوم بالياء التحتية مبنيا للمفعول ورفع القوم لقيامه مقام الفاعل وليجزى قوما على بناء المفعول ونصب قوما على معنى ليجزى الخير او الشر قوما باسناد الفعل الى ضمير المفعول الثانى فان المفعول الثانى للافعال التى تتعدى الى اثنين يجوز اقامته مقام الفاعل تقول اعطى درهم زيدا وجزى يتعدى الى اثنين تقول جزيت فلانا الخير فاذا بنيته للمفعول اقمت ايهما شئت مقام الفاعل واضمر ههنا الخير او الشر لدلالة قوله بما كانوا يكسبون عليه (قوله او الجزاء اعنى ما يجزى به) اى ويجوز ان يضمر الجزاء بمعنى ما يجزى به فان الجزاء قد يستعمل بمعنى ما يجزى به كما فى قوله تعالى جزاؤهم عند ربهم جنات لا الجزاء الذى هو مصدر جزيته بما صنع لانهم قالوا اقامة المصدر مقام الفاعل ضعيف مطلقا لاسيما مع وجود المفعول به فانه اذا وجد المفعول به تعين لان يقوم مقام الفاعل وعلى تقدير اقامة المصدر مقامه فى الجملة فانما يقوم مقامه بشرط ان لا يكون لمجرد التأكيد فلا يقال ضرب ضرب لعدم الفائدة فيه فان الشئ انما يقام مقام الفاعل اذا افاد اسناد الفعل اليه فائدة جديدة زائدة على ما افاده الفعل فلا يقال ضرب ضرب وانما يقال ضرب ضرب به او ضرب ضرب شديد او الضرب الفلانى ونحو ذلك واذا كان الجزاء الذى اسند اليه قوله يجزى بمعنى ما يجزى به يكون مفعولا ثانيا لا مصدرا وقوله ليجزى الخير او الشر او الجزاء من قبيل اللف والنشر المرتب ايضا فان اضمار الجزاء بمعنى ما يجزى به مبنى على انه يراد بالقوم العام المتناول للمؤمنين والكافرين ويكون تنكيره للشيوع والابهام والمراد بالكسب ما يعم العفو والاساءة ثم انه تعالى لما ذكر اجمالا ان المرء يجزى بكسبه بين ان من كسب صالحا كالعفو عن المسئ فانه يثاب وانه هو المنتفع بكسبه ومن كسب الاساءة يعاقب ويتضرر بكسبه وانه تعالى انما امر بالصالح ونهى عن السيئة رحمة للمكلف لا لنفع يعود اليه تعالى ثم لما بين ان نفع العمل الصالح للعامل وان مضرة العمل السئ عليه بين ان ذلك النفع والضر انما يكون بالمراجعة الى مقام العرض والحساب ثم بين ان طريقة قومه عليه الصلاة والسلام كطريقة من تقدم من الامم فانه تعالى انعم على بنى اسرائيل نعما كثيرة من نعم الدين والدنيا ومع ذلك لم يشكروا تلك النعم بل اختلفوا فى امر الدين بعد ما جاءهم العلم بحقيقة الحال على سبيل البغى والحسد حيث طلب كل فريق ان يكون هو الرئيس المتبوع حسدا واتباعا للهوى فصاروا الى التعادى والتضارب وقتل الانبياء ومن حق العلم بحقيقة الحال ان يكون سببا للاتفاق على الحق وارتفاع الخلاف وكان علمهم بها سببا لحصول الاختلاف فكذا كفار قومه عليه افضل الصلاة والسلام جاءتهم ادلة واضحة دالة على حقيقة دينه عليه الصلاة والسلام ثم اصروا على الكفر واستكبروا عن الايمان

او الجزاء اعنى ما يجزى به لا المصدر فان الاسناد اليه سيما مع المفعول به ضعيف (من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها) اذ لها ثواب العمل وعليها عقابه (ثم الى ربكم ترجعون) فيجازيكم على اعمالكم (ولقد آتينا بنى اسرائيل الكتاب) التوراة (والحكم) والحكمة النظرية والعملية او فصل الخصومات (والنبوة) اذ كثر فيهم الانبياء ما لم يكثر فى غيرهم (ورزقناهم من الطيبات) مما احل الله من اللذائذ (وفضلناهم على العالمين)

حيث آتيناهم مالم نؤت غيرهم (وآتيناهم بينات من الامر) ادلة فى امر الدين و يندرج فيها المعجزات وقيل
آيات من امر النبى عليه السلام مبينة لصدقه (فما اختلفوا) ﴿ ١٤٢ ﴾ فى ذلك الامر (الامن بعدما جاءهم
العلم) بحقيقة الحال (بغيا بينهم) عداوة وحسدا (ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) بالمؤاخذة والمجازاة (ثم جعلناك على شريعة) طريقة (من الامر) امر الدين (فاتبعها) فاتبع شريعتك الثابتة بالحجج (ولا تتبع اهواء الذين لايعلمون) آراء الجهال التابعة للشهوات وهم رؤساء قريش قالوا له ارجع الى دين آبائك (انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا) مما اراد بك (وان الظالمين بعضهم اولياء بعض) اذ الجنسية علة الانضمام فلا توالهم باتباع اهوائهم (والله ولى المتقين) فواله بالتقى و اتباع الشريعة (هذا) اى القرآن او اتباع الشريعة (بصائر للناس) بينات تبصرهم وجه الفلاح (وهدى) من الضلال (ورحمة) ونعمة من الله (لقوم يوقنون) يطلبون اليقين (ام حسب الذين
اجترحوا السيئات) ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها انكار الحسبان والاجتراح الاكتساب ومنه (وحدها) الجارحة (ان نجعلهم) ان نصيرهم (كالذين آمنوا وعملوا الصالحات) مثلهم وهو ثانى مفعولى نجعل وقوله

والطاعة عداوة وحسدا (قوله حيث آتيناهم مالم نؤت غيرهم) اشارة
الى انه لاحاجة الى تخصيص العالمين بعالمى زمانهم بناء على ان الظاهر ان المراد
تفضيلهم بما يختص بهم من الفضائل من كثرة الانبياء منهم فان عدد الانبياء
فيما بين يوسف وعيسى عليهما الصلاة والسلام لايعلمه الا الله فهذه الفضيلة
مختصة ببنى اسرائيل غير موجودة فى غيرهم فهم مفضلون من هذا الوجه على
سائر ادم ومما يختص بهم فلق البحر واغراق عدوهم فيه باسرهم وانزال المن
والسلوى وانفجار ثنتى عشرة عينا من حجر صغير الى ما زل الاسباط الاثنى
عشر فى مدة احتباسهم فى التيه ونحو ذلك وليس المراد تفضيلهم على العالمين
بحسب الدين والثواب قال الامام محى السنة فى تفسير العالمين اى عالمى زمانهم
قال ابن عباس لم يكن احد من العالمين فى زمانهم اكرم على الله عز وجل ولا احب
اليه منهم الى هنا كلامه (قوله تعالى انهم لن يغنوا عنك من الله شيأ) تعليل
للنهى عن اتباع اهوائهم اى انك ان اتبعت اهواءهم وملت الى اديانهم الباطلة
صرت مستحقا للعذاب بسببهم وهم لا يقدرون على دفع شئ مما اراد الله بك
من العذاب ان اتبعت اهواءهم ثم بين الله تعالى ان الظالمين يتولى بعضهم بعضا
فى الدنيا ولا ولى لهم فى الآخرة بايصال الثواب اليهم وازالة العقاب عنهم
وهذه الجملة معطوفة على ما قبلها فتكون من تتمة العلة الثانية للنهى المذكور
لان بيان ان ولى الظالم من هو ظالم مثله بيان ان مثلك لايوالى ظالما فكيف تتبعه
ولما بين ان المتقين عن الظلم لايوالون ظالما بين ان وليهم هو الله وحده وانهم
لايفعلون شيئا مما يأتون و يذرون الا ابتغاء لوجهه الكريم وطلبا لمرضاته (قوله
بينات تبصرهم) اى دلائل تعرفهم وفى الصحاح البصيرة الحجة والتبصير
التعريف والايضاح جمع خبر هذا باعتبار مافيه ثم انه تعالى لما رغب فى اتباع
الشريعة ونهى عن اتباع آراء الجهال ذكر ان القرآن او اتباع الشريعة
مع ما معهما من البينات الشافية والدلائل الواضحة بمنزلة البصائر فى القلوب
اذ يتوصل بكل واحد منهما الى تحصيل العرفان واليقين ثم انه تعالى لما بين الفرق
بين الظالمين وبين المتقين وان الظالمين بعضهم اولياء بعض ولاحظ لهم من ولاية
الله تعالى بخلاف المتقين فانه تعالى وليهم وناصرهم بين الفرق بينهما من وجه
آخر فقال ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وكلمة ام فيه
منقطعة مقدرة ببل والهمزة اضرب عن بيان الفرق بينهما على الوجه المذكور
الى بيان الفرق بينهما بوجه آخر ويحتمل ان تكون مقدرة ببل وحدها لا بالهمزة

وحدها وقوله تعالى ان نجعلهم ساد مسد مفعولي حسب لان باب حسب اذا وقع بعده ان المشددة او المخففة او الناصبة تكون هي مع ما عملت فيه سادة مسد المفعولين وههنا قد وقع بعد فعل الحسبان ان الناصبة فهي سادة مسد المفعولين ونجعلهم من الجعل بمعنى التصيير فيتعدى الى مفعولين اولهما الضمير وثانيهما الكاف في كالذين والمعنى ان نجعلهم مثلهم وقرأ حمزة والكسائي وحفص سواء بالنصب والباقون بالرفع وعلى قراءة الرفع تكون محياهم مبتدأ ومماتهم عطفا عليه وسواء خبر للمبتدأ والجملة في موضع النصب على انها بدل من المفعول الثاني للجعل وهو الكاف لان الجملة تقع مفعولا ثانيا نحو حسبت زيدا ابوه منطلق فلو قلت ان نجعلهم سواء محياهم ومماتهم كان سديدا فكذا يجوز جعل الجملة بدلا من المفعول الثاني (قوله لان المماثلة فيه) اي في استواء المحيا والممات علة لكون الجملة بدلا اذ لا معنى لانكار حسبان ان يستوي المسيئون والمحسنون محيا وان يستووا مماتا لافتراق احوالهم احياء وامواتا اما افتراقهما امواتا فان هؤلاء عاشوا على القيام بالطاعات واولئك على ركوب المعاصي واما افتراقهما امواتا فان هؤلاء ماتوا على البشرى بالرحمة والرضوان وهؤلاء على اليأس من الرحمة والمصير الى الهوان ويجوز ان يكون المعنى انكار ان يستووا في الممات كما استووا في الحياة لان المسيئين والمحسنين مستو محياهم في الرزق والصحة وانما يفترقون في الممات فان المحسنين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وان وجوههم يوم القيامة مسفرة ضاحكة مستبشرة ولهم من الكرامات ما لا يعلمها الا الله تعالى بخلاف الذين فانهم وان كانوا مكرمين في حياتهم كالمؤمنين بل قد تكون حالهم في الدنيا ارجح من حال المحسنين الا ان مماتهم ليس كحياتهم فانهم مخذولون مهانون عند الموت وبعده فممات المسيئين لا يوافق حياتهم كما توافقت حياة المحسنين ومماتهم في البهجة والكرامة وهذا اعني كون جملة سواء محياهم بدلا من الكاف انما هو على تقدير ان يكون ضمير محياهم ومماتهم للمجترحين واما على تقدير كونه للمحسنين فلا يجوز ذلك لان المجهول مثلا هم المجترحون واستواء الحالين وصف المشبه فلا وجه للبدلية وذكر لانتصاب سواء ثلاثة اوجه الاول ان يكون سواء بدلا من الكاف بمعنى مستويا ويكون محياهم في محل الرفع على انه فاعل سواء بمعنى مستويا والثاني ان يكون حالا من الضمير المرفوع المستكن في كالذين آمنوا اي احسبوا ان نجعلهم مثلهم في حال استواء محياهم ومماتهم وليس من الحكمة ان يسوى محيا المجترحين ومماتهم كالمؤمنين بل يقتضي ان يكون احدهما مرحوما في الحالين ويكون الآخر مرحوما حياة ليتمكن من القيام على مقتضى التكليف

(سواء محياهم ومماتهم) بدل منه ان كان الضمير للموصول الاول لان المماثلة فيه اذ المعنى انكار ان يكون حياتهم ومماتهم سيين في البهجة والكرامة كما هو للمؤمنين ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص سواء بالنصب على البدل او الحال من الضمير في الكاف او المفعولية والكاف حال

ولا يكون مرحوما موتا بمقتضى العدل والثالث ان يكون سواء هو المفعول الثانى للجعل و يكون كالذين حالا من ضمير نجعلهم اى نجعلهم حال كونهم مثلهم سواء وليس هو بقوى من حيث المعنى وعلى القرآءة بنصب سواء على كل واحد من هذه الاوجه الثلاثة يريد ان تكون حياة المجترحين كمماتهم لانكار ان تكون حياة احد الفريقين كحياة الآخر ومماته كمماته فينبغى ان تكون المعنى كذلك على قرآءة الرفع (قوله وان كان الثانى) اى وان كان ضمير محياهم للموصول الثانى وهو الذين آمنوا فحينئذ يجوز ان يكون قوله سواء حالا اى من الموصول الثانى وان تكون استئنافا على سبيل التعليل للانكار اى لم تكن الفريقان على السوآء لان المؤمنين سواء محياهم ومماتهم من حيث انهم على الطاعات حياة وعلى البشرى والرضوان مماتا بخلاف المجترحين (قوله وان كان لهما) اى ان كان الضمير للموصولين جميعا فحينئذ يكون سواء بدلا من الكاف لان المماثلة تكون باستواء الحالين او حالا من الموصولين جميعا اى من نفس الثانى وضمير الاول او استئنافا مقررا تساوى حالى المؤمنين بالنسبة اليهم فيكون تعليلا للانكار بحسب المعنى دالا على عدم المماثلة لا فى الدنيا ولا فى الاخرة لان هؤلاء متساوو المحيا والممات فى الرحمة وهؤلاء متساوو المحيا والممات فى النقمة فان كل واحد من المحسن والمسيء يموت على حسب ما عاش عليه فالاول عاش على الهدى ومات عليه والثانى عاش على الضلال ومات عليه فانى احدهما يكون كالآخر والحاصل انه تعالى انكر حسبان ان يستوى المسيء والمحسن كان مظنة ان يقال فاذا كيف الحال فاجيب بان المؤمن يعيش حميدا و يموت سعيدا يعيش فى طاعة الرحمن ثم المرجع الى الرضوان والكافر يعيش فى طاعة الشيطان ثم المآب الى عذاب النيران فانى يستويان ومن قرأ محياهم ومماتهم بالنصب جعلهما ظرفى زمان كمقدم الحاج وخفوق النجم بمعنى وقت مقدم الحاج ووقت خفوق النجم والعامل اما الجعل واما سواء والتقدير ان نجعلهم فى هذين الوقتين سواء او نجعلهم مستويين فى هذين الوقتين ثم انه تعالى صرح بانكار التسوية فقال ساء ما يحكمون وساء هذا يجوز ان تكون للاخبار عن قبح حكمهم فتكون ما مصدرية وما يحكمون فى محل الرفع على انه فاعل ساء وان تكون لانشاء الذم بمعنى بئس فتكون ما نكرة موصوفة بمعنى شيأ كما فى قولك مررت بما معجب لك اى بشيء معجب لك ومحلها النصب على التمييز والمميز الضمير المستوى فى ساء اى بئس الشيء شيأ حكموا به ذلك والمخصوص بالذم محذوف وهو ذلك (قوله كأنه دليل على الحكم السابق) وهو ان الذين اجترحوا السيئات لا يساوون المحسنين بعد الممات وتقريره ان الحق هو الشيء الثابت الذى يقتضيه الدليل و يثبت كوجود الصانع الحكيم ووحدته ووجوب

وان كان للثانى فحال منه او استئناف يبين المقتضى للانكار وان كان لهما فبدل او حال من الثانى والضمير الاول والمعنى انكار ان يستووا بعد الممات فى الكرامة او ترك المؤاخذة كما استووا فى الرزق والصحة فى الحياة او استئناف مقرر لتساوى محيا كل صنف ومماته فى الهدى والضلال وقرئ مماتهم بالنصب على ان محياهم ومماتهم ظرفان كمقدم الحاج (ساء ما يحكمون) ساء حكمهم هذا او بئس شيأ حكموا به ذلك (وخلق الله السموات والارض بالحق) كأنه دليل على الحكم السابق من حيث ان خلق ذلك بالحق المقتضى للعدل يستدعى انتصار المظلوم من الظالم والتفاوت بين المسيء والمحسن واذا لم يكن فى المحيا كان بعد الممات

طاعته شكرا لاحسانه وحرمة مخالفته وعصيانه فالله تعالى ماخلق السموات والارض بسبب الحق ولاجل ظهوره ومن جملة حكمته وعدله لزم من ذلك ان ينتقم من الظالم لاجل المظلوم والتفاوت بين المسيئ والمحسن وذلك يستدعي ان يحشر الخلائق ويحاسبوا ويجزى كل نفس بما عملت من خير او شر فثبت به ان حسبان جعل المسيئ كالمحسن والتسوية بينهما بعد الممات امر منكر غير واقع (قوله لانه في معنى العلة) بناء على ان الباء للسببية اى بسبب الحق ولاجل ظهوره (قوله وتسمية ذلك ظلما) جواب عما يقال ظاهر الآية يدل على ان بعض مقدوره تعالى كنقص الثواب وتضعيف العقاب لو وقع لكان ظلما مع انه لو فعل الله تعالى ذلك لم يكن منه ظلما لقوله وما الله يريد ظلما للعالمين فضلا عن ان يفعله و[illegible] ...راب ان قوله تعالى وهم لا يظلمون معناه انه لا يتحقق بهم في الآخرة فعل لو فعله غيره تعالى لكان ظلما فان شيئا من الافعال لا يكون قبيحا ولا ظلما من حيث وقوعه منه تعالى فان اهل الملة اتفقوا على انه تعالى لا يظلم الناس شيئا الا ان اهل السنة يقولون ان شيئا من الافعال لا يكون ظلما بالنسبة اليه تعالى وانه لا يفعل بالناس فعلا لو فعله غيره لكان ظلما كما ان المراد بالابتلاء والاختبار فعل مالو فعله غيره لكان ابتلاء واختبارا ثم انه تعالى عاد الى شرح احوال الكفار وذكر قبائحهم فقال افرأيت اى اخبرني وفيه تجوز ان اطلاق الرؤية وارادة الاخبار على طريق اطلاق اسم السبب وارادة المسبب لان الرؤية سبب الاخبار وجعل الاستفهام بمعنى الامر بجامع الطلب وقوله تعالى من اتخذ مفعول اول لقوله ارايت ومفعوله الثاني محذوف مقدر بعد قوله غشاوة وهو يهتدي وحذف لدلالة قوله فمن يهديه عليه وانما قدر بعد غشاوة لئلا يفصل بين الصلات المتعاطفة اى اخبرني يا محمد ان هؤلاء المشركين الذين اتخذوا اهواءهم آلهة يعبدونها ويطيعون امرها اى اطاعوا اهواءهم حتى صاروا كأنهم يعبدونها هل يتوقع منهم ان يهتدوا ويتبعوا الهدى وقوله فمن يهديه استفهام بمعنى النفي وقوله على علم حال من الجلالة اى عالما بانه منكس البنية قد انقلب وجهه الى الجهة السفلية لا يرفع رأسه الى الفضائل الروحانية ولا يقبل هدى الله بل اخلد الى الارض واتبع هواه قال الامام نظيره في جانب التعظيم الله اعلم حيث يجعل رسالاته وتحقيق الكلام فيه ان جواهر الارواح البشرية مختلفة فمنها مشرقة نورانية علوية ومنها كدرة ظلمانية سفلية عظيمة الميل الى الشهوات الحيوانية فهو تعالى يعامل كلا منهم بما يليق بجوهره وماهيته وهو المراد بقوله واضله الله على علم في حق المردودين وبقوله الله اعلم حيث يجعل رسالاته في حق المقبولين (قوله وقرأ حمزة والكسائي غشوة)

(ولتجزى كل نفس بما كسبت) عطف على بالحق لانه في معنى العلة او على علة محذوفة مثل ليدل بها على قدرته او ليعدل ولتجزى (وهم لايظلمون) بنقص ثواب وتضعيف عقاب وتسمية ذلك ظلما ولو فعله الله لم يكن منه ظلما لانه لو فعله غيره لكان ظلما كالابتلاء والاختبار (افرأيت من اتخذ الهه هواه) ترك متابعة الهدى الى مطاوعة الهوى فكأنه يعبده وقرئ آلهته هواه لانه كان احدهم يستحسن حجرا فيعبده فاذا رأى احسن منه رفضه اليه (واضله الله) وخذله (على علم) عالما بضلاله وفساد جوهر روحه (وختم على سمعه وقلبه) فلا يبالي بالمواعظ ولا يتفكر في الآيات (وجعل على بصره غشاوة) فلا ينظر بعين الاستبصار والاعتبار وقرأ حمزة والكسائي غشوة (فمن يهديه من بعد الله) من بعد اضلاله

بفتح الغين وسكون الشين و باقي السبعة غشاوة بكسر الغين وقرئ بفتحها ايضا وهي لغة ربيعة وقرئ بضمها ايضا وهي لغة قليلة وقرئ غشوة بكسر الغين كما قرئ بفتحها (قوله تعالى افلا تذكرون) اى ايها الناس تعقولكم ثم انه تعالى لما بين ضلالة المشركين بايثارهم متابعة الهوى على متابعة الهدى وايس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من ايمان من علم منهم انهم لايؤمنون حكى عنهم شبهتهم في انكار القيامة وفي انكار الاله القادر اما شبهتهم في انكار القيامة فهي قولهم با هوائهم التي عبدوها واطاعوها ليس ماتقوله المؤمنون من الاحياء بعد الموت حقا وما الحياة الاحياتنا القربى التي نحن عليها واما شبهتهم في انكار الاله الفاعل المختار فهي قولهم ومايهلكنا الا الدهر فانهم ينسبون الموت والحياة ونحوهما من الحوادث السفلية الى تأثيرات الطبائع وحركات الافلاك و يقولون لاحاجة فيها الى اثبات امر خارج عن هذا النظام المشاهد هو فاعل مختار مستند اليه الحوادث بامرها اما ابتداء او بواسطة فهذه الطائفة جمعوا بين انكار الاله وانكار القيامة واهل الجاهلية كانوا اصنافا فمنهم من ينكر الصانع و يضيف الحوادث الى الدهر ومنهم من يثبت الصانع و ينكر البعث والثواب والعقاب ومنهم من يشك في البعث ولاينكره على سبيل البت والقطع (قوله اى نكون امواتا ونحيى بعد ذلك) جواب عما يقال الحياة متقدمة على الموت عند من انكر حياة البعث فالمناسب لهم ان يقولوا ما هي الاحياتنا الدنيا نحيى ونميت فما السبب في تقديم ذكر الموت على الحياة ومحصل الجوابين الاولين انا سلمنا ان الاصل ان يكون الترتيب في الذكر على وفق الترتيب في الوجود لكن لانسلم انه قد خولف هذا الاصل في هذه الآية واما يلزم ذلك ان لو كان المراد بالموت مايعقب الحياة و يزيلها وليس بلازم لجواز ان يكون المراد بالموت كونهم امواتا حال كونهم نطفا وماقبلها من الاغذية و بالحياة الحالة الحاصلة بعد ذلك في الدنيا او يكون المراد بالموت مايزيل حياتهم و بحياتهم بقاؤهم في الدنيا ببقاء اولادهم بعدهم فان بقاء اولادهم بعدهم حياة لهم مجازا ومبنى الجوابين الاخيرين مع دلالة الكلام على الترتيب في الوجود على حسب الترتيب في الذكر لان الواو للجمع المطلق و مع ذلك يحتمل ان يكون المراد من تعلق به الموت غير الذى تعلق به الحياة بان يكون المعنى يموت بعضا ويحيى بعض آخر ويحتمل ان لايكون كذلك بان يكون المعنى يصيبنا الموت والحياة منها وليس وراء ذلك حياة وقال الامام انه تعالى قدم ذكر الحياة فقال ان هي الاحياتنا الدنيا ثم قال بعده نموت ونحيى يعنى ان تلك الحياة منها مايطرأ عليها الموت وذلك في حق

(افلا تذكرون) وقرئ تتذكرون (وقالوا ماهي) ما الحياة او الحال (الا حياتنا الدنيا) التي نحن فيها (نموت ونحيى) اى نكون امواتا نطفا وما قبلها ونحيى بعد ذلك او نموت بانفسنا ونحيى ببقاء اولادنا او يموت بعضنا ويحيى بعضنا او يصيبنا الموت والحياة فيها وليس وراء ذلك حياة ويحتمل انهم ارادوا به التناسخ فانه عقيدة اكثر عبدة الاوثان (وما يهلكنا الا الدهر) الا مرور الزمان وهو في الاصل مدة بقاء العالم من دهره اذا غلبه (وما لهم بذلك من علم) يعنى نسبة الحوادث الى حركات الافلاك وما يتعلق بها على الاستقلال او انكار البعث او كليهما (ان هم الا يظنون) اذ لادليل لهم عليه وانما قالوه بناء على التقليد والانكار لما لم يحسوا به (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات) واضحات الدلالة على ما يخالف معتقدهم او مبينات لهم

الذين ماتوا ومنها مالم يطرأ عليها الموت بعد ذلك وهي في حق الاحياء الذين لم يموتوا بعد (قوله ماكان حجتهم) قرأ العامة بنصب حجتهم على تقديم خبر كان على اسمها وقرئ برفعها على الاصل (قوله وانما سماه حجة) جواب عما يقال الحجة انما تطلق على الدليل القطعي وقولهم في معرض الاحتجاج على انكار البعث ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين ليس بحجة بل هي شبهة ضعيفة جدا لان عدم حصول الشيء حالا لا يستلزم ان يكون ممتنع الحصول مطلقا فان الحوادث كلها كانت معدومة من الازل الى اوقات حصولها وحدوثها ولو كان عدم الحصول في وقت معين دليلا على امتناع الحصول مطلقا لكانت الحوادث كلها ممتنعة الحصول مطلقا وهو باطل بالضرورة الا انه تعالى سماه حجة بناء على حسبانهم ومساقهم فانهم يذكرون هذه الشبهة ويسوقونها في معرض الاحتجاج بها او سماه حجة لبيان انهم لا حجة لهم البتة لان من كانت حجته هذه الشبهة الضعيفة جدا لا يكون له حجة البتة فيكون الكلام على اسلوب قولهم تحية بينهم ضرب وجيع * فان من ابتدئوا بالضرب الوجيع في اول التلاقي لا يكون بينهم تحية البتة فقوله فانه لا يلزم من عدم حصول الشيء حالا امتناعه مطلقا تعليل لكونه على اسلوب قولهم تحية بينهم ضرب وجيع لانه في قوة ان يقال سماه حجة للدلالة على انه لا حجة لهم على امتناع البعث البتة (قوله على مادلت عليه الحجج) وهي التي استدل بها على وجود الاله القادر العليم الحكيم في خلق السموات والارض وحدوث الحيوانات المتوالدة في الارض وحدوث الحوادث المتجددة كانه جواب عما يقال قوله تعالى قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم كيف يكون جوابا لمن ينكر البعث ووجود الاله القادر على كل شيء ويقول ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى وما يهلكنا الا الدهر فابطال كلامه بان يقال قل الله يحييكم مصادرة واثبات الشيء بنفسه وتقرير الجواب انه انما تلزم المصادرة ان لو قيل في ابطال قول من ينكر البعث ووجود الاله لا ينكرهما فان الله يجمعكم الى يوم القيامة وليس كذلك بل يوجه كونه جوابا له بان معنى قوله قل الله يحييكم ثم يميتكم كيف تنكر البعث ووجود الاله القادر وقد ثبت وجوده بوجود الحوادث من السموات والارض والحيوان والانسان ومن قدر على الابداء قدر على الاعادة ومن قدر على اعادة الاموات يقدر على اعادة آبائكم واتيانها فحجتكم داحضة وشبهتكم ضعيفة واهية (قوله تعميم للقدرة بعد تخصيصها) فانه تعالى لما احتج بقدرته على الاحياء والاماتة احتج على قدرته على الاعادة ثانيا وجمعهم للمجازاة بين انه قادر على جميع الممكنات سواء كانت سماوية او ارضية واذا ثبت كونه قادرا على كل الممكنات

(ماكان حجتهم) ماكان لهم متشبث يعارضونه به (الا ان قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين) وانما سماه حجة على حسبانهم ومساقهم او على اسلوب قولهم * تحية بينهم ضرب وجيع * فانه لا يلزم من عدم حصول الشيء حالا امتناعه مطلقا (قل الله يحييكم ثم يميتكم) على مادلت عليه الحجج (ثم يجمعكم الى يوم القيامة لاريب فيه) فان من قدر على الابداء قدر على الاعادة والحكمة اقتضت الجمع للمجازاة على ماقرره مرارا والوعد المصدق بالآيات دل على وقوعها واذا كان كذلك امكن الاتيان بآبائهم لكن الحكمة اقتضت ان يعادوا يوم الجمع للجزاء (ولكن اكثر الناس لا يعلمون) لقلة تفكرهم وقصور نظرهم على ما يحسونه (ولله ملك السموات والارض) تعميم للقدرة بعد تخصيصها

فقد ثبت ان حصول الحياة فى الذوات التى وجدت ابتداء ممكن اذ لو لم يكن ممكنا لما حصلت ابتداء فقد لزم من هاتين المقدمتين كونه تعالى قادرا على الاحياء فى المرة الثانية ثم انه تعالى لما بين صحة القول بالحشر والنشر بهذين الطريقين ذكر تفاصيل احوال يوم القيامة فاولها قوله ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون اى يظهر خسران اهل الباطل لانهم لم يكونوا فى خسران قبله وانما خسروا يومئذ والخسران عبارة عن اضاعة رأس المال من غير بدل يثوب منابه ومن المعلوم ان الحياة والعقل والصحة كانها رأس المال بالنسبة الى المكلف والتصرف فيها لطلب السعادة الاخروية بمنزلة تصرف التاجر فى ماله لطلب الربح ومن صرفها ايام حياته فى الكفر والمعاصى ولم يكتسب بها مايسعده فى الاخرة ثم انتقل الى دار الآخرة فقد ظهر له هنالك انه ضيع رأس ماله بغير شئ حيث لم يجد فى ذلك اليوم الا الخيبة والخذلان وعذاب النار ان ويوم ظرف لقوله يخسر ويومئذ بدل منه وتنوين يومئذ تنوين عوض عن المضاف اليه المقدر والتقدير ويوم تقوم الساعة يوم اذ تقوم الساعة يخسر المبطلون والثانية من احوال القيامة ماذكره بقوله وترى كل امة جاثية الظاهر ان الرؤية بصرية فيكون جاثية حالا من المفعول والجثوة بالضم الشئ المجتمع واجتماع كل امة معناه عدم اختلاطهم بامة اخرى وقيل جاثية اى جالسة على الركب كما يجلس الخصماء بين يدى الحكام ومصدره الجثو ويجلس الامة على هذه الهيئة لكونها خائفة فلا تطمئن فى جلستها يوم الحساب يقال استوفز فى قعدته اذا قعد قعودا منتصبا غير مطمئن هيبة واحتراما والجذو اشد استيفازا من الجثو لان الجاذى هو الذى يجلس على اطراف اصابعه قال الشيخ عبد القاهر الجرجانى فى حق تلميذه يحضر مجلسه للتعلم وقلبه متعلق بمصالحه

يجئ من فضلة وقت له * ليس له هم خلاف النزوع
منه ترى جلسة مستوفز * قد شد احماله بالنسوع
ماشئت من زهزهة الفتى * بمصقلا بادلسى الزروع

النسوع جمع نسعة وهى التى تنسج عريضا للتصدير وهو الحزام الذى فى صدر البعير ويشد بها فوق الاحمال لئلا تضطرب والزهزهة التحسين معرب من قولهم عند التحسين زه زه وما ابهامية ومن بيانية وهو مقول قول مقدر فى موضع الحال من فاعل ترى اى ترى جلسة مستوفز قائلا فى حال تعلمى اباه زه زه وقلبه فى مصقلا باد لسى زرعه ومصقلا باء محل بجرجان (قوله وقرأ يعقوب كل) اى بالنصب على البدلية من كل امة الاولى لابدال نكرة

(موصوفة)

(و يوم تقوم الساعة
يومئذ يخسر المبطلون)
اى ويخسر يوم تقوم
يومئذ بدل منه (وترى
كل امة جاثية) مجتمعة
من الجثوة وهى الجماعة
او باركة مستوفزة على
الركب وقرئ جاذية
اى جالسة على اطراف
الاصابع لاستيفازهم
(كل امة تدعى الى كتابها)
صحيفة اعمالها وقرأ
يعقوب كل على انه بدل
من الاول وتدعى صفة
او مفعول ثان (اليوم
تجزون ماكنتم تعملون)
محمول على القول

موصوفة من مثلها فلن تدعى على هذه القرآءة فى موضع النصب على انه صفة لكل او حال منه او مفعول ثان لترى على ان الرؤية قلبية فتكون جاثية ايضا كذلك والعامة على الرفع بالابتداء وتدعى خبرها (قوله اضاف صحائف اعمالهم الى نفسه) مع انها اضيفت الى الامة فيما قبل حيث قيل الى كتابها وحاصل الجواب انه لامنافاة بين الاضافتين لانه كتابهم من حيث اشتماله على تفصيل اعمالهم وكتاب الله تعالى من حيث انه مكتوب بامره وقوله تعالى هذا مبتدأ وكتابنا خبره اى فقال لهم هذا كتابنا و ينطق اما خبر بعد خبر او هو الخبر وكتابنا بدل من هذا او عطف بيان له و يجوز ان يكون ينطق حالا من كتابنا والعامل ما فى هذا من معنى الفعل (قوله نستكتب الملائكة اعمالكم) اى تأمرهم بكتبها واثباتها عليكم والنسخ فى الاصل هو النقل من اصل و يستعمل فى الكتب ابتداء وقيل نستنسخ هذا الكتاب من اللوح المحفوظ لما روى عن ابن عباس انه قال السنم قوما عربا هل يكون النسخ الامن كتاب وفى الخبر ان الملائكة اذا كتبوا اعمال العباد وصعدوا بها الى السماء امروا ان يعرضوها على اللوح المحفوظ فيوجد كذلك فالمعنى على هذا ان الملائكة كانوا يكتبون عليكم بامرنا من كتاب عندنا كتب قبل خلقكم وعملكم فلن يخفى علينا شئ ثم انه تعالى لما بين احوال القيامة من ان كل امة تدعى الى كتابها بين احوال كل واحد من المطيعين والعاصين فقال فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم فى رحمته واحتجت المعتزلة بهذه الآية على حرمان الفاسق من الجنة لانه تعالى علق الدخول فى رحمته على اتيان مجموع الايمان والعمل الصالح والمعلق على مجموع امرين يكون عدما عند عدم احدهما فعند عدم الاعمال الصالحة وجب ان لا يحصل الفوز بالجنة والجواب ان تعليق الحكم على الوصف لا يدل على عدم الحكم عند عدم الوصف (قوله اى فيقال لهم الم تأتكم رسلى) اشارة الى ان جواب اما محذوف وهو قوله فيقال هذا القول وان المعطوف عليه بالفاء جملة مقدرة بين الهمزة والفاء وقوله اكتفاء واستغناء من قبيل اللف والنشر المرتب (قوله عادتهم الاجرام) اى من حيث انهم مع استكبارهم عن الايمان بالآيات ما كانوا اعدولا فى اديان انفسهم بل كانوا فساقا فى ذلك الدين ايضا وهذا المعنى مستفاد من لفظ كنتم و به يحسن وصف الكافر بكونه مجرما فى معرض الطعن فيه والذم له (قوله تعالى واذا قيل ان وعد الله حق الآية) داخل فى حكم الاستفهام المذكور عطفا على استكبرتم اى اولم يكن الشأن انه اذا قيل لكم ان وعد الله بالبعث والجزاء والعقاب حق والساعة لا ريب فيها وكل واحد من الوعد والموعود حق الاول انه كائن نفسه والثانى بمعنى ان

(هذا كتابنا) اضاف صحائف اعمالهم الى نفسه لانه امر الكتبة ان يكتبوا فيها اعمالهم (ينطق عليكم بالحق) يشهد عليكم بما عملتم بلا زيادة ولا نقصان (انا كنا نستنسخ) نستكتب الملائكة (ما كنتم تعملون) اعمالكم (فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم فى رحمته) التى من جملتها الجنة (ذلك هو الفوز المبين) الظاهر لخلوصه عن الشوائب (واما الذين كفروا) (افلم تكن آياتى تتلى عليكم) اى فيقال لهم ألم تأتكم رسلى فلم تكن آياتى تتلى عليكم فحذف القول والمعطوف عليه اكتفاء بالمقصود واستغناء بالقرينة (فاستكبرتم) عن الايمان بها (وكنتم قوما مجرمين) عادتهم الاجرام (واذا قيل ان وعد الله) يحتمل الموعود والمصدر (حق) كائن هو او متعلقه لا محالة

(والساعة لا ريب فيها) افراد للمقصود وقرأ حمزة بالنصب عطفا على اسم ان (قلتم ماندرى ما الساعة) اى شئ الساعة استغرابا لها (ان نظن الاظنا) اصله نظن ظنا فادخل حرفا النفى والاستثناء لاثبات الظن ونفى ماعداه كأنه قال ما نحن الانظن ظنا اولنفى ظنهم فيماسوى ذلك مبالغة ثم اكده بقوله (ومانحن بمستيقنين) اى لامكانه ولعل ذلك قول بعضهم تحيروا بين ما سمعوا من آبائهم وما تليت عليهم من الآيات فى امر الساعة (وبدالهم) ظهر لهم

متعلقه كائن لامحالة قلتم (قوله وقرأ حمزة بالنصب) اى والباقون برفعها على انها مبتدأ والجملة المنفية بعدها خبرها اوعلى انها معطوفة على اسم ان لانه قبل دخول ان مرفوع بالابتداء اوعلى محل ان واسمها معا على رأى من يقول كلمة ان مع اسمها لها موضع وهو الرفع بالابتداء وما الاولى فى قوله ماندرى ما الساعة نافية والثانية استفهامية فى موضع لرفع على ان الساعة مبتدأ وهى خبرها والجملة فى موضع النصب بقوله ماندرى (قوله اصله نظن ظنا الخ) اشارة الى ان هذه الآية لابدفيها من تأويل لان المصدر الذى يكون للتأكيد لايجوز ان يكون مستثنى مفرغا فلا يقال ماضربت الاضربا بالعدم الفائدة فيه لكونه بمنزلة ان يقال ماضربت الا ضربت فانه قد تقرر فى النحو انه يجوز تفريغ العامل لمابعده من جميع معمولاته مرفوعا كان اوغير مرفوع الاالمفعول المطلق فانه لايفرغ له عامله فلا يقال ماظننت الاظنا لانه لافائدة فيه لكونه بمنزلة تكرير الفعل وهو لايجوز لاتحاد مورد النفى والاستثناء وهو الظن والحصر انما يتصور حيث تغاير موردهما فالمصنف ذكر فى تأويل الآية وجهين تقرير الاول ان مورد النفى محذوف وهو كون المتكلم على فعل من الافعال ومورد الاستثناء كونه يظن ظنا كأنه قيل مانحن نفعل فعلا الانظن ظنا فكلمة الا وان كانت متأخرة لفظا فهى متقدمة فى التقدير فدلول الحصر اثبات الظن لانفسهم ونفى ماعداه ومن جملة ماعداه اليقين الذى هو الاعتقاد الجازم والمقصود نفى اليقين لكنه نفى ماعدا الظن مطلقا للمبالغة فى نفى اليقين ولذلك اكد بقوله ومانحن بمستيقنين وتقرير الوجه الثانى وهو ماذكره بقوله اولنفى ظنهم فيما سوى ذلك عطفا على قوله لاثبات الظن ونفى ماعداه فان متعلق الظن فى الموضعين مقدر الا ان متعلق الاول عام ومتعلق الثانى خاص كأنه قيل مانظن فى شئ من المدركات الاظنا فى هذا المدرك خاصة فاختلف مورد النفى والاستثناء باختلاف متعلق الظن فى الموضعين وفيه مبالغة لاتخفى وقال السكاكى التنكير فى قوله الاظنا للتحقير والمعنى لانظن بالساعة شيئا من الظن الا ظنا ضعيفا لااعتداد به فالمنفى جميع مراتب الظن والمثبت اضعف مراتبه فاختلف مورد النفى والاستثناء بهذا الوجه (قوله ولعل ذلك قول بعضهم) جواب عما يقال ماوجه التوفيق بين قولهم ان هى الاحياتنا الدنيا نموت ونحيى وبين قولهم ان نظن الاظنا ومانحن بمستيقنين فان الاول يدل على انهم قاطعون بنفى البعث والثانى يدل على انهم شاكون فى امكانه ووقوعه وتقريره ان القوم لعلهم كانوا فرقتين فى امر البعث والقيامة فرقة منهم كانت جازمة بنفيهما وهم المذكورون فى قوله تعالى ان هى الاحياتنا الدنيا وفرقة منهم كانت تسك وتتحير فيه من حيث انهم

(لكثرة)

(سيئات ماعملوا) على ماكانت عليه بان عرفوا قبحها وعاينوا خاتمة ما قبحها اوجزآؤها (وحاق بهم ماكانوا به يستهزئون) وهو الجزآء (وقيل اليوم ننساكم) نترككم في العذاب ترك ماينسى (كما نسيتم لقاء يومكم هذا) كما تركتم عدته ولم تبالوا به واضافة اللقاء الى اليوم اضافة المصدر الى ظرفه ومأواكم النار وما لكم من ناصرين) يخلصونكم منها (ذلكم بانكم اتخذتم آيات الله هزوًا) استهزأتم بها ولم تتفكروا فيها (وغرتكم الحياة الدنيا (فحسبتم ان لاحياة سواها (فاليوم لايخرجون منها) وقرأ حمزة والكسائي بفتح الياء وضم الراء (ولا هم يستعتبون) لايطلب منهم ان يعتبوا ربهم اي يرضوه لفوات اوانه (فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين) اذ الكل نعمة منه ودال على كمال قدرته (وله الكبرياء في السموات والارض) اذ ظهر فيها آثارها

لكثرة ماسمعوه من الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم من دلائل صحته ووقوعه صار واشاكين فيه وهم المذكورون في هذه الآية حكى الله تعالى اولاقول من يقطع بنفيه ثم اتبعه بحكاية قول الشاكين (قوله على ماكانت عليه) حال من سيئات ماعملوا على ان المراد منها اعمالهم السيئة ومن ظهورها ظهورها من حيث انها سيئات وقبائح وان كانت في الدنيا مصورة بصورة مستحسنة مشتهاة تميل اليها الطباع والنفوس (قوله بان عرفوا قبحها) متعلق بقوله و بدالهم (قوله اوجزآؤها) اي ويحتمل ان يراد بسيئات اعمالهم جزآء الاعمال السيئة وتكون تسمية الجزآء سيئة من قبيل تسمية المسبب باسم سببه والا فالجزآء عدل فكيف يكون سيئة (قوله نترككم في العذاب ترك مابنسى) اشارة الى انه من قبيل ذكر السبب وارادة المسبب لان من نسي شيئا تركه ويحتمل ان يكون الكلام من قبيل الاستعارة التمثيلية (قوله تعالى ذلكم) اشارة الى الامور الثلاثة التي جمعها الله تعالى عليهم من وجوه العذاب بقوله وقيل اليوم ننساكم ومأواكم النار ومالكم من ناصرين كانه قيل انما صرتم مستحقين لهذه الوجوه الثلاثة من العذاب لانكم أتيتم بثلاثة انواع من الافعال القبيحة الاصرار على انكار الدين الحق والاستهزآء والسخرية والانهماك والاشتغال بلذائذ الدنيا اشار الى الاولين بقوله اتخذتم آيات الله هزوًا والى الثالث بقوله وغرتكم الحياة الدنيا (قوله اي يرضوه) بان يرجعوا عن معصية ربهم الى طاعته بالتوبة عما سلف وباصلاح الحال فيما بقي لان ذلك اليوم لايقبل فيه عذر ولا توبة والاستعتاب طلب الاعتاب وهو الارضاء وازالة العتب (قوله تعالى فلله الحمد الآية) خبر في معنى الامر اي اذا ثبت وتبين في هذه السورة الكريمة ان تنزيلها تنزيل الكتاب الكامل من الله العزيز الحكيم وثبت فيها ايضا مايدل على وحدانيته وكمال قدرته وعلمه وحكمته وثواب من اطاعه فيما امر به ونهى عنه وعقاب من خالفه وعصاه ثبت انه يجب تحميده والثناء عليه وتكبيره وتعظيمه وطاعته في كل ما كلف به فاحمدوه وهو ربكم ورب كل شئ من السموات والارض والعالمين جميعا فان مثل هذه الربوبية العامة توجب الحمد والثناء على كل مربوب وكبروه فقد ظهرت آثار كبريائه وعظمته في السموات والارض وحق لمثله ان يكبر ويعظم فاصل الكلام فلله احمدوا فعدل الى هذه الصيغة للدلالة على طلب دوام تخصيص الحمد به تعالى لانه رب كل شئ فيجب على كل مربوب تخصيص الحمد به دائما وكذا قوله وله الكبرياء اصله والله كبر افعدل اليه لما ذكرنا قرأ العامة بجر

عليه الصلاة والسلام من قرأ حم الجاثية ستر الله عورته وسكن روعته يوم الحساب

(سورة الاحقاف مكية وهى اربع او خمس وثلاثون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق) الا خلقا ملتبسا بالحق وهو ما تقتضيه الحكمة والمعدلة وفيه دلالة على وجود الصانع الحكيم والبعث للمجازاة على ما قررناه مرارا (واجل مسمى) وبتقدير اجل مسمى ينتهى اليه الكل وهو يوم القيامة او كل واحد وهو آخر مدة بقائه المقدر له (والذين كفروا عما انذروا) من هول ذلك الوقت ويجوز ان تكون ما مصدرية (معرضون) لا يتفكرون فيه ولا يستعدون لحلوله (قل ارأيتم ما تدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك فى السموات) اى أخبرونى عن حال آلهتكم بعد تأمل فيها هل يعقل ان يكون لها مدخل فى انفسها فى خلق شئ من اجزاء العالم فيستحق به العبادة

لفظ رب فى المواضع الثلاثة تبعا للجلالة بيانا او بدلا او نعتا للاشارة الى علة اختصاص الحمد به تعالى وقرئ برفع الثلاثة على المدح باضمار هو (قوله وهو العزيز الحكيم) يفيد الحصر يعنى ان العزيز الذى لا يغلب والحكيم فيما قدر وقضى ليس الا هو فعليكم طاعته والحذر من مخالفته والمواظبة على تخصيص التحميد والتكبير به تعالى شانه ثم ما يتعلق بسورة الجاثية والحمد لله وحده والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه اجمعين آمين آمين

(سورة الاحقاف آياتها ثلاثون وخمس آيات مكية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(قوله الا خلقا ملتبسا بالحق) يعنى ان قوله تعالى بالحق متعلق بمحذوف هو صفة لمصدر محذوف اى خلقا ملتبسا بالحكمة والصواب ويجوز ان يتعلق بخلقنا اى ما خلقنا هذه المذكورات الا بسبب اقامة الحق بين الخلق (قوله وبتقدير اجل مسمى) قدر المضاف لان خلق ما ذكر ليس خلقا ملتبسا بالاجل المسمى بل بتقديره فانه تعالى ما خلق هذا العالم ليبقى مخلدا سرمدا بل انما خلقه ليكون دارا للعمل ثم يفنيه وينشئ دار اخرى لتكون دار الجزاء فعلى هذا الاجل المسمى هذا الوقت الذى عينه الله تعالى لافناء الدنيا وهو آخر مدة بقاء هذا العالم والاجل فى اللغة مدة الشئ والمراد به ههنا اما آخر مدة بقاء العالم ومنتهاها او آخر مدة بقاء كل احد وكلمة ما فى قوله تعالى عما انذروا يجوز ان تكون موصولة اى عن الذى انذروه من هول ذلك الوقت وان تكون مصدرية اى عن انذارهم ذلك اليوم وعن متعلقة بالاعراض ثم انه تعالى لما ذكر ما يدل على وجود الاله العزيز الحكيم العدل رتب عليه الرد على عبدة الاصنام فقال قل ارأيتم ما تدعون من دون الله (قوله اى اخبرونى عن حال آلهتكم بعد تأمل فيها) اشارة الى ان النكتة فى التعبير عن الاخبار الذى هو المسبب عن الرؤية هى الحث على النظر والتأمل ثم طلب الاخبار بعده وقوله تعالى أرونى بعد قوله ارأيتم يحتمل ان يكون تأكيدا له لانهما بمعنى اخبرونى وعلى هذا يكون المفعول الثانى لارأيتم هو قوله ماذا خلقوا ومفعول الاول هو قوله ما تدعون ويحتمل ان لا يكون مؤكدا له وعلى هذا تكون المسألة من باب التنازع لان ارأيتم يطلب ثانيا وارونى كذلك وقوله ماذا خلقوا هو المتنازع فيه واعمل فيه الثانى وحذف مفعول الاول وقوله من الارض بيان للابهام الذى هو فى قوله ماذا خلقوا وام فى قوله تعالى ام لهم شرك منقطعة اضرب عن الاستفهام الاول الى الاستفهام عن ان لهم مشاركة مع الله

و تخصيص الشرك بالسموات احترازا عما يتوهم ان للوسائط شركة فى ايجاد الحوادث السفلية (ائتونى بكتاب من قبل هذا) من قبل هذا الكتاب يعنى القرآن فانه ناطق بالتوحيد (او اثارة من علم) او بقية من علم بقيت عليكم من علوم الاولين هل فيها مايدل على استحقاقهم للعبادة او الامر به (ان كنتم صادقين) فى دعواكم وهو الزام بعدم مايدل على الوهيتهم بوجه ما نقلا بعد الزامهم بعدم ما يقتضيها عقلا وقرئ اثارة بالكسر اى مناظرة فان المناظرة تثير المعانى واثرة اى شئ اوثرتم به واثرة بالحركات الثلاث فى الهمزة وسكون الثاء فالمفتوحة للمرة من مصدر اثر الحديث اذا رواه والمكسورة بمعنى الاثرة والمضمومة اسم ما يؤثر (ومن اضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له)

فى ملك السموات وخلقهما فان الشرك بمعنى المشاركة والمعنى ان العبادة عبارة عن الاتيان باكمل وجوه التعظيم فلا تليق الا بمن صدر عنه اكمل وجوه الانعام وهو من تفرد بخلق الكائنات وترزيقهما والتدبير فيها على اصلح الوجوه ومن لايقدر على شئ من اجزاء هذا العالم كيف يجوز اشراكه بالله العزيز الحكيم فانه لايجوز ان يشرك به فى العبادة الا من يشاركه فيما يستحق به العبادة وهو خلق الكائنات وتدبير امرها (قوله وتخصيص الشرك بالسموات) يعنى ان الظاهر فى الاحتجاج على المشركين ان يقال اخبرونى ان الذين تعبدون من دون الله هل يعقل ان يضاف اليهم خلق جزء من اجزاء هذا العالم بالاستقلال فان لم يصح ذلك فهل يتصور ان يقال انهم اعانوا خالق العالم فى خلق جزء من اجزاء العالم اى جزء كان فى السموات والارض فان لم يصح ذلك ايضا صح ان الخالق الحقيقى لهذا العالم هو الله تعالى وانه هو المنعم بجميع اقسام النعم فيجب ان يخص العبادة به تعالى فكيف يصح ان يشرك به غيره فى استحقاق العبادة لكنه عدل عن ان يقال هكذا الى ما عليه نظم التنزيل لانه لو قيل ماذا خلقوا من اجزاء هذا العالم بالاستقلال ام لهم شرك فى خلق جزء من اجزائه لا يحتمل ان يقولوا شرك مانعبده وان لم يكن خالق شئ من اجزاء هذا العالم بالاستقلال الا ان له شركة ومدخلا فى ايجاد الحوادث السفلية من حيث انه تعالى جعله واسطة فى ايجاد تلك الحوادث وجعلها منوطة بتأثيره فلا يتم الاحتجاج عليهم حينئذ (قوله تعالى من قبل هذا) صفة لكتاب اى بكتاب كائن من قبل هذا الكتاب اذ لايمكنكم الاحتجاج بالقرآن لانه ناطق بالتوحيد وبطلان عبادة غير الله تعالى يعنى ان جميع الكتب المنزلة تشهد بما انتم عليه من الشرك وتخليص الاحتجاج عليهم اخبرونى عن دليل عقلى او ائتونى بدليل نقلى اما كتاب منزل او اثر او سنة من آثار الاولين وانما رهم والاثارة البقية من قولهم سمنت الناقة على اثارة من شحم اى على بقية شحم كانت بها من الشحم الاول وهى مصدر على وزن فعالة كالغواية والضلالة وقوله او بقية من علم صفة لاثارة اى بقية كائنة من علم بقيت عليكم من علوم الاولين (قوله وقرئ اثارة بالكسر) مثل اقامة فى انه افعال من ثار الغبار يثور ثورا وثورانا اى سطع واثار غيره اثارة واطلاق لفظ الاثارة على المناظرة من قبيل اطلاق اسم المسبب على السبب لان المناظرة سبب لاثارة المعانى اى ان لم تأتونى بكتاب يشهد بصحة الشرك فأتونى بمناظرة تثير المعانى تشهد بصحة ماانتم عليه (قوله واثرة) هى بفتح الهمزة والثاء اسم من الاستئثار يقال استأثر فلان بالشئ اى استبد به وتفرد فمعنى او اثرة من علم

عبادة السميع المجيب القادر الخبير الى عبادة من لا يستجيب لهم لو سمع دعائهم فضلا ان يعلم سرائرهم ويراعي مصالحهم (الى يوم القيامة) مادامت الدنيا (وهم عن دعائهم غافلون) لانهم اما جمادات واما عباد مسخرون مشغولون باحوالهم (واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء) يضرونهم ولا ينفعونهم (وكانوا بعبادتهم كافرين) مكذبين بلسان الحال او المقال وقيل الضمير للعابدين وهو كقوله والله ربنا ما كنا مشركين (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات) واضحات او مبينات (قال الذين كفروا للحق) لاجله وفي شأنه والمراد به الآيات ووضعه موضع ضميرها ووضع الذين كفروا موضع ضمير المتلو عليهم للتسجيل عليهم بالحق وعليهم بالكفر والانهماك في الضلالة (لما جاءهم) حين ما جاءهم من غير نظر وتأمل (هذا سحر مبين) ظاهر بطلانه (ام يقولون افتراه)

او اثرني اسى او ترثم به و خصصتم من علم لا احاطة لغيركم به والاثرة بفتح الهمزة وسكون الثاء بناء مرة من اثر الحديث وروايته كانه قيل اواثرني بخبر واحد ورواية شاذة رويت عمن اوحي اليهم من الانبياء المتقدمين فاني قدقنعت في الاحتجاج لكم بهذا القدر على قلته وعدم شهرته و شيوعه والاثرة بكسر الهمزة بمعنى الاثرة بفتحتين و بضم الهمزة اسم الحديث المأثور اى المروي كالخطبة اسم لما يخطب به (قوله انكار ان يكون احد اضل من المشركين) وذلك لان من في قوله تعالى ومن اضل استفهامية بمعنى النفي والانكار وهو في موضع الرفع بالابتداء واضل خبره ومن في قوله من لايستجيب له يجوز ان تكون موصولة وان تكون نكرة موصوفة وعلى التقديرين هي في موضع النصب على انها مفعول يدعو اى يدعو من اذادعي لايسمع ولايجيب لافي الحال ولافي المآل الى يوم القيامة وانما جعل ذلك غاية مع ان عدم استجابتهم امر مستمر في الدنيا والآخرة اشعارا بان معاملتهم مع العابدين بعد قيام الساعة اشد وافظع مما وقعت في الدنيا اذ تتجدد هنالك العداوة والتبري نحو قوله تعالى وان عليك لعنتي الى يوم الدين فانه للاشعار بانه اذا جاء ذلك اليوم لقيت ماتنسى معه اللعن (قوله لانهم اما جادات) اى لاتسمع ابدا ان كان المراد بمن لايجيب الاصنام (قوله واما عباد مسخرون) على تقدير ان يكون المراد به الملائكة او عيسى عليه الصلاة والسلام (قوله يضرونهم) لانهم سبب عذابهم لكونهم اما حصب جهنم مقرنون بهم في العذاب واما منكرون لعبادتهم بقولهم ما كانوا ايانا يعبدون فليسوا في الدارين من عبادتهم ودعائهم الاعلى نكر ومضرة وكلمة من وهم وجمع العقلاء للتغليب ان كان المراد كل معبود سوى الله تعالى ولاسناد ما يسند الى العقلاء اليهم من الاستجابة والغفلة ان كان المراد الاوثان ويكون وصفها بترك الاستجابة على طريق التهكم بها و بعبدتها (قوله مكذبين بلسان الحال او المقال) الاول على تقدير ان يكون المراد به العباد المسخرين وقيل الاصنام ايضا تعادي عابديهم بلسان المقال بناء على انه تعالى يحييها يوم القيامة فتتبرأ من عبادتهم قائلة نحن متبرؤن منكم ابدا ما امرناكم بعبادتنا ولا رضينا بها وانما فعلتم ذلك اتباعا لهواكم ولمن سول لكم ذلك ماكنتم ايانا تعبدون وكذلك الجن والشياطين اذا اجتمعوا في النار مع الغاوين يكفر بعضهم بعضا ويلعن بعضهم بعضا (قوله وقيل الضمير للعابدين) عطف على المفهوم مما سبق وهو ان يكون ضمير كانوا للمعبودين اى وقيل معنى الآية اذا حشر الناس وجمعوا يوم القيامة كان من يعبد غير الله اعداء لمعبوديهم لما اصابهم من العقوبة بسبب عبادتهم غير الله ولم يرض المصنف بهذا القول

(اذ لاوجه)

اضراب عن ذكر تسميتهم اياه سحرا الى ذكر ما هو اشنع منه وانكار له وتعجيب (قل ان افتريته) على الفرض (فلا تملكون لى من الله شيئا) اى ان عاجلنى الله بالعقوبة فلا تقدرون على دفع شئ منها فكيف اجترئ عليه و اعرض نفسى للعقاب من غير توقع نفع ولادفع ضر من قبلكم (هو اعلم بما تفيضون فيه) تندفعون فيه من القدح فى آياته (كفى به شهيدا بينى و بينكم) يشهد لى بالصدق والبلاغ وعليكم بالكذب و الانكار وهو وعيد بجزاء افاضتهم (وهو الغفور الرحيم) وعد بالمغفرة والرحمة لمن تاب وآمن و اشعار بحلم الله عنهم مع عظم جرمهم (قل ما كنت بدعا من الرسل) بديعا منهم ادعوكم الى مالا يدعون اليه او اقدر على مالم يقدروا عليه وهو الاتيان بالمقترحات كلها و نظيره الخف بمعنى الخفيف

اذ لا وجه له سواء اريد بمن لا يستجيب الاصنام او العباد المكرمون او ما يعم الجميع اذ لا وجه لان ينادى العبدة الجمادات او العباد المكرمين وان كان مراد القائل ان ضمير كانوا الاولى للمعبودين وضمير الثانية للعابدين كما هو المفهوم من تقرير المصنف كان وجه عدم رضائه به لزوم تفكيك الضمير (قوله اضراب) يعنى ان كلمة ام منقطعة بمعنى بل والهمزة و معنى بل الاضراب عن ذكر سابقا ومعنى الهمزة الانكار والتعجب كانه قيل دع هذا واسمع قولهم المناقض العجيب وهو انهم بتسميتهم اياه سحرا اعترفوا بانه كلام لا يقدر احد على مثله عادة ثم انهم وصفوه عليه الصلاة والسلام بانه تقوله من عند نفسه ثم قال انه كلام الله تعالى افتراء عليه ولو كان الامر كذلك اكانت قدرته عليه دون امة العرب معجزة له لكونه خارقا للعادة وكان ذلك تصديقا له عليه الصلاة والسلام من الله تعالى فلا يكون مفتريا لان الحكيم لا يصدق الكاذب ثم انه تعالى بين بطلان شبهتهم فقال قل ان افتريته الضمير فيه للحق وجواب الشرط محذوف تقدير الكلام ان افتريته على سبيل الفرض عاجلنى الله تعالى بعقوبة الافتراء عليه حذف لدلالة قوله فلا تملكون لى من الله شيئا ومعناه لا تقدرون على دفع عقابه عنى ان افتريت عليه فكيف افترى على الله من اجلكم وانتم لا تقدرون على دفع عقابه عنى ان افتريت (قوله تندفعون فيه) الاندفاع الخوض والسروع بالسرعة وكذا الافاضة يقال اندفع الفرس اى اسرع فى مسيه (قوله بديعا منهم) يعنى ان البدع صفة بمعنى البديع كالخف بمعنى الخفيف والبديع من كل شئ المبتدع الذى لا سبق له والمخترع لا على مثال سبق و يجئ بمعنى المبدع ايضا كما فى قوله بديع السموات والارض لما حكى الله عنهم انهم طعنوا فى الآيات المتلوة عليهم وقالوا فى شأنها هذا سحر مبين وقالوا فى شأن من تلاها عليهم انه اختلقها من عند نفسه ونسبها اليه تعالى بانها كلامه افتراء عليه وانه كاذب فى دعوى الرسالة وكانت لهم مقالات آخر باطلة مثل قولهم ابعث الله بشرا رسولا وقولهم مالهذا الرسول يأكل الطعام و يمشى فى الاسواق وقولهم اجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشئ عجاب وانهم كانوا يقترحون عليه الآيات العظيمة ويسألونه عما لم يوح به اليه من الغيوب امره الله تعالى ان يقول لهم ما كنت بدعا من الرسل اى لست باول مرسل ارسل الى البشر فانه تعالى قد بعث قبلى كثيرا من الرسل وكان كل واحد منهم بشرا يأكل و يشرب و يمشى فى الاسواق وكانوا يدعون الى التوحيد وينهون عن الشرك وعبادة الاصنام وانهم لم يكونوا يأتون من الخوارق والمعجزات الا ما آتاهم الله من آياته ولا يخبرون بكل ما يسألون عنه من المغيبات وانما يخبرون

بما اوحى اليهم منها وانا واحد منهم فكيف تنكرون منى ان ادعى الرسالة مع انى بشر متصف بلوازم البشرية وانا ادعوكم الى التوحيد وانهاكم عن الشرك وانا لااقدر على مالم يقدروا عليه من الاتيان بالمقترحات كلها فان هذه الاشياء لاتقدح فى نبوتى كما لم تكن قادحة فى نبوتهم (قوله وقرئ بفتح الدال) اما على انها صفة كابدع بسكون الدال فان الصفة قد يجئ على وزن فعل كقيم وزيم يقال دين قيم اى ثابت مقرر او مستقيم وزيم روى الجوهرى عن الاصمعى انه قال اللحم الزيم المتفرق ليس بمجتمع فى مكان واما على انه جمع بدعة مقدر بمضاف اى ذابدع والبدعة الامر المخترع الذى لم يكن موجودا قبل (قوله وماادرى مايفعل بى ولا بكم فى الدارين على التفصيل) اختلف فى ان المراد بمانفى عنه علمه مما يفعل به وبهم من احوال الدنيا ام من احوال الآخرة والمصنف حمله على ماهو اعم من احوال الدنيا والآخرة لعموم اللفظ وعدم المخصص ولما ورد ان يقال كيف يصح منه عليه الصلاة والسلام ان يقول ما ادرى مايفعل بى ولا بكم فى الدارين مع انه عليه الصلاة والسلام يعلم انه نبى معصوم من الكبائر والزلات المهلكة وانه قدوة السعداء وان فعهم منزلة فى الدنيا والآخرة وان المؤمنين هم المنصورون وان جند الله هم الغالبون وان حزب الله هم المفلحون وان اولياء الله لاخوف عليهم ولا هم يحزنون وان مصيرهم الى النعيم المقيم ومصير الكفار الى الجحيم اشار الى جوابه بقوله على التفصيل يعنى ان المنفى هو دراية خصوصيات ما يفعل به وبهم فى الدارين على التفصيل وذلك لاينافى كونه عالما بما يفعل به وبهم فى الدارين على الاجمال (قوله ولاتأكيد النفى المشتمل على مايفعل بى) جواب عما يقال من ان قوله بكم فى قوله ولابكم معطوف على بى وهو فى حيز الاثبات لان العامل فيه يفعل وهو مثبت فلم يكن ماعطف عليه من مواضع زيادة لا فكان القياس ان يقال مايفعل بى وبكم وتقرير الجواب ان مايفعل وان كان مثبتا فى نفسه الا ان النفى المذكور فى قوله ماادرى مسلط على مافى قوله مايفعل لانه مفعول الفعل المنفى فيكون مسلطا على مافى حيزها وهو الصلة فيكون يفعل منفيا بهذا الاعتبار فتصح زيادة لا على ماهو معطوف على معموله (قوله وما اما موصولة) يريد بها ما التى فى قوله مايفعل بى لان ما التى فى قوله وما ادرى نافية لاغير واما الثانية ان كانت موصولة تكون منصوبة بقوله ادرى اى لااعرف الذى يفعله الله بى وان كانت استفهامية تكون مرفوعة بالابتداء ويفعل بى خبره والجملة سادة مسد مفعولى ادرى وقد علق عن العمل بالاستفهام والمعنى اى ما ادرى شئ يفعل بى وقرأ العامة يفعل على بناء المفعول وقرئ مبنيا للفاعل اى هو

وقرئ بفتح الدال على انه كقيم او مقدر بمضاف اى ذابدع (وما ادرى ما يفعل بى و لا بكم) فى الدارين على التفصيل اذلاعلم لى بالغيب ولاتأكيد النفى المشتمل على مايفعل بى وما اما موصولة منصوبة او استفهامية مرفوعة وقرئ يفعل اى يفعل الله (ان أتبع الى مايوحى الى) لا اتجاوزه وهو جواب عن اقتراحهم الاخبار عما لم يوح اليه من الغيوب

او استعجال المسلمين ان يتخلصوا من اذى المشركين (وما انا الا نذير) عن عقاب الله (مبين) بين الانذار بالشواهد المبينة والمعجزات المصدقة (قل ارأيتم ان كان من عند الله) اى القرآن (وكفرتم به) وقد كفرتم به ويجوز ان تكون الواو عاطفة على الشرط وكذا الواو فى قوله (وشهد شاهد من بنى اسرائيل) الا انها تعطفه بما عطف عليه على جملة ماقبله والشاهد هو عبد الله ابن سلام وقيل موسى عليه السلام وشهادته ما فى التوراة من نعت الرسول (على مثله) مثل القرآن وهو مافى التوراة من المعانى المصدقة للقرآن المطابقة لها او مثل ذلك وهو كونه من عند الله (فآمن) اى بالقرآن لما رآه من جنس الوحى مطابقا للحق (واستكبرتم) عن الايمان

الله تعالى (قوله اواستعجال المسلمين) مجرور معطوف على اقتراحهم روى انه لما اشتد البلاء باصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة رأى فى المنام انه مهاجر الى ارض ذات نخل وشجر فاخبر به اصحابه فاستبشروا بذلك ورأوا ان ذلك فرج مما هم فيه من اذى المشركين ثم انهم مكثوا برهة من الدهر لا يرون اثر ذلك فقالوا يا رسول الله ما رأينا الذى قلت متى نهاجر الى الارض التى رأيتها فى المنام فسكت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فانزل الله تعالى قل ما كنت بدعا من الرسل وما ادرى ما يفعل بى ولا بكم وهو شئ رأيته فى المنام وانا لا اتبع الا ما اوحاه الله الى ثم انه تعالى لما حكى عنهم انهم قالوا فى حق القرآن هذا سحر مبين قال له عليه الصلاة والسلام قل ارأيتم ان كان من عند الله وكفرتم به اى ألستم ظالمين فحذف لدلالة قوله ان الله لا يهدى القوم الظالمين عليه (قوله وقد كفرتم به) اشارة الى ان الواو فى قوله تعالى وكفرتم به حالية وقد معها مقدرة ثم جوز كونها عاطفة تعطف قوله كفرتم على فعل الشرط قيل وكذا الواو فى قوله تعالى وشهد شاهد فانها ايضا عاطفة تعطف مدخولها بما عطف عليه وهو قوله فآمن واستكبرتم اى تعطف جملة قوله شهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم على جملة قوله ان كان من عند الله وكفرتم به والمعنى ان اجتمع كون القرآن من عند الله مع كفركم به واجتمع شهادة اعلم بنى اسرائيل على نزول مثله وايمانه به مع استكباركم عنه وعن الايمان به ألستم اضل الناس واظلمهم وكيفية شهادته على نزول مثله ان يقول ان مثله قد نزل على موسى عليه الصلاة والسلام فلا تنكروا نزوله على رجل مثله فى كونه مصدقا بالمعجزات القاهرة فان التوراة مثل القرآن من حيث الدلالة على اصول الشرع كالتوحيد والبعث والحساب والثواب والعقاب ونحو ذلك وان اختلفا فى بعض الفروع والاحكام وقيل المثل فى قوله تعالى على مثله صلة والمعنى وشهد شاهد عليه اى على انه من عند الله والفاء فى قوله فآمن للدلالة على ان ايمانه مسبب عن الشهادة على نزول مثله فانه لما علم ان مثله قد انزل على نبى قبله وانه من جنس الوحى لا من كلام البشر وشهد عليه واعترف به كان الايمان نتيجة ذلك فآمن عقب تلك الشهادة بلا مهلة وجعل مجموع قوله وشهد شاهد الآية معطوفا على مجموع قوله ان كان من عند الله وكفرتم به لانه لو جعل وشهد معطوفا على كفرتم لكان قوله واستكبرتم تكرارا لقوله كفرتم من حيث المعنى خاليا عن الفائدة (قوله وقيل موسى عليه الصلاة والسلام) يعنى اختلف فى المراد بقوله وشهد شاهد من بنى اسرائيل فذهب الاكثرون الى ان المراد بهذا الشاهد هو عبد الله بن سلام لما قدم المدينة وقيل انه موسى

عليه الصلاة والسلام (قوله استئناف مشعر بان كفرهم به لضلالهم المسبب عن ظلمهم) فانه تعالى لما وصفهم بالكفر بما هو من عند الله والاستكبار عن الايمان به توجه ان يقال فكيف يكون عاقبة امرهم مع هذا الكفر والاستكبار فاجيب عن هذا القول المتوهم بان الله لايهديهم ماداموا على الوصف المذكور الذي هو ظلمهم لانفسهم فاشعر بنفي هدايته اياهم انهم ضالون و بوضع الظالمين موضع ضميرهم ان سبب ضلالهم هو ظلمهم لانفسهم بالكفر والاستكبار ثم انه تعالى حكى عنهم مقالة اخرى باطلة فقال وقال الذين كفروا للذين آمنوا بعد ما حكى عنهم قولهم للحق وفى شأنه لما جاءهم هذا سحر مبين وقولهم افتراه ومقصودهم بهذه المقالة انكار نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم قيل نزلت حين قال كفار مكة ان عامة من يتبع محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم السقاط يعنون الفقرآء والموالى مثل عمار وصهيب وابن مسعود و بلال رضى الله تعالى عنهم ولو كان هذا الدين خيرا ما سبقنا اليه هؤلاء وقيل لما اسلمت جهينة و مزينة واسلم وغفار قالت بنوا عامر وغطفان واسد واشجع لو كان هذا خيرا ما سبقنا اليه رعاء البهم فنزلت وقيل قالته اليهود حين اسلم عبدالله بن سلام واصحابه فنزلت وقيل كانت بريرة امرأة ضعيفة البصر فلما أسلمت كانت الاشراف من مشركى قريش يستهزئون بها و يقولون لو كان والله ماجاءبه محمد خيرا ما سبقنا اليه بريرة فانزل الله تعالى فيها وفى امثالها هذه الآية قيل لما قدم الرسول المدينة اتاه عبدالله بن سلام ونظر الى وجهه المنير فعلم انه ليس بوجه كذاب وتأمل فى سيرته وكلماته فتحقق عنده انه هو النبى المنتظر الذى بشرهم موسى عليه الصلاة والسلام ببعثه وشهد شاهد على مثل شهادة القرآن حيث قال اشهد انك رسول الله كشهادة القرآن فى نحو قوله محمد رسول الله فآمن بالقرآن و بكونه وحيا الهيا هذا على ان يكون معنى قوله وشهد شاهد على مثله على مثل القرآن وشهادته وقيل معناه على مثل ما قلته من ان القرآن من عند الله على ان يرجع ضمير مثله الى كون القرآن من عند الله المدلول عليه بقوله عليه الصلاة والسلام ان كان من عند الله وانكر جماعة كون المراد بالشاهد المذكور فى هذه الآية عبدالله بن سلام وقالوا ان حم نزلت بمكة وانما اسلم عبدالله بن سلام بالمدينة بعد الهجرة الى المدينة و اجيب بان السورة مكية الاهذه الآية فانها مدنية وكثير اما تنزل الآية فيأمر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان توضع فى سورة كذا فى موضع كذا منها لكونه تعالى امره بذلك ومنها هذه الآية فانها نزلت بالمدينة فان الله تعالى امر رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يضعها فى هذه السورة المكية فى هذا الموضع

﴿ ان الله لايهدى القوم الظالمين ﴾ استئناف مشعر بان كفرهم به لضلالهم المسبب عن ظلمهم ودليل عن الجواب المحذوف مثل ألستم ظالمين ﴿ و قال الذين كفروا للذين آمنوا ﴾ لاجلهم ﴿ لو كان خيرا ﴾ الايمان اوما أتى به محمد عليه السلام ﴿ ماسبقونا اليه ﴾ وهم سقاط اذعامتهم فقرآء وموالى ورعاة وانما قاله قريش و قيل بنوا عامر و غطفان و اسد واشجع لما اسلم جهينة و مزينة و اسلم وغفار وقيل اليهود حين اسلم ابن سلام رضى الله تعالى عنه واصحابه

المعين والجيب ايضا بان قوله وشهد شاهد معطف على الشرط المقدم فيكونان شرطين والمقدر بعدهما وهو نحو قوله ألستم الظالمين جواب عن كل واحد منهما والشرط لايجب حصوله عند التكلم به فلا تكون شهادة عبد الله بن سلام بالمدينة بعد الهجرة منافية لكون الآية نزلت بمكة والتعليق بالشرط المترتب ثم وقوعه كما ذكر ووصف معجزة ظاهرة لكونه اخبارا عن الغيب على ماهو عليه ثم ان من انكر كون المراد بالشاهد المذكور في الآية عبد الله بن سلام قال المراد به موسى عليه الصلاة والسلام فانه عليه الصلاة والسلام شهد على التورات وهي مثل القرآن من حيث اشتمالها على الشهادة بحقية نبوة سيد المرسلين صلى الله تعالى عليه وسلم وسائر ماهو من اصول الدين من التوحيد والترغيب في الطاعة والترهيب عن المخالفة والعصيان ونحو ذلك وقال الامام قيل ليس المراد من الشاهد شخصا معينا بل المراد منه ان ذكر محمد صلى الله تعالى عليه وسلم موجود في التوراة وان البشارة بمقدمه وبعثته حاصلة فيها فتقدير الكلام لوان رجلا منصفا عارفا بالتوراة اقر بذلك واعترف به ثم آمن بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم لكنتم ظالمين لانفسكم ضالين عن الحق وقوله لاجلهم اى لاجل ايمان الذين آمنوا على ان اللام للعلة لاللتبليغ بان يكون المعنى وقال الذين كفروا للذين آمنوا على وجه الخطاب لهم كما تقول قال زيد لعمرو والا لكان الظاهر ان يقال ماسبقتمونا اليه (قوله ظرف لمحذوف) لان اذ لازمة الاضافة وقد اضيف الى قوله لم يهتدوا فلا يعمل فيها لان المضاف اليه لايعمل في المضاف وايضا هي للمضي فلا يعمل فيها قوله فسيقولون لكونه للاستقبال والفعل الاستقبالي لايعمل في الظرف الذي للمضي فلا يقال ساكتب امس والفاء في قوله فسيقولون سببية تقتضي ان يذكر قبلها مايكون سببا لقولهم هذا افك قديم فلذلك قدر مايكون عاملا في الظرف وسببا للقول المذكور والمعنى واذ لم يهتدوا بالقرآن المبين والآيات البينات ظهر عنادهم فسيقولون كذلك هذا افك قديم كما قالوا انه اساطير الاولين ومعنى السين فيه انه يتحقق منهم هذا القول حينا بعد حين مسببا عن العناد والاستكبار (قوله وهو خبر لقوله كتاب موسى) يعني ان قوله كتاب موسى مبتدأ ومن قبله خبره قدم عليه وهذا الخبر المقدم ناصب لقوله اماما على الحالية كقولك في الدار زيد قائما وقال الزجاج انتصب اماما بمادل عليه قوله ومن قبله كتاب موسى لان معناه وتقدمه كتاب موسى اماما اى قدوة يؤتم به في دين الله تعالى وشرائعه كما يؤتم بالامام ورحمة لمن آمن به وعمل بما فيه قال الامام ووجه تعليق هذا الكلام بماقبله ان القوم طعنوا في صحة القرآن وحقية الدين بقولهم لوكان خيرا

(واذ لم يهتدوا به) ظرف لمحذوف مثل ظهر عنادهم وقوله (فسيقولون هذا افك قديم) مسبب عنه وهو كقولهم اساطير الاولين (ومن قبله) ومن قبل القرآن وهو خبر لقوله (كتاب موسى) ناصب لقوله (اماما ورحمة) على الحال (وهذا كتاب مصدق) لكتاب موسى

اولما بين يديه وقد قرئ به (لسانا عربيا) حال من ضمير كتاب في مصدق اومنه لتخصصه بالصفة وعاملها معنى الاشارة وفائدتها الاشعار بالدلالة على ان كونه مصدقا للتوراة كما دل على انه حق دل على انه وحي وتوقيف من الله سبحانه وقيل لسانا عربيا مفعول مصدق اي يصدق ذا لسان عربي باعجازه (لينذر الذين ظلموا) علة مصدق وفيه ضمير الكتاب او الله او الرسول ويؤيد الاخير قراءة نافع وابن عامر والبزي بخلاف عنه ويعقوب بالتاء (وبشرى للمحسنين) عطف على محله (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) جمعوا بين التوحيد الذي هو خلاصة العلم والاستقامة في الامور التي هي منتهى العمل وثم للدلالة على تأخر رتبة العمل وتوقف اعتباره على التوحيد (فلا خوف عليهم) من لحوق مكروه (ولاهم يحزنون) على فوات محبوب والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط اولئك اصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون) من اكتساب الفضائل العلمية والعملية وخالدين حال من المستكن في اصحاب وجزاء مصدر لفعل دل عليه الكلام اي جوزوا جزاء (بل)

ماسبقنا اليه هؤلاء الصعاليك فنزل هذا الكلام استشهادا بحقية التوراة على حقيتهما فكأنه تعالى قال والذي يدل على صحة القرآن والدين انكم لاتنازعون في ان الله تعالى انزل التوراة على موسى وجعله اماما يقتدى به فاقبلوا حكمها في حقية امر محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وحقية كتابه ودينه (قوله اولما بين يديه) من الكتب الالهية مطلقا اي القرآن يصدق الكتب التي قبله اي كتاب كان في ان محمدا عليه الصلاة والسلام رسول من عند الله استشهد على حقية كتاب موسى بكونه اماما يقتدى به في الدين ورحمة لمن آمن به وعمل صالحا بما فيه وعلى حقية القرآن بكونه مصدقا مطابقا له اولجميع مابين يديه من الكتب الالهية (قوله اومنه) اي اوهو حال من كتاب لتخصصه بالصفة فان الحال من النكرة الغير المخصصة يجب تقدمها عليها (قوله وفائدتها) اي وفائدة الحال اوفائدة الصفة من حيث كون نسبتها الى فاعلها مقيدة بمضمون الحال للاشعار بان كون القرآن مصدقا للتوراة حال كونه لسانا عربيا يدل على كونه وحيا الهيا كما ان مجرد كونه مصدقا لهما يدل على انه حق ضرورة ان مايطابق الحق حق واما وجه دلالة التقييد على انه وحي الهي فان مايطابق العبراني حال كونه لسانا عربيا لايتصور صدوره عمن لايعرف اللغة العبرانية فتعين كونه وحيا الهيا وقوله عربيا صفة لكونه لسانا وهو المسوغ لوقوع هذا الجامد حالا فان الحال لابد ان تكون مبينة للهيئة اما بالذات او بالغير والاسم الجامد لايبين الهيئة بالذات فلا يصح ان يقع حالا الا بما يتبعه من الصفة فيكون حالا موطئة (قوله اي يصدق ذا لسان عربي) هو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (قوله علة مصدق) اي ومتعلق به فان المفعول له يكون منصوبا بتقدير اللام اذا اشترك مع فعله في الفاعل بان يكونا فعلين لفاعل واحد ومقارنين له في الزمان فاذا فقد احد الشرطين او كلاهما يكون مجرورا بلام ملفوظة فان قرئ لينذر بياء الغيبة وكان المنوي فيه ضمير الكتاب كان الظاهر ان يقال انذارا وتبشيرا بتقدير اللام فيهما لوجود شرطي النصب فيهما واما ان قرئ بتاء الخطاب اوقرئ بياء الغيبة وكان المنوي فيه ضمير الباري تعالى اوضمير الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فوجه اتيان اللام ظاهر لاختلاف الفاعل فقول المصنف وفيه ضمير الكتاب او الله او الرسول محل بحث وقوله وبشرى في موضع النصب عطفا على محل لتنذر لانه مفعول له وهو من المنصوبات اي للانذار والبشر وقيل الاجود ان يكون قوله وبشرى مرفوع المحل على انه خبر مبتدأ محذوف تقديره وهو بشرى لان نصبه بالحمل على المحل انما يكون اذا كان الاصل في المفعول له مطلقا النصب وليس كذلك

بل الاصل فيه الجر والنصب ناشئ عنه ومتفرع على الحذف والايصال ثم انه تعالى لما بين اختلاف احوال الناس في قبول الدعوة الى الايمان وفي التمرد والاصرار على الشرك والطغيان حيث قال في اول السورة والذين كفروا عما انذروا معرضون ثم ساق الكلام الى ان قال ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلاخوف عليهم الآية انزل قوله ووصينا الانسان بوالديه حسنا الى آخر الآيتين و بين بهما اختلاف احوال الناس في قبول نصيحة الابوين ودعوتهما الى الايمان وعدم قبولهما واذا كان حال الناس مع الوالدين كذلك لم يبعد ان يكون حالهم مع النبي عليه الصلاة والسلام وقومه كذلك كانه يقول امرنا الانسان في حق والديه بالاحسان ثم بين السبب فقال حملته امه كرها ووضعته كرها قرأ غير الكوفيين من السبعة حسنا بضم الحاء وسكون السين وهو مفعول ثان لقوله ووصينا على تضمين التوصية معنى الالزام عدى الى مفعوله الثاني بنفسه باعتبار التضمين كانه قيل الزمناه حسنا اى امرا ذا حسن فحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه ثم حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ولك ان لاتعتبر التضمين وتجعل تقدير الكلام ووصيناه بامر ذي حسن على ان يكون بدلا من قوله بوالديه بدل اشتمال ثم حذف منه ماذكر آنفا وحذف الجار ايضا على طريق الحذف والايصال وعلى قراءة الكوفيين يكون احسانا منصوبا بفعل مقدر اى وصيناه بوالديه بان يحسن اليهما احسانا على ان يكون بدلا من قوله بوالديه ثم حذف الفعل واقيم المصدر مقامه و يحتمل ان يكون مفعولا ثانيا لوصينا على تضمينه معنى الزمناه وان يكون مفعولا له اى وصيناه بهما احسانا منا اليهما (قوله وقرئ حسنا) بفتح الحاء والسين على انه صفة مصدر محذوف اى ايصاء حسنا وقيل هو مصدر ايضا كالحسن ونظيرهما البخل والبخل والشغل والشغل (قوله ذات كره اوحالا ذا كره) على الاول يكون كرها حالا من الفاعل وعلى الثاني يكون صفة لمصدر محذوف مؤكد لفعله والكره والكره لغتان في معنى المشقة كالشرب والشرب والضعف والضعف وقيل المضموم اسم للشئ المكروه قال تعالى كتب عليكم القتال وهو كره لكم والمفتوح مصدر كرهت الشئ اكرهه دلت الآية على ان حق الام اعظم لانه تعالى قال ووصينا الانسان بوالديه حسنا فذكرهما معا ثم خص الام بالذكر في مقام ذكر سبب التوصية وذلك يدل على ان حقها اعظم وان حصول المشاق اليها بسبب الولد اكثر والاخبار في هذا الباب كثيرة (قوله ومدة حمله) قدر المضاف ليصح الاخبار بقوله ثلاثون شهرا ولو لم يقدر المضاف لقيل ثلاثين بالنصب على انه ظرف واقع موقع الخبر وهو خلاف الرواية وايضا دلالة

[Margin:]
(ووصينا الانسان بوالديه حسنا) وقرأ الكوفيون احسانا وقرئ حسنا اى ايصاء حسنا (حملته امه كرها ووضعته كرها) ذات كره او حالا ذا كره وهو المشقة وقرأ الحجازيان وابو عمرو وهشام بالفتح وهما لغتان كالفقر والفقر وقيل المضموم اسم والمفتوح مصدر (وحمله وفصاله) ومدة حمله وفصاله والفصال الفطام ويدل عليه ... ثوب وفصله او ...

على المعنى المراد لايخلو من خلل لان كون الحمل والفصال فى ثلاثين شهرا ليس بصريح فى ان مدتهما تمام ثلاثين شهرا والفصل والفصال كالفطم والفطام بناء ومعنى يقال فطمت الرجل عن عادته اى قطعته عنهما وفطمت الام ولدها اى قطعته عن اللبن ولم ترضعه وفصلت الرضيع عن امه فصلا وفصالا اذا قطعته عنهما وذكر المصنف ان الفصال قد يطلق على وقت الفطام ايضا وابد كون المراد منه فى الآية نفس الفطام بقراءة وفصله لان الفصل لا يطلق الا على وقت الفطام (قوله والمراد به الرضاع التام المنتهى به) جواب عما يقال المراد بيان مدة الرضاع لا الفطام فكيف عبر عنه بالفصال وتقرير الجواب انه لما كان المراد بيان مدة الرضاع التام المنتهى بالفصال عبر عن المراد به تعبيرا عن المراد باسم ما يجاوره و ينتهى هو اليه وهو الفصال فيكون الفصال مجاز امرسلا عن الرضاع التام والعلاقة كون احدهما غاية لاخر و منتهاه وليس المراد به حقيقة الفصال لان المراد بيان مدة الرضاع لا الفصال والنكتة فى ارتكاب المجاز التنبيه على ان المراد بالرضاع التام المنتهى الى الفصال ووقته ولو قيل وحمله ورضاعه ثلاثون شهرا لما كان فى العبارة دليل على كون المدة المذكورة منتهية الى الفصال ونظيره ان الشاعر عبر عن مدة العمر بالامد الذى هو غاية الزمان ونهايته فقال

كل حى مستكمل مدة العمر ❁ ومود اذا انتهى امده

اى هالك اذا انتهى مدة عمره فان الامد يعنى الغاية ولا معنى لان يقال وهالك اذا انتهى غاية عمره فالمراد به مدة العمر عبر به عنها للدلالة على ان المراد المدة التامة المنتهية الى الموت ومود اسم الفاعل من أودى فلان اذا هلك (قوله لانه اذا حط منه للفصال حولان) يعنى انه علم من هذه الآية ان مجموع مدة الحمل والرضاع ثلاثون شهرا وقد عين اربعة وعشرون شهرا للفصال بقوله تعالى والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين فاذا أسقطنا الحولين الكاملين وهى اربعة وعشرون شهرا من ثلاثين شهرا بقى اقل مدة الحمل ستة اشهر وعليه اجماع المسلمين واما اكثر مدة الحمل فليس فى القرآن مايدل عليه قال ابو على ابن سينا بلغنى وصح عندى ان امرأة وضعت بعد الرابعة من سنى الحمل ولدا قد نبتت اسنانه وحكى عن ارسطاطاليس انه قال ازمنة الولادة لجميع الحيوان مضبوطة سوى الانسان فربما وضعت الحبلى لسبعة اشهر وربما وضعت فى الشهر الثامن وقلما يعيش المولود فى الثامن الا فى بلاد معينة مثل مصر والغالب هو الولادة بعد التسع واكثر مدة الرضاع ثلاثون شهرا عند ابى حنيفة خلافا لهما فانهما قالا اكثر مدة الرضاع سنتان وقال زفر ثلاث سنين واحتج ابو حنيفة بقوله تعالى وحمله وفصاله ثلاثون شهرا ووجه

والمراد به الرضاع التام المنتهى به ولذلك عبر به كما يعبر بالامد عن المدة قال كل حى مستكمل مدة العمر ❁ ومود اذا انتهى امده (ثلاثون شهرا) كل ذلك بيان لما تكابده الام فى تربية الولد مبالغة فى التوصية بهما وفيه دليل على ان اقل مدة الحمل ستة اشهر لانه اذا حط منه للفصال حولان لقوله حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة بقى ذلك وبه قال الاطباء

الاحتجاج به انه تعالى ذكر شيئين وضرب لهما مدة واحدة وذلك يقتضى ان يكون جميع المذكور مدة لكل واحد منهما كمن قال اجل الدين الذى على فلان والدين الذى على فلان سنة يفهم منه ان يكون اجل كل واحد من الدينين سنة الا انه قام الدليل على ان مدة الحمل لاتكون اكثر من سنتين وهو قول عائشة رضى الله عنها لايبقى الولد فى بطن امه اكثر من سنتين ولو بقدر ظل مغزل والظاهر انها قالت سماعا لان المقادير لايهتدى اليها الرأى فبقى مدة الفصال على ظاهره ولهما قوله تعالى والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة ولزم ان الرضيع لايمكنه التحول من الرضاع الى الطعام فى ساعة واحدة فلابد من الزيادة على الحولين والحول يصلح لان يكون زمانا للانتقال من حال الى حال لاشتماله على الفصول الاربعة (قوله ولعل تخصيص اقل الحمل واكثر الرضاع) لما جعل الاية دليلا على ان اقل مدة الحمل ستة اشهر وان اكثر مدة الرضاع حولان بما ذكره من الوجه ورد ان يقال لم يتعرض لبيان اكثر مدة الحمل واقل مدة الرضاع فاجاب عنه اولا بان ما تعرض له منضبط حيث لم نر ان المرأة تلد لاقل من ستة اشهر وما جاءت به قبلها سقط وليس بولادة وكذا ما وقع بعد الحولين من الرضاع ليس برضاع اذ الرضاع ما يكون مبنيا على الضرورة ولا ضرورة بعد تمام الحولين وما وقع بعده تناول جزء الادمى عن تشهى كتناول سائر المحرمات فلا يكون رضاعا وما سكت عنه غير منضبط فان النساء قد تلد لتسعة اشهر ولاقل منها ولاكثر وكذا زمان استغناء الولد عن الرضاع غير مضبوط وهو ظاهر وثانيا بان تخصيصهما بالبيان لتحقق ارتباط حكم النسب والرضاع بهما فانه اذا ثبت ان الاشهر الستة اقل مدة الحمل يثبت نسب من ولد فى هذه المدة وتكون امه مصونة عن تهمة الزنى وارتكاب الفاحشة وكذا اذا ثبت ان اكثر مدة الرضاع سنتان علم ان ما حصل بعد هذه المدة من الرضاع لايترتب عليه احكام الرضاع من كون المرضعة اما للرضيع وكون زوجها الذى لبنها منه اباله فيحرم التناكح بينهم ففى تخصيصهما بالبيان فائدة عظيمة هى دفع المضار واندفاع التهمة عن المرأة فسبحان من له تحت كل كلمة من كتابه الكريم اسرار عجيبة ولطائف نفيسة تعجز العقول عن الاحاطة بها (قوله تعالى حتى اذا بلغ اشده) لابد هنا من جملة محذوفة مدلول عليها بقوله وحمله وفصاله ثلاثون شهرا اى فعاش بعد الفصال واستمرت حياته او بقوله ووصينا الانسان اى اخذ ما وصيناه به حتى اذا بلغ اشده بكمال عقله وقوته اوقوله اشده واربعين سنة مفعولا البلوغ اى بلغ وقت اشده وتمام اربعين سنة فحذف المضاف واختلف المفسرون فى تفسير الاشد روى عن ابن عباس انه ثمانى عشرة سنة

ولعل تخصيص اقل الحمل واكثر الرضاع لانضباطهما وتحقق ارتباط حكم النسب والرضاع بهما (حتى اذا بلغ اشده) اذا اكتهل واستحكم قوته وعقله

وقال اكثر المفسرين انه ثلاث وثلاثون سنة لان هذا الوقت هو الوقت الذى يكمل فيه بدن الانسان قال الامام تحقيق الكلام فى هذا المقام ان يقال مراتب سن الحيوان ثلاث وذلك لان بدن الحيوان لايكون الابرطوبة غريزية وحرارة غريزية ولاشك ان لرطوبة الغريزية غالبة زائدة على الحرارة الغريزية فى اول العمر وناقصة فى آخر العمر والانتقال من الزيادة الى النقصان لايقبل حصوله الا اذا حصل الاستواء فى وسط هاتين المدتين فثبت ان مدة العمر منقسمة الى ثلاثة اقسام اولها ان تكون الرطوبة الغريزية زائدة على الحرارة الغريزية وحينئذ تكون الاعضاء قابلة للتمدد فى ذواتها وللزيادة بحسب الطول والعرض والعمق وهذا هو سن النشو والنماء والمرتبة الثانية وهى المرتبة المتوسطة ان تكون الرطوبة الغريزية وافية بحفظ الحرارة الغريزية من غير زيادة ولا نقصان وهذا هو سن الوقوف وهو سن الشباب والمرتبة الثالثة وهى المرتبة الاخيرة ان تكون الرطوبة الغريزية ناقصة عن الوفاء بحفظ الحرارة الغريزية ثم هذا النقصان على قسمين الاول هو النقصان الخفى وهو سن الكهولة والثانى هو النقصان الظاهر وهو سن الشيخوخة وساق الكلام الى ان قال فبلوغ الانسان الى آخر سن الاشد عبارة عن الوصول الى آخر سن النشو والنماء وان بلوغه الى اربعين عبارة عن الوصول الى آخر مدة الشباب ومن ذلك الوقت تأخذ القوى الطبيعية والحيوانية فى الانتقاص والنفس من وقت الاربعين تأخذ فى الاستكمال (قوله قيل لم يبعث نبى الابعد الاربعين) اى سنة قال الامام هذا يشكل بعيسى عليه الصلاة والسلام فانه تعالى جعله نبيا من اول الصبى الا ان يقال الاغلب انه ماجاءه الوحى الابعد الاربعين وهكذا كان الامر فى حق نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم (قوله الهمنى) الجوهرى استوزعت الله شكره فاوزعنى اى استلهمته فالهمنى الراغب اوزعنى معناه الهمنى وتحقيقه اولعنى بكذا اوجعلنى بحيث ازع نفسى عن الكفران يقال وزعته عن كذا اى كففته عنه الجوهرى وزعته ازعه وزعا كففته فاتزع اى كف واوزعته بالشئ اغريته به فهو موزع به اى مغرى به واولعته بالشئ واولع به فهو مولع به بفتح اللام اى مغرى به (قوله وذلك يؤيده ماروى) ذلك مفعول يؤيد واشارة الى ان المراد من النعمة نعمة الدين اوما يعمها وغيرها والمعنى ان ماروى يؤيد كون المراد من النعمة ذلك روى ان ابابكر رضى الله تعالى عنه صحب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى تجارة الى الشام وهو ابن ثمانى عشرة سنة وهو عليه الصلاة والسلام كان ابن عشرين فهو اقل منه عليه الصلاة والسلام سنا بسنتين فلما بلغ اربعين سنة ونبئ واوحى اليه آمن به ابو بكر ثم آمن ابواه ابو

(وبلغ اربعين سنة) قيل لم يبعث نبى الابعد الاربعين (قال رب اوزعنى) الهمنى واصله اولعنى من اوزعته بكذا (ان اشكر نعمتك التى انعمت على وعلى والدى) يعنى نعمة الدين اومايعمها وغيرها وذلك يؤيده ماروى انها نزلت فى ابى بكر رضى الله تعالى عنه لانه لم يكن احد اسلم هو وابواه من المهاجرين والانصار سواه (وان اعمل صالحا ترضاه) نكره للتعظيم اولانه اراد نوعا من الجنس يستجلب رضى الله عز وجل

قحافة عثمان بن عمرو وام الخير بنت صخر بن عمرو فدعا ربه فقال رب اوزعنى ان اشكر نعمتك التى انعمت بها على وعلى والدى بالهداية والايمان وان اعمل صالحا ترضاه قال ابن عباس اجاب الله تعالى دعاء ابى بكر فاعتق تسعة من المؤمنين يعذبون فى الله عز وجل منهم بلال ولم يرد شيئا من الخير الا اعانه الله عليه ودعا ايضا بقوله واصلح لى فى ذريتى فاجابه الله تعالى فلم يكن له ذرية الا آمنوا جميعا فاجتمع له اسلام ابويه واولاده جميعا ولم يكن ذلك لاحد من الصحابة رضى الله تعالى عنهم جميعا واعلم ان هذا الداعى طلب من الله تعالى ثلاثة اشياء احدها ان يوفقه الله تعالى للشكر على النعمة والثانى ان يوفقه للاتيان بالطاعة المرضية عند الله تعالى والثالث ان يصلح له فى ذريته ووجه الترتيب ان مراتب السعادات ثلاث اكملها النفسانية واوسطها البدنية وادونها الخارجية والسعادة النفسانية هى اشتغال القلب بشكر آلاء الله تعالى ونعمائه والسعادة البدنية هى اشتغال البدن بالطاعة والخدمة والسعادة الخارجية هى سعادة الاهل والولد ولما كانت المراتب محصورة فى هذه الثلاثة لاجرم رتبها الله تعالى على هذا الوجه (قوله واجعل لى الصلاح ساريا فى ذريتى) لما ورد ان يقال ان اصلح يتعدى بنفسه قال تعالى واصلحناله زوجه فامعنى تعديته فى الآية بفى اشار الى جوابه بان مطلوبه ان يجعل الله تعالى ذريته محلا للصلاح بان يجعله ساريا وراسخا فيهم بحيث يتمكن فيهم تمكن المظروف فى الظرف وهذا المعنى يستدعى ان يعدى الفعل اليهم بكلمة فى كما عدى بها يجرح فى البيت المذكور مع انه يتعدى بنفسه فيقال جرحه واول البيت قوله

وان تعتذر بالمحل من ذى ضروعها ❊ الى الضيف يجرح فى عراقيبها نصلى

والعراقيب جمع العرقوب وهو العصب الغليظ فى الساق المنتهى الى العقب وضمير تعتذر للناقة والمحل الجدب وهو انقطاع المطر ويبس الارض من الكلاوذى الضروع اللبن اى ان اعتذرت الى الضيف من قلة لبنها بسبب القحط اعرقها واذبحها واجعل نفسها بدلا من اللبن ولم يقل يجرح عراقيبها لما ذكر اى يحدث الجرح فيها ويجعلها محلا له بحيث يتمكن ويستقر فيها ثم ان الداعى استأنف بقوله انى تبت اليك وانى من المسلمين للدلالة على ان الدعاء لا يقع موقع القبول الا مع التوبة وكون الداعى من المسلمين كانه قال انما قدمت على هذا بعد ان تبت من الكفر ومن كل قبيح وبعد ان دخلت فى الاسلام والانقياد لامر الله تعالى وقضائه (قوله فان المباح حسن) اذ لا قبح فيه وهو جواب عما يقال لم قال الله تعالى احسن ما عملوا مع انه يتقبل الاحسن ومادون ذلك وتقرير الجواب ان الحسن من الاعمال هو المباح الذى لا يتعلق به

(واصلح لى فى ذريتى) واجعل لى الصلاح ساريا فى ذريتى راسخا فيهم ونحوه
يجرح فى عراقيبها نصلى
(انى تبت اليك) عما لا ترضاه او يشغل عنك (وانى من المسلمين) المخلصين لك (اولئك الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا) يعنى طاعاتهم فان المباح حسن ولا يثاب عليه

(ويتجاوز عن سيئاتهم) لتسو بتهم وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالنون فيهما (في اصحاب الجنة) كائنين في عدادهم او مثابين اومعدودين فيهم (وعد الصدق) مصدر مؤكد لنفسه فان يتقبل ويتجاوز وعد (الذي كانوا يوعدون) اي في الدنيا (والذي قال لوالديه اف لكما) مبتدأ خبره اولئك الذين حق والمراد به الجنس وان صح نزولها في عبد الرحمن بن ابي بكر رضي الله تعالى عنه قبل اسلامه فان خصوص السبب لا يوجب التخصيص وفي اف قراآت ذكرت في سورة بني اسرآئيل (اتعدانني ان اخرج) ابعث وقرأ هشام اتعداني بنون واحدة مشددة (وقد خلت القرون من قبلي) فلم يرجع واحد منهم (وهما يستغيثان الله) يقولان الغياث بالله منك اويسألانه ان يغيثه بالتوفيق للايمان

ثواب ولاعقاب فلذلك يقال له (قوله وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالنون فيهما) اي بفتح النون مبنيا للفاعل ونصب احسن على انه مفعول به وقرأ الباقون بالياء المضمومة فيهما على بنائهما للمفعول ورفع احسن لقيامه مقام الفاعل والمعنى واحد لان الفعل وان بني للمفعول فمعلوم انه لله تعالى (قوله كائنين في عدادهم) اشارة الى انه في محل النصب على انه حال من ضمير عنهم (قوله مؤكد لنفسه) فانه لما أكد مضمون جملة لا محتمل لها من معنى المصادر غير الوعد صار تأكيد المعنى الوعد الذي تضمنته الجملة المتقدمة فكان تأكيد النفسه كما في قولك له علي الف درهم اعترافا ثم انه تعالى لما وصف الولد البار بوالديه وصف الولد العاق لوالديه فقال والذي قال لوالديه اف لكما قرأ نافع وحفص اف بالتنوين وكسر الفاء وابن كثير وابن عامر بفتح الفاء من غير تنوين والباقون بكسرها من غير تنوين وهو صوت اذا صوت به الانسان علم انه يتضجر واللام في قوله لكما للبيان اي هذا التأفيف لكما خاصة ولاجلكما دون غيركما كافي نحو هيت لك ذهب اكثر المفسرين الى ان الآية نزلت في عبد الرحمن بن ابي بكر رضي الله عنهما قبل اسلامه كان ابواه يدعوانه الى الاسلام والاقرار بالبعث والحساب وهو يأبى وقيل ليس المراد منه شخص معين بل المراد منه كل من دعاه ابواه الى الايمان فاباه وانكره قال الزجاج من اقتفى اثره هذا القول هو الصحيح ثم قال والذي يبطل القول الاول قوله تعالى اولئك الذين حق عليهم القول الآية فانه تعالى بين ان هؤلاء حقت كلمة العذاب عليهم وعبد الرحمن مؤمن من افاضل المسلمين لا ممن حقت عليهم كلمة العذاب والذين يقولون المراد باول الآية عبد الرحمن بن ابي بكر قالوا المراد بقوله تعالى اولئك الذين حق عليهم القول هم القرون الذين خلوا من قبله من المشركين ماتوا قبله لامن ذكر بقوله والذي قال لوالديه اف لكما ومن قال ليس المراد به عبد الرحمن بل كل ولد كان موصوفا بهذه الصفة فانه يقول هذا الوعيد مختص بذلك الولد الموصوف (قوله يقولان الغياث بالله) كما يقال استغفر فلان اذا قال استغفر الله وفعل الاستغاثة يتعدى بنفسه تارة قال تعالى اذ تستغيثون ربكم وقال فاستغاثه الذي وفي الصحاح استغاثني فلان فاغثته وتارة يتعدى بالباء فكان المصنف اشار الى ان الاصل يتعدى بالباء وان معنى وهما يستغيثان الله استعظاما لكفره وانكاره بقولان الغياث بالله منك ومن سوء حالك الا انه حذف الجار واوصل الفعل او ضمن الاستغاثة معنى السؤال فلا يحتاج الى تقدير الجار والواو في قوله وهما واو الحال اي والذي قال

(و يلك آمن) اى يقولان له ويلك وهو دعاء بالثبور بالحث على مايخافه على تركه (ان وعد الله حق فيقول ما هذا الا اساطير الاولين) اباطيلهم التى كتبوها (اولئك الذين حق عليهم القول) بانهم اهل النار وهو يرد النزول فى عبد الرحمن لانه يدل على انه من اهلها لذلك وقد جب عنه ان كان لاسلامه (فى امم قد خلت من قبلهم) كقوله فى اصحاب الجنة (من الجن والانس) بيان للامم (انهم كانوا خاسرين) تعليل للحكم على الاستئناف (ولكل) من الفريقين (درجات مما عملوا) مراتب من جزآء ماعملوا من الخير والشر او من اجل ماعملوا والدرجات غالبة فى المثوبة وههنا جاءت على التغليب (وليوفيهم اعمالهم) جزآءها وقرأ نافع وابن ذكوان وحمزة والكسائى وابن عامر بالنون (وهم لايظلمون) بنقص ثواب وزيادة عقاب (ويوم يعرض الذين كفروا على النار) يعذبون بها وقيل تعرض النار عليهم فقلب مبالغة كقولهم عرضت الناقة على الحوض

لوالديه اف لكما وهما يستغيثان الله لان الغوث بالتوفيق للايمان (قوله ويلك) منصوب على انه مفعول مطلق لفعل محذوف ملاق له من حيث المعنى دون الاشتقاق مثل ويحه وويسه وويبه وهو من المصادر التى لم تستعمل افعالها اى اهلكك الله ويلا اى اهلاكا فحذف الفعل واضيف المصدر الى مفعوله وقيل انتصابه على انه مفعول به لفعل مقدر اى الزمك الله ويلك وعلى التقديرين الجملة معمولة لقول مقدر منصوب على الحالية اى يستغيثان الله قائلين ذلك وهو دعاء عليه بالثبور والمراد الحث على الايمان لاحقيقة الهلاك قال صاحب الكشف الويل فى الاصل دعاء بالثبور اقيم مقام الحث على الفعل او تركه اشعارا بان ماهو مرتكبه حقيق بان يهلك مرتكبه وان يطلب له الهلاك فاذا سمع المخاطب ذلك كان سماعه باعثا على ترك ماهو فيه والاخذ بما ينجيه وهوهنا الايمان بالله تعالى وبالبعث قرأ الجمهور ان وعد الله بالكسر على الاستئناف والتعليل وقرئ ان بالفتح على ان التقدير من ان وعد الله فحذف الجار واوصل الفعل فيقول الولد لهما ماهذا الذى تقولانه من امر البعث وتدعواننى الى الايمان به الا اساطير الاولين (قوله لانه يدل) اى لان نزول الآية فى حقه يدل على انه من اهل النار لذلك اى لسبب اتصافه بمضمون الصلة وهو تأفيفه لوالديه وانكاره البعث وانه اساطير الاولين وقوله لذلك مستفاد من تعقيب المشار اليه بالاوصاف المذكورة من التأفيف واخويه فان الحكم على مثل هذا المشار اليه من قبيل تعليق الحكم على الموصوف فيفهم منه علية الوصف لذلك الحكم كما ذكر فى بحث تعريف المسند اليه بالاشارة (قوله وقد جب عنه) حال من المنوى فى قوله من اهلها والجب القطع اى وقد قطع عن كونه من اهل النار ان كان موصوفا بمضمون ماذكر من الصلة بسبب اسلامه (قوله مراتب من جزآء ماعملوا) لما ورد على ظاهر الآية ان يقال كيف يجوز ان يقال فى حق اهل النار ان لهم درجات مع ان الدرجات انما تطلق على مراتب اهل الجنة واما مراتب اهل النار فانما يطلق عليها الدركات اشار الى جوابه بان الامر كذلك فى عرف الشرع الا ان المراد بالدرجات هنا مطلق المراتب على طريق عموم المجاز بقرينة قوله ولكل فانه لما حكم على الدرجات بكونها ثابتة لكل واحد من الفريقين وجب حملها على المراتب مطلقا او على انها اطلقت على جزآء الخير والشر جميعا على جهة التغليب ثم اشار الى ان كلمة ما فى قوله ما عملوا موصولة بتقدير المضاف ومن بيانية او بمعنى الاجل وقوله او الدرجات عطف على قوله مراتب (قوله تعالى وليوفيهم) سوآء قرئ بالياء من تحت او بالنون علته متعلقة بمحذوف اى وجعل الله ذلك ليوفيهم جزآء اعمالهم فحذف

للضاف اووجعلنا ذلك لنوفيهم ثم انه تعالى لمابين انه يوصل حق كل احداليه بين احوال اهل العقاب او لاقفال و يوم يعرض الذين كفروا على النار و يوم منصوب بقول مقدر اى يقال لهم اذهبتم يوم عرضهم والعرض يتعدى باللام و بعلى يقال عرضت له امر كذا وعرضت عليه النبي اى اظهرته له وابرزته قال تعالى وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا قال القرآء ابرزناها حتى نظر اليها الكفار فالمعروض عليه اوله يجب ان يكون من اهل الشعور والاطلاع والنار ليست منه فلابد ان يحمل العرض على التعذيب مجازا بطريق التعبير عن الشئ باسم مايؤدى اليه كما يقال عرض بنوا فلان على السيف اذا قتلوا به او يحمل باقيا على اصل معناه و يكون الكلام محمولا على القلب والاصل و يوم تعرض النار على الذين كفروا اى تظهر وتبرز عليهم بحيث ينظرون اليها ظاهرة مكشوفة و يحضرون عندها قبل ان يلقون فيها فيقال لهم اذهبتم الخ اى استوفيتم والنكتة فى اعتبار القلب المبالغة بادعاء ان النار ذات تمييز وقهر وغلبة (قوله غير ان ابن كثير يقرأ بهمزة ممدودة) لان الف الاستفهام دخلت على همزة القطع مسهلة بين الهمزة والالف ولم يدخل بينهما الف وهومذهبه فى نحوه انذرتهم فتكون الهمزة المسهلة بمنزلة حرف المد للهمزة المحققة (قوله وهما يقرءآن بها) اى بهمزة ممدودة كابن كثير هذا على رواية هشام عن ابن عامر و يقرءآن بهمزتين محققتين ايضا اى من غير تسهيل الثانية وقرأ الباقون بهمزة واحدة على الخبر دون الاستفهام الا انه من حيث المعنى كالقرآءة بهمزة الاستفهام فان معنى الاستفهام فيها التقرير والتوبيخ كما فى قوله تعالى اكفرتم بعد ايمانكم فكذا المعنى فى القرآءة على الخبر فان العرب توبخ بالخبر كما توبخ بالاستفهام (قوله فما بقى لكم منها شئ) استفاد معنى العموم من اضافة الطيبات لان اضافة الجمع تفيد العموم (قوله بسبب الاستكبار والفسوق) اشارة الى ان الباء فى قوله بما كنتم فى الموضعين سببية وما فيهما مصدرية وعذاب الهون معناه العذاب الذى فيه ذل وهو ان علل الله تعالى ذلك العذاب بامرين احدهما الاستكبار عن قبول الدين الحق والايمان بمحمد سيد المرسلين صلى الله تعالى عليه وسلم وهو ذنب القلب والثانى الفسق والمعصية بترك المأمور به وفعل مانهى عنه وهو ذنب الجوارح وقدم الاول على الثانى لان ذنب القلب اعظم تأثيرا من ذنب الجوارح لما كان اصرار كفار مكة على الشرك لانهماكهم فى لذات الدنيا كما يدل عليه قوله تعالى فى حقهم اذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا قال تعالى واذكر اخا عاد اى واذكر لقومك هذه القصة ليعتبروا او يخافوا

(اذهبتم) اى يقال لهم اذهبتم وهو ناصب اليوم وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالاستفهام غير ان ابن كثير يقرأ بهمزة ممدودة وهما يقرءآن بها وبهمزتين محققتين (طيباتكم) لذائذكم (فى حياتكم الدنيا) باستيفائها (واستمتعتم بها) فما بقى لكم منها شئ (فاليوم تجزون عذاب الهون) الهوان وقد قرئ به (بما كنتم تستكبرون فى الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون) بسبب الاستكبار الباطل والفسوق عن طاعة الله وقرئ تفسقون بالكسر

مثل ما لهم فان قوم عاد كانوا اكثر اموالا وقوة وجاها من قومك مع انه تعالى سلط عليهم العذاب بكفرهم فليعتبروا بما لهم وليتركوا الاغترار بما عندهم من زخارف الدنيا وليقبلوا على طلب الدين الحق فان الفائز من اتبع الحق لا من اتبع الهوى والشهوات (قوله يعني هودا) عليه الصلاة والسلام فانه نسيب عاد واحد منهم (قوله اذ انذر) بدل من اخا عاد بدل اشتمال (قوله من احقوقف الشئ) يريد ان بينهما اشتقاقا لان الحقف مشتق من احقوقف وليس الامر كذلك بل الامر بالعكس (قوله بأسحر) وهو اسم موضع من بلاد اليمن الجوهري سحر عمان وسحر عدن هو ساحل البحر بين عمان وعدن (قوله الرسل) على ان يكون النذر جمع نذير بمعنى المنذر وقيل انه فعيل بمعنى الانذار (قوله والجملة حال) من فاعل انذر او مفعوله اى انذرهم معلما اياهم بخلو النذر قبله وبعده فانه على تقدير ان يكون قوله وقد خلت حالا وقيدا لانذاره قومه لابد من اعتبار علم القوم بمضمون تلك الجملة ليكون اعتبار ذلك القيد مفيدا كما في قوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم اى اتكفرون والحال انكم عالمون بهذه القصة فان قلت ما معنى انذرهم معلما اياهم بخلو النذر قبله وبعده مع ان المنذرين الذين سيبعثون بعده لا يصح ان يقال انهم خلوا ومضوا على زمانه قلت هو اما من باب ❊ علفتها تبنا وماء باردا ❊ والتقدير هنا وقد خلت النذر من بين يديه وتأتي من خلفه واما من قبيل تنزيل الآتي منزلة الماضي لكونه محقق الوقوع وهذا هو الملائم لفصاحة الكتاب المعجز (قوله او اعتراض) اى ويجوز ان تكون الجملة معترضة بين انذر وبين ان لا تعبدوا اى انذرهم بان لا تعبدوا الا الله او ان لا تعبدوا على ان تكون ان مصدرية او مفسرة لان انذر في معنى القول اى نهاهم عن الشرك وانذرهم عن مضرته وقد انذر من تقدم من الرسل ومن يأتي بعده مثل ذلك (قوله لتصرفنا) فان الافك مصدر افكه يأفكه افكا اى قلبه وصرفه عن الشئ (قوله سحابا عرض في افق من السماء) يعني ان العارض السحابة التي تعرض اى تبدو وترى من ناحية من السماء ثم تطبق السماء اى تغطيها وتصيب مطرها جميع الارض والضمير المرفوع في قوله تعالى فلما رأوه يرجع الى ما في قوله بما تعدنا اى فلما رأوا الموعود به من العذاب عارضا حال او تمييز لان قوله رأوه من رؤية العين (قوله والاضافة فيه لفظية لكونها من قبيل اضافة اسم الفاعل الى مفعوله اى عارضا مستقبلا اوديتهم متوجها اليها وكذا اضافة ممطرنا فان اصله ممطر لنا اى يأتينا بالمطر فلذلك لم تفد الاضافة فيهما تعريفا للمضاف

فيه انحناء من احقوقف الشئ اذا اعوج وكانوا يسكنون بين رمال متسرفة على البحر بأسحر من اليمن (وقد خلت النذر) الرسل (من بين يديه ومن خلفه) قبل هود وبعده والجملة حال او اعتراض (الا تعبدوا الا الله) اى لا تعبدوا او بان لا تعبدوا فان النهي عن الشئ انذار عن مضرته (اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم) هائل بسبب شرككم (قالوا أجئتنا لتأفكنا) لتصرفنا (عن آلهتنا) عن عبادتها (فأتنا بما تعدنا) من العذاب على الشرك (ان كنت من الصادقين) في وعدك (قال انما العلم عند الله) لا علم لي بوقت عذابكم ولا مدخل لي فيه فأستعجل به وانما علمه عند الله فيأتيكم به في وقته المقدر له (وابلغكم ما ارسلت به) اليكم وما على الرسول الا البلاغ (ولكني اراكم قوما تجهلون) لا تعلمون ان الرسل بعثوا مبلغين منذرين لا معذبين مقترحين (فلما رأوه عارضا) سحابا عرض في افق من السماء (مستقبل اوديتهم) متوجه

(بل هو) اى قال هود عليه الصلاة والسلام بل هو (ما استعجلتم به) من العذاب وقرئ قل بل (ريح) هى ريح ويجوز ان يكون بدل ما (فيها عذاب اليم) صفتها ﴿ ١٧٠ ﴾ وكذلك قوله (تدمر) تهلك (كل شئ) من نفوسهم واموالهم (بامر ربها) اذ لا توجد نابضة حركة ولا قابضة سكون الا بمشيئته وفى ذكر الامر والرب واضافته الى الريح فوائد سبق ذكرها مرارا وقرئ يدمر كل شئ من دمر دمارا اذا هلك فيكون العائد محذوفا او الهاء فى ربها ويحتمل ان يكون استئنافا للدلالة على ان لكل شئ ممكن فناء مقضيا لا يتقدم ولا يتأخر ويكون الهاء لكل شئ فانه بمعنى الاشياء (فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم) اى فجاءتهم الريح فدمرتهم فاصبحوا بحيث لو حضرت بلادهم لا ترى الا مساكنهم وقرأ عاصم وحمزة والكسائى لا يرى الا مساكنهم بالياء المضمومة ورفع المساكن (كذلك نجزى القوم المجرمين) روى ان هودا عليه السلام لما احس بالريح اعتزل بالمؤمنين فى الحظيرة وجاءت الريح فامالت الاحقاف على الكفرة وكانوا تحتها سبع ليال وثمانية ايام ثم كشفت عنهم واحتملتهم وقذفتهم فى البحر (ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه) ان نافية (الله) وهى احسن من ما ههنا لانها توجب التكرير لفظا ولذلك قلبت الفها هاء فى مهما او شرطية محذوفة الجواب

وهما مضافان الى معرفتين فصح كونهما صفتين للنكرة فان مستقبل صفة لقوله عارضا وممطرنا صفة لقوله عارض (قوله اى قال هود بل هو) احتاج الى اضمار القول لان الاضراب المذكور لا يصح ان يكون مقولا لمن قال هذا عارض وهو ظاهر وتعين كون القائل هودا عليه الصلاة والسلام مستفاد من قراءة ابن مسعود رضى الله عنه قال هود بل هو ولان الكلام فيما سبق انما وقع بينه وبينهم ولو قدر قال الله بل هو ما استعجلتم به لانفك النظم (قوله هى ريح الخ) يعنى ان قوله ريح يجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف اى هى ريح وان يكون بدلا من ما فى قوله بل هو ما استعجلتم (قوله وقرئ يدمر كل شئ) بالياء التحتانية المفتوحة وسكون الدال وضم الميم ورفع كل على انه فاعل يدمر من دمر الشئ يدمر دمارا اذا هلك وعلى هذه القراءة يكون العائد الى الموصوف محذوفا والتقدير يدمر كل شئ بها فهو بها عاصفة ويجوز ان يكون العائد الضمير المجرور فى ربها ويحتمل ان لا تكون الجملة صفة بل استئنافا وقوله كل شئ عبارة عن الكثرة لانه كم من شئ لم تدمره تلك الريح وكون التدمير بامر رب الريح معناه ان الدمار ليس يقتضيه طبيعة الريح لذاتها وليس من باب تأثيرات الكواكب والقرانات ايضا بل هو امر حدث ابتداء بقدرة الله تعالى لاجل تعذيبكم (قوله اذ لا توجد نابضة حركة) علة لكون كل ممكن ليس له قيام بنفسه يقال نبض العرق اى تحرك (قوله وفى ذكر الامر والرب واضافته الى الريح فوائد) فان الريح ليست من العقلاء المميزين حتى تكون مأمورة بالتدمير من قبله تعالى وانه تعالى رب كل شئ وليست ربوبيته بالنسبة الى الريح فقط حتى يضاف الرب اليها الا انه اضيف اليها الرب للدلالة على عظم شأنها بكونها منسوبة اليه تعالى ومظهرا من مظاهر قدرته وعلى عظم شأن خالقها ويكون مثل هذا الشئ العظيم مملوكا له تعالى ومنقادا لتصرفه فان تصريفه تعالى اياها من جهات مختلفة على وجوه متباينة يدل على كمال قدرته ونفوذ مشيئته واكد هذا المعنى بذكر الامر وجعلها مأمورة من قبله عز وجل تشبيها لها بالعقلاء المميزين الذين لا يتوقفون فى امتثال امر الآمر المطاع من حيث كونها منقادة مطاوعة لارادة الله تعالى وتكوينه فيها ما شاء روى انه احتبس عنهم المطر اياما فبعثوا قوما الى الكعبة للاستسقاء فجاؤها فاستسقوا لقومهم واظهر الله تعالى لهم ثلاث قطع من السحاب على الوان مختلفة فقيل لهم اختاروا لقومكم واحدة من هذه القطع فاختاروا قطعة سوداء منها وقالوا انها اكثر مطر افساقها

الله تعالى الى ديارهم فخرجت عليهم من واديهم يقال له المغيث فلما رأوها استبشروا فقالوا هذا عارض ممطرنا فاجابهم هود بان قال بل هو ما استعجلتم به لقولكم فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين فرأوا ما كان خارجا من ديارهم من الرجال والمواشي تطير بهم الريح بين السماء والارض فدخلوا بيوتهم واغلقوا ابوابهم فجاءت الريح فقلعت الابواب وصرعتهم وامالت عليهم الرمال فكانوا تحت الرمل سبع ليال وثمانية ايام لهم انين ثم امر الله تعالى الريح فكشفت عنهم الرمال فاحتملتهم ورمت بهم في البحر ولم يبق الا هود ومن آمن به وكانوا قد اعتزلوا منهم ودخلوا في حظيرة وكانت التي تصيبهم ريحا طيبة هادية وكون الريح في حقهم بهذا الوصف وفي حق الكفرة بما ذكر من الشدة معجزة له عليه الصلاة والسلام (قوله والتقدير ولقد مكناهم في الذي اوفي شيء) اشارة الى ان ما يجوز ان تكون موصولة وما بعدها صلتها وان تكون موصوفة وما بعدها صفتها وذكر لكلمة ان ثلاثة اوجه الاول انها نافية بمعنى ما وعدل عنها الى ان كراهة اجتماع المثلين كما قلبت لذلك الفها هاء في مهما اصله ما ما عند الخليل والثاني انها شرطية والجملة الشرطية صلة ما اوصفتها وجواب الشرط محذوف والثالث انها صلة كما في قوله

يرجي المرء ما ان لايراه ❊ ويعرض دون ادناه الخطوب

اي يؤمل ما لا يراه ولايصل اليه والخطوب جمع خطب وهو الامر والشأن العظيم اي تعرض الخطوب بينه وبين ادنى شيء مما يؤمله فلايمكنه الوصول الى ادنى شيء منه والمعنى حينئذ ولقد مكناهم فيما مكناكم فيه وان احوالهم كانت كاحوالكم ولستم باكثر منهم مكنة وقدرة فاذا قدرنا على اهلاكهم فنحن قادرون على اهلاككم ايضا وكونها نافية اصح الوجوه والمعنى حينئذ مكناهم فيما لم نمكنكم فيه من قوة الابدان وطول العمر وكثرة الارزاق والاموال ثم انهم مع هذه القوة والبسطة ما نجوا من عقاب الله تعالى فكيف يكون حالكم ثم انه تعالى ذكر من جملة ما انعم به عليهم ما يكون سببا لنجاتهم من عذابه ولنيل رحمته واحسانه فانهم ان استعملوا اسماعهم في سماع الدلائل وابصارهم في ان ينظروا بها في ملكوت السموات والارض ويشاهدوا عجائب مصنوعاته ويستدلوا بافئدتهم على معرفة الله وكمال قدرته ودقائق حكمته حيث هيأ لهم مما ينتظم به احوالهم ما تعجز عن احاطته افكار اولى الالباب فما استعملوا هذه القوى فيما يسعدهم بل صرفوها الى طلب الدنيا ولذاتها فلا جرم ما اغنى عنهم شيء منها من عذاب الله تعالى وما في قوله فما اغنى عنهم نافية لا استفهامية لان قوله من شيء يأبى عن كونها استفهامية اذ يصير التقدير حينئذ اي شيء اغنى عنهم من شيء (قوله صلة لما اغنى) اي ظرف معمول له منصوب به

والتقدير ولقد مكناهم في الذي اوفي شيء ان مكناكم فيه كان ايغيكم اكثر اوصلة كما في قوله يرجي المرء ما ان لايراه ❊ ويعرض دون ادناه الخطوب والاول اظهر واوفق كقوله هم احسن اثاثا كانوا اكثر منهم واشد قوة وآثارا (وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة) ليعرفوا تلك النعم ويستدلوا بها على مانحها ويواظبوا على شكرها (فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شيء) من الاغناء وهو القليل (اذ كانوا يجحدون بآيات الله) صلة لما اغنى وهو ظرف جرى مجرى التعليل من حيث ان الحكم مرتب على ما اضيف اليه وكذلك حيث

(وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤون) من العذاب (ولقد اهلكنا ما حولكم) يا اهل مكة (من القرى) كحجر ثمود وقرى قوم لوط (وصرفنا الآيات) بتكريرها (لعلهم يرجعون) عن كفرهم (فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة) فهلا منعهم من الهلاك آلهتهم الذين يتقربون بهم الى الله حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله واول مفعولي اتخذ الراجع الى الموصول المحذوف وثانيهما قربانا وآلهة بدل او عطف بيان او آلهة وقربانا حال او مفعول له على انه بمعنى التقرب وقرئ قربانا بضم الراء

اى ما غنى عنهم وقت كونهم جاحدين وهذا ظرف يفيد فائدة التعليل بان يقال لانهم كانوا يجحدون اذ لا فرق بين ان يقال ضربته لاساءته وضربته اذ أساء فان الضرب لما كان مترتبا على ما اضيف اليه الظرف وهو الاساءة كان المضاف اليه بمنزلة العلة وكذلك حيث فانه ايضا ظرف جار مجرى التعليل من حيث ان ما اضيف اليه يترتب عليه الحكم ترتب المعلول على علته (قوله ما كانوا به يستهزؤون من العذاب) فان قولهم فائتنا بما تعدنا من العذاب استهزاء به (قوله كحجر ثمود) الحجر منازل ثمود في ناحية الشام وقرى قوم لوط في ارض سدوم بالشام وقرى قوم هود باليمن فانها جميعا قريب من بلاد الحجاز والمراد باهلاك القرى المهلكة باليمن والشام اهلاك اهلها ولذلك قال لعلهم يرجعون اى لكي يرجعوا عن كفرهم فان قيل دل ذلك على انه تعالى اراد رجوعهم ولم يرد اصرارهم وهو مذهب المعتزلة القائلين بجواز تخلف مراد الله تعالى عن ارادته والجواب ان المعنى انه تعالى فعل ما لو فعله غيره لكان ذلك لاجل الارادة المذكورة كالاختبار والامتحان اذا اسند اليه تعالى والمقصود من الآية تبكيت مشركي مكة وابطال زعمهم ان الاصنام شفعاؤهم عند الله وانهم يتقربون بها اليه تعالى كانه قيل كيف تزعمون ذلك الا ترون انا اهلكنا عبدة الاصنام الساكنين في حوالي بلاد الحجاز فهلا نصرهم اصنامهم قطع المصنف بان المفعول الاول لقوله تعالى اتخذوا محذوف وهو العائد الى الموصول ثم ذكر ان مفعوله الثاني اما قربانا واما آلهة ثم ذكر انا ثاني ان كان قربانا يكون آلهة اما بدلا من قربانا او عطف بيان له وان كان الثاني آلهة يكون قربانا اما حالا من آلهة قدم عليها لكون ذي الحال نكرة او مفعولا له على انه مصدر بمعنى التقرب كالكفران والسكران والغفران وهو في سائر الاحتمالات اسم بمعنى ما يتقرب به وقال صاحب الكشاف لا يصح ان يكون قربانا مفعولا ثانيا وآلهة بدلا منه لفساد المعنى ولم يذكر وجه الفساد ولعل وجه الفساد ان قوله من دون الله يأبى عن كون قربانا مفعولا وذلك لان المعنى يصير حينئذ اتخذوهم ما يتقرب بهم متجاوزين عن الله والمفهوم منه انه تعالى ذمهم بانهم لم يتخذوه تعالى ما يتقرب به بل عدلوا عنه واتخذوا الاصنام قربانا وهذا معنى فاسد لانه تعالى لا يتقرب به بل يتقرب اليه وهذا الفساد لا يتجه على تقدير ان يكون آلهة مفعولا ثانيا وقربانا حالا دخلت بين المفعولين لان معنى الذم حينئذ يكون متوجها الى ترك اتخاذ الله تعالى الها معبودا بالحق والعدول الى اتخاذ آلهة يتقربون اليها ولم يلتفت المصنف الى ما قاله لان معنى الذي على تقدير ان يكون قربانا مفعولا ثانيا وآلهة بدلا منه يكون متوجها الى عدولهم

(عن)

عن عبادة الله تعالى الى عبادة الآلهة لان قربانا لما كان بدلا منه كان فى حكم الساقط وكان المفعول الثانى بحسب المعنى آلهة وكان المعنى اتخذوهم آلهة من دون الله والحال ان الاله هو الله وحده ولا فساد فى هذا المعنى (قوله غابوا عن نصرهم) اى ليس المراد غيبة الالهة بايا نها عنهم ولاضياعها وهلاكها فى انفسها فان الضلال قد يكون بمعنى الهلاك كما فى قوله تعالى ان المجرمين فى ضلال وسعر اى فى هلاك ويقال ضل الشئ يضل ضلالا اى ضاع وهلك وقد يكون بمعنى الغيبة كما فى قوله تعالى أئذا ضللنا فى الارض فانه بمعنى خفينا وغبنا كما فى قولهم ضل اللبن فى الماء وليست آلهة المشركين غائبة عنهم بذواتها ولا ضالة هالكة فى انفسها وقوله ضلوا عنهم استعارة تبعية شبهت الالهة بالاشياء الغائبة عنهم فى عدم نفعهم بها عند نزول العذاب وامتناع الاستمداد بها امتناع الاستمداد بمن ضل وغاب وهذا هو الذى اراده المصنف بقوله غابوا عن نصرهم (قوله صرفهم عن الحق) وهو التوحيد والطاعة اختار قرآءة من قرأ وذلك افكهم بالفتحات الثلاث على انه فعل ماض من افكه يأفكه بفتح العين فى الماضى وكسرها فى الغابر أفكا بفتح الهمزة وسكون الفاء اى قلبه وصرفه عن الامر فيكون ما فى قوله وما كانوا يفترون مصدرية فى موضع الرفع بالعطف على المبتدأ وهو ذلك وقيل على الضمير المرفوع فى افكهم وحسن ذلك للفصل بينهما بالضمير المنصوب فقام ذلك مقام التأكيد ويكون المعنى حينئذ وذلك الاتخاذ الذى كان مؤداه امتناع ما اتخذوه قربانا عن نصرهم وامتناع ان يستمدوا به امتناع الاستمداد بالضال صرفهم عن التوحيد والطاعة وكونهم مفترين على الله باتخاذ الشركاء وقرأ الجمهور وذلك افكهم بكسر الهمزة وسكون الفاء فيكون ذلك اشارة الى امتناع النصرة وضلالهم عنهم ويكون الافك مصدر أفك يأفك بمعنى كذب يكذب ويقدر المضاف قبل الافك ويكون المعنى وذلك الذى اصابهم من امتناع النصرة وامتناع الاستمداد بما اتخذوه سبب التقرب اليه تعالى اثر كذبهم الذى هو قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله وانهم يستحقون العبادة لكونهم قربانا وأثر كونهم مفترين على الله تعالى على ان يكون قوله وما كانوا يفترون معطوفا على افكهم وقرئ أفكهم بالفتحات الثلاث وتشديد الفاء للمبالغة والتكثير اى صرفهم صرفا بليغا وقرئ ايضا آفكهم بالمد وكسر الفاء وضم الكاف على انه اسم فاعل من افكه اى صارفهم او قولهم الافك اى الكاذب او ذو الافك ثم انه تعالى لما بين ان الانس فريقان معرضون عما انذروا به وموحدون مستقيمون فى الامور بين ان الجن ايضا فريقان منهم من آمن ومنهم من كفر وان مؤمنهم يغفر له ويخلص

(بل ضلوا عنهم) غابوا عن نصرهم وامتنع ان يستمدوا بهم امتناع الاستمداد بالضال (وذلك افكهم) وذلك الاتخاذ الذى هذا اثره صرفهم عن الحق وقرئ افكهم بالتشديد للمبالغة وآفكهم اى جعلهم آفكين وآفكهم اى قولهم الافك اى ذو الافك (وما كانوا يفترون) (واذ صرفنا اليك نفرا من الجن) املناهم اليك والنفر دون العشرة وجمعه انفار (يستمعون القرآن) حال محمولة على المعنى (فلما حضروه) اى القرآن

من عذاب اليم وان كافرهم معرض للعقاب العظيم فقال واذصرفنا اليك وهو منصوب باذكر فى قوله واذكر اخا عاد فانه معطوف على قوله اخا عاد اى اذكر اذصرفنا اليك نفرا اى اقبلنا بهم نحوك ومن الجن صفة لنفرا وكذا يستمعون و يجوز ان يكون يستمعون حالا من نفر لتخصيصه بالصفة وروعى معنى النفر حيث اعيد اليه ضمير الجمع فى يستمعون ولو روعى لفظه وقيل يستمع لجاز (قوله او الرسول) على طريق الالتفات من الخطاب فى قوله اولئك الى الغيبة فى حضوره (قوله تعالى فلما قضى) قرأ العامة على بناء المفعول اى فرغ من قراءة القرآن وهو يؤيد كون هاء حضروه راجعا الى القرآن وقرئ على بناء الفاعل اى فلما اتم الرسول قراءته وهى تؤيد عود الهاء الى الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم واختلف فى عدد ذلك النفر فروى عن ابن عباس ان اولئك الجن كانوا سبعة نفر من اهل نصيبين فجعلهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رسلا الى قومهم فاستجاب لهم من قومهم نحو من سبعين رجلا من الجن فرجعوا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فوافوه بالبطحاء فقرأ عليهم القرآن وامرهم و نهاهم وفيه دليل على انه كان مبعوثا الى الجن والانس وعن زر بن حبيش انهم كانوا تسعة احدهم زوبعة وهو رئيس من رؤساء الجن وعن قتادة انه قال ذكر لنا انهم صرفوا اليه من نينوى وقيل نصيبين اسم بلد باليمن وقيل نصيبين و نينوى كانا من توابع ديار بكر والاول قرية بالشام والثانى قريب من الموصل (قوله روى انهم وافوا) اى صادفوا ووجدوا اختلف فى انه صلى الله تعالى عليه وسلم هل هو مأمور بانذار الجن والقراءة عليهم فعله امتثالا لذلك الامر اوصرفوا وهو يقرأ القرآن فوقفوا مستمعين وهو لايشعر فانبأه الله تعالى باستماعهم قراءته وذهب الى كل واحد من القولين جماعة قال المفسرون لما مات ابو طالب وايس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من اجابة اهل مكة اياه خرج الى الطائف وحده يدعوهم الى الاسلام ويلتمس منهم نصرتهم اياه فى الدعوة الى الاسلام والقيام معه على من خالفه من قومه فلم يجيبوه فى ذلك وقالوا انت اعلم بامرك ومالنا رغبة فى القبول منك وأغروا به سفهاء ثقيف فلما يئس من خير ثقيف انصرف الى الطائف راجعا الى مكة ووصل الى وادى النخلة و يقال له بطن مكة وسمى بوادى النخلة لان فيه نخلة فقام صلى الله تعالى عليه وسلم فى ذلك الوادى يصلى العشاء الاخيرة وقيل قام فيه يصلى الفجر فمر به نفر من اشراف جن نصيبين فاستمعوا القراءته وآمنوا واجابوا لما سمعوا فلما فرغ صلى الله تعالى عليه وسلم من صلاته ولو الى قولهم منذرين وهو صلى الله تعالى عليه وسلم ماقرأ عليهم القرآن امتثالا لامر الله

او الرسول (قالوا أنصتوا) قال بعضهم لبعض اسكتوا لنسمعه (فلما قضى) اتم وفرغ من قراءته وقرئ على بناء الفاعل وهو ضمير الرسول (ولوا الى قومهم منذرين) اى منذرين اياهم بما سمعوا روى انهم وافوا رسول الله عليه السلام بوادى النخلة عند منصرفه من الطائف يقرأ فى تهجده (قالوا ياقومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى)

ولا رآهم وروى ان الجن كانت تسترق السمع فلما حرست السماء ورجموا بالشهب قالوا هذا الذي حدث في السماء انما حدث لامر ظهر في الارض فذهبوا يطلبون السبب حتى بلغوا تهامة فروا بوادي النخلة فوافوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو قائم في جوف الليل يصلي و يقرأ القرآن فاستمعوا لقراءته وقيل بل امر الله رسوله ان ينذر الجن و يقرأ عليهم القرآن فصرف اليه نفرا من الجن فجمع صلى الله تعالى عليه وسلم اصحابه لذلك فقال لهم انى امرت ان اقرأ القرآن على الجن الليلة فمن يتبعني منكم قالهما ثلاثا فاطرقوا الاعبد الله بن مسعود قال لم يحضر معه صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة الجن احد غيرى وقت مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واخذت اداوة ولا احسبها الاماء فانطلقا حتى اذا كنا على مكة في شعب الحجون رأيت اسودة مجتمعة قال فخط لى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خطا وقال ههنا حتى آتيك ومضى صلى الله تعالى عليه وسلم اليهم فرأيتهم يشيرون اليه فقام معهم ليلا طويلا حتى جاءني مع الفجر فقال لى هل معك من وضوء قلت نعم ففتحت الاداوة فاذا هو نبيذ فقال صلى الله تعالى عليه وسلم ثمرة طيبة وماء طهور فتوضأ منها ثم قال يصلي وفى رواية لمسلم ان ابن مسعود قال لم اكن ليلة الجن مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ووددت لو كنت معه (قوله قيل انما قالوا ذلك) يعني قيل فى جواب ما بال لم قالوا انزل من بعد موسى ولم يقولوا من بعد عيسى مع ان الظاهر ان يقولوا كذلك لان القرآن انزل من بعد عيسى المبعوث بعد موسى عليهما الصلاة والسلام روى عن عطاء والحسن ان من قال ذلك كان دينهم اليهودية فلذلك قالوا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى لان فى الجن طوائف مختلفة من اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الاصنام كما فى الانس واطبق المحققون على ان الجن مكلفون وعن ابن عباس ان الجن ما سمعت امر عيسى صلى الله تعالى عليه وسلم فلذلك قالوا ذلك (قوله تعالى مصدقا لما بين يديه) اى لكتب الانبياء وذلك ان كتب الانبياء جميعا كانت مشتملة على الدعوة الى التوحيد والدعوة الى تصديق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وحقية امر النبوة والمعاد وتهذيب الاخلاق وكذلك هذا الكتاب مشتمل على هذه المعانى (قوله فان المظالم لا تغفر بالايمان) فان المسلم اذا كان ذميا ثم اسلم لا تسقط عنه حقوق العباد باسلامه ولا يغفر عن الحربى الحق اذا كان ماليا (قوله واحتج ابوحنيفة) يعني ان العلماء اختلفوا فى ان مؤمنى الجن هل يثابون بنعيم الجنة اولا فقيل لا ثواب لهم الا النجاة من النار ثم يقال لهم كونوا ترابا مثل البهائم واحتجوا بقول الجن يغفر لكم من ذنوبكم و يجركم من عذاب اليم وهو قول المبعية

قيل انما قالوا ذلك لانهم كانوا يهودا اوما سمعوا بامر عيسى عليه السلام (مصدقا لما بين يديه يهدى الى الحق) من العقائد (والى طريق مستقيم) من الشرائع (يا قومنا اجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم) بعض ذنوبكم وهو ما يكون فى خالص حق الله تعالى فان المظالم لا تغفر بالايمان (ويجركم من عذاب اليم) هو معد للكفار واحتج ابوحنيفة رضى الله تعالى عنه باقتصارهم على المغفرة والاجارة على ان لا ثواب لهم والاظهر انهم فى توابع التكليف كبنى آدم (ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجز فى الارض) اذ لا ينجى منه مهرب (وليس له من دونه اولياء) يمنعونه منه (اولئك فى ضلال مبين) حيث اعرضوا عن اجابة من هذا شأنه (اولم يروا ان الله الذى خلق السموات والارض ولم يعى بخلقهن)

قال لان العبد لايستحق الثواب بعمله وانما ينال ذلك بمجرد الوعد الالهي تفضلا وكرما اولا وعد في حق الجن الا قوله يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم فيقول بهذه المرتبة قطعا واما الاثابة بنعيم الجنة فموقوف على قيام الدليل ولم يقم عليه دليل فان قيل كيف يحتج بقول الجن اجيب بانه تعالى اذا حكاه من غير نكير فقد علم رضاه به فكان دليلا من هذه الجهة ثم انه تعالى لما ذكر من اول السورة الى هنا امر التوحيد والنبوة ذكر ههنا ما يقرر امر المعاد فقال اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض الآية فان المقصود منها الاستدلال على كونه قادرا على البعث بان خلق ما ذكرا دون من اعادة الشخص حيا والقادر على الاكمل لابد ان يكون قادرا على مادونه (قوله ولم يتعب ولم يعجز) يقال عي بالامر يعيي من باب علم يعلم اذ تحير فيه ولم يهتد لوجهه وعجز عنه وهو كقوله تعالى وما مسنا من لغوب وهو التعب والاعياء تقول منه لغب يلغب لغوبا من باب دخل (قوله اي قادر) اشارة الى ان قوله تعالى بقادر في موضع الرفع على انه خبر ان وزيدت الباء في خبر ان مع انها لاتزاد في الكلام الخبري الا اذا كان مشتملا على النفي بليس او ما نحو ليس زيد براكب او ما زيد براكب بناء على ان المقصود اثبات القدرة لا اثبات الرؤية فان الاستفهام الانكاري في اولم يروا متوجه الى نفي القدرة لا الى نفي الرؤية وان النفي المذكور في اول الآية مشتمل على ان وما في حيزها فكانه قيل اليس هو بقادر الا ان اداة النفي ادخلت على فعل الرؤية للدلالة على ان نفي القدرة مع كون ثبوتها ظاهرا بالغ بعيد عجيب فكانه قيل قدرة من هذا شأنه على البعث بينة محسوسة فكيف لايبصرونها ويقرونها ولما كان الانكار والتعجب المطلق لنفي الرؤية ظاهرا متعلقا بنفي القدرة بحسب المعنى صح دخول الباء في خبر ان كما صح دخولها في خبر ليس في قولنا اليس هو بقادر ويدل على ان المعنى ذلك ان بلى لايجاب النفي بمعنى انها تنقض النفي المقدم سواء كان ذلك النفي مجردا عن اداة الاستفهام نحو بلى في جواب من قال ماقام زيد اي بلى قد قام زيدا وكان مقرونا بالاستفهام فانها ايضا لنقض النفي المذكور بعد اداة الاستفهام كقوله الست بربكم قالوا بلى اي بلى انت ربنا فلولا ان النفي في قوله اولم يروا انه قادر متعلق بالقدرة بحسب المعنى لكان الصواب ان يقال بلى انهم يرون انه قادر بان يجعل بلى لتقرير الرؤية لانه نفي النفي لفظا ومعنى حينئذ فلما جعلت مقررة للقدرة حيث قيل بلى انه على كل شيء قدير علم ان النفي متعلق بها من حيث المعنى (قوله والمعنى ان قدرته واجبة) يعني ان قوله تعالى ولم يعي بخلقهن اشارة الى ان قدرته تعالى ذاتية لاتنقص

ولم يتعب ولم يعجز والمعنى ان قدرته واجبة لاتنقص ولا تنقطع بالايجاد ابد الآباد (بقادر على ان يحيي الموتى) اي قادر ويدل عليه قراءة يعقوب يقدر والباء مزيدة لتأكيد النفي فانه مشتمل على ان وما في حيزها ولذلك اجاب عنه بقوله (بلى انه على كل شيء قدير) تقريرا للقدرة على وجه عام يكون كالبرهان على المقصود كانه لما صدر السورة بتحقيق المبدأ اراد ختمها باثبات المعاد (ويوم يعرض الذين كفروا على النار) منصوب بقول مضمر مقوله (أليس هذا بالحق) والاشارة الى العذاب (قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) بكفركم في الدنيا

(ولا تنقطع)

ومعنى الامر هو الاهانة بهم و التوبيخ لهم (فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل) اولوا الثبات والجد منهم فانك من جملتهم ومن للتبيين وقيل للتبعيض واولو العزم اصحاب الشرائع اجتهدوا فى تأسيسها وتقريرها وصبروا على تحمل مشاقها ومعاداة الطاعنين فيها ومشاهيرهم نوح وابراهيم وموسى وعيسى وقيل الصابرون على بلاء الله كنوح صبر على اذى قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وابراهيم على النار وذبح ولده والذبيح على الذبح ويعقوب على فقد الولد والبصر ويوسف على الجب والسجن وايوب على الضر وموسى قال له قومه انا لمدركون قال كلا ان معى ربى سيهدين وداود بكى على خطيئته اربعين سنة وعيسى لم يضع لبنة على لبنة صلى الله عليهم اجمعين

ولا تنقطع بايجاد الاجرام العظام وغيرها وقرر ذلك ببلى وما بعدها على سبيل التعميم ليكون كالبرهان على المقصود الذى هو القدرة على البعث ثم انه تعالى لما اثبت قدرته على البعث ذكر بعض احوال الكفار بعد البعث فقال ويوم يعرض الذين كفروا على النار اى يقال لهم يوم يعرضون على النار اليس هذا بالحق والمقصود بهذ الاستفهام التهكم والتوبيخ على ما كان منهم فى الدنيا من الانكار بما وعده الله تعالى من البعث والجزاء والفاء فى قوله فذوقوا للسببية اى اذا عرفتم انه الحق فذوقوا بسبب كفركم وتكذيبكم بوعد الله ووعيده فى قولكم وما نحن بمعذبين (قوله ومعنى الامر) جواب عما يقال من ان صيغة الامر تقتضى ان يكون المأمور فاعلا للمأمور به باختياره ولا اختيار للكفار فى ذوق العذاب اذ ليس لهم الا قبول اثر قدرة الله تعالى والمحلية له فما معنى صيغة الامر ههنا فاجاب عنه بان ذلك من امر التكليف والامر ههنا ليس للتكليف بل هو للاهانة والتوبيخ والظاهر ان صيغة الامر لا دخل لها فى التوبيخ بل هو مستفاد من قوله بما كنتم تكفرون الا ان الاهانة الواقعة بصيغة الامر لما كانت مسببة عن كفرهم المستوجب للتوبيخ كان التوبيخ مستفادا من الامر ايضا لانه لما استفيد من الامر الاهانة المسببة عما يوجب التوبيخ استفيد منه التوبيخ ايضا والفاء فى قوله تعالى فاصبر عاطفة لهذه الجملة على ما تقدم والسببية فيها ظاهرة اوهى فاء الجواب لشرط محذوف اى اذا سمعت وعلمت انى منتقم من الذين كفروا فاصبر على اذاهم انك (قوله اولوا الثبات والجد) والصبر على اذى معانديهم ومكذبيهم وهم الرسل كلهم على ما اختاره المصنف حيث جعل من للتبيين وقيل اولو العزم بعض الرسل وهم المأمورون بالجهاد والصابرون على اذى اعداء الدين وقيل الصابرون على البلاء مطلقا وهم نوح حيث صبر على اذى قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وابراهيم على النار وذبح ولده واسمعيل على الذبح ويعقوب على فقد ولده وذهاب بصره ويوسف على الجب والسجن وايوب على الضر وموسى قال له قومه انا لمدركون قال كلا ان معى ربى سيهدين وداود بكى على خطيئته اربعين سنة وعيسى لم يضع لبنة على لبنة وقال انها معبرة فاعبروها ولا تعمروها قال تعالى فى حق آدم ولم نجد له عزما وفى حق يونس ولا تكن كصاحب الحوت والصحيح ان الرسل كلهم اولو العزم ولم يبعث الله رسولا الا كان ذا عزم وحزم ورأى وكمال عقل ولفظة من فى قوله من الرسل للتبيين لا للتبعيض فكأنه قيل اصبر كما صبر الرسل من قبلك على اذى قومهم ووصفهم بالعزم وبصبرهم وثباتهم وما قيل ان جميع الرسل اولوا العزم الا يونس لعجلة منه كانت لقوله تعالى ولا تكن كصاحب الحوت والا آدم لقوله

لم يلبثوا الا ساعة من نهار) استقصروا من هول ما يرون مدة لبثهم في الدنيا حتى يحسبونها ساعة (بلاغ) هذا الذي وعظتم به او هذه السورة بلاغ اي كفاية او تبليغ من الرسول ويؤيده انه قرئ بلغ وقيل بلاغ مبتدأ خبره لهم وما بينهما اعتراض اي لهم وقت يبلغون اليه كأنهم اذا بلغوه ورأوا ما فيه استقصروا مدة عمرهم وقرئ بالنصب اي بلغوا بلاغا (فهل يهلك الا القوم الفاسقون) الخارجون عن الاتعاظ او الطاعة وقرئ يهلك بفتح اللام وكسرها من هلك وهلك ونهلك بالنون ونصب القوم * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة في الدنيا

سورة محمد عليه الصلاة والسلام وتسمى سورة القتال وهي مدنية وقيل مكية وآيها سبع اوثمان وثلاثون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

تعالى ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما ليس بصحيح لان معنى قوله ولم نجد له عزما والله اعلم لم نجد له قصدا الى الخلاف ويونس لم يكن خروجه لترك الصبر ولكن توقيا عن نزول العذاب (قوله تعالى ولا تستعجل لهم) قيل انه صلى الله عليه وسلم ضجر من قومه بعض الضجر واحب ان ينزل الله العذاب على من ابى من قومه فامر بالصبر وترك استعجال نزول العذاب عليهم ثم اخبران العذاب نازل بهم في وقته لا محالة وانه اذا نزل بهم صار طول لبثهم في الدنيا والبرزخ كأنه ساعة من النهار لهول ما عاينوا فان الشئ اذا مضى صار كأنه لم يكن وان كان طويلا (قوله اي كفاية في الموعظة او تبليغ) وفي الصحاح الابلاغ الايصال وكذلك التبليغ والاسم منه البلاغ والبلاغ ايضا الكفاية فقوله تعالى بلاغ معناه هذا بلغ قدر الكفاية فلن يهلك بعذاب بعد هذا البيان او البلاغ الامن فسق وخرج عن الاتعاظ بمواعظ الله تعالى والاستفهام في قوله تعالى فهل يهلك للنفي (قوله ويؤيده) اي ويؤيد كون قوله بلاغ من الابلاغ قرآءة من قرأ بلغ على الامر (قوله وقيل مبتدأ خبره لهم) الواقع بعد قوله ولا تستعجل اي لهم بلاغ اي وقت يبلغون اليه فحينئذ يتم الكلام عند قوله ولا تستعجل ويوقف عليه ولم يرض بهذا القول لان الفصل بين المبتدأ والخبر بالجملة التشبيهية بعيد جدا مع ان الظاهر ان يتعلق لهم بالاستعجال لا بالاستقرار المقدر (قوله وقرئ يهلك بفتح اللام وكسرها) قرأ الجمهور فهل يهلك على بناء المفعول وقرآءته بفتح الياء وكسر اللام على بناء الفاعل ههنا ظاهرة لان هلك يهلك من باب ضرب يضرب لغة شائعة وكونهما من باب علم يعلم ليس شائعا * هذا آخر ما يتعلق بسورة الاحقاف والله اعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما الى يوم الدين

(سورة محمد صلى الله عليه وسلم ثلاثون وثمان آيات مدنية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(قوله امتنعوا عن الدخول في الاسلام وسلوك طريقه اومنعوا الناس عنه) يعني ان صد يجيء لازما ومتعديا وما في الآية يمكن حمله عليهما وفي الصحاح صد عنه يصد صدودا اعرض وصده عن الامر صدا منعه وصرفه عنه فان حمل على التعدي يكون عطفه على قوله كفروا من قبيل عطف الخاص على العام للدلالة على ان منع الغير عن الدخول في الاسلام اشد توغلا في الكفر والضلال بحيث يكون مظنة لان يتوهم انه امر مغاير للكفر لا يدل عليه قوله الذين كفروا كما في قوله تعالى وملائكته وجبريل وان حمل على اللازم يكون عطفه عليه

(الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) امتنعوا عن الدخول في الاسلام وسلوك طريقه اومنعوا الناس عنه (البيان)

كالمطعمين يوم بدر او شياطين قريش او المصرين من اهل الكتاب او عام فى جميع من كفر وصد (اضل اعمالهم) جعل مكارمهم كصلة الرحم وفك الاسارى وحفظ الجوار ضالة اى ضائعة محبطة بالكفر او مغلوبة مغمورة فيه كما يضل الماء فى اللبن او ضلالا حيث لم يقصدوا به وجه الله او ابطل ما عملوا من الكيد لرسوله والصد عن سبيله بنصر رسوله واظهار دينه على الدين كله (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) يعم المهاجرين والانصار والذين آمنوا من اهل الكتاب وغيرهم (وآمنوا بما نزل على محمد) تخصيص للمنزل عليه مما يجب الايمان به تعظيما له واشعارا بان الايمان لايتم دونه وانه الاصل فيه

للبيان والتفسير لان الامتناع من الدخول فى الاسلام هو الكفر لاغير (قوله كالمطعمين يوم بدر) قيل هم ستة نفر من اغنياء قريش اطعم كل واحد منهم الجنود الذين اجتمعوا لحرب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوما واحدا الى انقضاء حادثة بدر وهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة و نبيه و منبه ابنا الحجاج وابو جهل والحارث ابنا هشام وقال مقاتل كانوا اثنى عشر هؤلاء الستة والباقون عامر بن نوفل وحكيم بن حزام و زمعة بن الاسود وابو سفيان بن حرب وصفوان ابن امية والعباس بن عبد المطلب اطعم كل واحد منهم الاحابيش يوما (قوله اى ضائعة محبطة بالكفر) يعنى ان كان المراد باعمالهم ما يعدونه مكارم ومحاسن يكون المراد باضلالها اما جعلها ضائعة بحيث لايكون لها من يتقبلها و يثيب عليها كالضالة من الابل فانها لارب لها يحفظها ويعتنى بشأنها و يدبر امرها فكذا مكارم الكفار فان شيأ من ذلك لايعتبر الا بالاسلام واما جعلها مغلوبة مغمورة فيه اى غائبة فى كفرهم وشركهم مضمحلة مستورة بظلمة الكفر كضلال الماء فى اللبن واما جعلها ضلالا وغواية لان كل ما لا يقصد به وجه الله تعالى لايكون هدى وطاعة بل يكون ضلالا ومعصية (قوله او ابطل ما عملوه الخ) عطف على قوله صلى الله تعالى عليه وسلم جعل الله مكارمهم ضالة اى ان كان المراد باعمالهم ما عملوه من الكيد لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومنع عباد الله عن الدخول فى الاسلام فاضلالها جعلها بحيث لايترتب عليها ما قصدوا منها وان يبطل سعيهم فيها و يجعلهم خائبين محرومين من مرادهم بتحقيق ما اراده من نصرة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وان بالغوا فى الكيد به واظهار دينه على جميع الاديان او بالغوا فى منع الناس عن الدخول فيه (قوله يعم المهاجرين والانصار الخ) يعنى ان قوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات عام فى كل من آمن وعمل صالحا كما ان قوله والذين كفروا وصدوا عام فى كل من كفر وصد وان التعريف فيهما ليس للعهد والاشارة الى قوم مخصوصين وما روى عن ابن عباس من ان الذين كفروا وصدوا مشركوا مكة وان الذين آمنوا وعملوا الصالحات الانصار تخصيص من غير مخصص اذ لايظهر وجه التخصيص فيه الا ان جعل التعريف فى قوله الذين كفروا للعهد والاشارة الى قوم مخصوصين ينبغى ان يجعل التعريف فى قوله والذين آمنوا كذلك وان جعل للجنس والعموم يكون التعريف فى الذين آمنوا ايضا للعموم لوجوب مقابلة الخاص بالخاص والعام بالعام (قوله تخصيص للمنزل) يعنى انه من عطف الخاص على العام المقدر بناء على ان قوله والذين آمنوا معناه آمنوا بجميع ما يجب الايمان به بناء على ان حذف المفعول للتعميم مع الاختصار كما فى قوله تعالى والله يدعوا الى دار السلام اى يدعوا جميع عباده ولاشك ان

الايمان بالقرآن المنزل على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم من جملة افراد ما يجب الايمان به فلابد لتخصيصه بالذكر بعد ذلك التعميم من نكتة وهي ما ذكره من التعظيم لشأنه والاشعار بانه الاصل فيه (قوله ولذلك) اى ولكون تخصيصه بالذكر لتعظيم شأنه اكده بالجملة الاعتراضية الواقعة بين المبتدأ والخبر الواردة على طريق الحصر مثل ذلك الكتاب وحاتم الجود فان امثال هذه التراكيب تفيد حصر الصفة على الموصوف لكما لها فيه بحيث يكون ماعداه بالنسبة اليه كانه ليس بمتصف بما أسند اليه من الصفة فمعنى الحصر فى قوله وهو الحق ان القرآن هو البالغ فى كونه حقا منزها عن ان يشوبه شئ من وجوه البطلان لكون نظمه ومعناه بالغا الى اقصى مراتب الكمال (قوله وقيل حقيته بكونه ناسخا لاينسخ) معطوف على ماسبق من حيث المعنى فان قوله ولذلك اكده بكذا اعتراضا على طريقة الحصر يشعر بان المراد بالحق ضد الباطل وان قوله وهو الحق من ربهم معناه انه الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وان وجه الحصر كون المنزل عليه فى اقصى مراتب الحقية ووجه كونه مشعرا بذلك ان كون الجملة الاعتراضية مؤكدة لما يستفاد من تخصيص المنزل عليه بالذكر انما يظهر اذا كان معنى الحقية عدم تطرق الفساد اليه بوجه ما اذ لو كان معنى حقيته كونه ثابتا لاينسخ لما ظهر كون الجملة الاعتراضية مؤكدة لما يستفاد مما قبلها من تعظيم المنزل عليه لان النسخ عبارة عن بيان انتهاء الحكم لانتهاء علته وكون الحكم منسوخا بهذا المعنى لايوجب نقصانا حتى يكون عدم تطرق النسخ اليه مظنة التعظيم ولما كان الكلام السابق مشعرا بان حقيته ان لايتطرق اليه الفساد بوجه ما عطف عليه قوله وقيل حقيته بكونه ناسخا لاينسخ ولم يرض به لان الجملة الاعتراضية لايبقى لها فائدة يعتد بها حينئذ وهذا التقرير على ان تكون عبارة المصنف هكذا اعتراضا على طريقة الحصر وقيل حقيته بكونه ناسخا لاينسخ الا ان العبارة فى اكثر النسخ هكذا اعتراضا على طريقه وحقيته بكونه ناسخا فحينئذ يكون الكلام محل بحث لان تلك الجملة على تقدير ان يكون الحق بمعنى الثابت كيف تكون مؤكدة لما يستفاد من تخصيص المنزل بالذكر الا ان يقال كونه ثابتا لاينسخ كناية عن كونه حقا واجب الاتباع عاريا عن تطرق البطلان اليه بوجه ما فحينئذ يظهر وجه التأكيد الا انه يبقى ان يقال لافائدة فى قوله على طريقه بعد قوله اكده لان الظاهر ان ضمير طريقه للتأكيد المدلول عليه بقوله اكده (قوله وقرئ نزل) الجمهور على بناء نزل للمفعول مشددا وقرئ نزل مشددا على بناء الفاعل وهو الله تعالى وماعدا قراءة الجمهور من الشواذ (قوله سترها بالايمان) على ان يكون بناء التفعيل للتكثير والمبالغة يقال كفرت

(السئ)

ولذلك اكده بقوله (وهو الحق من ربهم) اعتراضا على طريقة الحصر وقيل حقيته بكونه ناسخا لا ينسخ وقرئ نزل على البناء للفاعل وانزل على البنائين ونزل بالتخفيف (كفر عنهم سيئاتهم) سترها بالايمان وعملهم الصالح (واصلح بالهم) حالهم فى الدين والدنيا بالتوفيق والتأييد (ذلك) اشارة الى مامر من الاضلال والتكفير والاصلاح وهو مبتدأ خبره

الشيء اكفره بالكسر كفرا اي سترته فهو من باب ضرب والذي هو ضد الايمان من باب نصر و يتعدى بالباء وهذا يدل على ان قوله تعالى اضل اعمالهم بمعنى جعلها مغلوبة مستورة في كفرهم وان المعنى ان اعمال الكفار وان كانت من قبيل المكارم والحسنات يجعلها الله تعالى غائبة مستورة في غمرات كفرهم وترك متابعتهم الحق المنزل من عند الله تعالى وان سيئات المؤمنين يسترها الله تعالى اي بكنف ايمانهم ومتابعتهم الحق المنزل (قوله وهو تصريح بما اشعر به ماقبلها) فان كل واحد من حكم الاضلال والتكفير قد رتب سابقا على الموصول فاشعر ذلك بعلية مضمون الصلة كما ان ترتيب الحكم على الموصوف يشعر بعلية الصفة له ثم ذكر صريحا سبب كل واحد من الحكمين المذكورين بعد ما ذكر على سبيل الايماء ومثل هذا تسميه علماء البيان التفسير لكونه موضحا العلة التي ذكرت ايماء واشعارا (قوله مثل ذلك الضرب) اشارة الى ان الكاف منصوب المحل على انها صفة مصدر محذوف وان الضرب بمعنى التبيين وان المثل في العرف العام وان كان عبارة عن القول السائر المشبه مضربه بمورده وان ضربه استعماله فيما شبه بمورده على سبيل الاستعارة التمثيلية الا ان المراد بالمثل ههنا الحالة العجيبة تشبيهالها بالقول السائر في الغرابة المؤدية الى التعجب وان ضمير امثالهم يحتمل ان يرجع الى فريقي المؤمنين والكافرين فانه تعالى بين حال الكافر بان كفره بلغ في كونه شر اله الى ان صارت لمكارمه مغمورة في كفره بحيث لم ير شيئا من منافعه وبين حال المؤمن بان ايمانه بلغ في كونه خيراله الى ان صارت سيئاته مكفرة مستورة بكنف ايمانه بحيث لم ير شيأ من تبعاتها ومضارها ولم يكتف بذلك بل انضم اليه اصلاح بالهم بان بدل الله تعالى سيئاتهم حسنات وهذه احوال عجيبة للفريقين بينها الله تعالى للناس ليعتبروا و يتعظوا بها ويحتمل ان يكون ضمير امثالهم للناس فيكون المعنى يبين للناس احوال انفسهم ليعتبروا و يتداركوا بعد ما وفقهم الله تعالى لصالح الاعمال والاخلاق فالمشار اليه بقوله تعالى كذلك هو معنى ماذكر من اول السورة الى قوله واصلح بالهم (قوله او يضرب امثالهم الخ) عطف على قوله يبين لهم احوال الفريقين او احوال الناس ويجوز ان لا يكون المراد بامثالهم احوالهم العجيبة بل يراد به معناه اللغوي فان المثل في اللغة بمعنى الشبه والامثال بمعنى الاشباه والاشكال و يراد بضرب امثالهم واشباههم بيان ما يشبه به انفسهم واعمالهم فانه تعالى شبه الكافر بمن يتبع الباطل على طريق التشبيه البليغ من حيث كونه متوجها الى الباطل ساعيا فيه فكأنه يتبعه اذليس ثمة اتباع باطل حقيقة بل ليس هناك الا ارتكاب باطل والاتيان به وكذا شبه المؤمن بمن يتبع

(بان الذين كفروا اتبعوا الباطل وان الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم) بسبب اتباع هؤلاء الباطل واتباع هؤلاء الحق وهو تصريح بما اشعر به ماقبلها ولذلك تسمى تفسيرا (كذلك) مثل ذلك الضرب (يضرب الله للناس) يبين لهم (امثالهم) احوال الفريقين او احوال الناس او يضرب امثالهم بان جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكفار والاضلال مثلا لخيبتهم واتباع الحق مثلا للمؤمنين وتكفير السيئات مثلا لفوزهم (فاذا لقيتم الذين كفروا) في المحاربة (فضرب الرقاب) اصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر وانيب منابه مضافا الى المفعول ضما الى التأكيد الاختصار

الحق من حيث كونه متوجها اليه قاصدا اياه فصار كأنه يتبعه اى انه يتبع الحق وان الكافر يتبع الباطل اى كأنه هو ولما كان المقصود من تشبيه قسميهما تشبيه عمل الكافر باتباع الباطل وتشبيه عمل المؤمن باتباع الحق قال المصنف جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكفار اى شبيها شبه به حال الكافر وعمله وكذا جعل اتباع الحق مثلا لعمل المؤمن اى شبيها شبه به حال المؤمن وعمله وقال والاضلال مثلا لخيبتهم اى وشبه خيبتهم وحرمانهم من ثواب مكارمهم باضلالهم اياها وكونها كالبعير الضال الذى لايهتدى اليه صاحبه اذليس ثمة اضلال الثواب حقيقة وانما المحقق هو الحرمان منه وقال وتكفير السيئات مثلا لفوزهم اى وشبه فوزهم بسعادة الآخرة بتكفير السيئات اذليس ثمة الا فوز المؤمن بفضله تعالى ورحمته وعبر عنه بتكفير السيئات واصلاح البال فظهر انه تعالى بين من اول السورة الى قوله وان الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم مايشبه به اعمال الفريقين وعاقبة امرهما من خيبة احدهما وفوز الآخر ثم قال كذلك يضرب الله للناس امثالهم اى يبين مايشبه به اعمالهم وعواقبهم ثم انه تعالى لما بين ان الذين كفروا وامتنعوا عن الدخول فى الاسلام اومنعوا الناس عنه ليس لهم من المكارم والاعمال الصالحة مايعتد به وان بينهم وبين الذين آمنوا تباين الطريق من حيث ان احد الفريقين يتبع الباطل ويكون حزب الشيطان والفريق الآخر يتبع الحق ويكون حزب الرحمن امر المؤمنين ان يقتلوهم افضح قتلة بان يفصلوا مجمع حواسهم عن ابدانهم فقال فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب فالفاء فى قوله فاذا لقيتم فاء الجواب شرط محذوف وفى قوله فضرب الرقاب فاء جواب اذا وقوله فضرب مصدر مؤكد لفعله المحذوف لدلالة المصدر عليه وذلك الفعل المقدر هو العامل فى فاذا ومنع ابو البقاء ان يكون المصدر نفسه عاملا فيه فقال لانه مؤكد وهو احد القولين فى المصدر النائب عن الفعل فقال بعضهم ناصب المفعول به فى نحو ضربا زيدا هو المصدر المؤكد وقال آخرون هو عامله (قوله والتعبير به عن القتل) اشارة الى ان ضرب الرقاب كناية عن القتل عبر به عنه لكونه من لوازم القتل غالبا فان قتل الانسان غالبا يكون بضرب رقبته (قوله ينبغى ان يكون بضرب الرقبة حيث امكن) وذلك لان قصد المؤمن فى محاربة الكفار ليس دفعهم عن نفسه حتى يقتصر على قدر مايدفعهم به عن نفسه فان من يضرب الصائل لدفعه عن نفسه لايضرب مقتله اولا بل يتدرج فيضرب اولا غير مقتله فان اندفع به فذاك والا يترقى الى درجة الاهلاك

والتعبير به عن القتل اشعار بانه ينبغى ان يكون بضرب رقبة حيث امكن وتصويره باشنع صوره

بل مقصوده رفع وجود الكافر عن وجه الارض بالكلية و تطهير الارض
منهم فانه تعالى جعل الارض للمسلمين مسجدا وطهورا والمشركون نجس
و يجب تطهير المسجد من النجاسة و طرح من لا يعبد الله تعالى عن محل
عبادته فلذلك كان ينبغي لمن يحاربهم ان يقصد مقتلهم اولا وهو الحلقوم
والاوداج لكن لايتهيأ ذلك حال الحرب الانادرا فيضرب رقابهم ان امكن لكون
ضربها مستلزما لقطع الحلقوم والاوداج المستلزم للموت والا فيضرب اى
عضو امكن (قوله تعالى حتى اذا اثخنتموهم) غاية للامر بضرب الرقاب
وايجابه لا لبيان غاية لنفس القتل اذلو كان لبيان غاية القتل لما جاز القتل بعد
الاثخان مع انه يجوز الى ان يسلموا او يرضوا باعطاء الجزية وفسر اثخانهم
باثخان قتلهم وتكثيره فيهم بحيث يعجز الباقين عن الاضرار بالمسلمين و يجوز
ان تكون همزة اثخن للازالة والسلب كما في قولك اشكيته اى ازلت عنه الشكاية
اى ازلت شكواه ويكون المعنى ازلتم ثخن الاعداء وقوتهم بالقتل ومنه قولهم
اثخن الصيد اذا ازال قوته على التوحش بالجرح والوثاق وهو الاسر والشد
لايكون الابعد اكثار القتل كما قال تعالى ماكان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن
فى الارض (قوله منا وفداء) مصدران لفعل محذوف لايجوز اظهاره لما
تقرر فى النحو من ان المصدر متى سيق تفصيلا لاثر مضمون جملة متقدمة
وماقبلها وجب نصبه باضمار فعله والتقدير ما ذكره المصنف والمراد بالمن
ان يطلق الاسير الكافر مجانا ويترك من غير ان يؤخذ منه شئ والفداء ان
يطلق بان يؤخذ منه مال او اسير مسلم محبوس عندهم فى مقابلته والآية محكمة
عند الامام الشافعي وجماعة لاطلاق النبي صلى تعالى عليه وسلم ثمامة بعد عرض
الاسلام عليه ثلاثة ايام فلما اطلقه فى اليوم الثالث ذهب واغتسل ثم اتى
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واسلم وفداء النبي رجلا من عقيل كان اسيرا عند
ثقيف برجلين كانا من ثقيف اسيرين عنده صلى الله تعالى عليه وسلم فان الامام
الشافعي يقول للامام ان يختار احد اربعة على حسب مااقتضاه نظره للمسلمين
و هى القتل والاسترقاق والفداء باسارى المسلمين والمن وعند ابى حنيفة
واصحابه الامام مخير فى الاسارى بين ان يقتلهم اويسترقهم او يتركهم اهل ذمة
للمسلمين ولايردهم الى دار الحرب لاعلى وجه المن والاطلاق مجانا ولاعلى وجه
الفداء وقالوا الآية منسوخة بقوله تعالى فاما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من
من خلفهم و بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم فان هذه الآيات نسخت
المن والفداء بالمال والفداء باسارى المسلمين عند ابى حنيفة خلافا لصاحبيه فى الفصل
الاخير قال لايجوز شئ من ذلك لئلا يعودوا حربا علينا ولئلا يكثر سوادهم قال

(حتى اذا اثخنتموهم)
اكثرتم قتلهم واغلظتموه
من الثخين و هو الغليظ
(فشدوا الوثاق)
فاسروهم واحفظوهم
والوثاق بالفتح والكسر
مايوثق به (فاما منا بعد
واما فداء) اى فاماتمنون
منا او يفدون فداء
والمراد التخيير بعد الاسر
بين المن والاطلاق و بين
اخذ الفداء وهو ثابت
عندنا فان الذكر الحر
المكلف اذا اسر يخير
الامام بين القتل والمن
والفداء والاسترقاق
منسوخ عند الحنفية
اومخصوص بحرب بدر
فانهم قالوا يتعين القتل
او الاسترقاق وقرئ فدا
كعصا

مجاهد ليس اليوم من ولا فداء انما هو الاسلام اوضرب العنق وهذا في مشركي العرب خاصة لانهم لا يسترقون ولاتقبل منهم الجزية واما في غيرهم ان شاء جعلهم الامام ذمة وان شاء استرقهم وان شاء قتلهم (قوله آلاتها واثقالها) فان الاوزار جمع وزر وهو الحمل الثقيل فيتناول آلات الحرب كلها قال الاعشى

واعددت للحرب اوزارها * رماحا طوالا وخيلا ذكورا

ومن فسر الاوزار بالآثام شبه الاثم بالحمل فسماه وزرا على طريق الاستعارة والوزر باى معنى كان انما هو على المحاربين لا على نفس الحرب فالمعنى حتى تضع اهل الحرب اوزارهم او حتى تضع الحرب اوزارها على حذف المضاف كما في واسأل القرية ومحصل المعنى افعلوا ما ذكر من الاحكام الى ان تنقضى الحرب ولا يحتاج الى قتال مشرك لزوال شوكتهم بسبب اسلامهم او مسالمتهم فما دام في الدنيا مشرك يعادى الاسلام والمسلمين فالحرب قائمة وقيل حتى لايبقى احد من المشركين ولايبقى دين الا الاسلام وذلك يكون عند نزول عيسى صلى الله تعالى عليه وسلم كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم ينزل عيسى بن مريم حكما عدلا يكسر الصليب ويقتل الخنازير وتضع الحرب اوزارها اى ويسلم الناس حتى لايبقى في الارض مشرك فعلى هذا يكون المراد بالاوزار اوزار اهل الشرك من الكفر والمعاصى (قوله اى الامر ذلك) وهو وجوب ضرب رقاب الذين كفروا على الوجه المذكور ليقطع دابر الكافرين ويكون الدين كله لله ثم انه تعالى بين ان قتالهم ليس طريقا متعينا للانتقام منهم بل لو اراد الله تعالى لاهلكهم من غير سيف ودم مهراق ومن غير تجنيد الجنود والانفاق فقال ولو يشاء الله لانتصر منهم بجند من جنوده غيركم او ببعض اسباب الهلكة من خسف اورجفة اوصيحة اوغرق كما فعل بغيرهم من الامم ولكن امركم القتال ليبلو بعضكم ببعض اى ليختبر المؤمنين بالكافرين وبالعكس اى ليظهر منكم الطائع من العاصى فيجازى كل احد على حسب استحقاقه فان ظهور كل واحد من الاطاعة والعصيان بحسب تعلق العلم الازلى بهما لايكفى في استحقاق الثواب والعقاب فان مناطهما تحقق حقيقة الاطاعة والعصيان بان يختار المكلف طاعة المولى على متابعة الهوى او يختار عكس ذلك لا العلم الازلى باستعداد العبد لهما وانهما سيصدران منهما وذلك التحقق انما يكون بان يكلف الله تعالى المؤمنين بجهاد اعداء الدين ليتحقق ما في استعداد كل واحد من الفريقين وهذا معنى ما في التيسير من قوله اى ليظهر منكم ما في الازل من فعل الامر وترك النهى ولما كان كل واحد من امتثال الامر ومخالفته وطاعة الآمر وعصيانه متوقفا على الامر والتكليف امر المكلف ونهاه ليظهر ما في علمه الازلى ويتحقق ويعلم بالوقوع ويستحق المكلف لان

(حتى تضع الحرب اوزارها) آلاتها واثقالها التى لاتقوم الابها كالسلاح والكراع اى تنقضى الحرب ولم يبق الا مسلم او مسالم وقيل آثامها والمعنى حتى تضع اهل الحرب شركهم ومعاصيهم وهو غاية للضرب او الشد او المن والفداء او المجموع بمعنى ان هذه الاحكام جارية فيهم حتى لايكون حرب مع المشركين بزوال شوكتهم وقيل بنزول عيسى صلى الله تعالى عليه وسلم (ذلك) اى الامر ذلك) او افعلوا بهم ذلك (ولو يشاء الله لانتصر منهم) لانتقم منهم باستئصال (ولكن ليبلو بعضكم ببعض) ولكن امركم بالقتال ليبلو المؤمنين بالكافرين بان يجاهدوهم فيستوجبوا الثواب العظيم والكافرين بالمؤمنين بان يعاجلهم على ايديهم ببعض عذابهم كى يرتدع بعضهم عن الكفر (والذين قاتلوا في سبيل الله) اى جاهدوا وقرأ البصريان وحفص قتلوا اى استشهدوا

يثاب او يعاقب بسبب اختياره طاعة مولاه على متابعة هواه او بالعكس ولما كان التكليف المؤدى الى ذلك التحقق والاختبار منشأ بها الاختبار سمى اختبارا او بلوى واشتق منه قوله ليبلو فهو استعارة تبعية ثم انه تعالى لما امر بالجهاد و بين وجه الحكم فيه بين ثواب من امتثل به فقال والذين قاتلوا فى سبيل الله الآية قرأ العامة قاتلوا وقرأ ابو عمرو و يعقوب وحفص قتلوا مبنيا للمفعول (قوله فلن يضيعها) تفسير لقوله تعالى فلن يضل اعمالهم بضم الياء وكسر الضاد على بناء الفاعل وهو قراءة الجمهور وقرئ يضل على بناء المفعول ورفع اعمالهم لقيامه مقام الفاعل وقرئ ايضا يضل بفتح الياء ورفع اعمالهم فاعلا له والفاء فى قوله فلن يضل جزائية لتضمن المبتدأ معنى الشرط وعن قتادة ان الآية نزلت يوم احد وقد فشت فى المسلمين الجراحات والقتل (قوله او بينها لهم) فان اهل الجنة اذا دخلوها يعرف كل واحد منهم منزله منها فكانوا اعرف بمنازلهم من اهل الجنة اذا انصرفوا منهما الى منازلهم قال مقاتل الملك الذى وكل بحفظ عمله يمشى بين يديه فيعرفه ما اعطاه الله تعالى من درجات الجنة (قوله او طيبها لهم) من قولهم طعام معرف اى مطيب (قوله اوحددها لهم) من قولهم عرف الدار اذا حددها والعرف والارف جمع عرفة وارفة وهما الحدود وقد حددها الله تعالى فى قوله وجنة عرضها السموات والارض ثم انه تعالى لما بين مايترتب على القتال من الثواب والاجر ووعدهم بالنصرة فى الدنيا زيادة على الحث على القتال لتزداد اقدامهم عليه فقال ان تنصروا الله اى تنصروا دين الله ورسوله بالغزو والجهاد لاعلاء كلمة الله وقمع اعداء الدين ومن نصرة الدين ايضاح دلائله وازالة شبهة القاصرين وشرح احكامه وفرائضه وسننه وحلاله وحرامه ومن نصرة الله تعالى للعبد ارسال الرسل وانزال الكتب واظهار المعجزات والآيات وبيان مايؤدى الى جنة النعيم اوعذاب الجحيم والامر بالجهاد الاكبر والاصغر والتوفيق للسعى فيها طلبا لمرضاة الله لاتبعا لهواه ثم زاد فى تقوية قلوبهم فقال والذين كفروا فتعسا لهم فانه تعالى لما قال ويثبت اقدامكم جاز ان يتوهم ان الكفار ايضا تثبت اقدامهم فى قتال المؤمنين فيدوم القتال والحرب والطعان والضرب وفيه مشقة عظيمة فازال هذا الوهم بان قال لكم الثبات والاقدام وعليهم العثار والانحطام فان التعس فى اللغة الدثرة وهى الزلق وزلة الرجل وهو دعاء بالانتعاس وهو عدم الارتفاع والنهوض من العثرة ويكون نقيض لعا فانه دعاء بالانتعاش وهو الارتفاع والنهوض من العثرة قال الاعشى

(فلن يضل اعمالهم) فلن يضيعها وقرئ يضل من ضل ويضل على البناء للمفعول (سيهديهم) الى الثواب او سيثبت هدايتهم (ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم) وقد عرفها لهم فى الدنيا حتى اشتاقوا اليها فعملوا ما استوجبوها به او بينها لهم بحيث يعلم كل احد منزله ويهتدى اليه كانه كان ساكنه منذ خلق او طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة او حددها لهم بحيث يكون لكل جنة مفرزة (يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله) ان تنصروا دينه ورسوله (ينصركم) على عدوكم (ويثبت اقدامكم) فى القيام بحقوق الاسلام والمجاهدة مع الكفار (والذين كفروا فتعسا لهم) فعثارا وانحطاطا ونقيضه لعا قال الاعشى

بذات لوث عفرناة اذا عثرت * فالتعس اولى لها من ان اقول لعا

واللوث بالفتح القوة وناقة عفرناة اى قوية والعفرنات الاسد سمى بذلك لشدته والالف والنون فيه للالحاق والعفر الرجل الخبيث الداهى والمرأة عفرة والعفرنت من كل شئ القوى البالغ فى قوته وفى الحديث ان الله يبغض العفرية النفرية الذى لا يرزأ فى اهل ولا مال وما قبل هذا البيت

كلفت مجهولها نفسى وشايعنى * همى عليها اذا ما آلها لمعا

الآل السراب والمعنى كلفت نفسى قطع المفازة المجهولة الاعلام اذا ماسرابها لمع ووافقنى همى على قطعها ملتبسا بناقة ذات قوة غليظة لاتتضرر من شئ فهى بحيث يكون العثار والانحطاط ابعد شئ من شأنها حتى لو فرض عثارها كانت احق بان يدعى عليها بالتعس والهلاك من حيث ان عثرتها مع كمال قوتها وسلامة اعضائها بعيدة كل البعد فتستحق اذ ذاك ان يدعى عليها بان يقال تعسا وانما تستحق لان يدعوها بان يقال لها اذا عثرت من ضعفها والتعس الهلاك واصله الكب والانحطاط والسقوط على الوجه بسبب العثرة يقال للعاثر تعسا اذا لم يريدوا قيامه وضده لعا اذا ارادوا قيامه وانتعاشه اى نهوضه من عثرته (قوله والجملة خبر الذين) يعنى ان قوله والذين كفروا مبتدأ وخبره الجملة المقدرة المركبة من الفعل الناصب لتعسا مع معموله اى فتعسوا تعسا ودخلت الفاء على الخبر لتضمن المبتدأ معنى الشرط (قوله او مفسرة لناصبه) اى ويجوز ان تكون الجملة المقدرة مفسرة لناصب الذين بان يكون قوله الذين كفروا منصوب المحل على انه من باب ما اضمر عامله على شريطة التفسير فيكون منصوبا بفعل مضمر يفسره فتعسا لهم فيكون ذلك المقدر معطوفا على قوله ويثبت اقدامكم اى يثبت الله اقدامكم ويتعس الذين كفروا فتعسوا تعسا وقوله تعالى واضل عطف على ناصب الذين وقوله لهم خبر مبتدأ محذوف اى الدعاء بالتعس والاضلال لهم واللام فيه كما فى هيت لك (قوله وهو تخصيص) اى ذلك الحكم بان ذلك التعس والاضلال بسبب كراهتهم للقرآن وكفرهم به تخصيص السبب الذى اشير اليه بترتيب حكم التعس والاضلال على الموصول فانه يشعر بعلية مضمون الصلة وهو الكفر مطلقا لذلك الحكم وقدمر ان مثل هذا الاسلوب يسميه علماء البيان تفسيرا (قوله كرره) فان اضلال اعمالهم التى عملوها وحسبوها خيرا واحباطها بمعنى واحد وكرره لدفع وهم من يتوهم ان اصلا لها مسبب عن الكفر بجميع مايجب الايمان به ولايتحقق بمجرد الكفر بالقرآن فلما فرعه على الكفر به علم انه لاينفك عن الكفر به سواء انضم اليه الكفر بسائر مايجب الايمان به ام لا

* فالتعس اولى لها من ان اقول لعا * وانتصابه بفعله الواجب اضماره سماعا والجملة خبر الذين كفروا او مفسرة لناصبه (واضل اعمالهم) عطف عليه (ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله) القرآن لما فيه من التوحيد والتكاليف المخالفة لما الفوه واشتهته انفسهم وهو تخصيص وتصريح بسببية الكفر بالقرآن للتعس والاضلال (فاحبط) الله (اعمالهم) كرره اشعارا بانه يلزم الكفر بالقرآن ولا ينفك عنه بحال (افلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم)

انه تعالى خوفهم عاقبة كفرهم بما نزل بالامم المكذبة قبلهم بقوله افلم يسيروا اى أجهلوا وخامة الكفر فلم يسيروا (قوله استأصل عليهم مااختص بهم) وفى الكشاف دمره اهلكه ودمر عليه اهلك عليه مايختص به من نفسه واولاده واموال ففرق بينهما وجعل الثانى ابلغ ولعل تلك الابلغية مستفادة من حذف مفعول دمر فان حذفه يكون للتعميم ومن اتيان كلمة الاستعلاء فان اتيانها يشعر بتضمين دمر معنى اطبق واذا اطبق الله عليهم الدمار والهلاك لا يخلص مما يختص بهم شئ (قوله من وضع الظاهر موضع المضمر) فان الظاهر ان يقال ولهم امثالها بارجاع الضمير الى فاعل افلم يسيروا الى الذين فى قوله عاقبة الذين من قبلهم والمعنى على الاول ولمن كذبك وكفر بك امثال ما للمتقدمين من العقوبة من حيث ان حقية دينك اظهر ودلائل صدقك اكثر بسبب تقدم الانبياء عليهم الصلاة والسلام عليك واخبارهم عنك وانذارهم عن مخالفتك وعلى الثانى دمر الله على هؤلاء المتقدمين فى الدنيا ولهم فى الآخرة امثال مااصابهم فى الدنيا لكن وضع الظاهر موضع الضمير توبيخا لهم وذما لهم على كفرهم واشعارا بعلة استحقاقهم لامثالها (قوله امثال تلك العاقبة) يريد ان ضمير امثالها اما العاقبة المذكورة فى قوله عاقبة الذين او لمصدر دمر وهو التدمير وتأنيث ما رجع اليه لتأويله بالعقوبة او المهلكة او السنة المدلول عليها لما علم ان تدمير الله تعالى الكافرين من سنته الماضية وعادته القديمة كما قال سنة الله التى قد خلت فان قيل كيف يصح ان يكون المراد بالكافرين الكافرين سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وان يكون المعنى ولهم امثال ماكان لمن قدمهم من العقوبة مع ان من تقدمهم قد اهلكوا بامور شديدة كالاغراق فى البحر والطوفان والخسف والمسخ والصيحة ولا كذلك من كفر بنبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فالجواب انه يجوز ان يكون المعنى ان لهم فى الآخرة امثال عقوبة الاولين فى الدنيا او امثال مااصاب الاولين فى الدنيا بناء على انهم قتلوا واسروا بايدى من كانوا يستخفونهم ويستضعفونهم والقتل والاسر بيدا لمثل آلم واشد من الهلاك بسبب عام فكيف اذا كان بيد من دونه (قوله تعالى ذلك) اشارة الى تدمير المكذبين ونصرة المؤمنين عليهم ثم انه تعالى لما قال الله ولى المؤمنين وناصرهم بين مآل الفريقين فى الآخرة اشعارا بان تمام النصرة يكون فيها فقال ان الله يدخل الذين آمنوا الآية ثم انه تعالى سلى رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله وكأين من قرية اى من اهل قرية على حذف المضاف فيه وفى قوله من قريتك اى من اهل قريتك التى هى مكة (قوله على حذف المضاف) فان المراد اهل القرية ولذلك قال اهلكناهم وقوله وهو كالحال المحكية جواب عما يقال انه امر قد مضى

موضع المضمر (امثالها) امثال تلك العاقبة او العقوبة او الهلكة لان التدمير يدل عليها او السنة لقوله سنة الله التى قد خلت (ذلك بان الله مولى الذين آمنوا) ناصرهم على اعدائهم (و ان الكافرين لامولى لهم) فيدفع العذاب عنهم وهو لايخالف قوله وردوا الى الله مولاهم الحق فان المولى فيه بمعنى المالك (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار والذين كفروا يتمتعون) ينتفعون بمتاع الدنيا (ويأكلون كما تأكل الانعام) حريصين غافلين عن العاقبة (و النار مثوى لهم) منزل ومقام (وكأين من قرية هى اشد قوة من قريتك التى اخرجتك) على حذف المضاف واجراء احكامه على المضاف اليه والاخراج باعتبار التسبب (اهلكناهم) بانواع العذاب (فلا ناصر لهم) يدفع عنهم وهو كالحال المحكية

(أفمن كان على بينة من ربه) حجة من عنده وهو القرآن اوما يعمه والحجج العقلية كالنبي والمؤمنين (كمن زين له سوء عمله) كالشرك والمعاصي (واتبعوا اهواءهم) في ذلك لاشبهة لهم عليه فضلا عن حجة (مثل الجنة التي وعد المتقون) اي فيما قصصنا عليك صفتها العجيبة وقيل مبتدأ خبر كمن هو خالد في النار وتقدير الكلام أمثل اهل الجنة كمثل من هو خالد أو أمثل الجنة كمثل جزاء من هو خالد فعرى عن حرف الانكار وحذف ماحذف استغناء بجرى مثله تصوير المكابرة من يسوى بين المتمسك بالبينة والتابع للهوى بمكابرة من يسوى بين الجنة والنار وهو على الاول خبر محذوف تقديره افمن هو خالد في هذه الجنة كمن هو خالد في النار او بدل من قوله كمن زين وما بينهما اعتراض لبيان ما يمتاز به من هو على بينة في الآخرة تقرير الانكار المساواة (فيها انهار من ماء غير آسن) استئناف بشرح المثل اوحال من العائد المحذوف او خبر لمثل وآسن من اسن الماء بالفتح اذا تغير طعمه وريحه او بالكسر على معنى الحدوث وقرأ ابن كثير أسن (وانهار من لبن لم يتغير طعمه) لم يصر قارصا ولا حازرا (وانهار من خمر لذة للشاربين) لذيذة ﴿ ١٨٨ ﴾ لايكون فيها كراهة غائلة ريح ولا غائلة سكر وخمار تأنيث لذ او مصدر نعت به باضمار او تجوز وقرئت بالرفع على صفة الانهار والنصب على العلة (وانهار من عسل مصفى) لم يخالطه الشمع وفضلات النحل وغيرها وفي ذلك تمثيل لما يقوم مقام الاشربة في الجنة بانواع ما يستلذ منها في الدنيا بالتجريد عما ينقصها وينغصها والتوصيف بما يوجب غزارتها واستمرارها (ولهم فيها من كل الثمرات) صنف على هذا القياس (ومغفرة من ربهم) (اهتدوا) عطف على الصنف المحذوف اومبتدأ خبره محذوف اي لهم مغفرة (كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما) مكان تلك الاشربة (فقطع امعاءهم) من فرط الحرارة (ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك) يعني المنافقين كانوا يحضرون مجلس الرسول ويسمعون كلامه فاذا خرجوا (قالوا للذين اوتوا العلم) اي لعلماء الصحابة (ماذا قال آنفا) ما الذي قال الساعة استهزاء او استعلاما اذلم يلقوا له آذانهم تهاونا به وآنفا من قولهم انف الشيء لما تقدم منه مستعار من الجارحة ومنه استأنف وائتنف وهو ظرف بمعنى وقتا مؤتنفا او حال من الضمير في قال وقرئ أنفا (اولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا اهواءهم) فلذلك استهزؤا وتهاونوا بكلامه (والذين اهتدوا زادهم هدى) اي زادهم الله بالتوفيق والالهام او قول الرسول (وآتاهم تقواهم) بين لهم ما يتقون او اعانهم على تقواهم او اعطاهم جزاءها (فهل ينظرون الا الساعة) فهل ينتظرون غيرها

(قوله افمن كان على بينة) وقرئ أمن كان على بينة من ربه وقال سوء عمله واتبعوا الحمل على لفظ من ومعناه (قوله فعرى عن حرف الانكار) اشارة الى ان تعريته عن حرف الانكار فيها زيادة تصوير لمكابرة من يسوى بين المتمسك بالبينة والتابع لهواه وانه بمنزلة من يثبت التسوية بين الجنة التي تجرى فيها تلك الانهار وبين النار التي يسقى اهلها الحميم والغساق وقوله فيها انهار داخل في حكم الصلة كالتكرير لها الا ترى الى صحة قولك التي فيها انهار ويجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف تقديره هي فيها انهار وكان قائلا قال ومامثلها فقيل فيها انهار (قوله آسن من آسن) يعني قراءة آسن على صيغة فاعل هو على معنى الحدوث (قوله ولهم فيها من كل الثمرات) في ذكر الثمرات بعد المشروب اشارة الى ان مأكول اهل الجنة للذة لا للحاجة (قوله كمن هو خالد) في موضع رفع اي حالهم كحال من هو خالد في الاقامة الدائمة وقيل هو استهزاء بهم وقيل هو على معنى الاستفهام اي أكمن وقيل في موضع نصب اي يشبهون من هو خالد فيما ذكرنا وقوله والذين

(ان تأتيهم بغتة) بدل اشتمال من الساعة وقوله (فقد جاء اشراطها) كالعلة له وقرئ ان تأتهم على انه شرط مستأنف جزاؤه (فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم) والمعنى ان تأتهم الساعة بغتة لانه قد ظهر اماراتها كبعث الرسول وانشقاق القمر فكيف لهم ذكراهم اى تذكرهم اذا جاءتهم الساعة وحينئذ لا يفرغ له ولا ينفع (فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك) اى اذا علمت سعادة المؤمنين وشقاوة الكافرين فاثبت على ما انت عليه من العلم بالوحدانية وتكميل النفس باصلاح احوالها وافعالها وهضمها بالاستغفار لذنبك (وللمؤمنين والمؤمنات) ولذنوبهم بالدعاء لهم والتحريض على ما يستدعى غفرانهم وفى اعادة الجار وحذف المضاف اشعار بفرط احتياجهم وكثرة ذنوبهم وانها جنس آخر فان الذنب ماله ✽ ١٨٩ ✽ تبعة ما كترك الاولى (والله يعلم متقلبكم) فى الدنيا فانها مراحل لا بد من قطعها (ومثواكم) فى العقبى فانها دار اقامتكم فاتقوا الله واستغفروه واعدوا لمعادكم (ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة) اى هلا نزلت سورة فى امر الجهاد (فاذا انزلت سورة محكمة) مبينة لا تشابه فيها (وذكر فيها القتال) اى الامر به (رأيت الذين فى قلوبهم مرض) ضعف فى الدين وقيل نفاق (ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت) جبنا ومخافة (فاولى لهم) فويل لهم افعل من الولى وهو القرب او فعلى من آل ومعناه الدعاء عليهم بان يليهم المكروه او يؤول اليه امرهم (طاعة وقول معروف) استئناف اى امرهم طاعة او طاعة وقول معروف خير لهم او حكاية قولهم لقراءة ابى يقولون طاعة (فاذا عزم الامر) اى جد وهو لاصحاب الامر واسناده اليه مجاز وعامل الظرف محذوف وقيل (فلو صدقوا الله) اى فيما زعموا من الحرص على الجهاد او الايمان (لكان) الصدق (خيرا لهم فهل عسيتم) فهل يتوقع منكم (ان توليتم) امور الناس وتأمرتم عليهم او اعرضتم وتوليتم عن الاسلام (ان تفسدوا فى الارض وتقطعوا ارحامكم) تناحرا على الولاية وتجاذبا عليها او رجوعا الى ما كنتم عليه فى الجاهلية من التغاور ومقاتلة الاقارب والمعنى انهم لضعفهم فى الدين وحرصهم على الدنيا احقاء بان يتوقع ذلك منهم من عرف حالهم ويقول لهم هل عسيتم وهذا على لغة الحجاز فان بنى تميم لا يلحقون الضمير به وخبره ان تفسدوا

اهتدوا يحتمل النصب والرفع (قوله بغتة) وقرئ بغتة بوزن جربة وهى غريبة لم يرد فى المصادر مثلها وهى مروية عن ابى عمرو وما اخوفنى ان تكون غلطة من الراوى على ابى عمرو وان يكون الصواب بغتة بفتح الغين من غير تشديد (قوله تعالى فانى لهم) هو خبر ذكراهم والشرط معترض وقيل التقدير انى لهم الخلاص اذا جاء تذكرهم (قوله تعالى فاعلم) قال ابو العالية وابن عيينة هو متصل بما قبله معناه اذا جاءتهم الساعة فاعلم انه لا ملجأ ولا مفزع عند قيامها الا الله (قوله تعالى وللمؤمنين والمؤمنات) اكرام من الله لهذه الامة حيث امر نبيهم صلى الله تعالى عليه وسلم ان يستغفر لذنوبهم وهو الشفيع المجاب فيهم (قوله والله يعلم متقلبكم) اى والله يعلم احوالكم ومتصرفاتكم ومتقلبكم فى معايشكم ومتاجركم ويعلم حيث تستقرون من منازلكم او متقلبكم فى حياتكم ومثواكم فى القبور او متقلبكم فى اعمالكم ومثواكم من الجنة والنار وقال مقاتل وابن جرير متقلبكم متصرفكم لاشتغالكم بالنهار ومثواكم مأواكم الى مضاجعكم بالليل وقال عكرمة متقلبكم من اصلاب الآباء الى الارحام ومثواكم مقامكم فى الارض (قوله محكمة مبينة) وعن قتادة كل سورة فيها ذكر القتال فهى محكمة وهى اشد القرآن على المنافقين وقيل لها محكمة لان النسخ لا يرد عليها من قبل ان القتال نسخ ما كان من الصفح والمهادنة وهو غير منسوخ الى يوم القيامة وقيل هى المحدثة لانها حين يحدث نزولها لا يتناولها النسخ ثم تنسخ بعد ذلك او تبقى غير منسوخة وفى قراءة عبد الله سورة محدثة (قوله فهل يتوقع منكم) اشارة الى جواب ما يقال حق

وان توليتم اعتراض ومن يعقوب توليتم اى ان تولاكم ظلمة خرجتم معهم وساعدتموهم فى الافساد وقطيعة الرحم وتقطعوا من القطع وقرئ تقطعوا من التقطع (اولئك) اشارة الى المذكورين (الذين لعنهم الله) لافسادهم وقطعهم الارحام (فاصمهم) عن استماع الحق (واعمى ابصارهم) فلايهتدون سبيله (افلا يتدبرون القرآن) يتصفحونه ومافيه من المواعظ والزواجر حتى لايجسروا على المعاصى (ام على قلوب اقفالها) لايصل اليها ذكر ولاينكشف لها امر وقيل ام منقطعة ومعنى الهمزة ﴿ ١٩٠ ﴾ فيها التقرير وتنكير القلوب لان المراد قلوب بعض منهم او للاشعار بانها لابهام امرها فى القساوة او الفرط جهلها لنها ونكرها كانها مبهمة منكورة واضافة الاقفال اليها للدلالة على اقفال مناسبة لها مختصة بها لاتجانس الاقفال المعهودة وقرئ اقفالها على المصدر (ان الذين ارتدوا على ادبارهم) الى ما كانوا عليه من الكفر (من بعدما تبين لهم الهدى) بالدلائل الواضحة والمعجزات الظاهرة (الشيطان سول لهم) سهل لهم اقتراف الكبار من السول وهو الاسترخاء وقيل حملهم على الشهوات من السول وهو التمنى وفيه ان السؤل مهموز قلبت همزته واوا لضم ماقبلها ولا كذلك التسويل ويمكن رده بقولهم هما يتساولان وقد قرئ سول على تقدير مضاف اى كيد الشيطان سول لهم (واملى لهم) ومد لهم فى الآمال والامانى اوامهلهم الله ولم يعاجلهم بالعقوبة لقراءة يعقوب واملى لهم اى وانا املى لهم فيكون الواو للحال او الاستئناف وقرأ ابو عمرو واملى لهم على البناء للمفعول وهو ضمير الشيطان او لهم (ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا مانزل الله) اى قال اليهود الذين كفروا بالنبى بعدما تبين لهم نعته للمنافقين او المنافقون لهم او احد الفريقين للمشركين (سنطيعكم فى بعض الامر) فى بعض اموركم

حرف الاستفهام ان يدخل على ماهو خبر سؤالا عن مضمونه فامعنى دخول هذا على عسيتم وتقرير الجواب انها دخلت على ماتضمنه عسى من معنى التوقع قرأ نافع عسيتم بكسر السين وهو غريب وقد نقل الكلام من الغيبة الى الخطاب على طريقة الالتفات ليكون ابلغ فى التوبيخ ويجوز ان يريد بالذين آمنوا المؤمنين الخلص الثابتين وانهم يتشوفون الى الوحى اذا ابطأ عليهم فاذا انزلت سورة محكمة فى معنى الجهاد رأيت المنافقين فيما بينهم يضجرون (قوله وفيه ان السؤال مهموز) اى وشرط الاشتقاق وجود معنى المأخذ فى المشتق مع زيادة مفهوم الصيغة واجاب المصنف عن كونه مخالفا لقاعدة التصريف بان السؤال قد يستعمل معتل العين يقال سال يسال مثل خاف يخاف وهما يتساولان مثل يتقاولان وقرئ سول لهم على لفظ الماضى المبنى للمفعول على ان يكون المبتدأ مضافا محذوفا (قوله واملى لهم) قرأ العامة واملى لهم بفتح الهمزة واللام على بناء الفاعل وهو ضمير الشيطان فيكون واملى عطفا على سول لا مستأنفا والمعنى زين وسهل لهم ركوب المعاصى واملى لهم اى مد لهم فى الآمال والامانى وغرهم بان يقول لهم فى آجالكم فسحة فتمتعوا برياستكم ثم فى آخر العمر تؤمنون وقيل فاعل املى هو الله عز وجل فيتم الكلام عند قوله سول لهم ثم يبتدأ بقوله واملى لهم اى واملى الله لهم اى امهلهم واخر العذاب عنهم توسعة عليهم ليتمادوا فى طغيانهم وقرأ ابو عمرو واملى بضم الهمزة وكسر اللام وفتح الياء على لفظ الماضى المبنى للمفعول ولهم هو القائم مقام الفاعل والمعنى امهلوا ومد فى عمرهم والفاعل هو الله عز وجل وقرئ واملى بضم الهمزة وكسر اللام وسكون الياء على لفظ المضارع المبنى للفاعل المسند الى ضمير المتكلم وحده وهو الله عز وجل على معنى ان الشيطان يغويهم وانا انظرهم وامهلهم ثم انه تعالى لما بين ان الشيطان هو الذى سول للذين ارتدوا على ادبارهم ارتكاب الكبائر واملى لهم بين سبب ذلك التسويل والاملاء فقال ذلك اى ذلك التسويل والاملاء

بانهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله قيل القائلون هم اليهود والكارهون هم المنافقون وقيل على العكس وقيل القائلون احد الفريقين والكارهون المشركون فان كان المراد بالذين ارتدوا على ادبارهم اليهود يكون ارتدادهم كفرهم بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم بعد بعثته وقد ايقنوا بحقية امره قبل بعثته وان كان المراد بهم المنافقين يكون ارتدادهم رجوعهم عن طاعة الله تعالى في الجهاد من بعد ما تبين لهم حقيقة الاسلام واحكامه وعلى التقديرين فالمراد بالذين كرهوا الفريق الآخر او المشركون فان كان التقاول جاريا بين احد الفريقين والمشركين فهم لا يوافقون في التوحيد والاقرار بالكتاب والنبي والحشر وما يتفرع عليه فان المشركين لا يقولون بشيء من ذلك بخلاف كل واحد من الفريقين فان عامة المنافقين من اليهود وهم اهل كتاب فكل واحد من الفريقين لا يوافق المشركين الا في بعض الامر كالتكذيب برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والتعاون على محاربته وعداوته فان اليهود اتفقوا مع المشركين يوم الاحزاب وان كان التقاول بين احد الفريقين والآخر بان يكون القائل المنافقين فبعض الامر ما يسرونه الى اليهود مما يتعلق بعداوة الرسول وقول المنافقين كقريظة والنضير لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولئن قوتلتم لننصرنكم والقعود عن الجهاد قالوا كل ذلك سرا فيما بينهم فاخبر الله تعالى به عنهم واعلم انه يعلم ذلك وغيره من اسرارهم فقال والله يعلم اسرارهم وقيل الاظهر ان قوله تعالى والله يعلم اسرارهم اي ما في قلوبهم من العلم بصدق محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فانهم كانوا مكابرين معاندين في انكار نبوته ويعرفونه كما يعرفون ابناءهم (قوله اوفي بعض ما تأمرون به) على ان يكون الامر واحد الاوامر وعلى الاول يكون واحد الامور (قوله فكيف يعملون ويحتالون حينئذ) اشارة الى ان عامل الظرف محذوف والتقدير ما ذكره وقوله يضربون حال من الفاعل ويجوز كونه حالا من المفعول ايضا فانهم انما كرهوا القتال واطاعوا من امرهم بتركه والقعود عنه خوفا من ان يضربوا من جهة وجوههم ان يثبتوا ومن جهة ادبارهم ان يفروا فكأنه قال ان كرهتم ما امرتم به من قتال الكفار خوفا من ان تضربوا من قبل وجوهكم وادباركم فكيف تحتالون في الخلاص مما تخافون منه اذا توفتكم الملائكة ضاربين وجوهكم وادباركم فان كل من يتوفى على معصية الله تعالى فالملائكة العذاب لا يقبضون روحه الا بان يضربوا وجهه ودبره كما روى ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما (قوله تصوير لتوفيهم) يعني ان المقصود من تقييد توفيهم بقوله يضربون وجوههم وادبارهم تصويره بالصورة التي

اوفي بعض ما تأمرونه به كالقعود عن الجهاد والموافقة في الخروج معهم ان اخرجوا والتظافر على الرسول (والله يعلم اسرارهم) ومنها قولهم هذا الذي افشاه الله عليهم وقرأ حمزة والكسائي وحفص اسرارهم على المصدر (فكيف اذا توفتهم الملائكة) فكيف يعملون ويحتالون حينئذ وقرئ توفاهم وهو يحتمل الماضي والمضارع المحذوف احدى تاءيه (يضربون وجوههم وادبارهم) تصوير لتوفيهم بما يخافون منه ويجبنون عن القتال له (ذلك) اشارة الى التوفي الموصوف (بانهم اتبعوا ما اسخط الله) من الكفر وكتمان نعت الرسول وعصيان الامر

كانوا يجبنون عن القتال خوفا من تلك الصورة (قوله ما يرضاه) فسر
الرضوان بالمرضى لانهم لايكرهون رضى الله تعالى بل يرغبون فيه ويزعمون
ان ما هم فيه سبب رضوانه حتى ان المشرك يطلب رضوانه بشركه و يقول
ما اعبد الصنم الا ليقربني الى الله زلفى و يشفع لى واستعمال المصدر فى معنى
المفعول شائع فلذلك فسر الرضوان بالمرضى (قوله ام حسب الذين) ام فيه
منقطعة بمعنى بل والهمزة اضرب عن الحكم بانه يعلم اسرار الذين كفروا الى
انكار حسبان المنافقين ان الشان انه تعالى لن يبرز الغش الكائن فى قلوبهم
للمؤمنين وعداوتهم للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وان فى قوله ان لن يخرج الله
مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان المضمر وما بعدها خبرها قال الامام ويحتمل
ان يقال كلمة ام هنا متصلة والكلام السابق الذى يليه همزة الاستفهام ما يفهم
من قوله والله يعلم اسرارهم فكأنه تعالى قال احسب الذين كفروا ان لن يعلم الله
اسرارهم ام حسب المنافقون ان لن يظهرها والكل باطل لانه تعالى يعلمها
و يظهرها و يؤيد ذلك ان ام المنقطعة لاتكاد تقع فى صدر الكلام فلا يقال
ابتداء ام جاء زيد ولا ام جاء عمرو (قوله ولو نشاء لاريناكهم) كانه جواب عما
يقال لتدفعهم من قوله ام حسب الذين فى قلوبهم مرض ان لن يخرج الله اضغانهم
ان الله تعالى يظهر ضمائرهم و يبرز سرائرهم فلم لم يظهرها فاجاب عنه بانا
اخرناها لمحض المشيئة لا لخوف منهم كما لا نفشي اسرار الاكابر خوفا منهم
(قوله تعالى فلتعرفنهم) عطف على جواب لو فاللام فيه و فيما قبله لام
جواب لو فى عطفه عليه زيادة فائدة لاتحصل بدونه لان التعريف والاعلام
لايستلزم ان يترتب عليه العلم والمعرفة فانه يقال عرفه ولم يعرف وعلمه ولم يعلم
فلما عطف عليه قوله فلعرفتهم كان المعنى لو نشاء لعرفناكهم تعريفا يترتب
عليه معرفتك اياهم باعيانهم بعلاماتهم التى نسمهم بها قال الزجاج المعنى لو نشاء
لجعلنا على المنافقين علامة تعرفهم بها قال انس رضى الله تعالى عنه ماخفى
على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد نزول هذه الآية شيء من المنافقين
كان يعرفهم بسيماهم ولقد كنا فى بعض الغزوات و فيها تسعة من المنافقين
يشكوهم الناس من المسلمين فناموا ذات ليلة واصبحوا وعلى جبهة كل واحد
منهم مكتوب هذا منافق واللام فى قوله ولتعرفنهم لام جواب قسم محذوف
كأنه ولتعرفنهم والله الآن و قيل تعرف سيماهم وصورهم فى لحن القول
اى اسلوبه فى مخاطباتهم لك فانهم لايقدرون على كتمان ما فى نفوسهم بل يسرحون
كلامهم على اسلوب يدل نحوه ومعناه على فساد باطنهم يقال لحنه بالكسر
يلحنه بالفتح لحنا اى فهمه فالمراد من القول قولهم اى لتعرفنهم فى لحن القول

(وكرهوا رضوانه) ما يرضاه من الايمان والجهاد وغيرهما من الطاعات (فاحبط اعمالهم) لذلك (ام حسب الذين فى قلوبهم مرض ان لن يخرج الله) ان لن يبرز الله لرسوله والمؤمنين (اضغانهم) احقادهم (ولو نشاء لاريناكهم) لعرفناكهم بدلائل تعرفهم باعيانهم (فلعرفتهم بسيماهم) بعلاماتهم التى نسمهم بها واللام لام الجواب كررت فى المعطوف (ولتعرفنهم فى لحن القول) جواب قسم محذوف ولحن القول اسلوبه

(ومعناه)

ومعناه حيث يقولون ما معناه التعليق كقولهم عند مجيء النصر انا كنا معكم وقولهم لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل وقولهم ان بيوتنا عورة وماهي بعورة ونحو ذلك من ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لحن القول هو قولهم قالوا مالنا ان اطعنا من الثواب ولايقولون ماعلينا اذا عصينا من العقاب (قوله اواماله الى جهة تعريض) من قولهم لحن اليه يلحن لحنا اى نواه ومال اليه والتعريض ان يضمن الكلام دلالة على ماليس مذكورا فيه كما تقول في محضر زيد ان البخل قبيح تريد به ان تصف زيدا بالبخل وتورية الخبر ستره واظهار غيره كقول ابي بكر رضي الله تعالى عنه حين كان يهاجر مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فسأله شخص وقال من هذا يريده صلى الله تعالى عليه وسلم فقال رضي الله تعالى عنه رجل يهديني الطريق قيل كان صلى الله تعالى عليه وسلم بعد هذا لايتكلم منافق عنده الاعرفه بقوله واستدل بفحوى كلامه على فساد دخلته الا انه لايظهر امره الى ان يأذن الله في اظهار امر المنافقين ولو لم يتميز عنده المنافق من غيره لما صح ان يمنع من الصلاة على جنائزهم والقيام على قبورهم ثم انه تعالى لما شرح احوال الكفرة والمنافقين خاطب المؤمنين بقوله والله يعلم اعمالكم وعدالهم وبيانا لكون حالهم على خلاف حال المنافقين فان المنافق له قول بلا عمل والمؤمن من يعمل ولايقول به وانما قوله ذكر الله تعالى وما فيه صلاح نفسه وغيره ثم قال ولنبلونكم اى ولنعاملنكم معاملة المختبر حتى نعلم من اطاع امرنا بانه قد تحقق منهم الاطاعة كما علمناهم بانهم سيطيعون فان الثواب والعقاب انما يترتبان على العلم الذي يكون بعد وجود الاطاعة والعصيان لاعلى العلم بانهما سيوجدان (قوله تعالى ونبلو اخباركم) اى ونعلم اخباركم فان البلوى وهو الاختبار سبب للعلم فاطلق اسم السبب واريد العلم المسبب عنه ولو ابقى على ظاهره لكان المعنى ولنبلونكم حتى نعلم اخباركم ولاوجه له بل المراد حتى نعلم الاخبار التي تخبر بها عنكم وعن اعمالكم اهي حسنة ام قبيحة بان تجاهدوا وتصبروا وتخبر الناس عنكم باخبار حسنة وهي انكم مجاهدون صابرون مؤمنون مطيعون والافبخلافها فالاخبار جمع خبر وهو الكلام الذي يخبر به الناس عنهم وعن اعمالهم (قوله فيظهر حسنها وقبحها) اى حسن الاعمال وقبحها يعني ان المقصود من علم الاخبار من حيث حسنها وقبحها ظهور حسن الاعمال وقبحها فان ظهور الاخبار من حيث حسنها وقبحها من توابع حسن الاعمال وقبحها فيستدل بظهور الاخبار على ظهور الاعمال واحوالها (قوله اواخبارهم عن ايمانهم اى ويحتمل ان يكون المراد باخبارهم اخبارهم عن انفسهم بانهم مؤمنون مطيعون

او اماله الى جهة تعريض وتورية ومنه قيل للمخطئ لاحن لانه يعدل الكلام عن الصواب (والله يعلم اعمالكم) فيجازيكم على حسب قصدكم اذ الاعمال بالنيات (ولنبلونكم) بالامر بالجهاد وسائر التكاليف الشاقة (حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين) على مشاقها (ونبلو اخباركم) ما يخبر به عن اعمالكم فيظهر حسنها وقبحها او اخبارهم عن ايمانهم وموالاتهم المؤمنين في صدقها وكذبها

وقرأ ابو بكر الافعال الثلاثة بالياء ليوافق ماقبلها وعن يعقوب ونبلو بسكون الواو على تقدير ونحن نبلو (ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ماتبين لهم الهدى) هم قريظة والنضير والمطعمون يوم بدر (لن يضروا الله شيئا) بكفرهم وصدهم اولن يضروا رسول الله بمشاقته وحذف المضاف لتعظيمه وتفظيع مشاقته (وسيحبط اعمالهم) ثواب حسنات اعمالهم بذلك اومكايدهم التى نصبوها فى مشاقته فلا يصلون بها الى مقاصدهم ولا تثمر لهم الا القتل والجلاء عن اوطانهم (يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم) بما ابطل به هؤلاء كالكفر والنفاق والعجب والرياء والمن والاذى ونحوها وليس فيه دليل على احباط الطاعات بالكبائر

للمؤمنين موالون وعن الكفار معرضون لا الاخبار التى يخبر بها الناس عنهم وعن اعمالهم وقد كشف الله تعالى صدقهم فيما اخبروا به عن انفسهم بان كلفهم بالتكاليف الشاقة (قوله وقرأ ابو بكر الافعال الثلاثة) وهى قوله تعالى ولنبلونكم وحتى نعلم ونبلو بالياء والباقون بالنون (قوله وحذف المضاف لتعظيمه) صلى الله تعالى عليه وسلم بالدلالة على انه لعلو قدره ومنزلته عند الله كانت المشاقة معه مشاقة مع الله تعالى لانه رسوله وما عليه الا البلاغ فمشاقته فى غاية الفظاعة الجوهرى فظع الامر بالضم فظاعة فهو فظيع اى شديد شنيع جاوز المقدار (قوله ثواب حسنات اعمالهم بذلك) اى بالكفر والصد ومشاقة الرسول فان قيل قد تقدم فى اول السورة ان الله تعالى احبط اعمالهم فكيف يحبطها فى المستقبل فالجواب انه يحتمل ان يكون معنى قوله فى اول السورة اضل اعمالهم انه حكم ببطلان ثواب اعمالهم وقوله ههنا وسيحبط اعمالهم انه سيظهر بطلان ثوابها فى الآخرة ويحتمل ان يكون المراد بقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله فى اول السورة المشركين وليس لهم اعمال مشروعة يستحقون بها الثواب فقال تعالى فى حق مكرماتهم انها ضائعة لبيان انه لاينفع مع الكفر عمل و يكون المراد بالذين كفروا ههنا اهل الكتاب مثل قريظة والنضير وقد كانت لهم اعمال شريفة قبل بعثة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فاحبطها تعالى بسبب تكذيبهم الرسول ولم ينفعهم ايمانهم بالتوحيد والرسول والحشر مع كفرهم به صلى الله تعالى عليه وسلم وان كان المراد بما فى هذه الآية المطعمين يوم بدر يكون المراد باعمالهم ههنا مكايدهم التى نصبوها لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين و باحباطها عدم وصولهم بها الى مقاصدهم واغراضهم و بما فى اول السورة ماظنوه حسنة و باحباطها عدم الاعتبار بها (قوله وليس فيه دليل على احباط الطاعات بالكبائر) اى على بطلانها باضاع ثوابها بسبب ارتكاب الكبائر وفى النظر دليل على ان المراد بالمبطل هو الكفر ومشاقة الرسول حيث قال ان الذين كفروا الى قوله لن يضروا الله شيئا وسيحبط اعمالهم ثم قال يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم فانه يدل على ان المعنى لا تبطلوها بمخالفتهما بترك ما امرتم به من الجهاد بانكار فرضيته وهو كفر محبط للعمل او بسبب الجبن والمخافة وهو معصية غير مبطلة للعمل الا انه جعل مبطلا على سبيل التغليظ والتشديد على تارك الجهاد حثا وذلك لان عطف قوله ولا تبطلوا اعمالكم على الاطاعتين وان كان من قبيل عطف المسبب على السبب كقولك اجلس واسترح وقم وامش وفهم منه ان الاطاعة سبب لعدم احباط الاعمال

وان المخالفة سبب لاحباطها الا انه ليس فيه دلالة على ان المخالفة بارتكاب الكبائر مطلقا محبطها وقد ثبت بقوله ان الله لايغفر ان يشرك به و يغفر مادون ذلك لمن يشاء ان مادون الشرك لايحبط العمل بل الامر فيه منوط بمشيئة الله تعالى فلاوجه للقطع بان ارتكاب الكبائر مطلقا يبطل العمل وانما يجزم باحباط ماثبت كونه محبطا بالنصوص القاطعة والآثار الصحيحة وهو الكفر والنفاق وقد ورد ان العجب يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وورد فى الحديث القدسي فى حق السمعة والرياء انا اغنى الشركاء عن الشرك فمن اشرك بى غيرى فى عمل عمله لى تركته وشركه وثبت به ان الاخلاص شرط لقبول العمل وما وقع منه رياء وسمعة فهو مردود على صاحبه ومالم يقبل ابتداء لايكون عملا فكيف يحبط وقد ورد فى حق المن والاذى انهما يبطلان الصدقة فان صاحب المن كانه يقول فى امتنانه فعلت هذا لاجلك وقصدت به اصلاح حالك ولولا ذلك لمافعلته وهذا مناف للاخلاص فلهذا لايثاب على صدقته و يقال له اطلب جزاءك ممن فعلته لاجله ولايقبل الله تعالى الاما كان خالصا له وعن مقاتل انه قال ان اسدا وخذيمة اتوا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاسلموا وقالوا اتيناك باولادنا وتركنا اموالنا وعشائرنا وان العرب لم يؤمنوا بك الامن بعد ماقاتلوك ولم نقاتلك فلنا عليك منة فنزلت ولا تبطلوا اعمالكم اى بالمن وقالت المعتزلة الكبيرة تحبط الحسنات ولوكانت مثل زبد البحر فلهذا فسر الزمخشري هذه الآية بقوله اى ولا تحبطوا الطاعات بالكبائر وذهب اهل السنة الى ان كل عمل صدر من اهله مستجمعا لجميع اركانه وشرائطه فارتكاب الكبائر لايحبطه ولايزيل ثوابه ان الله لايظلم مثقال ذرة ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ولايحبط العمل بعد استكمال اركانه وشرائط صحته وقبوله اذلا دليل عليه عقلا ولانقلا وان ارادوا باحباط الكبيرة الحسنة ان المؤمن يرى ثواب حسناته كما يرى عقاب سيئاته الا انه قدتكثر السيئات على الحسنات عند الموازنة فلايبقى من حسناته مايعادل تلك السيئات ولامن ثواب حسناته مايقابل عقاب السيئات فحينئذ يصدق ان يقال ان سيئاته احبطت ثواب حسناته بمعنى انه لم يبق من ثواب الحسنات مايدفع عقوبة السيئات فنحن نقول بهذا المعنى وليس النزاع فيه وايضا الاحباط بهذا غير لازم عندنا ولاعندهم بناء على قولهم انه تعالى يجب عليه عقاب العاصى وثواب المطيع ولايجوز العفو والشفاعة (قوله و يدل بمفهومه) اى بما يفهم من تقييد الحكم بنفى مغفرتهم بقولهم وهم كفار على غفر ان من لم يمت على الكفر ثم انه تعالى لما امر المؤمنين بالقتال بقوله فضرب الرقاب و بلغه الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم اليهم ثم اكد

(ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم) عام فى كل من مات على كفره وان صح نزوله فى اصحاب القليب و يدل بمفهومه على انه قد يغفر لمن لم يمت على كفره بسائر ذنوبه (فلا تهنوا) فلا تضعفوا

(وتدعوا الى السّلم) ولاتدعوا الى الصلح خورا وتذللا و يجوز نصبه باضمار ان وقرئ ولاتدعوا من ادعى بمعنى دعا وقرأ ابو بكر وحمزة بكسر السين (وانتم الاعلون) الاغلبون (والله معكم) ناصركم (ولن يتركم اعمالكم) ولن يضيع اعمالكم من وترت الرجل اذا قتلت متعلقا له من قريب او حميم فافردته عنه من الوتر شبه به تعطيل ثواب العمل وافراده عنه (انما الحياة الدنيا لعب ولهو) لاثبات لها (وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم اجوركم) ثواب ايمانكم وتقواكم (ولا يسألكم اموالكم) جميع اموالكم بل يقتصر على جزء يسير كربع العشر وعشره

وجوبه بقوله واطيعوا الرسول فان معظم المقصود منه تأكيد الامر بالجهاد والتشديد على من تركه جبنا ومخافة اذ تركه سبب لاحباط الاعمال فهذا يقتضي ان لايتهاونوا المكلف في امر الجهاد بل يجتهد و يسعى فيه ما امكن ثم ان تحقق المقتضي لايكفي في وجود المعلول بل ينبغي ان لايتحقق هناك مايمنع وجود المعلول فبين الله تعالى ان ليس هنا مايمنع من القتال اصلا فان المانع اما دنيوي او اخروي والكافر لاحرمة له لا في الدنيا ولا في الآخرة اما في الآخرة فلان الله تعالى لن يغفر له فيها واما في الدنيا فلانه لانصرة له في الدنيا بل انتم الاعلون فيها فلذلك رتب عليه قوله فلاتهنوا على انه جواب شرط محذوف اى اذا علمتم وجوب الجهاد وتأكد امره فلاتضعفوا ولاتكونوا اول الطائفتين ضرعت الى صاحبتها تطلب المصالحة (قوله ولاتدعوا) اشارة الى ان قوله وتدعوا في نظم الآية مجزوم بالعطف على فعل النهي قبله والخور بفتحتين الضعف يقال خار الحر والرجل يخور خورا وخورة ضعف وانكسر و يجوز كونه منصوبا باضمار ان بعد الواو في جواب النهي كما في قوله * لاتنه عن خلق وتأتي مثله * واصل اعلون اعليون فاعل قال الكلبي آخر الامر لكم وان غلبوكم في بعض الاوقات والله معكم بالعون والنصرة (قوله شبه به تعطيل ثواب العمل) يعني ان الوتر والترة في الاصل هلاك ماتعلق بالرجل من اهل او مال او حميم وافراد الرجل عنه فشبه به تضييع عمله بابطال ثوابه ثم استعير لجانب المشبه اللفظ المستعمل في جانب المشبه به وهو الوتر والترة فاطلق الوتر واريد تضييع العمل ثم اشتق منه يتركم فكان استعارة تبعية والضمير المنصوب فيه واقع موقع الرجل في وترت الرجل ولابد من تضمين معنى السلب او التضييع ليتعدى الى المفعول الثاني بنفسه اى لن يتركم سالبا او مضيعا اعمالكم قال صلى الله تعالى عليه وسلم من فاتته صلاة العصر فكانما وتر اهله وماله اى افرد عنهما بان قتل اهله ونهب ماله ثم ان حب الدنيا والحرص على مافيها من اللذات والشهوات لما كان سببا للجبن عن الغزو والتخلف عنه بين الله تعالى ان الدنيا ومافيها من الحظوظ العاجلة لاتصلح مانعا من الاقدام الى الجهاد ومايؤدي الى ثواب الآخرة لكونها بمنزلة اللهو واللعب في سرعة زوالها وفي انه لايترتب عليها بعد زوالها شئ من ثواب الآخرة التي فيها الحياة الباقية بخلاف الايمان والاتقاء عن العصيان فانكم ان تؤمنوا وتتقوا يعطكم الله تعالى ثواب ايمانكم وتقواكم في الآخرة ثم بين انه لايسألكم جميع اموالكم لايتاء الاجر وانما يسألكم غيضا من فيض وهو ربع العشر في اموال التجارة ونصف العشر في نماء الارض وخارجها فتطيبوا نفسا يقال غاض الكرام اى قلوا وفاض اللئام اى كثروا

(وقوله)

وقولهم اعطاه غيضا من فيض اى قليلا من كثير (قوله تعالى فيحفكم) عطف على فعل الشرط وعلامة الجزم فيه سقوط الياء وتبخلوا جواب الشرط و يخرج عطف عليه والاحفاء المبالغة فى كل شئ والاستقصاء فيه يقال احفى فى المسئلة اذا الح وبالغ فيها وكذا يقال الحف السائل اذا الح والفاء فى قوله فيحفكم للاشارة الى ان الاحفاء يتبع السؤال وان الانسان لكونه مجبولا على الشح لا يعطى بمجرد السؤال وانما يعطى شيئا اذا اتبع السؤال بالاحفاء ووجه الاشارة ان العطف بالواو قد يكون للمتباينين و بالفاء لا يكون الا للمتعاقبين اوللشيئين اللذين يتعلق احدهما بالآخر والمصنف فسر الاحفاء بالجهد وهو المشقة لان طلب الكل مشقة عظيمة وتحميل ما لا يطاق يقال جهد دابته واجهدها اذا حمل عليها فى السير فوق طاقتها قال قتادة علم الله ان فى مسئلة الاموال خروج الاضغان وعدم طيب النفس بها فلم يسألها لذلك ولو سألها والح عليكم فى الطلب لبخلتم كيف وانتم تبخلون باليسير فكيف لا تبخلون بالكثير فيخرج اضغانكم بسببه (قوله اى انتم يا مخاطبون هؤلاء الخ) اشارة الى ان انتم مبتدأ وها فى هؤلاء للتنبيه واولاء خبره والمعنى انتم اولاء الموصوفون الذين وصفناهم وكررت ها فى هؤلاء لتأكيد التنبيه ثم ابتدأ فقال تدعون كانهم قالوا ما وصفنا فقيل تدعون لتنفقوا فى سبيل الله كانه قيل انتم الذين طلبت منكم اليسير فكان منكم من يبخل عليه فكيف لو طلبت منكم الكل (قوله اوصلة) عطف على قوله استئناف ولم يذكر مفعول قوله لتنفقوا ليعم ما ينفقه الغازى على نفسه ومركبه وما لابد له منه فى الغزاة وما ينفقه من وجب عليه الزكاة والعشر وصدقة الفطر ونحوها (قوله ناس يبخلون) اشارة الى ان من موصوفة بجملة كما فى قول الشاعر

﴿ رب من انضجت غيظا صدره ﴿ قد تمنى لى موتا لم يطع ﴾

فان من فيه لا يجوز ان تكون موصولة والا لكانت معرفة ورب تختص بالنكرات فمن مبتدأ و يبخل صفته وقوله فمنكم خبره (قوله وهو كالدليل على الآية المتقدمة) يعنى ان قوله تدعون لتنفقوا سواء جعل استئنافا اوصلة لهؤلاء كالدليل على انه تعالى لو احفاهم لبخلوا (قوله تضمنه معنى الامساك والتعدى) والامساك يعدى بعن والتعدى يعدى بعلى فلو عدى بعلى لكان المعنى فانما يبخل متعديا على نفسه (قوله فانه امساك عن مستحق) علة لكونه متضمنا لكلا المعنيين فكونه علة لتضمنه معنى الامساك ظاهر وكونه علة لتضمنه معنى التعدى مبنى على ان الامساك عن المستحق تعدى عليه فالمنفق لا ينفق على غيره وانما ينفق على نفسه فمن بخل بالانفاق فانما يمسك عن نفسه ولا يتعدى بالامساك الا على نفسه كمن يبخل باجرة الطبيب وثمن الدواء وهو مريض فانه لا يمسك عن الطبيب و بائع

يقال احفى شاربه اذا استأصله (تبخلوا) فلا تعطوا (ويخرج اضغانكم) ويضغنكم على رسول الله عليه الصلاة والسلام والضمير فى يخرج لله تعالى ويؤيده القراءة بالنون او البخل لانه سبب الاضغان وقرئ وتخرج بالتاء والياء ورفع اضغانكم (ها انتم هؤلاء) اى انتم يا مخاطبون هؤلاء الموصوفون وقوله (تدعون لتنفقوا فى سبيل الله) استئناف مقرر لذلك اوصلة لهؤلاء على انه بمعنى الذين وهو يعم نفقة الغزو والزكاة وغيرها (فمنكم من يبخل) ناس يبخلون وهو كالدليل على الآية المتقدمة (ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه) فان نفع الانفاق وضرر البخل عائدان اليه والبخل يعدى بعن وعلى لتضمنه معنى الامساك والتعدى فانه امساك عن مستحق (والله الغنى وانتم الفقراء) فما يأمركم به فهو لاحتياجكم فان امتثلتم فلكم وان توليتم فعليكم

الدواء وانما يمسك عن نفسه ولايعود ضرر امساكه الاعليه ثم حقق ذلك بقوله والله الغني عما عندكم من الاموال وانتم الفقراء الى ماعنده من الفضل والرحمة فلا يدعوكم الى الانفاق في سبيله لاحتياجه الى ماعندكم من المال بل لتخالفوا اهواكم وتتبعوا مرضاة ربكم وتستحقوا بذلك ما عنده من الثواب الجزيل (قوله تعالى وان تتولوا) معطوف على قوله وان تؤمنوا وتتقوا والمعنى وان تعرضوا عن الايمان والاتقاء عن العصيان وقوله ثم لايكونوا مجزوم معطوف على قوله يستبدل ويجوز في المعطوف على جواب الشرط بالواو والفاء وثم الجزم والرفع تقول ان تأتني آتك فاخبرك بالجزم والرفع جميعا وقد ورد العطف بالوجهين في التنزيل بالجزم في هذه الآية وبالرفع في قوله تعالى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لاينصرون فانه مرفوع لثبوت النون (قوله والزهد في الايمان) اى وفي عدم الرغبة فيه فان الزهد خلاف الرغبة تقول زهد في الشيء وعن الشيء يزهد زهدا وزهادة اى رغب عنه ولافرق بين التعديتين في المعنى بخلاف رغب الجوهري رغبت في الشيء اذا اردته ورغبت عن الشيء اذا لم ترده وزهدت فيه (قوله سئل عنه) اى عن القوم الذين يقيمهم الله مقام من تولى واعرض عن الايمان والتقوى ويكون افضل واطوع منهم فضرب صلى الله تعالى عليه وسلم يده على فخذ سلمان وقال هذا وقومه ثم قال والذى نفسى بيده لوكان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس وثم في قوله تعالى ثم لايكونوا مستعار لبعد من يستبدله عنهم في الفضيلة ❁ هذا آخر مايتعلق بسورة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم والحمد لله وحده

(سورة الفتح)

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم (قوله انا فتحنا لك فتحا مبينا) الفتح في اللغة فتح المغلق كفتح الباب والقفل والتاج وكفتح المغلق من العلوم ويطلق في العرف على الظفر بالبلد عنوة او صلحا بحرب او بغير حرب لانه مغلق ما لم يظفر به فاذا ظفر به وحصل في اليد فقد فتح قيل المراد في الآية فتح مكة وقد فتحت مكة سنة ثمان من الهجرة ونزلت الآية سنة ست بين مكة والمدينة بعد رجوعه من مكة عام الحديبية وهو العام الذي صد المشركون فيه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقوله تعالى فتحا وعد له بالفتح وجيء به على لفظ الماضي لكون الفتح بمنزلة الكائن الموجود من حيث كونه محقق الوقوع والحديبية موضع قريب من مكة وعام الحديبية هو العام الذى صد المشركون فيه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن العمرة وصالحوه

(على)

(وان تتولوا) عطف على وان تؤمنوا (يستبدل قوما غيركم) يقم مقامكم قوما آخرين (ثم لايكونوا امثالكم) في التولى والزهد في الايمان وهم الفرس لانه سئل عليه الصلاة والسلام عنه وكان سلمان الى جنبه فضرب فخذه وقال هذا وقومه او الانصار او اليمن او الملائكة ❁ عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة محمد كان حقا على الله ان يسقيه من انهار الجنة

(سورة الفتح مدنية نزلت في مرجع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الحديبية وآيها تسع وعشرون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(انا فتحنا لك فتحا مبينا) وعد بفتح مكة عظمها الله والتعبير عنه بالماضي لتحققه

على ان يأتوا العام القابل روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم خرج من المدينة سنة ست من الهجرة في ذي القعدة يريد العمرة ومعه الف واربعمائة من المهاجرين والانصار وغيرهما من قبائل العرب وقيل الف وستمائة وساق سبعين بدنة واحرم من ذي الحليفة ليعلم الناس انه ما خرج محاربا وانما خرج زائرا البيت ومعظما له ولما نزل بوادي الحديبية والحديبية اسم بئر بذلك الوادي وسمي الوادي باسم تلك البئر بعث قريش الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رسولا وامروه ان يقول له صلى الله تعالى عليه وسلم انا لا نرضى ان تدخل علينا مكة عامك هذا احترازا عن ان تقول العرب انه دخلها عليكم عنوة فانا لا نرضى بهذا القول ابدا فارجع عنا عامك هذا واذا جاء العام القابل نخرج منها فتدخلها باصحابك فتطوف لعمرتك معهم وتقيمون فيها ثلاثة ايام ثم ترجعون بعدها فلما انتهى الرسول الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تكلم فطال الكلام وتراجعا ثم جرى بينهما الصلح على ان تكون الحرب موضوعة بين الناس عشر سنين وقيل سنتين يأمن فيهما الناس ويكف بعضهم عن بعض الى انقضاء مدة الصلح فامر صلى الله تعالى عليه وسلم علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه فكتب كتاب الصلح وكان سبب رضاهم بالصلح انه صلى الله عليه وسلم لما نزل بالحديبية بعث عثمان الى قريش يستأذنهم في ان يدخل صلى الله عليه وسلم مع اصحابه مكة معتمرين معظمين حرمات البيت غير محاربين فذهب عثمان اليهم فاستأذنهم في ذلك فابوا ان يأذنوا له وقالوا طف انت ان شئت فقال ما كنت لافعل حتى يطوف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وحبسوه عندهم ثلاثة ايام ولم يأذنوا له ان يعود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبقي عندهم ثلاثة ايام فبلغ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين ان عثمان قد قتل فقال صلى الله عليه وسلم حين بلغه ذلك الخبر لا ابرح حتى نأخذ القوم ودعا الناس الى البيعة وجلس تحت الشجرة فقال لاصحابه بايعوني على الموت فبايعوه عليه وقال جابر بايعناه على ان لا نفر ثم رجع عثمان رضي الله تعالى عنه فاخبرانهم ابوا ذلك وبلغت قضية البيعة الى قريش فكبرت عليهم وخافوا ان يحاربوا معه فقالوا لسهيل بن عمرو اذهب وارده عنا وصالحه فصالحهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم امر الناس ان يحلوا من احرامهم بان ينحروا بدنهم ويحلقوا رؤسهم ونحر هو ايضا البدن وحلق رأسه ثم انصرف متوجها الى المدينة حتى اذا كان بين مكة والمدينة نزل انا فتحنا لك فتحا مبينا الى قوله هو الذي انزل السكينة يعني السكون والطمانينة في البيعة في قلوب المؤمنين ليزدادوا تصديقا مع تصديقهم الذي هم عليه ثم دخلوا في العام القابل

أو بما اتفق له فى تلك السنة كفتح خيبر وفدك او اخبار عن صلح الحديبية وانما سماه فتحا لانه كان
بعد ظهوره على المشركين
حتى سألوا الصلح وتسبب
لفتح مكة و فرغ له
رسول الله عليه السلام
لسائر العرب فغزاهم
وفتح مواضع وادخل
فى الاسلام خلقا عظيما
وظهر له فى الحديبية آية
عظيمة و هى انه نزح
ماؤها بالكلية فتمضمض
ثم مج فيها فدرت بالماء
حتى شرب جميع من كان
معه او فتح الروم فانهم
غلبوا على الفرس فى تلك
السنة وقد عرف كونه
فتحا للرسول عليه السلام
فى سورة الروم وقيل الفتح
بمعنى القضاء اى قضينا لك
ان تدخل مكة من قابل
(ليغفر لك الله) علة
للفتح من حيث انه مسبب
عن جهاد الكفار والسعى
فى ازاحة الشرك واعلاء
الدين وتكميل النفوس
الناقصة قهرا ليصير
ذلك بالتدريج اختيارا
و تخليص الضعفة من
ايدى الظلمة (ماتقدم
من ذنبك وماتأخر) جميع
مافرط منك مما يصح ان
يعاتب عليه (ويتم نعمته
عليك) باعلاء الدين
وضم الملك الى النبوة (ويهديك صراطا مستقيما) فى تبليغ الرسالة واقامة مراسم الرياسة (فان)

سنة سبع وقضوا عمرتهم ثم فتحت مكة سنة ثمان ثم حج ابو بكر سنة تسع ثم حج النبى صلى الله عليه وسلم سنة عشر فلما كان نزول الآية قبل فتح مكة كانت عدة بالفتح (قوله او بما اتفق له) عطف على قوله بفتح مكة وقوله او اخبار عطف على قوله وعد (قوله وانما سماه فتحا) مع انه ليس بفتح بالمعنى العرفى الفتح ولا بالمعنى اللغوى اما الاول فلانه ليس بظفر على البلد واما الثانى فلانه ليس بظفر لمطلق كيف وقد احصروا ومنعوا من البيت فنحروا وحلقوا بالحديبية الا انه لما آل الامر الى بيعة الرضوان وظهر عند المشركين اتفاق كلمة المؤمنين وصدق عزيمتهم على الجهاد والقتال ضعفوا وخافوا حتى اضطروا الى طلب الصلح وتحقق بذلك غلبة المسلمين عليهم مع ان ذلك الصلح كان سببا لامور اخر كانت متعلقة قبل ذلك منها ان المشركين اختلطوا بالمسلمين بسببه فسمعوا كلامهم وتمكن الاسلام فى قلوبهم واسلم فى مدة قليلة خلق كثير كثر واسواد اهل الاسلام الى آخر ما ذكره المصنف عن البراء بن عازب رضى الله تعالى عنه انه قال تعدون انتم الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحا ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية حيث ترتب عليها من ظهور الاسلام وانتكاس احوال المشركين مالا يمكن وصفه فصارت كأنها مبدأ فتح الاسلام وقد قال جابر ماكنا نعد فتح مكة الى يوم الحديبية وذلك ان المشركين اختلطوا بالمسلمين بعد الصلح فصار ذلك سببا لاسلام خلق كثير فى زمان قليل (قوله او فتح الروم) عطف على صلح الحديبية فان اهل الروم غلبت على اهل فارس فى تلك السنة وكانت غلبتهم عليهم من دلائل النبوة حيث كان عليه الصلاة والسلام وعد بوقوع تلك الغلبة فى بضع سنين وهو مابين الثلاث الى التسع فكانت كما وعدها فظهر صدقه عليه الصلاة والسلام فكانت بذلك فتحا له عليه الصلاة والسلام (قوله علة للفتح من حيث انه مسبب الخ) يعنى ان الغفران علة غائية للفتح متأخرة عنه فى الوجود الخارجى وعلة حاملة عليه بحسب الوجود الذهنى كما فى قولك اتخذت السرير ليجلس عليه السلطان والعلة الغائية للحكم ينبغى ان تكون مسببة عنه وغفران الجرم يظهر كونه سببا للفتح الصادر منه تعالى فكيف يكون علة غائية له الا ان الفتح لما كان مسببا عن الافعال الحسنة الصادرة من العبد كالجهاد والسعى فى اعلاء الدين وتخليص الضعفة من ايدى الظلمة ونحوها وكانت تلك الافعال مسببة عن الغفران من حيث كونه حاملا عليها صح ان يجعل الغفران علة للفتح بواسطة كونه علة لما هو علة للفتح وهى الافعال وجعل المصنف الغفران علة للفتح رد على صاحب الكشاف فى قوله فكيف جعل فتح مكة علة للمغفرة لان العلة الغائية للحكم متأخرة عنه فى الوجود الخارجى كما فى قولك ضربته تأديبا

فان التأديب وان كان علة الضرب متقدمة عليه فى الوجود الذهنى الا انه غاية له متأخر عنه بحسب الوجود الخارجى الا ان المقصود بيان كون المغفرة علة للفتح كما يقتضيه دخول لام العلة عليها لا بيان كون الفتح علة لها فالمناسب للمقام انما هو عبارة المصنف وفى قوله تبارك وتعالى انا فتحنا لك تعظيم لامر الفتح من وجهين احدهما قوله انا والثانى قوله لك اى لاجل كرامتك عندى ولاجل جهادك فى فتح مكة او صلح الحديبية وفى اظهار فاعل قوله ليغفر لك و ينصرك اشعار بان كل واحد من المغفرة والنصرة دليل على الوهية وكونه معبودا بالحق لا يقدر عليه غيره (قوله نصرا فيه عز ومنعة) جواب عما يقال كيف اسند العزيز الى ضمير النصر مع ان العزيز من له النصر دونه وتقرير الجواب الاول ان صيغة افعل هنا للنسبة فالعزيز بمعنى ذى العزة كما ان راضية فى قوله تعالى فى عيشة راضية بمعنى ذات رضى فالمعنى نصرا ذا عز ومنعة لا اذل معه اى لا يترتب عليه الا العز للمنصور وكونه ذا منعة تمنعه عن ان يصيبه سوء ومكروه فاسناد العزيز بهذا المعنى الى ضمير النصر حقيقة وتقرير الجواب الثانى ان العزيز هو المنصور وان ما تعلق به من النصر هو سبب عزته فوصف النصر بوصف متعلقه للمبالغة فى عزة المنصور كما يقال جد جده للمبالغة فى حد الفاعل الحقيقى ثم انه تعالى لما قال و ينصرك الله نصرا عزيزا بين وجه النصرة فقال هو الذى انزل السكينة اى انزلها تحقيقا للنصر فانه تعالى قد ينصر رسله باهلاك اعدائهم بسبب من الاسباب وقد ينصرهم بتقوية قلوب انصارهم بان يرزقهم رسوخ الاعتقاد وازدياد اليقين فيثبتون على الحق حين تضطرب ضعاف القلوب واليقين فالسكينة بمعنى السكون والثبات كما ان البهيتة بمعنى البهتان فالمعنى انزل السكون والطمأنينة فى قلوبهم بتقوية يقينهم ليزدادوا يقينا او بسبب الصلح والامن ليعرفوا فضل الله عليهم باظهارهم على عدوهم فيزدادوا يقينا (قوله علة بما بعده لما دل عليه قوله ولله) ذكر فى متعلق اللام وجوها الاول ان تكون متعلقة بمحذوف دل عليه قوله ولله جنود السموات والارض فانه يدل على انه تعالى جعل المؤمنين جندا متعاونين على نصرة دينه واعلاء كلمه ليدخلهم الجنة و يعذب الكفار والثانى انها متعلقة بفتحنا فقوله اوفتحنا عطف على قوله مادل فى قوله علة لما دل عليه اى او هو علة لقوله انا فتحنا لانه روى ان الصحابة رضى الله عنهم قالوا له عليه السلام لما نزل قوله تعالى ليغفر لك الله هنيئا لك يارسول الله ان الله قد غفر لك فما لنا عند الله فنزل ليدخل المؤمنين الآية فكأنه تعالى قال انا فتحنا لك ليغفر لك وفتحنا للمؤمنين ليدخلهم (قوله اوانزل) اى او هو علة بما بعده لقوله انزل السكينة فى قلوب

(هو الذى انزل السكينة) الثبات والطمأنينة (فى قلوب المؤمنين) حتى يثبتوا حيث تقلق النفوس وتدحض الاقدام (ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم) يقينا مع يقينهم برسوخ العقيدة واطمئنان النفس عليها او انزل فيها السكون الى ما جاء به الرسول ليزدادوا ايمانا بالشرائع مع ايمانهم بالله واليوم الآخر (ولله جنود السموات والارض) يدبر امرها فيسلط بعضها على بعض تارة و يوقع فيما بينهم السلم اخرى كما تقتضيه حكمته (وكان الله عليما) بالمصالح (حكيما) فيما يقدر و يدبر (ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها) علة بما بعده لما دل عليه قوله ولله جنود السموات والارض من معنى التدبير اى دبر ما دبر من تسليط المؤمنين ليعرفوا نعمة الله فيه و يشكروها فيدخلوا الجنة و يعذب الكفار والمنافقين لما غاظهم من ذلك او فتحنا او انزل او جميع ما ذكر

أو ليزدادوا وقيل انه بدل منه بدل الاشتمال (ويكفر عنهم سيئاتهم) يغطيها ولا يظهرها

(وكان ذلك) اى الادخال والتكفير (عند الله فوزا عظيما) لانه منتهى ما يطلب من جلب نفع او دفع ضر وعند حال من الفوز (ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات) عطف على يدخل الا اذا جعل بدلا فيكون عطفا على المبدل (الظانين بالله ظن السوء) ظن الامر السوء وهو ان لا ينصر رسوله والمؤمنين (عليهم دائرة السوء) دائرة ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين لا يتخطاهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو دائرة السوء بالضم وهما لغتان غير ان المفتوح غلب فى ان يضاف اليه ما يراد ذمه والمضموم جرى مجرى الشر وكلاهما فى الاصل مصدر (وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم) عطف لما استحقوه فى الآخرة على ما استوجبوه فى الدنيا والواو فى الاخيرين والموضع موضع الفاء اذ اللعن سبب للاعداد والغضب سبب له لاستقلال الكل فى الوعيد بلا اعتبار السببية (وساءت مصيرا) جهنم (ولله جنود السموات والارض)

المؤمنين متعلقا بقوله ليزدادوا الآية ولو كان متعلقا بفعل انزل من غير اعتبار تعليله بقوله ليزدادوا فلا يخلو اما ان يكون كل واحد من ازدياد الايمان وادخال الجنة علة على حدة لانزال السكينة او يكون علة انزالها هى ادخال الجنة ويكون قوله ليزدادوا توطئة لذكره من غير ان يقصد بذكره التعليل بان يكون قوله ليدخل المؤمنين بدلا من قوله ليزدادوا بدل الاشتمال فان كان الاول كان المناسب ان يقال وليدخل عطفا على قوله ليزدادوا وان كان الثانى فهو عين ما نقله بعده بقوله وقيل انه بدل اشتمال فلا وجه لعطفه عليه فتعين انه انما يكون متعلقا بقوله انزل بعد اعتبار تعليله بقوله ليزدادوا (قوله اوليزدادوا) فيه ان قوله عز وجل ويعذب المنافقين عطف على قوله ليدخل فلو كان قوله ليدخل متعلقا بقوله ليزدادوا لكان علة ازدياد المؤمنين ايمانا مجموع الادخال والتعذيب ولا دخل للازدياد المذكور فى تعذيب المنافقين الا ان يقال اذا كان ازدياد الايمان سببا لدخول صاحبه الجنة واستحقاق الكرامة يكون ايضا سببا لان يعذب اعداءه لان اكرام عبد والرجل اهانة له فما يكون سببا لاكرام عدوه يكون سببا لتعذيب نفسه (قوله الا اذا جعل بدلا) فان اعراب البدل ليس بعامل حتى ينوب المعطوف عنه فيعمل لنيابته عنه فلا يجوز العطف على البدل فيكون ما عطف عليه ظاهرا معطوفا على المبدل منه حقيقة (قوله تبارك وتعالى الظانين) صفة لطائفتى اهل النفاق واهل الشرك وظن السوء منصوب على المصدر والاضافة فيه ليست من قبيل اضافة الموصوف الى صفته فانها غير جائزة عند البصريين ولا عكسها لان الصفة والموصوف عبارتان عن شئ واحد فاضافة احدهما الى الآخر من اضافة الشئ الى نفسه فالاضافة فى نحو صلاة الاولى ومسجد الجامع كالاضافة فى سيف شجاع من حيث ان المضاف اليه فى الحقيقة هو موصوف هذا المجرور والتقدير سيف رجل شجاع وصلاة الساعة الاولى ومسجد الوقت الجامع والمراد بالساعة الاولى اول ساعة تمتد عقيب الزوال وبالوقت الجامع يوم الجمعة فان ذلك اليوم جامع للناس فى مسجده للصلاة حذف المضاف اليه فى الجميع واقيم صفته مقامه واضافة ظن السوء من هذا القبيل اذ التقدير كما ذكره المصنف ظن الامر السوء والسوء بالفتح صفة مشبهة من ساء يسوء بضم العين فيهما سوأ فهو سوء ويقابله من حيث المعنى قولك حسن يحسن حسنا فهو حسن وهو فعل لازم بمعنى قبح وصار فاسدا رديئا بخلاف ساءه يسوءه سوءا ومساءة او مساية بمعنى ضره فانه متعد ووزنه فى الماضى فعل بفتح العين ووزن ما كان لازما فعل بضم العين وفعل يأتى فاعله على فعل كصعب صعوبة فهو صعب والسوء

بضم السين مصدر لهذا اللازم والسوء بالفتح لفظ مشترك بين اسم الفاعل من اللازم و بين مصدر المتعدي وقيل السوء بالفتح والضم لغتان بمعنى كالكره والكره والضعف والضعف والدائرة في الاصل عبارة عن الخط المحيط بالمركز ثم استعملت في الحادثة المحيطة بمن وقعت هي عليه الا ان اكثر استعمالها في المكروه كما ان اكثر استعمال الدولة في المحبوب الذي يتداول و يكون مرة لهذا ومرة لذاك والاضافة في دائرة السوء من اضافة العام الى الخاص للبيان كما في خاتم فضة والمعنى اكذب الله ظنهم وقلب ما يظنونه بالمؤمنين عليهم بحيث لا يتخطاهم ولم يظفروا بانصرة ابدا قيل الفائدة في اعادة قوله تعالى ولله جنود السموات والارض الاشارة الى ان لله جنود رحمة ينزلهم ليدخل بهم المؤمنين الجنة معظما مكرما اياهم وان له تعالى جنود عذاب يسلطهم على الكفار يعذبهم بهم في جهنم و يدل على هذا الوجه انه تعالى ذكر جنود الرحمة قبل قوله ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات وذكر جنود العذاب بعد قوله واعد لهم جهنم وساءت مصيرا و يدل عليه ايضا انه تعالى قال عند ذكر الجنود ثانيا وكان الله عزيزا حكيما وقال عند ذكرهم اولا وكان الله عليما حكيما لان عادته تعالى في كلامه المجيد ان يصف نفسه بالعزة في مقام ذكر العذاب والانتقام كما قال تعالى اليس الله بعزيز ذي انتقام و قال فاخذناهم اخذ عزيز مقتدر وقال العزيز الجبار ثم انه تعالى لما قال له عليه السلام انا فتحنا لك بطريق العدة والاخبار امتنانا عليه بذلك بين فائدة ارساله شاهدا ومبشرا ونذيرا فقال انا ارسلناك شاهدا على امتك اي على تصديق من صدقه وتكذيب من كذبه اي مقبولا قوله في حقهم عند الله تعالى سواء شهد لهم ام عليهم كما يقبل قول الشاهد العدل عند الحاكم والخطاب في قوله تبارك وتعالى لتؤمنوا بالله للنبي عليه الصلاة والسلام ولامته فيكون تعميما للخطاب بعد التخصيص لان خطاب ارسلناك للنبي خاصة ومثله قوله تبارك وتعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النساء خصه عليه الصلاة والسلام بالنداء ثم عم الخطاب على طريق تغليب المخاطب على الغائبين وهم المؤمنون فدلت الآية على انه عليه الصلاة و السلام يجب عليه ان يؤمن برسالة نفسه كما ورد في الحديث انه عليه افضل الصلاة والسلام قال اشهد اني عبد الله ورسوله (قوله على ان خطابه عليه السلام منزل منزلة خطابهم) جواب عما يقال كيف يجوز تخصيص الخطاب الثاني بالامة في مقام توجيه الخطاب الاول اليه عليه الصلاة والسلام بخصوصه اجاب عنه بان خطاب رئيس القوم بمنزلة خطاب من معه من اتباعه فجاز ان يخاطب الاتباع في مقام تخصيص الرئيس بالخطاب (قوله وتقووه بتقوية دينه ورسوله) تصريح بان الضمير

ه والارض وكان الله عزيزا حكيما انا ارسلناك شاهدا) على امتك (ومبشرا ونذيرا) على الطاعة و المعصية (لتؤمنوا بالله ورسوله) الخطاب للنبي والامة اولهم على ان خطابه منزل منزلة خطابهم (وتعزروه) وتقووه بتقوية دينه ورسوله (وتوقروه) و تعظموه (وتسبحوه) و تنزهوه او تصلوا له (بكرة واصيلا) غدوة وعشيا اودائما وقرأ ابن كثير وابو عمرو الافعال الاربعة بالياء وقرئ تعزروه بسكون العين وتعزروه بفتح التاء وضم الزاي و كسرها و تعززوه بالزايين و توقروه من اوقره بمعنى وقره

المذكورة فى قوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه راجعة الى الله تعالى لان ضمير رسوله ليس الاله تعالى وكذا ضمير تسبحوه لان التسبيح لايكون الا لله تعالى فلاوجه لان يجعل الضمير ان اللذان بينهما للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وان جوزه بعض اهل التفسير وجعل الجوهرى التعزير والتوقير بمعنى حيث قال التعزير التعظيم والتوقير والمفسرون حملوا تعزيره تعالى على تعظيمه بنصرة دينه ورسوله وتقويتهما وحملوا توقيره على تعظيمه باعتقاد انه متصف بجميع صفات الكمال منزه عن جميع وجوه النقصان قرئ لتؤمنوا الى آخر الافعال الاربعة بالياء والتاء فياء الغيبة مبنى على اسناد الافعال المذكورة الى ضمير المرسل اليهم المدلول عليه بلفظ ارسلناك وتاء الخطاب على خطاب الرسول والامة وتغليب المخاطب على الغائب وقرأ الجمهور وتعزروه بضم التاء وفتح العين وكسر الزاى مشددة وقرئ وتعزروه بضم التاء وسكون العين من اعزره بمعنى عزره وتعزروه بفتح التاء وضم الزاى وكسرها مخففة وتعززوه بزايين معجمتين من العزة ومعنى الكل واحد وعن عبدالله بن عمرو بن العاص ان هذه الآية التى فى القرآن وهى ياايها النبى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا هى ماقال فى التوراة ياايها النبى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرز اللاميين انت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ ولاغليظ ولاصخاب فى الاسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بان يقولوا لا اله الا الله فيفتح بها اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا عن البخارى فى هذه السورة ثم انه تعالى لما بين انه مرسل ارسله لما ذكر من الحكم والمصالح بين ان منزلته وقدره عند الله عظيم بحيث يكون من بايعه صورة فقد بايع الله تعالى حقيقة لان من بايعه عليه الصلاة والسلام على ان لايفر من موضع القتال الى ان يقتل اويفتح الله لهم وان كان يقصدبها رضى الرسول عليه الصلاة والسلام ظاهرا لكن انما يقصدبها حقيقة رضى الرحمن وثوابه وجنته وسميت المعاهدة المذكورة بالمبايعة التى هى مبادلة المال بالمال تشبيها لها بالمبايعة فى استمال كل واحد منهما على معنى المبادلة وذلك فى المبايعة ظاهر وكذا فى المعاهدة المذكورة فانها ايضا مشتملة على المبادلة بين التزام الثبات على محاربة المشركين وبين ضمانه عليه الصلاة والسلام بمرضاة الله تعالى عنهم واثابته اياهم جنة النعيم وملكا لايبلى فى مقابلة ذلك الثبات فاطلق اسم المبايعة على هذه المعاهدة على سبيل الاستعارة ثم انه لما كان ثواب ثباتهم على الحرب انما يصل اليهم من قبله تعالى كان المقصود من المبايعة معه عليه الصلاة والسلام المبايعة مع الله تعالى وانه عليه الصلاة والسلام هو سفير ومعبر عنه

تعالى و بهذا الاعتبار صار من بايعه عليه الصلاة والسلام على ذلك بمنزلة من بايع الله تعالى فقيل انما يبايعون الله كأنهم باعوا انفسهم من الله تعالى بالجنة وان كان العقد معه عليه الصلاة والسلام ولما جعلت المبايعة مع الرسول مبايعة مع الله تعالى وشبه تعالى بالمبايع اثبت له تعالى ما هو من لوازم المبايع حقيقة وهو اليد على طريق الاستعارة التخييلية فان المبايع لابد له عند مباشرة العقد من الصيغة عادة فلما قيل ان تلك المبايعة انما هي مع الله تعالى اكد هذا المعنى بان قيل يد الله فوق ايديهم كأنه قيل لا تظن ان الامر على خلاف ذلك فان يده يد الله تعالى فلما شبه الله تعالى بالمبايع اثبت له جارحة اليد على سبيل التخييل والا فهو تعالى منزه عن الجوارح وصفات الاجسام (قوله تعالى انما يبايعون الله) خبر ان ويد الله مبتدأ وما بعده خبره والظاهر ان الجملة خبر ثان لان جيء به تأكيد للاول ولم يتعرض المصنف لهذا الاحتمال بل جعلها جملة حالية من ضمير الفاعل في يبايعون اومستأنفة لتصوير المبايعة مع الله تبارك وتعالى فعلى هذا التقدير تكون اليد في الموضعين بمعنى الاحسان والصنيعة قال الطيبي نعمة الله عليهم في الهداية فوق ما صنعوا من البيعة كقوله تعالى بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان وعن ابن كيسان انها في الموضعين بمعنى القوة والنصرة والمعنى قوة الله تعالى ونصرته فوق قوتهم ونصرتهم كأنه قيل ثق بنصرة الله لك لا بنصرهم ومبايعتهم على النصرة والثبات فانه يقال اليد لفلان اى القوة والنصرة وقيل هي فيهما بمعنيين في حق الله تعالى بمعنى الحفظ وفي حق المبايعين بمعنى الجارحة قال السدى كانوا يأخذون بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبايعونه ويد الله اى حفظه تلك المبايعة من الانتقاض والبطلان فوق ايديهم كما ان احد المتبايعين اذا مد يده الى الآخر لعقد البيع يتوسط بينهما ثالث فيضع يده على يديهما ويحفظ يديهما الى ان يتم العقد ولا يترك واحدا منهما لان يقبض يده الى نفسه ويتفرق عن صاحبه قبل انعقاد البيع فيكون وضع الثالث يده على يديهما سببا لحفظ البيعة فلذلك قال الله تعالى يد الله فوق ايديهم يحفظهم ويمنعهم عن ترك البيعة كما يحفظ المتوسط ايدى المتبايعين (قوله نقض العهد) يقال نكث العهد والحبل فانتكث اى نقضه فانتقض ويقال اوفى بالعهد ووفى بالعهد اذا اتمه ويحتمل ان يراد بنكث العهد ما يتناول عدم مباشرته ابتداء ونقضه بعد انعقاده لما روى عن جابر رضى الله تعالى عنه انه قال بايعنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بيعة الرضوان تحت الشجرة على الموت وعلى ان لا نفر فانكث احدنا البيعة الا جد بن قيس وكان منافقا اختبأ

(ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله) لانه المقصود ببيعته (يد الله فوق ايديهم) حال او استئناف مؤكد له على سبيل التخييل (فمن نكث) نقض العهد (فانما ينكث على نفسه) فلا يعود ضرر نكثه الا عليه (ومن اوفى بما عاهد عليه الله) وفى في مبايعته (فسيؤتيه اجرا عظيما) هو الجنة وقرئ عهد وقرأ حفص عليه الله بضم الهاء وابن كثير ونافع وابن عامر وروح فسنؤتيه بالنون والآية نزلت في بيعة الرضوان (سيقول لك المخلفون من الاعراب) هم اسلم وجهينة ومزينة وغفار

فاستنفرهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عام الحديبية فتخلفوا واعتلوا بالشغل باموالهم واهليهم وانما خلفهم الخذلان وضعف العقيدة والخوف من مقاتلة قريش ان صدوهم (شغلتنا اموالنا واهلونا) اذ لم يكن لنا من يقوم باشغالنا وقرئ بالتشديد للتكثير (فاستغفر لنا) من الله على التخلف (يقولون بالسنتهم ماليس فى قلوبهم) تكذيب لهم فى الاعتذار والاستغفار (قل فمن يملك لكم من الله شيئا) فمن يمنعكم من مشيئته وقضائه (ان اراد بكم ضرا) مايضركم كقتل او هزيمة وخلل فى المال والاهل وعقوبة على التخلف وقرأ حمزة والكسائى بالضم (او اراد بكم نفعا) مايضاد ذلك وهو تعريض بالرد (بل كان الله بما تعملون خبيرا) فيعلم تخلفكم وقصدكم فيه (بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا) لظنكم ان المشركين يستأصلونهم واهلون جمع اهل وقد يجمع على اهلات كارضات على ان اصله اهلة واما اهال فاسم جمع كليال (وزين ذلك فى قلوبكم) فتمكن فيها وقرئ على البناء للفاعل وهو الله او الشيطان (وظننتم ظن السوء) الظن المذكور والمراد التسجيل عليه بالسوء او هو وسائر مايظنون بالله ورسوله من الامور الزائغة (وكنتم قوما بورا) هالكين عند الله لفساد عقيدتكم وسوء نيتكم

تحت ابط بعير ولم يسر مع القوم (قوله استنفرهم) اى طلب منهم ان ينفروا ويخرجوا معه حين اراد المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا فخرج معه حذرا من قريش ان يتعرضوا له بحرب فتثاقل كثير من الاعراب الكائنين حول المدينة وتخلفوا عنه وخافوا ان يكون قتال وقالوا انذهب الى قوم قد غزوه فى قعر داره بالمدينة وقتلوا اصحابه يعنون احدا فنقاتلهم فظنوا انه عليه الصلاة والسلام يهلك ولا ينقلب الى المدينة واعتلوا بالشغل باموالهم واهليهم وانه ليس لهم من يقوم باشغالهم فاخبر الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام عنهم بما سيقولون فى الاعتذار من تخلفهم اذا رجع الى المدينة وعاتبهم فى التخلف وبانهم لايكتفون بالاعتذار بل يتضرعون ويقولون ان تخلفنا وان كان مبنيا على العذر عند انفسنا الا انا نسألك ان تسأل الله تعالى ان يغفر لنا تخلفنا عنك اذ كنا حراصا على الخروج معك الا انه منعنا عنك مانع قوى ثم كذبهم فى اعتذارهم واخبر بنفاقهم فقال يقولون بالسنتهم ماليس فى قلوبهم فان الشك والنفاق هو الذى خلفهم وليس لهم عذر فيه سوى الشك ولما كان حاصل اعتذارهم ان تخلفهم عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يدفع عنهم الضر وهو سوء الحال من اختلال حال الاهل والاموال ويجلب لهم النفع وهو السلامة فى انفسهم واموالهم قال الله تعالى قل فمن يملك لكم من الله شيئا الآية يعنى انكم ايها المتاركين تحترزون عن الضر وتتركون امر الله تعالى وامر رسوله وتقعدون طلبا للسلامة فهل يمنعكم القعود والتخلف مما اراد الله بكم ان اراد بكم الضر وقرئ بضم الضاد ايضا وهو رد قولهم شغلتنا وصلاحيته للاعتذار ثم انه تعالى اضرب عن تكذيبهم فى اعتذارهم الى ايعادهم بانه يجازيهم بما عملوا من التخلف والاعتذار الباطل باظهار امر واخفاء غيره فقال بل كان الله بما تعملون خبيرا ثم اضرب عن بيان بطلان اعتذارهم الى بيان ماحملهم على التخلف فقال بل ظننتم الآية (قوله الظن المذكور) يعنى التعريف فى ظن السوء اما للعهد والمعهود ظنهم المتقدم وهو ظن ان لا ينقلبوا لكثرة العدو وقلة انفسهم ويكون العطف لمجرد التسجيل عليه بالسوء والا فهو من عطف الشئ على نفسه او للاستغراق فيكون المراد بالمعطوف سائر ظنونهم الزائغة لما تقرر من ان العام اذا عطف على الخاص يراد به سائر افراده (قوله هالكين) اشارة الى ان البور جمع بائر من بار بمعنى هلك كالعوذ جمع عائذ وهى من الابل والخيل الحديثة النتاج ويحتمل ان يكون مصدرا فانه يقال بار بورا مثل

(ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا) وضع الكافرين موضع الضمير ايذانا بان من لم يجمع بين الايمان بالله ورسوله فهو كافر وانه مستوجب للسعير بكفره وتنكير سعيرا للتهويل او لانها نار مخصوصة (ولله ملك السموات والارض) يدبره ﴿ ٢٠٧ ﴾ كيف يشاء (يغفر لمن يشاء و يعذب من يشاء) اذلا وجوب عليه (وكان الله غفورا رحيما) فان الغفران والرحمة من ذاته والتعذيب داخل تحت قضائه بالعرض ولذلك جاء في الحديث الالهي سبقت رحمتي غضبي (سيقول المخلفون) يعني المذكورين (اذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها) يعني مغانم خيبر فانه عليه السلام رجع من الحديبية في ذي الحجة من سنة ست واقام بالمدينة بقيتها واوائل المحرم ثم غزا خيبر بمن شهد الحديبية ففتحها وغنم اموالا كثيرة فخصها بهم (ذرونا نتبعكم يريدون ان يبدلوا كلام الله) ان يغيروه وهو وعده لاهل الحديبية ان يعوضهم من مغانم مكة مغانم خيبر وقيل قوله لن تخرجوا معي ابدا والظاهر انه في تبوك والكلام اسم للتكليم غلب في الجملة المفيدة وقرأ حمزة والكسائي كلم الله وهو جمع كلمة (قل لن تتبعونا) نفي في معنى النهي (كذلكم قال الله من قبل) من قبل تهيئهم للخروج الى خيبر (فسيقولون بل تحسدوننا) ان نشارككم في الغنائم وقرئ بالكسر (بل كانوا لا يفقهون) لا يفهمون (الا قليلا) الا فهما قليلا وهو فطنتهم لامور الدنيا ومعنى الاضراب الاول رد منهم ان يكون حكم الله ان لا يتبعوهم واثبات الحسد والثاني رد من الله لذلك واثبات لجهلهم امور الدين (قل للمخلفين من الاعراب) كرر ذكرهم بهذا الاسم مبالغة في الذم واشعارا بشناعة التخلف (ستدعون الى قوم اولي بأس شديد)

ملك هلكا بشاه و معنى والذلك يوصف به الواحد والجمع والمذكر والمؤنث (قوله وضع الكافرين موضع الضمير) جواب عما يقال من في قوله تعالى ومن لم يؤمن سواء كانت شرطية او موصولة في محل الرفع على الابتداء والجملة المصدرة بان خبرها فاين العائد منها الى المبتدأ اجاب عنه بان الظاهر قائم مقام العائد على القدرين فانا اعتدنا لهم ثم انه تعالى لما ذكر ان له اجرا عظيما من المبايعين ومن له عذاب اليم في السعير من الظانين ذكر بعده ولله ملك السموات والارض الى آخر الآية للدلالة على عظم الامرين جميعا لان من عظم ملكه يكون اجره وهبته في غاية العظمة وكذا يكون عذابه في غاية الشدة (قوله تعالى يريدون ان يبدلوا كلام الله) حال من المخلفون او مستأنف لبيان مرادهم من قولهم ذرونا والمراد بكلام الله وعده بان تكون غنائم خيبر لاهل الحديبية خاصة فقال عليه الصلاة والسلام لا يخرج الى خيبر الا اهل الحديبية وجعل ذلك عوضا لهم عن غنائم اهل مكة اذا انصرفوا منها على صلح ولم يصيبوا منها شيئا وهذا القول هو الاشهر عند المفسرين والاظهر نظرا الى قوله تعالى كذلكم قال الله من قبل اي من قبل تهيئهم للخروج الى خيبر وقيل المراد بكلام الله قوله لن تخرجوا معي ابدا بناء على ان القوم لما تخلفوا واطلع الله تعالى نبيه على باطنهم واظهر نفاقهم قال تعالى له عليه الصلاة والسلام قل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا فالقوم ارادوا بقولهم ذرونا نتبعكم ان تبدلوا ذلك الكلام بالخروج معه ولم يرض المصنف بهذا القول بناء على ان ذلك الكلام ورد في غزوة تبوك لا في هذه الواقعة (قوله واثبات الحسد) عطف على قوله رد منهم والمعنى فسيقولون تكذيبا لكم فيما اخبرتموهم من انه تعالى كذلك قال من قبل ما قال الله كذلك بل تحسدوننا ان نصيب معكم من الغنائم والاضراب الثاني رد من الله تعالى لما زعموه من ان النهي عن اتباعهم لاجل الحسد واثبات لجهلهم بشان النبي وما يصح ان يكون منه وما لا يصح منه اياهم فهما قليلا وهو فهمهم بظاهر من الحياة الدنيا (قوله كرر ذكرهم) فان المراد من المخلفين هم الذين منعوا عن الخروج الى خيبر في حياة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فانه عليه الصلاة والسلام لما قال لهم لن تتبعونا ولن تخرجوا معي ابدا وهم جمع كثير من قبائل شتى دعت الحاجة الى بيان قبل توبتهم فانهم لم يبقوا على ذلك ولم يكونوا من الذين مردوا

على النفاق بل منهم من رجع عنه وحسن حاله فيعمل تعالى لقبول توبتهم علامة وهو انهم يدعون بعد وفاته عليه الصلاة والسلام الى قوم اولى بأس شديد اى اولى قوة فى الحرب فمن اجاب منهم دعوة امام ذلك الزمان وحاربهم فانه تقبل توبته ويعطى الاجر الحسن فلولا انه تعالى بين انهم يدعون الى حرب اولى بأس شديد فان اطاعوا اعطوا الاجر الحسن لاستمر حالهم على النفاق كما استمر حال ثعلبة عليه فانه قد امتنع من اداء الزكاة ثم ابى بهما فلم يقبل منه النبى صلى الله عليه وسلم واستمر على هذا الحال ولم يقبلها منه احد من الصحابة فعلم تعالى من ثعلبة ان حاله لا يتغير فلم يبين لتوبته علامة وعلم من احوال الاعراب انها تتغير فبين لتغيرها علامة فقال اذا اطعتم من دعاكم الى حرب اولى البأس الشديد تابوا وتؤجروا فى الدنيا والآخرة وان تتولوا كما توليتم من قبل عن الخروج الى الحديبية يعذبكم عذابا اليما (قوله تعالى اويسلمون) الجمهور على رفعه باثبات النون عطفا على تقاتلونهم بالوجوب احد الامرين عليهم بحيث لايكون لهما امر ثالث لان اولا حد السببين ويفيئ عن الحصر كما فى قولك العدد زوج او فرد وقيل انه مرفوع على الاستئناف تقديره اوهم يسلمون وقرئ او يسلموا بالنصب باضمار ان بمعنى الا ان يسلموا او بمعنى الى ان يسلموا فيكون ان ما بعد اوفى تأويل مصدر مجرور بالى التى بمعنى الى واستدل المصنف بقوله تعالى تقاتلونهم اويسلمون وقرئ اويسلموا بالنصب اى على ان المراد بقوم اولى بأس شديدهم المرتدون او المشركون مطلقا سواء كانوا مشركى العرب او العجم بناء على ان من عدا الطائفتين المذكورتين وهم اهل الكتاب والمجوس ليس الحكم فيهم ان يقاتلوا الى ان يسلموا بل تقبل منهم الجزية بخلاف المرتدين فمشركوا العرب والعجم لاتقبل منهم الجزية بل يقاتلون حتى يسلموا وهذا عند الامام الشافعى رحمة الله عليه واما عند الامام ابى حنيفة رحمة الله عليه فمشركوا العجم تقبل منهم الجزية كما تقبل من اهل الكتاب والمجوس والذين لاتقبل منهم الا الاسلام او السيف انما هم مشركوا العرب والمرتدون فقط عنده (قوله اذلم تتفق هذه الدعوة) اى دعوة المخلفين الى قتال اولى البأس لم تتفق لغير ابى بكر فانه دعاهم الى قتال بنى حنيفة وهم اهل اليمامة ورئيسهم مسيلمة الكذاب ووجه دلالة الآية على امامة ابى بكر انها اوجبت على المخلفين طاعة من يكون اماما حقا فيكون ابو بكر اماما حقا لمن يدعوهم الى قتال اولى البأس واوعد على مخالفته حيث قال تعالى فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا وان تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا اليما ومن اوجب الله تعالى طاعته يكون اماما حقا فيكون ابو بكر اماما حقا الا اذا ثبت ان المراد باولى البأس

بنى حنيفة اوغيرهم ممن ارتدوا بعد رسول الله عليه الصلاة والسلام فانه قال (تقاتلونهم اويسلمون) اى يكون احد الامرين اما المقاتلة او الاسلام لاغير كما دل عليه قراءة او يسلموا ومن عداهم يقاتل حتى يسلم او يعطى الجزية وهو يدل على امامة ابى بكر رضى الله تعالى عنه اذ لم تتفق هذه الدعوة لغيره الا اذا صح انهم ثقيف وهوازن فان ذلك كان فى عهد النبوة وقيل فارس والروم ومعنى يسلمون ينقادون ليتناول تقبلهم الجزية (فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا) هو الغنيمة فى الدنيا والجنة فى الآخرة (وان تتولوا كما توليتم من قبل) عن الحديبية (يعذبكم عذابا اليما) لتضاعف جرمكم (ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج) لما اوعد على التخلف نفى الحرج عن هؤلاء المعذورين استثناء لهم من الوعيد

اهل حنين وهم ثقيف وهوازن فلادلالة للآية على امامة ابي بكر لان الدعوة الى قتالهم كانت في حياته عليه الصلاة والسلام فيكون المخلفون مدعوين من خيبر مدعوين الى قتال اهل حنين وقيل فارس والروم فتكون الآية دليلا على امامة عمر لانه هو الذي قاتلهم ودعا الناس الى قتالهم (قوله فصل الوعد) اي المدلول عليه بقوله يؤتكم الله اجرا حسنا واجمل الوعيد المذكور سابقا ولاحقا (قوله فتحه الاحابيش) وهم جمع احبوشة وهو الافراد من قبائل شتى تحبشوا اي تجمعوا يقال حبش قومه تحبيشا اي جمعهم والحباشة بالضم الجماعة من الناس ليسوا من قبيلة واحدة والحبش والتحبيش الجمع والتجميع يقال حبشت له حباشة اذا جمعت له شيئا قال سلمة بن الاكوع بينا نحن قائلون اي نائمون وقت الظهيرة من القيلولة اذ نادى منادي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم البيعة البيعة نزل روح القدس فسرنا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو تحت شجرة سمرة فبايعناه وكان عثمان رضي الله تعالى عنه يومئذ بمكة فقال عليه الصلاة والسلام ان عثمان في حاجة الله وحاجة رسوله وحاجة المؤمنين ثم وضع احدى يديه على الاخرى وقال هذه بيعة عثمان وروى عن جابر رضي الله تعالى عنه انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لايدخل النار احد ممن بايع تحت الشجرة وقال لمن بايعه من المؤمنين وهو جالس تحت الشجرة انتم اليوم خير اهل الارض وقوله تعالى فعلم ما في قلوبهم يشعر بان يكون علم الله تعالى بما في قلوبهم من الاخلاص واقعا عقيب رضاه عنهم مع ان علمه تعالى بذلك كان واقعا موجودا قد حصل قبل الرضى قبلية ذاتية لانه تعالى علم به فرضي عنهم الا ان هذا انما يلزم اذا كانت الفاء في قوله فعلم ما في قلوبهم لبيان وقوع العلم عقيب الرضى وليس كذلك بل هي لبيان وقوعه عقيب البيعة ليعلم ان الرضى لم يكن لمجرد المبايعة فقط بل انما كان للمبايعة التي كان معها علم الله تعالى بصدقهم فيها والفاء في قوله فانزل السكينة لبيان ان انزال السكينة كان عقيب رضاه عنهم فانه تعالى لما رضي عنهم وقت مبايعتهم المقرونة بالاخلاص رزقهم طمأنينة النفس امابان شجعهم على طاعة الرسول فيما دعاهم اليه من البيعة فبايعوه على ان يقاتلوا الى الموت ولايفروا او بان خوف المشركين والجأهم الى الصلح الموجب لسكون النفس وحصول الامن (قوله يعني مغانم خيبر) وكانت ذات عقار واموال اخذوها من اليهود مع فتح بلدتهم وكان الله عزيزا غالبا حكيما في امره حكم لهم بالظفر والغنيمة ولاهل خيبر بالسبي والهزيمة ثم ذكر سائر الغنائم التي يأخذونها فيما يأتي من الزمان الى يوم

مبالغة في الوعد لسبق رحمته ثم جبر ذلك بالتكرير على سبيل التعميم فقال (ومن يتول يعذبه عذابا اليما) اذ الترهيب ههنا انفع من الترغيب وقرأ نافع وابن عامر ندخله ونعذبه بالنون (لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة) روي انه عليه السلام لما نزل الحديبية بعث خراش بن امية الخزاعي الى اهل مكة فهموا به فمنعه الاحابيش فرجع فبعث عثمان بن عفان رضي الله عنه فحبسوه وارجف بقتله فدعا رسول الله عليه السلام اصحابه وكانوا الفا وثلثمائة او اربعمائة او خمسمائة وبايعهم على ان يقاتلوا قريشا ولا يفروا منهم وكان جالسا تحت سمرة اوسدرة (فعلم ما في قلوبهم) من الاخلاص (فانزل السكينة عليهم) الطمأنينة وسكون النفس بالتشجيع او الصلح (واثابهم فتحا قريبا) فتح خيبر غب انصرافهم وقيل مكة او هجر (ومغانم كثيرة يأخذونها) يعني مغانم خيبر (وكان الله

وهي مايفيء على المؤمنين الى يوم القيامة (فعجل لكم هذه) يعني مغانم خيبر (وكف ايدي الناس عنكم) اى ايدي اهل خيبر وحلفائهم من بني اسد وغطفان او ايدي قريش بالصلح (ولتكون) هذه الكفة او الغنيمة (آية للمؤمنين) امارة يعرفون بها انهم من الله بمكان او صدق الرسول في وعدهم فتح خيبر في حين رجوعه من الحديبية او وعد المغانم او عنوانا لفتح مكة والعطف على محذوف هو علة لكف او عجل مثل لتسلموا اولتأخذوا او العلة لمحذوف مثل فعل ذلك (ويهديكم صراطا مستقيما) هو الثقة بفضل الله والتوكل عليه (واخرى) ومغانم اخرى معطوفة على هذه او منصوبة بفعل يفسره قد احاط الله بها مثل قضى ويحتمل رفعها بالابتداء لانها موصوفة وجرها باضمار رب (لم تقدروا عليها) بعد لما كان فيها من الجولة (قد احاط الله بها) استولى فاظفركم بها وهي مغانم هوازن او فارس (وكان الله على كل شئ قديرا) لان قدرته ذاتية لاتختص بشئ دون شئ (ولو قاتلكم الذين كفروا) من اهل مكة ولم يصالحوا (لولوا الادبار) لانهزموا (ثم لايجدون وليا) يحرسهم (ولا نصيرا) ينصرهم (سنة الله التي قد خلت من قبل) اى سن الله غلبه انبيائه سنة قديمة فيمن مضى من الامم كما قال كتب الله (سنة) لاغلبن انا ورسلي (ولن تجد لسنة الله تبديلا) تغييرا (وهو الذي كف ايديهم عنكم) ايدي كفار مكة (وايديكم عنهم ببطن مكة) في داخل مكة (من بعد ان اظفركم عليهم) اظهركم عليهم وذلك ان عكرمة ابن ابي جهل خرج

القيامة فقال وعدكم الله مغانم كثيرة (قوله ايدي اهل خيبر وخلفائهم) قيل كان اهل خيبر سبعين الفا وانه عليه الصلاة والسلام لما حصر اهل خيبر هم خلفاؤهم من اسد وغطفان ان يغيروا على عيال المسلمين وارار يهم بالمدينة فكف الله ايديهم بالقاء الرعب في قلوبهم وقيل جاؤا انصرتهم فقذف الله في قلوبهم الرعب فنكصوا (قوله اوعنوانا لفتح مكة) عطف على قوله امارة قيل رأى رسول الله صلى تعالى عليه وسلم فتح مكة في منامه ورؤيا الانبياء وحي فتأخر ذلك في السنة الآتية فجعل فتح خيبر صورة ما رآه في منامه من فتح مكة (قوله لتسلموا اولتأخذوا) نشر على ترتيب اللف اى فجعل لكم هذه الغنيمة لتأخذوها ولتكون آية اوكف ايديهم عنكم لتسلموا اوليكون الكف آية (قوله او العلة لمحذوف) عطف على قوله والعطف على محذوف اى ويحتمل ان لايكون الواو للعطف على العلة المحذوفة قبلها بان تكون الواو ابتدائية وتكون اللام لتعليل ما حذف بعدها اى ولتكون آية فعل ذلك (قوله يفسره قد احاط الله بها) فان احاط قد اشتغل عن اخرى بتعديته بحرف الجر الى الضمير ولا ينصبه لو سلط عليه لكونه لازما لاينصب بنفسه فيضمر ما يناسبه من حيث المعنى كما في نحو زيدا مررت به فان مررت وان لم يصلح ناصبا للمفعول به الا انه يصلح مفسرا لما ينصبه بنفسه فان تقديره جاوزت زيدا مررت به وكذا قوله تعالى قد احاط الله بها يصلح مفسرا لما يناسبه من حيث المعنى مثل قضى فيجوز ان يكون تقدير الكلام وقضى اخرى قد احاط الله بها لان الاحاطة مجاز عن الاستيلاء واستيلاء الله تعالى على الغنيمة قضاؤه بها ويحتمل ان يكون واخرى في محل الرفع على الابتداء ولم تقدروا عليها صفته وهو المسوغ للابتداء بالنكرة وقد احاط الله بها خبره وان يكون مجرورا برب المظمرة بعد الواو ولم تقدروا صفة لمجرور رب وقد احاط جواب رب (قوله لما كان فيها من الجولة) اى من تكرر الهزيمة والرجوع الى القتال يقال تجاولوا في الحرب اى جال بعضهم على بعض فكانت بينهم مجاولات وبالجملة الجولة كناية عن كثرة العدو والاحتياج الى الجد القوي في محاربتهم (قوله وهي مغانم هوازن) فانهم لم يقدروا عليها في عام الحديبية وان قدروا عليها عقيب فتح مكة في غزوة حنين (قوله سن الله غلبة انبيائه

سنة) اشارة الى ان سنة الله مصدر مؤكد لفعله المحذوف (قوله واستشهد به) فان اباحنيفة رضي الله تعالى عنه استشهد بقوله تعالى هو الذي كف ايديهم عنكم الى قوله من بعد ان اظفركم عليهم على ان مكة فتحت عنوة لا صلحا ووجه الاستشهاد ان قوله تعالى من بعد ان اظفركم عليهم معناه من بعد ما سلطكم عليهم وخولكم الظفر والغلبة عليهم وذلك انما يكون بان تفتح قهرا وغلبة وقال الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه انما فتحت صلحا لما روى ان اباسفيان طلب الامان لاهل مكة فعقد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لهم الامان واستثنى رجالا مخصوصين امر بقتلهم وايضا انه عليه الصلاة والسلام لم يقتل ولم يسب ولا قسم عقارا ولا منقولا ولو فتحت عنوة لامر بخلافه ومن قال انها فتحت عنوة يقول انه عليه الصلاة والسلام دخلها مستعدا للقتال لو قوتل وبعث خالد بن الوليد والزبير بن العوام وامرهما ان يدخلاها من طرفيها فدخل خالد اسفلها عنوة ودخل الزبير اعلاها ولم يتفق في تلك الناحية قتل وحرب من جهة اهل مكة فامتنع الزبير عن قتلهم لذلك لا لسبق عقد المصالحة قبل ذلك ودخل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الجانب الذي دخل منه الزبير وسبب امتناعه عن قسمة عقار مكة انها خلقت حرة لا لاجل انها فتحت صلحا فلهذا لا يجوز عند ابي حنيفة رضي الله تعالى عنه بيع دور مكة (قوله وهو ضعيف اذ السورة نزلت قبله) فيه ان نزول السورة قبل فتح مكة لا يستلزم نزول الآية قبله ولو سلم انه يستلزم ذلك فلم لا يجوز ان يكون من قبيل القوة باظفارهم عليها وكف ايدى كل واحد من الفريقين عن الآخر والتعبير بلفظ الماضي لتحقق وقوعه كما في قوله تعالى انا فتحنا لك وقيل في وجه ضعفه ان الظفر هو الفتح مطلقا سواء كان عنوة او صلحا كما قال صاحب الكشاف في اول السورة ان الفتح هو الظفر بالبلد سواء كان عنوة او صلحا فان قلت احتجاج ابي حنيفة رضي الله تعالى عنه ليس مبنيا على ورود لفظ الظفر بل على تعديته بكلمة على الدالة على الاستعلاء والغلبة ولم يعبر الزمخشري عن فتح البلد صلحا بالظفر عليه بل قال الظفر به اجيب عنه بانه يكفي في تحقق الاستعلاء من جهة المؤمنين انهم باشروا عقد المصالحة بالطوع والاختيار بخلاف اهل مكة فانهم صالحوا عن اضطرار فتعدية الظفر بعلى ايضا لا يدل على فتحها عنوة واستدل المصنف على ان الكف المذكور كان عام الحديبية لا عام الفتح بقوله تعالى هم الذين كفروا الآية لان صدهم وصد الهدي معكوفا كان عام الحديبية وقوله تعالى وهو الذي كف ايديهم عنكم اى بان حملهم على الفرار منكم مع كثرة عددهم وكونهم في بلادهم بصدد الذب عن اهليهم واولادهم فالفرار من مثلهم في غاية

الى في خمسمائة الى الحديبية فبعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خالد بن الوليد على جند فهزمهم حتى ادخلهم حيطان مكة ثم عاد قيل كان ذلك يوم الفتح واستشهد به على ان مكة فتحت عنوة وهو ضعيف اذ السورة نزلت قبله (وكان الله بما تعملون) من مقاتلتهم اولا طاعة لرسوله وكفهم ثانيا لتعظيم بيته وقرأ ابو بكر بالياء (بصيرا) فيجازيهم عليه (هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفا ان يبلغ محله) يدل على ان ذلك كان عام الحديبية والهدي ما يهدى الى مكة وقرئ الهدى وهو فعيل بمعنى مفعول

البعد كما ان ترك المسلمين اياهم بعد ماظفروا عليهم بعيد وايديكم عنهم بان حملكم على الرجوع عنهم وتركهم مع ان العادة المستمرة فيمن ظفر بعدوه ان لايتركه بل يستأصله وقد اظفركم الله عليهم حيث هزمتم جيش الكفار وادخلتموهم بيوتهم كما روى ان اصحاب خالد بن الوليد هزموا اصحاب عكرمة وهم خمسمائة نفر وادخلوهم حيطان مكة ثم رجعوا سالمين وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنه ان الله تعالى اظفر المسلمين عليهم بالحجارة ثم ادخلهم البيوت فلما كان الكف على الوجه المذكور فى غاية النعمة قال تعالى هو الذى كف الخ على طريق الحصر استشهادا به على ما تقدم من قوله سبحانه وتعالى ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الادبار ووجه الاستشهاد ظاهر ثم انه تعالى اشار الى ان كف كل فريق عن صاحبه لم يقع من حيث انهم اصطلحوا وارتفع مابينهم من الاختلاف والعداوة بل الاختلاف باق لبقاء سببه وهو انهم كفروا بالله وصدوكم عن المسجد الحرام ان تطوفوا به وصدوا الهدى معكوفا اى محبوسا عن ان يبلغ محله وهو الموضع الذى ينحر فيه وهو الحرم فهم مع هذه الافعال القبيحة كانوا يستحقون ان يقاتلوا ويقتلوا الا انه تعالى كف يدى كل فريق عن صاحبه محافظة على ما فى مكة من المسلمين المستضعفين ليخرجوا منها وتخلو بها على وجه لايكون فيه ايذاء من فيها من المؤمنين والمؤمنات فقالهم الذين كفروا الآية والجمهور على نصب قوله تعالى والهدى عطفا على الضمير المنصوب فى قوله وصدوكم ومعكوفا حال من الهدى اى صدوكم عن المسجد الحرام ان تطوفوا به وصدوا الهدى محبوسا ممنوعا عن ان يبلغ محله حذفت كلمة عن واوصل المكف او الصد الى البلوغ توسعا وذلك الجار المقدر يجوز ان يتعلق بصدوكم وان يتعلق بمعكوفا ويحتمل ان يكون قوله ان يبلغ محله مفعولا له علة للصد اى صدوا الهدى كراهة ان يبلغ محله وقرئ بالجر عطفا على المسجد الحرام ولابد حينئذ من تقدير الجار اى وعن الهدى بالرفع ايضا على انه مفعول ما لم يسم فاعله بفعل مقدر اى صد الهدى وقرئ والهدى بكسر الدال وتشديد الياء واحده هدية مثل تمرة وتمر وهو مايهدى الى الحرم من النعم ليذبح فيه يقال عكفه عن كذا اى حبسه عنه ومنه العاكف فى المسجد لانه حبس نفسه فيه ويستعمل لازما ومتعديا فيقال عكفه عكفا فعكف عكوفا (قوله ومحله مكانه الذى يحل فيه نحره) اشارة الى ان المحل اسم للمكان الذى ينحر فيه الهدى ودم الاحصار يختص بالحرم عندنا فلا يجوز ذبحه الا فى الحرم وعند الامام الشافعى لايختص به فيجوز ان يذبح فى الموضع الذى احصر به لنا قوله تعالى ولاتحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدى محله بعد قوله فان احصرتم فما استيسر من الهدى والمراد

ومحله مكانه الذى يحل فيه نحره والمراد مكانه المعهود وهو منى لامكانه الذى لايجوز ان ينحر فى غيره والا لما نحره الرسول عليه الصلاة والسلام حيث احصر فلا ينتهض حجة للحنفية على ان مذبح هدى المحصر هو الحرم (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلوهم) لم تعرفوهم باعيانهم لاختلاطهم بالمشركين (ان تطأوهم) ان توقعوا بهم وتبيدوهم قال

وَوطئنا وطئا على حنق ❊ وطأ المقيد نابت الهرم وقال عليه الصلاة والسلام ان آخر وطأة وطئها الله بوج وهو واد بالطائف كان آخر وقعة للنبي عليه الصلاة والسلام بها واصله الدوس وهو بدل اشتمال من رجال ونساء او من ضميرهم في تعلوهم (فتصيبكم منهم) من جهتهم (معرة) مكروه كوجوب الدية والكفارة بقتلهم والتأسف عليهم وتعيير الكفار بذلك والاثم بالتقصير في البحث عنهم مفعلة من عره اذا عراه مايكرهه (بغير علم) متعلق بان تطأوهم اى تطأوهم غير عالمين بهم

بالمحل الحرم بدليل قوله تعالى هديا بالغ الكعبة وقوله ثم محلها الى البيت العتيق والمراد بالحرم ما عدا البيت اذ لايراق فيه الدماء وللامام الشافعي ان دم الاحصار انما شرع رخصة للتحلل من الاحرام قبل وقته ترفها والتوقيت بالحرم يشعر بالتضييق فيعود على موضوعه بالنقض ولماذكره المصنف من انه عليه الصلاة والسلام تحلل بنحره حيث احصر ونحن نقول ان بعض الحديبية حرم فانه قد روى ان مضارب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كانت في الحل ومصلاه في الحرم وهدى المحصر بالحج لايذبح الافي الحرم عند الحنفية الا انه لايتوقت بالزمان بل يذبح في اى وقت شاء عند ابي حنيفة وقالا يتوقت بالزمان وهو ايام النحر كمايتوقت بالمكان واما المحصر بالعمرة فلا يتوقت بزمان بالاجماع والمضارب جمع مضرب بفتح الميم وكسر الراء وهي المواضع التي ضرب فيها خيامه (قوله ووطئنا وطئا على حنق ❊ وطأ المقيد نابت الهرم) استشهد به على ان الوطئ عبارة عن الايقاع والابادة على طريق ذكر الملزوم وارادة اللازم لان الوطئ مستلزم للاهلاك يقال وطئت الشئ برجلي وطئا ووطئ الرجل امرأته يطأ فيهما جميعا والحنق بالحاء المهملة الغيظ الشديد يقال حنق عليه بالكسر اى اغتاظ فهو حنق واحنقه غيره فهو محنق والمقيد البعير المعقول الركبة والهرم بكسر الزاى المعجمة ماتكسر من الضريع وبالراء المهملة ضرب من الحمض وهو مامالح من النبات كالرمث والاثل والطرفاء والخلة من النبات ما كان حلوا تقول العرب الخلة خبز الابل والحمض فاكهتها ويقال لحمها وخص المقيد لان وطأه انقل كاخص الحنق لان اتقاءه ورجته اقل والمعنى اثرت فينا تأثير الحنق الغضبان كما يؤثر البعير المقيد اذا داس النبت (قوله كان آخر وقعة للنبي صلى الله عليه وسلم بها) فانه عليه الصلاة والسلام لم يغز بعدها الاغزوة تبوك ولم يكن فيها قتال (قوله وهو) اى قوله تعالى ان تطأوهم بدل اشتمال من رجال اى ولولا وطؤهم رجالا مؤمنين ونساء مؤمنات غير معلومين للمرء باعيانهم انهم مؤمنون فان قوله لم تعلوهم في موضع الرفع على انه صفة لرجال ونساء وان كان قوله ان تطأوهم في موضع النصب على انه بدل من الضمير المنصوب في لم تعلوهم بدل الاشتمال ايضا يكون المعنى لم تعلوا وطأهم ويشكل على هذا ان يكون قوله بغير علم متعلقا بقوله ان تطأوهم حالا من الضمير المرفوع فيه لانه على تقدير ان يكون ان تطأوهم بدلا من الضمير وان يكون بغير علم حالا من فاعل تطأوا يكون المعنى لم تعلوا ان تطأوهم غير عالمين بهم وهو يستلزم ان يعتبر نفي علمهم بهم مرتين لان عدم علمهم بوطئهم المؤمنين قد استفيد من قوله لم تعلوهم ان تطأوهم فيكون قوله بغير علم تكرارا

الكافرين جاهلين بهم فيصيبكم باهلاكهم مكروه لما كف ايديكم عنهم (ليدخل الله فى رحمته) علة لمادل عليه كف الايدى من اهل مكة صونا لمن فيها من المؤمنين اى كان ذلك ليدخل الله فى رحمته اى فى توفيقه لزيادة الخير او الاسلام (من يشاء) من مؤمنيهم او مشركيهم (لو تزيلوا) لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض وقرئ تزايلوا (لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما) بالقتل والسبي (اذ جعل الذين كفروا) مقدر باذكر او ظرف لعذبنا او صدوكم (فى قلوبهم الحمية) الانفة (حمية الجاهلية) التى تمنع اذعان الحق (فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين) فانزل عليهم الثبات والوقار وذلك ماروى انه عليه الصلاة والسلام لما هم بقتالهم بعثوا سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص ليسألوه ان يرجع من عامه على ان يخلى له

الآن يقال معنى عدم علمهم بوطئهم اياهم غير عالمين بهم عدم علمهم بكونهم معذورين فى وطئهم اياهم بناء على كون ذلك الوطئ فى حال عدم علمهم بكونهم مؤمنين فالظاهر على هذا ان يجعل قوله بغير علم متعلقا بمحذوف على انه صفة لمعرة او يكون حالا من مفعول تصيبكم وقوله فتصيبكم معطوف على قوله ان تطأوهم (قوله وجواب لولا محذوف) وهو قوله لما كف ايديكم عنهم وفى هذا المحذوف دليل على شدة غضب الله تعالى على كفار مكة كانه قيل لولا حق المؤمنين موجود لفعل بهم ما لا يدخل تحت الوصف والقياس بناء على ان الحذف للتعميم والمبالغة وخبر المبتدأ ايضا محذوف تقديره لولا رجال ونساء من اهل الايمان موجودون او بالحضرة فان ما بعد لولا الابتدائية مبتدأ وخبره محذوف فقولك لولاك منطلق انطلقت تقديره لولا انطلاقك حاصل انطلقت (قوله علة لما دل عليه كف الايدى) يعنى ان اللام فى قوله ليدخل متعلق بمحذوف دل عليه سوق الآية وهو كف ايدى المؤمنين عن اهل مكة صونا لمن بين اظهرهم من المؤمنين اى كان ذلك ليدخل الله فى رحمته فيكون تعليلا للكف بعد اعتبار تعليله بصون من بين اظهر اهل مكة من المؤمنين والالتزام من وطئهم بغير علم وليس علة لنفس الكف المذكور لانه قد علل بوجود رجال ونساء من المؤمنين كانه قيل كف ايديهم عنكم لئلا تطأوا الرجال والنساء المؤمنين المختلطين بهم من غير شعور بايمانهم فلا وجه لتعليله بشئ آخر (قوله اى فى توفيقه لزيادة الخير) اى الطاعة على تقدير ان يكون المراد بقوله من يشاء المؤمنين بين اظهر الكفرة فانهم لما رأوا لطف الله تعالى بهم حيث صانهم من طئ المسلمين اياهم مع انه تعالى اظفرهم على اهل مكة وصان من اجلهم من عداهم ممن استوجب العذاب كان ذلك سببا لمزيد الشكر والخير والطاعة (قوله او الاسلام) هذا على تقدير ان يكون المراد بمن يشاء المشركين الذين آمنوا بعد ذلك فان المناسب حينئذ ان يفسر الادخال فى الرحمة بالتوفيق للاسلام فان المشركين لما شاهدوا قدر المؤمنين عند الله حيث كف ايدى المسلمين عنهم بعد ان غلبوا عليهم مع استحقاقهم العذاب الشديد صونا لما بينهم من المؤمنين رغبوا فى مثل هذا الدين والانخراط فى زمرة المؤمنين (قوله لو تفرقوا او تميز بعضهم من بعض) اشارة الى ان ضمير تزيلوا للفريقين من المؤمنين والكافرين وجاز ان يرجع الى المؤمنين فقط وان يرجع الى الكافرين فقط يقال زلت الشئ ازيله زيلا اى مزته وفرقته وزلته منه فلم يزل اى ومزته فلم يتميز وزيلته فتزيل اى فرقته فتفرق (قوله مقدر باذكر) فيكون مفعولا به اى اذكر وقت جعلهم كقولك اذكر اذ قام زيد اى اذكر وقت قيامه فيكون اذ

اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا ما نعرف هذا اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح عليه رسول الله اهل مكة فقالوا لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك عن البيت وما قاتلناك اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله اهل مكة فقال النبي عليه الصلاة والسلام اكتب ما يريدون فهم المؤمنون ان يأبوا ذلك ويبطشوا بهم فانزل الله السكينة عليهم فتوقروا وتحلموا (والزمهم كلمة التقوى) كلمة الشهادة او بسم الله الرحمن الرحيم محمد رسول الله اختارها لهم او الثبات والوفاء بالعهد واضافة الكلمة الى التقوى لانها سببها او كلمة اهلها (وكانوا احق بها) من غيرهم (واهلها) المستأهل لها (وكان الله بكل شئ عليما) فيعلم اهل كل شئ وييسره له) لقد صدق الله رسوله الرؤيا) رأى عليه السلام انه واصحابه دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا وقصروا فقص الرؤيا على اصحابه ففرحوا بها وحسبوا ان ذلك يكون فى عامهم فلما تأخر قال بعضهم والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا رأينا البيت فنزلت

ظرفا للفعل الذى اضيف هو اليه وقوله اوظرف لعذبنا اى وصدوكم اى لعذبنا هم حين جعلوا فى قلوبهم الحمية اوصدوكم فى ذلك الوقت وفى قلوبهم يجوز ان يتعلق بجعل على انها بمعنى التى فيتعدى الى واحد اى اذا التى الكافرون فى قلوبهم الحمية وان يتعلق بمحذوف على انه مفعول ثان قدم على الاول على ان جعل بمعنى صير اى صير وا الحمية حاصلة فى قلوبهم وحمية الجاهلية بدل من الحمية قبلها فانهم حين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه عن زيارة البيت قالوا بناء على الحمية الناشئة عن الجهل والكفر بالله عز وجل انهم قتلوا ابناءنا واخواننا ثم اتوا يريدون ان يدخلوا علينا فى منازلنا فيتحدث العرب بانهم دخلوا علينا ثم على رغم انفنا واللات والعزى لا يدخلون علينا فهذه هى حمية الجاهلية التى دخلت قلوبهم ومن تلك الحمية انهم استنكفوا من اشتمال كتاب الصلح على توصيفه تعالى باسم الرحمن وعلى توصيفه عليه الصلاة والسلام بوصف انه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأى المؤمنون منهم هذه الحمية الباطلة هموا ان يأبوا الا ما اختاره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اولا وان يبطشوا بهم فانزل الله تعالى السكينة فتحملوا شتمهم ورضوا ان يكتب الكتاب على ما ارادوا فتم الصلح بذلك قال الزهرى انما ساعدهم النبى صلى الله عليه وسلم لانه عليه السلام لما خرج يريد مكة وبلغ الحديبية وقفت ناقته فزجرها الناس فلم تنزجر وبركت فالحوا عليها فلم تنبعث فقالت اصحابه خلأت القصواء فقال عليه الصلاة والسلام ما خلأت القصواء وما ذلك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل ثم قال والذى نفسى بيده لا تدعونى قريش اليوم الى خطة يعظمون فيها حرمات الله تعالى وفيها صلة الرحم الا اعطيتهم اياها فلذلك ساعدهم فيما قالوا وصالحهم على ما يريدون (قوله كلمة الشهادة) وهى لا اله الا الله وهى كلمة التقوى اذ بها يتوقى من الشرك ومن النار فان اصل التقوى الاتقاء عنهما وقد وصف الله تعالى هذه الامة بالمتقين فى مواضع من القرآن العظيم باعتبار هذه الكلمة وبسم الله الرحمن الرحيم ومحمد رسول الله من شعار هذه الامة وخواصها اختارها لهم وصار المشركون محرومين منها حيث لم يرضوا بان يكتب فى كتاب الصلح بسم الله الرحمن الرحيم ولا بان يكتب محمد رسول الله فصارت هذه الكلمة مختصة بالمؤمنين فلذلك قال تعالى والزمهم كلمة التقوى اى جعلها شعار المتقين وعن الحسن كلمة التقوى هى الوفاء بالعهد فان المؤمنين ثبتوا على مقتضى الصلح ووفوا بالعهد بخلاف المشركين حيث نقضوا العهد وعادوا من حارب حليف المؤمنين والمعنى على هذا والزمهم كلمة اهل التقوى وهو العهد الواقع

في ضمن الصلح ومعنى الزامها اياهم تثبيتهم عليها وعلى الوفاء بها (قوله والمعنى صدقه في رؤياه) يعني ان صدق يتعدى الى مفعولين الى الاول بنفسه والى الثاني بحرف الجر يقال صدقك في كذا اي ما كذبك فيه وقد يحذف الجار ويوصل الفعل كما في هذه الآية وفي قوله من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فانه عليه الصلاة والسلام لما رأى في المنام وهو بالمدينة قبل ان يخرج الى الحديبية انه دخل هو واصحابه مكة آمنين محلقين رؤسهم ومقصرين ومن المعلوم انه ليس من تخييل الشيطان تعين انه من وحي الرحمن او وحي اليه انك ستدخل مكة مع اصحابك على الوصف المذكور الا انه تعالى اراه الدخول واقعا محققا لكونه في حكم المحقق ثم انهم لما انصرفوا ولم يدخلوا مكة قال المنافقون والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا دخلنا المسجد الحرام فنزلت الآية ناطقة بانه تعالى لم يكذب فيما ارى نبيه من دخول مكة على الوجه المذكور اذ ليس فيما اراه الدخول في عام ست وانما اراه مجرد صورة الدخول وقد صولح على الدخول في عام سبع (قوله بالحق ملتبسا به) على ان يكون الحق متعلقا بمحذوف على انه حال من الرؤيا اي ملتبسة بالحق (قوله جوابه) اي جواب لقوله بالحق على ان يكون قسما باسم الله او بنقيض الباطل وان كان بالحق حالا يكون لتدخلن جواب قسم مضمر وعلى التقديرين يكون الجملة القسمية مستأنفة لتحقيق صدقه تعالى فيما اراه من الدخول على الوجه الموصوف (قوله تعليما للعباد) اشارة الى جواب ما يقال الظاهر ان قوله تعالى لتدخلن وعد الهي بالدخول وقوله ان شاء الله تعليق للموعود بالمشيئة فما وجه هذا التعليق فان المخبر انما يعلق ما اخبر به بالمشيئة اذا كان له تردد وشك في وقوعه والله تعالى منزه عن ذلك فما وجه تعليق موعوده بمشيئة اجاب عنه اولا بانه تعالى علق عدته بمشيئته تعليما للعباد لكي يقولوا في عداتهم مثل ذلك لا لكونه شاكا في وقوع الموعود وفيه ايضا تعريض بان دخولهم مبني على مشيئة الله تعالى لا على جلادتهم وقوتهم وهذا معنى ما قيل استثنى الله تعالى فيما يعلم ليستثني الخلق فيما لا يعلمون وثانيا بان الموعود دخولهم جميعا وعلقه بمشيئته اشعارا بان بعضهم لا يدخل فكلمة ان ليست للشك بل للتشكيك وثالثا بمنع ان يكون التعليق من كلام الله تعالى اذ يجوز ان يكون من قبيل الملك الذي القى على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في المنام كلام الله تعالى وهو قوله لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين الآية فعلى هذا لا يكون لتدخلن استئنافا بل يكون تفسير الرؤيا فان ذلك الملك لما القى عليه عليه الصلاة والسلام في رؤياه هذا الكلام الالهي ادخل فيه هذه الكلمة

(من تلقاء)

والمعنى صدقه في رؤياه (بالحق) ملتبسا به فان ما رآه كائن لا محالة في وقته المقدر له وهو العام القابل ويجوز ان يكون بالحق صفة مصدر محذوف اي صدقا ملتبسا بالحق وهو القصد الى التمييز بين الثابت على الايمان والمتزلزل فيه وان يكون قسما اما باسم الله تعالى او بنقيض الباطل وقوله (لتدخلن المسجد الحرام) جوابه وعلى الاولين جواب قسم محذوف (ان شاء الله) تعليق للعدة بالمشيئة تعليما للعباد او اشعارا بان بعضهم لا يدخل لموت او غيبة او حكاية لما قاله ملك الرؤيا في النوم او النبي لاصحابه (آمنين) حال من الواو والشرط معترض

من دون دخولكم المسجد او فتح مكة (فتحا قريبا) هو فتح خيبر لتستروح اليه قلوب المؤمنين الى ان يتيسر الموعود (هو الذى ارسل رسوله بالهدى) ملتبسا به او بسببه اولاجله (ودين الحق) و بدين الاسلام (ليظهره على الدين كله) ليعليه على جنس الدين كله بنسخ ما كان حقا واظهار فساد ما كان باطلا او بتسليط المسلمين على اهله اذ ما من اهل دين الا وقد قهرهم المسلمون و فيه تأكيد لما وعده من الفتح (وكفى بالله شهيدا) على ان ما وعده كائن او على نبوته باظهار المعجزات (محمد رسول الله) جملة مبينة للمشهود به ويجوز ان يكون رسول الله صفة و محمد خبر محذوف او مبتدأ (والذين معه) معطوف عليه وخبرهما (اشداء على الكفار رحماء بينهم) و اشداء جمع شديد و رحماء جمع رحيم والمعنى

من تلقاء نفسه تبركا ثم انه تعالى لما رضى به القاه كذلك على لسان جبرائيل فالتعليق المذكور حكاية ماقيل لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى المنام وليس من قبله تعالى وربما يانه من كلام الرسول فانه عليه الصلاة والسلام لما قص رؤياه على اصحابه استأنف فقال لتدخلنه ان شاء الله (قوله اى محلقا بعضكم) يعنى ان واو الجمع ليست لاجتماع الامرين فى كل واحد بل لاجتماعهما فى مجموع القوم فان قيل محلقين حال من الداخلين والداخل لايكون الا محرما والمحرم لا يكون محلقا ولا مقصرا الان كل واحد من الحلق والتقصير يخرج به الانسان من الاحرام ولا يقارن شئ منهما الاحرام فالجواب انه حال مقدرة فان قيل قوله لاتخافون معناه غير خائفين وهذا المعنى قد حصل بقوله آمنين فما الفائدة فى اعادته فالجواب ان فيه بيان كمال الامن لان أمنهم حال الدخول يحتمل ان يكون لاجل احرامهم اولاجل كونهم فى الحرام فان اهل مكة كانوا يجتنبون عن قتال الحرم ومن هو داخل الحرم و بعد الحلق او التقصير لا يبقى الانسان محرما فقوله لاتخافون عنى له ان يقال يبقى أمنكم بعد خروجكم من الاحرام الا ان هذا الجواب مبنى على ان يكون لاتخافون حالا من ضمير محلقين او مقصرين على التداخل فالظاهر فى الجواب ما اشار اليه المصنف بقوله حال مؤكدة او استئناف (قوله تعالى فعلم مالم تعلموا من الحكمة فى تأخير ذلك) الموعود الى السنة القابلة وهى انكم لولم تصالحوهم فى تأخير الدخول الى السنة القابلة ودخلتم عليهم فى هذه السنة عنوة بالمقاتلة والحرب لوطئتم المؤمنين والمؤمنات بغير علم ولاصابتكم منهم معرة والفاء فى قوله تعالى فعلم عاطفة للجملة التى بعدها على جملة لقد صدق الله رسوله دالة على ان المذكور بعدها كلام مرتب على ما قبلها فى الذكر من غير ان يكون مضمون ما بعدها واقعا عقيب مضمون ما قبلها فى الزمان كما فى قوله تعالى ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين وقوله واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم اجر العاملين فان ذكر الشئ ومدحه انما يصح بعد جرى ذكره فكذا فى هذه الآية فان التعرض لحكمة الشئ انما يصح بعد جرى ذكره ليستروح اليه اى ليسكن ويطمئن الى ذلك الفتح قلوب المؤمنين الى ان يتيسر الموعود وهو دخول المسجد او فتح مكة فكلمة الى فى قوله اليه صلة الاسترواح وفى قوله الى ان يتيسر الموعود غاية له قال الجوهرى استروح اليه اى استنام ثم قال فى فصل الميم استنام اليه اى سكن اليه واطمأن (قوله ملتبسا به او بسببه) فالباء على الاول متعلق

انهم يغلظون على من خالف (٢٨) دينهم و يتراحمون (من) فيما بينهم كقوله اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين (تراهم ركعا سجدا) لانهم مشغولون بالصلاة فى اكثر اوقاتهم (يبتغون فضلا من الله ورضوانا) الثواب والرضى

بمحذوف هو حال من مفعول ارسل وعلى الثانى هى سببية متعلقة بارسل لا بالمحذوف ومحمد خبر محذوف اى هو محمد رسول الله و المبتدأ المحذوف راجع الى الرسول المذكور فى قوله هو الذى ارسل رسوله فانه تعالى لما ذكر انه بجلال ذاته وعلو شأنه اختص بارسال رسوله ملتبسا بالهدى و الدين الحق لذلك الخطب الجليل والامر الخطير توجه ان يقال من ذلك الرسول فاجاب عنه على طريق الاستئناف بقوله هو محمد رسول الله ثم ابتدأ بقوله والذين معه اشداء على الكفار تنمر بذا لهم وكرامة كقوله سبحانه وتعالى هو الذى ايدك بنصره و بالمؤمنين (قوله تعالى سيماهم) مبتدأ وفى وجوههم خبره ويحتمل ان يكون المراد بالعلامة الثابتة فى وجوههم ما يظهر عليها يوم القيامة من النور والبياض كما قال تعالى نورهم يسعى بين ايديهم وقال يوم تبيض وجوه فان من توجه نحو الحق الذى هو نور السموات والارض لاجرم يقع عليه شئ من نوره كمن يحاذى الشمس يقع شعاعها على وجهه ويحتمل ان يكون المراد بها ما ظهر عليها فى الدنيا من اصفرار الوجه فى النهار من طول السهر ومابقى على الجباه من تراب الارض لانهم كانوا يسجدون على التراب لا على الاثواب وكهيئة الخشوع والتواضع اللازمة للصلاة فانه من واظب على الصلاة يبقى عليه آثارها بعد خروجه منها كاستنارة الوجوه بالنهار من طول ما صلوا بالليل كما قال عليه افضل الصلاة والسلام من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار الا ترى ان من سهر بالليل وهو مشغول بالشراب واللعب لا يكون وجهه فى النهار كوجه من سهر وهو مشغول بالطاعة والاخلاص ولما كان السيما العلامة مطلقا وكان المراد بها ههنا العلامة الخاصة المترتبة على كثرة السجود بينها بقوله من اثر السجود فهو صفة موضحة لها و يجوز ان يكون حالا من المنوى فى الخبر (قوله اشارة الى الوصف المذكور) وهو كونهم اشداء رحماء ركعا سجدا وكون سيماهم التى هى اثر السجود ثابتة فى وجوههم فقوله تبارك وتعالى ذلك مبتدأ ومثلهم خبر وفى التوراة حال من مثلهم والعامل فيها معنى الاشارة اى ذلك الوصف مثلهم اى وصفهم العجيب الشأن فى الكتابين التوراة والانجيل فانهم وصفوا بذلك فيهما ثم ابتدأ فقال كزرع اى هم كزرع وقيل تم الكلام عند قوله فى التوراة ثم ابتدئ بان قيل ومثلهم فى الانجيل كزرع فهما مثلان اى وصفان عجيبان لهم كما ذكره المصنف بقوله او مبتدأ خبره كزرع فانه معطوف على قوله عطف عليه فان جعل معطوفا على مثلهم لا يدل يكون مثلا واحدا فى الكتابين ويكون قوله كزرع مثلا مستأنفا مغايرا فى الكتابين اى هم كزرع وان جعل ذلك اشارة الى الوصف المبهم لا الى الاوصاف المذكورة قبل يكون قوله كزرع تفسيرا لذلك المبهم لا تمثيلا مستأنفا ومن كون ذلك

(سيماهم فى وجوههم من اثر السجود) يريد السمة التى تحدث فى جباههم من كثرة السجود فعلى من سامه اذا اعلمه وقد قرئت ممدودة ومن اثر السجود بيانها او حال من المستكن فى الجار (ذلك) اشارة الى الوصف المذكور او اشارة مبهمة يفسرها كزرع (مثلهم فى التوراة) صفتهم العجيبة الشأن المذكورة فيها (ومثلهم فى الانجيل) عطف عليه اى ذلك مثلهم فى الكتابين وقوله (كزرع) تمثيل مستأنف او تفسير او مبتدأ وكزرع خبره

(للاشارة)

﴿ اخرج شطأه اى فراخه يقال ﴿ ٢١٩ ﴾ اشطأ الزرع اذا افرخ وقرأ ابن كثير وابن عامر برواية ابن ذكوان شطأه بفتحات وهو لغة فيه وقرئ شطاه بتخفيف الهمزة وشطاه بالمد وشطه بنقل حركة الهمزة وحذفها وشطوه بقلبها واوا (فآزره) فقواه من الموازرة وهى المعاونة او من الايزار وهى الاعانة وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان فازره كاجير فى آجرا (فاستغلظ) فصار من الدقة الى الغلظة (فاستوى على سوقه) فاستقام على قصبه جمع ساق وعن ابن كثير سؤقه بالهمزة (يعجب الزراع) بكثافته وقوته وغلظته وحسن منظره وهو مثل ضربه الله تعالى للصحابة قلوا فى بدء الاسلام ثم كثروا و استحكموا فترقى امرهم بحيث اعجب الناس (ليغيظ بهم الكفار) علة لتشبيههم بالزرع فى زكائه واستحكامه او لقوله (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما) فان الكفار لما سمعوا غاظهم ذلك ومنهم للبيان عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة الفتح فكانما كان ممن شهد مع محمد فتح مكة

للاشارة الى المبهم المفسر قوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين (قوله شطأه اى فراخه) الفرخ فى الاصل ولد الطائر ويجمع فى القلة على افرخ وافراخ وفى الكثرة على فراخ كرجال يقال افرخ الطائر اذا صار ذا فرخ بان خرج فرخه من البيضة و يقال ايضا افرخ الامر اذا استبان بعد اشتباه و يقال افرخ الزرع وفرخ اذا انسفق وخرج منه فروعه بعد ما نبت اصله فان الزرع اول ما نبت فهو نبت وما خرج بعده فهو شطؤه فاول ما نبت بمنزلة الام وما تفرع وتشعب منه بمنزلة اولاده وافراخه وعن الاخفش اخرج شطأه اى اطرافه ولعله اخذه من شاطئ الوادى بمعنى جانبه (قوله وهو لغة فيه) كالنهر والنهر والجمهور على سكون الطاء (قوله وقرئ شطاه) كعصاه نقلت حركة الهمزة الى الطاء الساكنة قبلها ثم قلبت الفا على لغة من يقول المراة والكماة (قوله من الموازرة) فيكون آزر فاعل من الازر وهو القوة (قوله او من الايزار) اى و يحتمل ان يكون آزر على وزن افعل وهو الظاهر لانه لم يسمع فى مضارعه يوازر بل يؤزر وفى الصحاح الازر القوة وقوله تعالى اشدد به ازرى اى ظهرى وآزرت فلانا اى عاونته والعامة تقول وازرته انتهى والمنوى فى آزره ضمير الزرع اى اعان الزرع الشطئ وقواه بقرينة ان فاعل اخرج ضمير الزرع اى اعان الزرع الا ان الامام النسفى جعل المنوى فى آزر ضمير الشطئ حيث قال فآزره فقوى الشطئ اصل الزرع بالكثافة والنماء وهو صريح فى ان الضمير المرفوع للشطئ والمنصوب للزرع وقيل آزره بمعنى ساواه فيكون الضمير المرفوع للشطئ والمنصوب للزرع اى ساوى الشطئ الزرع الذى هو بمنزلة الام له فصار الشطئ مثل امه وعلى قامتها (قوله فصار من الدقة الى الغلظة) يعنى ان السين فى استغلظ للتحول كما فى استحجر الطين والظاهر ان ضمير استغلظ للزرع اى غلظ ذلك الزرع واستقام على قصبه وقوله يعجب الزراع يجوز ان يكون مستأنفا وان يكون حالا اى معجبا اى استوى هذا الزرع على سوقه حال كونه بحيث يعجب زراعه اى يسرهم بقوته وطول قامته (قوله وهو مثل ضربه الله تعالى للصحابة) اى لاصحاب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم حيث قال تعالى فى حق الذين آمنوا معه هم كزرع قيل مكتوب فى الانجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر يعنى انهم فى بدء الاسلام يكونون قليلا ثم يزدادون و يكثرون (قوله علة لتشبيههم بالزرع) الموصوف يعنى ان اللام فى قوله تعالى ليغيظ متعلق بمحذوف دل عليه تشبيههم بالزرع الموصوف فى نمائهم وتقوى بعضهم ببعض اى جعلوا كالزرع فى النماء والقوة ليغيظ بهم الكفار او هو علة لقوله

تعالى وعد الله الذين آمنوا ومتعلق به اى وعدهم ذلك ليجعل الكفار مغتاظين بسببهم وكلمة من فى منهم لتبيين الجنس كما فى قوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان لا للتبعيض لان ضمير منهم للذين آمنوا معه و الذين آمنوا و عملوا الصالحات ليس بعضا منهم بل كلهم مؤمنون مطيعون فلا معنى للتبعيض * هذا آخر ما يتعلق بسورة الفتح والحمد لله مولى النعم كلها وميسر الآمال لاهلها

(سورة الحجرات وهى مدنية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم (قوله اوترك) عطف على قوله فحذف للمفعول يعنى ان الجمهور قرأ والاتقدموا بضم التاء وفتح القاف وتشديد الدال المكسورة وفيها وجهان احدهما انه متعد وقصد تعلقه بمفعوله ومع ذلك حذف للتعميم اى ليذهب ذهن السامع الى كل ما يمكن تقديمه من قول اوفعل مثلا اذا جرت مسئلة فى مجلسه عليه الصلاة والسلام لايسبقونه بالجواب واذا حضر الطعام لايبتدؤن بالاكل واذا ذهبوا معه عليه الصلاة والسلام الى موضع لايمشون امامه الالمصلحة دعت اليه ونحو ذلك مما يمكن فيه التقديم وثانيهما انه وان كان متعديا فى الاصل الاانه نزل ههنا منزلة اللازم ولم يقصد تعلقه بمفعوله بل ترك مفعوله رأسا فقوله تعالى لاتقدموا بهذا المعنى لايكون فى معنى لاتتقدموا بل هو نهى عن التقديم مع قطع النظر عن ان المقدم ماهو كما لايكون يعطى فى قولك فلان يعطى و يمنع بمعنى العطاء بل بمعنى الاعطاء مع قطع النظر عن تعلقه بالمعطى اى يفعل فعل الاعطاء فكذا معنى الآية لاتفعلوا فعل التقديم رأسا و بالكلية (قوله اولاتقدموا) اى ويحتمل ان يكون التقديم لازما بمعنى التقدم فانه يقال قدم بين يديه بمعنى تقدم ومنه مقدمة الجيش للجماعة المتقدمة منهم ومنه وجه بمعنى توجه وبين بمعنى تبين نهى عن التقدم لان التقدم بين يدى المرء خروج عن صفة المتابعة واشعار بالاستقلال فى الامر فيكون التقدم بين يدى الله ورسوله منافيا للايمان واشار المصنف الى هذا الاحتمال بقوله اولاتتقدموا ويدل عليه بقرأة من قرأ لاتقدموا بالفتحات الثلاث المتوالية وتشديد الدال اصله لاتتقدموا فحذف احدى التاءين كراهة اجتماع المثلين فى اول الكلمة وقرئ لاتقدموا بفتح التاء والدال وسكون القاف من قدم من سفره يقدم قدوما من باب علم اى لاتقدموا الى امر من امور الدنيا قبل قدومه ولاتعجلوا عليه (قوله مستعار مما بين الجهتين المسامتتين) اى الكائنتين فى سمت يدى الانسان يريد انه استعارة مبنية على المجاز المرسل ووجه المجاز فيه انه عبر عن الجهتين

(سورة الحجرات مدنية وايها ثمانى عشرة اية)

(بسم الله الرحمن الرحيم) (ياايها الذين آمنوا) (لاتقدموا) اى لاتقدموا امرا فحذف المفعول ليذهب الوهم الى كل ما يمكن اوترك لان المقصود نفى التقديم رأسا اولا تتقدموا ومنه مقدمة الجيش لتقدمهم ويؤيده قرآءة يعقوب لاتقدموا وقرئ لاتقدموا من القدوم (بين يدى الله ورسوله) مستعار مما بين الجهتين المسامتتين ليدى الانسان تهجينا لما نهوا عنه والمعنى لا تقطعوا امرا قبل ان يحكما به وقيل المراد بين يدى رسول الله

بالبدن لكونهما على سمت اليدين فان جهة اليمين واقعة على سمت اليد اليمنى وجهة الشمال واقعة على سمت اليد اليسرى فالتعبير باليدين من قبيل تسمية الشئ باسم ما يدانيه و يحاذيه فاذا كان لفظ اليدين بمعنى الجهتين كان بين اليدين بمعنى بين الجهتين والجهة التى بينهما هى جهة الامام فقولك جلست بين يديه بمعنى جلست امامه واذا قيل بين يدى الله امتنع ان يراد به الجهة والمكان فيكون استعارة تمثيلية شبه حال ما وقع من بعض الصحابة من القطع فى امر من امور الدين قبل ان يحكم به الله ورسوله بحال من يتقدم فى المشى فى الطريق مثلا لوقاحت على من يجب ان يتأخر عنه ويقفو اثره تعظيما له فعبر عن الحالة المشبهة بما يعبر به عن المشبه بها والمراد من الاستعارة تهجين الحالة المشبهة فان الحالة المشبهة بها لما كانت قبيحة مستهجنة فى العادة ومنافية لمقتضى التعظيم والمتابعة كانت ما شبه بها مستهجنة ايضا وهذا التهجين هو النكتة فى الاستعارة المذكورة فمعنى الآية لاتقطعوا امرا قبل ان يحكما به و يأذنا فيه فتكونوا اما عاملين بالوحى المنزل واما مقتدين بالنبى المرسل عليه الصلاة والسلام قال مجاهد والحسن نزلت الآية فى النهى عن الذبح يوم الاضحى قبل الصلاة كانه قيل لاتذبحوا قبل ان يذبح النبى عليه الصلاة والسلام وذلك ان ناسا ذبحوا قبل صلاة النبى فامرهم ان يعيدوا الذبح وهو مذهبنا الى ان تزول الشمس وعند الامام الشافعى ايضا يجوز اذا مضى من الوقت ما يسع الصلاة عن البراء قال خطبنا النبى عليه الصلاة والسلام يوم النحر فقال ان اول ما نبدأ به فى يومنا هذا ان نصلى ثم نرجع فننحر فمن فعل ذلك فقد اصاب نسكنا ومن ذبح قبل ان يصلى فانما هو لحم عجله لاهله ليس من النسك فى شئ وعن عائشة رضى الله تعالى عنها انها نزلت فى النهى عن الصوم يوم الشك اى لاتصوموا قبل ان يصوم نبيكم قال مسروق كنا عند عائشة يوم الشك فاتى بلبن فنا و لتنى فقلت انى صائم قالت عائشة قد نهى عن هذا ونزلت هذه الآية فقالت هذه فى الصوم وغيره وقيل هى عامة فى كل قول وفعل وهو الظاهر ارشدهم الله الى ان يتأدبوا باتباع الشارع فى كل ما عن لهم من قول وفعل وايجاب وسلب ثم نهاهم وزجرهم عما ارتكبه بعض القاصرين من رفع اصواتهم وندائهم اياه من وراء الحجرات وتركهم التصبر الى ان يخرج اليهم لان من خصه الله تعالى بالمنزلة الرفيعة والكرامة العالية يجب ان يهيب منه و يخفض بين يديه الصوت ولايجترأ على منادانه عند اختياره الاستراحة والجائه الى الخروج اليهم استحياء (قوله وذكر الله تعالى تعظيماله) حيث جعل ذكر اسمه تعالى توطئة وتمهيدا لذكر اسمه عليه الصلاة والسلام ليدل على قوة اختصاصه عليه الصلاة والسلام به اذ ذكره بطريق العطف

وذكر الله تعظيماله واشعارا بانه من الله بمكان يوجب اجلاله (واتقوا الله) فى التقديم او مخالفة الحكم (ان الله سميع) لاقوالكم (عليم) بافعالكم (ياأيها الذين آمنوا لاترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى) اى اذا كلمتموه فلا تجاوزوا اصواتكم عن صوته

عليه يدل عليهما لا محالة كما يقال اعجبنى زيد وكرمه فى موضع ان يقال اعجبنى كرم زيد للدلالة على قوة اختصاص الكرم به ويؤيد هذا القول ان الله ذكر فى هذه الآية وفيما بعدها ارشاد الامة وتعليمهم ما يجب عليهم من اجلال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتعظيمه والتهيب منه والاحتراز عما ينافى ذلك كالقطع بالامر قبل ان يحكم به ورفع الصوت بحضرته وندائهم اياه من وراء الحجرات ونحو ذلك وانه تعالى أكد النهى عن التقديم بقوله واتقوا الله فانه تصريح بان من قدم بين يدى الرسول يستحق عقابه تعالى فلولا فوة اختصاصه عليه الصلاة والسلام بحضرته تعالى لما كان الامر كذلك (قوله ولا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم) لما كان رفع الصوت والجهر بالقول مؤداهما واحدا توهم ان النهى الثانى كالتكرير للاول اشار الى الفرق بينهما بان معنى النهى الاول انه عليه الصلاة والسلام اذا نطق ونطقتم فعليكم ان لا تبلغوا باصواتكم فوق الحد الذى يبلغه صوته عليه الصلاة والسلام وان تغضوا من اصواتكم بحيث يكون صوته عليه الصلاة والسلام غالبا على اصواتكم ومعنى الثانى انكم اذا كلمتموه وهو عليه الصلاة والسلام ساكت فلا تبلغوا بالجهر فى القول الجهر الدائر بينكم بل لينوا القول ليقارب الهمس الذى يضاد الجهر وهذا الفرق خلاصة ما فى الكشاف والمصنف فرق بينهما بان مدلول النهى الاول حرمة رفع الصوت فوق صوته عليه الصلاة والسلام ومدلول الثانى حرمة الجهر باصواتهم مع كونها ليست بارفع من صوته عليه الصلاة والسلام وهذا المعنى لا يستفاد من النهى الاول فلا تكرير والترجيب بالجيم المنقوطة التعظيم يقال رجبته بكسر الجيم اذا هبته فهو مرجوب اى معظم ومنه سمى رجب لانهم كانوا يعظمونه فى الجاهلية ولا يستحلون فيه القتال وانما قيل له رجب مضر لانهم كانوا اشد تعظيما له (قوله وتكرير النداء لاستدعاء مزيد الاستبصار) فان النداء تنبيه للمنادى واستدعاء منه ان يستبصر اى يتحول من الغفلة الى البصيرة حتى يقبل استماع الكلام وفهمه فيكون تكريره استدعاء لمزيد الاستبصار ومبالغة فى التنبيه والايقاظ واشعارا بان كل واحد من الكلامين مقصود على حدة لقصد اقبال المخاطب على استماعه فانه اذا كان مؤداهما واحدا كما فى قولك يا زيد لا تنطق بالباطل ولا تتكلم الا بالحق لا يحسن تخلل النداء بينهما كما يحسن عند اختلاف المطلوب منهما (قوله فيكون علة للنهى) اى على طريق التنازع فان كل واحد من قوله لا ترفعوا اصواتكم ولا تجهروا له يطلبه من حيث المعنى فيكون علة للثانى عند البصريين وللاول عند الكوفيين كأنه قيل انتهوا عما نهيتم عنه لخشية حبوط اعمالكم وكراهته فحذف المضاف ولام التعليل

(ولا تجهروا له بالقول) (كجهر بعضكم لبعض) ولا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم بل اجعلوا اصواتكم اخفض من صوته محاماة على الترجيب ومراعاة للادب وقيل معناه ولا تخاطبوه باسمه وكنيته كما يخاطب بعضكم بعضا وخاطبوه بالنبى والرسول وتكرير النداء لاستدعاء مزيد الاستبصار والمبالغة فى الايقاظ والدلالة على استقلال المنادى له وزيادة الاهتمام به (ان تحبط اعمالكم) كراهة ان تحبط فيكون علة للنهى او لان تحبط على ان النهى عن الفعل المعلل باعتبار التأدية لان فى الرفع والجهر استخفافا قد يؤدى الى الكفر المحبط وذلك اذا ضم اليه قصد الاهانة وعدم المبالاة وقد روى ان ثابت ابن قيس رضى الله تعالى عنه كان فى اذنه وقر

اذا النهى عن الفعل المطل باعتبار التأدية والفرق بين الوجهين ان المطل هو الاول والفعل المنهى فى الثانى كانه قيل انتهوا عن الفعل الذى تفعلونه لاجل حبوط اعمالكم واللام فيه لام العاقبة كافى قوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا فانهم لم يقصدوا بما فعلوه من رفع الصوت والجهر حبوط عمالهم الا انه لما كان بحيث قد يؤدى الى الكفر المحبط جعل كانه مثله فادخل عليه لام العلة تشبيها لمؤدى الفعل بالعلة الغائية (قوله وكان جهورا) اى جهير الصوت يقال جهور بالقول اى رفع صوته وجهر مثله وهو رجل جهورى الصوت اى جهير الصوت قيل ان ثابت بن قيس مات بخير حيث قتل شهيدا يوم مسيلة الكذاب وعليه درع فرآه رجل من الصحابة بعد موته فى المنام فقال اعلم ان فلانا وهو رجل من المسلمين نزع درعى فذهب بها وهو فى ناحية كذا من المعسكر وعنده فرس فى طوله وقد وضع على درعى برمة فأت خالد بن الوليد فاخبره حتى يسترد درعى وأت ابابكر خليفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقل له ان على دينا يقضى دينى وفلان من رقيق حر فاخبر الرجل خالدا فوجد درعه والفرس على ما وصفه فاسترد الدرع واخبر خالد ابابكر بتلك الرؤيا فاجاز ابو بكر وصيته قال مالك بن انس لااعلم وصية اجيزت بعد موت صاحبها الا هذه قال ابو هريرة وابن عباس رضى الله تعالى عنهم لما نزلت هذه الآية كان ابو بكر لايكلم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا كاخى السرار وقال ابن الزبير ما حدث عمر النبى عليه الصلاة والسلام بعد نزول قوله الى لاترفعوا اصواتكم حديثا الا استفهمه مما يخفض صوته فانزل الله تعالى ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (قوله جربها للتقوى) يشعر بان الامتحان ههنا مستعمل فى اصل معناه وهو التجربة ومن المعلوم انه لايجوز ارادة ذلك المعنى ههنا بل المراد بامتحان القلوب بالتقوى وتمرينها عليها وجعلها صفة راسخة فيها بطريق اطلاق الملزوم وارادة اللازم فان بامتحان الشئ للعمل يستلزم ان يتكرر صدور ذلك العمل منه مرة بعد اخرى وذلك يستلزم تمرنه اى اعتياده واستمراره عليه والتمرن التعود على الاشياء بحيث يكون قوانا فيها متعودا عليها فقوله تعالى امتحن الله قلوبهم معناه قوى قلوبهم فيها ومرنها عليها فى الصحاح مرن الشئ يمرن مرونا اذا لان ومرن على الشئ يمرن مرونا ومرانة تعوده واستمر ومرنت يده على العمل اذا صلبت والتمرين التليين الا ان المصنف فسره بقوله جربها للتقوى ولم يقل عود قلوبهم التقوى وقواها لها ومرنها عليها للاشارة الى ان اللام فى قوله للتقوى صلة قوله امتحن باعتبار اصل معناه لا لكون امتحن مستعملا فى اصل معناه

وكان جهورا فلما نزلت تخلف عن رسول الله عليه الصلاة والسلام فتفقده ودعاه فقال يارسول الله لقد انزلت اليك هذه الآية وانى رجل جهير الصوت فاخاف ان يكون عملى قد حبط فقال عليه الصلاة والسلام لست هناك انك تعيش بخير وتموت بخير وانك من اهل الجنة (وانتم لاتشعرون) انها محبطة (ان الذين يغضون اصواتهم) يخفضونها (عند رسول الله) مراعاة للادب او مخافة من مخالفة النهى قيل كان ابو بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما بعد ذلك يسر انه حتى يستفهمهما (اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) جربها للتقوى ومرنها عليها

واشار بعطف قوله ومرنها عليها على قوله جربها للتقوى الى كونه تفسيرا للمرادفة (قوله او عرفها) اى ويحتمل ان يكون مجازا عن المعرفة على طريق اطلاق اسم السبب وارادة المسبب لان الامتحان سبب للمعرفة فعلى هذا الاحتمال تكون اللام صلة محذوف هو حال من مفعول امتحن اى امتحنها وعرفها كائنة للتقوى كما فى قوله انت لها احمد من بين البشر اى انت كائن لها (قوله اوحزب الله قلوبهم بانواع المحن) فيكون الامتحان على اصل معناه وهو الاختبار بالمحن والشدائد فتكون اللام حينئذ للتعليل والمعنى امتحنها بالشدائد لاجل التقوى اى لاجل ظهورها (قوله او اخلصها للتقوى) اى جعلها خالصة بان ازال عنها الملكات الردية والعادات الدنية فيكون امتحن الله قلوبهم استعارة تمثيلية من امتحن الذهب بان شبه تنقية القلوب عما سوى التقوى وجعلها خالصة لها بامتحان الذهب الابريز وتخليصه من الخبث باذابته بالنار فاطلق عليها اسم الامتحان (قوله بجملة مؤلفة من معرفتين) وهى قوله اولئك الذين فان اولئك مبتدأ والموصول بصلته خبره ومثل هذا التركيب يفيد الحصر كما فى زيد المنطلق ففيه تعريض بان حال الذين لم يغضوا اصواتهم على خلاف حال هؤلاء الغاضين فيكون المبتدأ الثانى اسم اشارة يفيد ان المشار اليه جدير بما ذكر بعده من الحكم لاجل اتصافه بما ذكر قبله من مضمون جملة الصلة وهو التأدب فى حضرة الرسول بغض الصوت وكون الصلة دالة على بلوغهم اقصى الكمال لان المقام مقام المدح والتعظيم كأنه قيل هم الذين شرفهم الله بامتحان القلوب وتمرينها على التقوى وفيه مبالغة فى الاعتداد بغضهم والارتضاء له حيث جعل ذلك سببا لاختصاص المشار اليهم بما يرد بعد اولئك من كون التقوى صفة راسخة لقلوبهم او كون قلوبهم خالصة للتقوى طاهرة عما ينافيها من الرذائل (قوله من خارجها خلفها اوقدامها) لان وراء الحجرات عبارة عن الجهة التى يواريها شخص الحجرة بجثتها اى من اى ناحية ولابد ان تكون تلك الجهة خارج الحجرة لان ما فى داخلها من الجهة لا يوارى عمن فيها بجثة الحجرة (قوله وفائدتها الدلالة على ان المنادى داخل الحجرة) وجه دلالة من الابتدائية على ذلك ان الوراء المعنى المذكور مكان مبهم يتناول كل جزء من اجزاء المسافة التى كانت خارج الحجرة فاذا دخلت عليه من الابتدائية كانت تلك الجهة المبهمة على ابهامها مبدأ النداء والمبدأ لابد له من المنتهى ولابد ان يكون المنتهى غير المكان الذى ابتدئ منه النداء وذلك

او عرفها كائنة للتقوى خالصة لها فان الامتحان سبب المعرفة واللام صلة محذوف او الفعل باعتبار الاصل او حزب الله قلوبهم بانواع المحن والتكاليف الشاقة لاجل ﴿ ٢٢٤ ﴾ التقوى فانها لا تظهر الا بالاصطبار عليها او اخلصها للتقوى من امتحن الذهب اذا اذابه وميز ابريزه من خبثه (لهم مغفرة) لذنوبهم (واجر عظيم) لغضهم وسائر طاعاتهم والتنكير للتعظيم والجملة خبر ثان لان او استئناف لبيان ما هو جزاء الغاضين احمادا لحالهم كما اخبر عنهم بجملة مؤلفة من معرفتين والمبتدأ اسم الاشارة المتضمن لما جعل عنوانا لهم والخبر الموصول بصلة دلت على بلوغهم اقصى الكمال مبالغة فى الاعتداد بغضهم والارتضاء له وتعريضا بشناعة الرفع والجهر وان حال المرتكب لهما على خلاف ذلك (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات) من خارجها خلفها اوقدامها ومن ابتدائية فان المناداة نشأت من جهة الوراء وفائدتها الدلالة على ان المنادى داخل الحجرة اذ لابد وان يختلف المبدأ والمنتهى بالجهة وقرئ الحجرات بفتح الجيم وسكونها وكلاهما جمع حجرة وهى القطعة من الارض المحجورة بحائط ولذلك يقال لحظيرة الابل حجرة وهى فعلة بمعنى مفعول كالغرفة والقبضة والمراد حجرات نساء النبى عليه السلام وفيها كناية عن خلوته بالنساء ومناداتهم من ورائها اما بانهم اتوها حجرة حجرة فنادوه من ورائها (لا)

وهو راقد فقالا يا محمد اخرج الينا وانما اسند الفعل الى جميعهم لانهم رضوا بذلك او امروا به اولانه وجد فيما بينهم (اكثرهم لايعقلون) اذ العقل يقتضى حسن الادب ومراعاة الحشمة سيالمن كان بهذا المنصب (ولوانهم صبروا حتى تخرج اليهم) اى ولو ثبت صبرهم وانتظارهم حتى تخرج فان ان وان دلت بما فى حيزها على المصدر دلت بنفسها على الثبوت ولذلك وجب اضمار الفعل وحتى تفيد ان الصبر ينبغى ان يكون مغيا بخروجه فان حتى مختصة بغاية الشئ فى نفسه ولذلك تقول اكلت السمكة حتى رأسها ولا تقول حتى نصفها بخلاف الى فانها عامة وفى اليهم اشعار بانه لوخرج لالاجلهم ينبغى ان يصبروا حتى يفاتحهم بالكلام او يتوجه اليهم (لكان خيرالهم) لكان الصبر خيرا لهم من الاستعجال

لايكون الابان يكون المنتهى داخل الحجرة لان النداء لما ابتدئ من الجهة المسماة بالوراء وقد تقرر انها خارج الحجرة وانها مبهمة صح ان يكون كل جزء من اجزائها مبدأ النداء فلو فرض ان يكون المنادى خارج الحجرة لكانت تلك الجهة منتهى النداء ايضا وهو غير جائز لاستلزامه ان تكون تلك الجهة الواحدة مبدأ ومنتهى ولو قيل ينادونك وراء الحجرات بدمن كلمة من لما دل عليه اى على كون المنادى داخل الحجرة فانه انما استفيد من جعل خارج الحجرة مبدأ النداء واذاخلا الكلام عن كلمة من لايكون فيه دلالة على الابتداء والانتهاء ولايفيد ماهو المقصود منه فان المقصود انكار انهم ينادونه من الخارج وهو عليه الصلاة والسلام فى الحجرة وانكار هذه الصورة بخصوصها موقوف على استعمال الكلام على من الابتدائية (قوله او بانهم تفرقوا الخ اى ويجوز ان يكون منهم من تولى لندائه من وراء كل حجرة منها ورضى الباقون به فصاروا كانهم نادوه جميعا من ورائها قرأ الجمهور الحجرات بضمتين و هى جمع حجرة بمعنى محجورة كقبضة بمعنى مقبوضة وهى الموضع يحجره الانسان لنفسه و يمنع غيره من ان يشاركه فيه من الحجر وهو المنع والحظيرة قطعة محجورة من الارض تعمل للابل من شجر لتقيها الحر والبرد (قوله ولو ثبت صبرهم) لما كانت كلمة لوحرف شرط وجب ان يليها الفعل ظاهرا او مقدرا فلذلك حمل قوله انهم صبروا فى محل الرفع على انه فاعل فعل مقدر واوله بالمفرد وجعل اسم كان ضميرا راجعا الى هذا المفرد و جعل دلالة كلمة ان على الثبوت دليلا على تعين ثبت لكونه مقدرا من بين الافعال ثم اشار الى الفرق بين ان يقال حتى تخرج اليهم والى ان تخرج اليهم بان حتى انما تدل على ماهو غاية فى نفس الامر مع قطع النظر عن الجعل والاعتبار بخلاف الى فانها عامة فى كل نهاية سواء كانت حاصلة فى نفس الامر فالمغيا حتى لايجوز ان يكون لها غاية اخرى غير مدخولها لان ماهو غاية فى نفس الامر لايكون متعددا بخلاف المغيا بالى لجواز تعدد ما يبنى على الجعل (قوله اذروى انهم وفدوا شافعين فى اسارى بنى العنبر) عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال بعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سرية الى حى بنى العنبر وامر عليهم عيينة بن حصين فلما علموا انه توجه نحوهم هربوا وتركوا عيالهم فسباهم عيينة وقدم بهم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فجاء بعد ذلك رجالهم يفدون الذرارى فقدموا وقت الظهيرة فألفوا رسول الله صلى الله تعالى وسلم نائما فى اهله فلما

لما فيه من حفظ الادب وتعظيم (٢٩) الرسول الموجبين للثناء (من) والثواب والاسعاف بالمسؤل اذروى انهم وفدوا شافعين فى اسارى بنى العنبر فاطلق النصف وفادى النصف (والله غفور رحيم) حيث اقتصر

التصريح والتعريض لهؤلاء المسيئين للادب التاركين تعظيم الرسول (يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) فتعرفوا وتفحصوا وروى انه عليه الصلاة والسلام بعث وليد بن عقبة مصدقا الى بني المصطلق وكان بينه وبينهم احنة فلما سمعوا به استقبلوه فحسبهم مقاتليه فرجع وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد ارتدوا ومنعوا الزكاة فهم بقتالهم فنزلت وقيل بعث اليهم خالد بن الوليد بعده فوجدهم منادين بالصلاة مجتهدين فسلموا اليه الصدقات فرجع وتنكير الفاسق والنبأ للتعميم وتعليق الامر بالتبين على فسق المخبر يقتضي جواز قبول خبر العدل من حيث ان المعلق على شئ بكلمة ان عدم عند عدمه وان خبر الواحد لو وجب تبينه من حيث هو كذلك لما رتب على الفسق اذ الترتيب يفيد التعليل وما بالذات لا يعلل بالغير وقرأ حمزة والكسائي فتثبتوا اى فتوقفوا الى ان يتبين لكم الحال

ورأيهم الذوارى اكبوا على آبائهم يبكون وكان لكل امرأة من نساء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بيت وحجرة فجعلوا ينادون يا محمد اخرج الينا حتى ايقظوه من نومه فخرج عليه الصلاة والسلام اليهم فقالوا يا محمد فادنا عيالنا فنزل جبرائيل عليه الصلاة والسلام فقال ان الله يأمرك ان تجعل بينك وبينهم رجلا فقال لهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اترضون ان يكون بيني وبينكم سبرة بن عمرو وهو على دينكم قالوا نعم قال سبرة انا لا احكم بينهم وعمى شاهد فقال اترضون شابه بن ضرار فرضوا ففادى نصفهم واعتق نصفهم فانزل الله تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات (قوله مصدقا) حال مقدرة من الوليد اى آخذا للصدقة وهو الزكاة فانه كما يطلق على من يصدقك فى حديثك يطلق ايضا على من يأخذ صدقات السوائم وفى الصحاح المصدق الذى يصدقك فى حديثك والذى يأخذ صدقات الغنم والمتصدق الذى يعطى الصدقة وقوله تعالى ان المصدقين والمصدقات اصله المتصدقين والمتصدقات قلبت التاء صادا وادغمت والاحنة الحقد والبغض الكامن (قوله وقيل بعث اليهم خالد بن وليد) اى بعثه اليهم بعد رجوع الوليد بن عقبة عنهم فى عسكر وقال اخف عنهم قدومك اليهم بالعسكر وادخل عليهم ليلا مستخفيا هل ترى شعائر الاسلام وآدابه فان رأيت منهم ذلك فخذ منهم زكاة اموالهم وان لم تر منهم ذلك فاستعمل فيهم ما يفعل فى الكفار ففعل ذلك خالد واتاهم وقت المغرب فسمع اذان صلاة المغرب والعشاء ووجدهم مجتهدين اى باذلين وسعهم ومجهودهم فى امتثال امر الله فأخذ منهم صدقاتهم وانصرف الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واخبره الخبر فنزلت (قوله وتنكير الفاسق والنبأ للتعميم) اى فى الفساق والانباء كانه قيل ان جاءكم فاسق اى فاسق كان بنبأ اى نبأ كان فتوقفوا فيه ولا تعتمدوا على قول الفاسق وان من لا يتحامى جنس الفسوق لا يتحامى الكذب الذى هو نوع منه اخرج الكلام بلفظ الشرط المحتمل الوقوع لندرة مثله فيما بين اصحابه عليه الصلاة والسلام (قوله وتعليق الامر بالتبين الامر بالتبين على فسق المخبر) استدل الشافعى بهذا التعليق على ان خبر الواحد العدل شهادة مقبولة فانه تعالى لما علق الامر بالتوقف على كون المخبر فاسقا علم ان لا توقف فى خبر العدل لان خبر العدل لو لم يكن مقبولا لما بقى لترتيب الحكم على فسق المخبر فائدة وهذا من باب التمسك بمفهوم المخالفة واستدل به ايضا على ان شهادة الفاسق لا تقبل بناء على انه تعالى اوجب التبين والتوقف فيما اخبر به الى ان يتبين حقيقة الحال والحكم كذلك قبل اخباره فلم يفد اخباره شيئا ونحن نستدل به على قبول شهادته فانه

(تعالى)

تعالى امر بالتأنى فى قبول شهادته لا بردها وقرئ فتثبتوا من التثبت وهو التأنى والتبات وترك التسارع الى ان يتبين الحال (قوله كراهة اصابتكم) فانه مثله مفعول له بتقدير المضاف عند البصريين وتقديره عند الكوفيين لئلا تصيبوا (قوله بجهالة) حال من الضمير فى ان تصيبوا وقوله فتصبحوا عطف على قوله ان تصيبوا ومعناه فتصيروا فان اصبح يستعمل على ثلاثة اوجه احدها انه بمعنى دخول الانسان فى الصباح والثانى بمعنى كان الامر وقت الصباح كما يقال اصبح المريض اليوم خيرا مما كان يراد به كونه فى وقت الصباح على حالة هى خير مما كان قبله والثالث انه بمعنى صار تقول اصبح زيد غنيا اى صار غنيا من غير ارادة وقت دون وقت وهذا المعنى هو المراد منه فى هذه الآية وكذلك امسى واضحى وفى هذه الآية دلالة على ان الجاهل لابد ان يصير نادما على مافعله بعد زمان فعله وهو دائم الندم على ماوقع منه مع تمنى انه لم يقع وتركيب حروفه لا يعرى عن افادة معنى الدوام يقال ادمن الامر اذا ادامه ومدن بالمكان اى اقام به ومنه المدينة ولزومه قد يكون لفوته من اول الامر وقد يكون لعدم غيبته غيبة موجبة لبعده عن الخاطر وقد يكون لكثرة تذكره ولغير ذلك من الاسباب (قوله من احد ضميرى فيكم) الاول مرفوع مستتر فيه او مستقر والثانى مجرور بارز وتقدير الكلام على ان يكون حالا من الضمير المرفوع انه عليه الصلاة والسلام كائن فيكم على حالة يجب تغييرها وهى انكم تريدون منه ان يطيعكم ويتبع رأيكم ويفعل ماتستصوبونه وتقدير على ان يكون حالا من الضمير المجرور انه عليه الصلاة والسلام كائن فيكم وانتم على حالة يجب عليكم ان تغيروها وهى ماذكر ويجب تغيير تلك الحال التى انتم عليها او هو عليه الصلاة والسلام عليها لانه عليه الصلاة والسلام لو فعل ما اردتم منه لعنتم اى لوقعتم فى شدة وهلاك واثم (قوله ولوجعل استئنافا لم يظهر للامر فائدة) اى لولم يعتبر تقييد قوله تعالى واعلموا ان فيكم رسول الله بما بعده لم يكن لذكره معطوفا على قوله فتبينوا فائدة فان الجملة الشرطية التى عطف عليها قوله واعلموا مسوقة لتقريع من تسارع الى قبول قول الوليد حيث اشار عليه الصلاة والسلام بان يوقع ببنى المصطلق فلابد ان يكون للجملة التى عطف عليها مدخل فى التقريع وذلك انما يكون بان يكون مابعدها حالا من احد الضميرين فانه لو كانت جملة مستأنفة ولم تكن قيدا لما قبلها لم يكن لما قبلها فائدة فلا يكون لها حينئذ مدخل فى افادة التقريع لانا لا نسلم انه على تقدير ان يكون قوله لو يطيعكم الخ كلاما مستأنفا لايكون

(ان تصيبوا) كراهة اصابتكم (قوما بجهالة) جاهلين بحالهم (فتصبحوا) فتصيروا (على مافعلتم نادمين) مغتمين غما لازما متمنين انه لم يقع وتركيب هذه الاحرف الثلاثة دائر مع الدوام (واعلموا ان فيكم رسول الله) ان بما فى حيزه ساد مسد مفعولى اعلموا باعتبار ماقيد به من الحال وهو قوله (لو يطيعكم فى كثير من الامر لعنتم) فانه حال من احد ضميرى فيكم ولو جعل استئنافا لم يظهر للامر فائدة والمعنى ان فيكم رسول الله على حال يجب تغييرها وهى انكم تريدون ان يتبع رأيكم فى الحوادث ولو فعل ذلك لعنتم اى لوقعتم فى العنت وهو الجهد والهلاك وفيه اشعار بان بعضهم اشار عليه بالايقاع ببنى المصطلق

للامر فائدة لجواز ان يكون توبيخا لهم بتنزيلهم منزلة من لايعلم انه عليه الصلاة والسلام بين اظهرهم اومنزلة من لايعلم انه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حيث قصر فى تعظيمه واراد ان يستتبع رأيه الصائب لاراته الفاسدة وطاعته عليه الصلاة والسلام له فيما استصوبه من تصديق الوليد والايقاع ببنى المصطلق و يكون قوله تعالى لو يطيعكم استئنافا لبيان فساد ما ارادوه من طاعته عليه الصلاة والسلام (قوله استدراك ببيان عذرهم) اى عذر من اعتمد على كلام الفاسق واشار الى الايقاع ببنى المصطلق وهذا على تقدير ان يكون المخاطبون بقوله تعالى ولكن الله حبب اليكم الايمان هم المخاطبون بقوله لو يطيعكم ومعنى الاستدراك دفع توهم ان يكون الحامل على تصديقهم الوليد والاقدام على الايقاع ببنى المصطلق هو محبة الظلم والفساد فى الارض بغير حق ببيان انه انما نشأ من محبة الايمان وكراهة الكفر (قوله او بصفة من لم يفعل ذلك منهم) عطف على عذرهم اى اوهو استدراك ببيان صفته وهذا على تقدير ان يكون المخاطبون بقوله لو يطيعكم من اعتمد على نبأ الفاسق ومال الى العمل بمقتضاه و يكون المخاطبون بقوله حبب اليكم الايمان الكاملين الذين لم يعتمدوا على كل ما سمعوه من الاخبار فسيق الكلام الثانى مدحا لهم فى مقابلة من ذمهم باضطرابهم بكل ما سمعوه فكما ان الاولين مدحوا بما فعلوه مدح المتبصرون بما فعلوا ايضا وتحبيب الايمان فعل الله تعالى والشخص لايحمد بما لايفعله من فعل غيره فينبغى ان يراد به ما هو فعلهم وهو ايثارهم الايمان والطاعة على الكفر والعصيان ليصلح باعثا لان يثنى عليهم بذلك كانه قيل ولكن حالكم يخالف حالهم فلذلك وقاكم الله تعالى من الوقوع فى العنت وعلى التقديرين صح الاستدراك بلكن فان احدى الجملتين اذا عطف احداهما على الاخرى بلكن يجب ان يكون بينهما مغايرة بالنفى والاثبات وههنا وان لم يتغاير لفظا فقد تغايرتا معنى يقال بغض الرجل بضم الغين اى صار بغيضا و بغضه الله الى الناس تبغيضا فابغضوه اى مقتوه فهو مبغض و بغيض فان قيل لم اختير لفظ المضارع على الماضى فى قوله تعالى لو يطيعكم مع ان لو للماضى سواء دخلت على الماضى او المستقبل كما ان ان للمستقبل على ايهما دخلت اجيب بانه لم يقل لو اطاعكم للدلالة على انه كان فى ارادتهم استمرار عمله عليه الصلاة والسلام على ما يستصوبونه وانه كلما عن لهم رأى فى امر كان معمولا عليه كما يقال فلان يقرى الضيف ويحمى الحريم ويراد انه ديدن له ومستمر عليه فكلمة لو هنا تفيد امتناع الاستمرار لان وقوعهم فى الهلاك او الاثم انما يلزم من استمراره عليه الصلاة والسلام على اطاعتهم فيما

قوله (ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان) استدراك ببيان عذرهم وهو انهم من فرط حبهم الايمان وكراهتهم الكفر حملهم على ذلك لما سمعوا قول الوليد او بصفة من لم يفعل ذلك منهم احمادا لفعلهم وتعريضا لذم من فعل ويؤيده قوله (اولئك هم الراشدون) اى اولئك المستثنون هم الذين اصابوا الطريق السوى وكره متعد بنفسه الى مفعول واحد فاذا شدد زاد له آخر لكنه لما تضمن معنى التبغيض نزل اليكم منزلة مفعول آخر

يمن لهم و يستصوبونه لان فيهم انقلاب الرئيس مرؤسا لاسيما اذا كان الرئيس
فى منصب لايليق به ان يقطع الامر و يحكم فيه الا اتباعا لما نزل من الوحى
النازل واستمراره على اتباع رأى اهل الضلالة وايثار طريق الضلال على
طريق الهدى فلاجرم انه يكون مؤداه الهلاك واما طاعته اياهم فى بعض
مايرونه فقد رخص الله تعالى فى ذلك بل امره به استمالة لقلوبهم وتعليما لهم
طريق الاجتهاد فلذلك قال فى كثير من الامر وجعل الممتنع طاعته لهم فى
الكثير او فى الكل (قوله والكفر تغطية نعمة الله بالجحود) وهو الانكار
مع العلم واجل نعمه تعالى مايتوصل به الى الايمان والطاعة والثواب المؤيد
كدلائل الوحدانية والعقل والتمييز والقوى والاعضاء السليمة وسائر الاسباب
المعينة للطاعة والكافر على الاطلاق من اهمل مايتوصل به الى الايمان بالوحدانية
والنبوة والكافر لسائر النعم من ترك شكرها ولم يصرفها الى ماخلق له والقصد
العدل وهو ضد الجور واصل الجور ان يظلم المرء نفسه بان يتعدى حدود الله
ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه فلذلك فسر الفسوق بالخروج عن القصد
اى عن العدل والعصيان بمعنى الامتناع عن الانقياد شامل لجميع الذنوب
والفسوق مختص بالكبائر (قوله لاللراشدين) لانعدام شرط انتصاب
المفعول له وهو ان يتحد الفاعل للعلة والمعلول لان الرشد فعل القوم والفضل
والانعام فعل الله تعالى ولما ورد ان يقال الرشد وان كان صفة قائمة بالقوم الا انه
مسبب عن فعله تعالى وهو التحبيب والتكريه فانه تعالى لولم يحبب اليهم الايمان
و يكره اليهم الكفر والعصيان لما رشد وافصار الرشد بهذا الاعتبار كانه
فعل الله تعالى كالفضل والانعام فجاز كونه تعليلا للراشدين لتحقق شرط
انتصاب المفعول له فيه اشار الى جوابه بقوله والرشد وان كان مسببا عن فعله
تعالى الخ وتقريره ان المراد بالفاعل من قام به الفعل واسند هو اليه لامن
اوجده ومن المعلوم ان الرشد قائم بالقوم والفضل والانعام قائمان به تعالى
فلا اتحاد (قوله اومصدر) عطف على قوله تعليل وشرط المفعول المطلق
ان يتحد مع ناصبه فى المعنى والفضل متحد من حيث المعنى مع التحبيب والتكريه
فجاز كونه مفعولا مطلقا لكل واحد منهما من حيث ان كل واحد منهما
فضل وانعام (قوله والجمع باعتبار المعنى) جواب عما يقال الظاهر ان يقال
اقتتلتا على لفظ تثنية الغائبة لكون الفعل مسندا الى ضمير الطائفتين فلم قيل اقتتلوا
على لفظ جمع المذكر الغائب وتقرير الجواب ان كل طائفة جمع فيكون الطائفتان
جماعتين الا انهما تكونان حال الاقتتال فى حكم جماعة واحدة لان نسبة التقاتل
تجمعهما و يمتنع امتياز كل واحدة منهما عن الاخرى فصارتا فى معنى القوم

والكفر تغطية نعم الله تعالى بالجحود والفسوق الخروج عن القصد والعصيان الامتناع عن الانقياد (فضلا من الله ونعمة) تعليل لكره او حبب وما بينهما اعتراض لاللراشدين فان الفضل فعل الله والرشد وان كان مسببا عن فعله مسندا الى ضميرهم اومصدر لغير فعله فان التحبيب والرشد فضل من الله وانعامه (والله عليم) باحوال المؤمنين وما بينهم من التفاضل (حكيم) حين يفضل و ينعم بالتوفيق عليهم (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) تقاتلوا والجمع باعتبار المعنى فان كل طائفة جمع (فاصلحوا بينهما) بالنصح والدعاء الى حكم الله (فان بغت احداهما على الاخرى) تعدت عليها

والناس فناسب بذلك ان يجمع الفعل المسند اليهما فلذلك قيل اقتتلوا وثنى ضمير بينهما من كونه عبارة عما عبر عنه بضمير اقتتلوا لان كل واحدة من الطائفتين منفردة عن الاخرى حال الصلح و يظهر تثنيتهما فلذلك ثنى ضميرهما عند تعلق الصلح بهما ووجه اتصال الآية بما قبلها انه تعالى لما حذر المؤمنين عن اتباع النبأ الصادر من الفاسق بنى الحكم على تقدير ان يتفق ذلك و يلزم منه اقتتال طائفتين من المؤمنين كأنه قيل اذا وقع بينكم تنازع بناء على قول الفاسق وادى الى التقاتل فعلى الامام ومن يقوم مقامه من الحكام ان يصلح بينهما بالصلح والدعاء الى حكم الشرع والعمل بمقتضى اخوة الاسلام و بان يذكرهما قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى و ينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي فان قبلا نعمه ورجعا عن الخلاف الى الوفاق فبها والا فعليه ان يمنع الباغي منهما عن ذلك باى طريق امكن فان لم يمتنع واصر على بغيه و اقدم على القتال فعلى الامام ان يقاتله الى ان يرجع الى حكم الشرع واتباع الحق فقال تعالى وان طائفتان من المؤمنين ولم يقل منكم مع ان الخطاب مع المؤمنين لسبق قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ تفيجعا لفعلهم لان الايمان من حقه ان يمنع مثل هذا العدوان و يقضي بالعدل والاحسان وطائفتان مرفوع على انه فاعل فعل محذوف وجوبا لكونه مفسرا بفعل مذكور بعده وهو قوله اقتتلوا فلو ذكر الفعل الرابع لزم اجتماع المفسر والمفسر وهو غير جائز ونظيره قوله تعالى وان احد من المشركين استجارك وانما قلنا انه فاعل فعل محذوف ولم نقل انه مبتدأ وما بعده خبره لان كلمة ان حرف شرط فيجب ان تدخل على الفعل لفظا او تقديرا (قوله الى حكمه اوما امر به) يعني ان الامر مصدر امر اى حكم فاما ان يكون على اصل معناه اويكون بمعنى المأمور به وهو الاطاعة المدلول عليها بقوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم والباغي في الشرع هو الخارج على الامام العدل فاذا اجتمعت طائفة لهم قوة ومنعة وامتنعوا عن طاعة الامام العدل بتأويل محتمل ونصبوا اماما فالحكم فيهم ان يبعث الامام اليهم و يدعوهم الى طاعته فان اظهروا مظلمة ازالها عنهم وان لم يذكروا مظلمة و اصروا على بغيهم قاتلهم الامام حتى يتوبوا عن بغيهم و يجيبوا الى طاعته ثم الحكم في قتالهم ان لا يتبع مدبرهم ولا يقتل اسيرهم ولا يجهز على جريحهم ولا يقسم فيئهم واجهاز المجروح اتمام القتل عليه والمسارعة الى قتله قبل ان يموت بسبب ما فيه من الجراحة و يعدى بعلى وما اتلفته احدى الطائفتين على الاخرى قبل ان تجمعوا و تجندوا اوحين تفرقوا وفرغوا من المقاتلة فهو مضمون على من اتلفه بالاتفاق وما اتلف

(فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله) ترجع الى حكمه اوما امر به و انما اطلق الفيء على الظل لرجوعه

حال القتال اي بعد العهد وقبل التفرق فان كانت الطائفة الباغية قليلة العدد بحيث لامنعة لها ولاقوة ضمنوا مااتلفوه بعد ان فاؤا بالاتفاق ايضا وان كانت كثيرة ذات منعة وشوكة ثم سكنت الحرب بينهم فلايجب عليهم ضمان مااتلفوه حال القتال الا عند الامام محمد بن الحسن فانه يوجب الضمان مطلقا وتفسير الآية بظاهره يؤيد مذهبه فان قوله تعالى فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل يدل على لزوم الضمان مطلقا اذا فاءت الطائفة الباغية عن البغي قليلة كانت او كثيرة فان المراد بالاصلاح الواقع بعد فيء اهل البغي وارتفاع المقاتلة ان يحكم الحاكم حكما ملتبسا بالعدل فيما وجب على كل واحدة من الطائفتين من ضمان مااتلفوه حال المقاتلة حتى لايؤدي ذلك الى ثوران الفتنة بينهما مرة اخرى ومن لايوجب عليهم الضمان يحمل الآية على كون الفائية قليلة العدد والاصلاح المذكور في الآية على معنى اصلاح ذات البين اى الحالة الواقعة بينهما من العداوة ومأتؤدي هي اليه من المحاربة الى ان يتصالحا و يتوافقا و يرجعا الى ماتقتضيه الاخوة الاسلامية (قوله بعد نسخ الشمس) اى ازالتها اياه يقال نسخت الشمس الظل اى ازالته فان الشمس كلما ازدادت ارتفاعا ازدادت نسخا وزوالا وذلك الى ان توازى الشمس خط نصف النهار فاذا زالت عنه واخذت فى الانحطاط اخذ الظل فى الرجوع والظهور فلما كان الزوال سببا لرجوع ما انتسخ من الظل اضيف الظل الى الزوال فقيل فيء الزوال (قوله والغنية) عطف على الظل واطلاق الفيء على كل واحد منهما من قبيل التوصيف بالمصدر كما فى رجل عدل (قوله لانه مظنة الحيف من حيث انه بعد المقاتلة) اى من حيث ان الشرطية القائلة فان فاءت فاصلحوا معطوفة على الشرطية القائلة فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا بفاء التعقيب كان هذه الشرطية معطوفة على الشرطية الاولى وهى قوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فيكون مضمون الشرطية الاخيرة واقعا بعد مقاتلة الحكام معهم كما ان مضمون الثانية واقع بعد اقتتال الطائفتين فالحكام مأمورون اولا باصلاح ما بين الطائفتين مطلقا وقتالهم من بغت على الاخرى على تقدير عدم الفيء ومأمورون ثانيا باصلاح مابينهما على تقدير ان تفيء من بغت على الاخرى الى امر الله تعالى وترك المقاتلة مع خصمها فلذلك قيل بالعدل وهو دون الاول (قوله واعدلوا فى كل الامور) اشارة الى فائدة قوله واقسطوا بعد قوله فاصلحوا بينهما بالعدل والحال ان القسط بالكسر العدل وهمزة اقسط للصيرورة والقسط بالفتح الجور وهمزته للسلب يقال اذا كان القسط زال القسط فقوله تعالى واقسطوا على كل واحد من التقديرين

بعد نسخ الشمس والغنية لرجوعها من الكفار الى المسلمين (فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل) بفصل ما بينهما على ما حكم الله وتقييد الاصلاح بالعدل ههنا لانه مظنة الحيف من حيث انه بعد المقاتلة (واقسطوا) واعدلوا فى كل الامور (ان الله يحب المقسطين) يحمد فعلهم بحسن الجزاء والاية نزلت فى قتال حدث بين الاوس والخزرج فى عهده عليه الصلاة والسلام بالسعف والنعال وهى تدل على ان الباغى مؤمن وانه اذا قبض عن الحرب ترك

امر بالعدل وقد امر به بقوله فاصلحوا بينهما فيكون تكرارا وتقرير الجواب ان المأمور به اولا هو العدل فى الاصلاح الواقع بعد المقاتلة والمأمور به ثانيا هو العدل فى الامور كلها والثانى ارفع درجة من الاول بكثير والسعف جمع سعفة وهى اغصان النخل اذا يبست روى انه عليه الصلاة والسلام مر يوما على ملأ من الانصار فيهم عبدالله بن ابى المنافق ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على حماره فوقف عليهم يعظهم فبال حماره اوراث فامسك عبد الله بن ابى انفه وقال نح عنا نتن حمارك فقد اذيتنا بنتنه فمن جاءك منا فعظه فسمع ذلك عبدالله بن رواحة فقال الحمار رسول الله صلى الله عليه وسلم تقول هذا والله ان بول حمار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لاطيب رائحة منك فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وطال الكلام بين عبد الله بن ابى المنافق الخزرجى وبين عبد الله بن رواحة الاوسى حتى استبا وتجالدا وجاء قوم كل واحد منهما من الاوس والخزرج وتجالدوا بالعصى وقيل بالنعال والايدى وقيل بالسعف ايضا فنزل قوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فرجع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقرأ عليهم واصلح بينهم فان قيل عبد الله بن ابى كان منافقا والآية فى طائفتين من المؤمنين قلنا احدى الطائفتين هما اصحاب عبدالله بن ابى وعشيرته ولم يكن كلهم منافقين والآية تتناول المؤمنين منهم او المراد بالمؤمنين من اظهر الايمان سواء كان مؤمنا حقيقة او ادعاء وروى فى سبب نزول هذه الآية روايات اخر ويحتمل ان تكون كلها صحيحة ويكون نزول الآية عقيب جميعها (قوله كما جاء فى الحديث) وهو قوله عليه الصلاة والسلام فى حق اهل البغى ولا يطلب هاربها فانه قد روى عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا ابن ام عبد الله هل تدرى ما حكم الله تعالى فيمن بغى من هذه الامة قال الله ورسوله اعلم قال لا يجهز على جريحها ولا يقتل اسيرها ولا يطلب هاربها ولا يقسم فيئها (قوله من حيث انهم منتسبون الى اصل واحد هو الايمان الموجب للحياة الابدية) كما ان الاخوة من النسب منتسبون الى اصل واحد هو الاب الموجب للحياة الفانية وقوله الموجب للحياة الابدية اشارة الى ان اخوة الاسلام اقوى من اخوة النسب بحيث لا يعتبر اخوة النسب اذا خلت عن اخوة الاسلام الا ترى انه اذا مات المسلم وله اخ كافر يكون ماله للمسلمين لا لاخيه الكافر وكذا اذا مات الاخ الكافر وذلك لان الجامع الفاسد لا يفيد الاخوة وانما المعتبر الاصل الشرعى الا ترى ان ولدى الزنى من رجل واحد لا يتوارثان وهذا المعنى يستفاد من الايمان وانما الحصر فكانه لا اخوة الا بين المؤمنين فلا اخوة بالمؤمن والكافر (قوله وقرئ بين اخوتكم)

كما جاء فى الحديث لانه فاء الى امر الله وانه يجب معاونة من بغى عليه بعد تقديم النصح والسعى فى المصالحة (انما المؤمنون اخوة) من حيث انهم منتسبون الى اصل واحد هو الايمان الموجب للحياة الابدية وهو تعليل وتقرير للامر بالاصلاح ولذلك كرره مرتبا عليه بالفاء فقال (فاصلحوا بين اخويكم) ووضع الظاهر موضع الضمير مضافا الى المأمورين للمبالغة فى التقرير والتحضيض وخص الاثنين بالذكر لانهما اقل من يقع بينهم الشقاق وقيل المراد بالاخوين الاوس والخزرج وقرئ بين اخوتكم واخوانكم (واتقوا الله) فى مخالفة حكمه والاهمال فيه (لعلكم ترحمون) على تقواكم

فان اخوة جمع اخ و كذلك الاخوان قال بعض اهل اللغة الاخوة جمع الاخ من النسب والاخوان جمع الاخ من الصداقة و يقع احدهما موقع الاخر (قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم) وجه اتصاله بما قبله ان هذه السورة الكريمة فيها ارشاد المؤمنين الى مكارم الاخلاق وهي اما مع الله تعالى اومع رسوله اومع غيرهما من ابناء جنسهم وهم على صنفين اما من اهل الايمان والطاعة اومن اهل الفسق والمعصية والمؤمن المطيع اما حاضر عندهم اوغائب عنهم فهذه خمسة اقسام احدها متعلق بجانب الله تعالى وثانيها بجانب رسوله وثالثها بجانب الفساق ورابعها بالمؤمن الحاضر وخامسها بالمؤمن الغائب فذكرالله تعالى في هذه السورة خمس مراتب بقوله يا ايها الذين آمنوا وارشدهم في كل مرة الى مكرمة هي قسم من الاقسام الخمسة فقال اولا يا ايها الذين آمنوا لاتقدموا بين يدي الله ورسوله وذكر الرسول لبيان ان طاعته طاعة الله تعالى لانها لاتعلم الا بقول الرسول وقال ثانيا يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي لبيان احترامه عليه الصلاة والسلام وقال ثالثا يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ لبيان وجوب الاحتراز عن الاعتماد على قول الفاسق بناء على انهم يريدون القاء الفتنة بينكم وقال رابعا يا ايها الذين آمنوا لايسخر قوم من قوم وقال ولا تنابزوا بالالقاب لبيان وجوب ترك ايذاء المؤمنين في حضورهم بالتحقير والتنقيص وقال خامسا يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن وقال ولاتجسسوا ولايغتب بعضكم بعضا لبيان وجوب الاحتراز عن اهانة جانب المؤمن في حال غيبته بذكر مالو ذكر في حضوره لتأذى به وهو ترتيب حسن حيث قدم الاهم على ماهو دونه فذكر جانب الله تعالى ثم جانب رسوله ثم ذكر مايفضي الى اقتتال طوائف المسلمين بسبب الاصغاء الى كلام الفاسق والاعتماد عليه واما المؤمن الحاضر او الغائب فانه لا يؤذي المؤمن الى حد يفضي الى حد التقاتل وهيجان الفتنة وذكر في هذه الآية امورا ثلاثة مرتبة بعضها دون بعض وهي السخرية واللمز والنبز فالسخرية ان يحقر الانسان اخاه و يستخفه و يسقطه عن درجته و يعده ممن لايلتفت اليه واللمز ان يذكره في غيبته بمافيه من العيب وهذا دون الاول لان الساخر لايلتفت الى المسخور منه ولايعده شيئا ولايرضى ان يجريه على لسانه فضلا عن ان ينسب اليه شيئا من المعايب بل ينزله منزلة المسخرة الساقطة عن درجة الاعتبار بالكلية بخلاف اللامز فانه يلتفت الى من لمزه و يجعل فيه شيئا فيعيبه به والنبز ان يدعو انسان احدا باللقب السوء وهو دون الثاني لان النبز مجرد التسمية لا يقتضي وجود معناه اللغوي في المسمى كالاسماء الحسنة مثل سعيد

(يا ايها الذين آمنوا لايسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولانساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن) اي لايسخر بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض اذ قد يكون المسخور منه خيرا عند الله من الساخر ا والقوم مختص بالرجال

لانه اما مصدر نعت به فشاع في الجمع او جمع لقائم كزائر وزور والقيام بالامور وظيفة الرجال كما قال تعالى الرجال قوامون على النساء وحيث فسر بالقبيلين كقوم فرعون وعاد فاما على التغليب او الاكتفاء بذكر الرجال من ذكرهن لانهن توابع واختيار الجمع لان السخرية تغلب في المجامع

ومحمود والقاب المادحة مثل محي الدين وشمس الدين بخلاف اللمز فان اللامز يضيف الى من يلمزه وصفا باشافيه يوجب نقصه وحط منزلته وليس نسبة بمجرده كانه قيل لا تكبروا فتستحقروا اخوانكم بحيث لا تلتفتون اليهم اصلا وان عن هذا فلا تعيبوهم طالبين درجتهم واذا لم تعيبوهم ولم تضيفوا اليهم مايسوءهم فلا تسموهم بما يكرهونه (قوله لانه اما مصدر نعت به) المشهور في مصدر قام لفظ القيام يقال قام الرجل قياما وان القوم اسم جمع لا واحد له من لفظه مثل رهط ونفر الا انه يحتمل ان يكون ايضا مصدرا في الاصل بدليل قولهم قومة للمرة من القيام و بدليل قول من قال اذا اكلت طه ما احببت نوما وكرهت قوما اي قياما فينبغي ان يجوز رجل قوم ورجلان قوم الا انه غلب في ان يوصف به الجمع وحينئذ يكون اطلاقه على جماعة الرجال من قبيل توصيفهم بالمصدر مبالغة مثل رجال عدل فان المصدر لكونه اسم جنس يصح اطلاقه على الكثير من آحاده ثم توصف الجماعة الموصوفة بذلك الجنس بالمصدر الذي اطلق على الكثير من احاده ويحتمل ان يكون جمعا لقائم مثل ركب وصحب وزور في مثل راكب وصاحب وزائر واختار الجوهري كونه اسم جمع حيث قال الرجال دون النساء لا واحد له من لفظه لان اهل العربية لم يجعلوا فعلا من ابنية التكسير الا الاخفش فالقوم سواء كان مصدرا نعت به الجمع او كان جمع قائم يكون معناه في الاية لا يسخر جمع قائمون و يكون الجمع القائمون مختصا بالرجال لان القيام بالامور وظيفة الرجال (قوله وحيث فسر بالقبيلين) جواب عما يقال كيف يختص القوم بالرجال مع انه مفسر بما يعم الرجال والنساء في نحو قوم نوح وقوم عاد وقوم فرعون لان قوم كل واحد من الانبياء والملوك يعم الرجال والنساء والاية صريح في اختصاصه بالرجال حيث عطف عليه قوله ولا نساء وكذا قول زهير وما ادري وسوف اخال ادري ❊ اقوم آل حصن ام نساء حيث قابل القوم بالنساء وتقرير الجواب انا لا نسلم ان القوم في مثله يعم القبيلين بل لا بد اول الى الرجال واكتفى بذكرهم عن ذكر النساء ولو سلم انه يعم القبيلين فتناوله اليهما على سبيل التغليب لا بحسب المفهوم (قوله واختيار الجمع) جواب عما يقال المنهي عنه في الآية هو ان يسخر جماعة من احد القبيلين من جماعة اخرى من ذلك القبيل لان القوم اسم جمع لرجل والنساء اسم جمع لامرأة فيلزم ان لا يحرم سخرية واحد الا لم يكن لاختيار اسم الجمع في كل واحد من القبيلين فائدة وتقرير الجواب ان اختيار الجمع ليس للاحتراز عن سخرية الواحد بل لبيان الواقع لان السخرية وان كانت بين اثنين الا ان الغالب ان تقع بمحضر جماعة يرضون بها ويضحكون بسببها بدل ما وجب عليهم من النهي والانكار فيكونون

لمركاء الساخر فى حمل الوزر و يكونون بمنزلة الساخر بن حكما فنهوا عن ذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما نزلت الاية فى ثابت بن قيس بن شماس كان فى اذنه وقر فكان اذا اتى مجلس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد سبقوه فى المجلس او سعوا له حتى يجلس الى جنبه عليه الصلاة والسلام ليسمع ما يقول فاقبل ذات يوم وقد فاتته ركعة من صلاة الفجر فلما انصرف النبي عليه الصلاة والسلام من الصلاة اخذ اصحابه مجالسهم و ضن كل رجل بمجلسه فلا يكاد يوسع احد لاحد فكان الرجل اذا جاء لايجد مجلسا و يقوم على رجليه فلما فرغ ثابت من الصلاة اقبل نحو رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تخطى رقاب الناس وهو يقول تفسحوا تفسحوا فجعلوا يتفسحون له حتى اتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم و بينه و بينه رجل فقال له تفسح فلم يفعل فقال من هذا فقال له الرجل انا فلان فقال بل انت ابن فلانة يريد اماله كان يعير بهما فى الجاهلية فخجل الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ونكس رأسه فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل نزلت فى استهزاء المشركين بفقراء المسلمين وسخريتهم منهم فنهى الله المؤمنين ان يتخلقوا به تأديبا لهم روى ان قوله تعالى ولا نساء من نساء نزل فى نساء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عيرن ام سلمة بالقصر وقيل انها نزلت فى صفية بنت حيى بن اخطب قال لها النساء يهودية بنت يهوديين (قوله وقرئ عسوا) اسند الواو وان مع الفعل خبره فان المتأخرين على ان عسى يرفع الاسم و ينصب الخبر مثل كان وان مع الفعل المضارع بعد اسمه فى مثل عسى زيد ان يخرج فى محل النصب على انه خبر عسى استدلالا بقوله عسى الغوير أبؤسا * وقوله لا تلحنى انى عسيت صائما * اى لاتلمنى يقال لحيت الرجل الحاه لحيا اى لمته ونقل عن سيبويه منع كون ان يفعل خبره بناء على ان الحدث لايكون خبرا عن الجثة وان قوله ابؤسا وصائما مبنى على اجراء عسى مجرى كان لتضمنه معنى كان واعتذر من حمله خبرا عن لزوم كون الحدث خبرا عن الجثة بتقدير المضاف اما فى الاسم نحو عسى حال زيد ان يخرج او فى الخبر نحو عسى زيد صاحب ان يخرج وقال الكوفيون ان مع الفعل فى مثله فى محل الرفع على انه بدل مما قبله بدل الاشتمال لان عسى بمعنى رجى وتوقع فمعنى عسى زيد ان يقوم ترجى زيد قيامه وانما غلب فيه بدل الاشتمال لان فيه اجمالا وتفصيلا كما تقرر ذلك فى بحث البدل وفى ابهام الشئ ثم تفسيره وقع عظيم لذلك الشئ فى النفس واذا قلت عسى ان يخرج زيد يكون ان يخرج فاعل عسى و زيد فاعل يخرج فاكتفى باسمه عن خبره لاغناء الاسم عنه ومنه قوله تعالى عسى ان يكونوا خيرا منهم وعسى

وعسى باسمها استئناف بالعلة الموجبة للنهى و لا خبرلها لاغناء الاسم عنه وقرئ عسوا ان يكونوا و عسين ان يكن فهى على هذا ذات خبر (ولا تلمزوا انفسكم) اى ولا يعب بعضكم بعضا

به فان من فعل ما استحق به اللمز فقد لمز نفسه واللمز الطعن باللسان وقرأ يعقوب بالضم (ولا تنابزوا بالالقاب) ولا يدع بعضكم بعضا بلقب السوء فان النبز مختص بلقب السوء عرفا (بئس الاسم الفسوق بعد الايمان) اى بئس الذكر المرتفع للمؤمنين ان يذكروا بالفسوق بعد دخولهم الايمان واشتهارهم به والمراد به اما تهجين نسبة الكفر والفسق الى المؤمنين خصوصا اذ روى ان الآية نزلت فى صفية بنت حيى رضى الله عنها اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان النساء يقلن لى يا يهودية بنت يهوديين فقال لها هلا قلت ان ابى هرون وعمى موسى وزوجى محمد او الدلالة على ان التنابز فسق والجمع بينه وبين الايمان مستقبح (ومن لم يتب) عما نهى عنه (فاولئك هم الظالمون) بوضع العصيان موضع الطاعة وتعريض النفس للعذاب

ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وهى لغة اهل الحجاز وعسى زيد ان يخرج لغة تميم وقراءة العامة على لغة اهل الحجاز وقراءة عسوا وعسين على لغة تميم (قوله فان المؤمنين كنفس واحدة) علة لجعل اللمز نفس اللامز فان المؤمنين اذ كانوا كنفس واحدة وكانت الافراد المتكثرة بمنزلة اعضاء تلك النفس يكون ما يصيب واحدا منهم كانه يصيب الجميع كما اذا اشتكى عضو واحد من شخص اعترى سائر الاعضاء الحمى والسهر فاذا عاب مؤمن مؤمنا فكانما عاب نفسه كقوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم (قوله فمن فعل ما استحق به اللمز فقد لمز نفسه) باعتبار كونه سببا للمز غيره اياه فقوله تعالى ولا تلمزوا انفسكم من قبيل الاسناد المجازى لان الاسناد بمعنى التعلق مطلقا وقرأ يعقوب ولا تلمزوا بضم الميم والنبز بفتح الباء اللقب مطلقا اى حسنا كان او قبيحا وخص فى العرف بالقبيح وبسكون الباء مصدر نبزه بمعنى لقبه ويقال تنابزوا بالالقاب اذا لقب بعضهم بعضا والتلقيب اى يدعى الانسان بغير ما سمى به مما يكره المدعو ان يدعى به وهذا التخصيص عرفى (قوله اى بئس الذكر المرتفع) اى ليس المراد بالاسم ما يقابل الفعل والحرف بل المراد به ما يذكر به الشخص ويسمى مطلقا والمخصوص بالذم الفسوق وهو التنابز المنهى عنه ولما كان لفظ الاسم مأخوذا من سما يسمو سموا بمعنى ارتفع ارتفاعا كان متضمنا لمعنى الارتفاع والاشتهار فان كان المراد تهجين نسبة الكفر والفسوق الى الى المؤمنين وتلقيبهم بهما يكون المعنى ما اقبح ذكركم اخوانكم من المؤمنين بفسق كان فيهم بعد ما تابوا عنه وآمنوا بان تقولوا لهم يا يهودى يا نصرانى اذ هم كانوا يتنابزون بنحو ذلك كما قيل لام المؤمنين صفية فعلى هذا تكون جملة فعل الذم متعلقة بقوله ولا تنابزوا علة للنهى عنه ويؤيد هذا المعنى ما روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال التنابز بالالقاب ان يكون الرجل عمل السيئات ثم تاب عنها فنهى ان يعير بما سلف من عمله وان كان المراد به الدلالة على ان ارتكاب ما نهى عنه من السخرية واللمز والنبز فسق وان الجمع بين ارتكاب ذلك وبين الايمان قبيح يكون المعنى بئس الذكر المرتفع ان يرتفع ذكركم بالفسق بسبب ارتكابكم لشئ مما نهيتم عنه من السخرية واللمز والنبز بعد ان ذكرتم بالايمان واشتهرتم به وتكون الجملة حينئذ متعلقة بجميع ما تقدم من قوله لا يسخر قوم من قوم ولا تلمزوا ولا تنابزوا علة للنهى عن جميع ذلك ويكون تخصيص التنابز بالذكر فى قوله او الدلالة على ان التنابز فسق لقربه ولقصد الاختصار مع عدم الالتباس فالمراد من حيث ان التنابز انما يكون فسقا من حيث ارتكابه لما نهى عنه وهذه العلة محققة فى السخرية واللمز ايضا فيكون الجميع فسقا

(قوله وابهام الكثير ليحتاط فى كل ظن) وتوضيح المقام ان كثيرا لما بين بقوله من الظن كان عبارة عن الظن فكان المأمور باجتنابه بعض الظن الا انه علق الاجتناب بقوله كثير البيان انه كثير فى نفسه ولابد لنا من الفرق بين تعريف الظن الكثير وتنكيره فلو عرف وقيل اجتنبوا الظن الكثير يكون التعريف للاشارة الى مايعرفه المخاطب بانه ظن كثير غير قليل ولو نكر يكون تنكيره للافراد والبعضية ويكون المأمور باجتنابه بعض افراد الظن الموصوف بالكثير من غير تعيينه اى بعض هو وفى التكليف على هذا الوجه فائدة جليلة وهو ان يحتاط المكلف ولايجترئ على ظن ما حتى يتبين عنده انه ممايصح اتباعه او يجب الاجتناب عنه ولوعرف لكان المعنى اجتنبوا حقيقة الظن الموصوف بالكثرة اوجميع افراده لاما قل منه وتحريم الظن المعرف تعريف الجنس او الاستغراق لايؤدى الى احتياط المكلف لكون المحرم معينا فيجتنب عنه ولا يجتنب عن غيره وهو الظن القليل سواء كان ظن سوء اوظن صدق ومن المعلوم انهذا المعنى غيرمراد بخلاف ما اذا نكر الظن الموصوف بالكثرة فانه حرم حينئذ اتباع الفرد المبهم من افراد تلك الحقيقة وتحريمه يؤدى الى احتياط المكلف الى ان يتبين عنده ان مايخطر بباله من الظن من اى نوع من انواعه (قوله تعليل مستأنف للامر) فان قوله كثيرا لما كان بمنزلة قوله ظنا لكونه بيانا للظن وعبارة عنه كانت آية الامر بمنزلة ان يقال اجتنبوا بعض الظن وهو كثير فعلل الامر بالاجتناب عنه بقوله ان بعض الظن اثم وهو ان يظن السوء بمن لايعلم منه فسق قيل نزلت الاية فى رجلين عابا سلمان وذلك ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا غزا اوسافر ضم الرجل المحتاج الى رجلين موسرين يخدمهما و يتقدم لهما الى المنزل و يهيئ لهما طعامهما وشرابهما وضم سلمان الفارسى الى رجلين فى بعض اسفاره فتقدم سلمان الفارسى الى المنزل فغلبته عيناه فلم يهيئ شيئا فلما قدما قالا له ما صنعت شيئا قال لا غلبتنى عيناى قالا له انطلق الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاطلب منه طعاما فجاء سلمان الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وسأله طعاما وقال له عليه الصلاة والسلام انطلق الى اسامة بن زيد وقل له ان كان لديه فضل من طعام فليعطك وكان اسامة خازن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى رحله فاتاه فقال ماعندى شئ فرجع سلمان اليهما فاخبرهما فقالا كان عند اسامة ولكن بخل به فبعثا سلمان الى طائفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيئا فلما رجع قالوا لو بعثناه الى بئر سميحة لغار ماؤها ثم انطلقا يتجسسان هل عند اسامة ما امر لهما به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلما اتيا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

(يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن) كونوا منه على جانب وابهام الكثير ليحتاط فى كل ظن ويتأمل حتى يعلم انه من اى القبيل فان من الظن ما يجب اتباعه كالظن حيث لاقاطع فيه من العمليات وحسن الظن بالله ومايحرم كالظن فى الالهيات والنبوات وحيث يخالفه قاطع وظن السوء بالمؤمنين ومايباح كالظن فى الامور المعاشية (ان بعض الظن اثم) تعليل مستأنف للامر والاثم الذنب الذى يستحق العقوبة عليه

قال لهما مالي ارى خضرة اللحم في افواهكما قالا والله يارسول الله ماتناولنا يومنا هذا لحما قال عليه الصلاة والسلام ظلتم تأكلون لحم اسامة وسلمان فانزل الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن قال سفيان الثوري ظنان احدهما اثم وهو ان يظن ويتكلم به والآخر ليس باثم وهو ان يظن ولايتكلم به والمراد بقوله تعالى ان بعض الظن اثم ما اعلنته وتكلمت به من الظن وعن الحسن كنا في زمان الظن حرام فيه وانت اليوم في زمان اعمل واسكت وظن بالناس ماشئت (قوله والهمزة فيه بدل من الواو) قيل عليه كيف يكون الاثم من الوثم مع ان كل واحد منهما من باب على حدة فان وثم يثم من باب ضرب واثم يأثم من باب علم الجوهري الاثم الذنب والوثم الدق والكسر يقال وثم يثم وثما مثل ضرب يضرب ضربا (قوله تفعل من الجس باعتبار مافيه من معنى الطلب) فان جس الخبر طلبه والتفحص عنه فاذا نقل الى باب التفعل يحدث فيه معنى التكلف منضما الى مافيه من معنى الطلب يقال جسست الاخبار اى تفحصت عنها واذا قيل تجسسها يريد معنى التكلف فان تفعل من الجس وهو المس باليد ليعرف حال الشئ كالتلمس فانه يحدث فيه معنى التكلف والطلب مرة بعد اخرى والعورة سوأة الانسان وكل مايستحيى منه من العثرات والعيوب والجمع عورات بالتسكين (قوله ولذلك) اى ولكون الحس غاية الجس يقال للحس جس تسمية للشئ باسم مبداه فيقال للحواس جواس (قوله تتبع الله عورته) من باب المشاكلة اى جازاه على عثراته كقوله كما تدين تدان فان الدين الجزاء والمعنى تجازى كما تفعل (قوله تمثيل لما يناله المغتاب من عرض المغتاب) المغتاب الاول اسم فاعل والثاني اسم مفعول والتقدير مختلف كلفظ المختار فاعلا ومفعولا شبه الاغتياب من حيث اشتماله على تناول عرض المغتاب بأكل لحم الاخ ميتا وعبر بالهيئة المشبه بها عن الهيئة المشبهة ولاشك ان الهيئة المشبه بها افحش جنس التناول واقبحه فيكون التمثيل لتصوير الاغتياب بافحش الصور مع مبالغات في تقييده احداها الاستفهام المقرر اى الحامل للمخاطبين على ان يقروا بان احدا منا لايحب ذلك الاكل الذي هو عبارة عن تناول عرض المغتاب فان الاستفهام التقريري انما يحسن اذا كان الحكم مسلما عند كل احد فيكون مبالغة في تقبيح الاكل وكذا اسناد الفعل الى احد المتناول لكل احد يحملهم على ان يقروا بان احدا من الآحاد لايحب اكله ففيه ايضا مبالغة في تقبيح تناول العرض وكذا تعدية فعل المحبة الى ماهو في غاية الكراهة وكذا ماذكر بعده (قوله تعالى ميتا) منصوب على انه حال من المفعول وهو اللحم واللحم المفصل عن الحي يوصف بانه ميت لقوله عليه الصلاة والسلام ما ابين من حي فهو ميت ويحتمل

والهمزة فيه بدل من الواو كانه يثم الاعمال اى يكسرها (ولا تجسسوا) ولا تبحثوا عن عورات المسلمين تفعل من الجس باعتبار ما فيه من معنى الطلب كالتلمس وقرئ بالحاء من الحس الذي هو اثر الجس وغايته ولذلك قيل للحواس الجواس وفي الحديث لا تتبعوا عورات المسلمين فان من تتبع عوراتهم تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو في جوف بيته (ولا يغتب بعضكم بعضا) ولايذكر بعضكم بعضا بالسوء في غيبته وسئل منه عليه الصلاة والسلام عن الغيبة فقال ان تذكر اخاك بما يكرهه فان كان فيه فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته (ايحب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا) تمثيل لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على افحش وجه مع مبالغات الاستفهام المقرر واسناد الفعل الى احد للتعميم وتعليق المحبة بما هو في غاية الكراهة وتمثيل الاغتياب باكل لحم الانسان وجعل المأكول اخا وميتا وتعقيب ذلك بقوله (فكرهتموه) تقريرا وتحقيقا لذلك

والمعنى ان صح ذلك اوعرض عليكم هذا فقد كرهتموه ولايمكنكم انكاركراهته وانتصاب ميتا على الحال من اللحم او الاخ وشدده نافع ﴿ ٢٣٩ ﴾ (واتقوا الله ان الله تواب رحيم) لمن اتقى مانهي عنه وتاب مما فرط منه والمبالغة في التواب لانه بالغ في قبول التوبة اذ يجعل صاحبها كمن لم يذنب اولكثرة المتوب عليهم اولكثرة ذنوبهم روى ان رجلين من الصحابة بعثا سلمان رضي الله تعالى عنه الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يبتغي لهما اداما وكان اسامة على طعامه فقال ما عندي شيء فاخبرهما سلمان فقالا لو بعثناه الى بئر سميحة لغار ماؤها فلما راحا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما مالى ارى خضرة اللحم في افواهكما فقالا ما تناولنا لحما فقال انكما قد اغتبتما فنزلت (يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى) من آدم وحواء عليهما السلام اوخلقنا كل واحد منكم من اب وام فالكل سواء في ذلك فلا وجه للتفاخر بالنسب ويجوز ان يكون تقريرا للاخوة المانعة عن الاغتياب (وجعلناكم شعوبا وقبائل) الشعب الجمع العظيم المنتسبون الى اصل واحد وهو يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن يجمع الافخاذ والفخذ يجمع الفصائل فخزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ

انيكون حالا من الاخ على رأي من يجوز انتصاب الحال من المضاف اليه وفي ميتا اشارة الى دفع وهم وهو ان يقال الشتم في الوجه يؤلم فيحرم واما الاغتياب فلا اطلاع عليه للمغتاب فلا يؤلم فدفعه بان اكل لحم الاخ وهو ميت ايضا يؤلم ومع هذا هو في غاية القبح لكونه بمراحل عن رعاية حق الاخوة (قوله والمعنى ان صح ذلك اوعرض عليكم هذا) يعني ان قوله فكرهتموه اما جواب شرط محذوف والمعنى انه ان صح وتقرر انه يتعين لكم الاقرار بان احدا منكم لايحب اكل جيفة اخيه فقد تحققت كراهتكم له وتقذركم منه والمقصود من تحقق استكراههم وتقذرهم من المشبه به الترغيب والحث على استكراه ما شبه به وهو الغيبة كانه قيل اذا تحققت كراهتكم له فلتتحقق عندكم كراهة نظيره الذي هو الاغتياب او هو معطوف على محذوف قبله تقديره عرض عليكم هذا فكرهتموه اي يعرض عليكم هذا فتكرهونه فاستكرهوا ايضا نظيره (قوله وشدده نافع) ضمير وشدده للميت فان صاحب التيسير ذكر في سورة الانعام انه قرأ نافع اومن كان ميتا وفي يس الارض الميتة وفي الحجرات لحم اخيه ميتا بتشديد الياء في المواضع الثلاثة والباقون باسكانها ولم يذكر خلافا وقوله تعالى واتقوا الله عطف على ما تقدم من الاوامر والنواهي اي واجتنبوا ولاتجسسوا ولا يغتب واتقوا الله ان الله تواب رحيم ختم كل واحدة من الآيتين بذكر التوبة فقال في الاولى ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون وقال ههنا ان الله تواب رحيم اي يقبل توبة من تاب ويرحم من اليه اناب ثم انه تعالى لما بين مكارم الاخلاق بالنسبة الى المؤمن الحاضر اولا وبالنسبة الى الغائب ثانيا نهى عامة المكلفين عن التفاخر بالانساب فناداهم نداء عاما فقال يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى الآية يعني انكم متساوون في النسب من حيث انكم من ابناء رجل واحد وامرأة واحدة وهما آدم وحواء عليهما الصلاة والسلام او من حيث انكم جنس واحد بحسب تولدكم من الاب والام وافراد جنس واحد لايتفاوت بعضها على بعض كثير تفاوت بسببه فلا تفاخر بالآباء والاجداد ثم بين ان مدار الفضل والشرف ماهو فقال ان اكرمكم عند الله اتقاكم اي ليس لاحد فضل الا بالتقوى والشعوب جمع شعب بفتح الشين وهو اعلى طبقات الانساب فان طبقات النسب التي عليها العرب ست الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة وكل واحدة مما ذكر من هذه الطبقات داخله فيما قبلها كما ذكره المصنف (قوله تعالى

وتصابر فضيلة وقيل الشعوب بطون العجم والقبائل بطون العرب (لتعارفوا) ليعرف بعضكم بعضا لا للتفاخر
بالآباء والقبائل وقرئ لتعارفوا بالادغام ولتتعارفوا ولتعرفوا ﴿ ٢٤٠ ﴾ (ان اكرمكم عند الله اتقاكم) فان
التقوى بها تكمل النفوس
وتتفاضل الاشخاص فمن
اراد شرفا فليلتمس منها كما
قال عليه الصلاة والسلام
من سره ان يكون اكرم
الناس فليتق الله وقال
عليه الصلاة والسلام
يا ايها الناس انما الناس
رجلان مؤمن تقي كريم
على الله وفاجر شقي هين
على الله (ان الله عليم)
بكم (خبير) ببواطنكم
(قالت الاعراب آمنا)
نزلت في نفر من بني اسد
قدموا المدينة في سنة
جدبة واظهروا الشهادتين
وكانوا يقولون لرسول
الله أتيناك بالاثقال والعيال
ولم نقاتلك كما قاتلك بنوا
فلان يريدون الصدقة
ويمنون (قل لم تؤمنوا)
اذ الايمان تصديق مع ثقة
وطمأنينة قلب ولم يحصل لكم
والا لما مننتم على الرسول
بالاسلام وترك المقاتلة كما
دل عليه آخر السورة
(ولكن قولوا اسلمنا) فان
الاسلام انقياد ودخول
في السلم واظهار الشهادتين
وترك المحاربة يشعر به
وكان نظم الكلام ان نقول
لا تقولوا آمنا ولكن قولوا اسلمنا او لم تؤمنوا ولكن اسلمتم فعدل عنه الى هذا النظم احترازا (وهو)
من النهي عن القول بالايمان والجزم باسلامهم وقد فقد شرط اعتباره شرعا (ولما يدخل الايمان في قلوبكم)

لتعارفوا) اصله لتتعارفوا فالجمهور على تخفيف احدى التاءين بحذفها وقرئ
بادغام احدى التاءين في الاخرى واظهارهما والمعنى ان الحكمة التي من اجلها
جعلكم على شعوب وقبائل هي ان يعرف بعضكم نسب بعض ولا تنسبوه الى
غير آبائه ولا لتعارفوا بالنسب غير ذلك لا ان تتفاخروا بالآباء والاجداد والنسب
وان كان يعتبر عرفا وشرعا حتى لا تزوج الشريفة بالنبطي الا انه لا عبرة به عند
ظهور ما هو اعظم قدرا منه واعز وهو الايمان والتقوى كما انه لا تظهر الكواكب
عند طلوع الشمس فالفاسق وان كان قرشي النسب وقارون في النسب لا قدر له
عند المؤمن التقي وان كان عبدا حبشيا والامور التي يفتخر بها في الدنيا وان
كانت كثيرة لكن النسب اعلاها حيث انه ثابت مستمر غير مقدور التحصيل لمن
ليس له ذلك بخلاف غيره كالمال مثلا فانه قد يحصل للفقير مال فيبطل افتخار
المفتخر به وكذا الاولاد والبساتين ونحوها فلذلك خص الله تعالى النسب
بالذكر وابطل اعتباره بالنسبة الى التقوى ليعلم منه بطلان اعتبار غيره بطريق
الاولى ثم انه تعالى لما بين ان مناط الفضيلة والشرف هو التقوى وكان اصل
التقوى هو الايمان والاتقاء من الشرك بين ان الايمان لا يكون باللسان وحده
بل اصل الايمان هو العقد بالجنان فقال قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا فان
الايمان هو التصديق بالجنان مع الثقة بحقيقة المصدق به ويصدق به ويصدق
من اخبر ولم يحصل ذلك لكم ولكن قولوا اسلمنا اي استسلمنا وانقدنا واخلصنا
انجارهم ان يقولوا ذلك لقيام ما يدل عليه ويشعر به وهو اظهار الشهادتين وترك
المحاربة (قوله وكان نظم الكلام ان يقول لا تقولوا آمنا ولكن قولوا
اسلمنا الخ) وذلك لان لكن للاستدراك وهو يقتضي كلا من متغايرين بالنفي
والاثبات او بان يكون احدهما لطلب الفعل والآخر لطلب تركه وذلك لا يتحقق
بان تكون احدى الجملتين خبرية والاخرى امرية كما في هذه وانما يتحقق بان
يكونا انشائيتين احداهما ناهية والاخرى آمرة بان يقول لا تقولوا آمنا ولكن
قولوا اسلمنا او بان يكونا خبريتين اولاهما نافية للايمان وثانيتهما مثبتة للاسلام
بان يقال لم تؤمنوا ولكن اسلمتم الا انه عدل في الآية الكريمة عن ايرادهما
انشائيتين بان يكون الاولى ناهية احترازا عن هجنة ان يقول النبي المبعوث
للدعوة الى الايمان لا تقولوا آمنا وينهى عن القول بالايمان وهو لا يليق باحد
وكيف بالنبي عليه الصلاة والسلام وعدل عن ان يقال لم تؤمنوا ولكن اسلمتم
احترازا عن الجزم باسلامهم والاعتداد بقولهم الخالي عن مواطأة القلب

توقيت لقولوا فانه حال من ضميره اى لكن قولوا اسلمنا ولم يواطئ قلوبكم السنتكم بعد (وان تطيعوا الله ورسوله) بالاخلاص وترك النفاق (لايلتكم من اعمالكم) لاينقصكم من اجورها (شيئا) من لات ليتا اذا نقص وقرأ البصرى يأن لايألتكم من الالت وهو لغة) غطفان (ان الله غفور) لما فرط من المطيعين (رحيم) بالتفضل عليهم (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا) لم يشك من ارتاب مطاوع رابه

وهو غير مقبول فى الشرع فان صاحبه ليس بمسلم بل هو منافق ولايخفى عليك ان هذا الكلام ليس فيه بيان وجه الاستدراك بل هو بيان لما فى التعبير على مقتضى الظاهر من المحذور وان ماعدل اليه من النظم خال عن ذلك المحذور فالاولى ان يتعرض لتوجيه الاستدراك بان يقال قوله تعالى قل لم تؤمنوا فى قوة ان يقال قل لاتقولوا آمنا لان نفى الايمان عنهم فى مقام ادعائهم للايمان يتضمن النهى عن ادعائه فصح الاستدراك عنه بقوله ولكن قولوا اسلمنا حملا على المعنى كأنه قيل لم تؤمنوا فتكذبوا ولكن قولوا اسلمنا لتكونوا صادقين (قوله توقيت لقولوا) اشارة الى جواب مايقال من ان قوله ولما يدخل الايمان فى قلوبكم معناه نفى الايمان عنكم فهو بهذا الاعتبار تكرير لقوله لم تؤمنوا فما الفائدة فى هذا التكرير وتقرير الجواب انه وان كان باعتبار اشتماله على نفى الايمان عنهم تكريرا للاول الا انه قد انضم اليه باعتبار كونه حالا من ضمير قولوا معنى آخر خرج به عن كونه تكرارا فان الاول تكذيب لهم فى دعواهم والثانى توقيت لما امروا به من القول اى قولوا اسلمنا مادمتم على هذه الصفة وهى ان لم يدخل الايمان فى قلوبكم بعد فان الواو فى ولما واو الحال وذو الحال الضمير فى قولوا فيد كونهم مأمورين بان يقولوا اسلمنا دون آمنا بحال عدم دخول الايمان فى قلوبهم اى قولوا اسلمنا مادمتم على هذه الصفة فظهر بهذا التقرير انه توقيت لقولوا ومعنى التوقع فى لما يدل على ان حصول الايمان فى قلوبهم متوقع سيحصل عند اطلاعهم على محاسن الاسلام فانهم قد آمنوا فيما بعد فان لما لنفى فعل قد يتوقع (قوله وقرأ البصرى يأن لايألتكم) بهمزة ساكنة بين الياء واللام من ألته حقه يألته من بابى ضرب ونصر والسوسى يبدل الهمزة الفا على اصله والباقون يلتكم بغير همز من لاته يليته مثل باعه يبيعه وهما لغتان معناهما لاينقصكم فالاولى لغة غطفان واسد والثانية لغة الحجاز وقيل من ولته يلته كوعده يعده فالمحذوف من يلتكم على هذا فاء الكلمة وعلى كونها من لات عينها وهما بمعنى نقصه حقه قال الامام معنى قوله لايلتكم انكم اذا اتيتم بمايليق بضعفكم من الحسنة المعروفة بالاخلاص وترك النفاق فهو تعالى يأتيكم بمايليق بفضله من الجزاء لاينقص منه نظرا الى مافى حسناتكم من النقصان والتقصير وهذا لان من حمل الى ملك فاكهة طيبة يكون ثمنها فى السوق درهما مثلا فاعطاه الملك درهما اودينارا انتسب الملك الى قلة العطاء بل الى البخل فليس معنى الآية انه يعطى من الجزاء مثل عملكم من غير نقص بل المعنى يعطى ماتتوقعونه باعمالكم من غير نقص و يؤيد ماقاله قوله تعالى عقيبه ان الله غفور رحيم ثم انه تعالى لما نفى الايمان عن الاعراب اشار الى مايوجب نفيه عنهم و بين لهم ان حقيقة الايمان ماهو وان ادعائه ممن يدعى

فقال انما المؤمنون الآية (قوله اذا اوقعه فى الشك مع التهمة) اى اذا اوقعه فى الشك فيما صدقه وآمن به وفى الاتهام لمن صدقه على ان الشك بالنسبة النسبة الى المخبر به والتهمة بالنسبة الى من اخبر بذلك بان ينسب تهمة الكذب اليه بعد ما صدقه واعترف بان ما قاله حق يعنى ان المؤمن انما يكون مؤمنا بالتصديق بان يبلغ ذلك التصديق درجة اليقين بحيث لا يطرأ عليه الشك والاتهام بتشكيك المشكك فيما يستقبل من الزمان (قوله وثم للاشعار الخ) جواب عما يقال من ان عدم الارتياب لا ينفك عن الايمان لكونه داخلا فى مفهوم الايمان لما مر من ان الايمان تصديق مع ثقة وطمانينة قلب فكيف يجعل متراخيا عن الايمان فان ثم للتراخى وتقرير الجواب ان قوله آمنوا افاد انهم صدقوا تصديقا خاليا عن الارتياب حال الايمان من حيث ان الخلو عنه يعتبر فى مفهوم الايمان وقوله ثم لم يرتابوا افاد انهم لم يحدث لهم الارتياب فى كل زمان وان طال كما يحدث ذلك لمن ضعف يقينه فللاشعار بهذا المعنى عطف عدم الارتياب على الايمان بكلمة ثم فالتراخى زمانى (قوله فى طاعته) فانها هى السبيل المؤدى الى مرضاة الله تعالى وثوابه (قوله والمجاهدة بالاموال والانفس) يعنى ان المجاهدة بالاموال لا تختص بتقوية الغزاة بما عنده من المال بل تعم جميع العبادات المالية وكذا المجاهدة بالانفس لا تختص بالغزو بل تعم جميع العبادات البدنية (قوله تعالى هم الصادقون) قصر افراد وتكذيب لاعراب بنى اسد حيث اعتقدوا الشركة وزعموا انهم صادقون ايضا فى دعوى الايمان (قوله لما نزلت الآية المتقدمة) وهى قوله تعالى قالت الاعراب الى قوله اولئك هم الصادقون والمراد بهذه قوله تعالى قل أتعلمون الله بدينكم والاستفهام للتوبيخ والانكار اى لا تعرفوا الله بدينكم فانه عالم به لا يخفى عليه شئ (قوله وهى النعمة التى لا يستثيب موليها ممن يزلها) اى لا يطلب الثواب وهو العوض ومموليها اى معطيها يقال ازللت اليه نعمة اى اعطيتها وفى الحديث من ازللت اليه نعمة فليشكرها وازللت اليه شيأ اى اعطيت (قوله من المن) الذى [illegible] فى الاصل القطع قال تعالى فلهم اجر غير ممنون اى [illegible] مقطوع ثم نقل منه الى معنى الانعام والافضال على المحتاج لمجرد [illegible] قطع حاجته اى مع قطع النظر عن ان يثيبه المحتاج اى يعوضه شيئا لاستحقاقه [illegible] على معنى القطع يقال من عليه منا اى انعم عليه وافضل من غير استثابة [illegible] وطلب عوض ثم انه قد يطلق ويراد به عد المصنوع منة وانعاما واعتبارا بشانه فيقال من عليه صنيعه اذا اعتده عليه واعتبره منة وانعاما وقيل النعمة الثقيلة من المن وهو رطلان يقال من عليه منة اذا اثقله بالنعمة (قوله

اذا اوقعه فى الشك مع التهمة وفيه اشارة الى ما اوجب نفى الايمان عنهم وثم للاشعار بان اشتراط عدم الارتياب فى اعتبار الايمان ليس حال الايمان فقط بل فيه وفيما يستقبل فهى كما فى قوله ثم استقاموا (وجاهدوا باموالهم وانفسهم فى سبيل الله) فى طاعته والمجاهدة بالاموال والانفس تصلح للعبادات المالية والبدنية باسرها (اولئك هم الصادقون) الذين صدقوا فى ادعاء الايمان (قل أتعلمون الله بدينكم) أتخبرونه بقولكم آمنا (والله يعلم ما فى السموات وما فى الارض والله بكل شئ عليم) لا يخفى عليه خافية وهو تجهيل لهم وتوبيخ روى انه لما نزلت الآية المتقدمة جاؤا وحلفوا انهم مؤمنون معتقدون فنزلت هذه (يمنون عليك ان اسلموا) يعدون اسلامهم عليك منة وهى النعمة التى لا يستثيب موليها ممن يزلها اليه من المن [illegible] القطع ولكن قال [illegible] ى ضع لان المقصود بها قطع حاجته وقيل النعمة الثقيلة من المن

على ما زعمتم) دفع لما يقال من ان قوله بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ظاهره تسليم لايمانهم وهو ينافى قوله قل لم تؤمنوا ولما كان معناه حقيقة ومعنى قوله ان هداكم للايمان اى هداكم له على زعمكم اندفعت المنافاة مع ان المنافاة انما تتحقق ان لو كانت الهداية مستلزمة للاهتداء وليست كذلك لقوله تعالى واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى (قوله وفى سياق الآية لطف) جواب عما يقال قوله تعالى يمنون عليك ان اسلموا يقتضى بظاهره انهم سموا ما احدثوه اسلاما وهم ما كانوا يسمونه اسلاما بل يسمونه ايمانا لقوله تعالى قالت الاعراب آمنا ففى الكلام نوع من المنافاة فاجاب عنه بان فيه نوعا من اللطافة ومحصوله انه تعالى سمى ما صدر عنهم اسلاما لكونه اسلاما فى الحقيقة وان زعموا انه ايمان وسموه به وادرج فى تقرير اللطافة جواب ما دفعه بقوله آنفا على ما زعمتم حيث قال بل لو صح ادعاؤهم الايمان فلله المنة عليهم بالهداية له لا لهم (قوله لما فى الآية من الغيبة) وهى فى قوله يمنون عليك ان اسلموا وقرأ الباقون بتاء الخطاب نظرا الى قوله قل لا تمنوا على اسلامكم الخ هذا آخر ما تيسر لى بفضل الله وسعة رحمته واحسانه من ايضاح خفاء ما يتعلق بسورة الحجرات والحمد لله اولا وآخرا والصلاة والسلام على سيد الانبياء والمرسلين وعلى آله واصحابه الطيبين الطاهرين والحمد لله على الاتمام والصلاة والسلام على خير الانام

(سورة ق مكية)

❁ بسم الله الرحمن الرحيم ❁ وبه الاعانة والتوفيق ❁

الحمد لله المنعم المنان والصلاة والسلام على سيد من ارسل لهداية نوع الانسان وعلى آله واصحابه الذين هم قادة اهل الايمان ❁ الى سبيل السعادة والرضوان (قوله الكلام فيه كما مر فى ص والقرآن ذى الذكر) اما من حيث القراءة فالجمهور على اسكان القاف بناء على ان حروف التهجى اسماء لمسمياتها والاصل فى الاسماء العارية عن العوامل الوقف على السكون وقرئ قاف بفتح الفاء وقاف بكسرها وكلاهما لالتقاء الساكنين ووجه الفتح الاتباع لصورة الالف لانها منها ووجه الكسر كونه اصلا فى تحريك الساكن ولك ان تجعل المفتوح منصوبا باضمار الفعل ان جعلت قاف اسما للسورة كأنه قيل الزم قاف وعدم تنوينه لعدم صرفه باجتماع التأنيث والعلية وان جعلته مقسما به بناء على انه من اسماء الله تعالى او من اسماء القرآن او السورة او على انه تعالى لما اقسم بنحو التين والزيتون اظهار الشرفه كان اقسامه بالحروف التى هى مبانى الكلام الشريف الذى هو منبع كل خير وسعادة اولى فوجه نصبه اما حذف

عليكم ان هداكم للايمان) على ما زعمتم مع ان الهداية لا تستلزم الاهتداء وقرئ ان هداكم بالكسر واذ هداكم (ان كنتم صادقين) فى ادعاء الايمان وجوابه محذوف يدل عليه ما قبله اى فلله المنة عليكم وفى سياق الآية لطف وهو انهم لما سموا ما صدر عنهم ايمانا ومنوا به نفى انه ايمان وسماه اسلاما بان قال يمنون عليك بما هو فى الحقيقة اسلام وليس بجدير ان يمن عليك بل لو صح ادعاؤهم الايمان فلله المنة عليهم بالهداية له لا لهم (ان الله يعلم غيب السموات والارض) ما غاب فيهما (والله بصير بما تعملون) فى سركم وعلنكم فكيف يخفى عليه ما فى ضمائركم وقرأ ابن كثير بالياء لما فى الآية من الغيبة عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الحجرات اعطى من الاجر بعدد من اطاع الله وعصاه (سورة ق مكية وهى خمس واربعون آية) (بسم الله الرحمن الرحيم) (ق والقرآن المجيد) الكلام فيه كما مر فى ص والقرآن ذى الذكر

حرف القسم نسيا منسيا وايصال فعله المحذوف اليه كما في قولك الله لا فعلن اواضمار حرف القسم وعدم جعله كالنسى وفتح المقسم به في موضع الجر لعدم انصرافه كقولك الله لافعلن بالجر واما من حيث الاعراب فان كان قاف مذكورا على سبيل التحدى والتنبيه على الاعجاز كما ذكر ان حروف التهجى في اوائل السور تنبيهات قدمت امام المقروء ايقاظا للسامع حتى يقبل على استماع ما يرد عليه من الكلام الرائق والمعنى الفائق فحينئذ لا يكون له محل من الاعراب بل يكون موقوفا على السكون وان كان اسما للسورة ولم يجعل مقسما به فحينئذ يكون في محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اى هذه قاف اوفي محل النصب بتقدير اقرأ ونحوه وان جعل مقسما به فهو حينئذ اما مجرور على طريق الحذف والايصال اومفتوح في موضع الجر روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال قاف جبل من زمردة خضراء وروى من زبرجدة خضراء محيط بالعالم وعليه اطراف السماء ومنه خضرة السماء لانها مقبية عليه اى كالقبة عليه اقسم الله تعالى بذلك الجبل قال الامام وهذا ضعيف لانه لوكان كذلك لذكر حرف جواب القسم ليعلم كونه مستحقا لان يقسم به كقوله الله لافعلن كذا ويكون استحقاقه له مغنيا عن ذكر حرف القسم ولايحسن ان يقال زيدا فعلن كذا لانه لا يعلم كونه مقسما به الا بذكر حرف القسم ولانه لوكان كذلك لكان يكتب قاف مع الالف والفاء كما يكتب عين جارية ويكتب اليس الله بكاف عبده وقد كتب في جميع المصاحف حرفا واحدا ثم قال فان قيل انه منقول عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قلنا المنقول عنه ان قاف اسم جبل ولايلزم منه ان يكون المراد ههنا ذلك وقيل معنى ق قضى ماهو كائن كما قالوا في حم حم الامر اى قدر وقيل هو اسم فاعل من قفا يقفو ومعناه هذا قافى جميع الاشياء بالكشف وهذه السورة تقرأ في صلاة العيد لاشتمالها على قوله تعالى ذلك يوم الخروج وقوله كذلك الخروج وقوله حشر علينا يسير فان العيد يوم الزينة فينبغي ان لاينسى الانسان فيه خروجه لعرصات الحساب ولايكون في ذلك اليوم فرحا ولا يرتكب فسقا ولافجورا وقد كان الشيخ الناسك البارع ابن الوفاء نور الله مرقده يقرأ هذه السورة الكريمة في جميع خطبه واعلم ان هذه السورة وسورة ص يشتركان في افتتاح الكلام في اولهما بالحرف المعجم والقسم بالقرآن بعده وقوله بعد القسم بل والتعجب ويشتركان ايضا في ان اول السورتين وآخرهما متناسبان لانه تعالى قال في اول ص والقرآن ذي الذكر وقال في آخرها ان هو الا ذكر للعالمين وقال في اول ق والقرآن المجيد وقال في آخرها فذكر بالقرآن من يخاف وعيد فختمهما بما فتحنا به وايضا

صدرت العناية فى اول السورة من ص الى تقرير الاصل الاول وهو التوحيد بقوله تعالى أجعل الآلهة الها واحدا وصرفت العناية فى هذه السورة الى تقرير الاصل الآخر وهو الحشر والنبوة لقوله تعالى أئذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد وقوله بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم واختلف فى جواب القسم ماهو فقيل محذوف يدل عليه أئذا متنا والتقدير والقرآن المجيد لتبعثن حذف الجواب اعتمادا على قرينة مقالية متأخرة عن المقسم به وقيل التقدير ان محمدا رسول الله فحذف اعتمادا على دلالة قوله بعده بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم وقيل التقدير ماآمنوا به بل عجبوا دل عليه معنى قوله بل عجبوا وقيل التقدير والقرآن المجيد انه كلام معجز دل عليه التحدى بقوله ق والمضروب عنه ببل محذوف ايضا مثل ان يقال ما عجبوا مما هو عجب فى نفس الامر بل عجبوا مما ليس بعجب ونقل عن الراغب ان بل ههنا لتصحيح الاول وابطال الثانى اى ليس امتناعكم عن الايمان بالقرآن لانه لامجد له ولكن لجهلكم ونبه بقوله بل عجبوا على جهلهم لان التعجب من الشئ يقتضى الجهل بسببه ويستلزمه (قوله والمجيد ذو المجد) يعنى ان المجد الشرف وتوصيف القرآن بالمجيد اما على انه من باب النسب كتامر ولابن بمعنى ذى تمر ولبن والقرآن ذو شرف على سائر الكتب باعتبار مافيه من العلوم والاعجاز اومن قبيل وصف الكلام بوصف قائله او بوصف من علمه وعمل به وقيل المجد السعة فى الكرم والقرآن كثير الكرم لان من طلب منه مقصودا فيه وجده واستغنى ببيانه وارشاده (قوله انكار لتعجبهم مما ليس بعجب) يعنى ان بل للاضراب وهو الاعراض عن الكلام الاول والعدول الى ماهواهم فلما كان مابعد بل اهم كان منكرا بشهادة مقام التوبيخ فمعنى الانكار مستفاد من بل بمعونة المقام كانه قيل انظر الى انهم يتعجبون وانهم يتعجبون مما ليس بعجب وقوله ان جاءهم اى من ان جاءهم ووجه الانكار ان حق من كان منهم ان يكون ناصحا لهم مشفقا عليهم يحذرهم والمحذر منه غاية المخاوف ونهاية المحاذير وبقى الكلام فى ان المضروب عنه بكلمة بل ماهو والظاهر انه مضمون الجملة القسمية فانه تعالى لما اقسم بالقرآن المجيد على حقية البعث اوعلى انه عليه الصلاة والسلام رسول مبعوث للانذار وانه يجب الايمان بكل واحد منهما اضرب عن الحكم المقسم به عليه الى توبيخ الكفار بالبعث والتعجب مما ليس بعجب فقال بل عجبوا (قوله اومن ابناء جلدتهم) اى من القوم المختص بهم فانه ولدفيهم ونشأ بينهم وتربى بين اظهرهم وفى الصحاح الجلدة اخص من الجلد انتهى فيكون عبارة عن مزيد التعلق وكمال الاتصال (قوله اوعطف لتعجبهم من البعث) اى عطف على

والمجيد ذو المجد والمجد الشرف على سائر الكتب اولانه كلام المجيد اولان من علم معانيه وامتثل احكامه مجد (بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم) انكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهو ان ينذرهم احد من جنسهم اومن ابناء جلدتهم (فقال الكافرون هذا شئ عجيب) حكاية لتعجبهم وهذا اشارة الى اختيار الله محمدا للرسالة

قوله حكاية لتعجبهم وقوله تعالى فقال الكافرون على التقدير بن معطوف على قوله عجبوا الا انه على الاول من قبيل عطف تفصيل المجمل على المجمل كما في قوله تعالى ونادى نوح ربه فقال فلا يكون الفاء العاطفة للتعقيب الزمانى بل للدلالة على ان مابعدها كلام مرتب على ماقبلها فى الذكر لان تفصيل الشئ انما يصح بعد جرى ذكره و تكون كلمة هذا اشارة الى كونه عليه الصلاة والسلام متعينا للرسالة والاختيار لها وعلى الثانى يكون من قبيل عطف احد المتغايرين على الآخر فيكون هذا اشارة الى المبهم الذى يفسره قوله أئذا متنا فعلى هذا يجوز ان تكون الفاء للتعقيب الزمانى لجواز ان يكون تعجبهم من البعث عقيب تعجبهم من البعثة (قوله واضمار ذكرهم ثم اظهاره) جواب عما يقال كان الظاهر ان يقال بل عجب الكافرون فقالوا فلم عكس (قوله والمبالغة فيه) مبتدأ وقوله لانه ادخل خبره وضمير فيه للتعجب من البعث فرق بين التعجبين بكون الثانى ادخل فى الانكار واوفق به على ان ادخل لتفضيل المفعول مثل اشغل من ذات النحيين ثم بين كونه ادخل فيه بقوله اذ الاول وهو تعجبهم من البعثة فلما كان الثانى ادخل فى الانكار بولغ فيه بوضع الظاهر موضع ضميرهم وحكاية تعجبهم مجملا ومبهما وابهام التعجب واجماله مبنيان على ابهام المتعجب منه واجماله فان كانت الاشارة الى مالم يذكر صريحا ولادلالة وهو الرجع البعيد وهما اوعادة اوامكانا يكون المتعجب منه مبهما فيكون التعجب ايضا مبهما وان كانت الاشارة الى المجمل المذكور دلالة وهو البعث المعبر عنه بعنوان مجمل وهو المنذر به المدلول عليه بقوله منذر يكون التعجب ايضا مجملا (قوله ثم تفسيره او تفصيله) مجرور بالعطف على حكاية تعجبهم مبهما او مجملا على طريق اللف والنشر (قوله اى أنرجع) يريد ان ناصب الظرف محذوف لدلالة قوله ذلك رجع بعيد عليه اى أنرجع احياء أاذا متنا وصرنا ترابا والاستفهام للانكار والاستبعاد (قوله وقيل الرجع بمعنى المرجوع) وهو الجواب و يكون من كلام الله تعالى استبعادا لانكارهم ما انذروا به من البعث الجوهرى تقول ارسلت فاجاءنى رجع رسالتى اى مرجوعها ويقال ماكان من مرجوع فلان عليك اى من مردوده وجوابه و يقال هل جاء رجعة كتابك اى جوابه فعلى هذا يحسن الوقف على قوله وكنا ترابا و يكون قوله ذلك رجع بعيد من كلام الله لامن تتمة كلام الكفرة فلا يصلح دليلا و يكون ذلك اشارة الى قولهم أئذا متنا اى قولهم هذا فى جواب من انذرهم بالبعث والجزاء جواب بعيد عن الصواب فان قيل اذا كان الرجع بمعنى المرجوع وهو الجواب يكون من كلام الله تعالى لامن كلام القوم فالدال على

واضمار ذكرهم ثم اظهاره للاشعار بتعينهم لهذا المقال ثم التسجيل على كفرهم بذلك او عطف لتعجبهم من البعث على تعجبهم من البعثة والمبالغة فيه بوضع الظاهر موضع ضميرهم وحكاية تعجبهم مبهما ان كانت الاشارة الى مبهم يفسره مابعده او مجملا ان كانت الاشارة الى محذوف دل عليه منذر ثم تفسيره او تفصيله لانه ادخل فى الانكار اذ الاول استبعاد لان يفضل عليهم مثلهم والثانى استقصار لقدرة الله عما هو اهون مما يشاهدون من صنعه (أئذا متنا وكنا ترابا) اى أنرجع اذا متنا وصرنا ترابا و يدل على المحذوف قوله (ذلك رجع بعيد) اى بعيد عن الوهم والعادة والامكان وقيل الرجع بمعنى المرجوع (قد علمنا ما تنقص الارض منهم) ما تأكل من اجسادهم بعد موتهم وهو رد لاستبعادهم بازاحة ماهو أصل فيه و قيل انه جواب القسم

و اللام محذوف لطول الكلام (وعندنا كتاب حفيظ) حافظ لتفاصيل الاشياء كلها او محفوظ من التغير والمراد اما تمثيل علمه بتفاصيل الاشياء بعلم من عنده كتاب محفوظ يطالعه او تأكيد لعلمه بها بثبوتها في اللوح المحفوظ عنده (بل كذبوا بالحق) يعني النبوة الثابتة بالمعجزات او النبي او القرآن (لما جاءهم) وقرئ لما بالكسر (فهم في امر مريج) مضطرب من مرج الخاتم في اصبعه اذا جرج وذلك قولهم تارة انه شاعر وتارة انه ساحر وتارة انه كاهن (افلم ينظروا) حين كفروا بالبعث (الى السماء فوقهم) الى آثار قدرة الله تعالى في خلق العالم (كيف بنيناها) رفعناها بلا عمد (وزيناها) بالكواكب (وما لها من فروج) فتوق بان خلقناها ملساء متلاصقة الطباق (والارض مددناها) بسطناها (والقينا فيها رواسي) جبالا ثوابت (وانبتنا فيها من كل زوج) من كل صنف (بهيج) حسن (تبصرة وذكرى لكل عبد منيب) راجع الى ربه متفكر في بدائع صنعه وهما علتان للافعال المذكورة معنى وان انتصبتا عن الفعل الاخير (ونزلنا من السماء ماء مباركا) كثير المنافع

عامل الظرف الواقع في كلامهم وما العامل في الظرف حينئذ اجيب بان ناصب الظرف حينئذ ما دل عليه المنذر من المنذر به وهو البعث كأنه قيل انبعث اذا متنا بخلاف ما اذا كان مصدرا بمعنى البعث فانه حينئذ يصلح ان يكون دالا على عامل الظرف اذ كلاهما من كلام القوم ثم انه تعالى اخبر بعلمه ليستدل به على قدرته على ما يشاء من خلقه ابداء واعادة فقال قد علمنا ما تنقص الارض منهم فان استبعاد البعث انما نشأ من استبعاد احاطة العلم بتفاصيل اجزاء كل واحد من الموتى وتمييز اجزاء كل واحد منهم من اجزاء الآخرين فازال هذا المنشأ ببيان انه تعالى عالم بتفاصيل ذلك قادر على الجمع والتأليف فليس الرجوع منه ببعيد (قوله واللام محذوف لطول الكلام) كما في قوله تعالى والشمس وضحاها الى قوله قد افلح من زكاها فانه قد تقرر في النحو ان جواب القسم اذا كان جملة فعلية مثبتة فان كان فعلها ماضيا لزمها اللام مع قد نحو والله لقد قام او بدونها نحو والله لقام (قوله يعني النبوة الثابتة الخ) وهو اضراب بعد اضراب فالاول لانكار تعجبهم من امر البعثة والبعث والثاني لانكار تكذيبهم بالحق في اول وهلة من غير تفكر ولا تدبر فان تكذيب مثل هذا الامر العظيم ومن جاء به من غير تفكر في غاية القباحة ولما ظرف زمان منصوب بكذبوا وقرئ لما جاءهم بكسر اللام الجارة الداخلة على ما المصدرية وهي لام التوقيت اي وقت مجيئه اياهم كما في قولك كتبته لعشر مضين اي عندها (قوله اذا جرج) براء مهملة بين الجيمين من باب علم والجرج القلق وجرج الخاتم في اصبعي اي اضطرب من سعته والفاء في قوله تعالى فهم في امر مريج جزائية للدلالة على انهم لما عدلوا عن الحق كان كل ما يقولونه ويميلون اليه باطلا لا دليل عليه فلا يمكنهم الاقامة عليه قال قتادة معناه من ترك الحق مرج عليه امره والتبس عليه دينه ثم ان القوم لما استبعدوا امر البعث والرجع ذكر الله تعالى ما يدلهم على قدرته على البعث من عظيم خلقه فقال افلم ينظروا انكارا على تركهم النظر والاستدلال بما يدل على صحته دلالة ظاهرة واستبعادا لاستبعادهم اياه كأنه قيل اينكرون البعث فلا ينظرون الى آثار قدرته الباهرة ليحملهم ذلك على الاعتراف بصحته وقوله فوقهم حال من السماء وقيل الى السماء باعتبار تضمين النظر معنى الانتهاء ولم يقل في السماء للدلالة على انه مجرد انتهاء النظر اليها كاف في ازالة استبعادهم فان النظر في الشيء ينبئ عن التأمل واستقصاء النظر فيه بخلاف النظر اليه فانه لا ينبئ عنه وانما يدل على مجرد انتهاء النظر اليه (قوله وهما علتان للافعال المذكورة معنى) يعني ان قوله تعالى تبصرة وذكرى تنازع فيهما الافعال المذكورة من بناء السماء وما يتفرع على بنائها ومد الارض

(فانبتنا به جنات) اشجارا وثمارا (وحب الحصيد) وحب الزرع الذى من شانه ان يحصد كالبر والشعير (والنخل باسقات) طوالا او حوامل من ابسقت الشاة اذا حملت فيكون من افعل فهو فاعل وافرادها بالذكر لفرط ارتفاعها وكثرة منافعها وقرئ باصقات لاجل القاف (لها طلع نضيد) منضود بعضه فوق بعض والمراد تراكم الطلع او كثرة مافيه من الثمر (رزقا للعباد) علة لانبتنا او مصدر فان الانبات رزق (واحيينا به) بذلك الماء (بلدة ميتا) ارضا جدبة لانماء فيها (كذلك الخروج) كما حييت هذه البلدة يكون خروجكم احياء بعد موتكم (كذبت قبلهم قوم نوح واصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون) اراد بفرعون اياه وقومه ليلائم ماقبله ومابعده (واخوان لوط) سماهم اخوانه لانهم كانوا اصهاره (واصحاب الايكة وقوم تبع) سبق فى الحجر والدخان (كل كذب الرسل) اى كل واحد اوقوم منهم او جميعهم وافراد الضمير لافراد لفظه (فحق وعيد) فوجب وحل عليه وعيدى وفيه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم (افعيينا بالخلق الاول) (فى قوله

وما يتفرع على مدها لكنهما انتصبتا من الفعل الاخير على رأى البصريين فى باب التنازع كانه قيل انبتنا فيها ليتبصر ويتذكر كل عبد منيب راجع الى ربه متفكر فى آثار قدرته الباهرة فيستدل به على ان البعث اهون شئ عليه وهما من حيث المعنى علتان لجميع ماتقدم اى فعلنا ذلك كله تبصيرا منا وتذكيرا لهم والفرق بين التبصرة والتذكرة هو ان فى اولى آيات مستمرة منصوبة فى مقابلة البصائر وفى الثانية آيات متجددة مذكرة عند الثانى (قوله وحب الزرع) اشارة الى انه من باب حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه بناء على ان الحب لايحصد وانما يحصد النبت الذى فيه الحب (قوله تعالى والنخل) منصوب بالعطف على مفعول انبتنا وباسقات حال مقدرة من النخل لانها وقت الانبات لم تكن طوالا والبسوق الطول يقال بسق فلان على اصحابه اى طال عليهم فى الفضل ويحتمل ان يكون باسقات بمعنى حوامل من ابسقت الشاة اذا حملت الجوهرى ابسقت الشاة اذا حملت وابسقت الناقة اذا وقع فى ضرعها اللبأ قبل اللبن فهى مبسق ونوق مباسيق (قوله فيكون من افعل فهو فاعل) كانه اشارة الى مرجوحية الاحتمال الثانى لان الظاهر ح ان يقال مبسقات (قوله وقرئ باصقات لاجل القاف) وهى لغة بنى اسلم يبدلون السين صادا قبل القاف والغين والخاء والطاء اذا وليتها او فصل بينهما بحرف اوحرفين (قوله تعالى لها طلع نضيد) يجوز ان تكون الجملة حالا من النخل وان تكون حالا من الضمير المنوى فى باسقات ونضيد اى منضود بعضه فوق بعض يقال نضدت متاعه اذا وضع بعضه على بعض والمراد به اما كثرة الطلع وتراكمه اوكثرة مافيه من الثمر (قوله علة لانبتنا) اى انبتناها لرزقهم اومصدر لانبتنا لان فيه معنى رزقنا قال تعالى تبصرة وذكرى لكل عبد منيب فقيد العبد بكونه منيبا وجعل خلقها تبصرة لعباده المخلصين لان الاستبصار بخلقها يختص بهم وقال رزقا للعباد مطلقا لان الخلائق كلهم مرزوقون بما يترتب على انزال الماء المبارك ولايختص الرزق بعبد دون عبد غير ان المنيب يأكل ذاكرا شاكرا للنعماء وغير المنيب يأكل كما تأكل الانعام (قوله تعالى واحيينا به) عطف على قوله فانبتنا حمل منكرى البعث ومستبعديه بقولهم ذلك رجع بعيد على النظر الى آثار قدرة الله تعالى فى هذا العالم وساق الكلام الى ان قال واحيينا به بلدة ميتا ورتب عليه قوله كذلك الخروج ح والكاف فى كذلك فى محل الرفع على الابتداء والخروج خبره او بالعكس (قوله لانهم كانوا اصهاره) من حيث ان لوطا تزوج منهم والاصهار اهل بيت المرأة وقيل ان لوطا عليه الصلاة والسلام كان مرسلا الى طائفة من قوم ابراهيم عليه الصلاة والسلام وهم معارف لوط والنوين

في قوله تعالى كل عوض عن المضاف وهو اما اسم ظاهر مثل واحد اوقوم او ضمير المذكورين اولا اي جميعهم كذب الرسل فان كان تقدير اللام كل واحد منهم اوكل قوم كذبوا الرسل فالظاهر ان اللام في الرسل لتعريف الجنس اي كل واحد منهم كذب جميع الرسل بناء على ان من كذب رسولا لكونه منكرا للرسالة والحشر رأسا يكون مكذبا بجميع الرسل وان كان تقدير الكلام كلهم كذبوا الرسل يجوز ان تكون اللام في الرسل لتعريف العهد والمعنى كل واحد منهم كذب رسوله وجميعهم كذبوا الرسل وان يكون لتعريف الجنس والمعنى كل واحد منهم كذب جميع الرسل قيل ان الرس بئر عند اليمامة كان عليها قوم كذبوا رسولهم حنظلة بن صفوان فاهلكهم الله تعالى وقيل ان الرس بئر التي فيها حبيب النجار صاحب يس لما جاء من اقصى المدينة يسعى ونصح قومه فكذبوه وقتلوه فاهلكهم الله تعالى بصيحة واحدة وعود كذبت صالحا وعاد هود اواصحاب الايكة وهي الغيضة كذبوا شعيبا وقوم تبع قيل انهم قوم من حير من اهل اليمن وتبع لقب ملكهم وكانوا يعبدون النار وكان تبع اعجبه غلمان من فدك وكان يقربهم اليه ويكرمهم فاراد الغلمان ارشاده الى التوحيد وانقياد الى حكم كتابهم وكانوا من اهل التوراة من قوم موسى عليه الصلاة والسلام فاحتالوا لذلك حتى وصلوا الى مقصودهم فدعوه الى دينهم وكتابهم فقبله وتابعه ثم دعوا من على حاشيته وخاصته فقبلوه وفشاق الناس ذلك وقالوا ان الملك ترك دينه فاجتمعوا اليه وقالوا انا لا نرضى بكون ملكنا على خلاف ديننا فانزل عن سريرك واترك الملك وان لم تفعل ذلك فادفع الينا هؤلاء الغلمان وكانت لهم نار في اسفل الجبل تحاكون اليها فتحرق الظالم فتحاكموا اليها فجاء الفدكيون بالتوراة وجاء الحميريون باصنامهم نارفخرجت نار فاحرقت الحميريين ولم تحرق احدا من اصحاب التوراة ولما بين الله تعالى ان الرسل المتقدمين كذبوا وصبروا فاهلك الله تعالى مكذبيهم ونصرهم عليهم كان ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديدا لمكذبيه ثم انه تعالى لما ارشدهم الى الاستدلال بما شاهدوا من عجائب ابداء صنيعه على قدرته على البعث والاعادة اكد وجه الاستدلال بقوله افعيينا بالخلق الاول بالهمزة الانكارية الداخلة على الفاء العاطفة لتفيد نفي العجز عن الخلق الاول بسبب اعترافهم المستلزم للقدرة على الاعادة كانه قيل بعد ماشاهدوا ماذكرنا من الخلق الاول وعلموا انا ماعجزنا عنه ولما لم نعجز عنه كما علموا كيف نعجز من الخلق الثاني ثم اضرب عن انكار عجزه عن الخلق الاول بناء على اعترافهم بذلك كما تقرر بذكر دلائل الآفاق على منكري البعث بقوله افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها الى قوله كذلك الخروج شرع في تقرير دلائل الانفس فقال افعيينا بالخلق الاول

افعجزنا عن الابداء حتى نعجز عن الاعادة من عيى بالامر اذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة فيه للانكار (بل هم في لبس من خلق جديد) اي هم لاينكرون قدرتنا على الخلق الاول بل هم في خلط وشبهة في خلق مستأنف لما فيه من مخالفة العادة وتنكير الخلق الجديد لتعظيم شانه والاشعار بانه على وجه غير متعارف ولا معتاد

كأنه قال لاحاجة الى ذلك اذ في انفسهم دليل على جواز ذلك ودخوله تحت قدرتنا ولما كان معنى الاستفهام النفي والانكار كان المعنى ما عجزنا عن الابداء حتى نعجز عن الاعادة فنحن قادرون عليها ايضا ثم اضرب عن اقامة الدليل وحملهم على النظر والاستدلال الى بيان انهم ساقطون عن درجة الاستدلال ومتوغلون في الاصرار على انكار الاعادة وتلك الحالة ليست من حيث انهم ينكرون الخلق الاول اذ هو بعيد عن العقل فان من لا ينكر الخلق الاول يلزمه الاعتراف بالثاني بطريق الاولى فاذا انكر الثاني مع الاعتراف بالاول كان ذلك من اللبس والحيرة وعدم التدبر فلهذا قال بل هم في لبس من خلق جديد من حيث ان الشيطان لبس عليهم واوقعهم في حيرة واشتباه بان وسوس اليهم ان احياء الاجساد البالية والعظام النخرة خارج عن الوهم والعادة والامكان فان من انكر الاعادة مع اعترافه بالابتداء لايكون انكاره لها الا لاجل اللبس والحيرة وعدم الاهتداء الى النظر والعبرة وعرف الخلق الاول لانه يعرف به كل احد ونكر الثاني لتعظيم شأنه وللاشعار بانه من الامور العظام اي مما لا سبيل الى تعريفه والتعبير عنه بما يشير اليه بخصوصه وتنكير لبس ايضا للتعظيم كأنه قيل في لبس اي لبس (قوله تعالى ونعلم) في محل النصب على انه حال من فاعل خلقنا على تقدير ونحن نعلم ولا يجوز ان يكون نعلم بنفسه اي من غير تقدير المبتدأ حالا لانه مضارع مثبت وهو لايقع موقع الحال الا بالضمير وحده نحو جاءني زيد يركب لابالواو وكذلك قوله ونحن اقرب اليه حال من فاعل نعلم فالآية بيان لكمال علمه (قوله ماتحدثه به نفسه) اي بطريق الوسوسة والالقاء الخفي مبني على ان تجعل ماموصولة وضمير تحدثه للانسان وضمير به لما الموصولة التي هي عبارة عما يخطر بالبال ولما عدي تحدثه الى ضمير الانسان بنفسه عدي الى ضمير المحدث به بباء التعدية وان جاز ان يعدى اليه بنفسه كما في نطق به اي نطق اياه فحينئذ مايعدي اليه بالباء تكون صلة كما في صوت بكذا ونطق به ويجوز ان يجعل الانسان مع نفسه اي قلبه شخصين يجري بينهما مكالمة ومحادثة تارة يكلمها هو كما يقال حدث نفسه بكذا واخرى تحدثه هي كما يقال حدثته به نفسه فلو جعلت كلمة ما في الآية موصولة لكان ضمير به عبارة عن الصوت الخفي الذي تصوته نفس الانسان وقد تقرر ان فعل الوسوسة يعدى بنفسه فتكون الباء صلة وان جعلت كلمة ما مصدرية يكون الضمير للانسان وتكون الباء لتعدية وسوسة النفس اليه لان الانسان ليس نفس الصوت الموسوس بل هو الموسوس اليه فان فعل الوسوسة يتعدى الى الصوت الملقى بنفسه والى من يلقى اليه الحديث بواسطة الى والباء (قوله تجوز بقرب الذات لقرب العلم) لما تعذر ان يحمل قرب الذات ومعيته على اصل معناهما لاستحالتهما في حقه تعالى تعين الذهاب الى

﴿ ولقد خلقنا الانسان ونعلم ماتوسوس به نفسه ماتحدثه به نفسه وهو مايخطر بالبال والوسوسة الصوت الخفي ومنها وسواس الحلي والضمير لما ان جعلت موصولة والباء مثلها في صوت بكذا او للانسان ان جعلت مصدرية والباء للتعدية ونحن اقرب اليه من حبل الوريد اي ونحن اعلم بحاله ممن كان اقرب اليه من حبل الوريد تجوز بقرب الذات لقرب العلم لانه موجبه وحبل الوريد مثل في القرب قال والموت ادنى لي من الوريد

والحبل العرق واضافته للبيان والوريدان عرقان مكتنفان لصفحتي العنق في مقدمه متصلان بالوتين يردان من الرأس اليه وقيل سمى وريدا لان الروح يرده (اذ يتلق المتلقيان) مقدر باذكر او متعلق بأقرب اى هو اعلم بحاله من كل قريب حين يتلق اى يتلقن الحفيظان ما يتلفظه وفيه ايذان بانه غنى عن استحفاظ الملكين فانه اعلم منهما ومطلع على ما يخفى عليهما لكنه لحكمة اقتضته وهى ما فيه من تشديد تثبط العبد عن المعصية وتأكيد فى اعتبار الاعمال وضبطها للجزاء والزام الحجة يوم يقوم الاشهاد (عن اليمين وعن الشمال قعيد) اى عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد اى مقاعد كجليس فحذف الاول لدلالة الثانى عليه كقوله ❊ وانى وقيار بها لغريب وقيل يطلق الفعيل للواحد والمتعدد كقوله تعالى والملائكة بعد ذلك ظهير (ما يلفظ من قول) ما يرمى به من فيه (الا لديه رقيب) ملك يرقب عمله (عتيد) معد حاضر ولعله يكتب عليه ما فيه ثواب او عقاب وفى الحديث كاتب الحسنات امير على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر (وجاءت سكرة الموت بالحق) لما ذكر استبعادهم البعث للجزاء وازاح ذلك بتحقيق قدرته وعلمه اعلمهم بانهم يلاقون ذلك عن قريب عند الموت وقيام الساعة ونبه على اقترابه بان عبر عنه بلفظ الماضى وسكرة

المجاز فان قرب الذات ومعيته لما كانا سببين موجبين للعلم مستلزمين له صح ان يطلقا و يراد بهما العلم المسبب اللازم لهما فكان المعنى نحن اعلم بحاله ممن كان اقرب اليه من هذا العرق (قوله والحبل العرق) يعنى انه مستعار للعرق فان الحبل هو الرسن شبه العرق به فاطلق عليه اسم الحبل المشبه به والحبل بمعنى العرق لما كان اسم جنس يتناول العروق كلها اضيف الى الوريد الذى هو نوع من انواعه اضافة بيانية على طريق اضافة العام الى الخاص للبيان كما فى خاتم فضة ويحتمل ان يكون حبل الوريد من قبيل لجين الماء فى كونه من قبيل اضافة المشبه به الى المشبه اى وريد كالحبل والوريد ان عرقان مكتنفان لصفحتى العنق فى مقدمه متصلان بالوتين يردان من الرأس اليه والوتين عرق فى القلب اذا انقطع مات صاحبه (قوله اى يتلقن) بمعنى يأخذ يقال لقنت الكلام بالكسر اى فهمته وتلقنته اى اخذته والتلقين كالتفهيم (قوله وفيه ايذان الخ) وجه الايذان انه تعالى لما كان اقرب اليه من حبل الوريد المخالط لاجزائه الداخل فى اعضائه لزم ان يكون اعلم بحاله بالنسبة الى الملك المتنحى عنه القعيد عن يمينه وشماله ومن كان علمه بهذه المثابة كيف لا يستغنى عن استحفاظ الملكين (قوله ما فيه من تشديد تثبط العبد عن المعصية) اى تقوية اشتغاله عنها يقال ثبطه عن الامر تثبيطا اى شغله عنه (قوله اى عن اليمين قعيد) يعنى ان قوله قعيد مبتدأ وعن الشمال خبره وحذف المبتدأ من الاول لدلالة الثانى عليه كما حذف خبران فى الجملة المعطوف عليها لدلالة ما ذكر فى الجملة المعطوفة فى قوله

ومن يك امسى بالمدينة رحله ❊ فانى وقيار بها لغريب

اى فانى بها لغريب وقيار كذلك ومنه قوله

رمانى بامر كنت منه ووالدى ❊ بريئا ومن اجل الطوى رمانى

اى كنت منه بريئا وكان والدى منه بريئا وقيل لا حذف فى الكلام لان فعيلا يصلح للواحد والاثنين والجماعة كقوله تعالى والملائكة بعد ذلك ظهير قال مجاهد عن اليمين كاتب الحسنات وعن الشمال كاتب السيئات (قوله ولعله يكتب) اختلف فيما يكتبان قيل يكتبان كل شئ حتى انينه فى مرضه وقيل لا يكتبان الا ما يؤجر عليه او يأثم به وروى عنه عليه الصلاة والسلام ان صاحب الشمال يرفع القلم ست ساعات عن العبد المسلم المخطئ فان ندم واستغفر الله منها القاها والا كتب واحدة وعنه عليه الصلاة والسلام انه قال صاحب اليمين أمير على صاحب الشمال فاذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين بعشر امثالها واذا عمل سيئة فاراد

الموت شدته الذاهبة بالعقل والباء للتعدية كما في قولك جاء زيد بعمرو والمعنى واحضرت سكرة الموت حقيقة الامر او الموعود الحق او الحق الذي ينبغي ان يكون من الموت او الجزاء فان الانسان خلق له اومثل الباء في تنبت بالدهن وقرئ سكرة الحق بالموت على انها لشدتها اقتضت الزهوق اولاستعقابها له كانها جاءت به او على ان الباء بمعنى مع وقيل سكرة الحق سكرة الله واضافتها اليه للتهويل وقرئ سكرات الموت (ذلك) اى الموت (ما كنت منه تحيد) تميل وتفر عنه والخطاب للانسان (ونفخ في الصور) يعني نفخة البعث (ذلك يوم الوعيد) اى وقت ذلك يوم تحقق الوعيد وانجازه والاشارة الى مصدر نفخ (وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد) ملكان احدهما يسوقه والآخر يشهد بعمله

صاحب الشمال ان يكتبها قال له صاحب اليمين امسك فيمسك عليه سبع ساعات فان استغفر الله منها لم يكتب عليه شيئا وان لم يستغفر كتب عليه سيئة واحدة وعن ثابت البناني عن انس رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله تعالى وكل بعبده ملكين يكتبان عليه فاذا مات قالا يارب قد قبضت عبدك فلانا قال تعالى سمائي مملوءة من ملائكتي يعبدونني وارضي مملوءة من خلقي يطيعونني اذهبا الى قبر عبدي فسبحاني وكبراني واكتبا ذلك في حسنات عبدي الى يوم القيامة (قوله الذاهبة بالعقل) اشارة الى وجه استعارة السكرة لشدة الموت وهو مشابهتها لسكرة الشراب في كونها سببا لذهاب العقل والمراد بالحق الذي احضرته سكرة الموت اما حقيقة الامر الذي نطق به كتاب الله تعالى واخبر به رسله انه كائن وهو سعادة الميت اوشقاوته او الموعود الحق من البعث وما يترتب عليه فالحق على هذا ما قابل الباطل وعلى الاول مصدر بمعنى التحقق او الحق الذي ينبغي ان يكون من الموت والجزاء فان كلا منهما حق ثابت وهذه الوجوه على تقرير ان تكون الباء في بالحق للتعدية وان كانت للملابسة يكون الحق ايضا اما بمعنى حقيقة الامر وجلية الحال او بمعنى الحكمة والغرض الصحيح اى جاءت ملابسة باحدهما على انه صفة مشبهة ثابتة وعبر عما خلق له الانسان من الموت والجزاء بالحق لكونه مما ينبغي له (قوله اومثل الباء في تنبت بالدهن) فانها للمصاحبة اى تنبت ومعها الدهن او ملتبسة بالدهن فالحق على هذا يجوز ان يكون بمعنى حقيقة الامر او بمعنى الموعود الحق او بمعنى ما ينبغي ان يكون اى جاءت ملتبسة بالحق باحد هذه المعاني (قوله وقرئ سكرة الحق بالموت) باضافة السكرة الى الحق للبيان لانها كائنة لا محالة كتبها الله تعالى على الانسان واوجبها له والباء في هذه القراءة للتعدية لانها لشدتها سبب زهوق الروح وبطلان القوى والبنية فتكون كانها جاءت به اولان الموت يعقبها فشبهت بالجائي به ويجوز ان تكون بمعنى جاءت ومعها الموت اى جاءت ملتبسة به (قوله والخطاب للانسان) اى المذكور في قوله ولقد خلقنا الانسان فيكون التفاتا من الغيبة الى الخطاب ويجوز ان يكون الكلام محكيا بالقول المضمر اى يقال له ذلك الموت ما كنت منه تحيد (قوله اى وقت ذلك النفخ) قدر الوقت المضاف لان ذلك اشارة الى مصدر نفخ وقد اخبر عن النفخ بانه يوم الوعيد فلو لم يقدر الوقت كان المعنى ذلك النفخ يوم الوعيد والنفخ ليس بزمان فلا يحكم عليه بالزمان فلذلك قدر المضاف (قوله ملكان احدهما يسوقه) اى يسوقه الى الموقف ومنه الى مقعده من الجنة او النار والشهيد هو الكاتب الذي يشهد عليها بما عملت والسائق لازم

او قرينه والشهيد جوارحه او اعماله ويحمل معها النصب على الحال من كل لاضافته الى ماهو في حكم المعرفة (لقد كنت في غفلة من هذا) على اضمار القول والخطاب لكل نفس اذ مامن احد الاوله اشتغال ما عن الآخرة او للكافر (فكشفنا عنك غطاءك) الغطاء الحاجب لامور المعاد وهو الغفلة والانهماك في المحسوسات والالف بها وقصور النظر عليها (فبصرك اليوم حديد) نافذ لزوال المانع للابصار وقيل الخطاب للنبي عليه الصلاة والسلام والمعنى كنت في غفلة من امر الديانة فكشفنا عنك غطاء الغفلة بالوحي وتعليم القرآن فبصرك اليوم حديد ترى مالا يرون وتعلم ما لا يعلمون ويؤيد الاول قراءة من كسر التاء والكافات على خطاب النفس (وقال قرينه) قال الملك الموكل عليه (هذا مالدى عتيد) هذا ماهو مكتوب عندى حاضر لدى او الشيطان الذى قيض له هذا ماعندى

للبر والفاجر اما البر فسياقه الى الجنة واما الفاجر فسياقه الى النار (قوله اوملك جامع للوصفين) فيكون العطف من قبيل عطف الصفة على الصفة وعلى الاول من عطف الذات على الذات (قوله وقيل السائق نفسه) تشبيها لها بالسائق له من حيث جده في المجيء اى جاءت مجدة ساعية فكانه قيل انها تسوق نفسها وسمى قرينه من الشيطان سائقا لانه يتبعه الى المحشر كالسائق الذى سائق الذى يتبع من يسوقه (قوله لاضافته الى ماهو في حكم المعرفة) فان الحال من النكرة المحضة يجب تقدمها على ذى الحال وبين صاحب الكشف كون نفس في حكم المعرفة بقوله لان كل نفس في معنى كل النفوس انتهى كلامه فلو قيل جاءت النفوس كلها لتأخرت الحال عنها لكون ذى الحال معرفة فجاز تأخرها وكذلك اذا كان ذو الحال في حكم المعرفة ويجوز ان يقال كل نفس تخصص بالعموم تخصص الاحد في مثل ما احد خير منك لانه بالعموم يكون المعنى كل فرد فرد اى كل واحد غير مبين الذى هو مدلول النكرة وهو الوجه في تخصيص النكرة بالعموم ويحتمل ان يكون جملة معها سائق وشهيد في محل الجر على انها صفة للنفس او في محل الرفع على انها صفة لكل (قوله على اضمار القول) اى يقال له لقد كنت في غفلة والقول المقدر اما صفة لكل نفس او حال والمعنى لقد كنت في غفلة من هذا اليوم ومما فيه وانت في الدنيا فكشفنا عنك غطاءك الذى كان في الدنيا على قلبك وسمعك وبصرك فبصرك اليوم حديد نافذ تبصر به ما كنت تنكره في الدنيا (قوله والكافات) بكسر التاء منصوب بالعطف على التاء الخطاب للمذكر (قوله قال الملك الموكل عليه) جواب لما عسى ان يقال الظاهر ان الخطابات السابقة لكل نفس من النفوس المؤمنة والكافرة وقد تقرر ان النفوس المؤمنة لها قرينان احدهما يكتب حسناتها والآخر يكتب سيئاتها فلم افرد القرين في قوله وقال قرينه وتقرير الجواب ان افراد القرين بناء على ان المراد به الجنس ولو جعل الخطابات السابقة للكافر لكان وجه افراد القرين ظاهرا لان قرين الكافر كاتب سيئاته وليس له كاتب حسناته فالقرين سواء اريد به الجنس او كاتب السيئات يكون قوله هذا اشارة الى ديوان عمله ويكون المعنى هذا ماهو مكتوب عندى حاضر لدى ولفظ هذا في هذا التركيب مبتدأ وما اما موصولة بمعنى الذى وقوله هو مكتوب عندى صلتها والموصول مع صلته خبر هذا وقوله حاضر لدى خبر بعد خبر او موصوفة بمعنى شيء وقوله هو مكتوب عندى صفتها والموصوف مع صفته خبر المبتدأ وحاضر لدى خبر آخر وان كان المراد بقرينه الشيطان المقيض له لاغوائه كما يدل عليه قوله فيما بعد قال قرينه ربنا ما اطغيته يكون هذا اشارة الى العاصى ويكون عتيد بمعنى مهيء لجهنم ويكون المعنى ان

وفى ملكتى عتيد لجهنم هيأته لها باغوائى واضلالى وما ان جعلت موصوفة فعتيد صفتها وان جعلت موصولة فبدل لها

او خبر بعد خبر او خبر محذوف (ألقيا في جهنم كل كفار) خطاب من الله للسائق والشهيد او الملكين من خزنة النار اولواحد وتثنية الفاعل منزلة منزلة تثنية الفعل وتكريره كقوله * فان تزجراني يابن عفان انزجر * وان تدعاني احم عرضا ممنعا * او الالف بدل من نون التأكيد على اجراء الوصل مجرى الوقف ويؤيده

انه قرئ القين بالنون الخفيفة (عنيد) معاند للحق (مناع للخير) كثير المنع للمال عن حقوقه المفروضة وقيل المراد بالخير الاسلام فان الآية نزلت في الوليد بن المغيرة لما منع بني اخيه عنه (معتد) متعد (مريب) شاك في الله وفي دينه (الذى جعل مع الله الها آخر) مبتدأ متضمن معنى الشرط وخبره (فألقياه في العذاب الشديد) او بدل من كل كفار فيكون فألقياه تكريرا للتأكيدا ومفعول لمضمر يفسره فالقياه (قال قرينه) اى الشيطان المقيض له وانما استؤنفت كما تستأنف الجمل الواقعة في حكاية التقاول فانه جواب لمحذوف دل عليه (ربنا ما اطغيته) كأن الكافر قال هو اطغاني فقال ربنا ما اطغيته بخلاف الاولى فانها واجبة العطف على ما قبلها للدلالة على الجمع بين

الشيطان يقول هذا العاصى الذى هو عندى اوثى هو عندى عتيد لجهنم مهيئ لها اعتدته لها بالاغواء والاضلال (قوله اولواحد) وهو مالك خازن النار ولما كان تثنية ضمير القيا مناقيا لكون الخطاب لواحد ذكر للتثنية وجهين احدهما الدلالة على ان تكرير الفعل للتأكيد كانه قيل الق الق ولما لم يكن سبيل الى تثنية الفعل نزلت تثنية الفاعل منزلة تثنية الفعل وتكريره والوجه في كون تثنية الفاعل دليلا على تكرير الفعل انه لما ثنى الفاعل مع كونه واحدا في نفس الامر علم ان اصله الق الق ثم حذف الفعل الثانى وأتى بفاعله وفاعل الفعل الاول على صورة ضمير الاثنين متصلا بالفعل الاول كما في قوله

فان تزجراني يا ابن عفان انزجر * وان تدعاني احم عرضا ممنعا

وثانيهما ان الف القياليس ضمير التثنية بل هى الف مبدلة من النون الخفيفة اصله القين فابدلت الالف من النون في حال الوقف ثم اجرى الوصل مجرى الوقف فقيل القيا في حالتى الوصل والوقف (قوله كثير المنع للمال) ان كان الكفار من الكفر المقابل للايمان يكون وجه بناء المبالغة فيه كما ستردلائل وحدانية الله تعالى ودلائل حقية مدعى الرسالة ستر ايضا سائر دلائل ما يجب الايمان به مع ظهورها وقوتها ووجه المبالغة في قوله مناع للخير انه مع كونه كفارا عنيدا لايقنع بهما بل يتخطى الى ان يمنع ماله عن كل مستحق يطلب شيئا من ماله حبا للمال وبخلا به على من يستحقه ومع كونه متعديا انه كما لم يؤد الحق المالى الى مستحقه يتعدى الى ان يأخذ المال الحرام بطريق الربا ونحوه فان الكفار مخاطبون بفروع الشريعة من حيث انهم يعذبون بتركها وان لم يكونوا مطالبين بها حال الكفر لعدم اهليتهم لثوابها ويحتمل ان يكون المراد بالخير الاسلام ويكون المعنى انه لايقنع بكفران النعمة بل يكون مناعا لغيره عن الايمان (قوله وانما استؤنفت كما تستأنف الجمل) جواب عما يقال لم قيل ههنا قال قرينه بدون الواو وقيل فيما سبق وقال قرينه بالواو وتقرير الجواب ان الجملة الاولى واردة بما يلاقونه عن قريب من نفخة البعث وما يترتب عليها من الاحوال الواقعة بعد البعث الى ان يلقى كل كفار عنيد في جهنم ومنها قول القرين هذا مالدى عتيد فحقه ان يعطف على الجمل المذكورة قبله بخلاف الجملة الثانية فانها جملة مستأنفة فحقها ان تكون خالية عن العاطف كما في الجمل الواقعة في حكاية

مفهوميهما في الحصول اعنى مفهوم مجيئ كل نفس مع الملكين وقوله قرينه (ولكن كان في ضلال بعيد) فأعنته عليه فان اغواء الشيطان انما يؤثر فيمن كان مختل الرأى مائلا الى الفجور كما قال وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى (قال) اى الله تعالى (لا تختصموا لدى) اى في موقف الحساب فانه لافائدة فيه

التقاول كما وقع في قصة ابراهيم عليه الصلاة والسلام اذ قال لابيه وقومه ماهذه التماثيل التي انتم لها عاكفون قالوا وجدنا اباءنا لها عابدين قال لقد كنتم انتم وآباؤكم الآيات فان قيل فاين التقاول ههنا قلنا لما قال قرينه هذا مالدى عتيد وتبعه قوله قال قرينة ربنا ما اطغيته وتلاه قوله تعالى لاتختصموا لدى علم ان ثمة مقاولة بين الكافر وقرينه لكن طرح قول الكافر في الذكر لدلالة قوله ربنا ما اطغيته عليه وقال الكافر اعتذارا عن كفره وعصيانه يارب ماعصيتك باختيارى بل لان الشيطان الذى قيضته لى اطغانى وحملنى على معصيتك فقال قرينه ربنا ما اطغيته فمقالة الكافر وان لم يصرح بها اعتمادا على ذكر مايدل عليها وهو قول قرينه ربنا ما اطغيته الا انها لما كانت مقدرة ملحوظة في النظم كانت موردا لان يسأل ويقال فما ذا يقول قرينه حين ما قال الكافر ذلك في حقه فاجيب عنه بان قيل قال قرينه فانه اذا حكى قول احد الخصمين اتجه ان يقال فاذا قال خصمه فيستأنف بان يقال قال خصمه كذا وهذه الآية تؤيد كون المراد بالقرين في الآية المتقدمة هو الشيطان لا الملك الموكل عليه فان قيل لما قال القرين اولا في حق الكافر هذا عندى وفي ملكى عتيد لجهنم هيأته لها باغوائى اياه كيف يصح منه ان يقول ربنا ما اطغيته اى ماجعلته طاغيا مجاوزا حده في العصيان قلنا اشار المصنف الى جوابه بقوله اولا باغوائى له واخرا بقوله فأعنته عليه لكونه في نفسه مائلا الى الفجور والحاصل ان الاغواء بمعنى تزيين المعصية غير الاطغاء قال صاحب الكشف وهذه الآية لاتنافى قوله هذا مالدى عتيد على معنى اعتدته لجهنم وهيأته لها باغوائى واضلالى على ماتوهم لان الاول نظير قول الشيطان ولاضلنهم ولاغوينهم اجمعين وقوله ربنا ما اطغيته نظير قوله وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى فلاتلومونى انتهى كلامه وقيل في رفع المنافاة صدر القولان من القرين في حالين قال اولا حين مانسوقه انا فعلت ذلك اظهار اللانتقام من بنى آدم لكونه سبب لعنة الشيطان ثم اذا رأى العذاب وقال الكافر انه الذى اطغانى رجع عن قوله الاول وقال ما اطغيته (قوله وهو استئناف مثل الاول) كان قائلا قال فما ذا قال الله تعالى للقرين وخصمه حين تقاولا فاجيب بانه قيل لاتختصموا لدى وقوله لدى يدل بمفهومه على ان الاختصام المنهى عنه هو الاختصام في الموقف واما الاختصام في الدنيا فغير منهى عنه بل هو واجب (قوله عالمين بانى اوعدتكم) توجيه لكون جملة وقد قدمت اليكم حالا من فاعل لاتختصموا مع عدم مقارنة مضمونها لمضمون عاملها لان التقديم كان في الدنيا والخصومة في الآخرة وقد تقرر ان اجتماع مضمون الحال مع مضمون العامل شرط والمعنى

وهو استئناف مثل الاول (وقد قدمت اليكم بالوعيد) على الطغيان في كتبي وعلى السنة رسلى فلم تبق لكم حجة وهو حال فيه تعليل للنهي اى لاتختصموا عالمين بانى اوعدتكم والباء مزيدة او معدية على ان قدم بمعنى تقدم

لاتختصموا وقد صح عندكم الآن انى قدمت اليكم بالوعيد وزمان الصحة متحد مع زمان النهى (قوله ويجوز ان يكون بالوعيد حالا) اى ويجوز ان لاتكون الباء زائدة ولامعدية بان تكون للملابسة ويكون المعنى بان قدمت اليكم متلبسا بالوعيد مايبدل القول لدى والمراد بالقول هو الوعيد بتخليد الكافر فى النار وبمجازاة العصاة على حسب استحقاقهم جزاء وفاقا وقوله تعالى لدى متعلق بالقول اى لاقول لى بوقوع الخلف فيه وكلمة ما فى قوله تعالى مايبدل القول لدى نافية يعنى لايقع الخلف فى القول لدى الآن بل ينجز ويحقق مضمونه فاذا اريد نفى الفعل يقال زيد مايفعل شيأ ولو اريد نفيه فى المستقبل يقال لايفعل ولن يفعل (قوله وعفو بعض المذنبين) جواب عما يقال ماوجه التوفيق بين قوله تعالى مايبدل القول لدى وبين آيات العفو والغفران فان الاول يدل على انه لايقع الخلف فى مضمون الآيات الواردة فى حق وعيد العصاة والعفو عن بعضهم ينافى مضمونها وتقرير الجواب ان العفو انما ينافيه ان لو كانت الآيات الواردة فى حق الوعيد عامة فى حق جميع العصاة وليست كذلك بل هى واردة فى حق من تعلقت المشيئة بتعذيبهم بقرينة آيات العفو الواردة فى حق من تعلقت المشيئة بالعفو عنه فانه تعالى يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء فلاتبديل فى القول بالعفو عن البعض (قوله فاعذب من ليس لى تعذيبه) اشارة الى جواب مايقال من انه تعالى دفع عنه كونه ظلاما للعبيد وهو يشعر بثبوت اصل الظلم له وهو تعالى لايظلم الناس شيئا من الظلم وماالله يريد ظلما للعباد فضلا من ان يظلمهم وتقرير الجواب ان نفى كونه تعالى ظلاما يستلزم نفى كونه ظالما وذلك لانه لما جرت مقاولة التخاصم بين الكافر وقرينه ونهاهم الله عن التخاصم لديه اى فى دار الجزاء وموقف الحساب فقال لاتختصموا لدى عانين بانه لافائدة فيه حيث تعلمون انى اوعدتكم على الكفر والطغيان فى دار العمل والتكليف ولم تلقوا اليه سمعا ولارفعتم اليه رأسا علل عدم كون التخاصم مفيدا بان قال على طريق الاستئناف مايبدل القول لدى وما انا بظلام للعبيد اى مايبدل ماقدمته من الوعيد فى حق كل كفار عنيد بالعفو عنهم بل انتقم منهم باخلادهم فى النار وعطف عليه قوله وما انا بظلام بصيغة المبالغة والمعنى لو عذبت عبدا ضعيفا منقاد الامرى غير مستحق للعذيب من قبلى لكان ذلك غاية الظلم ولست بظلام فاعذب من ليس لى تعذيبه فظهر بهذا ان نفى كونه ظلاما يستلزم نفى كونه ظالما وايضا تخصيص الشئ بالذكر لايدل على نفى ماعداه فنفى كونه تعالى ظلاما يستلزم نفى كونه ظالما وقيل الظلام لكونه بناء النسبة بمعنى الظالم كالتمار بمعنى التامر فالمعنى وما انا بظالم (قوله تعالى يوم نقول لجهنم)

ويجوز ان يكون بالوعيد حالا والفعل واقعا على قوله (مايبدل القول لدى) اى بوقوع الخلف فيه فلاتطمعوا ان ابدل وعيدى وعفو بعض المذنبين لبعض الاسباب ليس من التبديل فان دلائل العفو تدل على تخصيص الوعيد (وما انا بظلام للعبيد) فاعذب من ليس لى تعذيبه

يجوز ان يكون ظرفا للظلام واذا لم يظلم في هذا اليوم فعدم كونه ظلاما في غيره اولى اوظرف لقوله مايبدل اولمحذوف دل عليه ماقبله اى ذلك يكون يوم نقول ويجوز ان يكون منصوبا بمضمر اى اذكر او انذر يوم فيكون مفعولا به ويجوز كونه معمولا لقوله ونفخ في الصور وهو بعيد (قوله جيئ بهما للتخييل والتصوير) اى لتصوير امتلائها بالطلب حيث اجابت بقولها هل من مزيد وهو استفهام انكار كانها قالت امتلأت بحيث لامزيد على ذلك الامتلاء تكثيرا لمن ادخل فيها من الجنة والناس والا فليس ثمة سؤال وجواب حقيقة وطريق التخييل ان جهنم شبهت بمن له عقل وتمييز يسأل ويجيب وجعل اثبات لوازم المشبه به لها دليلا على التشبيه المضمر في النفس والمعنى انا نملاءها من الجنة والناس كما كنا وعدنا بملك بحيث لوقيل لهـا ذلك وهى عاقلة ناطقة لقالت ذلك على سبيل الانكار والتعجب من كثرة العصاة (قوله او انها من السعة بحيث يدخلها من يدخلهـا وفيها بعد فراغ) فتطلب الزيادة ليتلئ بها ذلك الفراغ فالاستفهام في قوله تعالى هل امتلأت لبيان اتساعها وانكار امتلائها وفي قولها هل من مزيد لطلب الزيادة فيكون هذا السؤال والجواب قبل دخول جميع اهلهـا فيها بان يدخل الكفار باسرهم ويبقى فيها موضع لعصاة المؤمنين فتطلب جهنم امتلائها تحقيقا لقوله تعالى لاملأن جهنم فيطرح في ذلك الموضع عصاة المؤمنين فيبرد ايمانهم حرها ويسكن ايقانهم غيظها فتسكت وعلى هذا الحمل ماورد في بعض الاخبار من ان جهنم تطلب الزيادة حتى يضع الجبار قدمه والمراد بالجبار المؤمن فانه جبار متكبر على ماسوى الله تعالى ذليل متواضع لله عز وجل ويروى انه لايلقى فوج ممن استحق لدخول جهنم الاذهب فيها ولايملأها شيء لكونها صورة قهر الله تعالى الذى لانهاية له فتقول جهنم اليس قد اقسمت لتملأني فيضع الله تعالى فيها قدمه اى ماتقدم من قوله سبقت رحمتي غضبي اى بان يضع فيها رحمته ويطرح اليها نظر الرحمة فيقول هل امتلأت فتقول قط قط اى حسبي حسبي وليس بي من مزيد فينزوى بعضها في بعض ضرورة انها اذا جاءت الرحمة تنزوى صورة القهر (قوله اوانها من شدة زفيرها وحدتها) فالاستفهام الاول للتقرير والثانى اقرار بالامتلاء في الحقيقة الا انها نزلت نفسها منزلة طالب الزيادة والكثرة لشدة تغيظها على العصاة واهتمامها بالانتقام منهم فتمنى زيادة الداخلين وكثرتهم (قوله وقرأ نافع وابو بكر يقول بالياء) اى بياء الغيبة واسناد الفعل الى ضمير اسم الله تعالى لتقدم ذكره في قوله الذى جعل مع الله والباقون بنون المتكلم المعظم نفسه لتقدم ذكره في قوله لدى وقدقدمت وما انا بظلام (قوله فيكون ذلك) اى اذا

(يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد) سؤال وجواب جيئ بهمـا للتخييل والتصوير والمعنى انها مع اتساعها تطرح فيها الجنة والناس فوجا فوجا حتى تمتلئ لقوله لاملأن اوانها من السعة بحيث يدخلها من يدخلهـا وفيهـا بعد فراغ اوانها من شدة زفيرها وحدتها وتشبثها بالعصاة كالمستكثر لهم والطالب لزيادتهم وقرأ نافع وابو بكر يقول بالياء والمزيد اما مصدر كالمجيد او مفعول كالمبيع ويوم مقدر باذكر اوظرف لنفخ فيكون ذلك اشارة اليه فلايفتقر الى تقدير مضاف

انتصب يوم نقول بقوله نفخ يكون ذلك في قوله ذلك يوم الوعيد اشارة الى يوم نقول لان الاشارة الى المتأخر جائزة لاسيما اذا كانت رتبته التقدم فكأنه قيل ذلك اليوم اى يوم نقول لجهنم هل من مزيد يوم الوعيد فلا يحتاج الى ان يجعل تقدير الكلام وقت ذلك النفخ يوم تحقق الوعيد لان الاحتياج اليه انما هو لكون ذلك اشارة الى النفخ وعدم صحة حمل يوم الوعيد على المصدر واذا جعل ذلك اشارة الى اليوم صح الحمل من غير تقدير المضاف (قوله قربت لهم) فان قيل الجنة مكان والامكنة لا تقرب بل يقرب اليها فاوجه تقريبها اجيب بان الجنة لا تزال ولا يؤمر المؤمن فى ذلك اليوم بالانتقال اليها مع بعدها لكنه تعالى يطوى المسافة التى بين المؤمن والجنة وهذا هو المراد بتقريبها فان قيل اسناد الازلاف بمعنى طى المسافة بينها و بينهم الى الجنة ليس اولى من اسناده الى المؤمن فكيف قيل وازلفت الجنة للمتقين ولم يقل وازلفت المتقون للجنة اجيب بانه اختير ذلك لما فيه من اكرام المؤمن وبيان شرفه وانه مما تعتنى اليه والظاهر ان قوله تعالى وازلفت معطوف على قوله نقول لجهنم اى يوم ازلفت (قوله مكانا غير بعيد) اشارة الى ان انتصاب غير بعيد على انه ظرف مكان لازلفت كقولك اجلس غير بعيد منى اى مكانا غير بعيد والاصل ازلفت مكانا غير بعيد ثم حذف المكان العلم به واقيمت صفته مقامه وان كان غير بعيد حالا من الجنة كان الظاهر ان يقول غير بعيدة الا انه ذكر اما لكونه على زنة المصدر كالزئير والصليل والمصادر يستوى فى الوصف بها المذكر والمؤنث والزئير صوت الاسد فى صدره يقال زأر يزأر و يزؤر زأرا وزئيرا و يقال صل السلاح ونحوه يصل صليلا اى صوت واما لغير ذلك (قوله على اضمار القول) مبنى على القراءة بتاء الخطاب ولا حاجة اليه على قراءة ابن كثير وذلك القول اما منصوب على انه حال من المتقين اى مقولا لهم هذا الثواب اوهذا الازلاف ما توعدون اوهو مع مقوله جملة معترضة بين البدل والمبدل منه على معنى يقال لهم والاعتراض متعين فى قراءة ابن كثير بالياء لاسناد الفعل الى المتقين (قوله بدل بعد بدل) يشعر بكونه بدلا ثانيا من المتقين الا ان صاحب الكشاف صرح بانه بدل من كل اواب حيث قال بدل بعد بدل تابع لكل ومعنى التبعية وروده عقيب البدل من غير اتحاد المتبوع ولم يجعله بدلا ثانيا من المتقين لان تعدد البدل مع اتحاد المبدل منه لا يجوز (قوله ولا يجوز ان يكون فى حكمه) اى فى حكم اواب فان اواب صفة لمحذوف والتقدير لكل عبد اواب ولا يجوز ان يكون من خشى صفة لكل اواب لان من لا تكون صفة له فلا يقال الرجل من جاءنى جالس كما يقال الرجل الذى جاءنى جالس والخشية وان كانت بفسر بالخوف الا ان بينهما فرقا وهو

(وازلفت الجنة للمتقين) قربت لهم (غير بعيد) مكانا غير بعيد و يجوز ان يكون حالا وتذكيره لانه صفة محذوف اى شيئا غير بعيد او على زنة المصدر اولان الجنة بمعنى البستان (هذا ما توعدون) على اضمار القول والاشارة الى الثواب اومصدر ازلفت وقرأ ابن كثير بالياء (لكل اواب) رجاع الى الله بدل من المتقين باعادة الجار (حفيظ) حافظ لحدوده (من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب) بدل بعد بدل او بدل من موصوف اواب ولا يجوز ان يكون فى حكمه لان من لا يوصف به او مبتدأ خبره (ادخلوها) على تأويل يقال لهم ادخلوا فان من بمعنى الجمع و بالغيب حال من الفاعل او المفعول او صفة لمصدر اى بخشية ملتبسة

ان الخشية خوف من عظمة المخشي وهيبته بخلاف الخوف فانه خشية من ضعف الخاشي ويدل على ذلك انه حيث كان الخوف من عظمة المخشي استعمل فيه الخشية وان كان الخاشي قويا في نفسه قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقال لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وقال وهم من خشيته مشفقون مع ان الملائكة والجبل اقوياء في انفسهم وحيث كان الخوف من ضعف الخاشي استعمل فيه الخوف قال لاتخافوا ولاتحزنوا ونحو ذلك (قوله وبالغيب حال من الفاعل) اى خشي حال كونه غائبا عن الاعين لايراه احدا ومن المفعول اى خشي عقاب الرحمن حال كون كل منهما غائبا لايعرفه المكلف الابطريق الاستدلال (قوله وتخصيص الرحمن جواب عمايقال كيف قرن الخشية بالاسم الدال على سعة الرحمة مع ان الظاهر قرنها بما يدل على العظمة والمهابة (قوله ووصف القلب بالانابة) مع ان الموصوف بالانابة التي هي الرجوع عن المعصية الى طاعة الله تعالى هو المكلف للاشعار بان الاعتبار في الرجوع الى الله تعالى انما هو الرجوع بالقلب (قوله سالمين او مسلما عليكم) يعني ان قوله تعالى بسلام حال من فاعل ادخلوها اما من السلامة اومن التسليم وعلى التقديرين هي حال مقارنة لحصول كل واحد منهما حال الدخول وان كان التسليم بعد الدخول تكون حالا مقدرة (قوله تعالى ذلك يوم الخلود) وقال ابو البقاء اى زمان ذلك يوم الخلود كانه جعل اشارة الى ماتقدم من انعام الله تعالى عليهم بذلك اخبرالله تعالى اهل الدنيا ان ذلك الزمان زمان الاقامة الدائمة وان اهل الجنة لايرتحلون عنها فيبقى في قلوبهم حسرتها وليس لقول الله تعالى ذلك فائدة بعد قوله ادخلوها لان المؤمنين يعلمون ان من دخل الجنة يبقى فيها ابدا فلافائدة لهم بالاخبار بذلك الاان يقال ان استماع ذلك يزيد تطرية النشاط وطمانينة القلب (قوله تعالى ولدينا مزيد) اى زيادة على مايشاؤن اوما يؤملون او مزيد عليه على ان يكون المزيد اسم مفعول كالمبيع قال انس وجابر رضى الله عنهما هو النظر الى وجه الله الكريم والظاهر ان مرادهما ان النظر المذكور افضل مالديه من المزيد والا ففي الجنة مزيد على كل مايؤملونه غيرذلك ثم انه تعالى لما الزم منكري البعث بمايلاقونه عن قريب من الموت والبعث والقاء المشركين في العذاب الشديد خوفهم بعذاب الدنيا ايضا فقال وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم اشد منهم بطشا وكم منصوب بمابعده وقدم على عامله امالانها استفهامية واما لانها خبرية وهي تجري مجرى استفهامية في اقتضاء الصدارة ومن قرن تمييز وهم اشد صفة كم اوصفة قرن وبطشا تمييز اشد والبطش الاخذ بسدة والجمهور على فتح القاف مع التشديد في قوله

بالغيب حيث خشي عقابه وهو غائب اوالعقاب بعدغيب او هوغائب عن الاعين لا يراه احد وتخصيص الرحمن للاشعار بانهم رجوا رحمته وخافوا عذابه او بانهم ذووا خشية مع علمهم بسعة رحمته ووصف القلب بالانابة اذ الاعتبار برجوعه الى الله (بسلام) سالمين من العذاب وزوال النعم اومسلما عليكم من الله وملائكته (ذلك يوم الخلود) يوم تقدير الخلود كقوله ادخلوها خالدين (لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد) وهوما لايخطر ببالهم مما لاعين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (وكم اهلكنا قبلهم) قبل قومك (من قرن هم اشد منهم بطشا) قوة كعاد وفرعون (فنقبوا في البلاد) فخرقوا في البلاد وتصرفوا فيها او جالوا في الارض كل مجال حذر الموت فالفاء على الاول للتسبيب وعلى الثاني لمجرد التعقيب واصل التنقيب التنقير عن الشئ والبحث عنه

(هل من محيص) اى لهم من الله اومن الموت وقيل الضمير فى نقبوا لاهل مكة اى ساروا فى اسفارهم فى بلاد القرون فهل رأوا لهم محيصا حتى يتوقعوا مثله لانفسهم ﴿ ٢٦٠ ﴾ و يؤيده انه قرئ فنقبوا على الامر وقرئ فنقبوا بالكسر من النقب وهو ان ينقب خف البعير اى اكثروا السير حتى نقبت اقدامهم او اخفاف مراكبهم (ان فى ذلك) فيما ذكر فى هذه السورة (لذكرى) لتذكرة (لمن كان له قلب) اى قلب واع يتفكر فى حقائقه (او القى السمع) اى اصغى لاستماعه (وهو شهيد) حاضر بذهنه ليفهم معانيه اوشاهد بصدقه فيتعظ بظواهره وينزجر بزواجره وفى تنكير القلب وابهامه تفخيم واشعار بان كل قلب لا يتفكر ولا يتدبر كلاقلب (ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام) مر تفسيره مرارا (ومامسنا من لغوب) من تعب واعياء وهورد لمازعمت اليهود من انه تعالى بدأ خلق العالم يوم الاحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش (فاصبر على مايقولون) ما يقول المشركون من انكارهم البعث فان من قدر على خلق العالم (، احح) بلا اعياء قدر على بعثهم والانتقام منهم اومايقول اليهود من الكفر والتشبيه (وسبح بحمد ربك) و ه

فنقبوا والفاء فيه عاطفة على المعنى كأنه قيل اشتد بطشهم فنقبوا فان كان التنقيب بمعنى الطواف وقطع المفاوز لاجل تفريج البلاد والتصرف فيها بقهرها والاستيلاء على اهلها كما فى قوله

لقد نقبت فى الآفاق حتى ۞ رضيت من الغنيمة بالاياب

تكون الفاء سببية للدلالة على ان شدة بطشهم وقوتهم عليه ابطرتهم وحملتهم على التنقيب وان كان بمعنى الجولان والدوران فيها حذرا من الموت كما فى قوله

نقبوا فى البلاد من حذر الموت ۞ وجالوا فى الارض كل مجال

تكون الفاء لمجرد التعقيب حيث كان سبب التنقيب مجرد الاحتراز عن الموت لا شدة البطش وقرئ فنقبوا بفتح القاف مخففا والتشديد للكثرة والمبالغة وقرئ فنقبوا بكسر القاف مشددا على امر المخاطبين كقوله تعالى فسيحوا فى الارض اى فسيروا فيها هل تجدون محيصا من قهر الله تعالى اومن الموت وقرئ ايضا فنقبوا بكسر القاف مخففا اى اكثروا السير فيها حتى نقبت دوابهم من النقب يقال نقب البعير ينقب نقبا من باب علم اذا رقت خفافه من كثرة السير ومنه قوله ۞ اقسم بالله ابوحفص عمر ۞ مامسها من نقب ولادبر ۞ اغفر له اللهم ان كان فجر (قوله اى لهم من الله) اشارة الى ان من محيص مبتدأ محذوف خبره اى ملجأ ومفر من عذاب الله اومن الموت (قوله اى قلب واع) حمل القلب المذكور فى الآية وهو مطلق على القلب الواعى لتظهر فائدة التقييد بقوله لمن كان له قلب فان كل انسان له قلب لامحالة وايضا لوابقى القلب على عمومه للزم ان يكون ماذكر فى هذه السورة تذكرة لكل انسان وليس كذلك لانه ما يتذكر الا اولوا الالباب والقلوب الواعية ولكنه اطلق القلب فى الآية للاشعار بان من ليس له قلب واع فكأنه لاقلب له لان المقصود من القلب الحفظ وهو فاقد من القلب الذى ليس له حفظ لانه المقصود منه وكل فاقد ما هو المقصود منه كالمعدوم وكذا حمل قوله شهيد على تقدير كونه من الشهود بمعنى الحضور على الحضور بالذهن لتظهر فائدة التقييد بالجملة الحالية لان من القى السمع الى ماتلى عليه يكون حاضرا بشخصه لامحالة لاستحالة الاصغاء من القلب الغائب فلو لم يحمل الحضور على الحضور بذهنه لما ظهر فائدة التقييد ايضا واطلاقه فى الآية للاشعار بان من لم يحضر بذهنه فكأنه غائب وكلمة او فى قوله تعالى او القى السمع لتقسيم حال المتذكر الى كونه تاليا بنفسه وكونه سامعا من غيره ثم انه تعالى

لما احتج على منكرى البعث بما يدل على كمال قدرته وهددهم بما يلاقونه من قريب من عذاب الآخرة ثم خوفهم بعذاب الدنيا عاد الى دليل آخر فقال ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام اى فى ستة اوقات واحيان لان اليوم فى اللغة عبارة عن زمان مكث الشمس فوق الارض من الطلوع الى الغروب وقبل خلق السموات لم يكن شمس ولاقمر ومن قدر على ابداء العالم باسره فى مدة يسيرة كيف لايقدر على البعث والاعادة وقوله تعالى وما مسنا من لغوب رد لما زعمت اليهود فانه روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان اليهود أتت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فسألته عن خلق السموات والارض فقال عليه الصلاة والسلام خلق الله الارض يوم الاحد والاثنين وخلق الجبال وما فيهما من المنافع يوم الثلثاء وخلق الشجر والماء والمدائن والعمران والخراب يوم الاربعاء وخلق السماء يوم الخميس وخلق الشمس والقمر والنجوم والملائكة يوم الجمعة قالت اليهود ثم ماذا قال استوى على العرش قالوا قد اصبت لو اتممت قال وما هو قالوا ثم استراح يوم السبت فغضب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم غضبا شديدا فانزل الله تعالى هذه الآية ثم قال فاصبر على ما يقولون من الشرك والتشبيه قال الامام وماقاله اليهود ونقلوه عن التوراة اما تحريف منهم اولم يعلموا تأويله وذلك لان الاحد والاثنين ازمنة متميزة بعضها عن بعض ولو كان خلق السموات ابتدئ يوم الاحد ونحوه لكان الزمان متحققا قبل الاجسام والزمان لاينفك عن الاجسام فيكون قبل خلق الاجسام اجسام اخر فيلزم القول بقدم العالم وهو مذهب الفلاسفة ومن العجب ان بين الفلاسفة والمشبهة غاية الخلاف فان الفلسفى لايثبت لله تعالى صفة اصلا ويقول انه تعالى لايقبل صفة بل هو واحد من جميع الوجوه وفعله وقدرته وحياته هو حقيقته وعينه وذاته والمشبهة يثبتون لله تعالى صفة الاجسام من الحركة والسكون والاستواء والجلوس والصعود والنزول فبينهما منافاة ثم ان اليهود فى كلامهم هذا جمعوا بين المتنافيين واخذوا بمذهب الفلاسفة فى المسئلة التى هى اخص المسائل بهم وهى القدم حيث اثبتوا قبل خلق الاجسام اياما معدودة وازمنة محدودة واخذوا بمذهب المشبهة فى المسئلة التى هى اخص المسائل بهم وهى الاستواء على العرش فاخطأوا وضلوا فى الزمان والمكان جميعا انتهى والفاء فى قوله تعالى فاصبر للسبب اى اذا لم يسمعوا قولك ولم يهتدوا بارشادك فاصبر على مايقولون من اباطيلهم واشتغل بعبادة ربك فانه عليه الصلاة والسلام له شغلان احدهما عبادة الله تعالى وثانيهما هداية الخلق فاذا هداهم ولم يهتدوا قيل له اقبل على شغلك الآخر وهو عبادة الحق

عن العجز عما يمكن والوصف بما يوجب التشبيه حامدا له على ما انعم عليك من اصابة الحق وغيرها (قبل طلوع الشمس وقبل الغروب) يعنى الفجر والعصر وقد عرفت فضيلة الوقتين (ومن الليل فسبحه) وسبحه بعض الليل

وهذا قبل الامر بقتالهم امره الله تعالى بان ينزهه فى بعض الاوقات من انهار والليل وخص ماقبل الطلوع والغروب من النهار لكونهما وقت اجتماع ملائكة الليل وملائكة النهار ولم يعين البعض الكائن من الليل اى بعض هو للاشارة الى ان الليل كله زمان الانقطاع عن الشواغل فلا وجه لترجيح بعض اجزائه على بعض بخلاف النهار فانه محل الاشتغال بالمصالح فينبغى ان يعين وقت العبادة منه ليبقى سائر اوقاته لسائر المصالح وهذا على ان تكون كلمة من فى قوله ومن الليل للتبعيض ويحتمل ان تكون لابتداء الغاية فيكون المعنى ومن اول الليل فسبحه الى ان يغلب عليكم النوم ونحوه ويحتمل ان يكون المراد بقوله تعالى وسبح بحمد ربك نزهه عما يقولون ولا تسأم من اباطيلهم بل ذكرهم بعظمة الله تعالى ونزهه عن الشرك والعجز عن الممكن الذى هو امر الحشر والبعث قبل الطلوع وقبل الغروب فانهما وقت اجتماع نومك لغلبة الحرارة فى بلدتهم ومن اوائل الليل ايضا لانها ايضا وقت اجتماعهم والفاء فى قوله فسبحه لتأكيد الامر بالتسبيح من الليل وذلك لانها تتضمن معنى الشرط كأنه قيل واما من الليل فسبحه والتعليق بالشرط يفيد انه عند وجوده يجب وجود الجزاء قوله تعالى وادبار السجود) قرأ نافع وابن كثير وحمزة ادبار بكسر الهمزة على انه مصدر ادبر الشئ اذا تم وانقضى وانتصابه على الظرفية لان المصدر اقيم مقام الوقت اونحوه كما فى نحو آتيك خفوق النجم اى وقت خفوقه ومعنى وقت ادبار السجود وقت انقضاء الصلاة وبعدها وقرأ الباقون بفتح الهمزة على انه جمع دبر بمعنى آخر ودبر الصلاة آخرها وعقبها وانتصابه ايضا على الظرفية والركوع والسجود والتسبيح قد يعبر بها عن الصلاة لاشتمال الصلاة عليها فلذلك فسر ادبار السجود بقوله واعقاب الصلاة واختار المصنف ان تكون التسبيح على اصل معناه وهو التنزيه ثم نقل كونه بمعنى الصلاة فى قوله وادبار السجود قيل اعقاب الصلاة روى عن ابى هريرة انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من سبح الله تعالى فى دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وحمد الله ثلاثا وثلاثين وكبر الله ثلاثا وثلاثين فذلك تسعة وتسعون ثم قال تمام المائة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير غفرت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر (قوله واستمع لما اخبرك به) يعنى ان مفعول استمع محذوف اى استمع ما اقول لك من احوال يوم القيامة فى وصفه فقال يوم ينادى المنادى ويوم منصوب بفعل مضمر والتقدير يخرجون من القبور يوم ينادى المنادى وهو اسرافيل عليه الصلاة والسلام فانه ينفخ وينادى بما ذكره وقيل ان اسرافيل ينفخ وجبريل ينادى

(ويحتمل)

(وادبار السجود) واعقاب الصلاة جمع دبر وقرأ الحجازيان وحمزة بالكسر من ادبرت الصلاة اذا انقضت وانقطعت وقيل المراد بالتسبيح الصلاة فالصلاة قبل الطلوع الصبح وقبل الغروب الظهر والعصر ومن الليل العشاآن والتهجد وادبار السجود النوافل بعد المكتوبات وقيل الوتر بعد العشاء (واستمع) لما اخبرك به من احوال القيامة وفيه تهويل وتعظيم للمخبر به (يوم ينادى المناد) اسرافيل اوجبرائيل عليهما السلام فيقول ايتها العظام البالية والاوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يأمركن ان تجتمعن لفصل القضاء (من مكان قريب) بحيث يصل نداؤه الى الكل على السواء ولعله فى الاعادة نظير كن فى الابداء ويوم نصب عادل عليه يوم الخروج

ويحتمل ان ينزل اسمع منزلة اللازم ولا يقصد تعلقه بمفعول معين ويكون المعنى كن مستمعا ولا تكن كهؤلاء الغافلين المعرضين (قوله بالحق متعلق بالصيحة) اى حال منها اى يسمعونها ملتبسة بالحق الذى هو البعث وذلك اشارة الى وقت النداء او الى وقت السماع اى ذلك الوقت يوم الخروج من القبور (قوله من مكان قريب بحيث يصل نداؤه الى الكل يعنى ان المراد بقرب المكان قربه بالنسبة الى اهل القبور كلهم ولما كان قرب المكان بالنسبة الى بعض الموت يستلزم البعد بالنسبة الى من بعد من ذلك البعض فاستحال لذلك ان يكون مكان النداء قريبا حقيقيا بالنسبة الى الكل على السواء والمعنى يخرجون من قبورهم يوم ينادى المنادى بحيث يصل نداؤه الى الكل على السواء كأنه ينا ديهم من مكان قريب بالنسبة الى كل واحد منهم عن الضحاك انه قال سمع البعيد كما يسمع القريب واكثر المفسرين على ان المراد قرب مكان النداء الى السماء وان ذلك المكان هو صخرة بيت المقدس فانها اقرب الى السماء بالنسبة الى اجزاء الارض ثم اختلفوا فى مقدار قربها اليها فمنهم من قال انها اقرب اليها من جميع الارض باثنى عشر ميلا ومنهم من قال بثمانية عشر ميلا وقيل يسمعون النداء من تحت اقدامهم وقيل من منابت شعورهم (قوله بالتخفيف) اى بتخفيف الشين يعنى ان الكوفيين وابا عمرو قرأ وههنا وفى الفرقان تشقق بتخفيف الشين والباقون بتشديدها واصله عند الكل تتشقق بتاءين والاولون حذفوا احدى التاءين للتخفيف والباقون ادغموا التاء الثانية فى الشين ويوم تشقق يجوز ان يكون بدلا من يوم يسمعون وقيل انه بدل من يوم ينادى وفيه نظر لانه يستلزم تعدد البدل والمبدل منه واحد وقد تقدم ان الزمخشرى منعه ويجوز ان يكون ظرفا للمصير اى يصيرون الينا يوم تشقق الارض وسراعا حال من الضمير المجرور فى عنهم والعامل فيها تشقق وقيل عاملها هو العامل فى يوم تشقق المقدر اى يخرجون سراعا يوم تشقق فيكون سراعا مبينا لهيئة الفاعل وعلى الاول يكون مبينا لهيئة المفعول معه لان التشقق عدى اليه بحرف الجر كما يقال كشفت عنه فهو مكشوف عنه والسراع جمع سريع كالكرام جمع كريم وقوله ذلك يحتمل ان يكون اشارة الى التشقق عنهم وان يكون اشارة الى الاخراج المدلول عليه بفحوى الكلام او الى الحشر المذكور بعده اى ذلك الحشر حشر يسير والحشر الجمع (قوله الا كنفس واحدة) اى كخلق نفس واحدة وبعثها وهذا صريح فى ان الله تعالى لا يشغله شأن عن شأن (قوله تعالى نحن اعلم بما يقولون) اى عما يقوله كفار مكة من تكذيبك وانكار البعث والفاء فى قوله فذكر فاء

(يوم يسمعون الصيحة) بدل منه والصيحة النفخة الثانية (بالحق) متعلق بالصيحة والمراد به البعث للجزاء (ذلك يوم الخروج) من القبور وهو من أسماء يوم القيامة وقد يقال للعيد (انا نحن نحيى ونميت) فى الدنيا (والينا المصير) للجزاء فى الآخرة (يوم تشقق) تتشقق وقرأ الكوفيون وابو عمرو بالتخفيف (الارض عنهم سراعا) مسرعين (ذلك حشر) بعث وجمع (علينا يسير) هين وتقديم الظرف للاختصاص فان ذلك لا يتيسر الا على العالم القادر لذاته الذى لا يشغله شان عن شان كما قال ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة (نحن اعلم بما يقولون) تسلية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتهديد لهم (وما انت عليهم بجبار) بمسلط تقسرهم على الايمان او تفعل بهم ما تريد وانما انت داع (فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) فانه لا ينتفع به غيره عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة ق هون الله عليه تارات الموت وسكراته

جواب شرط مقدر اى اذا لم تكن جبارا لهم تجبرهم على الاسلام بل بعثت مبلغا فذكر اى فأقبل على عملك ودم عليه وذكر بالقرآن من يخاف ما اوعد به من عصانى من العذاب وتارات الموت ما تكرر من سكرات الموت وشدائده فانها تأخذ المحتضر مرة بعد اخرى ❁ ثم هنا ما يتعلق بسورة ق والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين

(سورة الذاريات)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ❁ رب يسر يا كريم ﴾

اول هذه السورة مناسب لآخر ما قبلها وذلك لانه تعالى لما بين الحشر بدلائله وقال ذلك حشر علينا يسير وما انت عليهم بجبار تجبرهم وتلجئهم الى الايمان اشار الى اصرارهم على الكفر بعد اقامة البرهان وتلاوة القرآن عليهم ولم يبق الا اليمين فقال والذاريات ان ما توعدون من البعث والثواب والعقاب لصادق وكذا اول هذه السورة وآخرها متناسبان ايضا حيث قال فى اولها انما توعدون لصادق وقال فى آخرها فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون والذاريات جمع ذارية من ذرت الريح التراب وغيره تذروه وتذريه ذروا وذريا اى طيرته واذهبته والواو فيه للقسم والفاآت التى بعدها عاطفة وهذه بالمذكورات صفات حذفت موصوفاتها واقيمت هى مقامها والتقدير والرياح الذاريات اوو النساء الذاريات للاولاد او الاسباب الذاريات للخلائق من عالم العدم الى فضاء الوجود او بالعكس فالسحب الحاملة للامطار فالسفن الجارية فى البحر جريا ذا يسر اى ذا سهولة فالملائكة المقسمات للامور من خير وشر بين الخلايق على ما امروا به ثم اشار الى جواز كون موصوف الحاملات الرياح فانها تحمل السحاب كالذرو والتراب ونحوه او النساء فانهن يحمل الاولاد كالذرين الاولاد او الاسباب التى تؤدى ما ذكر من الحاملات الى الحمل على الاسناد المجازى (قوله وقرئ وقرا) بفتح الواو وهو مصدر بمعنى الثقل على تسمية المحمول الثقيل بالثقل والجمهور على كسر الواو وهو اسم لما يوقر اى يحمل فان المطر محمول السحاب وكذا السحاب محمول الريح وموصوف الجاريات اما السفن او الرياح او الكواكب وموصوف المقسمات اما الملائكة خاصة او ما يعمهم وغيرهم او الرياح (قوله فان حملت على ذوات مختلفة) قد اشار فى تفسير الامور الاربعة المذكورة بقوله تعالى والذاريات ذروا فالحاملات وقرا فالجاريات فالمقسمات الى جواز كونها

يعنى الرياح تذر والتراب وغيره او النساء الولد فانهن يذرين الاولاد او الاسباب التى تذرى الخلائق من الملائكة وغيرهم وقرأ ابو عمرو وحمزة بادغام التاء فى الذال (فالحاملات وقرا) فالسحب الحاملة للامطار او الرياح الحاملة للسحاب او النساء الحوامل او اسباب ذلك وقرئ وقرا على تسمية المحمول بالمصدر (فالجاريات يسرا) فالسفن الجارية فى البحر سهلا او الرياح الجارية فى مهابها او الكواكب التى تجرى فى منازلها ويسرا صفة مصدر محذوف اى جريا ذا يسر (فالمقسمات امرا) الملائكة التى تقسم الامور من الامطار والارزاق وغيرها او ما يعمهم وغيرها من اسباب القسمة او الرياح التى تقسم الامطار بتصريف السحاب فان حملت على ذوات مختلفة فالفاء لترتب الاقسام بها باعتبار ما بينها من التفاوت فى الدلالة على كمال القدرة

امورا مختلفة متباينة بذواتها والجواز كونهما امرا واحدا بالذات له اربعة اعتبارات والاول قول علي وابن عباس رضي الله عنهم قال علي وهو على المنبر سلوني قبل ان لا تسألوني ولن تسألوا بعدي مثلي فقام ابن الكوا فقال ماالذاريات ذروا قال هي الرياح قال فما الحاملات وقرا قال السحاب قال فما الجاريات يسرا قال الفلك قال فما المقسمات امرا قال الملائكة وان كانت هؤلاء الاربع صفات متغايرة لامر واحدهو الرياح يكون الموصوف في الكل واحدا ويكون العاطف لعطف الصفات كما في قوله

الى الملك القرم وابن الهمام ❊ وليث الكتيبة في المزدحم

وقوله يالهف ذيابة للحارث الصابح فالغانم فالآئب

ويكون تقدير الكلام والرياح الذاريات الى الجو حتى تنعقد سحابا فالرياح الحاملات للسحب التي هي اثقل من الجبال فالرياح التي تجري بالسحب بعد حملها فالرياح التي تقسم اي تفرق الامطار في الاقطار فالفاء على الاحتمال الاول لترتيب الاقسام اقسم اولا بالرياح الذاريات فبالسحب الحاملات للامطار فبالسفن الجاريات في البحر فبالملائكة المقسمات للامور ولما كانت هذه الامور الاربعة متفاوتة في الدلالة على كمال القدرة قدم في الاقسام بها ماهو ادل عليه واتم وتوضيح المقام ان الايمان الواقعة في القرآن وان وردت في صورة تأكيد المحلوف عليه الا ان المقصود الاصلي منهما تعظيم المقسم به لما فيه من الدلالة على كمال القدرة فيكون المقصود بالحلف به الاستدلال به على الحكم المحلوف عليه وهو ههنا صدق الوعد بالبعث والجزاء فكأنه قيل من قدر على هذه الامور العجيبة المخالفة لمقتضى الطبيعة يقدر على اعادة من انشأه اولا كقول القائل لمن انعم عليه وحق نعمك الكثيرة اني لا ازال اشكرك اتى بصورة القسم الدال على تعظيم النعم استدلالا به على انه مواظب لشكرها فاذا كان كذلك فالمناسب في ترتيب الاقسام بالامور المتباينة ان يقدم ماهو ادل على كمال القدرة والرياح ادل عليه بالنسبة الى السحب لكون الرياح اسبابا للحدوثها والسحب لغرابة ماهيتها وكثرة منافعها ورقة حاملها الذي هو الريح ادل عليه بالنسبة الى السفن وهذه الثلاثة لكونها من قبيل المحسوسات ادل عليه بالنسبة الى الملائكة الغائبين عن الحس اذ الخصم ربما ينكر وجود من هو غائب عن الحس فلا يتم الاستدلال (قوله والا فالفاء لترتب الافعال) اي وان لم تحمل الامور الاربعة على موصوفات متباينة بالذات بل على موصوف واحد له اربعة اعتبارات تكون الفاء لترتيب الاوصاف في الوجود كما في قولك جاءني الآكل فالشارب فالصائم فقدم من الصفات المذكورة ماهو متقدم في الوجود فان الرياح تذر

والا فالفاء لترتب الافعال اذ الريح مثلا تذرو الابخرة الى الجو حتى تنعقد سحابا فتحمله فتجري به باسطة له الى حيث امرت به فتقسم المطر (انما توعدون لصادق) جواب القسم كأنه استدل باقتداره على هذه الاشياء العجيبة المخالفة لمقتضى الطبيعة على اقتداره على البعث الموعود

والابطر ثانيا اولا فتحمل السحاب ثانيا فتجرى بالسحاب جريا اذا ايسر ثالثا فتقسم المطر رابعا وقوله تعالى ذروا مصدر مؤكد لقوله والذاريات وقيل ذروا مفعول به بمعنى مذرو والتسمية للمفعول بالمصدر كخلق الله وضرب الامير والمعنى والذاريات ترابا مذروا والاول اشهر وقوله وقرا مفعول به للحاملات كما يقال حمل فلان عدلا ثقيلا والمصنف بين اعراب يسرا وقوله امرا مفعول به وهو عبارة عن المقسوم لما كان قال الامام الحكمة فى الايمان الواقعة فى القرآن وجوه الاول ان الكفار كانوا فى بعض الاوقات ينسبونه صلى الله تعالى عليه وسلم الى المجادلة و يقولون انه عارف فى نفسه بفساد ما يقوله وانه يغلبنا بقوة الجدل لا بصدق المقال كما ان بعض الناس اذا اقام عليه الخصم الدليل ولم يبق له حجة يقول انه غلبنى لعلمه بطريق الجدل وعجزى عنه وهو فى نفسه يعلم ان الحق بيدى فلا يبقى للمتكلم المبرهن غير اليمين فيقول والله ان الامر كما اقول ولا اجادلك بالباطل لانه لو استدل بطريق آخر لقال خصمه فيه كقوله الاول فلا يبقى له الا السكوت او التمسك بالايمان وترك اقامة البرهان والثانى ان العرب كانت تحترز عن الايمان الكاذبة وتعتقد انها تخرب المنازل وتدع الديار بلاقع ثم انه عليه الصلاة والسلام كان يكثر الايمان ولم يزده ذلك الا رفعة او بيانا فعلمت العرب بذلك انه لا يحلف كاذبا والا لاصابته بشؤم الايمان نكبات المكروه فى بعض الازمان والثالث ان الايمان التى اقسم الله تعالى بها كلها دلائل خرجت فى صورة الايمان لينبه بها على كمال القدرة على الحكم المحلوف عليه فالمقصود بها الاستدلال على المحلوف عليه ولم تخرج فى صورة الدليل واخرجت مخرج الايمان لان المتكلم اذا شرع فى اول كلامه باليمين يعلم السامع انه يريد ان يتكلم بكلام عظيم فيصغى اليه تمام الاصغاء فبدأ بالحلف وادرج الدليل فى صورة اليمين حتى يقبل القوم على سماعه فظهر لهم البرهان المبين فى صورة اليمين (قوله وما موصولة) محذوفة العائد اى ان ما توعدون به من البعث لصادق اى لذو صدق على ان بناء فاعل للنسب كما مر لان الوعد لا يكون صادقا بل الصادق الواعد او مصدرية على معنى ان وعدكم لصادق اى لذو صادق كما اذا كانت موصولة والمصدرية لا تحتاج الى العائد (قوله ذات الطرائق) على ان الحبك بضمتين جمع حباك كمثال ومثل او جمع حبيكة كطريقة وطرق والحباك والحبيكة الطريقة فى الرمل ونحوه (قوله او النجوم فانها تزينها كما تزين الموشى طرائق وشبيه بعد قوله او يتوصل بها الى المعارف فان لها طرائق) هكذا فى بعض النسخ بين كون السماء ذات طريق معقولة مؤدية الى المعارف بقوله فان لها طرائق فان المعارف لها طرق تؤدى

وما موصولة او مصدرية (وان الدين) الجزاء (لواقع) لحاصل (والسماء ذات الحبك) ذات الطرائق والمراد اما الطرائق المحسوسة التى هى مسير الكواكب او المعقولة التى تسلكها النظار و يتوصل بها الى المعارف او النجوم فان لها طرائق او انها تزينها كما تزين الموشى طرائق الوشى جمع حبيكة كطريقة وطرق او حباك كمثال ومثل

كل واحدة من تلك الطرق اليهسا والسماء ذات تلك الطرق ثم قال او النجوم بالجر عطفا على الطرائق بناء على ماقاله الحسن البصرى من ان حبكهسا نجومها فتكون الحبك بمعنى الزينة والحسن قال الامام محيى السنه فى تفسيره ذات الحبك قال ابن عباس وقتادة وعكرمة ذات الخلق الحسن المستوى وقال سعيد بن جبير ذات الزينة وقال الحسن حبكت بالنجوم وقال الامام ابو الليث ثم اقسم الله عز وجل بالسماء ذات الحسن والجمال وقال على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه ذات الخلق الحسن انتهى وفى الصحاح حبك الثوب يحبكه بالكسر حبكا اى اجاد نسجه قال ابن الاعرابى كل شئ احكمته واحسنت عمله فقد حبكته فقوله تعالى ذات الحبك يعنى ذات الزينة التى هى النجوم فانهسا مزينة للسماء من حيث كونهسا على طرائق الوشى والوشى والشية كل لون يخالف معظم لون الحيوان والهاء فى شية عوض عن الواو الذاهبة من اوله كما فى عدة وقوله تعالى لاشية فيها اى ليس فيها لون يخالف سائر لونها يقال وشيت الثوب اشيه وشيا وشية فهو موشى وفى اكثر النسخ بعد قوله و يتوصل بها الى المعارف او النجوم فان لها طرائق او انها زينتها كما تزين الموشى طرائق الوشى فيكون ايضا اشارة الى ماقاله الحسن من ان حبكهسا نجومها و بيانا لوجه كون النجوم حبكا للسماء وهو ان الحبك ان كان بمعنى الطرائق فالنجوم لما وقعت فى مواقعها على طرائق كانت السماء المشتملة عليها ذات الطرائق وان كان بمعنى الزين فوجه كون السماء ذات النجوم ذات الحبك اى ذات الزين ظاهر لان النجوم زينة لها فالسماء المشتملة على النجوم تكون مشتملة على الحبك لامحالة الا ان كون قوله او النجوم مجرورا بالعطف على الطرائق فى قوله ذات الطرائق يستلزم كونه قسيما للطرائق وهو ينافى قوله فان لها طرائق وكونه مرفوعا بالعطف على الطرائق فى قوله والمراد بالطرائق يستلزم ان لاتكون الحبك بمعنى الزينة وهو ينافى قوله وانها تزينها و يمكن ان يختار كونه مجرورا و يجعل عطف النجوم من قبيل عطف العام على الخاص فان النجوم يجوز ان تعتبر من حيث كونها طرائق ومن حيث كونها زينة فيصح ان تجعل النجوم حبكا للسماء بمعنى انهسا طرائق فيها وبمعنى انها زينة لهسا (قوله وقرئ الحبك) بضم الحاء وسكون الباء وهو مخفف من الحبك بضمتين كرسل فى رسل والحبك بكسر الحاء والباء كالابل والحبك بكسر الحاء وسكون الباء كالسلك والحبك بفتحتين كالجبل جمع حبكة كعقبة فى عقب والحبك بكسر الحاء وفتح الباء كالنعم جمع نعمة والحبك بضم الحاء وفتح الباء كالبرق جمع حبكة بضمتين كبرقة و برق او حبكة بضم الحاء وسكون الباء كظلمة وظلم فهذه ست

وقرئ الحبك بالسكون كالقفل والحبك كالابل والحبك كالسلك والحبك كالجبل والحبك كالنعم والحبك كالبرق (انكم لفى قول مختلف) فى الرسول وهو قولهم تارة انه شاعر وتارة انه ساحر وتارة انه مجنون اوفى القرآن او القيامة اوامر الدين

قرأت ضم قراءة الجمهور وهي بضم الحاء والباء فالمجموع سبع قرآت (قوله ولعل النكتة في هذا القسم) مع ان عدم ثباتهم على قول واحد امر مقرر لا ينكره احد حتى يؤكد بالقسم الا انه اقسم عليه تعظيما للمقسم به من حيث كونه صالحا لبيان حال اقوالهم من اختلافها وتنافي اغراضها للاشتراك بينها وبين الحبك والطرائق في التباعد ذاتا ومؤدى كما ان القسم الاول لتعظيم المقسم به من حيث كونه صالحا لان يستدل به على المقسم عليه (قوله اذ لا صرف اشد منه) تعليل لقوله يصرف عنه من صرف باعتبار ان الصرف المدلول عليه بقوله من افك مطلق والمطلق يصرف الى الكمال كأنه قيل يصرف عنه من صرف الصرف الذي لا صرف اشد منه واعظم فعلل هذا المعنى بقوله اذ لا صرف اشد من الصرف عن الرسول او القرآن او الايمان وايضا الابهام المدلول عليه باسم الموصول يفيد المبالغة في الاتصاف بمضمون الصلة كما في قوله تعالى فغشيهم من اليم ما غشيهم وايضا لما قيل من افك ولم يذكر المأفوك عنه دل ذلك على ان المراد من المأفوك عنه ما يعم كل خير وسعادة فكأنه قيل يؤفك عنه من افك عن كل خير وسعادة وعلى هذا التقدير يكون الصرف المدلول عليه بقوله من افك عبارة عن الصرف الذي لا صرف اشد منه ولو لم يعتبر هذا المعنى لكان قوله تعالى يؤفك عنه من افك خاليا عن الفائدة مثل ان يقال يقتل المقتول ويضرب المضروب وقيل المعنى يصرف عنه الآن من حكم عليه في الازل بانه مأفوك عن الحق بعدم طاعته للرسول عليه الصلاة والسلام والقرآن وعدم الايمان بهما في جميع احكامهما الى القول المختلف والوجه الاول اولى لان كون احوال الكائنات مطابقة للقضاء السابق معلوم ليس في بيانه كثير فائدة وعلى الوجهين يكون المقصود ذم اصحاب القول المختلف بانهم مصروفون عن الحق وقيل انه مدح للمؤمنين والمعنى يصرف عن القول المختلف من صرف عن ذلك القول (قوله على معنى يصدر افك من افك عن القول الخ) اي على ان تكون كلمة عن للسببية بمعنى من اجل اي يصرف من صرف عن الايمان من اجل هذا القول المختلف وبسببه فانهم كانوا اذا رأوا احدا يريد ان يدخل في الايمان يقولون انه ساحر وكاهن ومجنون ومجادل يعلم طرق الجدال فيغلب من يجادله ويتكلم معه لا لاجل انه محق وان من نازعه مبطل جاحد للحق فيصرفونه بمثل هذه الاقوال المختلفة المتباينة عن الايمان (قوله ينهون عن اكله وشربه) يقال نهي الجمل ينهى اذا كان عريت في السمن بالغا نهايته وجمل نهي وناقة نهية اي صحيحة سمينة بالغة نهاية السمن والاذهاب [illegible] والعادة وقراءة الجمهور يؤفك عنه من افك على بناء

أو لعل النكتة في هذا القسم تشبيه أقوالهم في اختلافها وتنافي أغراضها بالطرائق للسموات في تباعدها واختلاف غاياتها (يؤفك عنه من أفك) يصرف عنه الضمير للرسول أو القرآن أو الإيمان من صرف إذ لا صرف أشد منه فكأنه لا صرف بالنسبة إليه أو يصرف من صرف في علم الله وقضائه ويجوز أن يكون الضمير للقول على معنى يصدر إفك من أفك عن القول المختلف وبسببه كقوله ينهون عن أكل وعن شرب أي يصدر تناهيهم عنهما وبسببهما وقرئ أفك بالفتح أي من أفك الناس وهم قريش كانوا يصدون الناس عن الإيمان (قتل الخراصون) الكذابون من أصحاب القول المختلف وأصله الدعاء بالقتل

كل واحد من الفعلين للمفعول وقرئ يؤفك عنه من افك على بناء الاول للمفعول والثانى للفاعل اى يصرف من صرف الناس عنه وقرئ يأفك عنه من افك على بناء الاول للفاعل والثانى للمفعول عكس ما تقدم اى يصرف الناس عنه من هو مأفوك فى نفسه (قوله اجرى مجرى اللعن) اى استعمل بمعنى لعن الكذابون تشبيها للملعون الذى يفوته كل خير وسعادة بالمقتول الذى تفوته الحياة وكل نعمة (قوله فى جهل يغمرهم) يقال غمره الماء يغمره اى علاه والغمرة الشدة حمله على شدة الجهل بشهادة المقام والخراص فى الاصل الذى لايجزم بامر ولايثبت عليه بل هو شاك متحير لايقول ماقاله الا جزافا وخرصا اى ظنا وتخمينا من غير يقين ولما كانت اللام فيه للعهد والمعهودون اصحاب القول المختلف وكانوا كذابين فيما يقولونه كان المعنى لعن الكذابون فيما يقولونه ثم وصفهم بانهم فى جهالة تغمرهم ساهون لاهون وكان المعنى لعن الكذابون فيما يقولونه والسهو ذهاب القلب عن الشئ (قوله ساهون) يحتمل ان يكون ساهون هو الخبر وفى غمرة ظرف له كقولك زيد فى بيته قاعد (قوله اى فيقولون متى يوم الجزاء) قدر القول المعطوف على يسألون لان قوله ايان يوم الدين جملة اسمية منقطعة التعلق عما قبلها الا بتقدير القول وايان ظرف زمان بمعنى متى يوم الجزاء كما ان اين ظرف مكان وايان مركب من اى التى للاستفهام وآن بمعنى الزمان فلذلك كان بمعنى متى فلما ركبا وجعلا اسما واحدا بنى على الفتح كبعلبك لما سمع المشركون قوله تعالى وان الدين لواقع سألوا فقالوا يامحمد ايان يوم الجزاء اى يوم القيامة قالوا ذلك تكذيبا منهم واستهزاء فلذلك لم يذكر جواب هذا الاستفهام لانه ليس لطلب الجواب وقوله تعالى يوم هم على النار يفتنون ليس جوابا له حقيقة حيث لم يتعين به ان المسئول عنه متى يقع لان جهلهم باليوم الثانى اقوى من جهلهم بالاول ولايجوز ان يكون الجواب بما هو اخفى من السؤال بل جئ به على صورة الجواب تهديدا لهم وتحقيرا (قوله اى وقوعه) لما كان ايان يوم الدين جملة ظرفية وكان يوم الدين مبتدأ وايان خبره وورد ان يقال ان ظرف الزمان لايكون خبرا عن الزمان كما لايقع خبرا عن الجثة فلا يقال زيد يوم الجمعة فكيف وقع ايان ظرفا لليوم والحين لايقع ظرفا للزمان وانما يقع ظرفا للحدث فلا يقال يوم كذا فى زمان كذا اشار المصنف الى جوابه بقوله اى وقوعه وتقريره انهم لم يسألوا بايان عن نفس زمان الجزاء فى اى زمان هو بل مرادهم زمان وقوع الجزاء متى هو فجعلوا الزمان ظرفا للحدث الذى هو الوقوع لا لنفس الزمان حتى يقال كيف يقع الزمان ظرفا للزمان فان عاد السائل وقال كما لايجوز ان يكون الزمان

اجرى مجرى اللعن (الذين هم فى غمرة) فى جهل يغمرهم (ساهون) غافلون عما امروا به (يسألون ايان يوم الدين) اى فيقولون متى يوم الجزاء اى وقوعه وقرئ ايان بالكسر (يوم هم على النار يفتنون) يحرقون جواب للسؤال

ظرفا لنفس الزمان فكذا لايجوز ان يكون ظرفا لوقوعه ايضا فلا يقال زمان جلوس زيد واقع في يوم كذا اوفي وقت كذا كما لايقال يوم كذا في وقت كذا يجاب عنه بان الزمان لما كان ظرفا للزمانيات المتجددة وكانت الحقيقة المتعينة من مطلق الزمان باضافتها الى الحدث المتجدد منزلة منزلة ما اضيفت هي اليه من الحدث في تجدده جاز ان يجعل الزمان ظرفا لتلك الحقيقة فيقال وقوع يوم الجزاء في اي زمان هو كما يقال جلوس زيد اي وقت هو ومن هذا القبيل قولهم يوم العيد او النيروز واقع في فصل كذا في سنة كذا كما يقال الجزء في الكل وهذا جواب تحقيق فلو اجيب به من اول الامر لصح وكان اقصر للكلام عن اعادة السؤال (قوله اي يقع يومهم) اشارة الى ان يوم منصوب على انه ظرف لعامل مضمر دل عليه كون السؤال عن زمان وقوعه وان حركته حركة اعراب (قوله اوهو يومهم) اشارة الى انه في محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وان حركته حركة بناء وانما بني لاضافته الى الجملة التي لايظهر فيها الاعراب فان الكوفيين يجوزون بناء الظرف وان اضيف الى الفعل المضارع او الجملة الاسمية وعند البصريين لايبنى الا ما اضيف الى فعل ماض كقوله على حين عاتبة وفسر يفتنون بقوله يحرقون لانه يقال فتنه بالنار اذا احرقه الجوهري الفتن الاحراق قال تعالى يوم هم على النار يفتنون ويقال فتنت الذهب والفضة بالنار اذا اذبتهما بالنار وعدى بعلى لتضمنه معنى يعرضون وقوله تعالى ذوقوا فتنتكم في موضع النصب على انه حال من ضمير يفتنون وقوله جواب السؤال اي جواب على منوال سؤالهم فكما انهم لم يسألوا سؤال مستفهم طالب للعلم كذلك لم يجابوا جواب معلم مبين لان جهلهم باليوم الذي يحرقون فيه بالنار اقوى من جهلهم بيوم الدين وما هو اخفى من المسؤل عنه كيف يصح ان يكون جوابا عنه فانهم لما قصدوا بما ذكروه في صورة الاستفهام الاستهزاء بما اوعدوا به قوبلوا بما هو في صورة الجزاء اهانة لهم وتحقيرا (قوله هذا العذاب هو الذي كنتم به تستعجلون) يعني ان قوله فتنتكم بمعنى عذابكم وان قوله هذا اشارة الى الفتنة لكونها بمعنى العذاب وان قوله هذا الذي كنتم به جملة اسمية ثم جوز ان يكون هذا في محل النصب على انه بدل من فتنتكم لكونه بمعنى عذابكم والمعنى ذوقوا هذا العذاب الذي كنتم به تستعجلون في الدنيا تكذيبا به وهو قولهم ربنا عجل لنا قطنا وقولهم فأتنا بما تعدنا ونظائره وقوله ايان يوم الدين من قبيل الاستعجال بصريح القول ويحتمل ان يكون المراد بالاستعجال الاستعجال بالفعل وهو اصرارهم على العناد واظهار الفساد فانه يعجل العقوبة ثم انه لما بين حال المجرمين بين بعده حال المتقين فقال ان المتقين في جنات وعيون

اي يقع يوم هم على النار يفتنون او هو يوم هم على النار يفتنون وفتح يوم لاضافته الى غير متمكن ويدل عليه انه قرئ بالرفع (ذوقوا فتنتكم) اي مقولا لهم هذا القول (هذا الذي كنتم به تستعجلون) هذا العذاب هو الذي كنتم به تستعجلون ويجوز ان يكون هذا بدلا من فتنتكم والذي صفته

(وقد مر)

(ان المتقين في جنات وعيون) ﴿ ٢٧١ ﴾ آخذين ما آتاهم (ربهم) قابلين لما اعطاهم راضين به ومعناه ان كل ما آتاهم

ربهم حسن مرضي متلقي بالقبول (انهم كانوا قبل ذلك محسنين) قد احسنوا اعمالهم وهو تعليل لاستحقاقهم ذلك (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) تفسير لاحسانهم وما مزيدة اي يهجعون في طائفة من الليل او يهجعون هجوعا قليلا او مصدرية او موصولة اي في قليل من الليل هجوعهم او ما يهجعون فيه ولا يجوز ان تكون نافية لان ما بعدها لا يعمل فيما قبلها وفيه مبالغات لتقليل نومهم واستراحتهم ذكر القليل والليل الذي هو وقت السبات والهجوع الذي هو الغرار من النوم وزيادة ما (وبالاسحار هم يستغفرون) اي انهم مع قلة هجوعهم وكثرة تهجدهم اذا اسحروا اخذوا في الاستغفار كانهم اسلفوا في ليلهم الجرائم وفي بناء الفعل على الضمير اشعار بانهم احقاء بذلك لوفور علمهم بالله وخشيتهم منه (وفي اموالهم حق) نصيب يستوجبونه على انفسهم تقربا الى الله واشفاقا على الناس

وقدم ان المتقي في عرف الشرع اسم لمن يقي نفسه عما يضره في الآخرة وله ثلاث مراتب الاولى التوقي عن العذاب المخلد بالتبري عن الشرك والثانية التجنب عن كل ما يؤثم والثالثة ان يتنزه عما يشغل سره عن الحق ويتبتل اليه بشراشره ومامن متق الا ويدخل الجنة ويتنعم بنعيمها (قوله تعالى آخذين) حال من المنوي في جنات ولما كان الاخذ عبارة عن التناول عن قصد ورغبة فسره بالقبول مع الرضى (قوله اي يهجعون في طائفة من الليل) ولم يصرح بقيد القلة اكتفاء عنه بقوله طائفة فانه للتقليل فعلى تقدير كون ما مزيدة يكون قوله يهجعون خبر كانوا ويكون قليلا منصوبا على الظرفية كما في قولك قام كل الليل او بعضه او قليله ويكون من الليل صفة قليلا اي يهجعون في طائفة قليلة كائنة من الليل وان جعلت ما مصدرية يكون المصدر الذي اول به الفعل مرفوعا على انه بدل من اسم كان وهو الواو بدل الاشتمال ويكون قليلا منصوبا على الظرفية اي كان في قليل من الليل هجوعهم وان كانت موصولة يكون بدلا ايضا من ضمير كانوا ويكون من الليل حالا من الموصول مقدما عليه ويكون قليلا خبر كان اي كان المقدار الذي يهجعون فيه قليلا حال كون ذلك المقدار من الليل ويجوز ان تكون ما الموصولة فاعل قليلا كأنه قيل قد قل المقدار الذي يهجعون فيه كائنا ذلك المقدار من الليل (قوله ولا يجوز ان تكون نافية) رد لمن جعل قليلا خبر كان وتم الكلام به على معنى كانوا من الناس قليلا كقوله وقليل ماهم وقليل من عبادي الشكور ثم ابتدأ بقوله ما يهجعون اي ما يهجعون من الليل ولا ينامون في الليل اصلا ووجه الرد ان ما النافية لها صدر الكلام فلا يعمل ما بعدها فيما قبلها فلا يبقى لقوله من الليل ما يتعلق به (قوله والليل الذي هو وقت السبات) وصف الليل به للاشارة الى وجه المبالغة في ذكر الليل فانه اذا قلت استراحتهم في وقت الاستراحة تكون استراحتهم في غاية القلة لان النهار ليس وقتا لها وفي الصحاح الغرار النوم القليل والهجعة النومة القليلة وكلمة ما تراد لتأكيد مضمون الجملة التي زيدت هي فيها وهي هنا زيدت في الجملة المخبر بها عن قلة هجوعهم فهي تؤكد تلك القلة وتحققها في مادتها فتكون من طرق المبالغة في تقليل نومهم (قوله وفي بناء الفعل على الضمير اشعار) وجه الاشعار ان تقديم الضمير وجعل الفعل خبرا عنه يفيد حصر الكلام اي هم الكاملون في الاستغفار دون غيرهم وذلك انما يكون لوفور علمهم بالله وكمال خشيتهم منه واستغفارهم اما قولي او فعلي بان يأتوا بعبادة تؤدي الى المغفرة (قوله يستوجبونه على انفسهم) اي يعدونه حقا واجبا عليهم ويشبهونه به في صدق عزيمتهم على ايصاله لهم كما يقال يستكثرونه لما يعدونه كثيرا

اى فيها دلائل من انواع المعادن والحيوان او وجوه دلالات من المد حو والسكون وارتفاع بعضها عن الماء واختلاف اجزائها فى الكيفيات والخواص والمنافع تدل على وجود الصانع وعلمه وقدرته وارادته ووحدته وفرط رحمته (وفى انفسكم) اى وفى انفسكم آيات اذ ما فى العالم شئ الاوفى الانسان له نظير يدل دلالته مع ماانفرد به من الهيئات النافعة والمناظر البهية والتركيبات العجيبة والتمكن من الافعال الغريبة واستنباط الصنائع المختلفة واستجماع الكمالات المتنوعة (افلا تبصرون) نظرون نظر من يعتبر (وفى السماء رزقكم) اسباب رزقكم اوتقديره وقيل المراد بالسماء السحاب وبالرزق المطر فانه سبب الاقوات (وماتوعدون) من الثواب لان الجنة فوق السماء السابعة او لان الاعمال وثوابها مكتوبة مقدرة فى السماء وقيل انه مستأنف خبره (فورب السماء والارض انه لحق)

والمقصود من توصيف الحق بذلك دفع مايقال كيف يمدح المرء بان يثبت فى ماله حق الفقراء اى نصيب اوجبه الله عليه فى ماله فان اغنياء المسلمين كلهم كذلك حيث اوجب الله تعالى عليهم الزكاة والعشر ونحوهما بل وعلى الكافر ايضا ان قلنا انه مخاطب بفروع الاسلام اذ فى ماله حق معلوم للفقراء غيرانه اذا اسلم سقط عنه فان مات هو قبل على تركه الاداء فكيف يكون ذلك صفة مدح لهم ووجه الدفع انليس المراد بالحق ما اوجبه الله تعالى عليهم فى اموالهم بل المراد مايؤثرون به الفقراء على انفسهم مع احتياجهم اليه شفقة على خلق الله تعالى ورغبة فيما عند الله من الاجر الباقى كانهم يوجبون ذلك على انفسهم و يجعلونه حقا ثابتا فى مالهم (قوله للمستجدى) اى لطالب الجدوى وهو العطاء والمتعفف الفقير الذى يكف نفسه عن المسئلة ويتكلفه يقال عف عن الحرام يعف اى كف نفسه عنه قوله اى فيها دلائل او وجوه دلالات) يعنى ان الآية يجوز ان تكون بمعنى الدليل وان تكون بمعنى الدلالة فعلى الاول يكون المعنى ان الارض فيها دلائل دالة على قدرة الله تعالى وحكمته وتدبيره ووحدانيته وهى المعادن والحيوانات والجبال والانهار والبحار وانواع النبات وغيرذلك وعلى الثانى ان الارض دليل واحد فيها وجوه دلالات على ماذكر وقوله تعالى آيات مبتدأ وفى الارض خبره قدم عليه وقوله وفى انفسكم عطف على فى الارض والمبتدأ محذوف اى وفى انفسكم آيات فالضمير المنوى فى انفسكم كالمنوى فى خبر المبتدأ وان رفعت آيات على انها فاعل قوله فى الارض على ما ذهب اليه الاخفش فانه يجوز اعمال الظرف وان لم يعتمد كان الضمير فى قوله وفى انفسكم كالضمير فى الفعل فى نحو قولك قام زيد وقعد اوقام زيد وقعد والآيات الثابتة فى الانفس ايضا اما بمعنى الدليل اذ ما فى العالم شئ الاوفى الانسان له نظير يدل دلالته او بمعنى وجوه الدلالات من الهيئات النافعة والمناظر البهية (قوله اسباب رزقكم) من الشمس والقمر وسائر الكواكب واختلاف المطالع والمغارب الذى يترتب عليه اختلاف الفصول التى هى مبادى حصول الارزاق فعلى هذا تكون السماء بمعنى القبة الخضراء (قوله اوتقديره) فان الارزاق كلها مقدرة من السماء ولولا السماء لما حصل فى الارض حبة قوت بين الله تعالى قدرته التامة ليستدل بها على قدرته على البعث ورتب الآيات الثلاث ترتيبا حسنا فان الانسان لابدله من امور تسبقه فى الوجود ومن امور تقارنه فى الوجود ومن امور تلحقه بعد وجوده فالارض التى هى المكان لابد من سبقها لوجود الانسان فيها فبدأ بذكرها فقال وفى الارض آيات ثم ذكر من الآيات ما يقارنه فى الوجود من الاجزاء والاعراض فقال وفى انفسكم ثم ذكر ما يلحقه بعد

ويحتاج اليه فى بقائه فقال وفى السماء رزقكم وما توعدون من الخير والشر فان الثواب والعقاب والخير والشر كل ذلك مكتوب فى اللوح وهو فى السماء وكتب فيه من الجنة ومن النار فالمعنى ان ما ترزقونه فى الدنيا وما توعدونه فى العقبى كل ذلك مقدر مكتوب فى اللوح وهو فى السماء (قوله اى مثل نطقكم) يوهم ان ما فى مثل ما انكم مصدرية وليست كذلك لانها انما تكون مصدرية اذا وقع بعدها فعل ليكون معها فى تأويل المصدر ولا فعل معها ههنا بل هى مزيدة للتأكيد وانكم تنطقون بعدها فى محل الجر لاضافة المثل اليها وان مع ما فى حيزها فى تأويل المفرد لوقوعها موقع المفرد والمصنف اشار اليه بقوله اى مثل نطقكم شبه الله تعالى تحقق ما اخبر عنه بتحقق نطق الآدمى ووجوده وهذا كما تقول انه لحق كما انك ههنا وانه لحق كما انك تتكلم والمعنى انه فى صدقه وتحققه كالشئ الذى تعرفه فان قيل الفاء تستدعى كون ما بعدها واقعا عقيب امر متقدم عليها كالامر المتقدم فى قوله تعالى فورب السماء اجيب عنه اولا بان الامر المتقدم ههنا هى الآيات المذكورة كأنه قيل انما توعدون لحق بالبرهان المبين ثم بالقسم واليمين وثانيا بان الامر المتقدم هو القسم المذكور بقوله والذاريات فالفاء ههنا هى الفاء العاطفة لوقوع الفصل بين القسمين اقسم اولا بالمخلوقات وههنا بها ترقيا من الادنى الى الاعلى (قوله ونصبه على الحال) يعنى ان نصبه اما على انه حال من الضمير فى لحق واما على انه صفة مصدر محذوف وقيل ان حركته حركة بناء فى محل الرفع على انه صفة لحق وبنى على الفتح لاضافته الى غير متمكن كما بنيت غير لذلك فى قوله

لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت ۞ حمامة فى غصون ذات اوقال

فان غير هنا فى محل الرفع على انه فاعل لم يمنع مبنية على الفتح لاضافتها الى ان نطقت ونحوه لقد تقطع بينكم فيمن قرأ بالفتح وقيل سبب بنائه مثل تركبه مع ما وما حرف فخرج عن كونه محل الاعراب بالتركيب فبنى لذلك (قوله وهو ما ان كانت بمعنى شئ) جوز فى ما امرين كونها زائدة للتأكيد وكونها نكرة موصوفة وفى الثانى نظر لعدم كون الوصف المذكور ههنا فان قال هو محذوف والتقدير مثل شئ حق اعنى انكم تنطقون او هو انكم تنطقون على ان يكون انكم تنطقون فى موضع النصب باعنى او فى موضع الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف قلنا الاصل عدم الحذف فلا يصار اليه من غير ضرورة وايضا قد نصوا على ان هذه الصفة لا تحذف لابهام موصوفها فالوجه ان تكون ما زائدة للتأكيد ويكون انكم تنطقون فى موضع الجر بالاضافة (قوله على انه صفة لحق) فان قيل كيف يصح ان يجعل مثل صفة للنكرة مع انه معرفة

(مثل ما انكم تنطقون) اى مثل نطقكم كما انه لا شك لكم فى انكم تنطقون ينبغى ان لاتشكوا فى تحقق ذلك ونصبه على الحال من المستكن فى لحق او الوصف لمصدر محذوف اى انه لحق حقا مثل نطقكم وقيل انه مبنى على الفتح لاضافته الى غير متمكن وهو ما ان كانت بمعنى شئ وان بما فى حيزها ان جعلت زائدة ومحله الرفع على انه صفة لحق ويؤيده قراءة حمزة والكسائى وابى بكر بالرفع

بالاضافة الى المعرفة تقديرا لانه فى تقدير مثل نطقكم قلنا كلة مثل لتوغلهـا فى الابهام لاتتعرف بالاضافة الى المعرفة فصح وقوعها صفة للنكرة مع كونها مضافة الى المعرفة كما هو كذلك فى قرآءة من قرأ مثل ما انكم برفع مثل فانه صفة لحق و ما مزيدة ويجوز ان يكون ارتفاعه على انه خبر ثان مستقل كالاول اوعلى انه مع ماقبله خبر واحد كقولك هذا حلو حامض نقلهما ابو البقاء وعن الاصمعى انه قال اقبلت من جامع البصرة فطلع اعرابى على قعود فقال ممن الرجل قلت من بنى اصمع قال من اين اقبلت قلت من موضع يتلى فيه كلام الرحمن فقال اتل على فتلوت والذاريات ذروا فلما بلغت قوله تعالى وفى السماء رزقكم قال حسبك فقام الى ناقته فنحرها ووزعها على من اقبل وادبر وعمد الى سيفه وقوسه فكسرهما وولى فلما حججت مع الرشيد طفقت اطوف فاذا انا بمن يهتف الى بصوت ضعيف رقيق فالتفت فاذا انا باعرابى قد نحل واصفر فسلم على واستقرأنى السورة فلما بلغت الآية صاح وقال قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ثم قال فهل غير هذا فقرأت فورب السماء والارض انه لحق فصاح وقال ياسبحان الله من ذا الذى اغضب الجليل حتى حلف ولم يصدقوه بقوله حتى الجأوه الى اليمين قالها ثلاثا وخرجت معها نفسه كذا فى الكشاف (قوله فيه تفخيم لشأن الحديث) حيث قرر اتيانه بالاجمال ثم فصله بقوله اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما الى آخر القصة فان هل اتاك استفهام معناه التقريب والتعجب والتشويق الى سماعه كما ذكره المصنف فى تفسير قوله تعالى فى ص هل اتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب وهذا الاسلوب انما يختار اذا كان الحديث الآتى مماله فخامة وشأن عجيب (قوله وتنبيه على انه اوحى اليه) اى على انه ليس مما يعلمه بنفسه بل انما عرفه بان اوحى اليه فهو صادق فى دعوى الرسالة حيث يخبر عن الامور الماضية كما وقعت من غير مطالعة كتب التواريخ ولامصاحبة اصحابها فلا سبيل للاخبار عنها الا انه اوحى اليه ذلك فيكون كل ما اخبر به من امر البعث وغيره حقا مطابقا للواقع لان صاحب الوحى لاينطق عن الهوى فيكون اتيان ذلك الحديث اليه عليه الصلاة والسلام واخباره به من جملة الآيات الدالة على حقية البعث فعلم من هذا التقرير وجه ارتباط الآية بما قبلها كأنه قيل افلا ينظر اصحاب القول المختلف الى ما يدل على صدقه عليه الصلاة والسلام فى دعوى الرسالة فيؤمنوا به و بحقية جميع ماجاء به عن ربه وفيه تسلية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وابعاد لمكذبيه حيث بين فيه انه عليه الصلاة والسلام ليس اول من خالفه قومه من الانبياء و بين فيه ايضا هلاك قوم لوط بسبب تكذيبهم اياه عليه الصلاة والسلام

(هل اتاك حديث ضيف ابراهيم) فيه تفخيم لشأن الحديث وتنبيه على انه اوحى اليه والضيف فى الاصل مصدر ولذلك يطلق للواحد والمتعدد قيل كانوا اثنى عشر ملكا وقيل ثلاثة جبريل وميكائيل واسرافيل وسماهم ضيفا لانهم كانوا فى صورة الضيف (المكرمين) اى مكرمين عندالله تعالى او عند ابراهيم اذ خدمهم بنفسه وزوجته

وقال الامام النسفي و جه انتظام هذه الآية بما قبلها ان ايراد قصة الخليل ولوط عليهما السلام لكونها توطئة لما ذكر في آخر القصة من قوله و تركنا فيها آية كأنه قيل من الآيات الواقعة في الارض مابقي من آثار قوم لوط المهلكين بسبب كفرهم و مخالفة نبيهم (قوله ظرف للحديث) كما ذكره بعض الادباء من ان نحو القصة و النبأ والحديث والخبر يجوز اعمالها في الظرف خاصة وان لم ترد بمعنى المصدر كما في هذه الآية وفي قوله تعالى وهل اتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب والسر في جواز اعمالها مع انها ليست بمعنى المصدر تضمن معانيها الحصول والكون وقوله اوالضيف لانه في الاصل مصدر ضافه اي نزل به ضيفا ولذلك استوى فيه الواحد والمتعدد اوللمكرمين اذا فسر بانهم مكرمون عند ابراهيم كأنه قيل اكرموا اذ دخلوا عليه ولا يجوز انتصابه باتاك لاختلاف الزمانين (قوله اي نسلم عليكم سلاما) يعني ان مبنى النصب كونه مصدرا مؤكدا لفعله المحذوف ومبنى الرفع كونه مبتدأ حذف خبره وجاز الابتداء بالنكرة لتخصيصها بالتقدم والسلم بكسر السين و سكون اللام بمعنى السلام (قوله وقرئ منصوبا) اي وقرئ فقالوا سلاما قال سلما كما قرئ قال سلاما (قوله اي انتم قوم منكرون) اي قوم لانعرفكم يقال نكرت الرجل بكسر الكاف نكرا وانكرته واستنكرته اذا لم تعرفه فالكل بمعنى واحد وانما قال لهم ذلك لانه رأى لهم حالا و شكلا على خلاف حال الناس وشكلهم فدل ذلك على انهم ليسوا من قومه فقال لهم ذلك اولانه عليه الصلاة والسلام كان بين اظهر قوم كافرين لايحيي بعضهم بعضا بما هو علم الاسلام فلما سمع منهم ما لم يسمعه من اهل زمانه نكرهم فقال لهم ذلك ويجوز ان يكون هذا منه تعرفا عن حالهم كأنه قال انتم قوم لانعرفكم من انتم وعن ابن عباس انه عليه الصلاة والسلام قال في نفسه هؤلاء قوم لانعرفهم فان قيل قال تعالى في سورة هود فلما رأى ايديهم لاتصل اليه نكرهم فدل ذلك على ان انكاره عليه الصلاة والسلام حصل بعد تقريب العجل اليهم وقال ههنا فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون ثم قال فراغ الى اهله بفاء التعقيب وذلك يدل على ان تقريب الطعام اليهم كان بعد حصول انكاره فاوجه التوفيق فالجواب ان الانكار الذي كان قبل تقريب العجل غير الانكار الحاصل بعده فان الانكار الحاصل قبله بمعنى عدم العلم بانهم من اي بلدة ومن اي قوم والانكار الحاصل بعده بمعنى عدم العلم بانهم دخلوا عليه بقصد الخير او الشر فان من امتنع من تناول طعام اهل البيت يخاف من شره ولم يؤمن من ضرره فان عادة من يجيء

(اذ دخلوا عليه) ظرف للحديث او الضيف اوالمكرمين (فقالوا سلاما) اي نسلم عليكم سلاما (قال سلام) اي عليكم سلام عدل به الى الرفع بالابتداء لقصد الثبات حتى تكون تحيته احسن من تحيتهم وقرئا مرفوعين وقرأ حمزة والكسائي قال سلم وقرئ منصوبا والمعنى واحد (قوم منكرون) اي انتم قوم منكرون وانما انكرهم لانه ظن انهم بنوآدم ولم يعرفهم اولان السلام لم يكن تحيتهم فانه علم الاسلام وهو كالتعرف عنهم (فراغ الى اهله) فذهب اليهم في خفية من ضيفه فان من ادب المضيف ان يبادر بالقرى حذرا من ان يكفه الضيف اويصير منتظرا (فجاء بعجل سمين) لانه كان عامة ماله البقر (فقربه اليهم) بان وضعه بين ايديهم

(قال الا تأكلون) اي منه وهو مشعر بكونه حنيئذاً والهمزة فيه للعرض والحث على الاكل على طريقة الادب ان قاله اول ماوضعه وللانكار ان قاله حيث مارأى اعراضهم ﴿٢٧٦﴾ (فأوجس منهم خيفة) فاضمر

منهم خوفا لما رأى اعراضهم عن طعامه لظنه انهم جاؤه بشر وقيل وقع في نفسه انهم ملائكة ارسلوا للعذاب (قالوا لاتخف) انا رسل الله قيل مسح جبرائيل العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بامه فعرفهم وأمن منهم (وبشروه بغلام) هو اسحق صلى الله تعالى عليه وسلم (عليم) يكمل علمه اذا بلغ (فاقبلت امرأته) سارة رضي الله تعالى عنها الى بيتها وكانت في زاوية تنظر اليهم (في صرة) في صيحة من الصرير ومحله النصب على الحال او المفعول ان اول اقبلت بأخذت (فصكت وجهها) فلطمت باطراف الاصابع جبهتها فعل المتعجب وقيل وجدت حرارة دم الحيض فلطمت وجهها من الحياء (وقالت عجوز عقيم) اي انا عجوز عاقر فكيف ألد (قالوا كذلك) مثل ذلك الذي بشرنا به (قال ربك)

وانما نخبرك به عنه (انه هو الحكيم العليم) فيكون قوله حقا وفعله محكما (قال فما خطبكم ايها المرسلون) (لما علم) انهم ملائكة عليه وعليهم السلام وانهم لاينزلون مجتمعين الالامر عظيم سأل عنه (قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين)

الشر والضرر ان لايتناول من طعام من يريد اضراره (قوله اي منه) لان المقصود ليس عرض جنس الاكل والحث عليه بل المقصود عرض الاكل مما قربه اليهم فلما كان منه مقدرا كان فيه اشعار بكون العجل حينئذ اي مشويا كما صرح به في موضع آخر فقال بعجل حنيذ (قوله فقام يدرج) اي يمشي ويمضي لسبيله يقال درج دروجا اي مشى ودرّج اي مضى لسبيله (قوله الى بيتها) لما تكلموا في زوجها بولادتها استحيت واعرضت عنهم فذكر الله تعالى ذلك بلفظ الاقبال الى البيت ولم يذكره بلفظ الادبار عن الملائكة (قوله تعالى في صرة) حال من فاعل اي اقبلت كائنة في صرة وقيل لم يكن هناك اقبال من مكان الى مكان بل اقبلت ههنا بمعنى اخذت وجلست يقال اقبل يفعل كذا بمعنى اخذ يفعل كذا فعلى هذا يكون في صرة في محل النصب على انه خبر فعل المقاربة وسماه المصنف مفعولا تشبيها بالمفعول وقد مر في سورة الحجرات ان افعال المقاربة ترفع الاسم وتنصب الخبر مثل كان والصرة الصيحة الشديدة يقال صر يصر صرا اذا صوت ومنه صرير الباب والقلم والصرة ايضا الجماعة وبها فسرها بعضهم اي فاقبلت في جماعة من النساء كن عندها وهي واقفة متهيئة للخدمة واختلف في حقيقة الصك فقيل هو الضرب باليد مبسوطة وقيل هو ضرب الوجه باطراف الاصابع فعل المتعجب وهي عادة النساء اذا انكرن شيأ والصك في الاصل ضرب الشيء بالشيء العريض والعاقر المرأة التي لاتحبل ويوصف به الرجل ايضا اذا لم يولد له والعقيم بمعناه وكانت سارة عقيما لم تلد قط فلما لم تلد في صغرها وعنفوان شبابها ثم كبر سنها وبلغت سن اليأس استبعدت ذلك وتعجبت فقالت عجوز عقيم اي انا عجوز ومع ذلك كنت في الشباب عقيما فكيف ألد وكانت يومئذ بنت ثمان وتسعين سنة وكان ابراهيم عليه الصلاة والسلام يومئذ ابن تسع وتسعين سنة وقيل لما تعجبت قال لها جبريل عليه السلام انظري الى سقف بيتك فنظرت وكانت جذوعه من النخل اليابسة فاذا هي مورقة مثمرة فقال لها اتعجبين من امر الله ومثل هذا يكون بامر الله تعالى (قوله مثل ذلك الذي بشرنا به قال ربك) يعني ان الكاف في كذلك في محل النصب على انه صفة لمصدر قال ربك اي لاتستبعدي مابشرنا به فانه تعالى قال مثل ما اخبرناك به وهو العليم القدير (قوله سأل عنه) اي عن الامر العظيم الذي كان سببا لنزولهم مجتمعين فان الخطب انما يستعمل في الامر العظيم والفاء فيه للتعقيب اي بعد

ما علمت انكم ملائكة وان الملائكة لاينزلون الا لامر عظيم لانهم عباد مكرمون عندالله تعالى فلا يرسلهم الا لامر عظيم فما ذلك الامر وقوله تعالى لنرسل عليهم حجارة استدل به على وجوب الرجم بالحجارة على اللائط وقوله مسومة منصوب على انه صفة حجارة اوعلى انه حال من المنوى فى قوله من طين اومن حجارة وحسن ذلك لكون النكرة موصوفة بالجار والمجرور بعدها اى حال كونها مرسلة من خزانة الله تعالى اومعلمة قيل مكتوب على كل حجر منهما اسم صاحبه وقوله عند ربك ظرف لمسومة واللام فى المسرفين لتعريف العهد اى مسومة لهؤلاء المسرفين لالكل مسرف فيكون من وضع الظاهر موضع الضمير للاشارة الى علة اعدادها لهم واسرافهم فاحشتهم التى قال تعالى فى حقها ما سبقكم بها من احد من العالمين (قوله تعالى فاخرجنا من كان فيها) اى بان كنا سببا لخروجهم حيث قلنا له عليه الصلاة والسلام فأسر باهلك بقطع من الليل وفيه دليل على انه ببركة المحسن ينجو المسيء فان القرية مادام فيها المؤمنون لم تهلك (قوله غير اهل بيت) يعنى لوطا وبنيه ولما وصفهم الله تعالى بالايمان والاسلام جميعا استدل به على اتحادهما وهو ضعيف لان صدق الناطق والضاحك مثلا على الانسان لايدل على اتحاد مفهوميهما لكن يدل على انهما صفتا مدح والايمان فى اللغة عبارة عن التصديق مطلقا قال تعالى حكاية عن اخوة يوسف وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين اى بمصدق فيما حدثنا وفى الشرع عبارة عن التصديق الخاص وهو تصديق الرسل فى جميع ما علم مجيئه به ضرورة اى فى جميع ما علم كونه من الدين ضرورة وهو فعل القلب واما افعال الجوارح فهى فروع الايمان وثمراته اللازمة له المتفرعة عليه فالايمان يستتبع الاسلام الذى هو فعل الجوارح فكل مؤمن مسلم من غير عكس فان المنافق مسلم وليس بمؤمن قال تعالى قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا فظهر ان المسلم اعم من المؤمن واطلاق العام على الخاص لايدل على اتحاد مفهوميهما (قوله وتركنا فيها) اى فى قرى قوم لوط معطوف على قوله فاخرجنا من كان فيها اى فاخرجناهم منها ثم اهلكناها وما ابقينا منها الا آية اى علامة تدل على انا اهلكناها واختلف فى ان الآية ماهى فقيل هى ماء اسود منتن انشقت ارضهم وخرج منها ذلك وقيل هى ما فيها من الحجارة الملقاة المنضودة التى رجموا بها وقيل الآية نفس القرية وجعل اعلاها اسفلها قال السدى ومقاتل كانوا ستمائة الف فادخل جبريل عليه الصلاة والسلام جناحه تحت الارض فاقتلعها ورفعها حتى سمع اهل السماء صوتهم ثم قلبها ثم ارسل عليها الحجارة ثم تتبعت الحجارة شذاذهم ومسافريهم واصبح ابراهيم

ونقسو ن قوم لوط (لنرسل عليهم حجارة من طين) يريد السجيل فانه طين تحجر (مسومة) مرسلة من اسمت الماشية اومعلمة من السومة وهى العلامة (عند ربك للمسرفين) المجاوزين الحد فى الفجور (فاخرجنا من كان فيها) فى قرى قوم لوط واضمارها ولم يجر ذكرها لكونها معلومة (من المؤمنين) ممن آمن بلوط (فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين) غير اهل بيت من المسلمين واستدل به على اتحاد الايمان والاسلام وهو ضعيف لان ذلك لايقتضى الاصدق المؤمن والمسلم على من اتبعه وذلك لايقتضى اتحاد مفهوميهما لجواز صدق المفهومات المختلفة على ذات واحدة (وتركنا فيها آية) علامة

(للذين يخافون العذاب الاليم) فانهم المعتبرون بها وهي تلك الاحجار او صخر منضود فيها او ماء اسود منتن (وفي موسى) عطف على وفي الارض او وتركنا فيها على معنى وجعلنا وفي موسى كقوله علفتها تبنا وماء باردا (اذ ارسلناه الى فرعون بسلطان مبين) هو معجزاته كاليد والعصا (فتولى بركنه) فاعرض عن الايمان به كقوله ونأى بجانبه او فتولى بما كان يتقوى به من جنوده وهو اسم لما يركن اليه الشيء ويتقوى به وقرئ بضم الكاف (وقال ساحر) اي هو ساحر (او مجنون) كأنه جعل ما ظهر عليه من الخوارق منسوبا الى الجن وتردد في انه حصل ذلك باختياره وسعيه او بغيرهما (فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم) فاغرقناهم في البحر (وهو مليم) آت بما يلام عليه من الكفر والعناد والجملة حال من الضمير في فأخذناه

عليه الصلاة والسلام جالسا في مسجده فرأى الدخان ساطعا و بين ابراهيم و بينهم اربعة فراسخ فلما رأى الدخان علم ان العذاب نزل بهم (قوله فانهم المعتبرون بها) علة لتخصيص الخائفين بكون تلك الآية عبرة لهم فان تلك الآية تدل على انه تعالى اهلك اهلها بشوءم كفرهم ومعصيتهم فيخافون مثل عذابهم فيجتنبون عما هو سبب لهلاكهم (قوله او وتركنا فيها) الظاهر ان يقال او على قوله فيها باعادة الجار لان المعطوف عليه ضمير مجرور وقد تقرر في النحو انه اذا عطف على الضمير المجرور اعيد الخافض مثل مررت بك و بزيد الا ان عطفه على ضمير فيها لما استلزم كون الجار الثاني متعلقا بتركنا نبه عليه بزيادة تركنا فقال او وتركنا فيها الا ان المتعلق في الحقيقة هو الجعل المحذوف المدلول عليه بقوله وتركنا لان الترك بمعنى الجعل (قوله كقوله علفتها تبنا وماء باردا) اوله * لما حططت الرحل عنها واردا قوله واردا حال من فاعل حططت والمعنى علفتها تبنا وسقيتها ماء باردا حذف المعطوف وابقى العاطف اعتمادا على دلالة ما يدل عليه لان الماء لا يكون معلوفا بل هو مشروب وكذا قوله في موسى لا يصح ان يتعلق بتركنا اذلا يستقيم ان يقال تركنا في موسى كما يصح ان يقال تركنا في قرى قوم لوط آية لان ترك الشيء في الشيء ينبئ عن ابقائه فيه وهو يستلزم بقاء الشيء الثاني فاذا لم يبق موسى فكيف يبقى ما ترك فيه فيجب ان يكون المعنى وجعلنا في موسى اي في قصته وارساله الى فرعون وانجائه مما لحق فرعون وقومه من الغرق آية وهذه الآية تدل على ان من خالف الرسول لا يفلح ابدا فكيف تجترئون على مخالفة نبيكم وتدل ايضا على كمال علمه تعالى وقدرته وتدبيره في خلقه على ما تقتضيه الحكمة فكيف لا تنظرون نظر من يعتبر فتعرفون قدرته على البعث وما فيه من الحكمة واذ ظرف لجعلنا المقدر على الوجه الثاني اوللآيات المقدرة على الوجه الاول اي وفي موسى آيات كافية للاعتبار في وقت ارسالنا اياه (قوله فاعرض عن الايمان به) بيان لحاصل المعنى لان التولي بمعنى الاعراض والركن بمعنى الطرف والجانب والمراد به نفسه فانه كثيرا ما يعبر بطرف الشيء وجانبه عن نفسه والباء في بركنه للتعدية كما في قوله تعالى ونأى بجانبه فانها معدية لنأى بمعنى بعد وفي الوجه الثاني يكون الركن مستعارا للجنود تشبيها لهم بركن البناء من حيث ان كل واحد منهما يعتمد عليه ويتقوى به فعلى هذا تكون الباء للسببية او للمصاحبة اي فاعرض بسبب من كان يتقوى بهم من جنوده في ملكه او فاعرض ومعه اركان ملكه (قوله كأنه جعل ما ظهر عليه من الخوارق منسوبا الى الجن) مبني على ان يكون ما ظهر من يد الساحر ايضا

من آثار الجن ولغطا لهم كما ان ماظهر من يد المجنون كذلك والفرق بينهما ان الساحر بقصد الجن و يأتيهم باختياره بخلاف المجنون فان الجن يأتونه من غير مشيئته واختياره وقيل كلمة او ههنا بمعنى الواو لانه قالهما جميعا قال تعالى حكاية عنه انهذا لساحر عليم وقال في موضع آخر ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون (قوله تعالى وفي عاد) اى وفي قوم هود آيات ان كان معطوفا على قوله وفي الارض اووجعلناهم آية ان كان معطوفا على قوله و تركنا فيها وكذا قوله وفي ثمود قوم صالح فانه ايضا على احدهذين الوجهين (قوله سماها عقيما) يعني ان العقيم هي المرأة التي لاتلد وسمى الريح التي لاتنشئ سحابا مطرا ولاتنبت نباتا ولاتلقح شجرا عقيما اما لكونها سبباً فى هلاك من ارسلت هي عليهم فيكون تسميتها به من قبيل توصيف السبب بوصف المسبب اوللتشبيه بالمرأة العقيمة من حيث انها لاتنتج فائدة (قوله وهي الدبور) يعني اختلف في الريح العقيم التي ارسلت عليهم فقال ابن عباس رضي الله عنهما هي الدبور وقال على رضي الله تعالى عنه هي النكباء وقال سعيد بن المسيب هي الجنوب والاول اصح لقوله عليه الصلاة والسلام نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور والرياح اربع الدبور والصبا والجنوب والشمال فالدبور ما تهب من جانب المغرب والصبا ماتهب من جانب المشرق والجنوب ماتهب عن يمين من يتوجه الى المشرق والشمال ماتهب من جانب يساره والنكباء اسم مشترك يطلق على كل ريح تهب مما بين هذه الرياح الاربع سميت نكباء لكونها ناكبة اى عادلة مائلة عن مهاب اصول الرياح و النكباء ايضا اربع فنكباء الصبا والجنوب تسمى الازيب ونكباء الصبا والشمال تسمى الصابية وتسمى النكيباء ايضا وهو من قبيل التصغير على قصد التكثير لانهم يستبردونها جدا و نكباء الشمال والدبور قرة اى باردة و تسمى الجربياء و نكباء الجنوب والدبور حارة تسمى الهيف قال ابن عباس رضي الله عنهما كانت الريح تحمل البعير والشدة والعبد والامة فتلقيه بالوادى ولم تضر غريبا ليس منهم وكانت العمالقة تجيء الوادى تنظر اليهم فلم تضرهم شيئا (قوله تفسيره قوله تعالى تمتعوا فى داركم ثلاثة ايام) يعني ان المراد من الحين المذكور في هذه الآية هذه المدة التي امهلهم الله تعالى فيها بعد ماعقروا الناقة وهي ثلاثة ايام وقد تغيرت الوانهم في تلك المدة فاصفرت في اليوم الاول واحمرت فى الثانى واسودت في الثالث وقيل هذا ضعيف لان قوله فعتوا عن امر ربهم بحرف الفاء دليل على ان العتو كان بعدما قيل لهم تمتعوا حتى حين فلو كان معنى هذا القول تمتعوا الى انقضاء ثلاثة ايام وعند انقضائها تأخذكم الصاعقة التي هي الهلاك

(وفي عاد اذا ارسلنا عليهم الريح العقيم) سماها عقيما لانها اهلكتهم وقطعت دابرهم اولانها لم تتضمن منفعة وهي الدبور او الجنوب او النكباء (ما تذر من شيء اتت عليه) مرت عليه (الا جعلته كالرميم) كالرماد من الرم وهو البلى و التفتت (وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين) تفسيره قوله تمتعوا فى داركم ثلاثة ايام

بصيحة جبريل عليه الصلاة والسلام بسبب استكباركم عن امتثال امر ربكم وهو قوله تعالى هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في ارض الله ولا تمسوها بسوء فان سنة الله تعالى قدجرت على ان لايمهل قوما اصروا على الكفر بعد ظهور ما اقترحوه من المعجزة وقد خرجت الناقة من الصخرة الصماء بسبب اقتراحهم اياها فلما لم يؤمنوا بعد ماعاينوا خروجها منها وجبت عليهم العقوبة العاجلة فقيل لهم تمتعوا في داركم ثلاثة ايام فكيف يصح ان يحكى عنهم انهم عتوا عن امر ربهم بعدما قيل لهم ذلك بل الظاهر ان يفسر الحين بمنتهى الاجل المقدر للناس وان يكون المعنى تمتعوا حتى حين بشرط امتثالكم ماامركم الله تعالى به وهو ان لا تمسوها بسوء وان تتركوها على حالها ولا تزاحموها في شربها ومرعاها فانكم ان امتثلتم هذا الامر تمتعتم وعشتم زمانا مديدا على حسب ماقدر الله تعالى من الآجال والايأخذكم عذاب اليم وعقاب عاجل فعقروها وعتوا عن امر ربهم فجاءت عقوبتهم قال الامام ابو الليث في تفسير قوله تعالى اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين يعني قال نبيهم صالح عليه الصلاة والسلام عيشوا الى منتهى آجالكم ولاتعصوا امر الله تعالى فعتوا عن امر ربهم يعني تركوا طاعة ربهم فاخذتهم صيحة العذاب وهذا التضعيف والاشكال انما يرد ان لو جعل قوله تعالى فعتوا عن امر ربهم معطوفا على مجرد قوله قيل لهم تمتعوا واما اذا جعل تفسيرا وتفصيلا لما اجمل في قوله وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين من قصة اهلاكهم فلا ضعف ولا اشكال فان تقدير قوله تعالى وفي ثمود وفي اهلاك ثمود ايضا آية وقوله فعتوا عن امر ربهم تفسير لقصة اهلاكهم وتفصيل لها كالفاء التي في قوله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب ان ابني من اهلي فانه قد مر مرارا ان الفاء العاطفة للجمل قد تفيد كون المذكور بعدها كلاما مرتبا على ماقبلها في الذكر لاان مضمون مابعدها مرتب على مضمون ماقبلها في الزمان فان ذكر تفصيل المجمل انما يصح بعد جري ذكره ومن هذا الباب عطف تفصيل المجمل على المجمل كقوله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب ان ابني من اهلي (قوله فاستكبروا عن امتثاله) اشارة الى وجه تعدية فعل العتو بكلمة عن مع انه قدعدي بكلمة على في قوله تعالى ايهم اشد على الرحمن عتيا وحاصله ان فيه معنى الاستكبار فعدي تعديته قال تعالى لا يستكبرون عن عبادته وحيث استعمل بعلى يكون كقولك فلان يتكبر علينا (قوله اي العذاب) الصاعقة في اللغة نار تسقط من السماء في رعد شديد استعيرت هنا لصيحة العذاب اي للعذاب المهلك من اي نوع كان والصعقة الغشية والموت يقال صعق الرجل صعقة اي غشي عليه وقال تعالى فصعق من في السموات اي مات قيل المراد

(فعتوا عن امر ربهم) فاستكبروا عن امتثاله (فاخذتهم الصاعقة) اي العذاب بعد الثلاث وقرأ الكسائي الصعقة وهي المرة من الصعق

مهنا الموت بصيحة جبريل عليه الصلاة والسلام (قوله وهم ينظرون) حال من مفعول اخذتهم وفائدة التقييد بها بيان عدم قدرتهم على دفعها ويجوز ان يكون النظر بمعنى الانتظار فالمعنى ان العذاب اتاهم لا على غفلة بل انذروا من قبل ثلاثة ايام وانتظروه ولم يؤخذوا على غفلة اخذ العاجز المحال (قوله كقوله تعالى فاصبحوا في دارهم جاثمين) اى لاصقين بمكانهم من الارض لا يقدرون على الحركة والقيام فضلا عن الهرب من العذاب وهذه الآية نزلت في قصة ثمود ايضا فلذلك استدل بها على ان المراد بالقيام ضد الجثوم وهو التلبد بالمكان واللصوق به يقال جثم الطائر بالارض اذا تلبد بها ولصق وعلى الثاني يكون القيام من قولهم قام بالامر اذا قوى عليه واقام ولم يعجز عنه قال قتادة وجماعة في تفسيره ما قدروا ان يقوموا بعذاب الله فيدفعوه عن انفسهم (قوله اى واهلكنا قوم نوح) يعنى ان قوم منصوب بعامل مضمر يدل عليه ما قبله لان ما قبله يدل على الاهلاك (قوله ويؤيده) اى ويؤيد كونه وجه انتصاب قوم معطوفا على محل في عاد قراءة من قرأ وقوم بالجر عطفا على المجرور قبله من قوله وفى عاد وفى ثمود ذكر الله تعالى ست حكايات كل واحدة منها مشتملة على آية دالة على وجود الصانع وكمال قدرته ثلاث منها تدل عليه من حيث دلالتها على سعة رحمته واحسانه لاوليائه وهى حكاية ابراهيم عليه السلام وبشارته بان يولد له ولد من عجوز عقيم وحكاية قوم لوط ونجاة من كان فيها من المؤمنين وحكاية موسى عليه السلام فان المذكور من حكايته ههنا وان كان اهلاك المعاندين لكن المقصود منها انجاء المؤمنين كما قال تعالى ولقد نجينا بنى اسرائيل من العذاب المهين من فرعون والثلاث الاخيرة تدل عليه من حيث كونها مسوقة لاهلاك المعاندين وهم عاد وثمود وقوم نوح فلذلك لم يقل وفى هود وفى صالح وفى نوح بل اقتصر على ذكر المهلكين ولما فرغ من ذكر الحكايات الست شرع في بيان سائر ما يدل على كمال قدرته من الآيات فقال والسماء بنيناها بايد والعامة على نصب السماء على الاشتغال وكذلك قوله والارض فرشناها والتقدير بنينا السماء بنيناها والايد والآد القوة يقال آد الرجل يئيد ايدا اى اشتد وقوى فهو ايد اى قوى وقوله وانا لموسعون معناه وانا لقادرون على خلقها وخلق ما هو ارفع منها واعظم وخصت السماء بالذكر لانه لا شئ اعظم منها مما نشاهده وقيل مساء وانا لموسعون ما اردنا اساعه كما جعلنا السماء واسعة ولما استدل على وجوده وكمال قدرته ببناء السماء

اى واهلكنا قوم نوح لان ما قبله يدل عليه او اذكر ويجوز ان يكون عطفا على محل في عاد ويؤيده قراءة ابى عمرو وحمزة والكسائى بالجر (من قبل) من قبل هؤلاء المذكورين (انهم كانوا قوما فاسقين) خارجين عن الاستقامة بالكفر والعصيان (والسماء بنيناها بايد) بقوة (وانا لموسعون) لقادرون من الوسع بمعنى الطاقة والموسع القادر على الانفاق اولموسعون السماء او ما بينها وبين الارض اوالرزق (والارض فرشناها) مهدناها لتستقروا عليها (فنعم الماهدون) اى نحن (ومن كل شئ) من الاجناس (خلقنا زوجين) نوعين (لعلكم تذكرون) فتعلموا ان التعدد من خواص الممكنات وان الواجب بالذات لا يقبل التعدد والانقسام (ففروا الى الله) من عقابه بالايمان والتوحيد

وملازمة الطاعة (انى لكم منه) (٣٦) (من) اى من عذابه المعد لمن اشرك او عصى (نذير مبين) بين كونه منذرا من الله بالمعجزات او مبين ما يجب ان يحذر عنه (ولا تجعلوا مع الله الها آخر) افراد لاعظم ما يجب ان يفر منه

(انى لكم منه نذير مبين) تكرير للتأكيد او الاول مرتب على ترك الايمان والطاعة والثانى على الاشراك (كذلك) اى الامر مثل ذلك والاشارة الى تكذيبهم الرسول وتسميتهم اياه ﴿ ٢٨٢ ﴾ ساحرا او مجنونا وقوله (ما اتى

الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون) كالتفسير له ولا يجوز نصبه بأتى او ما يفسره لان ما بعد ما النافية لا يعمل فيما قبلها (اتواصوا به) اى كأن الاولين والاخرين منهم اوصى بعضهم بعضا بهذا القول حتى قالوه جميعا (بل هم قوم طاغون) اضراب عن ان التواصى جامعهم لتباعد ايامهم الى ان الجامع لهم على هذا القول مشاركتهم فى الطغيان الحامل عليه (فتول عنهم) فاعرض عن مجادلتهم بعد ما كررت عليهم الدعوة فأبوا الا الاصرار والعناد (فما انت بملوم) على الاعراض بعد ما بذلت جهدك فى البلاغ (وذكر) ولا تدع التذكير والموعظة (فان الذكرى تنفع المؤمنين) من قدر الله ايمانه او من آمن فانها تزداده بصيرة (وما خلقت الجن والانس

وفرش الارض استدل عليها بما بينهما فقال ومن كل شئ خلقنا زوجين اى من كل جنس خلقنا نوعين كالسماء والارض والليل والنهار والبر والبحر والموت والحياة والذكر والانثى والحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة الى غير ذلك من انواع الجواهر والاعراض وكل نوعين منها زوج لا يستغنى احدهما عن الآخر ولا تتم المصلحة الا بالمجموع ثم قال فعلنا ذلك كله من بناء السماء وفرش الارض وخلق الازواج ارادة ان يتذكروا فيعلموا ان التعدد من خواص الممكنات وانه تعالى فرد واحد بالذات لا يقبل التعدد والانقسام فتعرفوه بالوحدانية وتخصصوه بالعبادة والفاء فى قوله تعالى ففروا الى الله للدلالة على سببية ما ذكر فى الآية السابقة لما ذكر بعدها اى فاذا علمتم ان الله تعالى فرد لا نظير له ففروا اليه ووحدوه ولا تشركوا به شيئا فى طاعته وعبادته وهو قوله ولا تجعلوا مع الله الها آخر اى لا تجعلوا مع المعبود بالحق معبودا آخر (قوله او الاول مرتب) يعنى انه لا تكرير فيه بناء على ان الاول تعليل للامر والثانى تعليل للنهى فانه تعالى امرا ولا بالفرار اليه بالايمان والطاعة وعقبه بقوله انى لكم منه نذير مبين تأكيدا للائتمار بالامر المذكور ثم نهى عن الشرك وعقبه ايضا كذلك تأكيدا للانتهاء عما نهى عنه (قوله اى الامر مثل ذلك) يعنى ان محل الكاف الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف والمعنى امر كل قوم بالنسبة الى رسولهم مثل امر كفار مكة معك من حيث ان الرسل قبلك كذبوا كما كذبت وقيل فيهم اقوال مختلفة كما قيل فيك فلا تأس على تكذيب قومك اياك ثم فسر ما اجمله بقوله كذلك فقال ما اتى الذين من قبلهم (قوله ولا يجوز نصبه بأتى) بان يكون صفة لمصدره المحذوف اى ما اتاهم من رسول اتيانا مثل اتيانك قريشا الا قالوا او بما يفسره وهو قوله الا قالوا ساحرا بان يكون التقدير الا قالوا قولا مثل قولك لان هناك مانعا لفظيا وهو ان ما بعد ما النافية لا يعمل فيما قبلها والاستفهام فى قوله تعالى اتواصوا به للتعجيب والتوبيخ والضمير فى به يرجع الى القول المدلول عليه بقالوا قال المفسرون لما نزل قوله تعالى فتول عنهم فما انت بملوم حزن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنون بناء على ظن ان الوحى قد انقطع وان العذاب قد حضر حتى نزل قوله تعالى وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين اى نفع من علم الله انه يؤمن وقال الكلبى معناه عظ بالقرآن من آمن من قومك فان الذكرى تنفعهم من حيث يزدادون به بصيرة (قوله لما خلقهم على صورة متوجهة الى العبادة) جواب عما يقال حق اللام ان تدخل على العرض المطلوب

الا ليعبدون) لما خلقهم على صورة متوجهة الى العبادة مغلبة لها جعل خلقهم مغيا بها مبالغة فى ذلك (من . ولو حمل على ظاهره مع ان الدليل يمنعه لنا فى ظاهر قوله ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس

من الفعل وهو العلة الغائية الحاملة للفاعل على الفعل كما يقال اكلت لدفع الجوع وليست لدفع الم البرد ولم تدخل ههنا على الغرض لما ثبت من انه تعالى لا يفعل فعلا لغرض والا لكان مستكملا بذلك الغرض وهو كامل في نفسه يستحيل ان يكون مستكملا بغيره اوان تدخل على غايته المترتبة على الفعل من الحكم والمصالح تشبيها لها بالغرض الحامل للفاعل على الفعل من حيث كونها منفعة مترتبة على الفعل ومن حيث ان ذلك الفعل لو صدر من غيره تعالى لكانت تلك الغاية غرضا مطلوبا للفاعل كما في قوله تعالى هو الذى خلق لكم ما في الارض جميعا فان انتفاع الناس بما خلق في الارض لما كان غاية مترتبة على خلقه وكان حاملا للخلق في الجملة اذ كان الخلق صادرا ممن يفعل لغرض شبه بالغاية المطلوبة من الفعل فادخل عليها لام الغرض لذلك المعنى فامعنى اللام في هذه الآية وتقرير الجواب نعم ان العبادة ليست غرضا مطلوبا من الخلق ولا غاية مترتبة على خلق كثير من الجن والانس الا انها شبهت بالغاية المترتبة من حيث ان الجن والانس خلقوا على صورة متوجهة الى العبادة اى صالحة وقابلة لها فانهما من حيث تأتى منهما العبادة وانهما هديا اليها بخلق اسبابها ودواعيها من الادلة العقلية والنقلية فيهما صارا بذلك كانهما خلقا للعبادة وانها مترتبة على خلقهما فلذلك اطلق عليها اسم الغاية ودخلت عليها لام الغاية مبالغة في حملهما على تلك الصورة ووصف الصورة بكونها مغلبة للعبادة لكونها بحيث تصدر عنها العبادة بسهولة لتحقق اسبابها وكثرة دواعيها فصارت بذلك كانها جعلت غالبة عليها متمكنة فيها ولما وجه الكلام باخراج اللام عن ظاهر معناها بحملها للمبالغة في خلقهما بحيث تتأتى منهما العبادة بسهولة اشار الى وجه العدول عن الظاهر فقال ولو حمل على ظاهره يعنى ان المانع من حمل الكلام على ظاهره امران احدهما ان الدليل يمنع حمل الكلام على ظاهره وثانيهما ان حمله على ظاهره يستلزم تعارض الآيتين لان من خلق لجهنم لا يكون مخلوقا للعبادة ولما صرف الكلام عن ظاهره بأن جعلت العبادة شبيهة بالغاية ارتفع التعارض (قوله وقيل معناه) يعنى قيل ان لام الغاية وان دخلت على العبادة ظاهرا الا انها في الحقيقة داخلة على ما هو سبب للعبادة وهو الامر بها فيكون من قبيل ذكر المسبب وارادة السبب روى عن على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه انه قال في تفسير الآية الا لآمرهم بالعبادة وادعوهم الى عبادتى ويؤيده قوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا وقوله الا ليعبدوا الله (قوله اوليكونوا عبادا لى) فيه ان عبد بمعنى صار عبدا غير مستعمل ولا موجود في كتب اللغة (قوله انما يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل

وقيل معناه الا لنأمرهم بالعبادة اوليكونوا عبادا لى (ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون) اى ما اريد ان اصرفهم في تحصيل رزقى فاشتغلوا بما انتم كالمخلوقين له والمأمورين به والمراد ان يبين ان شأنه مع عباده ليس شأن السادة مع عبيدهم فانهم انما يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل

معايشهم) اذ منهم من يحتاج الى كسب عبده في نيل الرزق ومنهم من يكون له مال وافر ورزق واسع يستغني به عن حمل عبده على الاكتساب لكنه يستعين به في قضاء حوائجه بان يستخدمه في طبخ الطعام واحضاره بين يديه وغسل اوانيه وثياب نفسه وكنس بيته والقيام على مصالح دوابه ونحو ذلك وهو تعالى مستغن عن جميع ذلك فلم يخلق عباده لينتفع بهم وانما خلقهم وكلفهم بالاوامر والنواهي ليستعد والفضله ورحمته ويجتنبوا عن سخطه وعقابه بالتذلل والانقياد وايثار طاعته على متابعة النفس والهوى وظهر بهذا التقرير فائدة تكرير وما اريد فان الارادة الاولى متعلقة باكتساب الرزق والثانية متعلقة باصلاحه وخص الاطعام بالذكر لكونه معظم المنافع المطلوبة من المماليك بعد اشتغالهم بالارزاق ونفى الاهم يستلزم نفي مادونه بطريق الاولى كانه قيل ما اريد منهم من عين ولا عمل (قوله تعالى ان الله هو الرزاق) تعليل لعدم ارادته الرزق منهم بالايماء الى استغنائه عنه وقوله ذو القوة تعليل لعدم احتياجه الى استخدامهم في مهامه من اصلاح طعامه وشرابه ونحو ذلك لان من يستعين بغيره في اموره يكون عاجز الاقوة له وقوله المتين مرفوع في قرآءة الجمهور على انه خبر بعد خبر لان اوخبر مبتدأ محذوف اى هو المتين اوعلى انه صفة لذو القوة اوالرزاق وقرئ بالجر على انه صفة للقوة وتذكير وصفها لكون تأنيثها غير حقيقي اولكونها في تأويل الابداع والاقدار وقيل هو مخفوض على الجوار كقولهم هذا جحر ضب خرب والمتانة شدة القوة ثم انه تعالى لما بين ان كفار قريش كذبوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما كذب كفار الامم الماضية رسلهم بين جزآء تكذيبهم بقوله فان للذين ظلموا ذنوبا والفاء فيه فاء فصيحة اى اذا عرفت حال اولئك الكفرة المقدمين من عاد وثمود وقوم نوح فان هؤلاء المكذبين نصيبا مثل نصيبهم عبر عن النصيب بالذنوب تشبيها لقسط كل واحد من العذاب بذنوب السقاة فانهم يقتسمون الماء من الآبار على النوبة ذنوبا ذنوبا قال الشاعر

لنا ذنوب ولكم ذنوب ❊ فان أبيتم فلنا القليب

اى البئر وفيه اشارة الى ان العذاب يصب عليهم كما يصب الذنوب قال تعالى يصب من فوق رؤسهم الحميم ثم نهاهم عن استعجال العذاب فقال فلا يستعجلون والنون المكسورة نون الوقاية وكان النضر بن الحارث يستعجل بالعذاب فيقول متى يكون هذا الوعد فنهى عنه فقيل ان لكل واحد من المكذبين ذنوبا لكن آخر ذلك الى يوم القيامة ثم قال فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون اى من عذاب يوم القيامة والويل الشدة من العذاب وقيل اسم واد في جهنم تم بعون الله تعالى ما يتعلق بالذاريات

مما يشتهم ويحتمل ان يقدر قل فيكون بمعنى قوله قل لااسألكم عليه اجرا (ان الله هو الرزاق الذى يرزق كل مايفتقر الى الرزق وفيه ايماء باستغنائه عنه وقرئ انى انا الرزاق (ذو القوة المتين) شديد القوة وقرئ المتين بالجر صفة للقوة (فان للذين ظلموا ذنوبا) اى للذين ظلموا رسول الله بالتكذيب نصيبا من العذاب (مثل ذنوب اصحابهم) مثل نصيب نظائرهم من الامم السالفة وهو مأخوذ من مقاسمة السقاة الماء بالدلاء فان الذنوب هو الدلو العظيم المملوء (فلا يستعجلون) جواب لقولهم متى هذا الوعد ان كنتم صادقين (فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون) من يوم القيامة او يوم بدر ❊ عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة والذاريات اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت في الدنيا

(سورة)

(سورة الطور مكية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ وبه نستعين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم ﴾

(قوله وهو جبل بمدين) من الارض المقدسة اسمه زبير قال مقاتل هما طوران احدهما طور تينا والآخر طور زيتا احدهما ينبت التين والآخر ينبت الزيتون (قوله اوما طار) فيكون الطور صفة بمعنى الطائر كالقل والكثر بمعنى القليل والكثير يقال ماله قل ولا كثر (قوله اوفى الواح موسى) المناسبة الطور (قوله الرق الجلد) يعنى ان الرق فى الاصل مارق من الجلد ليكتب فيه ثم اطلق على سائر مارق لاجل الكتابة تشبيها له بالرق والمنشور منه مايبسط وينشر للقرآءة (قوله اوالضراح) بضم الضاد المعجمة وبالحاء المهملة من الضرح وهو التنحية والابعاد والضريح البعيد وقيل هو من المضارحة وهى المقابلة لانه مقابل للكعبة روى عنه عليه الصلاة والسلام انه بيت فى السماء الرابعة بحيال الكعبة من الارض يدخله كل يوم سبعون الف ملك لم يدخلوه قط قبله ولا يدخلونه بعد ذلك حتى تقوم الساعة فهو معمور بكثرة زواره من الملائكة فحرمته فى السماء كحرمة الكعبة فى الارض وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال هو البيت الذى بناه آدم فى الارض فرفع ايام الطوفان الى السماء ووضع بحيال الكعبة وقيل انزل الله بيتا من ياقوتة فى الارض فى زمان آدم عليه الصلاة والسلام ووضعه بمكة فكان آدم يطوف به وذريته من بعده الى زمان الطوفان فرفع الى السماء وهو البيت المعمور طوله كما بين السماء والارض قال صاحب الكشف وماجاء فى الحديث انه فى السماء السابعة لاينافيه فقد ثبت ان فى كل سماء بحيال الكعبة فى الارض بيتا واما الذى كان فى زمان آدم فرفع بعد موته فهو فى السماء الرابعة على مانقله الازرقى فى تاريخ مكة وسمى ضراحا لانه ضرح ورفع الى السماء على مامر ان الضرح هو الابعاد (قوله يعنى السماء) لقوله تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا فانها بمنزلة السقف للارض ومرفوعة فوق كل شئ وقيل المراد به العرش (قوله اى المملوء) من قولك سجرت الاناء اى ملأته والموقد المحمى بمنزلة التنور المسجور يقال سجرت التنور واسجره سجرا اذا احميته لما روى ان الله تعالى يجعل البحار كلها يوم القيامة نارا يزاد بها فى نار جهنم كما قال تعالى واذا البحار سجرت وعن كعب انه قال هو البحر يسجر فيكون جهنم وقيل يحمى البحر فيكون شراب اهل النار (قوله اوالمختلط) فان المسجور فى اللغة الماء الذى ماؤه اكثر منه ويقال عين سجراء اذا خالطت بياضها حمرة قال الربيع بن انس البحر المسجور اى المختلط العذب بالملح فان البحار

(والطور) يريد طور سينين وهو جبل بمدين سمع فيه موسى صلى الله تعالى عليه وسلم كلام الله والطور بالسريانية الجبل اوماطار من اوج الايجاد الى حضيض المواد ومن عالم الغيب الى عالم الشهادة (وكتاب مسطور) مكتوب والسطر ترتيب الحروف المكتوبة والمراد به القرآن او ما كتبه الله فى اللوح المحفوظ اوفى الواح موسى اوفى قلوب اوليائه من المعارف والحكم او مايكتبه الحفظة (فى رق منشور) الرق الجلد الذى يكتب فيه استعير لما كتب فيه الكتاب وتنكيرهما للتعظيم والاشعار بانهما ليسا من المتعارف فيما بين الناس (والبيت المعمور) يعنى الكعبة وعمارتها بالحجاج والمجاورين اوالضراح وهو فى السماء الرابعة وعمرانه كثرة غاشيته من الملائكة او قلب المؤمن وعمارته بالمعرفة والاخلاص (والسقف المرفوع) يعنى السماء (والبحر المسجور) اى المملوء وهو المحيط او الموقد من قوله واذا البحار سجرت روى ان الله تعالى يجعل يوم القيامة البحار نارا تسجر بها

جهنم او المختلط من السجير وهو الخليط ان عذاب ربك لواقع) لنازل (ماله من دافع) يدفعه ووجه دلالة هذه الامور المقسم بهـا على ذلك انها امور تدل على كمال قدرة الله وحكمته وصدق اخباره وضبط اعمال العباد للمجازاة (يوم تمور السماء مورا) تضطرب والمور تردد في المجيء والذهاب وقيل تحرك في تموج و يوم ظرف (وتسير الجبال سيرا) اى تسير عن وجه الارض فتصير هباء (فويل يومئذ للمكذبين) اى اذا وقع ذلك فويل لهم (الذين هم في خوض يلعبون) اى في الخوض في الباطل (يوم يدعون الى نار جهنم دعا) يدفعون اليهـا بعنف وذلك بان يغل ايديهم الى اعناقهم و يجمع نواصيهم الى اقدامهم فيدفعون الى النار

كلها تجمع يوم القيامة وتجعل بحرا او احدا او المختلط بما فيه من الحيوانات المائية وهذه الاقاويل كلها مبنية على ان يكون المراد بالبحر بحر الدنيا وقال عكرمة هو بحر تحت العرش عمقه كما بين سبع سموات الى سبع ارضين فيه ماء يقال له بحر الحيوان يمطر العباد منه بعد النفخة الاولى اربعين صباحا فينبتون في قبورهم (قوله ووجه دلالة هذه الامور الخ) يعنى ان الايمان انه تذكر في القرآن من حيث كون الامور المقسم بها دليلا على تحقق المقسم عليه فهو تعالى خص هذه الامور بجعلها مقسما بها لاختصاصها بمزيد الدلالة على تحقق المقسم عليه ففي الاقسام بها تعظيم لشأنها من حيث دلالتها على ثبوت المدعى ولا خفاء في دلالتها باسرها على القدرة الكاملة والحكمة البالغة وما يدل عليها يدل على صدق اخباره جميعا فيكون صادقا في الاخبار بضبط اعمال العباد ومجازاتهم على حسب اعمالهم (قوله و يوم ظرف) لم يبين ان عامله ماهو اشارة الى جوازانه واقع او دافع والظاهر ان العامل فيه واقع وان الجملة المنفية معترضة بين العامل ومعموله تأكيدا لما سبقه لان جعله ظرفا لقوله واقع يوهم ان احدا يدفع عذابه في غير ذلك اليوم وهو باطل لان عذاب الله تعالى ماله من دافع في كل وقت فلا وجه لتقييده في ذلك اليوم (قوله اى اذا وقع ذلك فويل لهم) اشارة الى ان في الكلام معنى الشرط وان الفاء في قوله فويل جزائية جيء بها لربط مدخولها بالشرط المحذوف والجملة الشرطية لبيان العذاب الواقع لمن هو والمعنى اذا علم ان عذاب الله واقع وانه ليس له دافع فويل يومئذ للمكذبين وهو لا ينافي تعذيب غير المكذبين من اهل الكبائر لان الويل وهو العذاب الشديد انما هو للمكذبين لا للعصاة المؤمنين وقوله تعالى الذين هم في خوض يلعبون حال من المنوى فيه و يجوز ان يكون لغوا متعلقا بيلعبون مقدما عليه و يكون يلعبون هو الخبر والموصول مع صلته صفة للمكذبين لم يقصد بها تخصيص المكذبين وتمييزهم وانما هو للذم كقولك الشيطان الرجيم والخوض في الاصل عام يطلق على الخوض في كل شيء الا انه غلب في الخوض في الباطل والاندفاع فيه (قوله يدفعون اليها بعنف) يعنى ان الدع هو الدفع بعنف وشدة يقال دععته ادعه دعا اى دفعته بجفوة قال تعالى يدع اليتيم اى يدفعه قال مقاتل تغل ايديهم الى اعناقهم وتجمع نواصيهم الى اقدامهم ثم يدفعون الى جهنم دفعا على وجوههم حتى اذا دنوا منها قال لهم خزنتها هذه النار التي كنتم بها تكذبون في الدنيا فقيل قوله تعالى يدعون الى نار جهنم يدل على ان خزنتها يقذفونهم في النار وهم بعد آمنهم وقوله تعالى يسحبون في النار على وجوههم يدل على انهم فيها والجواب من وجوه الاول ان الملائكة يسحبونهم في النار ثم اذا قربوا من نار مخصوصة وهي نار جهنم يقذفونهم

فيها من بعيد فيكون السحب فى نار والدفع فى نار اشد واقوى بدليل قوله تعالى يسحبون فى الحميم ثم فى النار يسجرون اى يكون لهم سحب فى حموة النار ثم بعد ذلك يكون لهم ادخال والثانى يجوز ان يكون فى كل زمان يتولى امرهم ملك فالى النار يدفعهم ملك وفى النار يسحبهم آخر والثالث يحتمل ان يكون الملائكة يدفعون اهل النار اهانة لهم واستخفافا بهم ثم يدخلون معهم النار ويسحبونهم فيها (قوله فيكون دعاحالا بمعنى مدعوعين) اى يكون حالا مقدرة من مرفوع يدعون والمعنى يوم يدعون اليها فيقال لهم هلموا اليها فادخلوها مقدرا فى حقهم ان يدعوا اليها فيجيئون فيدفعون اليها (قوله اوظرف لقول مقدر محكيه هذه النار) يعنى ان قوله تعالى هذه النار مقول قول مقدر ويوم يدعون ظرف لذلك القول اى فيقال لهم تلك المقالة يوم يدعون ثم يوبخون لما عاينوا ما كانوا يكذبون بها فيقال لهم أفسحر هذا وقوله هذا مبتدأ وقوله افسحر خبره قدم الخبر لان الاستفهام له صدر الكلام ولان شان البلغاء تقديم ما لهم به مزيد العناية والاهتمام وهو فى هذا المقام توبيخ المشركين بنسبته عليه الصلاة والسلام فيما جاء به من الآيات الى السحر والتغطية على الابصار ولما كانت الفاء العاطفة تقتضى معطوفا عليه حتى يصح ترتب الجملة المعطوفة عليه قدره فقال اى كنتم تقولون الوحى هذا سحر فالاحوال التى شاهدتموها اليوم مما يصدق ذلك الوحى أسحر هو ايضا ومصداق الشئ مايصدقه واحوال الآخرة ومشاهدتها تصدق اقوال الانبياء فى الاخبار عنها واشار بقوله فهذا المصداق الى وجه تذكير اسم الاشارة مع كونه اشارة الى النار وهو ان تكون النار فى تأويل المصداق ونظير هذا الاسلوب ان يستدل المدعى على مذهبه بحجة فيقول الخصم له ماذكرته تموبه باطل لايثبت به المدعى فيأتى المستدل بحجة اوضح من الاولى مسكتة للخصم ويقول افتموبه هذا ايضا تعييرا له بالالزام وطعنا فيه بنسبته الى المكابرة والعناد فيما قال له اولا كأنه قيل انكم كنتم فى الدنيا منكرين للبعث وما يتفرع عليه من الثواب والعقاب فان كنتم صادقين فى ذلك الانكار لزم ان لايكون ما اصابكم اليوم من عذاب النار عذابا ولا ماشاهدتموه فى صورة النار نارا ومن المعلوم ان من رأى شيئا ولم يكن المرئى فى نفس الامر ذلك الذى رآه فخطأه يكون لاجل احد امرين اما لامر عائد الى المرئى واما لامر عائد الى الرائى فاى هذين الامرين كان سبب خطائكم فقوله افسحر هذا اى هل فى المرئى تلبيس وتمويه حتى خيل لكم انه نار مع كونه ليس بنار فى نفس الامر ام هل فى بصركم خلل فكلمة ام متصلة والاستفهام للانكار اى ليس شئ منهما بثابت فثبت انكم قد بعثتم وحوسبتم وجوزيتم باعمالكم وان الذى ترونه حق

وقرئ يدعون من الدعاء فيكون دعا حالا بمعنى مدعوعين ويوم بدل من يوم تمور وظرف لقول مقدر محكيه (هذه النار التى كنتم بها تكذبون) اى فيقال لهم ذلك (افسحر هذا) اى كنتم تقولون للوحى هذا سحر فهذا المصداق ايضا سحر وتقديم الخبر لانه مقصود بالانكار والتوبيخ (ام انتم لاتبصرون) هذا ايضا كما كنتم لاتبصرون فى الدنيا مايدل عليه وهو تقريع وتهكم ام سدت ابصاركم كما سدت فى الدنيا على زعمكم حين قلتم انما سكرت ابصارنا (اصلوها فاصبروا اولاتصبروا) اى ادخلوها على اى وجه شئتم من الصبر وعدمه فانه لامحيص لكم عنها

وعذاب فهو تقريع شديد وتهكم فظيع و بعد هذا التقريع يقال لهم اصلوها اى قاسوا حرها ومافيها من العذاب الشديد اى اذا لم يمكنكم انكارها وتحقق عندكم انه ليس بسحر وانه لاخلل فى ابصاركم فاصلوها (قوله اى الامر ان) اشارة الى ان قوله سواء خبر مبتدأ محذوف دل عليه اصبروا اولا تصبروا اى الامر ان سواء عليكم اى صبركم وتركه مستويان فى عدم النفع فان الصبر انما ينفع اذا تعلق بالشدة الواقعة ابتداء لاجزاء فان الصابر عليها يثاب على صبره فينفعه الصبر لامحالة بخلاف الصبر الذى تعلق بالشدة الواقعة جزاء فانه لاينفع الصابر البتة لان الجزاء المؤبد واجب الوقوع بمقتضى الوعيد فيقع مؤبدا وقوله تعالى ان المتقين فى جنات يجوز ان يكون كلاما مستأنفا لبشارة المتقين بفوزهم بحسن العاقبة وان يكون من جملة مايقال للكفار زيادة فى غمهم وتحسرهم (قوله فى اية جنات واى نعيم) يعنى ان تنكير جنات ونعيم اما للتعظيم او للنوعية والخصوص وفاكهين منصوب على انه حال من المنوى فى الظرف قيد كونهم فى جنات ونعيم بحال كونهم ناعمين متلذذين للدلالة على كمال حبورهم وسرورهم فان الجنة مع كونها دار اهل السعادة قد يتوهم ان من يدخلها يدخلها ليعمل فيها و يصلحها كما هو شان ناطور الكرم اى مصلحه وحافظه فلما قيل ونعيم افاد انهم فيها متنعمون كما هو شان المتفرج بالبستان لا كالناطور والعمال ثم زاد فى بيان نزهة خاطرهم وكمال حبورهم وسرورهم بقوله فاكهين فان المتنعم قد يستغرق فى النعم الظاهرة وقلبه مشغول بامر ما فلما قال فاكهين تبين ان استقرارهم فى النعيم ليس الا فى حال كونهم متلذذين لايشوب سرورهم وحبورهم شئ من الكدر وقرئ فكهين بالقصر وفاكهون بالرفع على انه خبر ان وحينئذ يجوز ان يكون فى جنات ظرفا لغوا متعلقا بالخبر وان يكون خبرا آخر عند من يجوز تعدد الخبر وقوله بما آتاهم متعلق بفاكهين وما موصولة حذف عائدها وهو المفعول الثانى لآتاهم اى متلذذين بسبب ما آتاهم اى اعطاهم ربهم اياه او مصدرية اى متلذذين بايتائهم ربهم ما خصهم به من الكرامة (قوله عطف على آتاهم ان جعل ما مصدرية) والتقدير متلذذين بايتائهم ووقايتهم عذاب الجحيم ولايجوز عطفه على آتاهم ان جعلت ما موصولة لان المعطوف على الصلة يكون فى حكم الصلة فيجب اشتماله على العائد ولا عائد لها فى الجملة المعطوفة لان التقدير حينئذ فاكهين بالذى آتاهم ربهم اياه وبالذى وقاهم ربهم عذاب الجحيم وليس فى الجملة الثانية ما يعود على الموصول لان وقاهم قد اخذ كلا مفعوليه ولو قدر العائد ابقى بلا عامل بخلاف آتاهم فان مفعوله الثانى محذوف هو العائد الى الموصول (قوله

(سواء عليكم) اى الامر ان الصبر وعدمه (انما تجزون ما كنتم تعملون) تعليل للاستواء فانه لما كان الجزاء واجب الوقوع كان الصبر وعدمه سيين فى عدم النفع (ان المتقين فى جنات ونعيم) فى اية جنات واى نعيم او فى جنات ونعيم مخصوصة بهم (فاكهين) ناعمين متلذذين (بما آتاهم ربهم) وقرئ فكهين وفاكهون على انه الخبر والظرف لغو

(ووقاهم ربهم عذاب الجحيم) عطف على آتاهم ان جعل ما مصدرية او في جنات او حال باضمار قد من المستكن في الظرف او الحال او من فاعل آتى او مفعوله او منهما (كلوا واشربوا هنيئا) اى اكلا وشربا هنيئا اوطعاما وشرابا هنيئا وهو الذي لاتنغيص فيه (بما كنتم تعملون) بسببه او بدله وقيل الباء زائدة وما فاعل هنيئا و المعنى هنا كم ما كنتم تعملون اى جزاؤه (متكئين على سرر مصفوفة) مصطفة (وزوجناهم بحور عين) الباء لما في التزويج من معنى الوصل و الالصاق او السببية اذ المعنى صيرناهم ازواجا بسببهن اولما في التزويج من معنى الالصاق والقرن ولذلك عطف (والذين آمنوا) على حور اى قرناهم بازواج حور و رفقاء مؤمنين و قيل انه مبتدأ خبره الحقنا بهم وقوله (واتبعتهم ذريتهم بايمان) اعتراض للتعليل

اوفي جنات) اى اوهو عطف على قوله في جنات لان التقدير ان المتقين استقروا في جنات ووقاهم (قوله اوحال) معطوف على قوله عطف اى و يجوز ان تكون الواو حالية لاعاطفة فتكون كلة قدمقدرة لما تقرر من ان الماضي المثبت اذا وقع حالا لابد من اقتران الجملة بكلمة قد ظاهرة اومقدرة وذو الحال اما المستكن في الظرف اوفي الحال اوهو اما فاعل آتى اومفعوله او كلاهما وقوله تعالى كلوا واشربوا محكي بقول مقدر اى يقال لهم ذلك وهنيئا منصوب على انه صفة مصدر محذوف اواكلا اوشربا هنيئا اوعلى انه صفة للمفعول به المحذوف اى طعاما وشرابا هنيئا فانه ترك ذكر المأكول والمشروب للدلالة على تنوعهما وكثرتهما والهنئ والمرئ صفتان من هنئ الطعام ومرئ اذا كان سائغا لاتنغيص به اى اذا كان بحيث لايورث الكدر من نحو التخم والسقم يقال نغص الله عليه العيش تنغيصا اى كدره وتنغصت عيشته اى تكدرت (قوله وقيل الباء زائدة وما فاعل هنيئا) فلا يكون هنيئا صفة لمحذوف بل تكون من المصادر التي حذفت عواملها وجوبا لكثرة الاستعمال واقيمت هي مقامها والتقدير هنيئا ماكنتم تعملون اى جزاء ما كنتم تعملون هنيئا والمصدر على وزن فعيل كثير كالنسيب والنكير والزئير والصليل ونظيره قوله

هنيئا مريئا غير داء مخامر * لعزة من اعراضنا ما استحلت

فان هنيئا مصدر حذف عامله واقيم مقام فعله وما استحلت فاعل الفعل المحذوف اى هنئ لعزة ما استحلت من اعراضنا هنيئا قيل عليه وزيادة الباء في الفاعل لم تسمع الافاعل كفى ولاهي قياسية فلاوجه لتجويزها ههنا (قوله متكئين) حال من الضمير في كلوا واشربوا وعلى سرر متعلق بمتكئين ومصفوفة اى منتظمة بعضها الى جنب بعض وتقييد الاكل والشرب بحال الاتكاء على السرر للايماء الى ان اهل الجنة فارغون من الكلفة بالكلية لان الاتكاء هيئة مخصوصة بالمتنعم الفارغ من الكلفة والتعب (قوله الباء لما في التزويج) جواب عما يقال من ان فعل التزويج يتعدى الى مفعوليه بلا واسطة حرف الجر يقال زوجته امرأة ولايقال زوجته بامرأة قال تعالى فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها فاوجه تعديته بالباء ههنا اجاب عنه اولا بانه انما عدى بالباء باعتبار مافي ضمنه من معنى الايصال والالصاق وثانيا بانها ليست للتعدية بل للسببية ثم استدل على اعتبار معنى الالصاق والقرن في التزويج بعطف قوله تعالى والذين آمنوا على حور عين ولولم يعتبر فيه معنى الوصل والقرن بل كان بمعنى عقد النكاح لما جاز العطف المذكور لاستحالة تحقق عقد النكاح بين المتقين واخوانهم المؤمنين واذا كان تزوجهم بالمؤمنين بطريق وصل بعضهم بعضا والصاقه به

وقرأ ابن عامر و يعقوب ذرياتهم بالجمع وضم التاء للمبالغة فى كثرتهم والتصريح بان الذرية تقع على الواحد والكثير وقرأ ابو عمرو واتبعناهم ذرياتهم اى جعلناهم تابعين لهم فى الايمان وقيل بايمان حال من الضمير او الذرية او منهما وتنكيره للتعظيم او الاشعار بانه يكفى للالحاق المتابعة فى اصل الايمان (الحقنا بهم ذريتهم) فى دخول الجنة او الدرجة لما روى مرفوعا انه عليه السلام قال ان الله يرفع ذرية المؤمن فى درجته وان كانوا دونه لتقر بهم عينه ثم تلا هذه الآية وقرأ نافع وابن عامر والبصريان ذرياتهم (وما التناهم) وما نقصناهم بهذا الالحاق (من عملهم من شئ) فانه كما يحتمل ان يكون بنقص مرتبة الآباء باعطاء الابناء بعض مثوباتهم يحتمل ان يكون بالتفضل عليهم وهو اللائق بكمال لطفه وقرأ ابن كثير بكسر اللام من الت يألت وعنه لتناهم من لات يليت وآلتناهم من آلت يؤلت وولتناهم من ولت يلت ومعنى الكل واحد

يكون تزويجهم بالحور العين ايضا بذلك الطريق لابان يعقد بينهم عقد النكاح لان الجنة ليست بدار تكليف وهذا معنى قوله ولما فى التزويج من معنى الالصاق عطف والذين آمنوا على حور هكذا فى بعض النسخ ولعلها هى النسخة الصحيحة وفى اكثر النسخ اولما فى التزويج من معنى الالصاق والقرن ولذلك عطف والذين آمنوا على حور ولا وجه له بعد قوله لما فى التزويج من معنى الوصل والالصاق وهو ظاهر واختار المصنف ان يكون قوله تعالى والذين آمنوا معطوفا على قوله بحور عين والمعنى قرناهم بحور وبالذين آمنوا وانهم يتمتعون تارة بملاعبة الحور العين وتارة بمؤانسة الاخوان المؤمنين كما قال اخوانا على سرر متقابلين فيكون قوله تعالى واتبعناهم ذريتهم معطوفا على قوله وزوجناهم اى ومن كرامة المتقين ان الله يجمع بينهم وبين ذريتهم فى الكرامة ويلحقها بهم لتقربها اعينهم ثم بين ان ايمان الذرية يكفى فى الحاقها بهم فقال بايمان الحقنا بهم ذرياتهم اى اولادهم الصغار فان الكبار يلحقون بآبائهم بايمانهم بانفسهم والصغار بايمان آبائهم فان الولد الصغير يحكم بايمانه تبعا لخير الابوين اى لمن آمن منهما فبسبب ايمانه تبعا يلحق بابيه كما ان الكبير يلحق به بايمانه بنفسه ثم ذكر قول من قال قوله تعالى والذين آمنوا مبتدأ خبره الحقنا بهم فيكون قوله تعالى واتبعناهم ذرياتهم بايمان جملة معترضة بين المبتدأ والخبر لتعليل الحاق الذرية بالآباء فان تعلق الحاق الذرية بمتابعتهم الآباء فى الايمان يشعر بعلية المتابعة للالحاق فان الباء فى قوله بايمان يجوز ان تكون بمعنى فى فتتعلق باتبع وان تكون على اصل معناها فتتعلق بمحذوف اى ملتبسين بايمان (قوله للمبالغة فى كثرتهم) يعنى والتصريح بماذكره فان الذرية لو لم تقع على الواحد لما جمع لان لفظ الجمع موضوع لان يطلق على آحاد مفرده (قوله وقيل بايمان حال) عطف على قوله اى جعلناهم تابعين لهم فى الايمان يعنى ان الباء للظرفية وقيل للملابسة فتكون حالا من المفعول الاول وهو الضمير او الثانى وهو الذرية او منهما اى اتبعناهم ملتبسين بايمان ولم يرض به لان قوله تعالى واتبعناهم يكون معطوفا على زوجناهم و يكون اتبعناهم بهم عبارة عن ضمهم اليهم والحاقهم فيكون قوله بعد ذلك الحقنا بهم ذرياتهم تكرارا (قوله وما نقصناهم) اى ما نقصنا الآباء المتقين من ثواب عملهم من شئ من النقص لما كان الحاق الذرية بالآباء يوهم ان يوزع ثواب عمل الاب بينه وبين ولده فينتقص به حظه من اجر عمله ازيل ذلك الوهم بقوله تعالى وما التناهم (قوله يحتمل ان يكون بالتفضل عليهم) اى على الاولاد بتبليغهم درجة الآباء بمحض التفضل الالهى من غير عمل يؤدى اليها وعلى الآباء بان يرد اليهم

(اولادهم)

اولادهم وتقربهم اعينهم من غير ان ينقص من اعمالهم شئ وذلك تفضيل عظيم فى حق الكل وقوله تعالى من شئ مفعول ثان لألتناهم ومن مزيدة فيه ومن علهم فى محل النصب على انه حال من شئ لانها فى الاصل صفة فلما قدمت نصبت حالا (قوله بعمله مرهون عند الله) تمثيل كان نفس العبد مرهون عند الله بعمله الذى هو مطالب به كما يرهن الرجل عبده بدين عليه فان عمل صالحا كما امر به فكها اى خلصها والا اوبقها فان العمل الصالح بمنزلة الدين الثابت على المرء من حيث انه مطالب به ونفس المرء بمنزلة الرهن المرهون عند المرتهن فكما ان المرتهن ما لم يصل اليه الدين لاينفك من الرهن شئ كذلك العمل الصالح ما لم يصل اليه تعالى لاتخلص نفس المرء منه قال عليه الصلاة والسلام لمعاذ حق الله تعالى على العباد ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وحق العباد عليه تعالى ان لايعذب من لايشرك به شيئا فانه صريح فى ان التوحيد والطاعة بمنزلة الدين الثابت لله تعالى على العبد ووجه مناسبة الآية بماقبلها انه تعالى لما ذكر حال المتقين وانه وفر عليهم ما اعده اليهم من الثواب والتفضل أول هذه الآية لتدل على انهم فكوا رقابهم وكان موضعه بحسب الظاهر آخر ماورد فى تفضيل اجر المتقين وهو قوله هو البر الرحيم ليكون كلاما راجعا الى بيان حال الفريقين وهما المدفوعون الى نار جهنم والمتقون الا انه انزلها فى خلال بيان اجر به المتقين ليدل على ان خلاص رقابهم من بعض اجزيتهم ايضا ثم ذكر مايزيدهم على ما ذكر قبله من الكرامة فقال وامددناهم بفاكهة اى واتبعنا مااعطيناهم من ثواب اعمالهم فانه تعالى لما قال ما ألتناهم واوهم ذلك انهم يجازون بمايساوى عملهم دفع هذا الاحتمال بقوله وامددناهم اى ليس عدم النقصان بالاقتصار على التساوى بل بالزيادة والامداد وقتا بعدوقت مايستهونه وتنوين فاكهة للتكثير اى بفاكهة لاتنقطع كلما اكلوا ثمرة عاد مكانها مثلها وما فى قوله مايستهون للعموم لانواع اللحمان وقوله تعالى يتنازعون وقوله لا لغو فيها ولا تأثيم فى محل النصب على انه صفة كأسا وفيها اى فى شربها وقيل فى الجنة وفسر التنازع بالتعاطى على طريق التجاذب الذى يقصد به الملاعبة وفيه نوع لذة اذلايتصور فى الجنة التنازع بمعنى التخاصم والكاس قدح فيه خمر ولا يسمى كأسا ما لم يكن فيه شراب كما لاتسمى مائدة ما لم تكن عليها طعام (قوله اى لايتكلمون بلغوا لحديث) لان شربها لايذهب بعقولهم حتى يتكلموا باللغو وهو الباطل من الكلام وانما يتكلمون بالحكم ومحاسن الكلام الذى يجرى بين العلماء والحكماء متاذذين بذلك يقال اثمه اذاجعله ذا اثم واشار بهذا التفسير الى ان اللغو فى الكلام والتأثيم فى الفعل

(كل امرئ بما كسب رهين) بعمله مرهون عند الله فان عمل صالحا فكها والا اهلكها (وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون) اى وزدناهم وقتا بعدوقت ما يشتهون من انواع النعم (يتنازعون فيها) يتعاطون هم وجلساؤهم بتجاذب (كأسا) خمرا سماها باسم محلها ولذلك انث الضمير فى قوله (لالغو فيها ولاتأثيم) اى لايتكلمون بلغو الحديث فى اثناء شربها ولايفعلون مايؤثم به فاعله كما هو عادة الشاربين فى الدنيا

بالكأس (غلمان لهم) اي مماليك مخصوصون بهم وقيل هم اولادهم الذين سبقوهم (كأنهم لؤلؤ مكنون) مصون في الصدف من بياضهم وصفائهم وعنه عليه السلام والذي نفسي بيده ان فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب (واقبل بعضهم على بعض يتساءلون) يسأل بعضهم بعضا عن احواله واعماله (قالوا انا كنا قبل في اهلنا مشفقين) خائفين من عصيان الله معتنين بطاعته او وجلين من العاقبة (فمن الله علينا) بالرحمة او التوفيق (ووقانا عذاب السموم) عذاب النار النافذة في المسام نفوذ السموم وقرئ ووقانا بالتشديد (انا كنا من قبل) من قبل ذلك في الدنيا (ندعوه) نعبده او نسأله الوقاية (انه هو البر) المحسن وقرأ نافع والكسائي بفتح همزة انه (الرحيم) الكثير الرحمة (فذكر) فاثبت على التذكير ولا تكترث بقولهم (فما انت بنعمة ربك) بحمد الله وانعامه (بكاهن ولا مجنون) كما يقولون (مجنونا

(قوله وذلك مثل قوله لافيها غول) اي في عدم اعمال لا فانه اذا وقع بينها وبين اسمها فاصل وجب الرفع والتكرير نحو لا في الدار رجل ولا امرأة لانها يضعف عملها بالفصل فرجل مرفوع بالابتداء وامرأة عطف عليه وفي الدار خبره فكذا غول مبتدأ وفيها خبره وقد تقرر في النحو انه يجوز في نحو لا حول ولا قوة رفع الاسمين على ان الاول منهما مبتدأ والثاني عطف عليه وبالله خبره ويجوز الغاء لا لضعف عملها ومن هذا القبيل قوله تعالى لا لغو فيها ولا تأثيم على قراءة الجمهور فانهم قرأوا برفع الاسمين وتنوينهما وقرأ ابن كثير والبصري بان بفتحهما من غير تنوين لان كل واحد منهما اسم ليس بمضاف ولا مشابه للمضاف فبني على ما ينصب به (قوله تعالى كأنهم لؤلؤ) صفة ثانية لغلمان او حال منهم لانهم قد وصفوا او من المنوي في لهم وقوله يتساءلون حال من فاعل اقبل اي اقبلوا متساءلين قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه يتذاكرون ما كانوا فيه من الدنيا من التعب والخوف وقيل يتساءلون عن اعمالهم في الدنيا التي بها وصلوا الى دار النعيم بوعد الله تعالى ويدل عليه قول المسؤلين في جوابهم انا كنا قبل اي في الدنيا في اهلنا مشفقين والخوف من العذاب اصل التقوى كلها لانه يدخل فيه خوف التقصير في الطاعة وخوف ملابسة المعصية فيجتنب عند ذلك عن كل واحد منهما باقصى ما يمكن لما وصف الله تعالى اهل الجنة بانه يزوجهم بحور عين وباخوانهم المؤمنين وانه يلحق بهم ذرياتهم المشاركين لهم في اصل الايمان وانه يمدهم في كل وقت بما يشتهون وانهم يتناولون فيها كأسا يطوف عليهم بها الغلمان الموصوفون قال بعده واقبل بعضهم على بعض على ما هو عادة اهل المجلس يشرعون في التحادث ليتم به استئناسهم كما قيل

* وما بقيت من اللذات الا * احاديث الكرام على المدام *

اي الخمر (قوله عذاب السموم) السموم في الاصل الريح الحارة التي تدخل المسام اطلق على نار جهنم على سبيل الاستعارة تشبيها لها به في نفوذ حرها ولما قرر فوز المتقين بالسعادة لاجل التذكير والانتفاع بالموعظة قال فذكر اي فذكر ولا تبال بما قالوا في حقك انه كاهن او مجنون فانك بحمد الله بريء مما يقولون فان من كان ارجح عقلا وصدقا وامانة ووقارا ابعد حالا من الجنون والكهانة مع ان الجنون والكهانة متنافيان لا يجتمعان في شخص لان الكهانة تقتضي التدبر والفراسة فاين هي من الجنون والكاهن من يخبر عن المغيبات الآتية من غير وحي وقوله تعالى بنعمة ربك حال من المنوي في كاهن وقوله بكاهن منصوب المحل على انه خبر ما وقوله ولا مجنون عطف عليه والتقدير ما انت كاهنا ولا

مجنونا ملتبسا بنعمة ربك اى بانعامه عليك بجميع الاخلاق الحميدة والفضائل الشريفة التى افضلها النبوة والوحى و بحمده فهى حال لازمة لانه عليه الصلاة والسلام لم يفارق هذه الحال و يجوز ان تكون الباء فى قوله بنعمة ربك للقسم المتوسط بين اسمها وخبرها و يكون جواب القسم حينئذ محذوفا لدلالة هذا المذكور عليه والتقدير بنعمة ربك ما انت بكاهن ولا مجنون (قوله تعالى ام يقولون) قال المصنف فى آخر الآيات ام فى هذه الآيات منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار رد الله تعالى اولا قولهم فى حقه عليه الصلاة والسلام انه كاهن ومجنون فقال ما انت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون ثم اضرب عن انكار قولهم هذا الى انكار قولهم فيه انه شاعر فقال ام يقولون شاعر وقوله نتربص به فى موضع الرفع على انه صفة شاعر وصفوا الشاعر به لانهم كانوا يحترزون عن ايذاء الشعراء و يقولون الشعر يحفظ و يدون فلا نعارضه مخافة ان يغلبنا بقوة شعره بل نصبر ونتربص موته وهلاكه كما هلك من قبله من الشعراء وحينئذ يتفرق اصحابه فان اباه قد مات شابا ونحن نرجو ان يكون موته كموت ابيه (قوله تعالى قل تربصوا) ليس امر ايجاب او ندب او اباحة لان تربصهم هلاكه عليه الصلاة والسلام حرام لا محالة فهو امر تهديد كما يقول السيد لعبده أسترو افعل ماشئت فانى غير غافل عنك (قوله مايقلق النفوس من حوادث الدهر) يريد ان الريب بمعنى الرائب من قولهم رابه الدهر وارابه اى اقلقه وان المنون هو الدهر وهو قول الكسائى والاخفش والفرآء سمى به الدهر لانه يقطع قوة الانسان فان المنون من المن وهو القطع يقال منه اذا قطعه فريب المنون عبارة عن حوادث الدهر وتقلبات الزمان التى تورث قلقا واضطرابا للنفوس وقيل سميت ريبا تشبيها لها بالريب الذى هو الشك فى التزلزل وعدم الثبات وقال الخليل المنون الموت سمى منونا لانه يقطع العمر وريبه اوجاعه ثم اضرب عن توبيخهم والانكار عليهم بنسبة المقالات المتناقضة اليهم فى حقه عليه الصلاة والسلام الى نسبتهم الى السفه والجهل الذى حملهم عليها فقال ام تأمرهم احلامهم بهذا التناقض فى القول كانه قيل دع تفوههم بهذه المقالات المتناقضة وانظر الى مافيهم مما اقبح من ذلك وهو انهم سفهاء ليسوا من اهل التمييز ثم اضرب عن انكار كونهم من العقلاء المتبصرين الى ماهو ادخل فى الذم بالنسبة الى نقصان العقل فقال ام هم قوم طاغون كانه قيل دع كونهم سفهاء عديمى العقل والقول بان المؤدى الى تلك الاقوال المتناقضة سفههم وجهلهم وانظر الى طغيانهم ومجاوزتهم الحد فى العناد فانه هو الحامل لهم على تلك المقالات ثم اضرب عن الانكار عليهم بمجاوزتهم الحد فى العناد الى توصيفهم

النفوس من حوادث الدهر وقيل المنون الموت فعول من منه اذا قطعه (قل تربصوا فانى معكم من المتربصين) اتربص هلاككم كما تتربصون هلاكى (ام تأمرهم احلامهم) عقولهم (بهذا) بهذا التناقض فى القول فان الكاهن يكون ذا فطنة ودقة نظر والمجنون مغطى عقله والشاعر يكون ذا كلام موزون متسق مخيل ولايتأتى ذلك من المجنون وامر الاحلام به مجاز عن ادائها اليه (ام هم قوم طاغون) مجاوزون الحد فى العناد وقرئ بل هم (ام يقولون تقوله) اختلقه من تلقاء نفسه (بل لايؤمنون) فيرمون بهذه المطاعن لكفرهم و عنادهم (فليأتوا بحديث مثله) مثل القرآن (ان كانوا صادقين) فى زعمهم اذ فيهم كثير ممن عدوا فصحاء فهو رد للاقوال المذكورة بالتحدى و يجوز ان يكون ردا من الاقوال ظاهر الفساد للتقول فان سائر الاقسام

بما هو ابلغ فى الذم وهو ان ينسبوا اليه عليه الصلاة والسلام ان يختلق القرآن من تلقاء نفسه ثم يقول انه من عند الله افتراء عليه وهو اقبح من الطغيان الذى هو مجاوزة الحد فى العناد لان الافتراء ابعد شئ من حاله لاشتهاره بالصدق لا سيما ان يفترى على الله تعالى مع ان كونه مفتريا مع كونهم عاجزين عن اتيان باقصر سورة منه متنا قيان * والتقول تكلف القول ولا يستعمل الا فى الكذب ثم كذبهم ونسبتهم التقول اليه عليه الصلاة والسلام فقال بل لا يؤمنون اى ليس الامر كما زعموا من احتمال تحقق شئ من المطاعن فيه بل انهم لا يؤمنون بنبوته وبالقرآن عنادا واستكبارا مع وضوح دلائل حقيتهما ثم الزمهم الحجة وبين انهم طاعنون فيما ندون فى جميع ماذكروه من المطاعن فقال فليأتوا بحديث مثله والفاء فيه للسببية اى ان كان الامر كما زعموا انه كاهن او مجنون او شاعر ادعى الرسالة وتقول القرآن من عند نفسه فليأتوا بحديث مثله فانه عليه الصلاة والسلام فى حد نفسه واحد منهم فيجب ان يقدروا على ما قدر هو عليه بنفسه فاذا لم يقدروا على اتيان مثال ما اتى به تبين ان ما اتى به كلام آلهى واجب القبول وانه عليه الصلاة والسلام رسول مؤيد من عند الله (قوله ام احدثوا وقدروا من غير محدث) على ان كلمة من لابتداء الغاية اى بل أيقولون انهم خلقوا من غير خالق خلقهم وموجد اوجدهم وعلى الثانى تكون من للسببية بمعنى خلقوا لغير شئ اى عبثا ام يدعون انهم خلقوا انفسهم فلما لم يمكنهم ان يدعوا واحدا من هذين الامرين ضرورة استحالة الخلق بل كانوا مضطرين الى الاقرار بان لهم صانعا غيرهم فما الذى يمنعهم عن افراده بالعبادة وعن اثبات القدرة له على الاعادة ووجه تعلق الآية بما قبلها انهم لما كذبوا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ونسبوه الى الكهانة والجنون والشعر استبعادا لما يدعوهم اليه من الاعتقاد بوحدانية الصانع وحقية امر البعث والجزاء ذكر ما يزيل استبعادهم ويدل على وحدانية المبدئ وحقية امر المعاد ويستلزم ذلك صدق من يدعو الى التوحيد واخلاص العبادة له تعالى فكأنه قيل كيف يكذبونه وفى خلق انفسهم ما يدل على صدقه فى دعوى الرسالة وذلك لانهم مخلوقون لا محالة والمخلوق لا بد له من خالق غير نفسه والوحدة من لوازم الخالق كما قيل

وفى كل شئ له آية * تدل على انه واحد

والخلق الاول دليل على جواز الخلق الثانى وامكانه فلا وجه لاستبعاده واذ ثبت حقية المبدأ والمعاد ثبت حقية امر الرسالة بناء على ان خالقه يصدقه فى دعوى الرسالة بما اظهره على يده من المعجزات التى لا يقدر عليها احد الا الواحد

﴿ ام خلقوا من غير شئ ﴾ لم احدثوا وقدروا من غير محدث ومقدر فلذلك لا يعبدونه او من اجل لاشئ من عبادة ومجازاة (ام هم الخالقون) يؤيد الاول فان معناه ام خلقوا انفسهم ولذلك عقبه بقوله (ام خلقوا السموات والارض) وام فى هذه الآيات منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار (بل لا يوقنون) اذا سئلوا من خلقكم ومن خلق السموات والارض وقالوا الله اذلوا يقنوا ذلك لما اعرضوا عن عبادته (ام عندهم خزائن ربك) خزائن رزقه حتى يرزقوا النبوة من شاؤا او خزائن علمه حتى يختاروا لها من اختاره حكمته (ام هم المسيطرون) الغالبون

على الاشياء يتدبرونها كيف شاؤا قرأ قنبل وحفص بخلاف عنه وهشام بالسين وحمزة بخلاف عن خلاد بين الصاد والزاي والباقون بالصاد خالصة) ام لهم سلم) مرتقى الى السماء (يستمعون فيه) صاعدين فيه الى كلام الملائكة وما يوحى اليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن (فليأت مستمعهم بسلطان مبين) بحجتهم واضحة تصدق استماعه (ام له البنات ولكم البنون) فيه تسفيه لهم واشعار بان من هذا رأيه لايعد من العقلاء فضلا عن ان يترقى بروحه الى عالم الملكوت فيطلع على الغيوب (ام تسألهم اجرا) على تبليغ الرسالة (فهم من مغرم) من التزام غرم (مثقلون) محملون الثقل فلذلك زهدوا في اتباعك

القهار ثم اضرب عن انكار كونهم مخلوقين من غير خالق خلقهم وانكار انهم خلقوا انفسهم الى انكار انهم خلقوا السموات والارض فقال ام خلقوا السموات والارض اي ليس الامر كذلك ولما لم يمكنهم ان يدعوا خلق شئ من ذلك واعترفوا بان خالقهم وخالق السموات والارض هو الله تعالى وجب عليهم توحيده ونفي الشركاء عنه وان يصدقوا من صدقه وان يؤمنوا بجميع ما جاء به من عنده به ولما كان انكار كونهم خالقين لانفسهم وللسموات والارض متضمنا لاقرارهم بان خالقهم وخالق السموات والارض هو الله تعالى وكان الظاهر من الاقرار ان يكون عن ايقان اضرب عنه بقوله بل لايوقنون والمعنى انهم وان اعترفوا بان الخالق هو الله تعالى لكنهم غير موقنين في ذلك الاعتراف اذ لو ايقنوا ذلك لما اعرضوا عن عبادته وتصديق رسوله واطاعته فيما كلفهم به فظهر بهذا التقرير ان يقدر لقوله بل لا يوقنون مفعول اي لايوقنون بان الخالق الرازق المحيي المميت القادر على كل شئ هو الله تعالى ومن شك في مثل هذا المطلب الجلي لايبعد منه ان يصف سيد المرسلين بالجنون والكهانة وفي بعض النسخ لم توجد كلمة الواو في قوله اذا سئلوا وقالوا الله ولا وجه له (قوله على الاشياء) اشارة الى ان عدم ذكر مفعول مسيطرون لقصد العموم والمسيطر المسلط القاهر الذي لايكون تحت امر احد ونهيه ويفعل مايشاء ويدبر امر الربوبية ويختار مايشاء ثم انه تعالى لما ابطل من الاحتمالات العقلية ما يصلح ان يكون مبنى تكذيبهم اياه عليه الصلاة والسلام وطعنهم فيه بانه كاهن او مجنون اوشاعر شرع في ابطال قولهم نتربص به ريب المنون فقال ام لهم سلم يستمعون فيه يصعدون فيه فيستمعون كلام الملائكة وما يوحى اليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن من تقدم هلاكه على هلاكهم وظفرهم عليه كما يزعمون (قوله تعالى يستمعون فيه) صفة لسلم وفيه متعلق بحال محذوفة تقديره يستمعون صاعدين فيه ومفعول يستمعون محذوف اشار اليه بقوله الى كلام الملائكة وما يوحى اليهم (قوله فيه تسفيه لهم) بيان لمناسبة تلك المقالات لهذا المقام فان مدلول الآية الانكار عليهم حين جعلوا الله تعالى ما يكرهون من الاناث ولانفسهم البنين كقوله ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون والمقام مقام توبيخهم على اقوالهم المتناقضة ومقالاتهم الزائغة المتعلقة بتكذيبهم اياه عليه الصلاة والسلام ومن بلغ في السفاهة الى ان جعل رب العالمين ادون حالا منه بان جعل له مالا يرضى لنفسه كما قال تعالى واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم لم يستبعد منه امثال تلك المقالات الحمق ويستحيل ان يرقى روحه الى عالم الملكوت فيطلع على الغيب وفيه

﴿ أم عندهم الغيب ﴾ اللوح المحفوظ المثبت فيه المغيبات ﴿ فهم ﴾ ٢٩٦ يكتبون ما يحكمون منه ﴿ أم يريدون كيدا ﴾

وهو كيدهم في دار الندوة برسول الله ﴿ فالذين كفروا ﴾ يحتمل العموم والخصوص فيكون وضعه موضع الضمير للتسجيل على كفرهم والدلالة على انه الموجب للحكم المذكور ﴿ هم المكيدون ﴾ هم الذين يحيق بهم الكيد او يعود عليهم وبال كيدهم وهو قتلهم يوم بدر او المغلوبون في الكيد من كايدته فكدته ﴿ أم لهم إله غير الله ﴾ يعينهم ويحرسهم من عذابه ﴿ سبحان الله عما يشركون ﴾ عن اشراكهم او شركة ما يشركون به ﴿ وإن يروا كسفا ﴾ قطعة ﴿ من السماء ساقطا يقولوا ﴾ من فرط طغيانهم وعنادهم ﴿ سحاب مركوم ﴾ هذا سحاب تراكم بعضها على بعض وهو جواب قولهم فاسقط علينا كسفا من السما ﴿ فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون ﴾ وهو عند النفخة الاولى وقرئ يلقوا وقرأ ابن عامر وعاصم يصعقون على المبني للمفعول من صعقه او اصعقه ﴿ يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا ﴾ اي شيئا من الاغناء في رد العذاب ﴿ ولا هم ينصرون ﴾ يمنعون من عذاب الله تعالى ﴿ المنزول

تسلية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كأنه قيل مقتضى طباعهم الفاسدة التشبث بالكلمات الخرافات فانهم كما طعنوا فيك طعنوا في خالقهم (قوله الغيب اللوح المحفوظ) على ان يكون الغيب بمعنى الغائب او يكون من قبيل تسمية محل الغيب غيبا قال قتادة قوله تعالى ام عندهم الغيب جواب لقولهم نتربص به ريب المنون يقول الله تعالى أعندهم الغيب الذي كتب في اللوح المحفوظ حتى علموا ان محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم يموت قبلهم فهم يكتبون ذلك بعدما وقفوا عليه وقيل هو رد لقولهم انا لا نبعث ولو بعثنا لم نعذب كما قال تعالى خبرا عن قول البعض ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وقال لأوتين مالا وولدا أطلع الغيب فان كان قوله تعالى ام عندهم الغيب جوابا لقولهم نتربص به ريب المنون يكون وجه اتصال قوله ام يريدون كيدا بما قبله انه يكون جوابا آخر له كأنهم لما قالوا نتربص به ريب المنون قيل لهم أتعلمون الغيب فتعلمون انه يموت قبلكم ام يريدون به كيدا فتقتلونه فيموت فان كنتم تدعون علم الغيب فانكم كاذبون وان كنتم تظنون انكم تقدرون عليه فانكم جاهلون تجزيون بكيدكم من غير ان يتم لكم مرادكم ولا يعود ضرر مكركم الا عليكم وان كان جوابا لانكارهم باحوال الآخرة يكون المعنى بل انهم لا يكتفون بهذه المقالات الفاسدة ويريدون مع ذلك ان يكيدوا لك كيدا واساءة فهم المكيدون لا انت فانك انت المنصور المظفر الغالب عليهم قولا وفعلا حجة وسيفا فان القصر المدلول عليه بقوله هم المكيدون اضافي فان زعموا ان لهم آلهة تنصرهم وتحفظهم من ان يعود عليهم ضرر كيدهم فتعالى الله عن ان يكون له شريك يقاومه ويدفع ما اراده وفي الصحاح الكسفة القطعة من الشيء والجمع كسف وكسف ويقال الكسف والكسفة واحد وقال الاخفش من قرأ كسفا من السماء جعله واحدا ومن قرأ كسفا جعله جمعا انتهى وعلى القولين الكسف بفتح السين جمع والخلاف انما هو في الكسف بالسكون واختار المصنف قول الاخفش وقرئ في جميع القرآن كسفا وكسفا بالافراد والجمع الا في هذه الآية فانه على الافراد لا غير اي بسكون السين والمعنى ان عذباهم بسقوط كسف من السماء عليهم كما زعموا في قولهم او تسقط السماء كما زعموا في قولهم او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا لم ينتهوا عن كفرهم وقالوا هو قطعة من السحاب اجتمع بعضه مع بعض فتثاقل فسقط علينا وليس بسماء وقوله فذرهم جواب شرط محذوف اي اذا بلغوا في المكابرة والعناد الى هذا الحد تبين انهم لا يرجعون عما هم عليه من الكفر فدعهم حتى يموتوا على الكفر (قوله وقرئ يلقوا) ثلاثيا من لقي مبنيا للفاعل ووجهه ظاهر ويلقوا على بناء

وان الذين ظلموا) يحتمل العموم والخصوص (عذابا دون ذلك) اى دون عذاب الآخرة وهو عذاب القبر او المؤاخذة فى الدنيا كقتل بدر والقحط سبع سنين (ولكن اكثرهم لايعلمون) ذلك (واصبر لحكم ربك) بامهالهم وابقائك فى عنائهم (فانك باعيننا) فى حفظنا بحيث نراك ونكلأك وجمع العين لجمع الضمير او المبالغة بكثرة اسباب الحفظ (وسبح بحمد ربك حين تقوم) من اى مكان قمت اومن منامك او الى الصلاة (ومن الليل فسبحه) فان العبادة فيه اشق على النفس وابعد عن الرياء ولذلك افرده بالذكر وقدمه على الفعل

المفعول من باب التفعيل و يومهم مفعول به لاظرف وقوله من صعقه اى الثلاثى اومن اصعقه اى لرباعى وكلاهما بمعنى اماته فيصعقون على الاول مثل يقصون وعلى الثانى مثل يكرمون وقرأ باقى السبعة يصعقون بفتح الياء على بناء الفاعل اى يموتون يعنى ان صعق يتعدى ولا يتعدى كسعد وسعدته انا فهو مسعود قال تعالى واما الذين سعدوا ففى الجنة يقال صعق زيد اى مات وصعقه غيره اى اماته و يصعقون على قراءة باقى السبعة من صعق اللازم ويصعقون بضم الياء يحتمل ان يكون من صعق المتعدى اومن اصعقه وقوله يوم لايغنى بدل من يومهم الذى اى حتى يلاقوا يوم موتهم الذى لاينفعهم كيدهم فيه ولاهم ينصرون اى لايمنعهم من العذاب مانع (قوله يحتمل العموم) بان يراد بهم كل من ظلم بعبادة غيرالله ويحتمل الخصوص بان يراد بهم كفار مكة ويراد بظلمهم كيدهم نبيهم عليه الصلاة والسلام وتكذيبهم اياه فيكون قوله للذين ظلموا من ايقاع الظاهر موقع المضمر للتسجيل على ظلمهم (قوله دون عذاب الآخرة) يعنى ان ذلك اشارة الى اليوم الذى فيه يصعقون والمعنى لهم عذاب قبل ذلك اليوم وهو يوم النفخة الاولى وذلك العذاب هو عذاب القبر ان حمل الذين ظلموا على العموم والمؤاخذة فى الدنيا والقحط سبع سنين ان حمل على الخصوص (قوله فى حفظنا) يعنى ان قوله باعيننا مثل فى الحفظ والكلاءة يعبر به عنه تشبيها لحفظ الله تعالى وكلاءته بمراقبة الحافظ ما يحفظه (قوله وجمع العين لجمع الضمير) فانه تعالى لما عبر عن ذاته المقدسة بضمير المتكلم مع غيره تعظيما لنفسه جمع ما اضيف اليه ليطابق المضاف بالمضاف اليه الاترى انه يجوز افراد المضاف حيث افرد المضاف اليه فى قوله ولتصنع على عينى (قوله من اى مكان قمت) متعلق بقوله تعالى تقوم اى اذا قمت من مجلس اى مجلس كان قل سبحان الله و بحمده اى سبح الله ملتبسا بحمده عن سعيد بن جبير وعطاء اى قل حين تقوم من مجلسك سبحانك اللهم و بحمدك فان كان ذلك المجلس خيرا ازددت احسانا وان كان غير ذلك كان كفارة لك وعن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه من جلس مجلسا يكثر فيه لغطه فقال قبل ان يقوم سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لااله الاانت استغفرك واتوب اليك كان كفارة لما بينهما و يحتمل ان يكون المعنى وسبح بحمد ربك حين تقوم من منامك لما قيل ان المراد به ان تقول عند القيام من النوم الحمد لله الذى احيانى بعد ما اماتنى واليه البعث والنشور روى انه كان عليه الصلاة والسلام يقول ذلك عند الانتباه وقال الكلبى هو ذكر الله تعالى باللسان حين تقوم من الفراش الى ان تدخل فى الصلاة و يحتمل ان يكون المعنى حين تقوم الى الصلاة

لما روى عن الضحاك والربيع انهما قالا معنا ه اذا قمت الى الصلاة فقل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك بعد تكبيرة الافتتاح وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت مثل ذلك (قوله واذا ادبرت النجوم من آخر الليل) يعني ان الجمهور على كسر الهمزة من ادبار النجوم على انه مصدر ادبر اذا ذهب وانصرف اقيم مقام الظرف فوانتصب على الظرفية اى فسبحه وقت ادبار النجوم بظهور ضوء الصبح وقرئ بفتح الهمزة على انه جمع دبر بمعنى الآخر واعقاب النجوم غيبتها بضوء الصبح وغروبها * هذا آخر مايتعلق بسورة الطور والحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لانبي بعده

(سورة النجم)

(بسم الله الرحمن الرحيم وبه الاعانة وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وعلى آله وسلم)

(قوله اقسم بجنس النجوم) سمى نجوم السماء اى نجم كان نجما لطلوعه فان كل طالع نجم يقال نجم السن والقرن والنبت اذا طلع ويحتمل ان يكون المراد بالنجم المقسم به الثريا لان النجم صار علما لها بالغلبة قال قائلهم

ان بدا النجم عشيا * ابتغى الراعى كسيا

وقال ايضا

طلع النجم عشيه * وابتغى الراعى كسيه

فانها انما تطلع عشيا فى قلب الشتاء او ان شدة البرد يقال ان الثريا سبعة انجم ستة منها ظاهرة وواحد خفى يمتحن الناس به ابصارهم وروى القاضى عياض فى الشفاء ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان يرى الثريا احد عشر نجما عن ابى هريرة مرفوعا ما طلع النجم قط وفى الارض من العاهة شئ الا رفع واراد بالنجم الثريا وهوى النجم سواء اريد به نجوم السماء كلها او الثريا وحدها اما غروبه واما انتشاره يوم القيامة كما قال تعالى واذا الكواكب انتثرت واما انقضاضه لرمى الشياطين عند استراقهم السمع واما طلوعه وعلى الاحتمالات الثلاثة الاول بقوله فانه يقال هوى يهوى هويا بالفتح اذا سقط وغرب وعلى الاحتمال الرابع بقوله هويا بالضم اذا صعد فان الهوى بفتح الهاء هو السقوط من علو الى سفل والهوى بضم الهاء الطلوع وفعلهما واحد والاختلاف انما هو فى المصدر وكل واحد من غروب النجوم وانتثارها وانقضاضها لرمى الشياطين لكونه سقوطا من علو الى سفل يصح ان يطلق عليه الهوى بفتح الهاء كما يصح ان يطلق على طلوعها الهوى بضم الهاء وفائدة تقييد المقسم به بوقت هويه بفتح الهاء اوضمها انه اذا كان النجم فى وسط السماء يقل

(وادبار النجوم) واذا ادبرت النجوم من آخر الليل وقرئ بالفتح اى فى اعقابها اذا غربت اوخفيت وعنه صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة الطور كان حقا على الله ان يؤمنه من عذابه وان ينعمه فى جنته سورة والنجم مكية وايها احدى او ثنتان وستون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والنجم اذاهوى) اقسم بجنس النجوم او الثريا فانه غلب فيه اذا غرب او انتثر يوم القيامة او انقض اوطلع فانه يقال هوى هويا بالفتح اذا سقط وغرب وهويا بالضم اذا علا وصعد

نفسه حيث لايهتدى به السارى حينئذ لانه لايعلم المشرق من المغرب ولاالجنوب من الشمال بخلاف ما اذا لم تكن فى وسط السماء بان يكون فى جانب المشرق او المغرب فانه حينئذ يتميز به جانب المشرق عن المغرب والجنوب عن الشمال (قوله او بالنجم) عطف على قوله بجنس النجوم اى او اقسم بالنجم من نجوم القرآن فان النجم فى الاصل اسم للكوكب ثم يطلق على الوقت المضروب لكون امتيازه منوطا بتعيين طلوع الكوكب وغروبه ويسمى تفريق الفعل الى الاوقات تنجيما والفعل المفرق منجما ثم يطلق النجم على الفعل الواقع فى وقت معين بطريق اطلاق اسم المحل على الحال فنجوم القرآن القطع النازلة فى اوقات متفرقة قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما هو قسم بالقرآن اذا نزل نجوما متفرقة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى عشرين سنة فالمراد بهويه نزوله (قوله او النبات) عطف ايضا على قوله بجنس النجوم فان النجم قد يطلق على النبت الذى لاساق له ومنه قوله تعالى والنجم والشجر يسجدان وهويه سقوطه على الارض اوطلوعه منها وارتفاعه (قوله على قوله) متعلق بقوله اقسم بجنس النجوم يعنى ان قوله تعالى ماضل صاحبكم هو المقسم عليه وذلك ان قريشا قالوا اضل محمد عن دين آبائه وغوى فانزل الله تعالى ماضل صاحبكم وماغوى بل اهتدى ورشد فان الضلال نقيض الهدى والغى نقيض الرشد اى هو مصدر اشد وليس كما يزعمون من انه قد ضل وغوى وذهب اكثر المفسرين الى ان الغى والضلال واحد والمصنف اشار الى الفرق بينهما بقوله فى تفسير ماضل ماعدل عن الطريق المستقيم وفى تفسير وماغوى وما اعتقد باطلا وحاصل ماذكره من الفرق ان الغواية هى الخطأ فى الاعتقاد خاصة والضلال اعم منها يتناول الخطأ فى الافعال والاقوال والعقائد ولذلك يقال ضل بعيرى ولا يقال غوى فالضلال هو العدول عن الطريق المستقيم الذى بينها الله تعالى لعباده سواء كان متعلقا بالافعال او الاقوال او العقائد او الاخلاق والغواية هو العدول عن الطريق المستقيم فى باب العقائد فيكون قوله تعالى وماغوى من قبيل التخصيص بعد التعميم لمزيد العناية بنفى الخاص فالمراد نفى ما نسبوه اليه من العدول عن سنن الصواب فى كل واحد من باب الاعتقاد والعمل فالله تعالى تولى جواب ما قالوا له عليه الصلاة والسلام فقال ماضل صاحبكم وماغوى وماصاحبكم بمجنون وماهو بقول شاعر ولا بقول كاهن وماينطق عن الهوى وسائر الانبياء كانوا يجيبون بانفسهم فان قوم نوح لما قالوا له عليه الصلاة والسلام انا لنراك فى ضلالة اجابهم بقوله ياقوم ليس بى ضلالة ولما قال عاد لهود انا لنراك فى سفاهة قال ياقوم ليس بى سفاهة ولما قال

او بالنجم من نجوم القرآن اذا نزل او النبات اذا سقط على الارض او اذا نما وارتفع على قوله (ماضل صاحبكم) ماعدل محمد عليه الصلاة والسلام عن الطريق المستقيم (وما غوى) وما اعتقد باطلا والخطاب لقريش والمراد نفى ما ينسبون اليه

(وما ينطق عن الهوى) وما يصدر نطقه بالقرآن عن الهوى (ان هو) ما القرآن او الذي ينطق به (الا وحي يوحى) الا وحي يوحيه الله اليه واحتج به من لم ير الاجتهاد له و اجيب عنه بانه اذا اوحي اليه بان يجتهد كان اجتهاده وما يستند اليه وحيا وفيه نظر لان ذلك حينئذ يكون بالوحي لا الوحي (علمه شديد القوى) ملك شديد قواه وهو جبرائيل فانه الواسطة في ابداء الخوارق روى انه قلع قرى قوم لوط ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين (ذو مرة) حصافة في عقله ورأيه

فرعون لموسى عليه الصلاة والسلام اني لاظنك ياموسى مسحورا قال له واني لاظنك يافرعون مثبورا ونحو ذلك (قوله وما يصدر نطقه بالقرآن عن الهوى) اي عن ميل نفسه وشهوته من غير ان يوحى اليه شئ وهو اشارة الى ان تعدية النطق بعن مبنى على تضمنه معنى الصدور وقيل عن بمعنى الباء فان العرب تجعل عن مكان الباء تقول رميت عن القوس اى بالقوس قال اولا ما ضل وما غوى بصيغة الماضي ثم قال وما ينطق عن الهوى بصيغة المستقبل بيانا لحاله قبل البعثة وبعدها اي ما ضل وما غوى ابدا حيث اعتزلكم وما تعبدون قبل ان يبعث رسولا وما ينطق عن الهوى الآن حين يتلو عليكم آيات ربه والوحي في الاصل مصدر اطلق ههنا على الكتاب الالهي الموحى وقوله يوحى صفة لوحي وفائدة المجيء بهذا الوصف دفع توهم المجاز اي هو وحي حقيقة لا بمجرد تسميته وحيا والوحي بالمعنى المصدري له معان وهي الارسال والالهام والكتابة والاشارة والكلام والافهام (قوله واحتج به من لم ير الاجتهاد له) قال صاحب الكشف وجه الاحتجاج ان الله تعالى اخبر بان جميع ما ينطق به وحي وما كان عن اجتهاد فليس بوحي فليس مما ينطق به ثم نقل جواب صاحب الكشاف بقوله واجاب بان الله تعالى اذا سوغ له الاجتهاد كان له الاجتهاد وما يستند اليه كله وحيا لا نطقا عن الهوى ثم قال واعترض عليه بانه يستلزم ان تكون الاحكام التي يستنبطها المجتهدون بالقياس وحيا والجواب انه عليه الصلاة والسلام اوحي اليه ان يجتهد بخلاف سائر المجتهدين ثم اورد اعتراض المصنف فقال وما قيل من انه حينئذ بالوحي لا وحي فغير قادح لانه يعز له ان يقول الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام حتما ظنت كذا فهو حكمي انتهى كلامه (قوله ملك شديد قواه) اشار الى ان شديد القوى من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها مثل حسن الوجه وان موصوفها محذوف هو الملك وقيل هو البارى تعالى كقوله الرحمن علم القرآن وضمير علمه يجوز ان يكون للرسول اي لقوله صاحبكم اي علم محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم جبريل عليه السلام بوحي الله تعالى وهو الظاهر فيكون المفعول الثاني محذوفا اي علمه الرسول بان نزل به عليه وبينه له ولعل مراد المصنف بقوله فانه الواسطة في ابداء الخوارق الاشارة الى ان ضمير علمه للرسول وان ثاني مفعولي علم محذوف ليذهب ذهن السامع الى كل ما ظهر على يده من الخوارق قرآنا كان او غيره وان طريق تعليم ذلك اياه عليه الصلاة والسلام كونه واسطة في ابداء تلك الخوارق وقوله تعالى ذو مرة نعت بعد نعت للموصوف المحذوف والمرة القوة وشدة العقل ايضا ورجل مرير اى قوى ذو مرة كذا

(في الصحاح)

فى الصحاح والحصافة استحكام العقل وصحة الرأى وفى الصحاح الحصيف
الرجل المحكم العقل يقال حصف بضم العين حصافة واحصاف الامر احكامه
حمل قوله تعالى شديد القوى على قوته فى جسمه واستدل عليها بما روى من قلعه
قرى قوم لوط وصيحته بثمود وحمل قوله ذو مرة على قوته فى عقله وعلمه دفعا
التكرار وتساعده اللغة ايضا (قوله تعالى فاستوى) معطوف على قوله
علمه اى علمه وهو على غير صورته الحقيقية ثم استوى على صورته التى جبل
عليها وكان يتمثل بصورة دحية حين ينزل بالوحى ليتمكن النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم من ضبطه الوحى وتلقيه فلما احب النبى عليه السلام ان يراه فى صورته
التى جبل عليها استوى له بتلك الصورة قيل ما رآه احد من الانبياء على حقيقته
الاصلية غير محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى سائر الانبياء والمرسلين فانه
عليه الصلاة والسلام راه على صورته مرتين رآه مرة فى الارض اى فى جبل
حرا وقيل بأجياد وهو جبل بمكة طلع جبريل عليه الصلاة والسلام عليه
من جانب المشرق وهو الافق الاعلى فلأ الافق وسد الارض وملأها
فخر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مغشيا عليه فنزل جبريل فى صورة
الآدمى فضمه الى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه وراه اخرى بتلك
الصورة وهو فى السماء عند سدرة المنتهى وهو قوله تعالى ولقد رآه نزلة
اخرى عند سدرة المنتهى وقوله تعالى وهو بالافق الاعلى جملة اسمية
فى موضع الحال من المنوى فى استوى (قوله فتعلق به) دفع لما يقال الظاهر
ان يقال ثم تدلى اليه فدنا منه لان التدلى سبب للدنو فلا يتفرع على الدنو بل
الدنو يتفرع عليه ووجه الدفع ان التدلى هو الاسترسال مع التعلق وجرد ههنا لمعنى
التعلق الذى هو متفرع على الدنو روى عن الامام الواحدى انه قال تقديره ثم تدلى
فدنى من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم حتى صار بعد ما بينهما قدر قوسين على
التقديم والتأخير وقيل دنى بمعنى قصد القرب منه عليه الصلاة والسلام وتحول
عن المكان الذى كان فيه فتدلى اى فنزل اليه لان التدلى وان كان بمعنى الامتداد
من علو الى سفل يستعمل ايضا فى النزول من العلو بالانتقال عنه (قوله
كقولك هو منى معقد الازار) اى فى كونه عبارة عن غاية القرب فان قاب قوسين
خبر كان فلو جعل اسم كان ضمير جبريل عليه الصلاة والسلام لزم منه ان يحكم
عليه بانه قاب قوسين اى قدرهما والشخص لا يكون مقدارا فاوله بانه من قبيل
قولك هو منى معقد الازار فى كونه عبارة عن غاية القرب فان اصل الكلام ان
يقال فكان قرب جبريل من محمد عليهما الصلاة والسلام مثل قرب احدى
القوسين من الاخرى فحذف المضاف وأداة التشبيه للمبالغة فى بيان قربه

(فاستوى) فاستقام
على صورته الحقيقية
التى خلقه الله تعالى
عليها قيل ما رآه احد
من الانبياء فى صورته
غير محمد عليه الصلاة
والسلام مرتين مرة
فى السماء ومرة فى الارض
وقيل استولى بقوته
على ما جعل له من الامر
(وهو بالافق الاعلى)
افق السماء والضمير
لجبرائيل (ثم دنا) من النبى
(فتدلى) فتعلق به وهو
تمثيل لعروجه بالرسول
وقيل ثم تدلى من الافق
الاعلى فدنا من الرسول
فيكون اشعارا بانه عرج
به غير منفصل عن محله
تقريرا لشدة قوته فان
التدلى استرسال مع تعلق
كتدلى الثمرة يقال دلى
رجله من السرير وادلى
دلوه والدوالى الثمر المعلق
(فكان) جبريل كقولك
هو منى معقد الازار

منه كما يقال هو منى معقد الازار والاصل ان يقال قربه منى واتصاله بى كاتصال معقد الازار بى فعدل عنه الى هذه العبارة لقصد المبالغة (قوله اوالمسافة بينهما) عطف على قوله جبريل والقاب المقدار وقاب قوسين عبارة عن كمال القرب وفى التيسير كانت عظماء العرب اذا أراد واتأكيد عهد وتوثيق عقد لاينقض ولايرفض احضر المتعاقد ان قوسيهما فجمعابينهما وقبضا عليهما ونزعاهما جميعا ورميا عنهما سهما واحدا يشير ان بذلك الى الاتحاد الكلى والاجتماع الاصلى فكان بعد ذلك رضى احدهما رضى الآخر وسخط احدهما سخط الآخر فكانهما قالا اكدنا المحبة بيننا والتزمنا القربة فقبولك مقبولى ومردودك مردودى وفى معالم التنزيل معنى قوله كان بين جبريل ومحمد صلوات الله عليهما مقدار قوسين انه كان بينهما مقدار مابين الوتر والقوس كأنه غلب القوس على الوتر وهذا اشارة الى تأكيد القرب (قوله اوادنى على تقديركم) يعنى ان كلمة او فيه للشك من جهة العباد كما ان كلمة لعل كذلك فى مواضع من القرآن اى لورآهما رآء منكم لقال هو قدر قوسين فى القرب اوأدنى اذلايلتبس عليه مقدار القرب وكما فى قوله تعالى وارسلناه الى مائة الف او يزيدون فانه تعالى عالم بمقادير الاشياء فخاطبنا على ماجرت به عادة المخاطبة بيننا (قوله وفيه تفخيم للموحى به) اى فى قوله تعالى فاوحى الى عبده مااوحى على تقدير ان يكون المنوى فى كل واحد من الفعلين ضمير جبريل عليه الصلاة والسلام تفخيم لما تقرر من ان التعريف بالموصول قديكون للتفخيم كما فى قوله فغشيهم من اليم ماغشيهم اى الذى لايكتنه كنهه ولايقادر قدره (قوله اوالله اليه) على ان يكون المنوى فى الفعل الاول ضمير جبريل وفى الثانى ضمير البارى اى فاوحى جبريل الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مااوحى الله تعالى اليه (قوله وقيل الضمائر كلها لله) اى ثم دنا الله تعالى من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الى آخر الآية وكذا موصوف شديد القوى هو الله تعالى كقوله الرحمن علم القرآن والقوى جمع القوة فقوله فاستوى الظاهر ان معناه حينئذ فاستوى القرآن فى صدره اى فى صدر محمد صلى الله تعالى عليه وسلم حين علمه ربه اوفى صدر جبريل وقيل المعنى ثم دنا محمد عليه الصلاة والسلام من ربه عز وجل دنو الرتبة والمنزلة واعطاه المنية واجابة الدعوة لادنو المكان والمسافة كقوله تعالى فانى قريب اجيب فتدلى اى هوى للسجود فكان قاب قوسين وهو تمثيل لكمال دنوه من ربه على اصطلاح العرب فان المحبين والحليفين فى الجاهلية كانا اذا ارادا عقد الصفا فى الود والمحبة الصقاقوسيهما يريدان بذلك ان كل واحد منهما يحامى عن صاحبه فاوحى الله عز وجل الى عبده محمد ما كذب

او المسافة بينهما (قاب قوسين) مقدارهما (او ادنى) على تقديركم كقوله او يزيدون والمقصود تمثيل ملكة الاتصال وتحقيق استماعه لما اوحى اليه بنفى البعد الملبس (فاوحى) جبريل (الى عبده) عبد الله واضماره قبل الذكر لكونه معلوما كقوله على ظهرها

فؤاد محمد فيما رأى وروى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال رأيته بفؤادي ولم اره بعيني (قوله من صورة جبريل او الله تعالى) اشارة الى الاختلاف الواقع بين فضلاء الامة في انه عليه الصلاة والسلام هل رأى ربه ليلة الاسرى ام لا فانكرته عائشة رضي الله تعالى عنها وقالت من حدث ان محمدا رأى ربه فقد كذب ثم قرأت لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب وقالت ان المرئي في قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى هو صورة جبريل حيث قالت ولكنه رأى جبريل في صورته مرتين ووافقها ابن مسعود رضي الله تعالى عنه في ان المرئي هو جبريل وذهب جماعة كثيرة الى ان المرئي هو الله تعالى وانه عليه الصلاة والسلام رأى ربه ثم انهم اختلفوا في انه عليه الصلاة والسلام هل رأى ربه بقلبه او بعين رأسه فقال بعضهم جعل بصره في فؤاده فرآه بفؤاده وهو قول ابن عباس قال رآه بفؤاده مرتين وقال انس والحسن وعكرمة رأى محمد ربه بعين رأسه وروى عكرمة عن ابن عباس انه قال ان الله اصطفى ابراهيم بالخلة واصطفى موسى بالكلام واصطفى محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى سائر الانبياء والمرسلين بالرؤية واعلم ان رؤية الله تعالى في الدنيا جائزة لان دليل الجواز غير مخصوص برؤيته في الاخرة ولان مذهب اهل السنة ان الرؤية بالارآءة لا بقدرة العبد فاذا حصل العلم بالشئ من طريق البصر كان رؤية بالارآءة وان حصل من طريق القلب كان معرفة فالله تعالى قادر على ان يحصل مدرك المعلوم في القلب والمسئلة مختلف فيها بين الصحابة والاختلاف في الوقوع مما ينبئ عن الاتفاق على الجواز وقوله تعالى ما كذب الفؤاد قرأه هشام وابو جعفر بتشديد الذال والباقون بتخفيفها وما الاولى نافية والثانية موصولة وعائدها محذوف ومحلها النصب على انها مفعول كذب المشددة وعلى نزع الخافض في قرآءة التخفيف اى ما كذب الفؤاد في الذى رآه ببصره فلو قال الفؤاد الذى يراه ببصرك ليس بصحيح وان الصورة المرتسمة باعمال حاسة البصر ليست مطابقة لما نشأ في الارتسام في الحس المشترك كما اذا ارتسمت صورة الانسان من شبح الانسان المرئي من بعيد وقال الفؤاد في حق الصورة المرتسمة في الحس المشترك لا اعرفك حقا مطابقا للشبح المرئي لكان كاذبا لانه قد عرفها حقا واعتقد كونها مطابقة للشبح قال المكي من خفف كذب جعل ما في موضع النصب على نزع الخافض واسقاطه اى ما كذب فؤاده فيما رآه ببصره اى لم يقل فيه كذبا وانما يقول الكذب فيه ان لو قال له لا اعرفك ولا اعتقدك لانه قد عرفه بقلبه واعتقده حقا كما رآه ببصره وجعله مرئيا

(ما اوحى) جبريل وفيه تفخيم للموحى به او الله اليه وقيل الضمائر كلها لله تعالى وهو المعنى بشديد القوى كما في قوله هو الرزاق ذو القوة المتين ودنوه منه برفع مكانته وتدليه جذبه بشراشره الى جناب القدس (ما كذب الفؤاد ما رأى) ما رآه ببصره من صورة جبرائيل او الله تعالى

فيكون قوله لااعرفك كذبافاذالم يقل فؤادهذلك القول صح ان يقال انه ما كذب فيما رآه ببصره من صورة المرئى (قوله اى ما كذب بصره) بنصب البصر على نزع الخافض ايضا اى وما كذب الفؤاد فى حق بصره بان يقول له حكايتك لاتطابق المحكى بان قال انه لم يحك صورة المرئى على الوجه المطابق له (قوله فان الامور القدسية) جواب عما يرد على قوله اى ما كذب بصره بما حكاه له من ان ادراك القلب لما يحس بالبصر ومعرفته المتعلقة بالمحسوسات بالبصر متفرع على استعمال حاسة البصر وارتسام الصورة فى الحس المشترك فكيف يمكن للفؤاد ان يكذب فى حق البصر بان قال انه لم يحك صورة المحسوس على الوجه المطابق له وهو يستلزم ان يدرك المحسوس من غير استعانته بالبصر وتقرير الجواب ان الامور القدسية بمنزلة المعقولات الصرفة فى ان الفؤاد يدركها بنفسه ولايستعين فى ادراكها بالقوى الحاسة من حيث انه تعالى لم يخلق فى الحواس قوة الاحساس بها ثم انه تعالى لما خلق فى حاسته عليه الصلاة والسلام قوة الاحساس بالصورة التى جبل عليها جبريل وقدم مهاقيل ذلك بفؤاده قد عرفها من طريق البصر ايضا فيكن له ان يصدق و يكذب فى حق البصر اى يصدق و يكذب فيما حكاه له (قوله اوما رآه بقلبه) عطف على قوله ما رآه ببصره وهذا على قول من يقول انه عليه الصلاة والسلام رأى ربه بفؤاده لابعين رأسه فالمعنى حينئذ ما كذب الفؤاد فيما رآه الفؤاد بان قال فى حقه انه هاجس شيطانى وتخييل كاذب اذليس فى وسع الانسان معرفة الرب تعالى (قوله واشتقاقه من مرى الناقة) الجوهرى مريت الناقة مريا اذا مسحت ضرعها لتدر ومريت الفرس اذا استخرجت ما عنده من الجرى بسوط او غيره والمراد به الجدال بالباطل وكان حقه ان يتعدى بفى لانه يقال مماراته فى كذا لكنه ضمن معنى الغلبة فعدى تعديتها اذكر الله تعالى عليهم فى حد الهم معه عليه الصلاة والسلام حين اسرى به فقالوا اصف لنا بيت المقدس واخبرنا عن عيرنا فى الطريق وغير ذلك مما جادلوه به فان قيل الظاهر ان يقال اتماروته على ما راى بصيغة الماضى لانهم انما جادلوه بعد ما اسرى به فما الحكمة فى ايراده بصيغة المضارع فالجواب انه على حكاية الحال الماضية احضارا للحالة البعيدة فى ذهن المخاطبين وتعجيبا لهم (قوله وقرأ حمزة الخ افتمرونه) اى بفتح التاء من غير الف بعد الميم على انه من فعله المسند الى الغالب فى باب المغالبة اومن مريته حقه اذا علته وجحدته اياه (قوله مرة اخرى) يعنى ان نزلة لما كان اسما للمرة من الفعل اقيمت مقامها فكانت فى حكمها فى كونها منصوبة على الظرفية وقيل انها منصوبة على انها مفعول مطلق واقع موقع عامله المحذوف

أى ما كذب بصره عما حكاه له فان الامور القدسية تدرك اولا بالقلب ثم تنتقل منه الى البصر او ما قال فؤاده لما رآه لم اعرفك ولو قال ذلك كان كاذبا لانه عرفه بقلبه كما رآه ببصره او ما رآه بقلبه والمعنى لم يكن تخيلا كاذبا و يدل عليه انه عليه الصلاة والسلام سئل هل رأيت ربك فقال رأيته بفؤادي وقرئ ما كذب اى صدقه ولم يشك فيه (أفتمارونه على ما يرى) أفتجادلونه عليه من المراء وهو المجادلة واشتقاقه من مرى الناقة كان كلا من المتجادلين يمرى ما عند صاحبه وقرأ حمزة والكسائى و يعقوب افتمرونه اى افتغلبونه فى المراء من ماريته فمريته او افتجحدونه من مراه حقه اذا جحده وعلى لتضمين الفعل معنى الغلبة فان المماري والجاحد يقصدان بفعلهما غلبة الخصم (ولقد رآه نزلة اخرى) مرة اخرى فعلة من النزول اقيمت مقام المرة ونصبت نصبها اشعارا بان الرؤية فى هذه المرة كانت ايضا بنزول ودنو

المنصوب على انه حال من مفعول رآه اى رآه نازلا نزلة اخرى والواو فى ولقد رآه يحتمل ان تكون عاطفة و يحتمل ان تكون حالية اى كيف تجادلونه فيما رآه وتقولون انه لم يرجبريل وانما رأى شيطانا كما يرى الكهنة الشياطين وهو قد رآه على وجه لاشك فيه رآه مرتين مرة بالافق الاعلى اى بناحية من السماء التى هى على اطراف الكون ومرة عندسدرة المنتهى ليلة المعراج فرآه على صورته التى خلق عليها قال رأيته عند سدرة المنتهى وعليه ستمائة جناح ينتاثر منها الدر والياقوت وهى مقام جبريل عليه الصلاة والسلام ام فيها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ملائكة السماء كلها فكان امام الانبياء فى بيت المقدس وامام الملائكة عند سدرة المنتهى فظهر بذلك فضله على اهل السماء والارض قال مقاتل السدرة هى شجرة طوبى و لو ان رجلا ركب نجيبة وطاف على ساقها حتى ادركه الهرم لما وصل الى المكان الذى ركب منه تحمل لاهل الجنة الحلى والحلل وجميع الوان الثمر وقيل هى شجرة نبق ثابتة فى يمين العرش فوق السماء السابعة تخرج انهار الجنة من اصل تلك الشجرة و اضافة السدرة الى المنتهى يحتمل ان تكون من قبيل اضافة الشئ الى مكانه كقولك شجرة بلدة كذا ومكان كذا فالمنتهى حينئذ موضع لايتعداه ملك (قوله والكلام فى المرئى والدنو ماسبق) من ان المرئى هل هو جبريل او الله عز وجل فانه روى عن كعب الاحبار انه قال محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم رأى ربه مرة اخرى فقال ان الله تعالى كلم موسى مرتين وادنى محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى جميع الانبياء والمرسلين مرتين وذهب اكثر المفسرين الى ان الضمير البارز فى رآه لجبريل والمعنى انه عليه الصلاة والسلام لما رجع من عند ربه ليلة الاسراء رأى جبريل على صورته عند سدرة المنتهى وقوله عند سدرة المنتهى يجوز ان يكون حالا من مفعول رآه على تقدير ان يكون المرئى هوالله تعالى فلايجوز ذلك لانه تعالى منزه من ان يحل فى زمان اومكان و يجوز ان يكون ظرفا لرأى على التقدير ين على ان يكون الظرف ظرفا للرائى ورؤيته لا للمرئى كما اذا قلت رأيت الهلال فى بيتى وقوله تعالى اذ يغشى السدرة فى محل النصب على انه بدل من قوله نزلة اخرى وقدمر انه منصوب اى رأ محمد جبريل عليهما الصلاة والسلام اذ يغشى السدرة مايغشى قيل يغشاها الملائكة حتى تغطى السدرة روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال رأيت على كل ورقة من اوراقها ملكا قائما يسبح الله تعالى وفى ابهام مايغشى تعظيم وتكثير لما يغشاها من الخلائق والغشيان يكون بمعنى التغطية والستر و يكون بمعنى الاتيان ايضا وهو المناسب ههنا (قوله وقيل يغشاها الجم) عطف على معنى قوله

والكلام فى المرئى والدنو ماسبق و قيل تقديره ولقدرآه نازلا نزلة اخرى و نصبها على المصدر والمرادبه نفى الريبة عن المرة الاخيرة (عندسدرة المنتهى) التى ينتهى اليها علم الخلائق او اعمالهم اومايزل من فوقها و يصعد من تحتها

ولعلها شبهت بالسدرة وهي شجرة النبق لانهم يجتمعون في ظلها وروى مرفوعا انها في السماء

السابعة (عند ها جنة المأوى) الجنة التي يأوى اليها المتقون اوارواح الشهداء (اذ يغشى السدرة مايغشى) تعظيم وتكثير لما يغشاها بحيث لايكتنهها نعت و لا يحصيها عد وقيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله عندها (مازاغ البصر) ما مال بصر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عما رآه (وما طغى) وماتجاوزه بل اثبته اثباتا صحيحا مستيقنا اوما عدا عن رؤية العجائب التي امر برؤيتها وماجاوزها (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) اي والله لقد رأى الكبرى من آياته وعجائبه الملكية والملكوتية ليلة المعراج وقد قيل انها المثبتة بما رأى ويجوز ان تكون الكبرى صفة للآيات على ان المفعول محذوف اي شيئا من آيات ربه او من مزيدة (افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى) هي اصنام كانت لهم فاللات كانت لثقيف بالطائف اولقريش بنخلة وهي فعلة من لوى لانهم كانوا يلوون عليها اي يطوفون وقرئ اللات بالتشديد على انه سمي به لانه صورة رجل كان يلت السويق بالسمن (اذ ابله)

مايغشاها بحيث لايكتنهها نعت واختلفوا فيما يغشى السدرة فقيل هو فراش من ذهب اوجراد من ذهب اوهو الملائكة الذين يعبدون الله عندها وقيل بل يغشاها انوار الله تعالى لان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما وصل اليها تجلى ربه لها كما تجلى للجبل فظهرت الانوار الآلهية عليها لكن السدرة كانت اقوى من الجبل واثبت فجعل الجبل دكا ولم تتحرك الشجرة وخر موسى صعقا ولم يتزلزل محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (قوله ولعلها شبهت بالسدرة) كانه جواب عما يقال العالم العلوي ليس فيه شيء مما هو في هذا العالم فلايكون فيه شجرة النبق وهي شجرة الصنوبر فما وجه قوله عند سدرة المنتهى فاجاب بان شجرة النبق لما كان لها ظل مديد وطعم لذيذ ورائحة زكية شبهت بها شجرة المنتهى فاطلق عليها اسم السدرة على سبيل الاستعارة (قوله تعالى مازاغ البصر) اي اي شيء رآه في تلك الليلة لم يمل بصره عنه قبل ان يستيقنه و يطلع على حقيقته اوقصر نظره على ما امر برؤيته ولم يلتفت يمينا ولاشمالا على انه وصف له بالتأدب (قوله لقد رأى الكبرى) على ان الكبرى مفعول رأى ومن آيات ربه حال من المفعول قدمت عليه وحذف موصوف الكبرى والتقدير ولقد رأى الآيات الكبرى من آيات ربه اي رأى من آيات ربه آيات هي اكبر الآيات (قوله وقد قيل انها المثبتة بما رأى) اي في قوله ما كذب الفؤاد مارأى قال الامام ان هذه الآية تدل على ان محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم لم يرالله عز وجل ليلة المعراج وانما رأى آيات الله تعالى التي من جملتها رؤية جبريل على صورته وفيه خلاف ووجه الدلالة انه تعالى ختم قصة المعراج ههنا برؤية الآيات وقال في موضع آخر سبحان الذي اسرى بعبده ليلا الى ان قال لنريه من آياتنا ولوكان عليه الصلاة والسلام رأى ربه لكان ذلك اعظم مايمكن من الكرامة فكان حقه ان يختم به قصة المعراج ثم انه تعالى لما قرر امر الرسالة ذكر بعده ماينبغي ان يبدئ به الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وهو التوحيد ومنع الخلق عن الاشراك فقال افرأيتم اللات والعزى ومناة كما هي عليه من العجز والهوان فكيف تشركونها بالله العزيز العليم فلو رأيتم اياها حق الرؤية لعلمتم انها لاتصلح شريكا لله تعالى في استحقاق التعظيم (قوله وهي فعلة من لوى) اي من لوى على الشيء يلوى اذا عكف عليه اومن لوى الرجل رأسه اذا اماله فانهم كانوا يعكفون عليها و يميلون اعناقهم اليها اصله لوية فاسكنت الياء حذفت لالتقاء الساكنين فبقيت لوت وقلبت الواو الفا لتحركها وانفتاح ماقبلها فصارلات والعامة على تخفيف تائها وقرئ بتشديد التاء ايضا على انه في الاصل اسم فاعل من لت السويق

اذابله بالماء قيل كان رجل يلت السويق للحاج فلما مات عكفوا على صورته حجرا وسموه باسمه وعبدوه فلم يزل كذلك الى ان اسلمت ثقيف فبعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عليا رضى الله عنه فكسرها واحرقها بالنار (قوله سمرة) هى نوع من الشجر روى ان خالدا كان يقول حين يقطعها اليوم كفر انك لاسبحانك * انى رأيت الله قد اهانك فلما قطعها رجع الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال قد قطعتها فقال ما رأيت قال ما رأيت شيئا فقال عليه الصلاة والسلام ما بلغت فعاودها ومعه المعول فقلعها واجتث اصلها فخرجت منها امرأة عريانة ناشرة شعرها داعية ويلها واضعة يدها على رأسها فقتلها خالد رضى الله تعالى عنه ثم رجع الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واخبره بذلك فقال تلك العزى ولن تعبد ابدا (قوله من مناه اذا قطعه) وقيل من منى بمنى اى صب سميت الصخرة مناة لان دماء النساء البكر كانت تصب عندها والفها منقلبة عن ياء والتاء زائدة لتأنيث الصخرة فوزنها فعلة وميمها اصلية وقرأ ابن كثير مناءة بالمد والهمز من النوء اصله منوأة فنقلت حركة الواو الى النون قبلها فقلبت الفا ومناء موضع الاستمطار من الانواء والنوء سقوط نجم من المنازل الثمانى والعشرين فى المغرب عند طلوع الفجر مع طلوع رقيبه من المشرق بمقابله ما سقط من ساعة سقوطه وذلك فى ثلثة عشر يوما ماخلا الجبهة فان لها اربعة عشر يوما وكانت العرب تضيف الامطار والرياح والحر والبرد الى الساقط منها وقال الاصمعى الى الطالع منها فتقول مطرنا بنوء كذا والجمع انواء فوزن الكلمة حينئذ مفعلة والفها عن واو وهمزتها اصلية وميمها زائدة فانهم كانوا يستمطرون عندها الانواء تبركا بها (قوله صفتان للتأكيد) اما كون الثالثة للتأكيد فظاهر واما الاخرى فانها وان افادت معنى زائدا على ما افاده الموصوف لانها تأنيث الآخر بفتح الخاء بمعنى المغاير مع الاشتراك مع الموصوف فيما اثبت له فالاخرى تصلح مخصصة لمناة الا انه لا يصح ان تحمل الاخرى فى الاية على هذا المعنى اذ لا مشارك لمناة فى كونها مناة ثالثة حتى توصف بالاخرى احترازا عنها فوجب ان تكون بمعنى المغاير مطلقا فتكون صفة مؤكدة ضرورة ان مناة كما تكون ثالثة اللات والعزى فهى مغايرة لهما (قوله اوالاخرى من التأخر فى الرتبة) اى ويجوز ان تكون الاخرى صفة مسوقة للذم لكونها بمعنى المتأخرة فى الرتبة الوضيعة الذليلة فى القدر كقوله تعالى قالت اخراهم لاولاهم اى ضعفاؤهم لاشرافهم ووجه كون مناة وضيعة ذليلة بالنسبة الى اللات والعزى ان اللات وان كانت صخرة الا انها على صورة الادمى والعزى شجرة وهى لكونها من اقسام النبات اشرف من

و يطعم الحاج والعزى سمرة لغطفان كانوا يعبدونها فبعث اليها رسول الله عليه الصلاة والسلام خالد بن الوليد فقطعها واصلها تأنيث الاعز ومناة صخرة كانت لهذيل وخزاعة اولثقيف وهى فعلة من مناه اذا قطعه فانهم كانوا يذبحون عندها القرابين ومنه منى وقرأ ابن كثير مناءة مفعلة من النوء فانهم يستمطرون الانواء عندها تبركا بها وقوله الثالثة الاخرى صفتان للتأكيد كقوله يطير بجناحيه اوالاخرى من التأخر فى الرتبة (الكم الذكر وله الانثى) انكار لقولهم الملائكة بنات الله وهذه الاصنام استوطنها جنيات هن بناته اوهيا كل الملائكة

المناة التي هي صخرة فظهر ان مناة متأخرة عنها رتبة (قوله وهو المفعول الثانى لقوله افرأيتم) اى ساد مسده فان رأيتم تستدعى مفعولين اما لكونهما بمعنى افعلتم واللات وما عطف عليه مفعوله الاول والجملة الاستفهامية سادة مسد مفعوله الثانى كأنه قيل افعلتم هذه الاصنام حاكمة بان يكون لكم الذكر وله الانثى واما لكونهما بمعنى اخبرونى والمعنى افتمارون بعد ماتبين لكم رفعة شأنه وحقية رسالته فاخبرونى ان هذه الاصنام هل هى بنات الله مع وأدكم البنات وكراهتكم اياهن فانه قيل كيف تكون الجملة الاستفهامية مفعولا ثانيا لافرأيتم ولم يعد منها ضمير على المفعول الاول قلنا استغنى عن الضمير بتعريف الانثى فانه فى قوة ان يقال وله هذه الاصنام وكان الظاهر ان يقال وله هن اى تلك الاصنام الا انه وضع الاسم الظاهر موضع الضمير لرعاية الفواصل والاشارة الى علة الانكار والتوبيخ والفاء فى قوله افرأيتم للتعقيب كالتى فى قوله افتمارونه فانه تعالى صور امر الوحى اولا تصويرا تاما وحقق ان ما ينطق به وحى اوحى اليه بواسطة ملك شديد قواه لانه رأى ذلك الملك بصورته الملكية وعرفه حق المعرفة ثم قال افتمارونه على مايرى اى افتجادلونه بعد هذه البينات على مايرى من الآيات المحققة لكونه على بينة من ربه بحيث لايتصور معه ان يكون له شائبة ارتياب فى ان ما اوحى اليه كلام الهى يلقيه اليه ملك مقرب عنده كيف وقد رآه نزلة اخرى وعرفه حق المعرفة ثم قال لقد راى من آيات ربه تنبيها على ان ماذكر الى هنا من الآيات الكبرى فهو ايضا نفى للضلالة والغواية وتحقيق للدراية والهداية ثم عطف قوله افرأيتم على افتمارونه وادخل عليه الهمزة لزيادة الانكار فانه اذا تبين عظمة الله فى ملكوته وان رسوله اى المرسل يسد الآفاق ببعض اجنحته ويهلك المدائن بشدته وقوته ولايمكنه مع هذا ان يتعدى السدرة فى مقام جلال الله تعالى وعزته فقد تحقق واتضح ان ماذهبوا اليه من ان هؤلاء الاصنام شركاء له تعالى وبناته مع خستها وحقارة شأنها منكر غاية الانكار اى اتكم مع مما رأيتم فيما ليس بمظنة للرأى اخبرونى هل هؤلاء الاخساء بنات الله تعالى والمقصود التهكم بهم والتنبيه على انه نتيجة مرائهم وان من بلغ فى الضلال الى ان كان معتقده مثل هذا لايبعد منه ان ينسب من هو فى اعلى درجات الرشاد والسداد الى الضلالة والغواية وان يمارى معه فيما اتضح كنار على علم (قوله فان فعلى بالكسر لم يأت وصفا) فان الصفات فى المؤنث لاتأتى الاعلى فعلى بضم الفاء كحبلى وفعلى بفتح الفاء كسكرى وعطشى ولاتأتى على فعلى بالكسر الا فى بناء الاسماء كالشعرى والدفلى وفى المصدر كالذكرى فظهر ان اصل ضيزى بضم الضاد من ضاذ فى الحكم يضيز ضيزا اى جار وضازه حقه يضيزه

وهو المفعول الثانى لقوله افرأيتم (تلك اذا قسمة ضيزى) جائرة حيث جعلتم لهم ماتستنكفون منه وهى فعلى من الضيز وهو الجور لكنه كسر فاؤه ليسلم الياء كما فعل فى بيض فان فعلى بالكسر لم يأت وصفا وقرأ ابن كثير بالهمزة من ضأزه اذا ظلمه

على انه مصدر نعت به (ان هي الا اسماء) الضمير للاصنام اي ما هي باعتبار الالوهية الا اسماء تطلقونها عليها لانكم تقولون انها آلهة وليس فيها شئ من معنى الالوهية او للصفة التي تصفونها بها من كونها آلهة و بنات و شفعاء او للاسماء المذكورة فانهم كانوا يطلقون اللات عليها باعتبار استحقاقها للعكوف على عبادتها والعزى لعزتها ومناة لاعتقادهم انها تستحق ان يتقرب اليها بالقرابين (سميتموها انتم) سميتم بها (وآباؤكم) بهواكم (ما انزل الله بها من سلطان) برهان تتعلقون به (ان يتبعون) وقرئ بالتاء (الا الظن) الا توهم ان ما هم عليه حق تقليدا وتوهما باطلا (وما تهوى الانفس) وما تشتهيه انفسهم (ولقد جاءهم من ربهم الهدى) الرسول والكتاب فتركوه (ام للانسان ما تمنى) ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار والمعنى ليس له كل ما تمناه والمراد نفي طمعهم في شفاعة الآلهة وقولهم ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وقولهم لولا نزل هذا

اي بضمه وتقصه ثم كسروا الضاد لتسلم الياء كما كسروا الباء من بيض اصله بيض جمع ابيض مثل سود جمع اسود ولو ابقيت الضمة على حالها وابدلت الياء واوا لزم الثقل لان الكسرة والياء اخف عندهم من الضمة والواو مع عدم اللبس اذ ليس في الصفات فعلى بالكسر (قوله على انه مصدر نعت به) كالذكرى ولا يجوز كونه نعتا اصليا لما مر من انه ليس في الصفات فعلى (قوله اي ما هي باعتبار الالوهية) اي ما هي باعتبار ان يعبر عنها باسم الآلهة الا اسماء عارية عن مدلولاتها كما اذا اردت ان تحقر من هو ملقب بما يشعر مدحا تقول ما هو الاسم وكذا اذا كان ضمير هي للصفة او للاسماء يكون المعنى ما ذكر فان قيل الاسماء لا تسمى وانما يسمى بها فكيف قيل سميتموها قلنا اشار المصنف الى جوابه بقوله الا اسماء تطلقونها عليها جعل سميتموها بمعنى ذكرتموها واطلقتموها عليها يقال سميت زيدا بمعنى ذكرته بهذا الاسم وان كان للاصنام نكون سميت متعديا الى مفعولين بنفسه فان الاصنام باعتبار الآلهة وكذلك الصفات التي يصفون الاصنام بها والاسماء التي يسمونها بها اسماء يطلقونها على الاصنام اطلاقا عاريا عن مدلولاتها كانه قيل وما هذه الالفاظ الا اسماء اطلقتموها عليها بهواكم وشهوتكم ليس لكم على صحة اطلاقها عليها برهان تتعلقون به فسر قوله تعالى سميتموها اسم بقوله سميتم بها اشارة الى ان انتم تأكيد للضمير المرفوع المتصل وان قوله وآباؤكم معطوف على ذلك الضمير (قوله وقرئ بالتاء) كما يقتضيه الظاهر لان المقام مقام الخطاب الا ان العامة قرأوا بياء الغيبة التفاتا من خطابهم الى الغيبة تحقيرا لهم كانه قطع الكلام معهم وقال لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم انهم لا يتبعون الا الظن فلا تلتفت الى قولهم فان من اتبع ظنه وما تشتهيه نفسه بعد ما جاءه الهدى والبيان الشافي لا يعد انسانا ولا يعتد به وقوله تعالى ولقد جاءهم من ربهم الهدى الظاهر انه حال من فاعل يتبعون اي هم يتبعون الظن وهوى النفس في حال تنافي ذلك وهي مجئ الهدى من عند ربهم من الكتاب والرسول والبرهان الدال على بطلان ما اعتقدوه (قوله ام منقطعة) ومعناها الاضراب عن اتباعهم التوهم الباطل والهوى الى انكار ما هو افحش منه وهو ان يكون لهم ما يتمنونه من شفاعة آلهتهم وسائر تمنياتهم اي للانسان كل ما تمناه والدليل عليه قوله وكم من ملك الخ (قوله وكثير من الملائكة) اشارة الى ان كم خبرية للتكثير ومحلها الرفع على الابتداء وخبره لا تغني وجمع ضمير شفاعتهم مع انه

القرآن على رجل من القريتين عظيم ونحوها (فلله الآخرة والاولى) يعطي منهما ما يشاء لمن يريد وليس لاحد ان يتحكم عليه في شئ منهما (وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا) وكثير من الملائكة لا تغني شفاعتهم

راجع الى الملك حملا على معنى كم دون لفظها وليس المعنى انهم يشفعون فلا تنفع شفاعتهم بل معناه انهم لا يشفعون لانه لا يؤذن لهم فكيف تشفع الاصنام لعبدتهم واللام فى قوله تعالى لمن يشاء متعلقة بالاذن وقوله من يشاء يجوز ان يراد به من يشفع من الملائكة ومن يشفع له من الناس والثانى هو الظاهر لان الملائكة باجمعهم مأذونون فى الشفاعة للمؤمنين لان الكل يستغفرون للمؤمنين فلا وجه للتخصيص ثم انه تعالى لما استدل على بطلان شفاعة الاصنام لعبدتهم بان اعظم اجناس الخلق لا شفاعة لهم الا بالاذن فكيف يشفع اخس الموجودات من غير ان يؤذن لهم فانهم كانوا يقولون نحن لا نعبد الاصنام لانها جمادات وانما نعبد الملائكة بعبادتها فانها صور الملائكة فنضعها بين ايدينا لنذكر بالشاهد الغائب فنعظم الملائكة للقرب ورد الله تعالى عليهم بقوله ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الانثى مع انكم تحقرون الاناث وتكرهونهن وقد علم الجواب عن اصل اعتذارهم بقوله وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا الا بعد ان يؤذن لهم فى ان يشفعوا لمن يشاء ان يشفع لهم من المؤمنين ويراهم اهلا لان يشفع لهم (قوله تعالى تسمية الانثى) منصوب بنزع الخافض اى كتسمية الانثى والجار والمجرور فى محل النصب على انه صفة مصدر محذوف اى تسمية مثل تسمية الانثى اى ليذكرون الملائكة ذكرا كذكر الاناث حيث يذكرونهم بنات الله تعالى (قوله اى كل واحد منهم) لما كان الظاهر ان يقال تسمية الاناث بدل الانثى لان المسمى الملائكة دون الملك اول الملائكة بكل واحد منهم فان قيل كيف يصح ان يقال انهم لا يؤمنون بالآخرة مع انهم كانوا يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وكان من عادتهم ان يربطوا مركب الميت على قبره زعما منهم انه يحشر عليه اجيب عنه بانهم ما كانوا يجزمون بل ينكرون ويقولون لا حشر ثم يقولون فان كان فلنا هم شفعاء بدليل انه تعالى حكى عنهم قولهم وما اظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى وايضا انهم لا يؤمنون بالآخرة على الوجه الذى بينه الرسل فهم لا يؤمنون بحقيقة الآخرة بل بما يزعمونه آخرة (قوله وقرئ بها) اى وقرئ مالهم بها من علم بدل به فيكون ضمير بها اما للملائكة اوللتسمية على حذف المضاف اى مالهم بانوثة الملائكة او بمطابقة التسمية لهم من علم فانهم جاهلون بكل واحد من الامرين معتقدون اعتقادا لا يطابق الواقع (قوله فان الحق الذى هو حقيقة الشئ لا يدرك الا بالعلم) فسر العلم بحقيقة الشئ وهى ما عليه الشئ فى نفس الامر وحكم عليها بانها لا تدرك الا باليقين واشار الى ان المعارف قسمان حقيقية واعتبارية والحقيقية هى الاحوال الثابتة

شيئا ولا تشفع (الا من بعد ان يأذن الله) فى الشفاعة (لمن يشاء) من الملائكة ان يشفع او من الناس ان يشفع له (ويرضى) ويراه اهلا لذلك فكيف تشفع الاصنام لعبدتهم (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة) اى كل واحد منهم (تسمية الانثى) بان سموه بنتا (ومالهم به من علم) اى بما يقولون وقرئ بها اى بالملائكة او التسمية (ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغنى من الحق شيئا) فان الحق الذى هو حقيقة الشئ لا يدرك الا بالعلم والظن لا اعتبار له فى المعارف الحقيقية وانما العبرة به فى العمليات وما يكون وصلة اليها (فاعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا) فاعرض من دعوته والاهتمام بشانه فان من غفل عن الله واعرض عن ذكره وانهمك فى الدنيا بحيث كانت منتهى همته ومبلغ علمه لا تزيده الدعوة الا عنادا

للاشياء في انفسها مع قطع النظر عن جعل جاعل واعتبار معتبر وهي التي تبحث عنها اهل الحكمة والاعتبارية هي المباحث المنوطة بالجعل والاعتبار كالمباحث الشرعية والعرفية فالاولى لايتوصل اليها الا بالعلم واليقين بخلاف الثانية فان الظن يعتبر فيها عند عدم الوصول الى اليقين فان قيل كيف يصح ان يقال الظن لايغني شيئا من المعارف الحقيقية مع انه قديصيب ويتعلق بحقيقة الشئ وما هو عليه في نفس الامر فالجواب نعم ان الظن قد يتعلق بالحق الا ان الواجب على المكلف في المطالب الاعتقادية التيقن بما هو الحق ولاتكفيه الظن به فالظن بالوحدانية مثلا لايغني من الحق ولاينوب منابه ولاينفع صاحبه ولاينزله منزلة المحق لان المحق من تيقن بالحق وجزم به والظن بالوحدانية لايغني موحدا ثم انه تعالى لما ذكر انهم تركوا الهدى الذي جاءهم من ربهم واتبعوا الظن وما تهوى الانفس فرع عليه قوله فأعرض عن من تولى عن ذكرنا اي عن كتابنا ووعظنا فلم يصدقه ولم يقبله وقيل عن ذكرنا بالوحدانية وصفات العظمة والكبرياء ثم جهلهم وصغر رأيهم فقال ذلك مبلغهم من العلم فان امر الدنيا وماتمتع به فيها اخص الحظوظ واوضعها لايقتصر احد من العقلاء عليه اذ هو من اخلاق البهائم التي لا ترغب الا في الحاضر التافه الفاني قيل كل ما في القرآن من قوله تعالى فاعرض منسوخ بآية القتال وردبان الامر بالقتال لاينافي الامر بالاعراض عن الدعوة وانما ينافيان ان لو كان المراد بالاعراض الاعراض عنهم بالكلية وليس كذلك بل المراد به الاعراض عن دعوتهم الى الايمان باقامة الدليل والبرهان فانه تعالى امر رسوله عليه الصلاة والسلام اولا بدعائهم الى الاسلام بالحكمة والموعظة الحسنة فلما عارضوه بأباطيلهم امره بازالة شبهتهم والجواب عن اباطيلهم بان قال له وجادلهم بالتي هي احسن ثم لما لم ينفع ذلك قال له ربه اعرض عنهم ولاتشتغل باقامة الدليل والبرهان فلم يبق سبيل الى معالجتهم بالغذاء الصالح ولابالدواء النافع فقاتلهم واقطع دابرهم لئلا يتعدى داؤهم الى الصالحين ويشيع الفساد في الامة فلما كان الاعراض عن دعوتهم الى الايمان شرطا لجواز المقاتلة معهم لم يكن احدهما منافيا للآخر (قوله والجملة اعتراض) حيث تخللت بين الامر بالاعراض وتعليله (قوله وهو علة لما دل عليه ما قبله) يعني ان قوله تعالى ليجزي متعلق بمحذوف هو قوله خلق العالم دل عليه قوله لله ما في السموات والارض فان اللام فيه للملك والملك انما يكون بالخلق ويجوز ان يكون المحذوف قوله ميز الضال من المهتدي الذي هو مدلول قوله تعالى ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى فجملة قوله لله ما في السموات معترضة جيئ بها لتأكيد الجزاء وتقريره اي ميز احد الفريقين عن الآخر ليجازي كل واحد من آحاد الفريقين

واصرارا على الباطل (ذلك) اي امر الدنيا اوكونها شهيته (مبلغهم من العلم) لايتجاوزه علمهم والجملة اعتراض مقرر لقصور همهم بالدنيا وقوله (ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى) تعليل للامر بالاعراض اي انما يعلم الله من يجيب ممن لايجيب فلاتتعب نفسك في دعوتهم اذ ما عليك الا البلاغ وقد بلغت (ولله ما في السموات وما في الارض) خلقا وملكا (ليجزي الذين أساؤا بما عملوا) بعقاب ماعملوا من السوء او بمثله او بسبب ما عملوا من السوء وهو علة لما دل عليه ما قبله اي خلق العالم وسواه للجزاء او ميز الضال من المهتدي وحفظ احوالهم لذلك (ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى) بالمثوبة الحسنى وهي الجنة

او باحسن من اعمالهم او بسبب الاعمال الحسنى (الذين يجتنبون كبائر الاثم) ما يكبر عقابه من الذنوب وهو ما رتب الوعيد عليه بخصوصه وقيل ما اوجب الحد وقرأ حمزة و الكسائى و ابن كثير كبير الاثم على ارادة الجنس او الشرك (والفواحش) وما فحش من الكبائر خصوصا (الا اللمم) الا ما قل وصغر فانه مغفور من مجتنبى الكبائر والاستثناء منقطع ومحل الذين النصب على الصفة او المدح او الرفع على انه خبر محذوف (ان ربك واسع المغفرة) حيث يغفر الصغائر باجتناب الكبائر اوله ان يغفر ما يشاء من الذنوب صغيرها وكبيرها ولعله عقب به وعيد المسيئين ووعد المحسنين لئلا ييأس صاحب الكبيرة من رحمته ولا يتوهم وجوب العقاب على الله تعالى

بما يليق به من الجزاء (قوله او باحسن من اعمالهم) مقابل لقوله او بمثله فان من جاء بالسيئة لا يجزى الا مثلها ومن جاء بالحسنة فله عشر امثالها والحسنى على الاول ليس صفة المثوبة الا ان الحسنى على الاول منهما من قبيل زيد الافضل وعلى الثانى من قبيل زيد افضل من عمرو والحسنى على الثانى صفة اعمالهم (قوله تعالى الذين يجتنبون كبائر) يجوز ان يكون منصوب المحل على انه بدل او بيان او نعت للذين احسنوا او بتقدير اعنى و يجوز ان يكون مرفوعا على انه خبر مبتدأ محذوف اى هم الذين فان قيل اذا كان بدلا من الذين احسنوا فلم تخالفا فى الصلة حيث كانت صلة الاول ماضيا وصلة الثانى مستقبلا قلنا للاشعار بان ترك المعصية سواء كانت بارتكاب المحرمات او بترك الواجبات ينبغى ان يستمر عليه المؤمن و يجعل الاجتناب عنهما دأبا له وعادة حتى يستحق المثوبة الحسنى فان من اجتنب مرة عنها و انهمك عليها فى باقى زمانه لا يستحقها بخلاف الحسنات المتطوع بها فان من اتى بها ولو مرة يؤجر عليها فقوله الذين يجتنبون على جميع التقادير يدل على ان المحسن هو الذى لا يسئ ولا يرتكب القبيح الذى فحش قبحه واتضح فالذين احسنوا هم الذين اجتنبوا و لهم الحسنى و بهذا تبين المسئ والمحسن لان من لا يجتنب الكبائر يكون مسيئا والذى يجتنبها يكون محسنا فان قيل الكبائر جمع كبيرة وهى صفة فما موصوفها قلنا انها صفة الفعلة كأنه قيل الفعلات الكبائر من الاثم فان قيل لم اختصت الكبائر بالذنوب فى الاستعمال وما المانع من ان يقال فعلات كبائر الحسنات قلنا الحسنة لا تكون كبيرة لانها اذا قوبلت بما يجب ان يوجد من العبد فى مقابلة نعم الله تعالى تكون فى غاية الصغر ولولا ان الله عز وجل يقبلها لكانت هباء ضائعا بخلاف السيئة فانها من العبد الذى انعم الله عليه بانواع النعم تكون كبيرة (قوله كبائر الاثم) معناه الكبائر من الاثم فان الاثم جنس يدخل تحته الكبائر و الصغائر وقد تقرر ان المضاف اليه اذا كان جنس المضاف تكون الاضافة بمعنى من كخاتم فضة وفسر الكبائر بما كبر عقابه من الذنوب وجعل الفواحش اخص منها وفسرها بما فحش قبحه من الكبائر فيكون عطف الفواحش على الكبائر للتغليظ والمبالغة فى الذم كعطف جبرائيل وميكائيل على الملائكة فى المدح كأنه قيل والفواحش منها خاصة (قوله الا ما قل وصغر) يعنى ان اللمم الصغير من الذنب من الم بالمكان اذا نزل نزولا من غير لبث طويل و يقال الم بالطعام اذا اقل اكله منه وكان عليه الصلاة و السلام يقول ان تغفر اللهم فاغفر جما واى عبد لك ما الما فيكون الاستثناء منقطعا لان اللمم وهو الصغير من الذنب لا يدخل تحت الكبائر و الفواحش والمعنى لكن اللمم قد غفره

(الله)

الله تعالى فان الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات ما بينهن اذا اجتنبت الكبائر قال تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات (قوله تعالى هو اعلم بكم) يحتمل ان يكون متعلقا بقوله هو اعلم بمن ضل عن سبيله وبمن اهتدى تقريرا للاحاطة علمه باحوال الفريقين فحينئذ يكون وجه تفريع قوله فلا تزكوا انفسكم عليه ظاهرا فانه تعالى لما قال نحن اعلم بحال الفريقين ونجازيهما على حسب استحقاقهما كان ذلك مظنة ان يقول بعض الكفرة نحن نعمل امورا في جوف الليل المظلم في البيت الخالي فكيف يعلمها الله فرد الله تعالى عليهم وقرر احاطة علمه بها بقوله هو اعلم باحوالكم منكم حيث يعلم احوالكم حين ابتدأ خلقكم وحين صوركم في الارحام فكيف لا يعلم من احسن منكم ممن اساء ويحتمل ان يكون متعلقا بقوله ليجزي الذين اساؤا واحسنوا وتأكيدا لامر الجزاء فانه تعالى لما قال ليجزي كل واحد من الفريقين كان ذلك مظنة لان يقول من انكر الحشر والجزاء هذا يقتضي ان يحشر من في القبور ويجمع اجزاءهم المتفرقة بحيث لا يختلط شيء من اجزاء البعض باجزاء الباقين وذلك غير ممكن فرد الله عليهم وقرر احاطة علمه بجميع احوالهم فيعلم تفاصيل اجزاء كل شخص فيعيدها الى بدنه فحينئذ يكون وجه تفريع قوله فلا تزكوا انفسكم على ماقبله كونه نتيجة لعلمه بتفاصيل الاجزاء والمعنى فلا تزكوا انفسكم من العذاب ولا تقولوا تفرقت الاجزاء بحيث امتنع جمعها فلا حشر ولا جزاء فان العالم بكم عند الانشاء عالم بكم عند الاعادة والاجنة جمع جنين مثل اسرة وسرير والجنين الولد مادام في بطن امه وهو فعيل بمعنى مفعول من جنه اذا ستره واذا خرج من بطن امه لا يسمى الا ولدا او سقطا فان قيل اذا كان الجنين اسما للولد ما دام في بطن امه فما فائدة قوله في بطون امهاتكم قلنا فائدته المبالغة في بيان كمال علمه وقدرته فان بطون الامهات في غاية الظلمة والخفاء فمن علم حال الجنين فيها لا يخفى عليه شيء من احواله واختار الحسن البصري كونه متعلقا بقوله هو اعلم بمن ضل حيث قال علم الله من كل نفس ماهي صانعة وماهي اليه صائرة فلا تزكوا انفسكم ولا تطهروها من الآثام ولا تمدحوها بحسن الاعمال لان كل واحد من التحلية والتخلية انما يصدر اذا كان خالصا لله تعالى واذا كان هو اعلم باحوالكم منكم فلا حاجة الى التزكية (قوله ابتداء خلقكم من التراب بخلق آدم) اي منه او بخلق كل واحد منكم من التراب فانه اصل كل واحد من بني آدم من حيث ان النبات المولد منه يصير غذاء ويصير الغذاء دما ويصير الدم نطفة والنطفة انسانا ثم انه تعالى لما امره عليه الصلاة والسلام بالاعراض عمن تولى وعلل الامر المذكور باحاطة علمه بمن ضل واهتدى وانه يجازي كل واحد على حسب

(هو اعلم بكم) اعلم باحوالكم منكم (اذ انشأكم من الارض واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم) علم احوالكم ومصارف اموركم حين ابتدأ خلقكم من التراب بخلق آدم وحين ما صوركم في الارحام (فلا تزكوا انفسكم) فلا تثنوا عليها بزكاء العمل وزيادة الخير او بالطهارة من المعاصي والرذائل (هو اعلم بمن اتقى) فانه يعلم التقي وغيره منكم قبل ان يخرجكم من صلب آدم عليه الصلاة والسلام (افرأيت الذي تولى) عن اتباع الحق والثبات عليه

(واعطى قليلا واكدى) وقطع العطاء من قولهم اكدى الحافر اذا بلغ الكدية وهى الصخرة الصلبة فترك
الحفر والاكثر على انها نزلت فى الوليد ابن المغيرة كان يتبع رسول الله عليه ﴿٣١٤﴾ الصلاة والسلام فعيره بعض
المشركين وقال تركت دين الاشياخ وضللتهم فقال اخشى عذاب الله فضمن ان يتحمل عنه العذاب ان اعطاه بعض ماله فارتد واعطى بعض المشروط ثم بخل بالباقى (اعنده علم الغيب فهو يرى) يعلم ان صاحبه يتحمل عنه (ام لم ينبأ بما فى صحف موسى وابراهيم الذى وفى) وفر واتم ما التزمه اوامر به او بالغ فى الوفاء بما عاهد الله وتخصيصه بذلك لاحتماله ما لم يحتمله غيره كالصبر على نار نمرود حتى اتاه جبرائيل عليه السلام حين القى فى النار فقال الك حاجة فقال اما اليك فلا وذبح الولد وانه كان يمشى كل يوم فرسخا يرتاد ضيفا فان وافقه اكرمه والانوى الصوم وتقديم موسى لان صحفه وهى التوراة كانت اكثر واشهر عندهم (ان لا تزر وازرة وزر اخرى) ان هى المخففة من الثقيلة وهى بما بعدها فى محل
الجر بدلا مما فى صحف موسى او الرفع على هو ان لا تزر كانه قيل ما فى صحفهما فاجاب به والمعنى انه (وزرت)
لا يؤاخذ احد بذنب غيره ولا يخالف ذلك قوله تعالى كتبنا على بنى اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد

حاله فرع قوله افرأيت الذى تولى تعجبا من حاله وانكارا عليه جهله وبخله باعطاء ما التزمه (قوله من قولهم اكدى الحافر) يعنى ان اصل الاكداء ان يحفر الحافر فيبلغ الكدية فيمسك عن الحفر لتعذره عليه ثم استعير لكل ما تعذر عن الانسان وقيل ارأيت بمعنى اخبرنى واعنده علم الغيب مفعوله الثانى اى اخبرنى ان هذا المعطى المكدى هل عنده علم ما غاب عنه من احواله واحوال الاخرة فهو يعلم ان صاحبه يتحمل عنه اوزاره على ان قوله يرى بمعنى يعلم حذف مفعولاه لدلالة المقام عليهما (قوله تعالى ام لم ينبأ) اى ام لم يخبر بما فى صحف موسى يعنى اسفار التوراة وفى الكواشى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه انزل على ابراهيم عليه السلام عشر صحائف وعلى موسى عشر صحائف قبل التوراة وام منقطعة اى بل ينبأ اضرب عن انكار ان يكون عنده علم الغيب الى تقريره انه نبئ واخبر بما فى الصحف (قوله وابراهيم) عطف على موسى اى وبما فى صحف ابراهيم والجمهور على تشديد قوله وفى للتكثير والمبالغة فى الوفاء بما التزمه وبما عاهد الله تعالى عليه وبالعمل بما امره الله على اتم وهو بمعنى اوفى الجوهرى اوفاه حقه ووفاه بمعنى اى اعطاه اياه تاما وافيا ومن جملة وفائه بما عاهد الله تعالى عليه انه عهد ان لا يسأل مخلوقا فاتاه جبريل عليه السلام حين القى فى النار فقال الك حاجة فقال اما اليك فلا (قوله يرتاد ضيفا) اى يطلبه يقال ارتاده ارتيادا اى طلبه (قوله وتقديم موسى) اى مع ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام متقدم عليه فى البعث فلذلك قدم فى قوله تعالى صحف ابراهيم وموسى ثم بين ما فى صحفهما فقال ان لا تزر وازرة وزر اخرى اى لا تحمل نفس حاملة حمل اخرى ومعناه لا تؤاخذ نفس باثم غيرها وفيه ابطال قول من ضمن للوليد بن المغيرة ان يحمل عنه الاثم روى عن ابن عباس انه قال كانوا قبل ابراهيم عليه الصلاة والسلام يأخذون الرجل بذنب غيره فكان الرجل يقتل بقتل ابيه وابنه واخيه وامرأته وعبده حتى جاءهم ابراهيم عليه الصلاة والسلام فنهاهم عن ذلك وبلغهم عن الله تعالى ان لا تزر وازرة وزر اخرى وان فى ان لا تزر هى المخففة واسمها محذوف وهو ضمير الشان والتقدير ان الشان لا تحمل نفس حاملة حمل اخرى فان قيل الآية مسوقة لبيان ان وزر الرجل لا يحمل عنه وظاهر الآية لا يدل عليه لان النفس الوازرة مثقلة بوزرها فكل واحد يعلم انها لا تحمل شيئا غير ذلك الذى عليها فلو قال لا تحمل فارغة وزر اخرى لكان اولى واظهر فالجواب ان المراد من الوازرة هى التى يتوقع منها الحمل والوزر لا التى

وزرت وحملت ثقلا وقوله وان ليس للانسان معطوف على قوله ان لاتزر وان
فيه ايضا هى المخففة من الثقيلة وللانسان خبر ليس والاماسعى اسمها اى الا
سعيه و يجوز ان تكون ما موصولة وقوله وان سعيه سوف يرى معطوف على
ان لا تزر ايضا والمعنى ان المذكورات كلها فى الصحف وقوله يرى خبر ان وهو
من رؤية العين وفيه ضمير يعود على اسمها وهو السعى والمراد بالسعى العمل كما
فى قوله تعالى ان سعيكم لشتى وعن ابن عباس عدم اثابة الانسان بسعى غيره
وفعله منسوخ الحكم فى هذه الشريعة فالحصر المستفاد من قوله تعالى ليس
للانسان الاماسعى منسوخ الحكم فى هذه الشريعة بقوله تعالى الحقنا بهم ذرياتهم
فانه يدل على ان الذريات يدخلون الجنة بعمل آبائهم وقال عكرمة كان ذلك
لقوم ابراهيم وموسى واما هذه الامة فلهم ماسعوا اى ماعملوا وسعى لهم
غيرهم لماروى ان امرأة رفعت صبيا له عليه الصلاة والسلام من المحفة فقالت
يارسول الله الهذا حج قال نعم ولك اجر وقال رجل يارسول الله ان امى افتلتت
نفسها اى ماتت فجأة واظنها انها لو تكلمت لتصدقت فهل لها اجر ان
تصدقت عنها قال نعم قال الشيخ تقى الدين ابو العباس من اعتقد ان الانسان
لاينتفع الا بعمله فقد خرق الاجماع وذلك باطل فان الامة قد اجمعوا على ان
الانسان ينتفع بدعاء غيره وهو انتفاع بعمل الغير وايضا انه عليه الصلاة والسلام
يشفع لاهل الموقف فى الحساب ثم لاهل الجنة فى دخولها ثم لاهل الكبائر فى الاخراج
من النار وهذا انتفاع بسعى الغير وكذا كل نبى وصالح له شفاعة وذلك انتفاع
بعمل الغير وايضا الملائكة يدعون ويستغفرون لمن فى الارض وذلك منفعة
بعمل الغير وايضا انه تعالى يخرج طائفة من النار ممن لم يعمل خيرا قط بمحض
رحمته وهذا انتفاع من غير سعيهم وايضا اولاد المؤمنين يدخلون الجنة بعمل
آبائهم وذلك انتفاع بمحض عمل الغير وكذا الميت ينتفع بالصدقة عنه و بالعتق
عنه بنص السنة والاجماع وهو من عمل غيره وانه يسقط الحج المفروض عن
الميت بحج وليه عنه بنص السنة وكذا تبرأ ذمة الانسان من ديون الخلق اذا
قضاها عنه قاض وذلك انتفاع بعمل الغير وكذا الصلاة والدعاء له فيها ينتفع
بها الميت وهى من عمل الغير ونظائر ذلك كثيرة لاتحصى والآيات الدالة على
مضاعفة الثواب ايضا كثيرة فلابد من توجيه قوله تعالى وان ليس للانسان الا
ماسعى فانه لاسيما له على النفى والاستثناء يدل على ان الانسان لاينتفع الا بعمل نفسه
ولايجزى الا على قدر سعيه ولايراد عليه وذلك يخالف الاقوال الواردة
فى انتفاعه بعمل غيره وفى مضاعفة ثواب اعماله ولايصح ان يؤول بما يخالف
صريح الكتاب والسنة واجماع الامة فقول المصنف وماجاء فى الاخبار الى

فى الارض فكانما قتل
الناس جميعا وقوله عليه
السلام من سن سنة سيئة
فله وزرها ووزر من عمل
بها الى يوم القيامة فان
ذلك للدلالة والتسبب
الذى هو وزره (وان
ليس للانسان الاماسعى)
الا سعيه اى كما لايؤاخذ
احد بذنب الغير لايثاب
بفعله وماجاء فى الاخبار
من ان الصدقة والحج
ينفعان الميت فلكون
الناوى له كالنائب عنه

(وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى) اى يجزى العبد سعيه بالجزاء الاوفر فنصب بنزع الخافض و يجوز ان يكون مصدرا وان يكون الهاء للجزاء المدلول عليه بيجزى و الجزاء بدله (وان الى ربك المنتهى) انتهاء الخلائق و رجوعهم وقرئ بالكسر على انه منقطع عما فى الصحف وكذلك مابعده (وانه هو اضحك وابكى وانه هو امات واحيى) لايقدر على الاماتة والاحياء غيره فان القاتل ينقض البنية و الموت يحصل عنده بفعل الله على سبيل العادة (وانه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى)

الخ جواب عن هذا الاشكال وتقرير الجواب ان معنى الآية ان الانسان لاينتفع بسعى غيره وعمله اذا عمل الغير لنفسه ولم ينو ان يكون ثواب عمله لغيره واما اذا عمل العامل ناويا ان يكون ثواب عمله لغيره فحينئذ ينتفع غيره بثواب ذلك العمل لان العامل اذا نوى ان يعمل لغيره صار بمنزلة الوكيل عنه القائم مقامه شرعا فلما كان العامل بمنزلة الوكيل عن الغير صار سعيه وعمله بمنزلة عمل الغير بنفسه وصار الغير منتفعا بعمل غيره اذ عمله كعمل نفسه بهذا الاعتبار فكأنه قيل وان ليس للانسان الا ما سعى بنفسه حقيقة اوحكما فان عمل الوكيل عمل للموكل حكما وايضا ان سعى الغير انما لاينفعه اذا لم يوجد له سعى قط فاذا وجد له سعى بان يكون مؤمنا صالحا كان سعى الغير تابعا لسعيه فكأنه سعى بنفسه فان علاقة الايمان وصلة وقرابة كما قال عليه الصلاة والسلام مثل المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضوا تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر وقال عليه الصلاة والسلام المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ثم شبك بين اصابعه فاذا سعى احد لاخيه فى الايمان والعمل الصالح فكأنه سعى فى شد عضد اخيه فكان سعيه سعيه (قوله اى يجزى العبد سعيه) يعنى ان فعل الجزاء يتعدى الى مفعولين كما فى قوله تعالى وجزاهم بما صبروا جنة و حريرا وقولهم جزاك الله خيرا فاحد المفعولين فى الآية هو المرفوع المستتر فى يجزى وثانيهما المنصوب البارز والتقدير ثم يجزى الانسان سعيه اى جزاء سعيه فحذف المضاف والجزاء الاوفى مفعول به بواسطة حرف الجر عدى اليه الفعل بنزع الخافض و يجوز ان يكون مفعولا مطلقا مبينا للنوع و يجوز ان تكون الهاء فى يجزاه ضميرا الجزاء المدلول عليه بيجزى فيكون منصوب المحل على انه مفعول مطلق ليجزى فلا يكون الجزاء الأوفى مفعولا مطلقا ايضا لان الفعل الواحد لا ينصب مصدرين بل يكون بدلا منه اوعطف بيان له اومنصوبا بتقدير اعنى (قوله وقرئ بالكسر) العامة على فتح الهمزة من ان وماعطف عليها بمعنى ان الجميع فى صحف موسى وابراهيم وقرئ بكسر الهمزة فى الجميع على انه ابتداء كلام لبيان ان انتهاء رجوعهم الى موقف حساب الله تعالى فيجازيهم باعمالهم والمنتهى مصدر ميمى بمعنى الانتهاء (قوله تعالى وانه هو اضحك وابكى) قيل معناه ان ما عمله الانسان فبقضائه وحكمه وخلقه حتى الضحك والبكاء وقال الكلبى اضحك اهل الجنة بفضله ورحمته وابكى اهل النار بعدله وسخطه وقال الضحاك اضحك الارض بالنبات وابكى السماء بالمطر وقيل اضحك قوما عند الموت

باسماع وابشروا وابكى قوما عنده باسماع لا بشرى لكم (قوله تدفق في الرحم) يقال منى المنى وامناه اى انزله واراقه وصبه وفسره الاخفش بقوله تخلق على انه من منى الماني اى قدر المقدر ومما يدل على كمال قدرة الله تعالى ان النطفة مع كونها جسما متناسب الاجزاء يخلق الله تعالى منها الذكر والانثى والاعضاء المختلفة والطبائع المتباينة ثم انه تعالى بعد ما خلقهم او لا من نطفة كذا يخلقهم ثانيا من تراب كما قال وان عليه النشأة الاخرى وانما قال عليه لانه فاعل لامحالة على ما تقتضيه الحكمة ثم قال وانه هو اغنى اى اعطى مايغنى عن الغير واقنى اى اعطى القنية وهى اسم لما يقتنى اى يدخر ويتخذ رأس مال زيادة على الكفاية والتأثيل التأصيل ومال مؤثل اى متخذ اصل مال يحفظ ويدخر لقصد الاستثمار والاستنماء وفى الصحاح اقتناه المال وغيره اتخاذه وفى المثل لا تقن من كلب سوء جروا واقناه الله اعطاه ما يقتنى من القنية والنشب فنوت الغنم وغيرها قنوت وقنوة وقنيتها قنية وقنية اذا اقتنيتها لنفسك لا للتجارة واقناه الله ايضا اى ارضاه والقنى الرضى تقول العرب من اعطى مائة من المعز فقد اعطى الغنى ومن اعطى مائة من الضأن فقد اعطى القنى ومن اعطى مائة الابل فقد اعطى المنى (قوله يعنى العبور) اشارة الى ان الشعرى شعريان احدبهما الشعرى اليمانية وتسمى ايضا الشعرى العبور وثانيتهما الشعرى الشامية وتسمى ايضا الغميصاء فصلت المجرة بينهما لزعم العرب ان الشعريين اختا سهيل وان الثلاثة كانت مجتمعة فانحدر سهيل نحو اليمن وتبعته العبور فعبرت المجرة ولقيت سهيلا واقامت الغميصا فبكت لفقد سهيل فغمصت عينها اى كانت اقل نورا من العبور واخفى والغمص فى العين ماسال من الرمص يقال غمصت عينه بالكسر غمصا (قوله ولذلك كانوا يسمون الرسول عليه الصلاة والسلام ابن ابى كبشة) لا يريدون بذلك اتصال نسبته عليه الصلاة والسلام اليه وان كان الامر كذلك بل يريدون به موافقته عليه الصلاة والسلام اياه فى ترك عبادة الاوثان واحداث دين جديد وكان ابو كبشة الخزاعى جد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لامه عبدها وقال لا ارى شمسا ولا قمرا ولا نجما يقطع السماء عرضا غيرها وليس شئ مثلها فعبدها وعبدتها خزاعة والمعنى ان الشعرى مربوب فاعبدوا ربه ثم انه عليه الصلاة والسلام لما خالف العرب واظهر بينهم دينا جديدا شبهوه فى خلافه اياهم بابى كبشة وسموه بذلك لخلافه اياهم كخلاف ابى كبشة العرب فى عبادة الشعرى (قوله لانهم اولى الامم هلاكا بعد قوم نوح اشارة الى انه ليس هناك عاد ان احداهما اقدم زمانا من الاخرى حتى يكون وصف

تدفق فى الرحم او تخلق او تقدر منها الولد من منى اذا قدر (وان عليه النشأة الاخرى) الاحياء بعد الموت وفاء بوعده وقرأ ابن كثير وابو عمرو النشاءة بالمد وهو ايضا مصدر نشأه (وانه هو اغنى واقنى) واعطى القنية وهى ما يتأثل من الاموال وافرادها لانها اشرف الاموال او ارضى وتحقيقه جعل الرضى له قنية (وانه هو رب الشعرى) يعنى العبور وهى اشد ضياء من الغميصاء عبدها ابو كبشة احد اجداد الرسول عليه الصلاة والسلام وخالف قريشا فى عبادة الاوثان ولذلك كانوا يسمون الرسول ابن ابى كبشة ولعل تخصيصها للاشعار بانه عليه الصلاة والسلام وان وافق ابا كبشة فى مخالفتهم خالفه ايضا فى عبادتها (وانه اهلك عادا الاولى) القدماء لانهم اولى الامم هلاكا بعد قوم نوح وقيل عاد الاولى قوم هود وعاد الاخرى ارم

احداهما بالاولى للاحتراز عن عادة الاخيرة بل ليس هناك الاعاد واحدة هم اعقاب عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه الصلاة والسلام وهم قوم هود عليه الصلاة والسلام اهلكهم الله بريح صرصر عاتية والمراد باوليتهم تقدم هلاكهم بحسب الزمان على هلاك من هلك بعد قوم نوح وقيل كان بعدهم عاد اخرى سواهم فلذا سماهم الله تعالى عادا الاولى وهو قول المصنف وقيل عاد الاولى قوم هود وعاد الاخرى ارم قال الكشاف فى تفسير سورة الفجر قيل لعقب عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه الصلاة والسلام عاد كما يقال لبنى هاشم هاشم ثم قيل للاولين منهم عاد الاولى وارم تسمية لهم باسم جدهم ولمن بعدهم عاد الاخرى فارم فى قوله تعالى بعاد ارم عطف بيان لعاد وايذان بانهم عاد الاولى القديمة انتهى كلامه وهو وان كان موافقا لما نقله المصنف من ان عادا عادان عاد اولى وعاد اخرى الا انه مخالف له من حيث ان ارم هى الاولى على هذا القول وهى اخرى على ما نقله المصنف (قوله وقرئ عادا الاولى) اعلم انه قرأ ابن كثير وابن عامر والكوفيون عادا الاولى بكسر التنوين وسكون لام التعريف وتحقيق الهمزة بعدها على الاصل فان التنوين اذا وقع بعده ساكن يكسر لالتقاء الساكنين نحو قل هو الله احد الله وقد يحذف التنوين تشبيها له بحرف العلة كما فى قراءة من قرأ احد الله الصمد وكقوله ولا ذاكر الله الا قليلا وهو قليل جدا هذا فى الوصل فاذا وقفوا على عادا وابتدؤا بالاولى فقياسهم ان يقولوا الاولى بفتح همزة الوصل وسكون اللام وتحقيق الهمزة وهم صرفوا عادا اما لانه اسم للحى او الاب فليس فيه ما يمنعه واما لانه وان كان مؤنثا اسما للقبيلة الا انه مثل هند ودعد فيجوز فيه الصرف وعدمه وقرأ قالون عاد الولى بادغام التنوين فى لام التعريف بعد نقل حركة همزة اولى الى لام التعريف وحذف الهمزة للتخفيف وابدال واو اولى همزة فانه لما قصد التخفيف بالادغام نقل حركة الهمزة الى اللام وان لم يكن النقل من اصله ولما نقل الحركة الى اللام اعتد بتلك الحركة اذ لا يمكن الادغام فى ساكن ولا فيما هو فى حكم الساكن وقرأ ورش وابو عمرو عاد الولى بادغام التنوين فى اللام بعد طرح الهمزة ونقل حركتها الى لام التعريف كقالون الا انهما ابقيا الواو على حالها غير مبدلة همزة وروى المصنف قراءة اخرى وهى ان تحذف همزة اولى بعد نقل حركتها الى اللام وتحذف همزة الوصل استغناء عنها بحركة اللام وان لايدغم التنوين فى لام التعريف لعدم الاعتداد بحركتها فان العرب اذا انقلت حركة الهمزة الى الساكن قبلها كلام التعريف مثلا تجعله فى حكم الساكن ولا تعتد بحركة النقل

وقرئ عادا الاولى بحذف الهمزة ونقل ضمتها الى لام التعريف وعاد الولى بادغام التنوين فى اللام (وثمودا)

فيكسر الساكن الواقع قبلهـا ولايدغم فيها التنوين وان كان قبلها همزة وصل لايستغنى عنهـا فتقول لم يذهب الجر ورأيت زيادالعجم من غير ادغام التنوين فى اللام والجر والعجم بهمزة الوصل لكون اللام فى حكم الساكن فقرآة عادا الاولى مبنية على هذا الاصل (قوله عطف على عادا) فيكون منصوبا باهلاك ولايجوز كونه منصوبا بقوله فما ابقى لما تقرر من ان مابعد النفى لايعمل فيماقبله وقوله تعالى والمؤتفكة اهوى ايضامعطوف على عاداى واهلك المؤتفكة وهى قرى قوم لوط عليه الصلاة والسلام ومفعول اهوى محذوف وهو ضمير المؤتفكة اى اسقطها من السماء بعدما رفعهااليها على جناح جبريل عليه الصلاة والسلام يقال افكه فائتفك اى قلبه فانقلب و يجوز ان تكون المؤتفكة منصوبة باهوى والمنوى فيه وفى قوله تعالى فغشاها ضمير البارى عزوجل اى ألبس الله المؤتفكة ماألبسها من العذاب الذى من جملته ماامطر عليهم من الحجارة المنضودة المسومة فمفعولاه مذكوران احدهما ضمير المؤتفكة والثانى قوله ماغشى والمنوى فى قوله ماغشى ايضا ضمير البارى ومفعولاه محذوفان احدهما ضمير ما والثانى ضمير المؤتفكة اى نغشاها الله ماغشاهاياها (قوله انذار من جنس الانذارات) جعل النذير مصدرا بمعنى الانذار على تقدير كون هذا اشارة الى القرآن لان القرآن انما يتعلق به الانذار باعتبار اشتماله على اقتصاص عاقبة المكذبين ولاشك ان اقتصاصها ليس عين النذر بل هو انذار وتخويف بخلاف الرسول عليه الصلاة والسلام فانه نذير ليس الا وتأنيث الاولى على تقدير كونه صفة للنذر بمعنى المنذرين لكون النذر بمعنى الجماعة اذلاوجه ان يقال من جنس المرسلين الاولى الابذلك التأويل (قوله دنت الساعة الموصوفة بالدنو) يعنى الآزفة صفة لمحذوف هو الساعة او القيامة وان اللام فيهـا للعهد فلذلك صح الاخبار عنها بالدنو اذلو كانت للجنس لماصح اذلافائدة فى ان يقال قرب جنس القريب فان قلت الاخبار بقرب الآزفة المعهودة لافائدة فيه ايضا قلت لانسلم ذلك لانه انما لايفيد اذا كان الكلام مخرجا على مقتضى الظاهر وليس كذلك بل هو مبنى على تنزيل العالم بالشئ منزلة الجاهل لعدم جريه على مقتضى العلم (قوله اوالآن) عطف على قوله اذا وقعت اى اذا وقعت الآن لم يردها الى وقتها احد الا الله قال محيى السنة وقيل معناه ليس لها راد يعنى اذا غشيت الخلق اهوالها وشدائدها لم يكشفها ولم يردها عنهم احد الا الله وبهذا قال قتادة والضحاك و يجوز ان يكون المعنى القيامة التى وصفت لك بالازوف هى آزفة فى نفس الامر فكيف لانستعد لها

ابقى) الفريقين (وقوم نوح) ايضا معطوف عليه (من قبل) من قبل عاد وثمود (انهم كانواهم اظلم واطغى) من الفريقين لانهم كانوا يؤذونه ويغرون عنه ويضربونه حتى لايكون به حراك (والمؤتفكة) والقرى التى ائتفكت باهلهـا اى انقلبت وهى قرى قوم لوط (أهوى) بعدان رفعها فقلبهـا (فغشاها ماغشى) فيه تهويل وتعميم لمااصابهم (فبأى آلاء ربك تتمارى) تتشكك والخطاب للرسول او لكل احد والمعدودات وان كانت نعماونقما لكن سماها آلاء من قبل مافى نقمه من العبر والمواعظ للمعتبرين والانتقام للانبياء والمؤمنين (هذا نذير من النذر الاولى) اى هذا القرآن انذار من جنس الانذارات المتقدمة اوهذا الرسول نذير من جنس المنذرين الاولين (أزفت الآزفة) دنت الساعة الموصوفة بالدنو وفى نحو قوله اقتربت الساعة

او الآن بتأخيرها الا الله او ليس لها كاشفة لوقتها الا الله اذ لا يطلع عليه سواه او ليس لها من غير الله كشف على انها مصدر كالعافية (افمن هذا الحديث) يعني القرآن (تعجبون) انكارا (وتضحكون) استهزاء (ولا تبكون) حزنا على ما فرطتم (وانتم سامدون) لاهون او مستكبرون من سمد البعير في مسيره اذا رفع رأسه او مغنون لتشغلوا الناس عن استماعه من السمود وهو الغناء (فاسجدوا لله واعبدوا) اي واعبدوه دون الآلهة * عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ والنجم اعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وجحد به بمكة

(سورة القمر مكية وآيها خمس وخمسون)

بسم الله الرحمن الرحيم

(اقتربت الساعة وانشق القمر) روى ان الكفار سألوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم آية فانشق القمر وقيل معناه سينشق يوم القيامة ويؤيد الاول انه قرئ وقد انشق القمر اى اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها [illegible]

(قوله ليس لها نفس قادرة على كشفها) الكشف على الاول بمعنى الازالة بالكلية وعلى الثاني يكون بمعنى الازالة ايضا الا انه لا يكون بمعنى الازالة بالكلية بل يكون بمعنى التأخير الى امد بعيد وعلى الثالث يكون بمعنى التبيين والاعلام اى ليس لها نفس مبينة تبين انها متى تقوم (قوله وانتم سامدون) يحتمل ان يكون مستأنفا اخبر الله تعالى عنهم بذلك ويحتمل ان يكون حالا اى انتفى عنكم البكاء فى حال كونكم سامدين والسمود قيل الاعراض والغفلة عن الشئ فسر السمود بثلاثة اوجه الاول كون الانسان لاهيا غافلا قال الشاعر

الا ايها الانسان انك سامد * كأنك لا تفنى ولا انت هالك

والثاني الاستكبار والثالث الغناء قال عكرمة السمود هو الغناء بلغة اهل اليمن وكان الكفار اذا سمعوا القرءآن تغنوا ولعبوا ليشغلوا الناس عن استماعه * تم هنا ما يتعلق بسورة النجم والحمد لله رب العالمين وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(سورة القمر)

(بسم الله الرحمن الرحيم * وبه التوفيق وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم)

قال ابن عباس رضي الله عنهما اجتمع المشركون الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا ان كنت نبيا فشق لنا القمر فرقتين فقال لهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان فعلت تؤمنون قالوا نعم وكانت ليلة بدر فسأل عليه الصلاة والسلام ربه ان يعطيه ما قالوا فانشق فرقتين ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ينادي يا فلان يا فلان اشهدوا وحديث انشقاق القمر رواه جماعة كثيرة من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين وقول من قال انه سينشق يوم القيامة الا انه قيل انشق بلفظ الماضي لتحقق وقوعه قول مخالف للاجماع روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه انه قال ما وعد الله رسوله من اشراط الساعة كلها قد مضى الا اربعة طلوع الشمس من مغربها ودابة الارض وخروج الدجال وخروج يأجوج ومأجوج وقال ابن مسعود رأيت حراء بين فلقتي القمر وهذا صريح في ان كل واحد من النصفين ذهب من موضع القمر وروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال ذهب احد النصفين عن موضع الآخر وبقي النصف الآخر في موضعه واول هذه السورة [illegible] لآخر ما قبلها وهو قوله تعالى أزفت الآزفة [illegible] تعالى اعاد ذلك مع الدليل ان انشقاق القمر من علامات نبوته عليه الصلاة والسلام [illegible] اشراط الساعة وايضا ان من ينكر خراب العالم يقول ان [illegible]

انشقاق القمر وقوله (وان يروا آية يعرضوا) عن تأملها والايمان بها (ويقولوا سحر مستمر) مطرد وهو يدل على انهم رأوا قبله آيات اخرى مترادفة ومعجزات متتابعة حتى قالوا ذلك اومحكم من المرة يقال امررته فاستمر اذا احكمته فاستحكم اومستبشع من استمر الشيء اذا اشتدت مرارته او مار ذاهب لايبقى (وكذبوا واتبعوا اهواءهم) وهو مازين لهم الشيطان من رد الحق بعد ظهوره وذكرهما بلفظ الماضي للاشعار بانهما من عادتهم القديمة (وكل امر مستقر) منته الى غاية من خذلان اونصر في الدنيا وشقاوة او سعادة في الآخرة فان الشيء اذا انتهى الى غايته ثبت واستقر

من الكواكب لايقبل الخرق والالتئام فاذا انشق بعضهما ثبت بطلان ماقالوه فعلى هذا يجوز ان يراد باقتراب الساعة استبعاد الاذهان والعقول لوقوعها لا اقتراب زمان وقوعها (قوله وقوله وان يروا) مرفوع بالعطف على فاعل قوله و يؤيد الاول اى و يؤيد وقوع الانشقاق في عهده عليه الصلاة والسلام قوله تعالى وان يروا آية يعرضوا ووجه كونه مؤيدا لذلك انه مسوق لذمهم بان حالهم فيما يستقبل كحالهم فيما مضى وهي الاعراض عن تأمل الآيات والاهتداء بها الى الحق الصريح والذم بهذا الطريق انما يحسن اذا رأوا قبله آية عظيمة واعرضوا عنها ولم يرفعوا اليها رأسا والتنكير في قوله آية للتعظيم اى وان يروا آية عظيمة وعلامة قوية كانشقاق القمر يعرضوا الخ (قوله مطرد) اى دائم متتابع يظهر من فاعله مرة بعد اخرى يريدون به ترادف المعجزات التي نسبوها الى السحر فانه عليه الصلاة والسلام كان يأتي في كل زمان بمعجزة قولية اوفعلية ارضية اوسماوية فقالوا هذا سحر مستمر اى دائم لايختص تعلقه بشيء دون شيء ولابزمان دون زمان بخلاف سحر السحرة فان بعضهم يقدر على امر وامرين وثلاثة و يعجز عن غيرها وهو قادر على جميع الامور في جميع الازمان قال المفسرون لما انشق القمر قال المشركون سحرنا محمد عليه الصلاة والسلام فستخبر السفار والقادمين فلما قدموا سألوهم فاخبروهم انهم رأوا ذلك فتعجبوا منه (قوله او محكم) معطوف على مطرد والمرة القوة والشدة فالسحر الذي يؤثر في الاجرام العلوية كما يؤثر في الاجرام السفلية يكون قويا مستحكما يقال حبل مرير الفتل اذا اشتد فتله و يحتمل ان يكون قوله مستمر من المرارة بمعنى سحر مر مستبشع وان يكون من المرور يقال مر يمر مرا ومرورا اى ذهب واستمر مثله و يقال امر الشيء اذا صار مرا وكذلك مر الشيء يمر بالفتح مرارة فهو مر واستمر مثله على ان استفعل بمعنى فعل كطاب واستطاب وقر واستقر فقولهم انه سحر مستمر اى مار يذهب و يفنى تمنية منهم لانفسهم وتعليلا لها واطماعا في غير مطمع (قوله وذكرهما بلفظ الماضي) مع ان الظاهر ان يقال و يكذبوا و يتبعوا لكونهما معطوفين على قوله يعرضوا و يقولوا (قوله تعالى وكل امر مستقر) الجمهور على كسر قاف مستقر ورفعه على انه خبر كل الواقع مبتدأ وفسره المصنف بقوله منته الى غاية اشارة الى ان الاستقرار كناية عن ملزومه وهو الانتهاء الى الغاية فان عنده يتبين حقيقة كل شيء من الخير والشر والحق والباطل وتنكشف جلية الحال وتتضح الشبهة والالتباس فالحقائق انما تظهر عند العواقب فان لكل امر غاية في الدنيا

وكذا فى الاخرة ينتهى اليهما لامحالة فاذا انتهى اليها يستقر و يتم امره و يتبين حاله فامر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سيصير الى غاية يتبين عندها انه حق او باطل وسيظهر لهم عاقبته وكذلك امر تكذيبه فالآية وعيد للمشركين ووعد للرسول وللمؤمنين ونظيره قوله تعالى لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون اى كل نبأ وان طالت مدته فلا بد ان ينتهى الى غايته وتنكشف حقيقته من الحقية والبطلان (قوله وقرئ بالفتح) اى بفتح القاف على انه مصدر ميمى بمعنى الاستقرار فلا بد من تقدير مضاف اى وكل امر ذو استقرار وقرئ بكسر القاف وجر الكلمة ايضا فيكون كل امر مرفوعا بالعطف على فاعل اقتربت وهو الساعة ثم انه تعالى بعدما اوعد كفار مكة بخذلانهم فى الدنيا وشقاوتهم فى العقبى ووعد الرسول والمؤمنين بالنصرة فى الدنيا والسعادة فى الاخرة امر رسوله عليه الصلاة والسلام بان يتولى عن دعوتهم ومناظرتهم بالحجة والبرهان وفرع الامر بالاعراض على قوله جاءهم من الانباء مافيه مزدجر فما تغن النذر تعليلا للامر المذكور والانباء هى الاخبار العظام فان النبأ والانباء لم يرد فى القرآن الا لماله وقع وشان عظيم والزجر المنع والنهى وازدجر افتعل منه اصله ازتجر وقد تقرر ان تاء الافتعال اذا وقعت بعد الزاى والدال والذال تقلب دالا لان الزاى حرف مجهور والتاء حرف مهموس فتقلب حرفا يناسب الزاى فى الجهر ويناسب التاء فى المخرج وهو الدال فيصير ازدجر والمزدجر فى الآية مصدر ميمى بمعنى الازدجار اى الزجر فان بناء افتعل وان شاع كونه لمطاوعة فعل نحو جمعته فاجتمع الا انه قد يكون بمعنى فعل نحو مدحته وامتدحته وهذا هو المناسب فى هذا المقام فقولنا زجره وازدجره بمعنى واحد اى نهاه ومنعه عن السوء وارتفاع مزدجر يجوز ان يكون على الابتداء وفيه خبره وان يكون على انه فاعل لقوله فيه لاعتماده على الموصول او الموصوف فان ما يجوز كونها موصولة وموصوفة فالجملة بعدها صلتها او صفتها (قوله نفى او استفهام انكار) اى يجوز ان تكون ما نافية فيكون مفعول تغنى محذوفا اى فما تغنى النذر شيئا وان تكون استفهامية بمعنى الانكار فتكون فى موضع النصب على انها مفعول مقدم لتغنى اى اى شئ تغنى النذر اذا خالفهم اهل مكة وكذبوهم (قوله ويجوز ان يكون الدعاء فيه) اى فى البعث والاعادة مثل كن فى التكوين ابتداء بان لايكون ثم داع من اسرافيل وغيره بل يكون الكلام من قبيل الاستعارة التمثيلية بان يشبه نفاذ مشيئته تعالى وعدم تخلف مراده عن ارادته بترتب اجابة المدعو والمطيع لدعاء الداعى المطاع من غير توقف وتردد كما قيل ان امر كن فى الابتداء والتكوين كذلك ومن قال ان الدعاء والداء

وقرئ بالفتح اى ذو مستقر بمعنى استقرار و بالكسر والجر على انه صفة امر وكل معطوف على الساعة (ولقد جاءهم) فى القرآن (من الانباء) انباء القرون الخالية او انباء الآخرة (مافيه مزدجر) ازدجار من تعذيب او وعيد وتاء الافتعال تقلب دالا مع الدال والذال والزاى للتناسب وقرئ مزجر بقلبها زايا وادغامها (حكمة بالغة) غايتها لاخلل فيها وهى بدل من ما او خبر لمحذوف وقرئ بالنصب حالا عما فانها موصولة او مخصوصة بالصفة فيجوز نصب الحال عنها (فما تغنى النذر) نفى او استفهام انكار اى فاى غناء يغنى النذر وهو جمع نذير بمعنى المنذر او المنذر منه او مصدر بمعنى الانذار (فتول عنهم) لعلمك ان الانذار لايغنى فيهم (يوم يدع) الداع اسرافيل ويجوز ان يكون الدعاء فيه كالامر فى قوله تعالى كن فيكون واسقاط الياء اكتفاء بالكسرة للتخفيف وانتصاب يوم بيخرجون او باضمار اذكر (الى شئ نكر) فظيع تنكره النفوس لانها لم تعهد مثله وهو هول القيامة وقرأ ابن كثير نكر بالتخفيف وقرئ نكر بمعنى انكر (خاشعا ابصارهم يخرجون من الاجداث) (على)

على حقيقته منهم من يقول ان اسرافيل ينفخ قائما على صخرة بيت المقدس و يدعوو ينادي ايتها العظام البالية واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله تعالى يأمركن ان تجتمعوا لفصل القضاء ومنهم من يقول ان اسرافيل ينفخ وجبريل عليه الصلاة والسلام يدعو و ينادي بذلك ولما حذفت الواو من يدعو في التلفظ لاجتماع الساكنين حذفت في الخط ايضا تبعا للفظ وحذفت ياء الداعي اكتفاء بالكسرة والنكر بضمتين صفة على فعل وقرئ بسكون الكاف كما في قوله تعالى لقد جئت شيئا نكرا وكلاهما بمعنى المنكر والشئ الشديد الفظيع يسمى نكرا لان النفوس تنكره وقرئ نكر بضم النون وكسر الكاف وفتح الراء على انه فعل ماض مبني للمفعول في موضع الجر على انه صفة لشئ وخاشعا حال من فاعل يخرجون قدمت على عاملها لكونه فعلا اصليا في العمل قرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي خاشعا ابصارهم وباقي السبعة خشعا والقراءة الاولى جارية على اللغة الفصحى من حيث ان الفعل وماجرى مجراه اذا قدم على فاعله الظاهر يفرد و يذكر فيقال تخشع ابصارهم ولايقال تخشعن ابصارهم فان تأنيث الجمع غير حقيقي لكونه بمعنى الجماعة والفعل اذا اسند الى الظاهر المؤنث الغير الحقيقي جاز الحاق علامة التأنيث بالفعل وتركها نحو طلع الشمس وقوله تعالى فمن جاءه موعظة فكذا اذا اسند الى ظاهر الجمع مطلقا اي سواء كان جمع سلامة او جمع تكسير وسواء كان واحد المكسر حقيقي التذكير او التأنيث كرجال ونسوة اوبمجازي التأنيث كايام ودور وكذا واحد المجموع بالالف والتاء ينقسم الى هذه الاقسام الاربعة نحو الطلحات والزينبات والجبليات والغرفات فحكم المسند الى ظاهر هذه الجموع حكم المسند الى ظاهر المؤنث الغير الحقيقي في جواز الحاق علامة التأنيث وتركه واما الحاق ضمير الجمع به مع كونه مسندا الى الظاهر فغير فصيح الا على لغة طي يقولون اكلوني البراغيث فقراءة خشعا ابصارهم جاءت على تلك اللغة فكذا اسماء الفاعلين اذا اسندت الى الجماعة جاز فيها التوحيد مع التذكير نحو خاشعا ابصارهم وجاز ايضا التوحيد مع التأنيث نحو خاشعة ابصارهم وجاز الجمع ايضا على لغة طي نحو خشعا ابصارهم فقوله وقرئ خاشعة على الاصل وهو ان لايجمع اذا اسند الى ظاهر الجمع وان يؤنث لكونه مسندا الى المونث وان كان تأنيثه غير حقيقي ولم يحمل المصنف قراءة خشعا ابصارهم مبنية على لغة اكلوني البراغيث لعدم الاحتياج الى حملها على تلك اللغة لانه انما يحتاج الى الحمل عليها فيما اذا كان المسند فعلا او مايشبه الفعل و يجري مجراه وهو جمع السلامة مثل قائمين غلمانهم وكريمين آباوهم واما اذا كان المسند مما لايشبه الفعل كجمع

اي يخرجون من قبورهم خاشعا ذليلا ابصارهم من الهول وافراده وتذكيره لان فاعله غير حقيقي التأنيث وقرئ خاشعة على الاصل وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم خشعا وانما حسن ذلك ولايحسن مررت برجال قائمين غلمانهم لانه ليس على صيغة يشبه الفعل وقرئ خشع ابصارهم على الابتداء والخبر فتكون الجملة حالا (كانهم جراد منتشر) في الكثرة والتموج والانتشار في الامكنة (مهطعين الى الداع) مسرعين مادي اعناقهم اليه او ناظرين اليه (يقول الكافرون هذا يوم عسر) صعب

(كذبت قبلهم قوم نوح) قيل قومك (فكذبوا عبدنا) نوحا وهو تفصيل بعد اجمال وقيل معناه كذبوه تكذيبا على عقب تكذيب كلما خلا منهم قرن مكذب تبعه آخرون مكذبون اوكذبوه بعد ما كذبوا الرسل (وقالوا مجنون) هو مجنون (وازدجر) وزجر عن التبليغ بانواع الاذية وقيل انه من جملة قيلهم اى هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته (فدعا ربه انى) اى بانى وقرئ بالكسر على ارادة القول (مغلوب) غلبنى قومى (فانتصر) فانتقم لى منهم وذلك بعد يأسه منهم فقد روى ان الواحد منهم كان يلقاه فيخنقه حتى يخر مغشيا عليه فيفيق ويقول اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون

التكسير فجمع مثل هذا المسند اولى من افراده ليطابق فاعله ولا محذور فى كونه مخالفا للفعل فى الحكم لانه لا يشبه الفعل فكذلك خشعا ابصارهم وقيع قاعدين غلمانهم ولم يصح قعودا غلامهم والظاهر ان قوله تعالى يخرجون من الاجداث استئناف لبيان عاقبة المتولى عنهم ان كان يوم منصوبا بيخرجون ولبيان مايكون فى ذلك اليوم ان كان منصوبا باذكر وقوله تعالى كأنهم جراد فى موضع الحال من فاعل يخرجون اى يخرجون مشبهين بالجراد وكذا مهطعين والاهطاع الاسراع اى مسرعين الى جهة الداعى منقادين اذلاء وقيل هو الاسراع مع مد العنق وقيل هو النظر الجوهرى هطع الرجل اذا أقبل ببصره على الشئ لا يقلع عنه يهطع هطوعا وأهطع اذا مد عنقه وصوب رأسه وأهطع فى عدوه اى أسرع ثم انه تعالى شرع فى ذكر بعض الانبياء فقال كذبت قبلهم قوم نوح (قوله وهو تفصيل بعد اجمال) يعنى ان قوله تعالى كذبت قبلهم لايقدرله مفعول بل ينزل منزلة اللازم اى فعلوا فعل التكذيب والتكذيب لابدله من متعلق الا انه اجمل ثم فصل بقوله فكذبوا عبدنا فتكون الفاء فيه للتعقيب فى الذكر كما فى قوله تعالى ونادى نوح ربه فقال (قوله وقيل معناه) اى قيل ان الفاء ليست لعطف تفصيل المجمل على المجمل بل هى لترتيب مضمون مابعدها على ما قبلها فى التحقق والوجود وذلك بان يقصد تعلق قوله كذبت قبلهم بالمفعول الا ان ذلك المفعول لم يذكر اما لقصد التعميم واما لكونه متعينا لدلالة القرينة عليه والمعنى كذبوا نوحا تكذيبا عقيب تكذيب اوكذبوه بعد ما كذبوا جميع الرسل فان قوم نوح كانوا مشركين يعبدون الاصنام ومن يعبد الصنم يكذب كل رسول وينكر الرسالة رأسا ويقول لاتعلق للبارى تعالى بالعالم السفلى وانما امره الى الكواكب والاوضاع الفلكية فكان مذهبه تكذيب الرسل جميعا فلما بعث اليهم نوح عليه الصلاة والسلام كذبوه ايضا على مقتضى ماذهبوا اليه فتكذيبهم اياه تكذيب له عقيب تكذيب الرسل عليهم السلام وقولهم فى حقه عليه السلام هو مجنون مبالغة فى تكذيبهم اياه حيث شبهوه بالمجنون زاعمين انه يقول مالا يقبله العقل ويأباه وليس مرادهم انه عليه السلام مجنون حقيقة لانه مكابرة محضة (قوله وزجر) يعنى ان قوله تعالى وازدجر افتعل بمعنى فعل كقوله مافيه من دجر فيكون قوله وازدجر من كلام الله تعالى اخبر عنه عليه الصلاة والسلام بانه انتهر وزجر بالسب وانواع الاذية حيث قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين ويؤيد هذا المعنى ترتب قوله فدعا ربه عليه بالفاء اى لمازجروه على دعوتهم وعلى تبليغ رسالته اليهم دعا

ربه باني غلبني قومي بالتكذيب وانواع الاذية على طول الزمان فانتقم لي من كذبني (قوله وهو مبالغة وتمثيل) يعني بجعل الماء آلة لفتح ابواب السماء مبالغة في كثرة الماء هذا على ان تكون الباء في قوله تعالى بماء منهمر للاستعانة كما تقول فتحت بالمفتاح ويحتمل ان تكون للحال اى فتحناها ملتبسة بهذا الماء المنهمر الكثير النازل بقوة وتتابع حيث قيل انه لم ينقطع اربعين يوما وجعل الكلام استعارة تمثيلية لان الظاهر ان السماء ليست لها ابواب تفتح وتغلق حتى تنزل الامطار من تلك الابواب بل هي انما تنزل من السحاب الا انه شبه نزولها من السحاب بكثرة وشدة بنزولها من السماء بان غلبت على ابوابها وانصبت منها ولم يتأت للابواب ان تسدها وقيل كل واحد من السماء والابواب وفتحها حقيقة اذ لا يبعد في ان يكون للسماء ابواب تفتح وتغلق حتى روى عن علي رضي الله تعالى عنه ان ابواب السماء هي المجرة ولا بعد ايضا ان ينزل المطر من تلك الابواب (قوله فغير للمبالغة) اى غير العيون من المفعولية الى التمييز للمبالغة لان قولنا فجرنا عيون الارض معناه فجرنا وسيلنا ما فيها من العيون ولا مبالغة فيه بخلاف قولنا فجرنا الارض عيونا فان معناه فجرنا اجزاء الارض كلها بجعلها عيون ماء ولا شك في انه ابلغ ولما كان الماء اسم جنس صح ان يقال فالتقى الماء بدل فالتقى ماء السماء وماء الارض والظاهر ان قوله تعالى على امر حال من الماء اى فالتقى مياه السماء والارض كائنة على المقدار الذي قدره الله تعالى في الازل ان تكون عليه او التقيا كائنا كل واحد منهما على مقدار الآخر مساويا له كما قال مقاتل قدر الله ان يكون الماآن سواء وكانا على ما قدرا او فالتقى الماء مستوليا على ما قدره الله تعالى من هلاك قوم نوح انتهى (قوله جمع دسار) مثل كتاب وكتب وكما ان الكتاب بمعنى المكتوب فكذا الدسار بمعنى المدسور فان المسمار يدفع دفعا شديدا (قوله اقيمت مقامها من حيث انها شرح لها) اى كالشرح يعني ان قوله تعالى ذات الواح ودسر لما كانت صفة كاشفة للسفينة مبينة لماهيتها لكونها مركبة من الواح ودسر حسن اقامتها مقام السفينة فان تقدير الكلام وحملناه على سفينة ذات الواح ودسر فحذف الموصوف وقوله تجرى في محل الجر على انه صفة ذات الواح وباعيننا في موضع النصب على انه حال من المنوى في تجرى اى بمرأى منا محفوظة بحفظنا (قوله اى فعلنا ذلك) الاشارة الى الافعال المذكورة بقوله فتحنا وفجرنا وحملنا اى فعلنا كله جزاء للكفور وهو نوح عليه الصلاة والسلام فان انجاءه واهلاك مكذبيه جزاء له على ما تحمله من اذيتهم على ان يكون المراد بالكفر هو ضد الشكر وهو جحود النعمة فان الكفر بهذا المعنى يتعدى بنفسه يقال كفره كفورا وكفرانا ويجوز ان يراد به ما هو ضد الايمان ويكون التقدير لمن كان كفر به فحذف الجار

(فتحنا ابواب السماء بماء منهمر) منصب وهو مبالغة وتمثيل لكثرة الامطار وشدة انصبابها وقرأ ابن عامر ويعقوب ففتحنا بالتشديد لكثرة الابواب (وفجرنا الارض عيونا) وجعلنا الارض كلها كانها عيون منفجرة واصله وفجرنا عيون الارض فغير للمبالغة (فالتقى الماء) ماء السماء وماء الارض وقرئ الماآن لاختلاف النوعين والماوان بقلب الهمزة واوا (على امر قد قدر) على حال قدرها الله في الازل من غير تفاوت او على حال قدرت وسويت وهو ان قدر ما انزل على قدر ما اخرج او على امر قدره الله وهو هلاك قوم نوح بالطوفان (وحملناه على ذات ألواح) ذات اخشاب عريضة (ودسر) ومسامير جمع دسار من الدسر وهو الدفع الشديد وهي صفة السفينة اقيمت مقامها من حيث انها شرح لها يؤدي مؤداها (تجرى باعيننا) بمرأى منا اى

واو صل الفعل الى الضمير فان الكفر الذى هو ضد الايمان يعدى بالباء قال تعالى فمن يكفر بالطاغوت و يؤمن بالله والجمهور على ان كفر بضم الكاف وكسر الفاء على بناء المفعول وقرئ كفر على بناء الفاعل و المراد بمن كفر قوم نوح (قوله اى السفينة) يعنى الموصوفة بقوله ذات الواح ودسر ثم قيل المراد ترك عينها على الجودى من ارض الجزيرة و قيل بارض الهند وقيل المراد ترك مثلها فى الناس فانهم لم يعرفوا قبل ذلك اتخاذ السفن فلما رأوا تلك السفينة صنعوا مثلها فكانت آية باقية وعبرة باهرة تدل على قدرة الله تعالى وحكمته وعظيم فضله لعباده عن قتادة انه قال ابقى الله سفينة نوح على الجودى حتى ادركها اوائل هذه الامة وكذا عن ابن عباس قال الامام ابو الليث قوله تعالى تركناها آية يعنى سفينة نوح ابقيناها عبرة للخلق قال بعضهم يعنى تلك السفينة كانت باقية بعينها على الجبل الى قريب من خروج النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقال بعضهم يعنى جنس السفينة صارت عبرة لان الناس لم يعرفوا قبل ذلك سفينة فاتخذ الناس السفن بعد ذلك فى البحر فلذلك كانت آية للناس الى هنا كلامه (قوله او الفعلة) وهى انجاء نوح ومن آمن به من اصحاب السفينة من الكرب العظيم وتدمير آخرين بعذاب اليم (قوله معتبر) يعتبر بما صنع الله تعالى بقوم نوح فيترك المعصية و يختار الطاعة والانابة ثم انه تعالى لما بين انه اجاب دعوة نوح بان فتح ابواب السماء بالماء المنهمر وفجر الارض عيونا وانه حمل من آمن من عباده على السفينة علم منه انه تعالى عذب قومه باسرهم بان اغرقهم اجمعين فقال استعظاما لذلك العذاب وايعادا لمشركى مكة فكيف كان عذابى الذى عذبتهم به كيف كان عاقبة انذارى وعنادهم والنذر يحتمل ان يكون مصدرا كالانذار كما حكى عن الفراء انه قال تقول العرب انذرت انذارا ونذرا كقولهم انفقت انفاقا ونفقة وايقنت ايقانا ويقينا ويحتمل ان يكون جمع نذير الذى بمعنى الانذار كالنكير بمعنى الانكار فالمعنى فكيف كان عاقبة انذارى لهم بالعذاب ألم اعذبهم بمرة واحدة بعد ما تتابعت وتواترت عليهم انذارى التى هى آثار رحمتى (قوله باردة) على ان يكون الصرصر مأخوذا من الصر بكسر الصاد و هو برد يضر بالنبات والحرث و فى الصحاح ريح صرصر اى باردة و يقال اصلها صرر من الصر فابدلوا مكان الراء الوسطى فاء الفعل كقولهم كبكبوا اصله كببوا و تجفجف الثوب اصله تجفف وعن المبرد ان الصرصر صر الريح الشديد الصوت من صر الباب او القلم اذا صوت وقيل الصرصر الدائمة الهبوب من اصر على الشئ

محفوظة بحفظنا (جزاء لمن كان كفر) اى فعلنا ذلك جزاء لنوح لانه نعمة كفروها فان كل نبى نعمة من الله ورحمة على امته ويجوز ان يكون على حذف الجار وايصال الفعل الى الضمير وقرئ لمن كفر اى للكافرين (ولقد تركناها) اى السفينة او الفعلة (آية) يعتبر بها اذ شاع خبرها واستمر (فهل من مدكر) معتبر وقرئ مذتكر على الاصل و مذكر بقلب التاء ذالا والادغام فيها (فكيف كان عذابى ونذر) استفهام تعظيم ووعيد والنذر يحتمل المصدر و الجمع (ولقد يسرنا القرآن) سهلناه او هيأناه من يسر ناقته للسفر اذا رحلها (للذكر) للادكار والاتعاظ بان صرفنا فيه انواع المواعظ والعبر او للحفظ بالاختصار وعذوبة اللفظ (فهل من مدكر) متعظ (كذبت عاد فكيف كان عذابى ونذر) وانذاراتى لهم بالعذاب قبل نزوله او لمن بعدهم فى تعذيبهم (انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا) باردة او شديدة الصوت

اذا دلم وثبت (قوله تعالى فى يوم نحس) العامة على اضافة يوم الى نحس بسكون الحاء وهو عند الكوفيين من قبيل اضافة الموصوف الى صفته فانهم يجوزون ذلك خلافا للبصريين فانهم لا يجوزونها الا بتأويل حذف الموصوف من المضاف اليه فيقولون فى مسجد الجامع مثلا تأويله مسجد الوقت الجامع وتأويل الآية فى يوم عذاب نحس ويجعلون المضاف اليه صفة لموصوف محذوف وقرئ بتنوين يوم ووصفه بنحس كقوله تعالى فى ايام نحسات جعل الاستمرار اولا بمعنى الدوام وجعل الدوام صفة لنحس اذلا معنى لاستمرار اليوم بخلاف نحوسة ايام فانه يجوز استمرارها ثم اشار الى جواز كون الدوام صفة لليوم بان يكون اليوم بمعنى الوقت مطلقا كما فى قوله تعالى حكاية عن عيسى عليه الصلاة والسلام على يوم ولدت ويوم اموت حيث قال او استمر عليهم حتى اهلكهم ويجوز ان يكون المراد به ان ذلك اليوم استحكم عليهم واشتد حتى اهلكهم على ان يكون الاستمرار من المرة وقوله اوعلى جميعهم على ان يكون من المرور قال تعالى فى سورة الحاقة واما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما اى متتابعة وهى كانت ايام العجوز من صبيحة اربعاء آخر الشهر الى وقت غروب الشمس فى الاربعاء الآخر وتشاءم بعض الناس بالاربعاء الذى يكون فى آخر الشهر بناء على انه تعالى قال فى حقه يوم نحس مستمر ولا وجه له لان المراد انه نحس على المفسدين بمشيئة الله تعالى اذلم يظهر نحسه فى حق هود ومن آمن به ولا فى حق سائر المفسدين والشعاب جمع شعب وهو ما انفرج بين الجبلين وقوله تعالى تنزع الناس صفة لقوله ريحا صرصرا ويجوز كونه حالا منها لكونها موصوفة وقوله تعالى كانهم حال من الناس اى نازعة الناس مشبهين باعجاز نخل وهى اصولها التى قلعت فروعها لان الريح كانت تبين رؤسهم عن اجسادهم فتبقى اجسادهم بلا رؤس والمنقعر المنقلع عن اصله وقعر الشئ اصله يقال قعرت النخلة اى قلعتها من اصلها فانقعرت اى انقلعت والنخل جمع نخلة وتذكيره حيث قيل فى صفته منقعر باعتبار لفظه وتأنيثه فى قوله تعالى اعجاز نخل خاوية باعتبار معناه وقيل لرعاية الفواصل والمعنى تنزعهم الريح نزعا بعنف كأنهم اعجاز نخل تقعرهم فينقعرون وفيه اشارة الى قوتهم وثباتهم فى الارض لجسامتهم فكأنهم لعظم اجسامهم وكمال قوتهم يتصدون لمقاومة الريح ثم ان الريح لما صرعتهم والقتهم على الارض كانت كأنها قلعت اعجاز نخل منقعر (قوله بالانذارات او المواعظ) الاول على ان يكون النذر مصدرا كالانذار والثانى

(فى يوم نحس) شؤم (مستمر) ﴿ ٣٢٧ ﴾ استمر شؤمه اواستمر عليهم حتى اهلكهم اوعلى جميعهم كبيرهم وصغيرهم فلم يبق منهم احدا واشتد مرارته وكان يوم الاربعاء آخر الشهر (تنزع الناس) تقلعهم روى انهم دخلوا فى الشعاب والحفر وتمسك بعضهم ببعض فنزعتهم الريح منها وصرعتهم موتى (كأنهم اعجاز نخل منقعر) اصول نخل منقطع عن مغارسه ساقط على الارض قيل شبهوا بالاعجاز لان الريح طيرت رؤسهم وطرحت اجسادهم وتذكير منقعر للحمل على اللفظ والتأنيث فى قوله اعجاز نخل خاوية للمعنى (فكيف كان عذابى ونذر) كرره للتهويل وقيل الاول لما حاق بهم فى الدنيا والثانى لما يحيق بهم فى الاخرة كما قال ايضا فى قصتهم لنذيقهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ولعذاب الاخرة اخزى (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت ثمود بالنذر) بالانذارات او المواعظ او الرسل (فقالوا ابشرا منا) من جنسنا اومن جملتنا لا فضل له علينا وانتصابه بفعل يفسره مابعده وقرئ بالرفع على الابتداء

لفي ضلال وسعر) جمع سعير كأنهم عكسوا عليه فرتبوا على اتباعهم اياه ما رتبه على ترك اتباعهم له وقيل السعر الجنون ومنه ناقة مسعورة (ء القى الذكر) الكتاب والوحي (عليه من بيننا) وفينا من هو احق منه بذلك (بل هو كذاب اشر) حمله بطره على الترفع علينا باد عائه (سيعلمون غدا) عند نزول العذاب بهم او يوم القيامة (من الكذاب الاشر) الذى حمله اشره على الاستكبار عن الحق وطلب الباطل اصالح ام من كذبه وقرأ ابن عامر وحمزة ورويس ستعلمون على الالتفات او حكاية ما اجابهم به صالح وقرئ الاشر كحذر في حذر والاشر اى الابلغ في الشرارة وهو اصل مرفوض كالاخير (انا مرسلوا الناقة) مخرجوها وباعثوها (فتنة لهم) وامتحانا لهم (فارتقبهم) فانتظرهم وتبصر ما يصنعون (واصطبر)

على ان يكون جمع نذير بمعنى الانذار والموعظة كالنكير بمعنى الانكار والثالث على ان يكون جمع نذير بمعنى المنذر وجعلهم مكذبين للرسل مع انهم كذبوا رسولهم صالحا عليه الصلاة والسلام لان تكذيبه فيما جاء به تكذيب للرسل جميعا في الحقيقة لانهم متفقون في اصول الدين (قوله والاول اوجه للاستفهام) اى كونه منصوبا على الاشتغال بمعنى انتبع بشرا منا نتبعه اوجه لانه حينئذ تكون اداة الاستفهام داخلة على الفعل على الاصل (قوله كأنهم عكسوا الخ) يعني كان صالحا عليه الصلاة والسلام يقول لهم ان لم تتبعوني كنتم في ضلال عن الحق في الدنيا ونيران هائلة في العقبى وهي المراد بالسعر الذى هو جمع سعير وهو النار فعكسوا عليه فقالوا ان اتبعناك كنا اذا كما تقول (قوله تعالى من بيننا) حال من هاء عليه اى اخصص بالرسالة والوحي منفردا من بين آل ثمود وفيهم من هو اكثر مالا واحسن حالا والاستفهام للانكار والاشر صفة مشبهة مثل فرح وفعله اشر يأشر اشرا فهو اشر من باب علم (قوله وقرأ ابن عامر وحمزة ستعلمون) اى بتاء الخطاب وفيه وجهان احدهما انه حكاية قول صالح لقومه والثاني انه خطاب الله تعالى وكلامه لهم على سبيل الالتفات من الغيبة في قوله فقالوا وقرأ الباقون بياء الغيبة على وفق قوله فقالوا والجمهور على كسر الشين وتخفيف الراء في قوله من الكذاب الاشر وقرئ الاشر بضم الشين وتخفيف الراء وهما لغتان بمعنى مثل يقظ ويقظ وحذر وحذر وقرئ ايضا الاشر بفتح الشين وتشديد الراء وهو افعل تفضيل من الشر اصله اشرر كما ان خيرا اصله اخير حذفت همزة افعل منهما لكثرة دورانهما في الكلام ثم ان ثمود لما كذبوه وتعنتوا عليه سألوه ان يخرج لهم من صخرة ناقة حمراء عشراء وهي الناقة التي اتت عليها من يوم ارسل عليها الفحل عشرة اشهر وزال عنها اسم المخاض ثم لا يزال كذلك اسمها حتى تضع فدعا صالح ربه فاوحى الله تعالى اليه فقال تعالى انا مرسلوا الناقة اى باعثوها ومخرجوها من الصخرة كما اقترحوا وقوله فتنة لهم مفعول له فان تحقق ما اقترحه القوم يشبه الامتحان اى محنة لهم واختبارا فان المعجزة فتنة لان بها يتميز المثاب من المعذب حيث يظهر بها للخلق ويتميز من يتبع الهدى والبينة ممن يتبع الهوى فمن اصر على الضلال بعد ما شاهد ما اقترحه يحل عليه عذاب عظيم فان سنة الله جرت كذلك كما قال فمن يكفر بعد منكم فانى اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين (قوله قسمة بينهم) اى مقسوم او ذو قسمة بين ثمود والناقة غلب العقلاء على غيرهم في القسمة (قوله لها يوم ولهم يوم) اشارة الى ان كون الماء الذى يشربونه مقسوما بين القوم والناقة ليس معناه ان الماء قسمان قسم لها وقسم لهم بل المراد ان يجعل

على اذاهم (ونبئهم ان الماء قسمة بينهم) مقسوم لها يوم ولهم يوم وبينهم لتغليب العقلاء . (السرب

(كل شرب محتضر) يحضره صاحبه فى نوبته او يحضر عنه غيره (فنادوا صاحبهم) قدار بن سالف احيمر ثمود (فتعاطى فعقر) فاجترأ على تعاطى قتلها فقتلها اوفتعاطى السيف فقتلها والتعاطى تناول الشئ بتكلف (فكيف كان عذابى ونذر انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة) صيحة جبرائيل (فكانوا كهشيم المحتظر) كالشجر اليابس المتكسر الذى يتخذه من يعمل الحظيرة لاجلها اوكالحشيش اليابس الذى يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته فى الشتاء وقرئ بفتح الظاء اى كهشيم الحظيرة اوالشجر المتخذ لها (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط بالنذر انا ارسلنا عليهم حاصبا) ريحا تحصبهم بالحجارة اى ترميهم (الا آل لوط نجيناهم بسحر) فى سحر وهو آخر الليل اوسحرين (نعمة من عندنا) انعاما منا وهو علة لنجينا (كذلك نجزى من شكر) نعمتنا بالايمان والطاعة (ولقد انذرهم) لوط (بطشتنا) اخذتنا بالعذاب

الشرب يذهم على طريق المناوبة بان يحضره القوم يوما وتحضره الناقة يوما (قوله يحضره صاحبه) اشارة الى ان حضره واحتضره بمعنى والظاهر ان قوله او يحضر عنه بمعنى او يمنع عنه الا ان استعمال الحضر بالضاد فى معنى المنع ليس بمعهود والذى بمعنى المنع هو الحظر بالظاء والفاء فى قوله تعالى فنادوا صاحبهم فصيحة تفصح ان فى الكلام محذوفا تقديره فبقوا على ذلك زمانا ثم ملوا وتحرجوا من ضيق الماء والمرعى عليهم وعلى مواشيهم فان الناقة مع فصيلها كانت تمشى فى الصيف فى مصيف مواشيهم فتهرب المواشى منهما فتبقى فى موضعها الذى تمشى فيه وكانا يمشيان وقت الشتاء فى مشتى المواشى فتهرب المواشى منهما فتبقى فى الضيق فغلب عليهم الشقاوة فاجمعوا على قتلها فقال بعضهم لبعض نكمن للناقة حيث تمر اذا صدرت عن الماء فحرضاها القوم وكمن لها قدار بن سالف ليقتلها وصاح به بقية الرهط اى نبهوه على صدورها ومجيئها وقدومها من مكمنه ودعوه الى قتلها وشجعوه عليه فتعاطى اى فاجترأ على تعاطى قتلها والاقدام عليه فان التعاطى عبارة عن الاقدام على الفعل العظيم وتحقيقه ان الفعل العظيم يتبرأ منه كل احد ويعطيه صاحبه اى فتعاطى صاحبهم آلة العقر فعقرها بها قيل كمن لها فى اصل شجرة على طريقها فرماها بسهم فانتظم به عضلة ساقها ثم شد عليها فكشف عرقوبها فخرت ورغت رغاءة واحدة ثم نحرها والعرب تسمى الجزار قدارا تشبيها له بقدار بن سالف مشئوم آل ثمود والعقر الجرح ثم استعير للقتل واحيمر تصغير احمر صغر تحقيرا له وكان قدار احمر اشقر ولما استعظم الله تعالى عذابهم بين ذلك العذاب بقوله انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة صاح فيهم جبريل عليه الصلاة والسلام والعامة على كسر الظاء من المحتظر على انه اسم فاعل وهو الذى يتخذ حظيرة من الحطب وغيره والهشيم حطام الشجر والنبت اليابس ومن اتخذ لغنمه حظيرة يقيها عن البرد والريح يتخذها من دقاق الشجر وضعيف النبات فاذا طال عليها الزمان بليت وتكسرت وصارت هشيما وقرئ كهشيم المحتظر بفتح الظاء اما على انه اسم مفعول بمعنى المتخذ حظيرة وهو نفس الحظيرة فالمعنى كهشيم الحظيرة التى تمنع بها المواشى عن البرد والريح او على انه مصدر ميمى بمعنى الاحتظار سمى الشجر المتخذ للحظيرة محتظرا لكونه مادة للاحتظار او اسم مكان اطلق على مادة المحتظر باعتبار توهم المكانية فيها (قوله ريحا تحصبهم) اشارة الى ان الحاصب اسم فاعل بمعنى رامى الحصباء وهى الحجارة حذف موصوفه وهو الريح وتذكيره مع كونه مسندا الى ضمير الريح وهى مؤنث سماعى لكونها فى تأويل العذاب وقوله تعالى وامطرنا عليهم حجارة

نكذبوا بالنذر) فكذبوه بالعذاب متشاكين (ولقد راودوه عن ضيفه) قصدوا الفجور بهم (فطمسنا اعينهم) مسحناها وسويناها كسائر الوجه روى انهم لما دخلوا داره عنوة صفقهم جبرائيل صفقة فاعماهم (فذوقوا عذابي ونذر) فقلنا لهم ذوقوا على السنة الملائكة او ظاهر الحال (ولقد ﴿ ٣٣٠ ﴾ صبحهم بكرة) وقرئ بكرة غير مصروفة على ان المراد بها اول نهار معين (عذاب مستقر) يستقر بهم حتى يسلمهم الى النار (فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) كرر ذلك في كل قصة اشعارا بان تكذيب كل رسول مقتض لنزول العذاب واستماع كل قصة مستدع للادكار والاتعاظ واستئنافا للتنبيه والايقاظ لئلا يغلبهم السهو والغفلة وهكذا تكرير قوله فبأى آلاء ربكما تكذبان وويل يومئذ للمكذبين ونحوهما (ولقد جاء آل فرعون النذر) اكتفى بذكرهم عن ذكره للعلم بانه اولى بذلك (كذبوا باياتنا كلها) يعني الآيات التسع (فاخذناهم اخذ عزيز) لا يغالب (مقتدر) لا يعجزه شئ (اكفاركم) يا معشر العرب (خير من اولئكم) الكفار المعدودين قوة وعدة او مكانة ودينا عند الله تعالى (ام لكم براءة في الزبر) ام انزل لكم (براءة) في الكتب السماوية ان من كفر منكم فهو في امان من العذاب (ام يقولون نحن جميع) جماعة امرنا مجتمع (منتصر) ممتنع لا نرام او منتصر من الاعداء لا نغلب او متناصر ينصر بعضنا بعضا والتوحيد على لفظ الجميع (سيهزم ...

وكذا قول الملائكة لنرسل عليهم حجارة يدلان على ان الذى ارسل عليهم نفس الحجارة لا التى تحصبها الا انه قيل ههنا ارسلنا عليهم حاصبا للدلالة على ان امطار الحجارة وارسالها عليهم كان بواسطة ارسال الريح الحاصبة بالحجارة والاستثناء فى قوله تعالى الا آل لوط منقطع لانه مستثنى من الضمير فى عليهم وهو ضمير القوم المذكور بقوله كذبت قوم لوط ولا يدخل فيهم آل لوط لان المراد به من تبعه على دينه ونون سحر لان المراد بيان وقت التنجية وهو سحر من الاسحار ولو اريد سحر يوم بعينه لقيل نجيناهم بالسحر واسناد التنجية اليه تعالى باعتبار كونه سببا آمرا له بان يخرج بهم بقطع من الليل اى يخرج فيه فجاء العذاب قومه وقت السحر والسحر سحران الاول قبل انصداع الفجر والآخر عند انصداعه والباء فى قوله بسحر يجوز ان يكون بمعنى فى وان تكون للحال اى ملتبسين بسحر او مسحرين اى داخلين فى وقت السحر (قوله تعالى فتماروا) تفاعلوا من المرية اى تشاركوا فى الشك فيما انذرهم به وكذبوه وقالوا كيف يقدر على اهلاكنا وحده وعدى فتماروا بالباء واصله ان يتعدى بفى لتضمنه معنى التكذيب فكأنه قيل فكذبوا بالنذر متشاركين * والمراودة الطلب والارادة اى طلبوا منه وارادوا ان يسلم اليهم اضيافه ويخلى بينهم وبينهم فطمسنا اعينهم وذلك انهم لما قصدوا دار لوط وعالجوا الباب ليدخلوها قالت الرسل للوط خل بينهم وبين الدخول فانا رسل ربك لن يصلوا اليك فدخلوا الدار فصفقهم جبريل عليه الصلاة والسلام بجناحه باذن الله تعالى فتركهم عميا بحيث صارت اعينهم كسائر الوجه لا يرى لها شق هذا قول اكثر المفسرين وقيل طمس الاعين عبارة عن مجرد انهم لم يروا الرسل وقالوا قد رأيناهم حين دخلوا البيت فاين ذهبوا فلم يروهم فرجعوا (قوله تعالى بكرة) قرأ العامة بكرة بالتنوين لكونها نكرة ولا وجه لمنع الصرف وقرئ غير منون على ان يراد بها بكرة نهار معين لا بكرة من البكر فامتنع صرفه للتأنيث والتعريف (قوله قوة وعدة) يعنى ان الخيرية مع انه لا خير فى كل واحد من الفريقين اما باعتبار القوة وكثرة اسباب المقاومة وما باعتبار الدنيا وكثرة اسباب زينتها (قوله ام يقولون) قرأ العامة ام يقولون بياء الغيبة على الالتفات (قوله ممتنع لا نرام) اى لا نزال عن موضعنا يقال رامه يريمه ريما اى برحه وزال منه

و يولون الدبر) اى الادبار وافراده لارادة الجنس اولان كل احد يولى دبره وقد وقع ذلك يوم بدر وهو من دلائل النبوة وعن عمر رضى الله عنه انه لما نزلت قال لم اعلم ماهو فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس الدرع ويقول سيهزم الجمع فعلمته (بل الساعة موعدهم) موعد عذابهم الاصلى وما يحيق بهم فى الدنيا فمن طلائعه (والساعة ادهى) اشد والداهية امر فظيع لايهتدى لدوائه (وامر) مذاقا من عذاب الدنيا (ان المجرمين فى ضلال) عن الحق فى الدنيا (وسعر) ونيران فى الآخرة (يوم يسحبون فى النار على وجوههم) يجرون عليها (ذوقوا مس سقر) اى يقال لهم ذوقوا حر النار والمها فان مسها سبب التألم بها وسقر علم لجهنم ولذلك لم يصرف من سقرته النار وصقرته اذا لوحته

وصار الى البراح وهو المتسع من الارض لازرع فيه ولاشجر روى ان اباجهل كان يعلف كل يوم فرساله فرقا من ذرة وكان يحلف باللات والعزى ليقتلن عليه محمدا فركبه يوم بدر وجعل يطارد مطاردة الاقران فى الحرب واذا حمل بعضهم على بعض حملوا يقولون نحن جميع منتصر ممن عاد انا فقتل على يد ابن مسعود رضى الله عنه (قوله وهو من دلائل النبوة) لان الآية نزلت بمكة واخبر بها انهم سيهزمون فى الحرب فكان كما قال ولاطريق الى علم الغيب الا الوحى فعلم ان الآية وحى الهى (قوله لم اعلم ماهو) اى لم اعلم اى جمع يهزم اجمعنا ام جمع الكفار روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال كان بين نزول هذه الآية وبين يوم بدر سبع سنين (قوله تعالى بل الساعة) اضراب عن ذكر هزيمتهم فى الدنيا (قوله تعالى يوم يسحبون) يجوز ان يكون ظرفا لقوله فى ضلال وسعر وان يكون ظرفا للقول المقدر بعده اى يقال لهم فى ذلك اليوم ذوقوا مس سقر (قوله فان مسها سبب للتألم بها) علة لتفسير مس سقر بحر النار والمها يعنى ان مس النار لما كان سببا للتألم بها صح ان يعبر عن المس بالتألم والاحتراق مجازا مرسلا روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال قوله تعالى ان المجرمين فى ضلال الى قوله مس سقر نزل فى حق القدرية وعنه ايضا انه قال اذا جمع الله الخلائق يوم القيامة امر مناديا فينادى نداء يسمعه الاولون والآخرون اين خصماء الله فتقوم القدرية فيؤمر بهم الى النار ويقول الله تعالى ذوقوا مس سقر انا كل شئ خلقناه بقدر وعنه عليه الصلاة والسلام انه قال مجوس هذه الامة القدرية وهم المجرمون الذين سماهم الله تعالى فى قوله ان المجرمين فى ضلال وسعر وكثرت الاحاديث فى حق القدرية وهم الذين ينكرون القدر وينسبون الحوادث كلها الى الاوضاع الفلكية واتصالات الكواكب ويدل عليه ماروى عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال جاء مشركوا قريش يخاصمون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى القدر فانزل الله تعالى ان المجرمين فى ضلال وسعر الى قوله خلقناه بقدر رواه مسلم فى صحيحه فان مذهبهم ذلك واعلم ان المسلمين فى مسألة القدر طوائف فطائفة تقول كل مايجرى فى العالم من الخير والشر والافعال والاقوال بقضاء الله تعالى وقدره لااختيار للعبد فيه وتسمى هذه الطائفة جبرية بسكون الباء وفتحها ومعنى الجبر القهر والاكراه ويقولون اجبر الله تعالى عباده على افعالهم واقوالهم فلااختيار لهم فيها واضافة الفعل اليهم كما يقال جرى النهر ودارت الرحى ومن ذهب الى هذا القول لاسقاط التكليف عن نفسه فقد كفر بهذا القول لانه يفضى الى ابطال الكتب والرسل لانه اذا لم يكن للعباد اختيار

لم يكونوا مكلفين فلم يبق لانزال الكتب و بعثة الرسل حينئذ فائدة ؛ وان قالوا هذا القول لاعن اعتقاد بل قالوه لتعظيم الله تعالى وتحقير انفسهم واظهار عجزهم عن دفع قضاء الله تعالى لايكفرون به بل يصيرون مبتدعين فاسقين لانهم خالفوا الاجماع فى الاعتقاد والطائفة الثانية القدرية بفتح الدال وسكونها وهم يقولون كل ما يصدر من العباد عقيب قصدهم على وفق ارادتهم يكون واقعا بقدرتهم ودواعيهم ولا يتعلق به بخصوصه قدرة الله تعالى وارادته وانما نسبوا الى القدر لان بدعتهم نشأت من قولهم فى القدر لنفيه لالاثباته وهذه الطائفة قد نفوا هذه التسمية عنهم وقالوا ان مذهب القدر هو مذهب الجبر لانهم قالوا افعال العباد بتقدير الله تعالى وخلقه لانهم اسندوا الفعل الى التقدير وقيل ان هذا المذهب باطل ايضا لانهم ان قالوا هذا القول عن اعتقاد جريان العجز وجوازه على الله تعالى صاروا بهذا القول كافرين وان قالوه لاعن اعتقاد ذلك بل من خطأ ظنونهم واجتهادهم ولتنزيه الله تعالى عن افعالهم القبيحة فليسوا بكافرين بهذا القول ولكن كانوا مبتدعين فاسقين لانهم خالفوا الاجماع وفيه مذهب آخر وهو ان المؤثر مجموع قدرة الله تعالى وقدرة العبد وهذا المذهب وسط بين الجبر والقدر وقيل هو اقرب الى الحق منهما لكونه مطابقا للعقل وموافقا لكتاب الله وكلام رسوله ولما نقل عن الراسخين فى العلم انه لاجبر ولاتفويض ولكن امر بين امرين وهذا القول منقول عن جعفر الصادق كذا فى شرح المصابيح للامام الخلخالى قال الامام كل فرقة فى خلق الاعمال تذهب الى ان القدرى خصمها فالجبرى يقول القدرى من يقول الطاعة والمعصية ليستا بخلق الله تعالى وقضائه وقدره فهم قدرية لانهم ينكرون القدر والمعتزلى يقول القدرى هو الجبرى الذى يقول حين يزنى العبد و يسرق الله تعالى قدر ذلك فهو قدرى لاثباته القدر حيث قال كل واحد من الخير والشر بقدر الله تعالى لا اختيار للعبد فيه والفريقان متفقان على ان القائل بان الافعال بخلق الله وكسب من العبد ليس بقدرى والحق ان القدرى هو الذى ينكر القدر رأسا و ينسب الحوادث الى الاوضاع الفلكية واتصالات الكواكب كما ذهب اليه كفار قريش فانهم ما كانوا يقولون مثل مايقوله المعتزلة من ان الله تعالى خلق لى سلامة الاعضاء وقوة الادراك ومكننى من الطاعة والمعصية وهو قادر على ان يخلق فى الطاعة الجاء والمعصية الجاء وعلى ان يطعم الفقير الذى اطعمه انا بفضل الله تعالى واقداره اياى عليه بل كانوا يقولون انطعم من لو يشاء الله اطعمه منكرين لقدرة الله تعالى على الاطعام انتهى (قوله اى انا خلقنا كل شئ مقدرا) اشارة الى ان قوله تعالى بقدر حال من كل

(انا كل شئ خلقناه بقدر) اى انا خلقنا كل شئ مقدرا مرتبا على مقتضى الحكمة او مقدرا مكتوبا فى اللوح قبل وقوعه وكل شئ منصوب بفعل يفسره مابعده وقرئ بالرفع على الابتداء

وعلى هذا فالاولى
ان يجعل خلقناه خبرا
لانعتا ليطابق المشهورة
فى الدلالة على ان كل
شئ مخلوق بقدر ولعل
اختيار النصب ههنا
مع الاضمار لما فيه من
النصوصية على المقصود
(وما امرنا الا واحدة)
الافعلة واحدة وهو
الايجاد بلامعالجة ومعاناة
او الا كلمة واحدة وهو
قوله كن (كلمح بالبصر)
فى اليسر والسرعة وقيل
معناه معنى قوله وما امر
الساعة الا كلمح البصر
(ولقد اهلكنا اشياعكم)
اشباهكم فى الكفر ممن
قبلكم (فهل من مدكر)
متعظ (وكل شئ فعلوه
فى الزبر) مكتوب فى
كتب الحفظة (وكل
صغير وكبير) من الاعمال
(مستطر) مسطور
فى اللوح

شئ وانه بمعنى التقدير ثم ان التقدير اما ان يحمل على تسوية صورته وشكله
وصفاته الظاهرة والباطنة على مقدار مخصوص اقتضته الحكمة وترتبت
عليه المنفعة المنوطة بخلقه كما فى قوله تعالى وخلق كل شئ فقدره تقديرا بان جعل
جميع مافيه من الاوضاع والاشكال موافقا لمقتضى الحكمة واما ان يحمل على
تقديره فى علمه الازلى وكتبه فى اللوح المحفوظ وهو القدر الذى يذكر فى جنب
القضاء قال المصنف فى شرح المصابيح القضاء هو الارادة الازلية والعناية
الالهية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص والقدر تعلق تلك الارادة
بالاشياء فى اوقاتها انتهى كلامه فقوله تعالى بقدر اى بتقدير وقضاء سبق
من الله تعالى (قوله وعلى هذا فالاولى ان يجعل خلقناه خبرا لانعتا) يعنى
ان الجمهور على نصب كل على الاشتغال وحينئذ يتعين ان يكون خلقناه تأكيدا
وتفسيرا لخلقنا المضمر الناصب لكل والتقدير انا خلقنا كل شئ خلقناه بقدر
ولا يجوز ان يكون خلقناه صفة لشئ لان الصفة كما لا تعمل فيما قبل الموصوف
لا تكون تفسيرا لما يعمل فيما قبلها ايضا فاذا لم يجز كون خلقناه صفة تعين كونه
تأكيدا اوتفسير المضمر الناصب بخلاف ما اذا رفع كل شئ على الابتداء لانه
حينئذ يجوز ان يكون خلقناه صفة لكل شئ و بقدر خبرا فيكون المعنى كل شئ
موصوف بكونه مخلوقا لنا فهو بقدر وقضاء سابق من الله تعالى والمفهوم
انمن الموجودات ماهو مخلوق لغير الله تعالى وانه ليس بقدر كما تقوله المعتزلة
و يجوز ان يكون خلقناه خبر لانعتا وحينئذ تكون قراءة الرفع موافقة لقراءة
النصب فى الدلالة على ان الاشياء كلها مخلوقة لله تعالى بقدر كما هو مذهب اهل
السنة (قوله ولعل اختيار النصب ههنا) جواب عن مايقال كيف اختار
الجمهور قراءة النصب مع ان التركيب من قبيل قولك زيد ضربته والمختار فيه
الرفع لان النصب محتاج الى حذف العامل او اضماره والاصل عدمهما بخلاف
الرفع فانه بعامل معنوى لا تلفظ به حتى يقال حذف او اضمر وتقرير الجواب
انه على قراءة النصب يكون كل شئ باقيا على عمومه حيث لم يوصف ولم يخصص
بالصفة فيكون الكلام نصا فى الدلالة على المقصود وهو كون الاشياء باسرها
مخلوقة لله تعالى بقدر بخلاف قراءة الرفع فان قوله خلقناه حينئذ وان جاز كونه
خبرا فيكون الكلام دليلا على ماهو المقصود الا انه يجوز كونه نعتا لا خبرا فلا يفيد
الكلام ماهو المقصود فاختير قراءة النصب لما فيها من النصوصية على المقصود
والمشهور ان قوله تعالى انا كل شئ خلقناه بقدر متعلق بما قبله كأنه قيل ذوقوا
مس سقر فان كل شئ خلقناه بقدر و يجوز ان يكون متعلقا بجميع ماذكر فى
السورة من اهلاك الاشرار وانجاء الاخيار ووعيد اهل مكة من المشركين

ووعد المؤمنين ثم بين ان خلق الكائنات اهون شئ عليه وايسره فقال وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر واللمح النظر بسرعة واختلاس يعني ان قضائي وخلقي ايسر واسرع من لمح البصر والمقصود تهديد المشركين بالاهلاك فلذلك عقبه بقوله ولقد اهلكنا اشياعكم ثم بين ان عقوبة الاشياع المهلكين لم تتم بهلاك الدنيا بل ينضم اليها عقاب الآخرة فقال وكل شئ فعلوه يعني الاشياع قبلكم في الزبر اي مكتوب في دواوين الحفظة على الزبر جمع زبور وهو فعول بمعنى مفعول من زبره اذا كتبه وتنكير جنات للتعظيم اي في جنات لا يوصف نعيمها وما اعد فيها لاهلها وقرأ الجمهور ونهر بفتحتين على الاصل وقرئ بسكون الهاء للتخفيف وكلاهما واحد الانهار اكتفى بواحد لكونه اسم جنس يتناول الانهار وهو المراد ههنا بدليل ذكره بقرب جنات كأنه قيل في جنات وانهار من الماء والخمر واللبن والعسل والظاهر ان يقال في جنات عند انهار لان الانسان انما يلتذ بالانهار بان يكون عندها لا بان يكون فيها فالمعنى في خلال الانهار وما بينها من الامكنة وكذا قوله تعالى ان المتقين في جنات وعيون معناه في خلال العيون (قوله اوسعة) عطف على قوله انهار يعني ان النهر قد يستعمل في نهر الماء ويستعمل ايضا بمعنى السعة يقال انهرت الطعنة اي وسعتها واستهر الشئ اذا اتسع ويسمى النهار نهار السعة ضيائه وقال الضحاك ليس المراد بالنهر ههنا نهر الماء وانما المراد سعة الارزاق لان المادة تساعد هذا المعنى ويجوز ان يكون النهر بمعنى الضياء المتسع على انه من النهار ومن قرأ نهر بضمتين جعله جمع نهر بفتحتين كاسد واسد اوجمع نهر بالفتح والسكون كرهن ورهن وسقف وسقف (قوله في مكان مرضي) اشارة الى ان مقعد صدق من باب رجل صدق في انه من اضافة الموصوف الى الصفة وان الصدق بمعنى الجودة والخيرية وقوله تعالى في مقعد صدق يجوز ان يكون خبرا ثانيا وهو الظاهر وان يكون حالا من المنوى في قوله في جنات لوقوعه خبرا وجوز ابو البقاء ان يكون بدلا من قوله في جنات بدل بعض لان المقعد بعضها او بدل اشتمال لانها مشتملة عليه والاول اظهر والمراد بالعندية قرب المنزلة والمكانة دون قرب المكان والمليك من الملك والتنكير فيه وفي قوله مقتدر للتعظيم اشار اليه المصنف بقوله عند من تعالى امره انتهى (قوله في كل غب) اي من اعتاد ان يقرأها يوما ويتركها يوما * تم بحمد الله ورحمته ما يتعلق بسورة القمر ومآ بدأ بكشف اسرار سورة الرحمن مستعينا به ومتوكلا عليه سبحانه وتعالى

(ان المتقين في جنات ونهر) انهار واكتفى باسم الجنس اوسعة اوضياء من النهار وقرئ بسكون الهاء وبضم النون وسكون الهاء جمع نهر كاسد وأسد (في مقعد صدق) في مكان مرضي وقرئ مقاعد صدق (عند مليك مقتدر) مقربين عند من تعالى امره في الملك والاقتدار بحيث ابهمه ذووا الافهام * عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة القمر في كل غب بعثه الله يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر

(سورة الرحمن مكية)

بسم الله الرحمن الرحيم وبه الاعانة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(قوله مكية) اى عند ابن عباس والضحاك ومدنية عند مقاتل وابن حبان والواقدى وقيل مكية الا آية وهى قوله تعالى يسأله من فى السموات والارض الآية فانها مدنية (قوله تعالى الرحمن) مبتدأ والجمل الثلاث بعده اخبار مترادفة وعلم يتعدى الى مفعولين حذف مفعوله الاول فى الآية والتقدير علم جبريل القرآن وقيل علم محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل علم الانسان القرآن وهذا اولى لان المقصود تعداد ما انعم به على نوع الانسان مطلقا حثا على شكره وتنبيها على تقصيرهم فيه ولان قوله عقيبه خلق الانسان علمه البيان يدل عليه (قوله صدرها بالرحمن) جواب لما يتوجب ان يكون مسببا عما قبله فان الرحمن لما كان ابلغ من الرحيم باعتبار الكيفية اى باعتبار ان الرحمة المدلول عليها بلفظ الرحمن هى جلائل النعم فلذلك يقال يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا لان النعم الاخروية كلها جسام فلا يقال له تعالى باعتبار تلك النعم رحيم بخلاف النعم الدنيوية فان منها ما هى جليلة ومنها ما دون ذلك فيوصف تعالى باعتبار تلك النعم بالرحمن كما يوصف به باعتبار النعم الاخروية فصح ان يجعل قوله صدرها بالرحمن مرتبا على كون السورة مقصورة على تعداد النعم الدنيوية والاخروية (قوله وقدم ما هو اصل النعم) ليس معطوفا على قوله صدرها بل هو جواب عما يقال كيف قدم تعليم القرآن للانسان على خلقه مع انه متأخر عن خلقه بحسب الوجود فاجاب عنه بانه قدم تعليم القرآن ثم اتبعه قوله خلق الانسان علمه البيان ايماء بان خلق البشر الخ يعنى ان تعليم القرآن وان كان متأخرا عن خلق الانسان الا انه قدم عليه ايماء الى ان خلق الانسان ليس مقصودا لذاته بل المقصود الاصلى من خلقه والحكمة الداعية اليه هو استكماله بحسب قوته النظرية العملية بمعرفة مبدئه ومعاده وان يتحلى بعبادة ربه وذلك انما يكون بتلقى الوحى وتعرف ما يستنبط من علومه فلما كان تعليم القرآن وتعرف احكامه هو المقصود الاصلى والحكمة الداعية الى خلق الانسان استحق ان يقدم عليه لان الاهم اقدم فلذلك قدم تعليم القرآن على خلق الانسان وقدم خلقه على تعليم البيان لكون التعليم متفرعا على الخلق ضرورة ان الكمالات كلها من توابع اصل الوجود ثم ذكر بعده تعليم البيان لكون تعليمه فى حكم اصل الخلق من حيث ان المقصود منه ايضا تعليم القرآن واحكام الشرع لانه لولا البيان لما تمكن من تعلم القرآن وتعليمه وقوله مصدق لنفسه

(سورة الرحمن مكية او مدنية او متبعضة وآيها ست وسبعون) (بسم الله الرحمن الرحيم) (الرحمن علم القرآن) لما كانت السورة مقصورة على تعداد النعم الدنيوية والاخروية صدرها بالرحمن وقدم ما هو اصل النعم الدينية واجلها وهو انعامه بالقرآن وتنزيله وتعليمه فانه اساس الدين ومنشأ الشرع واعظم الوحى واعز الكتب اذ هو باعجازه واشتماله على خلاصتها مصدق لنفسه ومصداق لها ثم اتبعه قوله (خلق الانسان علمه البيان) ايماء بان خلق البشر وما يميز به عن سائر الحيوان من البيان وهو التعبير عما فى الضمير وافهام الغير لما ادركه لتلقى الوحى وتعرف الحق وتعلم الشرع واخلاء الجمل الثلاث التى هى اخبار مترادفة للرحمن عن العاطف

اى باعجازه و قوله و مصداق لها اى لسائر الكتب السماوية لاشتماله على خلاصتها (قوله لمجيئها على نهج التعداد) اذ مقام تعداد النعم والحث على شكرها والتنبيه على تقصير الانسان فيه يقتضى ايرادها على نهج التعداد اذبه يظهر ان كل واحدة منها مستقلة فى الاعتداد والاعتناء بشانها منفردة عن النعم الباقية و لو جئ بالعاطف صارت الكل كالنعمة الواحدة وفاتت هذه الفائدة (قوله يجريان بحسبان) اشارة الى ان قوله الشمس مبتدأ والقمر عطف عليه والخبر محذوف يتعلق به قوله بحسبان وان الحسبان مصدر بمعنى الحساب كالشكران والغفران والرجحان و قيل الحسبان جمع حساب كشهاب وشهبان وكل واحد منهما يجرى بحساب فى منازل لايعدوها فالشمس تقطع بروج السماء فى ثلثمائة وخمسة وستين يوما والقمر يقطعها فى ثمانية وعشرين يوما ثم انه تعالى لما ذكر نعمة ايجاد نفس الانسان الذى هو اصل جميع النعم وانعامه عليه بتعليمه البيان ذكر نعمتين عظيمتين سماويتين يترتب على نفس وجودهما وعلى كون حركتهما على حساب معلوم وقانون مقرر فوائد لاتحصى ثم ذكر فى مقابلتهما نعمتين ارضيتين وهما النجم والشجر وكلاهما من قبيل النبات الذى هو اصل الرزق من الحبوب والثمار وحشيش الدواب والنجم كل نبات ينجم من الارض ولا يبقى له ساق فى الشتاء والشجر نبات يبقى ساقه (قوله تعالى يسجدان) من قبيل الاستعارة التبعية شبه انقيادهما طبعا بانقياد المكلفين طوعا اى قصدا واختيارا وهو المسمى بالسجود عند اهل اللغة فسمى المشبه باسم المشبه به (قوله وكان حق النظم فى الجملتين) يعنى ان هاتين الجملتين مثل الجمل السابقة واللاحقة فى انهما اخبار مترادفة للرحمن مثل تلك الجمل ومن حق الخبر اذا كان جملة اشتماله على الضمير الراجع الى المبتدأ كما فى تلك الجمل الا انهما جردتا عن الضمير الرابط اعتمادا على وضوح المراد فانه من المعلوم ان الحسبان حسبانه الذى قدره لهما وان المسجود له هو الرحمن ولايذهب الوهم الى احتمال آخر (قوله وادخال العاطف بينهما) لما بين ان الجمل الثلاث الاول اخليت عن العاطف لكون المقصود منها تبكيت من انكر الرحمن وآلاءه بتعديد نعمه عليه واحدة بعد واحدة وذلك يقتضى الاخلاء عن العاطف حتى يعلم ان كل واحدة نعمة مستقلة مع قطع النظر عن النعم الباقية بين انه ادخل العاطف بين الجملة الرابعة والخامسة جريا على ما يقتضيه ظاهر الحال فانه قد تقرر فى علم المعانى انه اذا اتت جملة بعد جملة اخرى وكان للاولى محل من الاعراب فان قصد تشريك الثانية للاولى فى حكم اعراب الاولى عطفت الثانية عليها ليدل العطف على التشريك المذكور ثم ان كان العطف بالواو وجب

لمجيئها على نهج التعداد (الشمس والقمر بحسبان) يجريان بحساب معلوم مقدر فى بروجهما و منازلهما وتتسق بذلك امور الكائنات السفلية وتختلف الفصول والاوقات وتعلم السنون والحساب (والنجم) النبات الذى ينجم اى يطلع من الارض ولاساق له (والشجر) الذى له ساق (يسجدان) ينقادان لله فيما يريد بهما طبعا انقياد الساجد من المكلفين طوعا وكان حق النظم فى الجملتين ان يقال واجرى الشمس والقمر واسجد النجم والشجر او الشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له ليطابقا ماقبلهما ومابعدهما فى اتصالهما بالرحمن لكنهما جردتا عمايدل على الاتصال اشعارا بان وضوحه يغنيه عن البيان وادخال العاطف بينهما لاشتراكهما فى الدلالة على ان مايحس به من تغيرات احوال الاجرام العلوية والسفلية بتقديره وتدبيره

انيكون بين الجملتين جهة جامعة نحو زيد يكتب و يشعر او يعطي و يمنع لما
بين المنع والاعطاء من التضاد والجهة الجامعة بين الجملتين في الآية ان جرى الشمس
والقمر بحسبان من جنس الانقياد لامر الله تعالى فهو مناسب لسجود الشمس والقمر
وانقيادهما طبعا في كون الجميع من قبيل الانقياد لامر الله تعالى وحاصلا بتقديره
وتدبيره في ملكه (قوله خلقها مرفوعة محلا) يعني ان المراد برفع السماء خلقها
رفيعة القدر والرتبة وقيل رفعها على الارض وعطف الرتبة على المحل
بالواو دليل على انه لم يرد بالمحل مكان الحلول بل اراد به القدر والمنزلة المعنوية
والاولى ان يعطف الرتبة عليها بكلمة او احترازا عن الجمع بين الحقيقة
والمجاز فان لفظ الرفع حقيقة في رفع الشيء مكانا عليا ومجاز في رفع مرتبته وقدره
الا ان يقال الجمع بين الحقيقة والمجاز جائز عند الائمة الشافعية فالمصنف بنى العطف
بالواو على مذهبه (قوله العدل اوما يعرف به مقادير الاشياء) اي يجوز
ان يراد بالميزان العدل الموجب لاستقامة امور العباد فانه اذا وفى كل ذي حق
حقه ووفر على كل مستعد ما استحقه استراح الخلق وانتظم امر العالم فيكون
وضع الميزان عبارة عن الامر بالعدل والجملة الخبرية موضوعة موضع الطلبية
وكذا ان اريد بالميزان آلة الوزن اي وامرنا باستعمال ما يعرف به مقادير
الاشياء عند الاخذ والاعطاء لئلا يبخس الناس اشياءهم (قوله كانه لما وصف
السماء الخ) اشارة الى بيان التناسب بين قوله والسماء رفعها وبين قوله ووضع
الميزان والمصنف جعل الخبرية باقية على حالها حيث فسر وضع الميزان
بمعنى العدل بقوله بان وفر على كل مستعد الخ اي كان عادلا مجانبا عن الجور
والظلم في جميع ما ابدعه من اجزاء العالم ولم يفعل شيئا من المصنوعات الا على
حسب ما تقتضيه الحكمة فانظر الى اجزاء وجودك كيف عدل سبحانه وتعالى
ترتيبها فانه تعالى ركبك من العظم واللحم والجلد وجعل العظم عمادا مستبطنا
وجعل اللحم مكتنفا اياه وجعل الجلد حافظا له محيطا به فلو عكس هذا الترتيب
واظهر ما ابطن لبطل النظام ووضع كل واحد من اعضائك في موضعه
الخاص عدلا وحكمة حتى يظهر وجه حسن تخلل العاطف بينهما وذلك
ان السماء والارض متناسبتان من جهة التقابل وكذا وضع الميزان في الارض
باي معنى كان مناسب لخلق السماء الرفيعة القدر والرتبة من حيث ان كل واحد
من الوضعين يوجب شرفا لمحله ولما وصف السماء بما هو صفة مدح لها وصف
الارض وما فيها بما ينوط به مصالح اهلها (قوله لان لا تطغوا) يعني ان كلمة
ان هي الناصبة ولا بعدها نافية وتطغوا منصوب بان ولام العلة مقدرة قبلها
متعلقة بقوله ووضع الميزان والطغيان مجاوزة الحد والتقدير وضع الميزان لئلا

(والسماء رفعها) خلقها
مرفوعة محلا ومرتبة
فانها منشأ اقضيته ومتنزل
احكامه ومحل ملائكته
وقرئ بالرفع على
الابتداء (ووضع الميزان)
العدل بان وفر على كل
مستعد مستحقه ووفى
كل ذي حق حقه حتى
انتظم امر العالم واستقام
كما قال عليه الصلاة
والسلام بالعدل قامت
السموات والارض
اوما يعرف به مقادير
الاشياء من ميزان ومكيال
ونحوهما كانه لما وصف
السماء بالرفعة التي هي
من حيث انها مصدر
القضايا والاقدار اراد
وصف الارض بما فيها
مما يظهر به التفاوت
ويعرف به المقدار
ويسوى به الحقوق
والمواجب (ان لا تطغوا
في الميزان) لان لا تطغوا
فيه اي لا تطغوا فيه اي
لا تعتدوا ولا تجاوزوا
الانصاف وقرئ
لا تطغوا على ارادة
القول (واقيموا الوزن
بالقسط ولا تخسروا
الميزان) ولا تنقصوه
فان من حقه ان يسوى
لانه المقصود من وضعه

تجاوزوا في الميزان اى في العدل او في آلة التسوية وقرأ عبدالله لاتطغوا بغير ان على اضمار القول اى قال لكم لا تطغوا فمن قال الميزان هو العدل قال له الطغيان الجور و من قال انه آلة التسوية قال طغيانه البخس عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال معناه لاتخونوا من وزنتم له ثم قال تعالى واقيموا الوزن بالقسط اى قوموا وزنكم واجعلوه مستقيما ملتبسين بالعدل فان القسط العدل وقيل معناه اقيموا لسان الميزان بالعدل وقيل هو امر بالمعاملة بالوزن ملابسا بالعدل وعدم تركه في المعاوضات و قوله تعالى ولاتخسروا الجمهور على رفع التاء وكسر السين من اخسرت بمعنى نقص كقوله تعالى واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون اى لاتنقصوا ما توفون به من الحقوق وقرئ ولاتخسروا بفتح التاء وكسر السين من خسر يخسر من باب ضرب يضرب بمعنى نقص فيكون فعل وافعل بمعنى يقال خسر السئ واخسرته اى نقصته على انهما لغتان بمعنى وقرئ بفتح التاء وضم السين بهذا المعنى ايضا وقرئ بفتح التاء والسين ايضا من باب علم و هذا البناء لازم لايتعدى بنفسه فيكون اصله لاتخسروا في الميزان فحذف الجار واوصل الفعل قيل لاحاجة الى ذلك لان خسر بكسر السين قد جاء متعديا قال تعالى خسروا انفسهم وخسر الدنيا والآخرة واجيب عنه بان خسر الذى في الآية ليس من ذلك الا ترى ان خسروا انفسهم وخسر الدنيا والآخرة معناه ان الخسران واقع لهما وانهما يعدمان وهذا المعنى ليس بمراد في الآية قطعا وانما المراد لاتخسروا الموزون في الميزان (قوله وتكريره مبالغة) جملة اسمية يعني ان قوله ولاتخسروا الميزان تكرير لقوله لاتطغوا في الميزان من حيث المعنى فان من فسر الميزان بآلة التسوية يقول الطغيان في الوزن نقص الموزون فيكون قوله ولا تخسروا الميزان تكريرا له قيل ذكر الميزان في هذا الموضع ثلاث مرات فالاولى بمعنى الآلة وهو قوله ووضع الميزان والثانية بمعنى المصدر اى لا تطغوا في الوزن والثالثة بمعنى المفعول اى لاتخسروا الموزون (قوله خفضها مدحوة) يعني ان المراد بالوضع ههنا ماهو ضد الرفع اى والارض دحاها فوق الماء مخفوضة او خفضها مدحوة وقوله للانام علة للوضع والانام ماعلى ظهر الارض من جميع الخلق وقيل هم الجن والانس وقيل هم بنو آدم خاصة اى وضعها لاجل ماخلق فيها من الخلق اومن الحيوان ثم فصل ماينتفع به الخلق مما فيها من النعم فقال فيها فاكهة ثم خص من بينها النخل بالذكر للاشارة الى فضل ثمرها على سائر الفواكه لانه مما يقتات و يتفكه به (قوله جمع كم) اى بكسر الكاف وتشديد الميم و الكفرى بضم الكاف والفاء وتشديد الراء وعاء طلع

و تكريره مبالغة في التوصية به وزيادة حث على استعماله وقرئ ولا تخسروا بفتح التاء وضم السين و كسرها وفتحها على ان الاصل ولاتخسروا في الميزان فحذف الجار واوصل الفعل (والارض وضعها) خفضها مدحوة (للانام) الخلق و قيل الانام كل ذي روح (فيها فاكهة) ضروب مما يتفكه به (والنخل ذات الاكمام) اوعية التمر جمع كم او كل مايكم اى يغطى من ليف وسعف و كفرى فانه ينتفع به كالكموم و كالجذع والجمار والثمرة (والحب ذو العصف) كالحنطة والشعير وسائر ما يتغذى به

النخلة والطلع ما يطلع من النخل قبل ان ينشق والسعف جمع سعفة وهي غصن النخلة ما دام عليه الخوص وهو ورق النخل واذا جرد عنه الخوص يسمى جريدا والجمار شحمة النخل وبالفارسية درخت خرما جعل الكم اولا مرادفا للكفرى ثم جعله عاما لكل ما يغطى من الليف الذي يغطى الجذع والسعف الذي يغطى الجمار والكفر الذي يغطى الثمر فكلامه من قبيل اللف والنشر المرتب لان الليف يغطى الجذع والسعف يغطى الجمار والكفرى يغطى الثمر (قوله والعصف ورق النبات اليابس) وهو تبن الزرع وورقه الذي تعصفه الرياح اي تقطعه وتذهب به او هو بقل الزرع وهو اول ماينبت منه وكل بقلة طيبة الريح سميت ريحانا لان الانسان يراح بها رائحة طيبة اي يشم وهو الرزق بلغة حمير والعرب تقول خرجت اطلب ريحان الله اي رزقه وفي الحديث الولد ريحان الله والريحان في الاصل مصدر ثم اطلق على الرزق وهو على وزن فيعلان في الاصل وعينه محذوفة او على وزن فعلان وهو واوي واصله روحان قلبت واوياء لخفة الياء (قوله وقرأ ابن عامر والحب) اي قرأ كل واحد من لفظ الحب وذو العصف والريحان بالنصب عطفا على قوله والارض وضعها على تقدير وخلق الحب ذا العصف والريحان او على الاختصاص اي اخص الحب وفيه بحث لانه لم يدخل في معنى الفاكهة والنخل حتى يخصصه من بينهما (قوله فانه ينتفع به) تعليل لقوله اوكل مايكم ووجه التعليل ان توصيف النخل المعدودة من جملة ما في الارض من النعم بقوله ذات الاكمام انما يحسن لكون الاكمام من جملة النعم المنتفع بها فان المقام مقام تعداد النعم الجليلة فكما ان المكموم وهو الجذع والجمار والثمر نعم جليلة فكذا مايكمها فلا وجه لتخصيص الاكمام بالكفرى وعصف الحب ايضا من النعم الجليلة لكونه علف الدواب كما ان الحب مطعم الانسان ومن قرأ الاسماء الثلاثة منصوبة قدر فعلا ينصبها اوحمله على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وهو يصلح ان يكون وجها لمن قرأ برفع الريحان ومن قرأ والريحان بالجر عطفه على العصف اي وفيها الحب ذو العصف الذي هو علف الانعام والريحان الذي هو رزق الانسان ومن قرأ برفع الثلاثة فوجه الرفع فيها انها معطوفات على المرفوع قبلها وهو فيها فاكهة اي وفيها ايضا هذه الاشياء ذكر اولا مايتناول للرفاهية ومحض التلذذ وهو الفاكهة وثانيا مايصلح للتلذذ والتغذي ايضا وهو ثمر النخل وثالثا مايصلح للتغذي فقط وهو الحب (قوله ويجوز ان يراد وذا الريحان) اي يجوز ان يكون انتصاب الريحان بناء على انه في الاصل مجرور باضافة ذا اليه فحذف المضاف واقيم المضاف

والعصف ورق النبات اليابس كالتبن (والريحان) يعني المشموم او الرزق من قولهم خرجت اطلب ريحان الله تعالى وقرأ ابن عامر والحب ذا العصف والريحان اي وخلق الحب والريحان او اخص ويجوز ان يراد وذا الريحان بحذف المضاف وقرأ حمزة والكسائي والريحان بالخفض وما عدا ذلك بالرفع

اليه مقامه واعرب باعرابه و يجوز ان يكون ارتفاع الريحان عند من قرأ بالرفع بهذا بان يكون اصله وذو الريحان وفعل به ما تقدم وقرأ حمزة والكسائي في والريحان بالجر عطفا على العصف وماعدا ذلك بالرفع عطفا على الفاكهة ووجهه ظاهر (قوله وهو فيعلان) اصله ريوحان فقلبت الواو ياء لاجتماعهما وسبق احداهما بالسكون ثم ادغمت الياء ثم خفف فصار ريحان على وزن فيلان (قوله وقوله ايها الثقلان) مجرور بالعطف على القول المذكور قبله وكون الخطاب فيه للثقلين لايستلزم كونه لهما في قوله ربكما تكذبان لكنه يؤيده بناء على ان السورة بمنزلة كلام واحد فتوجه الخطاب اليهما في بعض آياتها يدل على توجهه اليهما في البواقي فلما كان الجن مكلفين كالانس خوطب الجان بهذه الايات حثا لهما على شكر النعم بالايمان والطاعة وتجديد النشاط من اطاعه ولازم شكر آلائه و تقريعا للمشركين الذين اتخذوا مع الله تعالى آلهة اخرى والآلاء جمع الى كمعى وامعاء روى عن جابر رضي الله تعالى عنه انه قال قرأ علينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سورة الرحمن حتى ختمها ثم قال مالي اراكم سكوتا للجن كانوا احسن منكم رد اما قرأت عليهم مرة فباى آلاء ربكما تكذبان الاقالوا ولابشئ من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد وتكذيب آلاء الرب تعالى عبارة عن الجحود بكونها من آلائه واستنادها اليه تعالى خاصة ومن اشرك به الذى رباه بهذه النعم الجليلة من لايقدر على شئ منها فكأنه يزعم ان من اتخذه شريكاله تعالى له مدخل في هذه النعم وهو جحود لاستنادها اليه تعالى خاصة وترك شكرها وكذا التقصير فيه في قوة الجحود لانعامه تعالى بها (قوله له صلصلة) اى صوت يسمع اذا مسه ادنى شئ لغاية يبسه والصلصال اسم لهذا الطين مالم يطبخ فاذا طبخ بالنار يسمى فخارا اوخزفا شبه الصلصال الذى خلق منه الانسان بالفخار في غاية يبسه حتى اذا اصابه ادنى شئ صوت وقيل لانه مجوف (قوله وقد خلق الله تعالى آدم الخ) بيان لوجه التوفيق بين هذه الآية و بين قوله تعالى في مواضع اخر خلقه من تراب ومن طين لازب ومن حمأ مسنون فانه تعالى اخذه من تراب الارض فعجنه فصار طينا ثم انتقل وتغير فصار حمأ مسنونا اى منتنا ثم يبس فصار صلصالا كالفخار قال الجوهرى الحمأ المسنون المتغير المنتن وقال في موضع اخر الحمأ الطين الاسود (قوله الجن او ابا الجن) يعنى ان الجان يحتمل ان يكون اسم جنس كانسان و ان يكون اسما لابى الجن وعلى كونه اسم جنس يكون المراد به ابعم كان المراد من الانسان ابونا ادم عليه السلام فهو تعالى خلقه من صلصال وخلق من بعده من صلبه وكذلك الجان الاول خلقه من نار وخلق ذريته من صلبه ومن في قوله من مارج

(لابتداء)

وهو فيعلان من الروح قلبت الواو ياء وادغم ثم خفف وقيل روحان قلب واوه ياء للتخفيف (فباى آلاء ربكما تكذبان) الخطاب للثقلين المدلول عليهما بقوله للانام وقوله ايها الثقلان (خلق الانسان من صلصال كالفخار) الصلصال الطين اليابس الذى له صلصلة والفخار الخزف وقد خلق الله آدم من تراب جعله طينا ثم حمأ مسنونا ثم صلصالا فلايخالف ذلك قوله خلقه من تراب ونحوه (وخلق الجان) الجن اوأبا الجن (من مارج) من صاف من الدخان (من نار) بيان لمارج فانه في الاصل للمضطرب من مرج اذا اضطرب (فباى آلاء ربكما تكذبان) مما افاض عليكما في اطوار خلقكما حتى صيركما افضل المركبات وخلاصة الكائنات

لابتداء الغاية وفى قوله من نار للبيان كما اختاره المصنف ويجوز ان تكون للتبعيض والمارج اللهب الخالص الذى لايشوبه شئ من الدخان وقيل اللهب المضطرب من مرج اذا اضطرب واختلط بعضه ببعض من بين احمر واصفر واخضر فان النار المشتعلة تنشأ فيها الالوان الثلاثة مختلطا بعضها ببعض من قولهم مرج امر القوم اذا اختلط (قوله مشرقى الشتاء والصيف ومغربيهما) وقيل مشرقى الشمس والقمر ومغربيهما والاول اشهر وذكر غاية ارتفاعهما وغاية انحطاطهما اشارة الى ان الطرفين يتناولان مابينهما كما اذا قلت فى وصف ملك عظيم الملك له المشرق والمغرب فانه يفهم منه ان له مابينهما ايضا وقوله تعالى رب المشرقين ورب المغربين خبر مبتدأ محذوف اى هو سبحانه رب المشرقين وقيل هو مبتدأ خبره مرج البحرين واختلاف المشارق والمغارب يترتب عليه منافع لاتحصى كما اشار اليه المصنف بقوله مما فى ذلك من الفوائد التى لاتحصى (قوله تعالى يلتقيان) فى موضع الحال من البحرين اى متلاقيين لاحائل بينهما فى رأى العين وكذا قوله لايبغيان فى موضع الحال من مفعول مرج اومن فاعل يلتقيان اى غير باغيين وقوله بينهما برزخ يجوز ان يكون جملة مستانفة وان يكون حالا من البحرين اومن فاعل يلتقيان والخليج من البحر ما انشق وانفصل منه والخليج النهر ايضا ثم ان كان المراد بالبحرين الملح والعذب يكون التقاؤهما عبارة عن اتصال احدهما بالاخر وتماس سطوحهما بانتهاء العذب الى الملح بجريانه اليه فانه حينئذ يكون بينهما حاجز من قدرة الله تعالى فلا يبغى احدهما على الاخر بالممازجة وابطال الخاصية مع ان شأنهما الممازجة واتصال كل واحد منهما بالاخر وان كان المراد بهما بحرى فارس والروم يكون المراد بالتقائهما التقاءهما فى البحر المحيط وبالحاجز بينهما الارض وبالبغى مجاوزة الحد فان كل واحد منهما لايجاوز ماحد له ولا ينبسط على وجه الارض الحاجزة بينهما ولايغرقاها لتكون الارض بارزة يتخذها اهلها مسكنا ومهادا (قوله وان صح ان الدر يخرج من الملح) جواب عما يقال اللؤلؤ لايخرج الا من الملح فكيف قيل منهما وقوله وان صح اشارة الى ان خروج الدر من الملح فقط ليس بقطعى وظاهر كلام الله تعالى اولى بالاعتبار مما يزعم بعض الناس فانه من المعلوم ان فى البر اشياء تخفى على التجار المترددين فيه فكيف بما فى قعر البحر وعلى تقدير تسليم أنه يخرج من الملح فقوله فعلى الاول اى على ان يراد بالبحرين الملح والبحر العذب واما اذا اريد بهما بحرا فارس والروم فلا سؤال ولا توجيه لان كلا منهما ملح ومعنى قوله تعالى يخرج منهما انه يحصل ويتكون بسبب اجتماع الملح والعذب والتقائهما بان يكون احدهما

تكذبان) مما فى ذلك من الفوائد التى لاتحصى كاعتدال الهواء واختلاف الفصول وحدوث ما يناسب كل فصل فيه الى غير ذلك (مرج البحرين) ارسلهما من مرجت الدابة اذا ارسلتها والمعنى ارسل البحر الملح والبحر العذب (يلتقيان) يتجاوران ويتماس سطوحهما او بحرى فارس والروم يلتقيان فى المحيط لانهما خليجان يتشعبان منه (بينهما برزخ) حاجز من قدرة الله او من الارض (لايبغيان) لايبغى احدهما على الآخر بالممازجة وابطال الخاصية اولا يتجاوزان حديهما باغراق مابينهما (فبأى آلاء ربكما تكذبان يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) كبار الدر وصغاره وقيل المرجان الخرز الاحمر وان صح ان الدر يخرج من الملح فعلى الاول انما قال منهما لانه يخرج من مجتمع الملح والعذب اولانهما لما اجتمعا صارا كالشئ الواحد فكان المخرج من احدهما كالمخرج منهما

بمنزلة اللقاح للآخر فيصدق ان يقال يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان مع خروجهما من الملح دون العذب كما يقال يخرج الولد من الذكر والانثى وانما تلده الانثى فقوله لانه يخرج من مجمعهما اى من اجتماعهما على ان يكون المجمع مصدرا ميميا فان الغواصين يقولون انهما انما يخرجان من الملح فى الموضع الذى يقع فيه العذب وقيل منهما على حذف المضاف اى من احدهما كقوله تعالى فسياحوتهما اى نسى احدهما وقوله على رجل من القريتين اى احدى القريتين (قوله وقرأ نافع وابو عمرو ويعقوب يخرج) بضم الياء وفتح الراء والباقون بفتح الياء وضم الراء وقرئ نخرج بضم النون ويخرج بضم الياء اى يخرج الله تعالى واعلم ان اصول المركبات واركانها اربعة التراب والماء والهواء والنار فبين الله تعالى بقوله خلق الانسان من صلصال ان التراب اصل لمخلوق شريف مكرم وبين بقوله وخلق الجان من مارج من نار ان النار ايضا اصل لمخلوق آخر عجيب الشان وبين بقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ان الماء ايضا اصل آخر لمخلوق آخر له قدر وقيمة ثم ذكر ان الهواء له تأثير عظيم فى جرى السفن المشابهة للاعلام فقال وله الجوار المنشآت فى البحر وخصها بالذكر لان جريها فى البحر لا صنع للبشر فيه وهم معترفون بذلك حيث يقولون لك الفلك ولك الملك واذا خافوا الغرق دعوا الله تعالى خاصة قال تعالى فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون وسميت السفينة جارية لان شأنها ذلك وان كانت واقفة فى السواحل والمراسى كما تسمى المرأة المملوكة ايضا جارية لكون شانها الجرى والسعى فى مصالح سيدها والجمهور على كسر الراء فى قوله تعالى وله الجوار لما تقرر فى النحو ان كل جمع مع المنقوص على وزن فواعل يائيا كان كجوار او واويا كدواع فهو فى حالتى الرفع والجر كقاض فى اسكان لام الفعل لثقل الضمة والكسر على حرف العلة وحذفه لالتقاء الساكنين وهما التنوين وحرف العلة ونقل التنوين الى عين الكلمة واما فى حالة النصب فهو كضوارب لخفة الفتحة عليها ثم اذا اتصلت الكلمة بالساكن بعدها كما فى هذه الآية يحذف التنوين ايضا وتبقى عين الكلمة مكسورة على حالها وقرئ برفع الراء بعد حذف الياء بناء على جعل الكلمة اسما برأسه وجعل المحذوف فى حكم المنسى كثمان فى قوله

لها ثنايا اربع حسان ❊ واربع فكلها ثمان

وقد تقدم هذا البحث فى قوله تعالى ومن فوقهم غواش فى سورة الاعراف (قوله المرفوعات الشرع) وهو بضمتين جمع شراع السفينة وهو قلعها

و قرأ نافع وابو عمرو يعقوب يخرج وقرئ نخرج ويخرج بنصب اللؤلؤ والمرجان (فبأى آلاء ربكما تكذبان وله الجوار) السفن جمع جارية وقرئ بحذف الياء ورفع الراء كقول الشاعر لها ثنايا اربع حسان ❊ واربع فكلها ثمان (المنشآت) المرفوعات الشرع والمصنوعات وقرأ حمزة وابو بكر رحمهما الله تعالى بكسر الشين

علم وهو الجبل الطويل (فباى الاء ربكما تكذبان) من خلق مواد السفن والارشاد الى اخذها وكيفية تركيبها واجرائها فى البحر باسباب لا يقدر على خلقها وجمعها غيره (كل من عليها) من على الارض من الحيوانات او المركبات ومن للتغليب او من الثقلين (فان ويبقى وجه ربك) ذاته ولو استقريت جهات الموجودات وتفحصت وجوهها وجدتها باسرها فانية فى حد ذاتها الا وجه الله تعالى اى الوجه الذى يلى جهته (ذو الجلال والاكرام) ذو الاستغناء المطلق والفضل العام (فباى آلاء ربكما تكذبان) اى مما ذكرنا قبل وابقاء ما لا يحصى مما هو على صدد الفناء رحمة وفضلا او مما يترتب على افناء الكل من الاعادة والحياة الدائمة والنعيم المقيم (يسأله من السموات والارض فانهم مفتقرون اليه فى ذواتهم وصفاتهم وسائر مايهمهم ويعن لهم

فسر المنشآت اولا بالمرفوعات الشرع على انها اسم مفعول من انشأه الله تعالى اذا رفعه يقال انشأت السحابة اذا ارتفعت وثانيا بقوله او المصنوعات اى المخلوقات على ان الكلمة من انشأه الله تعالى اى خلقه ويؤيد الاول ماروى عن مجاهد انه قال المنشآت هى السفن التى رفع قلعها فاما التى لم يرفع قلعها فليست من المنشآت (قوله اى الرافعات الشرع) اسند رفع الشرع الى السفن اسناد المجاز يا على طريق اسناد الفعل الى مكانه وفى البحر متعلق بالمنشآت وكالاعلام حال امامن المستكن فى المنشآت واما من الجوارى (قوله ذاته) والتعبير عن الذات الموجودة بالوجه شائع خصوصا اذا كان المعبر عنه معروفا مشهورا والعرب يخاطبون الكرام والرؤساء بقولهم ياوجه العرب تشبيها لهم بالوجه الظاهر الذى هو اشرف الاجزاء والاعضاء التى يتوجه اليها فى الشرف والظهور وكونهم متوجها اليهم فانه تعالى ظاهر باوليته ظهور الانسان بوجهه ثم اشار الى انه لاحاجة الى جعل الوجه مستعارا من العضو المخصوص بل هو فى الاصل بمعنى الجهة واصل لها كالوعد والعدة فمعنى الآية كل من عليها من الثقلين وغيرهما فان ويبقى وجه الله تعالى (قوله ولو استقريت الخ) اشارة الى ان الوجه يجوز ان يكون كناية عن الجهة بناء على ان كل جهة لاتخلو عن وجه يتوجه اليه كما ذكر فى قوله فى جنب الله اى كل من عليها من الثقلين وما اكتسبوه من الاعمال هالك ضائع الا ماتوجهوا به جهة الله وعملوه ابتغاء لمرضاته فانه باق قال الامام النسفى قيل ويبقى وجه ربك اى كل عمل يتقرب به اليه ويبتغى به وجهه اى رضاه اى يهلك الجن والانس ولايبقى لهم الا ماتوجهوا به اليه (قوله ذو الاستغناء المطلق) تفسير لكونه تعالى ذا الجلال فان الجلال عبارة عن العظمة والكبرياء والاستغناء من حيث الذات والصفات والافعال فهاية العظمة وكونه تعالى ذا الاكرام عبارة عن كونه ذا الفضل العام وقيل فى تفسيره الذى يجل ويكرم على كل مايتصور او الذى يجله الموحدون ويكرمونه بالثناء كقولهم ما اجلك وما اكرمك اوالذى يجل عن احاطة العقول والافهام به فى العزة والعلو ويكرم عباده المؤمنين بالتقرب والدنو وهذه الصفة من عظائم صفات الله تعالى روى عنه عليه افضل الصلاة والسلام انه قال ألظوا بياذا الجلال والاكرام وعنه عليه الصلاة والسلام انه مر برجل وهو يصلى ويقول ياذا الجلال والاكرام فقال قد استجيب لك واشار المصنف الى النعمة المدلول عليها بهذه الآية بقوله اى مما ذكرنا وابقاء مالايحصى فان الآية تدل على الامتنان بابقاء ماهو بصدد الفناء وفيها ايضا حث على العمل المنجى وتحذير عن المهالك

وايضا يترتب على افناء الكل الاعادة والحياة الدائمة (قوله والمراد بالسؤال مايدل على الحاجة الى تحصيل الشئ) اى لايستغنى عنه احد من اهلهما وان لم ينطق البعض منهم بحاجته (قوله تعالى يسأله من فى السموات والارض) يحتمل ان يكون كلاما مستأنفا وان يكون حالا من وجه والعامل فيه يبقى اى يبقى مسئولا من اهل السموات والارض وفيه اشكال وهو ان قوله و يبقى وجه ربك اشارة الى بقائه تعالى بعد فناء من فى الارض فكيف يكون فى ذلك الوقت مسئولا لمن فى الارض فقول المصنف والمراد بالسؤال جواب عن هذا الاشكال مبنى على كونه حالا من فاعل يبقى واجيب عنه بوجوه الاول انهم فانون فى حد انفسهم وانما يبقون بابقاء الله تعالى اياهم فيه مع كونه تعالى مسئولا من قبلهم وان كانوا فى معرض الفناء بافناء الله تعالى اياهم والثانى انه تعالى يكون مسئولا لهم معنى لاحقيقة لانهم اذا فنوا فهم يسألونه بلسان الحال وان تعذر عليهم ان يسألوه نطقا والثالث ان قوله تعالى و يبقى يدل على الاستمرار فيبقى و يعيد من كان على الارض فيكون مسئولا والرابع ان السائلين هم الملائكة الذين يكونون فى الارض فانهم فيها وان لم يكونوا عليها ولايضرهم زلزالها فعند مايفنى من عليها يبقى الله تعالى ولاتفنى الملائكة فى تلك الحال فيسألونه ماذا يفعل فيأمرهم بما يريد (قوله كل وقت يحدث اشخاصا و يجدد احوالا على ماسبق به قضاؤه) اشارة الى جواب مايقال كيف قال كل يوم هو فى شأن وقد صح ان القلم جف بما هو كائن الى يوم القيامة وتقريره انه لامنافاة بينهما لانه تعالى قضى وقدر فى الازل وجف القلم بما يكون فى كل يوم فاذا جاء ذلك الوقت تعلقت ارادته بكونه فيه فيوجد اشخاصا و يجدد احوالا على ماسبق به قضاؤه فهى شؤون يبديها لاشؤون يبتديها ذكر ان الحجاج بن يوسف ارسل الى محمد بن الحنفية يتوعده وقال لافعلن بك كذا وكذا فارسل اليه محمد بن الحنفية يقول ان الله تعالى ينظر فى كل يوم [illegible] نظرة الى اللوح المحفوظ وهو فى كل ذلك يعز ويذل ويعطى و يمنع فارجو ان يرزقنى الله تعالى ببعض نظراته ان لايجعل لك على سلطانا فكتب به الحجاج الى عبد الملك بن مروان فكتب عبد الملك بهذه الكلمات ووضعها فى خزانته وكتب اليه ملك الروم يتوعده فى شئ فكتب عبد الملك بتلك الكلمات الى صاحب الروم فكتب اليه صاحب الروم انه والله ماهذا من كرمك ولامن كلامك ماهى الا [illegible] من اهل بيت النبوة وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال ان مما خلق الله لوحا من درة بيضاء دفتاه ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور ينظر الله تعالى فيه كل يوم

والمراد بالسؤال مايدل على الحاجة الى تحصيل الشئ نطقا كان اوغيره (كل يوم هو فى شان) كل وقت يحدث اشخاصا ويجدد احوالا على ماسبق به قضاؤه وفى الحديث من شأنه ان يغفر ذنبا و يفرج كربا و يرفع قوما و يضع آخرين وهو رد لقول اليهود ان الله تعالى لايقضى يوم السبت شيئا (فبأى آلاء ربكما تكذبان) اى مما يسعف به سؤالكما وما يخرج لكما من مكمن العدم حينا فحينا

الخ (قوله اى سنتجرد لحسابكم) لما ورد ان يقال ما وجه قوله تعالى سنفرغ لكم مع ان عدم الفراغ عبارة عن ان يكون الفاعل فى شغل لا يمكن معه فعل آخر وهذا انما يكون فى حق من يشغله شان عن شان والله تعالى منزه عن ذلك اشار الى جوابه بوجهين الاول انه من قبيل الاستعارة التمثيلية حيث شبه انتهاء الدنيا وما يتعلق بها من الشؤون من الابتلاء والاختبار بالامر والنهى والاحياء والاماتة والمنع والاعطاء وتكوير الليل على النهار وبالعكس ونحو ذلك وبقاء شأن واحد وهو مجازاة المكلفين بالثواب والعقاب بفراغ من يشغله شان عن شان من اشغاله وتجرده لهم واحد فاستعملت العبارة الموضوعة للهيئة الثانية وهى الفراغ فى الهيئة الاولى وهى انتهاء الشؤون الى شأن واحد ووجه الشبه ترتب مجازاة المكلفين على انتهاء شؤون الدنيا كما يترتب تعلق ذلك الشخص بمهمه على فراغه من سائر اشتغاله وامكان بين الترتبين فرق فاحش من حيث ان الترتب فى الثانى مبنى على ارتفاع المانع حيث كان سائر اشتغاله مانعا عن تعلقه بذلك المهم ولا مانع فى حقه تعالى ومع ذلك أخر امر المجازاة الى قيام الساعة لحكمة اقتضته قال بن عيينة الدهر عند الله يومان احدهما اليوم الذى هو مدة الدنيا فشأنه تعالى فيه الامر والنهى والاماتة والاحياء والمنع والاعطاء والآخر يوم القيامة فشأنه فيه الحساب والجزاء والوجه الثانى من الجواب انه تهديد ووعيد من الله تعالى للجن والانس بالمحاسبة والجزاء على الاعمال من غير ان يشغله شأن عن شأن مستعار من قول الرجل لمن يهدده سأفرغ لك اى سأتجرد للايقاع بك عن كل ما يشغلنى عنه حتى لا يكون لى شغل سواه يريد به التوفر على النكاية والانتقام منه فيه والاستقصاء فى مجازاته فهذه العبارة اذا صدرت عمن يشغله شان عن شان تكون كناية عن التوفر فى النكاية فان من فرغ من كل شئ يعوقه عن النقمة والتعذيب تكون نكايته اشد واقوى واذا صدرت عمن لا يشغله شان عن شان تعذر حملها على اصل معناها لان المفروغ منه يجب ان يكون مانعا عن الملابسة للمفروغ له ولا يتصور المانع فى حقه تعالى فتعين كونها مستعملة فى التجرد للجزاء وحده من غير اعتبار الفراغ مما يمنع عنه تشبيها للتجرد المذكور بالفراغ عما يشغل عن الجزاء والانتقام والجامع التوفر فى النكاية والانتقام فاستعير اسم الفراغ لمجرد التجرد للجزاء ثم اشتق منه قوله سنفرغ لكم فهو استعارة تصريحية تبعية (قوله لثقلهما على الارض) الثقل ضد الخفة يقال ثقل ثقلا مثل صغر صغرا والثقل بالتحريك متاع المسافر وحشمه شبه الارض بالحمولة التى تحمل الاثقال والجن والانس جعلا اثقالا محمولة عليها ثقلا حسيا وجعل ما سواهما كالعلاوة ويجوز ان يكون

(سنفرغ لكم ايها الثقلان) اى سنتجرد لحسابكم وجزائكم وذلك يوم القيامة فانه تعالى لا يفعل فيه غيره وفيه تهديد مستعار من قولك لمن تهدده سأفرغ لك فان المتجرد للشئ كان اقوى عليه واجد فيه وقرأ حمزة والكسائى بالياء وقرئ سنفرغ اليكم اى سنقصد اليكم والثقلان الانس والجن سميا بذلك لثقلهما على الارض

اطلاق الثقلين عليهما من قبيل اطلاق القمرين على الشمس والقمر (قوله اولو زانة رأيهما) اى لانهما من الثقل المعنوى فان الثقل ماله وزن وقدر ولهما زيادة قدر على غيرهما لما خصوا بالعقل والتمييز وتحمل الامانة والتكليف ويجوز ان يكون الثقل بمعنى المثقل فانهما مثقلان بالتكليف (قوله الابقوة) يعنى ان السلطان القوة التى يتسلط بها على الامر لما بين الله تعالى انه يجيء وقت يتجرد فيه لمحاسبتهم ومجازاتهم وهددهم بما يدل على شدة اهتمامه بهما كان مظنة ان يقال فلم اخر ذلك مع ماله من كمال الاهتمام به اشار تعالى الى جوابه بما محصوله انهم جميعا فى قبضة قدرته وتصرفه لايفوته منهم احد فلم يتحقق باعث يبعثه على الاستعجال لان مايبعث المستعجل على الاستعجال انما هو خوف الفوت وهو لم يخف ذلك قسم الدهر كله قسمين احدهما مدة ايام الدنيا والآخر مدة يوم القيامة وجعل المدة الاولى ايام التكليف والابتلاء والمدة الثانية للحساب والجزاء وجعل كل واحد من الدارين محل الرزايا والمصائب ومنع البلايا والنوائب ولم يجعل لواحد من الثقلين سبيلا للفرار منهما والهرب مما قضاه فيهما فقوله فانفذوا امر تعجيز والمراد بيان انهم لامهرب لهم من قضاء الله ولاخروج لهم من ملكه وانهم لايفوتونه ولايعجزونه حتى لايقدر عليهم فظاهر هذا التقرير ان قوله تعالى يامعشر الجن متعلق بقوله سنفرغ لكم فكانا بمنزلة كلام واحد فلذلك فسر الآلاء فى قوله فبأى آلاء ربكما تكذبان بعد قوله الابسلطان بالتنبيه والايقاظ والتحذير المستفاد من قوله سنفرغ لكم وبالمساهلة والعفو المستفاد من قوله فبأى آلاء ربكما بعد قوله سنفرغ لكم فانه يشعر بان له فى موقف الحساب آلاء متعلقة بالمساهلة فى الحساب والعفو عن جرائم كثيرة ونحوها وقوله مع كمال القدرة مستفاد من قوله يامعشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فيكون المذكور ثانيا من قوله فبأى آلاء ربكما تكذبان بمنزلة التأكيد للاول والآلاء المذكورة فى الموضعين هى ما نبه بقوله من التنبيه والتحذير والمساهلة والعفو هذا على تقدير ان يكون قوله تعالى ان استطعتم ان تنفذوا بمعنى ان قدرتم ان تخرجوا من جوانبهما فارين من قضائه واما ان كان معناه ان قدرتم ان تخرجوا من جوانبها لتعلموا مافيها من عجائب صنع الله فحينئذ يكون المراد بالسلطان البينة المؤدية الى العلو بادلاء ما نصبه الله من المصاعد العقلية والنقلية ويكون قوله يامعشر الجن والانس مسوقا لبيان علو شانه وسعة ملكه والامتنان بما نصبه من المصاعد الفكرية والنقلية تقريرا لكون وجهه ذا الجلال والاكرام والمعشر الجماعة العظيمة سميت به لبلوغها غاية الكثرة فان العشر هو العدد الكثير الكامل الذى لاتعدد بعده الابتركيبه

اولو زانة وايهما وقدرهما اولانهما مثقلان بالتكليف (فبأى آلاء ربكما تكذبان يامعشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض) ان قدرتم ان تخرجوا من جوانب السموات والارض هاربين من الله فارين من قضائه (فانفذوا) اى فاخرجوا (لاتنفذون) لاتقدرون على النفوذ (الابسلطان) الابقوة وقهر وانى لكم ذلك او ان قدرتم ان تنفذوا لتعلموا ما فى السموات والارض فانفذوا لتعلموا لكن لاتنفذون ولاتعلمون الابينة نصبها الله فتعرجون عليها بافكاركم (فبأى آلاء ربكما تكذبان) اى من التنبيه والتحذير والمساهلة والعفو مع كمال القدرة اوبما نصب من المصاعد العقلية والمعارج النقلية فتنفذون بها الى مافوق السموات العلى (يرسل عليكما شواظ) لهب (من نار ونحاس) ودخان قال

بما فيه من الآحاد تقول احد عشر واثنا عشر وعشرون وثلاثون اي اثنا عشرات وثلاث عشرات فاذا قيل معشر فكأنه قيل محل العشر الذي هو الكثرة الكاملة (قوله تضيء كضوء سراج السليط الخ) استشهاد لكون النحاس بمعنى الدخان والسليط هو الزيت عند عامة العرب وعند اهل اليمن هود هن السمسم كذا في الصحاح وفيه ايضا النحاس دخان لالهب فيه وانشد البيت وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان المراد به هو الصفر المعروف يذيبه الله تعالى ويصبه على رؤسهم قرأ ابن كثير شواظ بكسر الشين والباقون بضمها وهما لغتان بمعنى (قوله ونحاس بالجر عطفا على نار) اي وقرأ ابن كثير ونحاس بالجر عطفا على نار وهو ضعيف لانه لايكون شواظ من نحاس سواء كان النحاس بمعنى الدخان او الصفر المذاب وقيل هو توجيه لقراءة الجر وتقدير الكلام شواظ من نار وشيء من نحاس فيكون شيء مرفوعا بالعطف على شواظ ويكون من نحاس صفة لشيء كما ان من نار صفة لشواظ فحذف الموصوف وهو شيء لدلالة ماقبله عليه ثم حذف كلمة من لتقدم ذكرها في قوله من نار فبقي النحاس مجرورا بمن المحذوفة وقرأ الباقون برفع نحاس عطفا على شواظ اي يرسل هذا مرة وهذا مرة ويجوز ان يرسلا معا من غير ان يمتزج احدهما بالآخر وقرئ ونحاس بكسر النون وهو لغة بمعنى نحاس بضم النون واما جمع نحس بمعنى العذاب كلحاف ولحف وصحاف وصحف وقرئ ونحس بضم النون والحاء ورفع السين مع التنوين عطفا على شواظ وهو اما جمع نحاس اوجمع نحس جاء في الخبر انه يحاط على الخلق بالملائكة وبلهب من نار ثم ينادون يامعشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا لاتنفذون الآية فذلك قوله تعالى يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال في تفسيره ان الخلائق اذا خرجوا من القبور ساقهم شواظ من نار الى المحشر فيهربون منه الى ان يجتمعوا في موضع واحد فيكون قوله تعالى يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس متعلقا بقوله سنفرغ لكم وتفصيلا لما يكون يوم القيامة بعض التفصيل تحذيرا من هوله والتحذير نوع من الآلاء ثم زاد نوعا آخر من التفصيل فقال فاذا انشقت السماء اي بنزول الملائكة اي اذا انفرجت السماء فصارت ابوابا لنزول الملائكة اوللسقوط والانتقاض والظاهر ان كلمة اذا فيه شرطية محذوفة الجزاء ليفرض السامع بعد تحقق انشقاق السماء وجزاءها كل هائل اي رأيت هولا عظيما او كان ما كان مما لايخطر بالبال من الثواب والعقاب ويحتمل ان تكون للظرفيه المجردة فان جعلت الفاء الداخلة عليها للسببية والتعقيب الذهني يكون المعنى

تضيء كضوء سراج السليط لم يجعل الله فيه نحاسا اوصفر مذاب يصب على رؤسهم وقرأ ابن كثير شواظ بالكسر وهو لغة ونحاس بالجر عطفا على نار ووافقه فيه ابو عمرو ويعقوب في رواية وقرئ ونحس وهو جمع كلحف (فلا تنصران) فلا تمتنعان (فبأي آلاء ربكما تكذبان) فان التهديد لطف والتمييز بين المطيع والعاصي بالجزاء والانتقام من الكفار من عداد الآلاء

﴿فاذا انشقت السماء فكانت وردة﴾ اى حمراء كوردة وقرئت بالرفع على كان التامة فيكون من باب التجريد كقوله فلئن بقيت لارحلن بغزوة * نحو الغنائم اوبموت كريم (كالدهان) مذابة كالدهن وهو اسم لما يدهن به كالحزام اوجمع دهن وقيل هو الاديم الاحمر (فبأى آلاء ربكما تكذبان) اى مما يكون بعد ذلك (فيومئذ) اى فيوم تنشق السماء (لايسأل عن ذنبه انس ولاجان) لانهم يعرفون بسيماهم وذلك حين مايخرجون من قبورهم ويحشرون الى الموقف ذودا ذودا على اختلاف مراتبهم واماقوله فوربك لنسألنهم اجمعين ونحوه فحين يحاسبون فى المجمع والهاء للانس باعتبار اللفظ فانه وان تأخر لفظا تقدم رتبة (فبأى آلاء ربكما تكذبان) اى مما نعم الله على عباده المؤمنين فى هذا اليوم (يعرف المجرمون بسيماهم) وهى ما يعلوهم من الكآبة والحزن .

يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فتصير السماء بسبب ذلك حمراء مثل الورد الاحمر ورقيقة مذابة مثل الدهن بان تصل حرارة الشواظ الى السماء فتجعلها كالاسرب الاحمر المذاب ويحتمل ان يكون الفاء للتعقيب الزمانى بين الله تعالى اولا انه اذا بعثر مافى القبور وحشر الموتى من الجن والانس يرسل عليهم شواظ يسوقهم الى المحشر فيهربون منه الى ان يجتمعوا فى موقف الحساب ثم بين ان هذه الحالة الثابتة فى الارض تؤدى الى انشقاق السماء ونزول من عليها من الملائكة الى الارض فقد روى ان الملائكة تنزل فتحيط بجميع الخلائق فاذا رأتهم الانس والجن هربوا فلا يأتون وجها الاوجدوا الملائكة احاطت به (قوله تعالى فكانت وردة) من باب التشبيه البليغ وقوله كالدهان يجوز ان يكون خبرا ثانيا وان يكون حالا من اسم كانت اى كانت مثل الورد الاحمر من حرارة النار ومثل الدهن فى رقة القوام والميعان واشار المصنف بقوله مذابة كالدهن الى انه صفة لوردة وان الدهان اما اسم لما يدهن به كالحزام فانه اسم لما يحزم به اى يشد اوجمع دهن كرمح ورماح (قوله من باب التجريد) وهو ان ينتزع من امر ذى صفة آخر مثله فيها لكمالها فيه جرد من السماء سماء اخرى مسماة بالوردة كما جرد الشاعر من نفسه كريما آخر لكمال صفة الكرم فيه واللام فى قوله فلئن بقيت موطئة للقسم ولارحلن جوابه وقوله نحو الغنائم ظرف لقوله لارحلن ويروى بحوى الغنائم صفة لغزوة وقوله او يموت بمعنى الاان يموت ويموت منصوب بان مضمرة ويعنى بالكريم نفسه لان فحوى الكلام تدل على انه لايريد كريما آخر والظاهر ان يقال الاان اموت كريما لانه بصدد الاخبار عن حاله وبيان انه الموصوف بالكرم الا انه بنى الكلام على التجريد لكونه ابلغ فى وصف نفسه بالكرم والتنوين فى قوله تعالى فيومئذ عوض عن الجملة اى فيوم اذا انشقت السماء لايسأل عن ذنبه هل هو مذنب اولا ان اراد احد ان يطلع على حال اهل المحشر لان كل احد من المجرمين والمتقين يخرجون من قبورهم متميزين عن الطائفة الاخرى بسيماهم وهو سواد وجوه المجرمين وزرقة عيونهم قال تعالى وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة ونحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونحشر المجرمين يومئذ زرقا يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فلا يحتاج حينئذ فى تمييز المذنب من غيره والاطلاع على حاله لمن اراد ذلك الى ان يسأل عن ذنبه ويستعلم حاله من جهته وهو لاينافى ان يسأل سؤال التوبيخ كما قال تعالى فوربك لنسألنهم اجمعين وايضا يوم القيامة لغاية طوله فيه مواطن كثيرة فيجوز ان يسأل فى بعض المواطن ولايسأل فى آخر * والحن ان كان اسما للجن فالامر ظاهر وان كان

اسما لابي الجن فالمراد به ههنا فروعه كما يطلق اسم الجد العالي على القبيلة (قوله تعالى بالنواصي) قائم مقام الفاعل لقوله فيؤخذ والتقدير بالنواصي منهم او بنواصيهم وليس في قوله فيؤخذ ضمير يقوم مقام الفاعل يعود على المجرمين لان العرب تقول اخذت الناصية واخذت بالناصية ولا تكاد تقول اخذت الدابة بالناصية بان تعدي اخذ الى مفعولين الى احدهما بنفسه والى الآخر بواسطة الباء ولانه لو كان فيه ضمير لوجب ان يقال فيؤخذون لاجل تقدم ذكرهم والنواصي جمع ناصية وهي شعر مقدم الرأس اي تأخذ الملائكة بنواصيهم اي بشعور مقدم رؤسهم واقدامهم فيقذفونهم في النار قال الضحاك يحتمل ان الاقدام مضمومة الى النواصي من خلف ويلقون في النار وقيل تسحبهم الملائكة الى النار تارة تأخذ بالنواصي وتارة بالاقدام عن انس رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول والذي نفسي بيده لقد خلقت ملائكة جهنم قبل ان تخلق بالف عام فهو كل يوم يزدادون قوة الى قوتهم حتى يقبضوا على من قبضوا عليه بالنواصي والاقدام اجارنا الله تعالى منهم ومن جهنم بفضله وكرمه ثم يقال لهم على وجه التقريع هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون اي التي كنتم تكذبون بها وتقولون انها لاتكون على ان قوله المجرمون ظاهر وضع موضع الضمير ويجوز ان تكون هذا الكلام خطابا من الله لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم في الدنيا اي قل لهم هذه صفة جهنم على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه ثم انه تعالى اخبر عن حالهم فيها فقال يطوفون بينها وبين حميم آن وهو الذي انتهى حره من اني الحميم يأني انيا فهو آن اي يعاقبون بين التصلية بالنار وبين شرب الحميم ومن قوله تعالى كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام الى هنا مواعظ ومزاجر وقد ذكرنا ان كل ذلك نعمة من الله تعالى للانزجار به عن المعاصي وقد اكتفى المصنف بقوله آنفا فان التهديد لطف والتمييز بين المطيع والعاصي بالجزاء والانتقام من الكفار من عداد الآلاء عن بيان كون كل ماذكر من عقوبات الكفار من قبيل الآلاء ثم شرع في بيان ثواب المتقين الخائفين فقال ولمن خاف مقام ربه جنتان ذكر المصنف اولا ان المقام اسم لمكان يقوم فيه العباد للحساب واضافة المقام اليه تعالى مع ان القيام فعل العباد لاجل الملابسة فانه تعالى مالك يوم الدين وانه الذي يبعث من في القبور ويجمعهم في هذا المقام لاجل الحساب والجزاء ثم ذكر احتمال ان تكون المقام مصدرا مضافا الى فاعله بمعنى المراقبة والحفظ اي ولمن يعلم ان الله تعالى قائم عليه مراقب لاعماله فيحملنه لذلك فيطيعه ويجتنب عن معصيته جنتان قيل جنة لخوفه من الله وجنة لتركه

(فيؤخذ بالنواصي والاقدام) يجمع ما بينهما وقيل يؤخذ بالنواصي تارة وبالاقدام اخرى (فبأي آلاء ربكما تكذبان هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها) بين النار يحرقون بها (وبين حميم) ماء حار (آن) بلغ النهاية في الحرارة يصب عليهم او يسقون منه وقيل اذا استغاثوا من النار اغيثوا بالحميم (فبأي آلاء ربكما تكذبان ولمن خاف مقام ربه) موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب او قيامه على احواله من قام عليه اذا راقبه او مقام الخائف عند ربه للحساب باحد المعنيين فاضيف الى الرب تفخيما وتهويلا او ربه ومقام مقحم للمبالغة كقوله

شهوته انما المقام بهذا المعنى صفة قائمة به تعالى لا بالخائف وعلى الوجهين اي على تقدير كونه اسم مكان اومصدرا كانه مضاف الى الرب لفظا فهو مضاف اليه تعالى من حيث المعنى ايضا والمعنى موقوف الرب اوقيام الرب ثم ذكر احتمال ان يكون المقام مضافا الى الخائف من حيث المعنى و يكون المعنى خاف موقف نفسه عند ربه او وقوف نفسه عنده لاجل الحساب الا انه اضيف الى الرب تهو يلا وتفخيما كما ان الاجل في الحقيقة للعبد الا انه قد اضيف اليه تعالى في قوله ان اجل الله اذا جاء لايؤخر فان الاضافة يكفي فيها ادنى الملابسة ثم ذكر احتمال ان يكون لفظ مقام مقحما ويكون تقدير الكلام ولمن خاف ربه كما في قول الشاعر

وماء قد وردت لوصل اروى ❊ عليه الطير كالورق اللجين

ذعرت به القطا ونفيت عنه ❊ مقام الذئب كالرجل اللعين

اللجين الخبط وهو ماسقط من الورق عند الخبط والخبط ضرب الشجر بالعصا ليسقط ورقها واروى اسم حبيبة الشاعر ونفيت عنه اي طردت وابعدت عن ذلك الماء وخص القطا والذئب بالذكر لان القطا اهدى الطير الى الماء والذئب اهدى السباع اليه فهما السابقان الى الماء والرجل اللعين شيء ينصب في وسط الزرع يستطرد به الوحوش ومعنى البيت ورب ماء قد وردته لاجل محبوبتي اروى وقد جاءت اليه لتغسل رأسها اوثيابها وروى ان رجلا استفتى سفيان الثوري في رجل قال لزوجته ان لم اكن من اهل الجنة فانت طالق فافتى بانه لايحنث ان كان هم بالمعصية وتركها خوفا من الله تعالى وحياء منه استنباطا من هذه الاية (قوله وكذلك ما جاء مثنى بعد) كقوله تعالى فيهما عينان تجريان وقوله فيهما من كل فاكهة زوجان فان تثنية النعم المذكورة مبنية على ماذكر من الاحتمالات وهي ان الخطاب لما كان للثقلين صارت النعم المذكورة بلفظ المثنى لهما على سبيل التوزيع كانه قيل لكل خائفين منكما عينان وزوجان عين وزوج للخائف الانسى وعين وزوج للخائف الجني اوتقول عين وزوج بفعل الطاعات وعين وزوج بترك المعاصي لان مدار التكليف عليهما اوتقول عين وزوج يثاب بها واخرى تضم اليها على وجه التفضل كقوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة او احداهما روحانية والاخرى جسمانية ثم انه تعالى وصف الجنتين بقوله ذواتا افنان فقوله تعالى ذواتا تثنية ذات تأنيث ذو والافنان جمع فن وهو النوع اوجمع فنن وهو الغصن المستقيم الممتد طولا وقال المصنف الافنان التي هي جمع فنن هي الغصنة والغصنة بكسر العين وفتح الصاد جمع غصن كقرطة في جمع قرط ولما كانت الغصنة هي التي تورق وتثمر وتمد الظل

ذعرت به القطا ونفيت عنه ❊ مقام الذئب كالرجل اللعين (جنتان) جنة للخائف الانسي والاخرى للخائف الجني فان الخطاب للفريقين والمعنى لكل خائفين منكما او لكل واحد جنة لعقيدته واخرى لعمله او جنة لفعل الطاعات واخرى لترك المعاصي او جنة يثاب بها والاخرى يتفضل بها عليه او روحانية وجسمانية وكذا ما جاء مثنى بعد (فبأي آلاء ربكما تكذبان ذواتا افنان) انواع من الاشجار والثمار جمع فن او اغصان جمع فنن وهو الغصنة التي تتشعب من فروع الشجر وتخصيصها بالذكر لانها التي تورق وتثمر وتمد الظل

(فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان تجريان) حيث شاؤا في الاعالي والاسافل قيل احداهما التسنيم والاخرى السلسبيل (فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴿ ٣٥١ ﴾ فيهما من كل فاكهة زوجان) صنفان غريب ومعروف اورطب

و يابس (فبأي آلاء ربكما تكذبان متكئين على فرش بطائنها من استبرق) من ديباج ثخين واذا كانت البطائن كذلك فاظنك بالظهائر ومتكئين مدح للخائفين او حال منهم لان من خاف في معنى الجمع (وجنى الجنتين دان) قريب يناله القاعد والمضطجع وجنى اسم بمعنى مجنى وقرى بكسر الجيم (فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهن) في الجنان فان جنتان يدل على جنان هي للخائفين او فيما فيهما من الاماكن والقصور او في هذه الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش (قاصرات الطرف) نساء قصرن ابصارهن على ازواجهن (لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان) لم يمس الانسيات انس والجنيات جن وفيه دليل على ان الجن يطمثون وقرأ الكسائي بضم الميم (فبأي آلاء ربكما تكذبان

وصف الجنتين في مقام المدح بقوله ذواتا افنان تذكيرا لهذه النعم كانه قيل ذواتا اوراق وثمار وظلال (قوله حيث شاؤا) التعميم مستفاد من عدم ذكر مفعول تجريان وقيل معناه تجريان دائما لا ينقطعان ابدا والسلسبيل اسم عين في الجنة قال تعالى عينا فيها تسمى سلسبيلا وكذا التسنيم سمي بذلك لانه يجري فوق الغرف والقصور من تسنمه اذا علاه قيل فيهما عينان تجريان لمن كانت عيناه في الدنيا تجريان من مخافة الله (قوله تعالى متكئين) حال من قوله من خاف جمع حملا على معنى من في قوله ولمن خاف بعد الافراد حملا على لفظها والعامل فيها الاستقرار اي استقر بهم جنتان في هذه الحالة وقيل حال عاملها محذوف اي ينعمون فيهما متكئين والبطائن جمع بطانة الثوب وهو خلاف ظهارته (قوله تعالى بطائنها من استبرق) جملة اسمية في موضع الجر على انها صفة الفرش والاستبرق ماغلظ من الديباج اي الثخين منه قيل هو معرب استوره والسندس هو الديباج الرقيق الناعم والجنى مايجتنى من الشجر سواء كان مجتنيا بالفعل او كان بصدد الاجتناء ودان من الدنو اصله داني مثل غاز عن ابن عباس رضي الله عنهما قال تدنو الشجر حتى يجتنيها ولي الله تعالى ان شاء قائما وان شاء قاعدا وعن قتادة لايرد يده بعد ولاشوك (قوله لم يمس الانسيات انس) يعني ان الطمث انس في كل شئ يمس يقال للمربع ماطمث ذا المربع قبلنا احد وماطمث هذه الناقة حبل قط اي مامسها عقال وقيل اصل الطمث الجماع المؤدي الى خروج دم البكر بازالة عذرتها ثم اطلق على كل جماع طمث وان لم يكن معه دم وفي قول المصنف اشارة الى ان مؤمني الجن يدخلون الجنة ويثابون فيها بنعمها التي من جملتها الجنيات كايثاب مؤمنوا الانس بالحور العين التي من جملتها الانسيات وتوقف ابوحنيفة رحمه الله تعالى في هذه المسئلة بناء على ان الاثابة لاتجب عليه تعالى وانما هي تفضل الهي يقع فيها النص ولم يرد في حق من آمن من الجن الاسقوط عقوبة الكفر عنه فهم يبعثون ويحاسبون ويعذب من كفر منهم في جهنم ويجعل من آمن منهم ترابا قال تعالى حكاية عنهم ياقومنا اجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم ومن قال بالحسن والقبح العقليين وبوجوب ثواب المطيع عليه تعالى فانه يقطع بان مؤمني الجن يدخلون الجنة ويثابون فيها ومن لايقول بهما وذهب الى اثابتهم بالجنة والحور العين من الجنيات انما ذهب اليها استدلالا بهذه الآية فانه تعالى لما خاطب مؤمني الجن والانس بقوله فبأي آلاء ربكما تكذبان على

كأنهن الياقوت والمرجان) في حمرة الوجنة وبياض البشرة وصفائها (فبأي آلاء ربكما تكذبان هل جزاء الاحسان) في العمل (الا الاحسان) في الثواب وهو الجنة

وجه الامتنان عليهم بحور موصوفات تارة بقاصرات الطرف واخرى بمقصورات في الخيام و بكونهن لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فهم منه ان كل فريق منهم يدخلون الجنة و يثابون بنعيمها و يطعمون ما اعداهم من الحور العين ثم قيل المراد بالقاصرات الحور العين المخلوقات في الجنة ولم يطمثهن اصلا وقيل هن المؤمنات من نساء الدنيا والمعنى على هذا انه لم يطمثهن بعد النشأة الثانية احد وقيل هن نساء الثقلين اى لم يطمث الجنية ولا الانسية بعد النشأة احد وقاصرات الطرف من اضافة اسم الفاعل الى مفعوله للتخفيف اى قاصرات طرفهن على ازواجهن وقيل قاصرات طرف غيرهن عليهن اى اذا رآهن لم تجاوز طرفه الى غيرهن والاصل نساء ازواج قاصرات حذف الموصوف واقيم الصفة مقامه وقوله لم يطمثهن صفة لقاصرات لان اضافتها لفظية لاتفيد تعريفا او حال وقوله كأنهن الياقوت صفة اخرى لقاصرات اوحال منهن لكونهن خصصن بالوصف اى مشبهات الياقوت في حمرة الوجنة وصفاء اللون والمرجان الذى هو صغار اللؤلؤ في بياض البشرة وصفاء لونها وصفاء اللؤلؤ انصع بياضا (قوله ومن دون تلك الجنتين) اى دون الاولين في الفضل والقدر على ان يكون دون بمعنى الادنى رتبة ومنزلة لابمعنى غير قال ابن جريج هى اربع جنان منهما للسابقين المقربين فيهما من كل فاكهة زوجان وعينان تجريان وجنتان منهما لاصحاب اليمين فيهما فاكهة ونخل ورمان وقيل قوله تعالى ومن دونهما معناه وسواهما وغيرهما فعلى هذا يكون الجنان الاربع لكل اهل الجنة قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان هاتين الجنتين للمقربين وهاتان لاصحاب اليمين ويدل على ان الاخريين ادنى من الاوليين في الفضل والشرف انه تعالى وصف الاوليين بكثرة الاشجار والفواكه حيث قال ذواتا افنان ووصف الاخريين بكثرة النبات والرياحين المنبسطة على الارض حيث قال مدهامتان اى مائلتان الى السواد من الدهمة وهى السواد يقال ادهام الزرع ادهيماما فهو مدهام اذ اعلاه السواد ريا وقال في حق الاوليين فيهما عينان تجريان وفي الاخريين نضاختان والنضخ دون الجرى لان النضخ هو الفوران بحيث تنتابه مسيل وجار آخر مكانه ولايكون هذا القدر في الجريان وقال في الاوليين فيهما من كل فاكهة زوجان وفي الاخريين فيهما فاكهة ونخل ورمان فان فاكهة تدل من كل فاكهة زوجان وقال في الاوليين متكئين على فرش بطائنها من استبرق وترك ذكر الظهائر لرفعة شأنها وخروجها عن كونها مدركة بالعقول والافهام وقال في الاخريين متكئين على رفرف خضر وعبقرى حسان وبه يفوت ما بينهما

(فبأى آلاء ربكما تكذبان ومن دونهما جنتان) ومن دون تلك الجنتين الموعودتين للخائفين المقربين جنتان لمن دونهم من اصحاب اليمين (فبأى آلاء ربكما تكذبان مدهامتان) خضراوان تضربان الى السواد من شدة الخضرة وفيه اشعار بان الغالب على هاتين الجنتين النبات والرياحين المنبسطة على وجه الارض وعلى الاوليين الاشجار والفواكه دلالة على ما بينهما من التفاوت (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان) فوارتان بالماء وهو ايضا اقل مما وصف به الاوليين وكذا ما بعده

النخل فاكهة وغذاء وثمرة الرمان فاكهة ودواء واحتج به ابو حنيفة على ان من حلف لايأكل فاكهة فاكل رطبا اورمانا لم يحنث (فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهن خيرات) اى خيرات فخففت لان خير الذى بمعنى اخير لايجمع وقد قرئ على الاصل (حسان) حسان الخلق والخلق (فبأي آلاء ربكما تكذبان حور مقصورات فى الخيام) قصرن فى خدورهن يقال امرأة قصيرة وقصورة ومقصورة اى مخدرة اومقصورات الطرف على ازواجهن (فبأي آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم ولاجان) لحور الاولين وهم لاصحاب الجنتين فانهما يدلان عليهم (فبأي آلاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف خضر) وسائد اونمارق جمع رفرفة وقيل الرفرف ضرب من البسط او ذيل الخيمة وقد يقال لكل ثوب

يعلم مماذكره المصنف فى تفسير الرفرف والعبقرى وفى هذا كله بيان لتفاوت ما بينهما وان الاوليين افضل من الاخريين (قوله عطفهما على الفاكهة) جواب عما يقال لم عطف النخل والرمان على الفاكهة وهما من جملتها وتقريره انه من قبيل عطف الخاص على العام بيانا لفضله وتنبيها على شرفه فكانهما لمن يتهما جنسان آخران كقوله تعالى بعد ذكر الملائكة وجبريل وميكال وايضا النخل ثمره فاكهة وغذاء والرمان فاكهة ودواء فلم يخصا التفكه بهما فصارا باعتبار مافيهما من القيد الزائد كانهما لم يدخلا تحت مطلق الفاكهة ثم انه تعالى لماذكر جنتى السابقين المقربين وجنتى اصحاب اليمين قال فيهن خيرات حسان اى فى الجنان الاربع نساء ذوات خير روى عنه عليه الصلاة والسلام انه فسره بان قال خيرات الاخلاق حسان الوجوه وقيل فى باطنهن الخير وفى ظاهرهن الحسن وقوله حور بدل من خيرات وهو جمع حوراء وهى الشديدة بياض العين الشديدة سوادها والمقصورات المحبوسات المستورات فى الخيام لسن بالطوافات فى الطرق هذا هو المفهوم من المعالم والتيسير الا ان الظاهر ان ضمير فيهن راجع الى الجنتان المدلول عليها بقوله ومن دونهما جنتان ويدل عليه قول المصنف لحور الاولين اى حاجة الى وصف الجنان الاربع بان فيهن الحور بعد قوله فى حق الاولين فيهن قاصرات الطرف (قوله اى مخدرة) اى مستورة من الخدر وهو الستر (قوله اومقصورات الطرف على ازواجهن) لاينظرن الى غيرهم ولايردن غيرهم قيل تقول لزوجها وعزة ربى ما ارى فى الجنة شيئا احسن منك فالحمد لله الذى جعلك زوجى وجعلنى زوجك والخيام جمع خيمة وهى اعواد تنصب وتظلل بالثياب وهى تكون لاهل البوادى ابرد من الاخبية واما خيام الجنة فروى قتادة عن ابن عباس قال الخيمة درة مجوفة فرسخ فى فرسخ فيها اربعة آلاف مصراع من ذهب وعن عبدالله بن قيس الاشعرى قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الخيمة درة مجوفة طولها فى السماء ستون ميلا وفى كل زاوية منها اهل للمؤمن لايراهم الاخرون (قوله وهم لاصحاب الجنتين) اى الضمير فى قوله قبلهم لاصحاب الجنتين المدلول عليهم بقوله ومن دونهما جنتان اى لمن دونهم وقوله تعالى متكئين على رفرف حال منهم كأنه قيل ولمن دون الخائفين المقربين وهم اصحاب اليمين جنتان متكئين فيهما على رفرف والنمارق جمع نمرقة وهى وسادة صغيرة وربما سموا الطنفسة التى فوق الرحل نمرقة قيل الرفرف الخضر فراش اذا استقر عليه الولى طار به من فرحه وشوقه اليه يمينا وشمالا حيثما يريده الولى روى فى حديث المعراج ان رسول الله

عريض (وعبقرى حسان) (٣٥) العبقرى (من) منسوب الى العبقر تزعم العرب انه اسم بلد الجن فينسبون اليه؟

صلى الله تعالى عليه وسلم لما بلغ سدرة المنتهى جاءه الرفرف فتناوله من جبريل وطار به الى رب العرش فقال عليه الصلاة والسلام انه طار بي يخفضني و يرفعني حتى وقف بي على ربي ثم لما حان الانصراف تناوله فطار به خفضا ورفعا يهوي به حتى اداه الى جبريل عليه السلام فالرفرف خادم بين يدي الله تعالى من جملة الخدم مختص بخواص الامور في محل الدنو والقربة كما ان البراق تركبها الانبياء عليهم السلام وهي مخصوصة لركوبهم فهذا الرفرف الذي سخره لاهل الجنتين هو متكأهم وفراشهم يرفرف بالولي و يطير به على حافات تلك الانهار حيث يشاء من خيامه وازواجه وقصوره وقوله تعالى خضر نعت لرفرف وعبقري عطف على رفرف وحسان نعت لعبقري (قوله تعالى تبارك) تفاعل من البركة وقيل اصل التبارك من البرك وهو الدوام والثبات ومنه برك البعير و بركة الماء فان الماء يكون فيها دائما والمعنى دام اسمه وثبت اودام الخير عنده لان البركة وان كانت من الثبات لكنها تستعمل في الخير او يكون معناه على اسم ربك اي ارتفع شأنه عن القرطبي انه قال لعل المراد بالاسم الاسم الذي افتتح به السورة فانه تعالى افتتح السورة باسم الرحمن ثم ذكر خلق الانسان والجن وخلق السموات والارض وصنعه وذكر انه كل يوم هو في شان ثم وصف تدبيره فيهم ثم وصف يوم القيامة واهوالها وصفة النار ثم ختمها بصفة الجنان ثم قال في آخر السورة تبارك اسم ربك اي هذا الاسم الذي افتتح به هذه السورة كانه تعالى يشير به الى ان هذا كله خرج لكم من رحمتي فمن رحمتي خلقتكم و خلقت لكم السماء والارض فلذلك اثنى على صفة الرحمة تمت سورة الرحمن والحمد لله رب العالمين وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وعلى اله و صحبه اجمعين ولا حول ولا قوة الا بالله العزيز الحكيم وحسبنا الله و نعم الوكيل

سورة الواقعة

هي مكية غير قوله ثلة من الاولين وقوله أفبهذا الحديث الى آخر الآيتين فانهما نزلتا في سفره عليه السلام الى المدينة

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(قوله سماها واقعة) مع انها امر سيقع ولم تقع بعد لانها لتحقق وقوعها كانت كانها واقعة لكثرة مايقع فيها من الشدائد (قوله وانتصاب اذا بمحذوف مثل اذكر) فيكون اذا بمعنى الوقت المجرد منصوبا على انه مفعول به (قوله اوكان كيت وكيت) فيكون اذا ظرفا وحينئذ تكون شرطية وجوابها

ثم كل شيء عجيب والمراد به الجنس ولذلك جمع حسان حملا على المعنى (فبأي آلاء ربكما تكذبان تبارك اسم ربك) تعالى اسمه من حيث انه مطلق على ذاته فاظنك بذاته وقيل الاسم بمعنى الصفة او مقحم كما في قوله الى الحول ثم اسم السلام عليكما (ذي الجلال والاكرام) وقرأ ابن عامر بالرفع صفة للاسم عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الرحمن ادى شكر ما انعم الله عليه

(سورة الواقعة مكية وآيها تسع وتسعون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اذا وقعت الواقعة) اذا حدثت القيامة سماها واقعة لتحقق وقوعها وانتصاب اذا بمحذوف مثل اذكر او كان كيت وكيت

مقدر و هو العامل فيها ولم يجعله منصوبا بليس لو قعتها كاذبة لان ليس مثل ماالنافية فى انه لاحدث فيها ومالیس فيه معنى الحدث لا يكون عاملا فى الظرف وتسميتها فعلا مجاز لعدم صدق حد الفعل عليها ﴿ قوله اى لايكون حين تقع نفس تكذب على الله تعالى ﴾ اى تفترى عليه بان تسند اليه مالايصح اسناده اليه كنسبة الشريك والصاحبة والولد وان تقول انه تعالى لايبعث الموتى ولايجازيهم ونحو ذلك من الاباطيل وفيه اشارة الى ان كاذبة اسم فاعل وانه صفة حذف موصوفها المرفوع على انه اسم ليس واللام فى قوله لوقعتها لام التاريخ كما فى قوله تعالى قدمت لحياتى يعنى انها بمعنى الوقت وهى مع عاملها المحذوف فى محل نصب على انها خبر ليس اى ليس نفس كاذبة حاصلة حين تقع بانكار شئ مما اخبر به الله تعالى مطلقا او انكار خصوص القيامة ونفيها لان كل نفس فيها حينئذ مؤمنة صادقة قال تعالى فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وقال لايؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم وقال ولايزال الذين كفروا فى مرية منه حتى تأتيهم الساعة ﴿ قوله اوليس لاجل وقعتها كاذبة ﴾ عطف على قوله واللام مثلها فى قوله قدمت لحياتى كانه قيل واللام بمعنى الوقت او على الاصل معناها فالمعنى اذا قامت القيامة بان نفخت النفخة الثانية يعترف بها كل احد ولايتمكن احد من انكارها لاجل وقوعها ومشاهدتهم اياها واقعة فكل من اخبر عنها حينئذ يتعين له ان يصدق ولايمكن له ان يكذب بانكار وقوعها كما انكره فى الدنيا اما بلسان المقال او الحال فان من انهمك فى اتباع الشهوات فقد كذب بالساعة وانكر وقوعها بلسان الحال ﴿ قوله اوليس لها حينئذ نفس تحدث صاحبها باطاقة شدتها ﴾ عطف على قوله اى لايكون حين تقع نفس تكذب فان الكذب فيه بمعنى الاخبار بما لايطابق الواقع وهو فى هذا الوجه بمعنى التشجيع على ماشرة مالايطاق تحمله فقوله لوقعتها حينئذ يجوز ان يكون متعلقا بقوله كاذبة كانه قيل اذا قامت القيامة لاتكون نفس تشجع صاحبها فى حق وقعتها بان تقول له انك تطيقها وماهو اشد منها فلاتبال بها اى ولا تكون نفس تطيق زلزلة الساعة فاطلك بنفس القيامة ﴿ قوله فى الخطب العظيم ﴾ متعلق بقوله من قولهم فقوله تعالى ليس لوقعتها كاذبة فى محل النصب على انه حال من الواقعة اى اذا وقعت الواقعة مصدقة فى وقوعها ومؤمنة جميع النفوس بالله وبجميع ما اخبر به ﴿ قوله تخفض قوما ﴾ الخافض والرافع فى الحقيقة هوالله تعالى واسنادهما الى الواقعة من قبيل اسناد الفعل الى زمانه والجمهور على رفع خافضة رافعة على انه خبر مبتدأ محذوف اى هى خافضة قوما الى النار ورافعة آخرين الى مقر الكرامة

﴿ ليس لوقعتها كاذبة ﴾ اى لايكون حين تقع نفس تكذب على الله او تكذب فى نفيها كما تكذب الآن واللام مثلها فى قوله قدمت لحياتى او ليس لاجل وقعتها كاذبة فان من اخبر عنها صدق او ليس لها حينئذ نفس تحدث صاحبها باطاقة شدتها واحتمالها وتغريه عليها من قولهم كذبت فلانا نفسه فى الخطب العظيم اذا شجعته عليه وسولت له انه يطيقه (خافضة رافعة) تخفض قوما وترفع آخرين وهو تقرير لعظمتها فان الوقائع العظام كذلك

أو بيان لما يكون حينئذ من خفض أعدائه ورفع أوليائه او ازالة الاجرام عن محازها بنثر الكواكب وتسيير الجبال في الجو وقرئتا بالنصب على الحال (اذا رجت الارض رجا) ﴿ ٣٥٦ ﴾ حركت تحريكا شديدا بحيث

ينهدم مافوقها من بناء وجبل والظرف متعلق بخافضة رافعة او بدل من اذاوقعت (و بست الجبال بسا) فتت حتى صارت كالسويق الملتوت من بس السويق اذالته اوسيقت وسيرت من بس الغنم اذاساقها (فكانت هباء) غبارا (منبثا) منتشرا (وكنتم ازواجا) اصنافا (ثلاثة) وكل صنف يكون او يذكر مع صنف آخر زوج (فاصحاب الميمنة مااصحاب الميمنة واصحاب المشأمة مااصحاب المشأمة) فاصحاب المنزلة السنية واصحاب المنزلة الدنية من تيمنهم بالميامن وتشأمهم بالشمائل او اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة الذين يؤتون صحائفهم بايمانهم والذين يؤتونها بشمائلهم او اصحاب اليمن والشؤم فان السعداء ميامين على انفسهم بطاعتهم والاشقياء مشائيم عليها بمعصيتهم والجملتان الاستفهاميتان خبران لما قبلهما باقامة الظاهر مقام الضمير ومعناهما التعجب من حال الفريقين (و السابقون السابقون) والذين سبقوا الى الايمان والطاعة بعد ظهور الحق

و حذف المفعول للعلم به و يجوز ان ينزل الفعلان منزلة اللازم والمعنى انهما ذات وضع ورفع وقرئتا بالنصب على الحال من الواقعة اى اذا وقعت الواقعة حال كونها خافضة رافعة فهذه ثلاث احوال متعاقبة الاولى قوله ليس لوقعتها كاذبة والثانية قوله خافضة والثالثة رافعة وجاز كثرة الاحوال لان الحال من الخبر فكما جاز تعدد الخبر عن مبتدأ واحد فكذا جاز تعدد الاحوال (قوله او بيان لما يكون حينئذ) الفرق بين الوجهين ان الكلام على الوجه الاول يكون كناية عن العظمة الملزومة لصريح مضمون الكلام وعلى الثاني يكون المقصود مجرد بيان مضمونه من غير ان يقصد الانتقال الى الملزوم (قوله او ازالة الاجرام) بالجر عطف على قوله خفض اعداء الله (قوله والظرف متعلق بخافضة رافعة) يشعر بانه منصوب بهما معا وذلك لا يجوز لانه لا يتوارد عاملان على معمول واحد الا ان يقال المراد ان كل واحد منها متسلط عليه من جهة المعنى على سبيل التنازع اى ترفع وتخفض وقت رج الارض و بس الجبال او حال وقد مقدرة وعاملها الفعل السابق والرج التحريك الشديد و رجت اى زلزلت وحملت على ان تضطرب بحيث لم يبق عليها بناء (قوله تعالى فكانت) بمعنى فصارت وقوله تعالى وكنتم عطف على رجت والخطاب للخلائق بأسرهم قسمهم ثلاثة اصناف اثنان منها في الجنة وواحد في النار ثم بين من هم فقال اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة والسابقون (قوله من تيمنهم باليامن) خبر مبتدأ محذوف يعني ان اطلاق اصحاب الميمنة على اصحاب الرفعة والمنزلة السنية وكذا اطلاق اصحاب المشأمة على اصحاب الهوان والدناءة ناشئان من تيمنهم بجانب اليمين وتشأمهم بجانب الشمال حتى انهم يتفاءلون بالسانح من الصيد لاعطائه جهة يمينه اياهم بان يطير و يمر من جانب يسارهم الى جانب يمينهم و يتطيرون بالبارح وهو ضد السانح ويقولون فلان مني باليمين وفلان مني بالشمال اذا ارادوا ان يصفوا احدا بكونه ذا الرفعة او الدناءة عندهم وفي الصحاح المشأمة الميسرة وكذلك المشأم يقال قعد فلان شأمة واخذ بهم شأمة اى ذات الشمال وطارت يمنة وشأمة والشؤم نقيض اليمن واليمنة خلاف اليسرة والايمن والميمنة خلاف الايسر والميسرة الى هنا كلامه وقيل وصف السعداء باصحاب الميمنة والاشقياء باصحاب المشأمة لانه يؤخذ باهل الجنة ذات اليمين و يؤخذ باهل النار ذات الشمال (قوله والجملتان الاستفهاميتان خبران لما قبلهما) يعني ان قوله تعالى فاصحاب

(الميمنة)

الميمنة مبتدأ وما استفهامية مبتدأ ثان وقوله اصحاب الميمنة خبره والجملة خبر الاول وكذا قوله واصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة واكتفى عن الراجع الى المبتدأ فيهما بصريح اسمه والمعنى اصحاب الميمنة اى شئ هم فوضع الظاهر موضع المضمر للمبالغة فى وصفهم بما دل على المدح كانه قيل ما تدرى مالهم من الخير والكرامة وما لاصحاب المشأمة من الشر والعذاب ومثله قوله تعالى الحاقة ما الحاقة القارعة ما القارعة ولا يكون ذلك الا فى موضع التعظيم والتعجب نحو زيد ما زيد وكذا قوله تعالى والسابقون السابقون فانه جملة اسمية اخبر عن السابقين بانهم السابقون مبالغة فى مدحهم اى والسابقون من عرف حالهم من البسط والشرح كقول ابى النجم انا ابو النجم وشعرى شعرى * كانه قال وشعرى ما انتهى اليك وعرفت فصاحته وبراعته (قوله من غير تلعثم) اى تردد يقال تلعثم الرجل فى الامر اذا تمكث فيه وتأنى والتوانى من الونى وهو الضعف يقال ونى فى الامر ينى ونيا ووينا اى ضعف فهو وان وتوانى فى حاجته اى قصر وفتر فسر المصنف قوله تعالى والسابقون بثلاثة اوجه فسره اولا بقوله والذين سبقوا الى الايمان والطاعة وثانيا بقوله او سبقوا فى حيازة الفضائل وثالثا بقوله او الانبياء وفسر قوله والسابقون الذى هو الخبر بقوله هم الذين عرفت حالهم ولم يعتبر التغاير بين المبتدأ والخبر بقيد من القيود حيث جعل متعلق السبقين واحدا ثم اشار الى جواز ان يعتبر التغاير بينهما بان يجعل متعلق السبق اول ما ذكر من الاحتمالات ومتعلق السبق الثانى الجنة حيث قال او الذين سبقوا الى الجنة وهو معطوف على قوله هم الذين عرفت حالهم قيل السابقون اربعة منهم سابق امة موسى عليه الصلاة والسلام وهو حزقيل مؤمن آل فرعون وسابق امة عيسى عليه الصلاة والسلام وهو حبيب النجار صاحب انطاكية وسابقا امة محمد صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم وهما ابو بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما ويحتمل ان يكون السابقون الثانى تأكيدا للاول تأكيدا لفظيا واولئك المقربون جملة اسمية مرفوعة المحل على انها خبر الاول والرابط اسم الاشارة والاقرب ان يوقف على السابقون الثانى لانه تمام الجملة ويجعل قوله اولئك المقربون جملة مستقلة من مبتدأ وخبر ويجعل قوله فى جنات النعيم خبرا ثانيا او حالا من المنوى فى المقربون اى اولئك الموصوفون بالسبق هم المقربون عند الله تعالى فى جنات النعيم او كائنين فيها (قوله اى هم كثير من الاولين) اشارة الى ان قوله ثلة خبر مبتدأ محذوف وان الثلة بمعنى الجماعة الكثيرة وقوله من الاولين فى موضع الصفة لثلة اى السابقون المقربون جماعة كثيرة من الامم السالفة ويجوز ان تكون

من غير تلعثم وتوان او سبقوا فى حيازة الفضائل والكمالات او الانبياء فانهم مقدموا اهل الاديان هم الذين عرفت حالهم وعرفت مآلهم كقول ابى النجم انا ابو النجم وشعرى شعرى * او الذين سبقوا الى الجنة (اولئك المقربون فى جنات النعيم) الذين قربت درجاتهم فى الجنة واعليت مراتبهم (ثلة من الاولين وقليل من الآخرين) اى هم كثير من الاولين يعنى الامم السالفة من لدن آدم الى محمد عليهما السلام وقليل من الآخرين يعنى امة محمد عليه الصلاة والسلام ولا يخالف ذلك قوله عليه السلام ان امتى يكثرون سائر الامم لجواز ان يكون سابقوا سائر الامم اكثر من سابقى هذه الامة وتابعوا هذه اكثر من تابعيهم ولا يرده قوله فى اصحاب اليمين ثلة من الاولين وثلة من الآخرين لان كثرة الفريقين لا تنافى اكثرية احدهما

(وروى عن قوما انهما من هذه الامة ولتشتاقها من الثل وهو القطع (على سرر موضونة) خبر آخر الضمير المحذوف والموضونة المنسوجة بالذهب مشكبة بالدر والياقوت اوالمتواصلة من الوضن وهو نسج الدرع (متكئين عليها متقابلين) حالان من الضمير في على (يطوف عليهم) للخدمة (ولدان مخلدون) مبقون ابدا على هيئة الولدان وطراوتهم (باكواب واباريق) حال السرب وغيره والكوب آناء بلاعروة ولاخرطوم له والابريق اناء له ذلك (وكأس من معين) من خمر

خبر اولئك و قوله عليه الصلاة والسلام ان امتي يكثرون سائر الامم وقوله عليه الصلاة والسلام اهل الجنة مائة وعشرون صفا هذه الامة منها ثمانون صفا لاينافي كون سابقي الامم السالفة اكثر من سابقي هذه الامة لان الانبياء المتقدمين كثيرة جدا ومن ضرورته انيكثر السابقون الى الايمان والطاعة من اممهم بالنسبة الى سابقي هذه الامة ومن المعلوم ان تابعي هذه الامة اكثر من تابعي الامم السالفة بحيث يكون مجموع هذه الامة اكثر من مجموع الامم السالفة مثل ان يكون سابقوهم الفين و تابعوهم الفا فالمجموع ثلاثة آلاف و يكون سابقوا هذه الامة الفا وتابعوهم ثلاثة آلاف فالمجموع اربعة آلاف فرضا وهذا المجموع اكثر من المجموع الاول مع ان السابقين من المجموع الاول اكثر من سابقي هذه الامة وزادوا على عدد من سبق من الآخرين قال الزجاج الذين عاينوا جميع النبيين و سبقوا الى الايمان بهم اكثر ممن عاين نبينا محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم و سبقوا الى الايمان به ولما ورد ان يقال كيف يكون تابعوا هذه الامة اكثر من تابعي الامم السالفة و قد قال تعالى في حق اصحاب اليمين ثلة من الاولين وثلة من الآخرين وكثرة اصحاب اليمين من الاولين يستلزم كثرة تابعيهم اجاب عنه بقوله ولايرده الخ يعني ان اللازم كثرة تابعيهم في انفسهم وذلك لايرد قلتهم بالنسبة الى تابعي هذه الامة (قوله وروى مرفوعا) اى انه عليه الصلاة والسلام قال الثلتان جميعا من امتي فالمعنى ثلة من الاولين من سابقي هذه الامة وقليل من الآخرين من آخر هذه الامة في آخر الزمان (قوله واشتقاقها من الثل وهو القطع) وجماعة السابقين مع كثرتهم مقطوعة من جملة بني آدم (قوله والموضونة المنسوجة بالذهب) قاله ابن عباس و قال عكرمة الموضونة المشبكة بالدر والياقوت وقال الراغب الوضن نسج الدرع و يستعار لكل نسج محكم وقيل اصله وضنت الشيء اى ركبت بعضه مع بعض ومنه قيل للدرع موضونة لتركب حلقها (قوله حالان من الضمير في على) اى من الضمير المنوى في الفعل الذى تعلق به الجار في على سرر كأنه قيل استقروا على سرر متكئين (قوله تعالى ولدان) اى غلمان وهو جمع وليد و هو الذى لم يبلغ بعد روى عنه عليه الصلاة والسلام ان اطفال الدنيا خدم اهل الجنة وقال سلمان هم اطفال المشركين وقال الحسن لانه لم يكن لهم حسنات يجزون بها ولاسيئات يعاقبون عليها و ابو حنيفة رحمه الله تعالى توقف فيهم لان الثواب بفضل الله تعالى و وعده لا بالعمل ولانص فيهم وقيل هم خدم خلقوا في الجنة على صورة الغلمان (قوله من خمر) يعني ان المعين فعيل بمعنى فاعل من معن الماء اذا جرى فالمعين بمعنى الجاري

﴿ لايصدعون عنها ﴾ بخمارٍ ﴿ ٣٥٩ ﴾ ﴿ ولاينزفون ﴾ ولا ينزف عقولهم اولا ينفد شرابهم وقرأ

من الماء والخمر وقدر موصوفه الخمر بشهادة الكاس وهو القدح الذى فيه
خمر وقوله تعالى لايصدعون عنها من التصديع و بناء فعلى هنا ليس للتعدية
لان الثلاثى منه متعد يقال صدع فهو مصدوع اذا اصيب رأسه بالوجع بل هو
لكثرة الصداع او المصدوعين ومعنى عنها بسببها (قوله تعالى لايصدعون
عنها) يجوز انيكون مستأنفا اخبر تعالى عنهم بانهم لاينالهم بسبب شربها
صداع كما ينالهم ذلك بسبب شرب خمر الدنيا فانها لذة بلا اذى وان يكون
حالا من ضمير عليهم وعن سببية بمعنى الباء (قوله ولا ينزف عقولهم)
اشارة الى ماذكره فى سورة الصافات من ان اصله النفاد يقال نزف المطعون
اذا خرج دمه كله ونزفت الركوة حين نزفتها اذا لم تترك فيها ماء والنفاد
فى الآية اما العقل او الشراب فان نفاد الشراب مخل بنشاط اهل المجلس
(قوله وقرئ لايصدعون) اى بفتح الياء وتشديد الصاد والاصل يتصدعون
اى يتفرقون فالمعنى حينئذ لايتفرقون كما يتفرق اهل الشرب من مجلس الشراب
لهم من مهمات الدنيا وذلك التفرق يمنعهم من الاستمرار على صفاء الاجتماع
فى المجلس (قوله تعالى وفاكهة) مجرور بالعطف على اكواب اى وبفاكهة
وتخير الشئ واختياره عده خيرا ومن فى قوله مما يتخيرون اما لتبيين الجنس لان
كل جنس من اجناسها فى الفضل سواء او للتبعيض اى من اى جنس يتخيرونه
من اجناس الفاكهة او من اجناس مايستلذونه من نعيم الجنة وكذا قوله تعالى
مما يشتهون عن ابن عباس قال يخطر ببالهم لحم الطير فيصير ممثلا بين ايديهم
على ما يشتهونه فاذا اخذوا منه حظهم يطير فيذهب وخص لحم الطير من
بين اللحوم لان توسع العرب كان بلحمان الابل ويعز عندهم لحم الطير وكانوا
يشتهونه عند الملوك واحتيج فى توجيه عطف قوله حور على اكواب الى
اعتبار المعنى لانه لو عطف عليه باعتبار اللفظ لكان المعنى يطوف عليهم
الولدان باكواب وبحور عين وهو غير صحيح لان الولدان لايطوفون
عليهم بالحور (قوله باطلا) الباطل من الكلام مايلغى ولايلتفت اليه لعدم
الفائدة فى سماعه وخلوه عن معنى يعتد به وان لم يكن كذبا ولافحشا والتأثيم
مصدر أثمته اى قلت له اثمت اى لا يؤثم بعضهم بعضا وقوله الاقيلا مستثنى
منقطع لانه لايندرج تحت اللغو والتأثيم وسلاما سلاما اما بدل من قيلا اى لا
يسمعون فيها الا سلاما سلاما او صفة لقيلا اى ولكن يسمعون قولا ذا سلامة
مما يكره اى قولا سالما وكلاما حسنا او مفعول لقوله قيلا والمعنى لايسمعون
فيها الا ان يقولوا سلاما سلاما او مصدر مؤكد لفعله المحذوف المحكى بقوله
قيلا اى الا ان يقول بعضهم لبعض اسلم سلاما او اسلم مما يكره سلاما او سلم الله

الكوفيون بكسر الزاى
وقرئ لا يصدعون
بمعنى لايتصدعون اى
لايتفرقون (وفاكهة
مما يتخيرون) يختارون
(ولحم طير مما يشتهون)
يتمنون (وحور عين)
عطف على ولدان
او مبتدأ محذوف الخبر
اى وفيها حورا ولهم
حور وقرأ حمزة والكسائى
بالجر عطفا على جنات
بتقدير مضاف اى هم
فى جنات ومصاحبة
حور او على اكواب لان
معنى يطوف عليهم
ولدان مخلدون باكواب
وقرئتا بالنصب على
ويؤتون حورا (كامثال
اللؤلؤ المكنون) المصون
عما يضر به فى الصفاء
والنقاء (جزاء بما كانوا
يعملون) اى يفعل ذلك
كله بهم جزاء باعمالهم
(لايسمعون فيها لغوا)
باطلا (ولا تأثيما) ولا نسبة
الى الاثم اى لايقال أثمتم
(الاقيلا) الاقولا (سلاما
سلاما) بدل من قيلا
كقوله لايسمعون فيها لغوا
الاسلاما او صفته او مفعوله
بمعنى الا ان يقولوا اسلاما

او مصدر والتكرير للدلالة على فشو السلام بينهم وقرئ سلام سلام على الحكاية

وانصحاب اليمين ما اصحاب اليمين فى سدر مخضود) لاشوك له من خضد الشوك اذا قطعه او مثنى اغصانه من كثرة حمله من خضد الغصن اذا ثناه وهو رطب (وطلح) وشجر موز او ام غيلان وله انوار كثيرة طيبة الرائحة وقرئ بالعين (منضود) نضد حمله من اسفله الى اعلاه (وظل ممدود) منبسط لا ينقلص ولا يتفاوت (وماء مسكوب) يسكب لهم اين شاؤا وكيف شاؤا بلا تعب او مصبوب سائل كأنه لما شبه حال السابقين فى التنعم بأكمل ما يتصور لاهل المدن شبه حال اصحاب اليمين بأكمل ما يتمناه اهل البوادى اشعارا بالتفاوت بين الحالين (وفاكهة كثيرة) كثيرة الاجناس

عليك سلاما ومعنى التكرير فى سلاما سلاما انهم يفشون السلام بينهم او يسلمون سلاما بعد سلام (قوله تعالى فى سدر مخضود) اى هم فى خلال نبق خضد شوكه اى قطع والخضد وان كان قطع الشوك من الشجر ونزعه منه الا ان المصنف فسر المخضود بقوله لاشوك له على معنى انهم فى سدر خلق بلا شوك كأنه نزع منه شوكه بعد ان كان فيه وعن مجاهد من خضد الغصن اذا ثناه وهو رطب (قوله وشجر موز) واليه ذهب اكثر المفسرين وهو شجر له اوراق كبار وظل بارد عن السدى انه يشبه طلح الدنيا ولكن ثمرته احلى من العسل كما ان اوراق السدر صغار وبينهما من الاشجار ما هو متوسط الاوراق وذكر الطرفين يدل على اندراج ما بينهما وقال الزجاج الطلح شجر ام غيلان لهما نور طيب وان كان لا يؤكل منه شئ فيقصد منه النزهة والزينة دون الاكل قال مجاهد ولكن ثمرتها احلى من العسل قيل كان لاهل الطائف وادى معجب فيه الطلح والسدر فنظر المسلمون اليه فقالوا ياليت لنا فى الجنة مثل هذا الوادى فنزلت هذه الآية وقد قال تعالى ولكم فيها ما تشتهى انفسكم وقال تعالى وفيها ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين فذكر لكل قوم ما يعجبهم ويحبون مثله وفضل طلح الجنة وسدرها على ما فى الدنيا كفضل سائر ما فى الجنة على ما فى الدنيا وقرئ وطلع منضود بالعين استدلالا بقوله تعالى لها طلع نضيد قيل اشجار الجنة ليس لها ساق بادية بل ثمارها منضودة اى مقطوعة من عروقها الى افنانها كلما اخذت منها ثمرة عاد مكانها ما هو احسن منها انتهى (قوله لا ينقلص) اى لا ينتقص بقلص قالص اذا نقص طرف منه وهو شان ظل الدنيا (قوله يسكب لهم (اى يصب لهم من مكان وله خرير وصفاء وهو اعجب المياه فى مرأى العين وقيل يصب من ساق العرش وقال سفيان يجرى من غير اخدود وقيل دائم الجرى لا ينقطع وما اشار اليه من التعميم بقوله اين شاؤا وكيف شاؤا وهو مستفاد من عدم ذكر متعلق مسكوب (قوله او مصبوب سائل) اى جار لا ينقطع يعنى كون الماء مسكوبا اما عبارة عن كونه ظاهرا مكشوفا كثيرا او عن كونه جاريا غير منقطع ابدا وروى عن الامام انه قال معناه مسكوب من فوق لان اكثر ماء العرب من الآبار والبرك ولا يسكب وقيل جار فى غير اخدود بل يجرى فى الهواء وكانت العرب اصحاب بادية وبلاد حارة وكانت الانهار فى بلادهم عزيزة لا يصلون الى الماء الا بالدلو والرشاء فوعدوا فى الجنة خلاف ذلك (قوله لما شبه حال السابقين فى التنعم باكمل ما يتصور لاهل المدن) اى من الاستقرار على السرر شبه حال اصحاب اليمين باكمل ما يتمناه اهل البوادى من ظلال السدر والطلح والماء الموصوف بالاوصاف

(المذكورة)

المذكورة (قوله لا تنقطع فى وقت) اى من الاوقات حتى وقت الاخذ بل
يثبت مكانها مثلها (قوله ولا تمنع عن متناولها بوجه) كبعد المتناول
وانعدام ثمن يشترى به وشوك فى الشجر يؤذى من يقصد تناولها وحائط
يمنع التوصل الى شجرها بل اذا اشتهاها العبد دنت منه حتى يأخذها بلا
تعب قال تعالى وذللت قطوفها تذليلا (قوله اومنضدة) اى مبسوطة بعضها
فوق بعض يقال نضدت متاعه انضده من باب ضرب اذا وضع بعضه
على بعض قيل لو طرح فراش من اعلاها الى اسفلها لم يستقر الا بعد سبعين
خريفا (قوله ويدل عليه) اى على ان المراد بالفرش النساء وجه الدلالة
ظاهر ومن حمل الفرش على ظاهرها جعل ضمير انشأناهن راجعا الى قوله
وحور عين او الى النساء المدلول عليهن بذكر الفرش لانها تبسط لان يضطجع
الرجل عليها مع اهله بناء على ان العرب تسمى المرأة فراشا ولباسا وازارا
(قوله ابتداء او اعادة) الاول على ان يكون المراد بالمنشآت الحور اللاتى انشأهن الله
تعالى فى الجنة انشاء اى انشاء عجيبا من غير ولادة والاعادة على ان يكون المراد بهن
نساء الدنيا ومما يدل على ان المراد بهن نساء الدنيا قوله تعالى فجعلناهن ابكارا لان
المنشآت فى الجنة لا شك فى كونهن ابكارا والجعل بمعنى التصيير يستدعى
ان يكن قبل ذلك ثيبات ويدل عليه ايضا ان ام سلمة رضى الله تعالى عنها سألت
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عنها قال يا ام سلمة هن اللواتى قبضن فى دار الدنيا
عجائز شمطا رمصا وفى رواية عمشا مكان شمطا جعلن بعد الكبر أترابا على
ميلاد واحد فى الاستواء كلما اتاهن ازواجهن وجدوهن ابكارا فلما سمعت
عائشة رضى الله عنها ذلك قالت واوجعاه فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ليس هناك وجع وقالت عجوز لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ادع الله
تعالى ان يدخلنى الجنة فقال عليه الصلاة والسلام ان الجنة لا يدخلها
العجائز فولت تبكى فقال عليه الصلاة والسلام اخبروها انها ليست يومئذ
بعجوز وقرأ الآية عربا اترابا والشمط جمع شمطاء يقال رجل اشمط وامرأة شمطاء
وجمعها شمط اذا خالط بياض شعر رأسه سواده والعمش فى العين ضعف الرؤية
مع سيلان دمعها فى اكثر الاوقات ورجل اعمش والمرأة عمشاء والرمص وسخ
يجتمع فى الموق والرجل ارمص والمرأة رمصاء (قوله جمع عروب) كرسل
ورسول من اعرب اذا بين والعروب تبين محبتها لزوجها بالغنج وحسن الشمائل
وطيب النفس والملاعبة بانبساطه فى قربانها (قوله اوصفة لابكارا اولاترابا)
اى مستويات فى السن بنات ثلاث وثلاثين مثل ازواجهن وقد اشار اليه المصنف
بقوله وكذا ازواجهن (قوله اولقوله ثلة من الاولين) فاللام سواء جعل

(لامقطوعة) لا تنقطع
فى وقت (ولا ممنوعة)
ولا تمنع عن متناولها
بوجه (وفرش مرفوعة
رفيعة القدر او منضدة
مرتفعة وقيل الفرش
النساء وارتفاعها انها
على الارائك ويدل
عليه قوله (انا انشأناهن
انشاء) اى ابتدأناهن
ابتداء جديدا من غير ولادة
ابداء او اعادة وفى الحديث
هن اللواتى قبضن فى دار
الدنيا عجائز شمطا رمصا
جعلهن الله بعد الكبر
أترابا على ميلاد واحد
كلما اتاهن ازواجهن
وجدوهن ابكارا (فجعلنا
هن ابكارا عربا) متحببات
الى ازواجهن جمع
عروب وسكن راءه حمزة
وروى عن نافع وعاصم
مثله (أترابا) فان كلهن
بنات ثلاث وثلاثين وكذا
ازواجهن (لاصحاب
اليمين) متعلق بانشأنا
او جعلنا او صفة لابكارا
او لاترابا او خبر لمحذوف
مثل هن او لقوله (ثلة من
الاولين وثلة من الآخرين
وهو على الوجوه الاول
خبر محذوف

(واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال في سموم) في حر نار ينفذ في المسام (وحميم) وماء متناه في الحرارة (وظل من يحموم) من دخان اسود يفعول من الحمة (لابارد) كسائر الظل (ولاكريم) ولانافع نفى بذلك ما أوهم الظل من الاستر واح (انهم كانوا قبل ذلك مترفين) منهمكين في الشهوات (وكانوا يصرون على الحنث العظيم) الذنب العظيم يعني الشرك ومنه بلغ الغلام الحنث اي الحلم ووقت المؤاخذة بالذنب وحنث في يمينه خلاف بر فيها وتحنث اذا تأثم

لاصحاب اليمين صفة او خبر اومتعلقة بمحذوف هو الصفة او الخبر (قوله في سموم) السموم في الاصل ريح حارة تدخل في مسام البدن والمراد بها في الآية حر النار تشبيها له بالسم في نفوذه في المسام ومسام البدن منافذه ونقبه والحمة الفحم وفي الحديث لايستنجي احدكم بالحمة اي بالفحم والمعنى ان الصنف الثالث من الازواج الثلاثة وهم اصحاب الشمال في مقاساة حر نار جهنم فتحترق بها اكبادهم واجسادهم فيستغيثون بالماء فيغاثون بماء حميم شديد الحرارة فيردا دون عذابا فوق عذابهم بحر النار فيستغيثون بالظل فيغاثون بظل من يحموم فاذا اتوه لم يجدوه بارداولاكريما بل يكون مالقوا فيه من العذاب اشد مما كانوا فيه قبل ذلك (قوله ولانافع) فان الكرم صفة لكل مايرضي ويحمد في بابه قال الراغب وكل شيء اشرف في بابه فانه يوصف بالكرم وعن الفراء ان العرب تنفي كل شيء غير مستحسن بنفي الكرم فيقولون الدار لاواسعة ولاكريمة وقيل الكريم ما كرم على غيره لانتفاعه به ومالاينتفع به غيره لايكون كريما والظل يقصد لفائدتين احداهما برودته التي يستروح بها من يأوي اليه من غير ان يقصد به دفع اذى الحر عنه وثانيتهما مجرد دفع اذى الحر عمن يأوي اليه مع قطع النظر عن ان يفيده روح البرد اومن غير ان يفيده البرد اصلا كالبيوت المسدودة الاطراف بحيث لايتحرك فيها الهواء فان من تأوى اليها يتخلص بها من اذى حر الشمس وان لم يستروح ببردها وظل اليحموم ليس فيه شيء من هاتين الفائدتين ونظير هذه الآية قوله تعالى انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب لاظليل ولايغني من اللهب (قوله نفى بذلك) اي بقوله لابارد ولاكريم ما اوهم الظل من الاستر واح يعني مقتضى الظاهر ان يقال و يحموم حار ضار الاانه عدل عن ذلك الى قوله وظل للتهكم بهم من حيث ان الظل يوهم الروح والبرد ثم لما نفى عنه ماهو المطلوب من الظل وهو البرد والكرم تبين ان ذكر الظل انما هو للسخرية والتهكم بهم والتعريض بان الذين يستأهلون الظل البارد الكريم غيرهم اي غير هؤلاء ازديادا لتحسرهم وتأسفهم ثم انه تعالى ذكر اعمالهم التي اوجبت لهم هذا العذاب فقال انهم كانوا قبل ذلك اي قبل ان يصيروا الى هذا العذاب في الدنيا مترفين يقال اترفته النعمة اذا اطغته ومن لم يتوسل بما انعم الله تعالى عليه من النعم الى رعاية مقتضى العبودية بل صرفه الى ما يشتهيه فقد اترف وطغى فعل هذا المترف صفة ذم كالاصرار على الحنث وقيل الترفة النعمة والمترف المنعم فهو في حد نفسه ليس للذم وانما حصل الذم بقوله وكانوا يصرون على الحنث فان صدور المعاصي ممن كثرت النعم عليه اقبح القبائح فكانه قيل انما استحقوا هذه العقوبة لانهم كانوا في الدنيا منعمين ولم يشكروا نعم الله تعالى عليهم بل اصروا على الذنب

العظيم والحكمة فى ذكر سبب عذابهم مع انه لم يذكر فى اصحاب اليمين سبب ثوابهم فلم يقل انهم كانوا قبل ذلك شاكرين مطيعين التنبيه على ان ذلك الثواب منه تعالى فضل لا استحقه المطيع بطاعته بخلاف العقاب فانه منه تعالى عدل يصيب المذنب جزاء المعصية فبين سبب عقابهم لئلا يتوهم ان هناك ظلما (قوله كررت الهمزة) يعنى ان الهمزة الاولى دخلت لانكار البعث مطلقا والثانية لانكاره وقت كون لحومهم ترابا وعظامهم رفاتا والتى دخلت العاطف لانكار بعث آبائهم الذين هم اقدم موتا واتم اضمحلالا وكل واحد من هذه الامور اشد انكارا مما قبله فانهم اشار وا فى استبعادهم البعث وتكذيبهم اياه الى امورا عتقدوها مقررة لصحة انكارهم له الاول الموت اشاروا اليه بقولهم أئذا متنا ثم لم يقتصروا عليه بل قالوا بعده وكنا ترابا وعظاما اى طال عهد موتنا بعد كوننا حيوانا حتى صارت اللحوم ترابا والعظام رفاتا والثانى طول مدة موتهم حيث صارت لحومهم ترابا ولم يبق منهم الا العظام البالية ثم زادوا وقالوا فى هذه الحال يقال لنا انكم لمبعوثون بتأكيد الكلام بطرق ثلاثة احدها تصدير الكلام بان وثانيها زيادة اللام فى خبرها وثالثها ترك صيغة الاستقبال والعدول عن صيغة المستقبل الى صيغة اسم المفعول لان البعث امر كائن فى الحال ثم زادوا وقالوا اوآباؤنا الاولون بادخال همزة الانكار على الواو العاطفة للدلالة على ان ذلك اشد انكارا من حيث ان الآباء اقدم موتا واشد تلاشيا واضمحلالا وقولهم اوآباؤنا معطوف على الضمير المرفوع المتصل فى لمبعوثون وجاز ذلك لقيام الهمزة الفاصلة مقام التأكيد كما قامت كلمة لا المؤكدة للنفى مقامه فى قوله تعالى ما اشركنا ولا آباؤنا وقرئ باسكان الواو على انها او العاطفة التى هى لاحد الشيئين او الاشياء اى انبعث نحن او آباؤنا مبالغة فى الانكار وزيادة فى الاستبعاد لانهم اقدم موتا فبعثهم ابعد انكارا لا ان نبعث كل واحد منهم ومن آبائهم وقوله مادل عليه مبعوثون اى انبعث اذا متنا لا هو لما تقرر ان مابعد كلمة ان ومابعد همزة الاستفهام لايعمل فيما قبلهما (قوله وقرئ لمجمعون) بتكثير المفعول كما فى قوله تعالى وغلقت الابواب قال الحسن لمجموعون فى القبور الى ميقات يوم معلوم وهو يوم القيامة فتكون كلمة الى لبيان غاية اجتماعهم فيها وميقات الشئ ماوقت به ذلك الشئ اى حد وعين (قوله من يوم معين) بيان ما فى قوله ماوقت به اشار به الى ان اضافة الميقات الى اليوم بيانية بمعنى من كما فى خاتم فضة اى الى الميقات الذى هو اليوم المعلوم وهو يوم القيامة وهو ميقات منتهى الدنيا عند اول جزء منه فان بقاء الدنيا موقوت محدد بتحقق اول جزء من ذلك اليوم يقال وقت الفعل بالتخفيف اذا بين له وقتا يفعل فيه وذلك الفعل موقوت قال

(وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون) كررت الهمزة للدلالة على انكار البعث مطلقا وخصوصا فى هذا الوقت كما دخلت العاطف فى قوله (أو آباؤنا الاولون) للدلالة على ان ذلك اشد انكارا فى حقهم لتقادم زمانهم وللفصل بها حسن العطف على المستكن فى لمبعوثون وقرأ نافع وابن عامر او بالسكون وقد سبق مثله والعامل فى الظرف مادل عليه مبعوثون لا هو للفصل بان والهمزة (قل ان الاولين والآخرين لمجموعون) وقرئ لمجمعون (الى ميقات يوم معلوم) الى ماوقت به الدنيا وحد من يوم معين عند الله معلوم له (ثم انكم ايها الضالون المكذبون) اى بالبعث والخطاب لاهل مكة واضرابهم

﴿ لآكلون من شجر من زقوم ﴾ من الاولى للابتدآء والثانية للبيان ﴿ فمالئون منها البطون ﴾ من شدة

الجوع ﴿ فشاربون عليه من الحميم ﴾ لغلبة العطش وتأنيث الضمير في منها وتذكيره في عليه على المعنى واللفظ وقرئ من شجرة فيكون التذكير للزقوم فانه تفسيرها ﴿ فشاربون شرب الهيم ﴾ الابل التي بها الهيام وهو دآء يشبه الاستسقاء جمع اهيم وهيماء قال ذو الرمة فاصبحت كالهيماء لا الماء مبرد صداها ولا يقضى عليها هيامها وقيل الهيم الرمال على انه جمع هيام بالفتح وهو الرمل الذي لا تماسك جمع على هيم كسحب ثم خففت وفعل به ما فعل بجمع ابيض وكل من المعطوف والمعطوف عليه اخص من الآخر من وجه فلا اتحاد وقرأ نافع وحمزة وعاصم شرب بضم الشين ﴿ هذا نزلهم يوم الدين ﴾ يوم الجزآء فما ظنك بما يكون لهم بعد ما استقروا في الجحيم وفيه تهكم كما في

قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم لان النزل ما يعد للنازل تكرمة له وقرئ نزلهم بالتخفيف ﴿ لايجوز ﴾

تعالى ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا اي مكتوبا مبين الوقت وقيل قوله تعالى لمجموعون منا ، لمحشورون فكلمة الى على هذا بمعنى في (قوله من الاولى للابتدآء) اي لابتدآء الغاية اي مبتدئون الاكل من شجر والمراد ثمره والثانية لبيان جنس ذلك الشجر قيل اختلف الناس في الزقوم وحاصل الاقوال يرجع الى ان ذلك في الفم مر وفي اللمس حار وفي الرآئحة منتن وفي النظر اسود لايكاد آكله يسيغه فهو طعام ذو غصة كريه من جميع الوجوه اعاذنا الله منه برحمته والفاء في قوله فمالئون المتوسطة بين الصيغتين المختلفتين لبيان ترتيبهما في الوجود والتعجب من جمعهم اياهما وكذا الفاء في فشاربون الاول وكذا في قوله فشاربون شرب الهيم فان مجردا كلهم من ذلك الشجر امر عجيب واعجب منه ان يغلب عليهم الجوع بحيث يفضي الى ان يأكل كل واحد منهم الى ان يملأ منه بطنه مع ما فيه من وجوه العذاب (قوله لغلبة العطش) اي لاجل حرارة ما اكلوه ومرارته وقوله وهو دآء يشبه الاستسقاء اي دآء معطش تشرب منه الابل الى ان تموت او تسقم سقما شديدا وعطف قوله فشاربون شرب الهيم على ما سبق بيان لزيادة العذاب اي لا يكون شربكم ايها الضالون من الهنئ كشرب من يشرب ماء حارا منتنا فانه يمسك عنه اذا وجده منتنا معذبا بخلاف شربكم فانكم تلزمون ان تشربوا منه مثل ما يشرب الجمل الاهيم فانه يشرب ولا يروى هذا على ان يكون ذكر البطون لمقابلة الجمع بالجمع لانقسام الآحاد الى الآحاد ويحتمل ان يكون المراد من البطون ما في بطن الانسان من الامعاء السبعة ويكون المعنى فمالئون بطون الامعاء والاول اظهر والثاني ادخل في التعذيب واعجب منه ان يحملهم العطش على ان يشربوا عليه الحميم المتناهي في الحرارة المقطع للامعاء واعجب من ذلك كله كونهم يشاربون اياه بالحرص كما تشرب الابل الهيم الماء الطيب (قوله جمع أهيم وهيماء) فاصله هيم بضم الهاء كحمر في جمع احمر وحمرآء فابدلت الضمة كسرة لتسلم الياء كما فعل ذلك في بيض جمع ابيض وبيضاء والصدى العطش وقوله ولا يقضى عليها هيامها اي لا يميتها (قوله وقيل الهيم الرمال) عطف على قوله الابل التي بها الهيام والرمل اذا لم يتماسك لا يروى من الماء اصلا وهيام يجمع على هيم بضمتين على وزن سحب في جمع سحاب فاسكنت الياء للتخفيف وقلبت ضمة الهاء كسرة لاجل الياء كما في بيض (قوله وكل من المعطوف والمعطوف عليه اخص من الآخر) جواب عما يقال كيف يصح عطف الشاربين على الشاربين مع انه ليس من عطف الذوات على الذوات لاتحاد الذوات في الطرفين ولا من قبيل عطف الصفات لانهما صفتان متفقتان فكانا من عطف الشئ على نفسه وهو

(نحن خلقناكم فلولا تصدقون) بالخلق متيقنين محققين للتصديق بالاعمال الدالة عليه او بالبعث فان من قدر على الابداء قدر على الاعادة (افرأيتم ماتمنون) اي ماتقذفونه في الارحام من النطف وقرئ بفتح التاء من مني النطفة بمعنى امناها (ء انتم تخلقونه) تجعلونه بشرا سويا

لايجوز وتقرير الجواب منع اتحاد الصفتين بناء على ان بينهما عموما من وجه لان الشرب من الحميم اعم من ان يكون كشرب الهيم اوغيره وكذا الشرب كشرب الهيم اعم من شرب الحميم ومادة الاجتماع ظاهرة (قوله وفيه تهكم) اي قوله تعالى هذا نزلهم من قبيل الاستعارة التهكمية وهي عبارة عن تشبيه احد الضدين بالآخر من حيث التضاد ثم اطلاق اسم المشبه به على المشبه بان شبه في الآية ماقدم للتعذيب بماأعد للتكرمة وهو النزل ثم اطلق اسم النزل على المشبه (قوله بالخلق او بالبعث) يعني لما كان قوله تعالى فلولا تصدقون تحضيضا على التصديق بمعنى فهلا تصدقون وكان التصديق مطلقا بحسب التعلق حيث لم يبين متعلقه ذكر انه يحتمل ان يكون المراد فهلا تصدقون بانا خلقناكم ولما ورد عليه انه مامعنى التحضيض على التصديق بالخلق وهم مصدقون بانه تعالى خلقهم وانشأهم اول مرة والتحضيض انما يتصور على مالم يحصل بعد اشار الى جوابه بقوله متيقنين محققين للتصديق بذلك بان تعملوا على مقتضى ذلك فانهم لما انكروا البعث والنشأة الثانية وعملوا على حسب ما يقتضيه هذا الانكار من الاصرار على الكفر والانهماك في الشهوات كأنهم كانوا مكذبين بالنشأة الاولى فان المصدق اذالم يجر على موجب تصديقه يكون بمنزلة المكذب فالتحضيض في الحقيقة تحضيض على الاعمال التي هي نتيجة التصديق بالخلق وثمرته فقول المصنف بالاعمال الدالة عليه متعلق بقوله محققين بالخلق او بالبعث يعني ان قوله تعالى فلولا تصدقون تحضيض على التصديق بمعنى فهلا تصدقون والتصديق لابدله من مصدق ولم يذكر ذلك فيحتمل ان يكون المراد التحضيض على التصديق بالخلق الاول فانهم وان كانوا مصدقين به كقوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله الا انهم منزلون منزلة المكذب من حيث انهم لايجرون على مايقتضيه ذلك التصديق وهو الايمان والطاعة وقد تقرر ان العالم بالشيء ينزل منزلة الجاهل به اذا لم يجر على مقتضى علمه فهم لما اصروا على الكفر واتباع الشهوات صاروا بمنزلة من يكذب بالخلق الاول فصح تحضيضهم على التصديق به ويحتمل ان يكون المراد تحضيضهم على التصديق بالبعث استدلالا بقوله افرأيتم ماتمنون بالخلق الاول ثم انه تعالى لما قال نحن خلقناكم استدل بقوله افرأيتم ماتمنون ءأنتم تخلقونه ام نحن الخالقون فانه الزام لهم على الاعتراف بان الخالق في الابتداء هو الله تعالى فان المني امر ممكن والممكن لابدله من موجد غيره وان موجده لايكون مخلوقا آخر والا لدار اوتسلسل فتعين ان خالقه هو الله الواحد القهار كانه لما قال نحن خلقناكم قال المشركون خلقنا من النطف فرد عليهم بقوله افرأيتم ماتمنون اي ان زعمتم

ذلك فأخبرونى ومفعولها الاول ما تمنون والثانى الجملة الاستفهامية يقال منى الرجل النطفة وأمناها بمعنى اى صبها فقوله تعالى ما تمنون سوآء قرئ بفتح التاء او بضمها معناه ما تصبونه فى ارحام النساء قال القرطبي يحتمل عندي ان يختلف معناهما فيكون امنى بمعنى انزل عن جماع ومنى بمعنى انزل احتلاما وهذه الآية احتجاج عليهم وبيان للآية الاولى واذا ثبت عندكم انا خلقنا صورة الانسان من النطفة المقذوفة فى الارحام فلتكن انما لكم موافقة لهذا العلم او فاعترفوا بالبعث ايضا فان من قدر على الابدآء قدر على الاعادة وقوله تعالى ألم يك نطفة من منى يمنى يحتمل ان يكون من الثانى (قوله قسمناه عليكم وأقتنا موت كل) يعنى ان تقدير الموت بين القوم يتضمن معنيين الاول جعله مقسوما عليهم والثانى جعل ما اصاب كل واحد منهم مخالفا لما اصاب الباقين منه فاختلفت اعمارهم بذلك كما اختلفت الارزاق المقسومة بينهم فمنهم من يعيش الى ان يبلغ الهرم ومنهم من يموت شابا او صبيا صغيرا ولما كان تقدير الموت متضمنا لهما كان قوله تعالى وما نحن بمسبوقين نفيا لان يعجزه احد عن كل واحد منهما ويفوت عن تنفيذ مشيئته فى حقه بان يتخلص من الموت او يغير وقته المقدر ويجوز ان لا يكون السبق بمعنى الفوات بل يكون بمعنى الغلبة كما يقال سبقته على الشئ اذا اعجزته عنه وغلبته ولم تمكنه منه (قوله على الاول حال) يعنى على تقدير ان يفسر قوله تعالى وما نحن بمسبوقين بقوله لا يفوتنا احد يهرب به من الموت او بتغيير وقته يكون قوله تعالى على ان نبدل متصلا بقوله نحن قدرنا بينكم الموت اما ان يكون حالا من فاعل قدرنا اى قدرنا بينكم الموت عازمين على ان نبدل منكم اشباهكم بان نهلككم ونأتى باشباهكم مكانكم قرنا بعد قرن الى وقت انقضاء الدنيا وعلى ان ننشئكم بعد فناء الدنيا فيما لا تعلمون من الصور والصفات فالسعدآء يبعثون على احسن الصور والاشقياء على اقبحها وهم لا يعلمون ما تفسير بذلك اليوم منها واما بان يكون علة لقدرنا بان يكون كلمة على بمعنى اللام وعلى هذا اى على تقدير كونه متصلا به بكونه حالا او علة يكون قوله تعالى وما نحن بمسبوقين اعتراضا حسنا لتقرير قدرته على ما يشاء (قوله وعلى الثانى صلة) اى ان فسر قوله تعالى وما نحن بمسبوقين بلا يغلبنا احد يكون قوله على ان نبدل صلته اى متعلقا بمسبوقين فان السبق بمعنى الغلبة يتعدى بعلى كما اشار اليه بقوله من سبقته على كذا اذا غلبته عليه ولان نفى المغلوبية فى اثبات القدرة وهى تتعدى بعلى فكذا ما بمعناها (قوله والمعنى على ان نبدل منكم اشباهكم) اشارة الى ان احد المفعولين وهو المتعدى اليه بحرف الجر محذوف فان الامثال جمع مثل بكسر الميم وسكون الثاء ثم اشار الى جواز ان تكون الامثال جمع

(ام نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت) قسمناه عليكم واقتنا موت كل بوقت معين وقرأ ابن كثير بتخفيف الدال (وما نحن بمسبوقين) لا يسبقنا احد فيهرب من الموت او يغير وقته او لا يغلبنا احد من سبقته على كذا اذا غلبته عليه (على ان نبدل امثالكم) على الاول حال او علة لقدرنا وعلى بمعنى اللام وما نحن بمسبوقين اعتراض وعلى الثانى صلة والمعنى على ان نبدل منكم اشباهكم فنخلق بدلكم او نبدل صفاتكم على ان امثالكم جمع مثل

مثل بفتحتين وهو الصفة العجيبة الشان اطلق عليها لفظ المثل تشبيها لها بالمثل السائر المثل مضربه بمورده الذي هو المعنى العرفي للفظ المثل والمعنى على ان نبدل صفاتكم ونغيرها وننشئكم في صفات وخلق وهيئات لا تعلمونها وماعهدتم نظائرها (قوله تعالى وننشئكم) عطف على نبدل اي وعلى ان ننشئكم ثم انه تعالى قرر امكان النشأة الثانية وحرض على التذكر والاستدلال من العلم بالنشأة الاولى على النشأة الثانية اي هلا تذكرون ان من قدر على النشأة الاولى بلاسبق مثال ومواد اخر فهو على الثانية اقدر فقال ولقد علمتم النشأة الاولى اي الخلقة الاولى (قوله وفيه دليل على صحة القياس) حيث جهلهم في ترك قياس النشأة الاخرى على الاولى بقوله فلولا تذكرون فان معناه فلولا تعلمون صحة النشأة الثانية قيا سا على الاولى وترك القياس اذا كان جهلا كان القياس علما وكل ماكان من قبيل العلم فهو صحيح وفي الخبر عجبا كل العجب للمكذب بالنشأة الآخرة وهو يرى النشأة الاولى وعجبا للمصدق بالنشأة الآخرة وهو يسعى لدار الغرور واعلم انه تعالى احتج على المشركين الذين انكروا البعث بقوله نحن خلقناكم فلولا تصدقون ثم حملهم على ان يعترفوا بتفرده في خلق النطفة التي هي مادة تكونهم فقال افرأيتم ما تمنون الخ ثم حملهم على ان يعترفوا بتفرده في خلق مابه يعيشون ويكون سببا لبقائهم في المأكول والمشروب وماهو سبب لاصلاح المأكول غالبا وهو النار فذكر من كل نوع ماهو الاصل فيه فذكر من المأكول الحب لانه الاصل فيه ومن المشروب الماء كذلك ومن المصلحات النار لكونها سببا لاصلاح اكثر الاغذية وادخل في كل واحد منها ماهو دونه فقال افرأيتم ماتحرثون اي اخبروني ماتحرثونه اضيف الحرث اليهم والزرع اليه تعالى لان الحرث الذي هو القاء البذر في الارض فعلهم من حيث ان اختيارهم له مدخل فيه بخلاف الزرع فانه خالص فعل الله تعالى فان انبات الحب واخراج الاوراق والساق والسنبل منه لامدخل لاختيار العبد فيه اصلا روى عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايقولن احدكم زرعت ولكن ليقل حرثت فان الزارع هو الله تعالى وحده ثم قال ابو هريرة اما سمعتم قوله تعالى ءانتم تزرعونه ام نحن الزارعون قال القرطبي المستحب لكل من حرث شيئا ان يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم ثم يقرأ افرأيتم ما تحرثون الآية ثم يقول بل الله الزارع والمنبت والمبلغ اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل محمد وارزقنا ثمره وجنبنا ضرره واجعلنا لانعمك من الشاكرين يقال ان هذا القول امان لذلك الزرع من جميع الآفات الدود والجراد وغيرذلك ثم قال سمعناه من ثقة وجربناه فوجدناه كذلك والهشم كسر الشيء اليابس من

(وننشئكم فيما لاتعلمون) في خلق او صفات لا تعلمونها (ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون) ان من قدر عليها فهو اقدر على النشأة الاخرى فانها اقل صنعا لحصول المواد وتخصيص الاجزاء وسبق المثال وفيه دليل على صحة القياس (افرأيتم ما تحرثون) تبذرون حبه (ءانتم تزرعونه) تنبتونه (ام نحن الزارعون) المنبتون (لو نشاء لجعلناه حطاما) هشيما (فظلتم تفكهون) تعجبون او تندمون على اجتهادكم فيه او على ما اصبتم لاجله من المعاصي فتحدثون فيه والتفكه التنقل بصنوف الفاكهة وقد استعير للتنقل بالحديث وقرئ فظلتم بالكسر وفظلتم على الاصل

(انا لمغرمون) ملزمون غرامة ما انفقنا او مهلكون لهلاك رزقنا من الغرام وقرأ ابو بكر ائنا على الاستفهام (بل نحن) قوم (محرومون) حرمنا رزقنا او محدودون لا مجدودون (افرأيتم الماء الذى تشربون) اى العذب الصالح للشرب (ءأنتم انزلتموه من المزن) من السحاب واحده مزنة وقيل المزن السحاب الابيض وماؤه اعذب (ام نحن المنزلون) بقدرتنا والرؤية ان كانت بمعنى العلم فمعلقة بالاستفهام (لو نشاء جعلناه اجاجا) ملحا او من الاجيج فانه يحرق الفم وحذف اللام الفاصلة بين جواب ما يتمحض للشرط وما يتضمن معناه لعلم السامع بمكانه او الاكتفاء بسبق ذكرها وتخصيص ما يقصد لذاته ويكون اهم وفقده اصعب لمزيد التأكيد (فلولا تشكرون) امثال هذه النعم الضرورية

النبات والهشيم من النبات اليابس المتكسر قيل هذه الآية تتضمن امرين احدهما الامتنان عليهم بان انبت زرعهم حتى عاشوا به ليشكروا على ما انعم الله عليهم والثانى البرهان الموجب للاعتبار لانه تعالى لما انبت زرعهم بعد تلاشى بذره وانتقاله الى اسوء حالة تحت التراب حتى صار زرعا اخضر ثم قوى واشتد وانبت سنابل ذوات حبوب كثيرة فمن قدر عليه فهو باعادة الموتى احق واقدر وفى هذا البرهان قناعة للناظرين والجمهور على فتح الظاء وسكون اللام فى قوله فظلتم اصله ظللتم بكسر اللام الاولى فحذفت اللام الاولى هربا من ثقل التكرار وقرئ فظلتم بكسر الظاء بان نقلت حركة اللام الاولى اليها بعد سلب حركتها وتفكهون اصله تتفكهون اى فظلتم النهار كله تتعجبون من يبسه بعد خضرته يقال ظلت اعمل كذا بالكسر ظلولا اذا عملته بالنهار دون الليل وتفكه بمعنى تعجب ويقال بمعنى ندم اى تندمون على تعبكم فيه وانفاقكم عليه او على ما اقترفتم من المعاصى التى اصبتم بالحرمان من اجلها (قوله لمغرمون غرامة ما انفقنا) اى من البذر والمؤونة على ان المغرم من ذهب ماله بغير عوض وقيل المغرم المهلك من قوله تعالى ان عذابها كان غراما اى هلاكا والجملة محكية بقول مقدر فى موضع الحال اى قائلين بهذا القول (قوله او محدودون) من الحد بمعنى المنع اى ممنوعون حرمنا ما كنا نطلبه من الريع والزرع (قوله معلقة بالاستفهام) اى الداخل على المفعول الثانى عن العمل فيه ولا تمنع عن العمل فى المفعول الاول ذكر فى شرح الرضى انه اذا صدر المفعول الثانى بكلمة الاستفهام فالاولى ان لا يعلق فعل القلب عن المفعول الاول نحو علمت زيدا من هو وجوز بعضهم تعليقه عن المفعولين لان معنى الاستفهام يعم الجملة التى بعد علمت كأنه قيل علمت من زيد وليس بقوى (قوله ملحا) اى شديد الملوحة بحيث لا يقدر على شربه اذ الملح صفة مشبهة من ملح الماء بضم اللام ملوحة فهو ماء ملح ولا يقال مالح الا فى لغة رديئة والاجيج مصدر بمعنى تلهب النار يقال اجت النار تؤج اجيجا (قوله وحذف اللام الفاصلة) جواب عما يقال قد التزمت البلغاء ادخال اللام فى جواب لو للفصل بين ما يتمحض للشرط وهو كلمة ان وبين ما لا يكون كذلك بل يكون متضمنا لمعنى الشرط وشبيها باداة الشرط وهى كلمة لو ولذلك دخلت اللام فى جواب لو فى قوله تعالى لو نشاء لجعلناه حطاما فلم لم تدخل فى قوله لو نشاء جعلناه اجاجا وانما قال ان لو ليست متمحضة للشرط لان الشرط عبارة عن تعليق حصول شئ على حصول غيره وذلك يستدعى ان يكون المعلق امرا استقباليا ولو للمضى فلا تكون للشرط حقيقة لكنها لما دخلت على جملتين تعلقت احداهما بالاخرى بان يكون امتناع

(مضمون)

(أفرأيتم النار التي تورون) تقدحون (أأنتم أنشأتم شجرتها ام نحن المنشؤن) يعني الشجرة التي منها الزناد (نحن جعلناها) جعلنا نار الزناد (تذكرة) تبصرة في امر البعث كما مر في سورة يس او في الظلام او تذكيرا وانموذجا لنار جهنم (ومتاعا) ومنفعة

مضمون الثانية منهما منوطا بامتناع مضمون الاولى منهما كانت متضمنة لمعنى الشرط وشبيهة باداة الشرط وليس لهما عمل في شيء منهما حتى يكون العمل علامة لهذا التعليق فاحتيج الى ان ينصب مايدل عليه فزيدت اللام في جوابها لتكون علامة ودليلا على التعليق المذكور وتقرير الجواب انها حذفت في جواب لو الثانية اعتمادا على علم السامع بمكانها فان السامع لما علم انها جعلت علامة لكون الجملة الثانية مرتبطة بالاولى وانها لابد منها في جواب لو مطلقا واشتهر بين الناس موضعها ومكانها جاز حذفها لان الشيء اذا علم موضعه واشتهر انه لابد منه لايبالي باسقاطه فيحذف للاختصار اعتمادا على وجود القرينة الحالية لاسيما وقد تحققت هنا قرينة لفظية وهو سبق ذكرها في قوله لو نشاء لجعلناه حطاما فقوله او الاكتفاء اشارة الى تحقق القرينة اللفظية وقوله لعلم السامع اشارة الى تحقق القرينة المعنوية وقوله وتخصيص مايقصد لذاته جواب عما قال القرينة الحالية قائمة في كل واحد من آيتي المطعوم والمشروب فلم اختصت آية المطعوم بذكر اللام فيها وآية المشروب بحذفها اعتمادا على القرينة الحالية ولم يعكس الامر وتقرير الجواب ان المطعوم مقصود لذاته والمشروب انما يحتاج اليه تبعا للمطعوم فكان الاول اهم وفقده اصعب واشد فكان هذا مرجحا لاختصاصه بمزيد التأكيد للارتباط وعدم الاكتفاء بالقرينة (قوله تقدحون) اي تقدحونها وتستخرجونها من الزناد وهو جمع زند قال وورى الزندور يا اي خرجت ناره واوريته انا والزند العود الذي يقدح به النار وهو الاعلى والزندة السفلى فيها ثقب وهي الانثى فاذا اجتمعا قيل زندان والجمع زناد والقداح الحجر الذي يوري النار والعرب تقدح بعودين يحك احدهما على الآخر ويسمون الاعلى منهما الزند والاسفل الزندة تشبيها لهما بالفحل والطروقة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال مامن شجر ولاعود الافيه النار سوى العناب فان عوده لانار فيه ولهذا تدق اهل القصارة بخشبه ويدق عليه (قوله كما مر في سورة يس) وهو قوله فمن قدر على احداث النار من الشجر الاخضر مع مافيه من المائية المضادة لها بكيفيتها كان اقدر على اعادة الغضاضة فيما كان غضا فيبس وبلي والتبصير والتبصرة التعريف والايضاح كما ان التبصر التأمل والتعرف فهو تعالى جعل النار تبصرة لامر البعث اوتبصرة في ظلمة الليالي وتذكرة وانموذجا لنار جهنم حيث علق بها معظم معاش الانسان لتكون حاضرة عندهم في اكثر الاوقات ليذكروا بها نار جهنم وقد روي عنه عليه الصلاة والسلام ناركم هذه التي

يوقدونها يابنى آدم جزء من سبعين جزأ من حر جهنم (قوله للذين ينزلون القوى) اى من المسافرين واهل البادية فانهم اشد احتياجا الى النار يوقدونها ليلا لتهرب منهم السباع و يصطلون من البرد و يجففون ثيابهم ويصلحون طعامهم اذلا يوجد الطعام الحاضر فى البوادى الخالية من السكان فلذلك خص المقوين بالذكر مع ان المقيمين واهل المدن يحتسون بها ايضا يقال اقوى الرجل اذا نزل فى الارض القواء كما يقال اصحر اذا نزل فى الصحراء و يقال ايضا اقوت الدار اذا خلت من ساكنيها قال النابغة

يا دار مية بالعلياء فالسند ۞ اقوت وطال عليها سالف الابد

قدم كونها تذكرة على كونها متاعا لانها امر دينى قدغفل الناس عنها فكانت اهم واولى بالتقديم (قوله فأحدث التسبيح بذكر اسمه او بذكره) كأن قائلا قال الظاهر ان يقال فسبح ربك العظيم اى فنزهه عما لايليق بشأنه الاعلى من النقائص فانه تعالى لما رد على من انكر البعث بان قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون بان ذكر ما يدل على صحة البعث وقدرته عليه و بدأ بذكر خلق الانسان لكونه اصل النعم كلها ثم ذكر تفرده بخلق ما به بقاء الانسان فبدأ بذكر ما هو اصل المطعوم وهو الحب ثم ذكر ما هو اصل المشروب وهو الماء الذى يعجن به الخمير و يشرب ثم ذكر النار التى يطبخ بها معظم المطعومات و بين بهذا كله ان من انعم بهذه النعم عليكم وتفرد بخلقها ابتداء يقدر على ان يعيد كم للحساب والجزاء فرع عليه الامر بتسبيحه وتنزيهه عما زعم منكروا البعث فى حقه تعالى فانهم منكرون لقدرته الكاملة وعلمه الشامل لتفاصيل اجزاء الموتى فثبت بهذا ان الظاهر ان يقال فسبح ربك العظيم عما يقول الجاهلون فلم قال فسبح باسم ربك العظيم وتقرير الجواب ان كون الامر بالتسبيح متفرعا على ذكر دلائل صحة البعث لايستدعى ان يكون تعلق التسبيح بمفعوله مرادا لان المقصود حاصل بتنزيله منزلة اللازم وجعل الباء فى قوله باسم ربك للآلة اما بتقدير الذكر المضاف الى الاسم وجعل الاسم بمعنى الذكر مجازا فيكون المعنى فأحدث التسبيح بواسطة ذكر اسمه تعالى او بواسطة ذكره تعالى وجاز كون الاسم مجازا عن الذكر لما اشار اليه المصنف بقوله فان اطلاق اسم الشئ ذكره فانه اراد به بيان العلاقة بين الاسم والذكر يعنى ان اطلاق اسم الشئ لما كان سببا لذكره صح اطلاق الاسم وارادة الذكر مجازا قيل و يجوز ان يجرى الاظم على ظاهره من غير تقدير المضاف ولا ارتكاب المجاز بكون المعنى فسبح اسم ربك فانه كما يجب تنزيه ذاته وصفاته عن النقائص كذلك يجب تنزيه الالفاظ الموضوعة للدلالة على ذاته عن سوء الادب وهذا ابلغ فى

(للمقوين) الذين ينزلون القوى وهى القفر اوالذين خلت بطونهم اومزاودهم من الطعام من اقوت الدار اذا خلت من ساكنيها (فسبح باسم ربك العظيم) فأحدث التسبيح بذكر اسمه او بذكره فان اطلاق اسم الشئ ذكره والعظيم صفة للاسم او الرب وتعقيب الامر بالتسبيح لما عدد من بدائع صنعه وانعامه اما لتنزيهه تعالى عما يقول الجاحدون لوحدانيته الكافرون لنعمته او للتعجيب من امرهم فى غمط نعمه اوللشكر على ما عدها من النعم (فلا اقسم) اذ الامر اوضح من ان يحتاج الى قسم اوفاقسم ولا مزيدة للتأكيد كما فى قوله لئلا يعلم اوفلأنا اقسم فحذف المبتدأ واشبع فتحة لا الابتداء

او يدل عليه قرائة فلأقسم او فلا رد لكلام يخالف المقسم عليه (بمواقع النجوم) بمساقطها وتخصيص المغارب لما في غروبها من زوال اثرها والدلالة على وجود مؤثر لايزول تأثيره او بمنازلها ومجاريها وقيل النجوم نجوم القرآن ومواقعها اوقات نزولها وقرأ حمزة والكسائى بموقع (وانه لقسم لو تعلمون عظيم) لما في المقسم به من الدلالة على عظيم القدرة وكمال الحكمة وفرط الرحمة ومن مقتضيات رحمته ان لايترك عباده سدى وهو اعتراض في اعتراض فانه اعتراض بين القسم و المقسم عليه ولو تعلمون اعتراض بين الموصوف والصفة (انه لقرآن كريم) كثير النفع لاشتماله على اصول ﴿ ٣٧١ ﴾ العلوم المهمة في اصلاح المعاش والمعاد او حسن مرضى في جنسه (في كتاب مكنون) مصون وهو اللوح (لايمسه الا المطهرون) لا يطلع على اللوح الا المطهرون من الكدورات الجسمانية وهم الملائكة اولا يمس القرآن الا المطهرون من الاحداث فيكون نفيا بمعنى نهى اولا يطلبه الا المطهرون من الكفر وقرئ المتطهرون والمطهرون والمطهرون من اطهره بمعنى طهره والمطهرون اى انفسهم او غيرهم بالاستغفار لهم والالهام (تنزيل من رب العالمين) صفة ثالثة او رابعة للقرآن وهو مصدر نعت به وقرئ بالنصب اى نزل تنزيلا (أفبهذا الحديث) يعنى القرآن (انتم مدهنون) متهاونون به كمن يدهن في الامر اى يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به (وتجعلون رزقكم) اى شكر رزقكم (انكم تكذبون) اى بمانحه حيث تنسبونه الى الانواء وقرئ شكركم اى وتجعلون شكركم لنعمة القرآن انكم تكذبون به او تكذبون اى بقولكم في صفة القرآن انه سحر وشعر او في المطر انه من الانواء (فلولا اذا بلغت الحلقوم) اى النفس (وانتم حينئذ تنظرون) حالكم والخطاب لمن حول المحتضر والواو للحال (ونحن اقرب اليه) بقدرتنا وعلمنا او بملائكة الموت اى ونحن اعلم بحال المحتضر (منكم) عبر عن العلم بالقرب الذى هو اقوى سبب الاطلاع (ولكن لاتبصرون) لاتدركون كنه ما يجرى عليه (فلولا ان كنتم غير مدينين) اى مجزيين يوم القيامة او مملوكين

الدلالة على تسبيح ذاته تعالى لانه يلزم منه ذلك بالطريق الاولى غاية ما في الباب ان يعدى فعل التسبيح الى مفعوله بواسطة الباء مع انه يتعدى اليه بنفسه كما في قوله سبح اسم ربك الاعلى ولا محذور فيه لانه اذا كان تعلق الفعل بالمفعول ظاهرا لايعدى اليه بحرف (قوله ويدل عليه قرائة فلأقسم) اى يدل على ان لام الابتداء دخلت على جملة من مبتدأ وخبر ولا يصح ان تكون اللام لام القسم لامرين احدهما ان حقها ان تقرن بها النون المؤكدة والاخلال بها ضعيف قبيح والثانى ان لأقسمن في جواب القسم للاستقبال وفعل القسم يجب ان يكون للحال (قوله تعالى بمواقع النجوم) قرأ حمزة والكسائى بموقع على التوحيد قال الحسن اراد انكدارها وانتثارها يوم القيامة وقيل مواقعها عند الرجم (قوله لما في غروبها من زوال اثرها) اولعل الله تعالى في آخر الليل اذا انحطت النجوم الى المغرب افعالا مخصوصة عظيمة او للملائكة عبادات معروفة اولانه وقت قيام المتهجدين والمبتهلين اليه من عباده الصالحين ونزول الرحمة والرضوان عليهم (قوله تعالى في كتاب مكنون) صفة اخرى لقرآن او حال من الضمير في كريم او خبر مبتدأ محذوف وقيل المراد بالكتاب المصحف ومعنى مكنون مصون اى محفوظ من التبديل والتحريف وقوله تنزيل على قرائة الرفع اى هو تنزيل بمعنى منزل وعلى قرائة النصب اى نزل تنزيلا لانه نزل نجوما من بين سائر كتب الله فكأنه في نفسه تنزيل ولذلك جرى مجرى بعض اسمائه (قوله اولا يمس القرآن الا المطهرون من الاحداث) وهو قول عطاء وطاووس واكثر اهل العلم وبه قال الشافعى ومالك وقال الحكم وحماد وابو حنيفة يجوز للمحدث والجنب حمل المصحف ومسه (قوله صفة ثالثة اورابعة) اى ان كان لايمسه خبرا اى غير نهى فتنزيل صفة رابعة وان كان

مقهورين من دانه اذا اذله واستعبده واصل التركيب للذل والانقياد (ترجعونها) ترجعون النفس الى مقرها وهو عامل الظرف والمحضض عليه بلولا الاولى والثانية تكرير للتاكيد وهى بما فى حيزها دليل جواب الشرط والمعنى ان كنتم غير مملوكين مجزيين كما دل عليه جحدكم افعال الله وتكذيبكم بآياته (ان كنتم صادقين) فى ابطالكم فلولا ترجعون الارواح الى الابدان بعد بلوغها الحلقوم (فاما ان كان من المقربين)

اى ان كان المتوفى من السابقين (فروح) فله استراحة وقرئ فروح بالضم وفسر بالرحمة لانها كالسبب لحياة المرحوم وبالحياة الدائمة (وريحان) ورزق طيب (وجنة نعيم) ذات تنعم (واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك) يا صاحب اليمين (من اصحاب اليمين) اى من اخوانك يسلمون عليك (واما ان كان من المكذبين الضالين) اى من اصحاب الشمال وانما وصفهم بافعالهم زجرا عنها واشعارا بما اوجب لهم ما اوعدهم به (فنزل من حميم وتصلية جحيم) وذلك ما يجد فى القبر من سموم النار ودخانها (ان هذا) ان الذى ذكر فى السورة او فى شأن الفرق (لهو حق اليقين) اى حق الخبر اليقين (فسبح باسم ربك العظيم) فنزهه بذكر اسمه عما لا يليق بعظمة شانه * عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا

نفيا بمعنى نهى فتنزيل صفة ثالثة للقرآن او ان كان لا يمسه صفة كتاب فتنزيل صفة ثالثة وان كان صفة للقرآن فتنزيل صفة رابعة (قوله تعالى فروح) جواب اما او لما ان فاستغنى بجواب اما عن جوابها لان ان قد يحذف جوابها فى مواضع ويقرأ بفتح الراء وضمها فالفتح مصدر والضم اسم له وقيل هو المروح به (قوله فسلام لك) اى سلامة لك يا محمد منهم فلا تهتم بهم فانهم سلموا من عذاب الله وانك ترى فيهم ما تحب من السلامة قال مقاتل هو ان الله تعالى يتجاوز عن سيئاتهم ويقبل حسناتهم وقال الفراء وغيره فسلام لك انهم من اصحاب اليمين او يقال لصاحب اليمين سلام لك انك من اصحاب اليمين كالرجل يقول انى مسافر عن قليل فتقول له انت مصدق مسافر عن قليل وقيل فسلام عليك من اصحاب اليمين (قوله فنزل) فله نزل وقوله وتصلية قرئ بالرفع عطفا على نزل وبالجر عطفا على حميم (قوله اى حق الخبر اليقين) وقيل المعنى حقيقة اليقين والعظيم صفة لربك وقيل للاسم وقوله فسبح قيل معناه فصل بذكر ربك وامره وقيل الباء زائدة * تم ما يتعلق بسورة الواقعة والحمد لله رب العالمين

(سورة الحديد مدنية وقيل مكية وآيها تسع وعشرون)

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

روى ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يقرأ المسبحات قبل ان يرقد ويقول ان فيهن آية افضل من الف آية ويعنى بالمسبحات الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن بدأ الله تعالى سورة بنى اسرائيل بلفظ المصدر والحديد والحشر والصف بلفظ الماضى والجمعة والتغابن بلفظ المضارع وسورة الاعلى بلفظ الامر استيعابا بالجميع ضروب صيغ التسبيح فى كلامه المجيد واشارة الى ان المكونات من لدن اخراجها من العدم الى الوجود مسبحة فى كل الاوقات لا يختص بتسبيحها وقت دون وقت بل هى مسبحة ابدا فى الماضى والمستقبل ووجه الاشارة انه تعالى لما اخبر عن تسبيح جميع المكونات السماوية

(والارضية)

(سورة الحديد مدنية وقيل مكية وآيها تسع وعشرون اية) (بسم الله الرحمن الرحيم)

(سبح لله ما فى السموات والارض) ذكر ههنا وفى الحشر والصف بلفظ الماضى وفى الجمعة والتغابن بلفظ المضارع اشعارا بان من شأن ما اسند اليه ان يسبحه فى جميع اوقاته لانه دلالة جبلية لا تختلف باختلاف الحالات

والارضية من العقلاء وغيرهم تارة بصيغة الماضي واخرى بصيغة المضارع دل ذلك على ان كل واحدة من الصيغتين جردت عن الدلالة على الزمان الذي هو مدلول الهيئة فاذا لم تكن خصوصية الزمان مقصودة في كل واحدة من الصيغتين بقيت دلالتهما على مطلق الزمان ولا اولوية لبعض اجزائه على بعض فكأن كل واحدة منهما لاستمرار الازمنة مع ان التسبيح لما اسند الى جميع المكونات كان المراد به ما يعم التسبيح بالمقال وما يكون بدلالة الحال لانه الذي يمكن تحققه من الجميع وهو الدلالة الجبلية على تنزه الخالق عن جميع النقائص فان كل موجود ممكن ينزه خالقه عن الامكان وقبول العدم بحسب وجوده الجبلي المستفاد من المؤثر وعن العجز بحدوثه وتغير احواله وعن سائر النقائص بتنزيههم وتبليغه الى كمالاته الممكنة بالاسباب السماوية والارضية وبالجملة كل موجود ممكن مفتقر بامكانه الذاتي الجبلي الى مؤثر واجب الوجود لذاته ضرورة استحالة الدور والتسلسل ووجوب الوجود كما انه معدن كل كمال مبعد عن كل نقصان فثبت ان كل موجود ممكن يسبح و يبعد مؤثره عن كل نقصان بحسب ذاته وجبلته فان الامكان الذاتي لما كان محوجا الى مؤثر واجب الوجود لذاته وكان وجوب وجوده مستلزما لتنزهه عن كل نقصان كان كل ممكن مسبحا ومنزها لخالقه عن جميع النقائص لاجل امكانه الذاتي اللازم له في جميع الازمنة فكان التسبيح المسبب عنه ايضا مستمرا في جميع الازمنة فوجب ان تجرد كل واحدة من الصيغتين عن الدلالة على الزمان الذي هو مدلول الهيئة وتحمل كل واحدة منهما على استمرار الازمنة (قوله ومجيء المصدر مطلقا) اي عن الدلالة على الزمان والفاعل (قوله وهو معدى بنفسه) كما في قوله وسبحوه بكرة واصيلا وسبح اسم ربك ويسبحونه وله يسجدون وذلك لان سبح بالتشديد منقول من سبح الثلاثي وهو لازم بمعنى ذهب و بعد فعدي بتضعيف العين فالتشديد فيه للتعدية فمعنى سبحته بعدته عن السوء ولما كان متعديا بنفسه كانت اللام فيه لام الاجل والاختصاص و يكون الفعل منزلا منزلة اللازم و يكون معنى سبح لله احدث التسبيح واوقعه لاجل الله تعالى وخالصا لوجهه من غير توقع ثواب وعوض كما يقال نصحت لك الدلالة على امحاض النصح للمنصوح من غير غرض للناصح فيه (قوله حال يشعر بما هو المبدأ للتسبيح) فان العزيز هو الغالب على كل شيء بحيث لا يتصور منازعته فيكون اشارة الى كمال القدرة كما ان الحكيم اشارة الى كمال العلم لانه الذي افعاله على وفق الحكمة والصواب فيعتبر في مفهوم الحكمة كل واحد من اتقان العلم والعمل ولاشك ان من جمع بين كمال القدرة وكمال العلم يكون مسبحا منزها عن جميع

و مجيء المصدر مطلقا في بني اسرائيل ابلغ من حيث انه يشعر باطلاقه على استحقاق التسبيح من كل شيء وفي كل حال وانما عدي باللام وهو معدى بنفسه مثل نصحت له في نصحته اشعارا بان ايقاع الفعل لاجل الله وخالصا لوجهه (وهو العزيز الحكيم) حال يشعر بما هو المبدأ للتسبيح

التناقض (قوله تعالى له ملك السموات) جملة مستأنفة لامحل لها من الاعراب والملك عبارة عن استغناء الذات فى ذاته وفى جميع صفاته عن كل ما عداه واحتياج كل ماعداه اليه فى ذواتهم وصفاتهم فالملك والخلق ليس الاالله الواحد القهار يفعل مايشاء و يحكم مايريد وقوله يحيى و يميت جواب عن سؤال كأنه قيل كيف يتصرف فينا فاجيب بانه يحيى الاموات للبعث و يميت الاحياء فى الدنيا وهو على كل شئ قدير (قوله ولو بالنظر الى ذواتها) يعنى ان المراد باوليته تعالى كونه سابقا على كل ما سواه من الموجودات بالذات من حيث انه موجدها ومحدثها و بآخريته بقاؤه بعد فناء الموجودات ولو بالنظر الى ذواتها ولا يلزم ان يكون فناؤها بطريان العدم على وجوداتها المستفادة من مؤثرها بل يكفى فى فنائها كونها بحيث اذا نظر اليها فى حد ذاتها وقطع النظر عما سواها وجدها العقل فانية عارية عن صفة الوجود بخلاف البارى تعالى فانه اذا نظر اليه فى حد ذاته وقطع النظر عن جميع ماعداه يجده العقل موجودا باقيا و يحكم بان وجوده وجميع صفات كماله مقتضى ذاته فهو تعالى باق فى ذاته بعد فناء سائر الموجودات مطلقا سواء كان فناؤها بطريان العدم عليها او بكونها فى حد ذاتها عارية عن الوجود وكون وجوداتها مستفادة من الغير (قوله اوهو الاول الذى تبتدئ منه الاسباب) اى و يجوز ان تكون اوليته تعالى عبارة عن كونه بحيث اذا نظر الى سلسلة الموجودات المرتبة فى الوجود كان تعالى مبدأ سلسلة الاسباب وتكون آخريته عبارة عن كونه بحيث تنتهى اليه سلسلة المسببات فان الوجود يبتدأ منه تعالى ولايزال ينزل فينزل حتى ينتهى الى الوجود الاخير الذى يكون سببا لكل ما عداه ولايكون مسببا لشئ آخر فبهذا الاعتبار يكون الحق سبحانه اولا ثم اذا اخذت تترقى من هذا الوجود الاخير درجة درجة حتى تنتهى فى آخر الترقى اليه تعالى فهو تعالى اول فى نزول الوجود منه تعالى الى الممكنات آخر عند الصعود من الممكنات اليه تعالى قال القرطبى اختلف فى معانى هذه الاسماء وقد شرحها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شرحا يغنى عن قول كل قائل فانه روى مسلم فى صحيحه عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم انت الاول فليس قبلك شئ وانت الآخر فليس بعدك شئ وانت الظاهر فليس فوقك شئ وانت الباطن فليس دونك شئ اقض عنا الدين واغننا من الفقر عنى بالظاهر الغالب و بالباطن العالم بواطن الاشياء قيل القول بان الباطن العالم ضعيف لانه يلزم التكرار فى قوله والله بكل شئ

(له ملك السموات والارض) فانه الموجد لها والتصرف فيها (يحيى و يميت) استئناف اوخبر لمحذوف اوحال من المجرور فى له (وهو على كل شئ) من الاحياء والاماتة وغيرهما (قدير) تام القدرة (هو الاول) السابق على سائر الموجودات من حيث انه موجدها ومحدثها (والآخر) الباقى بعد فنائها ولو بالنظر الى ذواتها مع قطع النظر عن غيرها اوهو الاول الذى تبتدئ منه الاسباب وتنتهى اليه المسببات

علیم (قوله او الاول خارجا والآخر ذهنا) فانك اذا نظرت الى ترتيب السلوك ولاحظت منازل السالكين السائرين اليه تعالى فهو تعالى آخر مايرتقى اليه درجات العارفين وكل معرفة تحصل قبل معرفته فهى مرقاة الى معرفته والمنزل الاقصى هو معرفة الله تعالى فهو آخر بالاضافة الى السلوك فى درجات الارتقاء فى باب المعارف واول بالاضافة الى الوجود الخارجى فمنه المبدأ اولا واليه المرجع آخرا (قوله والباطن حقيقة ذاته) لان حقيقة ذاته غير مدركة لاعقلا ولاحسا باتفاق المحققين من اهل السنة والمعتزلة ولما تعاضدت الادلة على انه تعالى يدرك بالحاسة فى الآخرة لم يفسر المصنف كونه تعالى باطنا بكونه غير مدرك بالحواس بل هو الظاهر وجوده لان الموجودات باسرها ظاهرة بظهوره والباطن بكنه حقيقته و بطونه بهذا المعنى لا ينافى كونه مرئيا فى الآخرة وفسره صاحب الكشاف بانه غير مدرك بالحواس وهو تفسير بحسب التشهى تأييد الما ذهب اليه من استحالة الرؤية والحق انه تعالى ظاهر بوجوده باطن بكنهه وانه تعالى جامع بين الوصفين ازلا وابدا والبطون بهذا المعنى لا ينافى الرؤية فى الآخرة لان الرؤية بالحاسة لاتقتضى معرفة الحقيقة وعلى هذا يكون التذييل بقوله وهو بكل شئ عليم لئلا يتوهم ان بطونه تعالى عن الاشياء يستلزم بطونها عنه تعالى كما فى الشاهد (قوله او الغالب على كل شئ) على ان يكون الظاهر من قولهم ظهر عليه اذا علاه وغلب عليه فالمعنى هو الغالب الذى يغلب كل شئ ولايغلب عليه فيتصرف فى الكائنات على سبيل الغلبة والاستيلاء اذليس فوقه احد يمنعه وانه الباطن الذى يعلم بواطن الاشياء وليس تحته شئ حتى لايصل اليه علمه (قوله والواو الاولى والاخيرة) يعنى ان الواو المتوسطة بين الاول والاخر لعطف المفرد على المفرد وكذا المتوسطة بين الظاهر والباطن واما الواو الثانية المتوسطة بين الظاهر والباطن فهى لعطف المجموع الثانى على المجموع الاول ولو جعلت لعطف الظاهر على احد الوصفين الاولين لفات التناسب بخلاف ما اذا عطف احد الوصفين المتقابلين المذكورين اولا على الآخر ثم احد المتقابلين المذكور ثانيا على الآخر ثم جمعت بين المجموع الاول والمجموع الثانى بالواو المتوسطة فان الكلام حينئذ يفيد انه تعالى كما انه متصف بكل واحد من الوصفين الاخيرين ازلا وابدا فهو ايضا متصف بكل واحد من المجموعين ازلا وابدا فما من وقت يصح اتصافه تعالى بالاولية والآخرية الا ويصح فيه اتصافه بالظاهرية والباطنية ومن فسر باطنيته تعالى بكونه غير مدرك بالحواس

او الاول خارجا والآخر ذهنا (والظاهر والباطن) الظاهر وجوده لكثرة دلائله والباطن حقيقة ذاته فلاتكتنهها العقول او الغالب على كل شئ والعالم بباطنه والواو الاولى والاخيرة للجمع بين الوصفين والمتوسطة للجمع بين المجموعين (وهو بكل شئ عليم) يستوى عنده الظاهر والخفى (هو الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الارض) كالبذور (ومايخرج منها) كالزروع (وما ينزل من السماء) كالامطار (ومايعرج فيها) كالابخرة

(وهو معكم اينما كنتم) لاينفك علمه وقدرته عنكم بحال (والله بما تعملون بصير) فيجازيكم عليه ولعل تقديم الخلق على العلم لانه دليل عليه (له ملك السموات و الارض) ذكره مع الاعادة كما ذكره مع الابداء لانه كالمقدمة لهما (والى الله ترجع الامور يولج الليل فى النهار و يولج النهار فى الليل وهو عليم بذات الصدور) بمكنوناتها (آمنوا بالله و رسوله و أنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) من الاموال التى جعلكم خلفاء فى التصرف فيها فهى فى الحقيقة له لا لكم او التى استخلفكم عمن قبلكم فى تملكها و التصرف فيها وفيه حث على الانفاق وتهوين له على النفس (فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير) وعد فيه مبالغات جعل الجملة اسمية واعادة ذكر الايمان والانفاق و بناء الحكم على الضمير وتنكير الاجر ووصفه بالكبر (ومالكم لاتؤمنون بالله) اى وما تصنعون غير مؤمنين به كقولك مالك قائما

بجعل الآية دليلا على انتفاء الرؤية فى الآخرة فلذلك جعل هذه الآية حجة على من جوز ادراكه تعالى بالحاسة فى الاخرة وقوله تعالى هو الذى خلق السموات تحقيق لعزته وكمال قدرته كما ان قوله يعلم مايلج تحقيق لحكمته وكمال علمه (قوله لاينفك علمه وقدرته عنكم) اشارة الى انه تعالى ليس معنا بالمكان والحيز والجهة بل المعية مجاز عن العلم والقدرة على طريق ذكر السبب و ارادة المسبب (قوله ولعل تقديم الخلق) اى على قوله يعلم مايلج مع انه متأخر عن العلم تابع له تأخرا ذاتيا لان خلق العالم على هذا النظام الانيق مما يستدل به على علمه وقدرته تعالى (قوله تعالى آمنوا بالله) خطاب لكفار قريش اى قد اوضحت لكم الدلائل الدالة على انه لاتحق العبادة الا لى فاعبدونى وآمنوا بى و برسولى وصدقوه فيما يخبر به عنى (قوله وفيه حث على الانفاق وتهوين له) اما اذا كان معنى كونهم مستخلفين ان الاموال التى فى ايديكم انما هى اموال الله تعالى حقيقة بخلقه اياها وانشائه لها وليس للعبد الا ان يتصرف فيها بسبب استخلافه تعالى اياه وجعله بمنزلة الوكيل فى التصرف فيها تصرفا يرضى به مالكها فيثيبه على ذلك بالجنة فلان الانفاق من مال الغير سهل هين اذا اذن فيه مالكه و لا سيما اذا أثاب عليه بالجنة و اما ان كان معناه ان ما فى ايديكم من الاموال كان لمن قبلكم ثم انه تعالى نقل اموالهم اليكم على سبيل الارث ومن المعلوم ان ما انتقل عمن قبلهم اليهم لابد ان ينتقل منهم الى غيرهم ايضا فلان انفاق ماهو بصدد التحول و الانتقال سهل هين على النفس تغتنم النفس فيه الفرصة فتنفقه اكتسابا لمرضاة الرحمن وثواب الآخرة قبل ان يخرج من يدها ثم انه تعالى ذكر ثواب من انفق فى سبيل الله وضمن لمن فعل ذلك اجرا كبيرا فقال فالذين آمنوا منكم و انفقوا لهم اجر كبير فهو فى موضع جواب الامر والفاء للدلالة على سببية الايمان والانفاق لما ذكر من الاجر الكبير واعيد ذكرهما صريحا للمبالغة فى الدلالة على سببيتهما (قوله و بناء الحكم على الضمير) اى لا على الاسم الظاهر بان يقول فللذين آمنوا وانفقوا اجر كبير بل جعل الموصول مبتدأ وجعل الاجر الكبير مبتدأ ثانيا ولهم خبر الثانى وجعل الجملة خبر المبتدأ الاول للمبالغة المذكورة (قوله اى وما تصنعون غير مؤمنين به) يعنى ان قوله تعالى لاتؤمنون بالله فى موضع النصب على انه حال من الفاعل المعنوى للفعل المستنبط من ما الاستفهامية وقد تقرر فى النحو ان عامل الحال قد يكون معنى الفعل و المراد به ما يستنبط منه معنى الفعل كحرف التنبيه واسماء الاشارة وحروف النداء و التمنى والترجى و التشبيه وحرف الاستفهام فان فيهما معنى الفعل نحو ذا زيد قائما ويا زيد قائما وليتك عندنا

قائما ولعله في الدار قائما وكأنه استدمالذ اومالك قائما فان كلة ما فيه استفهامية مرفوعة المحل على الابتداء ولك خبرها والاستفهام يطلب الفعل فيستنبط معنى الفعل من اداة الاستفهام و حرف الجر في لكم وان كان يتعلق بالفعل اوشبهه فلذلك يعمل في الحال في نحو زيد في الدار قائما الا ان المصنف اختار ان الحال في الآية معمول لما الاستفهامية لا لحرف الجر حيث قال اى وما تصنعون غير مؤمنين ولم يقل ماحصل لكم غير مؤمنين ولعله مجرد اعتبار (قوله حال من ضمير تؤمنون) اى مالكم غير مؤمنين بالله مدعوين الى الايمان بالحجج والآيات فهما حالان متداخلان حيث كانت الحال الاولى عاملة في الثانية واختلف ذو الحال فيهما وفي الاحوال المترادفة يتحد العامل وذو الحال (قوله قبل ذلك) اى قبل دعوة الرسول اياكم الى الايمان وكون القبلية بالنسبة الى الدعوة مستفاد من كون الماضي المصدر بقد حالا من مفعول يدعوكم (قوله بنصب الادلة والتمكين من النظر) لم يحمل الميثاق على الميثاق المأخوذ عليهم حين اخرجهم من ظهر آدم عليه الصلاة والسلام وقال لهم ألست بربكم لان الكلام مسوق لبيان انه لم يبق لهم عذر في ترك الايمان بعد ان دعاهم الرسول اليه بالدلائل الواضحة واخذ الله الميثاق وما اخذ منهم وقت اخراجهم من ظهر آدم غير معلوم لهم الا بقول الرسول وما لم يعرفوا صدق الرسول لايكون ذلك سببا لوجوب اجابتهم الرسول فيما دعاهم اليه فذكر اخذ ميثاقهم حين اخرجهم من ظهره لا مدخل له في توبيخهم وتبكيتهم بترك الايمان بخلاف الميثاق المأخوذ بنصب الادلة والتمكين من النظر فقوله تعالى وما لكم لا تؤمنون الى آخر الآية كلام خرج مخرج الاستبطاء واخبار بارتفاع موانع الايمان وتحقيق مايوجبه على اكمل وجه واتمه اى اى عذر لكم في ترك الايمان بالله وآياته وقد اقيمت البراهين على حقية ماتؤمرون به سمعا وعقلا فان قوله والرسول يدعوكم في قوة ان يقال وقد قامت البراهين السمعية وقوله وقد اخذ ميثاقكم بمنزلة ان يقال وقد نصبت الادلة العقلية المؤدية الى تصديق الرسول في جميع ماجاء به حتى كنتم بسببها كانكم اعترفتم بمؤدى تلك الادلة من اجل قوة دلالتها عليه و قوله تعالى ان كنتم مؤمنين شرط حذف جوابه وهو ما اشار اليه المصنف بقوله فان هذا موجب لامزيد عليه لانه لاموجب يزيد على تظاهر الادلة السمعية والعقلية و بهذا التأويل ظهر وجه قوله تعالى ان كنتم مؤمنين بعد قوله ومالكم لاتؤمنون واندفع مايتوهم بينهما من المنافاة كأنه قيل ان كنتم مؤمنين بشئ لاجل دليل فمالكم لاتؤمنون الآن وقد تطابقت الادلة النقلية والعقلية و بلغت مبلغا لايمكن الزيادة عليها ثم انه تعالى ذكر

(والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم) حال من ضمير لاتؤمنون والمعنى اى عذر لكم في ترك الايمان والرسول يدعوكم اليه بالحجج والآيات (وقد اخذ ميثاقكم) اى وقد اخذ الله ميثاقكم بالايمان قبل ذلك بنصب الادلة والتمكين من النظر والواو للحال من مفعول يدعوا وقرأ ابوعمرو على البناء للمفعول ورفع ميثاقكم (ان كنتم مؤمنين) لموجب ما فان هذا موجب لامزيد عليه (هو الذى ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم) اى الله او العبد (من الظلمات الى النور) من ظلمات الكفر الى نور الايمان (وان الله بكم لرؤف رحيم) حيث نبهكم بالرسل والآيات ولم يقتصر على مانصب لكم من الحجج العقلية (ومالكم ان لاتنفقوا) واى شئ لكم في ان لاتنفقوا (في سبيل الله) فيمايكون قربة اليه

بحيث يستخلف عوضا يبقى وهو الثواب كانت اولى ﴿ لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل ﴾ بيان لتفاوت المنفقين باختلاف احوالهم من السبق وقوة اليقين وتحرى الحاجات حثا على تحرى الافضل منها بعد الحث على الانفاق وذكر القتال للاستطراد وقسيم من انفق محذوف لوضوحه ودلالة مابعده عليه والفتح فتح مكة اذعز الاسلام به وكثر اهله وقلت الحاجة الى المقاتلة والانفاق ﴿ اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا ﴾ اى من بعد الفتح ﴿ وكلا وعد الله الحسنى ﴾ اى وعد الله كلا من المنفقين المثوبة الحسنى وهى الجنة وقرأ ابن عامر وكل بالرفع على الابتداء اى وكل وعده الله ليطابق ما عطف عليه ﴿ والله بما تعملون خبير ﴾ عالم بظاهره وباطنه فيجازيكم على حسبه والآية نزلت فى ابى بكر فانه اول من آمن وانفق

بعض تلك الادلة الدالة على وجوب الايمان فقال هو الذى ينزل على عبده آيات وهى المعجزات التى اعظمها القرآن ثم حرض على الانفاق فى سبيله من وجه آخر فقال ومالكم ان لا تنفقوا اى فى ان لاتنفقوا فحذف الجار (قوله تعالى ولله ميراث السموات) جملة حالية من فاعل الاستقرار الذى تعلق به قوله لكم والمعنى كيف تبخلون بانفاق اموالكم والحال انكم تعلمون انه تعالى مهلككم ووارث اموالكم وهذه حال منافية للبخل بها لان انفاقها بحث يستخلف عوضا يبقى خير من هلاكها بغير شئ ثم بين فضل من سبق بالانفاق فى سبيل الله فقال لايستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقسيم من انفق من قبل محذوف اى ومن انفق من بعد الفتح حذف للعلم به ولدلالة قوله اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد عليه قال عليه الصلاة والسلام فوالذى نفسى بيده لو انفق احدكم مثل احد ذهبا مابلغ مد احدهم ولانصيفه وذلك لان ماقبل الفتح كان حال مساس الحاجة الى الجهاد والنفقة ثم اعز الله الاسلام بعد الفتح وكثر ناصريه ودخل الناس فى دين الله افواجا (قوله تعالى وكلا) منصوب على انه مفعول مقدم ومن قرأه مرفوعا جعله مبتدأ وجعل الجملة التى بعده خبره بحذف العائد اى وعده الله ومثله قول الشاعر

قد اصبحت ام الخيار تدعى ❊ على ذنبا كله لم اصنع

برفع كله اى لم اصنعه الا ان حذف العائد من الخبر الواقع جملة قليل نادر حتى ان البصريين لايجوزونه الا فى ضرورة الشعر بخلاف حذفه فى الصلات والصفات نحو قوله اهذا الذى بعث الله رسولا اى بعثه وقوله تعالى واتقوا يوما لاتجزى نفس عن نفس شيئا اى لاتجزى فيه نفس (قوله ليطابق ماعطف عليه) وهو قوله تعالى اولئك اعظم درجة من الذين فانه جملة اسمية واذا قرئ كل بالرفع يكون المعطوف ايضا اسمية فيحصل التطابق بينهما (قوله فانه اول من آمن وانفق) روى عن ابن عمر رضى الله تعالى عنه قال كنت عند النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعنده ابو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وعليه عباءة قد خللها فى صدره بخلال فنزل عليه جبريل عليه الصلاة والسلام فقال يامحمد مالى ارى ابا بكر عليه عباءة قد خللها فى صدره بخلال قال ياجبريل انفق ماله قبل الفتح على قال فاقرئه من الله عز وجل السلام وقل له يقول لك ربك اراض انت عنى فى فقرك هذا ام ساخط فالتفت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الى ابى بكر فقال ياابابكر هذا جبريل يقرئك من الله عز وجل السلام ويقول لك ربك اراض انت عنى فى فقرك هذا ام ساخط قال فبكى ابو بكر رضى الله تعالى عنه وقال اعلى ربى اغضب انى عن ربى لراض

فى سبيل الله وخاصم الكفار حتى ضرب ضربا اشرف به على الهلاك

(من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا) من ذا الذى ينفق ماله فى سبيله رجاء ان يعوضه فانه كمن يقرضه وحسن الانفاق بالاخلاص فيه و تحرى اكرم المال وافضل الجهات (فيضاعفه له) اى يعطى اجره اضعافا (وله اجر كريم) اى و ذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف كريم فى نفسه ينبغى ان يتوخى وان لم يضاعف فكيف وقد يضاعف اضعافا وقرأ عاصم فيضاعفه بالنصب على جواب الاستفهام باعتبار المعنى فكأنه قال أيقرض الله احد فيضاعفه له وقرأ ابن كثير يضعفه مرفوعا وابن عامر و يعقوب بضعفه منصوبا

ونزول الاية فى شأن ابى بكر لاينافى دلالتها على تفضيل الصحابة من المهاجرين والانصار الذين انفقوا وقاتلوا من قبل الفتح على الذين انفقوا من بعد وقاتلوا معه عليه الصلاة والسلام وقيل هذا التفضيل لجميع الصحابة و يؤيده ما روى سفيان عن زيد بن اسلم قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سيأتى قوم بعدكم يحقرون اعمالكم مع اعمالهم قالوا يارسول الله انحن افضل ام هم قال لو ان احدهم انفق مثل احد ذهبا ما ادرك فضل احدكم ولانصيفه ففرقت هذه الآية بيننا وبين الناس وتلا لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة كذا فى تفسير الفقيه ابى الليث ثم انه تعالى حرض على الانفاق فى سبيله بطريق آخر فقال من ذا الذى يقرض الله (قوله تعالى يقرض) استعارة تبعية حيث شبه الانفاق فى سبيل الله باقراضه فاطلق عليه اسم الاقراض والجامع اعطاء شئ بعوض و اليه اشار المصنف بقوله فانه كمن يقرضه (قوله وحسن الانفاق) مبتدأ وقوله بالاخلاص خبره ولايكون الانفاق حسنا الابان يبتغى به وجه الله تعالى خاصة لقوله تعالى الاتقى الذى يؤتى ماله يتزكى و مالاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى و بان يكون ما انفقه احب الاموال اليه واكرم عنده لقوله تعالى ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولقوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ولقوله عليه الصلاة والسلام افضل الرقاب اعلاها ثمنا وانفسها عند اهلها ولقوله عليه الصلاة والسلام افضل الصدقة ان تعطيها وانت صحيح شحيح تأمل العيش و لا تمهل حتى اذا بلغت التراقى قلت لفلان كذا ولفلان كذا و بان تحرى افضل الجهات و يصرف صدقة الى الاحوج فالاحوج وان جمع بين جهتى سد حاجة الفقير وصلة الرحم فهو افضل (قوله وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف كريم فى نفسه) اى حسن مرضى فى بابه و هو اشارة الى ان قوله تعالى وله اجر كريم جملة حالية من مفعول يضاعفه واطلاق التضعيف يدل على ان الاضعاف المنضمة الى الاجر زائدة على ما انفقه من المال كمية وكيفية (قوله وقرأ عاصم) قال صاحب التيسير فى فرش سورة البقرة قرأ عاصم وابن عامر فيضاعفه هنا و فى الحديد بنصب الفاء والباقون برفعها ووجه النصب اضمار ان بعد الفاء الواقعة فى جواب الاستفهام كما فى قولك هل تزورنا فنحسن اليك وقوله باعتبار المعنى جواب عما قال المنصوب بان المضمرة لا بد ان يكون مترتبا على الفعل المستفهم عنه كما فى المثال المذكور فان احسان المتكلم مترتب على زيارة المخاطب اياه وههنا لم يوقع الاستفهام عن اصل القرض وانما وقع عن فاعله حيث قيل من ذا الذى يقرض فكيف ينصب الفعل بعده بان مضمرة وتقرير الجواب

ظاهر قيل هذا السؤال ممنوع الا ترى انه ينصب الفعل بعد الفاء في جواب الاستفهام بالاسماء وان لم يتقدم فعل نحو اين بيتك فأزورك ومن داع فاستجيبه و متى سير لك فارافقك ومن ابوك فيكرمه ومن قرأ فيضا عفه مرفوعا جعله معطوفا على يقرض (قوله ظرف لقوله وله) اى ظرف للاستقرار الذى تعلق به قوله وله اى استقرله اجر في ذلك اليوم وان كان معمولا لاذكر يكون مفعولا به لاظرفا وقوله يسعى حال من المؤمنين لان قوله ترى من رؤية العين و بين ايديهم ظرف ليسعى ويجوز ان يكون حالا من نورهم وكذا بايمانهم وهو بفتح الهمزة جمع يمين (قوله مايوجب نجاتهم وهدايتهم يعنى ان النور مستعار لصحائف الاعمال تشبيها لها بالنور في كونها سبب النجاة من النار والاهتداء الى طريق الجنة فان السعداء يؤتون صحائف اعمالهم من قدامهم ومن جهة ايمانهم فتكون دليلا لهم الى الجنة و يستضيئون بنورها على الصراط المستقيم وهم يسعون لانهم لومشوا الهوينا لماسعى النور بين ايديهم و بايمانهم لانه لوسعى وهم يمشون الهوينا لزم ان يفارقهم ولايكون بين ايديهم ولا بايمانهم ثم اختلف في النور المذكور في هذه الآية فقال قوم المراد نفس النور على ماروى عنه عليه الصلاة والسلام فالكل مثاب يحصل له النور على قدر عمله وثوابه في العظم والصغر فمنهم من يضيئ له نوركمابين عدن الى صنعاء ومنهم من نوره كالجبل ومنهم من لايضيئ له نور الاموضع قدميه وادناهم نورا من يكون نوره على ابهامه ينطفئ مرة و يتقد اخرى والمنافقون ايضا يؤتون نورا خديعة لقوله تعالى يخادعون الله وهو خادعهم ثم يسلب نورهم لنفاقهم فذلك قول المؤمنين ربنا اتمم لنا نورنا اى خشية ان يسلب نورهم كما يسلب نور المنافقين فاذابقى المنافقون في الظلمة لايبصرون مواضع اقدامهم قالوا للمؤمنين انظرونا نقتبس من نوركم وقد روى ان بعض الصحابة رضى الله عنهم استضاؤا في الدنيا بماحصل لهم من النور فكيف يستبعد ان يستضيئ اهل السعادة بماظهر لهم من النور في العقبى فقد ذكر في المصابيح برواية انس رضى الله عنه ان اسيد ابن حضير وعباد بن بشر تحدثا عند النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولما ارادا انهما ينقلبان اى يرجعان الى بيتهما وبيد كل واحد منهما عصية اضاءت عصا احدهما لهما حتى مشيا في ضوئها حتى اذا افترقت لهما الطريق اضاءت للآخر عصاه فمشى كل واحد منهما في ضوء عصاه حتى بلغ اهله ذكر الامام ان النور الحقيقى هو معرفة الله تعالى وان العلم الذى هو نور البصيرة اولى بكونه نورا من نور البصر واذا كان كذلك ظهر ان معرفة الله تعالى هى النور في القيامة فمقادير الانوار يوم القيامة على حسب مقادير المعارف

(يوم ترى المؤمنين والمؤمنات) ظرف لقوله وله او فيضاعف او مقدر باذكر (يسعى نورهم) ما يوجب نجاتهم وهدايتهم الى الجنة (بين ايديهم وبايمانهم) لان السعداء يؤتون صحائف اعمالهم من هاتين الجهتين

﴿بشراكم اليوم جنات﴾ اى يقول لهم من يتلقاهم من الملائكة بشراكم اى المبشر به جنات او بشراكم دخول جنات ﴿تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم﴾ الاشارة الى ما تقدم من النور والبشرى بالجنات المخلدة ﴿يوم يقول المنافقون والمنافقات﴾ بدل من يوم ترى ﴿للذين آمنوا انظرونا﴾ انتظرونا فانهم يسرع بهم الى الجنة كالبرق الخاطف او انظروا الينا فانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم فيستضيئون بنور بين ايديهم وقرأ حمزة انظرونا على ان اتئادهم ليلحقوا بهم امهال لهم ﴿نقتبس من نوركم﴾ نصب منه ﴿قيل ارجعوا وراءكم﴾ الى الدنيا ﴿فالتمسوا نورا﴾ بتحصيل المعارف الالهية والاخلاق الفاضلة فانه يتولد منها او الى الموقف فانه من ثم يقتبس او الى حيث شئتم فاطلبوا نورا آخر فانه لا سبيل لكم الى هذا وهو تهكم بهم وتخييب من المؤمنين او الملائكة ﴿فضرب بينهم﴾ بين المؤمنين والمنافقين ﴿بسور﴾ بحائط ﴿له باب﴾ يدخل فيه المؤمنون ﴿باطنه﴾ باطن السور او الباب ﴿فيه الرحمة﴾ لانه يلي الجنة ﴿وظاهره من قبله العذاب﴾ من جهته لانه يلي النار ﴿ينادونهم الم نكن معكم﴾ يريدون موافقتهم فى الظاهر ﴿قالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم﴾ بالنفاق ﴿وتربصتم﴾ بالمؤمنين الدوائر ﴿وارتبتم﴾ وشككتم فى الدين ﴿وغرتكم الامانى﴾ كامتداد العمر ﴿حتى جاء امر الله﴾ وهو الموت ﴿وغركم بالله الغرور﴾ الشيطان او الدنيا

فى الدنيا وقال آخرون المراد من النور ما يكون سببا للنجاة وهو ما اختاره المصنف (قوله تعالى بشراكم) مبتدأ واليوم ظرف وجنات خبره ولما كان البشرى مصدرا بمعنى البشارة والجنة عينا ومن المعلوم ان العين لا تكون خبرا من الحدث والمعنى ذكر المصنف لصحة الاخبار وجهين الاول ان تكون البشرى بمعنى المبشر به والثانى تقدير المضاف فى الخبر وعلى التقديرين تكون الجملة الاسمية فى محل النصب على انها مقول قول مقدر والقول المقدر مع مقوله حال اخرى من المؤمنين اى يوم تراهم ساعيا نورهم مقولا لهم بشراكم اليوم دخول جنات وقوله تعالى خالدين نصب على الحال وذو الحال محذوف يدل عليه المصدر المقدر اذ التقدير بشراكم دخولكم جنات خالدين فيها فحذف الفاعل وهو ضمير المخاطب واضيف المصدر الى مفعوله فصار دخول جنات ثم حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه واعرب باعرابه ويجوز ان يجعل تقدير الكلام بشراكم اليوم دخول جنات تدخلونها خالدين وان اول المبتدأ بالمبشر به يكون عامل الحال ما دل عليه بشراكم اى تبشرون بها خالدين فيها ولا يجوز ان يكون العامل فيها بشراكم لانه مصدر قد اخبر عنه قبل ذكر متعلقاته فيلزم الفصل بينه وبين معموله باجنبى (قوله انتظرونا او انظروا الينا) معنى انظرونا فى قراءة العامة امر من النظر ثم ان النظر يجوز ان يكون بمعنى الانتظار وبمعنى التوجه وتقليب الحدقة الى جانب المرئى والنظر بالمعنى الثانى لا يتعدى بنفسه فى غير الشعر وانما يتعدى بالى فلهذا اخره المصنف عن الاحتمال الاول عن ابى امامة رضى الله عنه قال يغشى الناس يوم القيامة ظلمة شديدة ثم يقسم النور فيعطى المؤمنون نورا ويترك الكافر والمنافق ولا يعطيان شيئا فيمضى المؤمنون ويقول المنافقون للمؤمنين انظرونا نقتبس من نوركم اى انظرونا نصب منه حظا لانهم يسرع بهم الى الجنة ركبانا وهؤلاء مشاة فلا يدركونهم (قوله وقرأ حمزة انظرونا) اى بقطع الهمزة وكسر الظاء من الانظار بمعنى الامهال ضد التضييق والحمل على العجلة فيكون قولهم انظرونا كناية عن طلب التؤدة فى مشيهم يقال اتأد فى مشيه اذا مشى مشيا هو بنا على التؤدة والوقار والاتئاد افتعال من التؤده ولما ورد ان يقال الذى يطلبه المنافقون من المؤمنين ان يتئدوا فى مشيهم ولا يسرعوا فيه

لان يمهلوا المنافقين فما معنى قولهم انظرونا بفتح الهمزة اجاب عنه بان امهلونا كناية عما يستلزمه وهو اتئاد المؤمنين فى مشيهم و الظاهر ان قوله تعالى فضرب بينهم بسور معطوف على قوله قيل ارجعوا وراءكم ومتفرع عليه فان المؤمنين او الملائكة لما منعوا المنافقين عن اللحوق بهم والاستضاءة بانوار معارفهم و اعمالهم بقى المنافقون فى ظلمة نفاقهم وحرموا من اللحوق باصحاب الانوار و الاستضاءة بانوارهم كما يحرم الاعمى من الانتفاع بنور البصر فصاروا بذلك كانه ضرب بينهم و بين المؤمنين بسور حائل باطن ذلك السور وهو الذى يلى المؤمنين فيه الرحمة التى هى النور الذى يؤديهم الى الجنة وظاهره اى الذى يلى المنافقين من قبله العذاب اى عذاب الظلمة التى تؤدى الى السقوط فى حفر النيران فعلى هذا يكون قوله تعالى فضرب بينهم بسور من قبيل الاستعارة التمثيلية وقيل يضرب بين الجنة والنار حائط موصوف بما ذكر وهو حجاب الاعراف وقرئ فضرب على بناء الفاعل وهو البارئ تعالى او الملك الان الجمهور على بنائه للمفعول والقائم مقام الفاعل هو قوله بسور و الباء صلة والتقدير ضرب بينهم سور وقوله له باب جملة اسمية مجرورة المحل على انها صفة سور وقوله باطنه مبتدأ وقوله الرحمة مبتدأ ثان وفيه خبره والجملة خبر المبتدأ الاول والمبتدأ الاول مع خبره مرفوع المحل على انه صفة لباب وقوله ينادونهم مستأنف اى ينادى المنافقون المؤمنين قائلين الم نكن معكم فى الدنيا نصلى مثل ما تصلون ونقرأ مثل ما تقرأون ونفعل مثل ما تفعلون من الافعال الظاهرة فاجابهم المؤمنون بقولهم بلى ولكنكم فتنتم انفسكم اى اهلكتموها بالنفاق واصل الفتن الاحراق وغركم بالله اى بحلم الله تعالى وتأخيره العذاب عنكم والغرور بفتح الغين صفة مشبهة على وزن فعول كصبور وقرئ بضم الغين وهو مصدر بمعنى الاغترار و الفعل مسند الى مصدره مثل جد جده والفدية مايفتدى به مطلقا فيتناول الايمان والتوبة والمال فبسبب ماانتم عليه فى الدنيا ايها المنافقون لايقبل منكم يوم القيامة فداء لارتفاع وقت التكليف ومجئ يوم الجزاء وعطف الكافر على المنافق لما اوهم ان لايكون المنافق كافرا لوجوب المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه اشار الى دفعه بان الكافر مطلقا وان كان اعم من المنافق الاان المراد بالذين كفروا فى هذه الآية الكافر المجاهر اى المظهر لكفره وهو مباين للمنافق الذى يبطن الكفر (قوله كقول لبيد فغدت كلا الفرجين تحسب انه ✻ مولى المخافة خلفها وامامها

يصف بقرة وحشية اكل السبع ولدها فصارت متروعة وقيل بل نفرت من صوت الصائد وكلامه ولم تقف لتنظر أقاصدها خلفها ام امامها فغدت

(فاليوم لايؤخذ منكم فدية) فداء وقرأ ابن عامر ويعقوب بالتاء (ولا من الذين كفروا) ظاهرا وباطنا (مأواكم النار هى مولاكم) هى اولى بكم كقول لبيد فغدت كلا الفرجين تحسب انه ✻ مولى المخافة خلفها وامامها وحقيقته محراكم اى مكانكم الذى يقال فيه هو اولى بكم كقولك هو مئنة الكرم اى مكان قول القائل انه لكريم اومكانكم عما قريب من الولى وهو القرب او ناصركم على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع او متوليكم يتولاكم كما توليتم موجباتها فى الدنيا (وبئس المصير) النار

فزعة مذ عورة لاتعرف منجا ها من مهلكها والفرجان الجانبان وهما الخلف والقدام سميا فرجين لكون كل واحد منهما مفروجا مكشوفا على ان الفرج فعل بمعنى مفعول اى غدت من غلبة الخوف عليها بحيث تحسب ان كلا جانبيها وهما خلفها وقدامها مولى المخافة اى اولى موضع لان يكون فيه الخوف وقوله فغدت روى بالعين المهملة و بالغين المعجمة وقوله كلا الفرجين مبتدأ وتحسب مع ما فى حيزه خبره والضمير فى تحسب عائد الى اسم غدت والجملة خبر غدت والضمير فى انه للمبتدأ وهو كلا لانه مفرد اللفظ وان كان مثنى المعنى ومولى المخافة خبر ان وقوله خلفها وامامها اما بدل من كلا واما خبر مبتدأ محذوف اى هما خلفها وامامها فالمولى ههنا اسم لمكان يقال فيه هو اولى لكم وكذا المحرى اسم لمكان يقال فيه انه احرى بكم واجدر فهو مفعل من اولى كما ان مئنة مفعلة من ان التى للتأكيد والتحقيق غير مشتقة من لفظها لان الحروف لايشتق منها بل ربما تتضمن الكلمة حروفها دلالة على تحقق معناها فيها عن ابن مسعود رضى الله عنه قال ان طول الصلاة وقصر الخطبة مئنة الرجل المسلم اى ان هذا مما يعرف به فقه الرجل ومكان يقول القائل فيه انه عالم وانه فقيه ويجوز ان يكون مفعلا من الولى اى هى مكانكم عن قريب ويجوز ان يكون المعنى ناصركم لاناصر لكم غيرها والمراد نفى الناصر على طريقة قولهم تحية بينهم ضرب وجيع والمراد نفى التحية فيما بينهم قطعا ضرورة ان الضرب الوجيع ليس بتحية فيلزم ان لاتحية بينهم البتة ويجوز ان يكون مصدرا بمعنى الولاية بتقدير المضاف اى هى ذات ولايتكم بمعنى توليكم من قولهم ولى الوالى البلد وولى الرجل البيع ولاية فيهما (قوله والمايأن) اصلهما الم يأن زيدت عليها ما وادغم فصار ألما وكلمة لم نفى لقوله فعل وألما نفى لقوله قد فعل يقال انى يأنى انيا مثل رمى يرمى رميا وآن يئين اينا مثل باع يبيع بيعا وكلاهما بمعنى حان وجاء اناه اى وقته وحينه قال الشاعر

ألم يأن لى ان تجلى عمايتى * واقصر عن ليلى بلى قد انى ليا

فجمع بين اللغتين واختلف فيمن نزلت فيه هذه الآية فقال بعضهم نزلت فى المنافقين الذين اظهروا الايمان وفى قلوبهم النفاق المباين للخشوع وقال آخرون نزلت فى الذين آمنوا على الحقيقة فان المؤمن قد يكون له خشوع وخشية وقد لايكون له ذلك فلعل طائفة من المؤمنين ماكان فيهم مزيد خشوع ولارقة قلب فحثوا عليه بهذه الاية ويحتمل ان يكون قوم من المؤمنين كان فيهم مزيد خشوع ثم زال عنهم شدة ذلك الخشوع فحثوا على المعاودة اليها روى عن الاعمش انه قال ان الصحابة لما قدموا المدينة اصابوا لينا فى العيش ورفاهية

(ألم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله) ألم يأت وقته يقال انى الامر يأنى انيا واناء اذا جاء اناه وقرئ بكسر الهمزة وسكون النون من آن يئين بمعنى انى يأنى وألما يأن روى ان المؤمنين كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا اصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه فنزلت

(وما نزل من الحق) اي القرآن وهو عطف على الذكر عطف احد الوصفين على الآخر و يجوز ان يراد بالذكر ان يذكر الله وقرأ نافع و يعقوب وحفص

نزل بالتخفيف وقرئ انزل (ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل) عطف على تخشع وقرأ رويس بالتاء والمراد النهي عن مماثلة اهل الكتاب فيما حكي عنهم بقوله (فطال عليهم الامد فقست قلوبهم) اي فطال عليهم الزمان بطول اعمارهم وآمالهم اوما بينهم و بين انبيائهم فقست قلوبهم وقرئ الامد وهو الوقت الاطول (وكثير منهم فاسقون) خارجون عن دينهم رافضون لما في كتابهم من فرط القسوة (اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها) تمثيل لاحياء القلوب القاسية بالذكر والتلاوة اولاحياء الاموات ترغيبا في الخشوع و زجرا عن القساوة (قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون) كي تكمل عقولكم (ان المصدقين والمصدقات) ان المتصدقين والمتصدقات وقد قرئ بهما وقرأ ابن كثير وابو بكر بتخفيف الصاد اي الذين صدقوا الله ورسوله (واقرضوا الله قرضا حسنا) عطف على معنى الفعل في المحلى باللام لان معناه الذين اصدقوا او صدقوا

ففز واحن بعض ما كانوا عليه فهو تبوا بهذه الاية و عن ابي بكر رضي الله تعالى عنه ان هذه الآية قرئت بين يديه وعنده قوم من اهل اليمامة فبكوا بكاء شديدا فنظر اليهم فقال هكذا كنا حتى قست القلوب (قوله عطف احد الوصفين على الآخر) فان القرآن كما انه ذكر من الله تعالى وموعظة فهو ايضا حق نازل من السماء فيكون العطف هنا كما في قوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب والفرقان اي الجامع بين كونه كتابا منزلا وفرقانا يفرق بين الحق والباطل و يجوز ان يراد بالاول ذكر الله مطلقا و بالثاني القرآن كما في قوله تعالى اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا (قوله وقرأ نافع و يعقوب وحفص نزل بالتخفيف) على بناء الفاعل و باقي السبعة كذلك الا انهم شددوا الزاي وقرئ نزل مشددا مبنيا للمفعول و نزل مبنيا للفاعل وهو الله تعالى وقرأ الجمهور ولا يكونوا بياء الغيبة جريا على نسق ما قبله وقرئ بتاء الخطاب على الالتفات على ان تكون كلمة لا ناهية و يكون الفعل مجزوما وما بعدها وان تكون نافية و يكون الفعل منصوبا عطفا على تخشع كما في قراءة الغيبة (قوله اوما بينهم و بين انبيائهم) عطف على اعمارهم وقسوة القلب غلظته ويبسه وفي الآية اشارة الى ان عدم الخشوع في اول الامر يفضي الى قسوة القلب المؤدية الى الكفر نعوذ بالله من ذلك (قوله تمثيل لاحياء القلوب القاسية بالذكر) يعني ان قوله تعالى يحيي الارض بعد موتها استعارة تمثيلية والمعنى تلين القلوب بالذكر بعد قساوتها شبه احياء القلوب بالخشوع المسبب عن الذكر وتلاوة القرآن باحياء الارض الميتة بالغيث من حيث اشتمال كل واحد منهما على بلوغ الشيء الى كماله المتوقع بعد خلوه عنه ثم اطلق اسم المشبه به على المشبه ترغيبا في الخشوع المذكور فان التمثيل المذكور لتضمنه تشبيه قساوة القلب بموت الارض وتشبيه طريان خشوعها المتفرع على الذكر والتلاوة بحياة الارض الميتة ترغيب لامحالة في تحصيل الخشوع وترك القسوة فالآية تمثيل لاثر الذكر في القلوب بعد قسوتها و بيان انه يحييها كما يحيي الغيث الارض و يحتمل ان يكون تمثيلا لاحياء الاموات بان شبه احياؤها باحياء الارض الميتة فمن قدر على الثاني فهو قادر على الاول فحمله ان تخشع القلوب لذكره وما نزل من آياته وانما حمل على التمثيل لتوسط هذه الآية بما قبلها فان قوله ترغيبا يحمل الاية على التمثيل دون الحقيقة (قوله عطف على معنى الفعل في المحلى باللام) لا على

لفظ المحلي لان عطف الفعل على الاسم قبيح (قوله وهو على الاول) اي
على القرآءة بتشديد الصاد والدال وهو جواب عما يقال عطف قوله
واقرضوا على المصدقين بتشديد الصاد عطف الشيء على نفسه بحسب
الظاهر لان المراد بالاقراض هو التصدق والانفاق لاغير اجاب عنه بان
المعطوف تصدق خاص مقيد بكونه حسنا مقرونا بالاخلاص فغايرا وحسن
العطف وعلى قرآءة تشديد الدال فقط وجه العطف ظاهر لانه في معنى الذين آمنوا
وانفقوا (قوله معناه والقرآءة في يضاعف مامر) اي في سورة الفرقان
في تفسير قوله تعالى ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب قال فيه
يضاعف بدل من يلق لانه في معناه وقرأ ابو بكر بالرفع على الاستئناف
او على الحال وابن كثير ويعقوب يضعف بالجزم وابن عامر بالرفع فيهما
مع التشديد وحذف الالف في يضاعف وقرئ يضعف له العذاب ومضاعفة
العذاب لانضمام المعصية الى الكفر (قوله وهو مسند الى لهم) يعني
ان القائم مقام فاعل يضاعف اما الجار والمجرور بعده او ضمير التصدق او
التصديق على حذف المضاف اي يضاعف لهم ثواب التصديق (قوله
اي اولئك عند الله بمنزلة التصديقين) جواب عما يقال كيف حكم على كل من
آمن بالله ورسله بانه هو الصديق والشهيد مع ان الظاهر ان كل واحد
منهما اخص من المؤمن لان الصديق هو السابق الى التصديق والشهيد
من استشهد في سبيل الله اجاب عنه اولا بان قوله اولئك هم الصديقون
والشهدآء اي على سبيل التشبيه ثم بين تعالى وجه التشبيه بقوله لهم اجرهم
ونورهم اي لهم اجر مثل اجر الصديقين والشهدآء ولهم نور مثل نورهم
ولما ورد ان يقال كيف يسوى بينهم في الاجر ولابد من التفاوت اجاب عنه
بقوله لكنه من غير تضعيف يعني انه تعالى يعطي المؤمنين اجرهم ويضاعفه
لهم بفضله حتى يساوى اجرهم مع اضعافه اجر اولئك واجاب عنه ثانيا
بان المراد بالصديق والشهيد ليس المعنى المتعارف الذي ذكرته بل الصديق
صيغة المبالغة بمعنى كثير الصدق والشهيد من يشهد لله تعالى بالوحدانية
وباتصافه بجميع صفات العظمة والكبرياء وللرسل بقيامهم بمقتضى الرسالة
من الدعوة والتبليغ او من يشهد على الامم كما قال تعالى لتكونوا شهدآء على
الناس والمراد انهم عدول يوم القيامة تقبل شهادتهم للعباد وعليهم فيما
عملوه وكل مؤمن كذلك ثم نقل جوابا آخر وهو ان قوله تعالى والشهدآء عند
ربهم جملة اسمية والمراد بهم الانبياء او الذين استشهدوا في سبيل الله فلا

وهو على الاول الدلالة
على ان المعتبر هو التصدق
المقرون بالاخلاص
(يضاعف لهم ولهم
اجر كريم) معناه والقرآءة
في يضاعف مامر غير
انه لم يجزم لانه خبر ان
وهو مسند الى لهم
او الى ضمير المصدر
(والذين آمنوا بالله
ورسله اولئك هم
الصديقون والشهدآء
عند ربهم) اي اولئك
عند الله بمنزلة الصديقين
والشهدآء او هم المبالغون
في الصدق فانهم آمنوا
وصدقوا جميع اخبار
الله ورسله والقائمون
بالشهادة لله ولهم
او على الامم يوم القيامة
وقيل والشهدآء عند
ربهم مبتدأ وخبر والمراد
بهم الانبياء من قوله فكيف
اذا جئنا من كل امة
بشهيد او الذين
استشهدوا في سبيل الله

(لهم اجرهم ونورهم) لهم مثل اجر الصديقين والشهداء ومثل نورهم ولكن من غير تضعيف ليحصل التفاوت او الاجر والنور الموعود ان لهم (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم) فيه دليل على ان الخلود في النار مخصوص بالكفار من حيث ان التركيب يشعر بالاختصاص والصحبة تدل على الملازمة عرفا (اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد) لما ذكر حال الفريقين في الآخرة حقر امور الدنيا اعني ما يتوصل به الى الفوز ﴿ ٣٨٦ ﴾ الآجل بان بين انها امور خيالية قليلة النفع سريعة الزوال لانها لعب يتعب الناس فيه انفسهم جدا اتعاب الصبيان في الملاعب من غير فائدة ولهو يلهون به انفسهم عما يهمهم وزينة كالملابس الحسنة والمراكب البهية والمنازل الرفيعة وتفاخر بالانساب وتكاثر بالعدد والعدد ثم قرر ذلك بقوله (كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما) وهو تمثيل لها في سرعة تقضيها وقلة جدواها بحال نبات انبته الغيث فاستوى واعجب به الحراث او الكافرون بالله لانهم اشد اعجابا بزينة الدنيا ولان المؤمن اذا رأى معجبا انتقل فكره الى قدرة صانعه فاعجب بها والكافر لا يتخطى فكره عما احس به فيستغرق فيه اعجابا ثم هاج اى يبس بعاهة فاصفر ثم صار حطاما ثم عظم امور الآخرة (الى بقوله (وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان) تنفيرا عن الانهماك في الدنيا وحثا على ما يوجب كرامة العقبى ثم اكد ذلك بقوله (وما الحياة الدنيا الامتاع الغرور) اى لمن اقبل عليها ولم يطلب الآخرة بها (سابقوا) سارعوا مسارعة السابقين في المضمار (الى مغفرة من ربكم) الى موجباتها (وجنة عرضها كعرض السماء والارض) اى عرضها كعرضهما واذا كان العرض كذلك فاظنك بالطول

يلزم ان يكون كل مؤمن شهيدا (قوله او الاجر والنور الخ) اى ويجوز ان تكون الضمائر في قوله لهم اجرهم ونورهم راجعة الى قوله الذين آمنوا بالله ورسله ويكون المعنى لهم الاجر والنور الموعود ان لهم فلا حاجة حينئذ الى تقدير المثل ولا يرد ايضا ان يقال كيف يسوى بينهم في الاجر ولابد من التفاوت حتى يحتاج الى دفعه (قوله ثم قرر ذلك) فان محل الكاف في قوله كمثل اما النصب على انه حال من الضمير في لعب لانه بمعنى الوصف او من معنى ماذكر اى انها لعب تشبه غيثا او ثبت بهذه الصفات مشبهة غيثا واما الرفع على انه خبر بعد خبر للحياة او خبر لمبتدأ محذوف اى مثلها وصفتها العجيبة مثل صفة غيث ونبات الغيث ماينبت بسببه والمراد بالكفار ههنا اما الحراث لانهم يكفرون البذر اى يغطونه ويسترونه بتراب الارض واما الكفار بالله تعالى (قوله ثم يهيج) اى ييبس بعد زمان قريب يقال هاج النبت هيجا اى يبس (قوله ثم عظم امور الآخرة) معطوف على قوله حقر امور الدنيا (قوله تعالى في الآخرة) خبر مقدم ومابعده مبتدأ والجملة معطوفة على جملة قوله انما الحياة الدنيا لعب ولهو داخلة في حيز قوله اعلموا أخبر الله تعالى بعد بيان ان الحياة العاجلة لايتوصل بها الى الفوز ان في الآخرة عذابا شديدا او مغفرة منه ورضوانا وفيه اشارة الى سبق رحمة الله تعالى غضبه من حيث انه قابل العذاب بسبق المغفرة والرضوان الذى هو اعظم السعادات ولن يغلب عسر يسرين ثم اكد ماذكره من تحقير امور الدنيا بقوله وما الحياة الدنيا الامتاع الغرور وهو المتاع الذى يميل اليه الطبع اول ما رآه اغترارا بما لاح في ظاهره من جهة الحسن كالاوانى المتخذة من الزجاج والحلى المموه بماء الذهب فان اخذه احد اغترارا بما ظهر على ظاهره واراد ان ينتفع به يتسارع اليه الهلاك ويتبين انه زخرف لاقيمة له ولارواج فكذلك الدنيا في حق من آثرها لنفس ذاتها واراد ان يتمتع بها فان أفضل مافيها من النعيم هى الحياة فمن صرفها

الى متابعة الهوى والحظوظ العاجلة صارت بمنزلة اللعب الذى يفعله الصبيان فانهم يتعبون انفسهم فى ذلك غاية التعب ثم تنقضى تلك المتاعب عن قريب من غير فائدة و بمنزلة اللهو الذى يفعله الشبان فان من اشتغل به لايبقى له بعد انقضائه الا الحسرة والندامة بحيث يرى المال ذاهبا والعمر سائبا واللذة منقضية والنفس ازدادت شوقا وتعطشا اليها مع فقدانهما فيتوالى عليه حسرات متضاعفة ومضار مجتمعة عن سعيد بن جبير قال الدنيا متاع الغرور اذا ألهتك عن طلب الآخرة واذا دعتك الى طلب رضوان الله وسعادة الآخرة فنعم المتاع ونعمة الوسيلة ثم انه تعالى لما حقر الدنيا وصغر امرها وعظم الآخرة وفخم شأنها حث على المسارعة الى نيل ما وعد فيها من المغفرة المنجية من العذاب الشديد والفوز بدخول الجنة وحسن المآب فقال سابقوا والمراد بالمسابقة المسارعة اللازمة لها لان موجبات المغفرة لايسابق اليها حقيقة والمضمار ما يضمر فيه الخيل وتضمير الفرس بان تعلفه حتى يسمن ثم ترده الى القوت وذلك يكون فى اربعين يوما وهذه المدة تسمى مضمارا ويسمى به الموضع الذى يضمر فيه الخيل ايضا (قوله وقيل المراد به البسطة) اى لا العرض الذى هو فى مقابلة الطول فيتناول الطول والعرض جميعا (قوله فيه دليل على ان الجنة مخلوقة) لان ما لم يخلق بعد لايوصف بانه اعد وهيئ (قوله وان الايمان وحده كاف فى استحقاقه) اذ ذكر ان الجنة اعدت لمن آمن ولم يذكر مع الايمان شيئا آخر وقالت المعتزلة هذه الآية لايمكن اجراؤها على ظاهرها لوجهين الاول ان قوله تعالى اكلها دائم وظلها يدل على ان من صفتها بعد وجودها ان لاتفنى لكنها لو كانت موجودة الآن لفنيت بدليل قوله تعالى كل شئ هالك الا وجهه والثانى انها لو كانت موجودة الآن لكانت فى احدى السموات السبع وما كان فى واحدة منها كيف يجوز ان يكون عرضه كعرض السموات والارض فثبت بهذين الوجهين انه لابد من التأويل وذلك بان يقال انه تعالى لما كان قادرا لايعجز عن شئ وحكيما لايصح الخلف فى وعده وقد وعد بالجنة لكل من آمن واطاع كانت الجنة كالمعدة المهيئة لهم بناء على ان كل ما سيقع قطعا كالواقع بالفعل كما يقول الرجل لصاحبه اعددت لك كذا اذا عزم عليه وان لم يحضره بعد والجواب ان قوله كل شئ هالك عام وقوله اعدت للمتقين مع قوله اكلها دائم خاص واذا وقع التعارض بين الخاص والعام فالخاص يخصص العام مطلقا اى سواء علم تاريخ نزولهما وانهما نزل اولا اولم يعلم هذا عند الشافعية وذهبت الحنفية الى ان المتأخر فى النزول عاما كان او خاصا ناسخ للمتقدم اذا علم تاريخ نزولهما ولايحملون العام على الخاص مطلقا كما ذهب اليه الشافعية واما

وقيل المراد به البسطة كقوله فذو دعاء عريض (اعدت للذين آمنوا بالله ورسله) فيه دليل على ان الجنة مخلوقة وان الايمان وحده كاف فى استحقاقه (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) ذلك الموعود يتفضل به الله على من يشاء من غير ايجاب (والله ذو الفضل العظيم) فلا يبعد منه التفضل بذلك وان عظم قدره

قولهم ان الجنة لو كانت مخلوقة الآن لكانت فى احدى السموات ومايكون فى واحدة منهما لايكون عرضه كعرض كل السموات والارض فالجواب عنه انها مخلوقة الآن فوق السماء السابعة كما قال عليه الصلاة والسلام سقف الجنة عرش الرحمن ولابعد فى كون المخلوق فوق الشئ اعظم منه الاترى ان العرش اعظم المخلوقات مع انه فوق السماء السابعة (قوله تعالى ما اصاب من مصيبة الآية) وان كان حثا على مكارم الاخلاق من الصبر على الضراء والشكر على السراء ونهيا عن الرذيلتين اللتين هما الفرح بالنعمة بحيث يؤدى الى الاشر والبطر والخروج عن حد الشكر والحزن على مافات منها حزنا مطغيا مخرجا عن حد الصبر والرضى بالقضاء الا ان المقصود الاهم منه الحث على الجهاد كما هو المقصود بما سبق من قوله تعالى ومالكم ان لاتنفقوا فى سبيل الله وقوله لايستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل الى آخر الآيات ونقل عن الزجاج انه قال انه تعالى لما قال سابقوا الى مغفرة بين ان المؤدى الى الجنة او النار مما صدر من بنى آدم لايكون الا بقضاء الله وقدره فان جميع الموجودات مبتة فى اللوح المحفوظ اجمالا ثم انه تعالى يفصل قضاءه السابق بايجادها الى المواد الخارجية واحدا بعد واحد فالاول هو المسمى بالقضاء والثانى هو المسمى بالقدر قال الامام انه تعالى لم يقل ان جميع الحوادث مكتوبة فى الكتاب لان حركات اهل الجنة والنار غير متناهية واثباتها فى الكتاب محال وخص من الحوادث مايتعلق بالارض وبالانس ولم يدخل فيها احوال السموات ومايتعلق بها مما يكون من قبيل المصائب ولم يذكر السعادات الارضية والانسية وفى كل ذلك اشارات واسرار وهذه الآية دالة على ان جميع الحوادث الارضية قبل دخولها فى الوجود مكتوبة فى اللوح المحفوظ قال المتكلمون انما كتب كل ذلك لتستدل الملائكة بذلك على كونه تعالى عالما بجميع الاشياء قبل وقوعها لان اثباتها فيه فرع علمه بها وليعرفوا بذلك انه حكيم فانه تعالى لما خلقهم ورزقهم مع علمه بما يقدمون عليه من المعاصى علم منه انه لم يفعل ذلك الا لحكمة (قوله اى اثبت وكتب لئلا تحزنوا) يعنى ان اللام فى قوله لكيلا متعلقة بما يدل عليه قوله الا فى كتاب (قوله ايعادل مافاتكم) فان آتاكم ذكر فى مقابلة فاتكم والفعل فى قوله فاتكم للفائت فينبغى ان يكون فى مقابله ايضا للآتى لا المؤتى ووجه من قرأ آتاكم بالمد ماذكره المصنف من الاشعار بان حصول نعم الدنيا وبقاءها لابد له من سبب بخلاف فواتها وقوله وقرأ ابو عمرو بما اتاكم اى مقصورا من الاتيان اى بما جاءكم قال ابو على الفارسى لان اتاكم معادل لقوله فاتكم الفائت فكذا ينبغى ان يكون فى مقابله الآتى فى قوله بما اتاكم وقرأ

(ما اصاب من مصيبة فى الارض) كجدب وعاهة (ولا فى انفسكم) كمرض وآفة (الا فى كتاب) الا مكتوبة فى اللوح مثبتة فى علم الله تعالى (من قبل ان نبرأها) نخلقها والضمير للمصيبة او للارض او للانفس (ان ذلك) ان ثبته فى كتاب (على الله يسير) لاستغنائه فيه عن العدة والمدة (لكيلا تأسوا) اى اثبت وكتب لئلا تحزنوا (على مافاتكم) من نعيم الدنيا (ولاتفرحوا بما آتاكم) بما اعطاكم الله منها فان من علم ان الكل مقدر هان عليه الامر وقرأ ابو عمرو بما أتاكم من الاتيان ليعادل مافاتكم وعلى الاول فيه اشعار بان فواتها لحقها اذا خليت وطبعها وما حصولها وبقاؤها فلابد لهما من سبب يوجدها ويبقيها

باقى السبعة لما آتاكم ممدودا من الايتاء اى بما اعطاكم اياه ووجه هذه القراءة اى القراءة الممدودة التى بمعنى الاعطاء من الايتاء مافيها من الاشعار الذى ذكره المصنف حيث قال وعلى الاول فيه اشعار بان فواتها يلحقها الخ (قوله والمراد به) اى بقوله لكى لاتأسوا ولاتفرحوا اى ليس المراد به نفى الاسى والفرح على الاطلاق فانه مامن احد الاوهو يفرح بنعمة الله تعالى و يحزن على فواتها وليس مجرد الفرح والحزن بمذموم وانما المذموم منهما مايؤدى الى مالايجوز من البطر والاختيال والافتخار بالزخارف الفانية على الناس والتنظر اليهم بعين الاحتقار ومن عدم الرضى بالقضاء والتسليم لامر الله واستشهد على ان المراد ذلك بقوله تعالى والله لايحب كل مختال اى فرح يخرجه فرحه عن حد الشكر الى الخيلاء والبطر فخور بما اوتى من النعم على الناس قيل لبزرجمهر ايها الحكيم مالك لا تحزن على مافات ولاتفرح بماهو آت قال لان الفائت لايتلافى بالعبرة والآتى لايستدام بالحبرة و يؤيد هذا المعنى قوله عليه الصلاة والسلام من عرف سر الله فى القدر هانت عليه المصائب وكيف لايهون عليه ذلك وقد علم ان وقوع كل ماوقع واجب وعدم كل مالم يقع واجب ايضا من حيث انه تعالى علم كل ممكن على الوجه الذى يكون عليه من الوقوع وعدم الوقوع واثبته كذلك فى اللوح المحفوظ فلو لم يكن على الوجه الذى تعلق به العلم والقضاء الازلى لانقلب العلم جهلا فمن علم ان الامر كذلك هانت عليه المحن والمصائب ولايشتد فرحه بحدوث المآرب حيث علم ان الامر منوط بمجرد المشيئة الالهية فان شاء ابقاها وان شاء سلبها (قوله فان المختال بالمال يضن به غالبا) علة لكونه بدلا من كل مختال على معنى لايحب الذين يبخلون فان من فرح بالمال فرحا مطغيا واختال وافتخر به على الناس فانما يفعله لحبه اياه وعزته عنده فالغالب عليه ان يبخل به عن الصرف الى حقوق الله تعالى (قوله خبر محذوف) وتقدير الكلام الذين يبخلون فالله غنى عنهم (قوله وقرأ نافع وابن عامر فان الله الغنى) اى باسقاط لفظ هو لسقوطه فى مصاحف المدينة والشام وقرأ الباقون باثباته لثبوته فى مصاحفهم فاتبع كل فريق امامه من المصاحف ثم انه تعالى لما حث على المسارعة الى مايوجب المغفرة والجنة ولم يفصل ان موجباتها ماهى قال ولقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان اى ليتم بهما مصالح الدين والدنيا فمن اتبع كتاب الله فى باب العقائد والاخلاق واعمال الجوارح واستعمل الميزان فى معاملة الخلق فقد سارع الى مايوجب المغفرة والجنة (قوله اى الملائكة) قدم هذا الاحتمال لان قوله وانزلنا معهم الكتاب والميزان يدل على ان الرسل منزلون وانهم يصحبون الكتاب حال النزول والانبياء ليسوا

والمراد به نفى الاسى المانع عن التسليم لامر الله تعالى والفرح الموجب للبطر والاختيال ولذلك عقبه بقوله (والله لايحب كل مختال فخور) اذ قل من يثبت نفسه حالى السراء والضراء (الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل) بدل من كل مختال فان المختال بالمال يضن به غالبا او مبتدأ خبر محذوف مدلول عليه بقوله (ومن يتول فان الله هو الغنى الحميد) لان معناه ومن يعرض عن الانفاق فان الله غنى عنه وعن انفاقه محمود فى ذاته لايضره الاعراض عن شكره ولاينتفع بالتقرب اليه بشئ من نعمه وفيه تهديد واشعار بان الامر بالانفاق لمصلحة المنفق وقرأ نافع وابن عامر فان الله الغنى (لقد ارسلنا رسلنا) اى الملائكة الى الانبياء او الانبياء الى الامم (بالبينات) بالحجج والمعجزات (وانزلنا معهم الكتاب) ليبين الحق ويميز صواب العمل (والميزان) ليسوى به الحقوق ويقام به العدل كما قال

بمنزلين فضلا عن ان ينزل معهم الكتاب وان اريد بالرسل الانبياء يكون معه
حالا مقدرة من الكتاب اى انزلناه صائرا معهم (قوله تعالى ليقوم) متعلق
بانزلنا والقسط العدل اى انزلناهما ليحقق الناس ما امروا به من العدل باتباع
الكتاب واستعمال الميزان فينتظم به امر دينهم ودنياهم بسلوك الصراط
المستقيم الموصل الى المغفرة والرضوان ودرجات الجنات (قوله وانزال
انزال اسبابه) يعنى ان الميزان بمعنى ما يوزن به ليس بمنزل من السماء بل هو
مصنوعات البشر فالمراد بانزاله انزال اسبابه وقيل الانزال ههنا بمعنى الانشاء
والهيئة كما فى قوله تعالى وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وقيل هو من
علفتها تبنا وماء باردا وتقدير الكلام انزلنا الكتاب ووضعنا الميزان ويدل
صحة هذا التوجيه قوله تعالى والسماء رفعها ووضع الميزان والمراد بوضع
الامر باستعماله وروى ان جبريل عليه السلام نزل بالميزان فدفعه الى نوح
عليه السلام وقال مر قومك يزنوا به وقيل المراد بالميزان العدل وبانزاله ا
الامر به (قوله تعالى فيه بأس شديد) جملة حالية من الحديد قيل معناه
من خشية القتل خوف شديد وقال محيى السنة فيه قوة شديدة فى الحرب وفى الص
البأس العذاب والبأس الشدة فى الحرب قال مجاهد فيه جنة وسلاح والمعنى
متخذ منه آلتان للحرب آلة الدفع وآلة الضرب قال اهل المعانى معنى انزلنا الحد
احدثناه وانشأناه كما فى قوله وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وقوله وانزا
عليكم لباسا وذلك ان اوامر الله تعالى واحكامه تنزل من السماء وروى انه ع
الصلاة والسلام قال ان الله عز وجل انزل اربع بركات من السماء الى الار
انزل النار والحديد والماء والملح وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنه قال
آدم من الجنة ومعه خمسة اشياء من الحديد السندان والكلبتان والميقعة والمطر
والابرة السندان يروى بفتح السين وكسرها يقال له بالتركى اورس والكلب
آلة يؤخذ بها الحديد المحمى والميقعة المبرد وهو ما يحد به الحديد والمطرقة
يضرب بها الحدادون الحديد المحمى يقال له بالتركى جكوج فعلى هذا الا
على حقيقته وقوله تعالى وانزلنا الحديد فيه بأس شديد بعد قوله وانزلنا مع
الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط اشارة الى ان تمشية قوانين الكتا
واستعمال ما يوزن به يتوقفان على وال صاحب سيف يقيم به امر السيا
ويقهر به من يجاوز القسط وتعدى وظلم فان الظلم من شيم النفوس والام
والسيف حجة الله تعالى على من تعدى وظلم ثم قال ومنافع للناس اشارة الى
القيام بالقسط كما يحتاج الى القائم بالسيف يحتاج ايضا الى ما يتوقف عليه التعا
من الصنائع والآلات المحترفة (قوله والعطف على محذوف) يعنى ان قوله

(ليقوم الناس بالقسط) وانزاله انزال اسبابه والامر باعداده وقيل انزل الميزان الى نوح عليه السلام ويجوز ان يراد به العدل ليقام به السياسة ويدفع به الاعداء كما قال (وانزلنا الحديد فيه بأس شديد) فان آلات الحروب متخذة منه (ومنافع للناس) اذ ما من صنعة الا والحديد آلتها (ليعلم الله من ينصره ورسله) باستعمال الاسلحة فى مجاهدة الكفار والعطف على محذوف دل عليه ما قبله فانه حال يتضمن تعليلا او اللام صلة لمحذوف اى انزله ليعلم الله

(وليعلم)

لا يفتقر الى نصره وانما امرهم بالجهاد لينتفعوا به ويستوجبوا ثواب الامتثال فيه (ولقد ارسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب) بان استنبأناهم واوحينا اليهم الكتب وقيل المراد بالكتاب الخط (فمنهم مهتد) فمن الذرية او من المرسل اليهم وقد دل عليهم ارسلنا (وكثير منهم فاسقون) خارجون عن الطريق المستقيم والعدول عن سنن المقابلة للمبالغة في الذم والدلالة على ان الغلبة للضلال (ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى بن مريم) اى ارسلنا رسولا بعد رسول حتى انتهى الى عيسى والضمير لنوح وابراهيم ومن ارسلا اليهم او من عاصرهما من الرسل لا للذرية فان الرسل المقفى بهم من الذرية (وآتيناه الانجيل) وقرئ بفتح الهمزة وامره اهون من امر البرطيل لانه اعجمى (وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة) وقرئ رآفة على فعالة

وليعلم الله معطوف على علة محذوفة يدل عليها قوله تعالى فيه بأس شديد ومنافع للناس فانه حال فيه معنى التعليل اى ليقاتلوا و ينتفعوا به وليعلم الله حذف ماحذف اعتمادا على قيام مايدل عليه والدلالة على ان المقصود الاصلى من انزال الحديد هو المذكور فعلى هذا تكون اللام متعلقة بقوله وانزلنا الحديد و يحتمل ان تكون متعلقة بمحذوف معطوف على انزلنا (قوله بالغيب حال من المستكن في ينصره) اى ينصر دين الله ورسله وهو لم ير الله تعالى ولا احكام الآخرة ولا احدا من رسله فان المعتبر في الطاعة ماوقعت حال الغيبة عن المطاع على ان يكون المراد بالغيب الغيبة عن التصور و يجوز ان يكون المراد بها الغيبة عن الناس اى ينصر دين الله و ينصر رسله باستعمال السيوف والرماح وسائر السلاح مجاهدة لاعلاء الدين بالغيب اى ملتبسا بالغيبة عمن يراه من الناس اى يفعل مافعله عن اخلاص لا كالمنافق الذى يفعل اذا رآه الناس ولا يفعل اذا غاب عنهم واحتج من قال بحدوث علم الله تعالى بقوله وليعلم الله ونحن نقول المعنى ليعلم الله من ينصر دينه ورسله موجودا فيستحق الثواب بقيامه بالقسط كما علم في الازل بانه سيوجد ثم انه تعالى لما اجمل ذكر الرسل المتلبسين بالبينات وبين انه انزل معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالعدل وانزل الحديد ذا البأس الشديد يستعين به الخلق في نصرة الدين وتقوية المرسلين فصل ههنا ما اجمله من ارسال الرسل بالكتب فقال ولقد ارسلنا نوحا وابراهيم وقدم قوله في ذريتهما وهو ثانى مفعولى جعلنا بمعنى صيرنا ليفيد الاختصاص فانه ماجاء بعدهما احد بالنبوة الا كان من اولادهما (قوله بان استنبأناهم) اى استنبأنا بعضا من ذريتهما لان جعل الذر يةظرفا للنبوة يدل على كونها في بعض منهم والكتاب هو الوحى المتلو الذى من شأنه ان يكتب وقيل هو مصدر بمعنى الكتابة يقال كتبت كتابا وكتابة وهو الخط بالقلم والفاء في قوله فمنهم التعقيب في الذكر لان تفصيل المجمل حقه ان يذكر بعد ذكر الاجمال وعدل عن سنن المقابلة حيث لم يقل ومنهم فاسق لما ذكره من الامرين (قوله تعالى ثم قفينا على آثارهم برسلنا) اى اتبعنا على آثار الذرية وقيل على آثار نوح وابراهيم ومن ارسلا اليهم المدلول عليه بقوله ارسلنا (قوله او من عاصرهما) معطوف على قوله من ارسلا اليهم احتاج الى ان يعتبر معهما من ارسلا اليهم او من عاصرهما لاقتضاء ضمير الجمع في قوله على آثارهم ذلك برسلنا موسى والياس وداود وسليمان و يونس وغيرهم وعيسى من ذرية ابراهيم من جهة الام كما انه من ذرية نوح ايضا يقال قفوت اثره اقفوه قفوا اى اتبعته وقفيت على اثره بفلان اى اتبعته اياه (قوله وامره اهون) اى امر فتح همزة انجيل اهون من فتح باء برطيل لان انجيل لفظ اعجمى فلا محذور في كونه مخالفا لاوزان العرب

بخلاف برطيل فانه لفظ عربي فبفتح الباء فيه صار بحيث لم يوجد له نظير في الاوزان العربية فكان شاذا بخلاف ما لو كسر الباء فيه فان له نظائر كثيرة في الالفاظ العربية كالقنديل والاحليل والابريق والاكسير والبرطيل حجر مستطيل يدخل في الحلق لاجل التداوي به شبهت الرشوة به فسميت برطيلا على طريق الاستعارة واللغة الشائعة برطيل بكسر الباء ويستعمل بفتح الباء ايضا بطريق الشذوذ والمراد بمن اتبع عيسى على دينه الحواريون واتباعهم قيل الرأفة اللين والرحمة الشفقة والمراد بهما في الاية المودة فكان بعضهم يود بعضا كما وصف الله تعالى هذه الامة بقوله رحماء بينهم (قوله اي وابتدعوا رهبانية) على ان يكون انتصاب رهبانية على انه من قبيل ما اضمر عامله على شريطة التفسير (قوله او رهبانية مبتدعة) على ان تكون معطوفة على قوله رأفة ورحمة مجعولة له تعالى ويكون ابتدعوها صفة لرهبانية وجعل اما بمعنى خلق او بمعنى صير ويرد على هذا ان يقال كيف تكون الرهبانية حاصلة لهم بجعل الله تعالى ومبتدعة لهم حاصلة من جهتهم وهما متنافيان بحسب الظاهر والجواب عنه منع التنافي بناء على ان الرهبانية وهي الفعلات المنسوبة الى الرهبان كتكثير العبادات وترك العادات ولزوم الخلوات من الافعال التي يكون لقدرة الانسان واكتسابه مدخل فيها بخلاف الرأفة والرحمة فانهما من الامور الغريزية فلا مدخل لكسب الانسان فيهما فصح توصيف الكل بكونها مجعولة مخلوقة له تعالى وتوصيف ما يكون بكسب الانسان واختياره بانه مبتدع له فان جميع الافعال الاختيارية منسوبة اليه تعالى بالخلق والايجاد والى العبد بالكسب والاختيار ويرد على الاعراب الاول ان يقال كيف يجوز ان تكون رهبانية منصوبة بابتدعوا المقدر المفسر بالظاهر مع ان جعل الرهبانية مبتدعة منهم في مقابلة كون الرأفة والرحمة مجعولتين لله تعالى يدل على ان الرهبانية فعل العبد بحيث يستقل العبد بفعلها وهو مذهب اهل الاعتزال والجواب عنه ما مر من ان اسناد ابتداعها اليهم لايستلزم استقلال قدرتهم بها كما هو مذهب المعتزلة فلا محذور والرهبان بفتح الراء صفة مشبهة كالعطشان ابلغ من الراهب بمعنى الخائف يقال رهب بكسر الهاء يرهب بفتحها رهبة ورهبا بالضم ورهبانا بالفتحات الثلاث اي خاف فهو راهب ورهبان والرهبانية الفعلة المنسوبة الى الرهبان للمبالغة في العبادة (قوله كانها منسوبة الى الرهبان) بضم الراء لم يجعلها منسوبة حقيقة بل جعلها مصدرا كالرهبانية لانه لاينسب الى الجمع وهو باق على صيغته بل يرد الجمع الى واحده فينسب اليه فيقال في النسبة

(وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا) اي وابتدعوا رهبانية ابتدعوها او رهبانية مبتدعة على انها من المجعولات وهي المبالغة في العبادة والرياضة والانقطاع عن الناس منسوبة الى الرهبان وهو المبالغ في الخوف من رهب كالخشيان من خشي وقرئت بالضم كانها منسوبة الى الرهبان وهو جمع الراهب كراكب وركبان (مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ) ما فرضناها عليهم

الى المساجد مثلا مسجدى ولايقال مساجدى نعم قديكون لفظ الجمع لكونه اسما لطائفة مخصوصة بمنزلة العلم لها وان كان جمعا فى نفسه فينسب اليه وهو باق على صيغته فيقال فى النسبة الى الانصار والاعراب والفرائض انصارى واعرابى وفرائضى قيل فى وجه ابتداع النصارى الرهبانية واخذها من عند انفسهم ان الجبابرة ظهروا على المؤمنين بعد موت عيسى عليه الصلاة والسلام فقاتلوهم ثلاث مرات فقتلوا حتى لم يبق منهم الا القليل فقالوا لانقاتلهم مرة اخرى والا افنونا و لم يبق للدين احد يدعو اليه فتعالوا حتى نتفرق فى الارض ونتجرد فيها للعبادة فاختاروا الرهبانية فارين من الفتنة فى الدين مخلصين انفسهم للعبادة وحملوا المشاق على انفسهم بالامتناع عن المطعم والمشرب والنكاح والتعبد فى الجبال والغيران والكهوف والديارات والصوامع عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه قال ان فى ايام الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام غير الملوك التوراة والانجيل وساح قوم فى الارض متعبدين (قوله استثناء منقطع) لان المستثنى هو الابتداع المقارن بالابتغاء ووجه الانفصال كون الكتبة بمعنى الاستعباد والتذليل المتناول للايجاب والندب اوكون الابتغاء مستثنى من اعم العلل كأنه قيل ما تعبدناهم بالرهبانية لشئ من الاشياء واعتبر معه كون الكتبة متناولا للايجاب والندب ليصح حصر العلة فى الابتغاء فان كتبنا لو كان بمعنى فرضنا لما صح الحصر لان من فعل الواجب لايفعله لمجرد ابتغاء الرضوان بل يفعله لدفع العقاب المترتب على تركه ايضا وبهذا التوجيه وان صح الانصال والحصر الا انه بقى ان يقال كون الرهبانية مندوبة لهم من قبله تعالى ينافى ابتداعهم اياها فاجيب عنه اولا بجواز ان يكون الندب بعد الابتداع وثانيا بجواز ان يكونوا ندبوا اليها من اول الامر و ان يكون معنى الابتداع الانتداب اليها او لا (قوله وقيل متصل) اى قيل انه استثناء متصل مما هو مفعول لاجله والمعنى ماكلفناهم بها وماطلبنا منهم ان يفعلوها بشئ مامن الاشياء من دفع العقاب عنهم وحصول الثواب والرضوان لهم الا لابتغاء رضوان الله فصار المعنى كتبناها عليهم وامرناهم بها ابتغاء مرضاة الله وهذا قول مجاهد وقوله وهو اى كونها مكتوبة عليهم ندبا وابتغاء لمرضاة الله يخالف قوله تعالى ابتدعوها لانه يفهم منه انهم اخترعوها من تلقاء انفسهم وانها لم تكتب الا ان يقال لاتنافى بين كونها مكتوبة عليهم و بين اختراعهم اياها من تلقاء انفسهم لان التنافى انمايكون ان لو كانت الكتبة مقدمة على الاختراع وليس بلازم وقوله او ابتدعوها واتوا بها اولا اى قبل سائر الناس والحديث ضد القديم واستحدثوها اى

(الا ابتغاء رضوان الله) استثناء منقطع اى ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله وقيل متصل فان ماكتبناها عليهم بمعنى ما تعبدناهم بها وهو كما ينفى الايجاب المقصود منه دفع العقاب ينفى الندب المقصود منه مجرد حصول مرضاة الله وهو يخالف قوله ابتدعوها الا ان يقال ابتدعوها ثم ندبوا اليها او ابتدعوها بمعنى استحدثوها واتوا بها اولا لا انهم اخترعوها من تلقاء انفسهم

فعلوها حدثا جديدا لم يسبقهم سابق الناس فيها والابتداع بهذا المعنى لاينافي كونها مكتوبة عليهم واتيانهم بها بعد الكتبة والابتداع بناء عليها (قوله فما رعوها جميعا) جعل الضمير المرفوع في قوله فما رعوها للذين اتبعوه مقيدين بقيد الجمع لان بعضهم قد رعاها بدليل قوله فآتينا الذين آمنوا فان معناه آتينا الذين رعوها حق رعايتها و ثبتوا على ما التزموه و لم يضيعوا شيأ من حقوقها التي من جملتها الايمان بنبي آخر الزمان صلى الله تعالى عليه وسلم لقوله عليه الصلاة والسلام من آمن بي وصدقني واتبعني فقد رعاها حق رعايتها ومن لم يؤمن بي فاولئك هم الهالكون وحق رعايتها منصوب على انه مفعول مطلق لقوله فما رعوها كقولك ما عرفتك حق معرفتك اى كمال معرفتك وفي الآية دليل على ان من شرع في فعل لم يكتب عليه من وجوه العبادات لزم عليه اتمامه ورعايته وان شرع فيما ليس عليه حتى لزمه ثم تركه استحق اسم الفسق والوعيد روى عن ابي امامة الباهلي انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم احدثتم قيام رمضان ولم يكتب عليكم قيامه وانما كتب عليكم صيامه فدوموا على القيام اذا فعلتموه ولاتتركوه فان ناسا من بني اسرائيل ابتدعوا بدعا لم يكتبها الله عليهم ابتغوا بها رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فعابهم الله تعالى بتركها فقال ورهبانية ابتدعوها الآية ثم انه تعالى لما قال في الآية المتقدمة فآتينا الذين آمنوا منهم اجرهم وهو وعد لمن آمن من قوم عيسى عليه الصلاة والسلام ايمانا صحيحا باعطاء الاجر اللائق الا انه عبر عنه بلفظ آتينا بناء على تحقق وقوعه ولم يبين مقدار ذلك الاجر خاطب عقيبها جميع من آمن بالرسل المتقدمة من اليهود والنصارى فامرهم بتقوى الله والايمان بسيد المرسلين وعليهم عليه الصلاة والسلام ووعدهم ايتاء كفلين من رحمته بمقابلة ايمانهم به و بمن قبله فقال يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله الآية بين به ان الاجر الموعود لمن آمن به من قوم عيسى غير مختص بهم بل يعم جميع اقوام الرسل المتقدمة بشرط ان آمنوا بسيد المرسلين عليهم وعليه الصلاة والسلام و بين ايضا ان الاجر الموعود كفلان ولما ورد ان يقال هذا معقول في حق من آمن بعيسى وراعى دينه الى ان امن نبينا عليهما الصلاة والسلام لانه قد استمر على الدين الحق الى ان نسخ وبين عنده حقية الدين الناسخ وحين تبين له ذلك اتبع الحق الثاني فاستحق بذلك لان يعطى كفلين من الرحمة بخلاف اليهود فان اليهودية قد انتسخت ببعثة عيسى عليه الصلاة والسلام فليس [illegible] الدين على الدين الحق حتى آمنوا [illegible] صلى الله تعالى عليه وسلم فكيف يساوون على دينهم السابق احداً عنا بقوله ولا يبعد

(فما رعوها) فما رعوها جميعا (حق رعايتها) بضم التثليث والقول بالاتحاد و قصد السمعة و الكفر بمحمد عليه الصلاة والسلام ونحوها اليه (فآتينا الذين آمنوا) اتوا بالايمان الصحيح وحافظوا حقوقه ومن ذلك الايمان بمحمد عليه الصلاة والسلام (منهم) من المتسمين باتباعه (اجرهم وكثير منهم فاسقون) خارجون عن حال الاتباع (يا ايها الذين آمنوا) بالرسل المتقدمة (اتقوا الله) فيما نهاكم عنه (وآمنوا برسوله) محمد عليه الصلاة والسلام (يؤتكم كفلين) نصيبين (من رحمته) لايمانكم بمحمد عليه الصلاة والسلام و ايمانكم بمن قبله ولايبعد ان يثابوا على دينهم السابق وان كان منسوخا ببركة الاسلام و قيل الخطاب للنصارى الذين كانوا في عصره

الخ ولم يرض المصنف بقول من قال الخطاب للنصارى الذين كانوا فى عصره عليه الصلاة والسلام لما ثبت ان قوله تعالى او لئك يؤتون اجرهم مرتين نزل فيمن آمن بنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم من اليهود كعبدالله بن سلام واضرابه فانهم لم يؤمنوا بعيسى الى ان جاء الاسلام وقد ضوعف اجرهم (قوله يريد المذكور فى قوله يسعى نورهم) وهو نور الذى يمشون به فى الآخرة على الصراط الى ان يصلوا الى الجنة وهذا النور هو علامة المؤمنين يوم القيامة يبرزلهم من صحائف اعمالهم وقيل المراد به الهدى والبيان الذى يتبعه المؤمن و يسلك به سلوكا معنويا الى جناب القدس وهو سبيل واضح يؤدى سالكه الى مرضاة الرحمن (قوله ولا مزيدة) فانها تزاد كثيرا كما فى قوله تعالى ما منعك ان لا تسجد واللام فى قوله تعالى لئلا يعلم متعلقة بمعنى الجملة الطلبية المتضمنة لمعنى الشرط اذا لتقدير ان تتقوا الله وتؤمنوا برسوله يؤتكم كذا وكذا ليعلم اهل الكتاب الذين ادركوا عصره عليه الصلاة والسلام ولم يؤمنوا به ان الشان لا يقدرون اى ليعلموا عدم قدرتهم على شئ مما ذكر من فضله وهما الكفلان من رحمته والنور والمغفرة وعلموا ان الفضل بيدالله يتفضل به على من يشاء من عباده فيؤتى المؤمنين منهم اجرين ونورا ومغفرة (قوله وهو مشروط بالايمان به) لان قوله تعالى يؤتكم كفلين مجزوم على انه جواب الامر وقد تقرر ان المضارع انما يجزم بعد الامر لتضمن الامر معنى الشرط وكون المضارع المجزوم فى موضع الجزاء له ومتوقفا على حصوله وذلك لان الفعل المطلوب بصيغة الامر قد يكون مطلوبا لنفسه فلا يجزم بعده الفعل وقد يكون مطلوبا لغيره فيذكر ذلك الغير بعده مجزوما لكونه فى معنى الجزاء لما قبله ومعنى كون الفعل المطلوب بصيغة الامر مطلوبا لغيره كون ذلك الغير متوقفا على حصوله وتوقف غيره عليه هو معنى كونه شرطا له روى ان اهل الكتاب وهم بنوا اسرائيل كانوا يفضلون انفسهم على سائر اهل الاديان بسبب كونهم اهل الكتاب ويقولون الوحى والرسالة فينا والكتاب والشرع ليس الا لنا وانه تعالى خصنا بهذه الفضيلة العظيمة من بين جميع العالمين فانزل الله تعالى هذه الآية مخاطبا فيها من آمن بالرسل المتقدمة فقال لهم انكم ان تتقوا الله وتؤمنوا برسوله يؤتكم الله تعالى فى الآخرة كفلين من رحمته ثم قال فعلنا ذلك وبيناه لكم ليعلم اهل الكتاب ان الشأن لا اجرلهم ولا نصيب من فضل الله وان كانوا مجتهدين فى التدين بدين من بعث قبله لانه كفر بما فرض الله عليهم فى ذلك الوقت فاحبط اعمالهم والمقصود من انزالها ان يزول عن قلوب من لم يؤمن به عليه الصلاة والسلام من اهل الكتاب اعتقادانهم مفضلون على سائر اهل الاديان من حيث

(ويجعل لكم نورا تمشون به) يريد المذكور فى قوله يسعى نورهم او الهدى الذى يسلك به الى جناب القدس (ويغفر لكم) الكفر والمعاصى (والله غفور رحيم لئلا يعلم اهل الكتاب) اى ليعلموا ولا مزيدة ويؤيده انه قرئ ليعلم ولكى يعلم ولان يعلم بادغام النون فى الياء (ان لا يقدرون على شئ من فضل الله) ان هى المخففة والمعنى انه لا ينالون شيأ مما ذكر من فضله ولا يتمكنون من نيله لانهم لم يؤمنوا برسوله وهو مشروط بالايمان به

كونهم اصحاب كتاب الهي فان مجرد كون الكتاب منزلا من عنده تعالى لايوجب بقاء حكمه ابدا وكون من تمسك به مفضلا على غيره لان الحكمة الالهية قد تقتضي كون بعض احكامه موقتا بوقت متعين فينتهي ذلك الحكم بمجيء ذلك الوقت و يكون منسوخا فيه و يظهر بعد ذلك حكم جديد ولا فضل للمرء في اتباع الحكم المنسوخ وانما الفضل بتقوى الله تعالى وطاعته فيما كلف به في كل وقت فلذلك كان اجر من اتبع الدين القويم ودام على اتباعه الى زمان بعثة نبينا صلى الله عليه وسلم ثم اذا علم ببعثته آمن به واتبع دينه ضعف اجر من مات قبله واما من ادرك عصره ولم يؤمن به فليس له شيء من الاجر لكون اعماله محبطة بالكفر به (قوله اولا يقدرون على شيء من فضله الخ) فانهم كانوا لايعدونه عليه الصلاة والسلام اهلا لان يبعث رسولا و ينزل عليه الكتاب و يقولون لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم فبين تعالى بهذه الآية ان من آمن به عليه الصلاة والسلام هو الذي يضاعف اجره و يجعل له النور والمغفرة ثم قال فعلنا ذلك ليعلموا ان ليس لهم التصرف في امر النبوة وقيل كلمة لاليست بمزيدة وان الضمير في لايقدرون ليس لاهل الكتاب بل هو للنبي والمؤمنين والمعنى فعلنا ذلك و بيناه لئلا يعتقد اهل الكتاب ان الشأن لا يقدر النبي والمؤمنون به على شيء من فضل الله ولما ورد ان يقال كيف يصح هذا الوجه مع انه يستلزم ان يكون المعنى ولئلا يعلم اهل الكتاب ان الفضل بيد الله ومن المعلوم ان انتفاء علمهم به ليس مما يصح ان يقصد فضلا عما ذكر ووجه الملازمة ان قوله وان الفضل بيد الله معطوف على مفعول العلم المنفي البتة فيلزم ان يكون المعنى ماذكر اشار الى دفعه بقوله فيكون وان الفضل عطفا على ان لايعلم اي لانسلم كونه معطوفا على مفعول العلم المنفي بل هو عطف معطوفة على العلة السابقة اي فعلنا ذلك لئلا يعلم اهل الكتاب ان المؤمنين لايقدرون على شيء و يعتقدوا و يعلموا ان الفضل بيد الله وليس في هذا القول الارادة اضمار في قوله وان الفضل بيد الله بان يكون تقدير الكلام و يعتقدوا ان الفضل بيد الله واما القول الاول فقد افتقرنا فيه الى حمل اللفظ الموجود صلة والاضمار اولى من الحذف (قوله فيكون وان الفضل عطفا على ان لايعلم) اي بتقدير فعل وتقدير الكلام لئلا يعتقد اهل الكتاب ان الشان لايقدر النبي ومن آمن به على شيء من فضل الله وليعتقدوا ان الفضل بيد الله قيل وليس في هذا القول الارادة اضمار وهي قوله وليعتقدوا ان الفضل واما القول الاول فقد افتقرنا فيه الى حذف شيء موجود ملحوظ ومن المعلوم ان الاضمار اولى من الحذف لان الكلام اذا افتقر الى الاضمار لم يوهم ظاهره باطلا اصلا

اولا يقدرون على شيء من فضله فضلا ان يتصرفوا في اعظمه وهو النبوة فيخصونها بمن ارادوا و يؤيده قوله (وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) و قيل لا غير مزيدة والمعنى لئلا يعتقد اهل الكتاب انه لايقدر النبي والمؤمنون به على شيء من فضل الله ولاينالونه فيكون وان الفضل عطفا على ان لايعلم

واما اذا افتقر الى الحذف كان ظاهره موهما للباطل فعلنا ان هذا القول اولى (قوله وقرئ ليلا) بكسر اللام الاولى واسكان الياء بعدها والاصل لان لايعلم حذفت همزة ان فبقيت لن لا فادغمت النون فى اللام فبقى للا فاجتمع ثلاث لامات فثقل النطق بها فابدلت الوسطى منهن ياء تخفيفا كما قالوا دينار فى دنار وديوان فى دوان (قوله وقرئ ليلا) بفتح اللام الاولى واسكان الياء بعدها اصله لان لايعلم على لغة من يفتح لام الجر مع الظاهر كما فتحها مع المضمر بناء على ان الاصل فى الحروف المفردة الفتح فحذفت همزة ان فصار لن لا فادغمت النون فى اللام فصار للا ثم ابدلت اللام الوسطى ياء فصار ليلا وقرأ العامة لئلا بكسر لام كى و بعدها همزة مفتوحة مخففة وورش يبدلها ياء محضة وهو تخفيف قياسى نحو مية وفية فى مئة وفئة ❊ تم هنا مايتعلق بسورة الحديد والحمدلله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين

سورة المجادلة مدنية فى قول الجميع الا فى رواية عن عطاء انه قال العشر الاول مدنى و باقيها مكى وقال الكلبى نزل جميعها بالمدينة غير قوله تعالى مايكون من نجوى ثلاثة الاهو رابعهم نزلت بمكة

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم (قوله ظاهر منها) اى قال لها زوجها اوس انت على كظهر امى وكان به لمم فاشتد به لممه ذات يوم فقال ذلك ثم ندم وكان الظهار طلاقا فى الجاهلية فقال لها ما اراك الا وقد حرمت على فقالت والله ماذكرت طلاقا وكان ذلك اول ظهار وقع فى الاسلام ولم يتبين بعد حكمه فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائشة رضى الله عنها تغسل شق رأسه عليه الصلاة والسلام فقالت يارسول الله ان زوجى اوس بن الصامت ابو ولدى وابن عمى واحب الناس الى ظاهر منى وما ذكر طلاقا وقد ندم على فعله فهل من شئ يجمعنى واياه فقال عليه الصلاة والسلام ما اراك الا وقد حرمت عليه فهتفت وشكت وذكرت فاقتها ووحدتها حيث كان اهلها منقرضين ولم يبق منهم احد وقالت ان لى صبية صغارا ان ضممتهم اليه جاعوا وان ضممتهم اليه ضاعوا فاعاد النبى صلى الله عليه وسلم قوله الاول فقال ما اراك الا وقد حرمت عليه ولم اؤمر فى شأنك بشئ فجعلت تراجع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واذا قال لها عليه الصلاة والسلام حرمت عليه هتفت وجعلت ترفع رأسها الى السماء وتقول اللهم انى اشكو اليك ماصنع بى زوجى حال فاقتى ووحدتى وقد طالت معه صحبتى ونفضت له بطنى يعنى انى بلغت عنده سن الكبر وصرت عقيما لا ألد بعد وكانت فى كل ذلك ترفع رأسها الى السماء وتقول

وقرئ ليلا ووجهه ان الهمزة حذفت وادغم النون فى اللام ثم ابدلت ياء وقرئ ليلا على ان الاصل فى الحروف المفردة الفتح عن النبى عليه السلام من قرأ سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله ورسوله

سورة المجادلة مدنية وقيل العشر الاول مكى والباقى مدنى وآيها ثنتان وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

(قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى الى الله) روى ان خولة بنت ثعلبة ظاهر منها زوجها اوس بن الصامت فاستفتت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال حرمت عليه فقالت ما طلقنى فقال حرمت عليه فاغتمت لصغر اولادها وشكت الى الله تعالى فنزلت هذه الآيات الاربع

اللهم انزل على لسان نبيك فقامت عائشة رضي الله عنها تغسل الشق الآخر من رأسه صلى الله تعالى عليه وسلم وهي في مراجعة الكلام معه عليه السلام وبث الشكوى الى الله تعالى فانزل الله تعالى قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها اي في قول زوجها اوفي شأنه وبجادلتها هي انه عليه الصلاة والسلام كما قال لها حرمت عليه قالت والله ماذكر طلاقا قالت عائشة رضي الله عنها تبارك الذي وسع علمه كل شيء انى لاسمع كلام خولة ويخفى على بعضه وهي تحاور رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اى تخاطبه فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الآيات الاربع وفي الاية دليل على ان من انقطع رجاؤه عن الخلق ولم يبق له في مهمه احد سوى ربه كفاه الله ذلك المهم روى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه مر بهذه المرأة في خلافته وهو على حمار والناس معه فاستوقفته طويلا ووعظته وقالت ياعمر قد كنت تدعى عميرا ثم قيل لك عمر ثم قيل لك امير المؤمنين فاتق الله ياعمر فانه من ايقن الموت خاف الفوت ومن ايقن الحساب خاف العذاب وهو رضي الله عنه واقف يسمع كلامها فقيل له يا امير المؤمنين اتقف لهذه العجوز هذا الموقف الطويل فقال والله لو حبستني من اول النهار الى آخره مازلت الا الصلاة المكتوبة اتدرون من هذه العجوز هي خولة بنت ثعلبة سمع الله قولها من فوق سبع سموات ايسمع رب العالمين قولها ولايسمعه عمر (قوله وقد تشعر بان الرسول او المجادلة يتوقع) كلمة قد لابد ان تفيد معنى التحقيق ثم انه قد يضاف اليه في بعض المواضع اذا دخلت على الماضي التقريب من الحال مع التوقع فدل على ان الكلام المصدر بها المتوقع للمخاطب واقع عن قريب كما تقول لمن يتوقع ركوب الامير قد ركب اى حصل عن قريب ماكنت تتوقعه وكلمة قد تدل على ثلاثة معان التحقيق والتوقع والتقريب وفي الصحاح قد حرف لاتدخل الا على الافعال وهي جواب لقولك لما يفعل وزعم الخليل ان هذا لمن ينتظر الخبر تقول قد مات فلان لمن يتوقع موته ولو اخبرت به وهو لاينتظره لم تقل قد مات فلان ولكن تقول مات وقد تكون قد بمعنى ربما انتهى وآثر المصنف او في قوله او المجادلة ايذانا بان التوقع من احدهما يكفي لمجيء قد فحينئذ تكون او لمنع الخلو دون الجمع (قوله تعالى والله يسمع تحاوركما) اى تخاطبكما ومراجعتكما الكلام والخطاب فيه لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتلك المرأة التي ذكرت بلفظ الغيبة تغليبا للخطاب على الغيبة روى انه لما نزلت هذه الآيات ارسل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى زوجها وقرأ عليه الآيات الاربع فقال هل تستطيع العتق قال لا والله قال هل تستطيع الصوم قال لا والله انى لولم آكل في اليوم مرة اومرتين لكل بصرى واظنه انى

وقد تشعر بان الرسول عليه السلام او المجادلة يتوقع ان الله يسمع مجادلتها وشكواها ويفرج عنها كربها وادغم حمزة والكسائي وابو عمرو وهشام عن ابن عامر دالها في السين (والله يسمع تحاوركما) تراجعكما الكلام وهو على تغليب الخطاب (ان الله سميع بصير) للاقوال والاحوال

اموت قال فاطعم ستين مسكينا قال ما اجد الا ان تعينني منك بعون وصلة فاعانه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بخمسة عشر صاعا واخرج اوس من عنده مثلها فتصدق به على ستين مسكينا قيل الظهار ليس بمشتق من الظهر الذي هو عضو من الجسد لانه ليس الظهر اولى بالذكر في هذا الموضع من سائر الاعضاء التي هي مواضع المباضعة والتلذذ بل الظهر ههنا مأخوذ من العلو ومنه قوله تعالى فما اسطاعوا ان يظهروه اى يعلوه وكل من علا شيئا فقد ظهره به سمي المركوب ظهرا لان راكبه يعلوه وكذلك امرأة الرجل ظهره لانه يعلوها بملك البضع وان لم يكن علوه عليها من ناحية الظهر فكأن امرأة الرجل مركب الرجل وظهرله ويدل على صحة هذا المعنى ان العرب تقول في الطلاق نزلت عن امرأتي اى طلقتها وفي قولهم انت علي كظهر امي حذف واضمار لان تأويله ظهرك علي حرام اى ملكي اياك وعلوي عليك حرام كما ان علوي على امي وملكي عليها حرام على فذكر الظهر كناية عن معنى الركوب والآدمية انما يركب بطنها ولكن كنى عنه بالظهر لان ما يركب من غير الآدميات انما يركب ظهره فكني بالظهر عن الركوب والاستعلاء (قوله وفي منكم تهجين لعادتهم فيه) جواب عما يقال قوله تعالى منكم لا يخلو اما ان يكون خطابا بالعرب مطلقا او المسلمين منهم وعلى كل واحد من التقديرين يلزم ان يكون حكم الظهار مختصا بالعرب او بالمسلمين منهم كما هو مقتضى مفهوم منكم ولا اختصاص له بالعرب وهو ظاهر ولا بالمسلم عند الامام الشافعي فانه يصح ظهار الذمي عنده كما يصح طلاقه وتقدير الجواب ان المفهوم انما يثبت اذا لم يكن للتخصيص فائدة اخرى وقوله تعالى منكم له فائدة اخرى في هذا الموضع وهو تهجين عادتهم وتوبيخهم بها فليس في الآية دليل على عدم صحة ظهار الذمي ونحن نقول انه تعالى خص المظاهر بكونه من المؤمنين وخص المظاهر منهن بكونهن من نساء المؤمنين فلا يصح ظهار الذمي ولا ظهار المؤمن من امته فانه قد صرح في كتب الائمة الحنفية بان شرط الظهار ان تكون المرأة منكوحة ويكون الرجل من اهل الكفارة حتى لا يصح ظهار الذمي وحكمه حرمة الوطئ والدواعي الى وجود الكفارة وكان الظهار طلاقا في الجاهلية فقرر الشرع اصله ونقل حكمه الى تحريم موقت بالكفارة قال صاحب الكشاف في سورة الاحزاب كان الظهار طلاقا عند اهل الجاهلية وقال في هذه السورة انه من ايمان اهل جاهليتهم ووجه التوفيق انهم كانوا يعدونه طلاقا مؤكدا باليمين على الاجتناب (قوله واصل يظهرون يتظهرون) من الظهر بمعنى تظهر ادغم التاء

(الذين يظهرون منكم من نسائهم) الظهار ان يقول الرجل لامرأته انت علي كظهر امي مشتق من الظهر والحق به الفقهاء تشبيهها بجزء محرم انثى وفي منكم تهجين لعادتهم فيه فانه كان من ايمان اهل الجاهلية واصل يظهرون يتظهرون وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي يظاهرون من اظاهر وعاصم يظاهرون من ظاهر (ماهن امهاتهم) اى على الحقيقة (ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم) فلا تشبه بهن في الحرمة الا من الحقها الله بهن كالمرضعات وازواج الرسول

فى الظاء واتى بهمزة الوصل للابتداء فصار اظهر وادغمت التاء الثانية من يتظهرون فى الظاء فصار يظهرون فهو من باب التفعل واصل اظاهر تظاهر ادغمت التاء فى الظاء واتى بهمزة الوصل للابتداء فصارا ظاهر واصل تظاهرون تتظاهرون ادغمت التاء الثانية فى الظاء فصار تظاهرون فهو من باب التفاعل (قوله وعن عاصم امهاتهم بالرفع على لغة تميم) فانهم لايعملون ما بمعنى ليس بناء على ان اصل العوامل أن تختص بالقبيل الذى تعمل فيه من الاسم او الفعل لتكون متمكنة بثبوتها فى مركزها وكلمة ماتدخل على القبيلين غير مختصة باحدهما فلا تعمل عندهم وتعمل عند الحجازيين مع عدم اختصاصها لقوة مشابهتها بليس وهو اللغة الفصيحة التى ورد عليها القرآن الكريم قال تعالى ما هذا بشرا وعليها قراءة الجمهور ههنا حيث قرأوا امهاتهم بالنصب اى بكسر التاء (قوله بامهاتهم بزيادة الباء) فى خبر ما وهذه ايضا كقراءة امهاتهم بكسر التاء مبنية على لغة اهل الحجاز فان الباء لاتزاد فى خبر ما الا اذا كانت عاملة فلا تزاد على لغة بنى تميم (قوله اذ الشرع انكره) اى انكر قوله وهو تشبيه زوجته بامه فان زوجته ليست بامه حقيقة ولا ممن الحقه الله تعالى بامه فكان تشبيهها بها الحاقا لاحد المتباينين بالآخر فكان منكرا شرعا والمنكر من القول مالايعرف فى الشرع والزور الكذب والبهتان فان قيل المظاهر انما قال انت على كظهر امى انشاء لتحريم الاستمتاع بها فان حكم الظهار فى الشرع ان يحرم على الزوج وطأها بعد الظهار مالم يكفر والكلام الانشائى لايوصف بالكذب قلنا ان قوله ان كان خبرا فهو كذب لامحالة وان كان انشاء فهو متضمن لكلام كاذب وهو ان الزوجة الحلالة ملحقة بالام المحرمة ابدا ولاشك انه كلام كاذب (قوله مطلقا او اذا تيب عنه) فان مغفرة مادون الشرك من الكبائر مشروطة بالتوبة عند المعتزلة خلافا لاهل السنة فانهم يقولون انها غير مشروطة بالتوبة بل هى موكولة الى مشيئة الله تعالى ان شاء يغفر له ابتداء وان شاء يعذبه على حسب ذنبه ثم يدخل الجنة برحمته (قوله اى الى قولهم) يعنى ان اللام فى قوله تعالى لما قالوا بمعنى الى لانهما يتعاقبان كثيرا نحو يهدى للحق والى الحق واوحى لها اى اليها وان كلمة ما فيه مصدرية وكانه قيل ثم يعودون الى قولهم اى يتداركونه بنقض [illegible] وبتداركون الى ما افسدوا ذلك القول والى ما فات [illegible] من ومن الاستمتاع بالزوجات بالعدم المرتفعة على [illegible] وجه مال تدارك القوم اى [illegible] اولهم والذى [illegible] من كلام المصنف انه فسر العود الى القول والى ما فات [illegible]

وعن عاصم امهاتهم بالرفع على لغة تميم وقرئ بامهاتهم وهذه ايضا على لغة من ينصب وانهم ليقولون منكرا (من القول) اذ الشرع انكره (وزورا) محرفا عن الحق فان الزوجة لا تشبه الام (ان الله لعفو غفور) لما سلف منه مطلقا او اذا تيب عنه (والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا) اى الى قولهم بالتدارك ومنه المثل عاد الغيث على ما افسد وهو بنقض ما يقتضيه وذلك عند الشافعى بامساك المظاهر عنها فى النكاح زمانا يمكنه مفارقتها فيه اذ التشبيه يتناول حرمته لصحة استثنائها عنه وهو اقل ما ينتقض به وعند ابى حنيفة باستباحة استمتاعها ولو بنظرة شهوة وعند مالك العزم على الجماع وعند الحسن بالجماع

بالتدارك والوصول اليه على طريق اطلاق اسم السبب على المسبب فان العود الى الشئ من اسباب الوصول اليه فاذا عاد الغيث على ما افسد بهدم شئ من البنيان واغراق بعض البساتين يراد به انه تدارك ووصل الى ما افسده بان جبره جبرا بما هو بل هو افضل منه وانفع من صلاح الزرع والثمار وسمن المواشي وحصول الخصب والرخاء ونحو ذلك فلفظ العود فيه ايضا مجاز مرسل بمعنى التدارك والوصول والعود يستعمل على معنيين احدهما ان يصير الى شئ قد كان عليه قبل ذلك فتركه فيكون بمعنى الرجوع الى ما فارق عنه والآخر ان يصير و يتحول الى شئ وان لم يكن على ذلك قبل العود والعود بهذا المعنى لا يلزم ان يكون رجوعا الى ما فارق عنه والعود الذي قلنا انه سبب للتدارك والوصول هو العود بهذا المعنى وهو التحول الى الشئ مطلقا والمثل المذكور يضرب لمن شره قليل ونفعه للناس اكثر من ضرره ومعنى الآية على هذا والله اعلم والذين يقولون قولا يقتضي بطلان وجوه انتفاعهم بمنكوحاتهم بالمنافع المتعلقة بالزوجية كالوطئ ودواعيه والامساك على سبيل الزوجية وذلك القول هو التشبيه المعهود فانه يحرم عليهم جميع ذلك ويبطله ثم ينقضون مقتضى ذلك التشبيه بان يفعلوا شيئا مما حرموه به وفوتوه على انفسهم فعليهم تحرير رقبة الخ وفعل ذلك المحرم عليهم بسبب ذلك القول تدارك له اى لحوق لما فات منهم بسببه ونقض لما تقتضيه وهو الامتناع عنه ومعنى العود الى القول تدارك ما فات عنهم بسببه فان التشبيه المذكور اقتضى ان يحرم عليهم جميع ما يتوقف على قيام النكاح من وجوه الاستمتاع بهن ونفس هذا التشبيه منكر من القول وزور وكبيرة محضة فلا يصلح سببا لوجوب الكفارة التي هي دائرة بين العبادة والعقوبة فعلق وجوبها بالظهار والعود جميعا فان العود لما فيه من معنى الامساك بالمعروف وتدارك ما افسده عليه بالقول المنكر يصلح سببا لوجوب الكفارة والتدارك والادراك معناه اللحوق والوصول يقال استدرك ما فات وتداركه اذا لحقه ووصل اليه والمصنف فسر تدارك المظاهر ما فات منه بسبب الظهار بقوله وهو بنقض ما يقتضيه قوله المنكر فان حكمه ومقتضاه هو التحريم وفوات حل الاستمتاع فمتى عاد المظاهر الى قوله وادرك ما فات عنه بسببه تجب عليه الكفارة ونظير عود المظاهر الى القول الذى فات عنه بسببه حل الاستمتاع بالمنكوحة بنقض حكم ذلك القول وابطاله عود الغيث على ما افسده بابطال اثره وتدارك ما فات بسببه ثم العود بالمعنى المذكور الموجب للكفارة عند الامام الشافعي هو امساكها عقيب الظهار وعدم تطليقها بطلاق بائن متصل بالفظها رفان امساكها على وجه الزوجية زمانا يمكن تطليقها فيه

عود الى القول ونقض لما يقتضيه فان التشبيه المذكور اقتضى ان يحرم عليه جميع مايتوقف على النكاح من وجوه الاستمتاع بها والامساك على وجه الزوجية في ذلك القدر من الزمان اقل مايستمتع به اذبه يحصل دفع الوحشة والاستئناس بها في تلك المدة فيكون الامساك المذكور نقضا لما يقتضيه قوله المنكر وتداركا لما فات بسببه وهو المراد بالعود فتجب الكفارة به وكون التدارك المذكور متراخيا عن التشبيه كما هو مقتضى كلمة ثم من حيث الامساك المذكور لايكون عودا ونقضا لمقتضى التشبيه الا بعد مضي زمان يمكن ان يطلقها فيه فلما توقف كونه عودا على مضي ذلك لزمان كان متراخيا عن التشبيه بذلك القدر من الزمان وعند ابي حنيفة رحمه الله تعالى العود المذكور عبارة عن استباحة شئ مما حرم عليه بالظهار من نفس الجماع ودواعيه والعزم عليه وعند الامام مالك هو عبارة عن استباحة نفس الجماع والعزم عليه وعند الحسن بنفس الجماع لانه الاصل المقصود من عقد الزوجية وماعداه من التوابع والمقدمات فيكون حكم الظهار ومقتضاه بالذات هو تحريم هذه النعمة والامتناع عنها ونقض هذا الحكم انما يكون باتيان ضده الذي هو مباشرة نفس الجماع (قوله او بالظهار في الاسلام) عطف على قوله بالتدارك يعني انه قيل العود الى القول هو التكلم بالتشبيه المنكر في الاسلام بعد ماتكلم به في الجاهلية والتعبير عما سبق في الجاهلية بلفظ المضارع للدلالة على اعتيادهم له واستمرارهم عليه فيما مضى وقتا فوقتا فانهم كانوا يعتادونه في الجاهلية وكلمة ثم لاستبعاده في حالة الاسلام وهذا القول يستلزم ان تجب الكفارة بمجرد التكلم بالظهار في الاسلام حتى لو طلقها عقيب الظهار اومات المظاهر منها لزمه الكفارة بتحقق موجبها وهو مجموع الظهار والعود بالمعنى المذكور وهو تكلم لفظ الظهار في الاسلام عودا وهو خلاف ماعليه علماء الامصار (قوله او بتكراره) وهو ايضا معطوف على قوله بالتدارك يعني ان الظاهر يقالوا العود اعادة لفظ الظهار وتكراره حتى لو لم يكرر لا كفارة عليه ثم ان التكرار لايلزم ان يكون باعادة لفظ الظهار بل تكفي فيه اعادته معنى بان يحلف على ماقال حتى لو لم يحلف عليه لم يلزمه الكفارة لفقدان شرط وجوبها وهو العود الى الظهار لفظا اومعنى ولو قال امرأتي على كظهر امي ان فعلت كذا ففي فعل ذلك حنث فتكون مباشرته لذلك الفعل تكرارا للظهار معنى حيث صار مظاهرا عاشرته بالسبب الذي صدر منه سابقا فتجب عليه الكفارة حين حنث لان شرط وجوبها وهو مجموع الظهار والعود تحقق حينئذ وانما قلنا مجموع الظهار والعود شرط لوجوب الكفارة لما تقرر في النحو ان المبتدأ اذا كان اسما موصولا صلته فعل

او بالظهار في الاسلام على ان قوله يظاهرون بمعنى يعتادون الظهار اوكانوا يظاهرون في الجاهلية وهو قول الثوري او بتكراره لفظا وهو قول الظاهرية او معنى بان يحلف على ما قال وهو قول ابي مسلم

او ظرف يتضمن معنى الشرط وقد وقع المبتدأ فى الآية اسما موصولا صلته
فعل و عطف عليه فعل آخر بكلمة ثم فلزم ان يكون مجموع الفعلين شرطا
لوجوب الكفارة (قوله اوالى المقول فيها) عطف على قوله اى الى قولهم
فى الوجوه السابقة اول الفعل المصدر ثا المصدر بة بالمصدر ثم ابقى المصدر
على اصل معناه فكان المراد بما قالوا القول حقيقة و فى هذا الوجه جعل
المصدر الأول بمعنى المفعول اى المقول فيها وهى النساء المذكورة فى قوله
تعالى والذين يظاهرون من نسائهم وحذف لفظ فيها كما قالوا مشترك
بمعنى مشترك فيه ثم العود الى النساء بتدارك مافات عنه فى حقهن ونقض حكم
قوله المنكر يكون على وجوه مختلفة على حسب اختلاف المذاهب فعلى قول
الامام الشافعى يكون بامساكهن مدة يمكن للمظاهر ان يطلقهن فيها وعلى
قول ابى حنيفة والامام مالك بالعزم على الاستمتاع بهن و على قول الحسن
بوطئهن وعن الفراء ان اللام فى قوله تعالى لما قالوا بمعنى عن والمعنى
ثم يرجعون عما قالوه و يريدون الوطئ (قوله فعليهم اوفالواجب اعتاق
رقبة) فعلى الاول يكون قوله فتحرير رقبة مبتدأ و خبره محذوف اى فعليهم
تحرير رقبة و يكون المبتدأ مع خبره فى محل رفع على ان الجملة خبر المبتدأ الاول
وهو قوله والذين يظاهرون ودخلت الفاء على خبره لتضمنه معنى الشرط
وعلى الثانى يكون قوله فتحرير رقبة خبر مبتدأ محذوف والتحرير جعل الرقيق
حرا (قوله ومن فوائدها الدلالة) وجه الدلالة ان الفاء لما دلت على سببية
مجموع الظهار والعود لوجوب الكفارة دلت على وجوب تكرار الكفارة
بتكرر المجموع ضرورة ان تكرر السبب يوجب تكرر المسبب الا عند
اتحاد المجلس كقراءة آية السجدة فى موضعين (قوله قياسا على كفارة
القتل) فان الرقبة مقيدة بالايمان فى كفارة القتل قال تعالى فتحرير
رقبة مؤمنة فتكون مقيدة به فى كفارة الظهار ايضا وان ذكرت فيها من
غير تقييد فان الامام الشافعى رحمه الله تعالى يحمل المطلق على المقيد
وان ورد كل واحد منهما فى حادثة على حدة غير الاخرى و ابو حنيفة
لا يحمله عليه الا عند اتحاد الحكم والحادثة (قوله لعموم اللفظ ومقتضى
التشبيه) فان الآية قد اوجبت الكفارة قبل التماس فلزم ان يحرم التماس قبلها
ولفظ التماس عام يتناول مس كل واحد منهما الآخر وكذا مقتضى التشبيه
وحكمه ان يحرم استمتاع كل واحد منهما بالآخر فتكون الآية دليلا على حرمة
التماس مطلقا وكذا المس كما يتناول المس بالوطئ يتناول سائر ضروب المسيس
فيحرم بجميع وجوه الاستمتاع انتهى (قوله او ان يجامعها) اشارة الى

او الى المقول فيها
بامساكها او استباحة
استمتاعها او وطئها
(فتحرير رقبة) اى
فعليهم او فالواجب
اعتاق رقبة والفاء للسببية
ومن فوائدها الدلالة
على تكرر وجوب
التحرير بتكرر الظهار
والرقبة مقيدة بالايمان
عندنا قياسا على كفارة
القتل (من قبل ان يتماسا)
ان يستمتع كل من المظاهر
والمظاهر منها بالآخر
لعموم اللفظ و مقتضى
التشبيه او ان يجامعها
وفيه دليل على حرمة
ذلك قبل التكفير (ذلكم)
اى ذلكم الحكم بالكفارة

ان الامام الشافعي له قولان في ان المحرم بالظهار ما هو قال الامام اختلفوا فيما يحرم بالظهار فللامام الشافعي فيه قولان احدهما انه يحرم الجماع فقط والقول الثاني وهو الاظهر انه يحرم جميع جهسات الاستمتاع وهو قول ابي حنيفة (قوله تعالى توعظون به) الوعظ النصح والتذكير بالعواقب ولما كان ايجاب الكفارة التي هي عقوبة السيئة دليلا على ان المظاهر قد ارتكب سيئة موجبة للعقوبة كان موعظة رادعة عن ارتكابها (قوله والذي غلب ماله واجد) اي والعاجز هو الذي لا يملك الرقبة ولا قيمتها (قوله وان جامع المظاهر منها ليلا لم ينقطع التتابع) اي لا يلزمه استئناف الشهرين عند الامام الشافعي لان التكفير بالصوم مشروط بالتتابع وقد وجد لان الليل ليس محلا للامساك عن المفطرات خلافا لابي حنيفة والامام مالك فانه يجب استئناف الشهرين عندهما لانه وان لم ينقطع التتابع بالمس ليلا الا انه قد فقد كون الكفارة قبل المسيس وقد شرط ذلك في الكفارة بالصوم ايضا ومن لم يوجب الاستئناف يقول نعم ان تقديم صوم شهرين على التماس شرط الا انه على تقدير عدم الاستئناف يتحقق تقديم البعض عليه وعلى تقدير الاستئناف يتأخر الكل فالاولى (قوله ستين مدا) المد ربع الصاع بالاتفاق بين اهل الحجاز واهل العراق الا ان اهل الحجاز فسروا المد بانه مكيال يسع رطلا وثلث رطل وفسره اهل العراق بما يسع رطلين فالصاع الحجازي خمسة ارطال وثلث رطل والعراقي ثمانية ارطال والرطل مائة وثلاثون درهما عن انس رضي الله تعالى عنه انه عليه الصلاة والسلام كان يتوضأ بالمد رطلين ويغتسل بالصاع ثمانية ارطال (قوله اومرض مزمن) اي ممتد لا يرجى برؤه فانه بمنزلة العاجز بسبب كبر السن ويجوز له العدول عن الصيام الى الاطعام والشبق شدة اشتهاء الضراب فانه عليه الصلاة والسلام امر سلمة بن صخر بان يعدل عن الصيام الى الاطعام بسبب عجزه عن التحرير والصيام لاجل شبقه ويحتمل ان يكون الشبق متناولا لشدة اشتهاء الطعام وقلة الصبر عنه لما روي انه عليه الصلاة والسلام قال لاوس بن الصامت زوج خويلة هل تستطيع الصوم قال لا والله اني اذا اخطأني ان آكل في اليوم مرة اومرتين لكل بصري ولظننت اني اموت فامره بان يطعم ستين مسكينا (قوله تعالى وتلك حدود الله) اي الاحكام التي بيناها معالم فاصلة بين الحق والباطل من تخطاها فقد تعدى وظلم نفسه والحد النهاية الحاجزة بين الشيئين وتحديد الدار تعيين نهاياتها يقال فلان حديد فلان اذا كان ارضه الى جنب ارضه شبه ماشرعه الله تعالى من الاحكام بالحدود الحاجزة بين الشيئين فاطلق عليه اسم الحد والحد ايضا المنع ومنه قيل للبواب حداد لانه يمنع عن الدخول

الاضق عليه حافية (فمن لم يجد) اي الرقبة والذي غلب ماله واجد (فصيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا) فان افطر بغير عذر لزمه الاستئناف وان افطر بعذر ففيه خلاف وان جامع المظاهر منها ليلا لم ينقطع التتابع عندنا خلافا لابي حنيفة ومالك (فمن لم يستطع) اي الصوم لهرم اومرض مزمن او شبق مفرط فانه عليه السلام رخص للاعرابي المفرط ان يعدل لاجله (فاطعام ستين مسكينا) ستين مدا بمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو رطل وثلث لانه اقل ماقيل في المخرج في الفطرة وقال ابو حنيفة يعطي كل مسكين نصف صاع من بر اوصاعا من غيره وانما لم يذكر التماس مع الطعام اكتفاء بذكره مع الآخرين او لجوازه في خلال الطعام كما قال ابو حنيفة (ذلك) اي ذلك البيان او التعليم للاحكام ومحله النصب بفعل معلل بقوله (لتؤمنوا بالله ورسوله) اي فرض ذلك لتصدقوا بالله ورسوله في قبول شرائعه ورفض

ماكنتم عليه في جاهليتكم (وتلك حدود الله) لا يجوز تعديها (وللكافرين) اي الذين لا يقبلونها (من غير

(عذاب أليم) وهو نظير قوله ومن كفر فان الله غنى عن العالمين (ان الذين يحادون الله ورسوله) يعادونهما فان كلا من المتعاديين فى حد غير ﴿٤٠٥﴾ حد الآخر او يضعون او يختارون حدودا غير حدودهما (كبتوا) اخزوا واهلكوا واصل الكبت الكب (كما كبت الذين من قبلهم) يعنى كفار الامم الماضية (وقد انزلنا آيات بينات) تدل على صدق الرسول وما جاء به (وللكافرين عذاب مهين) يذهب عزهم وتكبرهم (يوم يبعثهم الله) منصوب بمهين او باضمار اذكر (جميعا) كلهم لا يدع احدا غير مبعوث او مجتمعين (فينبئهم بما عملوا) اى على رؤس الاشهاد تشهيرا لحالهم وتقريرا لعذابهم (احصاه الله) احاط به عددا لم يغب عنه شئ (ونسوه) لكثرته او تهاونهم به (والله على كل شئ شهيد) لا يغيب عنه شئ (الم تر ان الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض) كليا وجزئيا (ما يكون من نجوى ثلاثة) ما يقع من تناجى ثلاثة و يجوز ان يقدر مضاف او يؤول نجوى بمتناجين و يجعل ثلاثة صفة لها واشتقاقها من النجوة وهى ما ارتفع من الارض فان السر امر مرفوع الى الذهن لا يتيسر لكل احد أن يطلع عليه (الا هو رابعهم) الا الله يجعلهم اربعة من حيث انه يشاركهم فى الاطلاع عليها

من غير اذن و يقال للسجان ايضا حداد لانه يمنع عن الخروج فالمحادة مفاعلة من الحد بمعنى النهاية الحاجزة كما نقل عن الزجاج انه قال المحادة ان تكون فى حد يخالف حد صاحبك فتكون المحادة كناية عن المعاداة لكونها لازمة لها داة وقوله كبتوا اى خذلوا من قولهم كبت الله فلانا اى اذله وخذله وقيل اهلكوا وقيل اخزوا كما اخزى الله الذين من قبلهم من اعداء الرسل والكب القاء الشخص على الارض على وجهه يقال كبه لوجهه اى صرعه فاكب هو على وجهه ومن النوادر ان يقال افعلت انا وفعلت غيرى وهو يصلح لان يكون دعاء عليهم بذلك وان يكون اخبارا عما سيكون بلفظ الماضى لتحقق وقوعه فيكون وعيد الكفار مكة وقد انجزه الله تعالى ذلك يوم بدر وقيل يوم الخندق والظاهر ان قوله تعالى وللكافرين عذاب مهين صفة ثانية لآيات فانها كما انها واضحات الدلالة فانها ايضا عذاب للكافرين تهينهم وتذهب عزهم (قوله وهو نظير قوله) اى فى كونه من باب التغليظ (قوله كلهم او مجتمعين) يعنى ان قوله جميعا منصوب اما على انه تأكيد للضمير المنصوب فى يبعثهم او على انه حال منه بمعنى مجتمعين فى حال واحدة وقوله تعالى ألم تر ان الله يعلم الآية استفهام تقرير والمعنى انك قد علمت انه لا يغيب عن علمه شئ مما فيها فلا يخفى عليه ايضا نجوى المتناجين وهو مؤكد لكونه تعالى شهيدا عليهم وعلى كل شئ مطلعا عالما بكل المعلومات بحيث لا يخفى عليه سر ولا علانية (قوله ما يقع من تناجى ثلاثة) اشارة الى ان كان تامة وان نجوى مصدر بمعنى التناجى وهو المكالمة سرا وان ثلاثة مجرور باضافة نجوى اليه من قبيل اضافة المصدر الى فاعله يقال نجوته نجوى اذا ساررته والقوم تناجوا اى تساروا ومن نجوى فاعل كان ومن زائدة اى ما يحدث وما يقع نجوى ثلاثة نفر الا وهو تعالى رابعهم و يجوز ان يقدر مضاف و يكون التقدير ما يقع من ذوى نجوى ثلاثة او اهل نجوى ثلاثة وان يأول المصدر وهو النجوى بالمتناجين على طريق التوصيف بالمصدر مبالغة وعلى التقديرين يكون ثلاثة مجرورا اما على الاول فعلى انه صفة للمضاف المقدر واما على الثانى فعلى انه صفة لنجوى بمعنى متناجين والنجوة والنجاء ما ارتفع من المكان الذى تظن انه نجاك من حيث انه لا يعلوه السيل اشتق منه النجوى لما ذكره من ان السر امر مرفوع الى الذهن لا يتيسر لكل احد ان يطلع عليه (قوله الا الله يجعلهم اربعة) اعلم ان الواحد من المتعدد يعتبر على وجهين الاول ان يصير ذلك الواحد العدد الناقص عن عدد مأخذ

ذلك الواحد باعتبار حاله ومرتبته في التعدد الى العدد الذي اشتق هو منه والثاني ان يصير واحدا من هذا العدد تقول فيه الثاني والثالث بمعنى واحد من الاثنين وواحد من الثلاثة اي ان اضفته الى عدد هو مأخذ هذا الواحد لاالى عدد ناقص منه بواحد فتقول ثاني اثنين وثالث ثلاثة ورابع اربعة وان اضفته الى العدد الذي هو انقص من العدد الذي اشتق منه هذا للصير بدرجة تضيف الواحد باعتبار التصيير الى العدد الناقص من مأخذه فتقول ثالث اثنين ورابع ثلاثة وتريد مصير اثنين ثلاثة ومصير ثلاثة اربعة فالمصنف جعل قوله تعالى الاهو رابعهم والاهو سادسهم من قبيل الواحد من التعدد باعتبار تصييره لاضافته الى العدد الذي هو انقص من العدد الذي اشتق منه هذا المصير بدرجة وهو الثلاثة والخمسة فمعنى رابع ثلاثة مصير ثلاثة اربعة ومعنى سادس خمسة مصير خمسة ستة والمفرد من المتعدد باعتبار حاله ومرتبته في التعدد لايضاف الا الى عدد يساوي العدد الذي اشتق منه مايدل على هذا المفرد فيقال رابع اربعة وثالث ثلاثة وثاني اثنين اي احدها (قوله والاستثناء من اعم الاحوال) يعني ان قوله الاهو رابعهم والاهو سادسهم والاهو معهم كل واحد من هذه الجمل بعد الا في موضع النصب على الحال لما تقرر ان المستثنى المفرغ يعرب على حسب العوامل فالمستثنى منه المقدر هو الاحوال العامة اي مايوجد شيء من هذه الاشياء في حال من الاحوال الا في حال من هذه الاحوال (قوله وتخصيص العددين) جواب عما يقال انه تعالى ذكر الثلاثة والخمسة واهمل امر الاربعة في البين فما الحكمة فاجاب عنه اولا بان الاية نزلت في قوم من المنافقين اجتمعوا على التناجي مغايظة للمؤمنين وكانوا على هذين العددين ثلاثة وخمسة فلما كان اصحاب التناجي معدودين بهذين العددين المخصوصين قال تعالى ما يتناجى ثلاثة ولا خمسة كما رونهم يتناجون كذلك ولا ادنى من ذينك العددين ولا اكثر الا والله معهم يسمع ويعلم ما يقولون وثانيا بانه تعالى لم يذكر الاثنين والاربعة لانه تعالى وتر يحب الوتر فخص بالذكر اول الاعداد المفردة وثانيها واكتفى بذكرهما عن ذكر الباقي تنبيها على فردانيته تعالى وايثارا لما هو احب الاعداد عنده وثالثا بان اول مالابد منه في المشاورة التي يكون الغرض منها تمهيد مصلحة ثلاثة حتى يكون الاثنان منهم كالمتنازعين في النفي والاثبات ويكون الثالث كالمتوسط الحاكم بينهما فحينئذ تكمل المشورة ويتم المقصود منها وهكذا في كل جمع اجتمعوا للمشاورة فلابد فيهم من واحد يكون حكما مقبول القول ولهذا السبب لابد ان يكون عدد ارباب المشاورة فردا فذكر تعالى الفردين الاولين واكتفى

ثم الاستثناء من اعم الاحوال (ولا خمسة) ولا نجوى خمسة (الاهو سادسهم) وتخصيص العددين اما لخصوص الواقعة فان الآية نزلت في تناجي المنافقين اولان الله وتر يحب الوتر والثلاثة اول الاوتار او لان التشاور لابد له من اثنين يكونان كالمتنازعين وثالث يتوسط بينهما

(بذكرهما)

وقرئ ثلاثة وخمسة بالنصب على الحال باضمار يتناجون او تأويل نجوى بمتناجين (ولا ادنى من ذلك) ولا اقل مما ذكر كالواحد والاثنين (ولا اكثر) كالستة وما فوقها (الا هو معهم) يعلم ما يجرى بينهم وقرأ يعقوب ولا اكثر بالرفع عطفا على محل من نجوى او محل لا ادنى ان جعلت لا لنفى الجنس (اينما كانوا) فان علمه بالاشياء ليس لقرب مكانى حتى يتفاوت باختلاف الامكنة (ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة) تفضيحا لهم وتقريرا لما يستحقونه من الجزاء (ان الله بكل شئ عليم) لان نسبة ذاته المقتضية للعلم الى الكل على سواء (الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه) نزلت فى اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم ويتغامزون باعينهم اذا رأوا المؤمنين فنهاهم رسول الله عليه الصلاة والسلام ثم عادوا لمثل فعلهم (ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول) اى بما هو اثم وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول وقرأ حمزة وينتجون وروى عن يعقوب وهو يفتعلون من النجوى (واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله) فيقولون السام عليك او انعم صباحا والله سبحانه وتعالى يقول وسلام على عباده الذين اصطفى (ويقولون فى انفسهم) فيما بينهم (لولا يعذبنا الله بما نقول) هلا يعذبنا بذلك لو كان محمد نبيا (حسبهم جهنم) عذابا (يصلونها) يدخلونها (فبئس المصير) جهنم (يا ايها الذين آمنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول) كما يفعله المنافقون

بذكرهما عن الباقى (قوله وقرئ ثلاثة وخمسة بالنصب على الحال) وذو الحال مع رافعه محذوفان والتقدير ما يكون من اهل نجوى يتناجون ثلاثة وحذف لدلالة نجوى عليه وان اول نجوى بمتناجين يكون ذو الحال المستكن فيه وقرئ ما تكون بتاء التأنيث لتأنيث النجوى والعامة على التذكير لوقوع الفاصل بين الفعل والفاعل وهو كلمة من ولان تأنيث النجوى غير حقيقى (قوله ولا اقل مما ذكر) اى من العددين كالواحد ادخل الواحد فى الادنى لان الواحد قد يحدث نفسه بشئ فهو تناجيه نفسه وتساروه قراءة الجمهور فى قوله تعالى والادنى فى موضع الجر بالعطف على ثلاثة على طريق الجوار لخمسة وكذا قوله ولا اكثر اى وما يكون من متناجين ادنى ولا اكثر الا هو معهم فتكون كلمة لا فى الموضعين زائدة لتأكيد النفى المعتبر فى المعطوف عليه وقرئ ولا اكثر بالرفع اما على كونه معطوفا على محل من نجوى فانه فاعل كان التامة ومن زائدة كانه قيل وما يكون ادنى ولا اكثر فكلمة لا فيهما ايضا لتأكيد واما على كونه معطوفا على محل لا ادنى ان جعلت كلمة لا فيه لنفى الجنس وقد تقرر ان اسم لا اذا كان نكرة مفردة يبنى على ما يرفع به وتقرر ايضا انه يجوز فى المعطوف على المنفى بلا الرفع عطفا على محل المبنى والنصب عطفا على لفظه فيقال فلا اب وابن وابنا برفع الابن ونصبه فلهذا جاز فى لا حول ولا قوة رفع قوة ونصبها مع التنوين فيهما وبناء حول على الفتح اما الرفع فعلى ان تكون لا الثانية زائدة لتأكيد نفى الاولى ويعطف قوة على محل لا حول واما النصب فبالعطف على لفظه ويكون لا زائدة ايضا (قوله ويتغامزون باعينهم اذا رأوا المؤمنين) ويوهمونهم بذلك انهم يتناجون فيما يسوءهم فيحزنون لذلك فلما كثر ذلك شكا المسلمون الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فامرهم بان لا يتناجوا عند المؤمنين فلم ينتهوا عن ذلك فنزلت هذه الآية (قوله فيقولون السام عليك) السام الموت وهم يوهمونه عليه الصلاة والسلام انهم يقولون السلام عليك وكان عليه السلام يرد عليهم بقوله عليكم بدون الواو وروى ان عائشة رضى الله تعالى عنها لما سمعت قولهم السام عليك قالت لهم عليكم السام واللعنة والغضب اى لعنة الله وغضبه فقال عليه الصلاة والسلام مه يا عائشة عليك بالرفق واياك والعنف والفحش قالت اولم تسمع ما قالوا قال اولم تسمعى ما رددت

واتقوا الله الذي اليه تحشرون) فيما تأتون وتذرون فانه مجازيكم عليه (انما النجوى) اى النجوى بالاثم والعدوان (من الشيطان) فانه المزين لها والحامل عليها (ليحزن الذين آمنوا) بتوهمهم لانها في نكبة اصابتهم (وليس) الشيطان او التناجي (بضارهم) بضار المؤمنين (شيأ الا باذن الله) بمشيئته (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) ولايبالوا بنجواهم (ياايها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجلس) توسعوا فيه وليفسح بعضكم عن بعض من قولهم افسح عني اى تنح وقرئ تفاسحوا والمراد بالمجلس الجنس ويدل عليه قراءة عاصم بالجمع او مجلس رسول الله عليه السلام فانهم كانوا يتضامون به تنافسا على القرب منه وحرصا على استماع كلامه (فافسحوا يفسح الله لكم) فيما تريدون التفسح فيه من المكان والرزق والصدر وغيرها (واذا قيل انشزوا) انهضوا للتوسعة او لما امرتم به

عليهم يستجاب لى فيهم ولايستجاب لهم في فقالت اليهود فيما بينهم اذا كان رسولا كما يقول فلم لايستجاب دعاؤه علينا فنزل قوله تعالى واذا جاؤك الاية وقولهم انعم صباحا من النعومة اى ليصر صباحك ناعما لينا لابؤس فيه ولاشدة (قوله وعن يعقوب فلا تنتجوا) يعني فلا تناجوا في الصحاح النجو السر بين اثنين يقال نجوته نجوا اى ساررته وكذلك ناجيته وانتجى القوم وتناجوا اى تساروا والنجي على فعيل هو الذي تساره (قوله اى النجوى بالاثم) يعني ان تعريف النجوى للعهد الخارجي من جهة الشيطان وتسويله لهم ذلك (قوله توسعوا فيه) الفسحة الوسعة والفسيح الواسع وفسح له في المجلس يفسح اى وسع له وهو من باب منع يمنع وفسح يفسح فساحة مثل كرم يكرم اى صار واسعا قال القرطبي لما بين ان اليهود يحيونه بما لم يحيه به الله وذمهم على ذلك وصل به الامر بتحسين الادب في مجالسة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى لايضيقوا عليه المجلس وامر المسلمين بالتعاطف والتآلف بان يفسح بعضهم لبعض وتطيب نفسه بذلك ولايخرج بالمزاحمة حتى يتمكنوا من الاستماع من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال والصحيح في الاية انها عامة في كل مجلس اجتمع فيه المسلمون للخير والاجر سواء كان مجلس حرب او ذكر او مجلس يوم الجمعة ولايختص بمجلس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وان كل احد احق بمكانه الذي سبق اليه لقوله عليه الصلاة والسلام من سبق الى ما لم يسبق اليه فهو احق به ولكن يوسع لاخيه ما لم يتأذ بذلك فيخرج لضيق موضعه وعنه عليه الصلاة والسلام لايقيمن احدكم اخاه يوم الجمعة ثم يخلفه في مقعده فيقعد فيه ولكن يقول افسحوا (قوله تعالى انشزوا) اى ارتفعوا وقوموا قال مجاهد والضحاك اذا نودي للصلاة فقوموا اليها وذلك ان رجالا تثاقلوا عن الصلاة فنزلت وقال الحسن ومجاهد ايضا انهضوا الى الحرب وقال ابن زيد والزجاج هذا في بيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان كل رجل منهم يحب ان يكون آخرهم عهدا بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال تعالى واذا قيل انشزوا عن مجلسه عليه الصلاة والسلام فانشزوا فان له حوائج ولاتمكثوا وقال مجاهد واكثر المفسرين معناه اذا قيل لكم انهضوا الى الصلاة والى الجهاد والى كل خير فقوموا لها ولاتقصروا وقول المصنف انهضوا للتوسعة اى لمن جاء بعدكم يحتمل ان يكون المراد انه اذا كثرت المزاحمة وكانت بحيث لاتحصل التوسعة بتنحي احد الشخصين عن الآخر حال قعود الجماعة وقيل لكم قوموا جميعا وتفسحوا حال القيام فانشزوا ولاتتثاقلوا عن القيام ويحتمل ان يراد انه اذا قيل لكم قوموا من مواضعكم وانتقلوا عنها الى موضع آخر

كصلاة او جهاد او ارتفعوا في المجلس (فانشزوا) وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بضم الشين فيهما (اطيعوا)

اطيعوا من امركم به وقوموا من مجالسكم ووسعوا لاخوانكم بذلك ويؤيده
ما روى عن مقاتل انه عليه الصلاة والسلام كان جالسا فى الصفة وكان فى المجلس
ضيق وكان عليه الصلاة والسلام يكرم اهل بدر من المهاجرين والانصار فجاء
ناس منهم وقد سبقوا الى المجلس فقاموا حيال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
فسلموا عليه فرد عليهم السلام ثم سلموا على القوم فردوا عليهم فقاموا على
ارجلهم ينتظرون ان يوسع لهم فلم يفسحوا لهم فشق ذلك على رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال لمن حوله من غير اهل بدر قم يافلان قم يافلان فاقام من المجلس
بعدد القائمين من اهل بدر فشق ذلك على من اقيم من مجلسه وعرف رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم الكراهية فى وجوههم فانزل الله تعالى قوله يا ايها الذين
آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا الآية (قوله تعالى يرفع الله الذين آمنوا) مجزوم
على انه جواب الامر وقوله والذين اوتوا العلم يجوز ان يكون معطوفا على الذين
آمنوا على طريق عطف الخاص على العام وقد اختاره المصنف وقيل يجوز
ان يكون من قبيل عطف الصفات بان تكون الصفات لذات واحدة كأنه قيل
يرفع الله الذين آمنوا العلماء وعن ابن عباس انه قال تم الكلام عند قوله منكم
وينتصب قوله والذين اوتوا العلم بفعل مضمر اى ويخص الذين اوتوا العلم
بدرجات او يرفع درجات وانتصاب درجات على انه مفعول ثان ليرفع ويحتمل
ان تكون حالا بمعنى ذوى درجات اوظرفا اومنصوبا على اسقاط الخافض اى
الى درجات بين الله تعالى فى هذه الآية انه يرفع المؤمن على من ليس بمؤمن وانه
يرفع العلماء المؤمنين على غير العلماء منهم فثبت ان الرفعة عند الله انما تكون بالعلم
والعمل لابالسبق الى صدور المجالس (قوله مستعار ممن له يدان) يعنى ان
النجوى ليس لها يدان حتى يضاف اليهما لفظ بين ويجعل مدلوله ظرفا لتقديم
الصدقة فلما تعذرت الحقيقة تعين المصير الى المجاز وقد تقرر ان لفظ يدين فى
نحو قولك جلست بين يدى فلان مجازا اريد به الجهتان الواقعتان فى سمت
يديه وما بينهما هو جهة الامام اطلق لفظ اليدين عليهما على طريق اطلاق
اسم الشئ على ما يدانيه ويتصل به وانما حمل على المجاز لتعذر حمله على الحقيقة
لان ما بين اليدين حقيقة هو نفس جثة الشخص وهى ليست ظرفا للجلوس
بل ظرفه هو جهة الامام الواقعة بين الجهتين المسامتتين لليدين وهما جهتا اليمين
والشمال فثبت ان بين اليدين بمعنى بين الجهتين المسامتتين لليدين فاذا اضيف
لفظ بين الى من ليس له يدان فضلا عن ان يكون ليديه جهتان كما فى نحو بين
يدى الله وبين يدى نجواكم يكون لفظ بين يدى مستعارا من بين جهتى يدى
من له يدان بان ينزل ما بين تلك الجهتين منزلة المعنى الاصلى للفظ بين اليدين

(يرفع الله الذين آمنوا منكم) بالنصر وحسن الذكر فى الدنيا وايوائهم غرف الجنان فى الآخرة (والذين اوتوا العلم درجات) ويرفع العلماء منهم خاصة درجات بما جمعوا من العلم والعمل فان العلم مع علو درجته يقتضى العمل المقرون به مزيد رفعة ولذلك تقتدى بالعالم فى افعاله ولا تقتدى بغيره وفى الحديث فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب (والله بما تعملون خبير) تهديد لمن لم يمتثل الامر او استكرهه (يا ايها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة) فتصدقوا قدامها مستعار ممن له يدان

وفي هذا الامر تعظيم الرسول وانتفاع الفقراء والنهي عن الافراط في السؤال والميز بين المخلص والمنافق ومحب الآخرة ومحب الدنيا واختلف في انه للندب او للوجوب لكنه منسوخ بقوله أأشفقتم وهو وان اتصل به تلاوة لم يتصل به نزولا وعن علي رضي الله تعالى عنه ان في كتاب الله اية ماعمل بها احد غيري كان لي دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته تصدقت بدرهم وهو على القول بالوجوب لايقدح في غيره فلعله لم يتفق للاغنياء مناجاة في مدة بقائه اذ روي انه لم يبق الا عشرا وقيل الا ساعة (ذلك) اى ذلك التصدق (خير لكم واطهر) اى لانفسكم من الريبة وحب المال وهو يشعر بالندبية لكن قوله (فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم) اى لمن لم يجد حيث رخص له في المناجاة بلا تصدق ادل على الوجوب (أأشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات) أخفتم الفقر من تقديم

ثم يطلق لفظ بين اليدين على مايشبه مابين تينك الجهتين فلفظ بين يدي في قوله تعالى فقدموا بين يدي نجواكم صدقة مستعار من بين جهتي يدي من له يد ان وهو جهة الامام شبه بها ماقبل زمان النجوى من حيث ملاحظة معنى التقديم في كل واحد منهما فهي استعارة متفرعة على المجاز المرسل فقول المصنف تصدقوا قدامها فيه مسامحة والظاهر ان يقال تصدقوا قبلها لان القدام من ظروف المكان والنجوى لاقدام لها لان الجهة انما تكون للمتمكن الا انها تقع في زمان فيكون لها قبل و بعد وان لم يكن لها قدام وخلف قال صاحب الكشاف مستعار ممن له يدان والمعنى قبل نجواكم كقول عمر رضي الله عنه افضل ما اوتيت العرب الشعر يقدمه الرجل امام حاجته فيستمطر به الكريم ويستنزل به اللئيم يريد قبل حاجته (قوله وفي هذا الامر) يعني ان هذا التكليف تشتمل على فوائد اولاها تعظيم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وتعظيم مناجاته فان الانسان اذا وجد الشئ مع المشقة استعظمه وان وجده مع السهولة استحقره وثانيتها ان تقديم الصدقة قبل المناجاة يستلزم انتفاع كثير من الفقراء وثالثها مايدل عليه ماروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه ان المسلمين اكثروا المسائل على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى شقوا عليه فاراد الله تعالى ان يخفف عن نبيه فانزل الله هذه الآية فلما نزلت شح كثير من الناس فكفوا عن المسألة فصار انزال هذه الآية بمنزلة النهي عن الافراط في السؤال ومن فوائد انزالها الميز المذكور (قوله وهو وان اتصل به تلاوة) جواب عما يقال كيف يكون قوله تعالى أأشفقتم ناسخا وجوبه وهو متصل به والحكم لاينسخ بكلام متصل واختلف القائلون بوجوبها في مقدار تأخر الناسخ عن المنسوخ فقال الكلبي مابقي ذلك التكليف الا ساعة من النهار ثم نسخ وقال مقاتل بقي ذلك التكليف عشرة ايام (قوله وهو على القول بالوجوب لايقدح في غيره) اى ماروي عن علي رضي الله تعالى عنه من قوله ماعمل بها احد غيري لايوجب القدح في غيره بنسبة ترك الواجب اليهم على القول بوجوبها لان ترك الواجب انما يلزم ان لو تحقق منهم المناجاة في مدة بقائه من غير تقديم الصدقة وذلك غير معلوم فلعله لم يتفق للاغنياء مناجاة في مدة بقائه عن القرطبي انه قال ماروي عن علي رضي الله تعالى عنه ضعيف لانه تعالى قال فاذ لم تفعلوا وهذا يدل على ان احدا لم يتصدق بشئ (قوله وهو يشعر بالندبية) لان نحو قوله تعالى ذلكم خير لكم انما يستعمل في التطوع لا في الواجب الا ان قوله تعالى فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم ادل على الوجوب لان ما كان مغفورا بناء على تعذره يكون واجبا عند فقد ان العذر (قوله أخفتم الفقر من تقديم

الصدقة) على ان يكون مفعول ءأشفقتم محذوفا ويكون قوله ان تقدموا فى محل النصب على انه مفعول ءأشفقتم وعلة الخوف محذوفة اشار اليها بقوله لما يعدكم الشيطان (قوله بان رخص لكم ان لاتفعلوه) فان التوبة اذا اسندت اليه تعالى تكون بمعنى الرجوع من عقوبة المذنب بناء على رجوعه عن الذنب فان اشفاقهم لكونه بمنزلة الاعتذار والاسترحام قام مقام توبتهم اليه تعالى فقام ترخيصه تعالى لهم فى عدم التقديم مقام توبته عليهم فلذلك قال وتاب الله عليكم (قوله واذ على بابها) يعنى انها للماضى والمعنى انكم تركتم ذلك فيما مضى فتداركوه باقامة الصلاة وقيل بمعنى اذا فى كونها للاستقبال كما فى قوله تعالى اذ الاغلال فى اعناقهم وقيل انها بمعنى ان الشرطية وهو قريب مما قبله الا ان اذا من الظروف وفيها معنى الشرط وان من حروف الشرط ومعنى الآية فاذا لم تفعلوا ما امرتم به عجزا وشحا وشق عليكم ذلك وتاب الله عليكم بان نسخ ذلك الحكم ورخص لكم فى ان لاتفعلوه فلاتفرطوا فى الصلاة والزكاة وسائر الطاعات فان قيل قوله تعالى ءأشفقتم وقوله فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم يدل على تقصير المؤمنين فى ذلك التكليف فحاشى من الصحابة ذلك اجيب بمنع دلالته عليه وذلك لان القوم لم يكلفوا بان يقدموا الصدقة و يشتغلوا بالمناجاة بل امروا بانهم ان ارادوا المناجاة فلابد من تقديم الصدقة فمن ترك المناجاة وما تتوقف هى عليه من تقديم الصدقة لعدم عروض مهم يقتضيها فى مدة بقاء التكليف لايكون مقصرا لان هذه المناجاة ليست من الواجبات ولا من الطاعات المندوبة لذاتها بل شأنها ان تقع عند اقتضاء الحاجة اياها ولاسيما قد ذكر انهم انما كلفوا بتقديم الصدقة ليتركوا الافراط فى السؤال و يقتصروا على السؤال عند طريان الحاجة اليه فلايكون ترك المناجاة مطلقا تقصيرا فى التكليف وانما يكونون مقصرين فيه لو ناجوا فى مدة بقاء التكليف به من غير تقديم الصدقة ولا يمكنهم ذلك لانه عليه الصلاة والسلام لايمكنهم من ذلك فليس فى الآية مايدل على صدور التقصير منهم والاستفهام التقريرى فى قوله تعالى ءأشفقتم يجوز ان يكون مبنيا على انه تعالى علم ضيق صدر كثير منهم من بقاء هذا التكليف ابدا الكثرة مايقتضى المناجاة وعدم تيسر تقديم الصدقة فى كل مرة فقال هذا القول واما قوله تعالى وتاب الله عليكم فليس معه مايدل على انه تاب عليهم من هذا التقصير بخصوصه بل يحتمل ان يكون المراد انكم اذا كنتم تائبين راجعين الى الله تعالى واقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة فقد كفاكم هذا التكليف هذا كلام الامام ولاحاجة الى هذا التكلف بما اشار اليه المصنف بقوله بان رخص لكم ان لاتفعلوه فتأمل ثم انه تعالى لما وبخ اليهود والمنافقين وهددهم بقوله الم تر الى الذين نهوا عن

الصدقة او أشفقتم التهديم لما يعدكم الشيطان عليه من الفقر وجمع صدقات بجمع المخاطبين اولكثرة التناجى (فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم) بان رخص لكم ان لاتفعلوه وفيه اشعار بان اشفاقهم ذنب تجاوز الله عنه لما رأى منهم مما قام مقام توبتهم واذ على بابها وقيل بمعنى اذا أو ان (فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) فلا تفرطوا فى ادائهما (واطيعوا الله ورسوله) فى سائر الاوامر فان القيام بها كالجابر للتفريط فى ذلك (والله خبير بما تعملون) ظاهرا او باطنا (الم تر الى الذين تولوا) والوا (قوما غضب الله عليهم) يعنى اليهود (ماهم منكم ولامنهم) لانهم منافقون مذبذبون بين ذلك (و يحلفون على الكذب) وهو ادعاء الاسلام

النجوى الى قوله حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير ثم ساق الكلام الى هنا عاد الى ذم المنافقين بعوا لانهم اليهود فقال الم تر الى الذين تولوا قوما الآية التولى مرافقة العدو و يقال منه تولاه (قوله كمن يحلف بالغموس) فان المحلوف عليه فيه كذب والغموس ان يحلف على امر قد مضى بانه قد وقع او لم يقع وهو يعلم انه كاذب وان حلف على امر قد مضى وهو يظن ان الامر كما قال وهو ليس كذلك فى نفس الامر فهو لغو وروى عن عائشة رضى الله تعالى عنها ان اللغو ما يجرى على اللسان من غير قصد اليمين سوآء كان فى امر قد مضى او فى امر سيكون مثل ان يقول لا والله او بلى والله و يروى عن ابى حنيفة مثله وسميت الاولى غموسا لانها تغمس صاحبها فى الذنب ثم فى النار قال عليه الصلاة والسلام الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس بغير حق واليمين الغموس ولم يجعل حلف المنافقين على الكذب غموسا بل شبهه به فى كون الحالف متعمد الكذب لان الغموس هو الحلف على الماضى متعمد الكذب وحلفهم ليس كذلك بل هو حلف على الحال (قوله وفى هذا التقييد دليل الخ) اعلم انه لا واسطة بين الصدق والكذب عند الجمهور فان صدق الخبر عندهم عبارة عن مطابقة حكمه للواقع وكذبه عبارة عن عدم مطابقته له وقال النظام صدق الخبر مطابقة حكمه لاعتقاد المخبر ولو كان ذلك الاعتقاد خطأ غير مطابق للواقع وكذبه عدم مطابقته لاعتقاد المخبر ولو كان ذلك الاعتقاد خطأ فقول من يقول السماء تحتنا معتقدا ذلك صدق وقوله السماء فوقنا غير معتقد كذب عنده وعند الجمهور بالعكس وقال الجاحظ صدقه مطابقته للواقع مع الاعتقاد بانه مطابق وكذب الخبر عدم مطابقته للواقع مع اعتقاد انه غير مطابق له فالخبر انما يكون كاذبا لمجموع الامرين عنده وهما عدم مطابقة حكمه للواقع وعلم المخبر بعدم مطابقته له فاستدل المصنف على فساد قول الجاحظ بهذه الآية فقال لو اعتبر فى كذب الخبر علم المخبر بعدم مطابقة حكمه للواقع لكان تقييد قوله ويحلفون على الكذب بالجملة الحالية وهى قوله وهم يعلمون خاليا عن الفائدة لان كذب المحلوف عليه اذا استلزم علم المخبر بعدم مطابقة حكمه للواقع لزم ان يكون قوله وهم يعلمون ضائعا بلا فائدة بخلاف ما اذا كان كذب الخبر عبارة عن مطابقة حكمه للواقع فقط كقول الدهرى انبت الربيع البقل معتقدا ذلك فانه خبر كاذب مع ان المخبر لا يعلم مطابقته للواقع (قوله وروى) عطف على قوله وهو ادعاء الاسلام فان الكذب المحلوف عليه على هذه الرواية هو قولهم ما شتمنا وما فعلنا شيأ يوجب هتك حرمتك فانهم قد فعلوا ذلك الا انهم لما خافوا من القتل حلفوا انهم ما فعلوه وهم يعلمون

(وهم يعلمون) ان المحلوف عليه كذب كمن يحلف بالغموس وفى هذا التقييد دليل على ان الكذب يعم ما يعلم المخبر عدم مطابقته وما لا يعلم وروى انه عليه الصلاة والسلام كان فى حجرة من حجره فقال يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعين شيطان فدخل عبد الله بن نبتل المنافق وكان ازرق فقال عليه الصلاة والسلام علام تشتمنى انت واصحابك فحلف بالله ما فعل ثم جاء باصحابه فحلفوا فنزلت

(اعد الله لهم عذابا شديدا) نوعا من العذاب متفاقما (انهم ساء ما كانوا يعملون) فتمرنوا على سوء العمل واصروا عليه (اتخذوا ايمانهم) اى التى حلفوا بها وقرئ بالكسر اى ايمانهم الذى اظهروه (جنة) وقاية دون دمائهم واموالهم (فصدوا عن سبيل الله) فصدوا الناس فى خلال امنهم عن دين الله بالتحريش والتثبيط (فلهم عذاب مهين) وعيد ثان بوصف آخر لعذابهم وقيل الاول عذاب القبر وهذا عذاب الآخرة) لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيأ اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) قد سبق مثله (يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له) اى لله على انهم مسلمون و يقولون (كما يحلفون لكم) فى الدنيا انهم لمنكم (و يحسبون انهم على شئ) فى حلفهم الكاذب لان تمكن النفاق فى نفوسهم بحيث يخيل اليهم فى الآخرة ان الايمان الكاذبة تروج الكذب على الله كما تروجه عليكم فى الدنيا (ألا انهم هم الكاذبون) البالغون الغاية فى الكذب حيث يكذبون مع عالم الغيب والشهادة و يحلفون عليه (استحوذ عليهم الشيطان) استولى من حذب الابل وحزنها اذا استوليت وهو مما جاء على الاصل (فأنساهم ذكر الله) لا يذكرونه بقلوبهم ولا بألسنتهم (اولئك حزب الشيطان) جنوده واتباعه (ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون) لانهم فوتوا على انفسهم النعيم المؤبد وعرضوها للعذاب المخلد (ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك فى الاذلين)

انهم كاذبون فى هذا الانكار (قوله متفاقما) اى عظيما يقال تفاقم الامر اى عظم والنوعية مستفادة من تنكير عذابا والعظم من توصيفه بالشدة (قوله فتمرنوا اى تعودوا من قولهم مرن على الشئ يمرن مرونا ومرانة اى تعوده واستمر عليه وتمرنهم على سوء العمل مستفاد من كان الدالة على الزمان الماضى اى هذا العمل السئ دأبهم القديم والتحريش الاغراء بين القوم وهو من لوازم النفاق وكانوا يثبطون عن الدخول فى الاسلام و يضعفون امر المسلمين عندهم (قوله وعيد ثان) اى لئلا يلزم التكرار وقيل المراد بالكل عذاب الآخرة كما فى قوله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب ثم انه تعالى لما بين انهم انما يحلفون على الكذب لتكون ايمانهم الكاذبة جنة لهم يدفعون بها القتل عن انفسهم واولادهم والاستيلاء على اموالهم بين انه لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم التى كانوا يحمونها بالنفاق والايمان الكاذبة من عذاب الله تعالى فى الآخرة شيأ قليلا وقوله يوم يبعثهم الله منصوب بقوله لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم او باصحاب النار او بالاستقرار المدلول عليه بقوله فلهم عذاب مهين او باضمار اذكر (قوله و يقولون كما يحلفون لكم) الظاهر ان يقال كما يحلفون لكم فى الدنيا و يقولون انهم لمنكم بين ان المحلوف عليه فى الدنيا قولهم للمؤمنين انهم لمنكم وان المحلوف عليه فى الآخرة قولهم ما كنا مشركين والمعنى انهم لشدة توغلهم فى الكذب والنفاق فى الدنيا بقوا فى الآخرة على هذا الخلق الردئ مع معاينة ما اوعدوا من الاهوال وانكشاف الاحوال وانقلاب خفايا الامور ظواهر فظنوا انه يمكنهم ترويج كذبهم على علام الغيوب بالايمان الكاذبة كما تستروا بها واتخذوها جنة فى الدنيا (قوله من حذت الابل وحزنها) يقال حاذ الابل يحوذها و يحوزها اى يسوقها كذا فى الصحاح وليس المراد ان استحوذ بالذال مشتق من الحوز بالزاى الا ان يراد بالاشتقاق الاشتقاق الاكبر وهو ان تكون بين اللفظين تناسب فى المخرج لا فى جوهر الحروف (قوله وهو مما جاء على الاصل) يعنى استحوذ بالذال صحيح لموافقة استعمال الفصحاء كاستصوب واستنوق وان شذ قياسا اذ القياس ان يقال استحاذ بقلب الواو ألفا بعد نقل حركتها الى الحاء وكان استيلاء الشيطان وغلبته عليهم وسوقه اياهم اراد

في جملة من هو اذل خلق الله (كتب الله) في اللوح (لاغلبن انا ورسلي) اي بالحجة وقرأ نافع وابن عامر ورسلي بفتح الياء (ان الله قوي) على نصر اوليائه (عزيز) لا يغلب عليه في مراده (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله) اي لا ينبغي ان تجدهم وادين اعداء الله والمراد انه لا ينبغي ان يوادوهم (ولو كانوا آباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم) ولو كان المحادون اقرب الناس اليهم (اولئك) اي الذين لم يوادوهم (كتب في قلوبهم الايمان) اثبته فيها وهو دليل على خروج العمل من مفهوم الايمان فان جزء الثابت في القلب يكون ثابتا فيه واعمال الجوارح لا تثبت فيه

سيالار تكابهم المعاصي غير ذاكرين الله تعالى ومقامهم بين يديه ومجازاتهم بما صنعوا (قوله في جملة من هو اذل خلق الله تعالى) لان ذل احد الخصمين على حسب عز الآخر فلهذا كانت عزة الله تعالى غير متناهية (قوله اي بالحجة) لم يذكر الغلبة بالسيف مع ان من بعث بالحرب من الرسل غالبون بالسيف كما انهم غالبون بالحجة والبرهان لان الغلبة بالحجة ثابتة لجميع الرسل بخلاف الغلبة بالسيف فانها انما تثبت لمن امر منهم بالحرب عن الزجاج انه قال غلبة الرسل على نوعين من بعث منهم بالحرب فهو غالب بالحرب ومن بعث منهم بغير حرب فهو غالب بالحجة قيل في سبب نزول هذه الاية ان المؤمنين لما قالوا لئن فتح الله لنا مكة والطائف وخيبر وما حولهن رجونا اي يظهرنا الله تعالى على فارس والروم فقال عبدالله بن سلول أتظنون ان الروم وفارس كبعض القرى التي غلبتم عليها والله انهم اكثر عددا واشد بطشا من ان تظنوا فيهم ذلك فنزلت لاغلبن انا ورسلي ثم انه تعالى لما ذم المنافقين وتعجب من موالاتهم قوما غضب الله عليهم بين انه لا يجتمع الايمان بالله واليوم الآخر مع توادّ اعداء الله وموالاتهم لان شرط الايمان بالله محبته وطاعته وهما يقتضيان معاداة اعدائه قال بعض العارفين

تود عدوي ثم تزعم انني ❊ صديقك ليس القول عنك بعازب

فقال لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون فقوله يوادون صفة لقوم بعد صفة او حال منه (قوله اي لا ينبغي ان تجدهم الخ) اشارة الى ان المؤمن لا يصير منافقا خارجا عن الايمان بان حصل في قلبه وداد اعداء الله تعالى لكنه يكون عاصيا صاحب كبيرة وان دل ظاهر النظم على انه لا يجتمع في القلب وداد اعداء الله تعالى والايمان وان اي قلب حصل فيه مودة عدو الله تعالى يصير صاحبه منافقا خارجا عن الايمان ولا يخفى انه نهي وزجر عن موالاتهم بابلغ الوجوه وحمل على التصلب ومجانبتهم والمباعدة عنهم ثم زاده توكيدا بقوله ولو كانوا آباءهم الى قوله او عشيرتهم ثم بقوله اولئك كتب في قلوبهم الايمان ثم بمقابلة قوله اولئك حزب الله بقوله في حق اضدادهم اولئك حزب الشيطان وروى عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه كان يقول اللهم لا تجعل لفاجر ولا لفاسق عندي نعمة فاني وجدت فيما اوحيت الي لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر الآية فعلم منه ان الفساق واهل الظلم داخلون فيمن حاد الله ورسوله اي خالفهما وعاداهما واستدل الامام مالك بهذه الآية على معاداة القدرية وترك مجالستهم (قوله اي من عند الله) يعني ان من رحمة الله تعالى ومن لابتداء الغاية والروح مستعار اما لنور القلب فانه تعالى لما نور قلوبهم بحيث مرنوا بها ما يحييهم ثم ايدهم ورغبوا بذلك في الارتقاء الى المدارج

(وايدهم بروح منه) اى من عند الله وهو نور القلب او القرآن او النصر على العدو وقيل الضمير فى منه للايمان فانه سبب لحياة القلب (ويدخلهم ﴿ ٤١٥ ﴾ جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها رضى الله عنهم) بطاعتهم (ورضوا عنه) بقضائه او بما وعدهم من الثواب (اولئك حزب الله) جنده وانصار دينه (الا ان حزب الله هم المفلحون) الفائزون بخير الدارين * عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيامة

سورة الحشر مدنية وآيها اربع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

(سبح لله ما فى السموات وما فى الارض وهو العزيز الحكيم) روى انه عليه الصلاة والسلام لما قدم المدينة صالح بنى النضير على ان لايكونوا له ولا عليه فلما ظهر يوم بدر قالوا انه النبى المنعوت فى التوراة بالنصرة فلما هزم المسلمون يوم احد ارتابوا ونكثوا وخرج كعب ابن الاشرف فى اربعين راكبا الى مكة وحالفوا اباسفيان فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة اخا كعب من الرضاعة فقتله غيلة ثم صبحهم بالكتائب وحاصرهم حتى صالحوه على الجلاء فجلاء اكثرهم الى الشام ولحقت طائفة بخيبر والحيرة فانزل الله سبح لله الى قوله والله على كل شئ قدير

الروحانية والتخلص عن دركات عالم الطبيعة الدنية صار نور القلب لهم سببا للحياة الابدية كالروح للحياة البدنية فاطلق عليه اسم الروح على سبيل الاستعارة واما القرآن او النصر على العدو فان كل واحد منهما سبب للحياة المعنوية فكان كالروح الذى هو سبب للحياة الحسية (قوله وقيل الضمير فى منه للايمان) اى بروح من الايمان فانه فى نفسه روح للقلوب من حيث كونه سببا للحياة كما قال تعالى اومن كان ميتا فاحييناه فتكون كلمة من للبيان وقيل الروح مستعار لجبريل عليه الصلاة والسلام فانه تعالى ايدهم وقواهم به على كثير ممن كان يحاربهم * تمت سورة المجادلة والحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لانبى بعده والآن اشرع بتوضيح مايتعلق بسورة الحشر مستعينا بالله سبحانه وتعالى

سورة الحشر اربع وعشرون آية مدنية

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ رب يسر

(قوله صالح بنى النضير) بنوا النضير رهط من اليهود من ذرية هرون عليه الصلاة والسلام نزلوا المدينة فى فتن بنى اسرائيل انتظار البعثة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان كعب بن الاشرف سيدهم (قوله فلما ظهر) اى لما غلب عليه السلام على المشركين يوم بدر استحكم ظنهم فى حقية امره فلما كانت وقعة احد ارتابوا واظهروا العداوة له عليه الصلاة والسلام ونقضوا العهد الذى كان بينهم وبين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وركب كعب مع اصحابه الى مكة واتوا قريشا وحالفوهم وعاقدوهم على ان تكون كلمتهم واحدة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم رجع كعب واصحابه الى المدينة فنزل جبريل فاخبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بما تعاقد عليه كعب وابو سفيان فامر عليه الصلاة والسلام محمد بن مسلمة الانصارى وكان اخا كعب بن الاشرف من الرضاعة فقتل كعبا غيلة والقتل بطريق الاغتيال ان يخدع المقتول فيذهب به الى موضع فاذا صار اليه قتله قيل خرج محمد بن مسلمة وابو نائلة ورجلان آخران فاتوه بالليل وقالوا اتيناك نستقرض منك شيأ من التمر فخرج اليهم فقتلوه قيل كان جلاء بنى النضير مرجع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من احد وكان فتح بنى قريظة مرجعه من الاحزاب وبينهما سنتان وكانت وقعة الاحزاب فى شوال سنة خمس فاجلاهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على ان يحمل كل ثلاثة من اهل الابيات على بعير واحد ماشاؤا من غير السلاح وماتركوه

(هو الذى اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر) اى فى اول حشرهم من جزيرة العرب اذلم يصبهم هذا الذل قبل ذلك اوفى اول حشرهم للقتال او الجلاء الى الشام وآخر حشرهم اجلاء عمر رضى الله عنه اياهم من خيبر اليه اوفى اول حشر الناس الى الشام وآخر حشرهم انهم يحشرون اليه عند قيام الساعة فيدركهم هنالك اوان نارا تخرج من المشرق فتحشرهم الى المغرب والحشر اخراج جمع من مكان الى آخر (ماظننتم ان يخرجوا) لشدة بأسهم ومنعتهم (وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله) اى ان حصونهم تمنعهم من بأس الله وتغيير النظم وتقديم الخبر واسناد الجملة الى ضميرهم للدلالة على فرط وثوقهم بحصانتها واعتقادهم فى انفسهم انهم فى عزة ومنعة بسببها ويجوز ان يكون حصونهم فاعلا لمانعتهم

قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولاصحابه فجلا اكثرهم الى الشام الى اريحا واذرعات الااهل بيتين منهم آل ابى الحقيق وآل حيى بن اخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحق طائفة منهم بالحيرة وهى مدينة بقرب الكوفة والجلاء الخروج من البلد وقد جلوا عن اوطانهم وجلوتهم انا يتعدى ولا يتعدى ويقال ايضا اجلوا عن البلد واجليتهم انا كلاهما بالالف كذا فى الصحاح ومصالحة اهل الحرب على الجلاء من ديارهم من غير شئ لايجوز الآن وانما كان كذلك فى اول الاسلام ثم نسخ والآن لابد من قتالهم وسبيهم اوضرب الجزية عليهم (قوله فى اول حشرهم من جزيرة العرب) اشارة الى ان اللام فى قوله تعالى لاول الحشر متعلقة باخرج وانها اللام المفيدة لمعنى الظرفية كما فى قوله تعالى اقم الصلاة لدلوك الشمس ويا ليتنى قدمت لحياتى سميت جزيرة العرب بها تشبيها لها بالجزيرة الواقعة فى خلال البحر فان بحر الحبشة وبحر فارس والفرات ودجلة قد احاطت بها وقوله اذلم يصبهم هذا الذل قبل ذلك اشارة الى ان اولية الاخراج لاتستدعى اخراجا ثانيا يكون هذا الاخراج اولا بالاضافة اليه بل اوليته عبارة عن كون الشئ غير مسبوق بآخر مثله واخراج بنى النضير اول اخراج اصابهم من حيث انه غير مسبوق بحشر واخراج آخر فهم اول من اخرج من اهل الكتاب من جزيرة العرب بمعنى ان اخراجهم فى هذه المرة اول اخراج اصابهم فان اهل الكتاب لكونهم اهل عز ومنعة لم يصبهم الاخراج قبل هذه المرة ثم اشار الى جواب ان يكون اولية هذا الاخراج بالنسبة الى الاخراج الثانى الذى اصاب اهل الكتاب وهو اخراج عمر رضى الله عنه اياهم من خيبر الى الشام فقال اوفى اول حشرهم للقتال (قوله اوان نارا تخرج من المشرق) عطف على قوله انهم يحشرون اليه اى آخر حشرهم اما حشر الناس الى الشام باى سبب كان اوالى المغرب بان تحشرهم النار اليه قال قتادة تأتى نار تحشر الناس من المشرق الى المغرب تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا وتأكل من تخلف منهم وذكر ان تلك النار ترى بالليل ولاترى بالنهار (قوله تعالى ماظننتم وظنوا) الظن الاول فيه على بابه والثانى بمعنى العلم واليقين اشهادة وقوع ان المشددة بعده فانه قد تقرر فى النحو انه لايعمل فى ان المشددة ولافى المخففة الافعل العلم واليقين الا ان يقال سلط فعل الظن على ان المشددة هنا لجريانه مجرى اليقين لشدته وقوته حتى صار بمنزلة العلم (قوله وتغيير النظم) يعنى ان الظاهر ان يقال وظنوا ان حصونهم تمنعهم اومانعتهم من بأس الله لان متعلق ظنهم انما هو ان منعهم وثاقة الحصن من ان يظفر عليهم احد والعبارة الطاهرة فى تأدية هذا المعنى ماذكر من العبارة والذى عليه النظم

(فاتاهم الله) اى عذابه وهو الرعب والاضطرار الى الجلاء وقيل الضمير للمؤمنين اى فاتاهم نصر الله وقرئ فآتاهم اى العذاب او النصر (من حيث لم يحتسبوا) لقوة وثوقهم (وقذف فى قلوبهم الرعب) واثبت فيها الخوف الذى يرعبها اى يملأها (يخربون بيوتهم بايديهم) ضنابها على المسلمين واخراجا لما استحسنوا من آلاتها (وايدى المؤمنين) فانهم ايضا كانوا يخربون ظواهرها

مخالف للظاهر من وجهين الاول تقديم الخبر على المبتدأ والثانى ايراد لفظة لاحاجة اليه وهو الضمير الذى جعل اسم ان الا انه قيل العبارة الظاهرة الى ما عليه نظم التنزيل لما ذكره المصنف من الدلالة وتوضيح المقام ان البلاغة وان كانت كناية عن مطابقة الكلام لمقتضى الحال الا ان مقتضى الحال ليس منحصرا فيما يقتضيه الحال بحسب الظاهر فان البلغاء كثيرا ما يخرجون الكلام على خلاف مقتضى ظاهر الحال لاقتضاء الحال بحسب غير الظاهر ذلك الاخراج فان شأنهم النظر الى جانب المعنى ووضوح الكلام على وجه يؤدى الى ما قصدوه من الاغراض وان ادى ذلك الى ما يعده النحوى خلاف الظاهر كما فى هذه الآية فانه قدم فيها الخبر على المبتدأ ليفيد قصر الموصوف على الصفة على معنى ان حصونهم ليس لها صفة غير المانعية فتقديم الخبر مع كونه خلاف الظاهر دل على فرط وثوقهم بكونها حصينة بحيث ظنوا انه لايخرجهم منها احد وكذا اسناد الجملة الى ضميرهم فان اصل المعنى وان ادى الى ان يجعل حصونهم اسم ان وما نعتهم خبرها الا انه لما جعل اسم ان ضميرا وجعلت الجملة خبرها حصل تقوى الحكم بتكرار الاسناد كما حصل بكلمة ان المشددة فدل الكلام على اعتقادهم فى انفسهم انهم فى عزة ومنعة بسببها ويجوز ان تكون حصونهم فاعلا لمانعتهم لان اسم الفاعل يعمل عمل فعله بشرط الاعتماد وقد اعتمد ههنا على اسم ان الا ان الكلام حينئذ يخلو عن الفائدتين المذكورتين (قوله وهو الرعب) فانه عليه الصلاة والسلام لما سار اليهم بالكتائب قال لهم اخرجوا من المدينة فقالوا الموت اقرب الينا من ذلك فتنادوا بالحرب والقتال فارسل اليهم المنافقون عبدالله واصحابه ان لاتخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم ولا نخذ لكم ولئن اخرجتم لنخرجن معكم فغلقوا الابواب على ازقة حصونهم وحصنوها مترصدين فرصة القتال فحاصرهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم احدى وعشرين ليلة وقذف الله تعالى فى قلوبهم الرعب وقل شوكتهم بقتل رئيسهم كعب بن الاشرف غيلة ويأسهم من نصر المنافقين اياهم فاضطروا الى ان تطلبوا منه عليه الصلاة والسلام ان يصالح معهم فلم يرض الا بان يخرجوا من المدينة على ما يأمرهم به فقبلوا ذلك اضطرارا وكانوا اهل سلاح وقصور منيعة فلم يمنعهم شئ منها (قوله وقرئ فآتاهم) اى بالمد وحذف المفعول وهو العذاب ان كان الضمير لبنى النضير والنصر ان كان الضمير للمؤمنين (قوله الذين يرعبها) اشارة الى ان الرعب عند اهل اللغة هو الخوف الذى يرعب الصدور اى يملأها الجوهرى رعبت الحوض ملأته وسيل راعب يملأ الوادى وسنام رعيب اى سمين ممتلئ والآية تدل على ان

الامور كلها من الله تعالى لان الآية دلت على ان وقوع ذلك الرعب صار سببا في اقدامهم على بعض الافعال وبالجملة فالفعل لايحصل الا عند حصول داعية متولدة في القلب وحصول تلك الداعية لايكون الا من الله تعالى ولاشك ان نفس الخلق ليس الا منه تعالى فكانت الافعال باسرها مسندة اليه تعالى بهذا الطريق وقد اشار الشريف الجرجاني المحقق نور الله مرقده الى هذا بيت مفرد وهو قوله

ظفره نظام وحال بهشمى * نسبتهم للعدو كسب اشعرى

ومن المعلوم ان القول بالجبر المحض لاوجه له الا ان مناط الامر هو الطهارة والنجاسة الفطريتين وان الخاتمة مبنية على الفاتحة ولا يكتسب الا ماساعد عليه استعداده الفطرى آه منه ثم آه (قوله نكاية) اى غيظا وقهرا الجوهرى نكيت في العدو نكاية اذا قتلت فيه وجرحت عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال كلما ظهر المسلمون على دار من دورهم هدموها ليتسع لهم المجال ويسعوا كيف شاؤا وجعل اعداء الله ينقبون دورهم من ادبارهم فيخرجون الى التى بعدها فيتحصنون فيها فبين بهذا وجه اخرابها بايدى الفريقين وذكر المصنف في وجه اخرابها بايديهم انهم لما ايقنوا بالجلاء حسدوا المسلمين ان يسكنوا منازلهم فجعلوا يخربونها من داخل لئلا يتحسروا بعد جلائهم على بقائها للمسلمين ونقلوا ما امكنهم نقله من الخشب الجيدة والساج النفيس (قوله وعطفها) يعنى ان اسناد الاخراب بايدى المؤمنين الى انفسهم اسناد مجازى من قبيل اسناد الفعل الى السبب الحامل (قوله وقيل الاخراب التعطيل) عطف على مايفهم من قوله وهو ابلغ لمافيه من التكثير اى وقيل في الفرق بين الاخراب والتخريب واو في قوله اوترك الشئ خرابا مبنى على اختلاف العبارة لان تركه خرابا بمعنى تركه بلا ساكن وهو معنى التعطيل وبنى ابو عمرو قراءة التشديد على هذا الفرق لان بنى النضير لم يتركوا منازلهم بغير ساكن مع بقائها على حالها بل خربوها بالهدم والنقض كمايدل عليه قوله تعالى بايديهم وايدى المؤمنين (قوله فاتعظوا بحالهم فلاتغدروا) الغدر ترك الوفاء بالعهد كما غدر كعب بن الاشرف واصحابه بمعاداتهم الرسول والمؤمنين بعد المصالحة وما لؤا ابا سفيان على المسلمين واعتمدوا على وثاقة حصونهم وكثرة عددهم وعددهم والاعتبار مأخوذ من العبور وهو التجاوز من شئ الى شئ ومنه [illegible] ليعرف بها شيئا آخر من جنسها كانه قيل تدبروا واظروا [illegible] صدورهم واعتمادهم على غير الله تعالى وقيسوا عليه [illegible]

نكاية وتوسيعا لمجال القتال وعطفها على ايديهم من حيث ان تخريب المؤمنين مسبب عن نقضهم فكانهم استعملوهم فيه والجملة حال او تفسير للرعب وقرأ ابو عمرو يخربون بالتشديد وهو ابلغ لمافيه من التكثير وقيل الاخراب التعطيل او ترك الشئ خرابا والتخريب الهدم (فاعتبروا يا اولى الابصار) فاتعظوا بحالهم فلا تغدروا ولا تعتمدوا على غير الله واستدل به على ان القياس حجة من حيث انه امر بالمجاوزة من حال الى حال وحملها عليها في حكم لما بينهما من المشاركة المقتضية له على ماقررناه في الكتب الاصولية

على غيره تعالى واتقوا ابسوء عاقبته (قوله تعالى ولولا ان كتب الله)
اي لولا ان قضى عليهم الخروج وان فيه مخففة من الثقيلة واسمها مضمر وهو
ضمير الشان وان مع ما في حيزها في محل الرفع على الابتداء لان لولا اذا كانت
بمعنى الامتناع لا يليها الا المبتدأ ولهذا فتحت ان بعدها لكون ما بعدها
في موقع المفرد لوجوب كون المبتدأ مفردا وخبره محذوف فقولك لولا انك
منطلق انطلقت تقديره لولا انطلاقك حاصل انطلقت (قوله استئناف)
اذ لو كان معطوفا على قوله لعذبهم في الدنيا لزم ان ينجو من عذاب الآخرة
ايضا لان لولا تقتضي انتفاء الجزاء لحصول الشرط (قوله او الى الاخير)
فالمعنى على الاول ذلك الاخراج والخزي واخراب بيوتهم بايديهم وايدي
المؤمنين وما اعد لهم في الآخرة وعلى الثاني ذلك العذاب المعد لهم في الآخرة
بسبب انهم شاقوا الله ورسوله اي عادوه وخالفوا امره ويجوز ان يكون منصوبا
بفعل مضمر اي فعلنا بهم ذلك بسبب كذا وكذا (قوله اي شئ قطعتم)
اشارة الى ان ما شرطية منصوبة المحل على انها مفعول قطعتم ومن لينة
بيان لها وقوله فبإذن الله خبر مبتدأ محذوف اي قطعها وتركها باذن الله
والجملة جواب الشرط والمصنف فسر اللينة بالنخلة مطلقا من اي نوع
كانت كما ذهب اليه مجاهد وعطية قال الامام محيي السنة في تفسيره اختلفوا
في اللينة فقال قوم هي النخلة كلها ما خلا العجوة واهل المدينة يسمون
ما خلا العجوة من التمر الالوان واحدها لون ولينة اصلها لونة قلبت واوها ياء
لسكونها وانكسار ما قبلها وقال الازهري اللينة هي انواع النخل كلها
الا العجوة والبرنية وقال مجاهد وعطية هي النخل كلها من غير استثناء وقال
مقاتل هي ضرب من النخل يقال لثمرها اللون وهي شديدة الصفرة يرى
نواها من خارج يغيب فيها الضرس وكان من اجود تمرهم واعجبها اليهم
وكانت النخلة الواحدة منها احب عندهم من وصيف قال الامام فان قيل
لم خصت اللينة بالقطع قلنا ان كانت من الالوان فليستبقوا لانفسهم العجوة
والبرنية وان كانت من كرام النخل فليكون غيظ اليهود اشد (قوله
وقرئ على اصلها) فيه وجهان الاول انه جمع اصل كرهن ورهن وسقف
وسقف والثاني انه تخفيف اصولها حذفت الواو منه اكتفاء بالضمة
كما في قول الشاعر * فلو ان الاطبا كان حولي * اصله كانوا
فحذف الواو لما ذكر (قوله علة لمحذوف) وقيل انه معطوف على قوله
باذن الله لان التعليل والسببية من واد واحد (قوله فنزلت) اي اصنعوا ابا
بالرأي كل واحد ممن قطعها اخزاء للكافرين وتحسيرا لهم وبين امسك

بني قريظة (ولهم في الآخرة عذاب النار) استئناف معناه انهم ان نجوا من عذاب الدنيا لم ينجوا من عذاب الآخرة (ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب) الاشارة الى ما ذكر مما حاق بهم وما كانوا بصدده وما هو معد لهم او الى الاخير (ماقطعتم من لينة) اي شئ قطعتم من نخلة فعلة من اللون ويجمع على الوان وقيل من اللين ومعناها النخلة الكريمة وجمعها أليان (او تركتموها) الضمير لما وتأنيثه لانه مفسر باللينة (قائمة على اصولها) وقرئ على اصلها اكتفاء بالضمة عن الواو او على انه كرهن (فباذن الله) فبأمره (وليخزي الفاسقين) علة لمحذوف اي وفعلتم او واذن لكم في القطع ليخزيهم على فسقهم بما غاظهم منه روى انه عليه الصلاة والسلام لما امر بقطع نخيلهم قالوا يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد في الارض فما بال قطع النخل وتحريقها فنزلت واستدل به على جواز هدم ديار الكفار

وقطع اشجارهم زيادة لغيظهم (وما أفاء الله على رسوله) وما اعاده عليه بمعنى صيره اورده عليه فانه كان حقيقا بان يكونله لانه تعالى خلق الناس لعباداته وخلق ما خلق لهم ليتوسلوا به الى طاعته فهو جدير بأن يكون للمطيعين (منهم) من بني النضير او من الكفرة (فما اوجفتم عليه) فما اجريتم على تحصيله من الوجيف وهو سرعة السير (من خيل ولا ركاب) ما يركب من الابل غلب فيه كما غلب الراكب على راكبه وذلك ان كان المراد فيء بني النضير فلأن قراهم كانت على ميلين من المدينة فمشوا اليها رجالا غير رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه ركب جملا او حمارا ولم يجر مزيد قتال ولذلك لم يعط الانصار منه شيأ الا ثلاثة كانت بهم حاجة (ولكن الله يسلط رسله على من يشاء) بقذف الرعب في قلوبهم (والله على كل شيء قدير) فيفعل ما يريد تارة بالوسائط الظاهرة وتارة بغيرها

عن قطعها وندم على ما فعله من القطع لتبقى غنيمة للمسلمين لحسن نية كل واحد منهم اما من قطعها فلزيادة غيظ على الكافرين بسبب كفرهم ونقضهم العهد وتعاقدهم مع مشركي مكة على معاداة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومحاربته واما من تركها فلتبقى غنيمة للمسلمين وقد ندم بعض من قطعها قبل نزول الآية على ما فعل خشية ان يكون ذلك منه افسادا في الارض وقد قال تعالى واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل ولم يندم آخرون وقالوا نغيظهم بقطعها قال تعالى ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح واستدل بعضهم بفعل الفريقين على جواز الاجتهاد بحضرة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى ان كل مجتهد مصيب لان كل فريق اتبع اجتهاده وانه تعالى استصوب رأي كل واحد منهما وقيل لا يجوز الاجتهاد مع وجود النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بين اظهرهم وانما فعلوا ذلك بامره عليه الصلاة والسلام اياهم بذلك وانما يدل على اجتهاد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيما لم ينزل عليه وعن ابن مسعود انهم قطعوا منها ما كان في موضع القتال (قوله وما اعاده عليه) يعني ان افاء افعل من الفيء بمعنى الرجوع يقال فاء يفيء فيئا اي رجع وافاءه غيره اي رجعه ويقال للخراج والاموال المغنومة من الكفار فيء لرجوعها الى المسلمين من الكفرة واشار بقوله يعني صيره اورده عليه الى ان العود له معنيان احدهما ان يتحول الشيء الى ما فارق عنه وثانيهما مجرد ان يتحول اليه من آخر وان لم يكن ذلك التحول مسبوقا بان يحصل له قبل ذلك فقوله يعني صيره اشارة الى هذا المعنى وقوله اورده عليه اشارة الى المعنى الاول ثم بين وجه كون المال المغنوم معادا اليه عليه الصلاة والسلام بعد ما فارق عنه مع انه لم يحصل له قبل ذلك بقوله فانه كان حقيقا بان يكون له فهو بهذا الاعتبار صار كانه كان في يده ثم فارق عنه ووقع في ايدي الكفرة غصبا منه فاعاده الله عز وجل عليه بعد ما ذهب منه وكلمة ما في قوله تعالى وما افاء الله شرطية في محل النصب على انها مفعول افاء وقوله فما اوجفتم جواب الشرط او موصولة مرفوعة المحل على الابتداء وما بعدها خبرها والايجاف من الوجف وهو السير السريع يقال وجف الفرس يجف وجفا ووجيفا اذا اسرع وكذا البعير واوجفته انا اذا حركته وحملته على الاسراع ومن في قوله من خيل صلة اي خيلا ولا ركابا والركاب الابل خاصة غلب على الابل كما ان الراكب غلب على راكب الابل فانه يقال لراكب الفرس فارس وواحد الركاب راحلة ولا واحد لها من لفظها قال المفسرون ان بني النضير لما جلوا عن اوطانهم وتركوا رباعهم وضياعهم وطلب المسلمون من رسول الله صلى الله تعالى

(عليه

عليه وسلم ان يخمسها كما فعل بغنائم بدر انزل الله تعالى هذه الآية و بين انها فيئ لم يوجف المسلمون عليه خيلا ولا ركابا ولم يقطعوا اليه مسافة لان ديار بني النضير كانت من المدينة على ميلين فمشوا اليها مشيا ولم يركبوا خيلا ولا ركابا الا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فانه ركب جملا و قيل ركب حمارا مخطوما بليف ثم قال و لكن الله سلط رسله عليهم و على ماقي ايديهم بان القى رهبة في قلوبهم فهابوا ورضوا بالجلاء و ترك الاموال فجرى سلطان الرسول عليهم بتسليط الله عزوجل وذلك سنته في رسله الماضين وهو قوله ولكن الله يسلط رسله على من يشاء عما يشاء ولما نزلت هذه الآية لم يقسم رسول الله صلى الله تعالى عليه و سلم اموال بني النضير كما قسم غنائم بدر وانما قسمها بين المهاجرين ولم يعط الانصار منها شيئا الا ثلاثة كانت بهم حاجة وعن عمر انه عليه الصلاة والسلام كان ينفق مما يحصل من غلة اراضي بني النضير على اهله نفقة سنة و يجعل ما بقي منها في الكراع و السلاح عدة في سبيل الله قال الامام ومعنى الآية ان الصحابة رضي الله تعالى عنهم طلبوا من الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ان يقسم الفيئ بينهم كما قسم الغنيمة فقال تعالى الغنيمة ما اتعبتم انفسكم في تحصيلها واوجفتم عليها الخيل والركاب بخلاف الفيئ فانكم ما تحملتم في تحصيله تعبا فكان الامر فيه مفوضا الى الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم يصرفه كيف شاء ثم قال وههنا سؤال و هو ان اموال بني النضير اخذت بعد القتال لانهم حوصروا اياما وقاتلوا وقتلوا ثم صالحوا على الجلاء فوجب ان تكون تلك الاموال من جملة الغنائم لا من جملة الفيئ ولاجل هذا السؤال ذكر المفسرون ههنا وجهين الاول ان هذه الآية مانزلت في قرى بني النضير لانهم اوجفوا عليهم بالخيل و الركاب وحاصرهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم و المسلمون بل هو في فدك وذلك لان اهل فدك انجلوا عنه فصارت تلك الاموال و القرى في يد الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم من غير حرب فكان عليه الصلاة والسلام يأخذ من غلة فدك نفقته و نفقة من يعوله و يجعل الباقي في السلاح و الكراع فلما مات عليه الصلاة والسلام ادعت فاطمة رضي الله تعالى عنها انه عليه الصلاة والسلام كان ملكها فدك فقال ابو بكر رضي الله تعالى عنه انت اعز الناس على فقرا واحبهم الي غنى لا اعرف صحة قولك ولا يجوز لي ان احكم بذلك فشهد لها ام ايمن ومولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فطلب منها ابو بكر الشاهد الذي يجوز قبول شهادته في الشرع فلم تكن فأجرى ابو بكر ذلك على ما كان يجريه الرسول و جعل ينفق منه على من كان ينفق عليه الرسول و يجعل ما بقي في السلاح والكراع وكذلك عمر جعله في يد علي ليجريه على هذا المجرى

ورد ذلك فى آخر عهد عمر الى عمر وقال ان بناضى و بالمسلمين اليه حاجة وكان عثمان يجرى به كذلك ثم صار الى على فكان يجريه هذا المجرى قالا ثمة الا ربعة اتفقوا على ذلك والقول الثانى ان هذه الآية نزلت فى بنى النضير وقراهم وليس للمسلمين يومئذ كثير خيل ولاركاب ولم يقطعوا اليهما مسافة كثيرة وانما كانوا على ميلين من المدينة فمشوا اليهما مشيا ولم يركب الا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلما كانت المقاتلة قليلة وايجاف الخيل والركاب غير حاصل اجراه الله تعالى مجرى مالم يحصل فيه المقاتلة اصلا فخص رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بتلك الاموال فقسمها بين المهاجرين ولم يعط الانصار منها شيأ الا ثلاثة نفر وكذلك الحكم فى كل ما فتح على الائمة مالم يوجف عليه المسلمون خيلا ولاركابا سواء حصل فى ايدى المسلمين بان يجلوا اصحابه عن اوطانهم و يخلوه للمسلمين او يصالحوا على جزية يؤدونها عن رؤسهم او مال غير الجزية يفدون به من سفك دمائهم كما فعله بنو النضير حين صالحوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على ان لكل ثلاثة منهم حمل بعير مما شاؤا سوى السلاح وتركوا الباقى فهذا المال هو الفيئ و يصرف الى ما يصرف اليه الجزية والخراج بخلاف ما فتح عنوة وقهرا فانه غنيمة يقسم بين الفقراء بعد التخميس والمصنف اشار الى القولين اللذين نقلهما الامام عن المفسرين بقوله من بنى النضير اومن الكفرة و بقوله وذلك ان كان المراد فيئ بنى النضير اى عدم الايجاف على هذا التقدير مبنى على قرب منازلهم من المدينة بحيث مشوا اليهما رجالا واما ان كان المراد ما خوله الله تعالى رسوله من الكفرة من غير محاربة المسلمين وقهرهم كاموال فدك فالامر ظاهر قال الامام ابو الليث روى عن الزهرى انه قال كانت اموال بنى النضير للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم خالصة لانهم لم يفتحوها عنوة ولكن فتحوها صلحا فقسمها بين المهاجرين (قوله بيان للاول) اى غير اجنبى عنه بل هو متصل به فلذلك كان تخلل العاطف بينهما كتخلل شئ اجنبى بين الشئ و بيانه بين الله تعالى اولا ان ماخوله الله رسوله ليس من قبيل الغنائم المأخوذة قهرا فلا يقسم قسمها ثم بين له عليه الصلاة والسلام ما يصنع بما افاء الله عليه وامره ان يضعه حيث يضع الخمس من الغنائم مقسوما على الاقسام الخمسة فان الاموال المقسومة تقسم على خمسة اسهم اربعة اخماسها للغانمين و يجعل خمسها خمسة اسهم سهم منها لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وسهم لذوى القربى والمراد بهم بنوا هاشم و بنوا المطلب فانهم لما منعوا من الزكاة لكونها غسالة اموال الناس جعل لهم حق فى الفيئ وسهم لليتامى وسهم للمساكين وسهم لابناء السبيل

(ما افاء الله على رسوله من اهل القرى) بيان للاول ولذلك لم يعطف عليه (فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) اختلف فى قسم الفيئ فقيل يسدس لظاهر الآية و يصرف سهم الله فى عمارة الكعبة وسائر المساجد وقيل يخمس لان ذكر الله تعالى للتعظيم و يصرف الآن سهم الرسول الى الامام على قول والى العساكر والثغور على قول والى مصالح المسلمين على قول وقيل يخمس خمسه كالغنيمة فانه عليه السلام كان يقسم الخمس كذلك و يصرف الاخماس اربعة كما يشاء والآن على الخلاف المذكور

(كيلا يكون) اى الفيئ
الذى حقه ان يكون
للفقراء وقرأ هشام فى
رواية بالتاء (دولة بين
الاغنياء منكم) الدولة
ما يتداوله الاغنياء
و يدور بينهم كما كان
فى الجاهلية وقرئ
دولة بمعنى كيلا يكون
الفيئ ذا تداول بينهم

فكذا الفيئ فانه ايضا يخمس و يصرف كل خمس الى مصارف خمس الغنيمة
بناء على ان ذكر الله تعالى فى قوله فلله انما هو للتبرك بذكر اسمه ولتعظيم رسوله
وقيل انه يسدس و يصرف سهم الله تعالى فى عمارة الكعبة والمساجد
و يصرف مابقى وهو خمسة اسداس الستة الى المصارف الخمسة التى يصرف
اليها خمس الغنيمة والقول الثالث فى قسمة الفيئ انه يخمس و يجعل اربعة اخماسه
لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خاصة يصرفها كما يشاء ثم يقسم الخمس
الباقى ايضا على خمسة اسهم سهم منها له عليه الصلاة والسلام وسهم لذوى
القربى وسهم لليتامى وسهم للمساكين وسهم لابناء السبيل فعلى هذا القول
يكون جميع مال الفيئ مقسوما على خمسة وعشرين سهما بان يخمس كل خمس
منها روما للتصحيح احد وعشرون سهما منها للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم
واربعة اسهم لذوى القربى واليتامى والمساكين وابناء السبيل و بعد انتقاله
عليه الصلاة والسلام الى دار الكرامة والبقاء يصرف ما كان له من الفيئ
الى الامام فى قول والى المهاجرين المجاهدين والمترصدين للقتال فى الثغور
لانهم القائمون مقامه عليه الصلاة والسلام فى قول آخر والى مصالح المسلمين
من سد الثغور وحفر الانهار و بناء القناطر يقدم الاهم فالاهم فى قول ثالث
وهذا فى اربعة اخماس الفيئ واما القسم الذى كان له عليه الصلاة والسلام من
خمس الفيئ والغنيمة فهو لمصالح المسلمين بعد موته عليه الصلاة والسلام بلا خلاف
لقوله عليه الصلاة والسلام ليس لى من غنائمكم الا الخمس مردود فيكم وكانت
الغنائم فى شرع من قبلنا لله تعالى خاصة لا يحل شيء منها لاحد واذا غنمت الانبياء اشياء
جمعوها فتنزل نار من السماء فتأخذها فخص نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم من بينهم
بان احلت له الغنائم ثم قال عليه الصلاة والسلام احلت لى الغنائم ولم تحل لاحد قبلى
(قوله تعالى كيلا يكون دولة) علة لقوله فلله اى تولى الله تعالى قسمة الفيئ و بين
كيفية قسمته لئلا يغلب الاغنياء الفقراء على الفيئ على حسب قوتهم دون
الفقراء والضعفاء كما كان فى الجاهلية فان اهل الجاهلية كانوا اذا غنموا غنيمة اخذ
الرئيس ربعها لنفسه وهو المرباع ثم يصطفى منها بعد المرباع ما شاء كما قال
شاعرهم لك المرباع فيها والصفايا * فبين الله تعالى مصارفه وكيفية قسمته
ثم قال وما اتاكم الرسول اى ما اعطاكم من الفيئ والغنيمة فخذوه او جميع ما اتاكم
به من الشرائع والاحكام فاقبلوه فان الآية وان نزلت فى اموال الفيئ فهى
عامة فى جميع ما امر به النبى ونهى عنه والدولة بالضم اسم لما يتداوله القوم
بينهم والمعنى كيلا يكون الفيئ متداولا بين الاغنياء يكون مرة لهذا ومرة لذاك
و بالفتح مصدر بمعنى التداول والمعنى كيلا يكون ذا تداول بينهم كالعرة

او اخذ غلبة تكون بينهم وقرأ هشام دولة بالرفع على كان التامة اى كيلا يقع دولة جاهلية (وما آتاكم الرسول) وما اعطاكم من الفيئ اومن الامر (فخذوه) لانه حلال لكم او فتمسكوا به لانه واجب الطاعة (وما نهاكم عنه) عن اخذه اوعن اتيانه (فانتهوا) عنه (واتقوا الله) فى مخالفة رسوله (ان الله شديد العقاب) لمن خالف (للفقراء المهاجرين) بدل من لذى القربى وما عطف عليه فان الرسول عليه السلام لايسمى فقيرا

والغرفة فانه بالضم اسم لما يوخذ بالاغتراف وبالفتح مصدر بمعنى الاغتراف مرة وقيل الدولة بالفتح انتقال حال سارة الى قوم عن قوم ويستعمل فى نفس الحالة السارة التى تحدث للانسان فيقال هذه دولة فلان (قوله او اخذه غلبة تكون بينهم) عطف على الفيئ فى قوله بمعنى كيلا يكون الفيئ ذا تداول بينهم فيكون توجيهها ثانيا لقراءة دولة بالفتح وقد وجهها اولا بان جعل اسم كان ضمير الفيئ وجعل دولة بمعنى التداول وقدر قبلها مايضاف اليها وجعل بينهم ظرفا للتداول وجعل اسم كان فى هذا الوجه الاخذ المضاف الى الفيئ وجعل الدولة بمعنى الاستيلاء والغلبة الجاهلية منصوبا على انه خبرها وجعل بين الاغنياء ظرفا لكان التامة فى قوله كيلا يكون والدولة مرفوع على انها فاعل لكان التامة وذكره متأخرا تصير مما يكون بين ظرفاله فالمعنى على هذا الوجه كيلا يقع بين الاغنياء منكم اخذه دولة اى اخذه بجهة الاستيلاء والغلبة كما كان فى الجاهلية فان اهلها كانوا يقولون من عزبز اى من غلب سلب و يجعلون استحقاق مال الغنيمة منوطا بالغلبة عليه فكل من غلب على شئ كان يستقل به كما فى زمانناهذا وفى كثير من النسخ اى لئلا ـذ غلبة تكون بينهم اى بين اهل الجاهلية فلا يكون متعلقا بخصوص احدى القراءتين بل يكون بيانا لوجه التعليل بقوله كيلا يكون دولة بين الاغنياء على القراءتين كأنه قيل منع كون الفيئ متداولا بين الاغنياء مأخوذا بطريق الغلبة والاستيلاء لان اخذه بهذا الطريق يكون بين اهل الجاهلية فلا ينبغى لاهل الاسلام ان يستنوا بسنتهم و يسلكوا سبيلهم (قوله لانه حلال لكم اوفتمسكوا به) من قبيل اللف والنشر المرتب على قوله من الفيئ او من الامر وكذا قوله عن اخذه اوعن اتيانه (قوله فان الرسول لايسمى فقيرا جواب عمايقال لم لايجعل قوله تعالى للفقراء بدلا من مجموع المصارف المذكورة بقوله تعالى لله وللرسول الى قوله وابن السبيل مع جعله بدلا من قوله لذى القربى وما عطف عليه خاصة مع ان الجمل المتعددة اذا عقبها قيد لايكون ذلك القيد مختصا ببعضها بل تكون كلها سواء فى ذلك القيد الا ان يقوم الدليل على اختصاصه ببعضها فما الدليل عليه فيما نحن بصدده وتقرير الجواب انه تعالى ليس من المصارف وانما ذكر اسمه للتبرك به وتعظيم رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فلا يصح ادخاله فى جملة من ابدل منهم المصارف المذكورة من فقراء المهاجرين والانصار والتابعين الى يوم القيامة والرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وان كان من المصارف الا انه لا يصح ادخاله فى جملة المبدل منهم لان ادخاله فيهم يستلزم تسميته فقيرا ضرورة انه يجب ان يتحد مفهوم البدل والمبدل منه صدقا فى بدل الكل

من الكل ولايجوز تسمية عليه الصلاة والسلام فقيرا لانه يوهم الذم والنقصان من حيث ان اصله كسر فقار الظهر يقال فقرته اذا كسرت فقار ظهره كما يقال كبده اذا ضرب كبده وسميت الحاجة والداهية فاقرة لانهما يقلبان الانسان ويكسر ان فقار ظهره واذا لم تصح تسمية عليه الصلاة والسلام فقيرا فعدم صحة تسمية تعالى فقيرا اولى ولانه تعالى اخرج رسوله من الفقراء حيث وصفهم بقوله وينصرون الله ورسوله فانه ينافى دخوله عليه الصلاة والسلام فى جملة المدلول منهم والا لكان المعنى اعنى باولئك الخمسة المذكورين الذين هم الرسول وذو القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل هؤلاء الفقراء المهاجرين الذين من جملة صفاتهم انهم ينصرون الله ورسوله ووصف المهاجرين بالفقراء دليل على ان الكفار يملكون اموال المسلمين بالاستيلاء عليها فانه كانت لهم دار واموال بمكة قبل استيلاء الكفار عليهما فلو لم يملكها الكفار بالاستيلاء عليها لما سموا فقراء (قوله ومن اعطى اغنياء ذوى القربى) بناء على ان ذكرهم بهذا اللفظ يشعر ان علة استحقاقهم الفيء انما هى القرابة نفسها من غير اعتبار شئ آخر معها فيكون اشتراط الفقر فيهم زيادة على الكتاب فهم لا يجعلون قوله للفقراء المهاجرين بدلا من قوله لذى القربى بل مما بعده من اصناف الثلاثة وان جعلوه بدلا من الاصناف الاربعة يجعلون اعتبار الفقر فى ذى القربى مخصصا باستحقاقهم فيء بنى النضير فانه عليه الصلاة والسلام لم يعتبر فى قسمته غير الفقر والاحتياج حتى لم يعط الانصار شيأ منه الا لثلاثة نفر بهم حاجة ومن جعل استحقاق ذى القربى مشروطا بالفقر نظرا الى انهم استحقوه عوضا عن الصدقة التى هى غسالة اموال المسلمين فوجب ان يكون استحقاقهم له مشروطا بما هو شرط فى استحقاق الصدقة فله ان يجعل قوله للفقراء بدلا من ذى القربى وما عطف عليه بدل الكل (قوله حال مقيدة لاخراجهم) يعنى انه حال من واو اخرجوا توصيفا لهم عما يعيدهم فخامة الشان (قوله فانهم لزموا المدينة والايمان) يعنى ان المراد بالدار المدينة التى هى دار الهجرة تبوأها الانصار قبل المهاجرين اى نزلوا فيها واتخذوها مباءة اى منزلا واستقروا فيها يقال تبوأت منزلا اى نزلته وبوأته منزلا اى هيأته منزلا وانزلته فيه واشار ايضا الى جواب ما يقال كيف عطف الايمان على الدار مع ان الايمان ليس من قبيل المنازل التى تبوأوا فيها وتقرير الجواب ان المعنى لزموا الايمان لزوم الانسان منزله ومستقره وشبه الايمان فى النفس بمنزل الانسان ومستقره وجعل نسبة التبوء اليه تخييلا للتشبيه المضمر واجاب عنه ثانيا بان المعنى تبوأوا دار الهجرة ودار الايمان لان اهلها

ومن اعطى اغنياء ذوى القربى خصص الابدال بما بعده اوالفيء بفيء بنى النضير (الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم) فان كفار مكة اخرجوهم واخذوا اموالهم (يبتغون فضلا من الله ورضوانا) حال مقيدة لاخراجهم بما يوجب تفخيم شأنهم (وينصرون الله ورسوله) بانفسهم واموالهم (اولئك هم الصادقون) الذين ظهر صدقهم فى ايمانهم (والذين تبوأوا الدار والايمان) عطف على المهاجرين والمراد بهم الانصار فانهم لزموا المدينة والايمان وتمكنوا فيهما وقيل المعنى تبوأوا دار الهجرة ودار الايمان فحذف المضاف من الثانى والمضاف اليه من الاول وعوض عنه اللام او تبوأوا الدار واخلصوا الايمان كقوله علفتها تبنا وماء باردا وقيل سمى المدينة بالايمان لانها مظهره ومصيره

نصروا الايمان واهله فحذف المضاف من دار الايمان واقيم المضاف اليه مقامه واعرب باعرابه كما حذف المضاف اليه من الاول وعوض عنه اللام وثالثها ان انتصاب الايمان ليس بالعطف على الدار حتى يقال الايمان ليس من قبيل المنازل حتى يتبوأ فيه بل هو منصوب بفعل مضمر معطوف على الفعل السابق حذف المعطوف وابقى العاطف كما في قوله متقلدا سيفا ورمحا * اي وحاملا رمحا وقوله علفتها تبنا وماء باردا * اي وسقيتها ماء ورابعها بان المراد بالدار والايمان شيء واحد وهو المدينة وسميت بالايمان على طريق تسمية المحل باسم ما حل فيه اوتسمية المظهر والمصير باسم ماظهر فيه وصار اليه (قوله من قبل هجرة المهاجرين) فانه قد روي انه قلت دار كانت بالمدينة الا كان الاسلام قد دخلها قبل هجرة النبي اليها صلى الله تعالى عليه وسلم حتى روي انهم قد صلوا صلاة الجمعة قبل الهجرة واشار بهذا التفسير الى جواب ما يقال كيف يصح ان يقال ان الانصار لزموا الايمان قبل المهاجرين وليس الامر كذلك وتقرير الجواب انه ليس المعنى انهم لزموا الايمان قبل المهاجرين ليرد ماذكر بل المعنى انهم لزموه قبل هجرتهم فلا محذور وقيل في جوابه ان الكلام محمول على التقديم والتأخير والتقدير والذين تبوأوا الدار من قبلهم والايمان فلا محذور حيث جعلت القبلية قيدا لتبوئهم الدار فقط وهذا السؤال والجواب انما يتجهان على ان يوجه قوله والايمان بالوجه الاول والثالث ولا يتجه شيء على الوجه الثاني والرابع لان المراد بالايمان فيهما هي المدينة اما بتقدير المضاف او تسمية المدينة ايمانا مجازا فكان المعنى على الوجهين والذين استوطنوا المدينة قبل المهاجرين والامر كذلك فلا حاجة الى تقدير المضاف (قوله كالطلب) اي طلب ما اوتي المهاجرون ثم بحث آية الانصار قال الجوهري الحزازة ايضا وجع في القلب من غيظ ونحوه اطلق اسم الحاجة على الحرارة والحسد ونحوهما على طريق اطلاق اسم الملزوم على اللازم لان جميع ذلك لا ينفك عن الحاجة روي انه عليه الصلاة والسلام لما غنم بني النضير دعا ثابت بن قيس فقال له ادع لي قومك قال الخزرج يا رسول الله قال الانصار كلها فدعا له الاوس والخزرج فتكلم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فحمد الله واثنى عليه بما هو اهله ثم ذكر الانصار وما صنعوا بالمهاجرين وانزالهم اياهم في منازلهم واموالهم ثم قال ان احببتم قسمت بينكم وبين المهاجرين ما افاء الله علي من بني النضير وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى في مساكنكم واموالكم وان احببتم اعطيتهم وخرجوا من دوركم فتكلم سعد بن عبادة وسعد بن معاذ فقالا يا رسول الله بل تقسمه بين المهاجرين ويكونون في دورنا كما كانوا

(من قبلهم) من قبل هجرة المهاجرين وقيل تقدير الكلام والذين تبوأوا الدار من قبلهم والايمان (يحبون من هاجر اليهم) ولا يثقل عليهم (ولا يجدون في صدورهم) في انفسهم (حاجة) ماتحمل عليه الحاجة كالطلب والحزازة والحسد والغيظ (مما اوتوا) مما اعطى المهاجرون من الفيء وغيره

فنادت الانصار جميعا رضينا وسلمنا يارسول الله فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم ارحم الانصار وابناء الانصار فاعطى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المهاجرين ولم يعط الانصار الا ابادجانة وسهل بن حنيف وسعد بن معاذ رضوان الله عليهم اجمعين (قوله حتى ان من كان الخ) اشارة الى ان قوله تعالى و يؤثرون على انفسهم وان نزل بسبب ايثارهم المهاجرين على انفسهم بالفيء الا انه عام يتناول سائر ايثاراتهم منها ماروى عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال جاء رجل الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقد اصابه الجهد اي شدة الجوع فقال يارسول الله اني جائع فاطعمني فبعث عليه الصلاة والسلام الى ازواجه هل عندكن طعام فاجبنه والذي بعثك بالحق ماعندنا الا الماء فقال عليه الصلاة والسلام ماعند رسول الله مايطعمك هذه الليلة ثم قال من يضيف هذا هذه الليلة رحمه الله فقام رجل فقال انا يارسول الله فاتى به منزله فقال لاهله هذا ضيف رسول الله فاكرمه ولا تدخري عنه شيئا فقالت ماعندي الا قوة الصبيان فقال قومي فعلليهم عن قوتهم ونوميهم حتى يناموا ولا تطعموا شيئا ثم اسرجي واردي فاذا اخذ الضيف ليأكل قومي كأنك تصلحين السراج فاطفئيه وتعالي نمضغ السنتنا ليظن الضيف انا نأكل معه فيأكل حتى يشبع ففعلت فباتا تلك الليلة طاويين فلما اصبحا عدوا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلما نظر اليهما تبسم ثم قال لقد عجب الله من فلان وفلانة هذه الليلة وانزل الله عز وجل ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وعن انس رضي الله تعالى عنه اهدي الى رجل من الانصار رأس شاة مشوي وكان مجهودا فقال لعل جاري احوج اليه مني فبعثه الى جاره فتداوله تسعة نفر ثم عاد الى الاول فانزل الله تعالى و يؤثرون على انفسهم الاية فان قيل كيف استحقوا المدح بايثار الغير على انفسهم عند حاجتهم وقد نطقت الاخبار بان افضل دينار ماينفقه الرجل على نفسه وعياله و به امر عليه الصلاة والسلام من سأله عن التصدق قلنا الاحاديث فيمن لم يوثق بالصبر على الفقر لانه يخشى عليه التعرض للمسألة والآية وردت في الانصار فانهم لم يكونوا بهذه الصفة بل كما وصفهم الله تعالى في قوله والصابرين في البأساء والضراء وايثار مثلهم افضل والايثار تقديم الغير على النفس في حظوظها الدنيوية رغبة في الحظوظ الاخروية حكي عن ابي الحسن الانطاكي انه اجتمع عنده نيف وثلاثون رجلا بقرية من قرى الري ومعهم ارغفة معدودة لاتكفي الاقليلا فكسروا الرغفان واطفأوا السراج وجلسوا للطعام فلما فرغوا فاذا الطعام بحاله لم يأكل احد منهم شيأ منه ايثارا لصاحبه على نفسه (قوله وهي فرجة) شبه حالة

يؤثرون على انفسهم) و يقدمون المهاجرين على انفسهم حتى ان من كان عنده امرأتان نزل عن واحدة وزوجها من احدهم (ولو كان بهم خصاصة) حاجة من خصاص البناء وهي فرجه

الفقر والحاجة بفرج البنانى اشتمال كل واحدة منهما على معنى النقصان والاحتياج الى المصلح (قوله حتى يخالفهما فيما يغلب عليهما من حب المال و بغض الانفاق) اشارة الى ان الشح اشد من البخل كما اشار اليه الجوهرى بقوله الشح البخل مع حرص فان البخيل يبغض الانفاق والحريص يحب المال فمن جمعهما صار شحيحا قيل ليس الشح ان يمنع الرجل ماله من مستحقه انما الشح ان تطمح عين الرجل فيما ليس له وروى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال اتقوا الشح فان الشح اهلك من كان قبلكم حملهم على ان سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم وقال كسرى لاصحابه اى شئ أضر بابن آدم قالوا الفقر فقال كسرى الشح اضر من الفقر لان الفقير اذا وجد شبع والشحيح اذا وجد لايشبع ابدا وكل ذلك يدل على ان الحرص معتبر فى مفهوم الشح وانما اضيف الى النفس لانه غريزة فيها (قوله تعالى والذين جاؤا من بعدهم) عطف ايضا على المهاجرين ولم يصرح بذلك فيه اكتفاء بذكره فيما سبق فيكون يحبون حالا من فاعل تبوأوا و يقولون حالا من فاعل جاؤا فلما كانت الآيات معطوفا بعضها على بعض وكان المراد بقوله والذين جاؤا من بعدهم التابعين لهم باحسان استوعبت الآية جميع المؤمنين الذين كانوا شركاء فى الفيئ كأنه قيل هذا المال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وللاصناف الاربعة الفقراء من المهاجرين والانصار والتابعين لهم قيل و يجوز ان يكون قوله تعالى والذين تبوأوا الدار فى محل الرفع على الابتداء والخبر يحبون او محذوف اى افلحوا وفازوا وكذا قوله والذين جاؤا يجوز ان يكون مرفوع المحل على الابتداء و يقولون خبره عن مالك بن اوس قال قرأ عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه هذه الآية انما الصدقات للفقراء فقال هذه لهؤلاء ثم قرأ واعلموا انما غنمتم من شئ فان لله خمسه فقال هذه لهؤلاء ثم قرأ ما افاء الله على رسوله حتى بلغ للفقراء المهاجرين والذين تبوأوا الدار والذين جاؤا من بعدهم ثم قال لئن عشت ليأتين الراعى وهو بسرو حمير نصيبه لم يعرق فيها جبينه وهذا يدل على انه جعل هذه الآيات معطوفة وعن عمر رضى الله تعالى عنه مايدل على ان المراد بهذه الآية الاراضى التى افتتحت عنوة دون اموال اهلها فانه روى انه لما فتح سواد العراق سأله قوم من الصحابة قسمة الاراضى بين الغانمين منهم الزبير و بلال وغيرهما فاحتج عليهم بهذه الآية الى قوله والذين جاؤا من بعدهم ثم شاور فيه عليا وجماعة من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين فاشاروا بترك القسمة و ان يقر اهلها عليها و يضع على رؤسهم الجزية وعلى اراضيهم الخراج ففعل فجعل اراضيهم خراجية يصل نفعها الى جميع الناس قرنا بعد قرن وهو مذهبنا فى الاراضى المأخوذة من الكفار عنوة

(ومن يوق شح نفسه) حتى يخالفها فيما يغلب عليها من حب المال و بغض الانفاق (فاولئك هم المفلحون) الفائزون بالثناء العاجل والثواب الآجل (والذين جاؤا من بعدهم) هم الذين هاجروا بعد حين قوى الاسلام والتابعون باحسان وهم المؤمنون بعد الفريقين الى يوم القيامة فلذلك قيل

اذللامام ان يقسمها بين الغانمين ان رأى ذلك اصلح والا اقر اهلها عليها ويضع عليهم الجزية وعلى اراضيهم الخراج وجعلوا قوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه على غير الاراضي والرقاب من الاموال ولو كانت هذه الآية وهو قوله تعالى ما افاء الله على رسوله منسوخة لذكرت الصحابة ذلك لعمر واخبروه بنسخها فظهر بذلك انها محكمة فان قيل لم قالوا ربنا اغفر لنا ولاخواننا بتقديم الاستغفار لانفسهم على الاستغفار لاخوانهم في الدين قلنا رجاء بذلك ان يغفر لهم فيكونوا بذلك اقرب الى الاجابة في حق غيرهم (قوله ان الآية قد استوعبت جميع المؤمنين) لانهم المهاجرون والانصار والذين جاؤا من بعدهم وقد بين الله تعالى ان من شأن من جاء من بعد المهاجرين والانصار ان يذكر السابقين وهم المهاجرون والانصار بالرحمة والدعاء فمن لم يكن كذلك بل ذكرهم بسوء فقد كان خارجا عن جملة اقسام المؤمنين بمقتضى هذه الآيات روى ان نفرا من اهل العراق جاؤا الى محمد بن علي بن الحسين فسبوا ابابكر وعمر رضي الله عنهما ثم سبوا عثمان رضي الله عنه فاكثروا فقال لهم امن المهاجرين انتم قالوا لا قال افمن الذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم قالوا لا فقال فقد تبرأتم من هذين الفريقين وانا اشهد انكم لستم من الذين قال الله عز وجل فيهم والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان الآية لانه تعالى امر من بعدهم ان يستغفر لهم لا بان يسبهم فمن كان يسب هؤلاء كيف يدخل فيمن تبعهم قوموا عني فعل الله بكم وفعل قال الشعبي تفاضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلة سئلت اليهود من خير اهل ملتكم فقالوا اصحاب موسى وسئلت النصارى من خير اهل ملتكم فقالوا اصحاب عيسى وسئلت الرافضة من شر اهل ملتكم فقالوا اصحاب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم امروا بالاستغفار لهم فسبوهم فالسيف عليهم مسلول الى يوم القيامة قال المفسرون في معنى الآية علم الله تعالى انه سيقع من الصحابة اشياء ثم يذكر ذلك لمن بعدهم فربما يقع في قلوب بعضهم كراهية بعض ذلك وتغير قلوبهم فامروا بالاستغفار لهم وان لا يجعل الله في قلوبهم غلا لاحد منهم تنبيها على ان ذلك مما يرجى عفو الله عنه وانه يجب على من جاء بعدهم محبتهم وحسن الاعتقاد فيهم والدعاء والاستغفار لهم ثم انه تعالى عجب السامعين من شأن المنافقين مع يهود بني النضير وذلك ان عبد الله بن ابي وعبد الله بن نبيل ورفاعة بن زيد وغيرهم قالوا لليهود الذين بينهم وبينهم اخوة واشتراك في الكفر بسيد المرسلين صلى الله تعالى عليه وسلم او اخوة الصداقة والموالاة وكانوا يدا واحدة على المؤمنين في السر لئن اخرجتم الخ واللام في لئن اخرجتم لام توطئة القسم وفي لنخرجن لام جواب القسم فان القسم مقدر

ان الآية قد استوعبت جميع المؤمنين (يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان) اي لاخواننا في الدين (ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا) حقدا لهم (ربنا انك رؤف رحيم) فحقيق بان تجيب دعاءنا (ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب) يريد الذين بينهم وبين اخوة الكفر او الصداقة والموالاة (لئن اخرجتم) من دياركم (لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم) في قتالكم او خذلانكم (احدا ابدا) اي من الرسول والمؤمنين (وان قوتلتم لننصرنكم) لنعاونكم (والله يشهد انهم لكاذبون) لعلمه بانهم لا يفعلون ذلك كما قال (لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم) وكان كذلك فان ابن ابي واصحابه راسلوا بني النضير بذلك ثم اخلفوهم وفيه دليل على صحة النبوة واعجاز القرآن

قبل حرف الشرط حذف العلم بوجودها واجيب القسم دون الشرط لسبق القسم عليه وحذف جواب الشرط لدلالة جواب القسم عليه وكذا الكلام فى قوله تعالى لئن اخرجوا لايخرجون معهم فان قوله لايخرجون جواب القسم فلذلك رفع ولم يجزم اخبر الله تعالى انهم قالوا لليهود هذه المقالات ثم شهد على انهم كاذبون فيها فقال والله يشهد انهم لكاذبون ولما شهد على كذبهم على سبيل الاجمال اتبعه بالتفصيل فقال لئن اخرجوا لايخرجون معهم الآية اى لئن اخرج اليهود من المدينة لايخرج المنافقون معهم ولئن قوتل اليهود لاينصرهم المنافقون كما وعدوهم وكان الامر كما ذكره الله تعالى لان اليهود اخرجوا من ديارهم فلم يخرج معهم المنافقون وقوتلوا فلم ينصروهم فبان بهذا كذبهم فيما قالوه وفيه دليل على صحة النبوة لانه عليه الصلاة والسلام اخبر بالغيب وكان كما اخبر وقيل وجه دلالته عليها ان المنافقين انما اسروا اليهود خفية بحيث لم يطلع عليهم احد غير اليهود وظاهر انهم لم يخبروا بذلك النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فلما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى الم تر الى الذين نافقوا يقولون الآية علم انه تعالى اطلع رسوله على ما اخفوه عنه (قوله على الفرض والتقدير) جواب عما يقال انه تعالى نفى ان يتحقق نصرة المنافقين لليهود وما نفى الله تعالى وجوده لايجوز وجوده فما وجه قوله ولئن نصروهم بكلمة ان التى من حقها ان تستعمل فيما يحتمل وجوده وتقرير الجواب ان ما نفى الله تعالى وجوده لايمتنع فرضه وتقديره فكلمة ان ههنا لم تدخل على نصرتهم بل دخلت على فرض نصرتهم وهو مما يحتمل وجوده (قوله اذ ضمير الفعلين) وهما قوله تعالى ليولن وقوله ثم لاينصرون فان كان كلا الضميرين لليهود يكون المعنى لئن نصر المنافقون اليهود ليهزمن اليهود ثم لاينصرون ابدا بل يخذلهم الله وان كان الضمير ان للمنافقين يكون المعنى ليهزمن المنافقون بهلاكهم ثم لاينصرون بعد ذلك اى يهلكهم الله ولاينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم بمعاداتهم المؤمنين ونصرتهم اليهود ثم انه تعالى بين ان خوف المنافقين من المؤمنين اشد من خوفهم من الله تعالى فقال لانتم اشد رهبة اى اشد مرهوبية جعله مصدرا من المبنى للمفعول لان اسم خطاب المؤمنين والخوف ليس من شأنهم بل هو حال المنافقين فالمخاطبون مرهوبون غير راهبين فالرهبة امر نسبى قائم بالفاعل متعلق بالمفعول فباعتبار تعلقه بالفاعل يكون سببا لان يحدث فيه هيئة الراهبية وباعتبار تعلقه بالمفعول يكون سببا لان يحدث فيه هيئة المرهوبية فلفظ المصدر قد يستعمل فى اصل معناه وهو الامر النسبى وقد يستعمل فى الهيئة الحاصلة للفاعل بسبب تعلق المعنى المصدرى به فيقال له حينئذ انه مصدر من المبنى

(ولئن نصروهم) على الفرض والتقدير (ليولن الادبار) انهزاما (ثم لاينصرون) بعد بل يخذلهم ولاينفعهم نصرة المنافقين او نفاقهم اذ ضمير الفعلين يحتمل ان يكون لليهود وان يكون للمنافقين (لانتم اشد رهبة) اى اشد مرهوبية مصدر للفعل المبنى للمفعول (فى صدورهم) فانهم كانوا يضمرون مخافتهم من المؤمنين (من الله) على ما يظهرونه نفاقا فان استبطان رهبتكم سبب لاظهار رهبة الله

(ذلك بانهم قوم لايفقهون) لايعلمون عظمة الله حتى يخشوه حق خشيته ويعلمون انه الحقيق بان يخشى (لايقاتلونكم) اليهود والمنافقون (جميعا) مجتمعين (الا فى قرى محصنة) بالدروب والخنادق (او من وراء جدر) لفرط رهبتهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو جدار ﴿ ٤٣١ ﴾ وامال ابو عمرو فتحة الدال (بأسهم بينهم شديد) وليس ذلك لضعفهم وجبنهم فانه يشتد بأسهم اذا حارب بعضهم بعضا بل لقذف الله الرعب فى قلوبهم ولان الشجاع يجبن والعزيز يذل اذا حارب الله ورسوله (تحسبهم جميعا) مجتمعين متفقين (وقلوبهم شتى) متفرقة لافتراق عقائدهم واختلاف مقاصدهم (ذلك بانهم قوم لايعقلون) ما فيه صلاحهم وان تشتت القلوب يوهن قواهم (كمثل الذين من قبلهم) اى مثل اليهود كمثل اهل بدر او بنى قينقاع ان صح انهم اخرجوا قبل النضير او المهلكين من الامم الماضية (قريبا) فى زمان قريب وانتصابه بمثل اذ التقدير كوجود مثل (ذاقوا وبال امرهم) سوء عاقبة كفرهم فى الدنيا (ولهم عذاب اليم) فى الآخرة (كمثل الشيطان) اى مثل المنافقين فى اغراء اليهود على القتال كمثل الشيطان (اذ قال للانسان اكفر) اغراه على الكفر اغراء الآمر المأمور (فلما كفر قال انى برئ منك) تبرأ منه مخافة ان يشاركه فى العذاب ولم ينفعه ذلك كما قال (انى اخاف الله رب العالمين فكان عاقبتهما انهما فى النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين) والمراد من الانسان الجنس وقيل ابو جهل قال له ابليس

الفاعل وقد يستعمل فى الهيئة الحاصلة للمفعول بسبب تعلقه به فيقال انه مصدر من المبنى للمفعول كما فى هذه الاية والمعنى انهم يظهرون لكم انهم يخافون الله وانتم اهيب فى صدورهم من الله لانهم لايخافون الله البتة اولايظهر فيهم شئ من آثار خوف الله بخلاف ما اضمروه فى صدورهم من خوف المؤمنين فانه اشد واقوى مما يظهرونه من خوف الله تعالى نفاقا مع ان قلوبهم خلو من خوفه تعالى (قوله تعالى ذلك) اى شدة خوفهم منكم بانهم قوم لايفقهون عظمة الله وشدة نقمته حتى يخشوه حق خشيته ثم اخبر عن جبنهم ورخاوة قلوبهم فقال لايقاتلونكم الا فى قرى محصنة بالخنادق والدروب وهذا تشجيع من الله للمؤمنين وربط على قلوبهم حيث بين ان بأسهم بينهم شديد بالاعداء والقول حيث يوعدونكم بانهم يفعلون بكم كذا وكذا لو قاتلوكم ولم يبق لكم ذلك البأس (قوله تعالى ذلك) اى تشتت قلوبهم بانهم قوم لا يعقلون ما فيه صلاحهم حتى يجتمعوا عليه ولايعقلون ايضا ان تشتت القلوب يوهن القوى الجسدية فان صلاح القلب يوجب صلاح الجسد وفساد القلب يؤدى الى فساد الجسد (قوله اى مثل اليهود) على ان قوله تعالى كمثل الذين من قبلهم خبر مبتدأ محذوف اى ما اصابهم من الحال العجيبة الشان كما اصاب من قبلهم من زمان قريب وقريبا نعت لظرف محذوف اى وقتا وزمانا قريبا والمصنف جعله مثلا باعتبار قيامه مقام المضاف المحذوف عن ابن عباس رضى الله عنهما قال المراد بالذين من قبلهم بنو قينقاع امكن الله منهم قبل بنى النضير وقيل هو عام فى كل من انتقم الله منهم على كفرهم قبل بنى النضير من نوح الى سيد المرسلين عليهما الصلاة والسلام مثل حال اليهود بحال اصابت من قبلهم قريبا فى ان كل واحد من الفريقين ذاقوا وبال امرهم ثم مثل حال المنافقين فى اغراء اليهود على القتال بان قالوا لهم انا معكم ولانخذلكم فاغتر اليهود بقولهم فدربوا الازقة وحصنوا الحرب فخذلهم المنافقون وتبرأوا منهم بحال الشيطان حين اغرى الانسان على الكفر فاغتر الانسان باغرائه فكفر والعياذ بالله فلما كفر تبرأ منه وليس المراد ان الشيطان آمر للانسان بل هو مسلط عليه بحيث يلجئه الى المعصية لان شانه ليس الا الاغراء على المعصية بالوسوسة وتزيين المعصية اليه فقوله اكفر استعارة تبعية شبه اغراءه على الكفر بالوسوسة باغراء الآمر

المأمور فاطلق اغرائه الآمر على اغرائه وقد اغرى ابليس كفار قريش يوم بدر وقد تمثل لهم بصورة سراقة ابن مالك الكنانى وشجعهم على حرب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله لاغالب لكم اليوم وانى جار لكم اى مجير لكم من بنى كنانة وكانت قريش تخاف من بنى كنانة لما بينهم من الاحنة فلما تراءت الفئتان ورأى الشيطان جبريل ومن معه من الملائكة خاف ونكص على عقبيه وكان يده فى يد الحارث بن هشام فقال له الى اين اتخذ لنا مثل هذه الحالة فقال انى ارى مالا ترون ودفع فى صدر الحارث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا انه الشيطان تمثل بصورة سراقة (قوله وقيل راهب) اسمه برصيصا روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال كان فى بنى اسرائيل راهب عبد الله تعالى زمانا من الدهر حتى كان مشهورا بكونه مستجاب الدعوة فيؤتى بالمجانين فيعوذهم ويداويهم فيبرأون على يده وانى بامرأة قد جنت وكان لها اخوة فأتوه بها فكانت عنده فلم يزل به الشيطان يزين له حتى وقع عليها فحملت فلما استبان له حملها لم يزل به الشيطان يخوفه ويزين له قتلها حتى قتلها ودفنها ثم ذهب الشيطان فى صورة رجل الى اخوتها واخبرهم بالذى فعله الراهب وانه دفنها فى مكان كذا فبلغ ذلك ملكهم فسار الملك فى الناس فاتوه فاستنزلوه [illegible] وهددوه [illegible] فاقر لهم بالذى فعله بها فامر الملك [illegible] فصلب فلما رفع على [illegible] الشيطان فقال انا الذى [illegible] هذا كاد [illegible] فهل لك ان تطيعنى [illegible] اقول لك فاخلصك [illegible] قال نعم قال اسجد لى سجدة واحدة [illegible] فذلك قوله تعالى كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر [illegible] اى محمد قال انى برىء منك انى اخاف الله رب العالمين (قوله وقرئ عاقبتهما) [illegible] على انها اسم كان [illegible] فى النار وقرا العامة بنصب عاقبتهما على انها خبر كان [illegible] فى النار [illegible] من عاقبتهما [illegible] [illegible] خالدين [illegible] [illegible] فى قوله فى النار [illegible] خالدين فيها وقرئ [illegible] مقدما عليه فيكون قوله [illegible] حالين على الحال اولى [illegible] اى فى النار [illegible] [illegible] اليهود والمنافقين [illegible] حسبته ولا يعملون [illegible]

يوم بدر لاغالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم الاية وقيل راهب حمله على الفجور والارتداد وقرئ عاقبتهما على ان انهما الخبر لكان وخالدان على انه خبر لان وفى النار لغو (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد) ليوم القيامة سماه به لدنوه او لان الدنيا كيوم والاخرة غده وتنكيره للتعظيم واما تنكير النفس فلاستقلال الانفس النواظر فيما قدمن للآخرة كانه قال لتنظر نفس واحدة فى ذلك (واتقوا الله) تكرير للتأكيد او الاول فى اداء الواجبات لانه مقرون بالعمل والثانى فى ترك المحارم لاقترانه بقوله (ان الله خبير بما تعملون) وهو كالوعيد على المعاصى

الى موعظة المؤمنين فقال يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله الآية (قوله نسوا حقه) وهو طاعته فى جميع ما كلفوا به بامتثال اوامره والاجتناب عن نواهيه والمراد بنسيان حق الله ما يلزم النسيان من الترك فالمعنى تركوا ماكلفوا به ترك الناسين له عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه قال يريد بالناسين فى بطلة والضمير و بنى قينقاع والفاء فى قوله تعالى فانساهم انفسهم للسببية وذكر للانساء وجهين فالمعنى على الاول بسبب انهم نسوا حق الله خذلهم فى الدنيا وجعلهم ناسين انفسهم بحيث لم يسعوا فى عمل صالح ينجيها ولم يجتنبوا عن عمل سئ يرديها ولم يخلق فيهما داعية الاهتمام لاستكمالها وعلى الثانى بسبب انهم نسوا حق الله اراهم يوم القيامة من الاهوال ما نسوا فيه انفسهم كما قال تعالى لايرتد اليهم طرفهم وافئدتهم هواء وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ثم انه تعالى لما حرض المؤمنين على تقديم ما ينفعهم فى الآخرة وشنع على الذين نسوا حق الله وطاعته بين تباعد مابين الفريقين فقال لايستوى اصحاب النار و اصحاب الجنة واشار المصنف الى ان المراد باصحاب الجنة من استأهل الجنة بملازمة طاعة الله تعالى والاجتناب عن معصيته و باصحاب النار من استحق النار بان نسى تقوى الله تعالى وطاعته فانساهم انفسهم بان خذلهم و منع عنهم توفيقه وعونه وعبر عن الفريقين باصحاب الجنة واصحاب النار زيادة فى تصوير عدم استوائهما بحسب الفضائل الاخروية فان تباعد مابين الجنة والنار وعدم استوائهما مما لايخفى على احد فالتعبير عن الفريقين باصحاب الجنة واصحاب النار يكون زيادة توضيح لعدم استوائهما يوم الدين وعدم استوائهما وان كان امرا معلوما بالضرورة الا انه تعالى تعرض لبيان التفاوت بينهما تنبيها على عظم ذلك الفرق وترغيبا للمؤمنين فى استكمال نفوسهم بملازمة التقوى والطاعة بتنزيلهم منزلة من لا يعرف الفرق بين الجنة والنار والبون البعيد بين اصحابهما لعدم جريهم على ماتوجب العلم بايثار العاجلة واتباع الشهوات فان العالم بالشئ اذا لم يعمل على مقتضى علمه ينزل منزلة الجاهل فيلقى اليه الكلام الخبرى كما تقول لمن يعق اباه هو ابوك تنزيلا له منزلة من لايعرف انه ابوه وترغيبا فى رعاية حقه (قوله واحتج به اصحابنا) اى احتجت الشافعية بهذه الآية على ان المسلم لايقتل بالذمى اذ لو قتل المسلم به والحال ان الذمى يقتل بالمسلم لزم ان يستوى اصحاب الجنة واصحاب النار فى ان كل واحد منهما يقتل بالآخر وهو خلاف مادل عليه ظاهر العموم المستفاد من قوله تعالى لايستوى اصحاب النار واصحاب الجنة فانه يدل دلالة ظاهرة على انهما لايستويان فى شئ من الاحكام والحنفية يقولون انه وان كان عاما بحسب

(ولاتكونوا كالذين نسوا الله) نسوا حقه (فانساهم انفسهم) فجعلهم ناسين لها حتى لم يسمعوا ماينفعها ولم يفعلوا ما يخلصها او اراهم يوم القيامة من الهول ما انساهم انفسهم (اولئك هم الفاسقون) الكاملون فى الفسوق (لايستوى اصحاب النار و اصحاب الجنة) الذين استكملوا نفوسهم فاستأهلوا الجنة والذين استمهنوها فاستحقوا النار واحتج به اصحابنا على ان المسلم لا يقتل بالكافر (اصحاب الجنة هم الفائزون) بالنعيم المقيم

الظاهر الا ان سياق الكلام يخصصه بالاستواء فى منازل الاخرة و يجوز استواؤهما فى الاحكام الدنيوية فيقتل كل واحد منهما بالآخر وكذا يملك الكفار اموال المسلمين باستيلائهم عليها كما يملك المسلمون اموال الكفار بالقهر والاستيلاء حتى اذا غلب المسلمون عليهم وقد اخذوا اموال المسلمين قهرا ووجد اصحاب تلك الاموال اموالهم باعيانها فى جملة مال الغنيمة فعند الامام الشافعى يرد مال المسلم الى المسلم لعدم خروجه عن ملك المسلم وعند الحنفية لا يرد بل يقسم بين الغانمين كسائر الغنائم لتملك الكفار اياه بالاستيلاء على مذهبه ثم انه تعالى لما بين بانزال القرآن هذه المواعظ المرغبة فى اكتساب اسباب الفوز والفلاح والمنفرة عن الانهماك فى اتباع الحظوظ العاجلة عظم شأن القرآن فقال لو انزلنا هذا القرآن على جبل وكلفناه بما فيه لتشقق من خشية الله مع كمال قساوته وصلابته حذرا من ان لا يؤدى حق الله تعالى فى تعظيم القرآن تعجبا من قساوة الكافر حيث لم يلن قلبه لمواعظ القرآن وقوة تأثيره واعرض عما فيه من العبر واستخف بحقها كأن لم يسمعها وانه بحيث لو خوطب به جبل مع شدته للان (قوله تمثيل وتخييل) الظاهر انه اراد بالتمثيل التصوير والتبيين وقوله وتخييل عطف تفسيره والمعنى ان هذه الآية تصوير لعظمة قدر القرآن وقوة تأثيره وانه بحيث لو خوطب به جبل مع شدته وصلابته لرأيته ذليلا متصدعا من خشية الله خوفا من ان لا يؤدى حق الله تعالى فى تعظيم القرآن واقامة ما فيه من التكاليف والاحكام والمراد منه توبيخ الانسان بانه مع ضعف بنيه ووهن قواه لا يخشع عند تلاوة القرآن بل يعرض عما فيه من عجائب الوعد وعظائم الوعيد وما جرى على الامم الماضية عقابلة معاصيهم كأن لم يسمع شيأ منها فهذه الآية مثل اى قول غريب فى بيان عظمة القرآن ودناءة حال الانسان وبيان لصفتها العجيبة فهى من جملة الامثال الواقعة فى مواضع من التنزيل فقوله تعالى وتلك الامثال اشارة الى هذا المثل والى غيره من الامثال الواقعة فى التنزيل وقد مر مرارا ان لفظ المثل حقيقة عرفية فى القول السائر ثم يستعار منه لكل امر غريب وصفة عجيبة الشان تشبيها له بالقول السائر فى الغرابة لانه لا يخلو عن غرابة (قوله تعالى خاشعا متصدعا) حالا من الضمير المنصوب فى قوله لرأيته لانه من رؤية البصر والخاشع الذليل والمتصدع المتشقق اى ذليلا عما كلف من طاعته متشققا من خشية الله ان يعصيه فيعاقبه ثم انه تعالى لما وصف القرآن بالعظم ومعلوم ان عظم الصفة تابع لعظم الموصوف اتبع ذلك بشرح عظمة الله تعالى فقال هو الله الذى [illegible] (قوله وتعلق العلم) مجرور معطوف على الوجود فى قوله او [illegible]

﴿لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله﴾ تمثيل وتخييل كما مر فى قوله انا عرضنا الامانة ولذلك عقبه بقوله ﴿وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون﴾ فان الاشارة اليه والى امثاله والمراد توبيخ الانسان على عدم تخشعه عند تلاوة القرآن لقساوة قلبه وقلة تدبره والتصدع التشقق وقرئ مصدعا على الادغام ﴿هو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة﴾ ما غاب عن الحس من الجواهر القدسية واحوالها وما حضر له من الاجرام واعراضها وتقدم الغيب لتقدمه فى الوجود وتعلق العلم القديم به او المعدوم والموجود او السر والعلانية ﴿هو الرحمن الرحيم هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس﴾ البالغ فى النزاهة عما يوجب نقصانا وقرئ بالفتح

وهو لغة فيه (السلام) ذو السلامة من كل نقص وآفة مصدر وصف به للمبالغة (المؤمن) واهب الامن وقرئ بالفتح بمعنى المؤمن به على حذف الجار (المهيمن) الرقيب الحافظ لكل شئ مفيعل من الامن قلبت همزته هاء (العزيز الجبار) الذى جبر خلقه على ما اراده

والموجود مرفوع معطوف على قوله ماطاب وما حضر وكذا قوله او السمر والملائية (قوله وهو لغة فيه) يعنى ان القدوس بفتح القاف وضمها كلاهما من القدس بمعنى الطهارة ومعناهما البليغ فى النزاهة عن سمات المحدثات وعوارض الممكنات ونظيرهما السبوح بالضم والفتح فى البناء والمعنى وفعول بالفتح قليل فى الصفات واكثر ماياتى منه فى الاسماء نحو تنور وسمور وهبود جبل فى اليمامة (قوله ذو السلامة) يعنى ان السلام فى الاصل مصدر بمعنى السلامة ونحو ان السلام من قبيل رجل عدل وبدل على كونه مصدرا فى الاصل قولهم دار السلام وسلام عليكم ومنك السلام اى انت الذى تعطى السلامة وقيل انت الذى يسلم على عباده فى الجنة لقوله تعالى سلام قولا من رب رحيم وقولهم واليك يرجع السلام اشارة الى معنى قوله تعالى كل من عليها فان ويبقى وجه ربك وقولهم وحينا ربنا بالسلام طلب السلامة منه تعالى ماداموا احياء (قوله واهب الامن) على ان المؤمن بكسر الميم الثانية اسم فاعل من آمنه بمعنى اعطاه الامن من كل خوف كما فى قوله تعالى وآمنهم من خوف ويجوز ان يكون من آمن بمعنى صدق فانه تعالى كما يؤمن الناس من ان يظلمهم ويعاقبهم من غير ذنب فهو ايضا يصدق عباده المؤمنين فى توحيدهم وطاعتهم له ومن قرأ بفتح الميم الثانية اراد انه تعالى يؤمن ويصدق به المؤمنون فهو مؤمن به فلابد من تقدير الحال والا لامتنع اطلاقه وهو معنى بالملك تعالى الله عن ذلك عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال اذا كان يوم القيامة اخرج اهل التوحيد من النار واول من يخرج من وافق اسمه اسم نبى حتى اذا لم يبق فيها من يوافق اسمه اسم نبى قال الله عز وجل لباقيهم انتم المسلمون وانا السلام وانتم المؤمنون وانا المؤمن فيخرجهم من النار ببركة هذين الاسمين كذا فى اللباب (قوله مفيعل من الامن) فيكون بمعنى المؤمن اصله مؤيمن قلبت الهمزة هاء كما يقال فى ارقت هرقت ولما قلبت هاء ابقيت ولم تحذف مع ان همزة الافعال تحذف من المضارع واسم الفاعل نحو يكرم ومكرم لان حذفها انما كان لاجتماع الهمزتين فى المضارع للمتكلم وحمل الباقى عليه وبقلبها هاء انتفت علة حذفها فلم تحذف فبقيت وهذا مثل قولهم يهريق بفتح الهاء فى مضارع هراق اصلها اراق يريق فلما قلبت همزة الافعال هاء فى المضارع ابقيت على حالها (قوله الذى جبر خلقه على ما اراده) اى اكرههم عليه وقهرهم قيل اللغة الشائعة فى هذا المعنى اجبره بهمزة الافعال وجبره على كذا لغة تميم وكثير من الحجاز بين ومن عداهم

الفريقين جعلوا الجبار فعالا من اجبره على كذا اى قهره واستدلوا به على
مجيء صفة المبالغة من المزيد على الثلاثي قال الفراء لم اسمع فعالا من افعل الا
في جبار ودراك فانهما من اجبر وادرك (قوله اوجبر حالهم بمعنى اصلحه)
فان جبر بمعنى اصلح فهو تعالى يغني الفقير ويجبر الكسير وعن ابن عباس قال
الجبار بمعنى الملك العظيم وجبروت الله عظمته ومنه نخل جبار والعرب تسمي
الملك بالجبار لكونه عظيم الشان (قوله الذي تكبر عن كل ما يوجب
حاجة) يعني ان صيغة التفعل للتكلف باظهار ما يحصل باصله او باظهار الزيادة
على ما كان منه ولما كان التكلف مستحيلا في حقه تعالى جعل صيغة التكلف
في حقه للدلالة على ان ما قام به من الفعل على اتم ما يكون واكمله من غير ان يكون
هناك تكلف واعمال حقيقة ومنه ما يقال ترحمت على ابراهيم بمعنى زدت الرحمة
في حقه ورحمته باحق ما يتصور من الرحمة فهو تعالى متكبر بمعنى انه البالغ
في الكبرياء اقصى المراتب (قوله اذ لا يشاركه في شيء من ذلك) علة لتنزهه
عن الشريك والمنوي في يشرك راجع الى ما الموصولة في قوله ما يشركون
اى كيف يكون له شريك في الالوهية والاله يجب ان يكون موصوفا بما ذكر
من الصفات وشيء مما سواه لا يشاركه في شيء منها ويجوز ان تكون ما مصدرية
(قوله الموجد لها بريئا من التفاوت) اى من العيب والخلل وحقيقة التفاوت
عدم التناسب كأن بعض الشيء يفوت بعضا ولا يلائمه ومفهوم البارئ الجاعل
لما يوجده بريئا من التفاوت فكان الايجاد معتبرا في مفهومه فلذلك فسره
كثير من المفسرين بالموجد قال الامام الخلق هو التقدير وهو تعالى خالق
بمعنى انه يقدر افعاله على وجوه مخصوصة فالخالقية راجعة الى صفة الارادة
والبارئ بمنزلة قولنا صانع وموجد الا انه يستعمل في اختراع الاجسام
دون الاعراض واما المصور فمعناه انه يخلق صورة الخلق على ما يريده
وقدم ذكر الخالق لان ترجيح الارادة مقدم على تأثير القدرة وقدم البارئ
على المصور لان ايجاد الذوات مقدم على ايجاد الصفات وقال الامام
في المقصد الاقصى قد يظن ان هذه الاسماء يعني الخالق البارئ المصور
مترادفة وان الكل يرجع الى الخلق والاختراع ولا ينبغي ان تكون كذلك
بل كل ما يخرج من العدم الى الوجود مفتقر الى التقدير اولا والى الايجاد
على وفق التقدير ثانيا والى التصوير بعد الايجاد ثالثا فالله تعالى خالق من
حيث انه مقدر وبارئ من حيث انه مخترع موجد ومصور من حيث انه مرتب
صور المخترعات احسن ترتيب * تم ما يتعلق بسورة الحشر والحمد لله رب العالمين
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما الى يوم الدين

اوجبر حالهم بمعنى اصلحه
(المتكبر) الذي تكبر عن
كل ما يوجب حاجة
او نقصانا (سبحان الله
عما يشركون) اذ لا
يشاركه في شيء من ذلك
(هو الله الخالق) المقدر
للاشياء على مقتضى حكمته
(البارئ) الموجد لها
بريئا من التفاوت
(المصور) الموجد
لصورها وكيفياتها
كما اراد ومن اراد
الاطناب في شرح هذه
الاسماء واخواتها فعليه
بكتاب المسمى بمنتهى
المنى (له الاسماء الحسنى)
لانها دالة على محاسن
المعاني (يسبح له ما
في السموات والارض)
لتنزهه عن النقائص
كلها (وهو العزيز
الحكيم) الجامع للكمالات
باسرها فانها راجعة
الى الكمال في القدرة
والعلم عن النبي عليه السلام
من قرأ سورة الحشر
غفر الله ما تقدم من ذنبه
وما تأخر

(سورة الممتحنة)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(قوله الممتحنة) بكسر الحاء المختبرة اضيفت السورة الى الجماعة الممتحنة حيث انه ذكر فيها امر جماعة المؤمنين بالامتحان وان فتحت الحاء يكون المعنى سورة المهاجرة التي نزلت فيها آية الامتحان (قوله فان بها ظعينة) الظعينة المرأة مادامت في الهودج واذا لم تكن فيه فهي المرأة والهودج شيء يحمل فيه النساء على ظهر البعير والعقيصة الضفيرة وقيل هي التي تتخذ من شعر المرأة مثل الرمانة واصل العقص اللي وادخال اطراف الشعر في اصوله وسارة اسم تلك المرأة التي هي معتقة بني المطلب (قوله ولا غششتك منذ نصحتك) النصح الخلوص وصفاء القلب والغش ضده يقال غشه يغشه اذا اظهر له خلاف ما اضمره في قلبه ونصحه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عبارة عن التصديق والاذعان لنبوته والانقياد لاوامره ونواهيه ولما اعتذر حاطب بما ذكره من العذر عذره النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اي قبل عذره فقال اما انه قد صدقكم فقال عمر رضي الله تعالى عنه دعني يا رسول الله اضرب عنق هذا المنافق فقال انه شهد بدرا وما يدريك لعل الله تعالى اطلع على من شهد بدرا فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ففاضت عينا عمر وقال الله ورسوله اعلم فنزلت اي لعل الله تعالى رضي عنهم بما فعلوا مع قلة عددهم وعددهم فغفر لهم جميع ما وجد منهم وما سيوجد من الذنوب لان ذلك قصب امر الدين واول نصرة المؤمنين روي ان حاطبا لما سمع نداء يا ايها الذين آمنوا غشي عليه من الفرح بخطاب الايمان (قوله او اخبار) عطف على قوله المودة فيكون مفعول تلقون محذوفا وتكون الباء سببية لا مزيدة اما اذا كانت المودة مفعولا به فانها قد تزاد في المفعول به لتقوية التعدية (قوله والجملة حال) اي لا تتخذوا ملقين اليهم المودة او ملقين اليهم اسراره صلى الله تعالى عليه وسلم بسبب ما بينكم من المودة او صفة لاولياء اي اولياء تلقون اليهم انتم بالمودة اعترض على كونها حالا او صفة بانهم نهوا عن اتخاذهم اولياء مطلقا في قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء وقوله لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء وقوله يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم والتقييد بالحال او بالوصف يوهم جواز اتخاذهم اولياء اذا انتفى الحال او الوصف بل الظاهر انها استئناف فلا محل لها من الاعراب كانه لما قيل لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء اتجه ان يقال كيف نتخذهم اولياء

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء) نزلت في حاطب ابن ابي بلتعة فانه لما علم ان رسول الله عليه الصلاة والسلام يغزو اهل مكة كتب اليهم ان رسول الله عليه الصلاة والسلام يريدكم فخذوا حذركم وارسل مع سارة مولاة بني المطلب فنزل جبرائيل فبعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عليا وعمارا وطلحة والزبير والمقداد وابا مرثد وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب حاطب الى اهل مكة فخذوه منها وخلوها فان ابت فاضربوا عنقها فادركوها ثم فجحدت فسل علي رضي الله تعالى عنه السيف فاخرجته من عقيصتها فاستحضر رسول الله حاطبا وقال ما حملك عليه فقال ما كفرت منذ اسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولكني كنت امرأ ملصقا في قريش وليس لي فيهم من يحمي اهلي فاردت ان آخذ عندهم يدا وقد علمت ان كتابي لا يغني عنهم شيأ فصدقه رسول الله وعذره (تلقون اليهم بالمودة)

فقيل تلقون اليهم بالمودة واجيب بان قولك التقييد بالحال او الوصف يوهم
جوازا تخاذهم اولياء اذا انتفى الحال او الوصف غير لازم لان عدم جوازه
مطلقا لما علم من القواعد الشرعية تبين انه لامفهوم للحال ولا الصفة هنا البتة
(قوله جرت على غير من هى له) فان القاء المودة وان كان صفة لاولياء لفظا
الا انه جار على المخاطبين قائم بهم من حيث المعنى ومثل هذه الصفة اذا عبر عنهما
بلفظ الفعل لايجب ابراز ضمير الغير الذى جرت هى عليه من حيث المعنى بان يقال
مثلا تلقون اليهم انتم بالمودة وانما يجب ابرازه فى الاسماء فانه اذا وقع بدل تلقون
ملقين وجب ان يقال اولياء ملقين اليهم انتم بالمودة فان قيل كيف قيل لاتتخذوا
عدوى وعدوكم اولياء والعداوة والصداقة لكونهما متنافيين لايجتمعان فى محل
واحد والنهي عن الجمع بينهما فرع عن امكان اجتماعهما قلنا انما ية افيان عند اتحاد
النسبة ولااتحاد لهاهنا لان الكفار اعداء المؤمنين من حيث انهم حاربوا الله
ورسوله وتركوا طاعتهما ومحبتهما وقد احبهما المؤمنين واطاعوهما وكون
الكفار اعداء المؤمنين من هذه الحيثية لاينا فى كونهم اولياء المؤمنين من حيثية
اخرى كتظاهرتهم فى الامور الدينوية والاغراض النفسانية فنهى الله تعالى عن
ذلك (قوله حال من فاعل احد الفعلين) اى من ضمير لاتتخذوا او من ضمير تلقون
اى لاتتخذوهم اولياء وهذه حالهم او تلقون اليهم مودتكم وهذه حالهم وقوله
تعالى يخرجون حال من فاعل كفروا اى كفروا مخرجين الرسول واياكم من مكة
عن بن عباس رض قال كان حاطب ممن اخرج مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
او استئناف لبيان كفرهم وعتوهم كان قائلا يقول كيف كفروا فقيل يخرجون
الرسول والمؤمنين من ديارهم فان قيل لم لم يذكر ما اخرجوا منه قلنا لتناول
الاخراج اخراجهم من ديارهم واموالهم وعشائرهم وما احبوه مما يتمنعون به
(قوله تعالى ان تؤمنوا بالله ربكم) فى محل النصب على انه مفعول له لقوله
يخرجون اى يخرجونكم لاجل ايمانكم اوكراهة ايمانكم وقوله ان تؤمنوا خطاب
للرسول والمؤمنين بطريق تغليبهم عليه وقوله بالله ربكم التفات من التكلم فى قوله
عدوى الى الغيبة للدلالة على ما يوجب الايمان وهو الالوهية والربوبية
(قوله علة للخروج) يعنى ان انتصاب جهادا وابتغاء على انهما مفعول لهما
خرجتم اى ان كنتم خرجتم لاجلى وطلب مرضاتى لاتتولوا اعدائى فقد علق النهى
عن موالاة الكفار على خروجهم المقيد بكونه للجهاد وابتغاء المرضاة فيكون
هذا الامر ان عمدتين للتعليق لما تقرر من ان التقييد هو مدار الفائدة و يعتمد
عليه الحكم المقيد كانه قيل لاتتولوا اعدائى ان كنتم مجاهدين فى سبيلى ومبتغين
مرضاتى وان كان المعلق عليه صورة هو الخروج (قوله وجواب الشرط

(محذوف)

تفضون اليهم المودة
بالمكاتبة والقاء عن يدة
او اخبار رسول الله بسبب
المودة والجملة حال من فاعل
لاتتخذوا او صفة لاولياء
جرت على غير من هى له
فلا حاجة فيها الى ابراز
الضمير لانه مشروط فى
الاسم دون الفعل (وقد
كفروا بما جاءكم من الحق
حال من فاعل احد الفعلين
(يخرجون الرسول واياكم
اى من مكة وهو حال من
كفروا او استئناف لبيانه
(ان تؤمنوا بالله ربكم)
لان تؤمنوا به وفيه تغليب
المخاطب والالتفات من
من التكلم الى الغيبة للدلالة
على ما يوجب الايمان)
(ان كنتم خرجتم)عن
اوطانكم (جهادا فى سبيلى
وابتغاء مرضاتى) علة
للخروج وعمدة التعليق
وجواب الشرط

محذوف) لان نفس لاتتخذوا لايصلح جوابا لان جواب الشرط لايتقدم عليه عند البصريين بل المتقدم دليل الجواب المحذوف و يحذف الجواب اعتمادا عليه والكوفيون يجيزون تقدمه عليه (قوله بدل من تلقون) فيكون معربا باعرابه و يشبه ان يكون من قبيل بدل الاشتمال لان القاء المودة والقاء اسراره عليه الصلاة والسلام اليهم بسبب المودة يكون سرا وجهرا فابدل منه تسرون لبيان انه باى نوع وقع الالقاء و يجوز ابدال الفعل من الفعل كما فى قوله تعالى ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب وقول الشاعر

متى تأتنا تلمم بنا فى ديارنا ＊ تجد حطبا جزلا ونارا تأججا

(قوله اواستئناف) اى انتم تسرون ولم يرد بالاستئناف كونه جوابا لسؤال مقدر بل اراد به كونه منقطع التعلق عما قبله لفظا وفسره بقوله اى طائل لكم فى اسرار المودة بناء على ان قوله تسرون اليهم بالمودة مسوق للانكار بمعنى انه كلام منقطع التعلق عما قبله لفظا يتضمن الاستفهام الانكارى كانه قيل اى نفع لكم فى الاسرار والحال انه لافرق بين الاسرار والاعلان بالنسبة الى وهما سيان فى علمى وانا مطلع رسولى على ماتسرون (قوله اى منكم) على ان اعلم افعل تفضيل اى انا اعلم منكم بما تخفون وما تعلنون قيل هذا كله معاتبة لحاطب وهو يدل على فضله ونصاحته للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وصدقه فى ايمانه لان المعاتبة لا تكون الا من المحب لحبيبه كما قيل

اذا ذهب العتاب فليس ود ＊ و يبقى الود مابقى العتاب

ثم انه تعالى اخبر المؤمنين بعداوة اهل مكة لهم و شدة شكيمتهم فيها وانه لاينفعهم القاء المودة اليهم فقال ان يثقفوكم اى ان يظفروا بكم (قوله ومجيئه اى مجئ ودوا وحده يعنى انه معطوف على جواب الشرط وهو قوله يكونوا و يبسطوا وهو مضارع وكذا الشرط وهو يثقفوكم ولما كانت هذه الافعال الثلاثة مضارعة كان الظاهر ان يكون ودوا مضارعا ايضا ليكون الشرط والجزاء وما عطف عليه على سنن واحد الا انه جاء وحده بلفظ الماضى للاشعار بان ارتداد المؤمنين اهم الاشياء عندهم حتى كانوا يتمنونه قبل اظهار العداوة و بسط الايدى والالسن وقبل ان يثقفوكم ايضا وذلك لان العدو أهم شئ عنده ان يضيع اعز شئ عند من يعاديه وهم يعلمون ان الدين اعز عليكم من ارواحكم لانكم تبذلون انفسكم واموالكم دونه فهو اعز عليكم من الدنيا وما يتعلق بها فلما كان ارتداد المؤمنين اعز المطالب عندهم وكانوا يتمنونه قبل كل شئ جاء ودوا بلفظ الماضى للاشعار بذلك بان ودادتهم حاصلة وان لم

محذوف فدل عليه لاتتخذوا (تسرون اليهم بالمودة) بدل من تلقون او استئناف معناه اى طائل لكم فى اسرار المودة او الاخبار بسبب المودة (وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم) اى منكم وقيل اعلم مضارع والباء مزيدة وما موصولة او مصدرية (ومن يفعله منكم) اى يفعل الاتخاذ (فقد ضل سواء السبيل) اخطأه (ان يثقفوكم) يظفروا بكم (يكونوا لكم اعداء) ولا ينفعكم القاء المودة اليهم (و يبسطوا اليكم ايديهم وألسنتهم بالسوء) بما يسوءكم كالقتل والشتم (وودوا لو تكفرون) وتمنوا ارتدادكم ومجيئه وحده بلفظ الماضى للاشعار بانهم ودوا ذلك قبل كل شئ وان ودادتهم حاصلة وان لم يثقفوكم (لن تنفعكم ارحامكم) قراباتكم (ولا اولادكم) الذين توالون المشركين لاجلهم يوم القيامة يفصل بينكم يفرق بينكم بما اعتراكم من الهول فيفر بعضكم من بعض فمالكم ترفضون اليوم حق الله لمن يفر منكم غدا

يثقفوهم و يجوز ان لايكون ودوا معطوفا على جواب الشرط بل يكون معطوفا على قوله وقد كفروا اى وقد كفروا وأحبوا كفركم ثم انه تعالى اخبران القرابات والاولاد التى يوالون الكفار من اجلها و يحامون عنها لاتنفعهم فقال لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم يوم القيامة على ان يكون الظرف متعلقا بقوله لن تنفعكم ثم يستأنف بقوله يفصل بينكم اى يقضى الله بينكم بالحق الا ان المفهوم من تحرير المصنف ان يكون الظرف متعلقا بقوله يفصل و يكون الفصل بمعنى التفريق بين الارحام بادخال المؤمن منهم الجنة والكافر النار و بان تفريقهم من بعض بسبب ما عراهم من الهول اى غشيهم ولما اعتذر حاطب فى افشائه سر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واظهاره مولاة الكفار بان له ارحاما واولادا فيما بينهم وليس لهم من يحميهن من قبلى فاردت ان اتخذ عندهم يدا الخ بين الله تعالى خطأه فى رأيه بان اخبره اولا ان من والاهم وتوقع حماية ارحامه واولاده منهم اعدآء فقال ان يثقفوكم الآية ثم اخبره ثانيا ان ارحامك واولادك الذين توالى الكفار لاجلهم سيفرون منك عن قريب فقال لن تنفعكم ارحامكم الآية (قوله وقرأ حمزة والكسائى بالتشديد) اى يفصل بضم الياء وفتح الفاء وكسر الصاد مشددة على بناء الفاعل من التفصيل وقرأ ابن عامر يفصل بضم الياء وفتح الفاء والصاد المشددة على بناء المفعول من التفصيل وقرأ عاصم يفصل بفتح الياء وسكون الفاء وكسر الصاد على بناء الفاعل من الثلاثى وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو يفصل بضم الياء وسكون الفاء وفتح الصاد مخففة على بناء المفعول من الفصل وهو التفريق وكذا التفصيل الا ان بناء التفعيل فيه للتكثير والتكرير والفاعل فيما بنى له هو الله تعالى والقائم مقامه فيما بنى للمفعول الظرف بعده وهو بينكم و بنى على الفتح لاضافته الى غير متمكن كقوله لقد تقطع بينكم فى احد الاوجه وهذه اربع قراآت القرآء السبعة وهناك قراآت [illegible] من الشواذ ثم قال تعالى والله بما تعملون من افشاء سره عليه السلام الى اهل مكة واتخاذهم اولياء ونحو ذلك بصير اى عالم ولم قل خبير مع انه ابلغ من العالم بناء على ان الخبير بالضم هو العلم بالشئ مع طمأنينة القلب [illegible] وان كان ابلغ من ذلك الوجه الا ان البصير فيه مبالغة من [illegible] على كون المعلوم فى انكشافه للعالم به بمنزلة المشاهد بحس البصر [illegible] لما نهى عن موالاة الكفار ذكر قصة ابراهيم عليه السلام [illegible] مثلا لهم حين تبرأ من قومه ليتأسوا به فقال قد كانت [illegible] اسوة بضم الهمزة فى الموضعين من هذه السورة وفى سورة [illegible]

والكسائى بالتشديد وكسر الصاد وفتح الفاء وقرأ ابن عامر وابو عمرو يفصل على البناء للمفعول مع التشديد وهو بينكم وعاصم يفصل (والله بما تعملون بصير) فيجازيكم عليه (قدكانت لكم اسوة حسنة) قدوة اسم لما يؤتسى به

و الباقون بكسرها وهما لغتان بمعنى القدوة نقل عن صاحب الكشاف انه قال القدوة والاسوة لكل واحد منهما معنيان احدهما الاقتداء والاتباع وهو الاصل والثانى المقتدى به والمؤتسى به الجوهرى ائتسى به اى اقتدى به واختار المصنف ان تكون الاسوة اسما لما يؤتسى به من الخصلة الحميدة والمراد به ههنا تبرؤه من اهل الشرك وما يعبدونه من الاصنام (قوله صفة ثانية) اى لاسوة فان اسوة اسم كان ولكم خبرها وفى ابراهيم صفة ثانية لاسوة اوخبر كان ولكم لغو متعلق بعامل مقدر من الافعال الخاصة بناء على ان اللام فيه للبيان فلما قيل قد كانت اسوة حسنة فى ابراهيم كأنه قيل لمن تقول هذا الكلام فاجيب لكم اى اقول لكم (قوله او حال) عطف على قوله صفة ثانية وكذا قوله او صلة لها اى ويجوز ان يكون فى ابراهيم متعلقا بحسنة تعلق الظرف بعامله ولايجوز ان يكون متعلقا باسوة لانها مصدر موصوف بحسنة ووصف المصدر اجنبى عنه ولايجوز الفصل بينه وبين معموله باجنبى الا ان يقال انه ظرف وقد تقرر انه يغتفر فى الظرف مالا يغتفر فى غيره فلا يبالى بالفصل بين المصدر ومعموله اذا كان ظرفا (قوله ظرف لخبر كان) وهو ما تعلق به لكم او فى ابراهيم ولايجوز كونه ظرفا لاسوة لما ذكر آنفا (قوله تعالى وحده مصدر فى موضع الحال اى واحدا منزها عن الشريك (قوله استثناء من قوله اسوة حسنة) فانه تعالى لما قال قد كانت فى اقوالهم وافعالهم اسوة تتأسون بهم فيها استثنى قوله لابيه لاستغفرن لك منها وبين انه لا اسوة لكم فيه كما قال تعالى ما كان للنبى والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولى قربى وكان استغفار ابراهيم قبل النهى او كان لموعدة وعدها اياه فظن ابراهيم عليه السلام انه قد انجزها فلما تبين انه مصر على الشرك تبرأ منه فلا يحل لكم ان تستغفروا للمشركين من بعد ما تبين لكم انهم اصحاب النار فلا يغفر لهم ابدا وقوله تعالى وما املك لك من الله من شئ من جملة قول ابراهيم لابيه الذى استثناه الله تعالى مما يؤتسى به من اقواله وافعاله فلما ورد ان يقال كيف يصح كونه من تمام قوله المستثنى وهو فى نفسه كلام حسن يحسن ان يؤتسى به غير حقيق بالاستثناء اشار الى دفعه بقوله ولايلزم من استثناء المجموع استثناء جميع اجزائه يعنى ان ما ذكر انما يدل على عدم صحة كونه مقصودا بالاستثناء ومستثنى بانفراده واما اذا استثنى مجموع مقالته وكان المقصود بالاستثناء من ذلك المجموع استثناء جميع اجزائه وقرن به ما بعده من كلام ابراهيم تحقيقا لوعده فكأنه قال لأستغفرن لك وما فى طاقتى الا هذا فهو مبذول لامحالة فلما كان هذا تابعا لماقبله ومتفرعا عليه وهو من كلام ابراهيم ادخل فى المستثنى ولايلزم من عدم صحته عدم صحة كون

(فى ابراهيم والذين معه) صفة ثانية اوخبر كان ولكم لغو وحال من المستكن فى حسنة اوصلة لها لا لاسوة لانها وصفت (اذ قالوا لقومهم) ظرف لخبر كان (انا برآء منكم) جمع برئ كظريف وظرفاء (ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم) اى بدينكم او بمعبودكم او بكم وبه فلا نعتد بشأنكم وآلهتكم (وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده) فتنقلب العداوة والبغضاء الفة ومحبة (الاقول ابراهيم لابيه لأستغفرن لك) استثناء من قوله اسوة حسنة فان استغفاره لابيه الكافر ليس مما ينبغى ان تأتسوا به فانه كان قبل النهى اولموعدة وعدها اياه (وما املك لك من الله من شئ) من تمام قوله المستثنى ولايلزم من استثناء المجموع استثناء جميع اجزائه

(ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير) متصل بما قبل الاستثناء او امر من الله للمؤمنين بان يقولوه تتميما لما وصاهم به من قطع العلائق بينهم وبين الكفار (ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا) بان تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب لا نحتمله (واغفر لنا) ما فرط (ربنا انك انت العزيز الحكيم) ومن كان كذلك كان حقيقا بان يجير المتوكل ويجيب الداعي (لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة) تكرير لمزيد الحث على التأسي بابراهيم ولذلك صدر بالقسم وابدل قوله (لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) من لكم فانه يدل على انه لا ينبغي لمؤمن ان يترك التأسي بهم وان تركه مؤذن بسوء العقيدة ولذلك عقبه بقوله (ومن يتول فان الله هو الغني الحميد) فانه جدير بان يوعد به الكفرة (عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة) لما نزل لا تتخذوا عادى المؤمنون اقاربهم المشركين وتبرؤا منهم

مجموع مقالته مستثنى لانه في قوة ان يقال لاستغفرن لك وليس في وسعي وطوقي الا الاستغفار فهو مبذول لك فحكى الله تعالى هذا المجموع عنه عليه الصلاة والسلام واستثناه مما اثبت فيه من الاسوة والمقصود من الاستثناء من هذا المجموع هو وعد الاستغفار لابيه الكافر بقوله لاستغفرن لك ولما كان ما بعده مذكورا لتحقق الوعد المذكور وبيانا لوجهه ادخل في المستثنى ولا يلزم من استثناء المجموع استثناء جميع اجزائه مع ان قوله وما املك لك من الله من شيء يدل على انه لو ملك له ما هو اكثر من الاستغفار لفعل فكان ملحقا بما قبله وفي معناه فكان حقيقا بالاستثناء (قوله متصل بما قبل الاستثناء) اي هو داخل في جملة ما اثبته الله تعالى في ابراهيم ومن معه مما يؤتسى به من الاقوال والافعال الدالة على تخلقه بالاخلاق الحميدة المرضية كقوله وما املك لك وفصل بينه وبين ما قبل الاستثناء بالاستثناء (قوله او امر من الله) اي ويجوز ان لا يكون من جملة مقالة ابراهيم عليه الصلاة والسلام بل يكون امرا من الله سبحانه للمؤمنين باضمار قولوا اي اظهروا لهم العداوة ولا يهولكم كثرة عددهم وعددهم وقولوا ربنا عليك توكلنا الآية اي قولوا عليك اعتمدنا واليك رجعنا باعتراف من ذنوبنا واليك المرجع في الآخرة (قوله بان تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب لا نحتمله) فعلى هذا تكون الفتنة مصدرا بمعنى الفتون وعن الزجاج انه قال لا تظهرهم علينا فيظنوا انهم على حق فيفتنونا بذلك وعن مجاهد قال لا تعذبنا بايديهم ولا بعذاب من عندك فيقولوا لو كان هؤلاء على الحق لما اصابهم هذا (قوله وابدل قوله لمن كان يرجو الله واليوم الآخر من لكم) ليس من قبيل بدل الكل من الكل لانه قرر في النحو انه لا يبدل ظاهر من ضمير المتكلم او المخاطب بدل الكل من الكل فلا يقال في المسكين كان الامر ولا عليك الكريم المعول لئلا ينقص المقصود بالنسبة عن غيره في الدلالة على الذات المرادة مع اتحاد الذات والظاهر ان ما في الآية من قبيل بدل الاشتمال لان التابع لكونه اعم من المتبوع يشمله وغيره (قوله تعالى لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) اي يخافه ويخاف عقابه في الآخرة او يرجو ثواب الله تعالى بالائتساء بهم فان الرجاء كما يكون بمعنى التوقع والامل يكون بمعنى الخوف ايضا قال تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا اي لا تخافون عظمة الله تعالى وقال الشاعر اذا لسعته النحل لم يرج لسعها * اي لم يخف ولم يبال (قوله فانه يدل على انه لا ينبغي لمؤمن ان يترك التأسي بهم) تعليل لمفهوم مزيد الحث على التأسي بابراهيم من البدل (قوله تعالى ومن يتول) اي ومن يعرض عن الائتساء بالانبياء وسنة المؤمنين ويوال الكفار فان الله هو الغني عن خلقه وعن موالاتهم ونصرهم لاهل دينه اذ لم

(يحتاجهم)

فوعدهم الله بذلك وانجز اذا بلغ اكثرهم وصاروا لهم اولياء (والله قدير) على ذلك (والله غفور رحيم) لما فرط منكم في موالاتهم من قبل ولما بقي في قلوبكم من ميل الرحم (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم) اى لا ينهاكم ﴿ ٤٤٣ ﴾ عن مبرة هؤلاء لان قوله (ان تبروهم) بدل من الذين (وتقسطوا

بخلقهم لحاجة اليهم بل هو ولى دينه وناصر حزبه والحميد المستحق للحمد في ذاته وفي جميع افعاله وهو وعيد بليغ لمن يتولى عن التأسي بهم اشار اليه المصنف بقوله فانه جدير بان يوعد به الكفرة (قوله فوعدهم الله تعالى بذلك) فان عسى من الله تعالى وعد ولا يخلف الله وعده وهو معنى قولهم عسى من الله واجبة (قوله تعالى لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين) اختلفوا في المراد من الذين لم يقاتلوكم فالاكثرون على انهم اهل العهد الذين عاهدوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على ترك القتال والمظاهرة في العداوة وهم خزاعة كانوا عاهدوا الرسول على ان لا يقاتلوه ولا يخرجوه فامر الرسول عليه الصلاة والسلام بالبر والوفاء الى مدة اجلهم وقال مجاهد هم الذين آمنوا بمكة ولم يهاجروا وقيل هم النساء والصبيان وعن عبد الله بن الزبير انها نزلت في اسماء بنت ابي بكر رضى الله تعالى عنه وكان ابو بكر تزوج امها قتيلة ثم طلقها في الجاهلية ثم قدمت مشركة على بنتها اسماء في المدة التي كانت فيها المصالحة بينه عليه الصلاة والسلام وبين كفار قريش الخ (قوله بدل من الذين) اى بدل اشتمال لان بينهم وبين البر ملابسة بغير الكلية والجزئية فالمنهى عنه قصدا هو برهم بالقول وحسن المعاشرة والصلة بالمال لا انفسهم اذ انفسهم انما ذكرت توطئة للمقصود والقسط العدل اى المعاملة بما يعادل معاملتهم معكم فانهم اذا لم يخرجوكم من دياركم ولم يؤذوكم فهذا بر منهم فالعدل معهم ان تبروهم ايضا وبهذا استدل ابو حنيفة ومحمد رحمهما الله في دفع ماسوى الزكاة من الصدقات الى اهل الذمة واستثنى الزكاة من جملتها لحديث معاذ رضى الله تعالى عنه خذها من اغنيائهم وردها الى فقرائهم (قوله فاختبروهن بما يغلب على ظنكم) قيل انه كان من ارادت منهن اضرار زوجها قالت سأهاجر الى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فلذلك امر عليه السلام بامتحان من هاجرت اليه مظهرة للايمان واختلفوا في انه عليه الصلاة والسلام باى شئ يمتحنهن فقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كان يمتحنهن بان يستحلفهن بالله ما خرجت بغضا لزوجها ولا رغبة من ارض الى ارض ولا التماس الدنيا ولا عشقا لرجل من المسلمين ولا لحدث احدثته وما خرجت الا رغبة في الاسلام وحبا لله ورسوله فاذا حلفت بالله

اليهم) تفضوا اليهم بالقسط اى العدل (ان الله يحب المقسطين) اى العادلين روى ان قتيلة بنت عبد العزى قدمت مشركة على بنتها اسماء بنت ابي بكر رضى الله تعالى عنه بهدايا فلم تقبلها ولم تأذن لها في الدخول فنزلت (انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم) كمشركي مكة فان بعضهم سعوا في اخراج المؤمنين وبعضهم اعانوا المخرجين (ان تولوهم) بدل من الذين بدل الاشتمال (ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون) لوضعهم الولاية في غير موضعها (يا ايها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن) فاختبروهن بما يغلب على ظنكم موافقة قلوبهن السنتهن في الايمان (الله اعلم بايمانهن) فانه المطلع على ما في قلوبهن (فان علمتموهن مؤمنات) العلم الذى يمكنكم تحصيله وهو الظن الغالب بالحلف وظهور الامارات وانما سماه علما ايذانا بانه كالعلم في وجوب العمل به (فلا ترجعوهن الى الكفار) اى الى ازواجهن الكفرة لقوله

الذي لا اله الا هو على ذلك اعطى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم زوجها مهرها وما انفق عليها ولا يرد نفسها لقوله تعالى فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار وروى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال كان امتحانهن ان يشهدن ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فاذا شهدن به مع طيب النفس لا يرجعن الى الكفار وعن عائشة رضي الله عنها انها قالت ما كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يمتحن الا بقوله تعالى يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيئا الآية اي بقبول هذه الشروط سماهن مؤمنات قبل الامتحان لمشارفتهن الايمان بالامتحان وقبول الشروط المذكورة وكانت المهاجرات اذا قدمن قصدن عنده عليه السلام فيقول عليه الصلاة والسلام لهن ابايعكن على ان لا تشركن بالله شيئا ويتلو عليهن الآية الخ فاذا اقررن بذلك قال قد بايعتكن فارتفعن قالت عائشة رضي الله عنها والله ما مست يده عليه الصلاة والسلام يد امرأة في المبايعة الا بقوله والآية التي في هذه السورة نزلت عام الحديبية فانه عليه الصلاة والسلام صالح اهل مكة بالحديبية على ان من لحق بالكفار من المسلمين لم يردوه ومن لحق بالمسلمين مسلما منهم رد عليهم وكانت المصلحة فيه في ذلك الوقت فلما ختم كتاب الصلح جاءت سبيعة مسلمة فاقبل زوجها مسافر فقال اردد علي امرأتي كما هو الشرط وهذه طينة الكتاب لم تجف بعد فنزلت فنسخ ذلك الحكم في حق النساء حث الله تعالى فيهن ان لا يرددن اليهم وفي الرجال ان يردوا اليهم وذلك لضعف النساء عن الدفع عن انفسهن والعجز عن الصبر على الفتنة ثم انه تعالى نفى حل كل واحد من الزوجين للآخر اذا اسلمت المرأة والزوج كافر ثم الايمان قد ذكر في هذه الآية على ثلاثة اوجه الاول الايمان المدلول عليه بمجرد الاقرار باللسان والهجرة الينا وهو قوله اذا جاءكم المؤمنات وصفهن بالايمان بناء على انهن اظهرن ذلك والثاني الايمان المدلول عليه بالامارات التي تفيد غلبة الظن بموافقة قلوبهن السنتهن وهو قوله تعالى فان علمتموهن مؤمنات اي فان غلب على ظنكم اخلاصهن في الايمان فان غلبة الظن حجة في الشرع قائمة مقام العلم والثالث الايمان الحقيقي الذي هو طمانينة القلب على الاعتقاد الحق وهو قوله الله اعلم بايمانهن وفائدة ايراد هذه الجملة مع ان مضمونها معلوم لا شبهة فيه بيان انه لا سبيل لنا الى الاحاطة بحقيقة الحال وليس في وسعنا الا الاكتفاء بالظن الغالب الذي يحصل بالامتحان (قوله والتكرير للمطابقة) اي بين نوعي في ان كل واحد منهما لا يحل للآخر ونفي الحل من جانب وان كان مستلزما لنفيه من الجانبين لكن لم يكتف بالدلالة التزاما بل صرح بنفي الحل من الجانبين

لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن) والتكرير للمطابقة والمبالغة او الاول لحصول الفرقة والثاني للمنع من الاستئناف (وآتوهم ما انفقوا) ما دفعوا اليهن من المهور وذلك لان صلح الحديبية جرى على ان من جاءنا منكم رددناه فلما تعذر عليه ردهن لورود النهي عنه

لما لغة في ثبوت الحرمة اذا اسلمت المرأة والزوج كافر (قوله لزمه رد مهورهن) لئلا لحق الخسران بازواجهن من وجهين الزوجة وما دفع اليها من المال والحكم برد الصداق انما هو في نساء اهل العهد واما من لاعهد بينه وبين المسلمين فلا يرد عليهم شئ من المهر قال الامام ابو الليث في تفسير قوله تعالى وآتوهم ما انفقوا يعني واعطوا ازواجهن الكفار ما انفقوا عليهن من المهر ثم نقل عن مقاتل انه قال يعني ان تزوجها احد من المسلمين يدفع المهر الى الزوج فان لم يتزوجها احد من المسلمين فليس لزوجها الكافر شئ واعلم انه تعالى علق رفع الجناح في تزوج هؤلاء المهاجرات بايتاء اجورهن فيجب ان يتقدم ايتاء الاجور على عقد النكاح حتى يحل النكاح ويرتفع الجناح ثم ان فسرت الاجور بالمهور التي تكون من جانب المسلمين يجب على المسلمين ان يسوقوا لهن مهورهن قبل العقد ليدفعنه الى ازواجهن من الكفار وان فسرت بالمهور التي انفقها ازواجهن الكفار فلابد ان يدفعها المسلمون اليهن على سبيل القرض ليدفعنه الى ازواجهن الاول ثم يتزوجهن المسلمون على ما ادوا اليهن من الدين لكون ما وجب عليهم بالعقد والدخول قصاصا عما وجب عليهن بالقرض وان دفع المسلمون اليهن مهور ازواجهن الاول بطريق الهبة وجب عليهن بعد العقد مهورهن هذا هو المفهوم من الكشاف والظاهر ان قوله تعالى فلا ترجعوهن الى الكفار نهي للامة عن ردهن الى الكفار بعد ان علموهن مؤمنات ورجع يتعدى ولا يتعدى يقال رجع بنفسه رجوعا ورجعه غيره وكذا قوله وآتوهم ما انفقوا امر لهم بان يعطوا ازواجهن الكفرة ما دفعوا اليهن من المهور من بيت المال الذي لا يتعين له مصرف اذا طالب الزوج الكافر ردها فانه لما امتنع من ردها الى زوجها الكافر لحرمة الاسلام امر الامام برد المال وفاء للعهد بقدر الامكان واذا لم يطالبها زوجها الكافر او ماتت الزوجة المهاجرة قبل حضور الزوج لا يغرم الامام شيأ لعدم تحقق المنع من قبله وقوله تعالى ولا جناح عليكم ان تنكحوهن اي في ان تنكحوهن اذا آتيتموهن اجورهن المراد بالاجور فيه مهورهن الواجبة لهن على من يتزوجهن من المسلمين والمراد بانه انها الذي هو شرط انتفاء الجناح هو التزام الايتاء كما في قوله تعالى حتى يعطوا الجزية فان استحلال البضع بعقد النكاح لا يتمكن دون لزوم ايتاء المال وان ما اعطى ازواجهن لا يقوم مقام المهر في نكاحهن واحتج ابو حنيفة رحمه الله تعالى بقوله ولا جناح عليكم ان تنكحوهن على ان احد الزوجين اذا خرج من دار الحرب مسلما او بذمة وبقي الآخر حربيا وقعت الفرقة بمجرد تباين الدارين ولا يرى العدة على المهاجرة ويبيح نكاحها بدون العدة الا ان تكون حاملا

لزمه رد مهورهن اذ روي انه عليه الصلاة والسلام كان بعد بالحديبية اذ جاءته سبيعة بنت الحارث الاسلمية مسلمة فاقبل زوجها مسافر المخزومي طالبا لها فنزلت فاستحلفها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فحلفت فاعطى زوجها ما انفق وتزوجها عمر رضي الله عنه (ولا جناح عليكم ان تنكحوهن) فان الاسلام حال بينهن وبين ازواجهن الكفار (اذا آتيتموهن اجورهن) شرط ايتاء المهر في نكاحهن ايذانا بان ما اعطى ازواجهن لا يقوم مقام المهر

﴿ولا تمسكوا بعصم الكوافر﴾ بما تعتصم به الكافرات من عقد وسبب جمع عصمة والمراد نهى

المؤمنين عن المقام على نكاح المشركات وقرأ البصريان ولا تمسكوا بالتشديد ﴿واسألوا ما انفقتم﴾ من مهور نسائكم اللاحقات بالكفار ﴿وليسألوا ما انفقوا﴾ من مهور ازواجهم المهاجرات ﴿ذلكم حكم الله﴾ يعنى جميع ما ذكر فى الآية ﴿يحكم بينكم﴾ استئناف او حال من الحكم على حذف الضمير او جعل الحكم حاكما على المبالغة ﴿والله عليم حكيم﴾ يشرع ما تقتضيه حكمته ﴿وان فاتكم﴾ وان سبقكم وانفلت منكم ﴿شىء من ازواجكم الى الكفار﴾ احد من ازواجكم وقد قرئ به وايقاع شىء موقعه للتحقير والمبالغة فى التعميم او شىء من مهورهن ﴿فعاقبتم﴾ فجاءت عقبتكم اى نوبتكم من اداء المهر شبه الحكم باداء هؤلاء مهور نساء اولئك تارة واداء اولئك مهور نساء هؤلاء اخرى بامر يتعاقبون فيه كما يتعاقب فى الركوب وغيره ﴿فآتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا﴾ من مهر المهاجرة ولا تؤتوه زوجها الكافر روى انه لما نزلت الآية المقدمة ابى المشركون ان يؤدوا مهر الكوافر نزلت

وقال ابو يوسف ومحمد رحمهما الله تجب عليها العدة ووجه احتجاج ابى حنيفة انه تعالى نفى الجناح من كل وجه فى نكاحهن بعد ايتاء المهور ولم يقيد بمضى العدة فلولا ان الفرقة تقع بمجرد الوصول الى دار الاسلام لكان الجناح ثابتا فى نكاحهن وعند الامام الشافعى رحمه الله لا تقع الفرقة بمجرد تباين الدارين وانما تقع باسلامها او بالسبى وان سبيا معا اما الاول فلانه تعالى حرم المسلمة على الكافر واما الثانى فلان السبى يقتضى صفاء الملك للسابى ولا يتحقق صفاؤه مع بقاء النكاح بينها وبين زوجها فقول المصنف فان الاسلام حال بينهن وبين ازواجهن الكفار يشعر بان الحائل هو الاسلام دون الهجرة وتباين الدارين وذلك مبنى على مذهبه (قوله بما تعتصم به الكافرات من عقد وسبب) يعنى ان العصمة فى الاصل وان كانت مصدرا بمعنى الحفظ والمنع الا ان المراد بها فى هذه الآية ما يكون سببا لاعتصامهن كما ان الفتنة فى قوله تعالى ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا بمعنى سبب الافتتان والامساك والتمسك والتمسيك كلها بمعنى واحد وهو التعلق والمعنى ولا تتعلقوا بعقد الكوافر ونكاحهن ولا يكن بينكم وبينهن عصمة ولا علقة زوجية بعد ما اسلمتم وهاجرتم من دار الكفر وبقيت ازواجكم فيها كافرات وهذا معنى قول المصنف والمراد نهى المؤمنين عن المقام على نكاح المشركات عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال من كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يعتدى بها من نسائه لان اختلاف الدارين قطع عصمتها عنه وقيل المراد بالكوافر المرتدات اى اذا ارتدت فلا تتعلقوا بما كان بينكما من العقد فانه قد زال بارتدادها وانقطعت عصمتها عنكم ولا وجه للتخصيص فان الكوافر تعم المشركات والمرتدات بين الله تعالى بقوله يا ايها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات الى قوله اذا آتيتموهن اجورهن حكم النساء اللاتى اسلمن وخرجن من دار الكفر وبين بقوله ولا تمسكوا بعصم الكوافر حكم اللاتى بقين فى دار الكفر وما اسلمن ولم يهاجرن بعد اسلام ازواجهن وهجرتهم او حكم اللاتى ارتددن على ما قيل (قوله تعالى واسألوا ما انفقتم) اى اذا ارتدت امرأة احدكم ولحقت بدار الحرب فاسألوا مهرها ممن تزوجها منهم وكذا يسأل كل حربى اسلمت امرأته وهاجرت الينا مهرها ممن زوجها منا وظاهر قوله تعالى وليسألوا يدل على ان الكفار مخاطبون بالاحكام الا ان المراد امر المؤمنين بالاداء بطريق اطلاق الملزوم وارادة اللازم كما فى قوله تعالى وليجدوا فيكم غلظة (قوله تعالى يحكم بينكم) يحتمل ان يكون كلاما مستأنفا لا محل له كأنه قيل بين من يحكم الله تعالى فاجيب بان قيل يحكم بينكم وان يكون حالا من حكم الله والجملة اذا وقعت موقع الحال لا بد ان تكون مشتملة على ضمير

(تربط)

ترتبط به الجملة بذي الحال وذلك الضمير اما مستتر في يحكم عائد الى الحكم على جعل الحكم حاكما على المبالغة كما في جد جده او ضمير بارز محذوف للعلم به منصوب المحل على انه مفعول مطلق ليحكم والمستتر فيه عائد الى الحكم على جعل الحاكم الله يحكم روى انه لما نزل قوله تعالى واسألوا ما انفقتم وليسألوا ما انفقوا ادى المؤمنين مهور المهاجرات المؤمنات الى ازواجهن المشركين وأبى المشركون ان يؤدوا شيئا من مهور الكوافر الى ازواجهن المسلمين اى قال المسلمون رضينا بما حكم الله وكتبوا الى المشركين قد حكم الله عز وجل بيننا بانه ان جاءتكم امرأة منا توجهوا الينا بصداقها وان جاءتنا امرأة منكم وجهنا اليكم بصداقها فكتبوا اما نحن فلا نعلم لكم عندنا شيأ فان كان لنا عندكم شئ فوجهوا به وابوا الانقياد لحكم الله تعالى من اداء ما انفق المسلمون على زوجاتهم من المهر فانزل الله تعالى وان فاتكم شئ من ازواجكم الى الكفار وقال ابن زيد خرجت امرأة من المسلمين الى المشركين واتت امرأة من المشركين الى المسلمين فقال القوم هذه عقبتكم اى نوبتكم قد اتتكم فنزلت اى ان تفر واحدة من ازواجكم الى الكفار مرتدة وسألتم منهم ان يؤدوا المهر اليكم فأبوا فان هاجرت امرأة منهم اليكم مسلمة فآتوا من فرت امرأته الى الكفار مرتدة مثل مهرها من مهر مهاجرة جاءتكم ولا تؤتوه زوجها الكافر ليكون قصاصا جعل قوله تعالى فعاقبتم من العقبة بمعنى النوبة فان المعاقبة المناوبة يقال عاقب الرجل صاحبه في كذا اذا جاء فعل كل واحد منهما عقيب فعل الآخر واداء كل واحد من المسلمين والكفار لا يلزم ان يعقب اداء الاخر لجواز ان يتوجه الادا الى احد الفريقين مرارا متعددة من غير ان يلزم الفريق الآخر شئ وبالعكس فلا يتعاقبون اى لا يتناوبون في الاداء الا انه شبه ما حكم به على الفريقين من اداء هؤلاء مهور نساء اولئك تارة واداء اولئك مهور نساء هؤلاء اخرى بامر يتعاقبون فيه فاطلق على الاداء المذكور اسم العقبة بمعنى المتعاقب فيه ثم اشتق منه فعاقبتم على طريق الاستعارة التبعية (قوله وقيل معناه) اى معنى قوله تعالى وان فاتكم شئ الآية انه ان انفلتت واحدة من ازواجكم الى الكفار وامتنعوا ان يغرموا مهرها فانبذوا اليهم عهدهم وقاتلوهم حتى اذا ظفرتم وغلبتم عليهم وغنمتم شيأ فاعطوا من انفلتت زوجته اليهم من تلك الغنيمة مثل ما انفق عليها ولعل وجه تفسير قوله تعالى فعاقبتم بان قال واصبتم من الكفار عقبي وهى الغنيمة اى فغنمتم معاقبة الكفار اى عقاب المسلمين اياهم بانواع العقوبات من الطعن بالرمح والضرب بالسيف والرمى بالسهم ونحو ذلك اذ المعاقبة سبب للاغتنام فاطلق اسم المعاقبة واريد المسبب مجازا مرسلا (قوله نزلت يوم الفتح) اى لما فتح

وقيل معناه ان فاتكم فاصبتم من الكفار عقبي اى غنيمة فآتوا بدل الفائت من الغنيمة (واتقوا الله الذى انتم به مؤمنون) فان الايمان به يقتضى التقوى عنه (يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيأ) نزلت يوم الفتح فانه عليه السلام لما فرغ من بيعة الرجال اخذ في بيعة النساء (ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن) يريد وأد البنات (ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن ولا يعصينك في معروف) في حسنة تأمرهن بها والتقييد بالمعروف مع ان الرسول لا يأمر الا به

رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مكة وجاءته النساء يبايعنه نزلت وشرط الله تعالى في مبايعتهن ان يأخذ عليهن هذه الشروط حتى تقبل بيعتهن ولما نزلت صعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الصفا وعمر بن الخطاب رضي الله عنه اسفل منه وهند بنت عتبة منتقبة متنكرة مع النساء خوفا من ان يعرفها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال صلى الله تعالى عليه وسلم ابايعهن على ان لا يشركن بالله شيأ فقالت هند انك لتأخذ علينا عهدا ما رأيناك اخذته على الرجال وكان عليه الصلاة والسلام قد بايع الرجال على الجهاد وعلى الاسلام فقط ثم قالت عبدنا الاصنام فما اغنت عنا ثم قال عليه الصلاة والسلام ولا يسرقن فقالت هند ان ابا سفيان رجل ممسك واني اصبت من ماله هنات فلا ادري اتحل لي ام لا فقال ابو سفيان ما اصبت من شئ فيما مضى وفيما غبر فهو لك حلال فضحك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعرفها فقال لها انك لهند بنت عتبة فقالت نعم فاعف عما سلف يا نبي الله عفا الله عنك فقال عليه الصلاة والسلام خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف ثم قال ولا يزنين فقالت هند او تزني الحرة فقال عمر لو كان قلب نساء العرب مثل هند ما زنت امرأة منهن فقال عليه الصلاة والسلام ولا يقتلن اولادهن اي بالوأد فقالت ربيناهم صغارا فقتلتموهم كبارا يوم بدر وكان ابنها حنظلة بن ابي سفيان قتل يوم بدر فضحك عمر رضي الله عنه حتى استلقى وتبسم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال عليه الصلاة والسلام ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن تلتقط المولود فتقول لزوجها هذا ولدي منك فاراد بالبهتان الولد المبهوت به وليس المعنى نهيهن عن ان يأتين بولد من الزنى فينسبنه الى ازواجهن لان ذلك قد نهي عنه بقوله ولا يزنين وصف الولد الملتقط الذي تلحقه المرأة بزوجها بكونه مفترى بين يديها ورجليها لانها تقول هذا ولدي منك حملته في بطني الذي هو بين يدي ووضعته من فرجي الذي هو بين رجلي والبهتان في الاصل مصدر يقال بهت زيد عمرا بهتا وبهتانا اي قال عليه ما لم يفعله وزيد باهت وعمرو مبهوت والذي بهت به مبهوت به واذا قالت لزوجها هذا ولدي منك فقد بهتته حيث قالت عليه ما لم يفعله وجعله نفس البهتان ثم وصفه بكونه مفترى مبالغة في وصفهن بالكذب فلما سمعت هند هذا قالت والله ان البهتان قبيح وما تأمرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق ثم قال عليه الصلاة والسلام ولا يعصينك في معروف فقالت والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفي انفسنا ان نعصيك في شئ فبايعهن عليه الصلاة والسلام بهذه الخصال الست فقبلها وما مست يده عليه الصلاة والسلام يد امرأة قط الا امرأة تملكها غير انه بايعهن بالكلام عن اميمة بنت رقيقة انها

بايعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى نسوة فقالت يارسول الله صافحنا فقال انى لا اصافح النساء انما قولى لامرأة كقولى لمائة امرأة وما بايعهن الا بالكلام بهذه الاية وقيل بايعهن وعلى يده ثوب قطرى اى كتان غليظ وقيل امر عمر رضى الله عنه ان يبايعهن عنه ففعل وعلى يده ثوب ذكر الله تعالى فى صفة بيعتهن خصالا ستاهن اركان ما نهى عنه فى الدين وكان يكثر تركها فى النساء وكانت حرمتها دائمة فى كل زمان وفى كل حال بخلاف اركان ما امر به من الصلاة والزكاة فانها منوطة باوقات مخصوصة وشرائط معينة فكان التنبيه على اشتراط مادام واستمر فى كل وقت اهم وآكد ثم انه قدم من هذه المنهيات ماهو الاقبح على ماهو ادنى منه فى القبح ثم وثم الى آخرها وكذا قدم ماهو اكثر وقوعا فيما بينهم وقوله تعالى يبايعنك فى موضع الحال من المؤمنات اى مبايعات وقوله يفترينه امافى موضع الجر على انه صفة بهتان اوفى موضع النصب على انه حال من فاعل يأتين وقوله بين ايديهن ظرف لمحذوف هو حال من الضمير المنصوب فى يفترينه اى يختلقنه مقدرا وجوده بين ايديهن على ان يكون المراد بالبهتان الولد المبهوت به كما ذهب اليه جمهور المفسرين (قوله فى حسنة تأمرهن بها) وهى تعم كل امر فيه رشدهن كالنهى عن النياحة والدعاء بالويل والثبور وتمزيق الثوب وحلق الشعر ونتفه وخمش الوجه وان تحدث المرأة الرجال الا ذا رحم محرم وان تخلو برجل غير محرم وان تسافر الا مع ذى محرم (قوله تنبيه على انه لايجوز طاعة مخلوق فى معصية الخالق) ووجه التنبيه انه لم ينبه على معصيته عليه الصلاة والسلام مطلقا بل قيد النهى عنها بكونها فى المعروف فقيد كونها فى المعروف اشعر بان معصيته عليه الصلاة والسلام فى المنكر غير منهى عنها مع العلم بانه عليه الصلاة والسلام لايأمر بالمنكر ولما لم تجز طاعته فى المنكر مع انه سيد الكائنات علم انه لاطاعة لمخلوق فى معصية الخالق سميت المعاهدة مبايعة تشبيها لها بها فان الامة اذا التزموا قبول ماشرط عليهم من تكاليف الشارع طمعا فى ثواب الرحمن وهربا من اليم عذابه وضمن عليه السلام ذلك بمقابلة وفائهم بالعهد المذكور صار كل واحد منهم كأنه باع ماعنده بما عند الآخر (قوله يعنى عامة الكفار او اليهود) نهى الله المؤمنين فى اول السورة عن موالاة المشركين الذين اخرجوا الرسول واياهم بسبب ايمانهم بالله ثم نهاهم فى آخرها عن موالاة الكفرة مطلقا وعن موالاة اليهود خاصة وقوله تعالى غضب الله عليهم صفة لقوما وكذا قوله قديئسوا وقوله من الآخرة متعلق بيئسوا اى يئسوا من البعث والحساب والجزاء لان المشركين لايؤمنون بالآخرة واليهود وان كانوا يؤمنون بها الا انهم لما كذبوا خاتم النبيين

تنبيه على انه لا يجوز طاعة مخلوق فى معصية الخالق (فبايعهن) اذا بايعنك بضمان الثواب على الوفاء بهذه الاشياء (واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم يا ايها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم) يعنى عامة الكفار او اليهود اذ روى انها نزلت فى بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم (قد يئسوا من الآخرة) لكفرهم بها او لعلمهم بانه لاحظ لهم فيها لعنادهم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم المنعوت فى التوراة المؤيد بالآيات (كما يئس الكفار من اصحاب القبور) ان يبعثوا او يثابوا او ينالهم خير منهم وعلى الاول وضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على ان الكفر ايئسهم * عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء يوم القيامة

(سورة الصف مدنية وقيل مكية وآيها اربع عشرة)
بسم الله الرحمن الرحيم
(سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم) سبق تفسيره
(يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون) روى ان المسلمين قالوا لو علمنا احب الاعمال الى الله لبذلنا فيه اموالنا وانفسنا فانزل الله ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا فولوا يوم احد فنزلت ولم مركبة من لام الجر وما الاستفهامية والاكثر حذف الفها مع حرف الجر لكثرة استعمالهما معا واعتناقهما في الدلالة على المستفهم عنه
(كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون) المقت اشد البغض ونصبه على التمييز للدلالة على ان قولهم هذا مقت خالص كبير عند من يحقر دونه كل عظيم مبالغة في المنع عنه
(ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا) مصطفين مصدر وصف به

حسدا وعنادا مع علمهم بانه رسول صادق يئسوا من ان يكون لهم في الآخرة ثواب الجنة ونعيمها وقوله من اصحاب القبور يحتمل ان يكون متعلقا بيئس الثاني فيكون الكفار من وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على علية يأسهم فيكون المعنى لا تتولوا عامة الكفار الذين يئسوا من الآخرة يأسا مثل يأسهم من اصحاب القبور اي من ان يبعثوا ويحتمل ان يكون من البيان الجنس لا لابتداء الغاية فيكون المعنى لا تتولوا اليهود الذين يئسوا من ثواب الآخرة كما يئس الكفار الذين هم اصحاب القبور من خير الآخرة وثوابها وذلك ان الكافر اذا وضع في قبره اتاه ملك مهيب يسأله من ربك ومادينك ومن رسولك فيقول لا ادري فيقول الملك ابعدك الله انظر الى منزلك من النار فينظر اليه فيدعو بالويل والثبور فيقول هذا لك يا عدو الله فيفتح له باب من الجنة فينظر اليه فيقول هذا لمن آمن بالله فلو كنت آمنت بربك لنزلت الجنة فيكون حسرة عليه وينقطع رجاؤه من خير الآخرة فذلك قوله تعالى للاحياء من الكفار يئسوا من الآخرة اي من خيرها كما يئس الاموات من الكفار من خيرها حين عاينوا منازلهم من النار * تمت سورة الممتحنة والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين

(سورة الصف مدنية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

(قوله والاكثر حذف الفها مع حرف الجر) اي حرف كان نحو لم وبم وفيم وعم فلما اعتنقا وصارا كلفظ واحد وضع للدلالة على المستفهم عنه وكثر استعمالهما معا اقتضى ذلك تخفيف اللفظ فحذفت لذلك الف ما الاستفهامية وليس المراد منه حقيقة الاستفهام لان الاستفهام من الله تعالى محال لانه تعالى عالم بجميع الاشياء بل المراد الانكار والتوبيخ على ان يقول الانسان من نفسه ما لا يفعله لانه ان اخبر انه فعل في الماضي او في الحال ولم يفعله كان كذبا وان وعد ان يفعل في المستقبل ولا يفعله كان خلفا وكلاهما مذموم منه وفيه دلالة على ان كل من الزم نفسه عملا فيه قربة وطاعة لله تعالى يجب عليه الوفاء به نحو ان ينذر نذرا مطلقا كقوله لله علي صوم او صلاة او صدقة او مقيدا بشرط كقوله ان قدم غائبي او ان كفاني الله تعالى شر كذا فعلي صدقة (قوله المقت اشد البغض) اشارة الى ان هذا النظم فيه مبالغة من وجوه اربعة بطريق التمييز وعدم الاقتصار على ان يجعل قولهم هذا مقتا كبيرا بل جعل اشد البغض وافحشه ولم يقتصر ايضا على جعله اشد البغض مطلقا بل جعله اشد البغض عند الله تعالى فان ما كبر عنده مع انه يصغر عنده كل كبير يكون اكبر الكبائر (قوله ونصبه على

التمييز الدلالة على ان قولهم هذا مقت خالص كبير عنده تعالى) يعنى ان الكلام
من قبيل طاب زيد نفسا من حيث ان كبر مسند الى قوله ان تقولوا ما لا تفعلون
ومقتا تمييز لرفع الابهام المستقر فى نسبة المقت الى قولهم هذا محول من الفاعلية
والاصل كبر مقت قولكم هذا حول الكلام عن هذا الاصل واسند الكبر الى
ان تقولوا وجعل مقتا تمييزا رافعا للابهام عن الذات المقدرة فى نسبة الكبر الى
قولهم هذا فانه لا ابهام فى مفهوم الكبر ولا فى قولهم هذا بل الابهام فى الذات التى
اسند اليها الكبر حقيقة فان التقدير كبر شئ شيأ من نسبة الكبر الى قولهم هذا
وقوله مقتا فسر ذلك الشئ ورفع الابهام عنه والحكمة فى اختيار هذا الاسلوب
الدلالة على ان قولهم هذا مقت خالص كبير ووجه الدلالة انه لو قيل كبر
مقت ان تقولوا لم يفهم منه كون قولهم مقتا محضا وانما يفهم كونه ذا مقت
بمقته الله تعالى لان الاضافة انما تدل على نوع من الملابسة بين المضاف
والمضاف اليه لا على اتحاذ هما بالذات بخلاف ما اذا جعل المقت تمييزا
عن ذات نشأت عن النسبة الى الفاعل فانه يدل على ان المنسوب اليه فى الاصل
هو المقت الذى عبر عنه بقوله ان تقولوا ثم فسر ذلك القول بالمقت بناء على ادعاء
ان ذلك القول هو نفس المقت للمبالغة فى تعلق المقت به وفى المنع عنه كما فى قولك
رجل عدل وقوله مبالغة فى المنع عنه مفعول له لقوله ونصبه على التمييز لكن
بعد تقييده بقوله للدلالة ثم انه تعالى لما ذكر على عدم ثبات المجاهدين فى موضع
القتال يوم احد بعد ما بين لهم انه احب الاعمال عند الله تعالى بين لهم ان ما
يحبه الله تعالى ويرضاه هو ثبات المجاهد بن كثبوت البناء المرصوص فقال
ان الله يحب الذين يقاتلون الآية والمحبة لكونها كيفية انفعالية لا تسند اليه
تعالى الا بتأويل وهو ان يراد بها الرضى عن الخلق او الثناء عليهم والمعنى انه
تعالى يرضى عمن ثبت فى مكانه عند مجاهدة الكفار كثبوت البناء والتراص
التضام والتلاصق عن سعيد بن جبير قال هذا تعليم من الله تعالى للمؤمنين
كيف يكونون عند قتال عدوهم فلا يجوز الخروج من الصف الا لحاجة تعرض
للانسان اولرسالة يرسله الامام اومنفعة تظهر فى الانتقال عن المقام كفرصة
تنتهز ولا خلاف فيها وفى الخروج عن الصف للمبارزة خلاف فقيل انه
لا بأس فيه ارهابا للعدو وطلبا للشهادة وتحريضا على القتال وقيل لا يبرز
احد طلبا لذلك لان فيه رياء الا ان يطلب الكافر من يبارزه كما كان يوم بدر
وفى غزوة خيبر (قوله حال من المستكن فى الحال الاولى) لان صفا بمعنى
مصطفين ففيه ضمير وقوله كأنهم بنيان حال منه على التداخل وهو ان تعمل
الحال الاولى فى الثانية ويكون الحالان لشيئين مختلفين والترادف الحالين ان يكونا

(كأنهم بنيان مرصوص) فى تراصهم من غير فرجة حال من المستكن فى الحال الاولى والرص اتصال بعض البناء بالبعض واستحكامه (واذ قال موسى لقومه) مقدر باذكر او كان كذا (يا قوم لم تؤذوننى) بالعصيان والرمى بالادرة (وقد تعلمون انى رسول الله اليكم) بما جئتكم من المعجزات والجملة حال مقررة للانكار فان العلم بنبوته يوجب تعظيمه ويمنع ايذاءه

وقد تحقيق العلم (فلما زاغوا) عن الحق (ازاغ الله قلوبهم) صرفها عن قبول الحق والميل الى الصواب (والله لا يهدى القوم الفاسقين) هداية موصلة الى معرفة الحق او الى الجنة (واذ قال عيسى ابن مريم يا بنى اسرائيل) ولعله لم يقل ياقوم كما قال موسى عليه الصلاة والسلام لانه لانسب له فيهم (انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى) فى حال تصديق ما تقدمنى من التوراة وتبشيرى برسول يأتى بعدى والعامل فى الحالين ما فى الرسول من معنى الارسال لا الجار لانه لغو اذ هو صلة للرسول فلا يعمل (اسمه احمد) يعنى محمدا عليه السلام والمعنى دينى التصديق بكتب الله وانبيائه فذكر اول الكتب المشهورة الذى حكم به النبيون والنبى الذى هو خاتم المرسلين

لشئ واحد والبنيان واحد كالبناء ولذلك وصف بقوله مرصوص ولم يقل مرصوصة ثم انه تعالى لما عير من لم يثبت فى موضع القتال بعدم الوفاء وحث المؤمنين على الثبات فيه وعلمهم بلسان الرسول كيف ينبغى ان يكونوا حال القتال ذكر بعده قصة موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام وانهما امرا قومهما باتباع دين الله تعالى وطاعة رسوله فيما دعاهم اليه وانهم زاغوا عن الحق واتبعوا اهواءهم فخذلهم الله تعالى ولم يوفقهم للاهتداء وقبول الحق جزاء على اختيارهم الباطل وعدم سعيهم فى اصابة الحق بالنظر فى الدلائل المنصوبة فقال واذ قال موسى لقومه الآية اى واذكر اذ قال او حين قال لهم ما قال كان كذا وكذا فيكون منصوبا بما دل عليهما بعده كانه قيل حين قال لهم زاغوا (قوله وقد تحقيق العلم) كأنه قيل تؤذوننى عالمين انى رسول الله اليكم علما يقينا لاشبهة فيه وطريق ايذائهم انهم نسبوا اليه الادرة وان قارون حمل امرأة على ان تدعى على موسى انه زنى بها وقولهم اجعل لنا الها كما لهم آلهة وقولهم اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون وقولهم انت قتلت هرون عليه الصلاة والسلام وغير ذلك والزيغ الميل يقال ازاغه عن الطريق اى اماله عنه والمعنى فلما عدلوا عن الحق امال الله قلوبهم عن قبوله جزاء على ما ارتكبوا من ايذائهم نبيهم ودل ذلك على انه تعالى خالق لافعال عباده كلها حسنها وقبيحها وانه تعالى يضل من علم منه اختيار الضلال ويهدى من علم منه اختيار الاهتداء (قوله لانه لانسب له فيهم) لان النسب المعتبر مايكون من قبل الاب (قوله لانه لغو) يعنى ان قوله اليكم متعلق برسول لانه بمعنى مرسل او ارسلت والظرف اللغو لايعمل لان حروف الجر لا تنصب بنفسها بل بما فيها من معنى الفعل فاذا كانت متعلقة بالمذكور قبلها لا تتضمن معنى الفعل فلا تعمل واحمد من جملة اسماء نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم والظاهر انه منقول من الوصفية بناء على انه فى الاصل اسم تفضيل بمعنى احمد الحامدين لربه فان الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم كلهم حامدون لربهم ونبينا احمد اى اكثرهم حمدا وكذا محمد فانه منقول من الوصفية لكونه فى معنى محمود ولكن فيه معنى المبالغة والكثرة فانه محمود فى الدنيا بكونه سيد المرسلين وجامع فضائل الانبياء اجمعين كما قال

وانسب الى ذاته ما شئت من شرف ☆ وانسب الى قدره ما شئت من عظم
فان فضل رسول الله ليس له ☆ حد فيعرب عنه ناطق بفم

ومحمود فى الآخرة بما اختص به نبينا من الشفاعة الكبرى والحوض المورود والمقام المحمود كما قال

هو الحبيب الذي ترجى شفاعته ✿ لكل هول من الاهوال مقتحم
روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال ان لى اسماء انا احمد وانا محمد وانا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر وانا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى وانا العاقب الذى ليس بعدى نبى رواه البخارى (قوله تعالى فلما جاءهم) اى لما جاءهم عيسى بالمعجزات من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص ونحو ذلك من المعجزات الدالة على صدقه فى دعوى الرسالة عن كعب ان الحواريين قالوا لعيسى يا روح الله هل بعدنا من امة قال نعم امة محمد حكماء علماء ابرار اتقياء كانهم من الفقه انبياء يرضون من الله باليسير والقليل من الرزق ويرضى الله عنهم باليسير من العمل (قوله من يدعى الى الاسلام) اى ممن يدعوه ربه الى الاسلام على لسان نبيه عليه الصلاة والسلام فيجعل مكان اجابته السيء افتراء الكذب على الله بتسمية نبيه ساحرا فان السحر كذب وتمويه فمن قال فى حقه انه ساحر فقد كذب ووصفه بانه كذاب وتكذيب من صدقه الله تعالى فى دعوى الرسالة باظهار المعجزات الباهرة على يده وتكذيب حقية رسالته نفى للثابت فيكون افتراء للكذب على الله وكذا تسمية المعجزات سحرا اثبات لما نفى عنه فقوله فانه يعم الخ تعليل لتناول الافتراء للتكذيب والتسمية فان تكذيبه عليه الصلاة والسلام نفى للثابت وتسمية ما ظهر على يديه من الآيات والمعجزات سحرا اثبات للمنفى وكلاهما افتراء عليه تعالى (قوله وقرئ يدعى) اى بفتح الياء والدال المشددة وكسر العين على بناء الفاعل بمعنى يدعو فان فعل وافتعل قد يكون بمعنى واحد نحو لمسه والتمسه فالضمير ان وهما قوله وهو والمستتر فى قوله يدعى يرجعان الى الجلالة فهذه القراءة من حيث المعنى كالقراءة المشهورة وهى قراءة يدعى بضم الياء وسكون الدال الخفيفة وفتح العين على بناء المفعول والضميران فى هذه القراءة يرجعان الى من (قوله واللام مزيدة) اى فى مفعول الارادة فان اصله ان يطفئوا زيدت اللام مع فعل الارادة تأكيدا له فان اللام لما فيها من معنى الارادة تصلح مؤكدة لمضمون فعل الارادة فانك اذا قلت جئتك لاكرامك يفهم منه معنى الارادة كما ان اللام لما فيها من الدلالة على الاختصاص زيدت لتأكيد معنى الاضافة المقتضية للاختصاص فى نحو لا اباك فان اصله لا اباك (قوله او يريدون الافتراء ليطفئوا) على ان اللام للعلة والمفعول محذوف وهو افتراء الكذب على الله تعالى والاطفاء الاخماد شبهت حالهم فى اطفاء نور الاسلام بمجرد القول بالفم بحال من ينفخ فى نور الشمس بفيه ليطفئه (قوله مبلغ غايته بنشره) اشارة الى جواب ما عسى ان يقال الاتمام لا يكون الا عند النقصان فما معنى نقصان نور الله الذى

﴿فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين﴾ الاشارة الى ما جاء به او اليه وتسميته سحرا للمبالغة ويؤيده قراءة حمزة والكسائى هذا ساحر على ان الاشارة الى عيسى عليه الصلاة والسلام ﴿ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام﴾ اى لا احد اظلم ممن يدعى الى الاسلام الظاهر حقيته المقتضى له خير الدارين فيضع موضع اجابته الافتراء على الله بتكذيب رسوله وتسمية آياته سحرا فانه يعم اثبات المنفى ونفى الثابت وقرئ يدعى يقال دعاه وادعاه كلمسه والتمسه ﴿والله لا يهدى القوم الظالمين﴾ لا يرشدهم الى ما فيه فلاحهم ﴿يريدون ليطفئوا﴾ اى يريدون ان يطفئوا واللام مزيدة لما فيها من معنى الارادة تأكيدا كما زيدت لما فيها من معنى الاضافة تأكيدا لها كما فى لا اباك او يريدون الافتراء ليطفئوا ﴿نور الله بافواههم﴾ يعنى دينه او كتابه او حجته بطعنهم فيه ﴿والله متم نوره﴾ مبلغ غايته بنشره واعلائه

هو دينه او كتابه او حجته وتقريره حاشى نور الله تعالى عن النقصان فى ذاته بل المراد نقصان اثره الذى هو ظهوره فى الآفاق وعلوه على ظلمة الجهل الشائعة فى البلاد وكذا المراد بالاكمال فى قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم يريد به اظهاره ونشره بتكثير اهله بحيث يتمكنون من قهر اعداء الدين وعن ابى هريرة ان ذلك يكون عند نزول عيسى عليه الصلاة والسلام من السماء قيل سبب نزول هذه الآية انه عليه الصلاة والسلام ابطأ عليه الوحى اربعين يوما فقال كعب بن الاشرف يا معشر اليهود ابشروا فقد اطفأ الله تعالى نور محمد فما كان لينزل عليه وما كان ليتم امره فحزن عليه الصلاة والسلام لذلك فانزل الله سبحانه وتعالى هذه الآية واتصل الوحى بعده (قوله وقرأ ابن كثير الخ) علم منه ان الباقين قرأ وابمتم بالتنوين ونصب نوره فالاضافة تخفيف والتنوين هو الاصل والجملة فى محل النصب على الحالية من فاعل يريدون ولو فى قوله تعالى ولوكره الكافرون شرطية بمعنى ان وجوابها محذوف مدلول عليه بما قبلها اى وان كرهوا ذلك فان الله تعالى يفعله لامحالة وهذه الجملة حال من الحال المتقدمة وهى قوله تعالى والله متم نوره على طريق التداخل واما الحكمة فى ذكر لفظ الكافرين ههنا وذكر لفظ المشركين فيما بعده ان هذا المقام مقام ارغام الكافرين بنعمة الله تعالى فان اتمام النور ونشره فى الآفاق من النعم فلا جرم تكون كراهة ذلك غاية فى كفر ان النعمة مقتضية لتجهيلهم وارغامهم فاوثر لفظ الكافرين لكونه اليق بهذا المقام واما قوله ولوكره المشركون فانه قد ورد فى مقابلة اظهار الدين الحق الذى اول اركانه التوحيد والتبرئ من الشرك وكان كفار مكة انما كرهوا هذا الدين الحق من اجل توغلهم فى الشرك واصرارهم عليه فكان المناسب بهذا المقام اذلالهم وارغامهم باظهار ما يكرهونه من الحق وليس المراد من اظهاره ان لا يبقى فى العالم من يكفر به بل المراد ان يكون اهله عالين غالبين على اهل سائر الاديان بالحجة والبرهان والسيف والسنان الى ان لا يبقى دين آخر فى آخر الزمان لما روى انه اذا نزل عيسى عليه الصلاة والسلام لم يبق فى الارض دين سوى دين الاسلام ثم انه تعالى لما عير الصحابة الذين حضروا حرب احد بعدم الوفاء بعهدهم ثم علمهم ان العمل المرضى عند الله تعالى ان يقاتلوا فى سبيل الله تعالى مصطفين مشبهين بالبنيان المرصوص بين ان العمل المذكور هو التجارة والرابحة بين العبد ومولاه فقال يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة الاية جعل الايمان والجهاد المذكورين تجارة تشبيها لهما بها فانها عبارة عن مبادلة المال طمعا للربح ومن آمن وجاهد بماله ونفسه فقد بذل ما عنده وفى وسعه لنيل

وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى وحفص بالاضافة (ولو كره الكافرون) ارغاما لهم (هو الذى ارسل رسوله بالهدى) بالقرآن او المعجزة (ودين الحق) والملة الحنيفية (ليظهره على الدين كله) ليعليه على جميع الاديان (ولو كره المشركون) لما فيه من محض التوحيد وابطال الشرك (يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم) وقرأ ابن عامر تنجيكم بالتشديد

ماعند ربه من جزيل ثوابه والنجاة من عذاب اليم عقابه مع طمع الزيادة عليه بحكم قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة (قوله استئناف مبين للتجارة) فان الاستفهام فى قوله تعالى هل ادلكم عرض للدلالة عن التجارة حثا لهم وتشويقا الى طلبها واستعلام انها ماهى فكأنهم قالوا يا ربنا دلنا عليها حتى نفعلها ونجو بسببها من العذاب الاليم فاجيبوا بان قيل تؤمنون بالله وفى التيسير لما نزل قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم لم ينزل معه مابعده وكانوا فى شوق الى معرفته ليعملوا به فبقوا على ذلك ستة عشر شهرا ثم نزل قوله تؤمنون بالله ورسوله فهو تفسير للتجارة فلا محل له ويجوز ان يكون فى محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اى تلك التجارة تؤمنون والخبر لما كان نفس المبتدأ لم يحتج الى الرابط كخبر ضمير الشان وان يكون فى محل النصب بتقدير اعنى اى اعنى تؤمنون وعن الاخفش ان قوله تؤمنون عطف بيان للتجارة على ان اصل الكلام ان تؤمنوا فلما حذف ان ارتفع الفعل كما فى قوله *

الا ايهاذا الزاجرى احضر الوغى * اصله ان احضر فلما حذفت ان بطل عملها فارتفع الفعل لتجرده عن العوامل اللفظية وكذا فى الآية فكأنه قيل هل ادلكم على تجارة منجية ايمان وجهاد وهو معنى حسن لولا احتياجه الى التأويل (قوله والمراد به الامر) يعنى ان قوله تعالى تؤمنون فى معنى آمنوا ولذلك جاء يغفر لكم مجزوما على انه جواب الامر وقيل انه مجزوم على انه جواب الاستفهام وهو هل ادلكم على تجارة على طريق قولك هل تأتينى اكرمك ويرد عليه انه لو كان جواب الاستفهام لكان المعنى ان دلالتكم على التجارة يغفر لكم ومن المعلوم ان مجرد دلالتهم لايوجب مغفرتهم فانهما انما تترتب على الاجابة والامتثال والوجه فى انفهام معنى الامر من لفظ الخبر ان الاستفهام عن الدلالة المتعلقة بالتجارة انما هو التشويق والاغراء على طلبها والاغراء على الشئ يستلزم ان يكون ذلك الشئ مطلوبا للمغرى فيفهم من الاستفهام كون التجارة مطلوبة للمستفهم ولما فسرت التجارة بالايمان والجهاد لزم ان يكونا مطلوبين للمستفهم مأمورا بهما من قبله فهذا وجه قوله والمراد به الامر الا انه عبر عن الامر بلفظ الخبر ايذانا بان المأمور به مما لايترك بل حقه ان يسارع اليه المكلف مع قطع النظر عن الايجاب والتكليف كما فى نحو غفر الله له (قوله ان كنتم من اهل العلم) نزله منزلة اللازم وجعل كونهم من اهل العلم شرطا لكون الايمان والجهاد خيرا لهم لان عمل الجاهل لايعتد به ولايثاب هو عليه لان الاعمال بالنيات (قوله او لشرط او استفهام

(تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله باموالكم وانفسكم) استئناف مبين للتجارة وهو الجمع بين الايمان والجهاد المؤدى الى كمال غيرهم والمراد به الامر وانما جيئ بلفظ الخبر ايذانا بان ذلك مما لا يترك (ذلكم خير لكم) يعنى ما ذكر من الايمان والجهاد (ان كنتم تعلمون) ان كنتم من اهل العلم اذا لجاهل لايعتد بفعله (يغفر لكم ذنوبكم) جواب الامر المدلول عليه بلفظ الخبر اولشرط او استفهام

دل عليه الكلام تقديره ان تؤمنوا وتجاهدوا اوهل تقبلون ان ادلكم يغفر لكم و يدخلكم جنات

جوابا لهل ادلكم لان مجرد دلالته لايوجب المغفرة (و يدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم) الاشارة الى ما ذكر من المغفرة وادخال الجنة (واخرى تحبونها) ولكم الى هذه النعمة المذكورة نعمة اخرى عاجلة محبوبة وفى تحبونها تعريض بانهم يؤثرون العاجل على الآجل وقيل اخرى منصوبة باضمار يعطكم اوتحبون او مبتدأ خبره (نصر من الله) وهو على الاول بدل او بيان وعلى قول النصب خبر محذوف وقدقرئ بما عطف عليه بالنصب على البدل او الاختصاص او المصدر (وفتح قريب) عاجل (و بشر المؤمنين) عطف على محذوف مثل قل ياايها الذين آمنوا وبشر اوعلى تؤمنون فانه فى معنى الامر كانه قال آمنوا وجاهدوا ايها المؤمنون و بشرهم يارسول الله بما وعدتهم عليهما عاجلا وآجلا

دل عليه الكلام) اى على كل واحد منهما فان ماقبله يدل على ان تقدير الكلام ان تؤمنوا وتجاهدوا يغفر لكم و يدل ايضا على ان تقدير الكلام هل تقبلون ان ادلكم يغفر لكم على معنى ان تقبلوا او تفعلوا مادللتكم عليه يغفر لكم (قوله ولكم الى هذه النعمة المذكورة نعمة اخرى) اشارة الى ان اخرى صفة لمحذوف وهو مبتدأ محذوف الخبر وهو لكم والموصوف المحذوف نحو قولك المثوبة او العدة او الخصلة او النعمة اى ولكم الى هذه المثوبة او الى هذه العدة مثوبة آخرى او عدة اخرى وقوله تحبونها صفة ثانية لذلك المحذوف ايضا (قوله او تحبون) اى او منصوبة باضمار تحبون الذى يفسره قوله تحبونها على انه من قبيل ما اضمر عامله على شريطة التفسير فلا يكون تحبونها حينئذ نعتا لاخرى لانه مفسر للعامل المضمر قبله (قوله وهو على الاول) اى قوله نصر على ان يكون قوله واخرى فى موضع الرفع على الابتداء مرفوع على انه بدل من اخرى او عطف بيان له و يجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف اى هى نصر ويكون الجملة تفسير النعمة الاخرى ولم يلتفت اليه المصنف لان التقدير لايصار اليه من غير ضرورة بخلاف ما اذا كانت اخرى منصوبة فانه لايحتاج الى تقدير المبتدأ (قوله وقدقرئ بما عطف عليه بالنصب) اى وقدقرئ نصرا من الله وفتحا قريبا بالنصب على البدل من اخرى المنصوبة بفعل مضمر كامر اى يغفر لكم و يدخلكم جنات و يؤتكم نعمة اخرى ثم ابدل منها نصرا وفتحا قريبا او على الاختصاص اى بتقدير اعنى او على انه مصدر فعل محذوف اى تنصرون نصرا و يفتح لكم فتحا قريبا (قوله عطف على محذوف) هو قل مقدر قبل ياايها الذين آمنوا كما ذهب اليه صاحب المفتاح (قوله او على تؤمنون) فيه بحث وهو ان المصنف صرح بان تؤمنون استئناف مبين للتجارة التى امر بها المؤمنون معنى وهو صحيح لان ايمان المؤمنين وجهادهم اصلح بيانا وتفسيرا لتجارتهم فهو جعل قوله و بشر المؤمنين معطوفا على تؤمنون لكونها فى معنى الامر لزم ان تكون بيانا لتجارة الذين آمنوا وهو بعيد لان المخاطب بقوله و بشر هو النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وتبشيره عليه الصلاة والسلام كيف يصلح بيانا لتجارة المؤمنين الا ان يقال قوله تعالى ياايها الذين آمنوا راجع الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وامته لانه عليه الصلاة والسلام اول المؤمنين به اولا كان اول فلما خوطب الجمع بقوله ياايها الذين آمنوا وقيل لهم هل ادلكم على تجارة لائقة بين تجارة الامة بقوله تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله و بين تجارته عليه الصلاة والسلام بتبشير المؤمنين بما وعدهم الله بمقابلة تجارتهم المبينة بما ذكر ولاشك ان تبليغ الرسالة اربح التجارات وانفعها لان ما ترتب عليه

من الثواب اجل واعظم مما يترتب على تجارة الامة فلما كان قوله و بشر صالحا لان يفسر به التجارة صح عطفه على قوله تؤمنون فان قيل كيف يكون قوله تؤمنون بالله في معنى الامر بالايمان وهو في معنى الامر بتحصيل الحاصل لان المخاطبين بهذا الامر هم المخاطبون بقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اجيب عنه بانه يمكن ان يكون المراد بالذين آمنوا المنافقين من حيث انهم آمنوا في الظاهر و يمكن ايضا ان يكون المراد بهم اليهود والنصارى لانهم آمنوا بكتبهم ورسلهم كأنه قيل يا ايها الذين آمنوا بالانبياء السابقة والكتب المقدمة آمنوا بالله و بمحمد عليه الصلاة والسلام والظاهر ان يكون المراد من آمن من هذه الامة و يكون المأمور به في حقهم الثبات على الايمان كما ان المأمور به في قوله كونوا انصار الله الثبات على نصرة دين الله تعالى والمداومة عليها (قوله لان المعنى كونوا بعض انصار الله) وهذا المعنى يستفاد من تنكير انصارا اذ القصد الافراد والبعضية ولذلك قرأ نافع وابن كثير انصار الله بالتنوين انصار او باللام الجارة داخلة على لفظة الله وقرأ الباقون باضافته الى لفظ الجلالة والرسم يحتمل القراءتين معا واللام يحتمل ان تكون مزيدة في المفعول تقوية العامل لكون العامل فرعا في العمل اذ الاصل كونوا انصار الله وان تكون غير مزيدة في المفعول و كون الجار والمجرور نعتا لانصارا والاول اظهر والقراءة بالاضافة فرع القراءة بالتنوين مخففة منها و يؤيدها قراءة بالاضافة الاجماع على الاضافة في محل انصار الله فانه لايتصور جريان الخلاف فيهما لكونه مرسوما بالالف وقيل في الكلام اضمار اي قل لهم يا محمد كونوا انصار الله وقيل هو ابتداء خطاب من الله تعالى اي كونوا انصارا مثل كون الحواريين لدين الله انصارا (قوله ليطابق الخ) علة لتفسير الانصار بالجند وتضمين الكلام معنى التوجه فانه لو ابقى الانصار على اصل معناه وكان المعنى من ينصرني لما طابق جواب الحواريين سؤال عيسى عليه الصلاة والسلام لانه عليه الصلاة والسلام سأل عن ينصره وهم اجابوا بانهم ينصرون الله ولو لم يعتبر معنى التوجه في الكلام لزم ان يعدى فعل النصرة بالى وليس كذلك فلما جعل الانصار بمعنى الجند واعتبر معنى التوجه في الكلام حصلت المطابقة بين السؤال والجواب لان الجند يتبع امير العسكر في تحصيل مقصود السلطان وظهر وجه تعدية النصرة بالى وهو كونها متضمنة لمعنى التوجه ومكان المنصور في كل واحد من السؤال والجواب هو الله تعالى فكأنه قيل من جندي متوجها الى الله تعالى واظهار دينه فاجاب الحواريون بقولهم نحن انصار الله متوجهين اليك فتكون اضافة انصاري على خلاف اضافة انصار الله لان الاضافة في انصاري

(يا ايها الذين آمنوا كونوا انصار الله) وقرأ الحجازيان و ابو عمرو بالتنوين واللام لان المعنى كونوا بعض انصار الله (كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من انصاري الى الله) اي من جندي متوجها الى نصرة الله ليطابق قوله (قال الحواريون نحن انصار الله) والاضافة الاولى اضافة احد المتشاركين الى الآخر لما بينهما من الاختصاص والثانية اضافة الفاعل الى المفعول

والتشبيه باعتبار المعنى اذ المراد قل لهم كما قال عيسى او كونوا انصارا كما كان الحواريون حين قال لهم عيسى من انصارى الى الله والحواريون اصفياؤه وهم اول من آمن به من الحور وهو البياض وكانوا اثنى عشر رجلا (فآمنت طائفة من بنى اسرائيل وكفرت طائفة) اى بعيسى (فايدنا الذين آمنوا على عدوهم) بالحجة او بالحرب وذلك بعد رفع عيسى (فاصبحوا ظاهرين) فصاروا غالبين عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة الصف كان عيسى مصليا عليه مستغفرا له مادام فى الدنيا وهو يوم القيامة رفيقه

معنوية حيث لم يضف اسم الفاعل الى معموله لان فاعل انصارى ضمير يرجع الى من ومفعوله دين الله والمعنى من الانصار الذين يختصون بى و يكونون معى فى نصرة الله تعالى واظهار دينه فالاضافة لمجرد الدلالة على اختصاص المضاف اليه بخلاف الاضافة فى انصار الله فانها لفظية من قبيل اضافة اسم الفاعل الى المنصور فحصل المطابقة بين القولين لان محصول قول عيسى عليه الصلاة والسلام من ينصر دين الله مختصا بى وكائنا معى فاجابوه بانا نلتزم ذلك وننصر دينه وننصر رسوله (قوله والتشبيه باعتبار المعنى) فان ظاهر اللفظ يدل على تشبيه كونهم انصارا لقول عيسى عليه الصلاة والسلام من انصارى الى الله لان اداة التشبيه دخلت على ما هو بمعنى المصدر وهو القول لان كلة ما فى قوله كما قال مصدرية فلما لم يصح التشبيه باعتبار ظاهر اللفظ وجب المصير الى جانب المعنى وذلك اما بان يجعل الكلام خطابا من الله تعالى لرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم بان يقدر قل قبل قوله يا ايها الذين آمنوا ويقدر الكلام قل لهم كما قال عيسى فالكاف منصوبة المحل على انها صفة مصدر محذوف اى قل لهم قولا مثل قول عيسى للحواريين واما بان يجعل الكلام ابتداء خطابا من الله تعالى للمؤمنين بان المعنى حينئذ انصروا دين الله تعالى نصرا مثل نصر الحواريين عيسى بن مريم او كونوا انصار الله كونا مثل كون الحواريين انصار عيسى عليه الصلاة والسلام حين قال لهم من انصارى الى الله اى وقت قوله لهم من انصارى الى الله لان كما قال فى تأويل القول اقيم المصدر مقام الوقت كما فى آتيك خفوق النجم وصياح الديك (قوله والحواريون اصفياؤه) وخواصه وحوارى الرجل صفيه من الحور وهو البياض الخالص سموا حواريين لخلوصهم من كل ما يشينا فى صفاء المحبة والاخلاص من العيوب روى انه تعالى قال لعيسى عليه الصلاة والسلام اذا دخلت القرية فأت النهر الذى عليه القصارون فاسألهم النصر فاتاهم عيسى عليه الصلاة والسلام وقال من انصارى الى الله فقالوا نحن ننصرك فصدقوه ونصروه (قوله وذلك) اى تأييد مؤمنيهم على كفارهم كان بعد ما رفع عيسى عليه الصلاة والسلام فانه عليه الصلاة والسلام لما رفع الى السماء تفرق قومه اربع فرق فرقة قالوا كان الله فارتفع وفرقة قالوا كان ابن الله فرفعه اليه وفرقة قالوا كان ثالث ثلاثة وفرقة قالوا كان عبد الله ورسوله فرفعه اليه وهم المؤمنون واتبع كل فرقة منهم طائفة من الناس فاقتتلوا وظهرت الكافرون على المؤمنين حتى بعث سيد المرسلين صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى جميع الانبياء فحينئذ ظهرت الفرقة المؤمنة على الكافرة وذلك قوله تعالى فايدنا الذين آمنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين اى غالبين

غابين من قولك ظهرت على الحائط اذا علوت عليه وظاهرين خبرا صبح يعني صاروقال زيد بن على فأصبحوا ظاهرين بالحجة والبرهان لانهم قالوا فيما روى ألستم تعلمون ان عيسى عليه الصلاة والسلام كان ينام والله تعالى لاينام وانه كان يأكل ويشرب والله تعالى منزه عن ذلك # تم سورة الصف والحمد لله رب العالمين

(سورة الجمعة مدنية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ رب يسر واعن

(سورة الجمعة مدنية وهي احدى عشرة آية) (بسم الله الرحمن الرحيم) (يسبح لله ما في السموات و ما في الارض الملك القدوس العزيز الحكيم) وقد قرئ الصفات الاربع بالرفع على المدح (هو الذي بعث في الاميين) اي في العرب لان اكثرهم لا يكتبون ولا يقرأون (رسولا منهم) اي من جملتهم اميا مثلهم (يتلو عليهم آياته) مع كونه اميا مثلهم لم يعهد منه قراءة ولا تعلم (ويزكيهم) من خبائث العقائد والاعمال (ويعلمهم الكتاب والحكمة) القرآن والشريعة او معالم الدين من المنقول والمعقول ولو لم يكن له سواه معجزة لكفاه (وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين) من الشرك وخبث الجاهلية وهو بيان لشدة احتياجهم الى نبي يرشدهم وازاحة لما يتوهم ان الرسول تعلم ذلك من معلم وان هي المخففة واللام تدل عليها

(قوله تعالى الملك) صفة مشبهة دالة على الثبات اي الذي يملك كل شئ ولا يزول عنه ملكه (قوله لان اكثرهم لا يكتبون) تعليل لتسمية العرب كلهم من كتب منهم ومن لم يكتب بالاميين يعني لما كان اكثرهم اميا لا يكتب ولا يقرأ سمي الجميع اميا على التغليب لان الامي عبارة عمن لا يقرأ وهم ليسوا باهل كتاب وقيل الاميون هم الذين لا يكتبون وقريش كانت كذلك قيل بدت الكتابة بالطائف اخذوها من اهل الحيرة واهل الحيرة من اهل الانبار والحيرة مدينة من بغداد والامي منسوب الى امة العرب وقيل الى الام لان من بقي على ماخلق عليه لم يكتب ولم يقرأ كان منسوبا الى امه ابقاء كما ولدته امه واحتج اهل الكتاب بقوله تعالى بعث في الاميين رسولا منهم على انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان رسولا الى العرب خاصة لان الاميين هم العرب من بين الامم وهو ضعيف لان تخصيص الشئ بالذكر لايستلزم نفي ماعداه الا ترى الى قوله تعالى ولا تخطه بيمينك لانه لايلزم منه ان يخطه بشماله ولان تصديقه في دعوى الرسالة يستلزم تصديقه في جميع ماجاء به ومن جملته قوله وما ارسلناك الا كافة للناس (قوله تعالى يتلو عليهم) هو ومابعده صفات لقوله رسولا ووجه الاستدلال والامتنان بان بعث فيهم رسولا اميا موصوفا بما ذكر من الصفات كونه دليلا على كمال قدرته وحكمته وكونه لطفا عظيما للمكلفين من حيث كون ذلك برهانا قاطعا على صحة نبوته بحيث لولم يكن له سواه عليه السلام معجزة لكفاه وفسر الحكمة بالشريعة وهي ماشرعه الله تعالى لعباده من الاحكام سواء ذكرت في القرآن او لم تذكر اولما لم جمع معلم وهو ما يستدل به على الطريق والمراد بها ههنا الدلائل التي يستدل بها على القواعد الدينية الاعتقاديه والعملية ويحكم بها اي بتلك القواعد (قوله وازاحة لما يتوهم ان الرسول تعلم ذلك من معلم) فان المبعوث فيهم اذا كانوا في ضلال مبين قبل البعثة اضمحل توهم ان يتعلم الرسول ماجاء به من الحكمة النظرية والعملية من احد منهم (قوله وان

(وآخرين منهم) عطف
على الاميين او المنصوب
في يعلمهم وهم الذين جاؤا
بعد الصحابة الى يوم الدين
فان دعوته وتعليمه تعم
الجميع (لما يلحقوا بهم)
لم يلحقوا بهم بعد
وسيلحقون (وهو العزيز)
في تمكينه من هذا الامر
الخارق للعادة (الحكيم)
في اختياره وتعليمه (ذلك
فضل الله) ذلك الفضل
الذي امتاز به عن اقرانه
فضله (يؤتيه من يشاء)
تفضلا وعطية (والله
ذو الفضل العظيم) الذي
يستحقر دونه نعيم الدنيا
ونعيم الآخرة او نعيمهما
(مثل الذين حملوا التوراة)
علموها وكلفوا العمل بها
(ثم لم يحملوها) لم يعملوا
ولم ينتفعوا بما فيها (كمثل
الحمار يحمل اسفارا)
كتبا من العلم يتعب في حملها
ولا ينتفع بها

هي المخففة اي من الثقيلة واسمها ضمير الشأن المضمر واللام في قوله لفي ضلال هي
الفارقة بين النافية والمخففة (قوله عطف على الاميين) والمعنى بعثه في الاميين
الذين كانوا في زمان بعثه عليه الصلاة والسلام وفي آخرين منهم اي من الاميين
وهم العرب وما في قوله لما يلحقوا زائدة للتأكيد اي لم يلحقوا بهم بعد ان لم يكونوا
في زمانهم وهو صفة لآخرين من بعد وصفه بقوله منهم وقوله وسيلحقون
مبني على ان في لما توقعا وانتظارا لانه نفي لقولك قد لحق قال الامام وصف
العرب بانه عليه الصلاة والسلام مبعوث فيهم وفي آخرين منهم مع انه عليه الصلاة
والسلام مبعوث الى الناس كافة عربهم وعجمهم للاشارة الى شرف العرب كلهم
الى قيام الساعة ومن في منهم للتبيين اذ لا وجه لجعلها للتبعيض وهو ظاهر انتهى
(قوله او المنصوب في يعلمهم) اي ويعلم آخرين منهم وعلى التقدير يكون المراد
بالآخرين العرب لانهم وصفوا بقوله منهم اي من الاميين وعن ابن عباس
وجماعة ان المراد بالآخرين غير العرب من الطوائف اي طائفة كانت
ووصفهم بكونهم من الاميين مبني على انهم ان اسلموا صاروا منهم لان
المسلمين كلهم امة واحدة وان اختلفت اجناسهم واما من لم يؤمن به عليه الصلاة
والسلام ولم يدخل في دينه فانه بمعزل عن الدخول في قوله آخرين وان كان
عليه الصلاة والسلام مبعوثا اليهم بالدعوة لقوله تعالى في الآية الاولى يزكيهم
ويعلمهم الكتاب والحكمة وغير المؤمنين ليسوا من جملة من يزكيهم ويعلمهم
روي انه عليه الصلاة والسلام قرأ قوله تعالى وآخرين منهم وعنده سلمان
الفارسي فقيل يارسول الله من هؤلاء فوضع يده عليه الصلاة والسلام على
سلمان ثم قال لو كان الايمان عند الثريا لتناوله رجال من هؤلاء (قوله ذلك
الفضل الذي امتاز به) اي امتاز به سيد البشر وهو كونه مبعوثا لاهل عصره
ومن جاء بعدهم الى يوم القيامة حال كونه تاليا عليهم كتاب الله ومزكيا
ومعلما لهم الكتاب والحكمة وهو امي ثم انه تعالى بعد ما بين انه الذي بعث
سيد المرسلين في عصره من الاميين وفيمن سيلحق بهم الى يوم القيامة شرع
في ذم اليهود بانهم قرآء التوراة عالمون بما فيها وفيها آيات دالة على صحة نبوة
محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ووجوب الايمان به ولم يعملوا بها ولم ينتفعوا بما
فيها بما يحرمهم من شقاوة الدارين وشبههم بالحمار الذي يحمل اسفار العلم
والحكمة ولا ينتفع بها ووجه التشبيه حرمان الانتفاع بما هو ابلغ شيء
في الانتفاع به مع الكد والتعب في استصحابه ومزاولته فقال مثل الذين حملوا
التوراة الآية والاسفار جمع سفر بكسر السين وهو الكتاب الكبير واشار
قال الفراء الاسفار الكتب العظام سميت اسفارا لانها تكشف فيها عن المعاني

اذا قرئت من قولهم سفرت المرأة اذا كشفت عن وجهها والحمار لايدرى أسفر على ظهره ام زبل فكذلك اليهود وفي هذا التشبيه تنبيه على انه ينبغى لمن حمل الكتاب ان يتعلم معانيه ويعمل بها لئلا يلحقه من الذم ما لحق اليهود (قوله ويحمل حال) اى من الحمار اى كائنه حاملا اسفارا والعامل فيهما ما فى المثل من معنى الفعل وجاز ان يكون فى محل الجر على انه صفة للحمار لان المعرف تعريف العهد الذهنى يعامل معامله المنكر فيوصف بالجمله كما فى قوله ولقد امر على اللئيم يسبنى (قوله اى مثل الذين كذبوا) يعنى ان قوله تعالى مثل القوم فاعل بئس لكونه مضافا الى المعرف بلام الجنس وقوله الذين كذبوا هو المخصوص بالذم بتقدير المضاف اى بئس مثل القوم مثل الذين كذبوا واحتيج الى تقدير المضاف لما تقرر من انه يجب فى باب نعم وبئس اتحاد الفاعل والمخصوص بالمدح او الذم صدقا وذاتا ولا اتحاد ههنا بين مثل القوم وبين من عبر عنهم بالذين كذبوا الا بتقدير المضاف (قوله ويجوز ان يكون الذين صفة للقوم) عطف على قوله الذين كذبوا من حيث المعنى فحينئذ يكون المخصوص بالذم محذوفا والتقدير بئس مثل القوم المكذبين مثل هؤلاء والمراد بام مثلهم ذم انفسهم لانك اذا ذممت الصفة فقد ذممت الموصوف بها (قوله انكانوا يقولون نحن ابناء الله واحباؤه) ذكر ان اليهود كانوا يفتخرون على العرب بقولهم نحن اهل الكتاب والعرب امة امية لاكتاب لهم ونحن ابناء الله واحباؤه وانتم رعاة الغنم ولسنا السبت ولست لكم فرد الله عليهم بطلان افتخارهم على العرب بهذه الاشياء الثلاثة بعد ما نزه نفسه عما لا يليق بذاته الاعلى مثل ان يكون له الشركاء والابناء كما قالوا عزير ابن الله ونحن ابناؤه فقال يسبح لله ما فى السموات وما فى الارض وذب عن العرب ما قالوا لهم بقوله هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم وامر نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم ان يجيب عن افترائهم وافتخارهم بادعائهم اولياء لله واحباؤه من دون الاميين وغيرهم ممن ليس من بنى اسرائيل بان يقول لهم ان كنتم تزعمون ذلك فادعوا الله ان يميتكم بان تقولوا اللهم امتنا وخلصنا من دار البلايا والآفات واوصلنا الى ما عندك من الكرامات فان المراد تمنى الموت طلبه وسؤاله من الله تعالى بناء على ان اولياء الله تعالى لهم عنده كرامة ومنزلة رفيعة لايصلون اليها الا بالموت فينبغى انهم ان يتمنوا ذلك ليصلوا اليها ثم انه تعالى كذبهم بقوله ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم من تكذيب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم مع انهم وجدوا نعته وصحة نبوته فى التوراة فلو تمنوه لماتوا من ساعتهم خالدين فى النار ابدا روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال والذى نفسى بيده لو تمنوا

ويحمل حال والعامل فيه معنى المثل او صفة اذ ليس المراد من الحمار معينا (بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله) اى مثل الذين كذبوا وهم المكذبون بآيات الله الدالة على نبوة محمد عليه السلام ويجوز ان يكون الذين صفة للقوم والمخصوص بالذم محذوفا (والله لايهدى القوم الظالمين قل يا ايها الذين هادوا) تهودوا (ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس) اذ كانوا يقولون نحن ابناء الله واحباؤه (فتمنوا الموت) فتمنوا من الله ان يميتكم وينقلكم من دار البلية الى محل الكرامة (ان كنتم صادقين) فى زعمكم (ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم) بسبب ما قدموا من الكفر والمعاصى (والله عليم بالظالمين) فيجازيهم على اعمالهم (قل ان الموت الذى تفرون منه) وتخافون ان تتمنوه بلسانكم مخافة ان يصيبكم [illegible]

[illegible]

لا يحق [illegible]

الموت مابقي على ظهرها يهودي الاماث (قوله والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط باعتبار الوصف) اي باعتبار تضمن صفته التي هي الاسم الموصول معنى الشرط فان الموصوف بالموصول في حكم الموصول فكما ان المبتدأ اذا كان اسما موصولا صلته فعل اوظرف ابجاز دخول الفاء في خبره فكذا اذا كان موصوفا بالموصول المذكور وجاز ذلك ايضا لتضمنه معنى الشرط بواسطة تضمن صفته اياه كأنه قيل أن فررتم من الموت فانه ملاقيكم ولما ورد ان يقال ان صح ماذكرتم من ان الموصوف بالموصوف متضمن لمعنى الشرط لزم ان يكون الفرار من الموت شرطا لملاقاته اياهم وان يتوقف عليه الملاقاة وليس كذلك فان الموت ملاقيهم فروا منه اولم يفروا اشار الى جوابه بقوله وكان فرارهم منه يسرع لحوقه بهم وتقريره انه علق لحوق الموت بهم على فرارهم منه للمبالغة في الدلالة على انه لا ينفعهم الفرار البتة ووجه المبالغة فيها ان الفرار عن الشيء سبب للفوات عنه عادة فلما جعل الفرار من الموت سببا لملاقاته كان ذلك ابلغ دليل على انه لاينفع الفرار منه ولا يتصور الفوات عنه (قوله وقد قرئ بغيرها) اي قرئ انه ملاقيكم بغير فاء اما على انه كلام مستأنف وخبر ان هو الموصول كأنه قيل ان الموت هو الشيء الذي تفرون منه ثم استؤنف وقيل انه ملاقيكم واما على انه هو الخبر وحينئذ يكون الموصول نعتا للموت ثم انه تعالى ردطعنهم الثالث وهو قولهم لنا السبت ولاسبت لكم بقوله يا ايها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة الآية فانه تعالى هدى المسلمين بهذه الآية الى ماهوسيد الايام وعيد المؤمنين والجمهور على ضم ميم الجمعة وقرئ باسكانها والضم هو الاصل والاسكان تخفيف وكلاهما مصدر بمعنى الاجتماع (قوله اي اذن لها) قالوا المراد به الاذان عند قعود الامام على المنبر للخطبة لانه لم يكن الاذاك في زمن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وابي بكر وعمر رضي الله عنهما ولما كثر المسلمون على خلافة عثمان رضي الله عنه احتيج الى زيادة الاعلام فامر ان يراد نداء على سطح الزوراء وهي داره واستحسنه الصحابة رضي الله عنهم اجمعين (قوله بيان لاذا) يعني ان كلمة من في قوله تعالى من يوم الجمعة بيانية جيء بها تفسير الاذا وبيانا لها قيل عليه انه يقتضي ان يكون اذا عبارة عن مجموع يوم الجمعة وليس كذلك بل هو عبارة عن وقت الاذان منه وجوابه ان مالزم من تفسير وقت الاذان بيوم الجمعة ان يكون يوم الجمعة ظرفا للاذان وهو لايستلزم الوقوع الاذان في جزء منه لا محذور فيه روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال سميت الجمعة جمعة لان الله تعالى جمع فيها خلق آدم وقال خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه ادخل الجنة

والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط باعتبار الوصف وكان فرارهم منه يسرع لحوقه بهم وقد قرئ بغيرها ويجوز ان يكون الموصوف خبرا والفاء عاطفة (ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) بان يجازيكم عليه (يا ايها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة) اي اذن لها (من يوم الجمعة) بيان لاذا وانما سمي جمعة لاجتماع الناس فيه للصلاة وكانت العرب تسميه العروبة وقيل سماه كعب بن لوي لاجتماع الناس فيه اليه واول جمعة جمعها رسول الله عليه الصلاة والسلام انه لما قدم المدينة نزل قباء واقام بها الى الجمعة ثم دخل المدينة وصلى الجمعة في دار بني سالم بن عوف (فاسعوا الى ذكر الله) فامضوا اليه مسرعين قصدا فان السعي دون العدو والذكر الخطبة وقيل الصلاة والامر بالسعي اليها يدل على وجوبها

وفيه اهبط الى الارض وفيه تقوم الساعة وهو عند الله يوم المزيد وقيل سميت جمعة لان الله تعالى فرغ فيه من خلق الاشياء فاجتمع فيه جميع المخلوقات وقيل لاجتماع الناس للصلاة فيه وقيل اول من سمى الجمعة جمعة كعب بن لوى سماها بها لاجتماع قريش فيها اليه وكان يقال له قبل ذلك يوم العروبة وقيل اول من سماها جمعة الانصار وذلك انهم قالوا اليهود يوم يجتمعون فيه فى كل اسبوع وللنصارى كذلك فهلموا نجعل لنا يوما نجتمع فيه نذكر الله تعالى ونصلى فيه فاختاروا يوم العروبة لذلك واجتمعوا فيه الى اسعد بن زرارة فصلى بهم يومئذ ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه قبل ان يقدم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل ان تنزل آية الجمعة ثم انزل الله تعالى آية الجمعة فهى اول جمعة كانت فى الاسلام واما اول جمعة جمعها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم باصحابه فقال اهل السير قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مهاجرا حتى نزل بقباء يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول حين امتد الضحاء ومن تلك السنة بعد التاريخ الاسلامى فاقام بها الى يوم الخميس واسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة الى المدينة فادركته صلاة الجمعة فى دار بنى سالم بن عوف فى بطن واديهم قد اتخذ القوم فى ذلك الموضع مسجدا فجمع بهم وخطب وهى اول خطبة جعلها بالمدينة وقال فيها الحمد لله واستعينه واستغفره واستهديه واومن به ولا اكفره واشهد ان محمدا عبده ورسوله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله والنور والموعظة والحكمة على فترة من الرسل وقلة من العلم وضلالة من الناس وانقطاع من الزمان ودنو من الساعة وقرب من الاجل من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعص الله ورسوله فقد غوى وفرط وضل ضلالا بعيدا اوصيكم بتقوى الله فان خير ما اوصى به المسلم المسلم ان يحضه على الآخرة وان يأمره بتقوى الله فمن يعمل به على وجل ومخافة من ربه كان عونا ان صدق على ما يبغيه من الآخرة ومن تصلح الذى بينه وبين الله من امره كان ذخرا فيما بعد الموت حين يفتقر المرء الى ما قدم وما كان مما سوى ذلك يود لو ان بينه وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد وهو الذى صدق قوله وانجز وعده لا خلف لذلك فانه يقول ما يبدل القول لدى وما انا بظلام للعبيد فاتقوا الله فى عاجل امركم وآجله فى السر والعلانية فانه من يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا ومن يتق الله فقد فاز فوزا عظيما وان تقوى الله توقى مقته وتوقى عقوبته وتوقى سخطه وان تقوى الله تبيض الوجه وترضى الرب وترفع الدرجة خذوا بحظكم ولا تفرطوا فى جنب الله فقد علمكم فى كتابه ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين فاحسنوا

كما احسن الله اليكم وعادوا اعداءه وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتبا كم وسماكم المسلمين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ولا حول ولا قوة الا بالله فاكثروا ذكر الله تعالى واعملوا لما بعد الموت فانه من يصلح ما بينه وبين الله يكفه الله ما بينه وبين الناس ذلك بان الله تعالى يقضي على الناس ولا يقضون عليه ويملك من الناس ولا يملكون منه الله اكبر الله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم تمت الخطبة الكريمة والموعظة البليغة هنا اللهم ارزقنا بركتها والا تعاظبها فقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله اى الخطبة وفيه تعريض لليهود بانهم ماوفقوا لما سعديه المؤمنون من اصابة ماهو سيد الايام وخير ماطلعت عليه الشمس من الايام ويوم المزيد الذي يزيد خيره وبركته للعالمين فيه وقد روى في الحديث هذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق باذنه فاليوم لنا وغد لليهود وبعد غد للنصارى ولما اطلق الذكر على الخطبة ذهب ابو حنيفة رضي الله تعالى عنه الى ان الخطيب لو اقتصر على مقدار ما يسمى ذكر الله كقوله الحمد لله سبحان الله جاز وعن عثمان رضي الله تعالى عنه انه صعد المنبر فقال الحمد لله وارتج عليه فقال ان ابابكر وعمر كانا يعدان لهذا المقام مقالا وانكم الى امام فعال احوج منكم الى امام قوال وستأتيكم الخطب ثم نزل وكان ذلك بمحضر من الصحابة فلم ينكر عليه احد واما عند الامام الشافعي وسائر الائمة رحمهم الله فلابد من خطبتين مشتملتين على خمسة اركان لفظة الحمد لله ثم الصلاة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم للواطبة عليهما ثم الوصية بتقوى الله ثم القراءة بشئ من القرآن آية او بعضها في احداهما ثم الدعاء للمؤمنين في الثانية واما الزوائد التي احدثوها فبدعة وقوله قصدا نصب على المصدر اى مسرعين اسراعا وسطا دون العدو والاسراع المفرط منهي عنه لقوله عليه الصلاة والسلام اذا خرجت الى الجمعة فامش على هينتك وكان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يقرأ فامضوا الى ذكر الله كيلا يظن ان المراد من السعي الاسراع في المشي وقرأ ابن مسعود كذلك ثم قال لو قرأت فاسعوا لسعيت حتى يسقط ردائي وليست هذه القراءة منهم وقراءة القرآن المنزل بل هي تفسير منهم لمعناه وجائز قراءة القرآن بالتفسير في موضع التفسير كما قال الفراء وغيره معنى السعي في الآية المضي ثم قال السعي والمضي والذهاب واحد وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا اقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون ولكن ائتوها وعليكم السكينة والوقار فما ادركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا فلذلك قال الحسن اما والله ماهي

بالسعي على الاقدام ولكن بالقلوب والنيات والخشوع والابتكار فانه سعي ومسارعة الى المغفرة وكانت الطرقات في ايام السلف وقت السحر وبعد الفجر مغتصة اي مملوءة بالمبكرين الى الجمعة يمشون بالسرج وقيل اول بدعة احدثت في الاسلام ترك البكور الى الجمعة (قوله وابركوا المعاملة) يعني ان المراد الامر بترك كل مايشغل عن ذكر الله من شواغل الدنيا وانما خص البيع من بينها لان يوم الجمعة يوم يحضر الناس فيه من قراهم و بواديهم فاذا دخل وقت الصلاة اختصت الاسواق بهم وتميل طباعهم الى التجارات فامروا بالاقبال على الجمعة وترك ماسواها واطبق العلماء على ان ذلك لايوجب فساد البيع بل كراهته لان البيع لم يحرم لعينه ولكن لمافيه من الذهول عن الواجب فاشبه الصلاة في الارض المغصوبة والثوب المغصوب والوضوء بماء مغصوب وقال الامام مالك هو فاسد (قوله اطلاق لما حظر عليهم) اي اباحة لما حرم عليهم من المعاملة والاشتغال بامور الدنيا فان كل واحد من الانتشار في الارض وطلب الرزق بالتجارة بعد الفراغ من صلاة الجمعة ليس بواجب بل هو امر مباح قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان شئت فاخرج وان شئت فصل الى العصر وان شئت فاقعد ونظير هذه الآية قوله تعالى واذا حللتم فاصطادوا فانه اباحة لما حرم بقوله لا تقتلوا الصيد وانتم حرم (قوله واذكروه في مجامع احوالكم) قال سعيد بن جبير الذكر طاعة الله تعالى فمن اطاع الله فقد ذكره ومن لم يطعه فليس بذاكر وان كان كثير التسبيح والذكر بهذا المعنى يتحقق في جميع الاحوال قال الله تعالى لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله والذكر الذي امر بالسعي اليه اولا هو ذكر خاص لايجامع التجارة اذ المراد منه الخطبة والصلاة امر الله تعالى به اولا ثم قال اذا فرغتم منه فلاتتركوا طاعة الله تعالى في جميع ما تأتونه وتذرونه والذكر بهذا المعنى من قبيل ذكر السبب وارادة المسبب لان ذكر الله تعالى سبب لطاعته (قوله فخرج الناس اليهم) ذكر ابوداود ان السبب الذي ترخصوا لانفسهم في ترك سماع الخطبة وقدكان خليقا لفضلهم ان لايفعلوا ماروى عن مقاتل بن حبان انه قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يصلي صلاة الجمعة قبل الخطبة مثل مافي العيدين الى ان اتفق له عليه الصلاة والسلام انه صلى الجمعة بالناس على عادته ثم صعد المنبر فشرع في الخطبة وهو قائم اذ دخل المدينة رجل يقال له دحية بن خليفة الكلبي قدم بتجارته من الشام وكان بالمدينة مجاعة وغلاء سعر وكان معه جميع مايحتاج اليه من بر و دقيق وغيرهما وكان دحية اذا قدم من السفر تلقاه اهله بالطبل والدفوف فلما علم الناس قدومه خرجوا اليه ولم يظنوا ان في ترك سماع الخطبة شيئا

(وذروا البيع) واتركوا المعاملة (ذلكم خير لكم) اي السعي الى ذكر الله خير لكم من المعاملة فان نفع الآخرة خير وابقى (ان كنتم تعلمون) الخير والشر الحقيقيين او ان كنتم من اهل العلم (فاذا قضيت الصلاة) اديت وفرغ منها (فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله) اطلاق لما حظر عليهم واحتج به من جعل الامر بعد الحظر للاباحة وفي الحديث و ابتغوا من فضل الله ليس بطلب الدنيا وانما هو عيادة المريض وحضور جنازة وزيارة اخ في الله (واذكروا الله كثيرا) واذكروه في مجامع احوالكم ولاتخصوا ذكره بالصلاة (لعلكم تفلحون) بخير الدارين (واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها) روى انه عليه الصلاة والسلام كان يخطب للجمعة فمرت عير تحمل الطعام فخرج الناس اليهم الا اثنى عشر فنزلت

قال الله تعالى واذا رأوا تجارة اولهوا انفضوا اليها اي تفرقوا عنك
ساعين اليها فقدم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الخطبة على صلاة
الجمعة بعد ذلك قيل كانت هذه الواقعة قبل ان يسلم دحية (قوله
وافراد التجارة برد الكناية) يعني انه اعيد الضمير على التجارة دون اللهو مع
تقدم ذكرهما معا لكونها اصلا مقصودا في نفسها واللهو كان متفرعا عليها
وليس اللهو مقصودا كالتجارة فظاهر قوله وافراد التجارة يشعر كونه جوابا
لما قال كيف قال اليها ولم يقل اليهما وقد ذكر شيئين ولا اتجاه لهذا السؤال لان
العطف باو لايثني معه الضمير ولا الخبر ولا الحال ولا الوصف لانها لاحد الشيئين
فلذلك اول قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما ومن اورده مع عدم
اتجاهه فقصده ان يجاب بان العطف باو لايثنى معه الضمير وان عاد السائل وقال
لم عينت التجارة بارجاع الضمير اليها وقد ذكر احد شيئين من غير تعيين فالمناسب
ان يذكر مايرجع الى احدهما من غير تعيين كذلك يجاب بان تعيين التجارة برد
الكناية لانها المقصودة (قوله اوللدلالة) عطف على قوله لانها المقصودة
وقيل الكلام مبني على الحذف والتقدير والمراد اذا رأوا تجارة انفضوا اليها
اولهوا انفضوا اليه فحذف الثاني اختصارا لدلالة الاول عليه (قوله فتوكلوا
عليه واطلبوا الرزق منه) روى عن بعض السلف انه كان اذا صلى الجمعة
انصرف فوقف على باب المسجد وقال اللهم اني اجبت دعوتك فصليت فريضتك
وانتشرت كما امرتني فارزقني من فضلك وانت خير الرازقين عن ابي هريرة
رضي الله تعالى عنه قال خرجت الى الطور فرأيت كعب الاخبار فحدثته عن
رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم وكان فيما حدثته ان قلت
له انه عليه الصلاة والسلام قال في يوم الجمعة ساعة لايصادفها عبد مسلم وهو
يصلي يسأل الله شيأ الا اعطاه قال كعب ذلك في كل سنة يوم فقلت بل في كل جمعة
قال فقرأ كعب التوراة فقال صدق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال
ابو هريرة ثم لقيت عبدالله بن سلام فحدثته بمجلسي مع كعب الاحبار وماحدثته
في يوم الجمعة فقال عبدالله بن سلام قد علمت اي ساعة هي هي آخر ساعة في يوم
الجمعة فقلت كيف تكون هي آخر ساعة في يوم الجمعة وقد قال عليه الصلاة
والسلام لايصادفها عبد مسلم وهو يصلي وتلك الساعة لايصلي فيها
فقال عبد الله بن سلام الم يقل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من جلس
مجلسا ينتظر الصلاة فهو في صلاة حتى يصليها قال ابو هريرة بلى قال فهو
ذلك تمت سورة الجمعة والحمد لله رب العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله
على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(سورة)

(سورة المنافقين مدنية)

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر وأعن

(قوله الشهادة اخبار عن علم) اى عن علم يقيني لكون سندها علما شهوديا ضروريا من جملة المشاهدات فقول من قال اشهد ان زيدا قائم فى قوة قوله اعلم علما يقينيا انه قائم واخبر بذلك عن علم يقيني فلما كان صدق الخبر عند الجمهور عبارة عن مطابقة حكمه للواقع وكذبه عن عدم مطابقته له كان المشهود به وهو مضمون قولهم انك لرسول الله صادقا لمطابقة حكمه للواقع فلذلك صدقه الله تعالى حيث قال والله يعلم انك لرسوله وكذبهم فى تسميتهم ذلك الاخبار شهادة لان قولهم نشهد انك لرسول الله معناه نخبر به عن العلم بمضمونه وهو مواطأة القلب اللسان فى الاخبار وليس بما شهدوا به اعتقاد بل يعتقدون خلاف ما اخبروا عنه فكانوا كاذبين فى قولهم نشهد وفى تسميتهم هذا الاخبار شهادة مجازا لان الشهادة كما تطلق على الحق تطلق على الزور مجاز اكاطلاق البيع على الفاسد ولما كان ظاهر الآية دليلا على ماذهب اليه النظام من ان صدق الخبر مطابقة حكمه لاعتقاد المخبر وكذبه عدم مطابقته لاعتقاد المخبر من حيث انه تعالى حكم بان المنافقين كاذبون فى قولهم انك لرسول الله مع ان حكمه مطابق للواقع لانه تعالى انما كذبهم لاخبارهم بما يخالف اعتقادهم فقد ثبت ان الكذب باعتبار عدم مطابقة الحكم للاعتقاد كما ان الصدق باعتبار مطابقة الحكم للاعتقاد اشار المصنف الى الجواب عن استدلاله ببيان ان التكذيب راجع الى قولهم نشهد باعتبار تضمنه خبرا كاذبا وهو ان اخبارهم بانك رسول الله شهادة بمعنى كونه اخبارا عن علم يقيني ومن المعلوم ان هذا الخبر الضمني كاذب لعدم مطابقة حكمه للواقع لكونه اخبارا بما ليس فى قلوبهم لان فى قلوبهم الخبيثة اعتقاد انك رسول الله غير مطابق للواقع والله يعلم انك لرسوله فان قلت اى فائدة فى انه جيء بقوله والله يعلم انك لرسوله جملة معترضة بين قوله نشهد انك لرسول الله وبين قوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون فلما جيء بها الفائدة وهى انه لو قيل قالوا نشهد انك لرسول الله والله يشهد انهم لكاذبون لكان يوهم ان قولهم هذا كذب فوسط بينهما قوله تعالى والله يعلم انك لرسوله ليزول هذا الوهم (قوله اتخذوا ايمانهم حلفهم الكاذب) مثل حلفهم بالله انهم لمكم والحال انهم ماهم من المسلمين فانهم كلما اطلع منهم على شيء من النفاق كانوا يحلفون انهم برءآء منه كما قال تعالى خبرا عنهم يحلفون لكم لترضوا عنهم يحلفون بالله ماقالوا يحلفون بالله انهم لمنكم روى البخاري عن زيد بن ارقم انه قال كنت مع عمى فسمعت عبد الله بن ابى بن سلول

(سورة المنافقين مدنية وهى احدى عشرة آية) (بسم الله الرحمن الرحيم (اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله) الشهادة اخبار عن علم من الشهود وهو الحضور والاطلاع ولذلك صدق المشهود به وكذبهم فى الشهادة بقوله (والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون) لانهم لم يعتقدوا ذلك (اتخذوا ايمانهم) حلفهم الكاذب اوشهادتهم هذه فانها تجرى مجرى الحلف فى التوكيد وقرئ ايمانهم (جنة) وقاية من القتل والسبي

يقول لاتنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا و يقول لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فذكرت ذلك لعمى فذكره عمى لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فارسل عليه الصلاة والسلام الى عبد الله بن ابى و اصحابه فحلفوا ماقالوا فصدقهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكذبنى فاصابنى هم لم يصبنى مثله فجلست فى بيتى فانزل الله عزوجل اذا جاءك المنافقون الى قوله هم الذين يقولون لاتنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا وقوله ليخرجن الاعز منها الاذل فارسل الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال ان الله صدقك يازيد فالمراد بالايمان التى اتخذوها جنة هى حلفهم بانهم ماقالوا ذلك فانهم اتخذوها جنة يستترون بها من اراقة الدماء وسبى الذرارى والنساء واستغنام الاموال كما يتوقى بالجنة فى الحرب من مضرة الاعداء ويحتمل ان يكون المراد بايمانهم قولهم نشهد انك لرسول الله قال القرطبى من قال اقسم بالله او اشهد بالله او اعزم بالله او احلف بالله او اقسمت اوشهدت اوعزمت اوحلفت وقال فى ذلك كله بالله فلا خلاف فى انها يمين وكذلك عند الامام مالك واصحابه وان قال اقسم او اشهد او اعزم او احلف ولم يقل بالله يكون يمينا اذا اراد ان يقول بالله وان لم يرد بالله فليس بيمين وقال ابو حنيفة واصحابه لو قال اشهد بالله لقد كان كذا يمين ولو قال اشهد لقد كان كذا بدون النية كان يمينا ايضا احتجاجا بهذه الآية فانه تعالى ذكر عنهم الشهادة ثم قال اتخذوا ايمانهم جنة وعند الامام الشافعى لايكون ذلك يمينا وان نوى اليمين لان قوله تعالى اتخذوا ايمانهم ليس يرجع الى قوله قالوا نشهد وانما يرجع الى ما اخبر الله تعالى عنهم فى سورة برآءة بقوله يحلفون بالله ماقالوا انتهى كلامه فقول المصنف حلفهم الكاذب مبنى على قول الامام الشافعى ومابعده مبنى على قول ابى حنيفة رضى الله عنه (قوله صدا اوصدودا) الاول مصدر صد المتعدى والثانى مصدر اللازم يقال صده عن الامر اى صرفه عن الامر وصد عنه اى اعرض فانهم كما صدوا بانفسهم عن سبيل الله صرفوا الناس عنه ايضا (قوله اشارة الى الكلام المتقدم) كانه قيل قلت فى حقهم انهم ساء ماكانوا يعملون بسبب انهم آمنوا الخ (قوله تعالى فطبع على قلوبهم) قرآءة العامة على بناء المفعول والقائم مقام الفاعل هو الجار بعده وقرئ على بناء الفاعل واسناده الى ضمير البارى تعالى فان قيل اذا كان الطبع مسندا اليه تعالى كان ذلك حجة لهم على الله تعالى بان يقولوا اعرضنا عن الحق لغفلتنا عنه وغفلتنا بسبب انه تعالى طبع على قلوبنا اجاب عنه الامام بان هذا الطبع من الله بسوء افعالهم وانهماكهم فى اتباع الشهوات فعاقبهم الله تعالى بان خذلهم وتركهم وانفسهم الامارة بالسوء (قوله فى كونهم اشباحا

(فصدوا عن سبيل الله) ساء ماكانوا يعملون) من نفاقهم وصدهم (ذلك) اشارة الى الكلام المتقدم اى ذلك القول الشاهد على سوء اعمالهم او الى الحال المذكور من النفاق والكذب والاستجنان بالايمان (بانهم آمنوا) بسبب انهم آمنوا ظاهرا ثم كفروا سرا او آمنوا اذا رأوا آية ثم كفروا حتى سمعوا من شياطينهم شبهة (فطبع على قلوبهم) حتى تمرنوا على الكفر واستحكموا فيه (فهم لايفقهون) حقيقة الايمان ولايعرفون صحته (واذا رأيتهم تعجبك اجسامهم) لضخامتها وصباحتها (وان يقولوا تسمع لقولهم) لذلاقتهم وحلاوة كلامهم وكان ابن ابى جسيما فصيحا يحضر مجلس رسول الله عليه الصلاة والسلام فى جمع مثله فيتعجبون من هياكلهم ويصغى الى كلامهم (كانهم خشب مسندة) حال من الضمير المجرور فى لقولهم اى تسمع لما يقولونه مشبهين باخشاب منصوبة مسندة الى الحائط فى كونهم اشباحا

خالية عن العلم والنظر) هذا هو الوصف الجامع بينهم و بين ذوات الخشب من حيث انها خشب مع قطع النظر عن اتصافها بكونها مسندة الى الحائط ونحوه والجامع بينهم و بين الخشب المسندة هو انهم مع كونهم اشباحا خالية عن العلم والعقل لا ينتفع بهم بشئ من منافع الاجسام كالخشب المسندة فان الخشب المنتفع بهما ما كانت فى سقف او جدار ونحوهما من مواضع الانتفاع بها وما كان متروكا فارغا غير منتفع به مسندا الى الحائط هو البطال الخالى عن المنفعة فشبهوا بها من حيث عدم الانتفاع بهم وقيل شبهوا بالمسندة منها لان الخشب المسندة الى الحائط يكون احد طرفيها الى جهة والآخر الى جهة اخرى فكذا المنافق فان باطنه الى جهة الكفرة وظاهره الى جهة المسلمين و بناء التفعيل فى قوله مسندة للتكثير فان التسنيد تكثير الاسناد بكثرة المحال اى كانها اسندت الى مواضع (قوله وقيل الخشب) اى بضمتين جمع خشباء لم يرض به لان فعلاء الصفة لا يجمع على فعل بضمتين بل على فعل بضمة وسكون كحمراء وحمر قرأ قنبل وابو عمرو والكسائى خشب باسكان الشين والباقون بضمها وقرئ بفتحتين على انه جمع خشبة مثل مدرة ومدر ومن قرأه بضمتين جعله جمع خشبة ايضا نحو ثمرة وثمر ومن قرأه بضمة وسكون جعله جمع خشب كاسد واسد او جمع خشبة كبدنة و بدن او خشباء كحمراء وحمر وجعله تخفيف خشب بضمتين (قوله دعر جوفها) اى فسد وفى بعض النسخ نخر اى بلى والمخبر خلاف المنظر والمرءى وقوله تعالى يحسبون كل صيحة فى موضع الحال من الضمير المنصوب فى كانهم والعامل فيها معنى التشبيه و يجوز ان يكون مستأنفا وكل صيحة مفعول اول ليحسبون وعليهم المفعول الثانى اى يحسبون كل ما سمعوه من الصيحة واقعة عليهم ضارة لهم بناء على قولهم انها صيحة عدو يريدهم بسوء لفرط جبنهم وغلبة الرعب والوهم على قلوبهم اولما فى قلوبهم من الرعب يكشف الله اسرارهم بان ينزل فيهم ما يهتك استارهم و يبيح دماءهم واموالهم فعلى هذا يكون قوله تعالى هم العدو اى كاملوا العداوة جملة مستأنفة اخبر الله تعالى عنهم بذلك فان اعدى العدو هو من يداريك و يتبسم فى وجهك وصدره مملوء حقد او عداوة (قوله ويجوز ان يكون صلته) اى ويجوز ان يكون عليهم متعلقا بيحسبون اى باعتبار كونه متعلقا بمفعوله الاول صفة لصيحة وتكون جملة هم العدو ومفعولا ثانيا كما اذا طرح لفظة هم وقيل يحسبون كل صيحة واقعة عليهم العدو والظاهر ان يقال هى العدو لان الضمير للصيحة او هو العدو على ان يكون الضمير لكل الا انه قيل هم العدو نظر الى الخبر كما فى قوله تعالى هذا ربى فان هذا اشارة الى الشمس فينبغى ان يقال هذه الا انه ذكر

خالية عن العلم والنظر وقيل الخشب جمع خشباء وهى الخشبة التى دعر جوفها شبهوا بها فى حسن المنظر وقبح المخبر وقرأ ابو عمرو والكسائى وروى عن ابن كثير بسكون الشين على التخفيف او على انه كبدن فى جمع بدنة يحسبون كل صيحة عليهم اى واقعة عليهم لجبنهم واتهامهم فعليهم ثانى مفعولى يحسبون و يجوز ان يكون صلته والمفعول (هم العدو) وعلى هذا يكون الضمير للكل وجمعه بالنظر الى الخبر لكن ترتب قوله (فاحذرهم) عليه يدل على ان الضمير للمنافقين (قاتلهم الله) دعاء عليهم وهو طلب من ذاته ان يلعنهم او تعليم للمؤمنين ان يدعوا عليهم بذلك (انى يؤفكون) كيف يصرفون عن الحق

(واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم) عطفوها اعراضا واستكبارا عن ذلك (ورأيتهم يصدون) يعرضون عن الاستغفار (وهم مستكبرون) عن الاعتذار (سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم) لرسوخهم فى الكفر (ان الله لايهدى القوم الفاسقين) الخارجين عن مظنة الاستصلاح لانهماكهم فى الكفر والنفاق (هم الذين يقولون) اى للانصار (لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا) يعنون فقراء المهاجرين (ولله خزائن السموات والارض) بيده الارزاق والقسم (ولكن المنافقين لايفقهون) ذلك لجهلهم بالله (يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل) روى ان اعرابيا نازع انصاريا فى بعض الغزوات على ماء فضرب الاعرابى رأسه بخشبة فشكا الى ابن ابى فقال لاتنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا واذ رجعنا الى المدينة فليخرج الاعز الاذل عنى بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله عليه السلام وقرئ ليخرجن بفتح الياء وليخرجن على البناء للمفعول ولنخرجن بالنون ونصب الاعز والاذل على هذه القراآت مصدرا وحال على تقدير مضاف كخروج او اخراج او مثل (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) ولله الغلبة والقوة ولمن اعزه من رسوله والمؤمنين (ولكن المنافقين لايعلمون) من فرط جهلهم وغرورهم (يا ايها الذين آمنوا لاتلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله) لايشغلكم تدبيرها والاهتمام بها عن

المبتدأ نظرا الى الخبر او على تقدير مضاف اى اهل كل صيحة (قوله تعالوا يستغفر لكم رسول الله) من باب تنازع الفعلين واعمال الثانى لان تعالوا يطلب رسول الله ان يتعدى اليه بالى اى تعالوا الى رسول الله و يستغفر يطلبه فاعلا فاعمل الثانى فرفع وحذف من الاول اذ التقدير تعالوا اليه و يجوز ان لايكون من باب التنازع لان قوله تعالوا امر بالاقبال من حيث هو مع قطع النظر عن تعلقه بالمقبل اليه فانه روى عن الكلبى لما نزل من القرآن مابين نفاقهم مشى اليهم عشائرهم من المؤمنين وقالوا لهم و يلكم افتضحتم بالنفاق واهلكتم انفسكم فائتوا رسول الله وتوبوا اليه من النفاق واسألوه ان يستغفر لكم فابوا ذلك وزهدوا فى الاستغفار فنزلت لووا رؤسهم اى امالوها واعرضوا يقال لوى الرجل رأسه اى امال واعرض قرأ نافع لووا بالتخفيف والباقون بالتشديد للتكثير لكثرة الرؤس قرأ الجمهور استغفرت بفتح الهمزة من غير مد وهى همزة الاستفهام وهمزة الوصل محذوفة وقرئ آستغفرت لهم بالمد على انه اشبع همزة الاستفهام للاظهار والبيان لا على ان همزة الوصل قلبت الفا كما يفعل بالتى مع لام التعريف فى نحو آلسحر وآلله اذن لكم لان اثبات همزة الوصل غير التى تصحب لام التعريف مع همزة الاستفهام غير مستعمل عند اهل العربية وذلك لان حق همزة الوصل ان تسقط فى الدرج ولم تسقط ماتصحب منها لام التعريف بل قلبت الفا (قوله روى ان اعرابيا نازع انصاريا) وكان الاعرابى اجير عمر بن الخطاب يقود فرسه وكانت منازعتهما على ماء يقال له المريسيع من مياه بنى المصطلق وهو حى من خزاعة بين مكة والمدينة و يقال لتلك الغزوة غزوة بنى المصطلق وغزوة المريسيع ايضا وكانت قبل غزوة الخندق (قوله حتى ينفضوا) اى يتفرقوا قرأ العامة ليخرجن بضم الياء وكسر الراء مسندا الى الاعز والاذل مفعول به وقرئ ليخرجن بفتح الياء وضم الراء ورفع الاعز فاعلا للفعل اللازم ونصب الاذل على المصدرية بناء على ان الاصل خروج الاذل فلما حذف المصدر اقيم المضاف اليه مقامه واعرب باعرابه او على انه حال من الاعز بتقدير المضاف اى مثل الاذل وقرئ ايضا ليخرجن الاعز بضم الياء وفتح الراء على بناء المفعول ورفع الاعز قائما مقام الفاعل ونصب الاذل مصدرا اى اخراج الاذل او حالا اى مثل الاذل ولنخرجن بضم نون العظمة وكسر الراء

ذكره كالصلاة وسائر العبادات المذكورة للمعبود والمراد نهيهم عن اللهو بها وتوجيه النهي اليها للمبالغة

ونصب الاعز على انه مفعول به ونصب الاذل على المصدرية اي اخراج الاذل او الحال اى مثل الاذل واللام فى لئن رجعنا موطئة للقسم المحذوف قبلها وليخرجن جواب القسم المحذوف واغنى جواب القسم عن جواب الشرط روى ان عبد الله بن ابى لما انصرف عن غزوة بنى المصطلق مع الغزاة واراد ان يدخل المدينة اعترضه ابنه عبد الله وكان مخلصا وقال وراءك والله لاتدخلها حتى تقول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الاعز وانا الاذل فلم يزل حبيسا فى يده حتى امره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بتخليته وروى انه قال له لئن لم تقر لله ولرسوله بالعزة لاضربن عنقك فقال ويحك افاعل انت قال نعم فلما رأى منه الجد قال اشهد ان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لابنه جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيرا فلما بان كذب عبد الله قيل له قد نزلت فيك آى شداد فاذهب الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يستغفر لكم فلوى رأسه ثم قال امرتمونى ان اومن فآمنت فامرتمونى ان ازكى مالى فزكيت فما بقى الا ان اسجد لمحمد فنزل قوله تعالى واذا قيل لهم تعالوا الآية ولم يلبث بعده الا اياما قلائل حتى اشتكى ومات بعد العود من غزوة تبوك كما ذكره صاحب الكشاف فى سورة براءة وروى انه لما مات استغفر له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والبسه قميصه فنزل قوله تعالى لن يغفر الله لهم ثم انه تعالى لما ذكر شح المنافقين باموالهم ومنعهم عن صرفها الى انصار دين الله من فقراء المهاجرين بان حكى عنهم قولهم لاتنفقوا على من عند رسول الله وذكر ايضا تعززهم باولادهم وعشائرهم حيث حكى عنهم قولهم ليخرجن الاعز منها الاذل نهى المؤمنين وحذرهم عن اخلاق المنافقين فقال ياايها الذين آمنوا لاتلهكم لايشغلكم التصرف فى الاموال والسعى فى تدبير امرها والتلذذ بها والاستمتاع بمنافعها والسرور بالاولاد والشفقة عليهم والقيام بمؤنتهم عن طاعة الله تعالى واداء فرائضه ومن يشتغل بمايلهيه عمايعنيه من امر الآخرة فاولئك هم الخاسرون فى تجارتهم بايثار مايفنى على مايبقى (قوله والمراد نهيهم عن اللهو بها) اى عن الاشتغال بها على سبيل اللعب يقال لهوت بالشئ الهو لهوا اذا لعبت به من باب غزوت اغزو غزوا الا انه وجه النهي عن الالهاء الى الاموال والاولاد للمبالغة فى نهيهم عن الاشتغال بها عن ذكر الله تعالى وطاعته فان كونهما ملهيين شاغلين اياهم عن طاعة الله لازم لكونهم لاهين مشتغلين بهما عن الطاعة والنهي عن اللازم ابلغ فى الدلالة على النهي عن الملزوم من النهي عن اللازم فيكون كناية كما فى قولك لاارينك ههنا ابلغ فى الدلالة على نهي المخاطب عن الحضور عندك من ان تقول لاتحضر عندي فكذا قوله تعالى لاتلهكم

ولذلك قال (ومن يفعل ذلك) أي اللهو بها وهو الشغل (فاولئك هم الخاسرون) لانهم باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني (وانفقوا مما رزقناكم) بعض اموالكم ادخارا للآخرة (من قبل ان يأتي احدكم الموت) اى يرى دلائله (فيقول رب لولا اخرتني) امهلتني (الى اجل قريب) امد غير بعيد (فاصدق) فأتصدق (واكن من الصالحين) بالتدارك وجزم اكن للعطف على موضع الفاء ومابعده وقرأ ابو عمرو واكون منصوبا عطفا على اصدق وقرئ بالرفع على انا اكون فيكون عدة بالصلاح (ولن يؤخر الله نفسا) ولم يمهلها (اذا جاء اجلها) آخر عمرها (والله خبير بما تعملون) فمجاز عليه وقرأ ابو بكر بالياء ليوافق ماقبله في الغيبة عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة المنافقين برئ من النفاق

(سورة التغابن مدنية او مكية الا قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم و آيها ثمانى عشرة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يسبح لله مافي السموات ومافي الارض) بدلالتهما على كماله واستغنائه (له الملك وله الحمد) قدم الطرفين للدلالة على اختصاص الامرين به من حيث الحقيقة (وهو على كل شئ قدير) لان نسبة ذاته المقتضية للقدرة الى الكل على سواء ثم سرع فيما ادعاه فقال (هو الذي خلقكم فمنكم كافر) مقدر كفره وموجه اليه مايحمله عليه (ومنكم مؤمن) مقدر ايمانه موفق لما يدعوه اليه (والله بما تعملون بصير) فيعاملكم بما يناسب اعمالكم (خلق السموات والارض بالحق) بالحكمة البالغة (وصوركم فاحسن صوركم

اموالكم ولا اولادكم ابلغ في الدلالة على نهي المؤمنين عن الاشتغال بهما من ان يقال لا تكونوا لاهين مشتغلين بهما وهذا وجه قوله وتوجيه النهي اليها للمبالغة (قوله ولذلك) اى ولكون المراد نهيهم عن اللهو لانهي الاموال والاولاد عن الالهاء توجهت مضرة ارتكاب المنهي عنه اليهم لااليهما (قوله يرى دلائله) يعني ان المراد بالموت دلائله ومقدماته لان طلب الامهال وتأخير الموت ممن مات غير معقول بخلاف المحتضر المقصر فيما وجب عليه من الحقوق المالية والبدنية فانه يتأسف على تقصيره ويسترئد مدة يتدارك فيها تقصيره فاخبر الله تعالى انه لايؤخر من انقضت مدته وحضر اجله فقال ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها ولا ينفعه التحسر بعد فوات الوقت (قوله تعالى فاصدق) مضارع منصوب بان مضمرة بعد الفاء في جواب التمني في قوله لولا اخرتني (قوله وجزم اكن للعطف على موضع الفاء ومابعده) فانه لولا الفاء في فاصدق لكان مجزوما بان مقدرة كما في قولك ليت لي مالا انفقه لان المعنى ان يكن لي مال انفقه ومثله قوله تعالى من يضلل الله فلا هادي له و يذرهم فيمن جزم يذرهم ونقل سيبويه عن الخليل انه مجزوم على توهم الشرط الذي يدل عليه التمني ولا موضع ههنا لان الشرط ليس بظاهر وانما يعطف على الموضع حيث يظهر الشرط كما في قوله تعالى من يضلل الله فلا هادي له فمن جزم عطفه على موضع فلا هادي له لانه لو وقع موقعه فعل الجزم لوجود اداة الشرط (قوله وقرئ بالرفع على انا اكون) لم يرد ان في الكلام مبتدأ محذوفا لعدم الباعث على ارتكاب الحذف بل اراد بيان ان الواو في واكون للاستئناف وانه كلام مبتدأ فتصور الكلام بصورة الاسمية لكونها اظهر في الاستئناف (قوله ليوافق ماقبله) وهو الاخبار عمن اتاه الموت فيتمنى الامهال و يقول لولا اخرتني ومن قرأ بتاء الخطاب نظر الى قوله لاتلهكم وانفقوا مما رزقناكم

تمت سورة المنافقين والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين

(سورة التغابن مدنية وقيل مكية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

(قوله للدلالة على اختصاص الامرين) اى على تأكيد الاختصاص المدلول

فصور كم من جملة ما خلق فيهما باحسن صورة حيث زينكم بصفوة اوصاف الكائنات وخصكم بخلاصة خصا ئص المبدعات وجعلكم انموذج جميع المخلوقات (واليه المصير) فاحسنوا سرائركم حتى لا يمسخ بالعذاب ظواهركم (يعلم ما في السموات والارض ﴿ ٤٧٣ ﴾ ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور) فلا يخفى عليه ما يصح ان يعلم كليا كان اوجزئيا لان نسبة المقتضى لعلمه الى الكل واحدة وتقديم تقرير القدرة على العلم لان دلالة المخلوقات على قدرته اولا و بالذات وعلى علمه بما فيها من الاتقان والاختصاص ببعض الانحاء (الم يأتكم) ايها الكفار (نبأ الذين كفروا من قبل) كقوم نوح و هود وصالح عليهم الصلاة والسلام (فذاقوا وبال امرهم) ضرر كفرهم في الدنيا واصله الثقل ومنه الوبيل لطعام يثقل على المعدة والوابل للمطر الثقيل القطار (ولهم عذاب اليم) في الآخرة (ذلك) اى المذكور من الوبال والعذاب (بانه) بسبب ان الشان (كانت تأتيهم رسلهم بالبينات) بالمعجزات (فقالوا ابشر يهدوننا) انكروا و تعجبوا ان يكون الرسل بشرا اذ البشر يطلق للواحد (٦٠) والجمع (فكفروا) (من) بالرسل (و تولوا) عن التدبر في البينات (واستغنى الله) عن كل شئ فضلا عن طاعتهم (والله غنى) عن عبادتهم وغيرها (حميد) يدل على حمده كل مخلوق (زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا) الزعم ادعاء العلم ولذلك يتعدى الى مفعولين وقد قام مقامهما ان بما

عليه باللام في قوله له الملك فان اللام تشعر باصل الاختصاص سواء قدمت أو اخرت واختصاص الملك به تعالى حقيقة ظاهر لانه مبدئ كل شئ ومبدعه ونافذ فيه مشيئته وارادته يتصرف فيه كيف يشاء وكذا اختصاص الحمد به تعالى لان اصول النعم وفروعها انما هي بخلقه وايجاده ورشحة من بحر جوده واحسانه ولولا انه تعالى انعم بها على عباده لماقدر احد على ان يبذل مقدار جناح بعوضة ولا ما هو احقر منه افتتح السورة الكريمة ببيان عظمة الله تعالى في ملكه وملكوته حيث حكم بان كل شئ ينزهه و يقدسه عما لا يليق بطوشأنه ثم خص له صفة المالكية على الاطلاق ثم خص له كل كمال وجلال وكل نعمة وافضال ثم وصف ذاته الكريمة بالقدرة على كل شئ ثم قرر ما ادعاه بما يدل عليه من دلائل الانفس فقال هو الذي خلقكم والفاء في قوله فمنكم كافر تفصيلية فان ما بعدها تفصيل لما اجمل في قوله خلقكم فكأنه قيل هو الذي تفضل عليكم باصل النعم كلها وهو نعمة الخلق والايجاد على حسب اختلاف استعداداتكم فبسبب ذلك حصل اختلافكم بالكفر والايمان فمنكم كافر ومنكم مؤمن في علم الله تعالى في الازل فمن تعلق العلم الازلي بكفره اوايمانه فخرج الى عالم الاعيان فانما يخرج اليه على حسب ما علمه الله تعالى وقدره وعلم في الازل به ثم ذيل الاستدلال المذكور ببيان بيانه بصير بالعباد ومجازيهم على حسب ما عملوا كأنه جعل اثبات القدرة دليلا على صحة البعث والجزاء ثم ذكر ما يدل على ما ادعاه من دلائل الآفاق فقال خلق السموات والارض والمسخ بالخاء المعجمة تحويل الصورة الى ما هو اقبح منها ولما كان الجزاء متوقفا على شمول علمه وكونه بحيث لا يعزب عن علمه شئ من احوال الخلائق وصف نفسه بالعلم المحيط ثم شرع في تهديد كفار قريش بقوله الم يأتكم نبأ الذين كفروا حيث خوفهم بما نزل بمن قبلهم من الكفار وجعل ما اصابهم من العقوبة في الدنيا بالاضافة الى ما أعد لهم في الآخرة ذوقا من معظم طعام اوشراب (قوله اذ البشر يطلق للواحد والجمع) لانه اسم جنس والجنس يتحقق في ضمن كل فرد من جميع الافراد وهو في الآية بمعنى الجمع ولذلك جمع ضمير يهدوننا وقوله أبشر مرفوع على انه فاعل فعل مضمر يفسره ما بعده كما في قوله وان احد من المشركين استجارك وهو اولى من جعله مبتدأ وما بعده خبره لان اداة الاستفهام تطلب الفعل ظاهرا او مضمرا والفاء

في قوله فكفروا سببية لا للتعقيب اى فكفروا بسبب هذا القول لانهم قالوا استصغارا للرسل ولم يعلموا الحكمة في اختيار كون الرسل بشرا وقوله واستغنى الله تقرير لما سبق من التهديد والوعيد اى وكان الله غنيا عن ايمانهم وطاعتهم فلم ينقصوا بكفرهم ومعاصيهم شيئا من ملك الله وانما ضرر ذلك على انفسهم ثم انه تعالى لما بين ان سبب الوبال والعذاب المذكورين هو تكذيبهم الرسل وكفرهم بهم بين ان لهم معصية اخرى وهو انكارهم البعث فقال زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا الزعم ادعاء العلم بالشئ ولا علم وان مع ما في خبرها قائم مقام المفعولين كانه قيل زعموا كونهم غير مبعوثين وهي مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن المضمر اى زعموا ان الشأن لم يبعثوا وليست بناصبة لئلا يدخل ناصب على مثله وبلى ايجاب للنفي المذكور قبله اى بلى يبعثون ثم ابتدأ فقال وربي لتبعثن وليس الامر مقتصرا على البعث بل يعقبه الحساب والجزاء فان قيل كيف يفيد القسم في اخباره عن البعث وهم قد انكروا الرسالة اجيب بانهم انكروا الرسالة لكنهم مع ذلك يعتقدون انه عليه الصلاة والسلام يعتقد عظمة ربه اعتقادا جازما لا مزيد عليه فيعلمون بذلك انه لا يقدم على ان يقسم بربه الا ان يكون صدق هذا الاخبار عنده اظهر من الشمس في اعتقاده ولما ذكر انما نزل بالامم الماضية من العقوبة كان بسبب كفرهم بالله ورسله امرهم بالايمان بالله ورسوله والنور الذى انزل عليه كيلا يذوقوا وبال امرهم في الدنيا والعذاب الاليم في العقبى (قوله وقرأ يعقوب نجمعكم) بنون العظمة ليوافق قوله والنور الذى انزلنا والمراد بيوم الجمع يوم القيامة وهو يوم يجمع الله فيه الاولين والآخرين والجن والانس واهل السماء واهل الارض وقيل يجمع الله فيه بين كل عبد وعمله وقيل يجمع فيه بين الظالم والمظلوم وقيل يجمع فيه بين كل نبي وامته (قوله يغبن فيه بعضهم بعضا) اى يخدع والتغابن تفاعل من الغبن وهو اخذ الشئ من صاحبه باقل من قيمته وهو لا يكون الا في عقد المعاوضة ولا معاوضة في الآخرة فاطلاق التغابن على ما يكون فيها انما يكون بطريق الاستعارة المبنية على التشبيه وهو مستعار من تغابن التجار فان حقيقة التغابن متفرعة على تحقيق حقيقة التجارة ومعاملة المبادلة ليغبن احد التاجرين الاخر بان يوقعه في الخسران ولم يتحقق بين اهل الجنة واهل النار في الدنيا معاملة يتفرع عليها تغابنهما في الآخرة حقيقة فحمل الكلام على الاستعارة فشبه ما عليه كل واحد من الفريقين بالتجارة والمبادلة وما يترتب عليه من حسن العاقبة وسوءها بالتغابن وذلك لان كلا الفريقين خلق الله تعالى فيهما الاستطاعة وسلامة الآلات وجعلهما قادرين

في حسيره (قل بلى) اى بلى تبعثون (وربي) قسم اكد به الجواب (لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم) بالمحاسبة والمجازاة (وذلك على الله يسير) لقبول المادة وحصول القدرة التامة (فآمنوا بالله ورسوله) محمد عليه الصلاة والسلام (والنور الذى انزلنا) يعني القرآن فانه باعجازه ظاهر بنفسه مظهر لغيره مما فيه شرحه وبيانه (والله بما تعملون خبير) فمجازيكم عليه (يوم يجمعكم) ظرف لتنبؤن او مقدر باذكر وقرأ يعقوب نجمعكم (ليوم الجمع) لاجل ما فيه من الحساب والجزاء والجمع جمع الملائكة والثقلين (ذلك يوم التغابن) يغبن فيه بعضهم بعضا لنزول السعداء منازل الاشقياء لو كانوا سعداء وبالعكس مستعار من تغابن التجار

والللام فيه الدلالة على ان التغابن المتحقق هو التغابن فى امور الاخرة لعظمها ودوامها (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا) اى عملا صالحا (يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا) وقرأ نافع وابن عامر بالنون فيهما (ذلك الفوز العظيم) الاشارة الى مجموع الامرين ولذلك جعله الفوز العظيم لانه جامع للمصالح من دفع المضار وجلب المنافع (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير) كانها والآية المتقدمة بيان للتغابن وتفصيل له (ما اصاب من مصيبة الا باذن الله) الا بتقديره وارادته

على اختيار ما يؤدى الى سعادة الآخرة فاختار كل فريق مايشتهيه مما كان قادرا عليه بدل مااختاره الآخر وارتضاه فهذا الاختيار منهما شبه بالمبادلة والتجارة وشبه مايتفرع عليه من نزول كل واحد منهما منزل الآخر بالتغابن قيل اشد الناس غبنا يوم القيامة ثلاثة نفر عالم علم الناس فعملوا بعلمه وخالف هو علمه فدخل غيره الجنة بعلمه ودخل هو النار بعمله المخالف لعلمه وعبد اطاع الله تعالى بعدم خيانته فى مال سيده وعصى سيده الله فدخل العبد الجنة بعدم خيانة مال مالكه ودخل مالكه النار بمعصية الله تعالى وولد ورث مالا من ابيه وابوه كان بخيلا وعصى الله فيه بعدم انفاقه فى سبيله فدخل ابوه بخله النار ودخل هو بانفاقه فى الخير الجنة قال عليه الصلاة والسلام لايلتى الله احد الاناد مان كان مسيئا انلم يحسن وان كان محسنا ان لم يزد اما مشابهة نزول السعداء منازل الاشقياء من الجنة لو كانوا سعداء بالغبن فظاهرة لان السعداء اخذوا منازل الاشقياء من الجنة من غير رضى الاشقياء ولاشعور لهم به واما مشابهة نزول الاشقياء منازل السعداء من النار لو كانوا اشقياء بالغبن فانها ليست بظاهرة لان منازل السعداء من النار لارغبة لهم فيها حتى يكون نزول الاشقياء فيها شبيها بغبن السعداء اياهم الا انه شبه ذلك بالغبن ايضا تهكما بالاشقياء واستهزاء بهم (قوله واللام فيه) يعنى ان اللام فى التغابن لتعريف الجنس فشمل هذا التركيب يفيد حصر جنس التغابن فى ذلك اليوم كما فى قوله تعالى ذلك الكتاب وزيد الشجاع ووجه ايثار مايفيد الحصر مع ان التغابن يكون فى دار الدنيا اشار الى جوابه بان سعادة الآخرة لكونها اجل كل سعادة وافضلها كان فقدها نهاية الغبن بحيث لايعد مادونه فقدا بالنسبة اليه وفقدها انما يتحقق فى ذلك اليوم فصح بهذا الوجه حصر الغبن فى ذلك اليوم فالتنبيه على هذا المعنى اوثر مادل على الحصر (قوله تعالى خالدين فيها ابدا) خالدين حال من الهاء فى يدخله ووحده اولا حملا على معناه وابدا نصب على الظرف وكذا خالدين الثانى نصب على الحال من اصحاب النار والعامل فيها مافى اولئك من معنى الفعل ثم انه تعالى لما حكم بان يوم القيامة هو يوم التغابن الواقع بين المؤمنين والكافرين بان يأخذ كل واحد منهما منزل صاحبه فصل ذلك بالآيتين اللتين بعدهما قوله تعالى ومن يؤمن الى قوله وبئس المصير حيث بين فيهما ان السعداء اختاروا ما هو داخل تحت وسعهم ومقدرتهم ماداهم فى الآخرة الى الفوز بدفع المضار وجلب المنافع والاشقياء اختاروا منه ماداهم الى اشد العذاب والحرمان من وجوه المنافع باسرها فغبن المؤمن الكافر باختيار ماتمكن عليه الكافر من الايمان والطاعة وغبن الكافر المؤمن بان

أخذ منه ما يقدر عليه من الكفر والمعصية فصار كل واحد منهما مغبونا والكافر وان لم يأخذ ما تمكن عليه المؤمن مما رغب فيه المؤمن حتى يكون مغبونا بفواته منه الا انه يجعل مغبونا فيهما بالكافر كما مر فظهر بهذا ان الدنيا لكونها زمان التجارة ومزرعة الآخرة هي موضع التغابن وانه تعالى انما يجعل يوم القيامة يوم التغابن لكونه وقت ظهور الربح والخسران ووقت ظهور تغابن الفريقين في الدنيا وبهذا الاعتبار جعلت الآيتان تفصيلا للتغابن ثم انه تعالى لما بين ان الايمان والطاعة مناط كل خير وسعادة وان الكفر والمعصية مناط كل شر وبلاء وكان هذا مظنة ان يتوهم انه لو كان الامر كذلك لسلم المؤمنون من المصائب في اموالهم وابدانهم فقال تعالى ما اصاب من مصيبة ملتبسة بشئ من الاشياء الا باذن الله اى الا بتقديره وارادته وقضائه ومشيئته على ان الاذن مستعار للتقدير والارادة تشبيها لهما بالاذن من حيث ان كل واحد منهما مفض الى الفعل سببه فانه تعالى اذا قدر المصيبة واراد اصابتها الاحد فكأنه اذن للمصيبة ان تصيبه بين الله تعالى بهذه الآية ان المصيبة انما تصيبهم بتقديره ومشيئته وفي اصابتها حكم لا يعرفها الا هو منها حصول اليقين بان ليس شئ من الامر في يدهم فيتبرأون بذلك من حولهم وقوتهم الى حول الله وقوته ومنها تكفير ذنوبهم وتكثير مثوباتهم بالصبر عليها والرضى بقضاء الله تعالى الى غير ذلك (قوله تعالى ومن يؤمن بالله) اى ومن يصدق بالله ويعلم انه لا تصيبه مصيبة الا باذن الله يهد قلبه للثبات اى لعدم الاضطراب بما اصابه بان يقول قولا او يظهر وصفا يدل على التضجر من قضاء الله تعالى وعدم الرضى به بل يسترجع ويقول انا لله وانا اليه راجعون ومن ايقن بانه مملوك لله تعالى مسخر في قبضة قدرته وبان مرجعه الى موقف حسابه كيف لا يرضى بقضائه ولا يصبر على بلائه وقد اعتقد انه رب العالمين والتربية كما تكون بما يلائم الطبع تكون ايضا بما ينفر عنه الطبع (قوله وبالنصب) عطف على قوله بالرفع يعني من قرأ يهد مبنيا للمفعول كما قرأ قلبه مرفوعا قرأه ايضا منصوبا بنزع الخافض اى يهد في قلبه كما في قوله تعالى الا من سفه نفسه اى في نفسه وقوله ولا تعزموا عقدة النكاح اى على عقدة النكاح فلما سقط حرف الجر نصب ما بعده اى عدى الفعل بنفسه فنصب ما بعده (قوله حتى القلوب واحوالها) يعني ان قوله تعالى والله بكل شئ عليم تذييل لتقرير قوله ومن يؤمن بالله يهد قلبه وانما يقرره اذا دخلت احوال القلوب من الايمان والكفر في كل شئ دخولا اوليا وقوله تعالى واطيعوا الله واطيعوا الرسول اى في جميع الاوقات ولا تشغلنكم المصائب عن الاشتغال بطاعة الله تعالى والعمل بكتابه

التفاضل وبالنصب على انه سفه نفسه ويهدأ بالهمز اى يسكن . (والله بكل شئ عليم) حتى القلوب واحوالها (واطيعوا الله واطيعوا الرسول (فان توليتم) اى فان توليتم فلا بأس عليه (فانما على رسولنا البلاغ المبين) اذ وظيفته التبليغ وقد بلغ (الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون) لان ايمانهم بان الكل منه يقتضي ذلك (يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم) يشغلكم عن طاعة الله او يخاصمكم في امر الدين او الدنيا (فاحذروهم) ولا تأمنوا غوائلهم (وان تعفوا) عن ذنوبهم بترك المعاقبة (وتصفحوا) بالاعراض وترك التثريب عليها (وتغفروا) باخفائها وتمهيد معذرتهم فيها (فان الله غفور رحيم) يعاملكم بمثل ما عملتم ويتفضل عليكم (انما اموالكم) واولادكم فتنة) اختبار لكم (والله عنده اجر عظيم) لمن آثر محبة الله وطاعته على محبة الاموال والاولاد والسعي لهم (فاتقوا الله ما استطعتم) اى ابذلوا في تقواه جهدكم وطاقتكم (ومن)

و من الاستقبال بطاعة الرسول واتباع سنته ولكن جل همكم في السراء والضراء العمل بما شرع لكم والمراد ان يقال كيف يستمر المرء على الطاعة حالة الضراء وهي تغلب على المرء دفعه بان الايمان بالوحدانية وبان الكل من عند الله يقتضي التوكل عليه في دفع المضار وجلب المنافع والتبري من الحول والقوة والاعتماد على حول الله تعالى وقوته والاستقرار على طاعته وطاعة رسوله فقال الله لا اله الا هو الآية روي عن عطاء انه قال نزلت سورة التغابن كلها بمكة الا هذه الآيات يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم فانها نزلت في عوف بن مالك الاشجعي كان ذا اهل وولد وكان اذا اراد الغزو بكوا وقالوا الى من تدعنا فيرق فيقيم فنزلت هذه الآية الى آخر السورة بالمدينة وقيل كان رجال يسلمون من اهل مكة ويريدون ان يأتوا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيتعلق بهم ابناؤهم وزوجاتهم فيقولون انت تذهب وتذرنا ضائعين فمنهم من يطيع ويقيم فحذرهم الله تعالى طاعة نسائهم واولادهم ومنهم من لا يطيع ويهاجر اليه عليه الصلاة والسلام فيرى الذين سبقوه في الهجرة قد تفقهوا في الدين فيعزم في نفسه على انه ان جمعه الله تعالى واياهم في دار الهجرة يعاقبهم ويمنع عنهم بره وان لا يتفضل عليهم بوجه ما ثم لما جمع الله تعالى بينه وبين اهله واولاده ومنعهم ما ينتفعون به وعظ الله من فعل ذلك بقوله وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم فامرهم بالعفو عنهم وقد علم من الآية ان العدو لا يكون عدوا بسيفه وسنانه وانما يكون عدوا بسوء افعاله فكل من شغل المرء عن طاعة الله من الازواج والاولاد والاموال وغيرها فهو عدوله ولا ينبغي له ان يأمن غوائلهم وقوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم ناسخ لقوله اتقوا الله حق تقاته (قوله اي افعلوا ماهو خيرلها) يعني ان خيرا منصوب بمضمر يدل عليه الاوامر السابقة فالامر بالافعال الخاصة يدل على الامر بفعل الخير مطلقا فلذلك كان هذا الكلام تأكيدا للحث على الاوامر المذكورة سابقا وبيانا لكون كل واحد من الامور المذكورة قبله خيرا وبين وجه الحث عليها بانها خير لانفسكم وهذا الوجه هو المنقول عن صاحب الكتاب ولم يجعل خيرا منصوبا بقوله انفقوا لان الانفاق لا يتعدى الا الى ماهو من جنس الاموال الا ان يفسر الخير بالمال كما في قوله تعالى ان ترك خيرا وانه لحب الخير فحينئذ يكون منصوبا على انه مفعول لانفقوا وهو عند الكسائي والفراء صفة مصدر محذوف اي انفقوا انفاقا خيرا لانفسكم وعند ابي عبيدة خبر لكان المقدر المجزوم على انه جواب الامر اي انفقوا يكن خيرا لانفسكم ثم قال ومن يوق شح نفسه اي يقه الله عن الشح الذي هو الحرص

(واسمعوا) مواعظه (واطيعوا) اوامره (وانفقوا) في وجوه الخير خالصا لوجهه (خيرا لانفسكم) اي افعلوا ماهو خير لها وهو تأكيد للحث على امتثال هذه الاوامر ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف اي انفاقا خيرا اوخبرا لكان مقدر جوابا للاوامر (ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون) سبق تفسيره (ان تقرضوا الله) بصرف المال فيما امره (قرضا حسنا) مقرونا بالاخلاص وطيب قلب (يضاعفه لكم) يجعل لكم بالواحد عشرة الى سبعمائة واكثر وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعفه لكم (ويغفر لكم) ببركة الانفاق (والله شكور) يعطي الجزيل بالقليل (حليم) لا يعاجل بالعقوبة (عالم الغيب والشهادة) لا يخفى عليه شيء (العزيز الحكيم) تام القدرة والعلم عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة التغابن دفع عنه موت الفجأة

على المال و بغض الا نفاق فاولئك هم المفلحون ثم بين ما يفوز به المنفق فقال ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم سمى صرف المال فى وجوه الخير اقراضا لله تعالى تشبيها له به فى عود مثل المصروف اليه ❁ والشكور هو الذى يقبل اليسير من العمل و يجازى به الثواب الجزل بل فالشكور المطلق ليس الا الله لان زيارته فى المجازاة غير محصورة ولا محدودة ❁ تمت سورة التغابن والحمد لله على آلائه والصلاة والسلام على خير انبيائه

(سورة الطلاق مكية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر يا كريم ﴾

(قوله لانه امام امته) يعنى ان النداء عام كالحكم الا انه عليه الصلاة والسلام خص بالنداء صورة اظهارا لتقدمه واعتبارا لترؤسه (قوله اولان الكلام معه) يعنى لانسلم ان المقام مقام تعميم النداء بل المقام يقتضى تخصيصه عليه الصلاة والسلام بالنداء لان الكلام معه وليس المراد الا تعميم الحكم (قوله والمعنى اذا اردتم تطليقهن) ولو كان المعنى اذا اوقعتم التطليق كما هو الظاهر من العبارة لما كان لترتيب قوله فطلقوهن لعدتهن عليه وجه والتعبير عن هو بصدد التطليق مطلقا مجاز باعتبار مايأول اليه كقوله تعالى حكاية انى ارانى اعصر خمرا وقوله عليه الصلاة والسلام من قتل قتيلا فله سلبه وليس المراد به المقتول حقيقة لان قتله محال معنى من يريد التطليق و يقبل عليه مطلقا لكونه مشارفا له وجعل المشارف للشئ بمنزلة من شرع فى ذلك الشئ فان تنزيل المشارف للشئ منزلة من شرع فيه كثير الاترى انه عليه الصلاة والسلام جعل الماشى الى الصلاة والمنتظر لها بمنزلة من شرع فيها حيث قال اذا اقيمت الصلاة فلا تأتوها تسرعون وأتوها تمشون وعليكم السكينة فان احدكم اذا كان يعمد الى الصلاة فهو فى صلاة وقال عليه الصلاة والسلام لا يزال احدكم فى الصلاة ما انتظر الصلاة (قوله اى وقتها) على ان اللام للتأقيت بمعنى فى كما فى قوله تعالى هو الذى اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر فمعنى الآية فطلقوهن فى عدتهن اى فى الزمان الذى يصلح لعدتهن وهو الطهر فان المطلقة اذا كانت ممن تحيض فان عدتها لا تنقضى الا بانقضاء ثلاثة قروء لقوله تعالى والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء والتربص الا نتظار والقرء بالفتح لفظ مشترك بين الطهر والحيض و يجمع على اقراء وقروء والائمة الحنفية حملوا القرء على الحيض بناء على ان الغرض من ايجاب العدة العلم ببراءة الرحم وذلك يحصل بالحيض لا بالاطهار ولان قوله

(سورة الطلاق فى مدنية وآيها اثنا عشرة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا ايها النبى اذا طلقتم النساء) خص النداء وعم الخطاب بالحكم لانه امام امته فنداؤه كندائهم اولان الكلام معه والحكم يعمهم والمعنى اذا اردتم تطليقهن على تنزيل المشارف له منزلة الشارع فيه (فطلقوهن لعدتهن) اى وقتها وهو الطهر فان اللام فى الازمان وما يشبهها للتوقيت ومن عد العدة بالحيض علق اللام بمحذوف مثل مستقبلات

عليه الصلاة والسلام دعى الصلاة ايام أقرائك صريح في ان المراد به الحيض والامام الشافعي حمله على الاطهار ودلائل الفريقين مذكورة في موضعها وثمرة الخلاف تظهر فيما اذا طلق الرجل حال طهرها فانه لاتنقضي عدتها مالم تطهر من الحيضة الثالثة عند الحنفية وعند الشافعية لما شرعت في الحيضة الثالثة انقضت عدتها واتفق الفريقان على ان زمان الطلاق المشروع هو زمان الطهر الخالي عن الجماع لما روى نافع ان ابن عمر طلق امرأته وهي حائض طلقة واحدة فامره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يراجعها ثم يمسكها حتى تطهر من حيضتها فان اراد ان يطلقها فليطلقها حين تطهر من قبل ان يجامعها فتلك العدة التي امر الله تعالى ان يطلق لها النساء رواه البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى والطلاق البدعي ان يطلقها في حالة الحيض اوفي طهر قد جومعت فيه او يوقع ثلاثا بكلمة واحدة في اي حال كان وهو واقع وصاحبه آثم فلما كانت العدة عند الشافعية هي الاطهار الثلاثة كان المناسب ان تكون اللام في قوله تعالى لعدتهن للتأقيت بمعنى في عدتهن اي في الوقت الذي يصلح لعدتهن وهو الطهر فعلى هذا تتعلق اللام بقوله طلقوهن واما من حمل القروء على الحيض وعد العدة بها فانه لايمكنه جعل اللام للتأقيت للاجماع على ان الطلاق في حالة الحيض منهي عنه بل يجعلها متعلقة بمحذوف دل عليه معنى الكلام فيحمل تقدير الكلام فطلقوهن مستقبلات لعدتهن اي متوجهات اليها واذا طلقت المرأة في الطهر المتقدم على القرء الاول من اقرائها فقد طلقت مستقبلة لعدتها كقولك اتيته لليلة بقيت من المحرم اي مستقبلا لها وفي قراءة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قبل عدتهن والمراد ان يطلقن في طهر لم يجامعن فيه ثم يتركن حتى تنقضي عدتهن وهذا احسن الطلاق واجله في السنة وهو ابعد عن الندم من تفرقة الثلاثة في ثلاثة اطهار والامام مالك رحمه الله لايرى السني الا واحدة في طهر خال عن الجماع و يكره الثلاث مجموعة كانت اومتفرقة وعند الامام الشافعي لابأس بارسال الثلاث وقال لااعرف في الطلاق سنة ولابدعة وهو مباح كله في وقت السنة وعندنا يراعى التفريق والوقت ليكون سنيا والآية تدل على ايقاع الطلاق في الطهر ودلت السنة على ان ذلك الطهر يجب ان يكون خاليا عن الجماع حتى يكون الطلاق سنيا وهي ماروى انه عليه الصلاة والسلام قال في حق ابن عمر فان اراد ان يطلقها فليطلقها حين تطهر من قبل ان يجامعها (قوله وظاهره يدل على ان العدة بالاطهار) كما ذهب اليه الامام الشافعي لانه تعالى لما قال فطلقوهن لعدتهن اي في زمان عدتهن وهو الزمان الذي يصح ان تعتد فيه وهو زمان

وظاهره يدل على ان العدة بالاطهار وان طلاق المعتدة بالاقراء ينبغي ان يكون في الطهر وانه يحرم في الحيض من حيث ان الامر بالشيء يستلزم النهي عن ضده ولايدل على عدم وقوعه اذ النهي لايستلزم الفساد كيف وقد صح ان ابن عمر رضي الله تعالى عنه لما طلق امرأته حائضا امره عليه الصلاة والسلام بالرجعة وهو سبب نزوله

(واحصوا العدة) واضبطوها واكملوها ثلاثة اقراء (واتقوا الله ربكم) فى تطويل العدة والاضرار بهن (لا تخرجوهن من بيوتهن من مساكنهن وقت الفراق حتى تنقضى عدتهن (ولا يخرجن) باستبدادهن اما لو اتفقا على الانتقال جاز اذ الحق لايعدوهما وفى الجمع بين النهيين دلالة على استحقاقها السكنى ولزومها ملازمة مسكن الفراق وقوله الا ان يأتين بفاحشة مبينة) مستثنى من الاول والمعنى الا ان تبذو على الزوج فانه كالنشوز فى اسقاط حقها اوالا ان تزنى فتخرج لاقامة الحد عليها

الطهر لان زمان العدة لوكان زمان الحيض لكان معنى الآية فطلقوهن فى زمان الحيض والتطليق فيه بدعى حرام بالاجماع فعلم منه ان طلاق من تحيض ينبغى ان يكون فى الطهر وان عدتها تكون بالاطهار لا بالحيض (قوله واضبطوها واكملوها) امر الله تعالى الذين طلقوا النساء بان يضبطوا فصول عدتها واكمالها سواء كانت عدتها بالاقراء او بالاشهر ليتمكنوا من تفريق الطلاق على الاقراء اذا ارادوا تطليقها ثلاثا وليعلموا بقاء زمان الرجعة ويتمكنوا من الرجعة ان حدثت لهم داعية الرجعة وليعلموا بقاء زمان وجوب الانفاق عليهم وانقضائه ثم امرهم بان يتقوا الله ولايعصوه فيما امرهم به ونهاهم عنه بقوله ولاتضاروهن لتضيقوا عليهن ومن الضرار بها ان يراجعها فى عدتها لا لقصد الامساك بالمعروف والاحسان بل ليطلقها ثانيا تطويلا للعدة عليها (قوله من مساكنهن) اى التى يسكنها قبل الطلاق اشارة الى ان اضافة البيوت اليهن مع انها بيوت الازواج للابستها بهن من حيث السكنى (قوله وفى الجمع بين النهيين) اى بين النهى عن الاخراج والخروج دلالة على انها تستحق على الزوج ان يسكنها فيما تسكن فيه قبل الطلاق كما تستحق عليه النفقة وعلى انه يلزمها ان تلازم مسكن الفراق فان النص بعبارته لما اثبت حرمة الاخراج عليه اثبت بدلالته انها تستحق على الزوج السكنى وكذا لما اثبت حرمة الخروج عليها اثبت بدلالته ان يجب عليها ملازمة مسكن الفراق وقوله ملازمة مسكن الفراق مرفوع على انه فاعل لزومها (قوله امالو اتفقا على الانتقال جاز) هذا عند الامام الشافعى رحمه الله تعالى واما عند ابى حنيفة رحمه الله تعالى فلا اثر لاذن الازواج فى اباحة خروجهن لان وجوب ملازمة مسكن الفرقة عليها حق الشرع بناء على ان خروجها منه حرام بصريح نهى الشارع عنه وحق الشرع لايسقط باسقاط العبد وقال الامام الشافعى هو حق العبد فان المعتدة تستحق على الزوج النفقة والسكنى لكونها محتبسة فى منزل الزوج لمنفعة تعود اليه فان العدة انما وجبت عليها صيانة للمياه عن الاشتباه وللانساب عن الالتباس فانه لولم تجب العدة عليها لرعما تزوجت بآخر واتت بولد لستة اشهر فلايعلم ان الولد لايهما فلما كانت محبوسة لمنفعة ترجع على الزوج وجبت مؤنتها عليه فاستحقت السكنى والنفقة عليه وكذا الزوج يستحق عليها ان تلازم مسكنه مادمت فى العدة لان العدة من توابع النكاح ومقتضياته ففى حال بقاء العدة صار النكاح كأنه قائم فيستحق عليها ان تكون فى مسكنه حال العدة كما تكون فيه حال قيام النكاح فلما كان الحق لايعدوهما جاز لهما الانتقال اذا اتفقا عليه (قوله مستثنى من الاول) وهو النهى عن الاخراج وحينئذ يحتمل

(ان يراد)

ان يراد بالفاحشة بذاؤها على زوجها واحمائها والبذاء باللد القضي بالقول واطالة اللسان واحماء المرأة ام زوجها وكل شئ من قبل الزوج مثل الاب والاخ فهم احماء واحدهم حم ويحتمل ان يراد بها الزنى فتخرج لقيام عليها الحد فجعل للازواج اخراجهن من بيوتهن لبذائهن وسوء خلقهن روى ان فاطمة بنت قيس كانت في نساء فاستطالت على احمائها في عدتها فامرها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان تعتد في بيت ابن ام مكتوم واذا زنت تخرج لاقامة الحد عليها ثم ترد الى منزلها (قوله اومن الثاني) وهو النهي عن الخروج فحينئذ يكون المراد بالفاحشة خروجهن قبل انقضاء العدة و يكون المعنى ولايخرجن الا اذا ارتكبن الفاحشة بالخروج وهذا ابلغ في المنع عن الخروج من حيث دلالته على علة المنع عنه وهي كونه فاحشة وقوله تعالى الا ان يأتين حال من فاعل لايخرجن اومن مفعول لاتخرجوهن اي لايخرجن اولاتخرجوهن في حال من الحالات الا في حال كونهن آتيات بفاحشة وان مع الفعل في تأويل المصدر اي الا اتيانا بمعنى آتيات بفاحشة او الاذوات اتيان بفاحشة (قوله الاشارة الى الاحكام المذكورة) وهي ان يطلق الرجل امرأته اذا شاء تطليقها وقت عدتهن اي في الزمان الذي يصلح لعدتهن وهو زمان طهر لم يجامعها فيه وماسواه من الاحكام والحدود وهي الامور المانعة من المجاوزة شبهت احكام الله تعالى بها فاطلق عليها اسم الحدود (قوله وهو الرغبة في المطلقة) اي بعد الرغبة عنها وتطليقها على الوجه المذكور فان المفسرين اجمعوا على ان المراد بالامر ههنا الرغبة في الرجعة والندامة على عزيمة الطلاق و الميل الى امساكها بالمعروف والآية تعليل للمحافظة على الاحكام المذكورة من تطليقهن لعدتهن و احصاء العدة والتجانب عن الاخراج والخروج فان التطليق على الوجه المذكور لما لم يقع على الزوج سبيل الرجعة صح تعليله بقوله لعل الله يحدث بعد ذلك امرا فان العدة اذا لم تكن مضبوطة اوانتقلت المرأة من منزل زوجها اشكل امر الرجعة وهذا يدل على ان الاحسن ان يطلقها الرجل واحدة ثم يتركها حتى تنقضي العدة او يفرق تطليقها ويطلقها ثلاثا في ثلاثة اطهار لانه حينئذ يمكن للزوج رجعتها ان ندم على مافعل بخلاف مااذا وقع الثلاث دفعة واحدة لانه حينئذ لايمكن له ان يراجعها ولا ان يستأنف نكاحها الا بعد التحلل بزوج آخر فانه اذا جمع الثلاث في وقت واحد لم يبق معنى لقوله لعل الله يحدث بعد ذلك امرا (قوله شارفن آخر عدتهن) فسر بلوغ الاجل الذي هو آخر العدة بمقاربة انقضائه كما فسر قوله طلقتم النساء بقوله اردتم طلاقهن لانه لايمكن الرجعة بعد بلوغهن آخر العدة حتى يقال

او من الثاني في المبالغة في النهي والدلالة على ان خروجها فاحشة (وتلك حدود الله) الاشارة الى الاحكام المذكورة (ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه) بان عرضها للعقاب (لاتدري) اي لاتدري النفس اوانت ايها النبي او المطلق (لعل الله يحدث بعد ذلك امرا) وهو الرغبة في المطلقة برجعة اواستئناف (فاذا بلغن اجلهن) شارفن آخر عدتهن (فأمسكوهن) فراجعوهن (بمعروف) بحسن عشرة وانفاق مناسب (او فارقوهن بمعروف) بايفاء الحق واتقاء الضرار مثل ان يراجعها ثم يطلقها تطويلا لعدتها

على الرجعة او الفرقة تبريا من الريبة وقطعا للتنازع وهو ندب كقوله و اشهدوا اذا تبايعتم وعن الشافعي وجوبه في الرجعة (واقيموا الشهادة) ايها الشهود عند الحاجة (لله) خالصا لوجهه (ذلكم) يريد الحث على الاشهاد و الاقامة او على جميع ما في الآية (يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) فانه المنتفع به و المقصود تذكيره (ومن يتق الله يجعل له مخرجا و يرزقه من حيث لا يحتسب) جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق بالوعد على الاتقاء عما نهى عنه صريحا او ضمنا من الطلاق في الحيض و الاضرار بالمعتدة واخراجها من المسكن وتعدى حدود الله وكتمان الشهادة وتوقع جعل على اقامتها بان يجعل الله له مخرجا مما في شأن الازواج من المضايق و الغموم و يرزقه فرجا و خلفا من وجه لم يخطر بباله او بالوعد لعامة المتقين بالخلاص من مضار الدارين والفوز بخير هما من حيث لا يحتسبون (عامة

اذا بلغن آخر عدتهن فانتم بالخيار ان شئتم الرجعة والامساك بالمعروف وان شئتم ترك الرجعة وابقاء الفراق (قوله على الرجعة اوالفرقة) لما كان الامر بالاشهاد للندب عند ابي حنيفة وعند الامام الشافعي في احد قوليه كان معنى الآية و اشهدوا عند الرجعة و الفرقة جميعا اذلا نزاع في كونه مندوبا عند كل واحد منهما فايراد كلة او في قوله او الفرقة بناء على ان الواقع احدهما والمعنى ان اختار الرجعة اشهد عليها وان اختار الفرقة وتركها حتى انقضت عدتها اشهد عليها (قوله تبريا من الريبة) علة الاشهاد على الرجعة فانه اذا راجعها ولم يشهد عليها يتهم في امساكها بانه امساك المطلقة وقوله وقطعا للتنازع يصح كونه علة لكل واحد من الاشهاد على الرجعة وعلى الفرقة فانه ان لم يشهد على الرجعة ربما انكرت المرأة بعد انقضاء العدة رجعته فيها وان لم يشهد على الفرقة ربما يموت احدهما فيدعى الباقي منهما ثبوت الزوجية (قوله وعن الشافعي وجوبه في الرجعة) اشارة الى ان الامام الشافعي له قولان في قول يجب الاشهاد على الرجعة وفي قول آخر لا يجب بل هو مندوب في كل واحد من الرجعة و الفرقة وهو قول ابي حنيفة رحمهما الله (قوله يريد الحث على الاشهاد والاقامة) يعني ان قوله ذلكم يجوز ان يكون اشارة الى ماذكر من قريب وهو الاشهاد والاقامة وان يكون اشارة الى جميع ما في الآية من ايقاع الطلاق على وجه السنة واحصاء العدة والامتناع عن الاخراج والخروج والاشهاد و اقامة الشهادة بادائها على وجهها من غير تبديل وتغيير خالصا لوجهه من غير توقع جعل و يرجح الاول افراد المشار اليه والثاني كونه اشد ملاءمة لقوله ومن يتق الله يجعل له مخرجا لاسيما على تقدير كونه معترضا اي جملة اعتراضية بين قوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النساء الى قوله واليوم الآخر و بين قوله واللائي يئسن من المحيض من نسائكم الاية فان القولين مرتبطان فانه على تقدير كونه معترضا يكون المقصود منه تأكيد ما ذكر من اول السورة الى هنا مما يتعلق بطلاق النساء وامساكهن واذ كانت الاشارة الى ذلك المجموع ع ايضا بتلاءم الكلامان (قوله من الطلاق في الحيض) فانه منهى عنه في ضمن قوله تعالى واتقوا الله ربكم و يكون المعنى ومن يتق الله وطلق للسنة ولم يضار المعتدة ولم يخرجها من مسكنها واحتاط فاشهد يجعل الله له مخرجا في شأن الازواج من الغموم والوقوع في المضايق ويفرج عنه و يرزقه من وجه لا يخطر بباله ان اعطاها مهرها وافيا وأدى الحقوق قل ماله او كثر وقوله بان يجعل الله له مخرجا متعلق بقوله بالوعد على الاتقاء وقوله او بالوعد لعامة المتقين معطوف على قوله بالوعد فان وعد

او كلام يجيء به للاستطراد عند ذكر المؤمنين وعنه عليه الصلاة والسلام اني لأعلم آية لو اخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فما زال يقرأها ويعيدها وروى ان سالم بن عوف بن مالك الاشجعي اسره العدو فشكا ابوه الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال اتق الله واكثر قول لا حول ولا قوة الا بالله ففعل فبينا هو في بيته اذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الابل تغفل عنها العدو فاستاقها فنزلت (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) كافيه (ان الله بالغ امره) يبلغ ما يريده ولا يفوته مراد وقرأ حفص بالاضافة وقرئ بالغ امره اي نافذ وبالغا على انه حال والخبر (قد جعل الله لكل شيء قدرا) تقديرا او مقدارا او اجلا لا يتأتى تغييره وهو بيان لوجوب التوكل وتقرير لما تقدم من تأقيت الطلاق بزمان العدة والامر باحصائها وتمهيد لما سيأتي من مقاديرها (واللائي يئسن من المحيض من نسائكم) لكبرهن (ان ارتبتم) شككتم في عدتهن اي جهلتم (فعدتهن ثلاثة اشهر) روي انه لما نزل والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء قيل فما عدة اللائي لم يحضن فنزلت (واللائي لم يحضن)

عامة المتقين يؤكد ما سبق من قوله واتقوا الله ربكم كما ان الوعد على الاتقاء عما نهي عنه صريحا او ضمنا مما ذكر من اول السورة الى ههنا يؤكد ذلك (قوله او كلام يجيء به) عطف على قوله جملة اعتراضية ووجه الاستطراد فيه عدم تعلقه بما سبق عليه لكونه تأكيدا له او بيانا او نحو ذلك وانما ذكر في هذا الموضع من حيث انه تعالى امر المؤمنين بامساكهن او تطليقهن بالمعروف وذكر امورا شتى ثم اشار الى جميع ذلك بطريق الفذلكة وحكم عليه بانه موعظة وتذكير للمتقين الذين يذكرون الله تعالى واليوم الآخر في جميع شؤنهم فلما انجر الكلام الى ذكرهم اردف الكلام بذكر الوعد على ايمانهم واتقائهم بالخلاص من مضار الدارين والفوز بخيرهما من حيث لا يحتسبون استطرادا اي من غير ان يقصد به تعلقه بما كلف به المؤمنون في حق امساك النساء وتطليقهن وان دخل فيهم الذين يتقون عما نهي عنه بالآية المتقدمة صريحا او ضمنا مما سبق من الآيات (قوله وعنه عليه الصلاة والسلام الخ) تأييد لكونه استطرادا (قوله تغفل عنها العدو) اي اغتنم غفلتهم عنها واخذها منهم على غفلة وفي الصحاح تغفلته اذا اهتبلت غفلته والاهتبال الاغتنام ووجدان الفرصة (قوله وقرأ حفص بالاضافة) اي برفع بالغ من غير تنوين وجر امره على اضافة اسم الفاعل الى مفعوله للتخفيف وقرأ الباقون بالتنوين والنصب على الاصل لان بالغ اسم فاعل بمعنى الاستمرار المتناول للحال والاستقبال فيعمل عمل الفعل فينصب مفعوله كما نصبه بلغ في قوله فاذا بلغن اجلهن وقرئ بالغ امره بتنوين بالغ ورفع امره اي على انه فاعل بالغ بمعنى نافذ والمعنى ان الله امره نافذ ويحتمل ان يكون ارتفاع امره على الابتداء وبالغ خبره والجملة خبر ان وبالغا حال من فاعل قد جعل فيكون لفظ الجلالة في قوله قد جعل الله من وضع الظاهر موضع الضمير (قوله وهو بيان لوجوب التوكل) فلذلك لم يعطف على قوله ومن يتوكل على الله ووجه كونه بيانا له ان من كان بالغا امره ولا يعجزه شيء من المطالب وجعل لكل شيء من الشدة والرخاء وغيرهما من الحوادث المتجددة تقديرا او مقدارا محدودا معينا او اجلا ونهاية ينتهي اليه البتة ولا يتأتى تغييره لا جرم يجب على كل عاقل ان يتوكل عليه ولا يبقى له سوى التسليم والاعتماد على تقديره والرضى بقضائه ووجه كونه تقريرا لما تقدم وتمهيدا لما سيأتي ظاهر (قوله تعالى واللائي) مبتدأ ويئسن من المحيض صلته ومن الاولى لابتداء الغاية متعلقة بيئسن والثانية للتبيين متعلقة بمحذوف وقوله ان ارتبتم شرط وقوله فعدتهن مبتدأ وثلاثة اشهر خبره والجملة الاسمية جواب الشرط والفاء فيها فاء الجواب

والجملة الشرطية فى محل الرفع على انها خبر اللائى ومتعلق الارتياب محذوف والتقدير ان ارتبتم فى عدتهن فعدتهن كذا وواحد اللائى التى وقوله واللائى لم يحضن مبتدأ حذف خبره لدلالة خبر المبتدأ الاول فقدره الزمخشرى جملة حيث قال والمعنى فعدتهن ثلاثة اشهر ايضا والاولى ان يقدر مفردا كما فعله المصنف حيث قال واللائى لم يحضن بعد كذلك او مثلهن وقوله واولات الاحمال مبتدأ واجلهن مبتدأ ثان وان يضعن حملهن خبر الثانى والجملة خبر الاول ويجوز ان يكون اجلهن بدل اشتمال من اولات وان يضعن خبره واولات واحدتها ذات ولا واحد لها من لفظها روى انه لما نزلت عدة ذوات الاقراء والمتوفى عنها زوجها فى سورة البقرة قال بعضهم يا رسول الله ان ناسا يقولون قد بقى من النساء مالم يذكر فيه شئ قال ماهو قال الصغار والكبار وذوات الاحمال فنزلت الآيات الثلاث لبيان عدتهن (قوله وهو حكم يعم المطلقات والمتوفى عنهن ازواجهن) يعنى ان الحكم بانقضاء العدة بوضع الحمل حكم كل من كانت ذات حمل سواء كانت مطلقة اومتوفى عنهـا زوجها لما روى عن عمر رضى الله تعالى عنه انه قال لو وضعت ما فى بطنها وزوجها المتوفى على سريره لم يدفن بعد لانقضت عدتها وحلت للازواج وعن على وابن عباس رضى الله تعالى عنهما عدة الحامل المتوفى عنها زوجهـا ابعد الاجلين اما بوضع الحمل او بانقضاء اربعة اشهر وعشر فايهمـا ابعد من الآخر تعتد به لانه لما وقع التعارض بين قوله تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن وبين قوله تعالى فى سورة البقرة والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا او اقتضت الاية الاولى ان تنقضى عدتها بوضع الحمل وان وضعت عقيب موت زوجها بيوم اوساعة واقتضت الاية الثانية ان لا تنقضى عدتها الا بمضى اربعة اشهر وعشر فجمع بينهما احتياطا وعامة الصحابة على ان عدتها انما تنقضى بوضع الحمل واختاره المصنف حيث قال والمحافظة على عمومه اولى من محافظة عموم قوله والذين يتوفون منكم وتفصيل المقام ان كل واحدة من اولات الاحمال والمتوفى عنهـا زوجها عام من الآخر من وجه وخاص منه من وجه آخر لتصادقهمـا فى الحامل المتوفى عنها زوجها وصدق الاولى بدون الثانية فى الحامل المطلقة وصدق الثانية بدون الاولى فى المتوفى عنها زوجها وقد حكم على كل واحدة منهما بحكم يخالف حكم الاخرى فتعارضت الآيتان بحسب الظاهر اذ المراد بالتعارض ان يكون اقتضاء احد الدليلين من الحكم فى مادة معينة خلاف مايقتضيه الدليل الآخر والآيتان كذلك فى مادة تناولهما وهى الحامل المتوفى عنها زوجها

اى واللائى لم يحضن بعد كذلك (واولات الاحمال اجلهن) منتهى عدتهن (ان يضعن حملهن) وهو حكم يعم المطلقات والمتوفى عنهن ازواجهن والمحافظة على عمومه اولى من محافظة عموم قوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا لان عموم اولات الاحمال بالذات وعموم ازواجا بالعرض

واما قلنا انهما متعارضتان بحسب الظاهر بناء على ماتقرر من امتناع التعارض الحقيق بين الادلة الشرعية لان التعارض الحقيق بينهما ان يكون بان ينزل الشارع دليلين متناقضين فى زمان واحد وهو تكليف بما لا يطاق وهو وان كان جائزا عند الاشاعرة الا انه غير واقع بالاتفاق فلا بد ان يكون نزول احد المتعارضين سابقا على نزول الآخر فيكون المتأخر نزوله ناسخا للمتقدم ان علم تاريخ نزولهما وان جهل توهم تعارضهما بالنسبة الينا وان لم يتعارضا فى الواقع وما نحن فيه من الآيتين من هذا القبيل فانهما متعارضتان بحسب الظاهر فى مادة تناولهما (قوله والحكم معلل هنا) وذلك ان الحكم بان اجلهن وضع حملهن رتب على الموصوفات بكونهن اولات احمال وتعليق الحكم بالوصف الصالح للعلية مشعر بالعلية لذلك الحكم كما اذا قلت المسكر حرام بخلاف حكم يتربصن اذ لاتعرض فيه لعلية الحكم فاختار المصنف ان يحافظ على عموم آية سورة الطلاق ويعمل بحكمها فى جميع من يصدق عليها انها ذات حمل حرة كانت اوامة مطلقة اومتوفى عنها زوجها ويلزم من ذلك ان يخصص عموم قوله ازواجا فى قوله ويذرون ازواجا بحملها على غير الحامل المتوفى عنها زوجها واستدل عليه بوجوه الاول ان اولات الاحمال عام بذاته اى بالنظر الى نفس لفظ اولات الاحمال مع قطع النظر عن امر خارج عن نفس مفهوم اللفظ بخلاف عموم ازواجا فانه نكرة فى سياق الاثبات ولاعموم لها بذاتها عند الجمهور بل هو عام بالعرض فان عموم ازواجا انما يستفاد من وقوعه فى حيز صلة الموصول اى بالنظر الى نفس لفظ ازواجا وقولهم ان ازواجا فى آية المتوفى عنها تعم لاولات الاحمال وغيرها لم يريدوا به بنفس لفظها بل المراد عمومها بواسطة كونها فى حيز صلة الموصول العام بذاته ولما كان عموم ازواجا بالعرض لم يصلح معارضا لعموم العام بذاته فلذلك حملت الازواج فى آية المتوفى عنها زوجها على غير الحوامل والثانى ان الحكم فى آية سورة الطلاق معلل بكون المعتدة ذات حمل لما اشتهر من ان تعليق الحكم على الوصف الصالح للعلية تعليل لذلك الحكم به ولاشك ان كون الرحم مشغولا بحق الغير يصلح لان يكون علة لكون المرأة ممنوعة عن التزوج الى فراغ رحمها منه وهذه العلة متحققة فى كل واحدة من الحامل المطلقة والحامل المتوفى عنها زوجها فوضع حملها يكون علة لفراغ رحمها منه وعدم وضعها يكون علة ممنوعيتها عن التزوج الى فراغ رحمها منه كالحامل المطلقة وان يكون الاعتداد بالتربص المذكور فى سورة البقرة مختصا بمن لم تكن ذات حمل لان الحكم بان عدة المتوفى عنها زوجها التربص

والحكم معلل هنا بخلاف ثم ولانه صح ان سبيعة بنت الحارث وضعت بعد وفاة زوجها بليال فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال قد حللت فتزوجي ولانه متأخر النزول فتقديمه تخصيص وتقديم الآخر بناء للعام على الخاص والاول راجح للوفاق عليه (ومن يتق الله) فى احكامه فيراعى حقوقها (يجعل له من امره يسرا) يسهل عليه امره ويوفقه للخير (ذلك) اشارة الى ماذكر من الاحكام (امر الله انزله اليكم ومن يتق الله) فى احكامه فيراع حقوقه (يكفر عنه سيئاته) فان الحسنات يذهبن السيئات (ويعظم له اجرا) بالمضاعفة

المذكور غير معقول المعنى بل هو امر تعبدي لاتعرض فيه للعلة والحكم المعلل اقوى فهو بالاعتبار اولى وعدم تخلفه عما تخلفت العلة فيه اجدر واحرى والثالث انه عليه افضل الصلاة والسلام حكم بانقضاء عدة الحامل المتوفى عنها زوجها بمجرد وضع حملها من غير ان يمضي عليها بعد وفاة زوجها اربعة اشهر وعشر فهذا الحديث صريح في اعتبار عموم اولات الاحمال للمطلقات والمتوفى عنهن ازواجهن وتخصيص ازواجا بغير الحامل كما فعله عمر رضي الله تعالى عنه فيما روينا عنه آنفا والرابع يتوقف بيانه على مقدمة وهي ان الائمة الحنفية والشافعية رحمهم الله اختلفوا فيما اذا تعارض الخاص والعام فذهب الشافعية الى ان الخاص يخصص العام مطلقا اى سوآء علم تاريخ نزولهما اولم يعلم والحنفية ذهبوا الى ان المتأخر في النزول عاما كان اوخاصا ناسخ للمتقدم اذا علم تاريخ نزولهما ولايحملون العام على الخاص مطلقا كما ذهب اليه الشافعية اذا عهدت هذه المقدمة فنقول آية سورة الطلاق نزلت بعد آية سورة البقرة لقول عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه من شاء باهلته عند الحجر الاسود ان سورة النساء القصرى يعني سورة الطلاق نزلت بعد الآية التي في سورة البقرة ولما تعارض الدليلان وكانت اية الطلاق متأخرة في النزول فلا يخلوا ما ان تقدم آية الطلاق ويعمل بها في حق المتوفى عنها زوجها ايضا اوبالعكس فاللازم من الاول تخصيص عموم الازواج المذكورة في سورة البقرة بمن لم تكن ذات حمل وهو صحيح على كل واحد من المذهبين اما على مذهب الامام الشافعي فلأن الخاص الذي هو اولات الاحمال خصص العام وهو المتوفى عنها زوجها بمن لم تكن ذات حمل كما هو مقتضى مذهب الامام الشافعي واما على مذهب ابي حنيفة فلأن آية سورة الطلاق لتأخر نزولها نسخت عموم الازواج المذكورة في سورة البقرة وخصصتها بمن لم تكن ذات حمل فثبت ان العمل بآية سورة الطلاق موافق لكل واحد من المذهبين بخلاف العمل بآية سورة البقرة فانه لايوافق مذهب الحنفية لانهم يجعلون مقدم النزول منسوخا بالمتأخر فلا يعملون به وانما يوافق مذهب الشافعية وقيل هو بناء العام على الخاص وحاصله تخصيص العام بالخاص وهو ان يخصص العام بالخاص لانه ان حكم بالتربص في حق الحامل المتوفى عنها زوجها فقد لزم ان يخصص عموم اولات الاحمال بحملها على المطلقات مع انها بحسب مفهومها تعم المتوفى عنها زوجها قال المصنف في اصوله المسمى بالمنهاج الخاص اذا عارض العام يخصصه علم تاريخه ام لا وابو حنيفة يجعل المتقدم منسوخا ويوقف حيث جهل لنا اعمال الدليلين اولى انتهى

(كلامه)

كلامه يعني اذا خصص العام بالخاص يعمل الخاص في جميع افراده والعام في بعض افراده ولو جعل العام ناسخا للخاص كان ابطالا للخاص بالكلية مثلا اذا كان المتوفى عنها زوجها خاصا بمن لم تكن ذات حمل وجعل حكم اولات الاحمال ناسخا لحكم المتوفى عنها زوجها وقد فرضنا كونها خاصا بمن لم تكن ذات حمل لزم ابطال حكمها في حق جميع افرادها واعمال الدليلين بقدر الامكان اولى من ابطال احدهما بالكلية هذا ما تيسر لي في توضيح المقام بعون الله تعالى ولي الانعام والاطعام فان اصبت الحق فبفضل الله واحسانه وان اخطأت فمن قصور فهمي ونقصانه ثم انه تعالى لما حث على التقوى في عامة احكامه التي يدخل فيها حكم المعتدات دخولا اوليا بين كيفية التقوى في حكمين على طريق الاستئناف فكأنه قيل كيف يتقي الله تعالى في حق المعتدات فاجيب بان قيل اسكنوهن من حيث سكنتم الى آخر الآيات (قوله اي مكانا من مكان سكناكم) اشارة الى ان من في قوله من حيث سكنتم للتبعيض والمبعض محذوف فكأنه قيل اسكنوهن مكانا هو بعض من مكان سكناكم ثم فسر مكان سكناهم بقوله من وجدكم اي مما تطيقونه والوجد بالحركات الثلاث في الواو الوسع والطاقة وقرئ بهن جميعا قال قتادة ان لم يكن الا بيت واحد اسكنها في بعض جوانبه (قوله وهو عطف بيان) نوقش فيه بانه لم يعهد في عطف البيان اعادة العوامل وانما عهد هذا في البدل ولذلك اعربه ابو البقاء بدلا من حيث سكنتم كأنه قيل اسكنوهن من وجدكم اي مكانا مما تطيقونه (قوله تعالى ولا تضاروهن) اي لا تؤذوهن في شأن السكنى بسبب من الاسباب كانزال من لا يوافقهن فيه اوشغل مكانهن باسبابكم ونحو ذلك لتضيقوا امر السكنى عليهن (قوله وهذا يدل على اختصاص استحقاق النفقة بالحامل من المعتدات) وذلك انه تعالى لما ذكر السكنى اطلقها لكل معتدة ولما ذكر النفقة قيدها بالحمل فدل على ان غير الحامل من المعتدات لانفقة لها وهو مذهب الامام الشافعي فان تعليق الحكم بالشرط يدل على عدمه عند عدم الشرط عنده وعند ابي حنيفة تجب النفقة والسكنى لكل معتدة سواء كانت مطلقة ثلاثا او واحدة رجعية اوبائنة مادامت في العدة اما المطلقة الرجعية فلأنها منكوحة كما كانت وانما يزول النكاح بمضي المدة وكونه في معرض لزوال بانقضاء العدة لايسقط النفقة كما لو آلى اوعلق طلاقها بمضي شهر مثلا فالمطلقة الرجعية لها النفقة والسكنى بالاجماع واما المبتوتة فعندنا لها النفقة والسكنى جميعا وعند الامام الشافعي لها السكنى ولانفقة لها الا ان تكون حاملا لهذه الآية (قوله بعد انقطاع علقة النكاح) اي بوضع حملهن فان حكمهن

(اسكنوهن من حيث سكنتم) اي مكانا من مكان سكناكم (من وجدكم) من وسعكم اي مما تطيقونه وهو عطف بيان لقوله من حيث سكنتم (ولا تضاروهن) في السكنى (لتضيقوا عليهن) فتلجئوهن الى الخروج (وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن) فيخرجن من العدة وهذا يدل على اختصاص استحقاق النفقة بالحامل من المعتدات والاحاديث تؤيده (فان ارضعن لكم) بعد انقطاع علقة النكاح (فآتوهن اجورهن) على الارضاع

واتمروا بينكم بمعروف ليأمر بعضكم بعضا بجميل في الارضاع والاجر (وان تعاسرتم) تضايقتم (فسترضع له اخرى) امرأة اخرى وفيه معاتبة للام على المعاسرة (لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله) اي فلينفق كل من الموسر والمعسر ما بلغه وسعه ﴿ ٥٨٨ ﴾ لايكلف الله نفسا الا ما آتاها) فانه

بعد انقطاعهما حكم الاماء فيجوز استئجارهن لارضاع ولدهن عند الحنفية خلافا للامام الشافعي فانه لايجوز استئجارها لارضاع ولدها بناء على انه لما لم يجب عليها ارضاع ولدها صارت كالاجنبية فقول المصنف بعد انقطاع علقة النكاح لايناسب مذهبه فان استئجار الام للارضاع يجوز عنده حال قيام علقة النكاح وبعد انقطاعها لايجوز الا ان يقال انه ليس للاحتراز بل هو تفسير لمعنى الفاء في قوله فان ارضعن لكم (قوله وليأمر بعضكم بعضا) يعني ان الائتمار افتعال من الامر يقال ائتمر القوم وتآمر واذا امر بعضهم بعضا والخطاب للازواج من الرجال والنساء والمراد نهيهم عن ان يحمل بعضهم بعضا على العسرة والضيق فيما يتعلق بارضاع الولد بان يكلف كل واحد منهما الآخر فوق ماينبغي ومايعتاد ثم انه لما ذكر في هذه السورة حدودا ونهي عن تعديها ذكر الذين تعدوا حدوده من الامم الماضية وماحل بهم تأكيدا لايجاب المحافظة على ماذكر من الحدود والاحكام وتخويفا من التقصير في رعايتهما فقال وكأين من قرية اي وكثير من اهل قرية عتت والعتو بمعنى العناد وهو لايتعدى بعن وعدى بها في الآية لتضمنه معنى الاعراض كأنه قيل اعرضت عنه بسبب عتوها وكأين بمعنى كم الخبرية في كونها للتكثير (قوله لاربح فيها اصلا) مبني على ان تنوين خسرا للتعظيم (قوله تعالى الذين آمنوا) منصوب باضمار اعني بيانا للمنادى في قوله ياولى الالباب اوعطف بيان للمنادى او نعت له (قوله يعني بالذكر جبريل عليه الصلاة والسلام) على ان يكون اطلاق الذكر عليه من قبيل التوصيف بالمصدر للمبالغة في كونه ذكرا اوعلى انه مجاز مرسل من قبيل تسمية الملك المنزل باسم القرآن المنزل والقرآن يطلق عليه الذكر لاشتماله على ذكر الله تعالى اولكونه آمرا به فيكون اطلاقه على الملك مجازا في المرتبة الثانية او على ان يكون الذكر بمعنى المذكور كضرب الامير فانه عليه الصلاة والسلام مذكور في السموات او على ان الذكر بمعنى ذي الذكر الذي هو الشرف (قوله لمواظبته على تلاوة القرآن) يعني انه عليه الصلاة والسلام شبه بالذكر وهو القرآن لشدة ملابسته به تلاوة اوتبليغا فاستعير له اسم الذكر وقرن به مايلائم المستعار منه وهو الانزال ترشيحا للاستعارة و يجوز ان يكون الانزال مجازا مرسلا عن الارسال بطريق اطلاق اسم السبب على المسبب فان انزال

تعالى لايكلف نفسا الا وسعها وفيه تطييب لقلب المعسر ولذلك وعد له باليسر فقال (سيجعل الله بعد عسر يسرا) اي عاجلا اوآجلا وكأين من قرية) اهل قرية (عتت عن امر ربها ورسله) اعرضت عنه اعراض العاتي المعاند (فحاسبناها حسابا شديدا) بالاستقصاء والمناقشة (وعذبناها عذابا نكرا) منكرا والمراد حساب الآخرة وعذابها والتعبير بلفظ الماضي للتحقيق (فذاقت وبال امرها) عقوبة كفرها ومعاصيها (وكان عاقبة امرها خسرا) لاربح فيها اصلا (اعد الله لهم عذابا شديدا) تكرير للوعيد وبيان لما يوجب التقوى المأمور بها في قوله (فاتقوا الله ياولي الالباب) ويجوز ان يكون المراد بالحساب استقصاء ذنوبهم واثباتها في صحائف الحفظة وبالعذاب ما اصيبوا به عاجلا (الذين آمنوا

قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا) يعني بالذكر جبريل عليه الصلاة والسلام لكثرة ذكره اولنزوله (بالوحي) بالذكر وهو القرآن اولانه مذكور في السموات اوذا ذكر اي شرف اومحمدا عليه الصلاة والسلام لمواظبته على تلاوة القرآن اوتبليغه وعبر عن ارساله بالانزال ترشيحا اولانه مسبب عن انزال الوحي اليه وابدل منه رسولا للبيان

الوحي اليه صلى الله تعالى عليه وسلم سبب لارساله (قوله اواراد به) اى
بالذكر القرءآن فيكون رسولا منصوبا بفعل محذوف دل عليه انزل اى انزل الله
اليكم القرءآن وارسل اليكم رسولا فان انزال الذكر يدل على ارسال الرسول
(قوله او ذكر امصدر ورسولا مفعوله) فان المصدر المنون لكونه فى تأويل
ان مع الفعل يعمل عمل فعله كما فى قوله تعالى او اطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما فكأنه
قيل قد انزل الله اليكم ان ذكر رسولا و يكون ذكره الرسول قوله محمد رسول الله
ولكن رسول الله ونحوهما (قوله او بدله على انه بمعنى الرسالة) والمعنى حينئذ
قد انزل اليكم رسالة اى ما يدل على حقية الرسالة فعلى هذا يكون قوله يتلو عليكم
حالا من اسم الله (قوله تعالى مبينات) قرآءة الجمهور على لفظ اسم المفعول اى
بينها الله كما قال قد بينا لكم الآيات وقرأ ابن عامر وحفص وحمزة والكسائى
بكسر الياء على لفظ اسم الفاعل اى تبين لكم ما تحتاجون اليه من الاحكام وعلى
التقديرين هو حال من الآيات واللام فى ليخرج متعلق بانزل لا بقوله يتلو لانه
مذكور على سبيل التبعية بخلاف انزل وفاعل انزل اما ضمير البارى تعالى او ضمير
الرسول او الذكر ولفظ الماضى فى قوله تعالى يا اولى الالباب الذين آمنوا مبنى على
انهم كانوا مؤمنين قبل نزول هذه الآية وقبل خطابهم بما فيها من النداء (قوله
والمراد بالذين فى قوله ليخرج الذين آمنوا) يعنى ان المراد بالموصول الذى هو
تابع المنادى السابق هو الموصول المذكور فى قوله ليخرج الذين آمنوا فيكون
الموصول الثانى من وضع الظاهر موضع الضمير اشعارا بان المراد بالنور الذى
اخرجوا اليه هو الايمان والعمل الصالح ولما ورد ان يقال الامتنان على الذين
آمنوا قبل نزول الآية بان يقال يا ايها الذين آمنوا الآن قد انزلنا اليكم ذكرا
رسولا ليخرجكم من ظلمة الكفر والمعاصى الى نور الايمان والطاعة بلام الغاية
ولفظ المضارع المشعرين بانهم غير خارجين عنها حال نزول الآية فاسد لانه
يستلزم ان يكونوا حال نزول الآية خارجين عن الكفر وغير خارجين عنه
اشار الى جوابه بقوله اى ليحصل لهم ما هم عليه الآن وتقريره ان اللازم
من جعل الاخراج غاية للانزال ان لا يكون الاخراج حاصلا زمان الانزال وهو
لا ينافى كونه حاصلا زمان الخطاب فالمعنى ايها المؤمنون الآن قد انزلنا
اليكم ذكرا قبل هذا الآن ليحصل لكم ما انتم عليه الآن من الايمان والعمل
الصالح (قوله او ليخرج من علم الخ) عطف على قوله ليخرج الذين آمنوا
اى ويحتمل ان يكون المراد بالموصول الثانى ما هو اعم من الاول لان المراد
بالموصول الاول هم الذين اتصفوا بالايمان وقت النداء وهو وقت نزول
الآية ولا محذور فى ان يخاطبهم الله على سبيل الامتنان ويقول قد انزل الله

اواراد به القرءآن ورسولا
منصوب بمقدر مثل ارسل
او ذكر امصدر ورسولا
مفعوله او بدله على انه
بمعنى الرسالة (يتلو عليكم
آيات الله مبينات) حال
من اسم الله او صفة رسولا
والمراد بالذين فى قوله
(ليخرج الذين آمنوا
وعملوا الصالحات) الذين
آمنوا بعد انزاله اى ليحصل
لهم ما هم عليه الآن من
الايمان والعمل الصالح
او ليخرج من علم او قدر
انه يؤمن (من الظلمات
الى النور) من الضلالة
الى الهدى

 (من)

الكم ذكر التخريج من علم انه يؤمن اوقدر انه يؤمن ولاشك ان من علم الله انه يؤمن او من قدر ايمانه اعم من الموجودين المؤمنين وقت النداء (قوله تعالى خالدين فيها) حال من الضمير المنصوب في يدخله وافرد ضمير يدخله حملا على لفظ من وجمع خالدين حملا على معناه ووحد ضميره حملا على اللفظ والحمل على اللفظ بعد الحمل على المعنى قليل وقوله تعالى قد احسن الله له رزقا حال من ضمير يدخله على الترادف لان ذا الحال واحد وقد انتصب عنه حالان اومن المنوى في خالدين على التداخل (قوله فيه تعجب وتعظيم) فان الجملة الخبرية الغير الموضوعة لانشاء التعجب قد يقصد بها التعجب كما في قول الشاعر

وجارة جساس أبأنا بنابها ❁ كليبا غلت ناب كليب بواؤها

جملة خبرية قصد بها التعجب وكان كل واحد من جساس وكليب رئيسا لقبيلة على حدة وجارة جساس امرأة اسمها بسوس يقال انها خالة جساس وكان لها ناقة مسنة فرآها كليب في حماه فرماها بسهم فقتلها فشكت بسوس صاحبة الناقة الى ابن اختها جساس فغضب فقتل كليبا قصاص الناقة بسوس فهاجت حرب بين بكر وهي قبيلة جساس ووائل وهي قبيلة كليب اربعين سنة حتى ضرب بها المثل في الشؤم وقيل اشأم من بسوس وبها سميت حرب بسوس وضرب لكل ما يعتنى بشأنه ويبالغ في حفظه اعز من حمى كليب والاباءة الاقتصاص وأبأت القتيل بالقتيل اذا قتلته من البواء وهو السواء والناب الناقة المسنة وجعل قوله تعالى قد احسن الله له رزقا من قبيل ما قصد به التعجب لانه لوجعل خبرا محضا لما كان في ذكره كثير فائدة لان المراد بالرزق ما رزقوه في الجنة ومعلوم انه حسن وان حسنه خارج عما تدركه العقول والاوهام (قوله اى وخلق مثلهن في العدد من الارض) اشارة الى ان مثلهن منصوب بفعل مقدر بعد الواو دل عليه الفعل الناصب للسموات ولم يجعله معطوفا على سبع سموات كما ذهب اليه صاحب الكشاف لانه يستلزم الفصل بين حرف العطف والمعطوف بالجار والمجرور وهو مكروه في غير موضع الضرورة وقرئ مثلهن بالرفع على الابتداء وخبره من الارض قدم عليه ذهب الجمهور الى ان الارض سبع ارضين طباقا بعضها فوق بعض بين كل ارض وارض مسافة كما بين السماء والسماء وفي كل ارض سكان من خلق الله وقال الضحاك ان الارضين ايضا سبع لكنها مطبقة بعضها فوق بعض لا فتوق بينها بخلاف السموات قال القرطبي والاول اصح لان الاخبار دالة على ذلك (قوله اى يجرى امر الله وقضاؤه بينهن) وهو ما يدبر فيهن من عجائب تدبيره على ايدى الملائكة والثقلين ❁ تمت سورة الطلاق بعون الله الملك الخلاق ومنه وكرمه

(ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا) وقرأ نافع وابن عامر ندخله بالنون) قد احسن الله له رزقا) فيه تعجب وتعظيم لما رزقوا من الثواب (الله الذى خلق سبع سموات) مبتدأ وخبر (ومن الارض مثلهن) اى وخلق مثلهن في العدد من الارض وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر (يتنزل الامر بينهن) اى يجرى امر الله وقضاؤه بينهن وينفذ حكمه فيهن (لتعلموا ان الله على كل شئ قدير وان الله قد احاط بكل شئ علما) علة لخلق او يتنزل او مضمر يعمهما فان كلا منهما يدل على كمال قدرته وعلمه ❁ عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الطلاق مات على سنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

(سورة التحريم مدنية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم و به الاعانة ﴾

(قوله فواطأت) اي فوافقت روى عن عائشة رضي الله تعالى عنها انها قالت كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحب الحلوى و يحب العسل وكان اذا صلى العصر دار على نسائه فيدنو منهن فدخل على حفصة بنت عمر رضي الله تعالى عنهما فاحتبس عندها اكثر مما كان يحتبس فسألت عن ذلك فقيل لى اهدت اليها امرأة من قومها عكة عسل فسقت رسول الله تعالى عليه وسلم منه شربة فقلت والله لنحتالن له فاتفقت انا وسودة وصفية على ان نقول اذا دخل علينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ودنا منا يارسول الله اكلت مغافير فانه سيقول لا فلنقل عند ذلك فاهذه الرائحة الكريهة وكان عليه الصلاة والسلام يشتد عليه ان توجد منه الرائحة الكريهة ويحبه ان يوجد منه الرائحة الطيبة لمناجاته الملك فانه سيقول سقتني حفصة شربة عسل فلنقل جرست نحلة العرفط وهو نبت له رائحة كرائحة الخمر ثم انه عليه الصلاة والسلام لما خرج من عند حفصة ودخل علينا قالت كل واحدة منا ما اتفقنا عليه فقال عليه الصلاة والسلام لن اعود الى شرب العسل (قوله تفسير لتحرم) اى عطف بيان له فان حقيقة الاستفهام لما لم تتصور منه تعالى حمل على المعاتبة في ارتكابه التحريم وعد ذلك منكرا منه عليه الصلاة والسلام ولما خفي وجه كون التحريم منكرا فسره بما اظهر كونه منكرا فان ابتغاء مرضاة الازواج من مثله عليه الصلاة والسلام بعيد لانهن احق بابتغاء مرضاته عليه الصلاة والسلام منه بابتغاء مرضاتهن فانه عليه الصلاة والسلام متفضل بذاته وفضيلتهن انما هي بالانتساب اليه وعلى تقدير كونه حالا من فاعل تحرم يكون الانكار راجعا الى القيد وتقدير كونه استئنافا لبيان الداعي الى الانكار انه تعالى لما انكر عليه التحريم انجه له ان يسأل و يقول لم تنكر على يارب فيما حرمته على نفسى وقد وجد ذلك من الانبياء قبلى كما قلت في كلامك المجيد الا ماحرم اسرآئيل على نفسه فقيل له لانك تبتغى مرضاة ازواجك و مثلك لاينبغي له ذلك فهو استئناف لبيان الداعي الى الانكار ببيان ما دعاه الى التحريم وانه لا يصلح داعيا اليه (قوله فانه لايجوز تحريم ما احله الله) فان ما احله الله تعالى لايحرم الا بتحريم الله تعالى اياه بوحي منزل متلو او غير متلو فان من اعتقد من عند نفسه حرمة شيء قد احله الله فقد كفر فان قيل اذا لم يجز ذلك فاوجه تحريمه عليه الصلاة والسلام ذلك قلنا المراد بهذا التحريم هو الامتناع عن الانتفاع به مع اعتقاد كونه

(سورة التحريم مدنية وهي ثنتا عشرة آية)
(بسم الله الرحمن الرحيم)
(ياايها النبي لم تحرم ما احل الله لك) روى انه عليه الصلاة والسلام خلا بمارية في يوم عائشة او حفصة فاطلعت على ذلك حفصة فعاتبته فيه فحرم مارية فنزلت وقيل شرب عسلا عند حفصة فواطأت عائشة سودة وصفية فقلن له انا نشم منك رائحة المغافير فحرم العسل فنزلت (تبتغي مرضاة ازواجك) تفسير لتحرم او حال من فاعله او استئناف ببيان الداعي اليه (والله غفور) لك هذه الزلة فانه لايجوز تحريم ما احله الله (رحيم) رحمك حيث لم يؤاخذك به وعاتبك محاماة على عصمتك

حلا لا له لا اعتقاد كونه حرا اما بعد ما احله الله تعالى فان ذلك لايتصور من عوام المسلمين فكيف من الانبياء ولكنه يجوز ان يعد ذلك زلة يعاتب عليها لان الامتناع عن الانتفاع باحسان المولى الكريم يشبه عدم قبول احسانه ففيه شائبة سوء الادب فلذلك عاتبه الله على ذلك بالاستفهام الانكاري (قوله قد شرع لكم تحليلها) فسر قوله تعالى فرض بذلك لان الفرض بمعنى الايجاب لايعدى باللام واشار بقوله تحليلها الى ان تحلة مصدر حلل بتضعيف اليمين اصله تحللة نحو تكرمة من كرم والتحليل حل ماعقدته فان الحالف كأنه عقد على نفسه البر ومحافظة اليمين وتحليل اليمين يكون على وجهين الاول ان يستثنى بان يقول ان شاء الله متصلا بيمينه فان الاستثناء لما كان مانعا عن انعقاد اليمين صار بمنزلة تحليلها فان كلمة ان شاء الله اذا اتصلت بالكلام السابق ترفع حكمه من اى جنس كان فان موسى عليه الصلاة والسلام لما وصل ان شاء الله بوعده في قوله ستجدنى ان شاء الله صابرا ثم لم يصبر لم يكن بعدم صبره مخلف وعده فان خلف الوعد من امارة النفاق لقوله عليه الصلاة والسلام آية النفاق ثلاث وان صام وصلى وزعم انه مسلم اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان فحاشا من الانبياء ان يكون فيهم آية النفاق فعلم بذلك ان اقتران الاستثناء بالوعد يخرج الوعد عن كونه منعقدا فكذا اقترانه باليمين يخرجها عن الانعقاد فلذلك جعل بمنزلة التحليل فان كان المراد بتحلة الايمان فى الآية الاستثناء يكون المعنى قد شرع الله لكم تعقيب ايمانكم بالاستثناء كيلا تنعقد فيحنث الحالف باتيان المحلوف عليه والوجه الثانى من وجهى تحليل اليمين الحنث فمن حنث في يمينه باتيان المحلوف عليه فقد انحلت يمينه ويجب عليه الكفارة لازالة عقوبة الحنث فان الحسنات يذهبن السيئات فالكفارة تشعر ان يكون انحلال اليمين بها وليس كذلك بل هى موجب انحلالها بالحنث الا ان التزام الكفارة لما كان طريقا الى تحليلها بالحنث صار منزلة السبب للتحليل فقال ذلك (قوله واحتج به من رأى التحريم مطلقا) اى سواء حرم نحو الثوب والدابة اوهو هم امرأته فمن حرم على نفسه شيأ منها لايصير محرما عليه لانه قلب المشروع والعبد لايقدر عليه الا ان الحنفية اعتبروه يمينا فى كل شئ واعتبروا الامتناع عن المنفعة المقصودة مما حرمه على نفسه فمن حرم على نفسه الطعام او الشراب ثم اكل وشرب لزمه كفارة يمين ومن حرم امته او امرأته ثم وطئها او اقدم على شئ من دواعى الوطئ لزمته الكفارة وعند الامام الشافعى تحريم الحلال ليس بيمين مطلقا ولا يجب عليه الكفارة بذلك اصلا الا فى النساء والجوارى فان حرم عليه زوجته او امته لايكون ذلك يمينا عنده الا انه يجعله سببا لوجوب

(قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم) قد شرع لكم تحليلها وهو حل ما عقدته بالكفارة او الاستثناء فيها بالمشيئة حتى لا تحنث من قولهم حلل فى يمينه اذا استثنى فيها واحتج به من رأى التحريم مطلقا او تحريم المرأة يمينا وهو ضعيف اذ لا يلزم من وجوب كفارة اليمين فيه كونه يمينا

(الكفارة)

الكفارة عليه بمجرد تحريمه اياها سواء قربها اولم يقربها لما ذكره المصنف من انه تعالى انكر نفس التحريم واوجب نقضه وتحليله بالكفارة وهو لا يستلزم كونه يمينا وان توقف وجوب الكفارة على الحنث بالقربان كما ذهب اليه الحنفية فانه عليه الصلاة والسلام كفر عن تحريمه بان اعتق رقبة الا انه لم يثبت انه عليه الصلاة والسلام اعتق بعد استباحة ما حرمه عليه اوقبل الاستباحة (قوله مع احتمال انه عليه الصلاة والسلام آتى بلفظ اليمين كما قيل) ذكر الامام محيي السنة نقلا عن المفسرين انه عليه الصلاة والسلام كان يقسم بين نسائه فلما كان يوم حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنها استأذنت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في زيارة ابيها فلما خرجت ارسل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى ام ولده مارية القبطية فادخلها بيت حفصة فوقع عليها فلما رجعت حفصة وجدت الباب مغلقا فرجعت فجلست عند الباب فخرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ووجهه يقطر عرقا وحفصة تبكي فقال عليه الصلاة والسلام ما يبكيك فقالت انما اذنت لي من اجل هذا ادخلت امتك بيتي ثم وقعت عليها في يومي على فراشي ما رأيت لي حرمة وحقا وما كنت تصنع هذا بامرأة منهن فقال عليه الصلاة والسلام اليس هي جاريتي احلها الله لي اسكتي فهي حرام على التمس بذاك رضاك فلا تخبري بهذا امرأة منهن فلما خرج عليه الصلاة والسلام قرعت حفصة الجدار الذي بينها وبين عائشة رضي الله عنها فقالت الا ابشرك ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد حرم عليه امته مارية وقد اراحنا الله منها واخبرت عائشة بما رأت وكانتا متصافيتين متظاهرتين على سائر ازواج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فغضبت عائشة فلم تزل بنبي الله حتى حلف ان لا يقربها فنزلت هذه الرواية صريحة في انه عليه الصلاة والسلام آتى بلفظ اليمين بعد التحريم فوجوب الكفارة مبني عليه ولفظ التحريم لا اثر له فيها وذكر الامام محيي السنة ايضا انه عليه الصلاة والسلام لما رأى الكراهية في وجه حفصة اراد ان يرضيها فاسر اليها شيئين تحريم الامة على نفسه وتبشيرها بان الخلافة بعده في ابي بكر وبعده في ابيها عمر رضي الله عنهما فاخبرت به حفصة عائشة فاطلع الله تعالى نبيه على افشاء حفصة اياه وعرف النبي حفصة بعض ما اخبرت به عائشة وهو تحريم الامة واعرض عن بعض يعني ذكر الخلافة كره عليه الصلاة والسلام ان ينتشر ذلك في الناس تكرما منه عليه الصلاة والسلام وحلما فانه قيل ما استقصى كريم قط وكلمة اذ في قوله تعالى واذ اسر النبي الى بعض ازواجه مفعول به لاذكر المقدر فهو مفعول به لا ظرف والمعنى اذكر اذ اسر النبي وفاعل نبأت مستتر فيه يرجع الى بعض ازواجه والاصل في صو

مع احتمال انه عليه الصلاة والسلام آتى بلفظ اليمين كما قيل (والله مولاكم) متولي اموركم (وهو العليم) بما يصلحكم (الحكيم) المتقن في افعاله واحكامه (واذ اسر النبي الى بعض ازواجه) يعني حفصة (حديثا) تحريم مارية او العسل او ان الخلافة بعده لابي بكر وعمر رضي الله عنهما (فلما نبأت به) اي فلما اخبرت حفصة عائشة بالحديث (واظهره الله عليه) واطلع النبي عليه السلام على الحديث اي على افشائه (عرف بعضه) عرف الرسول عليه السلام حفصة بعض ما فعلت (واعرض عن بعض) عن اعلام بعض تكرما او جازاها على بعضه بتطليقه اياها وتجاوز عن بعض ويؤيده قرآءة الكسائي بالتخفيف فانه لا يحتمل ههنا غيره

نبأ وانبأ ان يتعدى الى مفعولين الى الاول بنفسه والى الثانى بحرف الجر وقد يحذف الجار تخفيفا وقد يحذف الاول اعتمادا على مايدل عليه وقد جاءت الاستعمالات الثلاثة فى هذه الآيات فان قوله تعالى فلما نبأت به تعدى الى اثنين وحذف اولهما والثانى مجرور بالباء وهو ضمير الحديث اى نبأت حفصة صاحبتها التى هى عائشة بالحديث الذى اسره اليها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والضمير المنصوب فى اظهره للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وضمير عليه راجع الى الحديث بتقدير المضاف اى على افشائه فعلى هذا يكون اظهر متضمنا معنى اطلع من ظهر فلان السطح اذا علاه واظهره السطح اى رفعه عليه فاستعير للاطلاع على الشئ اى اطلع الله النبى على افشاء حفصة ذلك الحديث على لسان جبريل عليه الصلاة والسلام والمرفوع المستتر فى عرف للنبى ومفعوله الاول محذوف اى عرف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حفصة بعض ماافشته الى صاحبتها بان قال لها على طريق العتاب الم اك امرتك ان تكتمى سرى ولاتبديه لاحد وذكر لها بعض الذى افشته وقال لها الم اك قد ذكرت كذا وسكت عن بعض ولم يذكره لها تكرما عن الاستقصا ، وقد قيل ان الكريم لايبالغ فى العتاب وهذا المعنى على قرآءة التشديد فى عرف وهى قرآءة الجمهور وقرأ الكسائى بتخفيف الراء قال الفرآء معناه غضب فيه وجازى عليه وهو من قول العرب انا اعرف الاحسان اى اجازى عليه وفى التنزيل وماتفعلوا من خير يعلمه الله اى يجازى عليه وانما احتيج الى هذا التأويل على قرآءة التخفيف لان تلك القرآءة لاتحتمل غيره لانه تعالى اعلمه بجميع ماانبأت به حفصة صاحبتها لقوله تعالى واظهره الله عليه قال المفسرون انه عليه الصلاة والسلام جازى حفصة بان طلقها طلقة واحدة فلمابلغ ذلك عمر رضى الله عنه قال لو كان فى آل الخطاب خير لماكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم طلقك فامره جبريل بمراجعتها وشفع فيها وقيل هم بطلاقها حتى قال له جبريل لاتطلقها فانها صوامة قوامة وانها من نسائك فى الجنة فلم يطلقها (قوله لكن المشدد من باب اطلاق اسم المسبب على السبب) يعنى ان كل واحدة من قراءتى التشديد والتخفيف تدل على معنى المجازاة الا انه فى قرآءة التشديد ذكر المسبب وهو التعريف واريد السبب الذى هو المجازاة فان عتاب المسئ ومجازاته سبب لتعريف اساءته كما ان معرفة اساءة المسئ سبب لمجازاته فان مجازاة المسئ بها تعرف اساءته كما ان معرفة اساءته سبب لمجازاته روى انه عليه الصلاة والسلام اعتزل نساءه وحلف ان لايدخل عليهن شهرا من شدة غضبه عليهن حين عاتبه الله تعالى بسببهن وقعد فى مشربة مارية ام ابراهيم عليه الصلاة والسلام

لكن المشدد من باب اطلاق اسم المسبب على السبب والمخفف بالعكس ويؤيد الاول قوله (فلما نبأها به قالت من انبأك هذا قال نبأنى العليم الخبير) فانه اوفق للاعلام (ان تتوبا الى الله) خطاب لحفصة وعائشة على الالتفات للمبالغة فى المعاتبة

(ومن)

وعن عمر رضي الله عنه قال سمعت الناس يقولون انه عليه الصلاة والسلام طلق نساءه فدخلت على حفصة وهي تبكي فقلت لها اطلقك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قالت لاادري هو معتزل في هذه المسربة فأتيته فدخلت فسلمت عليه فقلت اطلقت نساءك يارسول الله فقال لافقلت الله اكبر وفيه تفصيل كثير ذكره في المعالم فقعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في بيت مارية حتى نزلت آية التخيير قالت عائشة فلما مضت تسع وعشرون ليلة دخل على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقلت يارسول الله انك كنت اقسمت ان لاتدخل علينا شهرا وانك قد دخلت مع تسع وعشرين اعدهن فقال عليه الصلاة والسلام ان الشهر تسع وعشرون وكان ذلك الشهر كذلك ثم قال لي ياعائشة اني ذاكرلك امرا فعليك ان لاتعجلي فيه حتى تستأمري ابويك ثم قال ان الله عزوجل قال ياايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين امتعكن واسرحكن سراحا جميلا وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله اعد للمحسنات منكن اجرا عظيما فخيرني بمقتضى هذه الآية الكريمة فاخترت الله ورسوله ثم خير سائر نسائه فقلن كلهن مثل ماقلت رضي الله عنهن اجمعين وكانت تحته يومئذ تسع نسوة خمس من قريش عائشة وحفصة وام حبيبة بنت ابي سفيان وام سلمة بنت امية وسودة بنت زمعة وغير القرشيات زينب بنت جحش الاسدية وميمونة بنت الحارث الهلالية وصفية بنت حيي ابن اخطب الخزومية وجويرية بنت الحارث المصطلقية رضي الله عنهن وعن سائر الصحابة اجمعين والمستتر في قوله تعالى فلما نبأها به ضمير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والبارز في نبأها به ضمير حفصة والمجرور في به ضمير الحديث الذي افشته حفصة اي فلما اخبر النبي حفصة بما اظهره الله عليه من انها افشت سره عليه الصلاة والسلام قالت حفصة عليه الصلاة والسلام من اخبرك هذا بناء على انها ظنت ان عائشة اخبرته بذلك ثم انه تعالى لما ذكر ان بعض ازواج رسول الله افشت سره صلى الله تعالى عليه وسلم ونبأت به صاحبتها خاطبهما على سبيل الالتفات وعاتبهما بان اخبرهما ان قلوبكما زاغت عن الحق واوجب عليهما التوبة فقال ان تتوبا الى الله اي من التعاون وايذائه عليه الصلاة والسلام روى عن ابن عباس انه قال لم ازل حريصا على ان اسأل عمر عن المخاطب بقوله تعالى ان تتوبا منهما حتى حج وحججت معه فلما كان ببعض الطريق عدل وعدلت معه بالاداوة فسكبت الماء على يديه فتوضأ فقلت له من هما فقال عجبا يا ابن عباس كانه كره ما سألته عنه قال هما حفصة وعائشة (قوله فقد وجد منكما ما يوجب

(فقد صغت قلوبكما) أي فقد وجد منكما ما يوجب

التوبة وهو ميل قلوبكما عن الواجب من مخالفة الرسول عليه السلام بحب ما يحبه وكراهية مايكرهه (وان تظاهرا عليه) وان تتظاهرا عليه بما يسوءه وقرأ الكوفيون بالتخفيف (وان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير) فلن يعدم من يظاهره من الله والملائكة وصلحاء المؤمنين فان الله ناصره وجبريل رئيس الكروبيين قرينه ومن صلح من المؤمنين اتباعه واعوانه والملائكة متظاهرون وتخصيص جبريل لتعظيمه والمراد بالصالح الجنس ولذلك عم بالاضافة وبقوله بعد ذلك تعظيم لمظاهرة الملائكة من جملة من ينصره الله به (عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن) على التغليب او تعميم الخطاب وليس فيه ما يدل انه لم يطلق حفصة وان في النساء خيرا منهن لان تعليق طلاق الكل لاينافي تطليق واحدة والمعلق بما لم يقع لايوجب وقوعه وقرأ نافع وابو عمرو ان يبدله بالتخفيف

التوبة) اشارة الى ان قوله تعالى فقد صغت قلوبكما ليس جزاء الشرط من حيث ان صغو قلوبهما كان سابقا على الشرط فلا يصح كونه جزاء له لان الجزاء يجب ان يكون مرتبا على الشرط مسببا عنه بل جزاء الشرط محذوف والمذكور يدل عليه من حيث انه علته اى ان تتوبا فقد أتيتما بما وجب عليكما انوجد منكما ما يوجب التوبة وهو ميل قلوبكما عن الواجب حيث احببتما ما كرهه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من اجتناب جاريته واجتناب العسل وكان عليه افضل الصلاة واشرف التسليم يحب العسل والنساء اى ان صغو القلب الى اجتناب جاريته عليه الصلاة والسلام ذنب موجب للتوبة وجمع القلوب مع ان الشخصين لا يكون لهما اكثر من قلبين لبعد الالتباس وللاحتراز عن الجمع بين تثنيتين فى لفظ واحد (قوله وقرأ الكوفيون بالتخفيف) اصله تتظاهرا فحذفوا احدى التاءين وقرأ الباقون بتشديد الظاء بادغام التاء فيها والمعنى وان تتعاونا على ما يسوءه من الافراط فى التعبير وافشاء سره عليه الصلاة والسلام وجوابه ايضا محذوف وقد اشار اليه بقوله فلن يعدم من يظاهره وكيف يعدم المظاهر والله مولاه اى وليه وناصره ولفظ هو فى قوله تعالى هو مولاه يجوز ان يكون فصلا لامحل له ومولاه خبر ان ويجوز ان يكون مبتدأ ومولاه خبره والجملة خبر ان وهذا الوجه هو الاولى لان المقام مقام الدلالة على تقوى الحكم والايذان بان نصرته عزيمة من عزائمه تعالى وانه يتولى ذلك بذاته وفى جعله فصلا بحث لانه قد تقرر ان توسط ضمير الفصل بين المبتدأ والخبر المعرفتين يفيد الحصر واذا انحصرت الولاية له عليه الصلاة والسلام فى الله تعالى كيف يصح عطف جبريل وما بعده عليه فانه لايقال زيد هو المنطلق وعمرو بل يقال لاغير (قوله رئيس الكروبيين) اشارة الى وجه تعظيم جبريل بتخصيصه بالذكر وعدم الاكتفاء عن ذكره بذكر الملائكة والكروبيون بتخفيف الراء بمعنى المقربين من كرب الشئ اذا دنا وقرب قيل فى هذا اللفظ ثلاث مبالغات احداها ان كرب ابلغ من قرب والثانية انه على وزن فعول وهو من اوزان المبالغة والثالثة زيادة الياء فيه وهى تزاد للمبالغة كاحرى (قوله متظاهرون) يعنى ان الظهير بمعنى الجمع ليطابق الملائكة وافراد لفظه بناء على ان فعيلا يطلق على الواحد والكثير كفعول وفى التنزيل خلصوا نجيا وحسن اولئك رفيقا (قوله ولذلك عم بالاضافة) اى ولكون المراد بالصالح جنس من آمن وعمل صالحا عم باضافته لكل فرد من افراد الجنس المذكور فان اضافة اسم الجنس تفيد العموم (قوله وبقوله بعد ذلك) اى والمراد بقوله بعد ذلك تعظيم لمظاهرة الملائكة (قوله من جملة من ينصره الله به)

(يعنى)

(مسلمات مؤ منات) مقرات مخلصات او منقادات مصدقات

يعنى ان المراد بالبعدية البعدية بحسب الرتبة والاشارة الى نصرة الله تعالى بتوسط صلحاء المؤمنين ولا شك ان مظاهرة الملائكة اعظم من نصرة سائر ما يكون واسطة فى نصرة الله تعالى اياه عليه الصلاة والسلام لانه تعالى مكن الملائكة على مالم يمكن الانسان عليه وليس المراد البعدية الزمانية لان تظاهر الملائكة على مولاه عليه الصلاة والسلام ليس بعد موالاة صلحاء المؤمنين زمانا ثم انه تعالى لما نبههما بانه قد صغت قلوبكما وانه يجب عليكما ان تتوبا شرع فى تخويفهما بان ذكر لهما انه عليه الصلاة والسلام يحتمل ان يطلقكما ثم انه عليه الصلاة والسلام ان طلقكما لايعود ضرر ذلك الا عليكما فانه تعالى يبدله حينئذ ازواجا خيرا منكما الا انه تعالى خاطب جميعهن مع ان الخطاب السابق ليس الامع اثنتين منهن على تغليب المخاطب على غيره حيث عبر عن الجميع بما يعبر به عن الحاضر بن فان الخطاب السابق انما كان مع حفصة وعائشة فكذا هذا الخطاب الا انه ادخل الغائبات فى الخطاب وخوطبن جميعا بطريق تغليب الحاضر على الغائب ويحتمل ان يكون التعبير عن الجميع بقوله طلقكن بناء على قصد تعميم الخطاب للجميع قيل كل عسى فى القرءآن واجب الا هذا وقيل هو ايضا واجب ولكن الله تعالى علقه بشرط وهو التطليق ولم يطلقن فان المذهب انه ليس على وجه الارض نساء خيرا من امهات المؤمنين الا انه عليه الصلاة والسلام اذا طلقهن لعصيانهن له وايذائهن اياه كان غيرهن من الموصوفين بهذه الصفات مع الطاعة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خيرا منهن وهذه الخيرية لما علقت بما لم يقع لم تكن واقعة فى نفسها وكان الله تعالى عالما بانه عليه الصلاة والسلام لايطلقهن ولكن اخبر عن قدرته على انه ان طلقهن ابدله خيرا منهن تخويفا لهن كقوله تعالى وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لايكونوا امثالكم وقوله وقرأ نافع وابو عمرو بالتخفيف هذا مخالف لما ذكر فى التيسير فى فرش سورة الكهف من انه قرأ نافع وابو عمرو ان يبدلهما وفى التحريم ان يبدله وفى نون والقلم ان يبدلنا فى الثلاثة بالتشديد وقرأ الباقون بالتخفيف فينبغى ان يكون ما فى الكتاب سهوا من الناسخين وقوله تعالى ان طلقكن شرط معترض بين اسم عسى وخبرها وجوابه محذوف اومتقدم اى ان طلقكن فعسى ربه ان يبدله وازواجا مفعول ثان لقوله ان يبدله وخيرا صفة للازواج وكذا مابعده من قوله مسلمات الى قوله ثيبات واخليت هذه الصفات كلها عن العاطف وجيئ به بين الثيبات والابكار وهما صفتان ايضا لانهما صفتان متنافيتان لايجتمعان فى واحد بخلاف سائر الصفات (قوله مقرات مخلصات) فرق بين الاسلام والايمان او لابان الاسلام هو الاقرار باللسان والايمان

(قانتات) مصليات او مواظبات على الطاعة (تائبات) عن الذنوب (عابدات) متعبدات او متذللات لامر الرسول عليه السلام (سائحات) صائمات سمى الصائم سائحا لانه يسيح فى النهار بلا زاد او مهاجرات (ثيبات وابكارا) وسط العاطف بينهما لتنافيهما ولانهما فى حكم صفة واحدة اذ المعنى مشتملات على الثيبات والابكار (يا أيها الذين آمنوا قوا انفسكم) بترك المعاصى وفعل الطاعات (و اهليكم) بالنصح والتأديب وقرئ اهلوكم عطفا على و او قوا فيكون انفسكم انفس القبيلين على تغليب المخاطبين (نارا وقودها الناس والحجارة) نارا تتقد بهما اتقاد غيرها بالحطب (عليها ملائكة) تلى امرها وهم الزبانية (غلاظ شداد) غلاظ الاقوال شداد الافعال او غلاظ الخلق شداد الخلق اقويا على الافعال الشديدة (لايعصون الله ما امرهم) فيما مضى (و يفعلون مايؤمرون) فيما يستقبل اولايمتنعون عن قبول الاوامر والتزامها و يؤدون مايؤمرون به (يا ايها الذين كفروا لاتعتذروا اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون) اى يقال لهم ذلك عند (المعاصى

هو الاخلاص وثانيا بان الاسلام هو الانقياد الظاهر بالجوارح والايمان هو التصديق القلبي والاسلام بهذا المعنى لايستلزم الايمان بالمعنى المذكور فلذلك ذكر كل واحد منهما على حدة (قوله مصليات) هكذا فسره الحسن وفى الصحاح القنوت فى الاصل هو الطاعة ومنه قوله تعالى والقانتين والقانتات ثم سمى القيام فى الصلاة قنوتا وفى الحديث افضل الصلاة طول القنوت ومنه قنوت الوتر وفيه ايضا اصل العبودية الخضوع والذل والتعبيد التذليل يقال طريق معبد اى مذلل والعبادة الطاعة والتعبد التنسك ثم انه تعالى لما عاتب نساء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ودلهن على رشدهن امر الناس جميعا بطاعة الله تعالى والانتهاء عما نهاهم عنه وبان يأمروا ازواجهم واولادهم بذلك ويعلموهم الخير فقال ياايها الذين آمنوا قوا انفسكم قوله قوا امر لجماعة الحاضرين من وقاه يقيه اى حفظه قال عمر رضى الله تعالى عنه يا رسول الله نقى انفسنا فكيف لنا باهلينا قال عليه الصلاة والسلام تنهونهم عما نهاكم الله عنه وتأمرونهم بما امركم الله به وقوله تعالى نارا مفعول ثان لقوله قوا لان وقى يتعدى الى مفعولين كما فى قوله تعالى فوقاه الله سيئات مامكروا وقوله تعالى وقودها الناس صفة لنارا والوقود بفتح الواو الحطب وبالضم مصدر بمعنى التوقد وقرئ به فلا بد من تقدير مضاف اى ذو وقودها (قوله تلى امرها) اى ليس المراد بالاستعلاء المدلول عليه بقوله عليها الاستعلاء الحسى الحقيقى بل المراد الاستعلاء المعنوى وهو الاستيلاء والغلبة على ما فيها من الامور (قوله او غلاظ الخلق شداد الخلق) لا يرحمون اذا استرحموا خلقوا من الغضب مقتضى جبلتهم تعذيب الخلق كما ان مقتضى الحيوان الاكل والشرب مابين منكبي احدهم مسيرة سنة لوضرب احدهم بمقمعته ضربة واحدة سبعين الفا لهووا فى النار وقال عليه الصلاة والسلام فى حق خزنة جهنم ما بين منكبي احدهم كما بين المشرق والمغرب (قوله فيما مضى وفيما يستقبل) لما توهم اتحاد الجملتين من حيث المعنى لان العصيان عبارة عن مخالفة الامر وترك المأمور به فيكون انتفاء العصيان باتيان المأمور به فيكون عطف قوله ويفعلون مايؤمرون على ما قبله كعطف الشئ على نفسه اشار بما ذكره الى الفرق بين الجملتين بان اتيان المأمور به علق اولا بقوله ما امرهم وثانيا بقوله ما يؤمرون فاختلفت الجملتان باختلاف المتعلق وتقرير الوجه الثانى ان المراد بعدم العصيان تقبل ما امروا به والالتزام باتيانه من غير استثقال وتردد وبفعل ما امروا به اتيانه حسبما التزموه ثم انه تعالى لما امر المؤمنين بترك

دخولهم النار والنهي عن الاعتذار لانه لا عذر لهم او العذر لا ينفعهم (يا ايها الذين آمنوا توبوا
الى الله توبة نصوحا) اى بالغة فى النصح وهوا صفة التائب فانه ينصح نفسه بالتوبة وصفت به على الاسناد المجازى مبالغة او فى النصاحة وهى الخياطة كأنها تنصح ما خرق الذنب وقرأ ابو بكر بضم النون وهو مصدر بمعنى النصح كالشكر و الشكور او النصاحة كالثبات و الثبوت تقديره ذات نصوح او تنصح نصوحا او توبوا نصوحا لانفسكم وسئل على رضى الله تعالى عنه عن التوبة فقال يجمعها ستة اشياء على الماضى من الذنوب الندامة و للفرائض الاعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وان تعزم على ان لا تعود و ان تربى نفسك فى طاعة الله كما ربيتها فى المعصية (عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم و يدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار) ذكر بصيغة الاطماع جريا على عادة الملوك و اشعارا بانه تفضل
والتوبة غير موجب وان العبد ينبغى ان يكون بين خوف ورجاء (يوم لا يخزى الله النبى) ظرف ليدخلكم

المعاصى وفعل الطاعات بين لهم ان العذر لا يقبل يوم القيامة فقال يا ايها الذين كفروا الآية ثم نبه المؤمنين على ان طريق وقاية الانفس من النار هو التوبة النصوح فقال يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا (قوله اى بالغة فى النصح) اشارة الى ان نصوحا من ابنية المبالغة مثل صبور وشكور والنصح والنصاحة خلوص الود وصفاء المحبة قال الاصمعى الناصح الخالص من العسل وغيره وكل شئ خلص فقد نصح وقيل النصح الصدق من قولهم نصحت الابل الشرب تنصح نصوحا اى صدقته وانصحتها انا اى اورويتها ومنه التوبة النصوح وهى الصادقة التى يقلع بها صاحبها عن المعصية قلبا وقالبا و يندم على ما صدر منه كمال الندامة ونصح التوبة بمعنى صدقها يستلزم كون صاحبها ناصحا نفسه خالصا فى ارادة الخير لها فان التائب اذا صدق الله تعالى فى توبته بان توجه اليه بكليته راجعا عن المعصية باتم وجوهه فقد نصح وخلص نفسه بتوبته على الوجه المذكور فلذلك لم يتعرض المصنف لتفسير النصح بالصدق و قال وهو صفة التائب وجعل اسنادا لنصح الى التوبة اسنادا مجازيا كما فى جد جده (قوله او فى النصاحة) عطف على قوله فى النصح اى وقيل كون التوبة نصوحا عبارة عن كونها بالغة فى خياطة ما خرقه الذنب واصلاحه الجوهرى النصح بالفتح مصدر قولك نصحت الثوب خطته ومنه رفأت الثوب ارفؤه رفئا اذا اصلحت ماهى منه ورعالم يهمز (قوله تقديره ذات نصوح ذكر لانتصاب نصوحا على تقدير كونه مصدرا ثلاثة اوجه الاول انه صفة توبة بتقدير المضاف و يجوز ان يكون من باب التوصيف بالمصدر للمبالغة مثل رجل عدل والثانى انه مصدر مؤكد لفعله المحذوف والجملة صفة توبة اى تنصحهم نصوحا والثالث انه مفعول له اى لاجل النصوح لانفسكم (قوله يجمعها ستة اشياء) زاد الكشاف سابعا وهو قوله وان تذيقها مرارة الطاعات كما اذقتها حلاوة المعاصى فالمذكور على نقله سبعة اشياء لكن رد المظالم واستحلال الخصوم فى حكم شئ واحد من حيث اشتراكهما فى كون الذنب الذى تاب عنه من حقوق العباد كان قوله وللفرائض الاعادة على تقدير ان يكون الذنب حقا لله تعالى كترك صلاة او صوم او تفريط فى زكاة فان التوبة عن امثالها لا تنصح حتى ينضم الى الندم قضاء مافات منها كأنه قيل ان كان الذنب من حقوق الله تعالى فالتوبة عنه تكون بالاعادة و القضاء وان كان من حقوق العباد فلا يخلوا اما ان يكون ماليا او متعلقا بالعرض فاذا كان ماليا فالواجب رده ان كان باقيا ورد عوضه ان كان تالفا وان كان متعلقا بالعرض

(والمؤمنين معه) عطف على النبي عليه الصلاة والسلام احمادا لهم وتعريضا لمن ناواهم وقيل مبتدأ خبره (نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم) اى على الصراط (يقولون) اذا طفئ نور المنافقين (ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شئ قدير) وقيل تتفاوت انوارهم بحسب ﴿ ٥٠٠ ﴾ اعمالهم فيسألون اتمامه تفضلا (يا ايها النبي جاهد الكفار) بالسيف (والمنافقين) بالحجة (واغلظ عليهم) واستعمل الخشونة فيما تجاهدهم اذا بلغ الرفق مداه (ومأويهم جهنم وبئس المصير) جهنم او مأويهم (ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط) مثل الله حالهم فى انهم يعاقبون بكفرهم ولا يحابون بما بينهم وبين النبي عليه الصلاة والسلام والمؤمنين من النسبة بحالهما (كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين) يريد به تعظيم نوح ولوط عليهما السلام (فخانتاهما) بالنفاق (فلم يغنيا عنهما من الله شيئا) فلم يغن النبيان عنهما بحق الزواج اغناءما (وقيل) اى لهما عند موتهما او يوم القيامة (ادخلا النار مع الداخلين) مع سائر الداخلين من الكفرة الذين لا وصلة بينهم وبين الانبياء (وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون) شبه حالهم فى ان وصلة الكافرين لا تضرهم بحال (عليه) آسية رضى الله عنها ومنزلتها عند الله مع انها كانت تحت اعدى اعداء الله (اذ قالت) ظرف للمثل المحذوف (رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة) قريبا من رحمتك او فى اعلى درجات المقربين (ونجنى من فرعون وعمله) من نفسه

كالسفاهة والغيبة قالوا يجب استئصال الحصم (قوله عطف على النبي) اى ولا يخزى الذين آمنوا فعلى هذا يكون نورهم يسعى مستأنفا اوحالا وان جعل الموصول مبتدأ ونورهم يسعى خبره يكون قوله يقولون خبرا بعد خبر ثم انه تعالى لما عاتب اوزواج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ودعاهن الى ماهو اصلح لهن ثم خوف المؤمنين بعذاب الآخرة ودعاهم الى التوبة النصوح دعا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الى الجهاد ودعا كل طائفة الى ماهو الاصلح لها فقال يا ايها النبي جاهد الكفار ثم انه تعالى لما حكم بان مأوى الكفار والمنافقين جهنم زعم الذين بينهم وبين النبي صلى الله تعالى عليه وسلم او بينهم وبين المؤمنين نسبة اووصلة بنسب ان ينتفعوا بها فابطل الله تعالى زعمهم بان مثل حالهم بحال امرأتين كافرتين كانتا تحت نبيين فانهما لم ينتفعا بالانتساب الى ذينك العبدين المكرمين عند الله تعالى لتحقق المخالفة بينهما وبين زوجيهما فى الطريقة والسيرة فكذلك الكفار والمنافقون لاينتفعون بالانتساب الى المقربين عند الله تعالى وفى ضرب هذا المثل نوع تعريض بأمي المؤمنين حفصة وعائشة رضى الله تعالى عنهما بان وصلتهما بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم لاتغنى عنهما من الله شيأ اذا عصتا وتظاهرتا على ما يسوءه ولذلك ذكر امرأتين تحت نبيين (قوله تعالى كانتا تحت عبدين) جملة مستأنفة لبيان حال الامرأتين حتى يتضح التمثيل (قوله يريد به) اى بنظم الكلام على هذا الاسلوب حيث وضع الظاهر موضع الضمير فان الظاهر ان يقال كانتا تحتهما لتقدم ذكر نوح ولوط عليهما الصلاة والسلام (قوله بالنفاق) وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان خيانتهما لم تكن بالبغى لانه ما بغت امرأة نبي قط وانما خانتا بسبب انهما على غير دين زوجيهما بالشرك والنفاق قطع الله بهذه الآية طمع من يرتكب المعصية ثم طمع ان ينفعه صلاح غيره ثم انه تعالى لما مثل حال الكفار بحال امرأة نوح وامرأة لوط فى انهما لم ينتفعا بصلاح زوجيهما مثل ايضا حال المؤمنين بحال امرأة فرعون فى انها لم تضرها وصلة الكافر وجوزيت على حسب اخلاصها وصبرها على اذية الكفار لثباتها على دينها وبحال مريم ام عيسى

عليه الصلاة والسلام في انه تعالى اكرمها بمجرد صلاحها في نفسها مع كونها ارملة لا زوج لها صالح ولا طالح فقال وضرب الله مثلا للذين آمنوا الآية وضرب بمعنى جعل و صير و مثلا مفعوله الاول وامرأة فرعون مفعوله الثاني بتقدير المضاف اي جعل الله مثلا للذين آمنوا مثل امرأة فرعون والمثل المقدر بمعنى الحال او القصة الغريبة وهذا تصريح بان المثل اريد به معناه المجازي وهو الحال او القصة الغريبة فلذلك تعلق به الظرف وهو قوله اذ قالت اي شبه و مثل حالهم بحالها وقت قولها رب ابن لي عندك بيتا وليس المراد بالعندية فيه عندية المكان وهو ظاهر بل انها طلبت القرب من رحمة الله تعالى والبعد من عذاب اعدائه ثم بينت مكان القرب فقالت في الجنة و يحتمل ان يكون قولها عندك كناية عن ارتفاع درجتها في الجنة كانها قالت رب ابن لي عندك بيتا رفيعا في جنة المأوى التي هي اقرب الجنان الى العرش روى انه لما غلب موسى عليه الصلاة والسلام السحرة آمنت آسية امرأة فرعون وقيل هي عمة موسى آمنت به فلما تبين لفرعون اسلامها اوتد يديها ورجليها باربعة اوتاد وألقاها في الشمس قيل امر فرعون بان يلقى عليها صخرة وهي في الاوتاد فدعت الله تعالى بقولها رب ابن لي عندك بيتا في الجنة فرفع روحها الى الجنة فالقيت الصخرة على جسد لا روح فيه وقيل استأنفت وملت صحبة فرعون فسألت ذلك فكشف الله تعالى عن بيتها في الجنة حتى رأته قبل موتها (قوله في فرجها) قال المفسرون المراد بالفرج ههنا الجيب فان جبريل عليه الصلاة والسلام قد جيب درعها باصبعه ثم نفخ في جيبها فحملت بعيسى فعلى هذا يكون قوله تعالى فيه من باب الاستخدام لان الظاهر ان المراد بلفظ الفرج في قوله تعالى احصنت فرجها هو العضو واريد بضميره معنى آخر للفرج وهو جيب القميص فان كل خرق في الثوب يطلق عليه لفظ الفرج ومنه قوله تعالى وما لها من فروج قال صاحب الكشاف ومن بدع التفاسير ان الفرج هو جيب الدرع واختار ان يحمل على اصل معناه العرفي وصفها الله تعالى بقوله احصنت فرجها ابطالا لقول من قذفها بالزنى والعياذ بالله تعالى وقوله فنفخنا من باب اسناد الفعل الى السبب الآمر والاصل نفخ جبريل بامرنا من روحنا اي روحا من ارواحنا وهو روح عيسى عليه الصلاة والسلام (قوله اي في مريم) قيل فعلى هذا يدل الكلام على احياء مريم لان نفخ الروح في الجسد عبارة عن احيائه وليس المراد احياء مريم بل المراد احياء عيسى عليه الصلاة والسلام في بطن مريم فينبغي ان يكون

عطف على امرأة فرعون تسلية للارامل (التي احصنت فرجها) من الرجال (فنفخنا فيه) في فرجها وقرئ فيها اي في مريم او الحمل (من روحنا) من روح خلقناه بلا توسط اصل (وصدقت بكلمات ربها) بصحفه المنزلة او بما اوحى الى انبيائه (وكتبه) وما كتب في اللوح او جنس الكتب المنزلة ويدل عليه قراءة البصريين وحفص بالجمع وقرئ بكلمة الله وكتابه اي بعيسى والانجيل (وكانت من القانتين) من عداد المواظبين على الطاعة والتذكير للتغليب والاشعار بان طاعتها لم تقصر عن طاعة الرجال الكاملين حتى عدت من جملتهم او من نسلهم فتكون من ابتدائية * عن النبي عليه الصلاة والسلام كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا اربع آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وفضل عائشة على النساء

تقدير الكلام حينئذ نفخنا الروح فى عيسى فيها بمعنى احييناه فيها (قوله كفضل الثريد على سائر الطعام) فان العرب لايؤثرون على الثريد شيأ من الطعام وذلك لان الثريد مع اللحم جامع بين الغذاء واللذة وسهولة التناول ونحو ذلك * تمت سورة التحريم والحمد لله وحده وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين وحسبنا الله ونعم الوكيل آمين آمين آمين

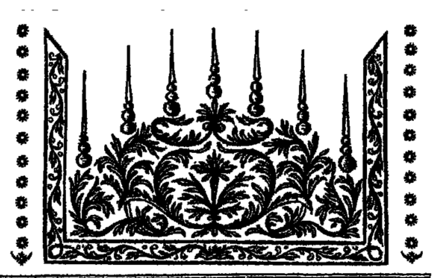
تمت الجلد الثامن من شيخ زاده فى حاشية تفسير القاضى البيضاوى عليه رحمة الملك البارى ويليه الجلد التاسع يسر ختامه المولى النافع

تم

كفضل الثريد على سائر الطعام وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة التحريم آتاه الله توبة نصوحا

﴿ هذا فهرست الجلد التاسع من حاشية شيخ زاده ﴾

تمت الجلد التاسع



(سورة الملك مكية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(سورة الملك مكية ثلاثون آية) (بسم الله الرحمن الرحيم) (تبارك الذي بيده الملك) بقبضة قدرته التصرف في الامور كلها (وهو على كل شئ قدير) على كل مايشاء قدير

(قوله تعالى تبارك) قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما اى تعالى وتعاظم عن صفة المخلوقين الذي بيده الملك اى على كل موجود لامتصرف فى العالم غيره لان تقديم الظرف يفيد الاختصاص وقيل انه تفاعل من البركة وهى النماء والزيادة اى كثرت بركات اسمائه وصفاته ووصلت صنوف احسانه الى جميع خلقه وقيل من البروك وهو الثبات والقرار يقال برك البعير يبرك بروكا اى استناخ وكل شئ ثبت واقام فقد برك اى دام بره ودام خيره (قوله بقبضة قدرته التصرف) يعنى ان اليد مجاز بمعنى القدرة وهى الصفة المؤثرة على وفق الارادة شبهت هذه الصفة فى الغالب بالجارحة التى هى معظم مبادى التأثير فى الشاهد فعبر عنها باسم هذه الجارحة والملك الاستيلاء على التصرف فى الموجودات كلها ويدل عليه اطلاق الملك وتعريفه باللام للاستغراق ولان الكلام مسوق لمدح ذاته وتعظيم شأنه ومقام المدح والتعظيم يستدعى الحمل على العموم (قوله على كل مايشاء) اشارة الى ان الشئ مصدر شاء بمعنى المفعول كضرب الامير ومعنى مشئ الوجود مايشاء الله وجوده وان كان موجودا فى الجملة الا ان مشيئة الوجود تستدعى سبق العدم فيكون معدوما ممكنا ولابة اول الواجب والممتنع بين الله تعالى بقوله بيده الملك انه مستولى على التصرف فى الموجودات كلها و بقوله وهو على كل شئ قدير قدرته على المعدومات الممكنة باسرها وانه لايخرج شئ من المعدومات والموجودات

(عن ملكه)

عن ملكه وقدرته فيكون قوله وهو على كل شئ قدير تكميلا لقوله بيده فان قلت ماذكرته يدل على ان الشئ اعم من الموجود والمعدوم الممكن ونحن لانقول به بل هو مذهب المعتزلة وايضا قولك الشئ لايتناول الواجب والممتنع ينافى قوله قل اى شئ اكبر شهادة قل الله فانا نسمى الله شيئا لا كالاشياء قلنا كون المعدوم الممكن شيئا بمعنى مشئ الوجود لاينافى كون الشئ مختصا بالموجود لان ماشاءالله وجوده موجود فى الجملة لان مراد الله تعالى لايتخلف عن ارادته وقولنا الشئ لايتناول الواجب هو الشئ بمعنى مشئ الوجود لا الشئ بمعنى الشائى فان الشئ اذا اطلق على البارى تعالى يكون بمعنى الشائى واما فى قوله تعالى خالق كل شئ وهو على كل شئ وكيل فان الشئ فيهما بمعنى مشئ الوجود فلا حاجة الى ان يقال انه من قبيل المخصص بدليل العقل واحتج بعضهم بهذه الآية على انه تعالى ليس بشئ فقال لوكان شيئا لكان قادرا على نفسه وخالقا لنفسه وهو محال ونحن نقول انه تعالى ليس بشئ بمعنى مشئ الوجود ولايلزم منه ان لايكون شيئا اصلا لانه تعالى شئ بمعنى انه شائى (قوله اواوجد الحياة وازالها) جواب عما يقال الحياة صفة وجودية زائدة على نفس الذات مغايرة للعلم والقدرة مصححة لاتصاف الذات بهما وبالاحساس والحركة الارادية فكونها متعلقا للخلق ظاهر واما الموت فهو صفة عدمية لكونه عبارة عن عدم هذه الصفة عن محل يقبلها فكيف يكون متعلقا للخلق وهو عبارة عن الايجاد والتكوين فلا يتعلق الا بما يقبل الايجاد فاجاب عنه اولا بان الخلق وان كان يستعمل فى الايجاد الا انه فى الاصل بمعنى التقدير يقال خلقت الاديم اذا قدرته قبل القطع قال الحجاج ماخلقت الافريت ولاوعدت الاوفيت والخلق ههنا بمعنى التقدير وثانيا بان لانسلم ان الموت صفة عدمية بل هو صفة وجودية مضادة للحياة كالحرارة والبرودة يقبل كل منهما الايجاد والتكوين الا ان ايجاد احد الضدين لما كان مستلزما لازالة الآخر عن محله عبر عن ايجاد الموت بازالة الحياة واحتج اهل السنة بهذه الآية على ان الموت صفة وجودية وقالوا انه لوكان امرا عدميا لما تعلق به الخلق والتكوين (قوله وقدم الموت) مع ان الحياة متقدمة على الموت اما لان المراد بالموت الحالة القائمة بالنطفة والعلقة والمضغة وبالحياة الحالة المرتبة على نفخ الروح فى الجنين واما لان المقصود من سوق الاية تحريض المكلفين على حسن العمل والموت ادعى الى هذا المقصود بالنسبة الى الحياة فان نصب الموت بين العينين اقوى الزواجر عن المعاصى واقوى الدواعى الى حسن العمل ولاشك ان ماهو ابلغ فى التأدية الى الغرض المسوق اليه الكلام اهم فقدم على الثانى (قوله ليعاملكم معاملة المختبر) يعنى ان البلوى وهو الاختبار والامتحان ليس على

(الذى خلق الموت والحياة) قدرهما اواوجد الحياة وازالها حسبما قدره وقدم الموت لقوله وكنتم امواتا فاحياكم ولانه ادعى الى حسن العمل (ليبلوكم) ليعاملكم معاملة المختبر بالتكليف ايها المكلفون

حقيقته لانه انما يتصور ممن يخفى عليه عاقبة الامر بل هو وارد على سبيل الاستعارة التمثيلية وهي ان يشبه صورة منتزعة من عدة امور بصورة اخرى مثلها و يدعى دخول الاولى في جنس الثانية للمبالغة فيطلق على الاولى اللفظ المركب الدال على الثانية فيعتبر التجوز في مجموع ذلك اللفظ المركب لافي مفرداته بل هي باقية على حالها من كونهما حقيقة اومجازا كما في قولك اني اراك تقدم رجلا وتؤخر اخرى فكذا في هذه الآية الكريمة شبهت حاله تعالى مع المخاطبين الذين كلفهم بالاوامر والنواهي بعدما مكنهم من فعل الطاعة والمعصية و بين لهم عاقبة كل واحدة منهما حتى يظهر منهم ما ثبت في علمه الازلى من طاعة المطيع ومعصية العاصي ليجازيهم على حسب عملهم لاعلى حسب علمه بمايصدر عنهم فانهم لايستحقون الثواب و العقاب بمافي علمه تعالى بل بما كسبوه باختيارهم بحال المختبر مع المختبر فاستعيرت العبارة الموضوعة للدلالة على حال المختبر مع المختبر لحاله تعالى مع المخاطبين وما يظهر من خلق المكلفين وتكليفهم من طاعتهم ومعصيتهم باختيارهم غيرماتعلق به العلم الازلى منهما فان العلم الازلى يتعلق بهما قبل وقوعهما باعتبار انهما سيقعان اولا يقعان لان ذلك لايكون عملاوما يظهر من خلقهم وتكليفهم هو تحققهما ووقوعهما بالفعل فمعنى قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا ليعلم هذا المعنى واقعا بعد ماعلم انه سيحصل ولايلزم منه تجدد علمه تعالى وحدوثه بل التجدد انما هو في جانب المعلوم وزعمت الفلاسفة انه تعالى يعلم الجزئيات على وجه كلي هربا من تجدد علمه تعالى وذهب المسلمون الى انه تعالى يعلم الجزئيات على وجه جزئي فيعلم عند وجودها انهـا وجدت وعند عدمها انها عدمت كما انه تعالى يعلم في الازل انهاستوجد في وقت وتعدم في آخر فلايعتبر علمه الازلى بل المعتبر تعلقاته على حسب تغير المعلوم و اللام في قوله تعالى ليبلوكم تدل على ان افعاله تعالى معللة بمصالح العباد كما زعمت المعتزلة وعنداهل السنة ليس الكلام محمولا على ظاهره لقيام الدليل على انه تعالى لايفعل لغرض بل المقصود بيان الحكمة المترتبة على فعله تشبيها لها بالعلة الغائية في ان كل واحدة منهما مترتبة على وجود الفعل فان قيل الابتلاء انمايكون بالاحياء والتكليف فـما معنى خلق الموت للابتلاء والجواب عنه يعلم من قوله آنفا ولانه ادعى الى حسن العمل فان معنى الآية انه تعالى اعطاكم الحياة التي تقدرون بها على العمل وتمكنون بها منه وسلط عليكم الموت الذي هو داعيكم الى اختيار العمل الحسن على القبيح من حيث ان وراءه البعث والجزاء الذي لابد منه لبقاء حكمه وملكه ليعاملكم معاملة المختبر و يظهر مافي علمه الازلى وتميز المطيع من العاصي فيجازي كل احد بما يستحقه (قوله اصوبه واخلصه) فان احسن

(ايكم احسن عملا) اصوبه واخلصه وجاء مرفوعا احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعته

الاعمال ما كان اصوب بان يكون موافقا للسنة واخلص بان لايشوبه شئ سوى ابتغاء وجه الله والعمل اذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل واذا كان صوابا ولم يكن خالصا لوجه الله تعالى لم يقبل ايضا وفسر حسن العمل بحسن العقل لان حسن العمل يترتب على العقل فمن كان اتم عقلا كان احسن عملا فان من تم عقله يكون اشد خوفا من الله تعالى واكثر للموت ذكرا واحسن له استعدادا (قوله جملة واقعة) يعنى ان قوله تعالى ايكم مبتدأ واحسن خبره وعملا تمييز والجملة الاسمية سادة مسد المفعول الثانى لفعل البلوى وقوله المتضمن الخ دفع لما يقال من ان فعل البلوى يتعدى الى مفعول واحد بنفسه وانما يتعدى الى الثانى بواسطة الباء وقد اخذ ههنا مفعوله وهو الضمير المنصوب المتصل فكيف يصح ان يقال انه يستدعى مفعولا ثانيا يتعدى اليه بنفسه وان الجملة الاسمية واقعة موقعه وتقرير الدفع نعم ان الامر كذلك الا انه متضمن لمعنى العلم فكأنه قيل ليعلم ايكم احسن عملا وبذلك الاعتبار استدعى مفعولا ثانيا سدت الجملة الاسمية التى بعده مسده ثم ان فعل البلوى لما كان فى قوة افعال القلوب التى من خصائصها ان تعلق بحرف الاستفهام نحو علمت ازيد افضل ام عمرو وبالاسم المتضمن للاستفهام كقوله تعالى لنعلم اى الحزبين احصى احتمل ان يكون معلقا عن مفعوله الثانى باى لكونه متضمنا لمعنى الاستفهام فانك اذا قلت انى اعلم ايكم افضل كان المعنى اعلم ازيد افضل ام عمرو واعلم لايعمل فيما بعد الف الاستفهام فكذا لا يعمل فى اى لاتحاد المعنى فالمصنف دفع هذا الاحتمال بقوله وليس هذا من باب التعليق وتقرير دليله انه اذا سبق احد المفعولين والمفعول الثانى جملة مصدرة بكلمة الاستفهام لايكون الفعل معلقا عن الجملة الاستفهامية اذ يلزم منه وقوعها خبرا والانشاء لايقع خبرا كما هو المشهور عند النحويين وبيان الملازمة انه على تقدير التعليق يكون اعراب الجملة المعلق عنها كاعرابها اذا لم يتقدم عليها فعل القلب فيلزم ماذكر من كون الانشاء خبرا بخلاف ما اذا وقعت الجملة الاستفهامية موقع المفعولين فان التعليق حينئذ لايستلزم وقوع الانشاء خبرا وهو ظاهر واستدل الزمخشرى على ان الفعل لايعلق عن الجملة الاستفهامية الواقعة موقع المفعول الثانى بان الفعل لااثر له فى لفظ الجملة بل فى محلها فاذا سبق احد المفعولين والمفعول الثانى جملة وجب ان لايفرق بين كونها مصدرة باداة التعليق وغير مصدرة بها صورة اولفظا كما فى قولك علمت زيدا ابوه قائم وعلمت زيدا لابوه قائم فان محل علمت ليس الا فى محل ابوه قائم سواء صدرت الجملة باداة التعليق ام لا فلا وجه لجعل الاول من باب الاعمال والثانى من باب التعليق بل يجب ان يكون كلاهما من باب الاعمال نقل عن الزمخشرى انه قال اذا قلت علمت ازيد

جملة واقعة موقع المفعول ثانيا لفعل البلوى المتضمن معنى العلم وليس هذا من باب التعليق لانه انما يكون اذا وقع بعده ما يسد مسد المفعولين جميعا بخلاف ما اذا وقعت موقع المفعولين (وهو العزيز) الغالب الذى لايعجزه من اساء العمل (الغفور) لمن تاب منهم (الذى خلق سبع سموات طباقا) مطابقة بعضها فوق بعض مصدر طابقت النعل

المطلق فهذا تعليق الفعل عن العمل فى اللفظ والصورة فكذا يمنع الفعل عن العمل فى الصورة اذا وقع بعده مايستوجب صدر الكلام فلا يعمل الفعل المطلق فيما بعده لفظا محافظة على صدارته ويعمل تقديرا لان معنى قولك علمت لزيد منطلق علمت انطلاق زيد كما كان كذلك عند انتصاب الجزئين ومن شرط التعليق عند النحو بين ان لايذكر شئ من المفعولين كما فى قولك علمت ايهم اخوك وعلمت لزيد منطلق اما اذا قلت علمت القوم ايهم افضل فهذا الكلام صحيح فى نفسه لكنه ليس من باب التعليق عندهم واذا كان كذلك فليس مما نحن فيه وقوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا ليس من باب التعليق فى شئ لسبق المفعول وهو الضمير المنصوب وذكر فى شرح الرضى انه اذا صدر المفعول الثانى بكلمة الاستفهام فالاولى ان لايعلق فعل القلب عن المفعول الاول نحو علمت زيدا من هو وعلمت بكرا ابومن هو ويجوز بعضهم تعليقه عن المفعولين جميعا لان معنى الاستفهام يعم جميع ماوقع بعد علمت كانه قيل علمت من زيد وعلمت ابومن بكر وليس بقوى لاتفاقهم على النصب فى علمت زيدا ماهو قائما مع ان المعنى علمت ما زيد قائما (قوله اذا خصفتها طبقا على طبق) اى اذا خرزتها واضما طبقاتها بعضا على بعض قال تعالى وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة اى يلصقان بعضه على بعض ليستر به عورتهما وقوله تعالى طباقا اما مصدر بمعنى المطابقة وصفت به سبع السموات للمبالغة فى مطابقة بعضها بعضا او مصدر مؤكد لفعله المحذوف والجملة صفة سبع (قوله اوذات طباق) عطف على قوله مطابقة اى يجوز ان يكون طباقا جمع طبق كجبل وجبال او جمع طبقة كرحبة ورحاب فلابد من تقدير المضاف اى ذات طباق فهو ايضا صفة لسبع ورحبة المسجد بالضم بلك ساحته والجمع رحب ورحاب ورحبات (قوله صفة ثانية) اشارة الى ان طباقا صفة على التقادير كلها كما قررناه ولما جعله صفة ثانية وقد تقرر ان الجملة الواقعة صفة لابد من كونها مشتملة على مايعود الى الموصوف بها جعل خلق الرحمن من وضع الظاهر موضع الضمير للتعظيم لان موضوع العظيم عظيم والاصل ما ترى فيهن وقوله من تفاوت مفعول ترى ومن مزيدة فيه (قوله والاشعار بانه تعالى يخلق مثل ذلك) ووجه الاشعار ان اضافة المصدر تفيد العموم فخلق الرحمن يعم كل مخلوق فيشعر ذلك بعمومه (قوله وان فى ابداعها نعما) ووجه الاشعار به ان اضافة خلقها للرحمن يدل على ان خلقها رحمة بالغة ونعمة جليلة (قوله متعلق به) اى بقوله ما ترى على وجه التسبب اخبر انه لا تفاوت فى خلقهن ثم قال فارجع البصر اى ارفع نظرك الى السماء مرة بعد اخرى حتى يصح عندك

(ما اخبرت)

طباقا مصدر طابقت النعل اذا خصفتها طبقا على طبق وصف به او طوبقت طباقا او ذات طباق جمع طبق كجبل وجبال او طبقة كرحبة ورحاب (ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت) وقرأ حمزة والكسائى من تفوت ومعناهما واحد كالتعاهد والتعهد وهو الاختلاف وعدم التناسب من الفوت فان كلا من المتفاوتين فات عنه بعض ما فى الآخر والجملة صفة ثانية لسبع وضع فيها خلق الرحمن موضع الضمير للتعظيم والاشعار بانه تعالى يخلق مثل ذلك بقدرته الباهرة رحمة وتفضلا وان فى ابداعها نعما جليلة لاتحصى والخطاب فيها للرسول اولكل مخاطب وقوله (فارجع البصر هل ترى من فطور) متعلق به على معنى التسبب اى قد نظرت اليها مرارا فانظر اليها مرة اخرى متأملا فيها لتعاين ما اخبرت به من تناسبها واستقامتها واستجماعها ما ينبغى لها والفطور الشقوق والمراد الخلل من فطره اذا شقه

ما اخبرت به بطر بق المعاينة اذ ليس الخبر كالمعاينة فالفاء السببية تدل على ان الاخبار بعدم التفاوت سبب لان يؤمر المخاطب بارجع البصر ليتحقق عنده حقيقة الحال و رجع يجئ لازما و متعديا يقال رجع بنفسه رجوعا ورجعه غيره (قوله في ارتياد الخلل) اى في طلبه يقال راده يروده رودا وريادا وارتاده ارتيادا بمعنى طلبه (قوله كما في لبيك وسعديك) فان اصلهما الب لك البابين اى اقيم بخدمتك اقامة بعد اقامة ولا ابرح عن مكان الخدمة ابدا واسعد لك اى اعينك اسعادين فان اسعد يتعدى بنفسه بخلاف الب فانه يتعدى باللام وتثنية المصدر فيهما للتكثير كما في نحو كرتين ومرتين وقوله كرتين منصوب على المصدرية للفعل السابق من غير لفظه فان المعنى ثم ارجع البصر رجعتين آخرتين وليس المراد رجعتين اثنتين فقط بل المراد ان تكرر النظر اليهما مرارا كثيرة بشهادة قوله وهو حسير فان فعيلا بمعنى الفاعل من الحسور وهو الاعياء فقوله وهو حسير معناه انه بالغ غاية الاعياء والكلال ومن المعلوم ان البصر لايبلغ غاية الكلال برجعه كرتين اثنتين فقط (قوله طردا بالصغار) تنبيه على ان قوله خاسئا اسم فاعل من خسأ اللازم بمعنى تباعد وهرب مع الصغار والذلة فاذا قيل خسأ الكلب بنفسه فمعناه تباعد من هوانه وخوفه كانه زجر وطرد عن مكانه بالذلة وخسأ يستعمل لازما ومتعديا يقال خسأت الكلب اى طردته وخسأ الكلب بنفسه ولايجوز انيكون خاسئا في الآية مشتقا من التعدى الا ان يكون بمعنى المفعول اى مبعدا مطرودا روى عن ابن عباس انه قال الخاسئ الذى لم يرما يهواه وقوله تعالى ينقلب جواب الامر وخاسئا حال من البصر وقوله وهو حسير جملة حالية من البصر اومن الضمير المستتر في خاسئا فتكون حالا متداخلة واعلم انه تعالى لما قال وهو العزيز الغفور ومن المعلوم ان كونه عزيزا غفورا لايتم الابعد كونه قادرا على كل المقدورات عالما بكل المعلومات استدل اولا على كمال قدرته بقوله الذى خلق سبع سموات طباقا ثم استدل على شمول علمه بقوله ماترى في خلق الرحمن من تفاوت ثم ذكر مايدل على كونه قادرا عالما فقال ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح فان الكواكب من حيث كونها مشتملة على حكم ومصالح لاتحصى تدل على كون صاحبها عالما حكيما (قوله اقرب السموات الى الارض) اشارة الى ان الدنيا تأنيث الادنى بمعنى الاقرب وان كون السماء قريبا انما هو بالنسبة الى ما تحتها من الارض لان القريب بالنسبة الى العرش هى السماء السابعة والمصابيح السرج استعير منها للكواكب تشبيها لها بها في الاضاءة والتنوير (قوله ولايمنع ذلك) جواب عما يقال قد اتفق اهل الهيئة على ان الكواكب

(ثم ارجع البصر كرتين) اى رجعتين اخريين في ارتياد الخلل والمراد بالتثنية التكرير والتكثير كما في لبيك وسعديك ولذلك اجاب الامر بقوله (ينقلب اليك البصر خاسئا) بعيدا عن اصابة المطلوب كانه طرد عنه طردا بالصغار (وهو حسير) كليل من طول المعاودة وكثرة المراجعة (ولقد زينا السماء الدنيا) اقرب السموات الى الارض (بمصابيح) بكواكب مضيئة بالليل اضاءة السرج فيها ولايمنع ذلك كون بعض الكواكب مركوزا في السموات فوقها اذ التزيين باظهارها عليها والتكبير للتعظيم

الثابتة مركوزة في الفلك الثامن فعلى تقدير صحة ماذهبوا اليه كيف يوجه قوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا وتقرير الجواب ان كون الثوابت زينة السماء الدنيا لايقتضي كونها مركوزة فيها لجواز كونها مركوزة فيما فوقها من السموات وتكون ظاهرة فيها وزينة لكون السموات شفافة لايحجب بعضها ماكان مركوزا فيما فوقها (قوله رجم اعدائكم بانقضاض الشهب المسبية عنها) اى بسقوطها يقال انقض الحائط اذا سقط وكذا انقض الطائر والشهب جمع شهاب وهي شعلة نار ساقطة تنفصل من نار الكواكب وليس مايرجم به الشياطين نفس الكواكب بل هي قارة ثابتة في مواضعها لم ينقص شئ منها بالرجم مع ان هذه الشهب يرمى بها من قديم الزمان وهذا معنى قوله بانقضاض الشهب المسبية عنها فان الشهب التي تنقض لرمي المسترقة من الشياطين منفصلة من نار الكواكب التي هي قارة في الفلك على حالها كقبس يؤخذ من النار والنار ثابتة بكمالها في موضعها روى ان السبب في جعلها رجوما ان الجن كانت تستمع خبر السماء فلما بعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حرست السماء ومنعت من تقرب الشياطين اليها فمن جاء منهم مسترقا السمع رمى بشهاب فاحرقه لئلا ينزل به الى الارض فيلقيه الى الناس فيلتبس على الناس امر النبوة بامر الكهانة وهذا لايستلزم ان لاتكون هذه الشهب موجودة قبل بعثته صلى الله تعالى عليه وسلم البتة بل يجوز ان توجد قبلها لاسباب اخر حتى ان قدماء الفلاسفة ذكروا وقوعها واسبابه في كتبهم وانما يدل على ان الذي جعل بعد البعثة مايرجم به الشياطين عن ابن عباس قال بينما النبي صلى الله تعالى عليه وسلم جالس في نفر من الصحابة اذ رموا بنجم فانار الجو منه فقال ما كنتم تقولون اذا حدث في الجاهلية مثل هذا قالوا كنا نقول يولد عظيم او يموت عظيم قال صلى الله عليه وسلم فانها لا ترمى لموت احد ولا لحياته ولكن ربنا تعالى اذا قضى الامر في السماء سبحت حملة العرش ثم سبح اهل كل سماء حتى ينتهي التسبيح الى هذه السماء و يستخبر اهل السماء حملة العرش ماذا قال ربكم فيخبرونهم ولا يزال ينتهي ذلك الخبر من سماء الى سماء الى ان ينتهي الى هذه السماء وتخطفه الجن فيرمون فماجاؤا به فهو حق ولكنهم يزيدون فيه (قوله وقيل معناه وجعلناها رجوما وظنونا) اى قيل انه ليس من الرجم بمعنى الرمي بل هو من الرجم الذي هو ان يتكلم الرجل بالظن كما في قوله تعالى رجما بالغيب عن قتادة قال خلق الله تعالى النجوم لثلاث كونها زينة للسماء ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها في ظلمات البر والبحر ومعرفة الاوقات فمن تأول فيها غير ذلك فقد تكلف مالاعلم له به وتعدى وظلم ولما ذكر ان

(وجعلناها رجوما للشياطين) وجعلنا لها فائدة اخرى هي رجم اعدائكم بانقضاض الشهب المسبية عنها وقيل معناه وجعلناها رجوما وظنونا لشياطين الانس وهم المنجمون والرجوم جمع رجم بالفتح وهو مصدر سمي به مايرجم به (واعتدنا لهم عذاب السعير) في الآخرة بعد الاحراق بالشهب في الدنيا (وللذين كفروا بربهم) من الشياطين وغيرهم (عذاب جهنم) وقرئ بالنصب على ان للذين عطف على لهم وعذاب على عذاب السعير) (وبئس المصير اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا) صوتا كصوت الحمير (وهي تفور) تغلي بهم غليان المرجل بما فيه

الكواكب من جملة منافعها ان يرجم بها الشياطين في الدنيا بين ان لهم في العقبى عذابا فوق ذلك وهو ما اعده الله لهم من عذاب السعير قال المبرد سعرت النار فهي مسعورة وسعير كقولك مقتولة وقتيل واحتج اصحابنا بهذه الآية على ان النار مخلوقة الآن لان قوله تعالى اعتدنا اخبار عن الماضي ثم ان الله تبارك وتعالى لما اثبت كمال قدرته وعلمه بما ذكره من الدلائل وبين بذلك صحة اثابة من احسن عملا وعقاب من اساء ساق الكلام الى ان ذكر انه اعد لهم اى للمرجومين بالشهب من الشياطين عذاب السعير وذكر بعدها ان عذابها لا يختص بهم بل يعم الكفرة فقال وللذين كفروا بربهم الخ وعذاب جهنم في قراءة الجمهور مرفوع على الابتداء وقوله وللذين كفروا خبره قدم عليه وقرئ بنصب عذاب على طريق عطف المنصوب على المنصوب والمجرور على المجرور شبه صوت لهب جهنم بشهيق الحمار فاطلق عليه اسم الشهيق وهو آخر صوت الحمار والزفير اوله وقيل الشهيق في الصدر والزفير في الحلق قال مقاتل اذا طرحوا فيها كما يطرح الحطب في النار العظيمة سمعوا لجهنم شهيقا وقال عطاء سمعوا الاهلها ممن تقدم طرحهم فيها شهيقا فهو على حذف المضاف (قوله وهو تمثيل لشدة اشتعالها بهم) جواب عما يقال ليست النار من الاحياء التي من شأنها الغيظ فكيف وصفت به فاجاب عنه اولا بحمل الكلام على التمثيل حيث شبه اشتعالها بهم في قوة تأثيرها فيهم وايصال الضرر اليهم باغتياظ المغتاظ على غيره المبالغ في ايصال الضرر اليه فاستعير اسم الغيظ لذلك الاشتعال والتمثيل بمعنى التشبيه ويحتمل ان يكون بمعنى التخييل بان شبهت جهنم في النفس لشدة غليانها باهلها وقوة صوت اهلها بالانسان المغتاظ على غيره واثبت لها لازم المشبه به وهو الغيظ دليلا على التشبيه المضمر في النفس والتغيظ اشد الغضب والغضب ثوران دم القلب ارادة الانتقام والتغيظ اضمار الغيظ وقد يكون ذلك مع صوت مسموع قال تعالى سمعوا لها تغيظا وزفيرا فقد ورد في بعض الاخبار اتقوا الغضب فانه جمرة في قلب ابن آدم الم تروا الى انتفاخ اوداجه (قوله قالوا بلى قد جاءنا نذير) جمعوا بين حرف الجواب ونفس الجملة المخاطب بها مع انهم لو اقتصروا على قولهم بلى لفهم مرادهم لزيادة التحسر والاغتمام على تفريطهم في قبول قول النذير (قوله وبالغنا في نسبتهم الى الضلال) اشارة الى ان قوله ان انتم الا في ضلال كبير من مقالة الكفار اى وقلنا لهم ما نزل الله من شئ على السنتكم ان انتم يا معشر الرسل الا في ضلال كبير اعترفوا بعدل الله تعالى واقروا بانه تعالى ازاح عنهم بعثة الرسل وانذارهم ما وقعوا فيه بتكذيبهم الرسل ثم اعترفوا بجهلهم حيث قالوا وهم في النار لو كنا نسمع او نعقل

(تكاد تميز من الغيظ) تتفرق غضبا عليهم وهو تمثيل لشدة اشتعالها بهم ويجوز ان يراد غيظ الزبانية (كلما القي فيها فوج) جماعة من الكفرة (سألهم خزنتها الم يأتكم نذير) يخوفكم هذا العذاب وهو توبيخ وتبكيت (قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شئ ان انتم الا في ضلال كبير) اى فكذبنا الرسل وافرطنا في التكذيب حتى نفينا الانزال والارسال رأسا وبالغنا في نسبتهم الى الضلال

ماكنا اليوم فى اصحاب السعير روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال لكل شئ دعامة ودعامة المؤمن عقله فبقدر عقله يعبد ربه وقال عليه الصلاة والسلام ان الرجل ليكون من اهل الصلاة والصيام وممن يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر وما يجزى يوم القيامة الا على قدر عقله وقال عليه الصلاة والسلام الاحمق يصيب بحمقه اعظم من فجور الفاجر وانما يرتفع العباد غدا فى الدرجات وينالون الزلفى من ربهم على قدر عقولهم (قوله والنذير اما بمعنى الجمع) اى على تقدير ان يكون قوله تعالى ان انتم الا فى ضلال كبير من جملة كلام الكفار وخطابهم للمنذرين لابد ان يكون النذير بمعنى الجمع ليصح خطاب النذير بقوله ان انتم او يكون مصدرا بمعنى الانذار كالرجيف والانين على حذف المضاف او على انه مصدر وصف به المنذرون للمبالغة كانهم لكثرة انذارهم وغلوهم فى ذلك واتصافهم فيه كانوا انذارا واحدا (قوله او الواحد) عطف على قوله الرسل فى قوله اى فكذبنا الرسل اى ويجوز ان يكون نذير بمعنى منذر واحد و يكون قوله ان انتم خطابا له ولامثاله (قوله او اقامة تكذيب الواحد) عطف على التغليب (قوله و يجوز ان يكون الخطاب) عطف على ما يفهم من قوله وبالغنا فى نسبتهم الى الضلال فانه يدل على ان قوله ان انتم من جملة قول الكفار وخطابهم للرسل وان كان الخطاب من الزبانية يكون مرادهم من ضلال الكفرة ماكانوا عليه فى الدنيا من ضلالهم فى باب الاعتقاد والعمل او ما كانوا عليه فى جهنم من العقاب بطريق تسمية عقاب الضلال ضلالا او على ان يكون الضلال بمعنى الضياع والهلاك يقال ضل الشئ اذا ضاع وهلك (قوله فسحقهم الله سحقا) يعنى ان سحقا منصوب على انه مصدر مؤكد لفعله المحذوف بابا المصدر مناب عامله فى موضع الدعاء كما فى رعيا وسقيا وجدعا وهذا من المواضع التى يجب فيها حذف الفعول المطلق سماعا واختلف النحاة فى انه مصدر لفعل ثلاثى او لفعل رباعى جاء على حذف الزوائد فذهب اكثر النحاة الى انه مصدر اسحقه الله اى ابعده والسحق البعد وكان القياس ان يقال اسحاقا الا انه جاء المصدر على الحذف كما فى قوله فان اهلك فذلك كان قدرى اى تقديرى ومن جعله مصدر الفعل ثلاثى بنى كلامه على انه سمع سحقه الله ثلاثيا ولم يلتفت المصنف اليه لان استعمال الثلاثى متعديا فى غاية الندرة وانما يستعمل لازما فيقال سحق الشئ بضم الحاء فهو سحيق اى بعيد واسحقه الله اى ابعده وقرأ العامة سحقا بسكون الحاء وقرئ بضمتين وهما لغتان والاحسن ان يكون المثقل اصلا للمخفف واللام فى قوله لاصحاب السعير للبيان كما فى رعيا لك وسقيا لك (قوله والتغليب للايجاز

او المبالغة او لامثاله على التغليب او اقامة تكذيب الواحد مقام تكذيب الكل او على ان المعنى قالت الافواج قد جاء الى كل فوج منا رسول فكذبناهم وضللناهم و يجوز ان يكون الخطاب من كلام الزبانية للكفار على ارادة القول فيكون الضلال ما كانوا عليه فى الدنيا او عقابه الذى يكونون فيه (وقالوا لو كنا نسمع) كلام الرسل فنقبله جملة من غير بحث وتفتيش اعتمادا على مالاح من صدقهم بالمعجزات (او نعقل) فنتفكر فى حكمه ومعانيه تفكر المستبصرين (ماكنا فى اصحاب السعير) فى عدادهم و من جملتهم (فاعترفوا بذنبهم) حين لا ينفعهم والاعتراف اقرار عن معرفة والذنب لم يجمع لانه فى الاصل مصدر والمراد به الكفر (فسحقا لاصحاب السعير) فاسحقهم الله سحقا اى ابعدهم من رحمته والتغليب للايجاز

و المبالغة) هكذا فى اكثر النسخ ووجد فى بعضها و التغيير بدل التغليب وليس فى نظم الآية تغليب بالمعنى المتعارف لان جميع ابواب التغليب من باب المجاز لاشتراك الجميع فى كون اللفظ مستعملا فى غير ما وضع له وليس فى قوله تعالى فسحقا لاصحاب السعير لفظ مستعمل فى غير ما وضع له غاية ما فى الباب ان يطلق اصحاب السعير على الكفرة الذين كذبوا الرسل واستعمال العام فى الخاص وان سلم كونه مجازا فليس من باب التغليب مع انه ليس بمستعمل فى الخاص بل هو مستعمل فى اصل معناه وهو من يلابس السعير و يدخلها سوآء كان خالدا فيها اولا كما فى قوله تعالى حكاية عن يوسف عليه الصلاة و السلام ياصاحبى السجن فاطلاق اصحاب السعير واهل السعير على من يدخلها من الكفرة وعصاة المؤمنين حقيقة لكونه استعمالا للفظ فيما وضع له فلا يكون من باب التغليب العرفى فاذا كانت عبارة التغليب بعيدة كل البعد و بعض السلف من المحققين اعتمد على النسخة التى وقع فيها عبارة التغيير بدل التغليب حيث قال قوله فى سورة الملك و التغيير للايجاز و المبالغة و التعليل يريد ان الاصل ذكر الفعل و الاتيان بالضمير لكن غير الاسلوب لحذف الفعل للايجاز وهو ظاهر وللمبالغة بان ذكر السحق اولا مبهما من غير بيان من يستحقه وانه لمن هو ثم جاء بقوله لاصحاب السعير بيانا للمعنى بالدعاء ولو ذكر الفعل لفات هذا المعنى وكثيرا ما يترك البيان للعلم كما يقال حمدا وشكرا وعدل عن ذكر الضمير للتعليل فان علة اللعن ليس هو اعترافهم بذنوبهم بل كونهم من اصحاب السعير باختيار الكفر والتكذيب ووقع فى بعض النسخ و التغليب بدل قوله و التغيير وهو سهو من قلم الناسخ اذ لاوجه له اصلا هذا كلامه بعبارته وذكر قدوة المحققين وعمدة المشايخ السالكين الشيخ عبد الرحيم المعروف بحاجى چلبى سلمه الله انه سمع من لفظ المولى خواجه زاده رحمه الله انه استصوب عبارة التغيير وقطع بان عبارة التغليب خطأ والله اعلم (قوله غائبا عنهم) على ان يكون بالغيب حالا من المضاف المقدر وعلى الثانى يكون حالا من فاعل يخشون وعلى قوله اوبالخفى عنهم تكون الباء للآلة وتكون متعلقة بيخشون وتكون الالف واللام فى قوله بالغيب بمعنى الذى وقوله تعالى ان الذين يخشون ربهم اما جملة استئنافية اوردت جوابا للسؤال الناشئ عن بيان حال الكفرة فكأنه قيل فما ذا حال من احسن عملا فاجيب به ثم انه تعالى لما ذكر وعيد الكفار ووعد المؤمنين على سبيل المغايبة رجع بعد ذلك الى خطاب الكفار فقال واسروا قولكم او اجهروا به قيل انهم كانوا ينالون من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيخبره جبريل صلى الله تعالى عليه وسلم فيقول بعضهم لبعض أسروا قولكم كى لايسمع آله محمد فنزلت آية وأسروا قولكم او اجهروا به

و المبالغة و التعليل وقرأ الكسائى بالتثقيل (ان الذين يخشون ربهم بالغيب) يخافون عذابه غائبا عنهم لم يعاينوه بعد اوغائبين عنه اوعن اعين الناس او بالمخفى عنهم و هو قلوبهم (لهم مغفرة) لذنوبهم (واجر كبير) يصغر دونه لذائذ الدنيا (واسروا قولكم او اجهروا به انه عليم بذات الصدور) بالضمائر قبل ان يعبر عنها سرا او جهرا (الايعلم من خلق) الايعلم السر والجهر من اوجد الاشياء حسبما قدرته حكمته

(وهو اللطيف الخبير) المتوصل علمه الى ما ظهر من خلقه وما بطن اوالا يعلم الله من خلقه وهو بهذه المثابة والتقييد بهذه الحال يستدعى ان يكون ليعلم مفعول ليفيد روى ان المشركين كانوا يتكلمون فيما بينهم باشياء فيخبر الله بها رسوله فيقولون اسروا قولكم لئلا يسمع اله محمد فنبه الله على جهلهم (هو الذى جعل لكم الارض ذلولا) لينة يسهل لكم السلوك فيها

وظاهره الامر باحد الامرين الاسرار والجهر ومعناه الاخبار بانه لافرق بين اسرار ما تخوضون فيه من الاقوال والافعال واعلانه فى علم الله بذلك واحذروا من ارتكاب ما يكون معصية سرا كما تحذرون منه جهرا ثم علل استواء الامرين فى علمه تعالى بذلك فقال انه عليم بذات الصدور قبل ان يعبر بها اصلا لاسرا ولاجهرا فعلمه تعالى بها بعد التعبير عنها اولى ثم انكر ان يعزب عن علمه شئ من مضمرات الصدور مما عبر عنه سرا وجهرا فقال الا يعلم من خلق والحال انه هو اللطيف الخبير وقوله من خلق يجوز ان يكون مرفوع المحل على انه فاعل يعلم ومفعوله محذوف وان يكون منصوب المحل على المفعولية وفاعله مستتر فيه اشار الى الاول بقوله الايعلم السر والجهر من اوجد الاشياء والى الثانى بقوله اوالا يعلم الله من خلقه وهو بهذه المثابة (قوله المتوصل علمه الى ما ظهر من خلقه وما بطن) الظاهر ان ليس مراده ان كونه تعالى عالما بما ظهر من خلقه منفهم من عبارة اللطيف بل المراد انه منفهم منه بطريق الدلالة لان مدلوله هو العالم بالخفيات كما صرح به فى شرح المواقف ومن يعلم الخفايا يلزمه العلم بالجلايا بطريق الاولوية فلذلك اعتبر فى مفهوم اللطيف وصول علمه الى ما ظهر ايضا قال الامام حجة الاسلام الغزالى نور الله مرقده المنير انما يستحق اسم اللطيف من يعلم دقائق المصالح وغوامضها وما دق منها ولطف ثم يسلك فى ايصالها الى المستصلح سبيل الرفق دون العنف فاذا اجتمع الرفق فى الفعل واللطف فى الادراك تم معنى اللطيف ولا يتصور كمال ذلك فى العلم والفعل الا الله تعالى والخبير هو الذى لاتعزب عنه الاخبار الباطنة فلا يجرى فى الملك والملكوت شئ ولا تتحرك ذرة ولا تسكن الاويكون عنده خبرها وهو بمعنى العليم لكن العلم اذا اضيف الى الخفايا الباطنة يسمى خبرة ويسمى صاحبه خبيرا انتهى فاللطيف اخص من الخبير الذى هو اخص من العليم وقال الامام الرازى واعلم انهم اختلفوا فى اللطيف فقال بعضهم المراد العالم وقال آخرون بل المراد من يكون فاعلا للاشياء اللطيفة التى تخفى كيفية عملها على اكثر الفاعلين ولهذا يقال ان لطف الله بعباده عجيب ويراد به خلق تدبيره لهم وفيهم وهذا الوجه اقرب والا لكان ذكر الخبير بعده تكرارا انتهى واذا فسرا بما ذكره الغزالى اندفع التكرار (قوله والتقييد بهذه الحال يستدعى ان يكون ليعلم مفعول ليفيد) جواب عما يقال من انه لم يذكر فى نظم الآية لفظان يكون احدهما فاعلا ليعلم والآخر مفعوله فما الذى دعاك الى اعتبار تعلقه بالمفعول ولم لاتجعله من باب يعطى ويمنع بان ينزل منزلة اللازم ويعرب

النظر بوجه ثالث وهو ان تجعل من خلق فاعل يعلم ولا يقدر له مفعول ويكون المعنى الا يكون عالما من هو خالق والخلق انما يكون بالعلم وتقرير الجواب انه لو لم يعتبر تعلقه بالمفعول لخلا التقييد بالحال عن فائدة يعتدبها لانه فى قوة تقييد الشئ بنفسه وذلك لان قوله الا يعلم لانكار عدم العلم فيكون فى معنى دعوى العلم فعلى تقدير ان لا يقدر ليعلم مفعول مع ان قوله وهو اللطيف حال من فاعل يعلم يكون حاصل المعنى يعلم وهو عالم اى يعلم فى حال علمه ولا فائدة فى هذا التقييد لانه تقييد لمطلق العلم بنفسه فان قيل لانسلم ذلك بل هو فى معنى الا يعلم وهو عالم بما ظهر من خلقه ومابطن وقد فسره المصنف بذلك فالعلم المدلول عليه بالعامل هو مطلق العلم والمدلول عليه بالحال مستغرق فيفيد التقييد لانه ليس من قبيل الا يعلم وهو عالم بل من قبيل الا يعلم وهو عالم بكل شئ قلنا اذا نزل قوله الا يعلم منزلة اللازم بان يجعل من قبيل فلان يعطى ويمنع يكون الحدث الذى هو مدلول الفعل عاما شاملا لجميع افراده بحسب تفساهم العرف فى المقام الخطابى كما صرح به صاحب المفتاح كما ان العلم المدلول عليه بقوله اللطيف الخبير كذلك على تفسير المصنف فهما متساويان فى العموم فيلزم تقييد الشئ بنفسه بمنزلة ان يقال الا يعلم كل شئ من هو عالم بكل شئ ثم انه تعالى لما بين استواء الاسرار والاعلان بالنسبة اليه واستدل عليه ببيان تفرده فى خلق الكائنات كلها من الجواهر والاعراض وان الخلق متفرع على العلم فكيف يتصور ان لا يعلم ماخلقه قال بعده هو الذى جعل لكم الارض ذلولا فلا تغتروا بذلها وانقيادها لكم ولا تجترأوا على معصيته سرا بناء على زعم انه تعالى لا يعلم ماتسرون ولا تأمنوا ان يصيبكم عذابه من حيث لا تحتسبون فان الارض التى هى مأمنكم وموضع استقراركم انا الذى ذللتها لكم وجعلتها مسكنا لكم وسببا لمعاشكم اذ لو شئت لحولت ذلها صعوبة ومافيها من الامن خوفا بان نخسف بكم الارض كما خسف بقارون وبداره الارض اوننزل عليها من السماء انواع المحن والآفات كما انزل على اصحاب الفيل وقوم لوط واطيعوا الله سرا وعلانية لعلكم تفلحون * والذلول من كل شئ المنقاد الذى يذل اى ينقاد ومصدره الذل وهو الانقياد واللين ومنه دابة ذلول اذا زالت صعوبتها وانقادت لصاحبها ووجه كونها ذلولا انه يمكن المشى عليها والحفر للآبار وشق العيون والانهار فيها وبناء الابنية وزرع الحبوب وغرس الاشجار فيها ولو كانت صخرة صلبة لما تيسر شئ منها ولو كانت مثل الذهب او الحديد لكانت تسخن جدا فى الصيف وتبرد فى الشتاء وايضا ثبتها الله تعالى بالجبال الراسيات كيلا تمايل وتنقلب باهلها ولو كانت مضطربة

(فامشوا فى مناكبها) فى جوانبها او جبالها وهو مثل لفرط التذليل فان منكب البعير ينبو عن ان يطأه الراكب ولا يتذلل له فاذا جعل الارض فى الذل بحيث يمشى فى مناكبها ﴿ ١٤ ﴾ لم يبق شئ لم يتذلل (وكلوا من رزقه) او التمسوا من نعم الله (واليه النشور) المرجع فيسألكم عن شكر ما انعم عليكم (ءامنتم من فى السماء) يعنى الملائكة الموكلين على تدبير هذا العالم او الله تعالى على تأويل من فى السماء امره وقضاؤه او على زعم العرب فانهم زعموا انه تعالى فى السماء وقرأ ابن كثير وامنتم بقلب الهمزة الاولى واوا لانضمام ما قبلها وبرواية البزى وامنتم بتسهيل الثانية بلا فصل وقرأ قالون وابو عمرو بتسهيل الثانية مع الفصل وورش بابدالها الفا او بتسهيلها بلا فصل والباقون بتحقيق الهمزتين (ان يخسف بكم الارض) فيغيبكم فيها كما فعل بقارون وهو بدل من من بدل الاشتمال (فاذا هى تمور) تضطرب والمور التردد فى المجئ والذهاب (ام امنتم من فى السماء ان يرسل عليكم حاصبا) ان يمطر عليكم حصباء (فستعلمون كيف نذير) كيف انذارى اذا شاهدتم المنذر به ولكن لا ينفعكم العلم حينئذ (ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير) انكارى عليهم بانزال العذاب وهو تسلية للرسول عليه الصلاة والسلام وتهديد لقومه المشركين (اولم يروا الى الطير فوقهم صافات) باسطات اجنحتهن فى الجو عند

مما ثلة لتعذر الاستقرار عليها ولكانت صعبة غير ذلول ومنقادة لنا (قوله فى جوانبها او جبالها) شبهت جوانب الارض او جبالها بمناكب الانسان من حيث ان مناكب الانسان اطرافه وجوانبه ومن حيث انها ارفع المواضع منه فاطلق عليها اسم المناكب على طريق الاستعارة وعلى التقديرين يكون قوله تعالى فامشوا فى مناكبها مثلا لفرط التذليل اى بيانا عجيبا وتصويرا غريبا لفرط التذليل على ان المثل مستعار من معناه العرفى الذى هو القول السائر للبيان العجيب تشبيها له به فى الغرابة والوجه فى كونه بيانا غريبا لفرط التذليل ما ذكره من انه اذا امكن المشى فى جوانب الارض او جبالها التى بمنزلة المناكب من البعير كان امكانه فى اواسطها وسهولها اتم واولى (قوله وهو بدل من من) يعنى ان قوله من فى السماء فى موضع النصب على انه مفعول ءامنتم وان يخسف بدل اشتمال منه اى ءامنتم من فى السماء خسفه وكذا قوله ان يرسل بدل من من اى ءامنتم من فى السماء ارساله (قوله او على زعم العرب) عطف على قوله على تأويل من فى السماء امره يعنى ان قوله من فى السماء لا يجوز ان يكون المراد به البارى عز شأنه لاستحالة كونه تعالى فى مكان وجهة فلا يجوز ان يراد به البارى تعالى الا على تأويل من فى السماء سلطانه وامره او على ان يكون الخطاب لقوم يزعمون التشبيه فخوطبوا على حسب اعتقادهم كقوله لامثالهم ابن شركائى كانه تعالى قال لهم أتأمنون من اعتقدتم انه اله متمكن فى السماء وانه قادر على ما يشاء ان يخسف بكم الارض الجوهرى خسف المكان يخسف خسوفا ذهب فى الارض وخسف الله به الارض خسفا اى غيبه فيها (قوله والمور التردد فى المجئ والذهاب) وقد قالوا ان الله يحرك الارض عند الخسف بهم حتى تضطرب وتتحرك فتعلوا عليهم وهم يخسفون فيها ويذهبون والارض فوقهم تمور فتلقيهم الى اسفل السافلين (قوله ان يمطر عليكم حصباء) اى حصى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه قال اى حجارة من السماء كما ارسلها على قوم لوط واصحاب الفيل وفى الصحاح يقال حصبت الرجل احصبه بالكسر اى رميته بالحصباء وحصب فى الارض ذهب فيها والحاصب الريح الشديدة التى تثير الحصباء وهى الحصى ومعنى الآية هل حصل لكم امان من هذين واذ لا امان لكم منهما فامعنى تماديكم فى الشرك والتكذيب وهذا عناد شديد والعياذ بالله (قوله وتهديد لقومه) اى تأكيد للتهديد السابق بايراد

طيرانها فانهن اذا بسطنها صففن قوادمها (ويقبضن) و يضممنها اذا ضربن بها جنوبهن وقتا بعد وقت للاستظهار به على التحرك ولذلك ﴿ ١٥ ﴾ عدل به الى صيغة الفعل للتفرقة بين الاصل في الطيران والطارئ عليه (ما يمسكهن) في الجو على خلاف الطبع (الا الرحمن) الشامل رحمته كل شئ بان خلقهن على اشكال وخصائص هيأتهن للجرى في الهواء (انه بكل شئ بصير يعلم كيف يخلق الغرائب و يدبر العجائب (أم من هذا الذى هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن) عديل لقوله اولم يروا على معنى اولم ينظروا في امثال هذه الصنائع فلم يعلموا اقدرتنا على تعذيبهم بنحو خسف وارسال حاصب ام لكم جند لكم ينصركم من دون الله ان ارسل عليكم عذابه فهو كقوله ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا الا انه اخرج مخرج الاستفهام عن تعيين من ينصرهم اشعارا بانهم اعتقدوا هذا القسم ومن مبتدأ وهذا خبره والذى بصلته صفته وينصركم وصف لجند محمول على لفظه (ان الكافرون الا في غرور) لامعتمد لهم (ام من هذا الذى يرزقكم

مثال ومصداق له كأنه قيل اولم يروا اى كيف انكرت على المكذبين قبلكم بتغير حالهم بالتدمير والاستئصال فكيف تأمنون مما اصابهم بسبب اصرارهم على الكفر والتكذيب ثم اورد بعدها مايدل على قدرته على ايقاع ماهددهم وخوفهم به فقال اولا اولم يروا الى الطير فوقهم صافات وثانيا قل هو الذى انشأكم وجعل لكم السمع والابصار وثالثا قل هو الذى ذرأكم في الارض ومتى ثبت كمال قدرته ثبت كونه قادرا على الانتقام منهم بما يشاء والطير جمع طائر وقوله فوقهم ظرف ليروا او حال من الطير اى كائنات فوقهم وصافات حال اما من الطير او من المنوى في الظرف ان جعلته حالا (قوله تعالى ويقبضن) عطف على صافات عطف الفعل على الاسم لكونه بمعنى قابضات الا انه عدل به الى صيغة الفعل للدلالة على ان الهواء للطائر بمنزلة الماء للسابح فكما ان الاصل في السباحة هو مد الاطراف بسطها وقبضها وقتا بعد وقت لايقصد لذاته وانما يفعل ليتوصل به الى ماهو الاصل في السباحة وهو البسط فكذا الطيران فان الاصل فيه هو صف الاجنحة والقبض يطرأ على الاصل للاستظهار به على التحرك فجيء بما هو طارئ غير اصل بلفظ الفعل لان الفعل يدل على التجدد وقتا بعد وقت والمعنى انهن صافات و يكون منهن القبض تارة بعد تارة ومفعول كل واحد من قوله صافات ويقبضن محذوف اى صافات وقابضات اجنحتهن كما اشار اليه بقوله اى باسطات اجنحتهن ثم اشار الى ان الصف الواقع حال البسط انما هو للقوادم حيث قال فانهن اذا بسطنها صففن قوادمها وقوادم الطير مقاديم ريشه وهى عشر في كل جناح والحصر المدلول عليه بقوله ما يمسكهن الا الرحمن لاينافي توصيفهن بقوله صافات وقابضات لان امساكهن مع ثقلهن وضخامة اجسامهن مسند اليه تعالى بلا واسطة وكذا جريهن في الهواء مسند اليه تعالى الا انه بواسطة خلقهن على اشكال وخصائص هيأتهن له او الهامهن كيفية البسط والقبض على الوجه المطابق المنفعة فان رحمة الرحمن وسعت كل شئ ويصل بعضها الى المرحوم بلا واسطة وبعضها بالواسطة (قوله يعلم كيف يخلق الغرائب) اشارة الى ان البصير بمعنى العالم بالاشياء الدقيقة الغريبة عن حذاقة واتقان كأنه يبصرها ويشاهدها (قوله عديل لقوله اولم يروا) يعنى ان كلمة ام الداخلة على من الاستفهامية متصلة معادلة لهمزة أولم يروا والمعنى اولم ينظروا الى آثار قدرتنا فيعلموا بذلك قدرتنا على تعذيبهم ام نظروا وعلموا لكنهم اعتمدوا على مالهم من الجند

ام من يشار اليه و يقال هذا الذى يرزقكم (ان امسك رزقه) بامساك المطر وسائر الاسباب المحصلة والموصلة له اليكم (بل لجوا) تمادوا (في عتو) في عناد (ونفور) وشراد عن الحق لتنفر طباعهم عنه

(افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى) يقال كبته فاكب وهو من الغرائب كقشع الله السحاب فاقشع والتحقيق انهما من باب انفض بمعنى صار ذا كب وذا قشع وليسا بمطاوعي كب وقشع بل المطاوع لهما انكب وانقشع ومعنى مكبا انه يعثر كل ساعة ويخر على وجهه لوعورة طريقه واختلاف اجزائه ولذلك قابله بقوله (امن يمشي سويا قائما سالما من العثور (على صراط مستقيم) مستوى الاجزاء او الجهة والمراد تمثيل المشرك والموحد بالسالكين والدينين بالمسلكين ولعل الاكتفاء بما في الكب من الدلالة على حال المسلك للاشعار بان ما عليه المشرك لا يستأهل ان يسمى طريقا كمشي المتعسف

الذي ينصركم من عذاب الله تعالى الا انه اخرج الكلام مخرج الاستفهام عن تعيين من ينصرهم تنبيها للكفار بانهم كانوا يعتقدون انهم يحفظون من النوائب ببركة آلهتهم فكانهم اعتقدوا لهم قيل كانت الكفار يمتنعون عن الايمان معتمدين على شيئين احدهما اعتمادهم على مالهم من الانصار والاعوان والثاني اعتقادهم ان الاوثان توصل اليهم الخيرات وتدفع عنهم جميع الآفات فابطل الله تعالى مازعموه اولا بقوله ام من هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن وابطل الثاني بقوله ام من هذا الذي يرزقكم ان امسك رزقه فاستبان الحق وحصل الالزام فقال اولا ان الكافرون الا في غرور وقال ثانيا بل لجوا في عتو ونفور واللجاج التمادي في العناد ولما وصفهم بالعتو والنفور رتبه على ما يدل على قبح هذين الوصفين فقال افمن يمشي مكبا على وجهه الآية فقوله تعالى مكبا حال من فاعل يمشي وكذا سويا حال منه ايضا وعلى وجهه تأكيد لان الكب لا يكون الا على الوجه والمشي مكبا يكون بصعوبة المسلك وعدم استوائه باشتماله على ارتفاع وانخفاض ومزالق فيعثر سالكه في كل ساعة ويخر على وجهه في كل خطوة فحاله عكس حال من يمشي على صراط مستقيم فانه يمشي سويا اي مستويا سالما من العثور والخرور (قوله يقال كببته فاكب) اي يقال اكب مطاوع كبه على وجهه كما ان اقشع مطاوع قشع يقال قشعت الريح السحاب فاقشع اي كشفته فانكشف ولم يرض المصنف بكون باء افعل مطاوعا لفعل حيث قال والتحقيق ان اكب واقشع من باب انفض في ان الهمزة فيه للصيرورة وليس من هذه الابنية المطاوعة فان مطاوع اكب انكب ومطاوع قشعه انقشع بل همزة افعل فيهما للصيرورة كما في قولهم اجرب الرجل اي صار ذا جرب واراب اي صار ذا ريبة والام اي فعل ما يلام عليه كانه صار ذا ملامة وكذا اكب معناه وقع في الكب اي صار ذا كب الجوهري يقال انفض القوم اي هلكت اموالهم وفني زادهم (قوله والمراد تمثيل المشرك والموحد) اي تشبيههما بالسالكين اي تمثيل المشرك فيه بمن سلك طريقا يعثر سالكه في كل ساعة ويخر على وجهه في كل خطوة وتشبيه دينه بالطريق الموصوف وتشبيه الموحد بمن سلك طريقا مستوى الاجزاء مستقيما عديم الانحراف سالما من المزالق والمهالك يمشي سالكه سويا قائما سالما من العثور والخرور وتشبيه دينه بالطريق المذكور فكل واحد من قوله افمن يمشي مكبا وام من يمشي سويا استعارة تبعية شبه كل واحد من الدينين بدين الشرك والتوحيد بالمشي على الصراط الوعر الآخر فهو المشي على الصراط السهل المستقيم واطلق اسم المشي على الدين المذكور واشتق منه يمشي فصار استعارة تبعية وقوله على صراط مستقيم استعارة تصريحية ولم يذكر مسلك

(المشرك)

المشرك واحواله واكتفى بدلالة الكب على احوالهما ذكره من الاشعار بان ماعليه المشرك لايستأهل ان يسمى طريقا (قوله في مكان متعاد) اي غير مستوى الاجزاء كان بعضه يعادي بعضا الجوهري نمت على مكان متعاد اذا كان متفاوتا ليس بمستو وهذه ارض متعادية ذات حجر وهي الكا من ذوات الاخاقيق وهي شقوق في الارض واحدها اخقوق وهو الشق فيها (قوله وقيل المراد بالمكب الاعمى) عطف على قوله ومعنى مكبا انه يعثر كل ساعة و يخر على وجهه لوعورة طريقه واختلاف اجزائه اي وقيل انه يكب على وجهه لا لوعورة طريقه بل لخلل في بصره فيكون المكب كناية عن الاعمى والماشي سويا كناية عن البصير المهتدي والمراد من جعلهما كنايتين عن الاعمى والبصير تمثيل الكافر بالاعمى وتمثيل المؤمن بالبصير تقبيحا لحال الاول وتحسينا لحال الثاني وكذا اذا كان المراد بالمكب من يحشر على وجهه الى النار وبالماشي سويا من يحشر على قدميه الى الجنة فان الاول انما يحشر مكبا على وجهه لانكبابه في الدنيا على المعاصي والثاني يحشر على قدميه لكونه على الصراط السوي في الدنيا ثم انه تعالى لما مثل المشرك بالماشي مكبا او بالاعمى او بمن يحشر على وجهه الى النار امر رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم بان يقبح حالهم و يعيبهم بكفر ان نعم الله تعالى حيث مكنهم الله تعالى من اصابة الحق وسلوك سبيله بان اعطاهم السمع والبصر والفؤاد ولم يشكروا ما نعمها ولم يستعملوها فيما خلقت لاجله ولم يقبلوا ما سمعوه ولم يعتبروا بما يبصرونه ولم يتفكروا فيما نصب من الدلائل والمراد بقلة الشكر عدمه فان القلة قد تستعمل بمعنى العدم فيقال قلما افعل هذا اي لا افعله ولما كان المقصود من ذكر مايدل على كمال قدرة الله تعالى وعلمه اثبات صحة البعث والجزاء ختم الآية بقوله واليه تحشرون اشار به الى ان جميع ماتقدم ذكره من الدلائل لاثبات هذا المطلوب ولما اثبته حكى عن الكفار انهم يقولون متى هذا الوعد استهزاء وسخرية وايهاما للضعفة انه لا اصل له كلا يستعجلوا في القبول ولعل قوله تعالى ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين من قبيل يستهزئ بهم في ان لفظ المضارع للاستمرار التجددي فامر الله تعالى رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم بان يجيبهم بان العلم بالوقوع امر مغاير للعلم بوقت الوقوع فالعلم الاول حاصل عندي وهو كاف في الانذار به واما العلم الثاني فهو مختص بالله تعالى لم يعلمني به لا اخبركم ثم انه تعالى بين حالهم عند نزول العذاب الموعود لهم ان لم يؤمنوا فقال فلما رأوه زلفة والزلفة مصدر بمعنى القرب منصوب على الحالية من مفعول رأوه فانه من رؤية العين اي ذا زلفة اي قريبا منهم او جعل نفس الزلفة للمبالغة واصل سيئت وجوه الذين كفروا ساء الموعود رؤيته وجوههم ثم بني للمفعول عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال سيئت اي اسودت وعلتها الكآبة

في مكان متعاد غير مستو وقيل المراد بالمكب الاعمى فانه يعتسف فينكب وبالسوي البصير وقيل من يمشي مكبا هو الذي يحشر على وجهه الى النار ومن يمشي سويا هو الذي يحشر على قدميه الى الجنة (قل هو الذي انشأكم وجعل لكم السمع) لتسمعوا المواعظ (والابصار) لتنظروا صنائعه (والافئدة) لتتفكروا وتعتبروا (قليلا ما تشكرون) باستعمالها فيما خلقت لاجله (قل هو الذي ذرأكم في الارض واليه تحشرون) للجزاء (ويقولون متى هذا الوعد) اي الحشر او ما وعدوا من الخسف والحاصب (ان كنتم صادقين) يعنون النبي عليه الصلاة والسلام والمؤمنين (قل انما العلم) اي علم وقته (عند الله) لا يطلع عليه غيره (وانما انا نذير مبين) والانذار يكفي له العلم بل الظن بوقوع المحذر منه (فلما رأوه) اي الوعد فانه بمعنى الموعود (زلفة) اي ذا زلفة اي قربا منهم (سيئت وجوه الذين كفروا) بان علتها الكآبة وساءتها رؤية العذاب

[illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] (قوله تعالى)
[illegible] قال الفراء تدعون وتدعون
[illegible] (قوله وقرأ الكسائي بالياء) اي
[illegible] من عذاب اليم
[illegible] بالخطاب على
[illegible] (قوله غائرا في الارض) اي ذاهبا فيها بحيث
[illegible] [illegible] وكان
لاهل مكة [illegible] (قوله [illegible]) [illegible] على
الاول فعيل بمعنى فاعل من معن الماء اذا جرى والميم اصلية وعلى الثاني
اسم مفعول من العين [illegible] من البيع يقال عنت الشيء اعينه اي اصبته بعيني
فانا عائن وهو معين [illegible] هذا جزيلة * تمت سورة الملك والحمد لله
رب العالمين حمدا يوافي نعمه

(سورة القلم مكية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(قوله وقيل اسم الحوت) قال يحيى بمعنى الحوت كما في قوله تعالى في حق
يونس عليه الصلاة والسلام وذا النون فالمراد بالحوت الذي يسمى النون اما
جنس الحوت اوفرد معين منه وهو البهموت الذي يسطح الارض على ظهره
فتحرك فمادت الارض فاثبتت بالجبال او الدواة فانه يطلق عليهما اسم النون
على سبيل الاستعارة تشبيها لها بالحوت في انها يستخرج منها ما يكتب به كما
يستخرج ذلك من جنس الحوت فقوله او الدواة مرفوع بالعطف على الجنس
اي او المراد بالحوت ما يشبه الحوت وهو الدواة وقوله فان بعض الحيتانات
بيان لوجه اطلاق النون على الدواة وهو انه من قبيل اطلاق اسم المشبه به
على المشبه وكأنه جواب عن قول الزمخشري واما قولهم هو الدواة فما ادري
اهو وضع لغوي ام شرعي اي لم يثبت ذلك المعنى لغة ولا شرعا فتصدى
لتوجيه اطلاق النون على الدواة لان تفسيره بها مروى عن الاكابر وقال
الامام روى عن ابن عباس وهو اختيار الضحاك والحسن وقتادة ان النون
هو الدواة فيكون هذا قسما بالدواة والقلم فان المنفعة بهما عظيمة بسبب الكتابة
ومن فضل القلم وجلالته انه لم يكتب الله تعالى كتابا الا به ولذلك اقسم الله
تعالى به قيل البيان اثنان بيان اللسان وبيان البنان ومن فضل بيان البنان

[illegible] (قل هو الرحمن) الذي
[illegible] اليه مولى النعم
كلها (آمنا به) للعلم بذلك
(وعليه توكلنا) للوثوق
عليه والعلم بان غيره بالذات
لا يضر ولا ينفع وتقديم
الصلة للتخصيص
والاشعار به (فستعلمون
من هو في ضلال مبين)
منا ومنكم وقرأ الكسائي
بالياء (قل أرأيتم ان
أصبح ماؤكم غورا)
غائرا في الارض بحيث
لا تناله الدلاء مصدر وصف
به (فمن يأتيكم بماء معين)
جار وظاهر سهل المأخذ
* عن النبي عليه الصلاة
والسلام من قرأ سورة
الملك فكأنما احيى ليلة
القدر سورة القلم وهي
ثنتان وخمسون آية مكية
(بسم الله الرحمن الرحيم)
(ن) من اسماء الحروف

وقيل اسم الحوت والمراد به الجنس او البهموت وهو الحوت الذي عليه الارض او الدواة فان بعض الحيتان (ان

ان ما تثبته الاقلام باق على الايام و بيان اللسان تدرسه الاعوام ولولا القلم
والدواة ما قام دين و لما صلح عيش (قوله و يؤيد الاول) و هو كون ن
من اسماء الحروف انه جيء به على سبيل التعداد للتحدى فانه لو كان اسما لغير حرف
الهجاء لكان حقه ان يلي العامل و يعرب على حسب ما اقتضاء العامل كما
اعرب القلم وان يكون مكتوبا بصورة لفظه فانتفاء كل واحد من الامرين
يدل على انه من اسماء حروف الهجاء وقف عليه لان الاصل فيما سبق على
سبيل التعداد ان يوقف عليه (قوله هو الذى خط اللوح) اى يحتمل ان يكون
المراد بالقلم المقسم به المعهود وهو ما جاء فى الخبر خلق الله تعالى القلم ونظر اليه
فانشق نصفين ثم قال له اجر بما هو كائن الى يوم القيامة فجرى على اللوح
المحفوظ بما هو كائن الى ان تقوم الساعة من الآجال والاعمال و الارزاق ثم
جف القلم فلم ينطق الى يوم القيامة وهو قلم من نور طوله كما بين السماء والارض
و يحتمل ان يراد به جنس القلم المقول على كل قلم يكتب به فى السماء والارض
من القلم الاعلى وقلم الملائكة من الحفظة والكرام الكاتبين وقلم الانسان (قوله
واخفى ابن عامر) فانه ادغم النون فى الواو فى يس والقرآن وفى ن والقلم
وقرئ باظهارها على الاصل فان الاصل فى اسماء حروف التهجى ان يوقف
على كل واحد منها و ينفصل عما بعده فان وقف عليه حقيقة فقد انفصل
عما بعده فيقدر الادغام فانه لا يتصور مع الانفصال وانما يتصور مع الاتصال
وان لم يوقف عليه فهو فى حكم الموقوف عليه نظرا الى الاصل فوجب التبين
والاظهار على التقديرين و من ادغم نظر الى ان هذه الحروف متصلة بما
بعدها صورة وحكما اما صورة فظاهر لانه لم يوقف عليها حقيقة واما حكما فلان
همزة الوصل لا تقطع مع هذه الحروف نحو الم الله وقولهم فى العدد واحد اثنان
ولما لم تقطع همزة الوصل معها علمنا انها فى تقدير الوصل ولما اتصلت صورة وحكما
ادغمت فى الواو وقال الفراء واظهارها اعجب الى لانها حروف هجاء وهى
كالموقوف عليها وان اتصلت صورة لان الاصل فى المسوق على سبيل التعداد
ان يوقف على كل واحد منه (قوله وقرئت بالفتح) وهى اما فتحة بناء
كما فى اين وكيف و اما حركة اعراب بان تكون منصوبة بفعل محذوف مثل
اقرأ نون ثم يبتدأ بالقسم بقوله والقلم او تكون منصوبة بنزع الخافض وهو
حرف القسم و ايصال فعل القسم اليه ومنع الصرف للعلمية والتأنيث لانها
علم السورة وقرئ بالكسر ايضا لالتقاء الساكنين او لانها مقسم بها اضمر
قبلها حرف القسم نحو الله لافعلن و هذا الوجه ضعيف لان حذف حرف

يستخرج منه شئ اشد
سوادا من النفس يكتب به
و يؤيد الاول سكونه
وكتبته بصورة الحرف
(والقلم) هو الذى خط
اللوح او الذى يخط به
اقسم به لكثرة فوائده
واخفى ابن عامر والكسائى
و يعقوب النون اجراء
للواو المنفصل مجرى
المتصل فان النون الساكنة
تخفى مع حروف الفم اذا
اتصلت بها و قد روى
ذلك عن نافع وعاصم
وقرئت بالفتح والكسر
كصاد

الجر وابقاء عمله مختص بالجلالة الكريمة ونادر فيما عداها (قوله على التعظيم) لان القلم الذي خط اللوح قلم واحد متخصص لا يصح ارجاع ضمير الجمع اليه الا بذلك التأويل وان اريد به جنس القلم يكون في معنى الجمع فيصح الضمير العائد اليه لذلك الا انه بقي الكلام في وجه اسناد الفعل الى الاية وفي التعبير عنها بلفظ العقلاء واجاب عنه بان ذلك مبني على تشبيهها بالعقلاء العاملين من حيث انها تظهر المراد وتبين المقصود مثلهم (قوله او لاصحابه اوالحفظة) الظاهر ان الاول مبني على ان يراد بالقلم الجنس والثاني على ان يراد به قلم الحفظة وعلى التقديرين ذكر القلم يدل على من يستعمله فصح ارجاع الضمير اليه (قوله وما مصدرية) فيكون المقسم به نفس الكتابة وان كانت موصولة يكون المقسم به المسطور والمكتوب (قوله والمعنى ما انت بمجنون منعما عليك بالنبوة وحصافة الرأي) اشارة الى ان قوله انت اسم ما وبمجنون خبره والباء مزيدة لتأكيد النفي والباء في قوله بنعمة متعلقة بمحذوف هو في موضع النصب على انه حال من المنوي في مجنون اي ما انت بمجنون ملتبسا بنعمة ربك والحصافة بالمهملتين صحة الرأي واستقامته والحصيف الرجل المحكم العقل واحصاف الامر احكامه (قوله والباء لاتمنع عمله فيما قبله) جواب عما يقال كيف يعمل مجنون منفيا فيما قبل الجار مع ان المعمول لايقع الاحيث يصح وقوع العامل فيه والمجرور لايصح وقوعه قبل الجار وان جاز ان يعمل فيما قبله بناء على كون الباء مزيدة الا ان فيه خللا معنويا وهو ان النفي حينئذ هو الجنون المقيد بتلك الحال ونفي المقيد من حيث انه مقيد لايلزم ان يكون بانتفاء نفس المقيد بل اللازم هو مجرد انتفاء القيد سواء كان انتفاؤه بانتفاء مجموع القيد والمقيد او بانتفاء نفس القيد فقط كما قيل من ان نفي المقيد يرجع الى نفي قيده فكون الحال قيد المجنون يستلزم ثبوت اصل الجنون مع انتفاء الحال وهو باطل ولا يلزم هذا المحذور على تقدير ان يكون العامل معنى النفي للفرق بين قولنا الجنة المقيدة بكونها في حال كذا منفية وبين قولنا الجنة منتفية في حال كذا فان القيد فيه للنفي لا للمنفي روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه انه قال غاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن خديجة رضي الله تعالى عنها الى حرا فلم تجده فاذا به ووجهه متغير فقالت له مالك فذكر نزول جبريل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وانه قال له اقرأ باسم ربك فهو اول ما نزل من القرآن قال ثم نزل بي الى قرار الارض فتوضأ وتوضأت ثم صلى وصليت معه ركعتين وقال هكذا الصلاة يا محمد فذكر صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك لخديجة فذهبت خديجة الى ورقة بن نوفل وهو ابن عمها وكان قد خالف

(وما يسطرون) وما يكتبون والضمير للقلم بالمعنى الاول على التعظيم او بالمعنى الثاني على ارادة الجنس واسناد الفعل الى الآلة واجراؤه مجرى اولي العلم لاقامته مقامه اولاصحابه اوالحفظة وما مصدرية او موصولة (ما انت بنعمة ربك بمجنون) جواب للقسم والمعنى ما انت بمجنون منعما عليك بالنبوة وحصافة الرأي والعامل في الحال معنى النفي وقيل بمجنون والباء لاتمنع عمله فيما قبله لانها مزيدة وفيه نظر من حيث المعنى

دين قومه ودخلي في النصرانية فسألته فقال لها ارسلي الى محمدا فارسلته فاتله فقال هل امرك جبريل ان تدعوا احدا فقال لافقال والله لئن بقيت الى دعوتك لا نصرنك نصرا عزيزا فمات قبل دعاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فوقعت تلك الواقعة في ألسنة كفار قريش فقالوا انه مجنون فاقسم الله تعالى على انه ليس بمجنون في خمس آيات منهـا اول هذه السورة ثم قال ابن عباس ان اول ما نزل قوله تعالى سبح اسم ربك وهذه الآية هي الثانية رواه الامام في الكبير (قوله على الاحتمال او الابلاغ) اى على احتمال طعنهم فيك بالجنون وسائر اقوالهم القبيحة اوعلى تبليغ احكام رسالتك اليهم ودعائهم الى التوحيد والطاعة والممنون اما من من الشئ اذا قطعه فتكون الآية نظير قوله تعالى عطاء غير مجذوذا ومن من عليه منة اى امتن عليه اى وان لك لأجرا غير مكدر عليك بسبب المنة عليك من الناس وهو رد على صاحب الكشاف حيث فسره بقوله غير ممنون به عليك لانه ثواب تستوجبه على عملك وليس بتفضل ابتداء وانما تمن الفواضل لا الاجور على الاعمال ووجه الرد انه غير مستقيم على كل واحد من المذهبين اما على مذهب اهل السنة فلأن الثواب عندهم محض تفضل وانما سمي اجرا تشبيها له بالاجر من حيث كونه موعودا بمقابلة العمل واما عند المعتزلة فلان الثواب وان كان اجرا عندهم الا ان الاقدار والتمكين على العمل تفضل منه تعالى ابتداء فيصح ان يمن به على العبد فاذا صح ان يمن على العبد بنفس العمل يصح ان يمن عليه بالاجر المترتب عليه وكلمة على في قوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم للاستعلاء المجازى فدلت على انه عليه الصلاة والسلام مستعل على الاخلاق الجميلة المرضية ومجبول عليهـا حتى صارت بمنزلة الامور الطبيعية والخلق ملكة نفسانية يسهل على المتصف بها الاتيان بالافعال الجميلة فنفس الاتيان شئ وسهولة اتيانها شئ آخر فالحالة التي باعتبارها تحصل تلك السهولة هي الخلق وسمي خلقا لرسوخه وثباته وصيرورته بمنزلة الخلقة التي جبل عليها الانسان وان توقف حصولها على اعتياد وطول رياضة ومجاهدة (قوله فقالت كان خلقه القرآن) يعني انه عليه الصلاة والسلام كان متحليا بما في القرآن من مكارم الاخلاق ومتخليا عما يزجر عنه القرآن من سيئاتها (قوله ايكم الذى فتن بالجنون) اشارة الى ان ايكم مبتدأ والمفتون بمعنى المجنون خبره وسمي المجنون مفتونا لانه فتن اى محن بالجنون وان الباء مزيدة في المبتدأ كما في قولك بحسبك زيد قيل هذا الوجه ضعيف لان البـاء لا تزاد في المبتدأ الا في لفظ حسب فقط (قوله او بايكم المجنون) على ان تكون البـاء للالصاق كما في قولك به داء ويكون المفتون

(وان لك لأجرا) على الاحتمال او الابلاغ (غير ممنون) مقطوع او ممنون به عليك من الناس فانه تعالى يعطيك بلا توسط (وانك لعلى خلق عظيم) اذ تحتمل من قومك مالا يحتمله امثالك وسئلت عائشة رضي الله تعالى عنها عن خلقه فقالت كان خلقه القرآن ألست تقرأ القرآن قد افلح المؤمنون (فستبصر ويبصرون بايكم المفتون) ايكم الذى فتن بالجنون والباء مزيدة او بايكم الجنون على ان المفتون مصدر كالمعقول والمجلود او باى الفريقين منكم المجنون ابفريق المؤمنين ام بفريق الكافرين اى في ايهما يوجد من يستحق هذا الاسم

مصدرا بمعنى الفتون وهو الجنون وقد يجيء المصدر على وزن المفعول فهو معقول وميسور ومجلود يقال ما لفلان معقول ولا مجلود اى ماله عقل ولا جلادة وعلى قوله او باى الفريقين منكم المجنون تكون الباء بمعنى فى وفسر ضمير الخطاب فى قوله بايكم بالفريقين مع ان الخطاب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولجماعة قريش والا لعبر عن الفرد بالفريق و يدل على كون الخطاب له صلى الله تعالى عليه وسلم ولفريق قريش ما سبق من قوله تعالى فستبصر ويبصرون فان خطاب تبصر له عليه الصلاة والسلام خاصة ولا تدخل فيه الامة فينبغى ان لا تدخل الامة فى خطاب ايكم ايضا الا انه ادخلت الامة فيه وبجعل عليه الصلاة والسلام مع امته فريقا وجماعة قريش فريقا آخر لئلا يرد ان يقال كيف يصح ان يقال لجماعة وفرد آخر يقابلهم فى ايكم زيد وهذا الوجه اوجه من الوجهين الاولين لافادته التعريض وسلامته من حمل اللفظ على الاستعمال النادر وهو زيادة الباء فى المبتدأ وجعل صيغة المفعول بمعنى المصدر (قوله وهم المجانين على الحقيقة) يعنى ان الظاهر ان يقال وهو اعلم بالمجانين والعقلاء لانه هو المناسب لقوله فستبصر ويبصرون الا انه وضع الضال والمهتدى موضع المجانين والعقلاء اشعارا بان المجنون فى الحقيقة هو من عصى ربه وضل عن سبيله والعاقل من اطاع ربه واتبع سبيله (قوله تهييج للتصميم على معاصاتهم) اى على عصيان رؤسائهم فان عاصاه بمعنى عصاه فانهم كانوا يدعونه عليه الصلاة والسلام الى ان يكف عنهم ويكفوا عنه فنهاه الله تعالى عن ذلك وامره بالتشديد مع قومه وقوى قلبه عليهم مع قلة العدد وكثرة الكفار فان هذه السورة من اوائل ما نزل (قوله تلاينهم) لان الادهان عبارة عن اللين والمصانعة وهى المداراة (قوله والفاء للعطف) جواب عما يقال لم رفع فيدهنون ولم ينصب باضمار ان لانه جواب التمنى كما فى قوله تعالى فلو ان لى كرة فاكون وتقرير الجواب انه معطوف على تدهن فيكون داخلا فى التمنى وليس جوابا للتمنى حتى ينصب وتسقط نونه اى تمنوا لو فعلت فيفعلون عقيبه فعلى هذا الظاهر ان تكون كلمة لو مصدرية فان بعض النحاة نصوا على جواز كونها مصدرية (قوله او للسببية) اى لسببية ادهانه عليه الصلاة والسلام لادهانهم وهذا المعنى كما يحصل بنصب المضارع الواقع موقع جواب التمنى باضمار ان يحصل ايضا بان يجعل المضارع خبر مبتدأ محذوف اى فهم يدهنون بسبب ادهانه عليه الصلاة والسلام فعلى هذا يتعين الرفع واذا كان لمعنى واحد طريقان فللبليغ ان يختار ايهما شاء ونظيره قوله تعالى فمن يؤمن بربه فلا يخاف اى فهو لا يخاف لاسيما ان الاسمية تدل على الشدة ثباتهم على الملاينة

(والموافقة)

﴿ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله) وهم المجانين على الحقيقة (وهو اعلم بالمهتدين) الفائزين بكمال العقل (فلا تطع المكذبين) تهييج للتصميم على معاصاتهم (ودوا لو تدهن) تلاينهم بان تدع نهيهم عن الشرك اوتوافقهم فيه احيانا (فيدهنون) فيلاينونك بترك الطعن والموافقة والفاء للعطف اى ودوا التداهن وتمنوه لكنهم اخروا ادهانهم حتى تدهن او للسببية اى ودوا لو تدهن فهم يدهنون حينئذ او ودوا ادهانك فهم الآن يدهنون طمعا فيه وفى بعض المصاحف فيدهنوا على انه جواب التمنى (ولا تطع كل حلاف) كثير الحلف فى الحق والباطل

والموافقة وقوله اي ودوالونهن فهم يدهنون يحتمل ان يكون للاستقبال بمعنى فيدهنون حينئذ وان يكون بمعنى الحال بمعنى فهم يدهنون الآن طمعا في ادهانك معهم (قوله حقير الرأى) وكفى دليلا على حقارة رأيه كونه حلافا فانه يدل على انه لايعرف عظمة الله تعالى حتى يحلف به تعالى في ادنى شئ وكفى بهذه الآية زاجرا عن الاعتياد بالحلف (قوله عياب) اى على سبيل الاغتياب فان الهماز صيغة مبالغة من الهمز وهو في اللغة الضرب طعنا باليد او العصا اونحوهما واستعير للمبالغ الذى يذكر الناس بالمكروه و يظهر عيوبهم تشبيها للطعن باللسان بالطعن بنحو اليد او العصا وقيل الهماز هو الذى يضرب الناس و يطعنهم بيده واللماز الذى يطعنهم بلسانه وقيل الهماز من يسب الناس في وجوههم واللماز الذى يسبهم في غيبتهم وقيل بالعكس (قوله يمنع الناس عن الخير من الايمان والانفاق والعمل الصالح) بعض المفسرين فسروا الخير بالمال وقالوا اى مناع للمال اى ان ينفق لاجل دفع حاجة الفقراء وفسر بالايمان ايضا وقيل كان للوليد بن المغيرة عشرة ابناء واهل وعشيرة وابناء عم وكان يمنعهم عن الاسلام و يقول لهم من اتبع منكم دين محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لاانفق عليه شيئا ابدا والمصنف عمم الخير اذ لادليل يخصه ببعض وجوه الخير (قوله جاف غليظ) وقيل العتل الشديد الخصومة وقيل الفاحش الاثيم وقيل هو الاكول الشروب القوى الذى يوضع في الميزان فلا يزن شعيرة يدفع الملك من اولئك في جهنم بالدفعة الواحدة سبعين الفا (قوله من مثالبه) اى معايبه جمع مثلبة وهى العيب وقوله بعد ماعد من مثالبه يدل على ان كونه عتلا زنيما اقبح معايبه لانه اذا كان عتلا اى جافيا غليظ الطبع قسا قلبه و اجترأ على كل معصية والزنيم يتولد من النطفة الخبيثة والغالب ان النطفة اذا خبثت خبث الولد ولذلك قال عليه الصلاة والسلام لايدخل الجنة ولد الزنى ولاولده ولاولد ولده وفي الحديث حرام على النطفة الخبيثة ان تخرج من الدنيا حتى تسئ الى من احسن اليها وقال عليه الصلاة والسلام ان اولاد الزنى يحشرون يوم القيامة في صورة القردة والخنازير وقال عليه الصلاة والسلام لا تزال امتى بخير مالم يفش فيهم ولد الزنى فاذا فشا فيهم ولد الزنى فيوشك ان يعمهم الله تعالى بعقاب وقال عكرمة اذا كثر اولاد الزنى قل المطر وقوله تعالى بعد ذلك ههنا نظير ثم في قوله تعالى ثم كان من الذين آمنوا من حيث انها للتراخى الرتبى والدعى من كان ملصقا بالقوم وليس منهم قال حسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه

وانت زنيم نيط في آل هاشم * كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

وقيل الزنيم من لايعرف من ابوه كما قيل

(مهين) حقير الرأى من المهانة وهى الحقارة (هماز) عياب (مشاء بنميم) نقال للحديث على وجه السعاية (مناع للخير) يمنع الناس عن الخير من الايمان والانفاق والعمل الصالح (معتد) متجاوز في الظلم (اثيم) كثير الاثم (عتل) جاف غليظ من عتله اذا قاده بعنف وغلظة (بعد ذلك) بعدما عد من مثالبه

زنيم ليس يعرف من ابوه ❊ بغى الام ذو حسب لئيم
وكان الوليد دعيا في قريش ليس من سنخهم اى اصلهم ادعاه ابوه بعد ثمانى عشرة سنة من مولده وقيل بغت امه ولم يعرف ذلك حتى نزلت هذه الآية روى انه دخل على امه شاهرا لسيفه وقال ان محمد اذمنى بعشر صفات وجدت منها تسعة في نفسى فاما الزنيم فلا علم لى به فان اخبرتنى بحقيقة الحال والاضرب عنقك فقالت اسكت وانا اصدقك وتأمل ان تفتك بما فعلت والافعافنى اعلم ان اباك كان عنينا وخفت ان يموت فينقطع ذكره و يتفرق في غير ولده ماله فدعوت راعيا الى نفسى فانت من ذلك الراعى والزنمة من كل شئ الزيادة وزنمة الشاة شئ يقطع من اذنها فيسترخى و يصير لذلك كالشئ المعلق من خارج وهى فى الاصل الهنة النابتة فى عنق الماعز (قوله قال ذلك حينئذ لانه كان متمولا) اشارة الى ان قوله ان كان مفعول له وان المصدرية مع ما فى حيزها مجرورة بلام مقدرة لكنهما غير متعلقة بقوله قال اساطير الاولين لما ذكره بل هى متعلقة بمحذوف دل عليه الجملة الشرطية بعدها والتقدير يكفر ويكذب لان كان ذامال ووجه دلالتها على هذا المحذوف ان قوله فى حق الآيات انها اساطير الاولين كفر وتجحيد وتكذيب (قوله ويجوز ان يكون علة للاتطع) اى للاطاعة المنهى عنها اى لا تطعه مع هذه المثالب ليساره وكثرة ابنائه (قوله ءان كان) اى بهمزتين مفتوحتين وعدم ادخال الف بينهما (قوله على ان شرط الغنى فى النهى عن الطاعة كالتعليل) لما ورد على قراءة ان الشرطية انه كيف يصح منه تعالى ان يعلق النهى عن الاطاعة على كونه ذامال واعوان مع انه يدل على جواز الاطاعة عند انتفاء الامرين اشار الى دفعه اولا بانه ليس المراد تعليق النهى عن الاطاعة على يسار المطاع حقيقة الا انه اورد صورة التعليق بكون شرط اليسار قريبا من التعليل به فكما جاز التعليل فى النهى عن الشئ جاز فيه التعليق ايضا فقوله لاتطعه ان كان ذامال وبنين فى قوة ان يقال لاتطعه لان كان ذامال وبنين من حيث ان الشرط سبب للحكم فكانه قيل لاتجعل يساره سببا لاطاعته وثانيا بان الشرط ليس من قبل الناهى بل من قبل المخاطب كانه قيل لا تجعل الغنى شرطا للاطاعة مع ما فيه من المثالب التى تقتضى هجره بالكلية ونظير حرف الشرط الى المخاطب هنا حرف الترجى اليه فى نحو قوله تعالى لعلكم تتقون لعلكم تذكرون لعله يتذكر او يخشى (قوله سبحانه وتعالى سنسمه) اى سنجعل له سمة اى علامة يعرف بها وعبر عن انفه بالخرطوم استهانة له وتحقيرا لان الخرطوم لايستعمل الافى الفيل والخنزير (قوله وقد اصاب انف الوليد جراحة يوم بدر) قال صاحب الكشف هذا ضعيف لان

(زنيم) دعى ماخوذ من زنمتى الشاة وهما المتدليتان من اذنها وحلقها قيل هو الوليد بن المغيرة ادعاه ابوه بعد ثمانى عشرة من مولده وقيل الاخنس بن شريق اصله من ثقيف وعداده فى زهرة (ان كان ذامال وبنين اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين) اى قال ذلك حينئذ لانه كان متمولا مستظهرا بالبنين من فرط غروره لكن العامل مدلول قال لانفسه لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله و يجوز ان يكون علة للاتطع اى لاتطع من هذه مثالبه لان كان ذامال وقرأ ابن عامر وحمزة ويعقوب وابو بكر ءان كان على الاستفهام غير ان ابن عامر جعل الهمزة الثانية بين بين اى ألان كان ذامال كذب او أتطيعه لان كان ذا مال وقرئ ان كان بالكسر على ان شرط الغنى فى النهى عن الطاعة كالتعليل بالفقر فى النهى عن قتل الاولاد او ان شرطه للمخاطب اى لاتطع شارطا يساره لانه اذا اطاع الغنى فكانه شرطه فى الطاعة (سنسمه) بالكى (على الخرطوم) على الانف وقد اصاب انف الوليد جراحة يوم بدر فبقى اثرها

(ابا جهل،

ابا جهل قتل يوم بدر والثالثة الاخر وهم الوليد والاسود والاخنس ماتوا قبله فلم يسم احد بذلك الوسم الذي بقي اثره مدة حياته (قوله وقيل هو عبارة عن ان يذله غاية الاذلال) وذلك لان الوجه اكرم موضع في الجسد والانف ابين عضو منه والوسم على الانف فيه غاية الا ذلال والاهانة لان السمة على الوجه شين فكيف اذا كانت على اظهر موضع منه (قوله اونسود وجهه يوم القيامة) فعلى هذا يكون الخرطوم مجازا عن الوجه على طريق ذكر الجزء وارادة الكل اي سنجعل له في الآخرة علامة يعرف بها اهل القيامة انه كان بالغاً في عداوة سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام اقبح العداوة (قوله بلونا اهل مكة) لما وصفهم الله تعالى بالجنون والضلال حيث قال فستبصر ويبصرون بايكم المفتون وهو اعلم بمن ضل عن سبيله بين انه اذاقهم بعض وبال امرهم في الدنيا حيث ابتلاهم بالجوع والقحط سبع سنين حتى اكلوا الجيف والعظام المحترقة لتمردهم وكفرهم ثم الله تعالى فقال انا بلوناهم كما بلونا اصحاب الجنة الى قوله ولعذاب الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون والكاف في كما في موضع النصب على انها نعت لمصدر محذوف وما مصدرية اي بلوناهم ابتلاء مثل ابتلاء اصحاب الجنة واذ ظرف لبلونا وليصرمنها جواب للقسم وجاء على خلاف قولهم ومنطوقهم ولو جاء عليه لقيل لنصرمنها بنون المتكلم ومصبحين حال من فاعل ليصرمنها والصرم والصرام قطع ثمار النخيل من صرمه اذا قطعه ولا يستثنون جملة مستأنفة اوحال ثانية من ضمير ليصرمنها او من المنوى في مصبحين قيل كونه حالا من احدهما ضعيف لان المضارع المنفي بلا كالمثبت في عدم دخول الواو عليه واضمار مبتدأ قبله كما في قولهم قمت واصك وجهه ولا حاجة اليه وسمى قوله ان شاء الله استثناء وهو شرط ليس فيه اداة الاستثناء لما فيه من الاخراج غير ان المخرج بان شاء الله خلاف المذكور بان شاء الله خلاف المخرج بالاستثناء فانه عين المذكور بالاستثناء مثلا اذا قيل جاء في القوم الازيدا فالمخرج من القوم بالاستثناء عين زيد واما اذا قيل يجيئ زيد ان شاء الله تعالى فالمراد به اخراج ما لا تعلق به المشيئة من المجيئ وهو خلاف المذكور بان شاء الله لان المذكور ما تعلق به مشيئة الله تعالى لان التقدير ان شاء الله مجيئه اولان قول ان شاء الله يؤدي معنى الاستثناء فسمي ما يؤدي معناه باسمه والفرق بين الوجهين ما اشار اليه بقوله غير ان المخرج به خلاف المذكور ومحصول الوجه الاول سمي استثناء تشبيها له بالاستثناء من حيث كونه مؤديا لمعنى الاخراج وان كان هذا الاخراج مغايرا للاخراج المعتبر في الاستثناء ومحصول الثاني سمي استثناء على طريق تسمية ما يؤدي معنى الشيء باسم ذلك الشيء فان قولك لا

وقيل هو عبارة عن ان يذله غاية الاذلال كقولهم جدع انفه ورغم انفه لان السمة على الوجه سيما على الانف شين ظاهر او نسود وجهه يوم القيامة (انا بلوناهم) بلونا اهل مكة بالقحط (كما بلونا اصحاب الجنة) يريد بستانا كان دون صنعاء بفرسخين وكان لرجل صالح وكان ينادي الفقراء وقت الصرام ويترك لهم ما اخطأه المنجل او القته الريح او بعد عن البساط الذي يبسط تحت النخلة فيجتمع لهم شيء كثير فلما مات قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعل ابونا ضاق علينا فحلفوا ليصرمنها وقت الصباح خفية عن المساكين كما قال (اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين) ليقطعنها داخلين في الصباح

اخرج ان شاء الله يؤدى معنى قولك لا اخرج فى حال ما الا حال ان شاء الله خروجى فانه استثناء متعارف اخرج فيه عين المذكور على اعم الاحوال (قوله اولا يستثنون حصة المساكين) عطف على قوله ولا يقولون ان شاء الله فالاستثناء على هذا المعنى الاخراج مطلقا (قوله كالبستان لذى صرم ثماره) شبهت به من حيث هلاك ثماره وعدم بقاء شئ منها فيه كما روى عن مقاتل انه قال بعث الله نارا بالليل على جنتهم فاحرقتها حتى صارت سوداء الا ان تشبيهها بالجنة المصرومة تشبيه الكامل بالناقص وحق التشبيه ان يشبه الناقص ويكون وجه الشبه فى المشبه به بالنسبة الى المشبه كما قيل

ظلمناك فى تشبيه صدغيك بالمسك * وقاعدة التشبيه نقصان ما يحكى

ويطلق الصريم على الليل المظلم وعلى النهار ايضا لانصرام كل واحد منهما عن الآخر فهما من الاضداد ويقال لهما الصريمان فيحتمل ان يكون المراد بالصريم فى الآية الليل المظلم لان الجنة لما احترقت واسودت صارت كالليل ويحتمل ان يراد به النهار لانها لما يبست وذهبت خضرتها لم يبق فيها شئ من قولهم ابيض الاناء اذا فرغ اوكالرمال فان الصريم يطلق ايضا على قطعة ضخمة من الرمل منصرمة عن سائر الرمل وقيل الصريم رملة معروفة باليمن لاتنبت شيأ وعلى التقدير ين شبهت الجنة وهى محرقة بالرملة التى لاتنبت شيأ ولا يتوقع منها نفع ولا صلاح نقل عن القرطبى انه قال فى الآية دليل على ان العزم على المعصية مما يؤاخذ به الانسان لانهم عزموا على ان يفعلوا فعوقبوا قبل فعلهم ونظيرها قوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم وقد صح انه عليه الصلاة والسلام قال اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار قيل يارسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال انه كان حريصا على قتل اخيه وعن الراغب قال اول ما يعرض من حديث النفس السانح ثم الخاطر ثم الارادة ثم الهم ثم العزم والسانح والخاطر متجاوز عنهما بكل وجه وانه متى صار هما او ارادة او عزما فذلك عمل مأخوذ به وعلى هذا قال تعالى وذروا ظاهر الاثم و باطنه وقال ان الله يعلم ما فى نفسكم فاحذروه فهذا وجه التوفيق بينها و بين قوله عليه الصلاة والسلام ان الله تجاوز لامتى ما حدثت به نفسها وقوله عليه الصلاة والسلام من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه هكذا وجدت والاشكال بعد باق لانه لم يظهر التوفيق بين الآيات و بين قوله عليه الصلاة والسلام ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه والله اعلم (قوله اى اخرجوا) على ان تكون ان مفسرة حيث تقدمها ماهو بمعنى القول وقوله او بان اخرجوا

﴿ اليه ﴾

(اولا يستثنون) ولا يقولون ان شاء الله وانما سماه استثناء لما فيه من الاخراج غير ان المخرج به خلاف المذكور والمخرج بالاستثناء عينه اولان معنى لا اخرج ان شاء الله ولا اخرج الا ان يشاء الله واحدا ولا يستثنون حصة المساكين كما كان يخرج ابوهم (فطاف عليها) على الجنة (طائف) بلاء طائف (من ربك) مبتدأ منه (وهم نائمون فاصبحت كالصريم) كالبستان الذى صرم ثماره بحيث لم يبق فيه شئ فعيل بمعنى مفعول او كالليل باحتراقها واسودادها او كالنهار بابيضاضها من فرط اليبس سيا بالصريم لان كلا منهما ينصرم عن صاحبه او كالرمال

﴿ فتنادوا مصبحين ان اغدوا على حرثكم ﴾ اى اخرجوا اليه غدوة وتعدية الفعل بعلى اما لتضمنه معنى الاقبال اولتشبيه الغدو للصرام بغدو العدو المتضمن لمعنى الاستيلاء ﴿ ان كنتم صارمين ﴾ قاطعين له ﴿ فانطلقوا وهم يتخافتون ﴾ يتسارون فيما بينهم وخفى وخفت وخفد بمعنى الكتم ومنه الخفدود للخفاش ﴿ ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين ﴾ ان مفسرة وقرئ بطرحها على اضمار القول والمراد بنهى المسكين عن الدخول المبالغة فى النهى عن تمكينه من الدخول كقوله لا ارينك ههنا ﴿ وغدوا على حرد قادرين ﴾ وغدوا قادرين على نكد لا غير من حاردت السنة اذا لم يكن فيها مطر وحاردت الابل اذا منعت درها والمعنى انهم عزموا على ان يتنكدوا على المساكين فتنكد عليهم بحيث لا يقدرون فيها الا على النكد او وغدوا حاصلين على النكد والحرمان مكان كونهم قادرين على الانتفاع وقيل الحرد بمعنى الحرد وقد قرئ به اى لم يقدروا الا على حنق بعضهم لبعض كقوله يتلاومون وقيل الحرد القصد والسرعة * قال الشاعر اقبل سيل جاء من امر الله *

اليه غدوة على ان تكون ان مصدرية اى تنادوا بهذا الكلام (قوله وتعدية الفعل بعلى) مع ان اصل غدا أن يتعدى بالى اما لتضمنه معنى الاقبال اومعنى الاستيلاء حيث انهم غدوا للصرم وتوهموا اقتدارهم واستيلاءهم عليه وضلوا عما اراد الله تعالى بهم وجواب قوله ان كنتم صارمين محذوف لدلالة ماقبله عليه (قوله وخفى وخفت وخفد بمعنى الكتم) يقال اخفيت الشئ اخفيه كتمته و خفيته ايضا اظهرته وهو من الاضداد و يقال خفت الصوت خفوتا اى سكن والخفت والمخافتة والتخافت اسرار النطق واخفدت الناقة فهى مخفد اذا اظهرت انها حملت ولم يكن بها حمل (قوله ان مفسرة) لان التخافت فى معنى القول و يحتمل ان تكون مصدرية اى يتخافتون بهذا الكلام وهو قول بعضهم لبعض على وجه الاخفاء والمسارة لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين وهو فى صورة نهى المسكين عن الدخول والمراد نهى انفسهم عن تمكين المسكين من الدخول كقولك لا ارينك ههنا فان دخول المساكين عليهم لازم لتمكينهم اياهم من الدخول كما ان رؤية المتكلم المخاطب لازم لحضوره عنده فذكر اللازم لينتقل منه الى الملزوم على سبيل الكناية التى هى ابلغ من التصريح لان انتفاء اللازم يدل على انتفاء الملزوم ولا يخفى ان ذكر الشئ بدليله ابلغ من مجرد ذكره وقرر ابن مسعود وجها آخر فى كلمة ان على اضمار القول اى وهم يتخافتون يقولون لا يدخلنها اليوم (قوله وغدوا قادرين على نكد لا غير) على ان يكون قادرين حالا من فاعل غدوا او يكون خبر غدوا على تضمنه معنى اصبحوا وعلى حرد متعلق بقادرين قدم عليه للحصر والتخصيص والحرد مصدر حرد يحرد من باب علم ومعناه نكد وانتفى خيره (قوله او وغدوا حاصلين على النكد والحرمان) فعلى هذا لا يكون قوله على حرد متعلقا بقادرين بل بمحذوف هو حال من فاعل غدوا او خبره لكونه بمعنى اصبحوا و قوله قادرين حال ثانية او حال من المنوى فى قوله على حرد اى وغدوا واقعين فى النكد وقد كانوا عند انفسهم فى ظنهم انهم قادرون على غلة جنتهم والانتفاع بها فالمقدور عليه فى الوجه الاول هو الحرد والنكد (قوله وقيل الحرد بمعنى الحرد) بفتحتين وهو الغيظ والحنق عطف على ما يفهم مما قبله وهو كون الحرد بمعنى النكد والحرمان فيكون على حرد متعلقا بقادرين مقدما عليه للحصر او بمحذوف كما فى الوجه الاول (قوله وقيل الحرد القصد والسرعة) يقال حرد يحرد من باب ضرب اذا قصد واقبل فيكون على حرد فى محل النصب على انه حال من فاعل غدوا اى غدوا كائنين على قصد وقادرين حال ثانية او حال من المنوى فى قوله على حرد (قوله وقيل الحرد علم للجنة) اى لجنتهم اى واقبلوا على جنتهم وقت الغداة

قادرين عند انفسهم على صرامها (قوله بجنايتنا على انفسنا) بسوء نيتنا وظلمنا على انفسنا بمنع حق المساكين (قوله ويدل على هذا المعنى) اي على ان المراد التسبيح الله ان يذكروه ويتوبوا اليه ماحكى عنهم من قولهم سبحان ربنا انا كنا ظالمين فانهم نزهوا الله تعالى وقدسوه عن كل سوء ونقصان لا سيما عن ان يكون ظالما فيما فعل بهم واعترفوا على انفسهم بكونهم ظالمين في قصدهم حرمان المساكين ابا طالبهم انفسهم فكأنهم قالوا نستغفر الله من سوء صنعنا ونتوب اليه من خبث نيتنا حيث قصدنا عدم اخراج حق المساكين من غلة بستاننا واعترفوا بذنبهم حيث قالوا انا كنا ظالمين وان كان المراد بالتسبيح الاستثناء يكون معنى قول الاوسط هلا تنزهون الله عن ان يجري في ملكه مالا يريده بان تقولوا لنصرمنها مصبحين ان شاء الله ومعنى قولهم سبحان ربنا تنزه ربنا عن ان يجري في ملكه شئ الا بارادته ومشيئته وهو في معنى الاستثناء واختلف اهل التفسير في ان ما قاله اهل تلك الجنة تلك الجنة الى قوله انا الى ربنا راغبون هل هو توبة منهم فبعضهم توقف في ذلك وقال يحتمل ان يكون هذا الكلام منهم من قبيل مايكون من المشركين اذا اصابتهم الشدة وذهب الاكثرون الى انهم قالوا ذلك بطريق التوبة والاخلاص روى عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه انه قال بلغني ان القوم اخلصوا وعرف الله منهم الصدق فابدلهم بها جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البعير منه عنقودا كذا في معالم التنزيل وفي التيسير والكشاف وقال ابو خالد اليماني دخلت تلك الجنة فرأيت كل عنقود منها كالرجل القائم (قوله اولولا تستثنون) عطف على قوله لولا تذكرونه اي بالتسبيح والتهليل تائبين عما فرط منكم من قصد العصيان يعني ان المفسرين قد اختلفوا في ان المراد بالتسبيح ما هو فقال بعضهم المراد به الاستثناء فان لفظ القرآن يدل على ان القوم حين اقسموا ليصرمنها مصبحين وتركوا الاستثناء بان يقولوا ان شاء الله انكر عليهم اوسطهم في تركهم الاستثناء وعدم خوفهم من عذاب الله تعالى على تركهم اياه ثم لما عاينوا وقوع ماحذرهم الاوسط به قال لهم الاوسط الم اقل لكم لولا تسبحون اي هلا تستثنون فتقولون ان شاء الله وقال آخرون ان القوم حين عزموا على منع زكاة ما خرج من جنتهم قال لهم اوسطهم توبوا عن هذه المعصية قبل نزول العذاب واعزموا على استثناء حصة المساكين كما كان يخرجها ابوكم فليغيروا عزمهم فلما رأوا العذاب ذكرهم ماقال لهم سابقا فقال لهم الم اقل لكم لولا تسبحون الله وتتوبون اليه فلاجرم اشتغل القوم بالتوبة والتسبيح فقالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين قيل

(انهم)

من الجنة (فلما رأوها) اول مارأوها (قالوا انا لضالون) طريق جنتنا وماهي بها (بل) اي بعد ماتأملوا وعرفوا انها هي قالوا بل (نحن محرومون) حرمنا خيرها بجنايتنا على انفسنا (قال اوسطهم) رأيا اوسنا (الم اقل لكم لولا تسبحون) لولا تذكرونه وتتوبون اليه من خبث نيتكم وقد قاله حين عزموا على ذلك ويدل على هذا المعنى (قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين) اولولا تستثنون فسمي الاستثناء تسبيحا لتشاركهما في التعظيم لانه تنزيه عن ان يجري في ملكه ما لا يريده (فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون) يلوم بعضهم بعضا فان منهم من اشار بذلك ومنهم من استصوبه ومنهم من سكت راضيا ومنهم من انكره (قالوا ياويلنا انا كنا طاغين) متجاوزين حدود الله (عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها) ببركة التوبة والاعتراف بالخطيئة وقد روي انهم بدلوا خيرا منها وقرئ يبدلنا بالتخفيف

انهم لو تكلموا به قبل نزول العذاب لنجوا من نزوله لكنهم تكلموا به بعد خراب البصرة (قوله والى لانتهاء الرغبة) لما كان المشهور ان تعدى الرغبة بكلمة فى او بكلمة عن ولم يشتهر تعديها بالى ذكر المصنف لها وجهين احدهما ان تضمن الرغبة معنى الرجوع والآخر ان معنى الرغبة الرجاء والطلب وان كلمة الى لبيان انه تعالى هو منتهى رجائهم وطلبهم (قوله مثل ذلك العذاب) يعنى ان قوله تعالى كذلك العذاب جملة اسمية قدم فيها الخبر على المبتدأ ثم انه تعالى لما خوف الكفار بعذاب الدنيا و بما هو اكبر منه وهو عذاب الآخرة ذكر بعده احوال اهل السعادة فقال ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم وعند يجوز ان يكون ظرفا معمولا للاستقرار الذى تعلق به للمتقين وان يكون متعلقا بمحذوف منصوب على الحالية من المنوى فى قوله للمتقين ولا يجوز ان يكون حالا من جنات لعدم العامل (قوله اى فى الآخرة) لما امتناع كون عندية الجنة بالنسبة الى الله تعالى مكانية جعل المصنف عنديتها عبارة عن عندية الدار الآخرة بمعنى انها لا ملك ولا حاكم فيها الا الله عز وجل او عندية قدسه تعالى وطهارته فان الجنة يقال لها دار القدس وحضرة القدس لكونها مظهر قدس الله تعالى ودليلا عليه فالمجاورة بمعنى الملابسة المثبتة له قال النحويون الفرق بين عند ولدى انه اذا قيل المال عند زيد يصدق ذلك سواء كان المال حاضرا عنده او غائبا كائنا فى شئ يلابسه كبيته وصندوقه وامينه ونحو ذلك بخلاف ما اذا قيل المال لدى زيد فانه لا يصدق الا اذا كان المال حاضرا عنده (قوله ليس فيها الا التنعم الخالص) اى لا يشوبها شئ مما يكدر ما فيها من وجوه التنعم كما يشوب ذلك جنات الدنيا والحصر المذكور مستفاد من اضافة جنات الى النعيم فانها تفيد اختصاص المضاف بالمضاف اليه وذلك لا يكون الا بان لا يكون فيها الا النعيم الخالص ففيه تعريض بان جنات الدنيا مشوبة بما يكدر العيش و ينغص التنعم والاستراحة عن مقاتل قال لما نزلت هذه الاية قال كفار مكة للمسلمين ان الله فضلنا عليكم فى الدنيا فلا بد وان يفضلنا عليكم فى الاخرة فان لم يكن التفضيل فلا اقل من المساواة فاجاب الله تعالى فيه على وجه الانكار بقوله افنجعل المسلمين كالمجرمين ثم وبخهم بقوله مالكم كيف تحكمون وكيف فى موضع الحال من المنوى فى لكم الراجع الى ما (قوله واصله انلكم بالفتح) جواب عما يقال ان الجمهور قرأوا بكسر همزة ان والحال ان كلمة ان مع ما فى حيزها واقعة موقع مفعول تدرسون والمعنى تدرسون فى الكتاب ان لكم ما تختارونه لانفسكم وان يكون العاصى كالمطيع بل يكون ارفع حالا منه فأتوا بكتابكم ان كنتم صادقين وتقرير الجواب نعم ان الاصل الفتح الا انها كسرت لدخول لام الابتداء فى اسمها فان لام الابتداء

(كذلك العذاب) مثل ذلك العذاب الذى بلونا به اهل مكة واصحاب الجنة العذاب فى الدنيا (ولعذاب الآخرة اكبر) اعظم منه (لو كانوا يعلمون) لاحترزوا عما يؤديهم الى العذاب (ان للمتقين عند ربهم) اى فى الآخرة اوفى جوار القدس (جنات النعيم) جنات ليس فيها الا التنعم الخالص (افنجعل المسلمين كالمجرمين) انكار لقول الكفرة فانهم كانوا يقولون ان صح انا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم يفضلونا بل نكون احسن حالا منهم كما نحن عليه فى الدنيا (مالكم كيف تحكمون) التفات فيه تعجب من حكمهم واستبعاد له واشعار بانه صادر من اختلال فكر واعوجاج رأى (ام لكم كتاب) من السماء (فيه تدرسون) تقرأون (ان لكم فيه لما تخيرون) ان لكم ما تختارونه وتشتهونه واصله ان لكم بالفتح لانه المدروس فلما جيئ باللام كسرت

ويجوز ان يكون حكاية المدروس او استئنافا وتخير الشئ واختياره ﴿ ٣٠ ﴾ اخذ خيره (ام لكم ايمان

لاتدخل على مافي حيز ان المفتوحة تقول علمت انك عاقل بالفتح وتقول علمت انك لعاقل بالكسر وكسران بعد تدرسون لانه علق عنه لما فيه من معنى العلم (قوله ويجوز ان يكون حكاية للمدروس او استئنافا) وجهان آخران لكسران تقرير الاول ان جملة ان لكم فيه لما تخيرون يجوز ان يكون كسران فيها لعدم وقوعها موقع المفرد فحكاها الله تعالى فى القرآن بصورتها وان كانت فى تأويل المفرد فى هذا النظم لكونها مفعول تدرسون وهذا الوجه لايخلو عن بعد لان كلة فيه فى قوله تعالى ان لكم فيه لما تخيرون تأبى ان يكون هذا النظم بصورة هذا المدروس الواقع فى الكتاب المفروض الا ان يقال انها مقحمة فيه تأكيدا لما ذكر اولا وليست واقعة فى النظم المحكى وتقرير الثانى انه يجوز ان يتم الكلام عند قوله فيه تدرسون بان ينزل تدرسون منزلة اللازم و يكون المعنى توقعون القراءة فيه كما فى قوله ❊ يجرح فى عراقيبها نصلى ثم يبتدأ و يقال ان لكم فيه لما تخيرون اى ليس لكم ذلك (قوله عهود مؤكدة بالايمان) يقال لفلان على يمين بكذا اذا ضمنت وكفلت له به وحلفت له على الوفاء به اى بل ضمنا لكم واقسما بايمان مغلظة فثبت لكم علينا عهود مؤكدة بالايمان (قوله متناهية فى التوكيد) يعنى كون الايمان بالغة عبارة عن كونها فى غاية القوة والصحة وكل شئ يكون فى نهاية الجودة وغاية الصحة يوصف بانه بالغ (قوله حتى تحكمهم فى ذلك اليوم) اى حتى نجعلكم حكاما فى ذلك اليوم ونطيعكم فيما تحكمون اوهو متعلق ببالغة اى تبلغ الى يوم القيامة بمعنى انها فى لزومها وتأكدها بحيث تنتهى الى ذلك اليوم تامة ولايبطل منها شئ الى ان يحصل المقسم عليه الذى هو التحكيم واتباعنا لحكمهم (قوله بذلك الحكم قائم) اشارة الى ان قوله بذلك متعلق بزعيم وان الزعيم ههنا بمعنى القائم بالدعوى واقامة الحجة عليها اى سل الذين يدعون ان لهم علينا عهود مؤكدة بالايمان على ان نحكمهم يوم القيامة ونطيعهم فيما يحكمون به من ان نجعلهم كالمسلمين او نفضلهم عليهم ايهم قائم بهذه الدعوى و بالاحتجاج على صحتها كما يقوم زعيم القوم باصلاح امورهم وايهم معلق بسلهم لان السؤال فى معنى العلم لكونه سببا له ثم انه تعالى لما انكر عليهم ان يكون حكمهم بالتسوية بين المسلمين والمجرمين مستندا الى دليل عقلى حيث قال مالكم كيف تحكمون او الى دليل نقلى حيث قال ام لكم كتاب انكر عليهم ايضا ان يكون لهم شركاء يوافقونهم فيما ذهبوا اليه من التسوية بين المحسن والمسئ حتى يقلدوهم لكونهم من العقلاء الذين يصح التقليد بهم فقال ام لهم شركاء فثبت ان مازعموه باطل من كل الوجوه (قوله وقيل المعنى) قال الامام قوله تعالى ام لهم شركاء فى تفسيره وجهان الاول ان المعنى ام لهم اشياء

(يعتقدون)

علينا) عهود مؤكدة بالايمان (بالغة) متناهية فى التوكيد وقرئت بالنصب على الحال والعامل فيها احد الظرفين (الى يوم القيامة) متعلق بالمقدر فى لكم اى ثابتة لكم علينا الى يوم القيامة لا نخرج عن عهدتها حتى نحكمكم فى ذلك اليوم او ببالغة اى ايمان تبلغ ذلك اليوم (ان لكم لما تحكمون) جواب القسم لان معنى ام لكم ايمان علينا ام اقسمنا لكم (سلهم ايهم بذلك زعيم) بذلك الحكم قائم يدعيه ويصححه (ام لهم شركاء) يشاركونهم فى هذا القول (فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين) فى دعواهم اذ لااقل من التقليد وقد نبه سبحانه فى هذه الآيات على نفى جميع ما يمكن ان يتشبثوا به من عقل او نقل يدل عليه لاستحقاق او وعد او محض تقليد على الترتيب تنبيها على مراتب النظر وتزييفا لما لا سند له وقيل المعنى ام لهم شركاء يجعلونهم مثل المؤمنين فى الآخرة كأنه لما نفى ان يكون التسوية من الله نفى بهذا ان يكون بما يشركون الله به

يعتقدون انها شركاء الله تعالى و يعتقدون ان اولئك الشركاء يجعلونهم في الآخرة مثل المؤمنين في الثواب والخلاص من العقاب وانما اضاف الشركاء اليهم لانهم جعلوها شركاء لله تعالى وهذا كقوله تعالى هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ الوجه الثاني ان المعنى ام لهم ناس يشاركونهم في هذا المذهب وهو التسوية بين المسلم والمجرم فليأتوا بهم ان كانوا صادقين في دعواهم والمراد بيان انه كما ليس لهم دليل عقلي في اثبات هذا المذهب ولادليل نقلي وهو كتاب يدرسونه فليس لهم من يوافقهم من العقلاء على هذا القول وذلك يدل على انه باطل من كل الوجوه ثم انه تعالى لما ابطل قولهم وبين انه لاوجه لصحته اصلا شرع بعد ذلك في بيان عظمة يوم القيامة فقال يوم يكشف عن ساق و يوم ظرف منصوب بقوله فليأتوا فكانه تعالى قال ان كانوا صادقين في انها شركاء فليأتوا بها يوم يشتد الامر و يصعب الخطب لتنفعهم او تشفع لهم او منصوب باذكر المقدر و يجوز ان يكون العامل المحذوف غير اذكر و يكون تقدير الكلام يوم يكشف عن ساق كان كيت وكيت فحذف للتهويل البليغ واشعارا بان ثم من الكوائن مالايوصف لعظمته (قوله وكشف الساق مثل في ذلك) يعني انه استعارة تمثيلية في اشتداد الامر وصعوبته فمعنى الآية يوم يشتد الامر و يتفاقم ولا كشف ثم ولا ساق كما تقول للاقطع الشحيح يده مغلولة ولايد ثمة ولا غل وانما هو مثل في البخل بان شبهت حال الشدة عليهم من الامر في الموقف بحال المخدرات اللاتي اشتد عليهن الامر فاحتجن الى تشمير ساقهن في الهرب فاستعمل في حق اهل الموقف من الاشياء مايستعمل في حقهن من غير تصرف في مفردات التركيب بل التصرف انما هو في الهيئة التركيبية روى انه سئل من ابن عباس عن هذه الآية فقال اذا خفي عليكم شئ من القرآن فابتغوه في الشعر فانه ديوان العرب اما سمعتم قول الشاعر

سن لنا قومك ضرب الاعناق * وقامت الحرب بنا على ساق

ثم قال هو يوم كرب وشدة (قوله او يوم يكشف عن اصل الامر) معطوف على قوله يشتد الامر اي و يجوز ان يكون من باب التمثيل بان يشبه اصل الامر وحقيقته بساق الشجر و يطلق عليه اسم المشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية وتنكير ساق للتهويل والدلالة على انها شدة خارجة عما يحيله الانسان كانه قيل يوم يكشف عن شدة واي شدة لايمكن وصفها (قوله او للتعظيم) على ان يكون الساق مستعارا لاصل الامر وحقيقته وقرأ الجمهور يكشف بياء تحتية على بناء المفعول وعن ساق قائم مقام الفاعل وقرئ بالتاء الفوقية على بناء الفاعل واسناد الفعل الى ضمير الساعة وعلى بناء المفعول

(يوم يكشف عن ساق) يوم يشتد الامر ويصعب الخطب وكشف الساق مثل في ذلك واصله تشمير المخدرات عن سوقهن في الهرب قال حاتم اخو الحرب ان عضته به الحرب عضها * وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا * او يوم يكشف عن اصل الامر وحقيقته بحيث يصير عيانا مستعار من ساق الشجر وساق الانسان وتنكيره للتهويل او للتعظيم وقرئ تكشف بالتاء على بناء المفعول والفاعل والفعل للساعة او الحال

ايضا واسناده الى ضمير الحال (قوله ان كان اليوم يوم القيامة) شرط لقوله
توبيخا يعني انهم اختلفوا في هذا اليوم الذي يكشف فيه عن ساق اهو يوم
القيامة او آخر ايام الرجل في دنياه او يوم مرضه اوهرمه وعجزه عن اداء
الصلاة فذهب الجمهور الى انه يوم القيامة فان الكفار والمنافقين يدعون الى
السجود فيه لكن لا على سبيل التكليف لان يوم القيامة لايكون فيه تعبد
ولا تكليف بل على سبيل التوبيخ والتخجيل على تركهم السجود في الدنيا ثم انه
تعالى حال مايدعوهم الى السجود يسلب عنهم القدرة على السجود و يحول
بينهم و بين الاستطاعة و يجعل ظهورهم مثل صياصي البقر يريدون السجود
فلايستطيعون كأن ظهورهم ادخلت فيها السفافيد فلاتنحني فيبقون قياما
كما كانوا على حالهم حتى تزداد حسرتهم وندامتهم على مافرطوا فيه حين دعوا
الى السجود وهم سالموا الاعضاء والمفاصل وذهب آخرون الى انه ليس المراد منه
يوم القيامة لانه تعالى وصف ذلك اليوم بانهم يدعون فيه الى السجود و يوم
القيامة ليس فيه تعبد وتكليف بل المراد به يومه الذي يعجز فيه عن اداء الصلاة
من ايام الدنيا اما من القسوة النازلة بهم من هول ما يأتونه عند النزع واما
بسبب العجز الحاصل لهم بسبب المرض او الهرم وقد كانوا يدعون الى السجود
زمان الصحة بقول المؤذن حي على الصلاة فلا يجيبون وهم اصحاء معافون قال
كعب الاحبار والله مانزلت هذه الآية الا في الذين يتخلفون عن الجماعات وقوله
تعالى خاشعة ابصارهم حال من مرفوع يدعون وابصارهم مرفوع على
انه فاعل خاشعة ونسب الخشوع للابصار وان كانت الاعضاء خاشعة ذليلة
متواضعة لظهور اثر خشوع الجميع فيها وقوله وهم سالمون حال من مرفوع
يدعون الثانية ثم انه تعالى لما خوف الكفار بعظمة يوم القيامة زاد في تخويفهم
بذكر وعيده وما في قدرته من القهر فقال فذرني ومن يكذب بهذا الحديث
وهو القرآن وقيل القيامة والمعنى كل امره الى فاني اكفيكه اي اذا علمت يوم
القيامة واشتداد الاهوال الآتية فيه فكل امر المكذبين الى وهذه تسلية له عليه
الصلاة والسلام وتهديد لمن كذبه (قوله ومن) منصوب بالعطف على
ضمير المتكلم او انه مفعول معه وهو مرجوح لامكان العطف من غير ضعف
(قوله سندنيهم من العذاب درجة درجة) اي حتى نوقعهم فيه (قوله
وهو الانعام عليهم) اي ادناؤهم من العذاب من حيث لايعلمون انه استدراج
هو الانعام عليهم لانهم يحسبونه تفضيلا لهم على المؤمنين وهو في الحقيقة
سبب لاهلاكهم فان العبد اذا كان بحيث كلما ازداد ذنبا جدد الله له نعمة وانساه
التوبة والاستغفار كان ذلك منه استدراجا بحيث لايشعر العبد انه استدراج

تو يدعون الى السجود)
توبيخا على تركهم
السجود ان كان اليوم
يوم القيامة أو يدعون
الى الصلوات لاوقاتها
ان كان وقت النزع (فلا
يستطيعون) لذهاب
وقته او زوال القدرة
عليه (خاشعة ابصارهم
ترهقهم ذلة) تلحقهم ذل
(وقد كانوا يدعون الى
السجود) في الدنيا او
زمان الصحة (وهم
سالمون) متمكنون فيه
مزاحوا العلل فيه
(فذرني ومن يكذب
بهذا الحديث) كله الى
فاني اكفيكه (سنستدرجهم)
سندنيهم من العذاب
درجة درجة بالامهال
وادامة الصحة وازدياد
النعمة (من حيث لايعلمون)
انه استدراج وهو الانعام
عليهم لانهم حسبوه
تفضيلا لهم على المؤمنين
(واملي لهم) وامهلهم
(ان كيدي متين) لايدفع
بشيء وانما سمي انعامه
استدراجا بالكيد

روى ان رجلا من بنى اسرآئيل قال يارب كم اعصيك وانت لاتعاقبنى فاوحى الله تعالى الى نبى زمانه ان قل له كم من عقوبة لى عليك وانت لاتشعر كونها عقوبة ان جمود عينك وقساوة قلبك استدراج منى وعقوبة لوعقلت وعنه عليه الصلاة والسلام انه قال اذا رأيت الله تعالى ينعم على عبد وهومقيم على معصيته فاعلم انه مستدرج وتلاهذه الآية (قوله لانه فى صورته) اى فى صورة الكيد وهو المكر والاحتيال لان ظاهره احسان وانعام وحقيقته اهلاك وعذاب ولاخفاء ان الاهلاك بماهى صورة الاحسان فى صورة الكيد والاحتيال (قوله تعالى ام تسألهم اجرا) معطوف على قوله ام لهم شركاء اى لاتلتمس منهم اجرا على ماتدعوهم اليه من الايمان والطاعة حتى يثقل عليهم تحمل الغرامات فى بذل المال فيثبطهم ذلك عن الايمان والطاعة والمعنى ليس عليهم كلفة فى متابعتك بل هى سبب سعادتهم فى الدنيا والآخرة والمغرم الغرامة ثم انه تعالى لما بالغ فى تزييف طريق الكفار وفى زجرهم عماهم عليه قال له عليه الصلاة والسلام فاصبر لحكم ربك اى لقضائه اولما حكم به من امهالهم وتأخير نصرتك عليهم (قوله تعالى اذنادى) منصوب بمضاف محذوف اى لا يكن حالك كحاله اوقصتك كقصته فى وقت ندائه ربه وتوبته وهو فى بطن الحوت وهو فى ذلك الوقت كان مكظوما اى مملوأ غما وغيظا وحزنا من كظم السقاء اذا ملأه والمعنى لايوجد منك مايوجد منه من الضجرة والمغاضبة فتبتلى ببلائه فان يونس عليه الصلاة والسلام لم يصبر على اذى قومه وخرج مغاضبا فضيق الله تعالى عليه فالتقمه الحوت وندآؤه ما اخبر الله تعالى به عنه وهوقوله لااله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين ذكر توبته ههنا ولم يذكر زلته تصريحا بل ذكرها تعريضا حيث ذكر نداءه وتوبته فلا يرد ان يقال كيف يصح ان ينهى احد عن ان يكون حاله كحال يونس اذنادى فى بطن الحوت مع ان حاله وقت ندائه هو التوحيد والتسبيح والاعتراف بالذنب والتوبة عنه وكل ذلك طاعة والطاعة لاينهى عنها وذلك لان المراد بحاله وقت ندائه الحالة التى اقتضت الطاعة المذكورة المدلول عليها تعريضا بذكر هذه الطاعة تصريحا وقد ذكرت تلك الحال صريحا فى قوله تعالى وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين فاستجبناله ونجيناه من الغم نقل صاحب التيسير عن الحسين بن الفضل انه قال اذنادى لايتعلق بلا تكن اذالنداء طاعة فلا ينهى عنها فالاوجه ان يكون مفعولابه لاذكر مقدرا (قوله وحسن تذكير الفعل) مع كونه مسندا الى النعمة للفصل بينه و بين فاعله بالضمير المنصوب مع

لانه فى صورته (ام تسألهم اجرا) على الارشاد (فهم من مغرم) من غرامة (مثقلون) يحملها فيعرضون عنك (ام عندهم الغيب) اللوح اوالمغيبات (فهم يكتبون) منه مايحكمون و يستغنون به عن علمك (فاصبر لحكم ربك) و هو امهالهم وتأخير نصرتك عليهم (ولاتكن كصاحب الحوت) يونس عليه السلام (اذنادى) فى بطن الحوت (وهو مكظوم) مملوء غيظا من الضجرة فتبتلى ببلائه (لولا ان تداركه نعمة من ربه) يعنى التوفيق للتوبة وقبولها وحسن تذكير الفعل للفصل وقرئ تداركته وتداركه اى تتداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى لولا ان كان يقال فيه تتداركه (لنبذ بالعراء) بالارض الخالية عن الاشجار

ان تأنيث النعمة غير حقيقى وفيما اسند الى ظاهر غير حقيقى يجوز الامران ولان النعمة والانعام بمعنى واحد وتداركه فعل ماض بمعنى ادركه و يدل عليه قرآءة من قرأ تداركته بزيادة تاء التأنيث فى آخره وقرئ ايضا لو لا ان تداركه بتشديد الدال وهو مضارع اصله تتداركه ادغمت التاء الثانية فى الدال بعد قلبها دالا وجعل هذه القرآءة مبنية على حكاية الحال الماضية ومعنى حكاية الحال الماضية ان تقدر ان تلك الحال واقعة فى حال التكلم فيعبر عنها بلفظ يدل على وقوعها فى حال التكلم ولا يفعل هذا فيما وقع سابقا الا اذا كان امرا غريبا فتقصد بسلوك هذه الطريق ان تحضره للمخاطب وتصوره له حتى يطلع عليه فيتعجب من غرابته مثل ان تقول رأيت الاسد فآخذ السيف فاقتله فظهر بهذا التقرير ان مايكون على حكاية الحال الماضية لايدخله علم الاستقبال لان دخوله عليه ينافى الغرض المذكور فكان دخول ان الاستقبالية على قوله تداركه مانعا من حمله على حكاية الحال الماضية فلذلك قال المصنف فى تصوير المعنى حينئذ لولا ان كان يقال فيه تتداركه فادخل علامة الاستقبال على القول المقدر فصح بذلك ان يحمل قوله تداركه على حكاية الحال وليس مراده بتقدير القول بيان ان حكاية الحال تقتضى تقديره لما عرفت من ان حكايتها لاتقتضى تقدير القول بل يكفى فيها ان يقدر وقوعها فى حال التكلم و يعبر عنها بما يدل على وقوعها فيه (قوله مليم) اسم فاعل من الام الرجل بمعنى اتى بما يلام عليه (قوله وهو حال) اى من مرفوع قوله لنبذ يعتمد عليها الجواب يعنى ان جواب لو لا فى الحقيقة مفهوم قوله و هو مذموم وان كان فى الظاهر هو قوله لنبذ وذلك لان لولا الامتناعية تقتضى ان يكون جوابها منتفيا والمنتفى ههنا ليس نفس النبذ بالعراء لان ذلك قد وقع بقوله تعالى فى الآية الاخرى فنبذناه بالعراء بان سخرنا الحوت لان يلقيه فيها بل المنتفى هو نبذه فيها مذموما فانه تعالى نبذه بالعراء محمودا وارسله الى مائة الف او يزيدون من حيث انه ادركته نعمة التوفيق للتوبة عن زلته وقبول تلك التوبة ولولا ان ادركته تلك النعمة لنبذ مذموما مليما وقيل معنى الآية لولا هذه النعمة لبقى فى بطن الحوت الى يوم القيامة ثم نبذ بعراء عرصة القيامة مذموما حين يحشر الناس ولكن من الله عليه بالنعمة المذكورة فنبذه بعراء الدنيا و يدل على هذا القول قوله تعالى فلولا انه كان من المسبحين للبث فى بطنه الى يوم يبعثون (قوله بان رد الوحى اليه او استنبأه) يؤيد الاول ماروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال رد الله تعالى اليه الوحى وشفعه فى نفسه وقومه اى قبل

(وهو مذموم) مليم مطرود عن الرحمة و الكرامة و هو حال يعتمد عليها الجواب لانها المنفية دون النبذ (فاجتباه ربه) بان رد الوحى اليه او استنبأه ان صح انه لم يكن نبيا قبل هذه الواقعة (فجعله من الصالحين) من الكاملين فى الصلاح بان عصمه من ان يفعل ما تركه اولى

شفاعته

وفيه دليل على خلق الافعال الآية (٣٥) نزلت حين هم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يدعو على ثقيف وقيل

شفاعته فى نفسه وقومه و قبل توبته ومن انكر الكرامات والارهاص لابد له ان يختار هذا القول لان احتباسه فى بطن الحوت وعدم موته هناك لما لم يكن ارهاصا ولا كرامة لابد ان يكون معجزة وذلك يقتضى ان يكون رسولا قبل هذه الواقعة وقال قوم لعل صاحب الحوت ما كان رسولا قبل هذه الواقعة ثم جعله الله رسولا بعد هذه الواقعة وهو المراد من قوله تعالى فاجتباه ربه (قوله وفيه دليل على خلق الافعال) فان افعال العباد لو لم تكن بخلق الله تعالى لما قيل فجعله من الصالحين فانه صريح فى ان ذلك الصلاح انما حصل بجعل الله تعالى وخلقه (قوله ينظرون اليك شزرا) الشزر نظر الغضبان بمؤخر عينه اوعلى وجه يؤذن بالغضب والعداوة (قوله اذ روى انه كان فى بنى اسد عيانون) وكان الرجل منهم يتجوع ثلاثة ايام فلا يمر به شئ من الابل او الغنم اوغيرهما فيقول لم ار كاليوم ابلا وغنما احسن من هذه اومثلها الاعانه فلا تذهب الا قليلا حتى تسقط طسا تفة منها هالكة فسأل الكفار بعض من كان له هذه الصفة ان يقول فى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك فعصمه الله تعالى من شرهم ومن الناس من انكر اصابة العين و قال انها لا حقيقة لها لان تأثير الجسم فى الجسم لا يعقل الا بواسطة المماسة ولا مماسة ههنا فامتنع حصول التأثير والمصنف اشار الى جوابه بقوله يكون من خصائص بعض النفوس فان النفوس مختلفة فى جواهرها وهيأتها واذا كان كذلك لا يمتنع ايضا اختلافها فى لوازمها وآثارها فلا يستبعد ان يكون لبعض النفوس خاصية التأثير المذكور (قوله وقرأ نافع ليزلقونك) بفتح الياء على ان زلق بفتح اللام متعدو بالكسر لازم يقال زلقته فزلق اى اسقطته فسقط مثل حزنته فحزن والباقون بضم الياء من ازلقه اى ازل رجله (قوله وقرئ ليزهقونك) من زهقت نفسه اى هلكت وازهقها غيره اى اهلكها (قوله يفبعث عند سماعه بغضهم) يعنى ان لما ظرفية منصوبة ليزلقونك (قوله بين انه ذكر عام) اى للجن والانس يعقلون به و يستنبطون منه صلاح احوالهم المتعلقة بالدين والدنيا وفيه من الآداب والحكم و من سائر العلوم ما لا حد له ولا حصر فمن يظهر مثل هذا الكلام و يتلوه و يدعو الناس الى العمل بما فيه كيف يقال فى حقه انه مجنون والحال انه من ادل الامور على كمال عقله و علو شانه فمن نسب اليه القصور فانما هو من جهله وخيبته فان ذا الفضل لا يعرفه الا ذووه

اذا لم يكن للمرء عين صحيحة * فلا غرو أن يرتاب والصبح مسفر

تمت سورة نون والحمد لله رب العالمين

باحد حين حل به ما حل فاراد ان يدعو صلى المنهزمين (وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم) ان هى المخففة و اللام دليلها و المعنى انهم لشدة عداوتهم ينظرون اليك شزرا بحيث يكادون يزلون قدمك و يرمونك من قولهم نظر الى نظرا يكاد يصرعنى اى لو امكنه بنظره الصرع لفعله او انهم يكادون يصيبونك بالعين اذ روى انه كان فى بنى اسد عيانون فاراد بعضهم ان يعين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فنزلت وفى الحديث ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر ولعله يكون من خصائص بعض النفوس وقرأ نافع ليزلقونك من زلقته فزلق كحزنته فحزن وقرئ ليزهقونك اى ليهلكونك (لما سمعوا الذكر) اى القرءآن اى ينبعث عند سماعه بغضهم وحسدهم (ويقولون انه لمجنون) حيرة فى امره وتنفيرا عنه (وما هو الا ذكر للعالمين) لما جننوه لاجل القرءآن بين انه ذكر عام لا يدركه ولا يتعاطاه الا من كان اكمل الناس عقلا وامتنهم رأيا * عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة

أتمم اعطاءه الله نعمه عليهم الذين حسن الله بهم اى اخلاقهم .

سورة الحاقة مكية وآيها احدى وخمسون

(بسم الله الرحمن الرحيم) (الحاقة) اى الساعة او الحالة التى يحق وقوعها او التى تحق فيها الامور اى يعرف حقيقتها او يقع فيها حواق الامور من الحساب والجزاء على الاسناد المجازى وهى مبتدأ خبرها (ما الحاقة) واصله ماهى اى اى شئ هى على التعظيم لشأنها والتهويل لها فوضع الظاهر موضع الضمير لانه اهول لها (وما ادراك ما الحاقة) واى شئ اعلمك ماهى اى انك لا تعلم كنهها فانها اعظم من ان تبلغها دراية احد وما مبتدأ وادراك خبره (كذبت ثمود وعاد بالقارعة) بالحالة التى تقرع الناس بالافزاع والاجرام بالانفطار والانتثار وانما وضعت موضع ضمير الحاقة زيادة فى وصف شدتها

(سورة الحاقة)

بسم الله الرحمن الرحيم

(قوله اى الساعة اوالحالة التى يحق وقوعها) اى يجب والحاقة اسم فاعل من حق الشئ يحق بكسر الحاء اى وجب حذف موصوفها وهو الساعة اوالحالة وكذا على قوله او التى تحق فيها الامور الا انه من حققته احقه بالضم اذا عرفت حقيقته وصرت منه على يقين فعلى هذا الحاقة بمعنى العارفة للامور بحقيقتها سميت الساعة بها مع ان الفعل لاهلها على الاسناد المجازى على طريق ليله قائم ونهاره صائم فان الخلائق هم الذين يعرفون الامور على حقيقتها يوم القيامة فاسند العرفان الى الوقت مجازا (قوله او يقع فيها حواق الامور) اى ثوابتها على ان الحاقة بمعنى الثابتة من حق الشئ يحق بالكسر اى ثبت والثبوت وصف لما يقع فى الساعة من الحساب والجزاء وصف به نفس الساعة على الاسناد المجازى ايضا فقوله على الاسناد المجازى متعلق بكل واحد من الوجهين الاخيرين (قوله خبرها ما الحاقة) يعنى ان ما مبتدأ ثان والحاقة خبره والجملة خبر الاول ولما ورد ان يقال الجملة الواقعة خبر المبتدأ لابد فيها من العائد ولا عائد فى هذه الجملة اجيب بانه صح ذلك لاشتمالها على الظاهر الذى اقيم مقام الضمير العائد فان اصلها الحاقة ماهى اى اى شئ هى وضع الظاهر موضع الضمير تفخيما لشأنها وتعظيما لهولها فان معنى التفخيم وان كان مستفادا من الجملة الاستفهامية الا انه اذا وضع الظاهر موضع الضمير يكون ذلك ادل عليه وآكد فان البلغاء يضعون الظاهر موضع الضمير فى نظمهم ونثرهم لقصد التعظيم والتفخيم فيقولون زيد ما زيد بدل ان يقال ما هو لتعظيم شأنه وتفخيم امره فان دلالة الظاهر على ماهو منشأ التعظيم والتهويل اكثر من دلالة الضمير عليه فقول المصنف على التعظيم لشأنها بيان لمعنى الاستفهام وقوله لانه اهول لها اشارة الى نكتة وضع الظاهر موضع الضمير (قوله واى شئ اعلمك ماهى) اشارة الى ان ما الاولى الاستفهامية ومعناها التفخيم والتعظيم وكذا ما الثانية وكل واحدة منهما مبتدأ ومابعدها خبر والجملة الثانية فى محل النصب على انها مفعول ثان لادرى بل هى سادة مسد المفعول الثانى والثالث له لانه بمعنى اعلم وهو يتعدى الى ثلاثة وادراك غير عامل فيهما لما فيهما من معنى الاستفهام (قوله تقرع الناس بالافزاع) اى تصيبهم بها كانها تقرعهم بها شبهت الاصابة بالقرع فسميت باسمه ثم اشتق منه فهى استعارة تبعية وكان مقتضى الظاهر ان يقال كذبت ثمود وعاد بها اى بالحاقة من حيث انه تعالى لما ذكر الحاقة وفخم شأنها

شرع في ذكر من كذب بها وما خلق لهم بسبب التكذيب تذكيرا لاهل مكة وتخويفا لهم من عاقبة تكذيبهم الآنه وضع لفظ القارعة موضع ضمير الحاقة لما في القارعة من الدلالة على الشدة والهول ماليس في ضمير الحاقة وثمود قوم صالح عليه الصلاة والسلام وكانت منازلهم بالحجر فيما بين الشام والحجاز وعاد قوم هود عليه الصلاة والسلام وكانت منازلهم بالاحقاف والاحقاف رمل بين عمان الى حضرموت او اليمن كله (قوله بالواقعة المجاوزة للحد) يعني ان الطاغية صفة لمحذوف هي الواقعة وان الطغيان مجاوزة الحد في اي شئ كان وان الباء فيها للاستعانة كما في كتبت بالقلم وتلك الواقعة هي الصيحة المجاوزة في قوتها وشدتها عن حد الصيحات بحيث لم يتحملها قلب احد منهم كما قال الله تعالى انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر او الرجفة اي الزلزلة العظيمة لقوله تعالى فاخذتهم الرجفة انتهى (قوله او بسبب طغيانهم) على ان تكون الطاغية مصدرا بمعنى الطغيان كالكاذبة والعافية وتكون الباء سببية فان طغيانهم حملهم على التكذيب وعقر الناقة ونحوهما فاهلكوا بسببه كما قال تعالى كذبت ثمود بطغواها الى قوله فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها (قوله وهو لايطابق قوله واما عاد فاهلكوا) اي جعل الطاغية بمعنى الطغيان وجعل الباء سببية لايلائم قوله فاهلكوا بريح لان الباء فيه للاستعانة لاللسببية فجعلها في الجملة الاولى للسببية لايلائم مابعدها (قوله من الصر او الصر) الاول بفتح الصاد وهو الصوت يقال صر الجندب صريرا وصر القلم والصر بكسر الصاد برد يضر بالنبات والحرث (قوله كانها عتت) اي عصت وتمردت وغلبت على خزانها فجعل قوله تعالى عاتية استعارة تبعية بان شبهت شدة عصف الريح بعتوها على خزانها فسميت باسمه ثم اشتق منه لفظ عاتية حملها على المجاز لتعذر الحقيقة لان حقيقة العصيان من صفات العقلاء وقال الكلبي عتت الريح على خزانها فلم تطعهم ولم يستطيعوا ضبطها من شدة هبوبها غضبا لله تعالى ولم يخرج قبل ذلك ولابعد شئ منها الا بقدر معلوم وقال عليه الصلاة والسلام طغى الماء على خزانه يوم نوح وعتت الريح على خزانها يوم عاد فلم يكن لهم عليهما سبيل وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه انه قال المراد بعتوها غلبتها عليهم فانهم لم يقدروا على ردها بحيلة من الاستتار ببناء او الاستناد الى جبل لانها كانت تنزعهم من اماكنهم وتهلكهم (قوله اذ لو كانت) علة لوجه كون قوله تعالى سخرها عليهم نافيا لما توهم المذكور وتقريرها ان تلك الريح الصرصر العاتية لو كانت مقتضى الاتصال النجومي الفلكي لكان اقتضاؤه اياها بتقدير الفاعل المختار وجعله

(فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية) بالواقعة المجاوزة للحد في الشدة وهي الصيحة او الرجفة لتكذيبهم بالقارعة او بسبب طغيانهم بالتكذيب وغيره على انها مصدر كالعافية وهو لايطابق قوله (واما عاد فاهلكوا بريح صرصر) اي شديدة الصوت او البرد من الصر او الصر (عاتية) شديدة العصف كانها عتت على خزانها فلم يستطيعوا ضبطها او على عاد فلم يقدروا على ردها (سخرها عليهم) سلطها عليهم بقدرته وهو استئناف او صفة جيئ به لنفي مايتوهم من انها كانت من اتصالات فلكية اذ لو كانت لكان هو المقدر لها والمسبب (سبع ليال وثمانية ايام حسوما) متتابعات جمع حاسم من حسمت الدابة اذا تابعت بين كيها او نحسات حسمت كل خير واستأصلته او قاطعات قطعت دابرهم

سيالها لاان الاتصال المذكور يقتضى اباهالذاته اذ لوكان كذلك لما حصل منه
تخو يف قريش وتحذيرهم عن التكذيب بسبب كونه مؤديا الى عداوته تعالى
(قوله متتابعات) بين الله تعالى اولا زمان تعذيبهم بتسخيرالريح عليهم فقال
سبع ليال وثمانية ايام ثم بين ان ذلك التعذيب لم يكن متفرقا فى تلك المدة بل
كان على التتابع والتوالى بحيث لم يخل يوما من تلك الايام ولاليلة من ليالها عن
ذلك فقال حسوما اى متتابعة من غيرفتور ولاانقطاع فى تلك المدة وقوله تعالى
سبع ليال منصوب على الظرفية وحسوما حال من مفعول سخرها اى ارسلها
عليهم بقدرته فى حال كونها متتابعة الهبوب فى تلك المدة من غير فتور
ولا انقطاع الى ان تستأصل القوم وتقطع دابرهم وهو جمع حاسم كشهود
وقعود جمع شاهدوقاعد فقوله حسوما بمعنى حاسمات عبرعن الريح الصرصر
بلفظ الجمع لكثرتها باعتبار وقوعها فى تلك الليالى والايام ومعنى الحسم فى اللغة
القطع بالاستئصال وسمى السيف حساما لانه يحسن العدو عما يريده من بلوغ
عداوته وسمى كى الدابة ذات الداء الى ان يزول عنها الداء باصله وتنقطع مادة
الداء بالكلية حسما لان الفاعل يعيدالكى على الدابة كرة بعد اخرى الى
ان يستأصل المادة ويقطعها بالكلية ولماكانت الرياح متتابعة ماسكنت ساعة
حتى اهلكتهم جميعا شبه تتابعها عليهم بتتابع فعل الحاسم فى اعادته الكى على
الدابة مرة بعد اخرى حتى ينحسم دابها فسمى ذلك التتابع حسما وسميت الرياح
من حيث تتابع هبوبها الى ان تهلك القوم بالكلية حاسمات على سبيل الاستعارة
والحاصل ان تلك الرياح فيها ثلاث حيثيات الاولى تتابع هبوبها والثانية كونها
قاطعة لكل خير ومستأصلة لكل بركة اتت عليها والثالثة كونها قاطعة دابرهم
فسميت حسوما بمعنى حاسمات امالتشبيهها بمن يحسم داء الدابة فى تتابع الفعل
واما لان الحسم فى اللغة القطع والاستئصال (قوله ويجوز ان يكون مصدرا)
عطف على قوله جمع حاسم اى ويجوز ان يكون مصدرا بمعنى الحسم على
وزن الشكور والكفور منصوبا على انه مفعول له اى سخرها عليهم لاجل حسمهم
واستئصالهم اوعلى انه مصدر مؤكدلفعله المقدراى تحسمهم حسماوتستأصلهم
استئصالا وتكون الجملة فى محل النصب على انها حال من الضمير المنصوب فى سخرها
ويؤيده القرآءة بفتح الحاء فان حسوما فى هذه القرآءة حال بمعنى سخرهاعليهم
قاطعا مستأصلا (قوله وهى كانت ايام العجوز) وهى ايام فى آخر الشتاء ذات
برد ورياح شديدة تسميها العرب ايام العجوز امالانها فى عجز الشتاء اولان عجوزا
من قوم عاد دخلت سربا وهو بفتحتين بيت فى الارض فانتزعتها الريح فاهلكتها
(قوله تعالى صرعى) حال من القوم لان الرؤية بصرية اى لو كنت عندهم

(فى ذلك)

قويجوزان يكون مصدرا
منتصبا على العلة بمعنى
قطعا او المصدر لفعله
المقدر حالا اى تحسمهم
حسوما ويؤيده القراءة
بالفتح وهى كانت ايام
العجوز من صبيحة اربعاء
الى غروب الاربعاء
الآخر وانما سميت
عجوزا لانها عجز الشتاء
اولان عجوزا من عاد
توارت فى سرب فانتزعتها
الريح فى الثامن فاهلكتها
(فترى القوم) ان كنت
حاضرهم (فيها) فى مهابها
او فى الليالى والايام
(صرعى) موتى جمع
صريع (كانهم اعجاز
نخل) اصول نخل
(خاوية) متأكلة الاجواف

(فهل ترى لهم من باقية) من بقية ﴿ ٣٩ ﴾ اونفس باقية او بقاء (وجاء فرعون ومن قبله) ومن تقدمه وقرأ البصريان والكسائى ومن قبله اى ومن عنده من اتباعه ويدل عليه انه قرئ ومن معه (والمؤتفكات) قرى قوم لوط عليه السلام والمراد اهلها (بالخاطئة) بالخطأ او بالفعلة او الافعال ذات الخطأ (فعصوا رسول ربهم) اى فعصى كل امة رسولها (فاخذهم اخذة رابية) زائدة فى الشدة زيادة اعمالهم فى القبح (انا لما طغى الماء) جاوز حده المعتاد او طغى على خزانه وذلك فى الطوفان وهو يؤيد من قبله (حملناكم) اى آباءكم وانتم فى اصلابهم (فى الجارية) فى سفينة نوح عليه السلام (لنجعلها لكم) لنجعل الفعلة وهى انجاء المؤمنين واغراق الكافرين (تذكرة) عبرة ودلالة على قدرة الصانع وحكمته وكمال قهره ورحمته (وتعيها) وتحفظها وعن ابن كثير وتعيها بسكون العين تشبيها بكتف والوعى ان تحفظ الشئ فى نفسك والايعاء ان تحفظه فى غيرك (اذن واعية) من شأنها ان تحفظ ما يجب حفظه لتذكره واشاعته والتفكر فيه والعمل بموجبه والتنكير

فى ذلك الوقت (اى) ترى فى محالها مصروعين والكاف فى كأنهم فى موضع الحال ايضا اما من القوم على قول من جوز حالين من ذى حال واحد او من المنوى فى صرعى عند من لم يجوز ذلك اى مصروعين مشبهين باعجاز نخل خاوية الاجواف لاشئ فيها شبهوا بها من حيث ان ابدانهم خوت اى خلت من ارواحهم كالنخل الخاوية وفيه اشارة الى عظم خلقهم وضخامة اجسامهم والى ان الريح ابلتهم فصاروا كالنخل البالية قيل كانت الريح تدخل فى افواههم فتخرج ما فى اجوافهم من ادبارهم فصاروا كالنخل الخاوية البالية (قوله من بقية الخ) يعنى يجوز ان تكون الباقية اسما بمعنى البقية وان تكون صفة فيقدر لها موصوف وان تكون مصدرا بمعنى البقاء كالعافية وعلى التقادير كلها قوله من باقية مفعول ترى ومن زائدة ثم انه تعالى لما ذكر قصة ثمود وعاد من جملة المكذبين تخويفا لاهل مكة شرع فى ذكر قصص سائر المكذبين فقال وجاء فرعون ومن قبله بفتح القاف وسكون الباء بمعنى ومن تقدمه وكان قبله من الكفرة وقرئ بكسر القاف وفتح الباء بمعنى عنده من اتباعه (قوله قرى قوم لوط) سميت مؤتفكات لانه تعالى قلبها على قوم لوط عليه الصلاة والسلام من افكه على الشئ اذا قلبه وأتفكت البلدة باهلها اى انقلبت (قوله بالخطأ) على ان تكون الخاطئة مصدرا كالعافية ومابعده على ان تكون صفة لمحذوف هو الفعلة او الافعال والبناء للنسب كتامر ولابن اى بالفعلة ذات الخطأ او الافعال ذات الخطأ (قوله زائدة فى الشدة) اى على عقوبات سائر الكفار كما ان افعالهم القبيحة كانت زائدة فى القبح على افعال سائر الكفرة يقال ربا الشئ يربوا اذا زاد ومنه الربا الشرعى وهو الفضل الذى يأكله آكل الربا زائدا على ما اعطاه (قوله جاوز حده المعتاد) يعنى ان الطغيان مجاوزة الحد فالماء قد جاوز حده المعتاد حقيقة حتى قيل انه ارتفع على كل شئ خمسمائة ذراع ويجوز ان يكون المراد مجاوزة حده فى المعاملة مع خزانه من الملائكة حيث قيل ان الماء طغى على خزانه فلم يقدروا على ضبطه (قوله وهو يؤيد من قبله) بفتح القاف وسكون الباء لان الآية امتنان على المؤمنين بانجائهم مما اخذ به الجائين بالخاطئة من اغراقهم بالطوفان (قوله تشبيها بكتف) يعنى ان تعى تشبه كتف وفخذ والعرب تخفف مثلهما باسكان الوسط فلذلك اسكن فى تعيها (قوله والوعى ان تحفظ الشئ) فيقال وعيت العلم ووعيت ما قلته ويقال اوعيت المتاع فى الوعاء (قوله وان من هذا شأنه) اى ان معنى التنكير فيه للتقليل مع التعظيم وان من وعى هذه الفعله اعايعيها ويحفظها لاجل ان يذكرها للناس ويرغبهم عن الاعمال الباطلة بما فيها ويحذرهم عن الكفر المردى فيكون

وقرأ نافع اذن بالتخفيف نسلهم وادامة الجم الغفير سبب لانجاء ... فلا ... وان ...

سبباً لنجاة جم غفير ودوام نسلهم فتكون الاذن التى هذا شأنها اذنا معظمة (قوله وقرأ نافع اذن بالتخفيف) اى بسكون الذال والباقون بضمتين وهى مؤنثة وتصغيرها اذينة (قوله وتنبيها على امكانها) فان ماذكره فى شرح حال المكذبين بعد مابالغ فى تهويل الحاقة يدل على القدرة الكاملة والحكمة البالغة فكان ذلك تنبيها على امكان القيامة لان القدرة على هذه الامور العظام تدل على القدرة على البعث والنشور كما ان حكمة القادر تدل على وقوعها وشرع بعد ذلك فى تفاصيل احوال القيامة فذكر اولا مقدماتها فقال فاذا نفخ فى الصور الاية (قوله وانما حسن اسناد الفعل الى المصدر الخ) يعنى ان المصدر المبهم وهو الذى يكون لمجرد التأكيد نحو ضرب ضربت ضربا لايجوز اقامته مقام الفاعل فلا يقال ضرب ضرب وانما يقال ضرب ضربة او الضرب الفلانى لان ما يقوم مقام الفاعل يجب ان يكون مثله فى افادة مايفيده والمصدر المبهم لايفيد امرا زائدا على مدلول الفعل فلا يقام مقام الفاعل ونفخة فى هذه الآية ليست من قبيل المصادر المبهمة لانها لاتطلق على مجرد النفخ بل تطلق على النفخ المقيد بقيد المرة وحسن تذكير الفعل المسند الى نفخة للفصل بينهما اوجواز التذكير مبنى على كون تأنيث النفخة غيرحقيقى (قوله وقرئ نفخة بالنصب) اى على المصدرية واسناد الفعل الى الجار والمجرور لانه اذا لم يوجد المفعول به فجميع الفاعيل سواء فى جواز اقامتها مقام الفاعل وحمل المصنف النفخة على النفخة الاولى وهى التى لايبقى عندها حيوان الاماات ويكون عندها خراب العالم بقرينة قوله عقيبه وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة وهذه الحالة تكون عند النفخة الاولى وقوله بعد ذلك فيومئذ وقعت الواقعة هى صيحة القيامة قال الامام المراد من هذه النفخة الواحدة هى النفخة الاولى لان عندها خراب العالم ثم قال فان قيل اماقال بعد ذلك يومئذ تعرضون والعرض انما يكون عند النفخة الثانية فاجاب عنه بقوله جعل اليوم اسما للحين الواسع الذى تقع فيه النفختان والصعقة والنشور والوقوف والحساب فلذلك قال يومئذ تعرضون كما تقول جئته يوم كذا وانما كان مجيئك فى وقت واحد من اوقاته (قوله فضربت الجملتان) اشارة الى وجه تثنية ضمير دكتا والظاهر ان يقال دككن لاسناد الفعل الى الارض والجبال وهى امور متعددة الاانه جعل الجبال كلها جملة واحدة والارض جملة اخرى فعبر عنهما بضمير التثنية ونظيره قوله تعالى فى خلق السموات والارض كانتا رتقا حيث لم يقل كن (قوله فيومئذ وقعت الواقعة) جواب لقوله تعالى فاذا نفخ فى الصور ويومئذ بدل من اذا وتكرير لمعناه كرره لماطال الكلام والبدل مع متبوعه منصوب بان يوقعت

(ويومئذ)

(فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة) لما بالغ فى تهويل القيامة وذكر مآل المكذبين بها تفخيما لشأنها وتنبيها على امكانها عاد الى شرحها وانما حسن اسناد الفعل الى المصدر لتقيده وحسن تذكيره للفصل وقرئ نفخة بالنصب على اسناد الفعل الى الجار والمجرور والمراد بها النفخة الاولى التى عندها خراب العالم (وحملت الارض والجبال) رفعت من اماكنها بمجرد القدرة الكاملة او بتوسط زلزلة اوريح عاصفة (فدكتا دكة واحدة) فضربت الجملتان بعضها ببعض ضربة واحدة فيصير الكل هباء اوفبسطتا بسطة واحدة فصارتا ارضا لاعوج فيها ولا امتالان الدك سبب للتسوية ولذلك قيل ناقة دكاء للتى لاسنام لها وارض دكاء للمتسعة المستوية (فيومئذ) فحينئذ (وقعت الواقعة) قامت القيامة (وانشقت السماء) لنزول الملائكة (فهى يومئذ واهية) ضعيفة مسترخية

و يومئذ فى قوله فهى يومئذ واهية ظرف لواهية اى فالسماء يوم اذا نفخ فى الصور وقامت القيامة حقيقة مسترخية ساقطة القوة كالعهن المنفوش بعد ان كانت محكمة شديدة يقال وهى البناء يهى وهيا فهو واه اذا ضعف جدا (قوله تعالى والملك على ارجائها) قال الضحاك اذا كان يوم القيامة امر الله تعالى السماء الدنيا فتشققت وتكون الملائكة على ارجائها حتى يأمرهم الرب فينزلون الى الارض فيحيطون بالارض ومن عليها وقيل ان الناس اذا رأوا جهنم يفزعون فيندون كما تند الابل فلا يأتون قطرا من اقطار الارض الا رأوا ملائكة فيرجعون الى حيث جاؤا (قوله ولعله تمثيل لخراب الدنيا) الظاهر انه اشارة الى ما اورده الامام الرازى بقوله فان قيل الملائكة يموتون فى الصعقة الاولى لقوله تعالى ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون فكيف يقال انهم يقفون للحفظ على ارجاء السماء يومئذ واجاب عنه بقوله قلنا الجواب من وجهين الاول انهم يقفون على ارجاء السماء ثم يموتون والثانى ان المراد بالملائكة هم الذين استثناهم الله تعالى بقوله تعالى الا من شاء الله واشار المصنف الى جوابه الاول بقوله وان كان على ظاهره فلعل هلاك الملائكة اثر ذلك بعد ما اجاب عنه من قبل نفسه بان الكلام ليس على ظاهره حتى يرد ماذكر بل هو من قبيل الاستعارة التمثيلية بان شبه خراب السماء بتشققها واسترخائها والتجاء اهلها الى اطرافها الباقية على حالها بخراب البنيان فعبر عن الهيئة المشبهة بما يعبر به عن الهيئة المشبه بها من غير ان يكون فى جانب الهيئة المشبهة اهل واطراف والتجاء الاهل اليها حتى يرد ان يقال ان اهل السماء يموتون عند النفخة الاولى فكيف يقفون على ارجائها (قوله اوفوق الثمانية) يعنى ان ضمير فوقهم راجع الى الجملة الثمانية والمعنى انهم يحملون العرش فوق انفسهم يومئذ فكل واحد من قوله فوقهم و يومئذ ظرف لقوله يحملون حينئذ واما على تقدير ان يكون ضمير فوقهم للملائكة الذين هم على الارجاء فالظاهر حينئذ ان يكون فوقهم حالا من ثمانية قدمت عليها لكونها نكرة (قوله ولعله ايضا تمثيل) جواب عن استدلال المشبهة بهذه الآية على انه تعالى حاضر فى العرش متمكن فيه وجه الاستدلال انه تعالى لو لم يكن متمكنا مستقرا فى العرش لكان حمله عبثا عديم الفائدة لاسيما وقد اكد ذلك بقوله يومئذ تعرضون والعرض انما يكون ان لو كان الاله حاضرا فى العرش قال الامام اجاب اهل التوحيد عن هذا الاستدلال بانه لا يمكن ان يكون المراد منه انه تعالى جالس فى العرش وذلك لان كل من كان حاملا للعرش كان حاملا لكل ما كان فى العرش فلو كان الاله فى العرش للزم ان تكون الملائكة حاملين له تعالى وذلك

(والملك) والجنس المتعارف بالملك (على ارجائها) جوانبها جمع رجى بالقصر ولعله تمثيل لخراب الدنيا بخراب البنيان وانضواء اهلها الى اطرافها وحواليها وان كان على ظاهره فلعل هلاك الملائكة اثر ذلك (ويحمل عرش ربك فوقهم) فوق الملائكة الذين هم على الارجاء اوفوق الثمانية لانها فى نية التقديم (يومئذ ثمانية) ثمانية املاك لما روى مرفوعا انهم اليوم اربعة فاذا كان يوم القيامة ايدهم الله باربعة اخرى وقيل ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عددهم الا الله تعالى ولعله ايضا تمثيل لعظمته بما يشاهد من احوال السلاطين يوم خروجهم على الناس للقضاء العام وعلى هذا قال

تشبيها للمحاسبة بعرض السلطان العسكر ليتعرف احوالهم هذا وان كان بعد النفخة الثانية لكن لما كان ذلك اليوم اسما لزمان متسع يقع فيه النفختان و الصعقة والنشور والحساب وادخال اهل الجنة الجنة واهل النار النار صح جعله ظرفا للكل (لاتخفى منكم خافية) سريرة على الله تعالى حتى يكون العرض للاطلاع عليها وانما المراد افشاء الحال والمبالغة فى العدل اوعلى الناس كما قال يوم تبلى السرائر وقرأ حمزة والكسائى باليا. الفصل (فاما من اوتى كتابه بيمينه) تفصيل للعرض (فيقول) تبجحا (هاؤم اقرأوا كتابيه) ها اسم لخذ وفيه لغات اجودها هاء يارجل وهاء ياامرأة وهاؤما يارجلان او امرأتان وهاؤم يارجال وهاؤن يانسوة ومفعوله محذوف وكتابيه مفعول اقرأوا لانه اقرب العاملين ولانه لوكان مفعول هاؤم لقيل اقرأوه

محال لانه يقتضى احتياج الله تعالى اليهم وان يكونوا اعظم قدرة من الله تعالى وكل ذلك كفر صريح فعلمنا انه لابد فيه من التأويل فذكر فى تأويله ماذكره المصنف من انه تمثيل لعظمة الله بما يشاهد من احوال السلاطين يوم بروزهم للقضاء العام فكما ان الملك اذا اراد محاسبة رعيته وعماله جلس لهم على سرير ووقف الاعوان حوله كذلك اخبر الله تعالى انه يحضر يوم القيامة عرشا محفوفا بالملائكة تصويرا لهم عظمة نفسه بما يتعارفونه فى التعبير عن عظيم العظماء لان له عرشا يقصد عليه و يحتاج الى حمله فى وقت محاسبة الخلق والله اعلم (قوله تشبيها للمحاسبة بعرض السلطان العسكر) اى باحراره اياهم عليه ليعرف حالهم يعنى قوله تعرضون استعارة تبعية بمعنى تحاسبون تشبيها للمحاسبة بالعرض المذكور قال الجوهرى عرضت الخيل على عينى اذا امررتهم عليك ونظرت حالهم (قوله هذا وان كان بعد النفخة الثانية) جواب عما يقال كيف قلت ان المراد بهذه النفخة هى النفخة الاولى التى عندها خراب العالم مع ان قوله تعالى يومئذ تعرضون يفهم منه ان المراد بالنفخة النفخة الثانية لان العرض والحساب انما يكون عندها ومحصول جوابه ان تعقيب النفخة بما يتعلق بخراب العالم لمادل على ان المراد بها النفخة الاولى قلنا بذلك وقوله تعالى بعد ذلك يومئذ تعرضون لاينافى ذلك لان اليوم قد يطلق على الزمان الممتد (قوله سريرة) والمعنى لايخفى عليه تعالى ضلة خفية حال كونها واقعة منكم وتسرونها من اعمالكم فان السر والسريرة الذى يكتم و يخفى والجملة مستأنفة لبيان ان العرض المذكور ليس لخفاء شئ من اعمالكم عليه كما قال لايخفى على الله منهم شئ بل المراد به افشاء الحال وتحقيق انه تعالى ليس بظلام للعبيد (قوله اوعلى الناس) عطف على قوله على الله فعلى هذا يتعلق قوله منكم بقوله لايخفى اى لايخفى منكم يوم القيامة ما كان يخفيه الانسان من الطاعة والمعصية فى الدنيا فانه يظهر فيه احوال المؤمنين فيتكامل بذلك سرورهم وتظهر احوال اهل العذاب فيظهر بذلك خزيهم وفضيحتهم وهو المراد من قوله تعالى يوم تبلى السرائر فماله من قوة ولاناصر فقوله تعالى لاتخفى منكم خافية زجر عظيم عن المعصية لتأديتها الى الافتضاح على رؤس الاشهاد (قوله تبجحا) بالجيم ثم الحاء ومعناه الفرح يقال بجحته فبجح اى فرحته ففرح فانه لما اوتى كتابه بيمينه علم انه من الناجين والفائزين بالنعيم المؤبد فاحب ان يظهر ذلك لغيره حتى يفرحوا بماله وقيل ذلك لاهل بيته وقرابته (قوله وفيه لغات اجودها هاءيارجل) بفتح الهمزة وهاء يا امرأة بكسر الهمزة وتصريفها هاء هاؤ ماهاؤم وهاء هاؤما هاؤن (قوله ومفعوله محذوف) يعنى ان قوله تعالى هاؤم لكونه

اذالاولى اضماره حيث امكن والهاء فيه وفى حسابيه وماليه وسلطانيه للسكت

بمعنى خذوا وتناولوا يقتضى مفعولا يتعدى اليه بنفسه وكذا قوله اقرأوا يقتضى ذلك فتنازعا فى قوله كتابيه واعمل الثانى لكونه اقرب العاملين واعمال الاقرب فى مثله جائز بالاتفاق بين البصريين والكوفيين الا ان الكوفيين يجوزون اعمال الابعد ايضا لكونه متقدما فى الوجود على العامل الثانى والبصريون لايجوزون اعمال الابعد لان بعده عن الاسم الظاهر الذى بعده يجعله مرجوحا ضعيفا ولا اثر للضعف عند وجود ماهو اقوى منه وايضا لو كان العامل هو الابعد لكان التقدير هاؤم كتابى فكان يجب ان يقول اقرأوه لما تقرر فى النحو انه ان اعمل الفعل الاول والحال ان الثانى يطلب مفعولا فالمختار ان لايحذف مفعول الثانى بل يجب ضميرا بارزا وذلك لان الثانى مع كونه اقرب الطالبين اذا لم يحظ بمطلوبه مع الامكان فحقه ان يشتغل بما يقوم مقام مطلوبه لئلا يلزم حرمانه عنه بالكلية فلما لم يبرز مفعول اقرأوا علمنا انه هو العامل فى كتابيه ومفعول هاؤم محذوف والتقدير هاؤم كتابى اقرأوا كتابى فحذف الاول لدلالة الثانى عليه (قوله تثبت فى الوقف وتسقط فى الوصل) بيان لما هو الاصل فى هاء السكت لان هاء السكت انما جيء بها تحصينا لحركة الحرف الموقوف عليها وبيانا لها فانه لولم يجأ بها ووقف على الياء لسكنت فجيء بالهاء حفظا لحركتها فثبت انه لا حاجة اليها حال الوصل فلذلك كان حقها ان تثبت فى الوقف وتسقط فى الوصل الا ان القراء السبعة اتفقوا فى كتابيه وحسابيه على اثبات هاء السكت فيهما فى الوصل ايضا اجراء للوصل مجرى الوقف واتباعا لرسم الامام فانها ثابتة فى المصحف فى هذه المواضع وماكان ثابتا فيه لابد ان يكون ثابتا فى اللفظ الا ان اثباته فى اللفظ انما يحسن عند الوقف فعلم منه ان المستحب ان يوقف عليها وان من وصلها يثبتها حال الوصل ايضا اتباعا للرسم لان ما ثبت فى الرسم لابد ان يثبت فى اللفظ ولذلك اتفقوا فى ماليه وسلطانيه وماهيه فى القارعة على اثباتها فى الحالتين الا حمزة فانه اسقط الهاء من هذه الكلم الثلاث وصلا واثبتها وقفا على الاصل ولم يعمل بالاصل فى كتابيه وحسابيه واثبتها فى الحالين جمعا بين اللغتين والهاء التى فى قاصية وفى هاوية وفى خاوية وثمانية وعالية ودانية والحالية فانها فيهن للتأنيث فيوقف عليهن بالهاء ويوصلن بالتاء وقيل لابأس باسقاط هاء السكت حال الوصل فى جميع هذه المواضع مع اجماع السبعة على خلافه بناء على ان الوقف والابتداء وماهو من قبيل الاداء ليس مما يعتمد على النقل المتواتر (قوله اى علمت) فسر الظن بالعلم لانه لو ابقى على اصله لكان يعنى انى ظننت انى احاسب فى الآخرة والاعتقاد بالبعث والحساب من جملة العقائد الدينية التى يجب الايمان بها والايمان لايحصل بالشك والظن بل لابد

تثبت فى الوقف وتسقط فى الوصل واستحب الوقف لثباتها فى الامام ولذلك قرئ باثباتها فى الوصل (انى ظننت انى ملاق حسابيه) اى علمت ولعله عبر عنه بالظن اشعارا بانه لايقدح فى الاعتقاد ما يهجس فى النفس من الخطرات التى لاتنفك عنها العلوم النظرية غالبا

المؤمن ان يتيقن بحقية البعث والحساب وما يتفرع عليهما فلذلك فسره به فالمعنى انى علمت وتيقنت فى الدنيا ان لله تعالى يبعثنى و يحاسبنى فاجتهدت فى الطاعات ومجانبة السيئات مااستطعت فجازانى تعالى الله برحمته وفضله من اهوال هذا اليوم وجعلنى من الآمنين فيه كما وفقنى فى الدنيا للايمان به والخوف من اهواله والعمل له عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال اول من يعطى كتابه بيمينه من هذه الامة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وله شعاع كشعاع الشمس قيل له فاين ابو بكر رضى الله تعالى عنه فقال هيهات زفته الملائكة الى الجنة (قوله ذات رضى) اى رضى بها صاحبها والنسبة قد تكون بالحرف نحو رومى و بصرى وقد تكون بصيغة نحو تامر ولابن وراضية من هذا القبيل ويجوز ان تكون من قبيل الاسناد المجازى حيث اسند الرضى الى ضمير العيشة وهو لصاحبها (قوله وذلك) اى كون العيشة راضية باحد الوجهين لاشتمالها على ثلاثة امور فان مآل الوجهين كون العيشة مرضية) والشئ انما يكون مرضيا من جميع الوجوه اذا اجتمع فيه ثلاثة امور الاول كونه منفعة صافية من الشوآئب والثانى كونه دائما لايرقب زواله وانقطاعه والثالث كونه بحيث يقصد به تعظيم من رضى به واكرامه والا كان استهزآء واستدراجا وعيشة من اعطى كتابه بيمينه جامعة لهذه الامور فتكون مرضيا بها كمال الرضى قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انهم يعيشون فلا يموتون ابدا و يصحون فلا يمرضون ابدا و ينعمون فلا يرون بأسا ابدا و يشبون فلا يهرمون ابدا (قوله فى جنة عالية) بدل من عيشة باعادة الجار ويجوز كونه متعلقا بعيشة راضية اى يعيش عيشا مرضيا فى جنة عالية والعلو ان اريد به العلو فى المكان فهو حاصل لان الجنة فوق السموات وان اريد به العلو فى الدرجة والشرف فالامر كذلك وان اريد علو أبنيتها ومافيها من الاشجار فالامر كذلك فهى عالية من جميع الجهات (قوله جمع قطف) بكسر القاف وسكون الطاء وهو العنقود والقطف بالفتح مصدر يقال قطفت العنب قطفا والقطاف وقت القطف والمصنف غلب القطف فى جميع مايجتنى من الثمر عنبا كان اوغيره ومعنى السرعة انه اذا اراد ان يأخذها بيده قائما اوجالسا او مضطجعا انقادت له وكذا ان اراد ان تدنو الى فيه دنت (قوله باضمار القول) اى يقال لهم كلوا وهذا امر امتنان واباحة لاامر تكليف ضرورة ان الآخرة ليست بدار تكليف (قوله وجمع الضمير) اى بعد قوله فهو فى عيشة راضية للمعنى فانه راجع الى من فى قوله فاما من اوتى كتابه وهو فى معنى الجمع (قوله أكلا وشربا هنيئا) على ان يكون قوله هنيئا صفة مصدر محذوف وقوله اوهنئتم هنيئا على ان يكون

(مصدرا)

فهو فى عيشة راضية)
ت رضى على النسبة
بينة او بجعل الفعل
مجازا وذلك لكونها
الصية عن الشوآئب
مقة بعز ومنة بالتعظيم
فى جنة عالية) مرتفعة
كان لانهما فى السماء
الدرجات اوالابنية
لاشجار (قطوفها)
ع قطف وهو مايجتنى
سرعة والقطف بالفتح
مصدر (دانية) يتناولها
قاعد (كلوا واشربوا
ضمار القول وجمع الضمير
معنى (هنيئا) أكلا وشربا
هنيئا اوهنئتم هنيئا (بما
سلفتم) بما قدمتم من
الاعمال الصالحة (فى الايام
الخالية) الماضية من ايام
الدنيا (واما من اوتى
كتابه بشماله فيقول)
يقول لما يرى من قبح
العمل وسوء العاقبة

مصدروا مؤكدا للفعل المحذوف وكل شئ يأتيك من غير تعب فهو هنئ اى لاتكدير فيه ولاتنغيص ومعنى الاسلاف فى اللغة تقديم ماترجو ان يعود عليك بخير فهو كالاقراض ومنه يقال اسلف فى كذا اذا قدم فيه ماله والمعنى بما عملتم فى الدنيا والباء اماسببية او للمقابلة اى بدل مااسلفتم (قوله ياليت الموتة التى متها) الموتة وان لم تكن مذكورة الا انها فى حكم المذكور بدلالة المقام والقاضية القاطعة للحياة اى ياليت الموتة التى متها لم احى بعدها يتمنى عند مطالعة كتابه ان تدوم عليه الموتة الاولى وان لايبعث للحساب ولايلقى ما اصابه من الحالة وسوء العاقبة (قوله او ياليت هذه الحالة) اى او يكون ضمير ليتها للحالة التى شاهدها عند مطالعة الكتاب اى ليت هذه الحالة كانت الموتة التى قضت على يتمنى ان يكون بدل تلك الحالة الموتة القاضية لانه رأى تلك الحالة اشنع وامر مما ذاقه من مرارة الموت وشدته فتمناه عندها والوجه الثالث ان يكون ضمير ليتها لحياة الدنيا وهو ظاهر (قوله ومانى) اى يجوز ان تكون ما فى ما اغنى نافية وما فى مالى موصولة ولى صلتها فحينئذ يكون مفعول اغنى محذوفا والتقدير لم يدفع عنى الذى كان لى فى الدنيا من الاموال والاتباع شيأ من عذاب الآخرة ويحتمل ان يكون مالا مضافا الى ياء المتكلم والمعنى لم يغن عنى المال الذى كان لى فى الدنيا شيأ من العذاب بل ألهانى عن امر الآخرة وضرنى فضلا عن ان ينفعنى ويجوز ان تكون استفهامية منصوبة المحل على انها مفعول اغنى والاستفهام للانكار والمعنى اى شئ اغنى عنى ماجمعته من الاموال والاتباع اى لم ينفعنى ولم يدفع عنى شيأ من العذاب * والسلطان من السلاطة وهى القهر والغلبة يطلق على الوالى لاتصافه بها وعلى الحجة والبرهان ايضا لكونه سببالها وفسر فى الآية بكل واحد من المعنيين كأنه يتحسر ويقول كان لى فى الدنيا ملك وتسلط على الناس او حجة أحتج بها عليهم فالآن بطل ذلك وبقيت ذليلا مبهوتا فحينئذ يقول الله تعالى لخزنة النار خذوه فغلوه اى اجعلوا يده الى عنقه وشدوه بالغل وهو جمع اليدين الى العنق بالقيد (قوله ثم لاتصلوه) اى لاتدخلوه الا الجحيم اى لاتحرقوه الا فيها يقال صليت الرجل نارا اذا ادخلته النار وجعلته يصلاها فان القيته فيها القاء كانك تريد الاحراق قلت اصليته النار اصلاء وصليته تصلية والسلسلة حلق منتظمة كل حلقة فيها حلقة (قوله تعالى سبعون ذراعا) فى محل الجر على انه صفة سلسلة وذراعا تمييز وقوله فى سلسلة متعلق بقوله فاسلكوه اى ثم اسلكوه فى سلسلة من صفتها كيت وكيت اى أدخلوه فيها والسلك هو الادخال فى الطريق والخيط والقيد وغيرها وتقديم فى سلسلة على عامله كتقديم الجحيم على قوله صلوه فى الدلالة على قصر الفعل عليه

(ياليتنى لم اوت كتابيه ولم ادر ماحسابيه ياليتها) ياليت الموتة التى متها (كانت القاضية) القاطعة لامرى فلم ابعث بعدها او ياليت هذه الحالة كانت الموتة التى قضت على كانه صادفها امر من الموت فتمناه عندها او ياليت حياة الدنيا كانت الموت ولم اخلق حيا (مااغنى عنى ماليه) مالى من المال والتبع ومانفى والمفعول محذوف او استفهام انكار مفعول لاغنى (هلك عنى سلطانيه) ملكى وتسلطى على الناس او حجتى التى كنت احتج بها فى الدنيا (خذوه) يقول الله تعالى لخزنة النار (فغلوه ثم الجحيم صلوه) ثم لاتصلوه الا الجحيم وهى النار العظمى لانه كان يتعظم على الناس (ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا) اى طويلة

(فاسلكوه) فادخلوه فيهما بان تلفوها على جسده وهو فيما بينهما بحيث لايقدر على حركة وتقديم السلسلة كتقديم الجحيم للدلالة على التخصيص والاهتمام بذكر انواع مايعذب به وثم لتفاوت مابينهما في الشدة (انه كان لايؤمن بالله العظيم) تعليل على طريقة الاستئناف للمبالغة وذكر العظيم للاشعار بانه هو المستحق للعظمة فمن تعظم فيها استوجب ذلك (ولايحض على طعام المسكين) ولايحث على بذل طعامه اوعلى اطعامه فضلا ان يبذل من ماله

(قوله بان تلفوها على جسده) يعني ان المراد بادخال العاصي في السلسلة جعله محاطا بها على طريق ادخال الخيط في اللؤلؤة كما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان اهل النار يكونون في السلسلة كما يكون الثعلب في الجبة والثعلب طرف الرمح الداخل في جبة السنان وهي الزج وذلك انما يكون بلفها على جسده بحيث يكون فيما بينها مرهقا محاطا مضيقا عليه الجوهري رهقه بالكسر يرهقه رهقا اي غشيه قال تعالى لايرهق وجوههم قتر ولاذلة والمرهق الذي ادرك ليقتل (قوله وثم لتفاوت مابينهما في الشدة) يعني ان قوله فغلوه عطف على ماقبله بفاء التعقيب وعطفت الجملتان اللتان بعدها بكلمة ثم للدلالة على التراخي وظاهر ان التراخي الزماني غير مراد لان المقام مقام التهديد والتهويل ولاشك ان التهديد بتوالي العذاب اشدوا فظع من التهديد بتفريقه في الازمنة فتعين ان المراد التراخي الرتبي ثم ان كلمة ثم والفاء الواقعتين في الجملة الاخيرة ان كانتا لعطف جملة فاسلكوه لزم اجتماع حرفي العطف وتواردهما على معطوف واحد ولاوجه له فينبغي ان تكون كلمة ثم لعطف قول مضمر على قول اضمر قبل قوله خذوه اي قيل لخزنة النار خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم قيل لهم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه وتكون الفاء لعطف المقول على المقول مع افادة معنى التعقيب وكلمة ثم لعطف القول على القول مع الدلالة على ان الامر الاخير اشد واهول مما قبله من الاوامر مع تفاوت المأمور به من الاخذ وجعل يده مغلولة الى عنقه وتصليته الجحيم وسلكهم اياه في السلسلة الموصوفة واشير بكلمة ثم الى ان امرهم بالاخير اشد من امرهم بما امر وا به قبله (قوله تعليل على طريقة الاستئناف) اي بيان لسبب استحقاقه لهذا العذاب الشديد للمبالغة في عظم جريمته كانه قيل ماباله يعذب هذا العذاب الشديد فاجيب بذلك لازالة استعظام الجزاء فان السائل لما استفظع الجزاء واستهوله فسأل عن السبب الذي يوجب هذه العقوبة الهائلة كان الواجب ان يبالغ في عظم الجريمة وقبحها ويقال كيف لايشتد عذابه وانه قد ارتكب هذه الجريمة التي هي اقبح الجرائم واشنعها كيف لاوقد تقدم مرارا ان مدار التكليف امران احدهما تعظيم امر الله والثاني الشفقة على خلق الله فمن لايصدق بوحدانية الله تعالى ولم يؤمن بوحدانيته فقد ترك تعظيم امره ومن لم يحض غيره على طعام المسكين فقد ترك الشفقة على خلق الله فمن اخل بهما فقد خلع ربقة العبودية من عنقه وفي قوله ولايحض على طعام المسكين دليلان قويان على عظم هذه الجريمة احدهما عطفه على الكفر وجعله قرينا له والثاني ذكر الحض دون الفعل ليعلم ان تارك الحض اذا كان بهذه المنزلة فكيف

(بتارك)

بتارك الفعل والحض الحث على الفعل واظهار الرغبة في ابتاعه وايقاعه وهو لايتعلق بما هو من قبيل الاعيان وانما يتعلق بما هو من قبيل الافعال والطعام عين لانه اسم لمايطعم و يؤكل وليس بفعل حتى يحث عليه فاشار المصنف الى توجيه نظم الآية بقوله ولايحث على بذل طعامه اوعلى اطعامه يعني ان نظم الآية مبنى على تقدير المضاف اى لايحث على بذل طعامه اوعلى ان الطعام فيه اسم اقيم مقام الاطعام واستعمل بمعناه كما يقام العطاء مقام الاعطاء في كلامهم (قوله و يجوز ان يكون ذكر الحض) كانه جواب عما يقال الظاهر ان يقال ولا يبذل طعام المسكين اى ولا يطعم المسكين فلم عدل عنه الى قوله ولايحض على بذل طعامه اواطعامه وانما قلنا الظاهر ان يقال ذلك لان الكلام مسوق لبيان عظم جريمته ولاشك ان ترك الفعل اعظم جريمة من ترك الحث عليه (قوله وفيه دليل على تكليف الكفار بالفروع) على معنى انهم يعاقبون على ترك الامتثال بها كعدم اقام الصلاة وايتاء الزكاة والانتهاء عن الفواحش والمنكرات لاعلى معنى انهم يطالبون بها حال كفرهم فانهم غير مكلفين بالفروع بهذا المعنى لانعدام اهلية الاداء ولاثواب لاعمال الكفار واهلية الوجوب لا تستلزم اهلية الاداء كما تقرر في الاصول (قوله تعالى فليس له اليوم ههنا حميم ولاطعام) حميم اسم ليس وقوله ولاطعام عطف عليه وله خبره وقوله اليوم و ههنا ظرفان لما تعلق به له و المعنى فليس له يوم يقال فى حقه خذوه فغلوه ههنا اى في الآخرة قريب وصديق يرق لما ناله ويدفعه عنه اويشفع عليه لقوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وليس له طعام يأكله لبخله عن الاطعام الامن غسلين وهو ما ينفصل من ابدانهم من القيح والدم روى انه لو وقعت قطرة منه على الارض لافسدت معايشهم فالياء والنون زائدتان في غسلين (قوله من خطئ الرجل الخ) يقال خطئ الرجل يخطأ خطئا فهو خاطئ على وزن علم يعلم علما فهو عالم اذاتعمد الخطئ بمعنى الذنب فان الخطأ المضاد للصواب لا يقال في الفعل منه خطئ فهو خاطئ بل يقال اخطأ فهو مخطئ اوتخطأ فهو متخطئ اى اراد الصواب فصار الى غيره من غير ان يتعمده و يقصده ثم انه تعالى لما ذكر مايدل على امكان القيامة ثم على وقوعها ثم ذكر احوال السعداء ختم الكلام بتعظيم القرآن فقال فلااقسم بماتبصرون وكلمة لافيه يجوز ان تكون نافية للقسم على ان هذا القول قول رسول كريم اى لا اقسم عليه لانه لوضوحه يستغنى عن تأكيده بالقسم و يجوز ان تكون صلة و يكون المعنى فاقسم بالاشياء كلها مما في الدنيا والآخرة فان منها ما يبصر ومنها مالا يبصر وان يكون لرد انكارهم البعث

ويجوز ان يكون ذكر الحض للاشعار بان تارك الحض بهذه المنزلة فكيف بتارك الفعل وفيه دليل على تكليف الكفار بالفروع ولعل تخصيص الامرين بالذكر لان اقبح العقائد الكفر بالله واشنع الرذائل البخل وقسوة القلب (فليس له اليوم ههنا حميم) قريب يحميه (ولاطعام الامن غسلين) غسالة اهل النار وصديدهم فعلين من الغسل (لا يأكله الا الخاطئون) اصحاب الخطايا من خطئ الرجل اذا تعمد الذنب لامن اخطأ المضاد للصواب وقرئ الخاطيون بقلب الهمزة ياء والخاطون بطرحها (فلا اقسم) لظهور الامر واستغنائه عن التحقيق بالقسم اوفاقسم ولا مزيدة او فلا رد لانكارهم البعث واقسم مستأنف (بماتبصرون وما لا تبصرون) بالمشاهدات والمغيبات وذلك يتناول الخالق والمخلوقات باسرها (انه) ان القرآن (لقول رسول) يبلغه عن الله فان الرسول لا يقول عن نفسه

[illegible] جبريل عليهما الصلاة و السلام [illegible] (وما هو بقول شاعر) كما [illegible]

واختلاف قسم على حقية القرآن (قوله وهو محمد اوجبريل عليهما الصلاة والسلام) فان قيل لا شك ان القرآن كلام الله تعالى فكيف يصح ان يكون الكلام الواحد كلام الله تعالى و كلام جبريل ومحمد عليهما الصلاة والسلام اجيب بان الاضافة يكفي فيها ادنى ملابسة فالقرآن كلام الله تعالى حقيقة اظهره في اللوح المحفوظ ورتبه ولفظه وهو ايضا كلام جبريل عليه الصلاة والسلام من حيث انه انزله من السموات الى الارض وتلاه على خاتم النبيين وهو ايضا كلام سيد المرسلين صلى الله تعالى عليه وسلم من حيث انه اظهره للخلق ودعا الناس الى الايمان به وجعله حجة النبوة (قوله لما ظهر لكم صدقه) مستفاد من كون المقام مقام اللزوم والتوبيخ بعدم الايمان وقوله تصديقا قليلا اشارة الى انتصاب قليلا هنا وفيما بعده على انه صفة مصدر محذوف للفعل الذي بعده وان ما مزيدة للتأكيد (قوله المنافية لطريقة الكهنة ومعاني اقوالهم) من قبيل اللف والنشر المرتب فان الكاهن من تأتيه الشياطين ويلقون اليه ما سمعوه من اخبار السماء فيخبر الناس بما سمعه منهم وطريقه عليه الصلاة والسلام منافية لطريق الكاهن من حيث ان ما يلقيه من الكلام مشتمل على ذم الشياطين وسبهم فكيف يمكن ان يكون ذلك بالقاء الشياطين اليه فانهم لا يلقون فيه ذمهم وسبهم لاسيما على من يلعنهم ويطعن فيهم وكذا معاني ما بلغه عليه الصلاة والسلام منافية لما في اقوال الكهنة فانهم لا يدعون الى تهذيب الاخلاق وتصحيح العقائد والاعمال المتعلقة بالمبدأ والمعاد بخلاف معاني اقواله عليه الصلاة والسلام فلو تذكر اهل مكة معاني القرآن ومعاني اقوال الكهنة لما قالوا بانه قول كاهن (قوله وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالياء) اي بياء الغيبة فيهما اي في قوله يؤمنون ويذكرون على الالتفات وقرأ الجمهور بتاء الخطاب على وفق قوله بما تبصرون وما لا تبصرون (قوله كانها جمع افعولة) اشارة الى وجه كون هذه التسمية تحقيرا للاقوال المفتراة فان صيغة افعولة انما تطلق على محقرات الامور غير انها كالاعجوبة لما يتعجب منه والاضحوكة لما يضحك منه واقوولة ليس بمستعمل فلذلك لم يقطع بكون الاقاويل جمعاله بل قال كانها جمع افعولة للاشعار بان كونه على صورة جمع افعولة كاف في التحقير والظاهر ان الاقاويل جمع اقوال واقوال جمع قول كاناعيم جمع انعام وانعام جمع نعم (قوله نياط قلبه) الجوهري النياط عرق ابيض غليظ كالقصبة علق به القلب من الوتين فاذا قطع مات صاحبه وقال ايضا الوتين عرق في القلب متصل بالرأس اذا

[illegible] (فقليلا ما تؤمنون) [illegible] تصدقون بما نهيم لكم صدقه تصديقا قليلا لفرط عنادكم (ولا بقول كاهن) كما تزعمون تارة اخرى (قليلا ما تذكرون) تذكرون تذكرا قليلا فلذلك يلتبس الامر عليكم وذكر الايمان مع نفي الشاعرية والتذكر مع الكاهنية لان عدم مشابهة القرآن للشعر امر بين لا ينكره الا معاند بخلاف مباينته للكهانة فانها تتوقف على تذكر احوال الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ومعاني القرآن المنافية لطريقة الكهنة ومعاني اقوالهم وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالياء فيهما (تنزيل) هو تنزيل (من رب العالمين) نزله على لسان جبريل (ولو تقول علينا بعض الاقاويل) سمى الافتراء تقولا لانه قول متكلف والاقوال المفتراة اقاويل تحقيرا بها كانها جمع افعولة من القول كالاضاحيك (لاخذنا منه باليمين) بيمينه (ثم لقطعنا منه الوتين) اي نياط قلبه بضرب عنقه

انقطع مات صاحبه . (قوله وهو تصوير لاهلاكه بافظع ما الخ) يعني انه تعالى لم يكتف بان يقول لو نسب الينا قولا لم نقله لا هلكناه اولضربنا عنقه بل عدل الى مايدل على سخط الله تعالى عن من افترى عليه للدلالة على ان الافتراء عليه مو جب لذلك والوجه فى كون الاهلاك بان يأخذ الجلاد بيمين الجانى فيضرب عنقه افظع وجوه الاهلاك ان الجلاد حينئذ يضرب بالسيف فى جيده مواجهة من جهة اما مه وهو اشد على المقتول من ان يضرب عنقه من جهة قفاه لانه ينظر الى السيف حينئذ فان الجلاد اذا اراد ان يضرب قفا المقتول اخذ بيساره فيضرب عنقه من خلفه واذا اراد ان يوقع الضرب فى جيده مو جهة يأخذ بيمين المقتول و يضرب بالسيف فى جيده من جهة امامه ولاشك انه اشد على المقتول وافظع (قوله وقيل اليمين بمعنى القوة) فالمعنى لا نتقمنا منه بقوتنا وقدرتنا كما فى قوله

اذا ما راية رفعت لمجد * تلقاها عرابة باليمين

اى بالقوة وقيل المعنى حينئذ لاخذنامنه اليمين وسلبنا عنه القوة والقدرة على التكلم بذلك القول على ان الباء صلة وعبر عن القوة باليمين لان قوة كل شئ فى ميا منه فيكون من قبيل ذكر المحل وارادة الحال اوذكر الملزوم وارادة اللازم (قوله وصف لاحد) مبنى على اصل بنى تميم فان كلمة ما فى قوله تعالى فمامنكم هى المشبهة بليس و بنوا تميم لايعملونها لدخولها على القبيلين فاعراب الآية على اصلهم ان من احد فى موضع الرفع بالابتداء ومن زائدة لتأكيد النفى و منكم خبره وحاجزين صفة لاحد مجرور حملا على لفظ احد ولكنه جمع حملا على معناه فانه يعم كل احد لكونه نكرة واقعة فى سياق النفى كانه قيل فما منكم قوم يحجزون اى يمنعون عن المقتول او عن قتله اواهلاكه المدلول عليه بقوله ثم لقطعنا منه الوتين وقوله من احد على اصل الحجازيين اسم ما وخبرها حاجزين وجمع الخبر لماتقدم ومنكم حال لانه فى الاصل كان صفة لاحد ولما تقدم عليه امتنع كونه صفة له لامتناع تقدم الصفة على الموصوف فتعين كونه حالا مثل موحشا فى قوله لمية موحشا طلل و قوله عنه يتعلق بقوله حاجزين على القولين وضميره للمقتول او لقتله اواهلاكه المدلول عليه بقوله لاخذنا ثم لقطعنا ثم انه تعالى لما بين حقية القرآن وانه لتنزيل رب العالمين بين الحكمة فى تنزيله فقال وانه لتذكرة للمتقين اى عظة لمن اتقى الشرك و حب الدنيا فانه يتذكر بهذا القرآن وينتفع به بخلاف من مال اليها وغلبه حبها فانه يكذب به لكون الايمان به يستدعى ايثار الآخرة على الدنيا وهو عكس مايحبه و يهواه فيكون نفس القرآن اوتكذيبه حسرة وندامة عليه يوم القيامة اذارأى ثواب من آمن به

و هو تصوير لاهلاكه بافظع ما يفعله الملوك بمن يغضبون عليه وهو ان يأخذ القتال بيمينه ويكفحه بالسيف ويضرب جيده و قيل اليمين بمعنى القوة (فما منكم من احد عنه) عن القتل او المقتول (حاجزين) دافعين وصف لاحد فانه عام والخطاب للناس (وانه) وان القرآن (لتذكرة للمتقين) لانهم المنتفعون به (وانا لنعلم ان منكم مكذبين) فنجازيهم على تكذيبهم (وانه لحسرة على الكافرين) اذا رأوا ثواب المؤمنين به

(وانه لحق اليقين) اليقين الذى لاريب فيه (فسبح باسم ربك العظيم) فسبح الله بذكر اسمه العظيم تنزيها له عن الرضى بالتقول عليه وشكرا على ما اوحى اليك * عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الحاقة حاسبه الله حسابا يسيرا
(سورة المعارج مكية وآيها اربع واربعون)
(بسم الله الرحمن الرحيم)
(سأل سائل بعذاب واقع) اى دعا داع به بمعنى استدعاء ولذلك عدى الفعل بالباء والسائل نضر بن الحارث فانه قال ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم او ابو جهل فانه قال فأسقط علينا كسفا من السماء سأله استهزاء او الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم استعجل بعذابهم

وعمل بمقتضاه وفى الدنيا ايضا اذا رأى دولة المؤمنين والضمير فى قوله تعالى وانه لحسرة اما للقرآن او للتكذيب المدلول عليه بقوله مكذبين (قوله اليقين الذى لاريب فيه) اشارة الى ان الحق واليقين لفظان بمعنى واحد اضيف احدهما الى الآخر للتأكيد فان الحق هو الثابت الذى لايتطرق اليه الريب وكذا اليقين قال الامام وانه لحق اليقين معناه انه حق يقين اى حق لابطلان فيه ويقين لاريب فيه ثم اضيف احد الوصفين الى الآخر للتأكيد وقال صاحب الكشاف فى المفصل يقال هذا العالم حد العالم وحق العلم ويراد به البليغ الكامل فى شأنه وفى التفسير القاشانى لحق اليقين اى محض اليقين وصرف اليقين كقولك هو العالم حق العالم وحد العالم اى خلاصة العالم وحقيقته من غير شوب بشئ آخر انتهى واليقين اسم العلم الذى زال عنه اللبس ولهذا لايوصف علم رب العزة باليقين وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال انما هو كقولك علم اليقين ومحض اليقين وقيل انه من قبيل اضافة الشئ الى نفسه اذا اختلف اللفظان

فقلت انجوا عنها نجا الجلد انه * سيرضيكما منها سنام وغارب

والنجاهو الجلد من قولك نجوت جلد البعير عنه وانجيته اذا سلخته والشاعر يخاطب ضيفين طرقاه اى اتياه ليلا (قوله فسبح الله بذكر اسمه العظيم) على ان مفعول سبح محذوف والباء فى باسم ربك للاستعانة كما فى ضربته بالسوط فهو مفعول ثان بواسطة حرف الجر على حذف المضاف والمعنى نزه ذات الله تعالى عن الرضى بالتقول عنه بان تقول سبحان الله * تمت سورة الحاقة، والحمد لله رب العالمين

(سورة المعارج مكية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(قوله ولذلك) اى ولكون سأل بمعنى دعا عدى بالباء مثل دعا يقال دعوت الله تعالى بكذا اى استدعيته وطلبته قال تعالى يدعون فيها بكل فاكهة اى يطلبون فى الجنة كل فاكهة وسأل يتعدى بنفسه اذا كان بمعنى الدعاء والطلب يقال سألته الشئ ونقل الطيبى عن الامام الواحدى ان الباء فى بعذاب زائدة للتأكيد كما فى قوله تعالى وهزى اليك بجذع النخلة والمعنى سأل سائل عذابا واقعا وفى الصحاح سألته الشئ وسألته عن الشئ سؤالا ومسألة وقوله تعالى سأل سائل بعذاب واقع اى عن عذاب قال الاخفش يقال خرجنا نسأل عن فلان وبفلان وقد تخفف همزته فيقال سأل سائل والامر منه سل ومن الاول اسأل

(قوله)

(قوله وقرأ نافع وابن عامر سال) اى بغير همز والباقون بالهمز وذكر المصنف لقراءة الالف الساكنة وجهين الاول ان يكون من السؤال الا انه تقلت همزته فقلبت ألفا للتخفيف على غير القياس كما قالوا فى هناءة هناه ولاهناك المرتع والقياس فى مثله ان تسهل الهمزة بجعلها بين بين اى بين الهمزة والالف وهى لغة قريش قال حسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه

سالت هذيل رسول الله فاحشة ✽ ضلت هذيل بما سالت ولم تصب

فعلى هذا يكون سال اللينة من سأل مهموز العين وتكون همزة سائل اصلية وقيل قوله وهو امامن السؤال معناه انه منه من جهة المعنى لامن جهة اللفظ والبناء فان السؤال مهموز العين وسال اجوف وان تراد فا من حيث المعنى لما روى ان لغة قريش ان يقولوا سال يسال كخاف يخاف وان الف سال منقلبة عن الواو وانهم يقولون هما يتسا ولان فهمزة سائل على هذا منقلبة عن الواو كهمزة خائف والوجه الثانى ماذكره بقوله اومن السيلان فعلى هذا تكون الف سال وهمزة سائل منقلبة عن الياء كما فى باع فهو بائع والمعنى جرى وادفى جهنم بعذاب يقع بالكافرين يوم القيامة او يوم بدر فقد روى ان نضر بن الحارث وعقبة بن ابى معيط قتلا يوم بدر صبرا ولم يقتل صبرا غيرهما (قوله الكافرين صفة اخرى لعذاب) وصف العذاب اولا بانه واقع اى نازل لامحالة سواطلبه اولم يطلبه وثانيا بانه معد للكافرين لاتخطاهم وان كان متعلقا بقوله واقع تكون اللام فيه بمعنى على او على بابها اى بعذاب نازل عليهم او لاجلهم (قوله وان صح ان السؤال كان عمن يقع به العذاب كان جوابا) روى انه تعالى لما بعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فدعا لناس الى التوحيد وخوف المشركين بالعذاب قال المشركون بعضهم لبعض سلوا محمدا لمن هذا العذاب وبمن يقع فاخبرالله تعالى عنهم بقوله سأل سائل بعذاب واقع فالسؤال على هذا لا يكون من سألته الشئ وطلبته منه حتى يعدى بالباء لتضمنه معنى الدعاء بل يكون من سألته عن الشئ ماهو وبمن يقع فحقه ان يعدى بعن الا انه عدى بالباء لتضمنه معنى اهتم واعتنى فعدى تعديته فعلى هذه الرواية يكون قوله تعالى للكافرين جوابا عنه يقال لمن سأل ان ذلك العذاب لمن هو وعلى من يقع اى هو للكافرين على انه خبر مبتدأ محذوف (قوله ذى المصاعد) اشارة الى ان العروج بمعنى الصعود والمعارج جمع معرج بفتح الميم وهو موضع الصعود لابكسرها لانه آلة الصعود وهو غير مناسب لهذا المقام ثم ان المراد بالمعارج اما معارج الاعمال الصالحة فانها تتفاوت على حسب تفاوت انفس الاعمال فى استجماع الآداب والسنن وخلوص النية وحضور القلب ونحوها واما

وقرأ نافع وابن عامر سال وهو اما من السؤال على لغة قريش قال

سالت هذيل رسول الله فاحشة ✽ ضلت هذيل بما سالت ولم تصب ✽

اومن السيلان ويؤيده انه قرئ سال سيل على ان السيل مصدر بمعنى السائل كالغور والمعنى سال وادبعذاب ومضى الفعل لتحقق وقوعه اما فى الدنيا وهو قتل بدر اوفى الاخرة وهو عذاب النار (للكافرين) صفة اخرى لعذاب او صلة لواقع وان صح ان السؤال كان عمن يقع به العذاب كان جوابا والباء على هذا التضمن سأل معنى اهتم (ليس له دافع) يرده (من الله) من جهته لتعلق ارادته به (ذى المعارج) ذى المصاعد وهى الدرجات التى يصعد فيها الكلم الطيب والعمل الصالح او يترقى فيها المؤمنون فى سلوكهم او فى دار ثوابهم او مراتب الملائكة او السموات فان الملائكة يعرجون فيها

معارج المؤمنين فى سلوكهم فى مراتب المعارف الالهية والمكاشفات والتجليات ولاشك فى تفاوت طبقات اولياء الله تعالى فى ذلك او معارجهم فى دار ثوابهم وهى الجنة ولاشك ايضا فى تفاوتها واما معارج الملائكة ومنازل ارتقائهم بحسب الامكنة وهى السموات فانهم يعرجون فيها ولكل واحد منهم مقام معلوم فيها او بحسب الفضائل الروحانية والمعارف الالهية و بحسب تفاوت قوتهم فى تدبير هذا العالم فان الظاهر ان درجاتهم واحوالهم متفاوتة فى جميع ذلك فتلك المعارج سواء كانت للاعمال او للمؤمنين او للملائكة بيدالله تعالى يختص برحمته من يشاء فلذلك وصف نفسه بقوله ذى المعارج (قوله استئناف لبيان ارتفاع تلك المعارج و بعد مداها) فيه اشارة الى ان ضمير اليه للمعارج بتأويل المكان او المصدر بناء على ان الجمع المحلى باللام يضمحل عنه معنى الجمعية و يراد به الجنس وقوله اليه وفى يوم متعلقان بتعرج وخمسين خبر كان والف سنة تمييز لخمسين وكان مع مافى حيزها فى موضع الجر على انه صفة ليوم (قوله على التمثيل والتخييل) متعلق بقوله لبيان يعنى ان القول بان عروج الملائكة والروح الى تلك المعارج فى مبدأ الصعود يكون فى المدة المذكورة ليس على التحقيق بل هو جملة مستأنفة جيئ بها تمثيلا وتصويرا لارتفاع تلك المعارج والمعنى انها فى ارتفاعها و بعد مداها بحيث لو كان حركة الملائكة والروح مثل حركة الانسان لما عرجوا اليها فى خمسين الف سنة وان كانوا يعرجون اليها فى اثناء يوم واحد من ايام الدنيا لغاية سرعتهم وقوتهم على الطيران فى ملك الله تعالى (قوله وقيل تعرج الملائكة والروح الى عرشه فى يوم كان مقداره كمقدار خمسين الف سنة) اى على ان يكون ضمير اليه راجعا اليه تعالى فمعنى الآية تعرج الملائكة والروح الى موضع لايجرى لاحد سواه تعالى فيه حكم و تدبير فجعل عروجهم الى ذلك الموضع عروجا اليه تعالى كقول ابراهيم عليه الصلاة والسلام انى ذاهب الى ربى اى الى حيث امرنى بالذهاب اليه وقوله فى يوم كان مقداره كذا من باب التشبيه البليغ اى كان مقداره بالنسبة الى الملائكة كمقدار تلك المدة بالنسبة الى الانسان و وجه الشبه ماذكر بقوله من حيث انهم يقطعون فيه مايقطعه الانسان فيها لوفرض وقوله لان عطف على قوله والمعنى اى ان المعنى على تشبيه مقدار اليوم بمقدار خمسين الف سنة والظاهر ان المراد بهذا اليوم يوم وقوف الخلائق فى موقف الحساب حتى يفصل بين الناس فان مقداره كمقداره خمسين الف سنة ثم انه تعالى يتم ذلك القضاء والحكومة فى مقدار نصف يوم من ايام الدنيا فالمعنى فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة لو ولى الحساب غيرالله تعالى و يدل عليه قوله

(تعالى)

تعرج الملائكة والروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة) استئناف لبيان ارتفاع تلك المعارج و بعد مداها على التمثيل والتخييل والمعنى انها بحيث لو قدر قطعها فى زمان لكان فى زمان يقدر بخمسين الف سنة من سنى الدنيا وقيل معناه تعرج الملائكة والروح الى عرشه فى يوم كان مقداره كمقدار خمسين الف سنة من حيث انهم يقطعون فيه ما يقطعه الانسان فيها لو فرض لا ان ما بين اسفل العالم واعلى شرفات العرش مسيرة خمسين الف سنة لان ما بين مركز الارض ومقعر السماء الدنيا على ما قيل مسيرة خمسمائة عام وثخن كل واحدة من السموات السبع والكرسى والعرش كذلك

و حيث قال في يوم كان مقداره الف سنة يريد به زمان عروجهم من الارض الى محدب السماء الدنيا وقيل في يوم متعلق بواقع او بسال اذا جعل من السيلان والمراد به يوم القيامة واستطالته اما لشدته على الكفار او لكثرة مافيه من الحالات والمحاسبات اولانه على الحقيقة كذلك والروح جبرآئيل وافرد لفضله اوخلق اعظم من الملائكة (فاصبر صبرا جميلا) لا يشوبه استعجال واضطراب قلب وهو متعلق بسأل لان السؤال كان عن استهزاء اوتعنت وذلك مما يضجر او عن تضجر واستبطاء للنصر او بسال لان المعنى قرب وقوع العذاب فاصبر فقد شارفت الانتقام (انهم يرونه) الضمير للعذاب او ليوم القيامة (بعيدا) من الامكان (ونراه قريبا) منه اومن الوقوع

تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا واتفقوا على ان ذلك هو الجنة والقيلولة هي النوم في الظهيرة وروى عن ابي سعيد الخدرى رضي الله تعالى عنه انه قال قيل يا رسول الله في يوم كان مقداره خمسين الف سنة ما اطول هذا اليوم فقال عليه الصلاة والسلام والذى نفس محمد بيده انه ليخفف على المؤمن حتى يكون اخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا ولايلزم من وجود هذا اليوم ومن عروج الملائكة في اثنائه الى العرش ان يكون مابين اسفل العالم واعلى شرفات العرش مسيرة خمسين الف سنة (قوله وحيث قال في يوم كان مقداره الف سنة) بيان لوجه التوفيق بين الآيتين وقد روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه انه قال في آية هذه السورة وفي قوله تعالى في سورة السجدة ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره الف سنة وقوله وان يوما عند ربك كالف سنة يومان ذكرهما الله تعالى في كتابه اكره ان اقول في كتاب الله تعالى بمالا اعلم اى لااعلم وجه التوفيق بينهما وتوضيح ماذكره المصنف في وجه التوفيق ان المراد بالف سنة هو زمان عروجهم من الارض الى محدب السماء خمسمائة سنة منهما زمان عروجهم من الارض الى مقعر السماء وخمسمائة اخرى زمان عروجهم من مقعرها الى محدبها والاظهر ان يقال المراد بالف سنة زمان نزولهم من السماء الى الارض وعروجهم منها الى السماء خمسمائة للنزول وخمسمائة اخرى للصعود لانه تعالى قال يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره الف سنة قدربها مدة الصعود والنزول جميعا (قوله وقيل في يوم متعلق بواقع) عطف على مايفهم مماتقدم من كونه متعلقا بقوله تعرج وهو الاظهر وعلى تقدير كونه متعلقا بواقع يكون جملة قوله تعرج الملائكة معترضة بين الظرف وعامله اى سأل سائل بعذاب واقع في يوم كان مقداره خمسين الف سنة (قوله لان السؤال كان عن استهزاء او تعنت) الاول مبنى على ان يكون السؤال بمعنى الطلب والدعاء فان النضر وابا جهل انما سألا ما سألاه عن استهزاء برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتكذيب بالوحى والثانى على ان يكون السؤال بمعنى السؤال عن الشئ ماهو وعن يقع ومتى يقع فان كفار مكة انما سألوه من العذاب على طريق التعنت وطلب الزلة وكل ذلك مما يضجر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فامر بالصبر عليه (قوله عن تضجر) مبنى على ان يكون السائل هو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (قوله او بسال) عطف على قوله بسأل يعنى ان قرئ سأل سائل اوسال سائل بالالف الساكنة يكون قوله فاصبر متفرعا عليه والضمير في قوله تعالى انهم لاهل مكة فانهم كانوا يستبعدون العذاب او البعث والقيامة عن الامكان

فرد الله تعالى عليهم بانا نراه قريبا من الامكان او من الوقوع لان كل ماهو آت قريب (قوله اى يمكن يوم تكون) فيه ان تقييد الامكان بالزمان المعين لاوجه له لان الممكن ممكن فى جميع الازمنة الا ان يقال الظرف ليس لتقييد الامكان بل لمجرد بيان الامور الواقعة قبل وقوع هذا الممكن كأنه قيل ونراه قريبا من الامكان يوم يكون كذا وكذا انتهى (قوله اولمضمر دل عليه واقع) اى يقع فى ذلك اليوم ويحتمل ان يكون ظرفا لمحذوف اى يوم تكون السماء كالمهل كان مالايدخل تحت الوصف وان علق فى يوم بقوله واقع يكون هذا اليوم بدلا منه بخلاف ماأذاكان متعلقا بقوله تعرج فانه حينئذ لايكون بدلا منه لان يوم تكون السماء كالمهل هو يوم القيامة بخلاف يوم عروج الملائكة لما مر أن قوله تعرج الملائكة والروح الآية استئناف لبيان ارتفاع تلك المعارج بانها بحيث لوكانت حركة الملائكة والروح مثل حركة الانسان لما عرجوا اليها الا فى مدة خمسين الف سنة وذلك لايتوقف على كون المراد به يوم القيامة واذالم يكن المراد به يوم القيامة لايصح ابدال هذا اليوم منه الا بان يكون بدل غلط وهو لايقع فى القرآن (قوله كالفلزات) جمع فلز بالكسر وتشديد الزاى وهو ماينفيه الكير مما يذاب من جواهر الارض قيل هذا يدل على صحة ما يروى من ان السماء الدنيا من حديد (قوله ولايسأل قريب قريبا عن حاله) اى لايكلمه لان لكل احد مايشغله عن السؤال فالسؤال من سألته عن الشئ ومفعوله بالواسطة محذوف اى لايسأله عن حاله (قوله اولايسأل منه حاله) اشارة الى جواز ان يكون حميما منصوبا باسقاط عن اى لايسأل حميم عن حميم ليعرف حاله من جهته كما يعرف خبر الصديق من جهة صديقه بل كل احد يسأل عن عمل نفسه (قوله استئناف) فى جواب من قال لعله لايبصره فكيف يسأل عن حاله فقال يبصرونهم اى يعرفونهم اى يعرف الحميم الحميم حتى يعرفه ولا يعنه عن المسئلة خفاء مكانه ومع ذلك لايسأل عن حاله لشغله بنفسه اولاستغنائه عن السؤال بسبب انه تعالى ميز اهل الجنة من اهل النار وبالعكس بالعلامات الدالة على حاله من السعادة والشقاوة فاستغنوا بذلك عن السؤال وفى الصحاح البصر العلم وبصرت بالشئ اى علمته وعرفته قال تعالى يبصرونهم عدى بالتضعيف الى ثان وقام الاول مقام الفاعل والشائع المتعارف تعديته الى الثانى بحرف الجر فيقال بصرته به وقد يحذف الجار فيقال بصرته اياه وما فى الآية من هذا القبيل ويجوز ان يكون يبصرونهم حالا من حميم الاول اى لايسأل حميم عن حال حميمه فى حال كونه معرفا اياه وان يكون صفة حميما اى حميما مبصرين لان معناه العموم لا التثنية لان كل واحد من الحميمين نكرة فى سياق النفى (قوله اواستئناف) كان السائل

من فى يوم ان علق به والمهل المذاب فى مهل كالفلزات او دردى الزيت ﴿وتكون الجبال كالعهن﴾ كالصوف المصبوغ الوانا لان الجبال مختلفة الالوان فاذا بست وطيرت فى الجو أشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح ﴿ولايسأل حميم حميما﴾ ولايسأل قريب قريبا عن حاله وقرأ ابن كثير ولايسأل على بناء المفعول اى لايطلب من حميم حميم او لا يسأل منه حاله ﴿يبصرونهم﴾ استئناف اوحال يدل على ان المانع عن السؤال هو التشاغل دون الخفاء او ما يغنى عنه من مشاهدة الحال كبياض الوجه وسواده وجمع الضميرين لعموم الحميم ﴿يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته واخيه﴾ حال من احد الضميرين او استئناف يدل على ان إشتغال كل مجرم بنفسه بحيث تمنى ان يفتدى باقرب الناس واعلقهم بقلبه فضلا ان يهتم بحاله ويسأل عنها وقرئ بتنوين عذاب ونصب يومئذ به

حاد فقال كيف لا يسأل مع تمكنه من السؤال فقيل يود المجرم (قوله لانه بمعنى تعذيب) والمصدر المنون ينصب المفعول وكلمة لو قد تكون مصدرية ومنه ما في الآية (قوله وعشيرته) وهي القبيلة وهي بنوا اب واحد والفصيلة في الاصل القطعة المفصولة و يطلق على الاباء الاقربين وعلى الام لان الولد يكون مفصولا من الابوين فلما كان الولد مفصولا منهما كانا مفصولين منه ايضا فسميا فصيلة لهذا السبب والمراد بالفصيلة في الآية هو الاباء الاقربون لتقدم قوله و بنيه (قوله الضمير للنار) ولم يجر لها ذكر الا ان ذكر العذاب يدل عليها ولظى يجوز ان يكون خبر ان اي ان النار لظى ونزاعة خبر ثان اوخبر مبتدأ مضمر اي هي نزاعة و يجوز ان يكون لظى بدلا من الضمير المنصوب ونزاعة خبران وان كان ضمير انها القصة يكون قوله لظى نزاعة جملة اسمية خبر ان (قوله اوالحال المؤكدة) اي من لظى لان لظى بمعنى جهنم لا تكون الا نزاعة فلا معنى للحال الا على وجه التأكيد كقوله تعالى وهذا صراط ربك مستقيما (قوله او المنتقلة على ان لظى بمعنى متلظية) اي متلهبة وهو معناه في اصل اللغة والنار المتلهبة لا يلزمها ان تكون نزاعة فيجوز ان تكون حالا منتقلة (قوله والشوى الاطراف) اي الاعضاء التي ليست بمقتل كالايدي والارجل ومنه يقال للرامي اذا رمى الصيد ولم يصب مقتله رماه فاشواه اي اصاب الشوى فقوله نزاعة للشوى اي قلاعة للاعضاء الواقعة في اطراف الجسد ثم تعود كما كانت وهكذا ابدا (قوله كقول ذي الرمة) استشهاد لكون الدعوة مجازا عن الجذب والاحضار وصف الثور الوحشي بقوله

امسى بوهبين مجتاز المرتعة ❊ من ذي الفوارس تدعو انفه الربب

وهبين اسم موضع وكذا ذو الفوارس ومجتازا عدي باللام لتضمنه معنى الطلب اي طالبا لمرتعة و يروى محتازا بالحاء المهملة ورواية الصحاح بالجيم والربب جمع ربة بكسر الراء وهي اول ما ينبت من الارض وفي مجمل اللغة الربة نبات يبقى في آخر الصيف وتدعوا انفه اي تجذبه ليأكل وكذا دعوة لظى من فرعنها مجاز عن جذبها واحضارها اياه وقيل انها تدعوهم بلسان الحال وقيل انه تعالى يخلق النطق في جرم النار فتدعوا كل كافر ومنافق باسماءهم بلسان فصيح فتقول الي يا كافر الي يا منافق فان مستقرك في ثم تلتقطهم كما يلتقط الطير الحب وليس ذلك ببعيد من قدرة الله تعالى وقيل تدعو زبانية النار على حذف المضاف او على اسناد المجازي حيث اسند فعل الداعي الى المدعو اليه وقوله تدعو يجوز ان يكون مستأنفا وان يكون صفة لقوله نزاعة وان يكون حالا من المتوى فيها وان يكون خبرا بعد خبر لان او خبر المبتدأ المحذوف (قوله حرصا وتأميلا)

(ومن في الارض جميعا) من الثقلين او الخلائق (ثم ينجيه) عطف على يفتدي اي ثم لو ينجيه الافتداء وثم للاستبعاد (كلا) ردع للمجرم عن الودادة ودلالة على ان الافتداء لا ينجيه (انها) الضمير للنار او مبهم يفسره (لظى) وهو خبر او بدل او للشأن او القصة ولظى مبتدأ خبره (نزاعة للشوى) وهو اللهب الخالص وقيل علم للنار منقول عن اللظى بمعنى اللهب وقرأ حفص عن عاصم نزاعة بالنصب على الاختصاص او الحال المؤكدة او المنتقلة على ان لظى بمعنى متلظية والشوى الاطراف او جمع شواة وهي جلدة الرأس (تدعو) تجذب وتحضر كقول ذي الرمة تدعو انفه الربب ❊ مجاز عن جذبها واحضارها لمن فرعنها وقيل تدعو زبانيتها وقيل تدعو تهلك من قولهم دعاه الله اذا اهلكه (من ادبر) عن الحق (وتولى) عن الطاعة (وجمع فاوعى) وجمع المال فجعله في وعاء وكنزه حرصا وتأميلا

الاول علة لجمع المال والثانى لابقائه على طريق اللف والنشر المرتب فان جمع المال مبنى على الحرص وحب الدنيا وابقاء ه مبنى على طول الامل فقوله ادبر وتولى اشارة الى الاعراض عن معرفة الله وطاعته وقوله وجمع فاوعى اشارة الى حب الدنيا وترك الشفقة على عباد الله تعالى ولاشك ان مجامع آفات الدين ليست الا هذه وقدمر ان الوعى ان تحفظ الشئ فى نفسك والايعاء ان تحفظه فى غيرك ثم انه تعالى لما ذكر ان من الناس من ادبر عن طاعة الحق والاشفاق على الخلق بين ان الغالب على احوال نوع الانسان الهلع وانه مجبول عليه بحيث صارت هذه الرذيلة كأنها غرزت فيه كسائر الغرائز الطبيعية التى خلق الانسان عليها فقال ان الانسان خلق هلوعا والهلع صفة مركبة من صفتين ذميمتين وهما الجزع البالغ عند اصابة المكروه والبخل والامساك البالغ عند اصابة الخير قيل اصل الهلع فى اللغة اشد الحرص واسوأ الجزع وفعله هلع يهلع مثل علم يعلم هلعا فهو هالع وهلوع والجزع ضد الصبر وانتصاب هلوعا على انه حال من المنوى فى خلق وهى حال مقدرة فان الهلع ليس خصلة ضرورية حاصلة بخلق الله تعالى الانسان عليها والا لما قدر الانسان على ازالتها بالرياضة والمجاهدة غاية ما فى الباب ان الانسان اذا خلى وطبعه لايظهر عليه الا مقتضى نفسه الامارة بالسوء من ايثار العاجل على الآجل لكونها فى عالم الظلمات فلا عيل الانسان الا الى ما يلائمها من لذات عالم الطبيعة والاجسام الظلمانية ولا يلزم من ذلك ان تكون تلك الرذائل مما خلق الانسان عليها وان لا تكون من العوارض المكتسبة بالقصد والاختيار فظهر بهذا انه يجوز ان يكون قوله تعالى هلوعا وجزوعا ومنوعا من الاحوال المقدرة الا ان المصنف جوز كونها من الاحوال المحققة فقال اومحققة لانها طبائع جبل الانسان عليها ورد به على صاحب الكشاف فانه زعم ان خلق الانسان هلوعا قبيح لايصح اسناده الى تعالى فليس بكلام على حقيقته بل المعنى ان الانسان لايتان الجزع والمنع ورسوخ فيه كأنه مجبول عليهما وكأنه امر خلق ضرورى غير اختيارى كقوله تعالى خلق الانسان من عجل اى عجولا فى اكثر اموره واغلب احواله وله المعنى انه تعالى خلقه كذلك لكانت الاوصاف المذكورة لازمة له غير ممكن عدم لكنها تنفك عنه فانه حين كان جنينا فى البطن وصبيا فى المهد لم يكن به ولان قوله تعالى ان الانسان خلق هلوعا ذم والله تعالى لايذم فعله ويدل كونه ذما استثناء المؤمنين الموصوفين بثمانية اوصاف وهو ما ذكره الى والذين هم على صلواتهم يحافظون واشار المصنف الى جواز ان تكون الاوصاف المذكورة صفات غريزية جبل عليها الانسان وانه اذا خلى وط

(ان الانسان خلق هلوعا) شديد الحرص قليل الصبر (اذا مسه الشر) الضر (جزوعا) يكثر الجزع (واذا مسه الخير) السعة (منوعا) بالغ فى الامساك والاوصاف الثلاثة احوال مقدرة او محققة لانها طبائع جبل الانسان عليها واذا الاولى طرف لجزوعا والاخرى لمنوعا (الا المصلين) استثناء للموصوفين بالصفات المذكورة بعد ذكر المطبوعين على الاحوال المذكورة قبل

(لايظهر)

لايظهر منه الآثار تلك الصفات ومقتضيا تهامن الافعال والاقوال الا انه لما
اعطى العقل وميزان الشرع و بين له غوائل الاخلاق الذميمة ومحاسن
الاخلاق الحميدة فخلق بمخالفة طبعه وموافقته لشرعه ومجاهدة نفسه الامارة
حتى تحلى بالصفات المضادة لتلك الاحوال والامور الجبلية يجوز تبديلها
بالرياضة والمجاهدة فان لكل داء دواء متى اصاب الداء ازاله وارتكاب القبيح
انما يتصور ممن يكلف باتباع المأمور به واجتناب المنهى عنه لاممن يفعل مايشاء
بقدرته و يحكم مايريد بعزته ولا يسأل عما يفعل فلا يكون شئ من افعاله تعالى
قبيحا فلايصح ان يقال خلق الانسان هلوعا قبيح فان قيل حاصل معنى الهلع
ان يكون الشخص نفورا عن المضار طالبا الراحة وهذا وصف ملائم لمقتضى
العقل فلم ذمه الله تعالى فالجواب ان المذموم هو كون الشخص بحيث يقصر
نظره على الاحوال الجسمانية منهمكا فى حب الحظوظ العاجلة راغبا فيها
نافرا عما يكون شرفا بالنسبة اليها وكان الواجب عليه ماذكره المصنف من
الاستغراق فى طاعة الحق والاشفاق على الخلق والرضى بجميع مااصابه من
الفقر والمرض ونحوهما وصرف مارزقه الله تعالى من النعم كالمال والصحة
ونحوهما الى مايؤدى الى سعادة الآخرة ولايطلب شيأ منها لكونها منفعة
عاجلة (قوله لمضادة تلك الصفات لها) علة لاستثناء هؤلاء الموصوفين
من المطبوعين على الاحوال المذكورة سابقا فان الصفات المذكورة
بعدلما كانت مضادة لاحوال المطبوعين بحيث يمتنع اجتماعها فى موضع واحد
وجب ان يكون الموصوفون بتلك الصفات مستثنيات من المطبوعين على
الاحوال المذكورة سابقا والالزم اجتماع الامور المضادة (قوله لايشغلهم
عنها شاغل) اى عن ادائها فى اوقاتها قال الامام فان قيل كيف قال على
صلوتهم دائمون ثم قال على صلوتهم يحافظون واجاب عنه بقوله معنى
دوامهم عليها ان لاينسوها فى وقت من الاوقات ومحافظتهم عليها ترجع الى
فى اتمام بحالها حتى يؤتى بها على اكمل الوجوه وهذا الاهتمام انما يحصل تارة
من سابقة على الصلاة وتارة بامور لاحقة لها وتارة بامور متراخية عنها اما
المتعلق بالامور السابقة فهى ان يكون المؤمن قبل دخول وقتها متعلق القلب بدخول اوقاتها
فتم وضوء وستر العورة وطلب القبلة ووجدان الثوب والمكان الطاهرين والاتيان
وليصلاة فى الجماعة وفى المساجد المباركة وان يجتهد قبل الدخول فى الصلاة
او يفرغ القلب عن الوساوس والالتفات الى ماسوى الله تعالى وان يبالغ
بجود حتراز عن الرياء والسمعة واما الامور المقارنة فهى ان لايلتفت يمينا ولاشمالا
فبان يكون حاضر القلب عند القرآءة فاهما للاذكار مطلقا على حكم الصلاة

لمضادة تلك الصفات لها
من حيث انها دالة على
الاستغراق فى طاعة
الحق والاشفاق على
الخلق والايمان بالجزاء
والخوف من العقوبة
وكسر الشهوة وايثار
الآجل على العاجل
وتلك ناشئة من الانهماك
فى حب العاجل وقصور
النظر عليه (الذينهم على
صلوتهم دائمون)
لايشغلهم عنها شاغل
(والذين فى اموالهم
حق معلوم) كالزكوات
و الصدقات الموظفة
(للسائل) الذى يسأل
(والمحروم) الذى لايسأل
فيحسب غنيا فيحرم

(والذين يصدقون بيوم الدين) تصديقا بأعمالهم وهو ان يتعب نفسه ويصرف ماله طمعا في المثوبة الاخروية ولذلك ذكر الدين (والذين هم من عذاب ربهم مشفقون) خائفون على انفسهم (ان عذاب ربهم غير مأمون) اعتراض يدل على انه لا ينبغي لاحد ان يأمن عذاب الله وان بالغ في طاعته (والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم اوماملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك ﴿٥٨﴾ فاولئك هم العادون) سبق تفسيره في سورة المؤمنين (والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون) حافظون وقرأ ابن كثير لامانتهم (والذين هم بشهاداتهم قائمون) لا ينكرون ولا يخفون ما علموه من حقوق الله وحقوق العباد وقرأ يعقوب وحفص بشهاداتهم لاختلاف الانواع (والذين هم على صلوتهم يحافظون) فيراعون شرآئطها ويكملون فرآئضها وسننها وتكرير ذكر الصلاة ووصفهم بها اولا وآخرا باعتبارين للدلالة على فضلها وانافتها على غيرها وفي نظم هذه الصلاة مبالغات لا تخفى (اولئك في جنات مكرمون) بثواب الله (فما للذين كفروا قبلك) حولك (مهطعين) مسرعين (عن اليمين وعن الشمال عزين) فرقا شتى جمع عزة واصلها عزوة من العزو وكأن كل فرقة تعتزي الى غير من تعتزي اليه الاخرى كان المشركون يحلقون حول رسول الله (حاصرا) صلى الله تعالى عليه وسلم حلقا حلقا ويستهزئون بكلامه (أيطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم) بلا ايمان وهو انكار لقولهم لو صح مايقوله لنكون فيها افضل حظا منهم كما في الدنيا (كلا) ردع لهم عن هذا الطمع (انا خلقناهم مما يعلمون) تعليل له والمعنى انكم مخلوقون من نطفة قذرة لا تناسب عالم القدس فمن لم يستكمل بالايمان والطاعة ولم يتخلق

واما الامور المؤاخية فهي ان لا يشتغل بعد اقامة الصلاة باللهو واللعب وان يحترز كل الاحتراز عن الاتيان بشئ من المعاصي والمنكرات (قوله تصديقا بأعمالهم) فان مجرد التصديق بالجنان واللسان وان كان ينجي من الخلود في النار لكن لا يؤدي الى ان يكون صاحبه مستحق من المطبوعين على الاحوال المذكورة (قوله خائفون على انفسهم) فلا يتركون واجبا ولا يرتكبون محظورا وتكون جميع شؤنهم طاعة ربهم ومع ذلك لا يأمنون عذابه (قوله تعالى فمن ابتغى ورآء ذلك) وهو الاستمتاع بالنكاح وملك اليمين فاولئك هم العادون اي المتعدون عما حد لهم ودخل في هذا حرمة وطئ الذكران والبهائم والزنى وقيل يدخل فيه الاستمناء ايضا روى ان العرب كانوا يستمنون في الاسفار فنزلت الآية (قوله وقرأ ابن كثير لاماناتهم) اي بالافراد لان الامانة اسم لجنس مايؤتمن عليه الانسان سواء كان من جهة الباري تعالى او من جهة الخلق فيتناول ما ائتمن الله تعالى عليه عباده من الشرآئع واما امانات الدين كما يتناول ما جعلوه من امانات الناس فلا حاجة الى لفظ الجمع ومن قرأه بلفظ الجمع نظر الى اختلاف الانواع وكذا الكلام في افراد الشهادة وجمعها واكثر المفسرين على ان القيام بالشهادة اداؤها عند الحكام على من كانت هي عليه من قريب او بعيد شريف او وضيع وعدم كتمها والقيام بها عند الحكام وان كان من جملة الامانات الا انه تعالى عطفها على ماقبلها عطف الخاص على العام اظهارا لفضلها وان في اقامتها احياء الحقوق وفي تركها ابطالها وتضييعها وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال المراد بالشهادة شهادة ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله (قوله لا يخفون) ان لا يضيعون الامانة فان عدم رعايتها يكون بالاهلاك وبالانكار يقال اخفى عليه الدهر اي اتى عليه واهلكه (قوله وانافتها) اي اعلاء قدرها يقال اناف على كذا اذا اشرف عليه (قوله وفي نظم هذه الصلاة مبالغات لا تخفى) مثلا في قوله تعالى والذين هم على صلوتهم يحافظون مبالغات من حيث تعريف المسند اليه بالموصول فانه يقتضي ان يكون ذات المسند اليه معلوما للمخاطب

مستحضرا فى ذهنه بكونه متصفا بما نسب اليه من مضمون الصلة ولا يخفى ان اشتهار المصلين بالمحافظة على صلاتهم مبالغة فى المحافظة عليها ومن تكرير المسند اليه لتقوية الحكم وتقريره فى ذهن السامع كما فى قولك زيد هو يعطى الجزيل قصدا الى تحقيق انه يفعل اعطاء الجزيل ومن تقديم قوله على صلوتهم المفيد للاختصاص الدال على ان محافظتهم مقصورة على صلاتهم لا تتجاوز الى امور دنياهم ومن صيغة المفاعلة فانها ان كانت بمعنى الثلاثى تكون للمبالغة فى ملابسة اصل الفعل وان كانت على بابها تدل على التعاون على البر وهو ابلغ من مجرد حفظ الصلاة ورعاية ما يناسبها واذا تقرر ان الموصول مع صلته افاد هذه المبالغات تقرر أن توصيف المصلين به يفيد مدحا عظيما لهم كل ذلك يعرف بالتأمل وقس عليه البواقى والظاهر ان قوله تعالى مكرمون خبر اولئك وفى جنات متعلق به قدم عليه للحصر ويجوز ان يتعلق بمحذوف ويكون خبرا آخر لاولئك ولما ذكر ان المستغرقين فى طاعة الحق والمشفقين على الخلق مكرمون فى جنات بثواب الله تعالى ذكر بعده قبائح الكفار فقال فما للذين كفروا قبلك مهطعين روى ان المشركين كانوا يحتفون حول النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حلقا حلقا وفرقا فرقا يستمعون كلامه ويستهزؤن به عليه الصلاة والسلام وبالقرآن ويقولون ان دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلها قبلهم فنزلت هذه الآية الى قوله ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم وكلمة ما فى قوله تعالى فما للذين كفروا استفهامية بمعنى الانكار فى موضع الرفع على الابتداء وللذين كفروا خبرها وقبلك ظرف مكان للاستقرار الذى تعلق به للذين او ظرف لمهطعين وهو حال من المنوى فى الذين اى اى شئ ثبت لهم حولك حال كونهم مهطعين او اى شئ ثبت لهم حال كونهم مهطعين حولك وقوله عن اليمين يجوز ان يتعلق بعزين لانه بمعنى متفرقين وان يتعلق بمهطعين اى مسرعين عن هاتين الجهتين وعزين حال بعد حال من المنوى فى للذين او حال من المنوى فى مهطعين فتكون حالا متداخلة والعزة الفرقة من الناس والهاء عوض عن الواو او الياء الساقطة قال الاصمعى يقال فى الدار عزون من الناس اى اصناف منهم سميت كل فرقة عزة لاعتزائها الى غير من تعزى اليه الاخرى من قولهم عزوته الى ابيه وعزيته لغة فيه اذا نسبته اليه فاعتزى هو وتعزى اى انتمى وانتسب (قوله او انهم مخلوقون من اجل ما يعلمون) اى ويحتمل ان يكون المعنى على تقدير كونه تعليلا للردع هكذا ان تكون كلمة من بمعنى الاجل كما فى قوله تعالى مما خطاياهم اغرقوا (قوله او استدلال) عطف على قوله تعليل وقوله بعد ردعهم ظرف لقوله

بالاخلاق الملكية لم يستعد دخولها او انهم مخلوقون من اجل ما يعلمون وهو تكميل النفس بالعلم والعمل فمن لم يستكملها لم يبوأ فى منازل الكاملين او استدلال بالنشأة الاولى على امكان النشأة الثانية التى بنوا الطمع على فرضها فرضا مستحيلا عندهم بعد ردعهم عنه (فلا اقسم برب المشارق والمغارب انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم) اى نهلكهم ونأتى بخلق امثل منهم او نعطى محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم بدلكم من هو خير منكم وهم الانصار (وما نحن بمسبوقين) بمغلوبين ان اردنا

استدلال لما كان قولهم لو صح مايقول لتكون فيها أفضل حظا مشتملا على امرين دعوى استحالة النشأة الثانية والطمع الفاسد المبنى على فرض وقوعها منهم الله تعالى عن ذلك الطمع اولا بقوله كلا ثم استدل على امكانها بقوله خلقناهم مما يعلمون كأنه قال من قدر على خلق البشر السوى من النطفة المستقذرة ألا يكون قادرا على بعثه ثم انه تعالى هددهم بقوله فلا اقسم وكلة لاصلة اورد لقولهم المذكور وما بعدها قسم مستأنف ويحتمل ان يكون اصله فلاقسم فاشبعت الفتحة فحصل الف وقوله على ان نبدل خيرا منهم اصله على ان نبدلهم بدلا خيرا منهم فحذف المفعول الاول وموصوف خيرا وجمع المشارق والمغارب اما لان المراد بها مشرق كل يوم من السنة ومغربه او مشرق كل كوكب ومغربه اوالمراد بالمشرق ظهور حياة كل شئ وبالمغرب موته (قوله تعالى فذرهم) متفرع على قوله وما نحن بمسبوقين اى اذا تبين انه لايفوتنا مايريد منهم و بهم من خير وشر وانه ليس تأخير عقابهم لعجز بل الحكمة داعية اليه فدعهم فيما هم فيه من الاباطيل واشتغل انت بما امرت به فانهم ملاقون عن قريب اليوم الذى وعدوا به وهو يوم يكون الناس كالمهل وكذا وكذا وقوله تعالى يوم يخرجون يجوز ان يكون بدلا من يومهم وان يكون منصوبا باضمار اعنى والاجداث جمع جدث وهو القبر وسراعا حال من الضمير فى يخرجون وكأنهم حال ثانية منه اومن المنوى فى سراعا فتكون حالا متداخلة (قوله منصوب للعبادة اوعلم) يعنى ان نصب بفتح النون وسكون الصاد كما هو قرآءة غير ابن عامر وحفص من السبعة بمعنى المنصوب سوآء نصب لان يعبد من دون الله اونصب علامة لموضع الملك فى نزوله ومسيره وهو المراد بالعلم والمعنى انهم يسرعون الى الموقف كاسراعهم الى صنمهم الذى يعبدونه و يسرعون اليه ايهم يستلمه اولا قيل كانوا يبتدرون اذا طلعت الشمس الى نصبهم التى كانوا يعبدونها من دون الله لايلوى اولهم على آخرهم او كأنهم قد نصب لهم علم فهم يسعون اليه ليبلغوه فهم يتبادرون فى السبق اليه والنصب بضمتين واحد الانصاب وقيل هو جمع نصاب نحو كتاب وكتب وقيل جمع نصب بمعنى المنصوب كرهن ورهن وسقف وسقف والنصب بالضم والسكون اما تخفيف نصب بضمتين مثل عسر وعسر وجمع نصب بالفتح والسكون (قوله تعالى خاشعة) حال من فاعل يوفضون والمعنى ذليلة خاضعة لايرفعونها لما يتوقعونه من العذاب وكذا قوله ترهقهم ذلة فى موضع الحال منه ايضا اى يغشاهم هوان المذنبين ويجوز ان يكون استئنافا يقال رهقه اى غشيه وهو من باب علم (قوله تعالى كانوا يوعدون) اى يوعدونه

(فى الدنيا)

(فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون) مر فى آخر الطور (يوم يخرجون من الاجداث سراعا) مسرعين جمع سريع (كأنهم الى نصب) منصوب للعبادة او علم (يوفضون) يسرعون وقرأ ابن عامر وحفص نصب بالضم على انه تخفيف نصب او جمع (خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة) مر تفسيره (ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون) فى الدنيا ✲عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة سأل سائل اعطاه الله ثواب الذين هم لامانتهم وعهدهم راعون

فى الدنيا وان لهم فيه العذاب فحذف العائد من الصلة الى الموصول تمت سورة المعارج والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين

(سورة نوح عليه الصلاة والسلام مكية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(قوله بان انذر اى بالانذار) يجعل ان مصدرية ناصبة للفعل المضارع ولما كان فعل الارسال لايتعدى الى مفعول ثان بدون توسط حرف الجر قدر الباء الجارة فحذف الجار واوصل الفعل فحل ان انذر النصب على نزع الخافض او الجر على ارادته وقوله او بان قلنا له انذر اشارة الى ان النحاة اختلفوا فى ان صلة ان المصدرية هل يجوز ان يكون شيأ مما فيه معنى الطلب كالامر والنهى ونحوهما اولا فجوزه سيبويه وابو على ومنعه غيرهما قال ابو على فى قوله تعالى ماقلت لهم الا ما امرتنى به ان اعبدوا الله كلمة ان فيه يجوز ان تكون مصدرية فتكون بدلا من ما اومن الهاء فى به او خبر مبتدأ محذوف اى هوأن اعبدوا الله وان تكون مفسرة كذا فى شرح الرضى وفيه ايضا ان صلة ان المخففة لاتكون امرا ولانهيا ولا غيرهما مما فيه معنى الطلب اجماعا فكذا صلة ان المصدرية على الاصح فقول المصنف بان انذر اى بالانذار مبنى على مذهب سيبويه وابى على وقوله اوبان قلنا له انذر مبنى على مذهب غيرهما فان غيرهما يقولون ان ان المصدرية مع صلتها تكون فى تأويل المصدر فيكون قوله تعالى ان انذر فى تأويل ارسلنا بالانذار والمصدر ليس فيه دلالة على الطلب فيكون تصدير صيغة الامر بأن المصدرية مستلزما لابطال معنى الصيغة واخلائها عن مدلولها الوضعى فحيثما صدرت صيغة الطلب بأن المصدرية للايذان يقدر بعدها القول ليبقى معنى الصيغة على حال فيكون تقدير الآية ارسلناه بأن قلنا له انذر اى ارسلناه ارسالا ملتبسا بهذا القول الموضوع لطلب الانذار (قوله وقرئ بغيرها) اى بغير ان فلابد من اضمار القول اى قائلا أنذر وان فى قوله ان اعبدوا الله كالتى فى قوله ان أنذر قومك فى جواز كونها مصدرية ومفسرة ثم عليه الصلاة والسلام امر قومه بثلاثة اشياء بعبادة الله تعالى وتقواه وطاعة نفسه فالامر بالعبادة يتناول الامر بجميع الواجبات والمندوبات من افعال القلوب والجوارح والامر بتقواه يتناول الزجر عن جميع المحظورات والمكروهات وقوله واطيعون يتناول الامر بطاعته فى جميع المأمورات والمنهيات وهذا وان كان داخلا فى الامر بعبادة الله تعالى وتقواه الا انه خصه بالذكر بعد ذكر الامر بهما تأكيدا لذلك الامر ومبالغة فى تقريره وايجابا عليهم ان يؤمنوا به ويصدقوه فى دعواه الرسالة

(سورة نوح مكية وآيها تسع وثمان وعشرون) (بسم الله الرحمن الرحيم) (انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر) بان انذر اى بالانذار او بان قلنا له انذر ويجوز ان تكون مفسرة لتضمن الارسال معنى القول وقرئ بغيرها على ارادة القول (قومك من قبل ان يأتيهم عذاب اليم) عذاب الآخرة او الطوفان (قال ياقوم انى لكم نذير مبين ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون) مر نظيره فى الشعراء وفى ان يحتمل الوجهان

(يغفر لكم من ذنوبكم) بعض ذنوبكم وهو ما سبق فان الاسلام يجبه فلا يؤاخذكم به فى الآخرة

(ويؤخركم الى اجل مسمى) وهو اقصى ما قدر لكم بشرط الايمان والطاعة (ان اجل الله) ان الاجل الذى قدره (اذا جاء) على الوجه المقدر به اجلا وقيل اذا جاء الاجل الاطول (لا يؤخر) فبادروا فى اوقات الامهال والتأخير (لو كنتم تعلمون) لو كنتم من اهل العلم والنظر لعلمتم ذلك وفيه انهم لانهماكهم فى حب العاجل كأنهم شاكون فى الموت (قال رب انى دعوت) الى الايمان (قومى ليلا ونهارا) اى دائما (فلم يزدهم دعائى الا فرارا) عن الايمان والطاعة واسناد الزيادة الى الدعاء على السببية كقوله تعالى فزادتهم ايمانا (وانى كلما دعوتهم) الى الايمان والطاعة (لتغفر لهم) بسببه (جعلوا اصابعهم فى آذانهم) سدوا مسامعهم عن استماع الدعوة (واستغشوا ثيابهم) تغطوا بها لئلا يرونى كراهة النظر الى من فرط كراهية دعوتى او لئلا اعرفهم فادعوهم

(قوله بعض ذنوبكم وهو ما سبق) اى على الايمان اشارة الى ان فائدة ذكر من التبعيض فانه لو قال يغفر لكم ذنوبكم لكان قد وعد قومه بمقابلة امتثالهم لما امرهم به من الاشياء الثلاثة مغفرة جميع ذنوبهم تقدمت على الايمان او تأخرت عنه لان اضافة الجمع تفيد الاستغراق وليس كذلك فان الذنوب المتأخرة عن الايمان لا تكون مغفورة بمجرد الايمان فلذلك اورد حرف التبعيض وقيل المراد ببعض الذنوب بعض ما سبق على الايمان وهو ما لا يتعلق بحقوق العباد (قوله وهو اقصى ما قدر لكم بشرط الايمان والطاعة) جواب عما يقال انه عليه الصلاة والسلام وعدلهم بمقابلة امتثالهم لما امروا به ان يؤخرهم الله تعالى الى اجل مسمى مع اخباره بامتناع تأخير الاجل وهما متناقضان بحسب الظاهر وتقرير الجواب ان الله تعالى جعل فى الاجل حكمين محتوما ومعلقا كقوله تعالى ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده فالمحتوم هو المسمى وهو الذى لا يمكن تأخيره والمعلق هو الحكم بان قوم نوح مثلا ان لم يؤمنوا اهلكهم الله تعالى قتل ذلك بما شاء من اسباب الاهلاك كقوله عليه الصلاة والسلام ان استقامت امتى فلهم يوم وان لم يستقيموا فلهم نصف يوم فاليوم هو الذى لا يمكن التجاوز عنه بوجه والنصف وهو الموقوف على عدم الاستقامة واى الاجلين قضى به وحكم فلا يمكن تأخيره وذلك هو الذى عبر عنه بالمجئ فى قوله ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر اى لا يؤخر اذا حكم به وتعلقت به الارادة فبادروا بمجيئه بالايمان واشار المصنف اليه بقوله اذا جاء على الوجه المقدر به اجلا واضيف هذا الاجل اليه تعالى لكونه تعالى هو الذى قدره وتعلقت به ارادته وان صح اضافته الى العبد لكونه نهاية عمره فالاجل المعلق اذا تحقق شرط كونه اجلا وتعلقت به ارادته تعالى لا يؤخر الا انه يؤخر اذا فقد شرط كونه اجلا بخلاف الاجل المقطوع به فانه لا يؤخر بوجه (قوله وقيل اذا جاء الاجل الاطول) عطف على قوله ان الاجل الذى قدره اى وقيل المراد باجل الله هو المسمى الذى لا يمكن تأخيره بوجه من الوجوه اى الوقت الذى سماه الله تعالى اجلا اذا جاء لا يؤخر كما يؤخر هذا المعلق فبادروا فى اوقات الامهال والتأخير فان المسمى ضرورى الوقوع لا يمكن تأخيره (قوله لعلمتم ذلك الخ) اشارة الى ان جواب لو محذوف وكلمة لو دلت على انهم لا يعلمون ذلك مع انه تعالى خلقهم مشتملين على اسباب العلم وآلات تحصيله الا انهم ضيعوها بتوغلهم فى حب الدنيا وانهماكهم فى الالتذاذ بها (قوله واسناد الزيادة الى الدعاء) من قبيل اسناد الفعل الى السبب والمعنى دعوتهم دائما من غير فتور فازداد وافرارا عند دعوتى ويجوز اسناد الزيادة الى السورة فى قوله تعالى واذا ما انزلت سورة

فمنهم من يقول أيكم زادته هذه ايمانا فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم
يستبشرون واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم
كافرون فان ضمير زادتهم يعود الى السورة والمعنى ان الله تعالى يزيدهم ذلك
عند نزول السورة (قوله والتعبير بصيغة الطلب) مع ان معنى الطلب ليس
بمقصود ههنا بل الاستغشاء ههنا بمعنى التغطي والستر كما فسر به للمبالغة في
الاهتمام بالتغطي كانهم طلبوا من الثياب ان تغشاهم لئلا يروا الداعي بغضا له
ولما جاء به (قوله مستعار من اصر الحمار على العانة) وهي القطيع من حمر
الوحش يقال صر الفرس اذنيه اذا سواهما وضمهما واذا نقل الى باب الافعال
وقيل اصر الفرس يكون لازما وهو من النوادر شبه الاقبال على الكفر
والمعاصي باصرار الحمار على العانة يكدمها ويطردها فسمى الاقبال عليه
اصرارا واشتق منه اصر ولو لم يكن في ارتكاب المعاصي الا التشبيه بالحمار
لكفى به مزجرة فكيف والتشبيه في اسوأ الاحوال وهو حال الكدم والطرد
للسفاد (قوله اي دعوتهم مرة بعد اخرى) يعني انه عليه الصلاة والسلام
عطف بكلمة ثم اولا دعوته اياهم مجاهرة وهي الدعوة على رؤس الاشهاد في
المحافل ثم عطف بها دعوته اياهم على وجه الاعلان والاسرار بان يخلو
بالواحد فالواحد منهم فيعلن ويسر اليه في الدعوة وما عطف عليه هذان
المعطوفان ليس الا قوله كلما دعوتهم من غير تقييد تلك الدعوة بشئ فهذا
الاسلوب يدل على ان مراتب دعوته كانت ثلاثة فبدأ اولا بالمناصحة في السر
فعاملوه بالامور الاربعة ثم ثنى بالمجاهرة فلما لم يؤثر جمع بين الاعلان والاسرار
فكأن حاصل الكلام ماذكره المصنف بقوله اي دعوتهم مرة بعد اخرى
وكرة بعد اولى على اي وجه امكنني وثم اما للدلالة على تراخي بعض هذه المراتب
عن بعض بحسب الرتبة وبحسب الزمان (قوله وكأنهم لما امرهم بالعبادة
قالوا) اشارة الى وجه قوله عليه الصلاة والسلام استغفروا ربكم وبيان
فائدته بعد ما امرهم بعبادة الله تعالى وتقواه وطاعة رسوله فيما بلغ من قبله
اليهم (قوله ولذلك) اي ولكون الاستغفار من الذنوب والمعاصي كما يمحو
الذنوب والمعاصي يجلب للمستغفر منافع الدنيا من الخصب والغنى وعد عليه
الصلاة والسلام لهم على ماهو اوقع في قلوبهم من الخيرات العاجلة فقال
يرسل السماء عليكم مدرارا فانه مجزوم على انه جواب الامر فانهم لما قالوا ان كنا
على باطل فكيف يقبلنا من عصيناه قال نوح عليه السلام انكم وان كنتم
قد عصيتموه ولكن استغفروا من تلك الذنوب والمعاصي فان شأنه تعالى الغفارية
وبين لهم ان الاستغفار والتوبة عن الكفر والمعاصي يجمع لهم مع الحظ الوافر

والتعبير بصيغة الطلب
للمبالغة (واصروا)
واكبوا على الكفر
والمعاصي مستعار من
اصر الحمار على العانة
اذا صر اذنيه واقبل عليها
(واستكبروا) من اتباعي
(استكبارا) عظيما
(ثم اني دعوتهم جهارا
ثم اني اعلنت لهم واسررت
لهم اسرارا) اي دعوتهم
مرة بعد اخرى وكرة
بعد اولى على اي وجه
امكنني وثم لتفاوت
الوجوه فان الجهار
اغلظ من الاسرار
والجمع بينهما اغلظ من
الافراد اولتراخي بعضها
من بعض وجهارا نصب
على المصدر لانه احد
نوعي الدعاء او صفة
مصدر محذوف بمعنى دعاء
جهارا اي مجاهرا به
او الحال فيكون بمعنى
مجاهرا (فقلت استغفروا
ربكم) بالتوبة عن الكفر
(انه كان غفارا) للتائبين
وكأنهم لما امرهم بالعبادة
قالوا ان كنا على حق
فلا نتركه وان كنا على باطل
فكيف يقبلنا ويلطف
بنا من عصيناه فامرهم بما
يجب معاصيهم ويجلب اليهم الخ ولذلك وعدهم عليه ماهو اوقع في قلوبهم

[illegible] دعوتهم [illegible] حبس الله عنهم القطر اربعين سنة واعقم ارحام نسائهم فوعدهم [illegible] على الاستغفار [illegible] عليه بقوله (يرسل السماء عليكم مدرارا و يمددكم باموال و بنين و يجعل لكم جنات و يجعل لكم انهارا) ولذلك شرع الاستغفار فى الاستسقاء والسماء ﴿ ٦٤ ﴾ يحتمل المظلة والسحاب والمطر والمدرار كثير الدرور يستوى فى هذا البناء المذكر والمؤنث والمراد بالجنات البساتين (مالكم لاترجون لله وقارا) لاتأملون له توقيرا اى تعظيما لمن عبده واطاعه فتكونون على حال تأملون فيها تعظيمه اياكم ولله بيان للموقر ولو تأخر لكان صلة للوقار اولاتعتقدون له عظمة فتخافون عصيانه وانما عبر عن الاعتقاد بالرجاء التابع لادنى الظن مبالغة (و قد خلقكم اطوارا) حال مقررة للانكار من حيث انها موجبة للرجاء بان خلقهم اطوارا اى تارات اذ خلقهم اولا عناصر ثم مركبات تغذى الانسان ثم اخلاطا ثم نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما و لحوما ثم انشأهم خلقا آخر فانه يدل على انه يمكن ان يعيدهم تارة اخرى فيعظمهم بالثواب وعلى انه تعالى عظيم القدرة تام الحكمة ثم اتبع ذلك مايؤيده من آيات الآفاق فقال (الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا) اى فى السموات وهو فى السماء الدنيا وانما نسب اليهن لما بينهن من الملابسة (ارواح)

فى الآخرة منافع الدنيا وخيراتها (قوله وقيل لما طالت الخ) عطف على قوله كانهم لما امرهم الخ فيكون وجها آخر لارتباط هذه الآية بما قبلها (قوله فوعدهم بذلك) اى بما هو اوقع فى قلوبهم * والمدرار من اوزان المبالغة بمعنى كثير الدرور وهو الانصباب ومدرارا حال من السماء (قوله والسماء يحتمل المظلة) على ماقيل من ان المطر ينزل منها الى السحاب و يطلق السماء ايضا على كل ماعلاك كالسحاب وسقف البيت فعلى التقديرين يكون المعنى يرسل ماء السماء فحذف المضاف و يطلق على نفس المطر ايضا كما فى قوله

اذا نزل السماء بارض قوم * رعيناه وان كانوا غضابا

فحينئذ لاحاجة الى تقدير المضاف (قوله لاتأملون له توقيرا) على ان لرجاء على اصله وهو الامل والطمع والوقار اسم بمعنى التوقير كالسلام بمعنى التسليم (قوله ولله بيان للموقر) اى للذى يفعل التوقير والتعظيم فكانهم لما سمعوا قوله مالكم لا ترجون ان توقروا وتعظموا على بناء المفعول قالوا لمن التوقير والتعظيم اى من الذى يعظمنا و يوقرنا فقيل لله اى التوقير لله واصل لله ان يكون مؤخرا عن وقارا على انه صفة له فلما قدم امتنع ان يكون صفة له ولامتعلقا به لان معمول المصدر لايتقدم عليه فتعين كونه للبيان (قوله مبالغة) اى فى عدم اعتقادهم له عظمة فان من لايكون له الرجاء التابع لادنى ظن ذاتى يكون له الاعتقاد الجازم والمعنى على هذا مالكم لاتعلمون حق عظمته فتوحدوه وتطيعوه وقد جعل لكم فى انفسكم آية تدل على كمال عظمته من القدرة البالغة والعلم والحكمة وهو انه خلقكم اطوار اوخلق السموات طباقا وغير ذلك فعلى هذا قوله تعالى لله بيان للموقر كما انه على الاول بيان للموقر (قوله تعالى طباقا) اما جمع طبق كجمل وجمال اوجمع طبقة كرحبة ورحاب اومصدر طابق يقال طابق مطابقة وطباقا وعلى التقادير فهو صفة سبع سموات اما على كونه جمعا فظاهر واما على تقدير كونه مصدرا فعلى طريق التوصيف بالمصدر للمبالغة اوعلى حذف المضاف اى ذات طباق و يجوز ان ينتصب على انه مصدر لفعل مقدر اى طوبقت طباقا بمعنى انها جعلت طبقة فوق اخرى قال الامام قوله تعالى خلق سبع سموات طباقا يقتضى كون بعضها مطبقا على الآخر وهذا يقتضى ان لايكون بينها فرج فالملائكة كيف يسكنون فيها فاجاب بان الملائكة

ارواح ثم قال وايضا فلعل المراد من كونها طباقا كونها متوازية لامماسة وهو المروى عن المبرد ثم قال كيف قال وجعل القمر فيهن نورا والقمر ليس فيهما باسرها بل فى السماء الدنيا فأجاب بان هذا كما يقال السلطان فى العراق ولا يراد انذاته حاصلة فى جميع احياز العراق بل يراد ان ذاته حاصلة فى حيز من جملة احياز العراق فكذا هنا وهذا هو المراد بقول المصنف لما بينهن من الملابسة كالبلد ان المتباينة حيث جاز ان يقال فى حق مافى واحدة منها انه فى هن واشار صاحب الكشاف الى الجواب بوجه آخر حيث قال وعن ابن عباس وابن عمر رضى الله تعالى عنهم ان الشمس وجهها مما يلى السماء وظهرها مما يلى الارض فاذا كان وجه كل واحد منهما متوجها الى جهة السموات وقفاه الى جهة الارض ظهر وجه قوله فيهن من حيث ان كل واحدة منها منورة بنور القمر ونوره ثابت فيها باسرها فعلى هذا ينبغى ان يكون تقدير مابعده وجعل الشمس فيهن سراجا لاهل السموات والارض وقيل انه نور لاهل الارض (قوله مثلها به) يعنى ان قوله تعالى وجعل الشمس سراجا من باب التشبيه البليغ شبهت به من حيث ان كل واحد منهما يزيل ظلمة الليل عن وجه الارض فان الليل عبارة عن ظل الارض الحاصل فى الجو بسبب حيلولة الارض بينه وبين الشمس وبطلوع الشمس تزول الحيلولة وما يستدل اليها من الظل كما يزول ذلك بضوء السراج والتشبيه لا يقتضى المماثلة بين المشبه والمشبه به من جميع الوجوه حتى يقال ضوء السراج عرضى كضوء القمر بخلاف ضوء الشمس فانه ذاتى فتشبيه القمر بالسراج اولى من تشبيه الشمس به (قوله فاستعير الانبات للانشاء) استعارة اصلية ثم اشتق من الانبات المستعار لفظ انبتكم فصار استعارة تبعية حمل الكلام على الاستعارة لتعذر حمله على الحقيقة لان الانبات اخراج فروع مارسخ عروقه فى الارض ولاشك ان ايجاد الانسان ليس على هذا الوجه وانشاء بنى آدم من الارض اما بواسطة انشاء ابيهم آدم عليه الصلاة والسلام منها او من حيث انه تعالى خلق كل واحد منهم من النطفة المتولدة من الغذاء المتولد من النبات المتولد من الارض والنكتة فى العدول الى المجاز كون الانبات ادل على الحدوث لانهم اذا كانوا انباتا كانوا محدثين لا محالة حدوث النبات (قوله واصله انبتكم انباتا فنبتم نباتا) يعنى ان نباتا منصوب بفعل مقدر وهو نبتم وحذف لدلالة انبتكم عليه التزاما فان النبات لازم للانبات ومطاوع له والملزوم يدل على لازمه وقد شكا نوح عليه الصلاة والسلام الى ربه سبب عصيان قومه اياه فقوله بعد ذلك رب انهم عصونى تمهيد لما ذكره بعد بيان سبب عصيانهم اياه وهو تقليد رؤسائهم البطرين بالاموال والاولاد (قوله

(وجعل الشمس سراجا) مثلها به لانها تزيل ظلمة الليل عن وجه الارض كما يزيلها السراج عما حوله (والله انبتكم من الارض نباتا) انشأكم منها فاستعير الانبات للانشاء لانه ادل على الحدوث والتكون من الارض واصله انبتكم انباتا فنبتم نباتا فاختصر اكتفاء بالدلالة الالتزامية (ثم يعيدكم فيها) مقبورين (ويخرجكم اخراجا) بالحشر واكده بالمصدر كما اكده الاول دلالة على ان الاعادة محققة كالبدء وانها تكون لامحالة (والله جعل لكم الارض بساطا) تتقلبون عليها (لتسلكوا منها سبلا فجاجا) واسعة جمع فج ومن لتضمن الفعل معنى الاتخاذ (قال نوح رب انهم عصونى) فيما امرتهم به (واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا) واتبعوا رؤساءهم البطرين باموالهم المغترين باولادهم

بحيث صار ذلك سببا) اشارة الى ان اسناد الزيادة الى المال والولد من قبيل
اسناد الفعل الى سببه فان الاموال والاولاد وان كانت من الاسباب
التي يكتسب بها سعادة الآخرة بصرفها فيما خلقت لاجله الا انها اذا
جعلت ذريعة لقضاء الشهوات النفسانية واستيفاء اللذات العاجلة صارت
اسبابا لزيادة خسارة الآخرة (قوله وفيه انهم انما اتبعوهم لوجاهة
حصلت لهم الخ) وذلك يستفاد من توصيف مفعول اتبعوا بقوله لم يزده
ماله وولده الا خسارا فان توصيف متعلق اتباعهم بكونهم اصحاب اموال
واولاد أدت بهم الى الخسار يشعر بعلية الوصف المذكور للاتباع (قوله
ابلغ من كبارا) يعني ان كبارا بالضم والتشديد من اوزان المبالغة ابلغ من
كبارا بالضم والتخفيف كما ان المخفف ابلغ من كبير ونظيره الطويل ثم الطوال
والمكر الكبار هو احتيالهم بصد السفلة عن قبول دعوة نوح والايمان به
وتحريش الناس على اذاه وعلى الثبات على دين اسلافهم الاقدمين ويجوز
ان يكون المراد بمكر الرؤساء قولهم لاتباعهم لاتذرن آلهتكم ولاتذرن
ودا ولاسواعا عبادتها لاسيما هذه الآلهة الخمسة التي هي ود وسواع ويغوث
ويعوق ونسر فان اضافة الآلهة اليهم من جملة الحيلة الموجبة لاستمرارهم
على عبادتها كأنهم قالوا هذه الاجسام آلهة لكم وكانت آلهة لابائكم فلو
قبلتم قول نوح لاعترفتم على انفسكم وعلى آبائكم بانكم كنتم جاهلين ضالين
واعتراف الانسان على نفسه وعلى جميع اسلافه بالجهل والضلال سفاهة
شديدة لايجترئ عليها عاقل فلما كان في لفظ آلهتكم اشارة الى هذه المعاني كان
صارفا لهم عن الدين وطاعة نوح بالحيلة الخفية فلهذا سمى الله تعالى قولهم
هذا مكرا وحيلة خفية (قوله خصوصا) اشارة الى ان قوله تعالى ولاتذرن
ودا ولاسواعا من قبيل عطف الخاص على العام تعظيما لهذه الاصنام الخاصة
بناء على انها اكبر اصنامهم (قوله فلما ماتوا صوروا) قيل لما مات هؤلاء
الصلحاء اختار خلص اصحابهم ان يسلكوا سبيلهم في باب العبادة فقال لهم
ابليس لو صورتموهم ونظرتم اليهم احيانا كان انشط لكم واشوق الى العبادة
ففعلوا ثم نشأ بعدهم قوم فقال لهم ابليس ان الذين كانوا قبلكم قد كانوا
يعبدونها فعبدوها فابتدأ عبادة الاوثان من ذلك الوقت فلما كانت ايام الطوفان
والغرق دفنت تلك الاوثان فلم تزل مدفونة حتى اخرجها الشيطان لمشركي
العرب فكان ود لكلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج بفتح الميم وسكون
الذال المعجمة وكسر الحاء المهملة بعدها جيم معجمة على وزن مسجد وهو
ابو قبيلة من اليمن ويعوق لمراد وهو ايضا ابو قبيلة من اليمن ونسر لحمير

بحيث صار ذلك سببا
لزيادة خسارهم في
الآخرة وفيه انهم انما
اتبعوهم لوجاهة حصلت
لهم باموالهم واولادهم أدت
بهم الى الخسار وقرأ ابن
كثير وحمزة والكسائي
والبصريان وولده بالضم
والسكون على انه لغة
كالحزن او جمع كالاسد
(ومكروا) عطف على
لم يزده والضمير لمن وجمعه
للمعنى (مكرا كبارا)
كبيرا في الغاية فانه ابلغ
من كبار وهو من كبير
وذلك احتيالهم في الدين
وتحريش الناس على
اذى نوح (وقالوا لاتذرن
آلهتكم) اي عبادتها
(ولاتذرن ودا ولاسواعا
ولا يغوث ويعوق
ونسرا) ولاتذرن هؤلاء
خصوصا قيل هي اسماء
رجال صالحين كانوا بين
آدم ونوح عليهما السلام
فلما ماتوا صوروا تبركا بهم
فلما طال الزمان عبدوا
وقد انتقلت الى العرب
وكان ود لكلب وسواع
لهمدان ويغوث لمذحج
ويعوق لمراد ونسر
لحمير وقرأ نافع ودا بالضم

(وهو)

وهو ايضا ابو قبيلة من اليمن قال الامام قولهم انتقلت هذه الاصنام الخمسة الى العرب فيه اشكال لان الدنيا قد خربت فى زمان الطوفان فكيف بقيت تلك الاصنام وكيف انتقلت الى العرب ولا يمكن ان يقال ان نوحا عليه الصلاة والسلام وضعها فى السفينة وامسكها لانه عليه الصلاة والسلام انما جاء لنفيها وكسرها فكيف يمكن ان يقال انه وضعها فى السفينة سعيا وغيرة فى حفظها هذا كلامه و يزول اشكاله بما ذكر فى التيسير ومعالم التنزيل وغيرهما من ان تكون تلك الاصنام الخمسة قد دفنها الطين والتراب والماء ايام الطوفان فلم تزل مدفونة حتى اخرجها الشيطان لمشركى العرب وكان للعرب اصنام اخر اللات لثقيف وهو ابو قبيلة من هو اذن مضر و يقال له مضر الحمر ولاخيه ربيعة الفرس لانهما اقتسما الميراث اعطى مضر الذهب واعطى ربيعة الخيل والعزى لسليم وغطفان وجشم ونضر وسعد بن بكر ومناة لهذيل واساف ونائلة وهبل لاهل مكة وكان اساف حيال الحجر الاسود ونائلة حيال الركن اليمانى وهبل فى جوف الكعبة (قوله للتناسب) لان ماقبلهما اسمان منصرفان منونان وهما ودا وسواعا وكذا ما بعدهما وهو نسرا فنونا ايضا للتناسب كما نون سلاسلا كذلك (قوله عطف على رب انهم عصونى) يعنى ان قوله لاتزد الظالمين الاضلالا مقول ثان لنوح عطف الله تعالى احد مقوليه على الآخر وان الواو فيه من كلامه تعالى لامن كلام نوح لاستلزامه عطف الانشاء على الاخبار فهو عليه الصلاة والسلام قال كل واحد من القولين من غير عطف احدهما على الآخر فأحدهما قوله رب انهم عصونى وثانيهما قوله لاتزد الظالمين الاضلالا فحكى الله تعالى احد قوليه بتصديره بلفظ قال وحكى قوله الآخر بعطفه على قوله الاول بكلمة الواو النائبة عن لفظ قال (قوله ولعل المطلوب) جواب عما يقال لايليق بالنبى المبعوث للهداية ان يدعو على امته بالضلال فى امر دينهم وزيادتهم فيه مع انه عليه الصلاة والسلام قد بعث اليهم ليصرفهم عنه (قوله وما مزيدة) يعنى انها زيدت بين الجار والمجرور لتأكيد الحصر المستفاد من تقديم قوله مما خطيئاتهم فانه يدل على ان اغراقهم بالطوفان لم يكن الا من اجل خطيئاتهم تكذيبا لقول المنجمين من ان ذلك كان لاقتضاء الاوضاع الفلكية اياه فانه كفر لكونه مخالفا لصريح هذه الاية ولزيادتها فائدة اخرى وهى تفخيم قبح خطاياهم لانها ابهامية وابهام الشئ يدل على انه مما لايمكن وصفه ولايقادر قدره (قوله وقرأ ابو عمرو مما خطاياهم) كل واحد من لفظى الخطايا والخطيئات جمع خطيئة

وقرأ يغوثا ويعوقا للتناسب ومنع صرفهما للعلمية والعجمة (وقد اضلوا كثيرا) الضمير للرؤساء او للاصنام كقوله انهن اضللن كثيرا (ولاتزد الظالمين الاضلالا) عطف على رب انهم عصونى ولعل المطلوب هو الضلال فى ترويج مكرهم ومصالح دنياهم لافى امر دينهم او الضياع والهلاك كقوله ان المجرمين فى ضلال وسعر (مما خطيئاتهم) من اجل خطيئاتهم وما مزيدة للتأكيد والتفخيم وقرأ ابو عمرو مما خطاياهم (اغرقوا) بالطوفان

الا ان الاول جمع تكسير والثانى جمع سلامة وقد تقرر ان الجمع المكسر غير الاوزان الاربعة التى هى افعل وافعال وافعلة وفعلة جمع كثرة لايطلق على مادون العشرة الا بالقرينة والمقام مقام تكثير خطاياهم فلعل اباعمرو انما قرأ خطاياهم بلفظ جمع الكثرة لذلك ومن اختار لفظ جمع السلامة نظر الى ان جمع السلامة سواء كان بالواو والنون او بالالف والتاء لمطلق الجمع كما ذكر فى شرح الرضى وهو قوله والظاهر ان كل واحد من جمعى السلامة لمطلق الجمع من غير نظر الى القلة والكثرة فيصلحان لهما فلذلك قيل انهما مشتركان بينهما واستدلوا عليه بقوله تعالى مانفدت كلمات الله (قوله المراد عذاب القبر) تمسك اصحابنا فى اثبات عذاب القبر بقوله تعالى اغرقوا فادخلوا نارا وذلك من وجهين الاول ان الفاء فى قوله تعالى اغرقوا فادخلوا نارا تدل على ان الادخال حصل عقيب الاغراق فلا يمكن حمل الادخال على عذاب الآخرة لئلا يلزم اخلاء اللفظ عن مدلوله الوضعى من غير دليل والوجه الثانى ان قوله تعالى فادخلوا اخبار عن الماضى وهو انما يصدق بوقوع المخبر به قبل نزول الاية وقال مقاتل والكلبى معنى الاية انهم سيدخلون فى الآخرة نارا و عبر عن المستقبل بلفظ الماضى لانه كائن لامحالة فكانه قد كان كقوله تعالى ونادى اصحاب النار ونادى اصحاب الجنة ولانه لما تحقق سبب الادخال ومن حق السبب ان يتحقق عقيب السبب جعل كالمحقق وعبر عنه بلفظ الماضى ولايخفى ان ما ذكر انما يصحح التعبير عن المستقبل بلفظ الماضى ولايكون دليلا على ترك الظاهر ومن المعلوم ان العدول عن الظاهر من غير دليل لاوجه له فالوجه ان يراد به عذاب القبر ومن مات فى ماء اونار واكلته السباع والطير اصابه مايصيب المقبور من العذاب كقوله تعالى فى آل فرعون النار يعرضون عليها غدوا وعشيا و يوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب ومن الضحاك انهم كانوا يغرقون من جانب و يحرقون من جانب وهو يؤيد كون المراد به عذاب القبر (قوله فيعال من الدار والدور) يعنى ان ديارا على الاول احد ينزل الدار و يسكنها وعلى الثانى احد يدور فى الارض بان يذهب و يجيئ وانكر بعضهم كونه من الدوران وقال لوكان من الدوران لم يبق على الارض جنى ولاشيطان وليس كذلك فينبغى ان يكون من الدار و يكون المعنى اهلك كل نازل دار اوساكنها من الكفار اى كل انسى منهم (قوله لافعال والالكان دوارا) اى لكان ينبغى ان تصح واوه ولاتقلب ياء لان اصل دار دور فقلبت واوه ألفا فلما ضعفت عينه كان دوارا بواو صحيحة مشددة اذلاوجه لقلبها ياء وكذا الحال اذا كان فعالا من

(الدور)

(فادخلوا نارا) المراد عذاب القبر او عذاب الآخرة والتعقيب لعدم الاعتداد بمابين الاغراق والادخال اولان المسبب كالمتعقب للسبب وان تراخى عنه لفقد شرط اووجود مانع وتنكير النار للتعظيم اولان المراد نوع من النيران اعدلهم (فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا) تعريض لهم باتخاذهم آلهة من دون الله لاتقدر على نصرهم (وقال نوح رب لاتذر على الارض من الكافرين ديارا) اى احدا وهو ممايستعمل فى النفى العام فيعال من الدار او الدور واصله ديوار ففعل به ما فعل باصل سيد لافعال والا لكان دوارا

الدور (قوله قال ذلك لما جربهم) جواب عما يقال كيف عرف انهم لايلدون الا فاجرا كفارا حتى دعا فى حقهم بان يهلكهم الله تعالى جميعا واخبر عنهم بانهم لا يلدون الا فاجرا كفارا اى الا ماسيكون فاجرا كفارا اذا بلغ مبلغ التكليف فهو من قبيل تسمية الشئ بما سيؤول اليه وتقرير الجواب انه عليه الصلاة والسلام عرف ذلك بالتجربة والاستقراء فانه لبث فيهم الف سنة الاخمسين عاما فعرف طباعهم واستقرى احوالهم واخلاقهم حتى قيل كان الرجل منهم ينطلق بابنه ويقول احذر هذا فانه كذاب وان ابى اوصانى بمثل هذه الوصية فيموت الكبير وينشأ الصغير على مذهب الكبير فى العتو والعناد وكما انه عليه السلام عرف ذلك بالاستقراء عرفه بالنص ايضا قال قتادة انه عليه الصلاة والسلام دعا عليهم بعد ان اوحى الله تعالى اليه انه لن يؤمن من قومك الامن قد آمن فحينئذ دعا عليهم بذلك لما أيس من ايمانهم وتيقن باطراد النجاسة فى جميعهم وانه يجب تطهير وجه الارض منهم فاجاب الله تعالى دعاءه واهلكهم جميعا فان قيل مابال صبيانهم اغرقوا قلنا اغرقوا لاعلى وجه التعذيب كما يموتون بسائر الاسباب فكم من صبى يموت بالغرق والحرق والهدم وغيرها وكان ذلك زيادة فى تعذيب الآباء والامهات اذا ابصروا اطفالهم يغرقون ومنه قوله عليه الصلاة والسلام فى مثله يهلكون مهلكا واحدا ويصدرون مصادر شتى وقيل لم يكن فيهم صبى وقت العذاب لانه تعالى اخرج كل من يؤمن من اصلابهم وارحام نسائهم ثم اعقم ارحام نسائهم وايبس اصلاب رجالهم قبل الطوفان باربعين سنة وقيل بسبعين سنة فلم يكن معهم صبى حين اغرقوا ويؤيده قوله تعالى وقوم نوح لما كذبوا الرسل اغرقناهم ولم يوجد التكذيب من الاطفال (قوله لمك بن متوشلخ) فانه عليه الصلاة والسلام هو نوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس عليه الصلاة والسلام ابن يزد بن مهلائيل بن يونس بن قينان بن انوش بن شيث بن آدم عليه الصلاة والسلام قال وهب وكلهم مؤمنون ارسل عليه الصلاة والسلام الى قومه وهو ابن خمسين سنة وقال ابن عباس ابن اربعين سنة وقيل بعث وهو ابن ثلاثمائة وخمسين سنة روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال اول نبى ارسل نوح وارسل الى جميع اهل الارض ولذلك لما كفروا اغرق الله تعالى اهل الارض جميعا ثم انه عليه الصلاة والسلام لما دعا باهلاك من علم انه لايرجى منه الايمان على وجه العموم والاستغراق دعا بالمغفرة لجميع المؤمنين والمؤمنات الا انه خص نفسه اولا بالدعاء ثم ذكر من هو اشد اتصالا به ثم ذكر من هو دونه فى الاتصال به لكونهم اولى واحق بدعائه لهم ثم ذكر عامة المؤمنين والمؤمنات

(انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولايلدوا الافاجرا كفارا) قال ذلك لما جربهم واستقرى احوالهم الف سنة الاخمسين عاما فعرف شيمهم وطباعهم (رب اغفر لى ولوالدى) لمك بن متوشلخ وشمخاء بنت انوش وكانا مؤمنين (ولمن دخل بيتى) منزلى او مسجدى او سفينتى (مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات) الى يوم القيامة (ولاتزد الظالمين الاتبارا) هلاكا * عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح عليه الصلاة والسلام

الى يوم القيامة ثم ختم الكلام بالدعاء على الكافرين مرة اخرى فقال ولاتزد الظالمين الاتبارا اى هلاكا فاستجاب الله تعالى دعاءه فاهلكهم بالكلية ونجاه ومن معه من المؤمنين بسبب السفينة قال مقاتل حمل نوح فى السفينة ثمانين نفسا اربعين رجلا واربعين امرأة وفيهم اولاده الثلاثة وروى انس عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال ان الداعى للمؤمنين والمؤمنات يغفرله بعدد كل مؤمن فى الارض حى اوميت ويرد عليه مثل الذى دعالهم من كل مؤمن فى الارض وعن انس انه عليه الصلاة والسلام قال ان الداعى للمؤمنين والمؤمنات يقام يوم القيامة فيثنى الله تعالى عليه فى الاولين والآخرين خيرا بدعائه لهم فيؤجره مثل اجورهم اجمعين ولاينقص من اجورهم شئ كذا فى التيسير * تمت سورة نوح عليه افضل الصلاة والسلام والحمد لله رب العالمين

(سورة الجن مكية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(قوله وقرئ احى) يعنى ان القراءة المشهورة اوحى على لفظ الماضى المبنى للمفعول من باب الافعال وقرئ وحى بضم الواو وكسر الحاء وهما لغتان بمعنى قال وحى اليه واوحى اليه اذا كلمه كلاما بخفية والايحاء القاء المعنى الى النفس فى خفاء كالالهام وانزال الملك وقرئ احى بضم الهمزة من غير واو واصله وحى قلبت الواو همزة كما فى اقتت واخرت وهذا القلب جائز فى كل واو مضمومة وجوزه المازنى فى المكسورة ايضا كاشاح واعاء اخيه (قوله تعالى انه استمع) لاخلاف فى فتح همزة انه فيه لوقوعها موقع المفرد من حيث انه قائم مقام الفاعل لاوحى وضمير انه للشأن اى اوحى الى ان الشأن استمع القرآن نفر من الجن حذف مفعول استمع لدلالة ما بعده عليه وهو قوله انا سمعنا قرآنا (قوله والجن اجسام عاقلة خفية) كثير من الفلاسفة ينكرون وجود الجن فى الخارج روى ان ابا على بن سينا حد الجن بانه حيوان هوائى يتشكل باشكال مختلفة ثم قال وهذا شرح للاسم اى بيان لمدلول هذا اللفظ مع قطع النظر عن انطباقه على حقيقة خارجية سواء كان معدوما فى الخارج اوموجودا ولم يعلم وجوده فيه فان التعريف الاسمى لايكون الا كذلك بخلاف التعريف الحقيقى فانه عبارة عن تصوير ماله حقيقة خارجية فى الذهن وجمهور ارباب الملل المصدقين بالانبياء قداعترفوا بوجوده واعترف به جمع عظيم من قدماء الفلاسفة ايضا واختلف المثبتون على قولين الاول ان الجن اجسام عاقلة خفية والقول الثانى انهم ليسوا اجساما واللاجسمانية لاتقتضى مشاركتها لذاته تعالى فى ذاتى مشترك ليلزم امتيازها عنه بفصل مميز ويلزم تركب الواجب ثم

(سورة الجن مكية وآيها ثمان وعشرون) (بسم الله الرحمن الرحيم) (قل اوحى الى) وقرئ أحى واصله وحى من وحى اليه فقلبت الواو همزة لضمتها ووحى على الاصل وفاعله (انه استمع نفر من الجن) والنفر مابين الثلاثة الى العشرة والجن اجسام عاقلة خفية تغلب عليهم النارية والهوائية وقيل نوع من الارواح المجردة وقيل نفوس بشرية مفارقة عن ابدانها

ان تلك الجواهر المجردة مختلفة بالماهية وان كانت متشاركة فى بعض الاوصاف العرضية فبعضها خيرة كريمة مائلة الى الخيرات و بعضها دنيئة خبيثة مائلة الى السرور والآفات والخيرة قدتكون منزهة عالية عن تدبير الاجسام بالكلية وهى الملائكة المقربون وقدتكون متعلقة بتدبير الاجسام واشرفها حملة العرش ثم الحافون حول العرش ثم ملائكة الكرسى ثم ملائكة السموات طبقة طبقة ثم الملائكة المتعلقة بتدبير عالم البسائط العنصرية ثم ملائكة عالم المركبات المعدنية والنباتية والحيوانية ثم صلحاء الجن فانها حسنة مشرقة خيرة والكدرة الشريرة السيئة هى المسماة بالشياطين والماردين من الجن وكل نوع من هذه الانواع المختلفة بالماهية يقدر على افعال شاقة عظيمة تعجز عنها قوة البشر و قيل الجن نفوس بشرية مفارقة عن ابدانها فانها حال تعلقها بابدانها ان استكملت بالفضائل العلمية والعملية ثم فارقت عنها ازدادت قوة وكمالا بسبب مافى ذلك العالم الروحانى من انكشاف الاسرار الروحانية وان جهلت وتعطلت عن الفضائل والكمالات وانهمكت فى قضاء الشهوات النفسانية وسلكت سبيل الغواية فى كل باب من بابى الاعمال والعقائد تكون بعد مفارقتها عن بدنها باقية على غوايتها فاذا اتفق ان حدث بدن آخر مشابه للبدن الذى فارقت تلك النفس عنه فبسبب تلك المشابهة يحصل لتلك النفس المفارقة تعلق مابهذا البدن وتصير تلك النفس المفارقة كالمعاونة لنفس ذلك البدن فى افعالها وتدبيرها فى ذلك البدن فان الجنسية علة الضم فان اتفقت هذه الحالة فى النفوس الخيرة سمى ذلك المعين ملكا وتلك الاعانة الهاما وان اتفقت فى النفوس الشريرة سمى ذلك المعين شيطانا وتلك الاعانة وسوسة (قوله وفيه دلالة على انه عليه الصلاة والسلام ما رآهم) كما ذهب اليه ابن عباس حيث قال انطلق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى طائفة من اصحابه عامدين الى سوق عكاظ وادركهم وقت صلاة الفجر وهم بنخلة فاخذهو عليه السلام يصلى باصحابه صلاة الفجر فمر عليهم نفر من الجن وهم فى الصلاة فلما سمعوا القرآن استمعوا له ثم رجعوا الى قومهم فقالوا ياقومنا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا احدا فانزل الله تعالى على نبيه قل اوحى الى انه استمع نفر من الجن اى استمع القرآن نفر منهم ووجه دلالة الآية على انه عليه الصلاة والسلام لم يرهم انه عليه السلام لو رآهم لما اسندت معرفة هذه الواقعة الى الوحى فان ما عرف وجوده بالمشاهدة لايسند اثباته الى الوحى وذهب ابن مسعود رضى الله تعالى عنه الى انه عليه الصلاة والسلام امر بالسير الى الجن ليقرأ القرآن عليهم و يدعوهم الى الاسلام حيث قال عليه السلام

وفيه دلالة على انه عليه الصلاة والسلام ما رآهم ولم يقرأ عليهم وانما اتفق حضورهم فى بعض اوقات قرآءته فسمعوها فاخبرالله به رسوله (فقالوا) لما رجعوا الى قومهم (انا سمعنا قرآنا) كتابا

امرت ان اتلو القرآن على الجن فمن يذهب معي فسكتوا ثم قال الثانية فسكتوا ثم قال الثالثة فقلت انا اذهب معك يارسول الله قال فانطلق حتى اذا جاء الحجون عند شعب ابن ابي دب خط على خطا فقال لاتجاوزه فانك ان فعلت لم تر ني ولم ارك ابدا ثم مضى الى الحجون فانحدر واعليه امثال الحجل كانهم رجال الزط حتى غشوه فغاب عن بصري فقمت فاومى الى بيده ان اجلس ثم تلا القرآن فلم يزل صوته يرتفع ولصقوا بالارض حتى صرت لاارا هم قال الامام واعلم انه لا سبيل الى تكذيب الروايات وطريق الجمع بين مذهب ابن عباس ومذهب ابن مسعود رضى الله تعالى عنهم من وجوه احدها لعل ماذكره ابن عباس وقع اولا فاوحى الله تعالى اليه بهذه السورة ثم امره بالخروج اليهم بعد ذلك كما روى ابن مسعود وثانيها بتقدير ان تكون واقعة الجن مرة واحدة ويجوز ان يؤمر عليه السلام بالذهاب اليهم و يقرأ القرآن عليهم و يدعوهم الى الاسلام الا انه صلى الله تعالى عليه و سلم مارآهم وما عرف انهم ماذا قالوا واى شئ فعلوا فالله سبحانه وتعالى اوحى اليه انه كان كذا وكذا وقالوا كذا وكذا وثالثها ان تكون الواقعة مرة واحدة وهو عليه الصلاة والسلام رآهم وسمع كلامهم وهم آمنوا به ثم لما رجعوا الى قومهم قالوا لقومهم على سبيل الحكاية انا سمعنا قرآنا عجبا وكان كذا وكذا فاحى الله تعالى الى رسوله ما قالوه لاقوامهم وقيل ان الجن اتوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم دفعتين احداهما بمكة وهى التى ذكرها ابن مسعود والثانية بنخلة وهى التى ذكرها ابن عباس ثم قيل ان الجن الذين اتوه بمكة جن صيبين وهى قرية باليمن غير التى بالعراق والذين اتوه بنخلة جن غيرهم (قوله بديعا مباينا) اشارة الى ان العجب وان كان مصدرا فى الاصل الا انه ههنا بمعنى العجيب للمبالغة وهو الذى يتعجب منه لحسن نظمه وصحة معانيه من حيث انه يدعوا الى الرشد وهو التوحيد والطاعة وانه وضع موضع العجيب للمبالغة وهو ماخرج عن حد اشكاله ونظائره (قوله وقرأ ابن كثير والبصريان بالكسر) لكونه معطوفا على قوله انا سمعنا وهى مكسورة اتفاقا لكونها محكية بعد القول وقد اتفق القراء على كسر الهمزة اذا وقعت بعد القول او بعد فاء الجزاء وقد اتفقوا على فتح الهمزة فى قوله تعالى قل اوحى الى انه استمع وعلى كسرها فى قوله تعالى انا سمعنا والبواقى محمول عليهما فما كان من الموحى مفتوح وما كان من قول الجن مكسور فابن كثير والبصريان جعلوا الجميع من قول الجن فكسروا الهمزة فيها الا اربعة مواضع وهى قوله تعالى قل اوحى الى

عجبا) بديعا مباينا كلام الناس فى حسن نظمه ودقة معناه وهو مصدر وصف به للمبالغة (يهدى الى الرشد) الى الحق والصواب (فآمنا به) بالقرآن (ولن نشرك بربنا احدا) على ما نطق به الدلائل القاطعة على التوحيد (وانه تعالى جد ربنا) وقرأ ابن كثير والبصريان بالكسر على انه من جملة المحكى بعد القول وكذا مابعده الا قوله وان لو استقاموا وان المساجد وانه لما قام عبد الله فانه من جملة الموحى به

وواقفهم نافع وابو بكر الا قوله وانه لما قام على انه استئناف او مقول وقرأ الباقون الكل الا ما صدر بالفاء على ان ما كان من قولهم فمعطوف على محل الجار والمجرور في به كأنه قيل صدقناه وصدقنا انه تعالى جد ربنا اى عظمته من جد فلان في عيني اى عظم ملكه وسلطانه او غناه مستعار من الجد الذى هو البخت والمعنى وصفه بالتعالى عن الصاحبة والولد لعظمته او لسلطانه او لغناه وقوله (ما اتخذ صاحبة ولا ولدا) بيان لذلك وقرئ جدا بالتمييز وجد بالكسر اى صدق ربوبيته كأنهم سمعوا من القرآن ما نبههم على خطأ ما اعتقدوه من الشرك واتخاذ الصاحبة والولد

انه استمع وان لو استقاموا وان المساجد لله وانه لما قام عبد الله فانهم فتحوا الهمزة فيها بناء على انها من جملة الموحى به وان في قوله وان لو استقاموا مخففة من الثقيلة معطوفة على معمول اوحى كأنه قيل اوحى اليه انه استمع وان لو استقاموا والضمير الشأن فيها وكذا قوله وان المساجد لله معطوفة عليه ففتحت الهمزة لذلك وقيل لان التقدير ولان المساجد لله فلا تدعوا وحذف الجار في مثله شائع كثير (قوله وواقفهم نافع) اى في القراءة بالكسر في غير المواضع المستثناة من تلك المواضع وكذا في قوله وانه لما قام اما على الاستئناف او على كونها من قول الجن (قوله وقرأ الباقون الكل) لفظ الكل على ظاهره لانه لا خلاف في كسر ما كان محكيا بعد القول فينبغى ان يكون مراده بالكل كل ما كان مقترنا بالواو العاطفة وقرينة التخصيص قوله على ان ما كان من قولهم فمعطوف على محل الجار والمجرور ولم يجعله معطوفا على لفظ الجار والمجرور لعدم ذكر الجار في المعطوف ولا على لفظ المجرور لان البصريين لا يجوزون العطف على الضمير المجرور من غير اعادة الجار في المعطوف وان اجازه الكوفيون ولما كان محل الجار والمجرور النصب على انه مفعول به غير صريح لآمنا كان ما عطف عليه ايضا كذلك فكان في موضع المفرد ففتح فكأنه قيل صدقناه وصدقنا انه تعالى جد ربنا (قوله مستعار من الجد الذى هو البخت الخ) يعنى ان الجد في اللغة يكون بمعنى العظمة ومنه حديث عمر رضي الله عنه كان الرجل ما اذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا وفي رواية جد في اعيننا اى جل قدره وعظم ويكون بمعنى الدولة والغنى والبخت ايضا ومنه حديث لا ينفع ذا الجد منك الجد اى لا ينفع ذا الغنى غناه وانما تنفعه الطاعة منك وكذلك الحديث الآخر قمت على باب الجنة فاذا عامة من يدخلها الفقراء واذا اصحاب الجد محبوسون يعنى اصحاب الغنى في الدنيا فالجد في الآية يجوز ان يراد به العظمة وهو ظاهر وان يراد به ملك الله تعالى وسلطانه او استغناؤه المطلق الذاتى تشبيها لكل واحد منهما ببخت الملوك والاغنياء وغناهم لان الملوك والاغنياء هم المجدودون فسمى المشبه باسم الجد والبخت على سبيل الاستعارة (قوله والمعنى) اى المراد الاخبار بتعاليه جده سواء كان الجد بمعنى العظمة او السلطان او استغنائه تعالى عن الصاحبة والولد اكتفى بذكر الملزوم عن ذكر اللازم ثم بين كون المراد ذلك بقوله ما اتخذ صاحبة ولا ولدا فهو استئناف لبيان ان المعنى ذلك كأنه قيل وما امارة تفرده بتعالى الجد فقيل ما اتخذ صاحبة ولا ولدا وقرئ تعالى جدا ربنا بنصب جدا على التمييز من النسبة ورفع ربنا على الفاعلية والمعنى تعالى ربنا جدا ثم قدم المميز كما في قولك حسن وجها زيد وقرئ جدربنا

ايضا بكسر الجيم وهو ضد الهزل وضد التوانى فى الامور ايضا فالمعنى تعالى صدق ربوبيته وحق الوهيته عن اتخاذ الصاحبة والولد والالهية لايشوبها شئ من سمات الاحتياج والحدوث فان الصاحبة والولد انما يتخذان للحاجة اليهما فى الاستئناس والذكر وبقاء النسل بعد فوت الولد وكل ذلك من توابع الامكان والحدوث تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا تبرأ اولا من الشرك وثانيا من دين النصارى واليهود (قوله تعالى وانه كان يقول سفيهنا) ضمير انه للشان واسم كان مضمر فيها وهو ضمير الشان ايضا والجملة التى بعد كان مفسرة لاسم كان لانه مضمر لم يتقدمه ظاهر يعود هو اليه فلابد من جملة تفسره فهى فى موضع خبر كان (قوله قولا ذا شطط) يعنى ان الشطط فى نظم الآية صفة مصدر محذوف ولما كان الشطط عبارة عن مجاوزة الحد والقدر فى اى شئ كان احتيج الى تقدير المضاف لان القول لايوصف بانه فى نفسه بعد عن الحق ومجاوزة الحد الا على طريق المبالغة كما فى رجل عدل وانما قال قول شطط او ذو شطط فقدر المضاف لذلك ثم اشار الى جواز كونه من قبيل التوصيف بالمصدر للمبالغة لفرط ما اشط اى ابعد ذلك السفيه فى ذلك القول الدال على نسبة الصاحبة والولد اليه تعالى (قوله اعتذار) كأنهم قالوا ظننا ان الشان لن تقول الانس والجن على الله كذبا فلذلك صدقنا سفهاءنا فى ان لله شريكا وصاحبة وولدا فلما سمعنا القرآن وتبين لنا انه الحق علمنا انهم قد كذبوا عليه تعالى وهذا منهم اقرار بانهم انما وقعوا فى تلك الجهالة بسبب التقليد وانهم انما تخلصوا من تلك الظلمات ببركة الاستدلال والتفكر فى آيات الله تعالى (قوله جعله مصدرا) اى مصدرا مؤكدا لفعله لان كذبا بمعنى تقولا كأنه قيل لن تقول تقولا ولايجوز ان يكون صفة لتقولا المحذوف المؤكد لفعله لان التقول لايكون الا كذبا فلا فائدة فى توصيفه بالكذب وان فيه مخففة من الثقيلة اى ظننا انه والضمير للشان وكذا ضمير انه فى قوله وانه كان رجال اى وان الشان كان رجال من الانس ورجال اسم كان ومن الانس صفة لرجال وكذا من الجن ويعوذون خبر كان ورهقا مفعول ثان لزاد واختلفوا فى فاعله فقيل الانس اى فزاد الانس الجن باستعاذتهم بهم كفرا وعتوا حتى قالوا سدنا الجن والانس وقطعوا بذلك من كفرهم وقيل بل فاعله هو الجن اى فزاد الجن الانس بذلك طغيانا فى الكفر فان الانس اذا عاذوا بهم وامنوا فى منزلهم ظنوا ان ذلك من الجن فازدادوا رغبة فى طاعة الشياطين وقبول وساوسهم والمصنف اشار الى جواز الوجهين وتقديم الوجه الاول قال مقاتل اول من تعوذ بالجن قوم من اهل اليمن ثم قوم من بنى حنيفة ثم فشا ذلك فى العرب فلما جاء الاسلام عاذوا بالله وتركوهم روى

(وانه كان يقول سفيهنا) ابليس او مردة الجن (على الله شططا) قولا ذا شطط وهو البعد ومجاوزة الحد او هو شطط لفرط ما اشط فيه وهو نسبة الصاحبة والولد الى الله تعالى (وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا) اعتذار عن اتباعهم السفيه فى ذلك بظنهم ان احدا لايكذب على الله وكذبا نصب على المصدر لانه نوع من القول او الوصف لمحذوف اى قولا مكذوبا فيه ومن قرأ لن تقول كيعقوب جعله مصدرا لان التقول لايكون الا كذبا وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن) فان الرجل كان اذا امسى بقفر قال اعوذ بسيد هذا الوادى من شر سفهاء قومه (فزادوهم) فزادوا الجن باستعاذتهم بهم

عن رجل انه قال خرجت مع ابى الى المدينة اول ما ذكر مبعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأدانى المبيت الى راعى غنم فلما انتصف الليل جاء ذئب فحمل حملا من الغنم فقال الراعى يا عامر الوادى جارك الله فنادى مناديا سرحان ارسله فاتى الحمل يشتد حتى دخل فى الغنم ولم يصبه كدمة فانزل الله تعالى على رسوله بمكة وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا اى زاد الانس الجن خطيئة والرهق الاثم فى كلام العرب واضيفت الزيادة الى الجن اذ كانوا سببا لها اوزاد الانس الجن كفرا وغيا فان الانس باستعاذتهم بالجن كانوا سببا لزيادة غيهم (قوله والرهق فى الاصل غشيان الشئ) اى اتيانه على وجه استيلاء والاحاطة بالثانى قال تعالى ولا يرهق وجوههم قتر ولاذلة استعمل فيما يأتى من نحو الاثم والشر والكبر والغى نقل عن الامام الواحدى انه قال الرهق غشيان الشئ ومنه قوله تعالى ولا يرهق وجوههم قتر ولاذلة ورجل مرهق اى يغشاه السائلون والمعنى ان رجال الانس انما استعاذوا بالجن خوفا من ان يغشاهم الجن ثم انهم زادوا فى ذلك الغشيان فانهم لما تعوذوا بهم ولم يتعوذوا بالله تعالى استذلوهم واجترأوا عليهم فزادوهم ظلما وعلى هذا القول زادوا من فعل الانس والقول الاول هو اللائق بمساق الآية والموافق لنظمها (قوله والآيتان من كلام الجن بعضهم لبعض اواستئناف كلام من الله) الآية الاولى هى قوله تعالى وانهم ظنوا كما ظننتم فحملها على ان تكون من كلام الجن ما قال مقاتل ان مؤمنى الجن لما رجعوا الى قومهم منذرين كذبوهم فقال مؤمنوا الجن لكفارهم وانهم يعنون كفار الانس ظنوا ظنا مثل ظنكم يامعشر الجن ان الشأن لن يبعث الله احدا بالرسالة بعد عيسى او بعد موسى اولن يبعث الله احدا بعد الموت للحساب والجزاء ثم انهم لما بعث الله اليهم سيد المرسلين محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم بالقرآن المعجز آمنوا به وصدقوه فى جميع ما اخبر به فافعلوا انتم يا معشر الجن مثل ما فعله الانس ومعناها على ان تكون من جملة الوحى اى وان الجن ظنوا كما ظننتم يا كفار قريش ان لن يبعث الله رسولا الى خلقه يقيم به الحجة عليهم او لن يبعث الله الخلق بعد موتهم فالمقصود تأكيد الحجة على قريش بانه اذا آمن هؤلاء الجن بمحمد النبى الامى وبما اخبر به فانتم احق بذلك وكونهما من كلام الجن اظهر واولى لان ما قبلهما وما بعدهما من كلام الجن وادخال كلام اجنبى بين كلامهم غير مناسب واشار بقوله ومن فتح ان فيهما جعلهما من الوحى به الى ان جريان الاحتمالين انما هو على تقدير القراءة بكسر ان فيهما واما على تقدير القراءة بالفتح فالاحتمال الثانى هو المتعين (قوله سادمسد

(رهقا) كبرا وعتوا او فزاد الجن الانس غيا بان اضلوهم حتى استعاذوا بهم والرهق فى الاصل غشيان الشئ (وانهم) وان الانس (ظنوا كما ظننتم) ايها الجن او بالعكس والآيتان من كلام الجن بعضهم لبعض او استئناف كلام من الله ومن فتح ان فيهما جعلهما من الموحى به (ان لن يبعث الله احدا) ساد مسد

مفعولى ظنوا) اعمل الفعل الاول وهو ظنو مع ان ظننتم ايضا يقتضى مفعولين
والمختلوفى مثله عند البصريين اعمال الثانى ولعل الوجه فى اختياره اعمال الاول
ان مافى قوله كما ظننتم مصدوية فكان الفعل بعد ها فى تأويل المصدر والفعل
اقوى من المصدر فى العمل فلا ينازعه المصدر فيه فتعين اعمال الفعل الاول
(قوله طلبنا بلوغ السماء) بان يكون اللمس مستعارا للطلب بتقدير المضاف اى
بلوغ السماء وخبرها شبه الطلب باللمس من حيث ان كل واحد منهما يؤدى
الى غاية مطلوبه فان اللمس يؤدى الى ادراك مايدرك باللمس كما ان الطلب يؤدى
الى ادراك المطلوب فسمى الطلب باسم اللمس ثم اشتق منه لمسنا بمعنى طلبنا فهو
استعارة تبعية   (قوله اسم جمع يعنى ان الحرس بفتحتين اسم مفرد فى معنى الجمع
وهو الحراس فانه جمع حارس وهو الحافظ كما ان الخدم اسم مفرد بمعنى الخدام
جمع خادم ولكونه مفرد اللفظ وصف بشديد وقوله فوجدناها بمعنى اصبناها
وصادفناها فيتعدى الى مفعول واحد وهوها وجملة ملئت حال ولا بد
فى مثلها من كلمة قد ظاهرة اومقدرة وان لم تكن ظاهرة ههنا فهى مقدرة
ويحتمل ان تكون من افعال القلوب المتعدية الى اثنين فيكون جملة ملئت
فى موضع المفعول الثانى اى فعلمناها مملوءة وحرسا تمييز نحو امتلأ الاناء
ماء وشهبا عطف على حرسا وهو فى الاعراب حكمه وهى جمع شهاب وهو
الشئ المضيئ الذى يتولد من نار الكواكب التى هى زينة للسماء يرى كان
كوكبا انقض وترجم به الشياطين لا بانفس الكواكب ومردة الجن
كانوا يقعدون فى مواضع القعود من السماء لاستماع الاخبار من اهل السماء
والقائها الى الكهنة فحرسها الله تعالى حين بعث رسوله صلى الله تعالى عليه
وسلم بان رمى المسترقة منهم بالشهب المحرقة فلذلك قالوا فمن يستمع الآن يجد لها
شهابا رصدا اى كنا قبل هذا الوقت نستمع فالآن منع عنا ولنا الاستماع رمينا
بالشهب   (قوله مقاعد خالية عن الحرس) على ان يكون للسمع صلة لنقعد
وقوله اوصالحة للترصد على ان يكون صفة لمقاعد   (قوله اى شهابا
راصداله) على ان يكون الشهاب بمعنى المضئ المتولد من نار الكواكب ويكون
رصدا مصدرا بمعنى فاعل ومنصوبا على انه صفة شهابا اى شهابا راصداله
ولاجله فان الشهاب لما كان معداله صار كانه راصده مراقب اياه ليهلكه   (قوله
او ذوى شهاب راصدين) على ان يكون رصدا اسم جمع لراصد كالحرس
ويكون شهابا بمعنى ملائكة ذوى شهاب بتقدير المضاف ويكون رصدا
صفة له والمعنى يجد له ملائكة ذوى شهاب راصدين اياه ليرجموه ويمنعوهم من الشهب
فان قيل قوله تعالى فمن يستمع الآن يدل على ان الرجم لم يكن قبل بعثته صلى الله

مفعولى ظنوا (وانا لمسنا السماء) طلبنا بلوغ السماء اوخبرها واللمس مستعار من المس للطلب كالجس يقال لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه واطلبه وتطلبه (فوجدناها ملئت حرسا) حراسا اسم جمع كالخدم (شديدا) قويا وهم الملائكة الذين يمنعونهم عنها (وشهبا) جمع شهاب وهو المضيئ المتولد من النار

تعالى عليه وسلم وقوله تعالى وجعلناها رجوما للشياطين يدل على انه كان قبل ذلك لانه لما ذكر خلق الكواكب فائدتين التزيين ورجم الشياطين وكانت فائدة التزيين حاصلة قبل البعثة وجب ان تكون الفائدة الاخرى حاصلة قبلها ايضا اجيب عنه بان ذكر تلك الفائدتين لايقتضى اقترانهما بحسب الزمان ويجوز ان يكون المعنى وجعلناها بحيث تصلح لان يرجم بها فان الرجم مصدر سمى به مايرجم به ويؤيد هذا المعنى ماروى عن جماعة من المفسرين ان السماء لم تكن تحرس فى الفترة بين عيسى وبين خاتم النبيين عليهما الصلاة والسلام خمسمائة عام فلما بعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منعوا من السماء وحرست بالملائكة والشهب قال ابى بن كعب كان ذلك موجودا قبل عيسى عليه الصلاة والسلام وبعده الى ان رفع الى السماء ولم يرم بنجم بعدما رفع حتى بعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلما بعث رمى بها فرأت قريش امرا مارأوه قبل ذلك فجعلوا يسيبون انعامهم ويعتقون رقابهم يظنون انه فناء العالم فبلغ ذلك بعض اولى رأيهم فقال لم فعلتم ما ارى قالوا رمى بالنجوم فرأيناها تتهافت من السماء فقال اصبروا فان تكن نجوما معروفة فهو وقت فناء العالم وان كانت نجوما لاتعرف فهو امر حدث فنظروا فاذا هى نجوم لاتعرف فاخبروه فقال فى الامر مهلة وهذا يكون عند ظهور نبى فامكثوا الايسيرا حتى ظهر وانتشر بعثة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والاقرب الى الصواب ان هذه الشهب كانت موجودة قبل البعثة الا انها زيدت بعد البعثة زيادة ظاهرة ومنعت الجن عن استراق خبر السماء رأسا لئلا تلتبس على الناس احوال الرسول المستندة الى الوحى باقوال الكهنة المأخوذة من الشياطين مما استرقوا من اقوال اهل السماء وهذا القول يؤيده نظم القرآن وهو قوله فوجدناها ملئت حرسا فانه يدل على ان الحادث الآن هو الملئ والكثرة وقوله تعالى نقعد منها مقاعد اى كنا نجد فيها بعض المقاعد خالية عن الحرس والشهب والآن ملئت المقاعد كلها عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال ماقرأ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على الجن ومارآهم ولكنه عليه الصلاة السلام انطلق فى طائفة من اصحابه عامدين الى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء فرجعت الشياطين الى قومهم فقالوا مالكم قالوا حيل بيننا وبين خبر السماء وارسل علينا الشهب قالوا ما ذاك الامن شئ حدث فاضربوا فى مشارق الارض ومغاربها فمر النفر الذين اخذوا نحو تهامة بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو بنخل يصلى باصحابه صلاة الصبح فلما سمعوا القرآن استمعوا له وقالوا هذا الذى حال بيننا وبين خبر السماء فرجعوا الى قومهم وقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا الآية فأوحى الله تعالى الى نبيه عليه الصلاة والسلام قل اوحى

(وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع) مقاعد خالية عن الحرس والشهب او صالحة للترصد والاستماع وللسمع صلة لنقعد او صفة لمقاعد (فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا) اى شهابا راصدا له ولاجله يمنعه عن الاستماع بالرجم اوذوى شهاب راصدين على انه اسم جمع للراصد وقد مر بيان ذلك فى الصافات

(وانا لاندرى اشر اريد بمن فى الارض) بحراسة السماء (ام اراد بهم ربهم رشدا) خيرا (وانا منا الصالحون) المؤمنون الابرار (ومنا دون ذلك) اى قوم دون ذلك فحذف الموصوف وهم المقتصدون (كنا طرائق) ذوى طرائق اى مذاهب اومثل طرائق فى اختلاف الاحوال اوكانت طرائقنا طرائق (قددا) متفرقة مختلفة جمع قدة من قد اذا قطع (وانا ظننا) علمنا (ان لن نعجز الله فى الارض) كائنين فى الارض اينما كنا فيها (ولن نعجزه هربا) هاربين منها الى السماء او لن نعجزه فى الارض ان اراد بنا امرا ولن نعجزه هربا ان طلبنا (وانا لما سمعنا الهدى) اى القرءان

الى انه استمع نفر من الجن رواه الشيخان فى صحيحيهما (قوله تعالى أشر) يجوز ان يكون مبتدأ واريد بمن فى الارض خبره وان يكون فاعل فعل محذوف يدل عليه ما بعده اى اريد شر وهذا احسن لتقدم طلب الفعل وهو اداة الاستفهام (قوله المؤمنون الابرار) فسر الصالحين بهم اى بالابرار الكاملين فى الصلاح لانه جعل دون ذلك مرفوع المحل على انه صفة مبتدأ محذوف اى ومنا قوم دون ذلك فى الصلاح وهم المقتصدون وما يكون ارفع من المقتصدين الابرار ويجوز ان لا يكون ظرفا بل يكون بمعنى غير ويكون مرفوع المحل على الابتداء وبنى على الفتح لاضافته الى غير متمكن اى ومنا غير الصالحين وهذا قول الجن اى قال بعضهم لبعض لما دعوا اصحابهم الى الايمان بسيد المرسلين انا كنا قبل استماع القرءآن دون الصالحين اى مؤمنين دون الطبقة الاولى فى اعمال الخير اذالمؤمنون بالانبياء المتقدمين متقدمون فى اعمال الخير وماحدثنا بايماننا بمحمد عليه الصلاة والسلام مالم يكن فى جنسنا ويدل عليه انه كان فى زمن موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام منهم المؤمنون حتى قالوا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى فهذ ترغيب منهم فى الايمان لمن رجعوا اليهم منذرين (قوله ذوى طرآئق) لما لم يمكن حمل الكلام على حقيقته لامتناع كون انفس الذوات طرآئق ومذاهب اوله بثلاثة اوجه الاول تقدير ما اضيف الى طرائق والثانى حمل الكلام على التشبيه البليغ والثالث تقدير ما اضيف الى اسم كان وتقدير موصوف قددا اى كانت طرائقنا طرائق قددا وقيل تقدير الكلام كنا فى طرائق مختلفه كقوله ❊ كما عسل الطريق الثعلب ❊ فحذف الجار واوصل الفعل قال سعيد بن المسيب معنى الآية كنا مسلمين ويهودا ونصارى ومجوسا وقال الحسن الجن امثالكم فهم قدرية ومرجئة ورافضة وشيعة (قوله علمنا) يعنى ان الظن هنا بمعنى اليقين لان الاعتقاد بان العبد لايفوت الله تعالى ولن يسبقه سواء كان مستقرا فى الارض اوهاربا منها الى السماء من العقائد الدينية التى يجب الايمان بها والايمان لايحصل بالظن فلذلك فسره باليقين وقوله فى الارض وهربا حالان من فاعل نعجز اى لن نعجزه كائنين فى الارض اينما كنا فيها وهاربين منها الى السماء ولن نعجزه عن امضاء ما اراد بنا سواء كنا ساكنين مستقرين فى الارض اوهاربين فيها من موضع الى آخر ومحصول المعنى على الوجه الثانى ان الفرار وعدمه سيان فى ان شيأ منهما لايفيد فواتنا عن نفاذ ارادته فينا وفائدة ذكر الارض حينئذ الاشارة الى ان الارض مع سعتها وانبساطها ليست منجى منه تعالى ولا مهربا ويحتمل ان تكون اللام على الوجه الثانى للعهد اى لن نعجزه سواء ثبتنا فى ارضنا التى

(نسكن)

والاختصاص به (بخسا ولا رهقا) نقصا في الجزاء ولا ان ترهقه ذلة او جزاء بخس ولا رهق لانه لم يبخس حقا ولم يرهق ظلما لان من حق الايمان بالقرآن ان يجتنب ذلك (وانا منا المسلمون ومنا القاسطون) الجائرون عن طريق الحق وهو الايمان والطاعة (فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا) توخوا رشدا عظيما يبلغهم الى دار الثواب (واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا) توقد بهم كما توقد بكفار الانس (وان لو استقاموا) اي ان الشان لو استقام الجن او الانس او كلاهما (على الطريقة) المثلى (لاسقيناهم ماء غدقا) لوسعنا عليهم الرزق وتخصيص الماء الغدق وهو الكثير بالذكر لانه اصل المعاش والسعة ولعزة وجوده بين العرب (لنفتنهم فيه) لنختبرهم كيف يشكرونه وقيل معناه ان لو استقام الجن على طريقتهم القديمة ولم يسلموا باستماع القرآن لو سعنا عليه الرزق مستدرجين لهم لنوقعهم

نسكن فيهما لم نهرب منها الى موضع آخر واللام على الاول لاستغراق اجزاء الارض والمهروب اليه العالم العلوي المباين للارض (قوله فهو لا يخاف) قدر المبتدأ وجعل قوله لا يخاف خبرا عنه وجعل الجملة الاسمية المصدرة بالفاء جزاء الشرط والجزاء اذا كان جملة اسمية يجب دخول الفاء عليها لان حرف الشرط لما لم يؤثر في الجزاء من حيث الاعراب لكون الجملة لا يظهر فيها الاعراب وجب دخول الفاء لتدل على انها جزاء الشرط (قوله وقرئ فلا يخف على ان لا ناهية وصحبت الفاء الدالة على الجزائية لما تقرر ان الجزاء اذا كان جملة طلبية كالامر والنهي يجب مقارنتها لعلامة الجزاء ولا يجوز كونها نافية والا لاستغنى عن الفاء بجزم الجزاء ودلالته على الجزائية (قوله والاول ادل على تحقيق نجاة المؤمن واختصاصه به) جواب عن قول صاحب الكشاف فان قلت اي فائدة في رفع الفعل وتقدير مبتدأ قبله حتى يقع خبرا له ووجوب ادخال الفاء وكان ذلك كله مستغنى عنه بان يقال لا يخف كما في قوله تعالى ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم وتقرير الجواب نعم انه كذلك الا انه التزم ذلك لانه يفيد تقوى الحكم وتقريره في ذهن السامع بسبب تكرار الاسناد الحاصل بسبب تقديم المسند اليه وتخصيص الخبر الفعلي بالمسند اليه المتقدم بحيث لا يشاركه فيه غيره وليس المراد بقوله واختصاصه به ان تقدير المبتدأ يفيد مجموع التقوي والتخصيص لان اجتماعهما في مثل هو هو عرف وانت انت عرفت خلاف ما ذهب اليه الشيخ عبد القاهر والسكاكي وانما يفيد التخصيص اذا اعتبر ان المقدم كان مؤخرا على انه فاعل معنى ثم قدم ليفيد التخصيص وانما لم يعتبر ذلك بل اعتبر كونه مبتدأ محضا فلا يفيد الا التقوى (قوله او جزاء بخس) بتقدير المضاف اي لا يخاف جزاء بخس ولا جزاء رهق على ان البخس والرهق من افعال المكلف لا من افعال الباري تعالى كما في الاول (قوله وانا منا المسلمون الآية) من كلام الجن لاصحابهم تحريضا لهم على الاسلام ببيان احوال الفريقين اي منا بعد استماع القرآن من اسلم ومنا من كفر والقاسط الجائر لانه عادل عن الحق والمقسط العادل لانه عادل عن الجور يقال قسط اذا جار واقسط اذا عدل روي ان الحجاج قال لسعيد بن جبير ما تقول في قال انك قاسط عادل فقال الحاضرون ما احسن ما قال حسبوا انه يصفه بالقسط والعدل فقال الحجاج يا جهلة حملني جائرا كافرا وتلا قوله تعالى واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا ثم الذين كفروا بربهم يعدلون وههنا تم اقوال الجن وقوله تعالى وان لو استقاموا على الطريقة من جملة الموحى به اي اوحي الي ان الشأن استمع نفر من الجن وان الشأن لو استقاموا على طريقة

في الفتنة ونعذبهم في كفرانه (ومن يعرض عن ذكر ربه) عن عبادته او موعظته او وحيه

الاسلام لوسعنا عليهم في الدنيا و بسطنا لهم في الرزق وكلفناهم بالشكر فيه لنعلم كيف يشكرون والغدق بفتح الدال مصدر غدق الماء يغدق بكسر الغين في الماضي وفتحها في المضارع اذا غزر وصف به الماء للمبالغة في غزارته كرجل عدل (قوله تعالى يسلكه عذابا) اصله يسلكه في عذاب لقوله تعالى ما سلككم في سقر وقولهم سلكت الخيط في الابرة فحذف الجار واوصل الفعل كما في قوله تعالى واختار موسى قومه والصعد مصدر صعد يصعد صعدا وصعودا وصف به العذاب لانه يصعد المعذب اي يعلوه و يغلبه فلا يطيقه فقوله عذابا صعدا بمعنى ذا صعد ومشقة او عذابا صاعدا شاقا قدمر ان القراء السبعة اتفقوا على فتح ان في قوله تعالى وان المساجد لله على انه من جملة الموحى به والفاء في قوله فلا تدعوا سببية اي اذا كان الامر كذلك فلا تعبدوا فيها غيره وذهب الخليل الى ان تقدير الآية ولان المساجد لله فلا تدعوا على ان اللام متعلقة بلا تدعوا اي فلا تدعوا مع الله احدا في المساجد لانها لله خاصة ولعادته فالمصنف اشار الى ضعفه بانه حينئذ يلزم الغاء فائدة الفاء السببية لان معنى السببية يستفاد حينئذ من لام التعليل عن قتادة قال كانت اليهود والنصارى اذا دخلوا كنائسهم و بيعهم اشركوا فامر الله تعالى ان يخلص المسلمون له الدعوة اذا دخلوا مساجدهم (قوله لانه قبلة المساجد) تعليل لاطلاق لفظ المساجد وهو جمع على المسجد الحرام والمساجد في قوله قبلة المساجد جمع مسجد بفتح الجيم وهو مصدر ميمي بمعنى السجود او اسم مكان بمعنى موضع السجود يعني ان المسجد الحرام وان كان مكانا معينا الا انه له تعددا اعتباريا من حيث ان كل جزء منه قبلة لسجدة الساجدين يتوجه كل ساجد في سجدته الى جزء من اجزائه فكان المسجد الحرام مساجد باعتبار كون اجزائه جهاتا للسجود (قوله ومواضع السجود) على ان المراد النهي عن السجود لغير الله تعالى مرفوع بالعطف على قوله المسجد الحرام وكذا قوله وآرابه السبعة وقوله والسجدات ووجد في بعض النسخ بدل هذا النظم بعد قوله لانه قبلة المساجد هكذا وفسرت بمواضع السجود على ان المراد النهي عن السجود لغير الله تعالى و بآرابه السبعة و بالسجدات وقوله على انه جمع مسجد اي بفتح الجيم متعلق بالتفاسير الاربعة المذكورة بقوله وقيل المسجد الحرام الى آخره فان المسجد بالفتح يصح ان يكون مصدرا بمعنى السجود واسما لمكان السجود اي ما يسجد عليه من الآراب السبعة فانها مواضع السجود من الجسد قال عطاء مساجد اعضاؤك التي امرت بالسجود عليها لا تذللها لغير خالقها قال عليه الصلاة والسلام امرت ان اسجد على سبعة آراب وهي الوجه واليدان والركبتان والقدمان والآراب الاعضاء جمع ارب

(يسلكه) يدخله (عذا صعدا) شاقا يعلو المعذب و يغلبه مصدر وصف به (وان المساجد لله تعالى) مختصة به (فلا تدعوا مع الله احدا) فلا تعبدوا فيها غيره ومن جعل ان مقدرة باللام علة للنهي الغى فائدة الفاء وقيل المراد بالمساجد الارض كلها لانها جعلت للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم مسجدا وقيل المسجد الحرام لانه قبلة المساجد ومواضع السجود على ان المراد النهي عن السجود لغير الله وآرابه السبعة والسجدات على انه جمع مسجد (وانه لما قام عبد الله) اي النبي

وهو العضو واصله ءارايب بهمزتين كجمل واجال والمساجد على تقدير كونه جمع مسجد بمعنى السجود جمع مع ان الاصل فى المصدر ان لايثنى ولايجمع لقصد الانواع فان انواع السجود مختلفة باختلاف اوقات الصلوات الخمس وتلاوة آيات السجود (قوله وانما ذكر لفظ العبد) يعنى ان الظاهر ان يقال وان الشأن لما قت ادعوه اى اعبده كادوا يكونون على لبدا الان هذا الكلام من جملة الموحى به الا انه عدل عن الضمير الى الاسم الظاهر لفائدتين التواضع والاشعار بما هو سبب قيامه وعبادته لله تعالى وهو كونه عبدالله (قوله اوكاد الجن والانس) عطف على قوله كاد الجن الاول على ان يقرأ وانه بفتح الهمزة و يكون الكلام من جملة الموحى به والثانى على ان يقرأ بكسر الهمزة وهى قراءة نافع وابى بكر على انه ابتداء كلام من الله تعالى اوعلى انه من قول الجن لقومهم بان قالوا حين رجعوا اليهم لما قام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يصلى كاد كفار الانس والجن يتلبدون و يتظاهرون عليه ليبطلوا الحق الذى جاء به و يطفؤا نور الله فابى الله الا ان ينصره و يظهره على من عاداه يريدون بهذا القول تقبيح حال الكفرة والطعن عليهم فى اجتماعهم على الناصح الامين وطلب منعه عن اظهار ماجاء به من الحق المبين مع كونه موافقا لقانون العقل ومقتضى الحكمة ومؤيدا بالشواهد والمعجزات الباهرة واصل المقصود ترغيب قومهم فى قبوله والانقياد له (قوله وهو جمع لبدة) يعنى ان الجمهور قرأوا لبدا بكسر اللام وفتح الباء المخففة وهو جمع لبدة كقربة وقرب واللبدة الشئ المتلبد اى المتراكب المتلاصق بعضه فوق بعض والمعنى كادوا يكونون عليه جماعة متراكبة مزدحمة وقرئ لبدا بضم اللام وفتح الباء مشددة وهو جمع لابد كسجدا فى جمع ساجد وقرئ لبدا بضم اللام والباء خفيفة وهو جمع لبود كصبر فى جمع صبور (قوله يوجب تعجبكم اواطباقكم على مقتى) لف ونشر مرتب فاذا كان معنى الاية المتقدمة واوحى الى لما قت اعبد الله كاد الجن تلبد على و تعجب مما رأوا من عبادتى لله تعالى وحده متبرئا من الشرك والاوثان كما هو دأبهم لانهم رأوا مالم يروا مثله وسمعوا مالم يسمعوا نظيره فلاجرم ازدحموا عليه متعجبين يكون معنى قوله قال انما ادعوا ربى انه عليه الصلاة والسلام قال للجن عند ازدحامهم عليه متعجبين مما رأوا وسمعوا ليس ما ترون من عبادتى لله تعالى ورفضى الاشراك به بدعا يتعجب منه وانما يتعجب ممن يدعو غيرالله و يجعل له شريكا وان كانت الآية المتقدمة ابتداء كلام من الله تعالى اومن قول الجن وكان معناها كاد الانس والجن يزدحمون عليه و يتظاهرون لابطال امره يكون معنى الثانية انه عليه الصلاة والسلام قال للمتظاهرين عليه انما

وانما ذكر لفظ العبد للتواضع فانه واقع موقع كلامه عن نفسه والاشعار بما هو المقتضى لقيامه (يدعوه) يعبده (كادوا) كاد الجن (يكونون عليه لبدا) متراكمين من ازدحامهم عليه تعجبا مما رأوا من عبادته وسمعوا من قراءته اوكاد الجن والانس يكونون عليه مجتمعين لابطال امره وهو جمع لبدة وهى ما تلبد بعضه على بعض كلبدة الاسد وعن ابن عامر لبدا بضم اللام جمع لبدة وهى لغة وقرئ لبدا كسجدا جمع لابد ولبدا بضمتين كصبر جمع لبود (قال انما ادعو ربى ولا اشرك به احدا) فليس ذلك ببدع ولامنكر يوجب تعجبكم اواطباقكم على مقتى وقرأ عاصم وحمزة قل على الامر للنبى عليه الصلاة والسلام ليوافق مابعده

ادعوا ربي اي ما اتيتكم بامر منكر انما اعبد ربي وحده ولااشرك به احداوليس ذلك مما يوجب اطباقكم على مقتي وعداوتي وقيل سبب نزول هذه الآية ان كفار قريش قالوا للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم انك جئت بامر عظيم وقد عاديت الناس كلهم فارجع عن هذا ونحن نجيرك فانزل الله تعالى قل انما ادعو ربي على قرآءة حمزة وعاصم ومن قرأ قال حمل ذلك على ان القوم لما قالوا للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك اجابهم بقوله ادعو ربي فحكى الله تعالى عنه بقوله قال (قوله ولانفعا) اي يجوز ان يفسر الرشد بالنفع على طريق اطلاق اسم السبب وارادة المسبب ويجوز ان يكون الرشد بمعناه ويكون الضر بمعنى الكفر والغى على طريق اطلاق اسم المسبب وارادة السبب فان الرشد سبب النفع والضر مسبب عن الغى وعبر به حتى يكون في تقرير الكلام اشعار بالمعنيين الاول لااملك لكم ضرا ولا نفعا والثاني لااملك لكم غيا ولا رشدا وكلا المعنيين مناسب للمقام فان النافع والضار والمرشد والمغوى هو الله تعالى وان احدا من الخلق لاقدرة له عليه فاني وان اردت منكم الاهتداء والرشد بالايمان والطاعة ونهيتكم عن الغى بالكفر والعصيان فانكم قابلتموني بالمخالفة والتظاهر على عداوتي وبغضي فليس في يدي ادخالكم في الرشد ولا ابقاؤكم في الكفر والغى وليس في يدي ايضا اضراركم بالعقوبة على الكفر والغى ولا نفعكم بالاثابة على الرشد والايمان (قوله مصرفا وملجأ) يقال الحدفي في دين الله والتحد فيه اى مال عنه وعدل ويقال للملجأ ملتحد لان اللاجى يميل اليه اى لن ينقذني مما قدر الله تعالى على من السوء احد ان استحفظته ولن اجد من دونه ملتحدا لااعدل اليه الا هو (قوله فان التبليغ ارشاد وانفاع) يعني انه استثناء متصل من قوله لااملك لكم ضرا ولارشدا بناء على ان تبليغ الرسالة من جنس الرشد وفائدة الاعتراض تأكيد نفي الاستطاعة المدلول عليه بقوله لااملك (قوله اومن ملتحدا) اي لن اجد موضعا اميل اليه في الالتجاء الا بلاغا اى لاينجيني ولايجيرني الا ان ابلغ عن الله ما ارسلت به (قوله اومعناه ان لاابلغ بلاغا) على ان لايكون الكلام استثناء بل شرطا والاصل ان لاافادغم فان شرطية فعلها محذوف وهو ابلغ حذف لدلالة مصدره عليه ولا نافيه والمعنى ان لاابلغ بلاغا من الله فلن يجيرني منه احد وهذا الوجه ضعيف لان حذف فعل الشرط وابقاء اداته قليل جدا وقد انضم اليه في الآية حذف الجزائية لان نفس الجزاء لايتقدم على الاداة عند البصريين (قوله عطف على بلاغا) كانه قيل لااملك الا التبليغ والرسالة ومن الله صفة بلاغا اى بلاغا كائنا من الله تعالى وليست كلمة من متعلقة بقوله بلاغا لان صلة التبليغ في المشهور انما هي كلمة عن دون من

(قل انى لا املك لكم ضرا ولارشدا) ولانفعا اوغيا ولارشدا عبر عن احدهما باسمه وعن الآخر باسم سببه اومسببه اشعارا بالمعنيين (قل انى لن يجيرني من الله احد) ان ارادني بسوء (ولن اجد من دونه ملتحدا) منحرفا وملجأ (الابلاغا من الله) استثناء من قوله لااملك فان التبليغ ارشاد وانفاع وما بينهما اعتراض مؤكد لنفي الاستطاعة اومن ملتحدا اومعناه ان لاابلغ بلاغا وماقبله دليل الجواب (ورسالاته) عطف على بلاغا ومن الله صفته فان صلته عن كقوله بلغوا عني ولو آية

(قوله)

(ومن يعص الله ورسوله) في الامر بالتوحيد اذ الكلام فيه (فان له نار جهنم) وقرئ فان على فجزاؤه ان (خالدين فيها ابدا) جمعه للمعنى (حتى اذا رأوا ما يوعدون) في الدنيا كوقعة بدر او في الاخرة والغاية لقوله يكونون عليه لبدا بالمعنى الثاني او لمحذوف دل عليه الحال من استضعاف الكفار له وعصيانهم له (فسيعلمون من اضعف ناصرا واقل عددا) هو امهم

(قوله في الامر بالتوحيد) اشارة الى الجواب عن استدلال المعتزلة بهذه الاية على ان عصاة المؤمنين مخلدون في النار ووجه الاستدلال ان العصيان المذكور فيها عام يتناول كل ما يصدق عليه انه عصيان ومخالفة للامر سواء كان عصيان الكفر او عصيان الفسق وقد حكم على العاصي بهذا المعنى العام بانه مخلد في النار ابدا فثبت مدعى جمهور المعتزلة وتقرير الجواب عن استدلالهم ان العصيان وان كان يتناول كل ما يصدق عليه انه عصيان الا انه قد تقرر ان العام يجوز تخصيصه بامور منها تخصيصه بالقرائن المتعاقبة والعصيان المذكور في الاية من هذا القبيل فان المقصود من امره عليه الصلاة والسلام بان يقول لمشركي قريش ايها المصرون على الشرك قد اوحي الى ان الشأن استمع هذا القرآن نفر من الجن فآمنوا به وبوحدانيته تعالى وتنزهه عن الشرك بنحو الصاحبة والولد ثم دعوا قومهم الى ان يؤمنوا به هو توبيخ مشركي مكة باصرارهم على الشرك كانه قيل مالكم تصرون على الشرك والعناد مع طول ما دعوتكم الى التوحيد وتلوت عليكم من القرآن ما يدل على بطلان الشرك والجن قد آمنوا بالقرآن وتبرأوا من الشرك اول استماعهم اياه ثم ولوا الى قومهم منذرين عن الشرك وسوء عاقبته فظهر ان المقصود المهم في هذه السورة الدعوة الى التوحيد والامر به والنهي عن الشرك والاصرار عليه فهذا قرينة واضحة على ان المراد بالعصيان المذكور فيها العصيان في الامر بالتوحيد فكانه قيل ومن يعص الله ورسوله فيما امر به من التوحيد واصر على الشرك والضلال فانه مخلد في النار ابدا فليس في الآية دليل على ما ادعاه جمهور المعتزلة من خلود عصاة المؤمنين (قوله والغاية لقوله يكونون عليه لبدا بالمعنى الثاني) اي المشار اليه بقوله او كاد الجن والانس يكونون عليه مجتمعين لابطال امره والمعنى كاد المشركون من الجن والانس يتظاهرون عليه بالعداوة ويستضعفون انصاره ويستقلون عددهم حتى اذا رأوا ما يوعدون في الدنيا من وقعة بدر واظهار دين الله تعالى عليهم او من يوم القيامة فسيعلمون حينئذ من اضعف ناصرا واقل عددا وان فسر قوله يكونون عليه لبدا بالمعنى الاول وقيل اي يزدحمون عليه تعجبا مما رأوا وسمعوا تعين كون ما بعد حتى غاية لمحذوف دلت عليه الحال من استضعاف الكفار له واستقلالهم بعددهم والمعنى لا يزالون على هذه الحال حتى اذا رأوا ما يوعدون يتبين حينئذ ان المستضعف من هو ومن في قوله تعالى من اضعف يجوز ان تكون موصولة في موضع النصب بقوله فستعلمون ويكون اضعف خبر مبتدأ محذوف اي فستعلمون الذي هو اضعف وان تكون استفهامية مرفوعة المحل على الابتداء واضعف خبرها والجملة في موضع النصب سادة مسد

مفعو لى العلم لا لها معلقة للعلم قبلهما وناصرا وعددا منصو بان على التميز
قال مقاتل لما سمعوا قوله تعالى حتى اذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من اضعف
ناصرا واقل عددا قال النضر بن الحارث متى يكون هذا الذي توعدنا به
فانزل الله تعالى قل ان ادرى أقريب ماتوعدون الآية والمعنى ان وقوعه
متعين متيقن به واما وقت وقوعه فغير معلوم لنا (قوله تعالى أقريب) خبر
مقدم وماتوعدون مبتدأ و يجوز ان يكون أقريب مبتدأ وان لم يكن مسندا
اليه لوقوعه بعد الف الاستفهام وماتوعدون فاعل له سد مسد الخبر وما
موصولة والعائد محذوف اى أقريب الذى توعدونه نحو أقائم الزيدان فان
قيل أليس قال عليه الصلاة والسلام بعثت انا والساعة كهاتين فكان عالما
بقرب وقوع القيامة فكيف قال ههنا لاادرى أقريب هو ام بعيد والجواب
ان المراد بقرب وقوعه هو ان مابقى من الدنيا اقل مما انقضى فهذا القدر من
القرب معلوم واما قربه بمعنى كونه بحيث يتوقع وقوعه فى اى ساعة فغير
معلوم (قوله على الغيب المخصوص به علمه) اخذه من اضافة الغيب الى
ذاته المقدس فان الاضافة تفيد اختصاص المضاف اليه بين اولا انه تعالى عالم
بجميع ماغاب عن حس الخلق بناء على ان اللام فى الغيب للاستغراق ثم بين انه
لايطلع على الغيب الذى يختص به علمه الا المرتضى الذى يكون رسولا
للاشارة الى ان مالايختص به علمه تعالى يطلع عليه غير الرسول اما بواسطة
الانبياء عليهم الصلاة والسلام او بنصب الدلائل وترتيب المقدمات او بان
يلهم الله تعالى بعض الاولياء وقوع بعض المغيبات فى المستقبل بواسطة
الملك والحمل على هذا المعنى متعين للقطع بان ليس مراد الله تعالى بهذه الآية
انه تعالى لايطلع احدا على شئ من المغيبات الا الرسل لظهور انه تعالى قد يطلع
على شئ من الغيب غير الرسل كما اشتهر ان كهنة فرعون اخبروا بظهور
موسى عليه الصلاة والسلام وبزوال ملك فرعون على يده وان بعض
الكهنة اخبر بظهور نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم قبل ظهور زمانه ونحو
ذلك من المغيبات وكانوا صادقين وارباب الملل والاديان مطبقون على علم
التعبير والمعبر قد يخبر عن وقوع الوقائع الآتية فى المستقبل ويكون
صادقا به (قوله ويستدل به على ابطال الكرامات) وجه الاستدلال
انه تعالى خص الرسل من بين الخلائق بالاطلاع على الغيب واصحاب
الكرامات من الاولياء ليسوا برسل فلا يطلعون على الغيب فلا كرامة لهم
بالاطلاع على ماسيقع فى المستقبل من المغيبات وتقرير الجواب ان المراد
بالرسول الملك وبالاظهار مايكون بغير واسطة فاللازم من الاستثناء ان

(قل ان ادرى) ماادرى (اقريب ماتوعدون ام يجعل له ربى أمدا) غاية تطول مدتها كأنه لما سمع المشركون حتى اذا رأوا مايوعدون قالوا متى يكون انكارا فقيل قل انه كائن لا محالة ولكن لاادرى وقته (عالم الغيب) هو عالم الغيب (فلا يظهر) فلا يطلع (على غيبه أحدا) اى على الغيب المخصوص به علمه (الا من ارتضى) بعلم بعضه حتى يكون له معجزة (من رسول) بيان لمن ويستدل به على ابطال الكرامات وجوابه تخصيص الرسول بالملك والاظهار بمايكون بغير واسطة وكرامات الاولياء على المغيبات انما تكون تلقيا من الملائكة كاطلاعنا على احوال الآخرة بتوسط الانبياء (فانه يسلك من بين يديه) من بين يدى المرتضى (ومن خلفه رصدا) حرسا من الملائكة يحرسونه من اختطاف الشياطين وتخليطهم

بخص الاظهار بغير واسطة بالملك وذلك لاينافي اطلاع الاولياء على بعض من الغيوب تلقيا من الملائكة الهساما تهم الصادقة وفيه بحث لان تخصيص الرسول بالملك يستلزم ان يكون اطلاع كل واحد من الاولياء والرسل على الغيب بواسطة الملك فلا يكون اخبار الانبياء عن المغيبات معجزة لهم وقد اشتهر بين العلماء انه تعالى يطلع رسله على مايشاء من الغيب ليستدل على نبوتهم بالآية المعجزة وهي الاخبار عن الغيب على ما هو به والاظهر في الجواب ان يقال الرسول من البشر يتلقى من الملك بالذات والولي لايتلقى بالذات بل بواسطة تصديقه بالنبي فلا حاجة الى تخصيص الرسول بالملك لان معنى الآية لايطلع على الغيب المخصوص به علمه الا الرسول من البشر فانه تعالى يطلعه عليه بواسطة ان يتلقاه من الملك وبالذات ولايطلع الولي عليه بان يتلقاه من الملك بالذات وذلك لاينافي ان يتلقاه من الملك بواسطة تصديقه بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم مع انه يجوز ان يتلقى النبي الغيب من غير واسطة الملك كما صرح به المصنف في قوله تعالى آخر حمعسق وماكان لبشر ان يكلمه الله الاوحيا حيث قال ان المراد بالوحي مايعم المشافهة به كما روى في حديث المعراج والاسراء فانه يدل على انه تعالى قد اظهر النبي على بعض المغيبات بلا واسطة فكيف يجوز تخصيص الرسول بالملك وقوله على الغيب المخصوص به علمه قسم ما نصب عليه دليل كالصانع وصفاته واليوم الآخر واحواله وهو المراد بقوله يؤمنون بالغيب ثم انه تعالى ذكر انه يحفظ ذلك الذي يطلع عليه الرسول وهو جبريل عليه الصلاة والسلام فقال فانه يسلك اي يدخل من بين يديه اي يدي الرسول ومن خلفه رصدا اي حرسا من الملائكة يحفظون الوحي من ان يسترقه الشيطان فيلقيه الى الكهنة فيخبرون به قبل اخبار الرسول (قوله اي ليعلم النبي الموحى اليه) فقوله ليعلم متعلق بمحذوف دل عليه الكلام كانه قيل اخبرنا بحفظ الوحي عن اختطاف الشياطين ليعلم رسول البشر ان رسل الملائكة ابلغوا رسالات ربهم كما هي (قوله او ليعلم الله) اي ليعلم ان الانبياء قد ابلغوا رسالات ربهم كما هي اي يعلم تبليغهم الرسالات كما هي موجودة واصل المعنى ليبلغ الانبياء رسالات ربهم كما هي محروسة عن الزيادة والنقصان وعبر عن هذا المعنى بعلمه تعالى تبليغهم اياها كما هي لكونه ابلغ في الدلالة على تحقق التبليغ على الوجه المذكور كناية عن وجوده لكونه لازماله ومتفرعا عليه وقد تقرر ان ذكر الشئ كناية ابلغ من التصريح به وقوله ليتعلق علمه به موجودا مبني على ان نفس علم الله تعالى ليس مما

ليعلم أن قد أبلغوا) اي ليعلم النبي الموحى اليه ان قد ابلغ جبرائيل والملائكة النازلون بالوحي او ليعلم الله تعالى ان قد ابلغ الانبياء بمعنى ليتعلق علمه به موجودا (رسالات ربهم) كما هي محروسة من التغيير (واحاط بما لديهم) بما عند الرسل (واحصى كل شئ عددا) حتى القطر والرمل * عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الجن كان له بعدد كل جني صدق محمدا او كذب به عتق رقبة

يتفرع على وجود شيء من الحوادث بل المتفرع عليه هو تعلقه بالاحوال الحادثة على حسب ما هي عليه والتبدل والتغير انما هو في المعلوم لا في العلم فانه تعالى يعلم جميع الجزئيات على وجه جزئي فعند وجودها يعلم انها وجدت وعند عدمها يعلم انها عدمت وقبل ذلك يعلم انها ستوجد وتعدم ولما كان المراد من العلم بالتبليغ العلم الذى يتعلق به الجزآء وذلك هو العلم بكونه موجودا قيد التبليغ بقوله موجودا فقال ليعلق علمه به موجودا والعلم انما يتعلق بالتبليغ موجودا حال وجود التبليغ واما قبل وجوده فانما يعلم بانه سيوجد لا بانه موجود فان ذلك لا يكون علما بل هو جهل والعلم بانه سيقع لا يتعلق به الجزآء ❁ تمت سورة الجن والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين

(سورة المزمل مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قوله و بالمزمل) اى بتخفيف الزاى وفتح الميم على لفظ اسم المفعول وهو الذى زمله غيره و بكسر الميم وتخفيف الزاى ايضا اى المزمل نفسه فحذف المفعول من زمله فى ثوبه اى لفه فيه وتزمل فى ثيابه اى تدثر وتلفف فيها وازدمله اى احتمله والزمل الحمل (قوله لانه كان نائما اومرتعدا) قيل كان عليه الصلاة والسلام نائما بالليل متزملا فى قطيفة فنبه ونودى بما يهجن اليه تلك الحالة التى كان عليها من التزمل للنوم كما يفعل من لا يهمه امر ولا يعنيه شأن وقيل يا أيها النائم المتزمل بثوبه قم واشتغل بالعبودية امره عليه الصلاة والسلام ان يختار التهجد على التزمل ويؤيد هذا المعنى امره عليه الصلاة والسلام بالقيام الى الصلاة بعده وهو قوله تعالى قم الليل اى قم للصلاة وقيل كان فى اول ما اوحى اليه كلما سمع صوت الملك ونظر اليه اخذته الرعدة والحمى فأتى اهله وقال زملونى دثرونى فبينما هو كذلك اذ جاء جبريل عليه الصلاة والسلام وناداه وقال يأيها المزمل تهجينا لما كان عليه وقيل ليس تهجين حاله بل كان تهويها عليه وتحسينا لحاله اذ روى انه عليه الصلاة والسلام كان متزملا فى مرط لعائشة رضى الله تعالى عنها وهو يصلى قيل عليه ان هذه السورة مكية وهذه الرواية تدل على انها مدنية لانه عليه الصلاة والسلام لم يبن بها الا بالمدينة واجيب بانه يجوز ان يكون عليه الصلاة والسلام قد بات فى بيت ابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ذات ليلة وكان بعض المرط على عائشة وهى طفلة والباقى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وليس فى هذه الرواية ما يدل على ان هذه الواقعة كانت بعد البناء بها وروى

(سورة المزمل مكية وآيها تسع عشرة اية او عشرون)
(بسم الله الرحمن الرحيم)
(يا ايها المزمل) اصله المتزمل من تزمل بثيابه اذا تلفف بها فادغم التاء فى الزاى وقد قرئ به وبالمزمل مفتوحة الميم ومكسورتها اى الذى زمله غيره او زمل نفسه سمى به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم تهجينا لما كان عليه لانه كان نائما او مرتعدا مما دهشه بدء الوحى متزملا فى قطيفة او تحسينا له اذ روى انه عليه الصلاة والسلام كان يصلى متلففا بمرط مفروش على عائشة فنزل او تشبيها له فى تثاقله بالمتزمل لانه لم يتمرن بعد فى قيام الليل او من تزمل الزمل اذا تحمل الحمل اى الذى تحمل اعباء النبوة

انه تزوجها في شوال سنة عشر ين من النبوة قبل الهجرة بثلاث ولها ست سنين واعرس بها بالمدينة وهى بنت سبع سنين فندآؤه صلى الله تعالى عليه وسلم بالمزمل تحسين لحاله التى كان عليها وجعل هذا النداء ذريعة الى الامر بالمداومة على تلك الحال الحسنة (قوله اى قم الى الصلاة اوداوم عليها) الاول على ان يكون اشارة على ان تسميته بالمزمل للتهجين والثانى على ان يكون للتحسين (قوله وقرئ بضم الميم) يعنى قرأ العامة قم الليل بكسر الميم لالتقاء الساكنين وقرئ بضمها اتباعا لحركة القاف و بفتحها لخفة الفتحة والليل ظرف للقيام ان استغرقه الحدث الواقع فيه وحد الليل من غروب الشمس الى طلوع الفجر وضمير نصفه على تقدير كونه بدلا من قليلا راجع الى الليل وضمير منه وعليه راجعان الى النصف والمعنى قم الى الصلاة فى الزمان المحدود المسمى بالليل لافى الجزء القليل منه وهونصفه اوانقص القيام من نصفه اوزد عليه كأنه قيل قم نصف الليل او انقص من النصف اوزد عليه وهو تخيير بين قيام النصف بتمامه والزائد عليه والناقص منه (قوله وقلته بالنسبة الى الكل) اى لا بالنسبة الى النصف الآخر لان كل واحد من النصفين يجب ان يكون مساويا للنصف الآخر ولايتصور ان يكون اقل منه (قوله اونصفه بدل من الليل) بدل البعض من الكل وقوله الا قليلا مستثنى من قوله نصفه مقدم عليه كأنه قيل قم اقل من نصف الليل كالثلث ثم ان كان ضمير منه وعليه لما هواقل من النصف يكون المعنى حينئذ النقص من ذلك الاقل والزيادة عليه و يكون التخيير بين ان يقوم فيما هواقل من النصف كالثلث و بين ان يقوم فيما هو انقص من ذلك الاقل كالربع و بين ان يقوم فيما هو ازيد منه كالنصف (قوله او النصف) عطف على قوله للاقل من النصف اى على تقدير ان يكون نصفه بدلا من الليل ويكون الا قليلا مستثنى من نصفه يجوزان يكون ضميرمنه وعليه للنصف ويكون المعنى حينئذ قم اقل من نصف الليل كالثلث او انقص من النصف قليلا بان تقوم الثلث مثلا اوزد على النصف و يفهم من ظاهر النظم ان يكون التخيير بين ثلاثة امور لان فيه حرفى عطف وليس كذلك اذ ليس ههنا الامر ان فقط و هما القيام فى اقل من النصف او فى ازيد منه لان مدلول قولنا قم نصف الليل الاقليلا وقولنا اوانقص من نصفه واحد فلم يبق الا الامر ان فقط فلذلك جعل احد شقى التخيير ان يقوم فيما هو اقل من نصف الليل على البت وجعل شقه الاخر ان يختار احد الامرين و هما القيام فيما هواقل من النصف والقيام فيما هو اكثرمنه (قوله اوالاستثناء من اعداد الليل) عطف على قوله و الاستثناء

(قم الليل) اى قم الى الصلاة اوداوم عليها فيه وقرئ بضم الميم وفتحها للاتباع او التخفيف (الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا اوزد عليه) الاستثناء من الليل و نصفه بدل من قليلا وقلته بالنسبة الى الكل والتخيير بين قيام النصف والزائد عليه كالثلثين والناقص عنه كالثلث اونصفه بدل من الليل والاستثناء منه والضمير فى منه وعليه للاقل من النصف كالثلث فيكون التخيير بينه و بين الاقل منه كالربع والاكثر منه كالنصف او النصف والتخيير بين ان يقوم اقل منه على البت وان يختار احد الامرين من الاقل والاكثر اوالاستثناء من اعداد الليل فانه عام والتخيير بين قيام النصف والناقص منه والزائد عليه

من الليل جوز اولا ان يكون الاستثناء من ساعات الليل واجزائه بان يكون تعريف الليل لاستغراق اجزائه ثم جوز ان يكون من افراده واعداده كأنه قيل قم في جميع الليالي الا قليلا من افرادها يقع لك فيها عذر يمنعك من القيام فيها ثم بين ما يقوم به من اجزاء الليل بان خيره بين قيام النصف والناقص منه والزائد عليه قيل هذا التخيير على حسب طول الليالي وقصرها فالنصف اذا استوى الليل والنهار والنقص منه اذا قصر الليل والزيادة عليه اذا طال الليل قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان قيام الليل كان فريضة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لقوله تعالى قم الليل فظاهر الامر انه للوجوب ثم نسخ واختلفوا في سبب النسخ فقيل انه كان فرضا قبل ان تفرض الصلوات الخمس ثم نسخ بها وقيل ان قيام الليل كان فريضة عليه وعلى المؤمنين مع كونهم مخيرين بين المقادير المذكورة فكان الرجل لا يدري في اي مقدار من الليل صلى وكم بقي منه فكان يقوم الليل كله مخافة ان لا يحفظ القدر الواجب وشق عليهم ذلك حتى انتفخت اقدامهم فرحمهم الله تعالى وخفف عنهم فنسخ فريضته بقوله في آخر هذه السورة فاقرأوا ما تيسر من القرآن وكان بين ايجاب قيام الليل وبين نسخه سنة كاملة وقيل سنتان (قوله ثغر رتل ورتل) هو بفتح التاء وكسرها ثنايا مفلجة متباعد ما بينها يقال ثغر رتل اذا كان بين الثنايا افتراق قليل وترتيلا مصدر مؤكد لفعله الدال على ايجاب الترتيل آكد ايجابا به بالمصدر ليعلم انه لا بد للقارئ منه ليتمكن هو ومن حضره من التأمل في حقائق الآيات ويستشعر عظمة الله تعالى وجلاله عند الوصول الى ذكر الله ويقع في الخوف والرجاء عند الوصول الى آية الوعد والوعيد فحينئذ يستنير القلب بنور معرفة الله تعالى وينفتح عليه اسرار الكلام الالهي (قوله والجملة اعتراض) اي بين قوله يا ايها المزمل قم الليل الا قليلا وبين قوله ان ناشئة الليل فانه متعلق بالاول مناسب له فوسطت هذه الجملة بينهما ليسهل عليه تكليفه بالتهجد فكأنه تعالى قال امرتك بقيام الليل لانا سنلقي عليك قولا ثقيلا فلا بد لك ان تسعى في صيرورة نفسك مستعدة لتلقي ذلك القول العظيم وذلك الاستعداد لا يحصل الا بصلاة الليل فان النفس تستعد بها لقبول الفيض الالهي من حيث ان الشواغل الحسية والعوائق الجسمانية تكون ساكنة في الليلة الظلماء فاذا اشتغل الانسان فيها بعبادة ربه وترتيل كلامه يتنور قلبه ويتقوى روحه فيزداد مناسبة واتصالا بعالم الغيب فيستعد لتلقي المعارف الآلهية والالهامات الربانية (قوله ويدل على انه) اي التهجد عطف على قوله يسهل يعني ان الفائدة الثانية للاعتراض الدلالة على ان التكليف بقيام الليل من جملة

(تكاليف)

(ورتل القرآن ترتيلا) اقرأه على تؤدة وتبيين حروف بحيث يتمكن السامع من عدها من قولهم ثغر رتل ورتل اذا كان مفلجا (انا سنلقي عليك قولا ثقيلا) يعني القرآن فانه لما فيه من التكاليف الشاقة ثقيل على المكلفين سيما على الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم اذ كان عليه ان يحملها ويحملها امته والجملة اعتراض يسهل عليه التكليف بالتهجد ويدل على انه

التكاليف الثقيلة التي يشتمل عليها القرآن فعليك بملازمة هذا التكليف والاستئناس به لئلا يثقل عليك امثاله (قوله مشق) بالميم الظاهر انه تحريف من الناسخين والاصل شق بكسر الشين وهي الشقة قال تعالى لم تكونوا بالغيه الابشق الانفس يقال شق على الشئ يشق شقا ومشقة والاسم الشق بالكسر ولم يسمع اشق على فهو مشق (قوله اورصين) اى محكم ثابت وهو عطف على قوله ثقيل على المكلفين والرزانة الوقار والثقل يعني اوان ثقله عبارة عن بلاغته واعجازه بحسب النظم ودقة المعاني فالثقل على الاول راجع الى ثقل العمل به وعلى هذا الى ان جهات حسنة وكماله ثابتة مستقرة لازوال ابدا كثبوت الشئ الثقيل في محله (قوله فيفصم) اى يقلع يقال افصم المطر اى اقلع وانجلى (قوله ليرفض) اى يرشح عرقا (قوله وعلى هذا) اى على ان يكون قولا ثقيلا صفة للمصدر لا للمفعول به اى سنلقى القاء ثقيلا وقول الشاعر

نشأنا الى خوص برى نيها السرى ❊ والصق منها مشرفات القماحد

نشأنا اى قمنا الى الخوصاء الناقة الغائرة العينين والذكر اخوص وجمعهما خوص والني بفتح النون الشحم واللحم يقال ناقة ناوية اى سمينة ونوى اى سمين وبرى اى اذهب واذاب من برى القلم بريا وبريت البعير اذا حسرته واذهبت لحمه والسرى سير الليل والصق اى طأطأ ونكس وفاعله ضمير السرى والقماحد جمع قمحودة وهي القفا الذى هو مؤخر الرأس ومعقد الازار والمعنى قمنا الى نوق غائرات الاعين اذاب لحمها وشحمها سير الليل وجعلها مهزولة ضعيفة وجعل السرى قماحدها المشرفة المرتفعة من السمن لاصقة منخفضة من الهزال اى اى قمنا اليها ورحلناها والناشئة على هذا صفة لمحذوف اى النفس القائمة من مضجعها بالليل للعبادة (قوله اوقيام الليل) على ان الناشئة مصدر كالعاقبة من نشأ اذا قام (قوله اوساعات الليل) على ان تكون الناشئة صفة ساعات الليل الناشئة اى الحادثة شيئا بعد شئ الجوهرى ناشئة الليل اول ساعاته يقال نشأ يفعل كذا اذا ابتدأ واقبل شيئا بعد شئ فهو ناشئ وانشأه الله فنشأ قال زين العابدين ناشئة الليل ما بين المغرب الى العشاء لان ناشئة الليل هي الساعة التي منها يبتدأ انشاء الليل وقيدها ابن عباس والحسن بما كان بعد العشاء وما كان قبلها فليس بناشئة وخصصتها عائشة بما كان بعد النوم فلولم يتقدمها نوم لم تكن ناشئة وقيل الليل كله ناشئة (قوله اى كلفة اوثبات قدم) تفسير لوطأ بفتح الواو وسكون الطاء وقصر الالف وهو مصدر قولك وطئ الشئ اذا داسه برجله اوحمل عليه ثقله فان النفس القائمة بالليل الى العبادة اشد وطأ من التي تقوم بالنهار

❊ مشق مضاد للطبع مخالف للنفس اورصين لرزانة لفظه ومتانة معناه اوثقيل على المتأمل فيه لافتقاره الى مزيد تصفية السر وتجريد النظر اوثقيل في الميزان اوعلى الكفار والفجار اوثقيل تلقيه لقول عائشة رضي الله تعالى عنها رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليرفض عرقا وعلى هذا يجوز ان يكون صفة للمصدر والجملة على هذه الاوجه للتعليل مستأنف فان التهجد يعد للنفس ما به يعالج ثقله (ان ناشئة الليل) ان النفس التي تنشأ من مضجعها الى العبادة من نشأ من مكانه اذا نهض قال ❊ نشأنا الى خوص برى نيها السرى ❊ والصق منها مشرفات القماحد ❊ او قيام الليل على ان الناشئة له او العبادة التي تنشأ بالليل اى تحدث به اوساعات الليل لانها تحدث واحدة بعد اخرى اوساعاتها الاول من نشأت اذا ابتدأت

لها او فيها او موافقته لما يراد من الخضوع والاخلاص (واقوم قيلا) واسد مقالا او اثبت قرآءة لحضور القلب وهدوء الاصوات (ان لك في النهار سبحا طويلا) تقلبا في مهامك واشتغالا بها فعليك بالتهجد فان مناجاة الحق تستدعي فراغا وقرئ سبخا اي تفرق قلب بالشواغل مستعارا من سبخ الصوف وهو نفشه ونشر اجزائه (واذكر اسم ربك) ودم على ذكره ليلا ونهارا وذكر الله يتناول كل ما يذكر به من تسبيح وتهليل وتحميد وصلاة وقرآءة قرآن ودراسة علم (وتبتل اليه تبتيلا) وانقطع اليه بالعبادة وجرد نفسك عما سواه ولهذه الرمزة ومراعاة الفواصل وضع موضع تبتلا (رب المشرق والمغرب) خبر مبتدأ محذوف او مبتدأ خبره (لا اله الا هو) وقرأ ابن عامر والكوفيون غير حفص ويعقوب بالجر على البدل من ربك وقيل باضمار حرف القسم وجوابه لا اله الا هو

على ان يكون الوطء عبارة عن الكلفة والثقل كما قال اشدد على القوم وطأة سلطانهم اذ ثقل عليهم معاملته معهم وفي الحديث اللهم اشدد وطأتك على مضر والمقصود من الحكم بان النفس التي تنشأ بالليل من مضجعها اشد كلفة بيان انها اكثر ثوابا لان ثواب العبادة على قدر شدة الوطأة وثقلها كما قال عليه الصلاة والسلام افضل العبادات احمزها اي اشقها او على ان تكون عبارة عن ثبات القدم فان النهار زمان التقلب للمعاش وتكثر فيه الشواغل الموجبة لاضطراب القلب للمعاش فلا يكون القائم بالعبادة فيه ثابت القدم عليها فيكون المقصود حينئذ بيان وجه اختيار الليل وتخصيصه بالامر بالقيام به فانه تعالى جعل الليل لباسا يستر الناس ويمنعهم من الاضطراب والانقلاب الى اكتساب المعاش وجعل النهار معاشا يباشرون فيه امور معاشهم فلا تثبت فيه اقدامهم للعبادة (قوله اي مواطأة القلب) تفسير لقرآءة ابي عمرو وابن عامر وطاء بكسر الواو وفتح الطاء ومد الالف لان المواطأة هي الموافقة يقال واطأت فلانا على كذا مواطأة ووطاء اذا وافقته فان فسرت ناشئة الليل بالنفس الناشئة بالليل من مضجعها يكون المعنى انها اشد من جهة مواطأة القلب اللسان لها وان فسرت بقيام الليل او بالعبادة الناشئة بالليل او بالساعات الناشئة بالليل بمعنى الحادثة او المبتدأة يكون المعنى ان الناشئة باحد المعاني اشد من جهة موافقة قلب القائم لسانه في تلك الناشئة (قوله واسد مقالا او اثبت قرآءة) يعني انه يجوز ان يكون اقوم اسم تفضيل من القيام بمعنى السداد والاستقامة وان يكون من القيام بمعنى الثبات والاستمرار وهدوء الاصوات سكونها يقال هدأ هدأ وهدوءا سكن واهدأه غيره اسكنه والسبح التصرف في المعاش والتقلب في الامور ومنه السباحة في الماء وسبخ الصوف والقطن جعله منفوشا لتفتت اجزائه وتيسير غزله (قوله وجرد نفسك عما سواه) اشارة الى ان تبتيلا مصدر مؤكد لفعله المحذوف المدلول عليه بالالتزام لان التبتل لا يكون الا بالتبتيل وتقدير الكلام تبتل اليه وبتل نفسك عما سواه تبتيلا (قوله ولهذه الرمزة) يعني ان الظاهر ان يقال وتبتل اليه تبتلا او يقال بتل نفسك عما سواه تبتيلا لكن لم يرد النظم هكذا لرمزة خفية وهي ان المقصود بالذات انما هو التبتل والانقطاع اليه تعالى وذلك لا يحصل الا بتبتيل النفس وقطعها عن التعلق عما سواه فذكر اولا التبتل اشعارا بانه المقصود بالذات وذكر التبتيل ثانيا اشعارا بانه لابد منه وان كان مقصودا بالعرض لا بالذات لانه نوع تعلق بغير الله فلا يكون مقصودا لذاته وفي وضع التبتيل مقام التبتل رعاية الفواصل ايضا

(قوله)

(قوله فان توحده بالالوهية يقتضى ان يوكل اليه الامور) لان جميع ماسواه يكون ممكنا محدثا محتاجا الى غيره فكيف يصلح ان يكون موكولا اليه الامور ومن عرف انه لااله الاهو لاجرم يفوض جميع الامور اليه ومن لايفوض ذلك اليه فهو لا يعلم بحقيقة لااله الاهو ومن اتخذه وكيلا يستريح من معارضة زيد وعمرو والاغتمام على مافاته من المقاصد لانه يتحقق عنده ان قيام الله تعالى باصلاح امره احسن من قيامه باصلاح امور نفسه فيقع فى دائرة التسليم والرضى فيستريح ثم انه تعالى لما ارشد رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم الى كيفية معاملته مع ربه من اول السورة الى هنا اتبعه ببيان كيفية معاملته مع الخلق فقال واصبر على مايقولون واهجرهم هجرا جميلا لان من يخالط الناس كثيرا ما يجد منهم الايذاء والمنافرة فيعتريه بسبب ذلك الغموم فلابد لاهل الاختلاط من الصبر الجميل وترك المخالطة بان يخالفهم فى افعالهم السيئة ولايخاصمهم ولايسمعهم القبيح وينصح لمن رجا منهم القبول وذلك هو الهجر الجميل فقد استراح منهم ثم لما خطر بالبال ان من بعث لدعوة الخلق وارشادهم كيف يهجر المكذبين مع ان تهديدهم بالمجازاة على الكذب ادخل فى ظهور آثار الرسالة دفع ذلك الخاطر بقوله وذرنى والمكذبين يعنى نعم ان الامر كذلك الا انه ينبغى ان تكل امر مجازاتهم الى وان لاتهتم بهم وانا اكفيكهم وقوله تعالى والمكذبين يجوز ان يكون انتصابه على انه مفعول معه او على انه معطوف على ياء المتكلم فى ذرنى والاول هو الانسب بالمقام والثانى اوفق بصناعة العربية لان المتبادر من نحو قولك ضربت زيدا وعمرا انما هو مجرد مشاركة الواو لما قبلها فى ملابسة معنى العامل بكل واحد منهما وهو معنى العطف ولايفهم منه كون تلك الملابسة بطريق المعية وانما يفهم ذلك اذا كان الفعل المذكور قبلهما لازما فانه اذا كان لازما يكون مابعد الواو على تقدير العطف مرفوعا ويكون العدول الى النصب نصا على قصد المعية والمصاحبة فى ملابسة الفعل فان العطف لايدل الا على ان مابعد الواو مشارك لما قبلها فى ملابسة الفعل لكل واحد منهما والنصب كما يدل على تلك المشاركة يدل ايضا على كون تلك الملابسة فى زمان واحد مثلا اذا قلت سرت وزيدا بالنصب يكون زيد مشاركا للمتكلم فى ملابسة السير لكل واحد منهما وفى وقوعهما معا بخلاف ما اذا قلت سرت انا وزيد بالعطف فانه انما يدل على مشاركتهما فى السير فقط ولايدل على المعية فيه فظهر ان النصب انما يكون نصا على المعية والمصاحبة اذا كان الفعل لازما وذرنى فى الآية متعد والنعمة بفتح النون التنعم وهو مطاوع نعم يقال نعمه الله وناعمه فتنعم والنعمة بالكسر

(فاتخذه وكيلا) مسبب عن التهليلة فان توحده بالالوهية يقتضى ان يوكل اليه الامور (واصبر على ما يقولون) من الخرافات (واهجرهم هجرا جميلا) بان تجانبهم وتداريهم ولاتكافئهم وتكل امرهم الى الله كما قال (وذرنى والمكذبين) دعنى واياهم وكل الى امرهم فان فى غنية عنك فى مجازاتهم (اولى النعمة) ارباب التنعم يريد صناديد قريش (ومهلهم قليلا) زمانا او امهالا

في الحلق كالضريع والزقوم (وعذابا اليما) ونوعا آخر من العذاب مؤلما لا يعرف كنهه الا الله ولما كانت العقوبات الاربع مما يشترك فيها الاشباح والارواح فان النفوس العاصية المنهمكة في الشهوات تبقى مقيدة بحبها والتعلق بها عن التخلص الى عالم المجردات متحرقة بحرقة الفرقة متجرعة غصة الهجران معذبة بالحرمان من تجلي انوار القدس فسر العذاب بالحرمان من لقاء الله تعالى (يوم ترجف الارض والجبال) تضطرب وتتزلزل ظرف لما في لدينا انكالا من معنى الفعل (وكانت الجبال كثيبا) وملا مجتمعا كأنه فعيل بمعنى مفعول من كثبت الشئ اذا جمعته (مهيلا) منثورا من هيل هيلا اذا نثر (انا ارسلنا اليكم) يا اهل مكة (رسولا شاهدا عليكم) يشهد عليكم يوم القيامة بالاجابة والامتناع (كما ارسلنا الى فرعون رسولا) يعني موسى عليه الصلاة والسلام ولم يعينه لان

ما انعم به عليك (قوله تعليل للامر) اي بالامهال فان تعداد ما عنده من اسباب التعذيب بيان لاقتداره على الانتقام منهم والجحيم كل نار عظيمة في مهواة وهي ما بين الجبلين والغصة الشجى وما يغص في الحلق ولا يساغ فيه والطعام ذو الغصة هو الطعام الذى يقف في الحلق لا ينزل ولا يخرج وتنكير عذابا وابهام كيفيته يدل على كونه في نهاية الهول والشدة بالنسبة الى ما تقدم عليه من الامور الثلاثة وكونه للتهويل لا ينافي كونه للنوعية (قوله فان النفوس العاصية المنهمكة في الشهوات) بيان لكون تلك العقوبات مما يصح ان يعاقب بها الارواح ولم يتعرض لبيان كونها عقوبات للاشباح لظهوره واستغنائه عن البيان وكون الارواح العاصية بعد مفارقتها عن الابدان باقية على التقييد بحب الشهوات والتعلق بها المانع من التخلص الى عالم المجردات بمنزلة الانكال والقيود المانعة عن الوصول الى ما هي من المشتهيات ثم يتولد عن تلك القيود الروحانية روحانية شبيهة بالجحيم فان شدة ميلها الى ما فارقت عنه من الشهوات الدنيوية وعدم تمكنها من الوصول اليها يوجب حرقة شديدة وروحانية شبيهة بالاحراق بنار الجحيم وهي حرقة فراق المشتهيات ويصير تألم الروح بألم هذا الفراق على الاستمرار والدوام بمنزلة طعام ذي غصة لا يسوغ ولا يخرج من الحلق ثم حرمانه من ان يتجلى له نور جمال الله تعالى و يتلذذ بالمعارف الالهية والاسرار الربانية وينخرط في سلك المقربين عذاب اليم اشد عليه من جميع العقوبات الثلاث (قوله فسر العذاب) جواب لما اشار به الى ان اللائق بهذا المفسر ان يفسر العقوبات الثلاث الاول بما يعم العقوبات الروحانية وان يكون ما ذكره من تفسير العذاب بالحرمان من لقاء الله تعالى للاشارة الى كون العذاب متناولا له كما يتناول العذاب الجسماني (قوله منثورا) اشارة الى ان مهيلا اسم من هلت الشئ اذا صببته من غير كيل وحساب اى تكون الجبال بعد ما كانت اوتاد الارض قطعة مجتمعة كالرمل المهيل لا تتماسك اجزاؤها بل تصير شيئا منثورا اى متفرق الاجزاء بان ينسف الله تعالى اجزاءها اى يقلع بعضها من بعض و يجعلها كالعهن المنفوش فعند ذلك تصير كالكثيب ثم انه تعالى يحركها كما قال و يوم نسير الجبال فعند ذلك تصير مهيلا اى رملا سائلا متناثرا ثم انه تعالى لما خوف المكذبين او النعمة باهوال القيامة خوفهم بعد ذلك باهوال الدنيا فقال انا ارسلنا اليكم رسولا الآية فان المقصود تهديد اهل مكة بالاخذ الوبيل وان في اعادة فرعون والرسول مظهرين تفظيعا لشأن عصيانه وان ذلك لكونه عصيان الرسول لا لكونه عصيان موسى وفيه ان عصيان المخاطبين افظع وادخل في الذم اذ ازداد لهذا

المقصود لم يتعلق به (فعصى فرعون الرسول) عرفه لسبق ذكره (فاخذناه اخذا وبيلا) ثقيلا (الرسول

الرسول وصفاً آخر اعنى شاهداً عليكم وادمج فيه انهم لوآمنوا لكانت الشهادة لهم لاعليهم (قوله تعالى فكيف تتقون) مرتب على الارسال الذي ترتب عليه عصيانهم اى فكيف تتقون اهوال القيامة وما اعد لكم من الانكال ونحوها ان دمتم على ما انتم عليه ومتم على الكفر وقوله ان كفرتم الخ اتى بحرف الشرط اشارة الى ان ارسال هذا الرسول لايبقى لاحد شبهة تبقيه من الكفر كيف وهو النور المبين فكيف بقاؤهم على الكفر بعد ارسال الرسول الذي حقه ان يقرر الامور المشكوك في وجودها (قوله تتقون انفسكم) فسر تتقون بتقون انفسكم فعداه بذلك الى مفعولين اولهما انفسكم المقدر وثانيهما يوما فانه مفعول به لتتقون كما اشار اليه المصنف بقوله عذاب يوم اى بتقدير المضاف فان وقى يتعدى الى مفعولين قال تعالى ووقاهم عذاب الجحيم وفيه بحث لان تتقون مضارع اتقى وهو ليس بمعنى وقى فكيف يصح تفسيره به وتعديته مثله بل هو متعد الى واحد فتقدير قوله انفسكم لايظهر له وجه صحة الا ان يقال ذكره بيانا لحاصل المعنى فان اتقاء العذاب بمعنى وقاية النفس منه (قوله تعالى يجعل الولدان شيبا) صفة ليوما والعائد الى الموصول ضمير يجعل واسناد الجعل الى اليوم من قبيل اسناد الفعل الى زمانه للمبالغة والشيب جمع اشيب بمعنى ذى الشيب وهو بياض الشعر (قوله وهذا على الفرض) اى لاعلى الحقيقة لان يوم القيامة ليس فيه ولدان حتى يصير واشيبا حقيقة بل الكلام مبنى على الفرض والمعنى ان هول ذلك اليوم بحال لو كان هناك صبى لكان اشيب ويرى انه شيخ والحال انه طفل صغير والاصل فيه ان الهموم اذا تعاقبت على الانسان اسرع فيه الشيب روى ان رجلا نام وهو حالك الشعر ثم اصبح ورأسه كالثغامة فقيل له فى ذلك فقال رأيت القيامة فى المنام والجنة والنار ورأيت الناس يقادون فى السلاسل الى النار فمن هول ذلك اصبحت كما ترون (قوله اوعلى التمثيل) بان شبه يوم القيامة من شدة هوله بزمان يجعل الولدان شيبا فوصف بوصف ذلك الزمان وان لم يكن فيه ولد ان (قوله ويجوز ان يكون وصف اليوم بالطول) لا لكثرة اهواله فيكون المعنى انه فى طوله بحيث يبلغ الاطفال فيه اوان الشيخوخة والشيب وهو لاينقضى بعد وهذا الوجه وان كان يشارك الوجه الاول فى ان الكلام مبنى على الفرض الا ان المراد من الوجه الاول وصف اليوم بكثرة الهموم مع قطع النظر عن التعرض لطوله والمراد من الوجه الاخير وصفه بالطول مع قطع النظر عن التعرض لما فيه من الهموم واعترض على الوجه الاخير بان ذلك اليوم اطول من مدة بلوغ الطفل آوان الشيخوخة فلا يوصف طوله بهذه العبارة ويمكن ان يجاب عنه بانه مبنى

من قولهم طعام وبيل لايستمرئ لثقله ومنه الوابل المطر العظيم (فكيف تتقون) تقون انفسهم (ان كفرتم) بقيتم على الكفر (يوما) عذاب يوم (يجعل الولدان شيبا) من شدة هوله وهذا على الفرض اوعلى التمثيل واصله ان الهموم تضعف القوى وتسرع بالشيب ويجوز ان يكون وصف اليوم بالطول (السماء منفطر) منشق والتذكير على تأويل السقف او اضمار شئ (به) بشدة ذلك اليوم على عظمها واحكامها فضلا عن غيرها والباء للآلة

على عادة العرب فانهم يعبرون بمثل هذه العبارة عن غاية الطول مع قطع النظر عن ملاحظة خصوص المدة المدلول عليها بالعبارة كما يعبرون عن التأبيد وعدم الانقطاع بقولهم ماناحت حمامة وما لاح كوكب وماتعاقبت الايام والشهور وقال تعالى خالدين فيها مادامت السموات والارض ذكر الله تعالى من هول ذلك اليوم امرين الاول قوله يجعل الولدان شيبا والثانى قوله السماء منفطر به فان السماء على عظمها وشدتها اذا انشقت بسبب ذلك اليوم فما ظنك بغيرها من الخلائق (قوله الضمير لله تعالى) وان لم يجر له ذكر للعلم به فيكون المصدر مضافا الى فاعله اى وان وعده تعالى يكون يوم القيامة على ماوصف به من الشدائد كائن لامحالة لانه تعالى لايخلف الميعاد وان كان من اضافة المصدر الى مفعوله فى المعنى كان وعده تعالى اياه مفعولا (قوله هذه الآيات الموعدة) بكسر العين اى الناطقة بالوعيد وهى قوله تعالى ان لدينا انكالا وجحيما الى هنا وفسر اتخاذ السبيل اليه بالتقرب اليه والتوسل بالطاعة والاتقاء عما يؤثم لكونه طريقا الى رضاء رحمته (قوله استعار الادنى للاقل لان الاقرب الى الشئ اقل بعدا منه) الظاهر انه اراد من الاستعارة المجاز المرسل لانه جعل العلاقة بين الاقرب والاقل كون القرب الى الشئ مستلزما لقلة مابينهما من البعد فيكون اطلاق الادنى على الاقل من قبيل اطلاق الملزوم على اللازم ووجه اتصال هذه الآية بما قبلها مايفهم من قول عائشة رضى الله تعالى عنها ان الله تعالى فرض القيام فى اول هذه السورة فقام نبى الله واصحابه حولا حتى انتفخت اقدامهم وامسك الله تعالى آخر هذه السورة اثنى عشر شهرا فى السماء ثم انزل الله التخفيف فى آخر السورة فصار قيام الليل تطوعا بعد كونه فرضا (قوله عطفا على ادنى) والمعنى يعلم انك تقوم ادنى من ثلثى الليل وتقوم نصفه وثلثه وهو مطابق لما فرض اول السورة من التخيير بين قيام النصف بتمامه و بين قيام الناقص منه وهو الثلث وبين قيام الزائد عليه زيادة مطلقة كالثلثين على ان يكون الا قليلا استثناء من الليل و يكون نصفه بدلا من قليلا وقرأ نافع وابو عمرو وابن عامر بجرهما عطفا على المجرور قبلهما وهو قوله ثلثى الليل والمعنى يعلم انك تقوم اى تصلى اقل من ثلثى الليل واقل من نصف الليل واقل من ثلث الليل والاقل من الثلثين هو النصف والاقل من النصف هو الثلث والاقل من الثلث هو الربع وهو مطابق لان يكون التخيير بين قيام الثلث والربع والنصف بان يكون قوله نصفه بدلا من الليل و يكون الا قليلا استثناء من النصف و يكون ضمير منه وعليه للاقل على معنى قم اقل من نصف الليل وهو الثلث وانقص مما هو اقل من النصف بقيام الربع اوزد على ذلك الاقل

(كان وعده مفعولا) الضمير لله عز وجل او لليوم على اضافة المصدر الى المفعول (ان هذه) الآيات الموعدة (تذكرة) عظة (فمن شاء) ان يتعظ (اتخذ الى ربه سبيلا) اى يتقرب اليه بسلوك التقوى (ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه) استعار الادنى للاقل لان الاقرب الى الشئ اقل بعدا منه وقرأ هشام ثلثى الليل وابن كثير والكوفيون ونصفه وثلثه بالنصب عطفا على ادنى

من النصف بقيام النصف (قوله ويقوم ذلك جماعة) يعنى ان قوله وطائفة مرفوع بالعطف على المرفوع المتصل فى يقوم وجاز ذلك للفصل بالظرف وما عطف عليه (قوله فان تقديم اسمه تعالى مبتدأ مبنيا عليه يقدر يشعر بالاختصاص) علة لقوله لايعلم مقادير ساعاتهما كما هى الا الله فان بناء الفعل على المبتدأ يفيد الحصر عند صاحب الكشاف مطلقا اى سواء كان المبتدأ معرفا اومنكرا مظهرا اومضمرا مقدما اوعلى نية التأخير على انه فاعل معنى فانه تعالى لما كان هو الذى يزيد فى ساعاتهما و ينقص من غير ان يكون لنا مدخل فى شئ من ذلك فبالضرورة صار هو العالم بمقاديرهما على الحقيقة و اما نحن فانا نعلم ذلك بالتحرى والاجتهاد الذى يؤدى الى الخطأ احيانا (قوله ولن تستطيعوا ضبط الساعات) فان الاحصاء قد يكون بمعنى العد وقد يكون بمعنى الاستطاعة قال عليه الصلاة والسلام استقيموا ولن تحصوا اى ولن تطيقوا ذلك على الوجه الذى امرتم به قال الحسن قاموا حتى انتفخت اقدامهم فنزل قوله تعالى علم ان لن تحصوه اى لن تطيقوا معرفة القدر الذى يجب قيامه وقال مقاتل كان الرجل يصلى الليل كله مخافة ان لايصيب ما امر به من القيام فخفف الله عنهم وقال علم ان لن تحصوه واحتج بعضهم بهذه الآية على وقوع التكليف بما لايطاق فانه تعالى قال لن تحصوه اى لن تقدروا ولن تطيقوا تعيين القدر الذى فرض عليكم القيام به ثم انه تعالى قد كلفهم بتقدير ساعات الليل والقيام فى المقدار الذى فرض عليهم القيام فيه حيث قال قم الليل الا قليلا نصفه الخ و يمكن ان يجاب عنه بأن المراد بعدم استطاعتهم على تقدير ساعاتهما وضبطهما كون ذلك شق عليهم بعض المشقة لانهم لايقدرون عليه اصلا كما يقال لااقدر ان انظر الى فلان اذا استثقل النظر اليه وصعب عليه ذلك (قوله ورفع التبعة فيه) رفعها عن التائب اشارة الى ان قوله تعالى فتاب عليكم استعارة تبعية شبه الترخيص فى ترك ماقدر من قيام الليل بقبول التوبة من المذنب التائب فى رفع التبعة فى تركه كما رفعت عن التائب ثم استعمل لفظ المشبه به وهو قبول التوبة فى المشبه الذى هو الترخيص ثم اشتق من لفظ المشبه به قوله فتاب بمعنى فرخص (قوله قيل كان التهجد واجبا على التخيير المذكور) وهو التخيير بين القيام فى احد المقادير المعينة فلما عسر عليهم اصابة تلك المقادير المعينة نسخت فرضيته رعاية للمقدار المنصوص عليه و بقى اصل الوجوب فان الامر فى قوله تعالى فاقرأ وا ماتيسر من القرءآن يدل على ان ماتيسر من وجوب صلاة الليل غير مقدر بكونه فى ثلث الليل او ربعه او نحوهما ثم نسخ اصل وجوبها ايضا بالصلوات الخمس والتطوع (قوله اوفاقرأ وا القرءآن بعينه

(وطائفة من الذين معك) ويقوم ذلك جماعة من اصحابك (والله يقدر الليل والنهار) لايعلم مقادير ساعاتهما كما هى الا الله فان تقديم اسمه مبتدأ مبنيا عليه يقدر يشعر بالاختصاص ويؤيده قوله (علم ان لن تحصوه) اى لن تحصوا تقدير الاوقات ولن تستطيعوا ضبط الساعات (فتاب عليكم) بالترخيص فى ترك القيام المقدر ورفع التبعة فيه (فاقرأ وا ما تيسر من القرءآن) فصلوا ماتيسر عليكم من صلاة الليل عبر عن الصلاة بالقرآءة كما عبر عنها بسائر اركانها قيل كان التهجد واجبا على التخيير المذكور فعسر عليهم القيام به فنسخ به ثم نسخ هذا بالصلوات الخمس اوفاقرأ وا القرءآن بعينه

كيفما تيسر عليكم (علم ان سيكون منكم مرضى و آخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله و آخرون يقاتلون في سبيل الله) استئناف يبين حكمة اخرى مقتضية للترخيص والتخفيف ولذلك كرر الحكم مرتبا عليه وقال (فاقرأ واما تيسر منه) و الضرب في الارض ابتغاء التفضل المسافرة للتجارة وتحصيل العلم (و اقيموا الصلاة) المفروضة (وآتوا الزكاة) الواجبة

كيفما تيسر) معطوف على قوله فصلوا لما تيسر بمعنى ان قوله فاقرأوا اما مجاز بمعنى فصلوا على اطلاق اسم الجزء على الكل واما حقيقة على ان المعنى ايجاب تلاوة القرآن في غير الصلاة كيفما تيسر ليحصل الامن من النسيان والفوز برضى الرحمن والوقوف على اعجازه بتلاوته ومافيه من دلائل التوحيد والبعث والجزاء ونحوها من العقائد الدينية ثم قيل الامر بتلاوته خارج الصلاة للوجوب وقيل للندب والاستحباب روى عن انس بن مالك انه سمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول من قرأ خمسين آية في كل يوم او في كل ليلة لم يكتب من الغافلين ومن قرأ مائة آية كتب من القانتين ومن قرأ مائتي آية لم يحاجه القرآن يوم القيامة ومن قرأ خمسمائة آية كتب له قنطار من الاجر وعن عبدالله بن عمر قال قال لي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اقرأ القرآن في كل شهر مرة قال قلت اني اجد قوة على ان اقرأه في اقل من ذلك قال فاقرأه في عشر بن ليلة قال قلت اني اجد قوة على اني اقرأه في اقل من عشر بن قال فاقرأ في سبع ولا تزد على ذلك وقيل قوله تعالى فاقرأوا اما تيسر ايجاب للقرآءة في صلاة الليل لا لايجاب نفس الصلاة في الليل وقيل انه لايجاب القرآءة في كل صلاة واختلف العلماء في قدر ما يلزمه في الصلاة فقال الامام مالك والامام الشافعي هو فاتحة الكتاب بخصوصها لايجوز العدول عنها ولا الاقتصار على بعضها وقدره ابو حنيفة بآية واحدة من اى آيات القرآن كانت وعنه ثلاث آيات لانها اقل سورة (قوله المسافرة للتجارة) سوى الله تعالى في هذه الآية بين درجة المجاهدين في سبيل الله والمكتسبين للمال الحلال للنفقة على نفسه وعياله والاحسان الى ذوي الحاجات حيث جمعهما في قرن واحد فدل على ان التجارة بمنزلة الجهاد قال عليه السلام مامن جالب يجلب طعاما من بلد الى بلد فيبيعه بسعر يومه الا كانت منزلته عندالله بمنزلة الشهداء ثم قرأ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله (قوله وآتوا الزكاة الواجبة) قال الامام وقيل زكاة الفطر لانه لم يكن بمكة زكاة غيرها وانما وجبت بعد ذلك ومن فسرها بالزكاة الواجبة جعل آخر السورة مدنيا على ماروى انه تعالى افترض قيام الليل في اول هذه السورة فقام نبي الله صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه حولا مع مشقة عظيمة من حيث انه يعسر عليهم تمييز القدر الواجب حتى قام اكثر الصحابة الليل كله خوفا من الخطأ في اصابة القدر المفروض وامسك الله تعالى خاتمة السورة اثني عشر شهرا في السماء حتى انزل الله تعالى في آخر السورة التخفيف بنسخ تقدير القيام بالمقادير المذكورة مع بقاء فرضية اصل

التهجد حسبما تيسر ودوام الامر على ذلك ما دام عليه الصلاة والسلام بمكة حتى نسخت فرضية أصله فى المدينة بالصلوات الخمس (قوله او باداء الزكاة على احسن وجه) وهو اخراجها من اطيب الاموال واكثرها نفعا للفقرآء ومراعاة النية وهى ان يقصد باخراجها مجرد التعبد وابتغاء وجه الله تعالى والصرف الى احوج الفقرآء الصالحين ووجه هذا التفسير ان قوله تعالى وآتوا الزكاة امر بمجرد ادائها على اى وجه كان وقوله واقرضوا الله قرضا حسنا ليس كذلك بل هو امر بالاعطاء المقيد بكونه حسنا وتسمية الانفاق على الوجه المذكور قرضا حسنا من قبيل الاستعارة حيث شبه بالاقراض من جهة ان ما انفقه يعود اليه على احسن الوجوه (قوله والترغيب) منصوب بالعطف على الامر والمعنى يريد به الامر بسائر الانفاقات او الامر باداء الزكاة على احسن وجه اوالترغيب فيه اى فى سائر الانفاقات او فى اداء الزكاة على احسن وجه و التعبير عن كل واحد منها بالاقراض يتضمن وعد العوض وقد صرح به عقيبه وقوله تعالى تجدوه مجزوم على انه جواب الشرط ولفظ هو تأكيد للمفعول الاول لتجدوه اوفصل بينه و بين المفعول الثانى فان ضمير الفصل كما يتوسط بين المبتدأ والخبر قبل دخول العوامل يتوسط منهما ايضا بعد دخولها وشرطه ان يكون الخبر معرفة اوافعل من كذا لان افعل من كذا يشبه المعرفة فى امتناعه من حرف التعريف وليس معنى كون تعريف الخبر شرطا لتوسط ضمير الفصل ان الفصل انما يحتاج اليه عند كون الخبر معرفة فانه انما يتوسط بينهما لئلا يلتبس الخبر بالوصف والالتباس انما يقع اذا كان كل واحد من المبتدأ والخبر معرفة و بتوسطه يندفع الالتباس لان الخبر اذا كان صفة كان الموصوف هو الضمير والضمير لا يوصف ولا يوصف به وجاز توسطه فيما لالبس فيه و ذلك عند اختلاف الاعراب و عند كون المبتدأ ضميرا و كون الخبر افعل من كذا تبعا لها وحملا لصورة عدم اللبس على صورة الالتباس مع ان الفصل له فائدة اخرى وهى انه يفيد ضربا من التأكيد لانه عبارة عن المبتدأ وتكرير له والتكرير يفيد التأكيد ومعنى الآية وما تقدموا لانفسكم من المال تجدوه اى تجدوا ثوابه عند الله اى فى الآخرة خيرا من ثواب ما اخرتموه الى حضور الموت واسبابه وما تقدموا لانفسكم من طاعة من الطاعات كلها تجدوا ثوابه خيرا مما اخرتم من الطاعة (قوله وقرئ هو خير) على ان هو مبتدأ وخير خبره والجملة مفعول ثان لتجدوه وهذا على مذهب من يجعل لضمير الفصل موضعا من الاعراب كما اشار اليه صاحب الكافية بقوله و بعض العرب يجعله مبتدأ وما بعده خبرا ولا موضع له عند الخليل

(واقرضوا الله قرضا حسنا) يريد به الامر بسائر الانفاقات فى سبيل الخير او باداء الزكاة على احسن وجه و الترغيب فيه بوعد العوض كما صرح به فى قوله (وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا واعظم اجرا) من الذى تؤخرونه الى الوصية عند الموت او من متاع الدنيا وخيرا ثانى مفعولى تجدوه وهو تأكيد اوفصل لان افعل من كالمعرفة ولذلك يمتنع من حرف التعريف وقرئ هو خير على الابتداء والخبر (واستغفروا الله) فى مجامع احوالكم فان الانسان لا يخلو من تفريط (ان الله غفور رحيم) عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة المزمل رفع الله عنه العسر فى الدنيا والآخرة

(سورة المدثر)

﴿ بسم الرحمن الرحيم ﴾

(قوله وهو لابس الدثار) الدثار الثوب الذى يلبس فوق الشعار والشعار مايلبس مما يلى الجلد سمى به لانه يلى الجسد وشعر البدن والمدثر المتغشى بالدثار لينام فيستدفئ (قوله ولذلك) اى ولاجل ماذكر من الرواية قال صاحب الكشف وهذه الرواية لاتدل على انها اول سورة نزلت والظاهر انها اقرأ الى قوله مالم يعلم للاحاديث الصحاح فى ذلك ولانها كانت فى حرآء وهذه بعد الهبوط ولقوله عليه الصلاة والسلام لست بقارئ فانه لايتصور الا اذا نزل ذلك اولا والالكان الامتناع عنه معصية والوجه ان يراد بالسورة فى قول من قال انهما اول سورة نزلت السورة الكاملة انتهى * اعلم انهم اختلفوا فى ان المراد بالدثار المدلول عليه بالمدثر ما هو فقال اكثر المفسرين المراد به الدثار الحقيقى ثم اختلفوا فى سبب تدثره عليه الصلاة والسلام بذلك فنهم من قال انه عليه الصلاة والسلام تدثر به بناء على اقشعرار جلده وارتعاد فرائصه رعبا من الملك الذى رآه على سرير بين السماء والارض كالنور المتلألئ من حيث انه رأى ما لم يره قبل ولم يستأنس به بعد فظن ان به مساس الجن فخاف على نفسه لذلك ومنهم من قال انه عليه الصلاة والسلام تدثر اغتماما لما سمع ان قريشا قد اجتمعوا فقالوا قد اختلفت كلمتنا فى الاخبار عن حال محمد فمن قائل انه مجنون ومن قائل هو كاهن ومن قائل هو شاعر او ساحر وو فوذ العرب يجتمعون فى ايام الحج و يسألون عن امره واذا سمعوا منكم هذه الاجوبة المختلفة لايصدقونكم لعلمهم بان هذا كله لايجتمع فى رجل واحد فيحملون تكذيبكم اياه على التعصب والحسد فسموه باسم واحد تجتمعون عليه يكون اشبه بحاله فقال الوليد بن المغيرة انى فكرت فيه واخترت ان اسميه ساحرا لان الساحر من شأنه ان يفرق بين الاب وابنه و بين اخ واخيه و بين المرأة وزوجها وشأنه ذلك فقبلوا منه ذلك واتفقوا عليه فلما سمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك اشتد عليه ورجع الى بيته محزونا فتدثر بثوبه مفكرا كما يفعله المغموم وقال بعضهم انه عليه الصلاة والسلام انما تدثر لانه غلب عليه النوم فتدثر واضطجع نائما فجاءه جبريل عليه الصلاة والسلام وايقظه وقال ان الدنيا اليوم مملوءة من الكفار وانت وحدك بانفرادك قد ارسلت لتدعوهم الى الاسلام وتنذرهم بسوء عاقبة الكفر والطغيان ومن هذا شأنه كيف يليق به التفرغ للاستراحة والتلفف بالدثار فأزل عنك الغفلة و كن على جد

(سورة المدثر مكية وآيها ست وخمسون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها المدثر) اى المتدثر وهو لابس الدثار روى انه عليه الصلاة والسلام قال كنت بحراء فنوديت فنظرت عن يمينى وشمالى فلم ارشيئا فنظرت فوقى فاذا هو على العرش بين السماء والارض يعنى الملك الذى ناداه فرعبت و رجعت الى خديجة فقلت دثرونى فنزل جبريل وقال يا أيها المدثر ولذلك قيل هى اول سورة نزلت وقيل تأذى من قريش فتغطى بثوبه مفكرا او كان نائما متدثرا فنزلت وقيل المراد بالمدثر المدثر بالنبوة والكمالات النفسانية او المختفى فانه كان بحراء كالمختفى فيه على سبيل الاستعارة

(وصدق)

وصدق عن يحقق القيام على مقتضى منصبك وانذر قومك وقال آخرون ليس المراد بالدثار ماهو دثار حقيقة بل المراد به خلعة النبوة والكمالات النفسانية تشبيها لها بما هو دثار حقيقة من حيث ان كل واحد منهما زينة وشرف لصاحبه كما يقال ألبسه الله تعالى لباس التقوى وزينه برداء العلم فكانه قيل ياأيها المبعوث للانذار المدثر بدثار الرسالة قم لما بعثت له وقيل المراد بالدثار جبل حراء ومعنى تدثره عليه الصلاة والسلام اختفاؤه فيه اعتزالا عن الخلق شبه اختفاؤه فيه بالدثار فكانه قيل ياأيها المدثر بدثار الاختفاء قم من زاوية الخمول واشتغل بالانذار وقيل في هذه العبارة لطيفة من جهة المعنى وهي ان المنذر اذا انذر عن شدة الامر وهجوم العدو عن قريب يرتفع لاعلى المواضع ويتجرد عن ثيابه وينادي قومه ياصحباه النجاة النجاة ولما كان عليه الصلاة والسلام متدثرا خاطبه الله تعالى يا أيها المدثر فكانه تعالى يقول بعثتك نذيرا فالتدثر لاينبغي لشأنك وانما اللائق بك ان تكون عريانا كما قال عليه الصلاة والسلام انا المنذر العريان (قوله وقرئ المدثر) اى بفتح الدال الخفيفة وفتح التاء المشددة على لفظ اسم المفعول من دثره غيره اى غطاه به فهو مدثر اى مغطى والامر في قوله دثر هذا الامر منصوب بنزع الخافض اى دثر بهذا الامر وعصب به اى احيط به يقال عصب القوم بفلان اى احاطوا به (قوله قم من مضجعك) هذا على تقدير ان يكون المراد تدثره عليه الصلاة والسلام بالدثار الحقيقي واضطجاعه في مضجعه باحد الاسباب المذكورة وقوله او قم قيام عزم وجد على ان يراد تدثره عليه الصلاة والسلام بدثار النبوة والاصطفاء او بدثار الاختفاء بجبل حراء (قوله فانذر مطلق) يعني انه منزل منزلة اللازم حيث لم يقصد تعلقه بالمفعول ولم يذكر لفظا ولا تقدير التعميم والاختصار كما في قوله تعالى والله يدعو الى دار السلام اى يدعو العباد كلهم وهذا التعميم وان امكن ان يستفاد من ذكر المفعول بصيغة العموم لكنه يفوت الاختصار (قوله او مقدر بمفعول) اى عام او خاص حسبما تعين القرينة عمومه او خصوصه فان وجدت قرينة دلت على خصوص المفعول قدر خاصا فيقال تقديره قم فأنذر عشيرتك الاقربين العذاب ان لم يوجدوا بك وان وجد ما يدل على عمومه قدر عاما فيقال تقديره قم فانذر البشر كافة والمقدر بحسب دلالة القرينة عليه كالمذكور الذي قيد به الفعل صريحا فانه لما اعتبر تعلقه بمن وقع عليه سواء كان عاما او خاصا على حسب تعيين القرينة فقد قيد بتعلقه به وانما يصير مطلقا اذا لم يعتبر تعلقه به اصلا وكان المعنى فافعل الانذار من غير تخصيص له بأحد فكون الانذار حينئذ مطلقا ظاهر وكذا كونه مفيدا للتعميم في المفعول

وقرئ المدثر اى الذي دثر هذا الامر وعصب به (قم) من مضجعك او قم قيام عزم وجد (فانذر) مطلق للتعميم او مقدر بمفعول دل عليه قوله وأنذر عشيرتك الاقربين او قوله وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا

(وربك فكبر) وخصص ربك بالتكبير وهو وصفه بالكبرياء عقدا وقولا روى انه لما روى انه لما نزل كبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وايقن انه الوحي وذلك لان الشيطان لا يأمر بذلك والفاء فيه وفيما بعده لافادة معنى الشرط وكأنه قال وما يكن فكبر ربك اوللدلالة على ان المقصود الاول من الامر بالقيام ان يكبر ربه عن الشرك والتشبيه فان اول ما يجب معرفة الصانع واول ما يجب بعد العلم وجوده تنزيهه والقوم كانوا مقرين به (وثيابك فطهر) من النجاسات فان التطهير واجب في الصلاة محبوب في غيرها وذلك بغسلها او بحفظها عن النجاسة بتقصيرها مخافة جر الذيول فيها وهو اول ما امر به من رفض العادات المذمومة اوطهر نفسك من الاخلاق الذميمة والافعال الذميمة فيكون امرا باستكمال القوة العملية بعد امره باستكمال القوة النظرية والدعاء اليه او فطهر دثار النبوة عما يدنسه من الحقد والضجر وقلة الصبر (والرجز فاهجر) واهجر العذاب بالثبات على هجر ما يؤدي اليه من الشرك وغيره من القبائح وقرأ يعقوب وحفص والرجز بالضم وهو لغة كالذكر (ولا تمنن تستكثر) ولا تعط (جمع

(قوله وخصص ربك) مستفاد من تقديم المفعول (قوله عقدا) بان تعتقد انه تعالى منزه عن الشركاء والاضداد وعن مشابهة الممكنات والمحدثات (قوله وقولا) بان تقول الله اكبر (قوله والفاء فيه وفيما بعده لافادة معنى الشرط) فان حق الفاء السببية ان يكون مابعدها مسببا لازما لما قبلها فلما لم يذكر قبلها شئ يترتب عليه مابعدها علم ان ما بعدها جواب شرط محذوف وان المعنى وما يكن فكبر ربك اى اى شئ يكن فلا تدع تكبيره اى وصفه بالكبرياء وهذا آكد في افادة الاختصاص بالنسبة الى مجرد تقديم المفعول في نحو زيدا ضربت من جهة التعلق بالشرط العام الذي هو وقوع شئ ما فان قلت كيف يكون ربك مفعول كبر مع الفاء القاطعة عن العمل فيما قبلها قلنا الفاء في الحقيقة داخلة على الاسم اى مايكن فربك كبر (قوله اوللدلالة على ان المقصود الاول من الامر بالقيام ان يكبر ربه) عطف على قوله لافادة معنى الشرط اى اوهي فاء جواب الامر بالقيام المتعقب للانذار فان الامر بالقيام لما صح ان يكون سببا لتكبيره تعالى عن ان يكون له شريك وصاحبة وولد ونحو ذلك مما يزعم المشركون في حقه تعالى تحقق معنى الفاء من غير تقدير شرط آخر فكأنه قيل قم للانذار والتحذير من عذاب الله فتكبر ربك عما يقول الظالمون في حقه (قوله وذلك بغسلها او بحفظها عن النجاسة بتقصيرها) فيكون لفظ الثياب على حقيقتها ويحمل لفظ التطهير على المجاز او الكناية حيث ذكر اللازم واريد الملزوم فان التقصير مستلزم للطهارة قال عليه الصلاة والسلام ازار المؤمن الى انصاف ساقيه لاجناح عليه فيما بينه وبين الكعبين وماكان اسفل من ذلك ففي النار (قوله او طهر نفسك من الاخلاق الذميمة والافعال الذميمة) اى القبيحة شبه النفس بالثوب لكونه يلابس نفس الانسان ويشتمل عليه فعبر به عن النفس مجازا (قوله او فطهر دثار النبوة) على ان الثياب مجاز مستعار لحلة النبوة والكمالات النفسانية كالدثار امر عليه السلام بتطهيره دثار النبوة عما يدنسه من الحقد والضجر فان الكفار لما لقبوه بالساحر شق ذلك عليه جدا حتى رجع الى بيته وتدثر بثيابه فكان ذلك منه عليه الصلاة والسلام اظهار جزع وقلة صبر فقيل له عليه الصلاة والسلام قم فانذر ولا تحملنك سفاهتهم على ترك انذارهم بل حسن خلقك ووسع صدرك (قوله تعالى والرجز) قرآءة جمهور القرآء بكسر الراء وهو العذاب كما في قوله تعالى حكاية عن قوم موسى لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك اى لئن كشفت عنا العذاب (قوله ولا تمنن تستكثر) اى لا تعط شيئا من مالك لتأخذ اكثر منه فالمن بمعنى الاعطاء (قوله نهى عن الاستغرار) اى نهي تنزيه في حق

جميع المكلفين فان الاستغزار ليس بحرام في حق الجميع لقوله عليه الصلاة والسلام المستغزر يثاب من هبته اي يعوض منها والغزارة الكثرة يقال غزر الشئ يغزر بالضم فيهما غزارة فهو غزير اي كثر يكثر فهو كثير (قوله او نهيا خاصا به عليه الصلاة والسلام) اي نهي تحريم فان حرمة ذلك من خواصه عليه السلام لما فيه من الحرص والبخل فان اصل البخل الالتذاذ بامساك المال وجمعه (قوله اولا تمنن على الله بعبادتك) على انه من باب من عليه منة اذا امتن عليه واعتد بما فعله وعلى الاول كان من من عليه اذا انعم واعطى وقوله تستكثر على الوجهين مرفوع لفظا لتجرده عن الناصب والجازم ومنصوب محلا على انه حال من فاعل لا تمنن كقوله تعالى فذرهم في خوضهم يلعبون اي لا عبين والسين فيه على الاول للطلب وعلى الثاني للوجدان وان قرئ تستكثر بالسكون ففيه ثلاثة اوجه الاول انه مرفوع لكنه سكن اعتبارا بحال الوقف واجراء للوصل مجرى الوقف والثاني انه بدل من تمنن بدل اشتمال كانه قيل ولا تمنن ولا تستكثر فان شأن اهل الامتنان ان يستكثر مايعطيه وان يعتد به فصح ابداله منه بدل اشتمال والثالث ماذكره بقوله وتستكثر بمعنى تجده كثيرا مع انه يجوز ان تكون تستكثر مجزوما على انه جواب النهي على ان يكون المن بمعنى المنة والمعنى لا تمنن بعطيتك تستكثر وتتزود من الثواب الجزيل سلامة عطيتك من الابطال بالمن قال الله تعالى لاتبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى وذكر صاحب الكشاف وجها آخر لقرآءة السكون وهو قوله وان تشبه ثرو بعضد فيسكن تخفيفا (قوله وبالنصب على اضمار ان) ويؤيده قرآءة ابن مسعود رضي الله تعالى عنه ولا تمنن ان تستكثر اي لان تستكثر فيكون المن بمعنى الاعطاء اي لاتعط للاستكثار ونظير النصب باضمار ان قول الشاعر الا ايها الزاجري احضر الوغى بروايته على النصب (قوله وعلى هذا) اي وعلى تقدير ان يكون اصل الآية ولا تمنن ان تستكثر جاز ان يكون ارتفاع تستكثر لخلوه عن العوامل اللفظية بسبب حذف ان وابطال عملها لان ان لاتعمل مضمرة الا في مواضع مخصوصة وهذا الموضع ليس منها وعليه رواية رفع احضر في قوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى (قوله فاستعمل الصبر او فاصبر على مشاق التكاليف) الاول على ان يجعل فاصبر منزلا منزلة اللازم بان لايعتبر تعلقه بمايصبر عليه من الطاعات ومايصبر عنه من المعاصي والثاني ان يعتبر تعلقه بهذا المفعول العام المتناول لكل مصبور عليه وكل مصبور عنه لكنه ترك ذكره اعتمادا على القرينة لقصد التعميم مع الاختصار كانه قيل اذا سمعت هذه التكاليف من الافعال والتروك فاصبر عليها

مستكثرا نهي عن الاستغزار وهو ان يهب شيئا طامعا في عوض اكثر نهي تنزيه او نهيا خاصا به لقوله عليه الصلاة والسلام المستغزر يثاب من هبته والموجب له ما فيه من الحرص والضنة او لا تمنن على الله بعبادتك مستكثرا اياها او على الناس بالتبليغ مستكثرا به الاجر منهم او مستكثرا اياه وقرئ تستكثر بالسكون للوقف او الابدال من تمنن على انه من من بكذا وتستكثر بمعنى تجده كثيرا او بالنصب على اضمار ان وقد قرئ بها وعلى هذا يجوز ان يكون الرفع بحذفها وابطال عملها كما روى احضر الوغى بالرفع في قول الشاعر ❊ الا ايهذا الزاجري احضر الوغى ❊ وان اشهد اللذات هل انت مخلدي (ولربك) ولوجهه او امره (فاصبر) فاستعمل الصبر او فاصبر على مشاق التكاليف وأذى المشركين (فاذا نقر) نفخ (في الناقور) في الصور فاعول من النقر بمعنى التصويت واصله القرع الذي هو سبب الصوت

لاجل امر ربك اولوجهه الكريم ثم انه تعالى بعد ما ارشد رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم الى ماهو اللائق بشأنه ومنصبه شرع فى شرح وعيد الاشقياء و بيان ماهو المنذر منه فى حقهم فقال فاذا نقر فى الناقور والنقر فى الاصل بمعنى القرع والنكت الذى هو سبب لحدوث الصوت ومعلوم ان مباشرة ماهو سبب لحدوث الصوت راجع الى معنى التصويت وجعل الشئ بحيث يظهر منه الصوت فلذلك فسر المصنف النقر بالتصويت و اتفق المفسرون على ان الناقور الصور وهو القرن الذى ينفخ فيه اسرافيل عليه الصلاة والسلام مرة للاصعاق ومرة للاحياء وسماه الله تعالى باسمين احدهما الصور والآخر الناقور وهو فاعول من النقر بمعنى ماينقر فيه (قوله والفاء السببية) يعنى انها فاء جواب الامر كما فى قوله تعالى اخرج منها فانك رجيم وقولك اكرم زيدا فانه فاضل فان الفاء السببية قد تكون بمعنى لام التعليل وذلك اذا كان ما بعدها سببا لما قبلها كما فى الامثلة المذكورة وقد يكون ماقبلها سببا لما بعدها فتدخل على المسبب نحو زيد فاضل فاكرمه فانها دخلت على ماهو جزاء فى المعنى لان المعنى اذا كان كذا فاكرمه كما ان الاولى داخلة على ما هو شرط فى المعنى ومابعد الفاء فى الآية شرط فى المعنى اى اذا كان بين ايديهم يوم عسير يلقون فيه عقوبة أذاهم وتلقى انت ثواب صبرك عليه فاصبر والفاء فى قوله فذلك فاء الجزاء فان اذا شرطية وجواب الشرط قوله فذلك يومئذ يوم عسير وذلك الجزاء دل على عسر وهو العامل فى اذا والمعنى اذا نقر فى الناقور عسر الامر على الكافرين وذلك مبتدأ و يوم عسير خبره و يومئذ مرفوع المحل على انه بدل من ذلك و بنى على الفتح لاضافته الى اذ وهو غير متمكن كانه قيل فيوم اذا نقر فى الناقور يوم عسير (قوله اذا لتقدير فذلك الوقت وقوع يوم عسير) جواب عما يرد على قوله و يومئذ ظرف لخبر المبتدأ وهو يوم عسير من ان يومئذ كيف يكون ظرفا ليوم عسير والزمان لايكون ظرفا للزمان وانما يكون ظرفا للحدث فاجاب بان المراد من اليوم العسير وقوعه وان يومئذ ظرف لوقوعه لا لنفس اليوم و يرد على هذا الجواب ان يومئذ كيف يكون ظرفا للوقوع ومعمول المصدر لايتقدم عليه فينبغى ان يكون مراده بكون يومئذ ظرفا لوقوع يوم عسير كونه حالا من يوم عسير مقدما عليه والمعنى وقت النقر يوم عسير واقعا ذلك اليوم العسير يوم النقر فاليوم الذى عبر عنه بيومئذ عبارة عن الزمان الممتد الطويل والزمان الذى حكم عليه بانه يوم عسير جزء من ذلك الزمان الممتد واقع فى ذلك الزمان الممتد ولما كان يومئذ ظرفا واقعا موقع الحال من يوم عسير بمعنى واقعا فيه عبر عن هذا

ثم الفاء السببية كأنه قال اصبر على أذاهم فبين ايديهم زمان صعب تلقى فيه عاقبة صبرك واعداؤك عاقبة ضرهم واذا ظرف لمادل عليه قوله (فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين) فان معناه عسر الامر على الكافرين وذلك اشارة الى وقت النقر وهو مبتدأ خبره يوم عسير و يومئذ بدله او ظرف لخبره اذ التقدير فذلك الوقت وقوع يوم عسير

(غير يسير) تأكيد يمنع ان يكون عسيرا عليهم من وجه دون وجه ويشعر بيسره على المؤمنين (ذرنى ومن خلقت وحيدا) نزل فى الوليد بن المغيرة ووحيدا حال من الياء اى ذرنى وحدى معه فانى اكفيكه او من التاء اى ومن خلقته وحدى لم يشركنى فى خلقه احدا ومن العائد المحذوف اى ومن خلقته فريدا لامال له ولا ولدا وذم فانه كان ملقبا به فسماه الله تعالى به تهكما او ارادة انه وحيد ولكن فى الشرارة او عن ابيه لانه كان زنيما (وجعلت له مالا ممدودا) مبسوطا كثيرا او ممدا بالنماء وكان له الزرع والضرع والتجارة (وبنين شهودا) حضورا معه بمكة يتمتع بلقائهم لا يحتاجون الى سفر لطلب المعاش استغناء بنعمته ولا يحتاج ان يرسلهم فى مصالحه لكثرة خدمه او فى المحافل والاندية لوجاهتهم واعتبارهم قيل كان له عشرة بنين او اكثر كلهم رجال فاسلم منهم ثلاثة خالد وعمارة وهشام (ومهدت له تمهيدا) وبسطت له الرياسة والجاه العريض حتى لقب ريحانة قريش والوحيد اى باستحقاق الرياسة والتقدم

المعنى بقوله اذا التقدير فذلك الوقت وقوع يوم عسير (قوله تأكيد يمنع ان يكون عسيرا عليهم من وجه دون وجه) جواب عما يقال ما فائدة قوله غير يسير مع ان قوله عسير مغن عنه ووجه كونه تأكيدا ظاهر ووجه كونه نافيا لليسر بالكلية ان قوله يسير نكرة فى سياق النفى فيعم جميع افراده ووجه كونه مشعرا بيسره على المؤمنين انه لما أكد كونه عسيرا على الكافرين كان المعنى انه غير يسير بالنسبة الى الكافرين فكان تعريضا بانه يسير على المؤمنين كما ان قوله تعالى وظل من يحموم لابارد ولا كريم تعريض بظل الجنة وهذا اغيظ للكافرين بجمعه بين وعيد الكافرين وزيادة غيظهم وبشارة المؤمنين وتسليتهم وقوله تعالى على الكافرين متعلق بعسير لا بيسير لانه لما لم يجز تقديم المضاف اليه على المضاف كان عدم جواز تقديم معمول المضاف اليه عليه اولى ثم انه تعالى لما بين ان اليوم الذى ينفخ فيه فى الناقور يوم عسير على الكافرين قال له عليه الصلاة والسلام خل بينى وبين الوليد بن المغيرة الذى نعت فى قومه بالوحيد زعما منهم انه لا نظير له فى وجاهته ولا فى ماله وكان ينعت نفسه ويقول انا الوحيد بن الوحيد ليس لى فى العرب نظير ولا لابى نظير ايضا فسماه الله تعالى بذلك تهكما واستهزاء كقوله تعالى ذق انك انت العزيز الكريم هذا على تقدير كون قوله وحيدا منصوبا على الذم بتقدير اعنى (قوله او ارادة انه وحيد) عطف على قوله تهكما اى سماه به على ارادة انه وحيد فى الكفر والخبث وانواع الشرارة او على ارادة انه وحيد عن ابيه اى لا اب له والزنيم من الحق بالقوم وليس منهم (قوله مبسوطا كثيرا) وصف بان ماله ممدود لامتداد مكانه وتكثيره ايضا فان المال الكثير اذا عد يمتد عدده والمال الذى يمتد مكانه يوصف بالامتداد لامتداده بحسب امتداد مكانه قال ابن عباس كان له مال ممدود ما بين مكة الى الطائف الابل والخيل والغنم والبساتين الكثيرة بالطائف والاشجار والانهار والنقد الكثير وقال مقاتل كان له بستان لا ينقطع نفعه صيفا ولا شتاء فالممدود هنا كما فى قوله وظل ممدود اى لا ينقطع او ممدود بالنماء بان يكون نماء ماله ممدا لاصله يقال مددنا القوم اى صرنا مددهم وامددناهم بغيرنا او مددناهم بفاكهة ولما ذكر الله تعالى كثرة امواله وبنيه بين انبساط جاهه ورياسته فان الاولين لا يستلزمان الثالث فقال ومهدت له تمهيدا حذف معمول مهدت للتفخيم مع الاختصار فاتم الله تعالى فيه نعمة المال والجاه والبنين واجتماع هذه الثلاث هو الكمال عند اهل الدنيا وكان الوليد من اكابر قريش ولذلك لقب بالوحيد وريحانة قريش والريحان نبت معروف ويطلق على الرحمة والراحة وعلى الرزق ايضا قال عليه الصلاة والسلام

(ثم يطمع ان ازيد) على ما اوتيه وهو استبعاد لطمعه اولانه لامزيد على ما أوتى اولانه لايناسب ما هو عليه من كفران النعم ومعاندة المنعم ولذلك قال) كلا انه كان لآياتنا عنيدا) ﴿ ١٠٤ ﴾ فانه ردع له عن الطمع وتعليل للردع على سبيل الاستئناف بمعاندة آيات المنعم المناسبة لازالة النعمة المانعة عن الزيادة قيل مازال بعد نزول هذه الآية فى نقصان ماله حتى هلك (سأرهقه صعودا) سأغشيه عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما يلقى من الشدآئد وعنه عليه الصلاة والسلام الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوى فيه كذلك ابدا (انه فكر وقدر) تعليل للوعيد او بيان للعناد والمعنى فكر فيما تخيل طعنا فى القرءآن وقدر فى نفسه ما يقول فيه (فقتل كيف قدر) تعجيب من تقديره استهزآء به او لانه اصاب اقصى ما يمكن ان يقال عليه من قولهم قتله الله ما اشجعه اى بلغ فى الشجاعة مبلغا يحق ان يحسد ويدعو عليه حاسده بذلك روى انه مر بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يقرأ حم السجدة فأتى قومه وقال لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ماهو من كلام الانس والجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه ليعلو ولا يعلى فقال قريش صبأ الوليد فقال ابن اخيه ابوجهل انا أكفيكموه فقعد اليه حزينا وكلمه بما احماه

الولد رضوان الله تعالى اى رزقه (قوله ان ازيد على ما اوتيه) اى ان ازيد عليه فى الدنيا لانه مشرك والمشرك لايؤمن بالبعث والجزآء حتى يطمع ان يثاب فى الآخرة زيادة على ما اوتى فى الدنيا فيكون قوله تعالى كلا ردعا له عن طمعه وطلب الزيادة فى الدنيا ويؤيده ما روى انه بعد ما نزل قوله تعالى كلا انه كان لآياتنا عنيدا مازال فى نقصان من ماله وولده ومات فقيرا وعن الحسن انه قال ثم يطمع ان ازيد فاعطيه مالا وولدا كما قال تعالى افرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا (قوله ردع له عن الطمع وتعليل) يعنى ان قوله كلا ردع وقوله انه كان لآياتنا عنيدا تعليل للردع على سبيل الاستئناف كأنه قيل لم حرم مما طمع فيه وانعكس حاله فاجيب بان شأنه ان يعاند آيات الله فكيف يبقى ما انعم به عليه فضلا عن ان يزيد عليه (قوله سأغشيه عقبة) فسر الارهاق بالاغشاء والتكليف كما فى قوله تعالى فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا وفسر الصعود بالعقبة الشاقة المصعد والمعنى سأكلفه مشقة العذاب روى عنه عليه الصلاة والسلام ان الصعود جبل من نار يكلف ان يصعده فاذا وضع عليه يده ذابت فاذا رفعها عادت فاذا وضع عليه رجله ذابت فاذا رفعها عادت (قوله او بيان للعناد) اى ويجوز ان يكون قوله تعالى انه فكر وقدر بدلا من قوله انه كان لآياتنا عنيدا لبيان كنه عناده فيكون قوله سأرهقه صعودا جملة معترضة بين البدل والمبدل منه لبيان انه مع كونه محروما مما طمع فيه من ان زاد على ما عنده من الاموال والابناء فهو من اشد اهل النار عذابا يوم القيامة (قوله استهزاء به اولانه اصاب اقصى ما يمكن ان يقال عليه) اى على القرءآن يعنى ان لفظ قتل كيف قدر انما يذكر عند التعجب والاستفهام وما تخيله طعنا فى القرءآن فى غاية الركاكة والسقوط ويحتمل ان يكون تعجبا من قوة خاطره فى نفس الامر اى اصاب ما لم يبلغ اليه ذهن امثاله من المعاندين (قوله روى انه مر بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم اشارة الى كونه معاندا فى انكار آيات الله تعالى حيث اعترف بانه يعلو ولا يعلى وبيان لما حمله على التفكير والتقدير وهو انه لما رأى ان القرءآن لايشبه كلام الشعرآء ولا كلام الكهنة ولا كلام المجانين ولا شيئا من كلام الانس والجن قال ان له لحلاوة لاشتماله على المعانى اللطيفة والاحكام الموافقة لمقتضى الحكمة وان عليه لطلاوة وهى بفتح الطاء وضمها بمعنى الحسن والقبول والماء الغدق اى الكثير ومكان غدق اى كثير مخصب وقوله ان اعلاه لمثمر واسفله

فقام فأتاهم فقال تزعمون أن محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق وتقولون انه كاهن فهل رأيتموه يتكهن وتزعمون انه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرا فقالوا لا فقال ماهو الا ساحرا مارأيتموه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه ففرحوا بقوله وتفرقوا متعجبين منه (ثم قتل كيف قدر) تكرير للمبالغة وثم للدلالة على ان الثانية ابلغ من الاولى وفيما بعد على اصلها (ثم نظر) اى في امر القرآن مرة بعد اخرى (ثم عبس) قطب وجهه لما لم يجد فيه طعنا ولم يدر مايقول او نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطب في وجهه (وبسر) اتباع لعبس (ثم ادبر) عن الحق او الرسول (واستكبر) عن اتباعه (فقال ان هذا الا سحر يؤثر) يروى ويتعلم والفاء للدلالة على انه لما خطرت هذه الكلمة بباله تفوه بها من غير تلبث وتفكر (ان هذا الا قول البشر) كالتأكيد للجملة الاولى ولذلك لم يعطف عليها (سأصليه سقر) بدل من سارهقه صعودا (وما ادراك ما سقر) تفخيم لشأنها وقوله

لغدق استعارة بالكناية شبه القرآن العظيم في نفسه بشجرة غضة طرية استحكم اصلها بكثرة الماء في اسفلها وعلا فرعها في السماء واثبت له الاعلى والاسفل واثبت لاعلاه ثمارا ولاسفله غدقا على طريق التخييل ولما رآه كما وصفه وكان مجبولا على المكابرة والعناد والتعصب والحسد لاجرم حمله خبث طبعه على ان يتفكر فيما يخيل طعنا في القرآن وان يقدر في نفسه ما يقول في حقه (قوله فقام فأتاهم) اى فقام الوليد واتى قريشا فقال لهم ما تقولون في هذا الرجل فقالوا نقول انه شاعر فعبس عندها فقال قد سمعنا بقول الشعر فما يشبه قوله الشاعر فقالوا نحن نقول انه كاهن فقال كيف تقولون ذلك وانكم لا تجدونه يحدث بما يحدث به الكهنة فقالوا نحن نقول انه مجنون فقال كيف تنسبون اليه الجنون وما رأيتموه يخنق قال ذلك بناء على زعمهم ان الجن والشياطين تخنق المجنون فقالوا له فانقول في حقه فأخبرهم بما قدر في نفسه ان يقول في حقه عليه الصلاة والسلام فقال ماهو الا ساحر وما كلامه الا سحر يفرق بين الاحبة فقبلوا منه ذلك ورضوا به فخرجوا من عنده فجعل ما يلق احد منهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الا قال ياساحر ياساحر واشتد على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فرجع الى منزله فتدثر فاضطجع حزينا متفكرا في امره فانزل الله يا أيها المدثر الى قوله ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر يعني انه كلام الانس وليس من عند الله (قوله تكرير للمبالغة) اى للمبالغة في المعنى الذي قصد بايراده اولا وهو استعظام حسن تقديره استهزاء واستعظاما لقوة تخيله في نفس الامر بعد الدعاء عليه باللعن حتى جيء بكلمة ثم للدلالة على ان الكرة الثانية ابلغ في الاستعظام واللعن من الكرة الاولى يعني ان كلمة ثم في قوله ثم قتل للتراخي بحسب الرتبة وفيما بعده على اصلها اى للتراخي بحسب الزمان اى ثم اعاد النظر والتأمل في طلب ما يدفع به القرآن ويرد مارجيا ان يتضح له ما لم يطلع عليه في المرة الاولى فلم يتهيأ له ذلك فلذلك عبس اى كلح وقطب ما بين عينيه وقبضه تغيظا من عدم وجدانه ما يدفع به القرآن فاضطر الى ان قال ان هذا الا سحر يؤثر اى يتعلم ويؤخذ من الغير وليس هو عين سحره بنفسه من قولك اثرت الحديث آثره اثرا اذا حدثت به عن قوم في آثارهم اى بعد ماماتوا هذا هو الاصل في اطلاقه ثم صار بمعنى الرواية عن الغير مطلقا (قوله والفاء للدلالة) يعني انه تعالى لم يقل ثم قال ان هذا للدلالة على ان الكلمة الشنعاء لما خطرت بباله بعد طلب ما يطعن به في القرآن ولم يتمالك ان يتفوه بها من غير تلبث حيث لم يجد غير ذلك قالها عتوا وعنادا لا عن اعتقاد لما روى انه قال حين سمع حم السجدة لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ماهو من كلام الانس والجن فكيف يقول

بعد ذلك ان هذا القول البشر عن اعتقاد انتهى (قوله بيان لذلك) اى لما يجل من فخامة شأنها اى لا تبقى لهم لحما الا اكلته ولاتذرهم اذا اعيدوا خلقا جديدا الا اكلتهم مرة اخرى وهكذا ابدا (قوله والعامل فيها معنى التعظيم) اى المستفاد من ما الاستفهامية فى قوله ماسقر فانه يستنبط منها معنى التعظيم والمعنى استعظم امرها فى كونها لاتبقى ولاتذر قوله لاتبقى على شئ يلقى فيها) اى لاتترحم عليه وفى الصحاح ابقيت عليه اذا رعيت عليه ورحمته يقال لا ابقى الله عليك ان ابقيت على وفيه ايضا يقال ارعيت عليه اذا ابقيت عليه ورحمته (قوله ولاتدعه حتى تهلكه) يعنى انها لاتقنع بمجرد التعذيب بنوع من انواع العذاب بل تبالغ فى تعذيبه الى ان تهلكه وقيل قوله لا تبقى ولاتذر لفظان مترادفان بمعنى واحد كرر للتأكيد كقولك صدعنى واعرض (قوله مسودة لاعالى الجلد) فسر قوله لواحة بمسودة ومغيرة للبشرة واعالى الجلد اى ظواهره اشارة الى ان لواحة اسم فاعل مبنى للمبالغة من لاحه السفر والعطش اى غيره وسوده وهى لواحة اى مغيرة ومسودة قيل تلفح وجوههم النار لفحة تدعها اشد سوادا من الليل والبشر جمع بشرة وهى ظاهر الجلد وتوصيفها بتسويد البشرة لاينافى قوله تعالى لاتبقى ولاتذر لان ذلك بعد الالقاء فيها والتسويد قبله (قوله اولائحة للناس) على ان لواحة اسم فاعل من لاح يلوح بمعنى ظهر وقيل لواحة للتهويل والبشر بمعنى الناس قيل انها تلوح للناس من مسيرة خمسمائة عام قال الله تعالى وبرزت الجحيم لمن يرى وقال لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين (قوله وقرئت بالنصب) اى بتقدير اعنى وقيل منصوبة على انها حال من سقر والعامل معنى التعظيم اومن المنوى فى لاتبقى ولاتذر وقرأ الجمهور لواحة بالرفع بتقدير هى لواحة (قوله ملكا اوصنفا) يعنى ان تمييز تسعة عشر يحتمل ان يكون الاشخاص الذين يلون امر سقر ويسلطون على اهلها من الملائكة وان يكون اصنافا منهم ولايعلم عدد كل صنف منهم الا الله وقيل هذه التسعة عشر عدد الرؤساء والنقباء واما جملة اشخاصهم فكما قال الله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو روى ان خزنة النار تسعة عشر ملكا مالك ومعه ثمانية عشر اعينهم كالبرق الخاطف وانيابهم كالصياصى واشعارهم تمس اقدامهم يخرج لهب النار من افواههم ما بين منكبى الواحد منهم مسيرة سنة يسع كف احدهم مثل ربيعة ومضر نزعت منهم الرحمة والرأفة يرفع الواحد منهم سبعين الفا فى كفه فيرميهم حيث اراد فى جهنم (قوله والمخصص لهذا العدد) قال ارباب الحكمة فى وجه اختصاص خزنة النار بهذا العدد ان سبب فساد النفوس الانسانية فى قواها النظرية والعملية هو

(لاتبقى ولا تذر) بيان لذلك اوبحال من سقر والعامل فيها معنى التعظيم والمعنى لا تبقى على شئ يلقى فيها ولا تدعه حتى تهلكه (لواحة للبشر) مسودة لاعالى الجلد او لائحة للناس وقرئت بالنصب على الاختصاص (عليها تسعة عشر) ملكا او صنفا من الملائكة يلون امرها والمخصص لهذا العدد ان اختلال النفوس البشرية فى النظر والعمل بسبب القوى الحيوانية الاثنى عشرة والطبيعية السبع اوان لجهنم سبع دركات

القوى الحيوانية والطبيعية اما القوى الحيوانية فهي الخمس الظاهرة والخمس الباطنة والشهوة والغضب مجموعها اثنا عشرة واما القوى الطبيعية فهي الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والغاذية والنامية والمولدة وهذه سبع قوى والمجموع تسع عشرة فلما كان منشأ الآفات هو هذه التسع عشرة لاجرم كان عدد الزبانية هكذا فاستولى على الانسان ملك اوصنف من الزبانية بمقابلة كفرانه بكل واحدة من هذه القوى التي كل واحدة منها نعمة الهية يتوسل بها الى الاستكمال بحسب القوى النظرية والعملية وقد توسل بها الى معصية من انعم بها عليه والمراد بالقوى الحيوانية القوى التي تخص الحيوان من بين المولدات الثلاث الحيوان والنبات والمعدن وهي قسمان مدركة وفاعلة فالمدركة عشر وهي التي لها مدخل في الادراك بالمشاهدة اوالحفظ وهي الحواس الظاهرة والباطنة والفاعلة اثنتان الشهوة والغضب والقوى الطبيعية وهي التي لاتختص بالحيوان بل توجد في النبات ايضا سبع ثلاث منها مخدومة وهي الغاذية والنامية والمولدة واربع منها خوادم وهي الجاذبة والهاضمة والماسكة والدافعة (قوله ست منها لاصناف الكفار) وهم اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الاوثان وعبدة الملائكة وعبدة الشمس واهل كل دركة من دركات جهنم يعذبون فيها لامور ثلاثة ترك الاعتقاد وترك الاقرار وترك العمل فيكون في كل دركة ثلاثة انواع من العذاب كل نوع يناسب امرا من تلك الامور الثلاثة التي هي اسباب تعذيبهم فيها فيكون في ست دركات جهنم ثمانية عشر نوعا من العذاب يلي امر كل نوع من هذه الانواع شخص من الزبانية اوصنف منهم فيكون مجموع اشخاص الزبانية او اصنافها ثمانية عشر واما دركة الفساق فانهم لايعذبون فيها الا بترك العمل فيكون فيها نوع واحد من العذاب يناسب تلك الجريمة يستولى على ذلك النوع الواحد من العذاب ملك اوصنف واحد من الزبانية فيكون المجموع تسعة عشر (قوله اوان الساعات اربع وعشرون) يعني خصت اعداد الزبانية بكونها تسعة عشر بناء على ان الساعات التي خصت لتصرف في المعصية كذلك فكان اعداد من يتولى تعذيب العصاة ايضا تسعة عشر على عدد ساعات المعصية فيتولى كل واحد منهم مجازاة المعصية الواحدة الواقعة في ساعة واحدة من تلك الساعات (قوله فيما هو كاسم واحد) فان تسعة عشر ليس اسما واحدا في الاصل وانما جعل اسما واحدا بالتركيب فان اصله تسعة وعشرة فحذفوا الواو وجعلوا الاسمين اسما واحدا ولذلك بني الاسم الاول على الفتح لكون آخره وسط الكلمة بسبب التركيب وبني الاسم الثاني ايضا لتضمنه معنى حرف

ست منها لاصناف الكفار وكل صنف معذب بترك الاعتقاد والاقرار والعمل انواعا من العذاب يناسبها وعلى كل نوع ملك او صنف يتولاه وواحدة لعصاة الامة يعذبون فيها بترك العمل نوعا يناسبه ويتولاه ملك اوصنف اوان الساعات اربع وعشرون خمس منها مصروفة في الصلاة فتبقى تسع عشرة قد تصرف فيما يؤاخذ به بانواع من العذاب يتولاها الزبانية وقرئ تسعة عشر بسكون العين كراهة توالي الحركات فيما هو كاسم واحد

العطف وهذا الاسم المركب فى الآية فى محل الرفع على الابتداء وعليها خبره وكثرة الحركات فيما هو كالكلمة الواحدة يوجب الثقل فلذلك اسكن اول الاسم الثانى للتخفيف و جعل ذلك امارة لقوة اتصال احد الاسمين بالآخر انتهى (قوله وتسعة اعشر جمع الخ) يعنى ان تسعة اسم عدد اضيف الى تميزه وهو اعشر جمع عشير يعنى معاشر ومصاحب كانه قيل عليها تسعة ملائكة كل واحد منهم معاشر بجماعة ومدبر امرهم ومعينهم ومبلغ الجماعة غير معلوم (قوله ولايستروحون) اى لايميلون ولايلاينون مع المعذبين وفى الصحاح استروح اليه اى استنام وفيه ايضا استنام اليه اى سكن اليه واطمأن روى انه لما نزل قوله تعالى عليها تسعة عشر قال ابوجهل لقريش ثكلتكم امهاتكم قال ابن ابى كبشة ان خزنة النار تسعة عشر يخوفكم بهم وانتم الجمع العظيم وروى وانتم البهم اى الشجعان الاقوياء العجز كل مائة منكم ان يبطشوا بواحد منهم ثم يخرجوا من النار فقام ابو الاسود بن اسيد بن كلدة وهو رجل من بنى جمح وكان من شجعان العرب واقويائهم وكان يقوم على اديم و يجتمع جماعة على ان يجروه من تحت رجليه و يزيلوا رجليه عنه فلم يستطيعوا و ينقطع الاديم قطعا قطعا ورجله ثابتة على حالها فقال يا معشر قريش اذا كان يوم القيامة فانا امشى بين ايديكم على الصراط فارفع عشرة بمنكبى الايمن وعشرة بمنكبى الايسر عن النار و نمضى حتى ندخل الجنة وروى انه قال انا اكفيكم سبعة عشر منهم فاكفونى انتم اثنين منهم فلما قال ابوجهل وابو الاسود ذلك قال المسلمون ويحكم لاتقاس الملائكة بالحداد ين فجرى هذا مثلا فى كل شيئين لاتساوى بينهما والمعنى لاتقاس الملائكة بالسجانين والحداد السجان الذى يحبس الناس و يمنعهم من الخروج من السجن فانزل الله تعالى وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة اى لم نجعلهم من جنسكم فتساوونهم فان قوة واحد منهم اعظم من قوة الانس والجن جميعا فلا يطيقهم البشر ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا والجنسية لما كانت مظنة الرأفة والرحمة جعل الله تعالى خزنة النار مخالفين للمعذبين فيها بحسب الجنس لئلا يرقوا لهم (قوله وما جعلنا عدتهم الا العدد الذى اقتضى فتنتهم) جواب عما يقال ان جعل من نواسخ الابتداء فوجب ان يكون مفعوله الثانى مما يصح ان يحمل على مفعوله الاول ولايصح ان يحمل فتنة الكفار على عدد الزبانية وتقرير الجواب ان المراد بقوله تعالى وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا وما جعلنا عدتهم الا تسعة عشر الا انه وضع قوله فتنة للذين كفروا موضع تسعة عشر لكون افتتان الكفار اثر العدد المذكور فعبر عن المؤثر بلفظ الدال على الاثر تنبيها على ان الاثر من لوازم ذلك المؤثر

وتسعة عشر جمع عشير كيين وايمن اى تسعة كل عشير جمع يعنى نقيبهم او جمع عشر فيكون تسعين (وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة) ليخالفوا جنس المعذبين فلا يرقون لهم ولايستروحون اليهم ولانهم اقوى الخلق بأسا واشدهم غضبا لله تعالى روى ان اباجهل لما سمع عليها تسعة عشر قال لقريش ايعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا برجل منهم فنزلت (وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا) وما جعلنا عددهم الا العدد الذى اقتضى فتنتهم وهو التسعة عشر فعبر بالاثر عن المؤثر تنبيها على انه لاينفك منه وافتتانهم به استقلالهم له واستهزاؤهم به واستبعادهم ان يتولى هذا العدد القليل تعذيب اكثر الثقلين

ثم بين ان الكفار افتتنوا بالعدد المذكور من جهة استقلالهم اياه واستبعادهم
ان يكون هذا العدد وافيا بتعذيب اكثر خلق العالم ومن جهة استهزائهم به
قائلين لم لم يكونوا عشرين وكانوا اقل منه بواحد (قوله ولعل المراد الجعل
بالقول) جواب عما يقال كيف يصح جعلهم فى نفس الامر على هذا القدر معللا
وسببا لاستيقان اهل الكتاب وازدياد المؤمنين ايمانا واستبعاد اهل الشك والنفاق
وليس ايجادهم واحداثهم تسعة عشر سببا لشئ من ذلك وانما السبب ما ذكر
من الامور هو الاخبار عن عددهم بانه تسعة عشر وتقرير الجواب ان الجعل
يطلق على معنيين احدهما جعل الشئ متصفا بصفة فى نفس الامر وثانيهما
الاخبار باتصافه بها و يقال له الجعل بالقول كما فى قوله تعالى وجعلوا الملائكة
الذين هم عباد الرحمن اناثا ولعل المراد بالجعل المذكور فى الآية الجعل بالمعنى
الثانى والمعنى وماجعلنا عدتهم بالاخبار عنها الا عددا يلزم افتتان الكفار به
لاستيقان اهل الكتاب وازدياد المؤمنين ايمانا واستبعاد اهل الشك والنفاق اياه
فحينئذ يظهر وجه السببية وعبر عن الاخبار عن العدد بالجعل للمشاكلة
لوقوعه فى صحبة قوله وماجعلنا اصحاب النار الا ملائكة كقوله قلت اطبخوا لى
جبة وقميصا (قوله لما رأوا ذلك موافقا لما فى كتابهم) فان العدد المذكور
لما كان موجودا فى كتابهم وانه عليه الصلاة والسلام اخبر عنه على وفق
ذلك من غير سابقة دراسة وتعلم ظهر لهم انه عليه الصلاة والسلام انما
علم ذلك بسبب الوحى الالهى فيستيقنون بنبوته عليه الصلاة والسلام
و بكون القرءآن كلاما آلهيا (قوله بالايمان به او بتصديق اهل
الكتاب له) فعلى الاول يكون المراد بالازدياد الازدياد بحسب الكمية
لازدياد متعلقه فان الايمان قد كان يزداد به يوما فيوما فى زمان الوحى
بحسب ازدياد مايجب الايمان به فان من آمن بجميع ما جاء من عند الله
قبل نزول مايدل على عدد الزبانية اذا نزل عليهم قوله تعالى عليها تسعة
عشر فآمنوا به ايضا فلاشك انه يزداد ايمانهم بحسب الكمية لازدياد متعلقه
وعلى الثانى يكون المراد بالازدياد ازدياد يقينهم قوة بتصديق اهل الكتاب به
و بموافقة كتابهم لكتاب اولئك كما استيقن اولئك لموافقة كتابهم لكتابنا
(قوله وهو تأكيد للاستيقان وزيادة الايمان) جواب عما يقال لما اثبت
الاستيقان لاهل الكتاب واثبت زيادة الايمان للمؤمنين فما الفائدة فى قوله بعد ذلك
ولايرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون وتقرير الجواب الاول كونه تأكيدا
وتقرير الجواب الثانى ان المتيقن قد يعتريه شك وارتياب بسبب غفلته عن
مقدمة من مقدمات دليله اوطريان مايتوهم كونه واقعا اومعارضا لتلك المقدمة

ولعل المراد الجعل بالقول ليحسن تعليله بقوله (ليستيقن الذين اوتوا الكتاب) اى ليكتسبوا اليقين بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وصدق القرءآن لما رأوا ذلك موافقا لما فى كتابهم (ويزداد الذين آمنوا ايمانا) بالايمان به او بتصديق اهل الكتاب له (ولايرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون) اى فى ذلك وهو تأكيد للاستيقان وزيادة ايمان اونفى لما يعرض للمتيقن حيثما عراه شبهة (وليقول الذين فى قلوبهم مرض) شك اونفاق

فثبوت اليقين في بعض الاحوال لاينا في طريان الارتياب بعد ذلك فالمقصود من ذكر هذا الكلام بعد ذلك بيان ان المراد من الاستيقان والازدياد المذكورين قبل ان يكونا بحيث لايطرأ عليهما شك وارتياب اصلا (قوله فتكون الآية اخبارا بمكة) جواب عما يقال كيف يصح ان يفسر المرض بالنفاق والحال ان السورة مكية من اوائل ما نزل فيها ولم يكن بمكة نفاق لان اهلها اما مكذب قاطع بالتكذيب او شاك غير مصدق ولا مكذب واما مؤمن حقا والنفاق انما حدث بالمدينة بعد الهجرة اليها وتقرير الجواب ان قوله تعالى وليقول المنافقون والكافرون لايقتضي تحقق النفاق وقت النزول بل يجوز ان يكون مبنيا على انه قد تقرر في علم الله تعالى انه سيحدث قوم منافقون يقولون ذلك فعلى هذا تكون هذه الآية معجزة له عليه الصلاة والسلام حيث اخبر عن غيب سيقع وقد وقع على وفق اخباره فان قيل كيف يصح ان يكون قول الكافرين والمنافقين ماذا اراد الله بهذا مثلا مقصودا من الاخبار عن عدد الزبانية والقول المذكور كفر وضلال فكيف يصح ان يريده الله تعالى فالجواب انه لا اشكال فيه على اصلنا لانه تعالى يهدي من يشاء ويضل من يشاء (قوله المستغرب استغراب المثل) اشارة الى ان اطلاق المثل على هذا العدد على سبيل الاستعارة حيث شبهه بالمثل المضروب الذي هو القول السائر في الغرابة حيث لم يكن عقدا تاما كعشرين او ثلاثين وكان ناقصا عنه بواحد والاستفهام فيه للانكار والمراد بانكاره انكار انه من عند الله وقوله مثلا تمييز لهذا او حال منه كقوله هذه ناقة الله لكم آية (قوله وقيل لما استبعدوه) اي لما كان هذا العدد عددا عجيبا ظن القوم ان ليس مراد الله تعالى منه ما اشتهر به ظاهره بل جعله مثلا لشيء آخر وتنبيها على مقصود آخر كسائر الامثال السائرة فسموه مثلا بالمعنى العرفي فان قيل القوم كانوا منكرين كون القرآن من عند الله تعالى فكيف قالوا ماذا اراد الله بهذا مثلا اجيب بان الذين في قلوبهم مرض ان كان المراد بهم المنافقين فهم كانوا مقرين في الظاهر بان القرآن من عند الله فلاجرم قالوا ذلك باللسان وان كان المراد بهم الكفار فيجوز ان يقولوا ذلك على سبيل التهكم او على سبيل الفرض والاستدلال بان القرآن لو كان من عند الله لما كان فيه مثل هذا الكلام (قوله مثل ذلك المذكور من الاضلال والهدى) اشارة الى ان محل الكاف في كذلك النصب على انه نعت لمصدر محذوف اي يضل اضلالا مثل ذلك وان ذكره اشارة الى ما تقدم ذكره من الاضلال والهدى في قوله وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون وفي قوله ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايمانا اي كاضلال الله اباجهل واصحابه المنكرين لخزنة

فتكون الآية اخبارا بمكة عما سيكون في المدينة بعد الهجرة (والكافرون) الجازمون في التكذيب (ماذا اراد الله بهذا مثلا) اي شيء اراد بهذا العدد المستغرب استغراب المثل وقيل لما استبعدوه حسبوا انه مثل مضروب (كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء) مثل ذلك المذكور من الاضلال والهدي يضل الكافرين ويهدي المؤمنين (وما يعلم جنود ربك) جموع خلقه على ما هم عليه (الا هو) اذ لاسبيل لاحد الى حصر الممكنات والاطلاع على حقائقها وصفاتها وما يوجب اختصاص كل منها بما يخصه من كم وكيف واعتبار ونسبة

جهنم وعددهم يضل و يخزى من يشاء و يهدى و يرشد من يشاء كارشاد الصحابة ثم ان ابا جهل لما استقل خزنة جهنم وقال وليس لتعذيب العصاة من الجنود الا تسعة عشر قال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو والمراد من بيان كثرتها التنبيه على انه تعالى لا يعسر عليه تتميم الخزنة عشرين ولكن له تعالى فى اختيار هذا العدد حكمة لا يعلمها الا هو و يحتمل ان يكون المعنى وما يعلم عدد الملائكة الذين خلقهم الله تعالى لتعذيب اهل النار الا هو وكون خزنة النار تسعة عشر لا ينافى ان يكون لهم من الاعوان ما لا يعلم عددهم الا الله (قوله وما سقر اوعدة الخزنة اوالسورة الا ذكرى) فان سقر بما ذكر من صفاتها من كونها لا تبقى ولا تذر الخ تذكرة للبشر اى انذار لهم بسوء عاقبة الكفر والعناد وكذا ذكر عدة الخزنة تذكرة لهم ليتذكروا و يعلموا كمال قدرة الله تعالى وان لا يحتاج فى تعذيب الكفار والعصاة الى اعوان وانصار وكذا السورة تذكرة لهم لاشتمالها على الانذار وغيره (قوله وحفص اذ أدبر) اى بسكون الذال وأدبر على وزن افعل والباقون اذا دبر بفتح الذال والف بعدها ودبر على وزن فعل ودبر وادبر بمعنى ذهب ومضى كاقبل وقيل من اختار اذا قال لان ما بعده اذا اسفر وايضا هى فى مصحف عبد الله مكتوبة بألفين بعد الذال احدهما الف اذا والاخرى همزة ادبر وايضا ليس فى القرآن قسم يعقبه اذ بسكون وانما يعقبه اذا واختار ابن عباس اذ بالسكون و يحكى عنه انه لما سمع دبر قال انما يدبر ظهر البعير واختلف اهل اللغة فى ان دبر وادبر هل هما بمعنى واحد اولا فقال الفراء والزجاج انهما بمعنى واحد والادبار نقيض الاقبال وكذا الدبور والقبول يقال مضى امس الدابر وامس المدبر وقيل قول العرب دبر فلان معناه جاء من خلف وقولهم ادبر الليل النهار بمعنى خلفه وجاء بعده فعلى هذا معنى اذا ادبر اذا اقبل بعد مضى النهار (قوله اى البلايا الكبر كثيرة) تعريف البلايا الكبر للعهد والمعهود دركات جهنم و يجوز ان يكون للجنس و يكون المعنى ان جنس البلايا الكبيرة كثيرة وسقر واحدة منها ومعنى كونها واحدة منها انها من بينهن واحدة فى العظم لا نظير لها كما تقول هو احد الرجال وهى احدى النساء و يؤيد الاول ما روى عن مقاتل والكلبى انهما قالا اراد بالكبر دركات جهنم وابوابها وهى سبعة جهنم ولظى والحطمة والسعير وسقر والجحيم والهاوية نعوذ بالله من جميعهن (قوله وانما جمع كبرى على كبر) يعنى ان فعلى يجمع على فعالى كحبلى وحبالى ولا يجمع على فعل بل هو جمع فعلة نحو ركبة وركب فينبغى ان لا يجمع كبرى على كبر لكنه جمع على كبر تنزيلا لكبرى منزلة كبرة بتنزيل الف فعلى منزلة تاء فعلة كما جمع قاصعاء

(وماهى) وما سقر اوعدة الخزنة اوالسورة (الا ذكرى للبشر) الا تذكرة لهم (كلا) ردع لمن انكرها اوانكار لان يتذكر وابها (والقمر والليل اذا ادبر) اى ادبر كقبل بمعنى اقبل وقرأ نافع وحمزة و يعقوب وحفص اذ ادبر على المضى (والصبح اذا اسفر) اضاء (انها لاحدى الكبر) اى لاحدى البلايا الكبر اى البلايا الكبر كثيرة وسقر واحدة منها وانما جمع كبرى على كبر الحاقا لها بفعلة تنزيلا للالف منزلة التاء كما الحقت قاصعة فجمعت على قواصع

على قواصع تنزيلا لها منزلة فاصعة مع ان فاعلاء لايجمع على فواعل اذهو جمع فاعلة لاجمع فاعلاء وفي الصحاح شبهوا فاعلاء بفاعلة وجعلوا الف التأنيث بمنزلة الهاء (قوله والجملة) اي جملة قوله انها لاحدى الكبر جواب القسم فان القسم في قوله والقمر مقسم به مجرور بواو القسم والليل والصبح معطوفان عليه كانه قيل بحق هذه الامور ان سقر لاحدى الكبر فيكون القسم مع جوابه جوابا لمن انكر سقر وكونها احدى الكبر بعد ردعه عن انكاره بقوله كلا فان القسم وان واللام انما يصدر بها الكلام مع المنكر (قوله او تعليل لكلا) اي للامر بالارتداع كانه قيل ارتدع عن انكار سقر لانها احدى الكبر وتأكيد الجملة بان واللام لوقوعها جوابا للمنكر لالوقوعها جوابا للقسم وجواب القسم محذوف كانه قيل والقمر ان الامر كذلك والقسم وجوابه جملة وقعت معترضة بين الامر بالارتداع وعلته وهذا على تقدير كون قوله تعالى كلا ردعا لمن انكر سقر وكونها من احدى الكبر فانه حينئذ يجوز ان يكون قوله انها لاحدى الكبر جوابا وتعليلا كما قررنا واما ان كان قوله كلا انكارا من الله تعالى لان يتذكروا بها فلاوجه حينئذ لان يكون قوله انها لاحدى الكبر تعليلا لكلا بالمعنى المذكور ويتعين كونه جوابا للقسم ويكون تصدير الجملة بالمؤكدات مبنيا على تنزيل من لم يتذكر بها منزلة المنكر لسقر (قوله تمييز) اي من نسبة احدى الكبر الى اسم ان فيه مع ان ينتصب على التمييز كانه قال انها من معظمات الدواهي من جهة كونها نذيرا كما تقول هي احدى النساء زمانا على قوله من يقول النار هي المنذرة وحذفت التاء من نذيرا كما في قوله ان رحمة الله قريب من المحسنين اي شيء قريب اوذات قرب منهم على معنى النسب كقولهم امرأة طالق وطاهر اولتأويل النار بالعذاب (قوله او حال مما دلت عليه الجملة) لم يجعله حالا من ضمير انها لان الحروف المشبهة لاتنصب الحال (قوله بدل من البشر) باعادة الجار كقوله تعالى لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم وللذين استضعفوا لمن آمن وقوله تعالى ان يتقدم مفعول شاء والمعنى ان العبد متمكن من السبق الى الخيرات بالايمان والطاعات ومن التخلف عنها بالكفر والعصيان اي نذيرا لمن شاء التقدم الى الخير والجنة بالطاعة او التأخر عنه بالمعصية فمن اراد الخير فهو متمكن منه فليفعل ومن اراد الشر فهو متمكن منه ايضا فليفعل وفيه نوع تهديد كما في الوجه الثاني فان قلت قد تقرر ان مفعول شاء واراد لايذكر في الكلام الفصيح الا ان يكون فيه غرابة فاي غرابة فيه حتى ذكره في هذا الوجه دون الوجه الثاني والجواب ان اختيار التأخر والحرمان عن الخير مع التمكن من التقدم والفور بالخير امر غريب وان المعنى انها لاحدى الكبر نذيرا للكافرين

والجملة جواب القسم او تعليل لكلا والقسم معترض للتأكيد (نذيرا للبشر) تمييز اي لاحدى الكبر انذارا او حال مما دلت عليه الجملة اي كبرت منذرة وقرئ بالرفع خبرا ثانيا او خبر المحذوف

(لمن شاء منكم ان يتقدم او يتأخر) ﴿١١٣﴾ بدل من البشر اى نذيرا للمتمكنين من السبق الى الخير والتخلف

عنه اولمن شاء خبر لان يتقدم فيكون فى معنى قوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر (كل نفس بما كسبت رهينة) مرهونة عند الله مصدر كالشتيمة اطلق للمفعول كالرهن ولو كانت صفة لقيل رهين (الا اصحاب اليمين) فانهم فكوا رقابهم بما احسنوا من اعمالهم وقيل هم الملئكة او الاطفال (فى جنات) لا يكتنه وصفها وهى حال من اصحاب اليمين او من ضميرهم فى قوله (يتساءلون عن المجرمين) اى يسأل بعضهم بعضا او يسألون غيرهم عن حالهم كقولك تداعيناه اى دعوناه وقوله (ما سلككم فى سقر) بجوابه حكاية لما جرى بين المسئولين والمجرمين اجابوا بها (قالوا لم نك من المصلين) الصلاة الواجبة (ولم نك نطعم المسكين) ما يجب اعطاؤهم وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع (وكنا نخوض مع الخائضين) نشرع فى الباطل مع الشارعين فيه (وكنا نكذب بيوم الدين) اخره لتعظيمه (١٥) اى وكنا (تاسع) بعد ذلك كله مكذبين بالقيامة (حتى اتانا اليقين) الموت ومقدماته

للمتمكنين من فعل الخير مع التمكن من فعل الطاعة والمعصية فعبر عنه بقوله لمن شاء منكم ان يتقدم او يتأخر (قوله اولمن شاء خبر لان يتقدم) فلا يكون ان يتقدم مفعول شاء بل يكون فى محل الرفع على الابتداء ولمن شاء خبر قدم عليه ومحصول المعنى انه لا قسر ولا الجاء بل المكلف مختار فى كل ما اتاه او تركه فليفعل ما اراده وفيه نوع تهديد كما فى قوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر (قوله ولو كانت صفة لقيل رهين) لان فعيلا اذا كان بمعنى مفعول يستوى فيه المذكر والمؤنث فعلم ان التاء فيه ليست للفرق بين المذكر والمؤنث بل هو اسم للمصدر الكائن بمعنى المفعول اى اسم لما رهن والتاء التى فيه للدلالة على كونه منقولا من الوصفية الى الاسمية فان الصفة اذا غلبت الاسمية عليها وكانت بحيث لا تحتاج الى الموصوف ولا يذكر معها الموصوف تلحقها التاء دليلا على النقل كالنطيحة والذبيحة اسمان لما نطح وذبح فيصح ان يقال كل امرئ رهينة كما يقال كل نفس رهينة اى محبوسة من قولهم رهن الشئ اى دام وثبت وارهنته كذا اى تركته ثابتا مقيما عنده والمرتهن هو الذى يأخذ المرهون ونفس المكلف محبوسة والحابس الله تعالى بمقابلة ما اوجبه عليه من التكاليف التى هى خالص حقه فان اداها المكلف كما وجبت عليه فك رقبته وخلص نفسه والا بقى نفسه محبوسة عنده تعالى (قوله وقيل هم الملائكة او الاطفال) فانهم ليسوا بمكلفين بالاعمال حتى يكونوا محبوسين بما عليهم من حق الله تعالى فعلى هذا يكون الاستثناء منقطعا لان النفوس المرهونة هى نفوس المكلفين والملائكة واطفال المسلمين ليسوا بمكلفين فلا يدخلون فى المستثنى منه الا ان تعم النفس الكل (قوله اومن ضميرهم) عطف على اصحاب اليمين (قوله تعالى يتساءلون) يجوز ان يكون من التساؤل الواقع بين اثنين على معنى ان اصحاب اليمين يسأل بعضهم بعضا عن احوال المجرمين ويجوز ان يكون بمعنى يسألون اى يسألون غيرهم عن احوال المجرمين فان تفاعل قد يجئ بمعنى فعل كما يقال تداعينا اى دعونا وعلى التقديرين ليس المجرمون مسئولا عنهم بل هم المسئول منهم فلابد من توجيه يجئ عن فان قوله ما سلككم فى سقر سؤال المجرمين وقوله يتساءلون عن المجرمين سؤال عنهم فلا يتطابقان وانما يتطابقان لو قيل يسألون المجرمين ما سلككم فى سقر وتوجيه الكلام ان قوله ما سلككم فى سقر مع جوابه حكاية من قبل المسئولين لما جرى بينهم وبين المجرمين من السؤال والجواب والمعنى ان اصحاب اليمين لما تساءلوا بان سأل بعضهم بعضا او بان سألوا غيرهم عن المجرمين قال المسئولون فى جواب من سألهم قلنا لهم ما سلككم فى سقر فاجابوا بان قالوا لم نك من المصلين الخ الا ان الكلام جئ على الحذف والاختصار

شفاعة الشافعين) لو شفعوا لهم جميعا (فما لهم عن التذكرة ﴿ ١١٤ ﴾ معرضين) اى معرضين
عن التذكير يعنى القرآن او ما يعمه ومعرضين حال (كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة) شبههم فى اعراضهم ونفارهم عن استماع الذكر بحمير نافرة نفرت عن قسورة اى اسد فعولة من القسر وهو القهر وقرأ نافع وابن عامر مستنفرة بفتح الفاء (بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة) قراطيس تنشر وتقرأ وذلك انهم قالوا للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لن نتبعك حتى تأتى كلامنا بكتاب من السماء فيه من الله الى فلان ان اتبع محمدا (كلا) ردع لهم عن اقتراحهم الآيات (بل لا يخافون الآخرة) فلذلك اعرضوا عن التذكرة لا لامتناع ايتاء الصحف (كلا) ردع لهم عن اعراضهم (انه تذكرة) واى تذكرة (فمن شاء) ان يذكره (ذكره وما يذكرون الا ان يشاء الله) ذكرهم او مشيئتهم كقوله وما تشاؤن الا ان يشاء الله وهو تصريح بان فعل العبد بمشيئة الله وقرأ نافع تذكرون بالتاء وقرئ بهما مشددا (هو اهل التقوى) حقيق بان يتقى عقابه (واهل المغفرة) حقيق (سورة)

كما هو نهج التنزيل فى غرابة نظمه (قوله تعالى فما تنفعهم) الفاء فيه سببية دخلت على السبب اى اذا ثبت انهم اعترفوا بذنبهم من ترك الاعتقاد والعمل ثبت انه لو فرض اجتماع الشفعاء على شفاعتهم لما نفعتهم شفاعتهم ثم انه تعالى لما بين ان من ترك الاعتقاد والعمل يعذب لامحالة بحيث لا ينفعه شفاعة الشافعين باسرهم تعجب من اصرار كفار مكة على الكفر والعناد واعراضهم عن التذكير بالقرآن فقال فما لهم عن التذكرة معرضين وكلمة ما فى محل الرفع بالابتداء ولهم خبره ومعرضين حال من الضمير المجرور فى لهم وعن التذكرة متعلق بمعرضين والعامل فى الحال معنى الاستقرار او المدلول عليه باللام الجارة فى لهم وكأنهم حمر حال بعد حال والاستفهام فى مالهم للانكار اى اى شئ ثبت لهم معرضين عن وعظه مشابهين حمرا ومستنفرة بكسر الفاء بمعنى نافرة فان استنفر ونفر بمعنى كعجب واستعجب وسخروا وستسخر واستنفروا بلغ من نفر كأنه يطلب من نفسه النفار وقرئ بفتح الفاء ايضا اى مذعورة منفرة نفرها الصائد كأنه طلب منها النفار (قوله اى اسد) عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه ان القسورة هو الاسد بلسان الحبشة سمى بالقسورة لانه يغلب السباع ويقهرها والحمر الوحشية اذا عاينت الاسد تهرب فكذا المشركون اذا سمعوا القرآن ورأوا من يذكرهم به وقوله تعالى بل يريد اضراب عن اعراضهم الى ماهو اقبح من ذلك وهو الاقتراح على سبيل الاستهزاء (قوله فيه من الله تعالى الى فلان) اى لن نتبعك حتى يصبح عند رأس كل واحد منا كتاب عنوانه هذا كتاب من عند الله رب العالمين الى فلان ابن فلان ان اتبع محمدا فانه رسول من قبلى اليكم ثم اضرب وابطل ان يكون ابا عهم اياه عليه الصلاة والسلام لعدم ايتاء الصحف وبين ان ذلك لعدم خوفهم من الآخرة فقال بل لا يخافون الآخرة ثم قال كلا ردعا لهم عن الاعراض عن التذكرة ثم اثبت كونه تذكرة بليغة فقال انه تذكرة (قوله فمن شاء ان يذكره) اى ان يجعله على ذكر منه ويتعظ به ذكره اى جعله نصب عينه لان نفع ذلك راجع اليه وانه ممكن من ذلك قرأ الجمهور وما يذكرون بياء الغيبة وتخفيف الذال والكاف على وفق ماتقدم فى قوله فما لهم عن التذكرة معرضين وقرأ نافع بتاء الخطاب على طريق الالتفات من الغيبة الى الخطاب وقرئ بتشديد الذال والكاف بالتاء والياء ايضا بمعنى يتذكرون وتتذكرون (قوله وهو تصريح بان فعل العبد بمشيئة الله تعالى) كما هو مذهب اهل السنة وقالت المعتزلة المعنى الا ان يقسرهم على الذكر ويلجئهم اليه ونحن نقول تخصيص المشيئة بالمشيئة القسرية ترك للظاهر بلا دليل ❊ تمت سورة المدثر والحمد لله رب العالمين

(سورة القيامة اربعون آية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(قوله ادخال لا النافية على فعل القسم للتأكيد) اى لتأكيد القسم شائع اراد بلا النافية ما فيه ماهو فى صورة النافية بشهادة قوله للتأكيد فان ماتكون للتأكيد لاتكون نافية كما ان النافية لاتكون مؤكدة وكلمة ماولا كثير اما تكون صلة زائدة كقوله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب وقوله مامنعك ان لاتسجد وقوله فبما رحمة من الله وقول امرىء القيس

لا وابيك ابنة العامرى ﴿ لايدعى القوم انى افر

والمعنى وابيك لايدعى القوم فكذا معنى الآية اقسم بيوم القيامة (قوله ابنة العامرى) منادى حذف منه حرف النداء اى يا ابنة العامرى انا لا افر من الحرب وانا مشهور متميز بذلك حتى لايدعى ذلك احد ويجوز ان يكون مراده ان كلمة لافى الآية لنفى ما ينافى المقسم عليه ورد من قال بذلك فكأنه قيل ليس الامر كما يزعم منكروا البعث ثم استأنف القسم فقال اقسم بيوم القيامة انكم لتبعثن ومعنى قوله للتأكيد اى لنفى ما ينافى المقسم عليه تأكيد القسم وجواب القسم فى الآية محذوف يدل عليه قوله ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه اذهو لايصلح جوابا لكونه جمله انشائية كانه قيل اقسم بيوم القيامة انكم لتبعثن ثم اكد هذا المعنى بالانكار على حسبان انه تعالى لايقدر على احياء من فى القبور بجمع عظامهم النخرة واجساد هم البالية المتلاشية ويحتمل ان يكون مراده ان كلمة لا ههنا لنفى القسم والمعنى لا اقسم بيوم القيامة على حقية البعث والقيامة لان هذا المطلوب اعظم واجل من ان يقسم عليه ويكون المقصود تأكيد المقسم عليه وتفخيم شأنه وبيان استغنائه عن الاقسام عليه (قوله او بالجنس) يعنى ان قوله تعالى اللوامة اما صفة مخصصة لجنس النفس المتقية خصصها بالتى تلوم المقصرين فى التقوى واما مؤكدة بناء على تعريف الجنس وان كان للعهد والمعهود النفس المتقيه الاانها تلوم نفسها ابدا ثم ذكر احتمال ان يكون المعهود النفس المطمئنة اى المستقرة الثابتة على الحق المتقية بحيث لاتلتفت عنه الى ماسواه فان القوة العاقلة اذا اخذت فى سلسلة الاسباب والمسببات وانتهت فى مدارج الارتقاء الى واجب الوجود لذاته الذى هو مستغن عن جميع ماسواه فى ذاته وصفاته وافعاله وان جميع ماسواه محتاج اليه فى جميع شؤونه فلاجرم تقف عنده وتطمئن اليه ولاتنتقل عنه الى غيره فتثبت فى مقام العبودية فلايزعجها عنه شئ من حظوظ عالم الطبيعة ولذاته الفانية فهذه النفس المعهودة لوامة للنفس الامارة والمطمئنة الى الحق المستغرقة فى بحار معرفته وملاحظة جلاله

من صدق بمحمد وكذب به بمكة

(سورة القيامة مكية وآيها تسع وثلاثون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(لااقسم بيوم القيامة) ادخال لا النافية على فعل القسم للتأكيد شائع فى كلامهم قال امرؤ القيس لا وابيك ابنة العامرى ﴿ لايدعى القوم انى افر ﴿ وقد مر الكلام فيه فى قوله فلا اقسم بمواقع النجوم وقرأ قنبل لاقسم بغير الف بعد اللام وكذا روى عن البزى (ولا اقسم بالنفس اللوامة) بالنفس المتقية التى تلوم النفوس المقصرة فى التقوى يوم القيامة على تقصيرها او التى تلوم نفسها ابدا وان اجتهدت فى الطاعة او النفس المطمئنة اللائمة للنفس الامارة او بالجنس لما روى عليه الصلاة والسلام قال ليس من نفس برة ولا فاجرة الا وتلوم نفسها يوم القيامة ان عملت خيرا قالت كيف لم ازدد وان عملت شرا قالت ليتنى ماكنت قصرت او نفس آدم فانها لم تزل تلوم على ماخرجت به من الجنة

لان المقصود من اقامتها مجازاتها (أيحسب الانسان) يعنى الجنس واسناد الفعل اليهم لان منهم من يحسب او الذى نزل فيه وهو عدى بن ابى ربيعة سأل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن امر القيامة فاخبره به فقال لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك او يجمع الله هذه العظام (ان لن نجمع عظامه) بعد تفرقها وقرئ ان لن يجمع على البناء للمفعول (بلى) نجمعها (قادرين على ان نسوى بنانه) نجمع سلامياته ونضم بعضها الى بعض كما كانت مع صغرها ولطافتها فكيف بكبار العظام اوعلى ان نسوى بنانه التى هى اطرافه فكيف بغيرها وهو حال من فاعل الفعل المقدر بعد بلى وقرئ بالرفع اى نحن قادرون (بل يريد الانسان) عطف على أيحسب فيجوز ان يكون استفهاما وان يكون ايجابا لجواز ان يكون الاضراب عن المستفهم اوعن الاستفهام (ليفجر اما مه) ليدوم على فجوره فيما يستقبله من الزمان (يسأل ايان يوم القيامة) متى يكون استبعادا واستهزاء (تعيين)

وجماله اخص من المتقية عما يؤثم ثم ذكر احتمال ان يكون تعريف النفس للاستغراق وتكون اللوامة صفة مؤكدة (قوله وضمها الى يوم القيامة جواب عما يقال ما المناسبة بين القيامة و بين النفس اللوامة حتى جمع الله تعالى بينهما فى القسم وتقرير الجواب انه تعالى اقسم بيوم القيامة وهو يوم يقوم الناس من القبور لرب العالمين اى لامره وحكمه بذلك اظهارا لعظمته فانه امر عظيم الشان تظهر فيه الاشياء بحقائقها فصح لذلك ان يجعل مقسما به وجعلت النفس اللوامة ايضا مقسما بها لما بينهما من المناسبة من حيث ان المقصود من البعث واقامة القيامة مجازاة النفوس وتمييز المطيعة والعاصية منها وهو من بدائع القسم من حيث تناسب القسم والمقسم عليه حيث اقسم بيوم البعث و بالنفوس المجزية فيه على حقية البعث والجزاء كقول ابى تمام وثناياك انها اغريض كما مر فى سورة الزخرف (قوله او يجمع الله) بفتح الواو العاطفة بعد همزة الاستفهام اى أيبعث ويجمع وان فى قوله تعالى ان لن نجمع عظامه مخففة من الثقيلة اى ايحسب الانسان انه لن نجمع عظامه و بلى ايجاب لما ذكر بعد النفى وهو الجمع كانه قيل بلى نجمعها وقادرين حال مؤكدة من الضمير المستكن فى نجمع المقدر بعد بلى اى بلى نجمع العظام قادرين على تأليف جمعها واعادتها الى التركيب الاول والسلاميات عظام الاصابع واحدتها سلامى والبنانة واحدة البنان وهى اطراف الاصابع ومن قدر على جمعها مع صغرها فهو على جمع الكبار اقدر او ومن قدر على جمع الحواشى والاطراف فهو على جمع الاصول والاساس اقدر (قوله فيجوز ان يكون استفهاما وان يكون ايجابا) يعنى على تقدير ان يكون قوله بل يريد معطوفا على ايحسب يجوز امران الاول ان يكون المعطوف استفهاما انكاريا كالمعطوف عليه و تقدير الكلام بل ايريد استفهم عن شئ اولا ثم اضرب عن الاستفهام عنه الى الاستفهام عن امر آخر كانه قيل منشأ انكار البعث هل هو حسبان عجزنا عن البعث وجمع الاجزاء او ارادة ان يدوم على ما اعتاده من المعاصى وانواع الفجور امامه اى فيما يستقبله من الزمان وهو قول المصنف لجواز ان يكون الاضراب عن المستفهم اى مع بقاء اصل الاستفهام على حاله والامر الثانى ان يكون المعطوف ايجابا استفهم اولا على سبيل الانكار على حسبانه ثم اضرب عن اصل الاستفهام الى الاخبار عن حاله بما هو ادخل فى اللوم عليه من الاول كانه قيل دع الانكار على حسبانه امرا باطلا فى حقنا فان فيه ما هو اقبح من ذلك وهو انه يحب اللذات العاجلة والحياة الفانية وانهماكه فى قضاء شهواته النفسانية يصرفه عن النظر فى الدلائل المؤدية الى

تعيين الحق من الباطل وتمييز الصواب من الخطأ فان انكار البعث قد ينشأ من الشبهة وقد ينشأ من حب العاجل ومتابعة الهوى فالله تعالى اشار الى الاول بقوله ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه اى ان لن نقدر على جمع ماتفرق من اجزائه غربا وشرقا بتفريق الرياح واكل السباع اياها وما اختلط من اجزاء كل شخص باجزاء غيره حتى يبعث كل احد بعينه بجميع اجزائه ويحاسب ويجازى بما عمل فى الدنيا ثم انه تعالى رد هذه الشبهة بقوله بلى قادرين اى نجمع عظامه ونركبها كما كانت بناء على انه تعالى عالم بالجزئيات باسرها فيكون عالما باجزاء كل شخص متميزة عن اجزاء غيره وقادر على كل الممكنات فيلزم ان يكون قادرا على تركيبها ثانيا واشار الى المنشأ الثانى لانكار البعث بقوله بل يريد الانسان ليفجر امامه يعنى ان الانسان الذى هو عبد بطنه وفرجه واسير ماله وجاهه فان فكرة البعث تكدر عليه انهماكه فى استيفاء هذه اللذات الطبيعية وتقتضى حبس نفسه الامارة بالسوء عن اطلاقها فى فضاء شهواتها وتقييدها بالقيود الشرعية فيجد امر البعث ثقيلا مخالفا لمقتضى طبعه فينكره لذلك فلاينتهى عن المعاصى ولايخطر بباله ان يتوب عنها وان خطر يقول سوف اتوب حتى يأتيه الموت وهو على شر احواله واسوأ افعاله وقوله تعالى امامه ظرف ليفجر والفجور التكذيب وما يتفرع عليه ومفعول يريد محذوف والمعنى بل يريد الانسان الثبات على ماهو عليه من عدم التقييد بقيود الايمان والطاعة ليدوم على فجوره فيما بقى من عمره وفسر قوله تعالى ليفجر بقوله ليدوم على فجوره لانه فى هذه الحالة ملتبس بالفجور وهو حسبان ما لا يجوز فى حقه تعالى وارادة الفجور كانه قيل ليس انكاره للبعث لاشتباه الامر عليه وعدم قيام الدليل على صحة البعث بل يريد ان يستمر على فجوره فى حال كونه سائلا على طريق الاستهزاء والسخرية ايان يوم القيامة فيوم القيامة مبتدأ وايان خبره ثم انه تعالى ذكر من علامات القيامة ههنا امورا ثلاثة اولها قوله فاذا برق البصر وثانيها قوله وخسف القمر وثالثها قوله وجمع الشمس والقمر وقرأ نافع برق بفتح الراء من باب نصر والباقون بكسرها فقيل هما لغتان فى التحير والدهشة وقيل برق بالكسر بمعنى تحير فزعا فتراه لايطرف وبرق بالفتح من البرق اى لمع وتلألأ من شدة شخوصه اى ارتفاعه يقال شخص شخوصا اى ارتفع (قوله من برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش بصره) يعنى ان الاصل فيه ان الرجل اذا اكثر من النظر الى لمعان البرق فدهش بصره لذلك وتحير يقال برق الرجل ثم استعمل ذلك فى كل حيرة سواء نشأت من النظر الى البرق ام لا كما يقال قمر الرجل يقمر قمرا اذا تحير بصره من كثرة النظر الى القمر ثم استعير فى كل حيرة عرضت له من كثرة

(فاذا برق البصر) تحير فزعا من برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش بصره وقرأ نافع بالفتح وهو لغة او من البريق بمعنى لمع من شدة شخوصه وقرئ بلق من بلق الباب اذا انفتح (وخسف القمر) وذهب ضوءه وقرئ على بناء المفعول

النظر من كل مايفرق البصر كالبلج ونحوه ثم اختلفوا فى ان هذه الحالة التى هى برق البصر متى تكون وتحصل فقيل عند الموت وقيل عند البعث وقيل عند رؤية فى جهنم والقولان الاخيران ظاهران لارتباط السؤال عن يوم القيامة بقولهم ايان اى متى يوم القيامة كأنه قيل يوم القيامة اذا تحير البصر واما اذا اريد به الحالة الحادثة عند الموت فحينئذ لابد من بيان وجه ارتباط الآية بالسؤال عن يوم القيامة لانه لما سئل بان يقال ايان يوم القيامة كان المناسب ان يقع الجواب بما يحصل عند قيامها والجواب بما يحصل عند الموت لايطابقه ظاهرا ولعل وجه الارتباط حينئذ ان من قال ايان يوم القيامة انما يقوله على سبيل الاستهزاء والسخرية فقيل فى جوابه ان من استهزأ اذا قرب موته وبرق بصره يتيقن حينئذ ان ماكان عليه من الانكار والاستهزاء خطأ عظيم مستوجب للعذاب الاليم الدائم فيقول حينئذ اين المفر (قوله ولاينافيه الخسوف) ورد على تفسير جمع الشمس والقمر بجمعهما فى الطلوع من المغرب ان يقال الجمع بينهما بهذا الطريق ينافى خسوف القمر لان خسوفه يقتضى المقابلة بينه وبين الشمس لتحقق حيلولة الارض بينهما فلايتأتى للقمر ان يستفيد النور من الشمس فيبقى اسود عديم النور الذى هو معنى خسوف القمر ولما كان اجتماعهما فى الطلوع من المغرب منافيا للمقابلة بينهما كان منافيا لخسوفه ايضا لان ماينافى الملزوم ينافى اللازم ايضا * اجيب عنه بانه ليس المراد بالخسوف الا المحاق وذهاب النور مطلقا سوآء كان ذهابه بحيلولة الارض بينهما او بغير ذلك فالله تعالى قادر على كل الممكنات فيقدر على ازالة الضوء من القمر باى طريق شاء وقرأ العامة وخسف القمر على بناء الفاعل وقرئ وخسف على بناء المفعول لان خسف يستعمل لازما ومتعديا يقال خسف القمر وخسفه الله والخسوف يكون بمعنى غيبة الشئ وذهابه بنفسه ومنه قوله تعالى فخسفنا به وبداره الارض (قوله ولمن حمل ذلك على امارات الموت) الاشارة بذلك الى برق البصر فى حمله على مايلحق البصر عند البعث او عند رؤية جهنم يتيسر له ملاحظة ارتباط الكلام بماقبله ووجه عطف قوله وخسف القمر وجمع الشمس والقمر بالواو الجامعة على قوله فاذا برق البصر كون كل واحد منهما مما يتحقق يوم البعث والجزاء واما من حمل برق البصر على ماهو من امارات الموت فيعسر عليه ملاحظة ارتباط الكلام بما قبله وملاحظة وجه العطف بالواو الجامعة لان ذهاب ضوء القمر واجتماعه مع الشمس فى ذلك لايكونان فى زمان البروق الذى هو من امارات الموت فلايصح عطفهما عليه بالواو الجامعة وتقرير الجواب نعم ان الامر كذلك ولابدع ان يفسر خسف القمر والجمع بينهما بمايكون من

(وجمع الشمس والقمر) فى ذهاب الضوء او الطلوع من المغرب ولاينافيه الخسوف فانه مستعار للمحاق ولمن حمل ذلك على امارات الموت ان يفسر الخسوف بذهاب ضوء البصر والجمع باستتباع الروح الحاسة فى الذهاب

امارات الموت ايضا بان يجعل القمر استعارة لحاسة البصر تشبيها لها بالقمر في ان نورها مستفاد من الروح بواسطة تصرفه واستخدامه قواه الطبيعية السبع التي هي الجاذبة والماسكة والهاضمة ونحوها فيما هيئت كل واحدة منها له وبان يجعل الشمس استعارة للروح تشبيها للروح بالشمس في ان كمالات عالم الارض تحتاج الى تاثير الشمس وحركاتها ويفسر قوله خسف القمر بان يقال ذهب ضوء البصر عند الموت وقوله وجمع الشمس والقمر بان يقال اجتمعا في حكم الذهاب وان اختلف طريق الذهابين وان ذهاب ضوء القمر بمعنى بطلانه واضمحلاله وطريق ذهاب الروح بطلان تعلقه بالبدن وانتقاله الى عالم المجردات (قوله او بوصوله) اشارة الى تفسير آخر للجمع بان تجعل الشمس مستعارة للارواح العالية والعقول المجردة التي يستفاد منها انوار العقول الانسانية وادراكاتها وان يجعل القمر مستعارا للروح الانساني فحينئذ يكون جمعهما عبارة عن وصول الروح الانساني الى الارواح العالية (قوله وتذكير الفعل) حيث لم يقل وجمعت الشمس لتقدمه اي لكونه مسندا الى الظاهر المؤنث الغير الحقيقي وهي الشمس وفي مثله يجوز تذكير الفعل وتأنيثه مع ان فعل الجمع لم يسند الى الشمس وحدها بل هو مسند الى القمر ايضا بواسطة الواو العاطفة والقمر مذكر فغلب جانب التذكير على التأنيث وهذا الوجه لا يصلح بانفراده دليلا على التذكير فانك اذا قلت قام هند وزيد لم يجز عند الجمهور الا انه يصلح مؤيدا للوجه الاول فكانه قيل ذكر الفعل لاسناده الى ظاهر المؤنث الغير الحقيقي مع انه قد عطف عليه مذكر فغلب على المؤنث الغير الحقيقي (قوله تعالى يقول الانسان) جواب اذا في قوله فاذا برق واذا ظرف معمول له واين المفر منصوب المحل بالقول اي يقول هذا الانسان المنكر للقيامة اذا عاين هذه الاحوال وايقن سوء عاقبة انكاره اين الفرار من حيث انه لا يرى شيئا من امارات تمكنه من الفرار والمفر بفتح الميم وكسر الفاء اسم للمكان المفر اليه (قوله مستعار من الجبل) فان الوزر في الاصل الجبل المنيع ثم اطلق لكل ما التجأ اليه وتحصن به تشبيها له بالجبل المنيع والمعنى لا شئ يعتصم به من امر الله وخبر لا محذوف اي لا ملجأ ثمه او في الوجود (قوله اليه وحده استقرار العباد) على ان تقديم قوله الى ربك يفيد الاختصاص واللام في المستقر عوض عن المضاف اليه وانه بمعنى الاستقرار والمراد اما استقرار نفس العباد اي لا يقدرون ان يستقروا الى غيره تعالى ولا يتوجهون الا اليه واما استقرار امورهم على معنى لا ترجع امور العباد الا الى حكمه لا يحكم فيها غيره ويجوز ان يكون المستقر بمعنى مكان الاستقرار فيكون المعنى موضع قرار العباد من الجنة والنار

او بوصوله الى من كان يقتبس منه نور العقل من سكان القدس وتذكير الفعل لتقدمه وتغليب المعطوف (يقول الانسان يومئذ اين المفر) اي الفرار يقوله قول الآيس من وجدانه المتمني وقرئ بالكسر وهو المكان (كلا) ردع عن طلب المفر (لا وزر) لا ملجأ مستعار من الجبل واشتقاقه من الوزر وهو الثقل (الى ربك يومئذ المستقر) اليه وحده استقرار العباد او الى حكمه استقرار امرهم او الى مشيئته موضع قرارهم يدخل من شاء الجنة ومن شاء النار

(ينبأ الانسان يومئذ بما قدم واخر) بما قدم من عمل عمله و بما اخر منه لم يعمله او بما قدم من عمل عمله و بما اخر من سنة حسنة اوسيئة عمل بها بعده او بما قدمه من مال تصدق به و بما اخر فخلفه او باول عمله وآخره (بل الانسان على نفسه بصيرة) حجة بينة على اعمالها لانه شاهد بها وصفها بالبصارة على المجاز او على عين بصيرة بها فلا يحتاج الى الانباء (ولو ألقى معاذيره) ولو جاء بكل ما يمكن ان يعتذر به جمع معذار وهو العذر اوجمع معذرة على غير القياس كالمناكير فى المنكر فان قياسه معاذر

يومئذ مفوض الى مشيئة ربك وحده من شاء ادخله الجنة ومن شاء ادخله النار والمستقر مرفوع على الابتداء والى ربك خبره و يومئذ ظرف معمول لما تعلق به الى ربك ولا يجوز ان يكون معمولا للمستقر لانه ان كان مصدرا بمعنى الاستقرار فلا يتقدم عليه معموله وان كان اسم مكان فلا يعمل اصلا وكذا الكلام فى نحو قوله الى ربك يومئذ المساق (قوله اى بما قدم من عمل عمله او بما اخر من سنة حسنة او سيئة عمل بها بعده) فما قدمه هو ماعمله بنفسه من الاعمال خيرا كان اوشرا ولم تتعد نسبته الى من بعده وما اخره سواء عمله هو بنفسه من ذلك اوابقاه سنة حسنة اوسيئة لمن بعده وعلى الاول ماقدمه واخره ماعمله من عمل طاعة كان اومعصية ومالم يعمله من طاعة وعلى الثالث ماقدم وانفق من امواله ايام حياته وما خلفه للورثة وعلى الرابع ما عمله فى حياته مقدما ومؤخرا اى اول عمله وآخره ثم انه تعالى لما قال ينبأ الانسان يومئذ باعماله قال بل لا يحتاج الى ان يخبر بذلك بناء على ان نفسه شاهدة عليه تخبر بجميع مافعله من الافعال وتشهد عليه جوارحه بذلك قال تعالى يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون قيل هذا فى حق الكفار فانهم ينكرون ماعملوه فيختم على افواههم وتنطق جوارحهم (قوله حجة بينة على اعمالها) اشارة الى ان الانسان مبتدأ و بصيرة خبره وعلى نفسه متعلق ببصيرة اى على اعمال نفسه وان تأنيث البصيرة مع كونها خبرا عن الانسان وهو مذكر مبنى على انها صفة موصوف محذوف اى الانسان حجة بصيرة او مثل بصيرة على التشبيه البليغ شبه الانسان بالحجة من حيث كونه شاهدا بالاعمال على نفسه لان جوارحه تنطق بها فيكون شاهدا على نفسه بشهادة جوارحه كما ان الحجة شاهدة للدعوى فالانسان لما شابه الحجة من حيث كون كل واحد منهما شاهدا قيل انه حجة بينة على اعماله على التشبيه البليغ فقوله لانه شاهد بها اى شاهد بالاعمال على نفسه علة لحمل المشبه به على المشبه واشارة الى وجه الشبه (قوله وصفها بالبصارة على المجاز) اراد بالمجاز المجاز العقلى كانه قيل سلمنا ان تقدير الكلام بل الانسان على نفسه حجة على التشبيه البليغ فما معنى توصيف الحجة بكونها بصيرة والبصير انما هو صاحبها اجاب عنه بانه من قبيل الاسناد المجازى وصف الحجة بوصف صاحبها الدلالة على كونها واضحة الدلالة سهلة الاهتداء بها فان الهادى الى الطريق اذا كان بصيرا غير اعمى سهل عليه امر الدلالة وسهل على غيره الاهتداء به فوصف الحجة بكونها بصيرة للاشارة الى كونها سهلة الدلالة وسهلة الاهتداء بها فالمصنف اشار الى هذا المعنى بقوله حجة بينة بدل حجة بصيرة وان جعل تقدير الكلام بل الانسان على نفسه عين بصيرة بها يكون الانسان مبتدأ و بصيرة مبتدأ

وذلك اولى وفيه نظر (لاتحرك) يامحمد (به) بالقرآن (لسانك) قبل ان يتم وحيه (لتعجل به) لتأخذه على عجل مخافة ان يتفلت منك (ان علينا جمعه) فى صدرك (وقرآنه) واثبات قرآنه فى لسانك وهو تعليل النهى

ثانيا وعلى نفسه خبر الثانى والجملة خبر الاول كقولك زيد على رأسه عمامة والعائد من الجملة الى المبتدأ الاول ضمير نفسه والمراد بالبصيرة على هذا هو الملك الموكل او الجوارح فان الحافظ والرقيب يطلق عليه العين البصيرة وجواب لو فى قوله تعالى ولو ألقى معاذيره محذوف اى لم يقبل منه المعذرة ولو جاء بكل ما يعتذر به فان العذر لارواج له يومئذ لانه يوم تبلى السرائر و تظهر حقائق الاشياء كما هى (قوله وذلك اولى) اى كون المعاذير جمع معذار اولى من كونه جمع معذرة لان بناء الجمع حينئذ يكون على وفق القياس كمفتاح ومفاتيح و مثقال ومثاقيل بخلاف ما اذا كان جمع معذرة فانه يجمع على معاذر كمحمدة ومحامد ولايجمع على معاذير الاعلى وجه الشذوذ كمنكر ومناكير (قوله وفيه نظر) اى فى كون هذا الوجه اولى لعل وجه النظر ان كون البناء على وفق القياس انما يكون وجها لاولوية كون معاذير جمع معذار ان لوكان معذار بمعنى العذر لفظا مستعملا مسموعا وليس كذلك وكونه جمع معذرة وان كان على خلاف القياس الا انه على وفق الاصل فان الاصل ان يكون بناء الجمع بناء مغيرا عن مفرد ملفوظ مستعمل ولفظ معذرة كذلك فالوجهان متعارضان متساويان لا اولوية لاحدهما على الآخر والى كل واحد من الوجهين ذهب جماعة من النحويين فان منهم من ذهب الى ان مثل هذا الجمع لفظ مستعمل على خلاف القياس وقالوا المذاكير جمع ذكر وهو العضو المعروف ومناكير جمع منكر ومنهم من ذهب الى ان مثله اسم جمع لغير الملفوظ به بل لمقدر فقال ان نحو مذاكير جمع مذكار وان لم يسمع (قوله قبل ان يتم وحيه) اخذه من قوله تعالى فى سورة اخرى ولاتعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه وقل رب زدنى علما روى انه عليه الصلاة والسلام كان يشتد عليه حفظ التنزيل وكان عليه الصلاة والسلام اذا نزل عليه الوحى يحرك لسانه وشفتيه قبل فراغ جبريل مخافة ان لا يحفظ فانزل الله تعالى لاتحرك به لسانك اى بالقرآن وجاز هذا الاضمار وان لم يجر له ذكر لدلالة الحال عليه كما اضمر فى قوله تعالى انا انزلناه فى ليلة القدر (قوله تعالى لتعجل به) اى بأخذه دلت الآية على انه عليه الصلاة والسلام كان يقرأ مع قراءة جبريل عليه الصلاة والسلام وكان يسأله فى اثناء قرآنه عن مشكلات معانية لغاية حرصه على العلم فنهى عن الاول بقوله لاتحرك به لسانك الى قوله فاذا قرأناه فاتبع قرآنه وعن الثانى بقوله ثم ان علينا بيانه فضمن له عليه الصلاة والسلام بيان المشكل منه كما ضمن له الحفظ واثبات قرائه فى لسانه عليه الصلاة والسلام بحيث يقرأه متى شاء على ان القرآن مصدر بمعنى القراءة مضاف الى

(فاذا قرأناه) بلسان جبريل عليك (فاتبع قرآنه) قرآءته وكرر فيه حتى يرسخ في ذهنك (ثم ان علينا بيانه) بيان ما اشكل عليك من معانيه وهو دليل على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب وهو اعتراض بما يؤكد التوبيخ على حب العجلة لان العجلة اذا كانت مذمومة فيما هو أهم الامور واصل الدين فكيف بها في غيره او بذكر ما اتفق في اثناء نزول هذه الآيات

مفعول له وان ثبة مضافا مقدرا (قوله بلسان جبريل) اشارة الى ان قوله قرأناه من قبيل اسناد فعل المأمور الى الآمر والمعنى اذا قرأه جبريل عليك بامرنا وفرغ من قرآءته فاقرأه حينئذ وكرره كيلا ينفلت منك وكن تابعا له في القرآءة ولا تقرأ معه (قوله وهو دليل على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب) وجه الدلالة انه تعالى ذكر البيان بكلمة ثم وهي للتراخي وانما قال عن وقت الخطاب لانه لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة الى العمل لانه تكليف بما لا يطاق والاعتراض عليه بما روى من ان قوله تعالى فكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود نزل ولم ينزل معه قوله من الفجر فكان بعض الصحابة اذا اراد الصوم وضع عقالين ابيض واسود وكان يأكل ويشرب حتى يتبين له احدهما من الآخر فقد تأخر البيان عن وقت حاجتهم الى الصوم مدفوع بان ما فعله الصحابة كان في صوم التطوع ووقت الحاجة انما هو وقت الفرض من الصوم كذا في التلويح ويجوز تأخيره عن وقت الخطاب مطلقا اى سواء كان البيان تفصيليا او اجماليا بان يقترن باللفظ ما يشعر بانه ليس المراد من اللفظ ما يقتضيه ظاهره بل ان يقترن بما يشعر ان المراد بهذه النكرة فرد متعين وبهذا المطلق مقيد وبهذا العام خاص وبهذا اللفظ المعنى المجازى ونحو ذلك (قوله وهو اعتراض بما يؤكد التوبيخ على حب العجلة) يعنى ان قوله تعالى لا تحرك به لسانك اعتراض وقع بين قوله تعالى يريد الانسان ليفجر امامه وبين قوله تعالى بل تحبون العاجلة قال الامام زعم قوم من قدماء الروافض ان هذا القرآن قد غير وبدل وزيد فيه ونقص واحتجوا عليه بانه لا مناسبة بين هذه الآية وما قبلها والجواب عن ذلك من وجهين احدهما ان الاستعجال المنهى عنه انما اتفق للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم عند انزال هذه الآيات عليه فلا جرم نهى عن ذلك الاستعجال في هذا الوقت فقيل له لا تحرك به لسانك لتعجل به وهذا كما ان المدرس اذا كان يلقى على تلميذه شيئا فاخذ التلميذ يلتفت يمينا وشمالا فيقول المدرس في اثناء ذلك الدرس لا تلتفت يمينا ولا شمالا ثم يعود الى الدرس فاذا نقل ذلك الدرس مع توسط هذا الكلام في اثنائه فمن لم يعرف السبب يقول ان وقوع تلك الكلمة في اثناء ذلك الدرس غير مناسب لكن من عرف الواقعة علم انه حسن الترتيب وثانيهما انه تعالى نقل عن الكفار انهم يحبون العاجلة حيث قال بل يريد الانسان ليفجر امامه ثم بين ان التعجيل مذموم مطلقا حتى التعجيل في امور الدين فقال لا تحرك به لسانك لتعجل به وقال في آخر الآية كلا بل تحبون العاجلة فان كل واحد من الكلامين يتضمن التوبيخ على حب

(العاجلة)

العاجلة فوسط هذا الكلام بينهما وبين به ان العجلة مذمومة حتى فى امر الدين تأكيدا لما تضمناه من التوبيخ على حب العاجلة وتضمن الكلام الاخير اياه ظاهر واما تضمن الاول له فلما مر من ان المعنى ان انكار الكفرة البعث ليس من جهة اشتباه الحق عليهم لعدم قيام الدليل على صحته ووقوعه بل لان شدة حرصهم على قضاء الشهوات العاجلة صرفهم عن النظر فى ذلك الدليل فانكروا البعث لذلك فظهر به ان مؤداه التوبيخ على الاهتمام بعاجل الامر مع فنائه وتأديته الى خسران الابد كانه قيل لاتقتف آثارهم بان تهتم بعاجل الحال وتستعجل فى اخذ القرآن خوفا من فوات حفظه وقراءته متى شئت (قوله وقيل الخطاب الخ) اى وقيل فى وجه ارتباطه بما قبله ان الخطاب فى قوله تعالى لاتحرك به لسانك ليس مع الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم حتى يتوهم عدم مناسبته بموقعه بل هو خطاب مع الانسان المذكور فى قوله تعالى ينبأ الانسان يومئذ بما قدم واخر كانه اذا عرض عليه كتابه وقيل له اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا فاخذ فى القرآءة يتلجلج لسانه من شدة الخوف ومن سرعة القرآءة فيقال له فاذا قرأناه فاتبع قرآنه بالاقرار بانك قد فعلت تلك الافعال ثم ان علينا بيان مراده وشرح مراتب خيراته فالله تعالى يقدر على بيان جميع اعمال الكافر على سبيل التفصيل وهذا الوجه ذكره القفال ثم قال فهذا وجه حسن ليس فى العقل مايدفعه وان كانت الآثار غير واردة به وقوله تعالى بل تحبون العاجلة اضراب عن الردع المدلول عليه بكلا للدلالة على ان الاستعجال لكونه بمنزلة الامر الطبيعى الذى جبل عليه الانسان ليس مما يستحق الانسان بسببه كثرة لوم وتوبيخ الا ان اللائق للانسان ان يجاهد نفسه ولايخلى بينهما وبين ماجبلت هى عليه ولذلك عمم الخطاب لكل من يصلح ان يخاطب بعد تخصيصه المخاطب دون غيره (قوله وان كان الخطاب للانسان) اى بطريق الالتفات عن الاخبار عن الجنس المتقدم والاقبال عليه بالخطاب فعلى هذا لايكون الكلام محمولا على تعميم الخطاب فانه اذا حمل على تعميم الخطاب لايكون فيه التفات بل يكون من قبيل تغليب المخاطب على غيره (قوله ويؤيده القراءة بالياء فيهما) وجه التأييد أن الفصل فى هذه القراءة يتعين كونه مسندا الى ضمير الانسان المذكور قبل فدل ذلك على انه اذا قرئ بتاء الخطاب يكون الخطاب للانسان ايضا بطريق الالتفات ثم انه تعالى لما وبخ على حب العاجلة ذكر اختلاف حال المؤمن العامل للآجلة وحال الكافر العامل للعاجلة يوم القيامة فقال وجوه يومئذ ذكر الوجوه واراد بها اربابها فان الوجه ممايعبر به عن الكل كذا قيل الا انه لامانع من ان يراد بالوجه

وقيل الخطاب مع الانسان المذكور والمعنى انه يؤتى كتابه فيتلجلج لسانه من سرعة قراءته خوفا فيقال له لاتحرك به لسانك لتعجل به فان علينا بمقتضى الوعد جمع ما فيه من اعمالك وقراءته فاذا قرأناه فاتبع قرآنه بالاقرار او التأمل فيه ثم ان علينا بيان امره بالجزاء عليه (كلا) ردع للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم عن عادة العجلة اوللانسان عن الاغترار بالعاجل وقوله (بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة) تعميم للخطاب اشعارا بان بنى آدم مطبوعون على الاستعجال وان كان الخطاب للانسان والمراد به الجنس فجمع الضمير للمعنى ويؤيده قرآءة ابن كثير وابن عامر والبصريين بالياء فيهما (وجوه يومئذ ناضرة) بهية متهللة

معناه الحقيقي فلا وجه للعدول عنه مع انعدام مايصرفه عن ارادته ثم قيل قوله وجوه مبتدأ وناضرة نعته ويومئذ منصوب بناضرة وناظرة خبره والى ربها متعلق بالخبر والمعنى ان الوجوه البهية اى الحسنة المتلألئة من كثرة التنعم بنعيم الجنة يومئذ اى يوم القيامة ناظرة الى الله تعالى والنضرة طراوة البشرة وجمالها وذلك من اثر التنعم والناضر الناعم والنضرة الحسن من كل شئ والبهاء الحسن يقال بهى الرجل وبهو ايضا فهو بهى وقيل وجوه مبتدأ وناضرة خبره ويومئذ منصوب بالخبر وسوغ الابتداء بالنكرة لكون تنكير النوعية نازلا منزلة الوصف فى نحو ولعبد مؤمن وقوله الى ربها ناظرة خبر بعد خبر (قوله تراه مستغرقة فى مطالعة جماله) مستفاد من تقديم قوله الى ربها (قوله وليس هذا فى كل الاحوال) جواب عما يقال كيف تكون مستغرقة فى مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه مع ان اهل السعادة ينظرون فى الموقف وفى الجنة الى امور لاتحصى وتقرير الجواب ظاهر وفيه بحث لان التقييد ببعض الاحوال تقييد بلا دليل ومناف لمقام المدح المقتضى لعموم الاحوال وغير مناسب لقوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة لعمومه فى الاحوال والاولى ان يقال التقديم لايتعين كونه للاختصاص لاحتمال كونه للاهتمام ورعاية الفاصلة ولوسلم فالمعنى ان النظر الى غيره من حيث النظر اليه لايعد نظرا كما فى قوله زيد الجواد (قوله وقيل منتظرة) اذمن المعتزلة المنكرين للرؤية من فسر النظر بالانتظار كما فى قوله تعالى فناظرة بم يرجع المرسلون اى منتظرة وقوله انظرونا نقتبس من نوركم وقوله ماينظرون الاصيحة واحدة وقوله انعامه اشارة الى ان من فسره بالانتظار جعل قوله الى اسما مفردا بمعنى النعمة مضافا الى المنعم مقدما لقوله ناظرة بمعنى منتظرة (قوله ورد) اى ورد هذا القول بوجهين الاول ان الانتظار لايسند الى الوجه فان قيل نعم انه لايسند الى الوجه بمعنى العضو الا ان القائل به يجوز ان يفسره بالذات وجملة الشخص ولايخفى انه يصح اسناد الانتظار الى الكل اجاب عنه المصنف بقوله وتفسيره بالجملة خلاف الظاهر والوجه الثانى من وجهى الرد ان النظر بمعنى الانتظار لايعدى بالى بل يعدى بنفسه فيقال نظرته ولايخفى ان هذا الوجه من الرد انما يتوجه على تقدير ان تكون كلمة الى حرف جر واما اذا كانت اسما بمعنى النعمة كما اشار اليه بقوله منتظرة انعامه فلا يتوجه (قوله وقول الشاعر) جواب عما يقال لانسلم ان النظر بمعنى الانتظار وقد عدى بالى والتقرير الجواب ان النظر فيه ليس بمعنى الانتظار لانه لايستوجب العطاء بل هو بمعنى السؤال والتوقع ومن فى قوله من ملك تجريدية كما فى قولك رأيت من زيد اسدا بمعنى انه اسد (قوله

(الى ربها ناظرة) تراه مستغرقة فى مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه ولذلك قدم المفعول وليس هذا فى كل الاحوال حتى ينافيه نظرها الى غيره وقيل منتظرة انعامه ورد بان الانتظار لايسند الى الوجه وتفسيره بالجملة خلاف الظاهر وان المستعمل بمعناه لايعدى بالى وقول الشاعر

واذا نظرت اليك من ملك
والبحر دونك زدتنى نعما

بمعنى السؤال فان الانتظار لايستعقب العطاء

والبحر دونك) اى اقل منك فى الجود والمعنى ان رجوت عطاءك وتوقعت معروفك وانتحالك والحال ان البحر دونك فى الجود زدتنى نعما اى تعطينى فوق ما ارجوه والظاهر ان كون النظر بمعنى السؤال مبنى على كونه من نظر العين والنظر الى الملك وان كان لا يوجب الانعام ظاهرا الا انه مقدمة طلب المعروف وهو الذى يوجب ملوكيته من مقدماته و يعضد ذلك انه ينزل منزلته و يعبر به عنه كما تنزل زيارة الاغنياء من الفقراء وتسليمهم عليهم منزلة التوقع منهم كما قيل * وحسبك بالتسليم منى تقاضيا * عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان ادنى اهل الجنة منزلة من ينظر الى جنانه وازواجه ونعمه وخدمه وسرره مسيرة الف سنة واكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية ثم قرأ عليه الصلاة والسلام وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فسر النظر بنظر العين والرؤية فمن فسره بالانتظار فقد اتبع هواه وروى عنه عليه الصلاة والسلام ايضا انه نظر الى القمر ليلة البدر فقال انكم سترون ربكم كما ترون هذا لا تضامون فى رؤيته وهو تشبيه الرؤية بالرؤية لا تشبيه المرئى بالمرئى والاحاديث فى هذا الباب كثيرة (قوله شديدة العبوس) كون البسر ابلغ من العبوس لا ينافى ما سبق ان بسر اتباع لعبس والمعنى انها عابسة كالحة قد اظلمت الوانها وعدمت آثار السرور والنعمة منها لما سودها الله تعالى حين ميز بين اهل الجنة والنار فأيست من رحمة الله تعالى وايقنت ان العذاب نازل بها وهى تظن ان يفعل بها فاقرة وهى الداهية العظيمة سميت فاقرة لانها تكسر عظام الظهر اى فقاره يقال فقرت الرجل اذا ضربت فقار ظهره كما يقال رأسته و بطنته اذا ضربت رأسه و بطنه والفقارة واحدة فقار الظهر ومنه سمى الفقير لانه فعيل بمعنى مفعول فان القل كسر فقار ظهره فجعله مفقورا وتظن مرفوع المحل على انه خبر وجوه او خبر بعد خبر و باسرة على الاول صفة وجوه ويومئذ منصوب بها ذهب جمهور المفسرين الى ان الظن ههنا بمعنى اليقين بناء على ان اليوم الذى تفوز فيه اهل السعادة بمشاهدة جمال ذى الجلال والاكرام تتيقن فيه الاشقياء ما يفعل بهم من الدواهى الفاقرة اذ يبدل فيه المظنون بالعيان وتكشف فيه الامور بحقائقها الا ان القياس النحوى يقتضى ان يكون الظن هنا على معناه لا بمعنى العلم واليقين لانه قد وقع بعده ان الناصبة وهى لا تقع بعد العلم وانما تقع بعده ان المشددة وذلك ان العلم من مواضع التقرير والتحقيق والظن ونحوه من الرجاء والتوقع من مواضع الشك والتردد وان المشددة تفيد التأكيد وان الناصبة لا تفيده فلذلك وجب ان تقترن المشددة بما يفيد التحقيق والمخففة الناصبة بما يدل على الشك

(ووجوه يومئذ باسرة) شديد العبوس والباسل ابلغ من الباسر لكنه غلب فى الشجاع اذا اشتد كلوحه (تظن) تتوقع اربابها (ان يفعل بها فاقرة) داهية تكسر الفقار

والتردد فيقال علمت انك قائم وظننت ان تخرج واطمع ان يغفرلى ربى ولو قلت علمت ان يخرج زيد واظن ان زيدا يخرج كان قلبا للعادة المتعارفة من حيث انه اقترن ماهو على التأكيد بما لا تقرير فيه وماهو عار من التأكيد بما فيه تقرير فاذا قيل ارجو انك تعطيني فذلك لاجل الدلالة على قوة الرجاء واذا قلت اخشى انه يفعل فهو لقوة الخشية وتقررها فلذلك فسر المصنف الظن بالتوقع حيث قال تتوقع ارباها اشارة الى ان الظن ليس بمعنى العلم واليقين كما ذهب اليه الجمهور والمعنى ان ارباب الوجوه الباسرة مع ماهم فيه وهم يقاسون شدة اشد الدواهي وافظعها يظنون ويتوقعون بعده ماهو اشد منه واهول لانهم حينئذ تيقنوا بعظم جرمهم وبكمال سخط الملك الجبار عليهم وتيقنوا ايضا بانه كما لانهاية للطفه ورحمته لانهاية ايضا لقهره والم عذابه فكلما فعل بهم فاقرة من الدواهي ظنوا ان يفعل بهم ماهو اشد منها وهكذا ابدا فكما ان ارباب الوجوه الناضرة في غاية الرحمة والنعمة وهو الاستغراق في مشاهدة جمال ربهم الكريم فكذلك ارباب الوجوه الباسرة في غاية النقمة والعناء وهوان يتوقعوا في كل لحظة ان يفعل بهم ماهو اشد مما هم فيه وافظع (قوله ردع عن ايثار الدنيا على الآخرة) كانه قيل لما عرفتكم صفة سعادة السعداء وشقاوة الاشقياء في الآخرة وعلمتم انه لانسبة لها الى الدنيا فارتدعوا عن ايثار الدنيا على الآخرة وتهيئوا لما بين ايديكم من الموت الذي تنقطعون به عن العاجلة وتنتقلون به الى الآجلة التي تبقون فيها مخلدين والتراقي جمع ترقوة وهي عظم وصل بين ثغرة النحر والعاتق والعاتق موضع الرداء من المنكب وبلوغ النفس التراقي كناية عن الاشراف على الموت والعامل في اذا بلغت معنى قوله الى ربك يومئذ المساق اي اذا بلغت النفس الحلقوم رفعت وسيقت الى الله تعالى اي الى موضع امر الله تعالى ان ترفع اليه فترفع اليه كما في قوله تعالى اني ذاهب الى ربي معناه اني ذاهب الى حيث امرني ربي (قوله تعالى وقيل من راق) معطوف على بلغت اي وقال من حضر المحتضر عند موته من الاحبة والاقارب هل من طبيب يرقي ويشفي برقيته فلا يلقون له اطباء يغنون عنه من قضاء الله تعالى شيئا والرقية هي التعويذ بما يحصل به الشفاء كما يقال بسم الله ارقيك وفعلها من باب ضرب والاستفهام يحتمل ان يكون بمعنى الطلب كان الذين كانوا حول المحتضر طلبوا له طبيبا يعالجه وراقيا يرقيه ويحتمل ان يكون استفهاما بمعنى الانكار بان يغلب عليهم اليأس من صحته فيقولون من الذين يقدر ان يرقي هذا الانسان المشرف على الموت (قوله ايكم يرقى بروحه) اي يصعد على انه من الرقي وفعله من باب علم فقال رقيت السلم ارقاه رقيا ورقيا اذا صعدت واسترقيته

(كلا) ردع عن ايثار الدنيا على الآخرة (اذا بلغت التراقي) اذا بلغت النفس اعالى الصدر واضمارها من غير ذكر لدلالة الكلام عليها (وقيل من راق) وقال حاضر واصاحبها من يرقيه مما به من الرقية او قال ملائكة الموت ايكم يرقى بروحه ملائكة الرحمة او ملائكة العذاب من الرقي

فرقتاني يرقى روحه اهي واوالى بها عن ابن عباس قال ان الملائكة يكرهون القرب من الكافر فيقول ملك الموت من يرقى بروح هذا الكافر وقيل يحضر العبد عند الموت سبعة املاك من ملائكة الرحمة وسبعة من ملائكة العذاب مع ملك الموت فاذا بلغت نفس العبد التراقي نظر بعضهم الى بعض ايهم يرقى بروحه الىالسماء أمن ملائكة الرحمة ام من ملائكة العذاب (قوله وظن المحتضر) وذلك حين عاين ملائكة الموت قال المفسرون المراد ان المحتضر ايقن انه فارق الدنيا وعبر عن المعرفة التي حصلت له حينئذ بالظن لان الانسان مادامت روحه ببدنه متعلقة فانه يطمع في الحياة لشدة حبه لهذه التي ابى الله ان تسوى جناح بعوضة وهي الحياة العاجلة ولا ينقطع رجاؤه عنها فلا يحصل له يقين الموت بل ظنه الغالب على رجاء الحياة و يحتمل ان يكون وجه التعبير به التهكم (قوله اوشدة فراق الدنيا بشدة خوف الآخرة) على ان يكون التفاف الساق بالساق كناية عن تتابع الشدة والصعوبة فان الساق كثيرا مايكني بها عن الشدة و يجعل مثلا فيه كما في قوله تعالى يوم يكشف عن ساق وقولهم كشفت الحرب عن ساقها اى اشتدت ووجه المجاز ان الانسان اذا ادهمته شدة شمر لها عن ساقه فقيل للامر الشديد ساق من حيث ان ظهوره لازم لظهور ذلك الامر (قوله سوقه الى الله وحكمه) يعني ان المساق مصدر ميمي بمعنى السوق وان الالف واللام فيه عوض عن المضاف اليه وان قوله الى ربك تقديره الى حكم ربك والمعنى ان هؤلاء في ذلك اليوم مفوض امرهم الى حكمه يساقون الى حيث امر الله ان يساقوا فالسائق هو الله تعالى يسوق كل احد الى حيث شاء و يجوز ان يكون المراد ان المسوق اليه هو الرب تعالى (قوله والضمير فيهما للانسان المذكور في أيحسب الانسان) اى في قوله ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه و يدل عليه قوله فيما بعد أيحسب الانسان ان يترك سدى فكأنه قيل لم يؤمن بالبعث ولا صدق بالرسول والقرآن ولا صلى وقيل فلا صدق ماله اى فلا زكاه على ان فعل بمعنى تفعل و يأباه قوله ولكن كذب وتولى وجعله صاحب الكشاف معطوفا على قوله يسأل ايان يوم القيامة وهو حال من الانسان اى ايحسب كذا بل أيريد كذا في حال كونه منكر البعث فلا صدق ولا صلى شرع الله تعالى كيفية اعماله المتفرعة على انكار البعث مما يتعلق باصول الدين و بفروعه أما مايتعلق بفروع الدين فهو ماصلى ولكنه تولى واعرض واما ما يتعلق بدنياه فهو انه ذهب الى اهله يتمطى اى يتبختر و يختال في نفسه فدلت الآية على ان الكافر يستحق الذم والعقاب بترك الصلاة كما يستحقهما بترك الايمان (قوله من المط) وهو المد يقال مطه يمطه اى مده

(وظن انه الفراق) وظن المحتضر أن الذي نزل به فراق الدنيا ومحابها (والتفت الساق بالساق) والتوت ساقه بساقه فلا يقدر تحريكها اوشدة فراق الدنيا بشدة خوف الآخرة (الى ربك يومئذ المساق) سوقه الى الله تعالى وحكمه (فلا صدق) مايجب تصديقه اوفلا صدق ماله اى فلا زكاه (ولا صلى) مافرض عليه والضمير فيهما للانسان المذكور في ايحسب الانسان (ولكن كذب وتولى) عن الطاعة (ثم ذهب الى اهله يتمطى) يتبختر افتخارا بذلك من المطاف المتبختر يمد خطاه فيكون اصله يتمطط او من المطا وهو الظهر فانه يلويه

(اولى لك فاولى) و يل لك من الو لى و اصله او لاك الله ما تكرهه و اللام مزيدة كما فى ردف لكم اواولى لك الهلاك و قيل افعل من الويل بعد القلب كادنى من دون او فعلى من آل يؤول بمعنى عقباك النار (ثم اولى لك فاولى) اى يتكرر ذلك عليه مرة بعد اخرى (أيحسب الانسان ان يترك سدى) مهملا لايكلف ولايجازى وهو يتضمن تكرير انكاره للحشر والدلالة عليه من حيث ان الحكمة تقتضى الامر بالمحاسن والنهى عن القبائح والتكليف لا يتحقق الا بمجازاة وهى قدلاتكون فى الدنيافتكون فى الآخرة (الم يك نطفة من منى تمنى) وقرأ حفص بالياء (ثم كان علقة فخلق فسوى) فقدره

وتمطط اى تمدد واصلت الطاء الآخيرة من تمطط القا لكراهة اجتماع الامثال كما فى تقضى البازى وان كان من المطا مقصورا وهو الظهر كانت القد مبدلة من الواو يقال للمتبختر تمطى لانه يلوى مطاه و يحركه فى تبختره و يتمطى جملة حالية من فاعل ذهب (قوله و يل لك) يريد ان اولى لك كلمة مستعملة فى موضع و يل لك لقرب معناه من معناه وانه مشتق من الولى بمعنى القرب واصله اولاك الله ماتكرهه على ان اولى فعل مثل اكرم من وليه يليه اى قرب به نقل الى باب افعل فعدى به الى مفعولين الاول الكاف والثانى محذوف وهو ماتكرهه واللام زائدة فى المفعول كما فى ردف لكم وهو تهديد من الله تعالى لابى جهل قال له النبى اولى لك فاولى ثم اولى لك فاولى ان لم تؤمن فقال ابو جهل باى شئ تهددنى لا تستطيع انت ولار بك ان تفعلا بى شيئا وانى لاعز اهل هذا الوادى فانزل الله تعالى كما قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يرد به الدعاء بالشدة او بمرات بل مرة بعد مرة كما فى قوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين (قوله اواولى لك الهلاك) اى و يجوز ان يكون اولى اسم تفضيل بمعنى احق واحرى و يكون خبر مبتدأ محذوف اى الهلاك اولى لك من كل شئ وقيل انه افعل من الويل بعد القلب اصله او يل فقدم اللام على الياء فصار اولى كما فى شاكى وهارى اصلهما شائك وهائر والمعنى و يل لك وهو دعاء عليه بان يليه مايكرهه وقيل انه فعلى من آل يؤول لانه بعد القلب صار علما للويل وهو غير منصرف للعلمية والوزن ومعناه المصير والمرجع واللام صلة والتقدير اولاك اى مرجعك وعقباك الهلاك والنار وكرر اولى للتأكيد وحذف لك من الثانى لدلالة الاول عليه ثم انه تعالى بعد ماانكر على عدى بن ربيعة واضرابه من منكرى البعث بقوله ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه كرر الانكار عليه فقال أيحسب الانسان ان يترك سدى اى مهملا لا يؤمر ولا ينهى ولا يكلف فى الدنيا ولا يحاسب بعمله فى الآخرة ولا يثاب ولا يعاقب عليه وتكرير الانكار بحسبانه يتضمن تكرير انكاره للحشر ويتضمن ايضا الاستدلال على صحة البعث وتقريره ان اعطاء القدرة والآلة والعقل بدون التكليف والامر بالمحاسن والنهى عن المفاسد يقتضى كونه تعالى راضيا بقبائح الافعال وذلك لايليق بحكمته فاذا لابد من التكليف فى الدنيا ولايليق بالحكيم الكريم الرحيم ان يكلف ثم يسوى بين المطيع والعاصى ولايميز بينهما بالثواب والعقاب والمجازاة لاتأتى فى الدنيا فلابد من البعث والقيامة ثم استدل على صحة البعث بدليل ثان وهو الاستدلال بالابداء على الاعادة فقال الم يك نطفة اى الم يكن هذا الانسان نطفة فى صلب أبيه يمنى بمعنى انه يصب فى الرحم و يمنى بالياء صفة منى و بالتاء صفة نطفة وهى

الماء القليل يقال نطف الماء اى قطر نبه الله تعالى بهذا على خسة قدر الانسان اولا وعلى كمال قدرة نفسه حيث صير مثل هذا الشئ الدنئ بشراسويا (قوله فعدله) اى جعل كل عضو من اعضاء الزوج معادلا لاز وجه وجعل كل واحد من ذوات اعضائه واوضاعها وهيئاتها معادلا لما تقتضيه الحكمة

(سورة الانسان مكية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(قوله استفهام تقرير وتقريب) يعنى ان هل لاتستعمل الا فى الاستفهام لابمعنى انها بنفسها علم الاستفهام بل لابد من ملاحظة اداة الاستفهام قبلها اما ملفوظة كما فى البيت او مقدرة كما فى الآية قال صاحب الكشاف فى المفصل ناقلا عن سيبويه ان هل فى قولهم أهل بمعنى قد الا انهم تركوا الالف قبلها لانها لاتقع الا فى الاستفهام يعنى انها مختصة بالاستفهام ولا تستعمل الا فى موضع الاستفهام فكأنها بنفسها علم الاستفهام فلم يذكر معها اداة الاستفهام (قوله ولذلك) اى ولكون هل موضوعة لتقريب الماضى وقوعه من الحال فسرت بقد كما ذكر فى المفصل ولما كانت كلمة هل مختصة بالاستفهام التقريرى وتقريب الماضى من الحال كان اصل هل اتى أهل اتى وكان معناه قد اتى على الانسان قبل زمان قريب من خلقه حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا بالانسانية على معنى انه وان كان شيئا الا انه كان شيئا لايعرف ولا يذكر ولا يدرى مااسمه ولا يراد به وذلك من حين خلقه من تراب الى ان نفخ فيه الروح ونظيره قوله تعالى ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون اى فهلا تذكرون فتعلمون ان من انشأ الانسان بعد ان لم يكن قادر على اعادته بعد موته (قوله كقوله) اى الشاعر واصل البيت

سائل فوارس يربوع بشدتنا * أهل رأونا بسفح القاع ذى الاكم

ويربوع ابو حى من تميم وقوله بشدتنا بفتح الشين وهى الحملة ويروى بكسرها وهى القوة وسفح الجبل اسفله حيث يسفح فيه الماء من الجبل اى الحضيض والقاع المستوى من الارض اى الصحراء والاكم جمع اكمة وهى التل اى الجبل الصغير يقول سائل هذه القبيلة عن حال شدتنا اكانت قوية جلبت لنا العز والغلبة ام كانت دونها فجلبت الذل والمغلوبية (قوله طائفة محدودة من الزمان) فسر الحين بالطائفة المحدودة من مطلق الزمان ولم يعين حدها تنبيها على انها محدودة فى نفسها ومبهمة الحد فى علمنا وفسر الدهر بمطلق الزمان وهو الزمن الممتد الوهمى كما هو المشهور واختلفوا فى الانسان المذكور

فعدله (فجعل منه الزوجين) الصنفين (الذكر والانثى) وهو استدلال آخر بالابداء على الاعادة على ما مر تقريره مرارا ولذلك رتب عليه قوله (أليس ذلك بقادر على ان يحيى الموتى) وعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه كان اذا قرأها قال سبحانك بلى وعنه من قرأ سورة القيامة شهدت انا له وجبريل يوم القيامة انه كان مؤمنا به

(سورة الانسان مكية وآيها احدى وثلاثون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(هل اتى على الانسان) استفهام تقرير وتقريب ولذلك فسر بقد واصله أهل كقوله أهل رأونا بسفح القاع ذى الاكم (حين من الدهر) طائفة محدودة من الزمان الممتد الغير المحدود

ههنا فقال جماعة من المفسرين المراد به آدم عليه السلام فمن ذهب الى هذا قال ان الله تعالى ذكر خلق آدم في هذه الآية ثم عقب بذكر خلق جنس الانسان من ذريته فقال انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج وقال آخرون المراد بالانسان بنوا آدم بدليل قوله تعالى انا خلقنا الانسان من نطفة اذ المناسب ان يكون المراد بالانسان في الموضعين واحدا وعلى هذا القول يكون المراد بالحين تسعة اشهر مدة الحمل لانه مادام في بطن امه لم يكن شيئا مذكورا لانه نطفة او علقة او مضغة ولا قدر لشيء منها حتى يذكر ويعتنى بشأنه واذا كان المراد به نفس آدم عليه السلام فقد اختلف في تعيين المراد بالحين حينئذ فقيل انه اربعون سنة لما روي انه اتى عليه اربعون سنة وهو جسد ملقى من طين قبل ان ينفخ فيه الروح بين مكة والطائف والطين وان كان شيئا موجودا لكن لم يكن شيئا مذكورا ثم نفخ فيه الروح بعد اربعين سنة و روى ايضا انه خلق من طين فقام عليه اربعين سنة ثم من حمأ مسنون اربعين سنة ثم تم خلقه بعد مائة وعشرين سنة وروى ايضا انه خلق من طين فقام عليه اربعين سنة ثم من حمأ مسنون اربعين سنة ثم من صلصال اربعين سنة ثم تم خلقه بتمام اربع اربعينات اعني مائة وستين سنة ثم نفخ فيه الروح فلاجل هذه الاختلافات فسر الحين بالطائفة المحدودة ولم يعين حدها (قوله بل كان شيئا منسيا) اشارة الى ان المنفي ليس اصل كونه شيئا بل المنفي هو كونه شيئا شريفا مذكورا بالانسانية فانه في ذلك الحين كان شيئا خاملا لايعرف ولا يذكر ولايدرى ما اسمه ولا ما يراد به وذلك من حين خلقه من تراب الى ان نفخ فيه الروح وكذا جنس الانسان من ذرية آدم كان في الرحم شيئا تافها حقيرا كالنطفة فان قيل ان الطين والصلصال والحمأ المسنون قبل نفخ الروح فيه ما كان انسانا والآية تقتضي ان يمضي على الانسان حال كونه انسانا حين من الدهر مع انه في ذلك الوقت ما كان شيئا مذكورا بالانسانية فالجواب ان الطين او الصلصال اذا كان مصورا بصورة الانسان وكان محكوما عليه بانه سينفخ فيه الروح و يصير انسانا صح تسميته انسانا باعتبار ما يؤول اليه وان كان غير مذكور بالانسانية ومن قال ان الانسان هو النفس الناطقة وانها موجودة قبل وجود الابدان فلا يتوجه عليه الاشكال (قوله والجملة حال من الانسان) تقديره اتى عليه حين من الدهر حالة كونه لم يكن شيئا مذكورا او وصف لحين بحذف الراجع مع الجار وهو فيه تقديره حين لم يكن الانسان فيه شيئا مذكورا (قوله احلاط) جمع خلط وهو المادة التي يركب منها الشيء يقال اخلاط الطيب اي اجزاؤه ومواده والامشاج واحدها اما مشج بفتحتين كمثل وامثال او مشج بكسر الميم وسكون السين كعدل و اعدال او مشيج كشريف واشراف يقال مشجت الشيئين

(لم يكن شيئا مذكورا) بل كان شيئا منسيا غير مذكور بالانسانية كالعنصر والنطفة والجملة حال من الانسان او وصف لحين بحذف الراجع والمراد بالانسان الجنس لقوله (انا خلقنا الانسان من نطفة) او آدم عليه السلام بين اولا خلقه ثم ذكر خلق بنيه (امشاج) اخلاط جمع مشج او مشيج من مشجت الشيء اذا خلطته

مشجها اذا خلطتهما (قوله ووصف النطفة به) اى جعله وصفا لها مع كونها مفردا والامشاج جمعا ولا مطابقة بينهما وتقرير الجواب ان لفظ النطفة وان كان مفردا الا ان المراد به هو المجموع المؤلف من منى الرجل والمرأة وكل واحد منهما منى مغاير للآخر بالذات وايضا لما كانت اجزاء كل واحد منهما مختلفة كأنها نطف منفردة من بعضهما صار المجموع المؤلف منهما كأنه نطف شتى فجمع وصفه لذلك (قوله وقيل مفرد) عطف على قوله جمع مشج اى وقيل ان قوله تعالى من نطفة امشاج مثل قولهم برمة اعشار و بردة اكياش فى ان صيغة افعال فيها لفظ مفرد ولذلك وقعت صفة لمفرد ليدل على تحقق معنى الكثرة فيه لاجمع مكسر مثل اصراف وايتام يقال برمة اعشار اذا انكسرت قطعا و بردا كياش وهو ما يغزل غزله مرتين وهو رد من برود اليمن (قوله وقيل الوان) عطف على قوله اخلاط قال مجاهد الامشاج الوان النطفة نطفة الرجل بيضاء ونطفة المرأة صفراء و قيل الامشاج هى الاطوار المختلفة التى ينقل الجسم من بعضها الى بعض وقيل ان الله تعالى جعل فى النطفة اخلاطا من الطبائع التى تكون فى الانسان من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة والتقدير من نطفة ذات امشاج فحذف المضاف (قوله يعنى مريدين اختباره) اى بالامر والنهى والمحنة بالرخاء والشدة يعنى انه حال مقدرة لامقارنة اذلااختبار وقت خلقه اومقارنة ان كان الابتلاء مستعارا للنقل بان شبه النقل من حال الى حال بفعل من فعل افعالا مختلفة للامتحان من حيث انه يظهر بعد النقل امر آخر كما يظهر بعد الافعال الكاشفة للامتحان العلم المتفرع عليها فهو كالمسبب من الابتلاء فانه لما خلق الانسان للابتلاء والتكليف اعطاه ما يصح معه التكليف والابتلاء وهو السمع والبصر وسائر ما يتوقف عليه الفهم والتمييز فلذلك دخلت الفاء على اعطائه الذى هو سبب له والمراد بالفعل المقيد بالابتلاء هو قوله خلقنا وقوله نبتليه قيد له لما تقرر من ان الحال قيد لعاملها والمراد بترتيب الهداية على اعطاء الحواس ما ذكره بعد ذكر جعله سميعا بصيرا لكون الهداية و بيان سبيل الهدى وتعريفه بنصب الادلة و بعث الرسل متأخرة عن خلق الحواس واسباب الفهم والتعقل فان المراد بالسبيل سبيل الخير والشر والنجاة والهلاك ومعنى هدايته تعريفه وتبيين كيفية كل واحد منها وذلك انما يكون بعد اعطاء العقل واعطاء الحواس مقدم على اعطاء العقل لان الانسان فى مبدأ الفطرة خال عن جميع العلوم والمعارف الا ان الحواس الظاهرة والباطنة آلات تعينه على تحصيل العلوم الاولية من المبادى التصورية والتصديقية فانه اذا احس بها المحسوسات

ووصف النطفة به لان المراد بهما مجموع منى الرجل و المرأة و كل منهما مختلفة الاجزاء فى الرقة والقوام والخواص ولذلك يصير كل جزء منهما مادة عضو وقيل مفرد كاعشار واكياش وقيل الوان فان ماء الرجل ابيض وماء المرأة اصفر فاذا اختلط اخضر او اطوار فان النطفة تصير علقة ثم مضغة الى تمام الخلقة (نبتليه) فى موقع الحال اى مبتلين له بمعنى مريدين اختباره او ناقلين له من حال الى حال فاستعار له الابتلاء (فجعلناه سميعا بصيرا) ليتمكن من مشاهدة الدلائل واستماع الآيات فهو كالسبب من الابتلاء ولذلك عطف بالفاء على الفعل المقيد به ورتب عليه قوله (انا هديناه السبيل) اى بنصب الدلائل وانزال الآيات

(اما شاكرا واما كفورا) حالان من الهاء واما للتفصيل او التقسيم اى هديناه فى حاليه جميعا اومقسوما اليهما بعضهم شاكر بالاهتداء والاخذ فيه وبعضهم كفور بالاعراض عنه اومن السبيل ووصفه بالشكر والكفر مجاز وقرئ اما بالفتح على حذف الجواب ولعله لم يقل كافرا ليطابق قسيمه محافظة على الفواصل واشعارا بان الانسان لايخلو عن كفران غالبا وانما المؤاخذ به التوغل فيه (انا اعتدنا للكافرين سلاسل) بها يقادون (واغلالا) بها يقيدون (وسعيرا) بها يحرقون وتقديم وعيدهم وقد تأخر ذكرهم لان الانذار اهم وانفع وتصدير الكلام وختمه بذكر المؤمنين احسن وقرأ نافع وهشام والكسائى وابوبكر سلاسلا للمناسبة

وتنبه لما بينها من المشاركات والمباينات حصل له المبادى التصورية بالضرورة ثم اذا تحرك فيها على طريق الحركة فى الكيف الى ان يجد المبادى المناسبة لمطالبه ورتبها على الوجه المخصوص يحصل له المطالب التصورية المكتسبة واذا تصور بها نسبا حكمية وحكم عليها بالايقاع والانتزاع يحصل له مبادى تصديقية بالضرورة ثم اذا تحرك فيها الى ان يجد المبادى المناسبة لمطالبه التصديقية تحصل بالاكتسابات الفكرى مثل الحكم بان هذا الاعتقاد وهذا العمل سبيل السعادة والنجاة وذلك سبيل الشقاوة والهلاك فثبت ان مرتبة التحلى بالحواس الظاهرة والباطنة متقدمة على مرتبة تعقل حقائق الاشياء والتصديق باحوالها وتعيين سبيل الخير وتمييزه عن سبيل الشر ولهذا السر رتب قوله انا هديناه السبيل على اعطاء الحواس (قوله تعالى اما شاكرا واما كفورا) حالان من الضمير المنصوب فى هديناه اى بينا له سبيل الهدى شاكرا اوكفورا اى فى حاليه جميعا على ان تكون كلمة اما التفصيل اى لتفصيل ذى الحال فانه مجمل من حيث الدلالة على الاحوال اذ لا يسلم ان المراد هدايته فى حال كفره او فى حال ايمانه وطاعته لله تعالى فلما دخلت كلمة اما على كل واحد من الحالين فصل وذكر فى شرح الرضى ان كلمتى او واما لهما ثلاثة معان فى الخبر الشك والابهام والتفصيل وفى الامر لهما معنيان التخيير والاباحة فالشك اذا اخبرت عن احد الشيئين ولا تعرفه بعينه والابهام اذا عرفته بعينه وقصدت ان تبهم الامر على المخاطب فاذا قلت جاءنى زيد او عمرو اوجاءنى اما زيد واما عمرو ولم تعرف الجائى منهما بعينه فاو واما للشك واذا عرفته وقصدت الابهام على السامع فهما للابهام واذا لم تشك ولم تقصد الابهام على السامع فهما للتفصيل هذا محصل مافيه (قوله اوللتقسيم) بان يفرد ذو الحال من حيث انه مطلق وهو اللفظ الدال على الماهية من حيث هى ويجعل كل واحد من مدخول كلمة اما قيدا له فيحصل بتقييده لكل واحد منهما قسم منه والمعنى هدينا مطلق الانسان منقسما الى الانسان الشاكر وهو الموحد المطيع والى الانسان الكفور المشرك فالمعنى على التفصيل هديناه فى حاليه جميعا وعلى التقسيم هديناه السبيل ثم جعلناه تارة شكورا وتارة كفورا كما هو مذهب اهل السنة (قوله اومن السبيل) عطف على قوله من الهاء اى انهما حالان من الهاء او انهما حالان من السبيل على معنى عرفناه السبيل اما سبيلا شاكرا او سبيلا كفورا ووصف السبيل بالشكر والكفر مجاز من حيث ان السبيل وصف بوصف من سلكه (قوله وقرئ اما بالفتح) اى بفتح الهمزة على اما التفصيلية وجوابها محذوف والمعنى اما كونه شاكرا فبتوفيقنا واما كونه

(كفورا)

كفورا فيخذ لان منا بسوء اختياره ثم انه تعالى لما ذكر فريق الشاكر والكفور اتبعه الوعد والوعيد لهما فقال انا اعتدنا للكافرين قدم وعيد الكافرين ثم ذكر ما اعد للشاكرين لما ذكره المصنف والاعتاد الاعداد والتهيئة وهي جعل الشيء عتيدا حاضر الزمان الاحتياج اليه (قوله هو جمع بر) وهو من اطاع الله تعالى وامتثل امره وقيل البر الموحد وقيل البر الذي لا يؤذي الذر ولا يضمر الشر وقيل الابرار هم الذين بروا الناس واشفقوا عليهم وقيل هم الذين بروا انفسهم بترك المعاصي (قوله من خمر) فسر الكأس بالخمر على طريق ذكر المحل وارادة الحال لما روى عن قتادة والضحاك وابن عباس انهم فسروا بذلك ولعل الباعث عليه قوله تعالى كان مزاجها كافورا والكافور لا يمزج بالكأس بل يمزج بما فيها من الخمر فالظاهر على هذا ان تكون كلمة من صلة والكاس عند اهل اللغة الاناء الذي فيه الخمر وان لم يكن فيه خمر فهو قدح ومزاج الشيء اسم لما يمزج به اي يخلط كالقوام اسم لما يقام به الشيء ومنه مزاج البدن وهو ما يمازجه من الصفراء والسوداء والبلغم والكيفيات المناسبة لكل واحد منها والكافور طيب معروف واشتقاقه من الكفر وهو الستر لانه يغطي الاشياء برائحته ولانه ماء مكفور في جوف ضيق من الشجرة فيغرزونه بالحديد فيخرج الى ظاهر الشجر فيضربه الهواء فيجمد وينعقد كالصمغ المتجمد على الاشجار قيل في الآية سؤال هو ان مزج الكافور بالمشروب لا يجعله لذيذا فما السبب في ذكره ههنا والجواب عنه من وجوه احدها ان الكافور اسم عين في الجنة ماؤها ابيض مثل الكافور في لونه ورائحته وبرده ولكن لا يكون فيه طعمه ولا مضرته فالمعنى ان ذلك الشراب يكون ممزوجا بماء هذه العين وثانيها ان رائحة الكافور عرض لا يكون الا في جسم فاذا خلق الله تعالى تلك الرائحة في جرم ذلك الشراب سمي ذلك الجسم كافورا تشبيها له بالكافور في رائحته وان كان طعمه طيبا وثالثها لا بأس في ان يخلق الله الكافور في الجنة لكن مع طعم طيب لذيذ ويسلب ما فيه من المضرة ثم انه تعالى يمزجه بذلك المشروب فالمصنف اشار الى هذا الجواب بقوله لبرده وعذوبته وطيب عرفه يعني ان كافورها وان شارك كافور الدنيا في البياض والبرودة وطيب الرائحة لكنه يخالفه في طعمه فانه حلو لذيذ والى الجواب الاول بقوله وقيل الكافور اسم ماء في الجنة يشبه الكافور في بعض اوصافه فسمي باسمه على سبيل الاستعارة والى الثاني بان المراد بالكافور الممزوج بخمر الجنة كيفيات كافور الدنيا وسميت كافورا بطريق تسمية الحال باسم المحل (قوله ان جعل اسم ماء) واما ان كان المراد بالكافور الطيب المعروف او كيفيته فلا يصح حينئذ ابدال عينا

(ان الابرار) جمع بر كارباب او بار كاشهاد يشربون من كأس) من خمر وهي في الاصل القدح تكون فيه (كان مزاجها) ما يمزج بها (كافورا) لبرده وعذوبته وطيب عرفه وقيل اسم ماء في الجنة يشبه الكافور في رائحته وبياضه وقيل يخلق فيها كيفيات الكافور فتكون كالممزوجة به (عينا) بدل من كافورا ان جعل اسم ماء ومن محل من كأس

على تقدير مضاف اى ماء عين او خمرها اونصب على الاختصاص او بفعل يفسره ما بعده (يشرب بهاعبادالله) ملتذا اوممزوجابها وقيل الباء مزيدة او بمعنى من لان الشرب يبتدأ منها كاهو (يفجرونها تفجيرا) يجرونها حيث شاؤا اجرآءسهلا (يوفون بالنذر) استئناف بيان مارزقوه لاجله كأنه سئل عنه فاجيب بذلك وهو ابلغ فى وصفهم بالتوفر على اداء الواجبات لان من وفى بما اوجبه على نفسه لله فقدكان اوفى بما اوجبه الله عليه (ويخافون يوما كان شره) شدائده (مستطيرا) فاشيامنتشرا غاية الانتشار من استطار الحريق والفجر وهوابلغ من طار وفيه اشعار بحسن عقيدتهم و اجتنابهم عن المعاصى

منه الاغلاطا و بدل الغلط لايقع فى القرآن فعينا حينئذ بدل من محل من كاس على تقدير المضاف والتقدير يشربون خمرا خمر عين او منصوب بتقدير اعنى او باضمار يشربون يفسره ما بعده ولم يجعل عينا مفعول يشربون ومن صلة فلا ننصب مفعولا آخر (قوله على تقدير مضاف) لابدمن تقديره على كل حال من التقديرين اما على تقدير كونه بدلا من كافورا فلان كونه بدلا منه مبنى على ان يجعل الكافور اسم ماء والعين التى هى منبع الماء لاتبدل من نفس الماء الا بتقدير مضاف اى ماء عين واما على تقدير كونه بدلا من محل من كأس فلانه فسر الكاس بالخمر والعين لاتبدل من الخمر الا بان يكون التقدير خمرعين فقول المصنف اى ماء عين اوخمرها لف ونشرمرتب (قوله ملتذا اوممزوجابها) على ان تكون الباء فى بها متعلقة بمحذوف هو حال من مفعول يشرب وهو ايضا محذوف وهوضمير العين ثم ان كان العين بدلا من الكافور الممزوج بالخمر كان تقدير الكلام عينا يشرب بها عبادالله فى حال كونها ملتذا بها وان كان بدلا من محل من كأس كان تقدير الكلام عينا يشرب بها عبادالله فى حال كونها ممزوجا بها (قوله وقيل الباء مزيدة) فيكون الضمير المجرور مفعولا به ليشرب اى عينا يشرب بها والجملة على جميع التقادير صفة لقوله عينا وقوله يفجرونها صفة ثانية لها اوحال من عبادالله بمعنى مفجرين والتفجير الاجراء يقال فجرت الماء افجره بالضم فجرا فانفجر اى سقته واجريته فجرى وفجرته شدد للكثرة وقوله حيث شاؤا مستفاد من عدم ذكر المفعول وقوله اجراء سهلا مستفاد من المصدر المؤكد فانه يدل على انه لايمتنع عليهم كاجراء انهارالدنيا وعيونها واعلم ان الله تعالى لما وصف ثواب الابرار فى الآخرة شرح اعمالهم التى استوجبوا بها ذلك الثواب فقال على طريق الاستئناف يوفون بالنذر الآية كأنه قيل مالهم حتى رزقوا مثل ذلك الثواب الجزيل فاجيب بانهم كانوا يوفون ما اوجبوه على انفسهم ابتغاء لوجه الله ومن وفى بما اوجب لله على نفسه كان بما اوجبه الله تعالى عليه اوفى والايفاء بالشئ هو الاتيان به تاما وافيا (قوله وفيه اشعار بحسن عقيدتهم) حيث يؤمنون بالبعث والجزآء فان الاعتقاد به اصل يدور عليه مراعاة جميع الوظائف الاعتقادية والعملية عن مقاتل قال فشا شره فى السموات فانشقت وتناثرت الكواكب وكورت الشمس والقمر وفزعت الملائكة وفى الارض فنسفت الجبال واندكت الارض وغارت المياه وتكسر كل شئ على الارض من جبل و بناء اطلق الشر على اهوال القيامة مع انها عين حكمة وصواب لكونها مضرة وشدة بالنسبة الى من تنزل عليه فلذلك فسره المصنف بقوله شدائده ومن خاف

(ويطعمون الطعام على حبه) حب الله او الطعام او الاطعام (مسكينا ويتيما واسيرا) يعني اسارى الكفار فانه عليه الصلاة والسلام كان يؤتى بالاسير فيدفعه الى بعض المسلين فيقول احسن اليه او الاسير المؤمن ويدخل فيه المملوك والمسجون وفي الحديث غريمك اسيرك فأحسن الى اسيرك (انما نطعمكم لوجه الله) على ارادة القول بلسان الحال او المقال ازاحة لتوهم المن وتوقع المكافأة المنقصة للاجر وعن عائشة رضي الله تعالى عنها انها كانت تبعث بالصدقة الى اهل بيت ثم تسأل المبعوث ما قالوا فان ذكر دعاء دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا عند الله (لا نريد منكم جزآء ولا شكورا) اى شكرا (انا نخاف من ربنا) فلذلك نحسن اليكم او لا نطلب المكافأة منكم (يوما) عذاب يوم (عبوسا) تعبس فيه الوجوه او يشبه الاسد العبوس في ضراوته

من مثل ذلك اليوم فلا جرم يجتنب المعاصي (قوله حب الله) يحتمل وجهين الاول ان يكون المصدر مضافا الى المفعول والفاعل متروك اي على حبهم الله تعالى والثاني ان يضاف الى الفاعل والمفعول متروك اى على حب الله تعالى الاطعام وعلى تقدير ان يكون ضمير حبه للطعام المذكور او للاطعام المدلول عليه بقوله ويطعمون يكون المصدر مضافا الى مفعوله والفاعل متروك اى على حبهم الطعام او الاطعام اى وهم يحبونه على ان يكون الجار والمجرور في موضع الحال من فاعل يحبون وقوله مسكينا او ما عطف عليه مفعول ثان لقوله ويطعمون فان مجامع الطاعات محصورة في امرين التعظيم لامر الله واليه الاشارة بقوله يوفون بالنذر والشفقة على خلق الله تعالى واليه الاشارة بقوله ويطعمون الطعام فان الاطعام الذي هو جعل الغير طاعما كناية عن الاحسان الى المحتاجين والمواساة معهم باى وجه امكن وان لم يكن ذلك بالطعام بعينه الا ان الاحسان بالطعام لما كان اشرف انواع الاحسان عبر عن جنس الاحسان باسم هذا النوع (قوله فيقول أحسن اليه) وذلك لانه يجب الاطعام الى ان يرى الامام رأيه فيهم من قتل اومن او فدية او استرقاق فان قيل اذا كان الاسير الكافر ممن يكون عاقبة امره القتل كيف يجب اطعامه قلنا القتل في حال لا ينافي وجوب الاطعام في حال اخرى ولا يجب اذا عوقب بوجه ان يعاقب بوجه آخر ولذلك لا يحسن فيمن لزمه القصاص ان يفعل به غير القتل ثم هذا الاطعام يجب على الامام فان لم يطعمه الامام وجب على المسلين ثم انه تعالى لما ذكر اصناف من تجب مواساتهم وهم ثلاثة احدهم المسكين وهو العاجز عن الكسب بنفسه والثاني اليتيم وهو الذي مات كاسبه وهو صغير والثالث الاسير وهو الذي اخذ من قومه فلا يملك لنفسه نصرا ولا حيلة بين ان لهم فيه غرضين احدهما تحصيل رضى الله تعالى وهو المراد بقوله انما نطعمكم لوجه الله والثاني الاحتراز عن خوف يوم القيامة وهو المراد من قوله انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا والعبوس صفة من يحضر اليوم حقيقة وصف اليوم به مجازا كما يقال صام نهاره (قوله فلذلك نحسن اليكم او لا نطلب المكافأة منكم) يعني ان قوله تعالى انا نخاف من ربنا يوما عبوسا جملة مسوقة لتعليل ما سبق فيحتمل ان يكون علة لقوله لا نريد منكم جزآء ولا شكورا اى لا نريد منكم المكافأة لخوف عقاب الله تعالى على طلب المكافأة (قوله او يشبه الاسد العبوس في ضراوته) عطف على تعبس يعني ان اسناد العبوس الى اليوم اما من قبيل اسناد فعل اهل ذلك اليوم

(قمطريرا) شديد العبوس كالذي يجمع ما بين عينيه من اقطرت الناقة اذا رفعت ذنبها

...يها مشتق من القمطر والميم مزيدة (فوقاهم الله شر ذلك اليوم) بسبب خوفهم

...لهم منه (ولقاهم نضرة وسرورا) بدل عبوس الفجار وحزنهم (وجزاهم بما صبروا) بصبرهم على أداء الواجبات واجتناب المحرمات وايثار الاموال (جنة) بستانا يأكلون منه (وحريرا) يلبسونه وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان الحسن والحسين مرضا فعادهما رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في اناس معه فقالوا يا ابا الحسن لو نذرت على ولدك فنذر علي وفاطمة وفضة جارية لهما رضي الله تعالى عنهم صوم ثلاثة ايام ان برئا فشفيا وما معهم شيء فاستقرض علي كرم الله وجهه من شمعون الخيبري ثلاثة اصوع من شعير فطحنت فاطمة صاعا واختبزت خمسة اقراص فوضعوا بين ايديهم ليفطروا فوقف عليهم مسكين فآثروه وباتوا لم يذوقوا الا الماء واصبحوا صياما فلما امسوا ووضعوا الطعام وقف عليهم يتيم فآثروه ثم وقف عليهم في الثالثة اسير ففعلوا مثل ذلك فنزل جبريل بهذه السورة وقال خذها يا محمد هنأك الله في اهل بيتك

الى زمان فطرهم مثل صام نهاره او من قبيل اثبات لازم المشبه به للمشبه ليكون دليلا على التشبيه المضمر في النفس بان شبه اليوم بالاسد العبوس الكريه المنظر في شدة عبوسه لمن يراه تشبيها مضمرا في النفس وجعل اثبات لازم المشبه به له وهو العبوسة دليلا على ذلك التشبيه المضمر على سبيل الاستعارة بالكناية والتخييلية والضراوة هي السطوة والاقدام على ايصال الضرر بالعنف والحدة لكل من وراءه والقمطرير الشديد العبوس بحيث يجمع ما بين عينيه وهو ايضا من صفة من يحضر اليوم على الحقيقة يقال وجه قمطرير اي منقبض من شدة العبوس (قوله وجمعت قطريها) يقال جمع فلان بين قطريه اذا تغير معضبا كأنه جمع جوانبه لان يصول على من يغضبه والقطر هو الجانب والناحية يقال طعنه فقطره تقطيرا اي القاه على احد قطريه اي على احد جانبيه فتقطر اي سقط ويقال اقطرت الناقة اذا ارفعت ذنبها وجمعت قطريها على ان اقطر في اللغة بمعنى جمع فعلى هذا وصف اليوم بالقمطرير لكونه سبب العبوس اهله وجمعهم ما بين اعينهم وعلى ما ذكره المصنف يكون تشبيهه بالعبوس الذي يجمع ما بين عينيه استعارة بالكناية (قوله والميم زائدة) لم يتعرض لزيادة الراء مع ان قاعدة الصرف تقتضي زيادتها ايضا بناء على ان الراء ليست من حروف الزيادة وهي حروف هويت السمان بخلاف الميم قال الاخفش القمطرير اشد ما يكون من الايام واطوله في البلاء (قوله وايثار الاموال) اشارة الى المراد بقوله تعالى انما نطعمكم لوجه الله ليس هو الاطعام فقط بل جميع طرق المواساة باهل الحاجات من الطعام والكسوة ويدل عليه عطف قوله وحريرا على جنة عند ذكر مجازاتهم على صبرهم على الجوع والمجازاة بالحرير تناسب صبرهم على العري (قوله بستانا يأكلون منه) اشارة الى انه ليس المراد بالجنة ما يقابل النار وهي دار الكرامة المشتملة على جميع آثار رحمة الله تعالى وفضله حتى يقال اي حاجة الى ذكر الحرير بعد ذكر الجنة مع انها مشتملة عليه في جملة ما اعد فيها للمؤمنين بل المراد بها بستان المأكولات فذكرها لا يغني عن ذكر الملبس (قوله واختبزت) فلما وضعوها بين ايديهم وقف عليهم مسكين من المسلمين وقال اطعموني يطعمكم الله من موائد الجنة فآثروه على انفسهم وآثروا اليتيم في الليلة الثانية والاسير في الليلة الثالثة فلما آثروه اصبحوا فاخذ علي بيد الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهم ودخل الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلما ابصرهم وهم يرتعشون كالافراخ من شدة الجوع قال عليه الصلاة والسلام ما اشد ما يسوءني ما ارى بكم فقام وانطلق معهم فرأى فاطمة رضي الله تعالى عنها في محرابها

قد التصق بطنهما بظهرها وغارت عيناها فساءه ذلك جبريل عليه الصلاة والسلام بهذه السورة الى آخرها ولايلزم من هذا ان يكون المراد من الابرار اهل بيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله واصحابه اجمعين غاية مافي الباب انها نزلت عند صدور هذه القربة منهم فان العبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب فانه تعالى ذكر في اول السورة انه انما خلق الخلق للابتلاء والامتحان ثم بين انه هدى الكل وازاح عللهم ثم بين انهم انقسموا الى شاكر والى كفور ثم ذكر وعيد الكفور ثم اتبعه بذكر وعد الشاكرين والابرار وهذا الاسلوب يأبى ان يخص الابرار باهل بيت معين وان كانوا يدخلون فيهم دخولا اوليا كما يدخلون في جميع الايات الدالة على شرح احوال المطيعين وكذا غيرهم من اتقياء الصحابة والتابعين فلاوجه لان يقال انها نزلت في حق علي بن ابي طالب خاصة رضي الله تعالى عنه وكرم وجهه (قوله او صفة لجنة) اى لقاهم واعطاهم جنة متكئين هم فيها وفيه بحث لان متكئين حينئذ تكون جارية على غير من هي له فيجب ابراز الضمير عند البصريين فان اسم الفاعل اذا جرى صفة او خبرا او حالا او صلة على غير من هو له لايستتر فيه ضمير الفاعل بل يجب ابرازه ولا كذلك الفعل فانه يجوز استتار الضمير فيه حينئذ فقوله تعالى لايرون فيها شمسا يجوز ان يكون صفة لجنة مع استتار الضمير فيه بخلاف متكئين ودانية فانهما لايكونان صفة له لعدم الابراز ومنهم من لايفرق بين الفعل واسم الفاعل في جواز الابراز حينئذ ولايجوز ان يكون متكئين حالا من فاعل صبروا لان صبرهم كان في الدنيا واتكاؤهم انما هو في الآخرة الا ان تجعل حالا مقدرة والارائك جمع اريكة وهي السرير في الحجلة بالحريك واحدة حجال العروس وهي بيت يزين بالثياب والاسرة والستور والسرير لايسمى اريكة الا اذا كان في الحجلة كالسجل وهو الدلو المملوء بالماء واذا كان فارغا لايسمى سجلا وكذا الكأس لاتسمى كأسا الا اذا كانت مملوءة من الخمر ومثله كثير (قوله يمر عليهم فيها هواء معتدل) يعني ان ذكر الشمس في الاية من قبيل ذكر اسم الملزوم وارادة اللازم لان المقصود توصيف الجنة باعتدال الهواء وخلوها عن الهواء الحار المؤذي بحره وعن الهواء البارد المؤذي ببرده فذكر الشمس والزمهرير واريد ما يلزمهما من خروج الهواء بسببهما عن الاعتدال وعدم رؤية نفسهما لايفيد هذا المعنى فقوله تعالى لايرون بمعنى لايجدون لان الهواء ليس بمايرى وفي الحديث هواء الجنة سجسج لاحر فيه ولاقر والسجسج بسينين مهملتين وجيمين هو الهواء المعتدل والقر بالفتح بمعنى البارد وبالضم بمعنى البرد (قوله قد اعتكر) يقال اعتكر الظلام اى اختلط كأنه تراكم بعضه على بعض من بطء انجلائه وزهرت النار زهورا اضاءت وروى والزمهرير ما ظهر

(متكئين فيها على الارائك) حال من هم في جزاهم او صفة لجنة (لايرون فيها شمسا ولازمهريرا) يحتملهما وان يكون حالا من المستكن في متكئين والمعنى انه يمر عليهم فيها هواء معتدل لاحار محم ولا بارد مؤذ وقيل الزمهرير القمر في لغة طي قال الشاعر

وليلة ظلامها قد اعتكر * قطعتها والزمهرير مازهر

بدل ما زهر اى وقرها ماطلع (قوله والمعنى) يعنى ان المعنى على تقدير ان يكون المراد بالزمهرير القمر ان يكون هو آو ها مضيئا بذاته لايحتاج الى شمس ولاالى قمر وان اهلها فى ضياء مستديم لاليل فيها ولانهار لانهما انما يحصلان بطلوع الشمس وغروبها وعبر بعدم روية الشمس والقمر عن انعدام الاحتياج اليهما (قوله اى وجنة اخرى) على ان دانية صفة موصوف محذوف والمعنى وجزاهم بصبرهم على الطاعة وعن المعصية جنة وحريرا وجنة اخرى دانية فالابرار المذكورون لما كانوا خائفين بدليل قولهم انا نخاف من ربنا وعد والجنتين كما فى قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان (قوله والجملة حال او صفة) اى على تقدير ان يكون ظلالها مبتدأ ودانية خبره مقدما عليه تكون الجملة الاسمية اما حالا من فاعل لايرون فتكون الواو فيهما حالية لا عاطفة والمعنى لايرون فيها حرا ولا قرا والحال ان ظلالها دانية عليهم واما صفة لجنة فتكون الواو لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف كما فى قوله تعالى سبعة وثامنهم كلبهم فان قيل كيف توصف الجنة بان ظلال ما فيها من الاشجار دانية اى قريبة من الابرار والحال ان الظل انما يوجد حيث توجد تلك الشمس ولاشمس فى الجنة حتى يظل اهلها مافيها من الاشجار فالجواب ان المراد بان اشجار الجنة تكون بحيث لو كان هناك شمس لكانت تلك الاشجار مظلة منها والقطوف جمع قطف بالكسر وهو العنقود والمراد به فى الآية الثمر مطلقا والقطف بالفتح مصدر قولك قطفت العنبة اى قطعتها وسمى الثمر قطفا لانه يقطف كما سمى جنى لانه يجنى (قوله معطوف على ما قبله) فيكون تابعا له فى حكم اعرابه فان نصبت دانية على الحالية تكون جملة ذللت ايضا حالا اى ودانية ومذللة قطوفها لهم وان نصبتها على الوصف يكون ذللت ايضا صفة اخرى اى جزاهم جنة ذللت (قوله او حال من دانية) بتقدير قد وهذا الوجه مبنى على ان يكون دانية منصوبا بالعطف على جنة بتقدير الموصوف حتى يكون حالا من المفعول به اى وجزاهم جنة اخرى دانية وقد ذللت قطوفها لهم الا ان يكون المراد اوحال من فاعل دانيه كانه قيل تدنوا ظلالها عليهم فى حال تذليل قطوفها لهم ثم انه تعالى لما وصف طعامهم ولباسهم ومسكنهم ووصف شرابهم وقدم عليه وصف الاوانى التى يشربون بها فقال ويطاف عليهم اى ويدور على هؤلاء الابرار الخدم اذا ارادوا الشرب بآنية من فضة وآنية جمع اناء واصلها أأنية بهمزتين الاولى همزة افعلة مزيدة للجمع والثانية فاء الكلمة فقلبت الثانية الفا لسكونها وانفتاح ماقبلها وقوله من فضة نعت لآنية والاكواب جمع كوب وهو كوز لاعروة له ولاخرطوم

والمعنى ان هواءها مضئ بذاته لايحتاج الى شمس وقمر (ودانية عليهم ظلالها) اما حال او صفة اخرى معطوفة على ما قبلها او عطف على جنة اى وجنة اخرى دانية على انهم وعدوا جنتين كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان وقرئت بالرفع على انه خبر ظلالها والجملة حال او صفة (وذللت قطوفها تذليلا) معطوف على ما قبله او حال من دانية وتذليل القطوف ان تجعل سهلة التناول لا تمتنع على قطافها كيف شاؤا

(و يطاف عليهم بآنية من فضة واكواب) واباريق لا عروة لهـا (كانت قوارير قوارير من فضة) اى تكونت جامعة بين صفاء الزجاجة وشفيفها وبياض الفضة ولينها وقد نون قوارير من نون سلاسلا وابن كثير الاولى لانها رأس الآية والباقون لم ينونوا اصلا وقرئ قوارير من فضة على هى قوارير

و افرادهـا بالذكر بعد ذكر الآنية لشرفها بالنسبة الى غيرها كقوله تعالى من المؤمنين والمهاجرين ويحتمل ان يكون المراد بالآنية مايشرب فيه كالقدح و بالكوب مايصب منه فى الاناء كالاباريق كما اشار اليه بقوله واباريق (قوله اى تكونت) اشارة الى ان كان تامة بمعنى حدثت فيكون قوارير الاول حالا من فاعل كان ولعل الوجه فى اختيار كونهـا تامة مع جواز كونهـا ناقصة وقوارير الاول خبرها انهـا اذا جعلت بمعنى تكونت وحدثت ينتقل الذهن الى المكون المحدث وحيث لا يكون الا الله كان المعنى تكونت حال كونهـا قوارير بتكوين الله تعالى فتكون اشارة الى تفخيم الآنية بكونها اثر قدرة الله تعالى ولما ورد ان يقال كيف تكون الاكواب المذكورة من فضة ومن قوارير زجاجية اشار الى جوابه بانه ليس المعنى انها قوارير زجاجية متخذة من الفضة بل الحكم عليهـا بانها قوارير وانها من فضة من باب التمثيل للتفهيم فانهـا فى نفسها ليست فضة ولا زجاجية لما روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال ليس فى الدنيا مما فى الجنة الا الاسماء فثبت به ان آنية الجنة مباينة بالحقيقة لقارورة الدنيا وفضتها الا انها لما كانت جامعة بين صفاء الزجاجة ولطفهـا و بين بيـاض الفضة ولينها وصفت بانهـا من فضة تكونت حال كونهـا قوارير والاصل فى مثل سـلاسل وقوارير ان لا ينصرف لانه على صيغة منتهى الجموع الا ان من صرفه ونونه شبهه بالمفرد من حيث انه جمع جمع السـلامة كما يجمع الآحاد المنصرفة حيث يقـال صواحبات يوسف فى جمع صواحب فلما جمع كما يجمع الالفـاظ المفردة جعل فى حكمهـا وصرف مع ان ابا الحسن حكى عن بعض القوم انهم صرفوا جميع مالا ينصرف الا افعل من بناء على ان الاصل فى الاسماء ان تكون منصرفة ولهذا يصرفها الشعراء فى الشعر و اعلم ان القرآن فى كلمتى قوارير على خمس مراتب الاولى تنوينهمـا معا والوقف عليهما بالالف بدل التنوين كنافع والكسائى وابى بكر والثـانية عكس هذا وهو عدم تنوينهما وعدم الوقف عليهما بالالف كحمزة وحده والثالثة تنوين الاول دون الثانى والوقف على الاول بالالف وعلى الثـانى بدونها وهو لابى عمرو وابن ذكوان وحفص ووجه القول الاخير ان الاول رأس آية فناسب ان يوقف عليه بالالف والثانى ليس برأس آية فلم يوقف عليه بالالف ومن لم ينونهما وقف عليهما بالالف نظرا الى ان الاول رأس آية وحمل الثانى على الاول لمناسبة بينهما ونصب قوارير الاول على انه خبر كان ان جعلت ناقصة وعلى الحال ان جعلت تامة والجملة صفة لاكواب واما نصب قوارير الثانى وهو قراءة الجمهور

فعلى انه بدلة من الاولى للايضاح والبيان حيث بين انه من الفضة (قوله اى قدروها فى انفسهم) على ان يكون فاعل قدروها ضمير اهل الجنة لا ضمير الطائفين وقدروها فى محل النصب على انه صفة قوارير والمعنى قدر الشاربون فى انفسهم وتمنوا كون تلك القوارير على مقادير واشكال على حسب ما يريدون و يشتهون فجاء كما قدروها فان منتهى ما يريده الرجل فى الآنية التى يشرب منها الصفاء والنقاء والشكل اما الصفاء فقد ذكره الله تعالى بقوله كانت قوارير واما النقاء فقد ذكره بقوله من فضة واما الشكل والمقدار فقد ذكره بقوله قدروها تقديرا (قوله اوقدر الطائفون بها) على ان ضمير قدروها للخدام الطائفين ولابد من تقدير المضاف حينئذ اى قدر اخدام شراب القوارير على قدر رى الشارب من غير زيادة ولانقصان وهو ألذ للشارب لكونه على مقدار حاجته فان كل واحد من طرفى الاعتدال مذموم وقرئ قدروها بضم القاف وكسر الدال المشددة على بناء المفعول منقولا الى بناء التفعيل من قدرت الشئ وقدر نيه فلان اذا جعلك قادرا له والمعنى جعلوا قادرين لهما كما شاؤا (قوله مايشبه الزنجبيل) كلمة ما فى قوله مايشبه الزنجبيل يحتمل ان تكون بألف ممدودة و يشبه صفتها و بألف مقصورة و يشبه صلتها وعلى التقديرين لا يكون الزنجبيل على حقيقته بل يكون اسم ماء فى الجنة يشبه الزنجبيل فى بعض اوصافه يمزج به شراب الابرار كما قيل ان الكافور اسم ماء فيها يشبه الكافور فيكون عينا بدلا من زنجبيلا بتقدير المضاف اى ماء عين و ان كان الزنجبيل على حقيقته يكون عينا بدلا من كأسا اى و يسقون فيها خمرا خمر عين فيها لما وصف الله تعالى اوانى مشروبهم فقال و يسقون فيها الآية وصف مشروبهم بانه ممزوج بالزنجبيل لان العرب كانوا يحبون جعل الزنجبيل فى المشروب ولما توهم من تسمية تلك العين بالزنجبيل ان ليس فيها سلاسة الانحدار فى الحلق وسهولة مساغها كما هو مقتضى اللذع ازال ذلك الوهم بانها تسمى سلسبيلا لسلاسة انحدارها اى نزولها فى الحلق وانتفاء لذع الزنجبيل عنها فان السلاسة هى ضد اللذع وهو الاحراق يقال لذعته النار اى احرقته (قوله ولذلك) اى و لكون السلسبيل بمعنى السلسال والسلسل اللذين هما من صفات الماء بمعنى سهل الدخول فى الحلق لعذوبته وصفائه قيل زيدت الباء على السلسال للدلالة على غاية السلاسة والحلاوة (قوله وقيل اصله سل سبيلا) على انه كلام مركب من فعل امر من سأل له الشئ وفاعل مستتر فيه ومفعول بارز والتقدير سل انت سبيلا اليها ثم جعل هذا الكلام المركب علما لعين فى الجنة اولما أنها كما سمى الرجل تأبط

(سرا)

وهافى انفسهم فجاءت مقاديرها واشكالها كما تمنوه اوقدروها باعمالهم الصالحة فجاءت على حسبها اوقدر الطائفون بها المدلول عليهم بقوله يطاف شرابها على قدر اشتهائهم وقرئ قدروها اى جعلوا قادرين لها كما شاؤا من قدر منقولا من قدرت الشئ (و يسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا) مايشبه الزنجبيل فى الطعم وكانت العرب يستلذون الشراب الممزوج به (عينا فيها تسمى سلسبيلا) لسلاسة انحدارها فى الحلق وسهولة مساغها يقال شراب سلسل وسلسال و سلسبيل ولذلك حكم بزيادة الباء والمراد ان ينفى عنها لذع الزنجبيل و يصفها بنقيضه وقيل اصله سل سبيلا فسميت به كتأبط شرا لانه لايشرب منها الا من سأل اليها سبيلا بالعمل الصالح (و يطوف عليهم ولدان مخلدون) دائمون

شرا واعلم انه تعالى مزج شراب الابرار اولا بالكافور وثانيا بالزنجبيل لان المقصود الاهم حال الدخول البرودة لهجوم العطش عليهم من حر عرصات القيامة وعبور الصراط و بقدر استيفاء حظوظهم من انواع نعيمها وطعومها تهما تميل طباعهم الى الاشربة التى تهيج الاشتهاء وتعين على تشهيه ثانيا الوان المطعومات و يلتذ الطبع بشربهما فلعل الوجه فى تأخير ذكر ما يمزج به الزنجبيل عما يمزج به الكافور ذلك والله اعلم ثم انه تعالى شرع فى ذكر اوصاف الخدم الذين يطوفون عليهم بذلك المشروب فى تلك الاوانى فقال و يطوف عليهم ولدان فانهم اخف فى الخدمة مخلدون دائمون على ماهم عليه من الشباب والغضاضة فى الحسن لا يهرمون ولا يتغيرون و يكونون على سن واحد على ممر الازمنة (قوله وانبثاثهم) اى تفرقهم فى محل الخدمة عند اشتغالهم بانواع الخدمة وطوافهم على الابرار المخدومين مسارعين فى الخدمة ولو اصطفوا على وتيرة واحدة لشبهوا باللؤلؤ المنظوم واللؤلؤ اذا كان متفرقا كان احسن من المنظوم لوقوع شعاع بعضه على بعض فيكون مخالفا للمجتمع منه فى اللمعان والبريق وشبهت الحور العين باللؤلؤ المكنون اى المحفوظ المخزون لانهن لايمهن فى الخدمة فلا يقترن انتثار الولدان ثم انه تعالى لما فصل بعض ما فى الجنة من وجوه النعم وصنوف العزة والاكرام اتبعه بما يدل على ان مافيها من آثار الله تعالى ورحمته ليس مما يحصيه العدو التفصيل فقال واذا رأيت ثم اى فى الجنة فان ثم منصوب على الظرفية ورأيت من رؤية البصر فتعدى الى مفعول واحد الا انه فى الآية لم يقصد تعلقه بالمفعول فليس له مفعول ظاهر ولا مقدر ليشيع فى جميع ماوقعت الرؤية عليه كانه قيل اذا وجدت الرؤية منك ثم اى فى الجنة لايحصل لك بتلك الرؤية الا ادراك نعيم كثير لا يوصف عظمته وملك كبير لايعرف كنهه وقيل مفعوله ثم وهو اسم لاظرف والمعنى اذا رأيت ذلك الموضع وقيل تقديره واذا رأيت ماثم على ان ما موصولة فى موضع النصب على انه مفعول رأيت وثم صلته ثم حذف ما واقيم ثم مقامه وهذا خطأ عند البصريين فانه لايجوز عندهم حذف الموصول واقامة الصلة مقامه ثم قيل الخطاب فى رأيت للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل عام لكل مايصح ان يخاطب والنعيم ما يتنعم به والملك الكبير ماذكر فى الحديث الذى اورده المصنف وزاد المصنف ان العارف له اكثر من ذلك وهو ان تنكشف له صور عالم الغيب والشهادة بحقائقها فتستضئ مرآة قلبه بانوار العلوم المدنية والمعارف الالهية بسبب ارتفاع الحجب النفسانية والطبيعية و حصول قوة الاتصال بقدس الجبروت كما قيل نجوع زانى تجرد تصل انتهى (قوله

(اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا) من صفاء ألوانهم وانبثاثهم فى مجالسهم وانعكاس شعاع بعضهم الى بعض (واذا رأيت) ليس له مفعول ملفوظ ولا مقدر لانه عام معناه ان بصرك اينما وقع (ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا) واسعا وفى الحديث ادنى اهل الجنة منزلة ينظر فى ملكه مسيرة الف عام يرى اقصاه كما يرى ادناه هذا والعارف اكبر من ذلك وهو ان تنتقش نفسه بجلايا الملك وخفايا الملكوت فيستضئ بانوار قدس الجبروت (عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق) يعلوهم ثياب الحرير الخضر مارق منها وماغلظ

وتصبه على الحال) اختار قرآءة الجمهور وهم غير نافع وحمزة فانهم قرأوا عاليهم بفتح الياء وضم الهاء على الاصل فان الاصل فى هاء الضمير هو الضم مطلقا اى سواء كان ضمير المفرد او المثنى او المجموع نحو منه وعنه ومنهما وعنهما ومنهم وعنهم ومنهن وعنهن وفتحت فى منها وعنها لاجل الالف وكسرت اذا وقع قبلها كسرة او ياء ساكنة نحو بهم بهم اوفيهم للمجانسة الا ان حمزة قرأ الالفاظ الثلاث وهى عليهم و اليهم ولديهم بضم الهاء فى جميع القرءآن حيثما وقعت فيه نظرا الى ان الياء فيها بدل من الالف ولو نطق بالالف لم يكن فى الهاء الا الضم فكذا الحال اذا نطق ببدلها فمن قرأ عاليهم بالنصب جعله حالا من الضمير المجرور فى قوله يطوف عليهم اى يطوف عليهم ولدان عاليا المطوف عليهم ثياب سندس وقوله ثياب سندس مرفوع على انه فاعل اسم الفاعل المنصوب على الحالية فان عاليهم نكرة تكون اضافته لفظية لانه اسم فاعل بمعنى الاستقبال اضيف الى معموله فلاجل كونه نكرة جاز نصبه على الحال فان حق الحال ان يكون نكرة و يجوز بحسب العربية ان يكون عاليهم حالا من الولدان ويكون ضمير الجمع فيه للولدان لا الابرار الا ان المصنف لم يلتفت اليه من حيث ان المقام مقام تعداد نعيم الابرار و كراماتهم فالمناسب له ان تكون الثياب المذكورة لهم لا للولدان الطائفين (قوله اوحسبتهم) اى و يجوز ان يكون انتصاب عاليهم مبنيا على كونه بدلا من الضمير المنصوب فى حسبتهم اى حسبت الولدان لؤلؤا منثورا فى حال كونهم بحيث يعلوهم ثياب سندس فعلى هذا تكون الثياب للطائفين لاللمطوف عليهم اومن الاهل المقدر بعد رأيت اى رأيت اهل نعيم وملك كبير عاليهم ثياب سندس (قوله وقرأ نافع وحمزة بالرفع) اى بسكون الياء من عاليهم لثقل الضمة عليها وجعل المصنف قرأة الرفع مبنية على ان يكون ثياب سندس مبتدأ وعاليهم خبره على خلاف ما اختاره الزمخشرى من ان يكون عاليهم مبتدأ وثياب سندس خبره بمعنى مايعلوهم من اللباس ثياب سندس لانه يرد على ما اختاره الزمخشرى ان اضافة عاليهم لفظية فيكون نكرة ولايجوز الابتداء بالنكرة وان امكن ان يجاب عنه بانها مخصصة باضافتها الى المعرفة فجاز الابتداء بها (قوله جلا على سندس بالمعنى) اى قرئ خضر بالجر على انه صفة سندس وقوله بالمعنى جواب عما يقال كيف يجوز ان يكون خضر وهو جمع اخضر صفة لمفرد وتقرير الجواب ان سندسا وان كان مفردا بحسب اللفظ لكن لما اريد به الجنس كان فى معنى الجمع فيصح ان يوصف بالجمع كما فى قوله تعالى و ينشئ السحاب الثقال واعلم ان القرآء السبعة فى خضر واستبرق على اربع مراتب الاولى

وتصبه على الحال من هم فى عليهم او حسبتهم او ملكا على تقدير مضاف اى واهل ملك كبير عاليهم وقرأ نافع وحمزة بالرفع على انه خبر ثياب وقرأ ابن كثير و ابو بكر خضر بالجر جلا على سندس بالمعنى فانه اسم جنس واستبرق بالرفع عطفا على ثياب وقرأ ابو عمرو وابن عامر بالعكس وقرأهما نافع وحفص بالرفع وحمزة والكسائى بالجر وقرئ واستبرق بوصل الهمزة والفتح على انه استفعل من البريق جعل علما لهذا النوع من الثياب

(رفعهما)

رفعهما نافع وخفض صفة للثياب كما في قوله تعالى و يلبسون ثيابا خضرا واستبرق بالرفع معطوف على ثياب لكن على حذف مضاف اى وثياب استبرق كما في قولك على زيد ثوب خز وكتان اى وثوب كتان والثانية خفضهما حمزة والكسائي خضر صفة لسندس واستبرق عطف عليه لان المعنى ثياب من سندس وثياب من استبرق والثالثة رفع الاول وخفض الثانى لابى عمرو وابن عامر رفع خضر على انه نعت لثياب وجر استبرق عطف على سندس والرابعة عكس الثالثة اى خفض الاول ورفع الثانى جر خضر على انه نعت لسندس ورفع استبرق عطف على ثياب بحذف مضاف اى وثياب استبرق والسندس الديباج الرقيق الفاخر الحسن والاستبرق الديباج الغليظ الذى له بريق وقيل عاليهم ظرف مكان بمعنى يعلوهم فهو منصوب على الظرفية ثم منهم من قدر مضافا اى فوق حجالهم المضروبة عليهم ثياب سندس والمعنى ان حجالهم من الحرير والديباج لان كل واحد من الاستبرق والسندس داخل فى اسم الحرير فى قوله ولباسهم فيها حرير (قوله عطف على و يطوف عليهم) على طريق عطف فعلية على فعلية وحلوا وان كان ماضيا لفظا فانه مستقبل معنى وعبر بلفظ الماضى لتحقق وقوعه واساور مفعول ثان لحلوا بمعنى و يحلون (قوله ولا يخالفه) جواب عما يقال انه تعالى قال فى سورة الكهف يحلون فيها من اساور من ذهب وفى سورة الحج يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤ فكيف قيل ههنا من فضة واجاب عنه بثلاثة اوجه الاول انه يجوز ان يجمع فى ايديهم سوار ان سوار من فضة وسوار من ذهب ولؤلؤ او يجوز ان يجمع لايديهم محاسن الجنة كما روى عن سعيد بن جبير رضى الله تعالى عنه انه قال ليس من اهل الجنة احد الا وفى يده ثلاثة اسورة واحد من فضة وآخر من ذهب والثالث من لؤلؤ واحتج عليه بهذه الآيات والثانى يجوز ان يكون ذلك بحسب التعاقب فى الاوقات اى يلبسون تارة الذهب وتارة الفضة والثالث يجوز ان يكون ذلك بحسب اختلاف اعمالهم (قوله اوحال من الضمير فى عاليهم) عطف على قوله عطف على و يطوف عليهم اى يعلوهم ذلك وقد حلوا وعلى هذا الوجه يمكن ان تدفع المخالفة بين الآيتين بوجه آخر وهو ان يكون اسورة الذهب للمخدومين واسورة الفضة للخدم وانما قال وعلى هذا لما مر ان ضمير عاليهم يجوز ان يكون مسندا الى ضمير الولدان بان يكون حالا من ضمير حسبتهم فعلى هذا اذا كان قوله تعالى وحلوا حالا من ضمير عاليهم يكون مسندا الى ضمير الولدان ايضا بخلاف ما اذا كان حالا من ضمير عليهم او من ملكا كبيرا على تقدير المضاف فان قوله حلوا على التقدير ين يكون مسندا الى ضمير الابرار فيكون اسورة الفضة لهم لا للولدان (قوله فانه يطهر شاربه) يعنى ان الطهور

(وحلوا اساور من فضة عطف على ويطوف عليهم ولا يخالفه قوله اساور من ذهب لامكان الجمع والمعاقبة والتبعيض فان حلى اهل الجنة يختلف باختلاف اعمالهم فلعله تعالى يفيض عليهم جزاء لما عملوه بايديهم حليا وانوارا تتفاوت تفاوت الذهب والفضة اوحال من الضمير فى عاليهم باضمار قد وعلى هذا يجوز ان يكون هذا للخدم وذلك للمخدومين (وسقاهم ربهم شرابا طهورا) يريد به نوعا آخر يفوق على النوعين المتقدمين ولذلك اسند سقيه الى الله تعالى ووصفه بالطهورية

بمعنى المطهر كما روى عن مقاتل انه قال هو عين ماء اى على باب الجنة تنبع من ساق
شجرة منها من شرب منه نزع الله تعالى ما كان فى بطنه من غش وغل وحسد
وما كان فى جوفه من قذر واذى واشير الى هذا المعنى بقوله تعالى طبتم فادخلوها
خالدين فانه صريح فى ان الطهور بمعنى المطهر حيث قال ان الاشربة تطهر
باطنهم من الاخلاق الذميمة والاخلاط المؤذية وعن على رضى الله تعالى عنه
انه قال فى هذه الآية اذا توجه اهل الجنة الى الجنة مروا بشجرة يخرج من تحت
ساقها عينان فيشربون من احداهما فتجرى عليهم نضرة النعيم فلا تتغير ابشارهم
ولا تشعث شعورهم ابدا ثم يشربون من الاخرى فيخرج ما فى بطونهم من الاذى
ثم تستقبلهم خزنة الجنة فيقولون لهم سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقيل
الطهور مبالغة الطاهر من حيث انه ليس بنجس كخمر الدنيا لان كونها رجسا
ثبت شرعا لا عقلا وليست الدار دار تكليف ثم انه تعالى لما تم شرح ثواب
الابرار قال ان هذا اى يقال لهم بعد دخولهم الجنة ومشاهدتهم لما فيها من انواع
البهجة والنعيم ان هذا كان لكم جزاء لاعمالكم التى قد عملتموها فى الدنيا لله تعالى
يقال لهم ذلك ليزداد سرورهم ويحتمل ان يكون ذلك اخبارا من الله تعالى
لعباده فى الدنيا بعد شرح ثواب اهل الجنة لهم بان يقول هذا الذى شرحته
لكم كان فى علمى وحكمى جزاء لكم يا معشر عبيدى لكم خلقتها ولاجلكم
اعددتها والشكر اذا اسند الى العبد يكون عبارة عن قبول طاعة العبد وتوفير
ثوابه يقال شكر الله سعيك اى جزاك الله خيرا على ما سعيت واطلاق الشكر عليه
مجاز تشبيها له بالشكر من حيث كونه فعلا واقعا بمقابلة العمل كالشكر الواقع
بمقابلة الانعام ثم انه تعالى لما ذكر فى القرآن العظيم اصناف الوعد والوعيد
فى حق الشاكر والكفور وكان التذكر والاتعاظ به موقوفا على صدق المبلغ
وحقية رسالته بين ان ما بلغه اليهم ليس بسحر ولا شعر ولا كهانة بل هو وحى
الهى تفرد الله تعالى بتنزيله مفرقا منجما آية بعد آية ولم ينزل جملة واحدة فقال
انا نحن نزلنا ولم يقل انزلنا للمبالغة فى تأكيد كونه وحيا الهيا بتصدير الكلام بان
وتكرير الضمير الذى هو اسم ان وتأكيده بالضمير المنفصل تأكيدا على تأكيد
فكأنه تعالى يقول ان هؤلاء الكفار يقولون انه سحر او كهانة او نحو ذلك وانا
الله رب العالمين اقول على سبيل التأكيد والتحقيق ان ذلك وحى حق وتنزيل
صدق من قبيل لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فلا تكترث بما قالوا فى حقه
وفى شأنك فان ما قالوه صادر عن المكابرة والعناد بمنزلة قول من ينكر زوجية الاربعة
وكون الواحد نصف الاثنين فأنت لا محالة رسول مبعوث بالهدى ودين الحق
وان المقصود من بعثك ان تظهر الدين الحق على الاديان كلها فاصبر بتأخير

فانه يطهر شاربه عن الميل الى اللذات الحسية والركون الى ما سوى الحق فيتجرد لمطالعة جماله ملتذا بلقائه باقيا ببقائه وهو منتهى درجات الصديقين ولذلك ختم به ثواب الابرار (ان هذا كان لكم جزاء) على اضمار القول والاشارة الى ما عد من ثوابهم (وكان سعيكم مشكورا) مجازى عليه غير مضيع (انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا) مفرقا منجما لحكمة اقتضته وتكرير الضمير مع ان مزيد لاختصاص التنزيل (فاصبر لحكم ربك) بتأخير نصرك على كفار مكة وغيرهم (ولا تطع منهم آثما او كفورا) اى كل واحد من مرتكب الاثم الداعى لك اليه ومن الغالى فى الكفر الداعى اليه ،

(نصرك)

نصرك على اعداء الدين فانه كائن لامحالة (قوله واو للدلالة على انهما سيان في استحقاق العصيان) يعني ان كلمة او وسواء وقعت في سياق الاثبات او النفي فمعناها احد الامرين او الامور الا ان ثبوت الشئ لاحد الامرين او الامور لايستلزم ثبوته للجميع فهي اذا وقعت في سياق الاثبات تكون للاباحة او التخيير فان كان الجمع بين الامرين مما فيه فضيلة وشرف خا لباكما في قولك جالس الحسن او ابن سيرين تكون للاباحة فيجوز الجمع بينهما والاقتصار على احدهما والا فهي للتخيير نحو اضرب زيدا اوعمرا ولا يجوز الجمع بينهما بل يجب الاقتصار على احدهما بخلاف نفي احد الامرين او الامور والنهي عن احدهما فانه يستلزم نفي الجمع والنهي عنه لان كل واحد منهما يصدق عليه مفهوم احدهما ونفي مايصدق عليه هذا المفهول يستلزم نفي الجمع فاذا قلت لاتضرب زيدا اوعمرا فالتقدير لاتضرب احدهما فيكون ضرب كل واحد منهما منهيا عنه لكونه ضرب احدهما وقد نهي عنه وكذا لو قيل لاتطع احدهما كان المعنى لاتطع كل واحد منهما فيكون كلمة او للدلالة على انهما سيان في استحقاق العصيان فان قيل فعلى ماذكرت يكون معنى او في الآية النهي عن طاعة احدهما فهلا جيئ بالواو ليكون نهيا عن طاعتهما جميعا فالجواب انه لوقيل ولاتطعهما او ولاتطع آثما وكفورا لاحتمل جواز ان تطيع احدهما بخلاف ما اذا قيل لاتطع احدهما فانه حينئذ يعلم ان النهي عن طاعة احدهما هو نهي عن طاعتهما (قوله والتقسيم باعتبار مايدعونه اليه) اي من الاثم والكفر لاباعتبار انقسامهم في انفسهم الى الآثم والكفور لان القوم كلهم كفرة ومن كان كافرا يكون آثما لامحالة لان الكفر اخبث انواع الاثم فكلهم كفرة وأثمة فلامعنى لتقسيمهم في انفسهم الى القسمين وانما التقسيم باعتبار مايدعونه اليه من الكفر والاثم فالمعنى لاتطع من يدعوك من الكفرة الى الاثم ولامن يدعوك منهم الى الكفر والتقسيم بهذا الاعتبار افاد تعليل النهي بوصفي الكفر والاثم القائمين بهم فدل على ان مطاوعتهما فيماليس باثم ولاكفر غير محظور وفي نهيه عليه الصلاة والسلام عن اطاعة من يدعوه الى الاثم والكفر مع انه عليه الصلاة والسلام لايتصور في حقه ان يطيع احدا منهم اشارة الى ان الناس محتاجون الى مواصلة التنبيه والارشاد من حيث ان طبيعتهم التي جبلوا عليها ركب فيها الشهوة الداعية الى السهو والغفلة ولو ان احدا استغنى عن توفيق الله تعالى وامداده وارشاده لكان احق الناس به هو الرسول المعصوم صلى الله تعالى عليه وسلم فظهر منه انه لابد لكل مسلم ان يرغب اليه تعالى ويتضرع اليه في ان يعصمه عن الفتن والآفات في جميع الامور والحالات ثم قيل المراد بالآثم عتبة بن ربيعة

واو للدلالة على انهما سيان في استحقاق العصيان والاستقلال به والتقسيم باعتبار مايدعونه اليه فان ترتب النهي على الوصفين مشعر بانه لهما وذلك يستدعي ان يكون المطاوعة في الاثم والكفر محظورا فان مطاوعتهما فيماليس باثم ولاكفر غير محظور

(واذكر اسم ربك بكرة واصيلا) وداوم على ذكره اودم على صلاتي الفجر والظهر او العصر فان الاصيل يتناول وقتيهما (ومن الليل فاسجد له) وبعض الليل فصل له ولعل المراد به صلاة المغرب والعشاء وتقديم الظرف لما في صلاة الليل من مزيد الكلفة والخلوص (وسبحه ليلا طويلا) وتهجد له طائفة طويلة من الليل (ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم) امامهم او خلف ظهورهم (يوما ثقيلا) شديدا مستعار من الثقل الباهظ للحامل وهو كالتعليل للامر به ونهي عنه

وبالكفور الوليد بن المغيرة لان عتبة كان متعاطيا لانواع الفسق والوليد كان متوغلا في الكفر * روي ان عتبة بن ربيعة قال له عليه الصلاة والسلام ارجع عن هذا الامر حتى ازوجك ولدي فاني من اجمل قريش ولدا وقال الوليد انا اعطيك من المال حتى ترضى فاني من اكثرهم مالا فقرأ عليهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عشر آيات من اول حم السجدة الى قوله فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فانصرفوا عنه وقال احدهما ظننت ان الكعبة ستقع علي وقيل المراد بهما شخص واحد هو ابو جهل وقيل المراد بهما الآثم والكفور مطلقا اي شخص كان وهو الاقرب الى اطلاق اللفظ ثم انه تعالى لما ذكر هذا النهي عقبه بالامر فقال واذكر اسم ربك ثم قيل ليس المراد من الذكر الصلاة بل المراد به التسبيح الذي هو القول والاعتقاد اي وكن ذاكر الله تعالى دائما ليلا ونهارا بقلبك ولسانك كما هو المراد من قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا وقيل المراد به الصلاة الخمس لان التقييد بالبكرة والاصيل يدل على ان المراد به ذلك فالبكرة هي صلاة الصبح والاصيل صلاة الظهر والعصر لان الاصيل اسم للوقت الذي يكون بعد الزوال الى الغروب وقيل لما بعد العصر الى الغروب ثم انه تعالى لما خاطب رسوله بالتعظيم والنهي والامر عدل الى شرح احوال الكفار والمتمردين فقال ان هؤلاء اي الكفرة يحبون العاجلة اي يؤثرونها على الآخرة يعني ان الذي حمل هؤلاء الكفار على الكفر والاعراض عن اتباع ما تدعوهم اليه ليس هو اشتباه الحق عليهم لعدم كفاية ما نزلنا عليك من الآيات والدلائل الدالة على التوحيد وحقيقة امر النبوة فان فيما بلغته اليهم كفاية في بيان الحق والارشاد اليه وانما الذي حملهم عليه غلبة الشهوة والمحبة لهذه اللذات العاجلة (قوله امامهم او خلف ظهورهم) فان الوراء يستعمل في كل واحد من المعنيين وفي الصحاح وراء بمعنى خلف وقد تكون بمعنى قدام فهي من الاضداد فهو ان كان بمعنى القدام يكون حالا من قوله يوما ثقيلا وهو مفعول يذرون لا ظرف له وان كان بمعنى خلف يكون ظرفا ليذرون كانه قيل ويذرونه خلف ظهورهم فحينئذ يكون قوله ويذرون وراءهم يوما ثقيلا استعارة تمثيلية بان شبهت حالهم في عدم اهتمامهم بيوم القيامة واعراضهم عنه بجعلهم اياه وراء ظهورهم فاستعمل ما يدل على الحال المشبه بها في الحال المشبهة (قوله مستعار من الثقل) الثقيل من صفات الاجسام الكثيفة ولا يوصف به الزمان حقيقة الا انه شبه يوم القيامة لشدته وهوله بالشيء الثقيل الذي يتعب حامله (قوله وهو كالتعليل للامر به ونهي

هذه) يعني ان توصيف اليوم بالثقل والشدة وان وقع لتهديد الكفار وتجهيلهم الا انه يصلح ان يكون تعليلا لما جرى بينه تعالى وبين رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم من نقل ذلك اليوم وشدته والظفر فيه بجميع السعادات والكرامات (قوله واحكمنا ربط مفاصلهم) فسر الاسر بالربط كما ثبت ذلك عند اهل اللغة وقدر بعده مضافا وهو المفاصل فكان المعنى احكمنا ربط اوصالهم بعضها ببعض كالعروق والاعصاب لما ذكر الله تعالى ان الذي دعاهم الى الاستمرار على ماهم عليه من الكفر والعناد حب العاجلة اتبعه بهذه الآية فكانه قيل لهم هبوا ان حبكم لهذه اللذات العاجلة طريقة مستحسنة الا ان ذلك الحب يوجب عليكم الايمان والطاعة ايضا من حيث ان جميع ماانتم عليه من النعم وما تتمكنون به من الانتفاع بها فانما هو بخلق الله تعالى وحده لاشريك له في خلق شيء منها كما يدل عليه تقديم المسند اليه في قوله نحن خلقناهم وشددنا اسرهم وحق هذا المنعم ان يطاع في جميع ماكلف به ولا يعصى بوجه ما وانتم اساتم بكمال العصيان مع كمال رغبتكم في احسانه وفي ان يزيد عليكم ماتؤملونه ومثل هذه الرغبة تنافي العصيان ثم اشار بقوله واذا شئنا الآية الى ان من قدر على اعطاء هذه النعم قادر على ان يهلكهم ويسلب عنهم جميع ماانعم به عليهم وان يلقيهم في كل محنة وبلية ان لم تطيعوا هذا المنعم القادر على كل شيء شكرا لانعامه ورغبة في مزيد احسانه فلم لم تطيعوه خوفا من نقمته وقهره ففيه توبيخ عظيم على كفرهم (قوله ولذلك جيء باذا) فان حقها ان تستعمل فيما هو محقق الوقوع استدل به على ان المراد بالتبديل الاعادة والبعث فان المعاد مثل المبدأ من حيث اشتماله على الاجزاء الاصلية المبدأة وان خالفه باختلاف العوارض وان التبديل بمعنى الاعادة محقق الوقوع لاريب فيه فكلمة اذا حينئذ تكون في موقعها ويحتمل ان يكون المراد تبديل امثالهم انشاء امثالهم في الدنيا لا بالبعث بل باتيان اشباههم بدلا منهم ممن يطيع كما قال ان يشأ يذهبكم ايها الناس ويأت بآخرين فحينئذ لايكون اذا مناسبا للمقام لان اهلاكهم وايجاد امثالهم في الدنيا ليس معلوم الوقوع فالمناسب للمقام ايراد كلمة ان والجواب ان ايجاد امثالهم في الدنيا بمنزلة محقق الوقوع من حيث كونه داخلا تحت قدرة الله تعالى وقوة مايدعو اليه من كفرهم وعنادهم وعدل الله تعالى وكونه شديد العقاب (قوله تقرب اليه بالطاعة) فسر السبيل الى مرضاة الرب بالطاعة وفسر اتخاذها بالتقرب بها اليه اي اذا اتضح هذا التذكير فمن شاء النجاة من ثقل ذلك اليوم وشدته اختار سبيلا مقربا الى مرضاة ربه وهو الطاعة (قوله الا وقت ان يشاء الله) اشارة الى ان انمع الفعل

(نحن خلقناهم وشددنا اسرهم) واحكمنا ربط مفاصلهم بالاعصاب (واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا) واذا شئنا اهلكناهم وبدلنا هم امثالهم في الخلقة وشدة الاسر يعني النشأة الثانية ولذلك جيء باذا او بدلنا غيرهم ممن يطيع واذا لتحقيق القدرة وقوة الداعية (ان هذه تذكرة) الاشارة الى السورة او الآيات القريبة (فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا) تقرب اليه بالطاعة (وما تشاؤن الا ان يشاء الله) وما تشاؤن ذلك الا وقت ان يشاء الله مشيئتكم وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر يشاؤن بالياء (ان الله كان عليما) بما يستأهل كل احد (حكيما) لايشاء الا ما تقتضيه حكمته (يدخل من يشاء في رحمته) بالهداية والتوفيق للطاعة (والظالمين اعد لهم عذابا اليما) نصب الظالمين بفعل يفسره اعد لهم مثل اوعد وكافأ

في حكم المصدر والصبر يح في قيامه مقام ظرف الزمان وانتصابه بالظرفية في نحو قولك آتيك خفو في النجم وصياح الديك فهو استثناء مفرغ اى ما تشاؤن الطاعة والتقرب بها وقتا من الاوقات الاوقت ان يشاءالله تعالى مشيئتكم فان جميع ما يجرى على الانسان من الطاعة والمعصية والكفر والايمان انما يجرى عليه بخلق الله تعالى ومايخلقه الابمشيئته فلايشاء ان يخلق فيكم مشيئة الطاعة الا اذا علم منكم اختيار ذلك قرأ نافع والكوفيون تشاؤن على الخطاب العام اوعلى الالتفات من الغيبة في قوله نحن خلقناهم الى الخطاب والباقون بياء الغيبة على وفق قوله خلقناهم (قوله ليطابق الجملة المعطوف عليها) فانها معطوفة على جملة يدخل من يشاء في رحمته والظالمين وقع منصوبا على انه من قبيل ما اضمر عامله على شريطة التفسير فتطابقت الجملتان في الفعلتين بخلاف ما اذا رفع والظالمون على الابتداء فانه حينئذ تفوت المطابقة بين المعطوف والمعطوف عليه ولم يضمر ناصب الظالمين بما يوافق لفظ المفسر وهو اعدلهم بل اضمر مايناسبه في المعنى مثل اوعد وكافأ لان لفظ اعدلا يتعدى بنفسه * تمت سورة الانسان والحمدلله رب العالمين

(سورة والمرسلات)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(قوله تعالى والمرسلات) جمع مرسلة بمعنى الطوائف المرسلات بالالف والتاء لكونها عبارة عن الطائفة المرسلة لمصلحة ومن حق جمع المؤنث من العقلاء ان يجمع بالالف والتاء ولايكفى في صحة جمع المرسلات بالالف والتاء ان يقدر كونها صفة الملائكة لانه يستلزم ان يكون مفردها مرسلا بمعنى ملك مرسل وليس كذلك بل هي جمع مرسلة بمعنى طائفة مرسلة فتكون المرسلات بمعنى الطوائف المرسلات من الملائكة (قوله متتابعة) اشارة الى ان عرفا حال من المنوى في المرسلات وانه من باب التشبيه البليغ بان شبهت الملائكة المرسلة في تتابعهم وتلو بعضهم بعضا بشعر عرف الفرس من قولهم جاؤا كعرف الفرس اى متتابعين وفي الصحاح العرف عرف الفرس وقوله تعالى والمرسلات عرفا يقال هو مستعار من عرف الفرس اى يتتابعون كعرف الفرس انتهى (قوله باوامره) اى بتنفيذ ماحكم به وامرهم بامضائه كتعذيب قوم وانجاء آخرين وليس المراد من ارسالهن بالاوامر ايصال اوامر الله الى الانبياء لانه لايبقى حينئذ للتخصيص بالاوامر فائدة ويكون قوله والناشرات تكرارا او عصفا مصدر مؤكد وكذلك نشرا وفرقا وعصوف الريح شدة هبوبها شبهت الطوائف المرسلات من الملائكة في سرعة جريهن في نزولهن وهبوطهن

(بالرياح)

ليطابق الجملة المعطوف عليها وقرئ بالرفع على الابتداء * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هل اتى كان جزاؤه على الله جنة وحريرا

(سورة والمرسلات مكية وآيها خمسون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا) اقسم بطوائف من الملائكة ارسلهن الله باوامر متتابعة فعصفن عصف الرياح في امتثال امره ونشرن الشرائع في الارض او نشرن النفوس الموتى بالجهل بما اوحين من العلم ففرقن بين الحق والباطل فالقين الى الانبياء ذكرا (عذرا) للمحقين (او نذرا) للمبطلين

بالنسخ ونشرن آثار الهدى والحكم فى الشرق والغرب وفرقن بين الحق والباطل فألقين ذكر الحق فيما بين العالمين او بالنفوس الكاملة المرسلة الى الابدان لاستكمالها فعصفن ماسوى الحق ونشرن أثر ذلك فى جميع الاعضاء ففرقن بين الحق بذاته والباطل فى نفسه فيرون كل شئ هالكا الاوجهه فالقين ذكرا بحيث لا يكون فى القلوب والالسنة الاذكر الله او برياح عذاب ارسلهن فعصفن ورياح رحمة نشرن السحاب فى الجو ففرقن فالقين ذكرا اى تسبين له فان العاقل اذا شاهد هبوبها وآثارها ذكر الله تعالى وتذكر كمال قدرته وعرفا اما نقيض النكر وانتصابه على العلة اى ارسلن للاحسان والمعروف او بمعنى المتابعة من عرف الفرس وانتصابه على الحال

بالرياح الشديدة الهبوب والفاء للدلالة على اتصال جريهن فى نزولهن بالارسال من غير مهلة وهو من عطف الصفة على الصفة لاتحاد موصوف المرسلات والعاصفات وعطف قوله والناشرات على المرسلات بالواو لعدم كون نشر الشرائع متفرعا على الارسال ومتعقباله فان الملائكة اول مايبلغون الوحى الى الرسل لايصير ذلك الدين فى الحال مشهورا منتشرا بل اكثر الخلق يكذبون الرسل مكابرة وعنادا فلم يعطف النشر على ما قبله بفاء التعقيب بل عطف بالواو الدالة على الاجتماع فى الوجود مع قطع النظر عن افادة معنى التعقيب والتراخى ثم اذا حصل النشر رتب عليه حصول الفرق بين الحق والباطل والقاء الذكر الى الانبياء عليهم الصلاة والسلام الى ان يتم مراسم الدين ومايتعلق بمكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال الى ان ينزل قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم فلذلك عطف هذين الامرين بفاء التعقيب وهذا وجه الترتيب على تقدير ان تكون الصفات الخمس لطوائف الملائكة وبه يعرف وجه الترتيب على ان تكون الصفات المذكورة لغير الملائكة (قوله او بآيات القرآن) عطف على قوله بطوائف من الملائكة فعلى هذا يكون المقسم بها آيات القرآن الموصوفة بتلك الصفات الخمس (قوله بكل عرف) اشارة الى ان انتصاب عرفا حينئذ بنزع الخافض (قوله فعصفن سائر الكتب والاديان) اى غلبتها وقهرنها يقال عصف الشئ اى اباده واهلكه وعصفت الحرب بالقوم اى ذهبت بهم (قوله او برياح عذاب ورياح رحمة) فعلى هذا يكون قوله والناشرات قسما مستأنفا برياح الرحمة بعد ان اقسم برياح العذاب التى ارسلت عرفا اى متتابعة كشعر العرف فعصفن وحمل المرسلات العاصفات على رياح العذاب بقرينة توصيفها بالعصف الذى هو شدة الهبوب وهى امارة كونها مرسلة للعذاب وحمل مابعدها على رياح الرحمة اخذا من توصيفها بنشر السحاب اى بسطه فى الجو وتفريق اجزائه بعضها عن بعض غب نشره قال الله تعالى الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه فى السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فقوله تعالى والناشرات نشرا فالفارقات فرقا على هذا التفسير فى معنى قوله فيبسطه فى السماء كيف يشاء ويجعله كسفا اى قطعا فان الكسف جمع كسفة وهى القطعة من الشئ والرياح الموصوفة بصفات القهر واللطف لما كانت سببا لتمسك العاقل بذكر الله تعالى والالتجاء الى عفوه ورحمته وبذل الجهد فى شكر نعمه صارت تلك الرياح كأنها القت الذكر فكان الاسناد اليها مجازيا (قوله وعرفا اما نقيض النكر) يعنى ان عرفا اما بمعنى المعروف والاحسان

والخير كما فى قوله تعالى وأمر بالمعروف وهو نقيض المنكر واما بمعنى الاجتماع والتتابع من عرف نحو الفرس والضبع وهو شعر الرقبة يقال جاؤا عرفا واحدا وهم عليه كعرف الضبع اذا تألبوا عليه اى اجتمعوا (قوله مصدران لعذر وانذر) كون عذرا مصدر عذر ظاهر لان فعلا نحو شكرا وكفرا من مصادر الثلاثى واما كون نذرا مصدر انذر فليس بظاهر فلعل المراد انه اسم مصدر له وفى الصحاح الانذار الابلاغ ولا يكون الا فى نحو التخويف والاسم النذر ومنه قوله تعالى فكيف كان عذابى ونذر اى انذارى فانه صريح فى ان النذر اسم لمصدر انذر (قوله او جمعان لعذير بمعنى المعذرة ونذير بمعنى الانذار) فان لفظ فعيل كثيرا ما يستعمل بمعنى المصدر كالنكير بمعنى الانكار قال ابو على العذر والعذير والنذر والنذير مثل النكر والنكير ويجوز ان يجمع المصدر لاختلاف اجناسه فان المعذرة تختلف بحسب اختلاف الاساءة ووجوهها وكذا الانذار ويجوز تثنية المصدر وجمعه عند اختلاف اجناسه وانواعه ثم ذكر احتمال ان يكون العذر والنذر جمعى العذير والنذير بمعنى العاذر والمنذر كما فى قوله تعالى هذا نذير من النذر الاولى اى منذر من قبيل المنذرين الاولين (قوله ونصبهما على الاولين) اى على ان يكونا مصدرين او جمعى ما هو بمعنى المصدرين بالعلية اى بان يكونا مفعولا لهما اى فالملقيات ذكرا للاعذار والانذار اى لمحو ذنوب المحقين المعتذرين الى الله تعالى بالتوبة والاستغفار وتخويف المبطلين المصرين (قوله او البدلية) اى ويجوز ان يكون انتصاب عذرا او نذرا على البدل بان يكونا مفعولين على البدلية من قوله ذكرا اى فالملقيات عذرا او نذرا ثم ان كان الذكر المبدل منه بمعنى جميع الوحى يكون عذرا او نذرا بدل البعض من الكل فان ما يتعلق بمغفرة المطيعين وتخويف المعاندين بعض من جملة الوحى وان اريد بالذكر المبدل منه ما يتعلق بسعادة الموحد وشقاوة المشرك خاصة من جملة الوحى يكون بدل الكل من الكل فان ما القى الى الانبياء من الآيات المتعلقة بمحو الاساءة وتخويف المصر عليها متحد بالذات مع الذكر المخصوص المتعلق بسعادة الموحد وشقاوة المشرك فقوله او ما يعم الموحد والمشرك معناه او ما يتناول احوال اهل التوحيد والشرك خاصة (قوله وعلى الثالث) وهو ان يكونا جمعى عذير ونذير بمعنى العاذر والمنذر يكون انتصابهما على الحالية من المنوى فى الملقيات اى فالملقيات ذكرا حال كونهم عاذرين او منذرين (قوله بالتخفيف) اى باسكان

عذرا او نذرا مصدران لعذر اذا محا الاساءة وانذر اذا خوف او جمعان لعذير بمعنى المعذرة ونذير بمعنى الانذار او بمعنى العاذر والمنذر ونصبهما على الاولين بالعلية اى عذرا للمحقين ونذرا للمبطلين او البدلية من ذكرا على ان المراد به الوحى او ما يعم التوحيد والشرك والايمان والكفر وعلى الثالث بالحالية وقرأهما ابو عمرو وحمزة والكسائى وحفص بالتخفيف

الذال فيهما وقرأ الباقون بتحريكهما بالضم (قوله تعالى انما توعدون لواقع) اى ان الذى توعدونه من امر القيامة على أن ما موصولة فى محل النصب على انها اسم ان وتوعدون صلتها والعائد محذف ولواقع خبرها وكان من حقها ان تكتب منفصلة عن الموصول ولكنهم كتبوها متصلة وخص الموعود بمجيء القيامة لان المذكور عقيب هذه الآية علامات القيامة فدل ذلك على ان المراد بالموعود هو القيامة فقط وقال الكلبى المراد ان كل ماتوعدونه من الخير والشر لواقع نظرا الى عموم لفظ الموصول (قوله محقت) فى الصحاح الطموس الدروس والانمحاء يقال طمس الطريق وانطمس اى انمحى ودرس والطمس محو الاثر الدال على الشيء فيحتمل ان يكون المراد بقوله تعالى طمست محقت ومحيت ذواتها لقوله واذ النجوم انكدرت وان يكون المراد محقت انوارها والاول اولى لعدم احتياجه الى الاضمار وقوله النجوم مرتفعة بفعل مضمر يفسره ما بعده عند البصريين من غير الاخفش وبالابتداء عند الكوفيين والاخفش وطمست خبره والاول اولى لان اذا فيها معنى الشرط والشرط بالفعل اولى ومحل الجملة على المذهبين الجر باذا وجواب اذا محذوف والتقدير فاذا طمست النجوم وقع ما توعدون او بعثتم اوجوزيتم على اعمالكم وحذف لدلالة قوله انما توعدون لواقع عليه وقيل جوابه ويل يومئذ للمكذبين وقيل تقدير الكلام وذكر اذا النجوم طمست (قوله صدعت) اى انشقت والفرج الشق يقال فرجه الله تعالى فانفرج وصدعته فانصدع اى انشق (قوله كالحب ينسف) اى يطير فى الهواء ليخلص من تبنه قال تعالى لنحرقنه ثم لننسفنه فى اليم نسفا يقال حرقت الشيء حرقا اى بردته بالمبرد وشدد للكثرة والمبالغة (قوله عين لها وقتها) فسر توقيت الرسل بان يعين لهم وقتهم الذى يحضرون فيه للشهادة على اممهم وذلك الوقت ما اشير اليه بقوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم (قوله بحصوله فانه لايتعين لهم قبله) جواب عما يقال كيف يكون تعين ذلك الوقت لهم من مقدمات القيامة واماراتها كالثلاثة المتقدمة وهى الطمس والفرج والنسف مع ان الرسل قد عين لهم ذلك الوقت و بين ايام حياتهم فى الدنيا فكيف يكون ذلك من مقدمات القيامة وعلاماتها وتقرير الجواب ان ما بين لهم فى الدنيا ليس الا انهم يجمعون يوم القيامة ويسألون ماذا اجبتم ولم يبين لهم فيها ذلك الوقت بعينه ولايتعين لهم ذلك الا بحصوله ومجيئه وفسر توقيت الرسل بتعين وقت حضورهم للشهادة لا تعين وقت انفسهم وذواتهم لان توقيت الشيء بمعنى تعين وقته انما يعتبر بالنسبة الى

(انما توعدون لواقع) جواب القسم ومعناه ان الذى توعدونه من مجيء القيامة كائن لا محالة (فاذا النجوم طمست) محقت اواذهب نورها (واذا السماء فرجت) صدعت (واذا الجبال نسفت) كالحب ينسف بالنسف (واذا الرسل اقتت) عين لها وقتها الذى يحضرون فيه للشهادة على الامم بحصوله فانه لايتعين لهم قبله او بلغت ميقاتها الذى كانت تنتظره وقرأ ابو عمرو وقتت على الاصل

الزمانيات المتجددة لا بالنسبة الى الذوات القارة فاذا اضيف التوقيت بهذا المعنى الى الذوات القارة فلابد من اضمار الحدث فذلك الحدث هو الذى عد من علامات القيامة و فسر التوقيت ثانيا بقوله او بلغت ميقاتها الذى كانت تنتظره فان التوقيت قد يستعمل بمعنى جعل الشئ بالغا الى وقته المحدود بمجيء ذلك الوقت وحصوله فكما ان تسويد الشئ وتحريقه عبارتان عن تحصيل حقيقة السواد والحرقة فيه فكذا التوقيت عبارة عن تحصيل وقت الشئ و تبليغه اليه والتوقيت بهذا المعنى ايضا فى الحقيقة مضاف الى حضور الرسل للشهادة على اممهم و سؤال الرسل عما اجيبوا به وسؤال الامم عما لبيا بوهم كما قال تعالى فلنسألن الذين ارسل اليهم و لنسألن المرسلين (قوله اى يقال لاى يوم اخرت) يعنى ان الجملة الاستفهامية فى محل النصب بالقول المضمر و هذا القول المضمر يجوز ان يكون جوابا لاذا اى اذا كان كذا وكذا يقال لاى يوم اخرت هذه الامور التى هى طمس النجوم ونسف الجبال وتأقيت الرسل وان يكون حالا من مرفوع اقتت اى اقتت مقولا فيها لاى يوم اجلت اى اخرت الرسل والامور المتعلقة بجمعهم واحضارهم وهى تعذيب من كذبهم وتعظيم من آمن بهم وصدقهم و نحو ذلك ومعنى الاستفهام تعظيم ذلك اليوم و التعجب من هوله (قوله و يجوز) عطف على قوله اى يقال و تقدير الكلام حينئذ واذا الرسل اعلمت وقت تأجيلها (قوله وويل فى الاصل مصدر منصوب باضمار فعل لامن لفظه فان اصله اهلكه الله اهلاكا وهلك هو هلاكا والويل موضوع موضع الاهلاك او الهلاك اشارة الى وجه وقوع ويل مبتدأ مع انه نكرة فانه لما كان مصدرا سادا مسد الفعل المخصص بصدوره عن فاعل معين كانت النكرة المذكورة مخصصة بذلك الفاعل فساغ الابتداء لذلك كما قالوا فى سلام عليكم والمصنف قدر مفعول المكذبين المذكورين اولا فقال للمكذبين بذلك اى بيوم الفصل و بكل ما اخبر به الانبياء عنه وثانيا قدره بان قال للمكذبين بآيات الله وانبيائه ليكون كل واحد من التكذيبين مغايرا للآخر بتغاير متعلقهما هربا من التكرار واعلم ان المقصود من هذه السورة تخويف الكفار وتحذيرهم عن الكفر فخوفهم اولا بان اقسم على ان اليوم الذى يوعدون به وهو يوم القيامة لواقع ثم هول فقال وما ادراك ما يوم الفصل ثم زاد فى التهليل فقال ويل يومئذ للمكذبين فهذا نوع من التخويف ثم ذكر نوعا آخر منه فقال الم نهلك الاولين وهو يعم بالكفار والذين هلكوا قبل بعثة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خوف اهل عصره من الكفار بان اخبرهم بانه اهلك الكفار المتقدمين بسبب كفرهم فلما كان سبب

(لاى يوم اجلت) اى يقال لاى يوم اخرت و ضرب الاجل للجمع وهو تعظيم لليوم وتعجيب من هوله و يجوز ان يكون ثاني مفعولى اقتت على انه بمعنى اعلمت (ليوم الفصل) بيان ليوم التأجيل (وما ادراك ما يوم الفصل) و من اين تعلم كنهه ولم تر مثله (ويل يومئذ للمكذبين) اى بذلك وويل فى الاصل مصدر منصوب باضمار فعل عدل به الى الرفع للدلالة على ثبات الهلاك للمدعو عليه و يومئذ ظرفه او صفته (ألم نهلك الاولين) كقوم نوح وعاد وثمود وقرئ نهلك من هلكه بمعنى اهلكه

(ثم نتبعهم الآخرين) اي ثم نحن نتبعهم نظراءهم ككفار مكة وقرئ بالجزم عطفا على نهلك فيكون الآخرين المتأخرين من المهلكين كقوم لوط وشعيب وموسى عليهم الصلاة والسلام (كذلك) مثل ذلك الفعل (نفعل بالمجرمين) بكل من اجرم (ويل يومئذ للمكذبين) بآيات الله وانبيائه فليس تكرارا وكذا ان اطلق التكذيب او علق في الموضعين بواحد لان الويل الاول لعذاب الآخرة وهذا للاهلاك في الدنيا مع ان التكرير للتوكيد حسن شائع في كلام العرب (الم نخلقكم من ماء مهين) نطفة مذرة ذليلة (فجعلناه في قرار مكين) هو الرحم (الى قدر معلوم) الى مقدار معلوم من الوقت قدره الله تعالى للولادة (فقدرنا) على ذلك او فقدرناه ويدل عليه قرآءة نافع والكسائي بالتشديد (فنعم القادرون) نحن (ويل يومئذ للمكذبين) بقدرتنا على ذلك او على الاعادة (الم نجعل الارض كفاتا) كافتة اسم لما يكفت اى يضم ويجمع كالضمام والجماع لما يضم ويجمع (ن ٢٠) او مصدر نعت به او جمع (تاسع) كافت كصائم وصيام او كفت وهو الوعاء اجرى على

لاهلاك الاولين حاصلا فيهم لزمهم ان يخافوا منه (قوله ثم نحن نتبعهم) اختار قرآءة الجمهور وهي القرآءة برفع قوله نتبعهم على القطع عما قبله واستئناف الاخبار بما يفعله في المستقبل باضمار المبتدأ اى نحن نتبعهم ويعضده قرآءة ابن مسعود رضي الله تعالى عنه ثم سنتبعهم بزيادة سين التسويف وقرآءة الرفع متعينة على ان يكون المراد بالآخرين الذين كذبوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لانه لو قرئ بالجزم لكان المعنى حينئذ اهلكنا الاولين ثم اتبعناهم الآخرين في الاهلاك لكون الاتباع واقعا في حيز لم التي تقلب معنى المضارع الى الماضي وتنفيه فيه والآخرون ليسوا من المهلكين وقت نزول السورة بمكة بل يجب ان يكون المراد بالآخرين على قرآءة الجزم الذين تأخر هلاكهم عن اهلاك المتقدمين كقوم لوط وشعيب وموسى عليهم الصلاة والسلام ثم انه تعالى خوفهم بنوع ثالث فقال ألم نخلقكم من ماء مهين الآية وهو استفهام تقرير فمن اقر بقدرته تعالى على الابتدآء لزمه ان يقر بقدرته على الاعادة ثم انه لما انكر الاعادة ناقض نفسه مكابرة وعنادا فاستحق ان يقال له ويل يومئذ للمكذبين (قوله فقدرنا على ذلك او فقدرناه) يعنى ان قدرنا بتخفيف الدال يجوز ان يكون من القدرة ويعضده قوله فنعم القادرون اى قدرنا على خلقه وتصويره كيف شئنا واردنا من مثل تلك المادة الحقيرة فنعم القادرون حيث خلقناه في احسن الصور والهيئات ويجوز ان يكون من التقدير فان قدر المخفف لغة في قدر المشدد فان قوله تعالى قدرنا بينكم الموت قرئ بالتخفيف والتشديد مع انه بمعنى التقدير ويدل على كون ما في الاية من التقدير قرآءة نافع والكسائي بالتشديد فيكون قوله فنعم القادرون ايضا بمعنى فنعم المقدرون والمراد تقدير خلقه وجوارحه وألوانه واشكاله ومدة حمله وحياته والقرار المكين الموضع المستقر الحصين وهو الرحم فان الماء الذي يخلق منه الولد لابد وان يثبت في الرحم ويتمكن فيه الى قدر معلوم اى مقدار من الوقت معلوم لله تعالى لا يعلمه غيره وذلك المقدارة تسعة اشهر او اقل او اكثر وما لا يخلق منه الولد لا يستقر في الرحم ثم انه تعالى لما شرع في النوع الرابع من تخويفهم بان ذكر ما انعم به عليهم من نعم الآفاق فقال الم نجعل الارض كفاتا الآية وقد ذكر قبل هذه الآية ما انعم به عليهم من نعم الانفس وهو ان اوجدهم من المادة الخسيسة بعد ما اثبتها في الزاوية الحسيسة الى وقت الولادة وصورهم باحسن الصور واحكم الخلقة وقدم ما ذكر فيه نعم الانفس على ما ذكر فيه نعم الآفاق لكون ما في الانفس اصلا بالنسبة الى ما في الآفاق فانه لولا الوجود وما يتفرع عليه من القوى والآلات لما تيسر الانتفاع بشئ من النعم التي في الآفاق

حملهم على ان يقروا بانه الذي خصهم بهذه النعم التي كل واحدة منها يجب من البحث وادل على كال قدرته و بديع حكمته ليستدلوا به على الاعادة و يستعدوا لذلك اليوم فهذا هو وجه النخويف بهذه الاية وقوله كفاتا مفعول ثان لقوله نجعل لان المعنى ألم نصيرها كافتة تضم الاحياء الى ظهرها والاموات الى بطنها ولهذا كانوا يسمون الارض اما للناس تشبيها لها بالام في ضمها الناس الى نفسها احياء وامواتا كالام التي تضم اولادها اليها وتضبطهم ولما كانوا ينضمون اليها جعلت كانها تضمهم الى نفسها وكما ان الارض كفات لهم بمعنى انهم ينضمون اليها و يسكنون فيها فهم ينضمون اليها ايضا من حيث انها تجمع لهم جميع ما يحتاجون اليه في معاشهم من المأكل والمشرب والملبس والمركب والآنية الجامعة للمصالح الدافعة للمضار وغير ذلك وايضا انها تكفت ما ينفصل من الاحياء من الامور المستقذرة ومعنى الكفت في اللغة الضم والجمع يقال كفت الشيء يكفته كفتا اذا ضمه وجمعه وفي الحديث اكفتوا صبيانكم بالليل فان الشيطان خطفة و يقال جراب كفيت وكفت اذا كان لا يضيع شيئا مما يجعل فيه وذكر المصنف في كفاتا اربعة اوجه الاول انه اسم لما يكفت كالضمام والجماع اسمان لما يضم و يجمع يقال هذا الكتاب جماع الابواب وضمام اصول الكتاب كما يقال للخيط الذي يشد به الشيء شداد والثاني انه مصدر كالكتاب والحساب وصفت الارض به للمبالغة نحو رجل عدل والثالث انه جمع كافت كصيام جمع صائم والرابع انه جمع اسم غير مشتق وهو كفت بمعنى الوعاء فيكون الكفات بمعنى الاوعية و يكون على الوجه الثالث بمعنى الاشياء الكافتة ولما ورد على الوجهين الاخيرين ان الارض شيء واحد فكيف يطلق عليها لفظ الجمع اجاب عنه بقوله اجرى اي لفظ الجمع عليها باعتبار اقطارها (قوله منتصبان على المفعولية) فان كفاتا سواء جعل مصدرا منونا اوجمع اسم فاعل ينصب المفعول به والمعنى على التقدير ين ألم نجعلها كافتة احياء وامواتا (قوله وتنكيرهما للتفخيم) جواب عما يقال ان النكرة للفرد المنتشر فيكون المعنى ان الارض تكفت بعض الاحياء والاموات وليس كذلك بل هي كفات لجميع الاحياء والاموات وتقرير الجواب ان التنكير فيهما للتفخيم لا للافراد ولا للنوعية حتى يرد ماذكر وتنكير اسم الجنس لقصد التفخيم لا ينافي كونه عاما مستغرقا لجميع الافراد لانه في معنى تكفت احياء لا يعدون واموات لا يحصرون واجاب ثانيا بانا لا نسلم كون الارض كفاتا لجميع الاحياء والاموات بل هي كفات للبعض الذي هو احياء الانس وامواتهم فان الاحياء والاموات مطلقا غير منحصرة في احياء الانس وامواتهم لان بعض الحيوان يكفته الهواء والبعض

الارض باعتبار اقطارها (احياء وامواتا) منتصبان على المفعولية وتنكيرهما للتفخيم او لان احياء الانس وامواتهم بعض الاحياء والاموات او الحالية من مفعوله المحذوف للعلم به وهو الانس او بنجعل على المفعولية وكفاتا حال

الآخر يكفته الله فجاز ان يكون التنكير فيهما للافراد اوالنوعية (قوله او الحالية من مفعوله) اى و يجوز ان يكون انتصاب احياء واموانا على انهما حالان من المفعول المحذوف اى الم نجعلها كافتة للانس والجن فى حال كونهم احياء واموانا وعلى التقدير ين فهما منصوبان بكفانا على ان يكون مصدرا وصف به اوجمع كافتة واما على تقدير كونه اسما لما يكفت او جمعا للكفت بمعنى الوطء فلا يكون عاملا لما تقرر فى النحو ان الاسماء الجامدة وكذا اسماء الزمان والمكان والآلة مع كونها مشتقة لا تعمل وفى اسم المصدر خلاف واما المصدر واسم الفاعل مفردا كان او جمعا فهما من الاسماء العاملة انتهى (قوله او بجعل) اى ويحتمل ان يكونا منصوبين بجعل اما على انهما مفعولان له وكفاتا حال من الارض بمعنى كافتة واما على انهما حالان من الارض وكفاتا مفعوله وعلى التقديرين يكون المراد بحياة الارض كونها منبتة وبموتها كونها مواتا لا تنبت (قوله جبالا ثوابت) على ان رواسى بمعنى ثوابت صفة لمحذوف هو الجبال فانها ثوابت على الارض لا تزول وشامخات صفة ثانية لذلك المحذوف والشامخ العالى المرتفع (قوله والتنكير) اى وتنكير رواسى شامخات للتفخيم اذ من جملتها مالم يعرف ولم ير فان ما يرى على ظهر الارض من الجبال بعض منها فالتنكير فيها وكذا فى قوله ماء فراتا للتبعيض فان السماء فيها جبال ايضا لقوله تعالى من جبال فيها من برد وفى السماء ايضا ماء فرات بل هى معدنه ومصبه والفرات الماء العذب لما عدالله تعالى انواع ما انعم به عليهم واستفهم عن انعامه عليهم بها واستفهام تقرير كانه قال قد انعمنا بها عليهم ثم هدد بالويل على تكذيبهم وكفرانهم بها تعريضا بانهم قابلوا تلك النعم الموجبة للشكر بالكفر والعصيان وتخويفا لهم بسوء عاقبة صنيعهم هذا يوم الحساب والجزاء شرع فى تخويفهم والوعيد عليهم ببيان ما يقال للكفرة المكذبين للبعث والجزاء يوم القيامة فقال انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون والظاهر ان القائل هم خزنة النار اوزبانية جهنم (قوله خصوصا) يعنى ان المأمور به اولا هو انطلاقهم الى انواع عذاب الآخرة عموما والمأمور به ثانيا هو انطلاقهم الى نوع مخصوص منه واختلف فى انطلقوا الثانى هل هو على لفظ الامر او الماضى فقرأ الجمهور انطلقوا على لفظ الامر وعن يعقوب انه قرأ انطلقوا بفتح اللام على لفظ الماضى اخبارا عن انقيادهم للامر لاجل انهم مضطرون اليه لا يستطيعون الامتناع منه كانه قيل كانوا يؤمرون فى الدنيا بالايمان والطاعة فلا يلتفتون اليه ويكذبون من امر به فلما امروا فى العقبى بالانطلاق الى ما كذبوا به ممعوا واطاعوا اضطرارا افلوا طاعوا فى الدنيا لكان خيرا لهم قيل هو بعيد

او الحالية فيكون المعنى بالاحياء ما ينبت وبالاموات مالا ينبت (وجعلنا فيها رواسى شامخات) جبالا ثوابت طوالا والتنكير للتفخيم والاشعار بان فيها مالم يعرف ولم ير (واسقيناكم ماء فراتا) بخلق الانهار والمنابع فيها (ويل يومئذ للمكذبين) بامثال هذه النعم (انطلقوا) اى يقال لهم انطلقوا (الى ما كنتم به تكذبون) من العذاب (انطلقوا) خصوصا وعن يعقوب انطلقوا على الاخبار عن امتثالهم بالامر اضطرارا

لانه كان ينبغى ان يقال فانطلقوا ليرتبط الكلام باوله على طريق قولك قلت له قم فقام و يمكن ان يقال ترکت الفاء بناء على ان الكلام استئناف لبيان امتثالهم كرها بعد مايقال لهم بلفظ الامر (قوله كقوله وظل من يحموم) وهو الدخان الغليظ الاسود استشهد به المصنف على ان ظل المكذبين هو دخان نار جهنم (قوله يتشعب لعظمه) اشارة الى ان قوله تعالى ذى ثلاث شعب كناية عن كون ذلك الدخان عظيما بناء على ان التشعب من لوازم عظمته واستشهد قتادة على ذلك اى على ان المراد بظل المكذبين هو دخان نار جهنم بقوله تعالى احاط بهم سرادقها وقال سرادق النار هو الدخان تشبيها له بالسرادق وهو واحد السرادقات التى تمد فوق صحن الدار ثم قال ان شعبة من ذلك الدخان على يمينه وشعبة اخرى على يساره وشعبة اخرى فى جوفه قال المفسرون ان الشمس تقرب يوم القيامة من رؤس الخلائق وليس عليهم يومئذ لباس ولاكنان فتلفحهم الشمس وتسفعهم و يأخذ كرب ذلك اليوم انفاسهم وعند ذلك اليوم ينجى الله تعالى برحمته من يشاء الى ظل ظليل من ظله فهنالك يقولون فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم و يقال للمكذبين انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون من عذاب الله تعالى وعقابه وقيل يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار كالسرادق يتشعب منه دخانها ثلاث شعب فيقال لهم كونوا فيه الى ان يفرغ من الحساب والمؤمنون فى ظل العرش تحت شجرة طوبى ولما كان عظم دخان جهنم مستلزما للتشعب تشعب لامحالة وكون تلك الشعب ثلاثا لا ازيد منها ولا انقص فلعل الوجه فيه ان حجب النفس عن الاستنارة بانوار القدس ثلاثة الحس والخيال والوهم فان كل واحد منها سبب تعلق النفس بعالم الطبيعة الظلمانية فلكل واحد منها نوع من الظلمة يخصه فلاجرم تشعبت شعب العذاب على حسب تعددها فان جميع مايصدر من الانسان من انعقاد الفاسدة والاعمال الباطلة لا يصدر منه الا بواسطة القوة الواهمة والغضبية والشهوية فلذلك تشعب العذاب ثلاث شعب على عدد القوى المؤدية اليه (قوله وغير مغن) اى وغير مبعد عنهم يعنى ان قوله ولا يغنى فى موضع الجر بالعطف على قوله لاظليل فانه مجرور على انه صفة لظل اى ظل غير ظليل وغير مغن وان مفعول يغنى من اللهب محذوف وهو شيأ ومن فى من اللهب لبيانه وان قوله ولايغنى من اللهب من قول العرب أغن عنى وجهك اى ابعده لان الغنى عن الشئ يباعده كما ان المحتاج اليه يقاربه فصح ان يعبر باغناء شئ عن شئ عن ابعاده عنه فكان المعنى ان هذا الظل لايظلكم من حر الشمس ولا يدفع عنكم لهب النار واللهب مايعلو على النار اذا اضطرمت من احمرار واصفرار

(الى ظل) يعنى ظل دخان جهنم كقوله تعالى وظل من يحموم (ذى ثلاث شعب) يتشعب لعظمه كما ترى الدخان العظيم يتفرق ذوائب وخصوصية الثلاث اما لان حجاب النفس عن انوار القدس الحس والخيال والوهم او لان المؤدى الى هذا العذاب هو القوة الواهمة الحالة فى الدماغ والغضبية التى فى يمين القلب والشهوية التى فى يساره ولذلك قيل شعبة تقف فوق الكافر وشعبة عن يمينه وشعبة عن يساره (لاظليل) تهكم بهم ورد لما اوهم لفظ الظل (ولا يغنى من اللهب) وغير مغن عنهم من حر اللهب شيئا (انها ترمى بشرر كالقصر) اى كل شررة كالقصر فى عظمها

(واخضرار)

ويؤيده انه قرئ بشرار وقيل هو جمع قصرة وهى الشجرة الغليظة وقرئ كالقصر بمعنى القصور كرهن ورهن وكالقصر جمع قصرة كحاجة وحوج والهاء للشعب (كأنه جمالات) جمع جمال او جمالة جمع جمل (صفر) فان الشرار لما فيه من النارية يكون اصفر وقيل سود فان سواد الابل يضرب الى الصفرة والاول تشبيه فى العظم وهذا فى اللون والكثرة والتتابع والاختلاط وسرعة الحركة وقرأ حمزة والكسائى وحفص جمالة وعن يعقوب جمالات بالضم جمع جمالة وقد قرئ بها وهى الحبل الغليظ من حبال السفينة شبهه بها فى امتداده والتفافه (ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم لا ينطقون) اى بما يستحق فان النطق بما لا ينفع كلا نطق او بشئ من فرط الدهشة والحيرة وهذا فى بعض المواقف وقرئ بنصب اليوم اى هذا الذى ذكر واقع يومئذ (ولا يؤذن لهم فيعتذرون) عطف فيعتذرون على يؤذن ليدل على نفى الاذن والاعتذار عقيبه مطلقا ولو جعله جوابا لدل على ان عدم اعتذارهم لعدم الاذن واوهم ذلك ان لهم عذرا لكن

واحضرار ثم انه تعالى وصف النار التى كان هذا الظل دخانها بانها ترمى بشرر عظيمة شبيهة بشيئين الاول القصر والثانى الجمالات الصفر والمقصود بيان ان تلك النار عظيمة جدا وقوله كل شررة كالقصر اشارة الى ان شررا جمع شررة هى ما تطاير من النار فى الجهات متفرقا كالنجوم والقصر هو البناء العالى وصف به الجمع باعتبار كل واحد من آحاده (قوله ويؤيده) اى ويؤيد ان شررا جمع وان وصفه بكونه كالقصر باعتبار كل واحد من آحاده انه قرئ بشرار بفتح الشين والف بين الراءين وهو جمع شرارة كما ان الشرر جمع شررة (قوله وقيل هو جمع قصرة) بالفتحات كشجرة وشجر (قوله وهى) اى القصرة اصل العنق (قوله والهاء للشعب) اى ضمير انها فى قوله انها ترمى بشرر ضمير الشعب وقيل هى ضمير النار المدلول عليها باللهب (قوله جمع جمل) اى كل واحد من جمال وجمالة جمع جمل الاول مثل جبال فى جمع جبل والثانى مثل حجارة فى جمع حجر ثم يجمع جمال على جمالات كما يجمع رجال على رجالات وبيوت على بيوتات وكذا يجمع جمالة على جمالات فجمالات على التقريرين جمع الجمع قرأ حمزة والكسائى وحفص جمالة والباقون جمالات (قوله وقيل سود) يعنى قيل ان المشبه به هو الجمالات السود وعبر عنها بالصفر لكون سواد الابل يشوبه شئ من الصفرة ضعفه بناء على ان تسمية الاسود بالاصفر باعتبار ما يشوبه شئ قليل من الصفرة لا يخلو عن بعد (قوله والاول) اى قوله كالقصر تشبيه للشرر بالقصر فى عظمته وقوله كأنه جمالات تشبيه له بالجمالات فى لونه وكثرته وتتابع بعضه بعضا واختلاطه وسرعة حركته (قوله وقد قرئ بها) اى قرئ جمالة بضم الجيم كما قرئ جمالات بالضم وكلاهما من الشواذ (قوله بما يستحق) اى لان ينطق به لكونه مما ينتفع قائله اراد به دفع ما يتوهم من كون هذه الآية مخالفة للآيات الدالة على انهم ينطقون يوم القيامة كقوله تعالى ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون وقوله تعالى حكاية عنهم والله ربنا ما كنا مشركين وقوله ولا يكتمون الله حديثا وذلك لانهم وان نطقوا وتخاصموا الا انهم لما لم ينتفعوا بنطقهم بل كان جميع ما نطقوا به حجة عليهم موجبا لخجلهم وافتضاحهم جعل نطقهم كلا نطق لانه لا ينفع ولا يسمع وهذا كما يقال لمن جاء بما لا ينتفع به ما جئت بشئ ثم اشار الى دفع المخالفة بوجه آخر حيث قال او بشئ وحاصله ان يوم القيامة يوم طويل ذو مواقيت ومواقف ينطقون فى بعضها ولا ينطقون فى بعض فقوله فى هذه الآية لا ينطقون بشئ اصلا حكاية لحالهم فى بعض تلك المواقف ولا ينافيه ان يختصموا وينطقوا

فى موقف آخر من مواقفه والجمهور على رفع قوله يوم فى قوله هذا يوم لاينطقون على انه خبر هذا والاشارة الى اليوم وقرئ يوم بالنصب ونصبه عند البصريين على الظرفية والاشارة الى غير اليوم اى هذا الذى تقدم من الوعيد واقع يوم لاينطقون لانه انما يبنى عندهم اذا اضيف الى مبنى نحو يومئذ والفعل هذا معرب وعند الكوفيين هو مبنى والفتحة فتحة بناء وهو خبر لهذا كما تقدم واجمع القرآء على رفع قوله فيعتذرون عطفا على يؤذن ولم ينصبوه على انه جواب النفى لانه لو كان جوابا لكان عدم اعتذارهم مسببا من عدم الاذن لان المضارع انما ينتصب بعد الفاء فى جواب النفى اذا كانت الفاء سببية وذلك يوهم ان لهم عذرا لكنهم منعوا من ذكره لعدم الاذن وليس كذلك فرفعوه عطفا على يؤذن وجعلوا الفاء لمجرد العطف من غير ملاحظة السببية لئلا يتوهم ذلك فيكون النفى متوجها الى اذن يعقبه الاعتذار مطلقا اى مع قطع النظر من كون عدم الاعتذار مسببا عن عدم الاذن فلا يوهم الرفع ما اوهمه النصب فانه ليس لهم عذر فى الحقيقة ولكن ربما تخيلوا خيالا فاسدا ان لهم فيما ارتكبوه من القبائح عذرا فلا يؤذن لهم فى ذكر العذر الباطل واى عذر لمن اعرض عن منعمه وكفر بآيات الله ونعمه ولم يتفكر فيما نصبه من الدلائل الهادية الى سبيل الرشاد وهذه الآية تخويف للكفار وتشديد للامر عليهم بوجه آخر وذلك لانه تعالى بين فيها انه ليس لهم عذر ولا حجة فيما اتوا به من القبائح ولا لهم قدرة على دفع العذاب عنهم فيجتمع عليهم فى هذا الموقف انواع من العذاب منها العذاب الروحانى الذى هو عذاب الخجالة والافتضاح على رؤس الاشهاد وهو اشد من العذاب الجسمانى (قوله تقرير وبيان للفصل) اشارة الى فائدة قوله جمعناكم والاولين والخطاب فيه لمكذبى خاتم النبيين والمراد بالاولين مكذبوا من قبله من الانبياء المرسلين على نبينا وعليهم افضل الصلاة والسلام ووجه كونه تقريرا للفصل بين المحق والمبطل بالاثابة والعقاب ان الفصل يستلزم الجمع بينهم ليكن الفصل بينهم فلما قيل جمعناكم والاولين كان ذلك تقريرا لما يفهم من قوله هذا يوم الفصل (قوله تقريع) اى تخجيل لهم بانهم كانوا فى الدنيا يدفعون الحقوق عن انفسهم بضروب الحيل والتلبيسات فقال فان كان لكم كيد فكيدون لزيادة التخجيل والتقريع وهذا من قبيل العذاب الروحانى ولاظهار عجزهم عن الكيد فان مثل هذا الكلام لايتكلم به الا من تيقن عجز مخاطبه عن الكيد بالكلية تبكيتا له (قوله لانهم فى مقابلة المكذبين) يعنى ان المراد بالمتقين هم الذين اتصفوا بالمرتبة الاولى من مراتب التقوى وهو التوقى من العذاب المخلد بالتبرى من الشرك وذلك

ثم يؤذن لهم فيه (ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم الفصل) بين المحق والمبطل (جمعناكم والاولين) تقرير وبيان للفصل (فان كان لكم كيد فكيدون) تقريع لهم على كيدهم للمؤمنين فى الدنيا واظهار لعجزهم (ويل يومئذ للمكذبين) اذلا حيلة لهم فى التخلص من العذاب (ان المتقين) من الشرك لانهم فى مقابلة المكذبين (فى ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون) مستقرون فى انواع الترفه

لان السورة من اولها الى آخرها نازلة فى تقريع الكفار على كفرهم وتخويفهم من سوء عاقبته فيجب ان تكون هذه الآية ايضا نازلة لهذا المقصود والا لتفككت آيات السورة فى نظمها وترتيبها وهذا المقصود انما يتم بان تكون الآية مذكورة لوعد المؤمنين بسبب ايمانهم وتوقيهم عن الشرك ليكون هذا نوعا آخر من تعذيبهم من حيث انه كان بينهم و بين المؤمنين كمال العداوة والبغضاء فلما بين الله تعالى فى هذه السورة اجتماع انواع العذاب على الكفار بين فى هذه الآية اجتماع انواع السعادة والكرامة فى حق المتقين عن الشرك لتضاعف حسرة الكفار واخزائهم فانهم اذا رأوا ذلك ازدادوا غما الى غمهم وعذابا روحانيا الى ماهم فيه من العذاب الجسمانى والظلال جمع ظل وتنوينه للتعظيم وهو فى مقابلة ما انطلق اليه الكفار من ظل ذى ثلاث شعب (قوله اى مقولا لهم ذلك) اى يعنى ان الجملة الامرية وما فى حيزها فى موضع النصب على انها مقول قول مضمر منصوب على انه حال من المنوى فى قوله فى ظلال اى هم مستقرون فى ظلال مقول لهم ذلك وكذا قوله كلوا وتمتعوا فى موضع الحال من المنوى فى قوله للمكذبين اى الويل ثابت لهم فى حال مايقال لهم كلوا وتمتعوا (قوله تذكيرا لهم بحالهم فى الدنيا) جواب عما يقال كون قوله كلوا وتمتعوا حالا من المنوى فى المكذبين يقتضى ان يقال لهم هذا القول فى الآخرة لان ثبوت الويل لهم انما هو فى الآخرة فيكون هذا القول مقولا لهم فى الآخرة ايضا وهو بعيد لان الكفار لانصيب لهم فى نعيم الآخرة وتقرير الجواب ان هذا القول يقال لهم فى الآخرة الا انه ليس المقصود منه اباحة الاكل والتمتع لهم فى الآخرة حقيقة بل انما يقال لهم ذلك تذكيرا لهم بما هم عليه فى الدنيا من ايثار الفانى على الباقى وانهما كهم فى حب اللذة البشرية والاعراض عن السعادة الابدية فيكون الامر امر توبيخ وتحسير وتحزين ثم علل المأمور به وهو الاكل والتمتع ايلما قلائل بقوله انكم مجرمون للدلالة على ان كل مجرم ماله الا الاكل والتمتع اياما قلائل ثم الهلاك والعذاب الابدى و يجوز ان يكون قوله كلوا واشربوا كلاما مستأنفا خطابا للمذكورين فى الدنيا ثم خوفهم بان اخبر ان شأنهم العصيان وترك المأمور به وهو اما الركوع بمعنى الانقياد والخضوع بالايمان والطاعة وترك الاستكبار والعناد واما الركوع بمعنى الصلاة على طريق ذكر الجزء وارادة الكل (قوله لاتحنى) التحنية ان يقوم الانسان قيام الراكع وفى حديث ابن مسعود فى ذكر القيامة حين ينفخ فى الصور فيقومون فيحنون تحنية رجل واحد قياما لرب العالمين وقيل التحنية تكون فى حالين احدهما ان يضع يديه على ركبتيه وهو قائم والآخر ان ينكب على وجهه باركا وهو السجود كذا فى الصحاح (قوله فانها

(كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون) اى مقولا لهم ذلك (انا كذلك نجزى المحسنين) فى العقيدة (ويل يومئذ للمكذبين) يمحض لهم العذاب المخلد ولخصومهم الثواب المؤبد (كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون) حال من المكذبين اى الويل ثابت لهم فى حال مايقال لهم ذلك تذكيرا لهم بحالهم فى الدنيا وبما جنوا على انفسهم من ايثار المتاع القليل على النعيم المقيم (ويل يومئذ للمكذبين) حيث عرضوا انفسهم للعذاب الدائم بالتمتع القليل (واذا قيل لهم اركعوا) اطيعوا واخضعوا او صلوا او اركعوا فى الصلاة اذ روى انه نزل حين امر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثقيفا بالصلاة فقالوا لانحنى فانها

مسته) اى ان هيئة الضفية هيئة تظهر وترتفع فيها السه وهى الاست اى الدبر اوانها زمان ظهور السه وارتفاعها وفى التيسير فقالوا لانصلى اى لا نصلى الركوع والسجود فتملوا أستاهنا فقال عليه الصلاة والسلام لاخير فى دين لايكون فيه ركوع ولا سجود (قوله وقيل هو يوم القيامة) فانه يقال لهم اركعوا يوم القيامة كشفا لحال الناس فى الدنيا فمن كان يسجد لله تعالى فى الدنيا ابتغاء لوجهه تمكن من السجود ومن كان يسجد رياء لغيره صار ظهره طبقا واحدا فلا يستطيع ان يصلى فضلا عن ان يسجد فان يوم القيامة ليس زمان تكليف حتى يكون اركعوا امر تكليف وايجاب بل هو صيغة ايجاب قصد بها كشف حالهم (قوله واستدل به على ان الامر للايجاب) وجه الاستدلال انه تعالى ذمهم على مجرد ترك المأمور به فلو لم يكن تعلق الامر به سببا لوجوبه لما استحقوا الذم بتركه فدل ذلك على ان مجرد الامر للايجاب فان قيل انما ذمهم على كفرهم فالجواب انه تعالى قد ذمهم على كفرهم سابقا من وجوه كثيرة واما ذمهم فى هذه الآية لتركهم المأمور به فقط فدل ذلك على ان ترك المأمور به لايجوز (قوله وان الكفار مخاطبون بالفروع) وجه الاستدلال به عليه انه تعالى ذمهم على حال كفرهم بترك الصلاة فانه قد روى عن ابن عباس ان المراد بالركوع فى هذه الآية الصلاة وقد دل عليه سبب نزولها ايضا فدل ذلك على ان الكفار مخاطبون بفروع الايمان يعنى انهم كما يستحقون الذم والعقاب بترك الايمان فكذلك يستحقونه على ترك الصلاة ثم انه تعالى لما بالغ فى زجر الكفار ووعيدهم وخوفهم بانواع من التخويف ختم السورة بالتعجب من حالهم وبين انهم فى اقصى درجات التمرد والعناد حيث لم يؤمنوا بهذا القرآن مع اعجازه وحسن نظمه فقال فبأى حديث بعده يؤمنون وهو جواب شرط محذوف يعنى اذا لم يؤمنوا به فبأى كتاب يؤمنون وقرئ بالتاء على خطاب الكفار والله اعلم

(سورة النبأ العظيم)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

مسته وقيل هو يوم القيامة حين يدعون الى السجود فلا يستطيعون (لايركعون) لايصلون واستدل به على ان الامر للايجاب وان الكفار مخاطبون بالفروع (ويل يومئذ للمكذبين فبأى حديث بعده) بعد القرآن (يؤمنون) اذا لم يؤمنوا به وهو معجز فى ذاته مشتمل على الحجج الواضحة والمعانى الشريفة * قال عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة والمرسلات كتب انه ليس من المشركين

(سورة النبأ مكية وآيها اربعون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(عم يتساءلون) اصله عن ما فحذف الالف لما مر ومعنى هذا الاستفهام تفخيم شأن ما يتساءلون عنه

(قوله اصله عن ما) ادغمت النون فى الميم لقرب مخرجهما فان اجتماع الحرفين المتجانسين والمتقاربين فى الكلام يوجب ضربا من الثقل فيدفع بطريق من الطرق ومن جملة طرق دفعه الادغام لانه يورث ضربا من الخفة واحد المتقاربين لايدغم فى الآخر الابعد قلبه بالآخر تحقيقا للمماثلة الموجبة للادغام (قوله لما مر) اى من ان حروف الجر اذا دخلت على ما الاستفهامية تحذف

ألفها تخفيفا للفظ الكثير التداول وفرقا بين ما الاستفهامية والاسمية نحو لم وبم والى م وحتى م وعلى م ونحوها وقرئ عن ما بإثبات الالف على الاصل كما في قول حسان

على ما قام يشتمني لئيم * كخنزير تمرغ في رماد *

وطرح الالف اكثر استعمالا من اثباتها فان قلت الميم حرف شفوي ومخرج النون ما بين طرف اللسان وما فوق الثنايا العليا فلا تقارب بينهما في المخرج فسبب الادغام قلنا نعم الا ان فيهما غنة والغنة قد جعلتهما كالمتقاربين في المخرج والغنة مرة تخرج من الخيشوم ومرة تخرج من الفم وقيل الغنة صوت في الخيشوم والاغن الذي يتكلم من قبل خياشيمه (قوله كأنه لفخامته خفي جنسه فسأل عنه) يعني ان كلمة ما سواء كانت لشرح المفهوم او كشف الشيء المعلوم الموجود اداة للطلب والسؤال يطلب بها شرح المفهوم او كشف الحقيقة العينية والمطلوب لابد ان يكون مجهولا عند الطالب لئلا يلزم تحصيل الحاصل هذا اصل تلك الكلمة ثم انها قد تطلق على الشيء العظيم الشان المفخم القدر وان لم يكن مجهولا عند المتكلم على طريق الاستعارة تشبيها له بالمجهول المسؤل عنه من حيث انه لفخامته وعظم شأنه صار كأنه يعجز العقل عن ان يحيط بكنهه فيسئل عنه كالاشياء التي جهلت مفهوماتها او حقائقها فطلبت بما ولاجل هذه المشابهة استعمل فيه كلمة ما ايضا مجازا حيث جردت عن معنى الاستفهام ولم تستعمل فيه ومنه قوله تعالى الحاقة ما الحاقة القارعة ما القارعة ما سجين ما العقبة ونحوها فان كلمة ما فيها لمجرد التفخيم (قوله او يسألون) يعني يجوز ان تكون صيغة التفاعل في الآية على اصلها من الدلالة على ان اصل الفعل بين اثنين فصاعدا بان يكون كل منهما فاعلا له من وجه ومفعولا من وجه كالتخاصم والتقاتل وان يكون بمعنى الفعل الثلاثي بان تكون المرفوع بها فاعلا ليس الا مثل يتداعونهم بمعنى يدعونهم قال الامام التساؤل هو ان يسأل بعضهم بعضا كالتقاتل وقد يستعمل ايضا في ان يتحدثوا به وان لم يكن من بعضهم لبعض سؤال قال تعالى واقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال قائل منهم اني كان لي قرين يقول أئنك لمن المصدقين فهذا على معنى التحدث فيكون معنى الكلام عم يتحدثون وهذا قول الفراء انتهى كلامه ولم يتعرض لكونه بمعنى يتساءلون (قوله او الناس) عطف على قوله لاهل مكة والظاهر ان المراد بالناس اهل ذلك العصر من الكفار والمؤمنين اما المؤمنون فيسألون ويسألون عنه ليزدادوا يقينا في ايمانهم بالبعث واما الكفار فعلى سبيل السخرية وايراد الشكوك والشبهات الا ان قول المصنف فيما بعد كلا سيعلمون ردع للتساؤل او وعيد عليه يستدعي ان يحمل

كأنه لفخامته خفي جنسه فسئل عنه والضمير لاهل مكة كانوا يتساءلون عن البعث فيما بينهم او يسئلون الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين عنه استهزاء كقولهم يتداعونهم ويتراءونهم اي يدعونهم ويرونهم او الناس

الناس على مايعم اهل مكة وغيرهم من الكفار فقط فان قلت فما تصنع حينئذ بقوله فيه مختلفون مع ان الكفار كانوا متفقين في انكار الحشر فان منهم من يقطع بعدم بعثه و يقول ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيي ومانحن بمبعوثين ومنهم من يشك فيه و يقول ما اظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وجمهور النصارى بعد اختلافهم على الوجه المذكور يثبتون المعاد الروحاني والمشركون لايثبتونه و يختلفون في المعاد الجسماني (قوله بيان لشأن المفخم) فتكون عن الاولى متعلقة بيتساءلون المذكورة والثانية متعلقة بمضمر يدل عليه هذا الظاهر فالمعنى على ان شئ يتساءلون على سبيل تفخيم المسؤل عنه وتعظيمه ثم بين ذلك المفخم فقال عن النبأ العظيم اي يتساءلون عن النبأ العظيم حذف متعلق الثاني لدلالة الاول عليه (قوله اوصلة يتساءلون) اي و يجوز ان تكون عن الثانية متعلقة بيتساءلون المذكور فحينئذ تكون عم متعلقة بيتساءلون المضمر الذي يفسره الظاهر فيتم الكلام بقوله عم مع متعلقه المضمر و يكون ما بعده مفسرا له و يكون التعرض لفخامة شأن المسؤل عنه مقصودا بالعرض و يدل على هذا الوجه قراءة من قرأ عمه بهاء السكت فان هذه القراءة تدل على انه وقف على عمه وابتدأ يتساءلون عن النبأ فهو يقتضي ان يتم الكلام عند قوله عم بان تكون كلمة عن متعلقة بمضمر يفسر بما بعده فيكون ما بعده كلاما مبتدأ وانما وقف بهاء السكت لان الف ما الاستفهامية لما حذفت جعلت فتحة الميم دليلا على الالف المحذوفة فوقف عليها بالهاء حفظا لتلك الفتحة عن السقوط حال الوقف وهذه هي القاعدة المطردة في جميع ما يوقف عليه بهاء السكت (قوله بجزم النفي والشك فيه) متعلق بيختلفون وهذا على تقدير ان يكون ضمير يتساءلون لاهل مكة فانهم كما مر ليسوا بمتفقين على انكار الحشر بل منهم من ينفيه جزما ومنهم من يشك فيه وقوله او بالاقرار والانكار على تقدير ان يكون الضمير للناس كافة فانهم مختلفون فيه يقر به المسلمون و ينكره الكافرون (قوله ردع ووعيد) يعني ان كلا ردع عن التساؤل هزؤا وسيعلمون وعيد للتسائلين بانهم سوف يعلمون عاقبة استهزائهم (قوله وثم للاشعار بان الوعيد الثاني اشد) يعني ان لفظة ثم موضوعة للتراخي الزماني وقد تستعمل في التراخي الرتبي اي التباعد ما بين المعطوف والمعطوف عليه في الرتبة تشبيها لتباعد الرتبة بالتباعد زمانا والمعنى المجازي هو المراد ههنا لان المقام مقام التهديد والتشديد وزيادة التهديد انما تكون بالحمل على التراخي الرتبي ثم انه تعالى لما هددهم على استهزائهم بامر البعث والجزاء و بخهم بقلة الدين وسخافة العقل بان ذكرهم بعض ما عاينوا مما يدل على كمال قدرته ووفور

(عن النبأ العظيم) بيان لشأن المفخم اوصلة يتساءلون وعم متعلق بمضمر مفسر به و يدل عليه قراءة يعقوب عمه (الذي هم فيه مختلفون) بجزم النفي والشك فيه او بالاقرار والانكار (كلا سيعلمون) ردع عن التساؤل ووعيد عليه (ثم كلا سيعلمون) تكرير للمبالغة وثم للاشعار بان الوعيد الثاني اشد وقيل الاول عند النزع والثاني في القيامة او الاول للبعث والثاني للجزاء وعن ابن عامر ستعلمون بالتاء فيهما على تقدير قل لهم ستعلمون (الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا) تذكير ببعض ما عاينوا من عجائب صنعه الدالة على كمال قدرته ليستدلوا بذلك على صحة البعث كما مر تقريره مرارا وقرئ مهدا اي انها لهم كالمهد للصبي

علمه وحكمته كأنه قيل من بلغ علمه وحكمته وقدرته الى هذه المثابة كيف يصح ان يفعل فعلا عبثا وماينكرونه من البعث والجزاء يستلزم كونه تعالى عابثا فى كل فعل (قوله مصدر سمى به مايمهد) اى يبسط يقال مهدت الفراش مهدا اذا بسطته ووطأته وسمى به مهد الصبى تسمية للمفعول بالمصدر كضرب الامير والمراد الفراش وهو فى الاصل مصدر ماهدت بمعنى مهدت كسافرت بمعنى سفرت اطلق على الارض الممهدة اى الم نجعل الارض بساطا ممهودا يتقلبون عليها كما يتقلب الرجل على بساطه ومهادا مفعول ثان لجعل ان كان الجعل بمعنى التصيير وحال مقدرة ان كان بمعنى الخلق واوتادا ايضا يحتملهما ومعنى جعل الجبال اوتادا للارض ارساؤها بالجبال لتسكن ولاتميل باهلها كما يرسى البيت بالاوتاد فهو من باب التشبيه البليغ (قوله قطعا عن الاحساس والحركة) لماطعن بعض الملاحدة فى هذه الآية بان قالوا السبات هو النوم والمعنى وجعلنا نومكم نوما اجاب عنه بوجهين الاول ان السبت فى اللغة يجيء لمعان منها الراحة ومنها القطع يقال سبت شعره سبتا اى قطعه وحلقه ومنه سمى يوم السبت لانقطاع الايام عنده وسمى النوم سباتا لكونه مقطوعا عن الاحساس والحركة ولان النوم يقطع التعب والكلال فكان نعمة عظيمة لذلك فحسن ذكره فى اثناء تعداد النعم الجليلة والثانى انا لانسلم ان السبات هو النوم بل هو الموت وفى الصحاح والمسبوت الميت والمغشى عليه فالمعنى وجعلنا النوم موتا واستدل على صحة هذا المعنى بقوله لانه احد التوفيين لقوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها قال الامام وهذا القول عندى ضعيف لان الاشياء المذكورة فى هذه الآيات من جلائل النعم فلايليق ذكر الموت فى اثنائها ولعل المصنف اشار الى دفعه بقوله لانه احد التوفيين فان الذى لايليق ذكره فى هذا المقام هو التوفى بمعنى الموت حقيقة ولايمكن ان يكون المراد بالآية على تقدير ان يفسر السبات بالموت مايفهم من ظاهر ها بل هى من قبيل التشبيه البليغ وذلك لان الموت انما يكون بانقطاع الروح عن البدن والنوم يكون بانقطاع اثر الحواس الظاهرة واستراحة القوى الحيوانية مع بقاء الروح فى البدن فهما متباينان فكيف يكون احدهما هو الآخر فلابد من حملها على التشبيه البليغ والحال ان التشبيه بالموت نعمة جليلة يليق ذكرها فى مقام تعداد النعم وكذا الكلام فى قوله تعالى وجعلنا الليل لباسا فانه ايضا من قبيل التشبيه البليغ (قوله وقت معاش) يعنى ان قوله تعالى معاشا اسم زمان بمعنى وقت التعيش ولفظ معاش فى عبارة المصنف مصدر ميمى يقال عاش يعيش عيشا ومعاشا ومعيشة وعيشة والكل بمعنى ثم فسر وقت التعيش بوقت التقلب لتحصيل

مصدر سمى به مايمهد للنوم عليه (وخلقناكم ازواجا) ذكر اوانثى (وجعلنا نومكم سباتا) قطعا عن الاحساس والحركة استراحة للقوى الحيوانية وازاحة لكلالها او موتا لانه احد التوفيين ومنه المسبوت للميت واصله القطع ايضا (وجعلنا الليل لباسا) غطاء يستتر بظلمته من اراد الاختفاء (وجعلنا النهار معاشا) وقت معاش تتقلبون فيه لتحصيل ماتعيشون به

مايعاش به فقولنا النهار وقت تعيش معناه وقت تحصيل اسباب التعيش وهذا
التفسير مبني على ان يفسر السبات بالقطع عن الاحساس والحركة فتحصل المقابلة
بين السبات والمعاش فانه لما فسر السبات بالقطع عن الحركة فسر المعاش
بما يتضمن الحركة لتحصل المقابلة (قوله اوحياة تنبعثون فيه عن نومكم)
مبني على ان يفسر السبات بالموت رعاية للطابقة بينهما وقضية المطابقة انما تتم
ان لو قيل وجعلنا يقظتكم حياة الا انه عبر عن اليقظة بالنهار لكونه مستلزما
لها غالبا (قوله السحائب) ان فسرت المعصرات بالسحائب تكون اسم
فاعل من اعصرت السحائب اذا حان لها ان تعصرها الرياح فتمطر ولم تعصرها
بعد وهمزة اعصر للحينونة كما في احصد الزرع اى حان له ان يحصد
واعصرت الجارية اى حان لها ان تعصر الطبيعة رحمها فتحيض والا لكان
ينبغي ان يقرأ المعصرات بفتح الصاد على انه اسم مفعول لان الرياح تعصرها وان
فسرت المعصرات بالرياح يكون ايضا اسم فاعل من اعصرت الرياح اذا حان لها
ان تعصر السحاب والهمزة للحينونة ايضا لا للتعدية لانه يتعدى بنفسه واما اذا كانت
بمعنى الرياح ذوات الاعاصير فهمزة افعل حينئذ تكون للصيرورة فيكون اسم فاعل
من اعصرت الريح اى صارت ذات اعصار وهي الريح التي تستدير في الارض
ثم ترتفع الى السماء كالعمود وقيل هي ريح تثير سحابا فيه رعد وبرق (قوله
وانما جعلت مبدأ للانزال) اى انزال الماء جواب عما يقال كيف جاز ان تفسر
المعصرات بالرياح وهي ليست مبدأ لانزال الماء بل المبدأ لانزاله هو السحاب
وتقرير الجواب ان الرياح وان لم تكن مبدأ قريبا لانزال الماء الا انها سبب
لتكون مبدئه الذي هو السحاب لانه انما يتكون وينشأ وتمتلئ اخلافه بالمطر
بهبوب الرياح فصح ان تجعل مبدأ للانزال بهذا الاعتبار (قوله ويؤيده)
اى يؤيد كون المعصرات بمعنى الرياح وان كونها مبدأ للانزال باعتبار كونها
سببا لتكون مبدئه القريب قرآءة من قرأ بالمعصرات بدل من المعصرات ووجه
التأييد ان الباء للسببية والسببية في المبدأ الآلي الذي هو الريح اظهر منها
في المبدأ المادي وهو السحاب (قوله يقال ثجه وثج بنفسه) يعني ان ثج قد يكون
لازما بمعنى انصب بنفسه وقد يكون متعديا بمعنى صبه غيره كما في الحديث فان
معناه افضل اعمال الحج رفع الصوت بالتلبية وصب دم الهدى واختار
المصنف كون ثجاجا في الآية مبالغة اسم الفاعل من ثج اللازم حيث قال في تفسيره
منصبا بكثرة واختار الزجاج كونه من المتعدى حيث قال معناه صبابا كأنه يثج
نفسه اى يصبها وايا ما كان فالمراد تتابع القطر حتى يكثر الماء فيعظم النفع به
(قوله وقرئ ثجاحا) بالحاء ثم بالجيم قرآءة الاعرج ويفهم من قوله ومثاجح

اوحياة تنبعثون فيه عن
نومكم (وبنينا فوقكم
سبعا شدادا) سبع سموات
اقوياء محكمات لا يؤثر
فيها مرور الدهور
(وجعلنا سراجا وهاجا)
متلألئا وقادا من وهجت
النار اذا اضاءت او بالغا في
الحرارة من الوهج وهو
الحر والمراد الشمس
(وانزلنا من المعصرات)
السحائب اذا اعصرت
اى شارفت ان تعصرها
الرياح فتمطر كقولك
احصد الزرع اذا حان له
ان يحصد ومنه اعصرت
الجارية اذا دنت ان
تحيض اومن الرياح التي
حان لها ان تعصر السحاب
او الرياح ذوات الاعاصير
وانما جعلت مبدأ للانزال
لانها تنشئ السحاب
وتدر اخلافه ويؤيده
انه قرئ بالمعصرات
(ماء ثجاجا) منصبا بكثرة
يقال ثجه وثج بنفسه وفي
الحديث افضل الحج العج
والثج اى رفع الصوت
بالتلبية وصب دماء الهدى
وقرئ ثجاحا ومثاجح
الماء مصابه

(الماء)

الماء مصابه ان ثجيج متعد بمعنى صب لا بمعنى انصب ومضارعه ثجيج و يقال انجج الماء في الوادي اى سال فقوله بجا سحا بالحاء مرادف الثجاج الأخوذ من المتعدي كالخشاره الزجاج (قوله ما يقتات به) القوت بالضم مايقوم بيدن الانسان كالحنطة والشعير ونحوهما اى لنخرج به حبا ليكون قوتا للانسان كالحنطة والشعير ونحوهما ونباتا ليكون علفا للحيوان كالبقل والحشيش وجنات الفافا ليتفكه بها الانسان والجنات الحدائق الملتفة الاشجار قدم الحب لانه هو الاصل في الغذاء وثنى بالنبات لاحتياج سائر الحيوانات اليه واخرت الجنات في الذكر لانعدام الحاجة الضرورية الى الفواكه (قوله جمع لف) اختلفوا في الالفاف فذهب صاحب الكشاف الى انه لاواحد له كالاوزاع والاخياف فان الاوزاع الجماعات المتفرقة وكذا الاخياف للاخوة من آباء شتى وامهم واحدة وكثير من اهل اللغة اثبتوا له واحدا ثم اختلفوا في واحده قال الاخفش والكسائي واحدها لف بالكسر كجذع واجذاع وقيل واحده لف بالضم وهو جمع لفاء كحمر في جمع حمراء فيكون الفافا جمع الجمع كخضراء وخضر واخضار واستبعد صاحب الكشاف هذا الاحتمال بناء على ان الجموع التي جاءت على وزن فعل لاتجمع على افعال فلا يقال في جمع حمر احمار ولا في خضر اخضار فالقول بان الفافا جمع لف مخالف القياس وفي هذا الاستبعاد نظر لان الجمع لايجمع بالقياس الى نظائره من الجموع بل يكون له نظير في المفردات فلفظ لف لما كان له نظير كقفل وشغل من حيث الوزن صح ان يجمع على الفاف ولا يضره عدم استعمال احمار واخضار ثم قال صاحب الكشاف ولو قيل هو جمع ملتفة بتقدير حذف الزوائد لكان قولا وجيها وقال صاحب الكشف وفيه انه لانظير له ايضا لان تصغير الترخيم ثابت واما جمعه فلا انتهى يعني ان القول بان الفافا جمع ملتفة بتقدير حذف الزوائد لانظير له ايضا وكأنه قاس بناء الجمع على تصغير الترخيم وهو ان تحذف الزوائد كلها من الاسم ثم تصغره على مابقي نحو ان يقال حميد في احمد ومحمد ومحمود ولايبالي بالالتباس اعتمادا على دلالة القرينة و يقال سويد في اسود وخريج في مخرج ومثل هذا التصغير يسمى تصغير الترخيم لما فيه من الحذف للتخفيف فشبهوه بالترخيم المصطلح ولم يسمع من النحاة ان تحذف زوائد الاسم ثم يجمع مابقي منه (قوله كان في علم الله تعالى اوفي حكمه) لما كان الاصل في كان الناقصة الدلالة على ثبوت خبرها لفاعلها في الزمان الذي يدل عليه الفعل بصيغته ماضيا كان اوحالا اواستقبالا فان كان للماضي و يكون للحال او الاستقبال وكن للاستقبال ومعلوم ان ثبوت الميقاتية ليوم الفصل غير مقيد بالزمان الماضي لانه امر مقدر قبل حدوث الزمان ايضا ولما لم يصح ان يكون

(لنخرج به حبا ونباتا) ما يقتات به وما يعتلف من التبن والحشيش (وجنات الفافا) ملتفة بعضها ببعض جمع لف كجذع قال جنة لف وعيش مغدق اولفيف كشريف اولف جمع لفاء كخضراء وخضر واخضار او ملتفة بحذف الزوائد (ان يوم الفصل كان) في علم الله اوفي حكمه (ميقاتا)

توقت به الدنيا وتنتهى عنده او حدا الخلائق ينتهون اليه ﴿ ١٦٦ ﴾ (يوم ينفخ فى الصور) بدل او بيان

ليوم الفصل (فتأتون افواجا) جماعات من القبور الى المحشر روى انه عليه السلام سئل عنه فقال تحشر عشرة اصناف من امتى بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكوسون يسحبون على وجوههم وبعضهم عمى وبعضهم صم بكم وبعضهم يمضغون السنتهم فهى مدلاة على صدورهم يسيل القيح من افواههم يتقذرهم اهل الجمع وبعضهم مقطعة ايديهم وارجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من نار وبعضهم اشد نتنا من الجيف وبعضهم ملبسون جبابا سابغة من قطران لازقة بجلودهم ثم فسرهم بالقتات واهل السحت واكلة الربا والجائرين فى الحكم والمعجبين باعمالهم والعلماء الذين خالف قولهم فعلهم والمؤذين جيرانهم والساعين بالناس الى السلطان والتابعين

للشهوات المانعين حق الله والمتكبرين الخيلاء (وفتحت السماء) وشقت وقرأ الكوفيون بالتخفيف (تصدعت

المعنى كان ميقاتا فى زمان كذا فسره بقوله كان ميقاتا فى علم الله تعالى او فى حكمه ولعل المراد بالحكم القضاء الازلى والتقدير الالهى فهو غير العلم عند الاشاعرة لانه عبارة عن الارادة الازلية المتعلقة بالاشياء على ماهى عليه فيما لايزال (قوله حدا توقت به الدنيا) اى نهاية ينتهى عندها بقاء الدنيا ووقتا يبتدأ فيه احوال الآخرة وتوصيف الحد بماذكر اشارة الى ان الميقات اخص من الوقت حيث قيده بكونه حدا ينتهى عند بقاء الدنيا او بكونه حدا ينتهى اليه الخلائق من الجن والانس كالميعاد والميلاد فان كل واحد منهما اخص من مطلق الوقت لتقيد الاول بكونه زمان الوعد والثانى بكونه زمان الولادة وقيل الميقات زمان مقيد بكونه وقت ظهور ما وعدالله من الثواب والعقاب او بكونه وقتا لاجتماع الخلائق فى موقف الحساب للفصل مايدل على صحة البعث وامكانه اتبعه بذكر ان يوم الفصل حد ينتهى عنده هذا النظام المحسوس (قوله او بيان ليوم الفصل) يحتمل ان يكون المراد به انه عطف بيان ليوم الفصل وانه منصوب بتقدير اعنى وافواجا حال من فاعل تأتون وهذا النفخ هى النفخة الاخيرة التى عندها يكون الحشر والنفخ فى الصور اما بمعنى نفخ الارواح فى اجساد الاموات فيكون الصور جمع صورة نحو بسر فى جمع بسرة واما بمعنى نفخ اسرافيل عليه الصلاة والسلام فى القرن والصور حينئذ اسم مفرد بمعنى القرن الذى ينفخ فيه للبعث (قوله تحشر عشرة اصناف من امتى) فان قيل لم يذكر هيئة حشر المتقين من امته عليه الصلاة والسلام حتى يكون الاصناف المحشورون احد عشر صنفا قلت لعل الوجه فيه انه لايخفى على احد ان المتقين يحشرون على الصور الحسنة ثم انهم وان كانوا اصنافا كثيرة على حسب اختلاف الاعمال الحسنة والاخلاق المرضية الا ان اهتمام السائل لايتعلق ببيان تفصيلهم بحسب صورتهم الحسنة وتفصيل ما ادى الى ان يحشروا عليها من الاعمال الصالحة والاخلاق المرضية بل مطمح نظره ونهاية قصده واهتمامه معرفة هيئاتهم القبيحة المنظر ومعرفة ماكان سببا لان يحشروا عليها فلذلك فصل هيئات اهل المعاصى مع بيان الاسباب المؤدية اليها ولم يتعرض لهيئات الصالحين تفصيلا بل اكتفى بالاشارة الاجمالية بقوله من امتى بمن التبعيضية (قوله منكوسون) النكس مقابل هيئة القيام على الرجل بان يجعل الرجل اعلى والرأس اسفل (قوله ثم فسرهم بالقتات) جمع قات وهو النمام وهو تفسير للذين يحشرون على صورة القردة والثانى والثالث وهكذا على ترتيب اللف والسر وبيان المناسبة بين معاصيهم وبين الصور التى يحشرون عليها يفضى الى تطويل الكلام فيطلب بيانها من علم التفسير (قوله وشقت) اى

تصدعت بعد ان كانت شدادا لافطور فيها فيكون قوله وفتحت السماء ههنا
بمعنى اذا السماء انشقت واذا السماء انفطرت بناء على ان الفتح والتشقيق
والتفطير متقاربة المعنى (قوله فصارت من كثرة الشقوق كان الكل ابوابا)
لما لم يكن حمل قوله تعالى فكانت ابوابا على ظاهره لان نفس السماء اذا كانت
بكليتها ابوابا لم يبق فيها ما يعقد تلك الابواب عليها حمله اولا على التشبيه
البليغ للمبالغة فى كثرة ابوابها فان تلك الابواب لما كثرت جدا صارت السماء كانها
ليست الا ابوابا مفتوحة كقوله تعالى وفجرنا الارض عيونا اى كثرنا العيون
فى الارض بحيث صارت كأنها بكليتها عيون تتفجر وثانيا حمله على حذف
المضاف اى فكانت ذوات ابواب (قوله مثل سراب) ووجه الشبه ما اشار
اليه بقوله اذ ترى على صورة الجبال فان من يرى السراب من بعيد يحسبه ماء
فاذا جاء الموضع الذى رآه فيه لم يجده شيأ فكذلك الجبال تصير فى عين الرائى
كانها جبال وليست كذلك فى نفس الامر لتفرق اجزائها وانبثاث جواهرها
وصيرورتها كالعهن المنفوش ثم تتقطع وتتبدد فتصير هباء منبثا مع استقرارها
فى مواضعها ثم تنسف وتقلع من مواضعها كما قال تعالى فقل ينسفها ربى نسفا
ثم ترفعها الرياح عن وجه الارض فتطيرها فى الهواء كأنها غبار كما قال وهى تمر
مر السحاب واعلم ان الاحوال المذكورة الى ههنا هى احوال عامة القيامة ومن
ههنا شرع فى وصف احوال جهنم واهوالها فقال ان جهنم كانت مرصادا
والمرصاد يحتمل ان يكون اسما للمكان الذى يرصد فيه الراصد العدو اى يرقبه
كالمضمار فانه اسم للمكان الذى تضمر فيه الخيل ويطلق على المدة التى تضمر فيها
الخيل ايضا وهى اربعون يوما والضمر الهزال وخفة اللحم وتضمير الفرس
ان يعلفه حتى يسمن ثم يرده الى القوت وذلك يتم فى اربعين يوما وفى الصحاح
الراصد للشئ الراقب له تقول رصده يرصده رصدا ورصدا والترصد الترقب
والرصد ايضا القوم الذين يرصدون كالحرس يستوى فيه الواحد والجمع
والمؤنث والمرصاد الطريق انتهى ما فيه ويحتمل ان يكون المرصاد من ابنية
المبالغة كالمعطار والمطعان والمعمار فالمعنى ان جهنم تبالغ وتجد فى ترصد
اعداء الله تعالى لئلا يشذ منها واحد والمصنف اشار الى هذا الاحتمال بقوله
او مجدة فى ترصد الكفرة ويجوز ان تكون العبارة او محدة بالحاء المهملة
من احددت النظر اذا توجهت ونظرت بالحد والاحكام فيكون المرصاد بمعنى
المبالغ فى النظر الى الكفار لئلا يشذ منهم احد وقوله كانت معناه انها
كانت فى حكم الله تعالى مرصادا اى موضع ترصد او مجدة فيه وقيل
انها بمعنى صارت مرصدا (قوله على التعليل لقيام الساعة) المدلول عليه

(فكانت ابوابا) فصارت من كثرة الشقوق كان الكل ابوابا او فصارت ذات ابواب (وسيرت الجبال) اى فى الهواء كالهباء (فكانت سرابا) مثل سراب اذ ترى على صورة الجبال ولم تبق على صورة حقيقتها لتفتت اجزائها وانبثاثها (ان جهنم كانت مرصادا) موضع رصد يرصد فيه خزنة النار الكفار او خزنة الجنة المؤمنين ليحرسوهم من فيحها فى مجازهم عليها كالمضمار فانه الموضع الذى يضمر فيه الخيل او مجدة فى ترصد الكفرة لئلا يشذ منها واحد كالمطعان وقرئ ان بالفتح على التعليل لقيام الساعة (للطاغين مآبا) مرجعا ومأوى (لابثين فيها) حمزة وروح لبثين وهو ابلغ (احقابا) دهورا متتابعة وليس فيه ما يدل على خروجهم منها اذ لو صح ان الحقب ثمانون سنة او سبعون الف سنة فليس فيه ما يقتضى تناهى تلك الاحقاب لجواز ان يكون المراد احقابا مترادفة كلما مضى حقب تبعه آخر

بقوله يوم ينفخ فى الصور فتأتون افواجا كأنه قيل ان يوم الفصل وقت تنتهى عنده الدنيا وتقوم الساعة فيه اووقت تنتهى اليه الخلائق لان جهنم مرصاد لتجزى كل نفس بما كسبت لان الترقب لايكون الا لاقامة الجزاء و قوله مرصادا خبر كانت ومآبا يجوز ان يكون خبرا بعد خبر وان يكون بدلا من مرصادا اى انها كانت مرصادا لهم وحدا لايتجاوزونه ثم ان كان مرصادا بمعنى مجدا فى ترصد الكفرة يكون قوله للطاغين متعلقا بمرصادا وان كان اسم مكان بمعنى كانت موضع ترصد خزنة النار الكفار يجوز ان يكون للطاغين صفة لمرصادا وان يكون حالا من مآبا وكان فى الاصل صفة فلما قدم عليه انتصب حالا و على التقديرين يكون متعلقا بمحذوف وان كان بمعنى كانت موضع ترصد خزنة الجنة المؤمنين ليحرسوهم من فيحها لايجوز ان يكون للطاغين صفة لمرصادا بل يكون حالا من مآبا ليكون قوله تعالى ان جهنم كانت مرصادا كلاما تاما يصح الوقف عليه و يكون قوله للطاغين مآبا كلاما مستدأ ولعل المصنف اختار هذا الاحتمال حيث وصل قوله تعالى للطاغين بقوله مآبا ثم انه تعالى لما بين ان جهنم كانت مآبا للطاغين بين كية استقرارهم هنالك فقال لابثين فيها احقابا و هو حال من المقدر المنوى فى قوله للطاغين اى مقدرين اللبث فيها واحقابا ظرف زمان لقوله لابثين ومعموله والاحقاب جمع حقب بضمتين وهو الدهر ومنه قوله تعالى او امضى حقبا نقل الامام عن الفراء انه قال اصل الحقب من الترادف والتتابع يقال احقب اذا اردف ومنه الحقيبة واحتقبه واستحقبه بمعنى اى احتمله ومنه قيل احتقب فلان الاثم كأنه جمعه واحتقبه من خلفه فلذلك فسر المصنف قوله احقابا بقوله دهورا متتابعة اى يتبع بعضها بعضا والحقب بالضم والسكون ثمانون سنة قال الحسن لم يجعل الله تعالى لاهل النار مدة بل قال احقابا فوالله ما هو الا انه اذا مضى حقب دخل آخر ثم آخر كذلك الى الابد وقال المفسرون الحقب الواحد بضع وثمانون سنة السنة ثلاثمائة وستون يوما اليوم الف سنة من ايام الدنيا (قوله وان كان فمن الخ) اى وان كان فيه مايدل على خروجهم منها فذلك الخروج من قبيل المفهوم (قوله ولو جعل قوله تعالى لايذوقون فيها الخ) جواب ثان عما يرد على قوله تعالى لابثين فيها احقابا و هو دلالته على خروج الكفار منها و تقرير الجواب سلمنا ان احقابا المنكر يدل على التناهى وعدم التتابع الى مالا نهاية له لكن تناهى الاحقاب انما يستلزم تناهى اللبث المقيد بمضمون الحال وتناهى اللبث المقيد لايستلزم تناهى مطلق اللبث حتى يستلزم الخروج (قوله اونصب احقابا بلايذوقون) جواب

وان كان فمن قبيل المفهوم فلا يعارض المنطوق الدال على خلود الكفار ولو جعل قوله تعالى (لايذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا) حالا من المستكن فى لابثين اونصب احقابا بلا يذوقون احتمل ان يلبثوا فيها احقابا غير ذائقين الا حميما وغساقا ثم يبدلون جنسا آخر من العذاب

رابع تقريره ما ذكر تم من ان تناهي الاحقاب يدل على تناهي اللبث فيها المستلزم لحر و جهنم منها موقوف على قول من يرى تقديم معمول ما بعد كلة لاعليها فحينئذ لايكون فيه دلالة على تناهي اللبث والخروج حيث لم يكن احقابا ظرف اللبث (قوله و يجوز ان يكون جمع حقب) اى بكسر القاف وهو جواب خامس عنه تقريره ان ما ذكر تم مبنى على ان يكون احقابا ظرفا للا بثين و ليس بلازم لجواز ان لايكون ظرفا اصلا بل يكون حالا من الضمير المستكن فى لابثين بمعنى حقبين اى مجدبين يقال حقب عامنا اذا قل مطره وخيره وحقب فلان اذا اخطأ الرزق فهو حقب فعلى هذا يكون قوله لايذوقون فيها بردا ولاشرابا تفسيرا لتكذيبهم ولايتوهم حينئذ تناهي مدة لبثهم فيها حتى يحتاج الى التوجيه (قوله والمراد بالبرد ما يروحهم) كانه اشار الى جواب ما يقال انهم يذوقون فيها برد الزمهرير فكيف قيل انهم لايذوقون فيها بردا ولاشرابا وتقرير الجواب ان بردا وان كان نكرة واقعة فى سياق النفى المقتضى العمومية فى كل برد الا انه خص بالبرد النافع المروح لقيام المخصص وقوله ولا شرابا اى ولا ماء باردا تخصيص بعد التعميم لكمال الماء البارد فى الترويح وقوله الاحميما وغساقا استثناء منقطع لان الحميم والغساق ليسا من جنس الشراب المروح فى تسكين العطش فى شئ و الحميم الماء الحار الذى انتهى حره والغساق صديد اهل النار (قوله او النوم) سمى النوم بردا لانه يبرد صاحبه الاترى ان العطشان اذا نام سكن عطشه ومن امثال العرب منع البرد البرد اى اصابني من البرد ما معنى من النوم (قوله اى جوزوا بذلك جزاء ذا وفاق) على ان جزاء مصدر مؤكد لفعله المحذوف وقوله وفاقا صفة لجزاء بتقدير المضاف اى جزاء ذا وفاق او بان يوصف الجزاء بنفس الوفاق للمبالغة فى وفاقه لاعمالهم (قوله او وافقها وفاقا) على ان يكون وفاقا مصدرا مؤكدا لفعله المحذوف كجزاء فتكون الجملة صفة جزاء والتقدير جوزوا بذلك جزاء وافق اعمالهم وفاقا ووجه الموافقة بينهما انهم أتوا بمعصية عظيمة وهى الكفر فعوقبوا اعقابا عظيما وهو التعذيب بالنار ابدا (قوله بيان لما وافقه هذا الجزاء) اى بيان للاعمال القبيحة الناشئة عن فساد القوة العملية فان من لايخاف البعث والحساب يرخى عنان هواه فلا يمتنع عن ارتكاب المنكرات ولا يرغب فى التحلى بالطاعات ولما كان الحساب من اشق الامور واصعبها على الانسان وكان الشئ الصعب الشاق لايقال فيه انه يرجى بل يقال انه يخشى و يخاف قال كثير من المفسرين ان قوله تعالى انهم كانوا لايرجون حسابا معناه لايخافون كذا وقوله تعالى ما لكم لاترجون

و يجوز ان يكون جمع حقب من حقب الرجل اذا اخطأه الرزق وحقب العام اذا قل مطره وخيره فيكون حالا بمعنى لابثين فيها حقبين و قوله لايذوقون تفسير له والمراد بالبرد ما يروحهم و ينفس عنهم حر النار او النوم و بالغساق ما يغسق اى يسيل من صديدهم وقيل الزمهرير وهو مستثنى من البرد الا انه اخر ليتوافق رؤس الآى وقرأ حمزة و الكسائى وحفص بالتشديد (جزاء وفاقا) اى جوزوا بذلك جزاء ذا وفاق لاعمالهم اوموافقا لها او وافقها وفاقا وقرئ وفاقا فعال من وفقه كذا (انهم كانوا لايرجون حسابا) بيان لما وافقه هذا الجزاء (وكذبوا بآياتنا كذابا) تكذيبا وفعال بمعنى تفعيل

مطرد شائع في كلام الفصحاء وقرئ بالتخفيف وهو بمعنى الكذب كقوله * فصدقتها وكذبتها * والمرء ينفعه كذابه * وانما اقيم مقام التكذيب للدلالة على انهم كذبوا في تكذيبهم او المكاذبة فانهم كانوا عند المسلمين كاذبين وكان المسلمون كاذبين عندهم فكان بينهما مكاذبة اوكانوا مبالغين في الكذب مبالغة المغالبين فيه وعلى المعنيين يجوز ان يكون حالا بمعنى كاذبين ومكاذبين ويؤيده انه قرئ كذابا وهو جمع كاذب ويجوز ان يكون للمبالغة فيكون صفة للمصدر اي تكذيبا مفرطا كذبه

لله وقارا معناه مالكم لاتخافون عظمة الله تعالى ثم بين فساد قوتهم النظرية فقال وكذبوا بآياتنا كذابا ولاشك ان من فسدت كل واحدة من قوتيه النظرية والعملية وتباعد عن كل واحد من الاعتقاد الصحيح والعمل الصالح كان في غاية الرداءة ونهاية الفساد فاستحق ان يعاقب باهوال العقاب جزاء وفاقا فان مدة عمره وان كانت متناهية الا ان قبح حاله لما كان غير متناه كان تعذيبه بالنار ابدا موافقا لحاله في عدم التناهي فان ماجوزي به من العذاب وان كان متناهيا من حيث انه تعالى قادر على مافوقه من مراتب العذاب الا انه غير متناه بحسب المدة لانه مؤبد فكل واحد منهما موافق للآخر في مطلق عدم التناهي (قوله مطرد شائع) مثل كلم كلاما وفسر فسارا قال صاحب الكشاف وكنت افسر به فقال بعضهم لقد فسرتها فسارا اما سمع بمثله (قوله قال فصدقتها وكذبتها * والمرء ينفعه كذابه) استدل به على ان الكذاب مصدر كذب الثلاثي وان معناه الكذب ووجه الاستدلال ان كذابه فيه وقع بعد الفعل الثلاثي فدل ذلك على انه مصدر لذلك الثلاثي (قوله او المكاذبة) عطف على الكذب في قوله وهو بمعنى الكذب ثم ذكر لكونه بمعنى المكاذبة وجهين الاول ان يكون بناء المفاعلة للمشاركة كما هي الاصل فيه والثاني ان يكون للمبالغة تنبيها على كونهم مبالغين في الكذب مبالغة المغالبين فيه فيكون كذابا مصدر كاذب بمعنى بالغ في الكذب فانه قد يخرج الفعل الواقع من واحد على زنة المفاعلة تنبيها على قوة الفعل وكماله ووجه التنبيه ان الفعل الصادر عن اثنين على طريق مغالبة كل واحد منهما الآخر لابد ان يكون اتم واقوى مما يصدر عن واحد لامغالب له فيه فاذا خرج الفعل الصادر عمن لامغالبة له فيه على زنة المفاعلة كان مبناه على تشبيه ذلك الفعل بما صدر عن المغالبين في القوة والكمال (قوله وعلى المعنيين) وهما كونه بمعنى الكذب والمكاذبة يجوز ان يكون كذابا المخفف حالا من فاعل كذبوا على طريق استعمال المصدر في معنى اسم الفاعل ويؤيده قراءة من قرأ كذابا بضم الكاف وتشديد الذال فانه جمع كاذب كنصار جمع ناصر منصوب على الحال والجملة معطوفة على قوله وانما اقيم مقام التكذيب يعني ان كذابا المخفف يجوز ان يكون منصوبا على انه مفعول مطلق لكذبوا المشدد لتضمنه معنى الكذب بناء على ان كل من كذب الحق فهو كاذب ويجوز ان يكون منصوبا على الحالية (قوله ويجوز ان يكون للمبالغة) عطف على قوله جمع كاذب اي ويجوز ان يكون كذابا بالضم والتشديد صيغة مبالغة بمعنى الواحد البليغ في الكذب نحو رجل كبار وشاب حسان وذلك الواحد البالغ في الكذب هو مصدر كذبوا والمعنى وكذبوا بآياتنا كذابا اي

تكذيبا مفرطا كذبه (قوله وقرئ بالرفع على الابتداء) وقرآءة الجمهور بالنصب على انه من باب ما اضمر عامله على شرط يطلة التفسير وهو الاولى في هذا المقام بتقديره جملة فعلية قال ابن الحاجب ويختار النصب بالعطف على جملة فعلية للتناسب نحو جاءنى زيد وعمرا اكرمته ثم انه تعالى لما بين ان ما يوجب الجزاء المذكور وهو فسادهم بحسب قوتهم العملية والنظرية بين ان تفاصيل احوالهم الفاسدة عملا واعتقادا معلومة له فقال وكل شئ احصيناه كتابا وهذه الجملة معترضة بين السبب ومسببه فان قوله فذوقوا مسبب عن تكذيبهم والاصل وكذبوا بآياتنا كذابا فذوقوا وفائدة الاعتراض تقرير ما ادعاه من قوله جزاء وفاقا كانه قال انا عالم بجميع ما فعلوه على وجه جزئي فاجازيهم جزاء وفاقا لاعمالهم وما انا بظلام للعبيد (قوله وفي الحديث هذه الآية اشد ما في القرآن على اهل النار) لانها تدل على انهم كلما استغاثوا من نوع من العذاب اغيثوا باشد منه فتكون كل مرتبة منه متناهية في الشدة وان كانت مراتبه غير متناهية بحسب العدد والمدة كما اشرنا اليه سابقا ثم انه تعالى لما ذكر وعيد الكفار اتبعه ذكر ما وعد للابرار فقال ان للمتقين مفازا وهو يحتمل ان يكون مصدرا ميميا بمعنى الفوز بما ينبغي و يطلب فيكون حدائق بدل اشتمال منه وان يكون اسما لمكان الفوز وهو الجنة فيكون حدائق بدل البعض والحدائق جمع حديقة وهي كل بستان محوط عليه من قولهم احدقوا به اي احاطوا به وتنكير اعنابا لتعظيم حالها (قوله فلكت ثديهن) اى استدارت فصارت كالكعب في النتوء يقال فلكت ثدى الجارية تفليكا اى استدارت كفلكة المغزل (قوله لدات) اي مستويات في السن واحدتها ترب ووا حدة لدات لدة والهاء فيها عوض عن الواو الذاهبة من اوله لانها من الولادة (قوله ملآى) فدهاقا مصدر على وزن فعال بمعنى مدهق اى ممتلئ وصف به الكأس للمبالغة في امتلائها (قوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا) اللغو هو ما يصدر من الكلام في اثناء الشرب بخلاف اهل الجنة فانهم اذا شربوا لا تتغير عقولهم فلا يتكلمون بلغو من نحو الهذيان والصياح والعربدة ولا يكذب بعضهم بعضا فان كذابا بالتشديد بمعنى التكذيب فلا يسمع فيها شئ من ذلك (قوله بمقتضى وعده) جواب عما يقال انه تعالى جعل ما وعده للمتقين جزآء وعطاء وهو كالجمع بين المتنافيين لان كونه جزآء يستدعى ثبوت الاستحقاق وكونه عطاء يستدعى عدم ثبوته وتقرير الجواب ان ذلك تفضل وعطاء في نفس الامر وجزآء مبنى على الاستحقاق من حيث انه تعالى وعد به لاهل الطاعة وقوله عطاء بدل الكل من الكل من قوله جزآء لاتحادهما بالذات

(وكل شئ احصيناه) وقرئ بالرفع على الابتداء (كتابا) مصدر لاحصيناه فان الاحصاء والكتبة يتشاركان في معنى الضبط او لفعله المقدر او حال بمعنى مكتوبا في اللوح او في صحف الحفظة والجملة اعتراض وقوله (فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا) مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات ومجيئه على طريقة الالتفات للمبالغة وفي الحديث هذه الآية اشد ما في القرآن على اهل النار (ان للمتقين مفازا) فوزا او موضع فوز (حدائق واعنابا) بساتين فيها انواع الاشجار المثمرة بدل من مفازا بدل الاشتمال او البعض (وكواعب) نساء فلكت ثديهن (اترابا) لدات (وكأسا دهاقا) ملآى وادهق الحوض ملأه (لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا) وقرأ الكسائي بالتخفيف اى كذبا او مكاذبة اذ لا يكذب بعضهم بعضا (جزاء من ربك) بمقتضى وعده (عطاء) تفضلا منه اذ لا يجب عليه شئ وهو بدل من جزآء وقيل منتصب به نصب المفعول به

واختلافهما بحسب المفهوم وفي ابداله منه نكتة لطيفة وهي الدلالة على ان بيان كونه عطاء وتفضلا منه تعالى هو المقصود و بيان كونه جزآء وسيلة اليه وقيل انتصاب عطاء على ان مفعول به لجزآء يعني جزاهم عطاء على ان العطاء بمعنى المعطى قيل يلزم عليه انتصاب جزآء على انه مصدر مؤكد لفعله المحذوف كما صرح به المصنف في مثله والمصدر انما يعمل اذا كان بمعنى ان مع الفعل والمفعول المطلق لايكون كذلك لان الفعل لايؤكد بان مع الفعل وانما يؤكد بالمصدر الصريح صرح به سيبويه في كتابه حيث قال و يعمل عمل فعله ماضيا كان او غيره اذا لم يكن مفعولا مطلقا واجيب عنه بانه لايلزم من عدم جواز تأكيد الفعل بان مع الفعل لفظا عدم كون المفعول المطلق بمعنى ان مع الفعل فاذا جاز ان يكون المفعول المطلق بمعنى ان مع الفعل جاز ان يكون عاملا وفيه ان هذا الجواب يدفعه قول سيبويه و يعمل عمل فعله اذا لم يكن مفعولا مطلقا (قوله كافيا) يعني ان قوله تعالى حسابا صفة لقوله عطاء على انه مصدر اقيم مقام محسبا بمعنى كافيا من قولهم اعطاني مااحسبني اي ما كفاني واحسبت فلانا اذا اعطيته ما يكفيه حتى قال حسبي و منه قول ابراهيم عليه الصلاة والسلام حسبي من سؤالي علمه بحالي اي كفاني من سؤالي (قوله اوعلى حسب اعمالهم) فيكون ايضا صفة لعطاء اي عطاء كائنا بحسب اعمالهم ومقدارها فحذف الجار ونصب الاسم فحسابا على هذا مصدر حسبته بمعنى عددته وقدرته وفي الصحاح حسبه يحسبه بالضم حسبا وحسبانا اذا عده وقدره و الظاهر ان يقال على حسب ماوعد للعاملين من اصل الثواب واضعافه في مقابلة اعمالهم فان الجزآء وقع في القرآن على ثلاثة اوجه الاول من جاء بالحسنة فله عشر امثالها والثاني مادل عليه آية السنبلة وهو سبعمائة ضعف والثالث مايدل عليه قوله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وقول المصنف او على حسب اعمالهم يفهم منه كون الجزآء مثل العمل وذلك انما يكون في السيئة لا في الحسنة والكلام في جزآء المتقين وجزآؤهم لايكون مماثلا لاعمالهم البتة فلابد ان يكون مراده بقوله على حسب اعمالهم كون الاضعاف الموعودة التي هي المراد بالعطاء على حسب اعمالهم بان يجازى كل عمل بما وعد له من الاضعاف (قوله وقرئ حسابا) بفتح الحاء وتشديد السين على انه صيغة مبالغة من احسبه كذا اي كفاه وقياس فعال ان يبنى من الثاني كصبار وعلام وان يكون مبالغة فاعل وحساب هنا فعال بني من افعل في مبالغة مفعل كما يقال اجبره فهو جبار اي مجبر وادرك فهو دراك اي مدرك ثم انه تعالى لما بالغ في وصف وعيد الكفار ووعد المتقين

(حسابا) كافيا من احسبه الشيء اذا كفاه حتى قال حسبي او على حسب اعمالهم وقرئ حسابا اي محسبا كالدراك بمعنى المدرك

(ختم)

ختم الكلام بوصف نفسه بسعة الملك وكمال القدرة والسلطنة ونهاية الفضل والرحمة فقال رب السموات والارض وما بينهما (قوله بدل من ربك) لمختار قرآءة من قرأ بجر لفظى الرب والرحمن على ان الاول بدل من ربك والثانى صفة للاول اولمتبوعه وهذه القرآءة قرآءة بن عامر وعاصم ثم ذكر ان اباعمرو وابن كثير المكى ونافعا المدنى قرأوابرفع الاول وان اباعمرو برفع الثانى ايضا ثم ذكر ان حمزة والكسائى قرءا بجر الاول ورفع الثانى ولم اعلم مراد المصنف ماهو لاختلاف النسخ فى بيان اعراب هذه الآية وقد ذكر شهاب الدين فى معربه قرأ نافع وابن كثيروابوعمرو برفع رب السموات والرحمن وابن عامر وعاصم بخفضهما والاخوان بخفض الاول ورفع الثانى ويوافقه ما فى التفسير للامام النسفى وهو قوله قرأ عاصم وابن عامر رب بالخفض والرحمن كذلك وصفا لقوله جزآء من ربك والباقون كليهما بالرفع على معنى هو رب السموات والارض وما بينهما الرحمن وقرأ حمزة والكسائى رب بالخفض نعتا للاول والرحمن رفعا لانقطاعه عن الاول فرفع على تقدير هو الرحمن وقال الامام الرازى رب السموات والرحمن فيهما ثلاثة اوجه احدها الرفع فيهما وهى قرآءة بن كثير ونافع وابى عمرو والجر فيهما وهى قرآءة عاصم وابن عامر والجر فى الاول مع الرفع فى الثانى وهوقرآءة حمزة والكسائى وكذا فى شرح الشاطبية (قوله اى لايملكون خطابه والاعتراض عليه) اى لايملكون من جهته تعالى ان يخاطبوه على سبيل الاعتراض عليه فيما حكم به بين العباد من اثابة بعض وعقاب آخرين على ان تنكير خطابا للتنويع ولايلزم من عدم تمليكه تعالى اياهم ان يخاطبوه على سبيل الاعتراض ان لايأذن لهم فى الشفاعة والاعتراض على الحاكم عبارة عن ان يتكلم فضولى فى اثناء حكمه على قصد تغيير ما حكم به والمتكلم بالاذن ليس فضوليا قاصدا لتغيير الحكم (قوله فان هؤلاء الذين هم افضل الخلائق) اشارة الى ان هذه الآية فيها دلالة على ان الملائكة افضل من البشر وذلك لان المقصود منها ان الملائكة والروح مع انهم افضل المخلوقات لما لم يقدروا ان يتكلموا فى موقف القيامة اجلالا لربهم وخوفا منه وخضوعاله فكيف يكون حال غيرهم اى عدم قدرة غيرهم عليه اولى ومعلوم ان هذا المقصود يستدعى كونهم افضل الخلائق (قوله تعالى الامن اذن) يجوز ان تكون فى موضع الرفع على البدلية من واو لايتكلمون وهو المختار لكونه غيرموجب والمستثنى منه مذكور وفى مثله يختار البدل وان

الابتدآء (الرحمن) بالجر صفة له فى قرآءة ابن عامر وعاصم ويعقوب وبالرفع فى قرآءة ابى عمرو وفى قرآءة حمزة والكسائى بجر الاول ورفع الثانى على انه خبر محذوف اومبتدأ خبره (لايملكون منه خطابا) والواو لاهل السموات والارض اى لايملكون خطابه والاعتراض عليه فى ثواب اوعقاب لانهم مملوكون له على الاطلاق فلا يستحقون عليه اعتراضا وذلك لاينافى الشفاعة باذنه (يوم يقوم الروح والملائكة صفا لايتكلمون الامن اذن له الرحمن وقال صوابا) تقرير وتوكيد لقوله لايملكون فان هؤلاء الذين هم افضل الخلائق واقربهم من الله اذا لم يقدروا ان يتكلموا بما يكون صوابا كالشفاعة لمن ارتضى الا باذنه فكيف يملكه غيرهم ويوم ظرف للايملكون اولايتكلمون والروح ملك موكل على الارواح او جنسها او جبرآئيل او خلق اعظم من الملائكة (ذلك اليوم الحق) الكائن

لامحالة (فمن شاء اتخذ الى ربه) الى ثوابه (مآبا) بالايمان والطاعة (انا انذرناكم عذابا قريبا)

يكون منصوبا على اصل الاستثناء والمعنى لايشفعون الا من اذن له الرحمن في الشفاعة وقال ذلك الشفيع المأذون له في الشفاعة صوابا بان يشفع لمن ارتضى او بان كان من اهل الايمان والاقرار بالشهادتين فان المؤمنين لهم الشفاعة كما للانبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل المعنى لايتكلمون بالشفاعة لاحدا الا لمن اذن له اى الا في حق شخص اذن له الرحمن في شفاعته وكان ذلك الشخص ممن قال صوابا اى حقا بان يقر بالتوحيد والرسالة و بحقية جميع ماجاء به الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم قال ابن عباس رضى الله تعالى عنه يشفعون لمن قال لااله الا الله فعلى هذا يكون من اذن له الرحمن في موضع الجر باضمار حرف الجر اى الا لمن اذن له وضمير قال راجع الى من الذى اريد به المشفوع له وذلك في قوله تعالى ذلك اليوم الحق مبتدأ واليوم الحق خبره والاشارة الى اليوم الذى تقدم ذكره لما قرر الله تعالى عظمة يوم القيامة قال ان ذلك اليوم يوم ثابت وكائن لامحالة والخطاب في قوله تعالى انا انذرناكم عذابا قريبا لمشركى العرب وكفار قريش لانهم كانوا ينكرون البعث ويوم ظرف لمحذوف اى انذرناكم عذابا كائنا يوم ينظر المرء عمله الذى قدمه والمرء عام لكل احد مؤمنا كان او كافرا لان كل احد يرى عمله في ذلك اليوم مثبتا في صحيفته خيرا كان اوشرا ❁ تمت سورة النبأ والله سبحانه وتعالى اعلم

(سورة والنازعات)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(قوله صفات ملائكة الموت) توصيف الملائكة بالنازعات مثلا يستدعى ان يصح توصيف الملك بالنازعة وليس كذلك لان الملك لايوصف بالمذكورة ولا بالانوثة واجابه بصحة توصيف الملائكة بنحو النازعات والناشطات باعتبار كونهم طائفة وكل طائفة منهم نازعة وناشطة اقسم الله تعالى بطوائف الملائكة فان اعوان ملك الموت طوائف مختلفة وجماعات متكثرة وصف الله تعالى تلك الجماعات بخمس صفات لان الواو الاولى للقسم ومابعدها للعطف فالصفات المذكورة لموصوف واحد هو طوائف الملائكة الموكلين بقبض الارواح والعطف لتغاير الصفات والنزع جذب الشئ بشدة والنشط جذبه واخراجه برفق ولين والاغراق في النزع التوغل فيه والبلوغ الى اقصى درجاته يقال اغرق النازع في القوس اذا بلغ غاية المد حتى انتهى الى النصل والغرق اسم مصدر للاغراق كالسلام للتسليم فلذلك فسره المصنف بقوله اى اغراقا في النزع وهو منصوب على انه مفعول مطلق للنازعات من غير لفظها

(المرء ما قدمت يداه) اى ما قدمه من خير او شر والمرء عام وقيل هو الكافر لقوله انا انذرناكم فيكون الكافر ظاهرا وضع موضع الضمير لزيادة الذم وما موصولة منصوبة بينظر او استفهامية منصوبة بقدمت اى ينظر اى شئ قدمت يداه (ويقول الكافر ياليتنى كنت ترابا) في الدنيا فلم اخلق ولم اكلف او في هذا اليوم فلم ابعث وقيل يحشر سائر الحيوانات للاقتصاص ثم ترد ترابا فيود الكافر حالها ❁ عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة عم سقاه الله برد الشراب يوم القيامة (سورة والنازعات مكية وآيها خمس اوست واربعون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا) هذه صفات ملائكة الموت فانهم ينزعون ارواح الكفار من ابدانهم غرقا اى اغراقا في النزع فانهم ينزعونها من اقاصى الابدان او نفوسا غرقة في الاجساد وينشطون اى يخرجون (لانفسهما)

لاتفاقهما من حيث المعنى فان النزع نوع من الغرق والمصنف خص طائفة النازعات بالتي تنزع ارواح الكفار بالقهر لشدة تعلقهـا بالابدان وذلك انه ليس من كافر يحضره الموت الاعرضت عليه جهنم فيراها قبل ان يخرج روحه ويرى فيها اقواما مرة ينغمسون ومرة يرتفعون فعند ذلك يغرق روحه في جسده فينزعه الملك الموكل بقبض روحه بعنف وشدة من اقاصي بدنه حتى من انامله واظفاره فقوله غرقا على هذا مفعول مطلق للنازعات كما اشار اليه بقوله او نفوسا غرقة في الاجساد فانه معطوف على قوله ارواح الكفار والمراد بالنفوس الغرقة نفوس الكفار ايضا بقرينة النزع والنشط ولان نفوس المؤمنين ليست غرقة في اجسادهم بل اجسادهم محض سجن لارواحهم وخص طائفة الناشطات بالتي تنزع ارواح المؤمنين فان تلك الطائفة تخرج ارواح المؤمنين برفق ولين لكون ارواحهم راغبة في الطيران الى عالم القدس وذلك انه ما من مؤمن يحضره الموت الا ويرى منزلته في الجنة ويرى فيها اقواما من اهل معرفته وهم يدعونه الى انفسهم فعند ذلك ترغب روحه في الخروج من ظلمة البدن وسجنه فيخرج الملك روحه برفق لسهولة تعلقه ببدنه (قوله يسبحون في اخراجها سبح الغواص) يعني ان قوله تعالى والسابحات سبحا استعارة تبعية شبه اخراجهم لارواح المؤمنين برفق ولطف باخراج الغواص ماالتقطه من قعر البحر فكما ان من سبح في الماء يتحرك فيه بلطف ورفق بحيث لا يتأذى نفسه ولايدرى بالحركة فكذلك الملك الذى ينشط روح المؤمن يخرجه برفق لئلا يصل اليه ألم وشدة فاطلق اسم المشبه به على المشبه واستعار منه لفظ السابحات (قوله فيسبقون) فان قيل السبق لا بدله من المسبوق فما فائدة المسبوق ههنا قلنا لعل السبق هنا كناية عن الاسراع لكون السبق من لوازم الاسراع والفاء في قوله فالسابقات فالمدبرات للدلالة على ان السبق يعقب الصفة السابقة وكذا تدبير الثواب والعقاب يعقب ادخال كل طائفة في منزلتها والظاهر ان تدبير امور الثواب والعقاب في الجنة والنار من وظائف خزنة الجنة والنار لامن وظائف الملائكة الموكلين بقبض الارواح الذين هم الموصوفون بالصفات المذكورة هنا لقول المصنف هذه صفات ملائكة الموت ولعل قول المصنف ان يهيئوها لادراك ما اعد لها من الثواب والعقاب اشارة الى ذلك (قوله او الاوليان) وهما النازعات والناشطات لهم اى للائكة الموت والثلاث الباقية لطوائف اخرى فيكون قوله والسابحات قسما ثانيا والواو التي فيهما تكون للقسم لا للعطف

ارواح المؤمنين برفق من نشط الدلو من البئر اذا اخرجها ويسبحون في اخراجها سبح الغواص الذى يخرج الشيء من اعماق البحر فيسبقون بارواح الكفار الى النار وبارواح المؤمنين الى الجنة فيدبرون امر عقابها وثوابها بان يهيئوها لادراك ما اعد لها من الآلام واللذات او الاوليان لهم والباقيات لطوائف من الملائكة يسبحون في مضيها اى يسرعون فيه فيسبقون الى ما امروا به فيدبرون امره

أو صفات النجوم فانها تنزع من المشرق الى المغرب غرقا فى النزع بان تقطع الفلك حتى تنحط فى اقصى المغرب وتنشط من برج الى برج اى تخرج من نشط الثور اذا خرج من بلد الى بلد وتسبح فى الفلك فيسبق بعضها فى السير لكونه اسرع حركة فتدبر امرا نيط بها كاختلاف الفصول وتقدير الازمنة وظهور مواقيت العبادات ولما كانت حركاتها من المشرق الى المغرب قسرية وحركاتها من برج الى برج ملائمة سمى الاولى نزعا والثانية نشطا او صفات النفوس الفاضلة حال المفارقة فانها تنزع عن الابدان غرقا اى نزعا شديدا من اغراق النازع فى القوس فتنشط الى عالم الملكوت وتسبح فيه فتسبق الى حظائر القدس فتصير لشرفها وقوتها من المدبرات

وتكون الكلمتان اللتان بعدها معطفا عليها على طريق عطف القصة على القصة كما ان قوله والنازعات قسم ابتدائى وقوله والناشطات عطف عليه اقسم الله تعالى اولا بطوائف ملائكة الموت وثانيا بطوائف اخرى ينزلون من السماء مسرعين مشبهين فى سرعة نزولهم بمن سبح فى الماء واستعارة السبح للاسراع شائع كما يقال فى الفرس الجواد انه لسابح (قوله اوصفات النجوم) عطف على قوله صفات ملائكة الموت وقوله تنزع من المشرق الى المغرب يدل على ان النازعات على هذا بمعنى السائرات كأنه مشتق من نزع الى اهله ينزع نزعا اى اشتاق فكأن النجوم فى مصيرها الى جانب المغرب اشتاقت اليه واغراقها فى النزع ان تقطع الفلك كله حتى تنحط فى اقصى المغرب واسناد النزع بمعنى السير الى النجوم يشعر ان النجوم تتحرك حركة ذاتية من المشرق الى المغرب كما تتحرك كذلك من برج الى برج وكذا اسناد السبح اليها يشعر بذلك والظاهر ان الامر ليس كذلك بل حركتها الى مغار بها عرضية تابعة لحركة الفلك الاعظم فينبغى ان يحمل قوله بان تقطع الفلك مبنيا على ما نراها كذلك وان كانت هى فى انفسها مركوزة فى افلاكها ومتحركة تبعا لافلاكها (قوله وتنشط من برج الى برج) نقل الامام هذا الوجه عن صاحب الكشاف ثم قال واقول مرجع حاصل هذا الكلام الى ان قوله تعالى والنازعات غرقا اشارة الى حركتها اليومية وقوله والناشطات نشطا اشارة الى انتقالها من برج الى برج وهو حركتها المخصوصة بها فى افلاكها الخاصة والعجب ان حركتها اليومية قسرية وحركتها من برج الى برج ليست قسرية بل ملائمة لذواتها فلا جرم عبر عن الاول بالنزع وعن الثانى بالنشط فتأمل ايها المسكين فى هذه الاسرار (قوله فتدبر امرا نيط بها) اسند التدبير اليها مع ان الامر كله لله من حيث ان الامور المنوطة بها المترتبة عليها مستندة اليها بحسب الظاهر وان كانت فى الحقيقة مستندة اليه تعالى من حيث انه تعالى خلق الاشياء كلها بحيث يترتب عليها المصالح المتعلقة بها فان قيل لم قال فالمدبرات امرا ولم يقل امورا مع ان المصالح المترتبة عليها امور كثيرة قلنا المراد بالامر الجنس فصح ان يعبر به عن الجمع (قوله فانها تنزع عن الابدان) اى تقلع عن الابدان قلعا شديدا شبه قلع التعلق بالنزع لانها تعلق من كثرة الاتصال بالشئ فان نفس الميت توصف بالنزع فيقال لمن هو فى صدد الموت فلان فى النزع اى فى قلع تعلق روحه ببدنه وتلك النفوس الفاضلة كما انها تنزع اى تقلع تعلقها بالابدان عنها تنشط اى تخرج منها الى عالم الملكوت ثم انها لاشتياقها الى الاتصال بالعالم العلوى ترتقى الى عالم الملائكة ومنازل القدس على اسرع الوجوه

(فى روح)

فى روح وريحان بعد خروجها من ظلمة الاجساد فعبر عن ذهابها على هذه الحالة بالسباحة ثم لاشك ان مراتب النفوس الفاضلة فى النفرة عن الدنيا ومحبة الاتصال بعالم القدس مختلفة فكلما كانت اتم فى هذه الاحوال كان سيرها الى ذلك العالم اسبق وكلما كانت اضعف كان سيرها اليه ابطأ ولاشك ان الارواح السابقة اشرف فلاجرم اوقع القسم بها حيث قال والسابقات سبقا ثم ان هذه النفوس الشريفة لعلو همتها فى تكميل النفوس القاصرة ولشرفها وقوتها لايبعد ان يظهر فيها آثار وتدبيرات فى هذا العالم فتكون من المدبرات الاترى ان الانسان قد يرى فى المنام ان بعض الاموات يرشده الى مطلوبه (قوله او حال سلوكها) عطف على حال المفارقة عن الابدان اى اوهى صفات النفوس الفاضلة حال سلوكها (قوله اقسم الله بها على قيام الساعة) يعنى ان جواب القسم محذوف وهو اما لتبعثن و يدل عليه ماحكى الله تعالى عنهم انهم قالوا أئذا كنا عظاما نخرة اى انبعث اذا صرنا عظاما نخرة و اما لتنفخن فى الصور نفختين و يدل عليه ذكر الراجفة والرادفة وهما النفختان واما ان القيامة واقعة لانه تعالى قال والذاريات ذروا ثم قال انما توعدون لصادق وقال والمرسلات عرفا ثم قال انما توعدون لواقع فكذا ههنا فان القرآن كالسورة الواحدة وقيل الجواب مذكور وهو اما قوله تعالى قلوب يومئذ واجفة ابصارها خاشعة والتقدير والنازعات غرقا ان يوم ترجف الراجفة يحصل قلوب واجفة وابصارها خاشعة واما قوله تعالى هل اتاك حديث موسى فان هل ههنا بمعنى قد كما فى قوله تعالى هل اتاك حديث الغاشية فانه بمعنى قد اتاك واما قوله تعالى ان فى ذلك لعبرة لمن يخشى (قوله وهو منصوب به) اى بالجواب المحذوف الذى هو قيام الساعة والتقدير والنازعات لتبعثن يوم ترجف الراجفة فان قيل كيف يصح هذا مع ان القيامة لاتقع يوم تضطرب الاجرام الساكنة الذى هو يوم النفخة الاولى وانما تقع عند النفخة الثانية ويدل عليه قوله تعالى تتبعها الرادفة و بينهما اربعون سنة اجيب عنه بان المراد بيوم ترجف الراجفة الوقت الواسع الذى يحصل فيه النفختان ولاشك انها تقع فى بعض ذلك الوقت الواسع وهو وقت النفخة الثانية ويدل عليه ان قوله تعالى تتبعها الرادفة جعل حالا من الرادفة فانه يستلزم كون الرجفان واقعا فى حال كون الرادفة تابعة له وان نكونا فى زمان واحد لان الحال يجب ان يكون حصولها مقارنا لحصول الفعل المقيد بها وذلك لايكون الابان يكون المراد باليوم الوقت الواسع والرجفة والرجيف الحركة والاضطراب ولفظ ترجف لكونه فعلا مضارعا يقتضى ان يكون قيام مدلوله بفاعله حادثا بعد نزول

اوحال سلوكها فانها تنزع عن الشهوات وتنشط الى عالم القدس وتسبح فى مراتب الارتقاء فتسبق الى الكمالات حتى تصير من المكملات او صفات انفس الغزاة اوايديهم تنزع القسى باغراق السهام وينشطون بالسهم للرمى ويسبحون فى البر والبحر فيسبقون الى حرب العدو فيدبرون امرها او صفات خيلهم فانها تنزع فى اعنتها نزعا تغرق فيه الاعنة لطول اعناقها وتخرج من دار الاسلام الى دار الكفر وتسبح فى جريها فتسبق الى العدو فتدبر امر الظفر اقسم الله تعالى بها على قيام الساعة وانما حذف لدلالة ما بعده عليه (يوم ترجف الراجفة) وهو منصوب به والمراد بالراجفة الاجرام الساكنة التى يشتد حركتها حينئذ كالارض والجبال كقوله تعالى يوم ترجف الارض والجبال

الآية والرجفة انما تحدث فى الاجسام الساكنة فلذلك فسر الراجفة بالاجرام الساكنة ليتصور عروض الحركة لها (قوله او الواقعة) عطف على الاجرام الساكنة والمراد بالواقعة النفخة الاولى سميت راجفة لكونها سببا لاضطراب الاجرام الساكنة واسندت الرجفة اليها على طريق اسناد الفعل الى سببه والاصل ان يقال يوم ترجف الارض والجبال بسبب حدوث الواقعة التى هى النفخة الاولى وان فسرت الراجفة بنحو الارض والجبال من الاجرام الساكنة يكون اسناد الرجفة اليها حقيقة وحينئذ يكون المراد بالرادفة الاجرام المتحركة التى هى السماء والكواكب سميت رادفة لانها فى تغيير احوالها الى الانشقاق والانتثار تتبع الاجرام الساكنة فى الرجفة والاضطراب (قوله او النفخة الثانية) هذا على تقدير ان تفسر الراجفة بالنفخة الاولى فان الرادفة كل ماكان بعد شئ آخر يقال ردفه اى جاء بعده والنفخة الثانية تجيئ بعد الاولى وكذا تغيرا حوال الاجرام المتحركة كانفطار السماء وانتثار الكواكب فانها ايضا تكون بعد رجفة السواكن وتزلزلها (قوله وهى صفة لقلوب) اشارة الى وجه الابتدآء بقلوب وهى نكرة يعنى انها وان كانت نكرة لكنها موصوفة بقوله واجفة والنكرة الموصوفة يجوز الابتدآء بها فقلوب مبتدأ ويومئذ ظرف لواجفة وابصارها مبتدأ ثان وخاشعة خبره وهو مع خبره خبر الاول واضيفت الابصار الى ضمير القلوب مع ان القلوب لا ابصار لها بتقدير المضاف واشار المصنف اليه بقوله اى ابصار اصحابها ويدل على تقدير الاصحاب ايضا قوله يقولون قال الامام خصص قوله قلوب بقوله واجفة ولم يعرفها بلام الاستغراق بان يقول القلوب يومئذ واجفة لانه ثبت بالدليل ان اهل الايمان لايخافون بل المراد قلوب الكفرة ومما يؤيد ذلك انه تعالى حكى عنهم انهم يقولون أئنا لمردودون فى الحافرة وهذا لايقوله الا الكفار (قوله ولذلك) اى ولكون خشوع الابصار وذلتها ناشئا من الخوف بحيث يترقبون اى شئ ينزل عليهم من الامور العظام اضاف الابصار الى القلوب التى هى محل الخوف وهو من احوالها وخواصها واضافة الابصار لما كانت فى معنى توصيفها بتلك الاضافة اشعرت بكونها علة للحكم بالذلة وبان سبب ذلتها ما فى القلوب من الخوف والوجعة والوجيف خفقان القلب واضطرابه ومنه وجيف الفرس والبعير فى العدو والا يجاف هو حمل الدابة على السير السريع وللمفسرين عبارات كثيرة فى تفسير الواجفة ومعناها واحد قالوا فى تفسيرها خائفة وجلة زائلة عن اماكنها قلقة شديدة الاضطراب غير ساكنة ونحو ذلك ثم انه تعالى حكى عن منكرى البعث والقيامة اقوالا ثلاثة اولها قولهم أئنا لمردودون فى الحافرة

(وثانيها)

او الواقعة التى ترجف الاجرام عندها وهى النفخة الاولى (تتبعها الرادفة) التابعة وهى السماء والكواكب تنشق وتنتثر او النفخة الثانية والجملة فى موقع الحال (قلوب يومئذ واجفة) شديدة الاضطراب من الوجيف وهى صفة لقلوب والخبر (ابصارها خاشعة) اى ابصار اصحابها ذليلة من الخوف ولذلك اضافها الى القلوب (يقولون أئنا لمردودون فى الحافرة) فى الحالة الاولى يعنون الحياة بعد الموت من قولهم رجع فلان فى حافرته اى طريقته التى جاء فيها فحفرها اى اثر فيها بمشيه على النسبة كقوله عيشة راضية او تشبيه القابل بالفاعل

وثانيها قولهم أئذا كنا عظاما نخرة وثالثها قولهم تلك اذا كرة خاسرة وهذه الاقوال صدرت عنهم في الدنيا استبعادا للبعث وتجبانه والحافرة في الاصل عبارة عن الطريق التي سلكها المرء اولا واثرفيها قدمه بمشيه عليها جعل اثر القدم حفرا وسميت الطريقة حافرة على التشبيه بمعنى انها ذو حفر كابئر ثم اطلقت الحافرة على الحالة الاولى واول الامر حتى قال الواحدي الحافرة عند العرب اسم لاول الشيء وابتداء الامر قال الشاعر

أحافرة على صلع وشيب * معاذ الله من سفه وعار

يقول ، أرجع الى ما كنت عليه في شبابي من الغزل والتصابي بعد ان شبت وصبت وصلعت ثم قال معاذ الله هذا سفه ظاهر وعار شديد فمعنى الآية أنرد الى اول احوالنا فنصير احياء كما كنا (قوله وقرئ في الحفرة) على وزن الكلمة وهو صفة مشبهة من قولهم حفرت اسنانه فحفرت حفرا اى فسدت اصول اسنانه وتقشرت بالاوساخ وركبها الوسخ من ظاهرها و باطنها مرة بعد اخرى والمراد بالحفرة على القراءة بها الارض المنتنة المتغيرة بما فيها من الاخباث واجساد الموتى والمعنى أئنا ونحن في الارض المتغيرة بما انضم اليها من القاذورات لمردودون فقوله في الحفرة في موضع الحال من فاعل لمردودون وقيل يجوز ان تكون الحفرة بمعنى الحافرة ومقصورة منها (قوله وقرأ نافع اذا كنا على الخبر) فكلمة اذا حينئذ معمول لقوله لمردودون بخلاف ما اذا قرئ أئذا على الاستفهام فان عاملها حينئذ يكون محذوفا مدلولا عليه بقوله لمردودون والتقدير أنرد اذا كنا عظاما نخرة وفيه زيادة استبعاد للبعث وانما قلنا ان العامل حينئذ يكون محذوفا لان حرف الاستفهام يمنع ان يكون ما بعده معمولا لما قبله والنخرة والناخرة تنبئ كل واحدة منهما عن البلى والفساد الا ان النخرة للدلالة على الثبوت والناخرة على الحدث وقيل النخرة هي التي تنبئ عن البلى والتفتت والناخرة هي العظام الفارغة المجوفة التي يحصل فيها صوت عند هبوب الريح كنخير النائم لامن النخر بمعنى البلى (قوله ذات خسران او خاسرة اصحابها) بمعنى ان اسناد الخسران الى الكرة والحال انهم هم الخاسرون والكرة مخسور فيها اما على ان يكون بناء الفاعل للنسبة كتامر ولابن واما على طريق اسناد الفعل الى ظرفه وقوله تلك مبتدأ اشير بها الى الردة والرجعة في الحافرة وكرة خبرها واذا جواب وجزاء والمعنى ان كان البعث بعد الموت حقا فتلك الرجعة رجعة خاسرة والكر الرجوع يقال كره وكر بنفسه يتعدى ولا يتعدى كما يقال رجعه ورجع بنفسه والكرة المرة من الرجوع وقوله وهو استهزاء منهم اى بأمر الحشر حيث ابرزوا ما قطعوا بانتفائه واستحالته في صورة المشكوك المحتمل

وقرئ في الحفرة بمعنى المحفورة يقال حفرت اسنانه فحفرت حفرا وهي حفرة (أئذا كنا) وقرأ نافع وابن عامر والكسائي اذا كنا على الخبر (عظاما ناخرة) بالية وقرأ الحجازيان وابو عمرو والشامي وحفص وروح نخرة وهي ابلغ (قالوا تلك اذا كرة خاسرة) ذات خسران او خاسرة اصحابها والمعنى انها ان صحت فنحن اذا خاسرون لتكذيبنا بها وهو استهزاء منهم

الوقوع ثم انه تعالى لما حكى عنهم هذه الكلمات اجاب بقوله فانما هي زجرة واحدة (قوله متعلق بمحذوف) يعني ان الفاء تعليلية لجملة محذوفة والتقدير لاتستبعدوا تلك الكرة ولاتستصعبوها فانما هي سهلة هينة في قدرة الله تعالى فما هي الاصيحة واحدة يقال زجر البعير اذا صاح عليه والمراد من هذه الصيحة النفخة الثانية وهي نفخة اسرافيل عليه الصلاة والسلام قال المفسرون يصيبهم الله تعالى في بطون الارض فيسمعونها فيقومون (قوله لان السراب يجري فيها) جعل جريان السراب فيها بمنزلة جريان الماء عليها فقيل لها ساهرة تشبيها بالعين الساهرة اي الجارية الماء واختلفوا في ان الساهرة هل هي ارض الدنيا ام ارض الآخرة فقال بعضهم هي ارض الدنيا وقال اخرون هي ارض الآخرة لانهم عند الزجرة والصيحة ينقلون افواجا الى ارض الآخرة فقال ابو سعيد الساهرة هي صحراء على شفير جهنم ثم انه تعالى لما حكى عن الكفار اصرارهم على انكار البعث حتى انتهوا في ذلك الانكار الى حد الاستهزاء فقالوا تلك اذا كرة خاسرة وكان ذلك يشق على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذكر له قصة موسى عليه الصلاة والسلام وماتحمله من المشاق العظيمة في دعوة فرعون وبين عاقبة من اطاعه ومن عصاه ليكون ذلك تسلية له عليه الصلاة والسلام وتهديدا لمكذبيه كما اشار اليه المصنف بقوله فيسليك على تكذيب قومك ويهددهم عليه انتهى (قوله اليس قد اتاك حديثه) اشارة الى ان هل بمعنى قد وان همزة الاستفهام قبلها محذوفة استغناء عنها بلفظة هل لكثرة وقوعها في الاستفهام بحيث صارت كانها علم استفهام بنفسها فاستغنى بها عن الهمزة واقيمت مقامها فكانت هل متضمنة معنى الاستفهام وتقريب الحكم المستفهم عنه من الحال فلذلك اتى المصنف في تفسير هل اتاك بهمزة الاستفهام وكلمة قد اي اقد اتاك وبلغك حديثه عن قريب ومعنى الاستفهام حمل المخاطب على الاقرار بما يعرفه قبل ذلك كما في الم نشرح لك صدرك والم يجدك يتيما واليس الله بكاف عبده وزاد كلمة ليس في قوله اليس قد اتاك لكونها اظهر في الدلالة على ان الاستفهام للتقرير لان انكار النفي اثبات وهذا المعنى مبني على ان يكون قد اتاه ذلك الحديث قبل هذا الاستفهام واما ان لم يكن اتاه قبل ذلك فحينئذ يكون الاستفهام لحمل المخاطب على طلب الاخبار اذ لاوجه لحمله على الاقرار حينئذ (قوله قدمر بيانه) ذكر فيها ان طوى بالضم اسم للوادي المقدس فيكون عطف بيان له لكون الاسم اوضح وقيل ان طوى بالضم مثل طوى بالكسر في انهما بمعنى ثنى بكسر الثاء مقصورا وهو الشيء المثنى او الامر يعاد مرتين يقال ناديته طوى وثنى اي مرتين وعلى هذا يحتمل ان يتعلق بنودي اي نودي

(فانما هي زجرة واحدة) متعلق بمحذوف اي لاتستصعبوها فما هي الاصيحة واحدة يعني النفخة الثانية (فاذاهم بالساهرة) فاذاهم احياء على وجه الارض بعد ما كانوا امواتا في بطنها والساهرة الارض البيضاء المستوية سميت بذلك لان السراب يجري فيها من قولهم عين ساهرة التي يجري ماؤها وفي ضدها نائمة اولان سالكها يسهر خوفا وقيل اسم جهنم (هل اتاك حديث موسى) اليس قد اتاك حديثه فيسليك على تكذيب قومك ويهددهم عليه بان يصيبهم مثل مااصاب من هو اعظم منهم (اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى) قدمر بيانه في سورة طه (اذهب الى فرعون انه طغى) على ارادة القول وقرئ ان اذهب لما في النداء من معنى القول

(نداءين)

نداءين وان يتعلق بالمقدس اى قدس مرتين وثنيت فيه البركة والتقديس وقال الفراء طوى واديين المدينة ومصر فمن صرفه قال ليس فيه الا العلمية وهو اسم للمكان وهو مذكر ومن لم يصرفه جعله معدولا عن صيغته كعمر وزفر ثم قال والصرف احب الى اذا لم اجد له فى المعدول نظيرا اى لم اجد اسما من الوادى عدل عن فاعل غير طوى وقيل طوى بمعنى يارجل بالعبرانية فكانه قيل يارجل اذهب الى فرعون وهذا قول ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انتهى واذفى قوله اذناداه ظرف منصوب بحديث اى اتاك حديثه الواقع حين ناداه ربه لابقوله اتاك لاختلاف وقتى الاتيان والنداء ضرورة ان الاتيان لم يقع فى وقت النداء وقوله اذهب مقول قول مضمر اى اذناداه ربه فقال اذهب والطغيان مجاوزة الحد ثم انه تعالى لم يبين فى اى شئ تعدى ولهذا قال بعض المفسرين معناه انه تكبر على الله تعالى وكفر به وقال آخرون انه طغى على بنى اسرائيل بان استذلهم غاية الاذلال والتحقير والاولى ان يحمل على الاطلاق والتعميم ويكون المعنى انه طغى على الخلق بان تكبر عليهم واستعبدهم فكما ان كمال العبودية لايكون الا بالصدق مع الحق وحسن الخلق مع الخلق فكذا كمال الطغيان يكون بسوء المعاملة معهما (قوله هل لك ميل) اشارة الى ان لك خبر مبتدأ محذوف وان كلمة الى متعلقة بذلك المحذوف ومثل هذا الحذف شائع فى الكلام يقال هل لك فى الخير والتقدير هل لك رغبة فى الخير ومن قرأ تزكى بتشديد الزاى ادغم احدى التاءين فى الزاى لقرب مخرجهما ومن قرأ بالتخفيف حذف احدى التاءين للتخفيف لان اجتماع المثلين يوجب الثقل والتخفيف كما يحصل بالادغام يحصل بالحذف ايضا والتزكى عن النقائص لما توقف على الهداية والارشاد عطف عليه قوله واهديك الى ربك فتخشى قدم الهداية الى معرفة الله تعالى لكونها اول مايجب على المكلف فى باب الاعتقاد ثم رتب عليها ماهو ملاك الخيرات ومبنى السعادات كلها وهو خشية الله تعالى فان من خشى الله تعالى يسارع الى الخيرات ومن امن تجرأ على المعاصى والمنكرات قال عليه الصلاة والسلام من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل يقال ادلج القوم اذا سار وامن اول الليل وان سار وامن آخر الليل يقال انهم ادلجوا بتشديد الدال (قوله اذ الخشية انما تكون بعد المعرفة) تعليل لكون المضاف المقدر فى قوله الى ربك هو المعرفة حيث قال وارشدك الى معرفته (قوله وهذا كالتفصيل) وذلك لان المأمور به فى قوله تعالى لموسى وهرون اذهبا الى فرعون فقولا له قولا لينا مفهومه مجمل يحتمل صورا شتى والمأمور به فى هذه الآية صورة جزئية من محتملات القول اللين فيكون بمنزلة التفصيل له ووجه كونه لينا انه عليه الصلاة والسلام ابتدأ فى مخاطبة فرعون

(فقل هل لك الى ان تزكى) هل لك ميل الى ان تتطهر من الكفر والطغيان وقرأ الحجازيون ويعقوب تزكى بالتشديد (واهديك الى ربك) وارشدك الى معرفته (فتخشى) بأداء الواجبات وترك المحرمات اذ الخشية انما تكون بعد المعرفة وهذا كالتفصيل لقوله تعالى فقولا له قولا لينا

بالاستفهام عن ميله الى كونه زاكيا عما لايليق به ومتطهرا عنه ولم يخرج كلامه على صورة الامر والالزام ولم يصرح بما هو فيه من الجهل والشرك وكفران نعمة خالقه ورازقه وكونه متوغلا فى الضلالة والطغيان بسبب ذلك ونحو ذلك مما فيه عنف او غلظة ووجه كونه كالتفصيل ظاهر وظهر منه انه لابد فى الدعوة الى معرفة الله تعالى وطاعته من سلوك سبيل الرفق واللين وترك الخشونة والعنف ولذلك قال الله تعالى لسيد المرسلين صلى الله تعالى عليه وسلم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك (قوله فذهب وبلغ فأراه) اشارة الى ان الفاء فى قوله فأراه للعطف على محذوف يدل عليه قوله تعالى اذهب الى فرعون فقل له كذا وكذا ونظيره قوله تعالى ان اضرب بعصاك الحجر فانفجرت اى فضرب فانفجرت وامثال هذا الايجاز كثير فى القرآن (قوله وهى قلب العصا حية) اعلم انهم اختلفوا فى الآية الكبرى على ثلاثة اقوال الاول انها اليد البيضاء لقوله تعالى فى سورة طه وادخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء آية اخرى لنريك من آياتنا الكبرى قاله مقاتل والكلبى وقال عطاء هى قلب العصا حية وقال مجاهد هى مجموع اليد البيضاء والعصا وذلك لان سائر الآيات دلت على ان اول ما اظهره موسى عليه الصلاة والسلام لفرعون هو العصا ثم اتبعه باليد فوجب ان تكون مجموعهما واختار المصنف القول الثانى ثم استدل على ما اختاره بانها كانت مقدمة فى الارادة حيث ابتدأ موسى عليه الصلاة والسلام بها وهذه دعت الى الاخرى فان العصا لما انقلبت حية اضمر موسى عليه الصلاة والسلام فى نفسه خيفة منها وقصد ان يضرب الحية بيده فقيل له حين رفع يده واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء بحيث تبرق كالشمس من غير سوء آية اخرى لنريك من ذلك الصنيع آية اخرى من حيث انه تعالى لم يرض بان يخاف مما اظهر الله تعالى على يده معجزة له فلما كانت الآية الاولى هى الداعية الى الاخرى كانت الاولى اصلا والثانية تابعة لها فسميت الاولى لذلك كبرى وذلك لانه ليس فى اليد الا انقلاب لونها الى لون آخر وهذا المعنى كان حاصلا فى العصا ثم حصل فيها امور اخر ازيد من ذلك منها حصول الحياة فى الجرم الجامد ومنها تزايد كميته وكبر جرمه وبطنه ومنها ابتلاعها اشياء كثيرة بحيث تغيب فيها وغير ذلك وكل واحد من هذه الوجوه كان معجزا مستقلا فى نفسه فعلنا ان الاية الكبرى هى العصا (قوله اومجموع معجزاته) وجعلها آية واحدة نظرا الى وحدتها الاعتبارية وهى كون الجميع معجزة دالة على صدق من ظهر هذا المجموع على يده فصار الجميع باعتبار وحدة القدر المشترك بينها كالآية الواحدة وجعلها كبرى بالاضافة الى سائر الآيات التى اعطيها النبيون قبل موسى عليه الصلاة والسلام (قوله

(فأراه الآية الكبرى) اى فذهب وبلغ فأراه المعجزة الكبرى وهى قلب العصا حية فانه كان المقدم والاصل اومجموع معجزاته فانها باعتبار دلالتها كالآية الواحدة

(وعصى)

(فكذبَ وعصى) فكذب موسى وعصى الله بعد ظهور الآية وتحقق الامر (ثم ادبر) عن عن الطاعة (يسعى) ساعيا فى ابطال امره او ادبر بعد ان رأى الثعبان مرعوبا مسرعا فى مشيه (فحشر) فجمع السحرة او جنوده (فنادى) فى المجمع بنفسه او مناد (فقال انا ربكم الاعلى) اعلى كل من يلى امركم (فاخذه الله نكال الآخرة والاولى) اخذا منكلا لمن رآه او سمعه فى الآخرة بالاحراق و فى الدنيا

وعصى الله بعد ظهور الآية وتحقق الامر) اى امر رسالة موسى عليه الصلاة والسلام من قبله تعالى من حيث انه قد اعتقد بقلبه انما اظهره عليه الصلاة والسلام من المعجزة يمتنع ان يعارضه البشر وانه ليس الا فعل الله تعالى خلقه فى يد موسى تصديقا له فى دعوى الرسالة وما روى من انه جمع السحرة وقال لهم انه ساحر فعارضوه بالسحر ليظهر للناس كونه ساحرا او كاذبا فى دعوى الرسالة انما هو تعلل بالباطل ودفع للمحاسن وتلبيس للامر على الناس لا لاعتقاده بانه يمكن معارضته واشار المصنف بقوله بعد ظهور الآية الى فائدة عطف العصيان على التكذيب وهى ان مطلق التكذيب لا يلزم كونه معصية لاحتمال كونه تكذيب من لم يتحقق صدقه وانما يكون معصية اذا كان ناشئا عن التمرد والعناد لكونه مقرونا باعتقاد كون من كذبه صادقا فى دعواه مصدقا من قبله تعالى فكأنه قيل فكذب على وجه يستلزم معصية الله تعالى وقوله تعالى يسعى حال من فاعل ادبر سوآء كان السعى بمعنى السعى فى ابطال امره عليه الصلاة والسلام او بمعنى الاسراع فى المشى هاربا من الثعبان وسوآء اريد بالادبار الادبار عن الطاعة او الادبار عن الثعبان وكلمة ثم فى قوله تعالى ثم ادبر لاستبعاد الادبار المقيد بحال كونه ساعيا فى ابطال امره بعد ظهور الآية لا لمجرد الادبار عن الطاعة لكونه عبارة عن العصيان فلا وجه لعطفه عليه بكلمة ثم (قوله اعلى كل من يلى امركم) يريد انه لم يرد بقوله انا ربكم انه خالق السموات والارض وما بينهما وما فيهما فان العلم بفساد ذلك ضرورى ومن شك فيه وجوزه كان مجنونا والمجنون لا يبعث اليه رسول يدعوه الى الحق بل الرجل كان دهريا منكرا للصانع والحشر والجزآء وكان يقول ليس للعالم اله حتى يكون له عليكم امر ونهى او يبعث اليكم رسولا ولا يحتاج الخلق الا الى من يلى امرهم ويحكم بينهم على امر ينتظم به معاشهم ومعادهم ولا يجرى بينهم البغى والاعتساف وذلك الذى يلى أمركم انا لا غيرى (قوله اخذا منكلا) يعنى ان نكالا مصدر بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم والكلام بمعنى التكليم وان التنكيل بمعنى المنكل على طريق رجل عدل وانه منصوب على انه صفة مصدر محذوف لاخذه الله وان اضافته الى الاخرة والاولى بمعنى فى كضرب اليوم اى فى اليوم والظرف للاخذ الموصوف لا لنفس التنكيل بمعنى المنكل لان معنى الاخذ المنكل ان يفعل بالمسيئ فعل يمنع غيره عن الاتيان بمثل ذنبه ويمنعه ايضا عن المعاودة الى مثل ذلك الذنب والفعل المذكور لا ينكل فى الدار الاخرة بخلاف ما فعل به من العقوبة فى الدنيا او فى الآخرة فان ما فعل فى الدنيا ينكل من رآه ومن سمعه عن اتيان مثل تلك الاساءة وما فعل فى الآخرة

ينكل من سمعه وصدق به وان لم يكن منكلا لمن يراه فى الآخرة فقوله لمن رآه مخصوص بالذات المنكل الواقع فى الدنيا وقوله اوسمعه يتناول للاخذ الواقع فى الدنيا والواقع فى الآخرة فان من سمع فى الدنيا بما عوقب به المذنب فى الآخرة وصدق بذلك يمتنع بسبب سماعه عن ارتكاب ذلك الذنب ولفظ النكال والتنكيل ينبئ عن الامتناع عن الشئ وعدم الاقدام عليه ومنه نكل عن اليمين اذا امتنع عن ان يحلف ونكل عن العدو ولذا امتنع عن معارضته ومحاربته حسا ومخافة ونكل به على ذنبه تنكيلا اى عاقبه على ذنبه عقابا يحمل المعاقب على الامتناع من المعاودة الى ذلك الذنب ويحمل غيره ايضا على الامتناع عن اتيان مثل ذنبه لان المعاقب لما عوقب على ذلك الذنب كان ذلك عبرة لغيره يعتبر بحاله فيمتنع عن اتيان مثل ماأتى به وقيل نكال الآخرة منصوب على انه مصدر مؤكد للفعل المذكور حملا على المعنى لان الاخذ فى قوله تعالى فاخذه الله نكال الآخرة والاولى عبارة عن العقوبة فكأنه قيل نكل الله به نكالا الآخرة اى تنكيلها (قوله اوعلى كلمة الآخرة وهى هذه) عطف على قوله فى الآخرة بالاحراق وفى دار الدنيا بالاغراق وعلى هذا التفسير هما صفتان لكلمتى فرعون اللتين اولاهما قوله ما علمت لكم من اله غيرى واخراهما قوله انا ربكم الاعلى قالوا وكان بينهما اربعون سنة فلما ذكر الثانية اخذه بهما وهذا ينبئ عن انه تعالى يمهل ولايهمل واضافة النكال على هذا من قبيل اضافة المسبب الى سببه فان كل واحدة من الكلمتين سبب لما اضيف اليه من النكال (قوله اوللتنكيل فيهما اولهما) عطف على قوله اخذا منكلا اى ويجوز ان يكون انتصاب نكال الآخرة على انه مفعول له لقوله فاخذه الله نكال الاخرة سواء كانت الآخرة والاولى صفتين للدار المحذوفة وكانت اضافة النكال اليهما بمعنى فى اوكانتا صفتين للكلمتين وكانت الاضافة من قبيل اضافة المسبب الى سببه (قوله ويجوزان يكون مصدرا مؤكدا مقدرا بفعله) نحو وعدالله وصبغة الله كأنه قيل نكل الله نكال الآخرة والاولى وقد مر انه يجوز ان يكون مصدرا مؤكدا لفعله المذكور ولان معنى اخذه الله نكله الله نكال الآخرة فان اخذه ونكله متقاربان معنى كما يقال دعه تركا شديدا ثم انه تعالى ختم هذه القصة بقوله ان فى ذلك لعبرة اى فيما قصصناه عليك من نصرة موسى عليه الصلاة والسلام وخزى فرعون لعبرة لمن يخشى اى شأنه الخشية فانه يدع التمرد على الله تعالى وتكذيب انبيائه خوفا من ان ينزل به مثل مانزل بمنكرى بعثة موسى عليه الصلاة والسلام وعلما بانه تعالى ينصر رسله واوليائه وانبياءه كما نصر موسى عليه الصلاة والسلام فاعتبروا معاشر مكذبى سيد المرسلين صلى الله

(تعالى)

اوعلى كلمة الآخرة وهى هذه وكلمة الاولى وهى قوله ماعلمت لكم من اله غيرى او للتنكيل فيهما اولهما ويجوزان يكون مصدرا مؤكدا مقدرا بفعله (ان فى ذلك لعبرة لمن يخشى) لمن كان من شأنه الخشية

تعالى عليه وسلم بما ذكرنا لكم واعلموا انكم ان شاركتموهم فيما اوجب عقابهم شاركتموهم ايضا فى حلول العقاب بكم ثم انه تعالى لما ختم هذه القصة رجع الى مخاطبة منكرى البعث فقال ءأنتم اشد خلقا اقسم الله تعالى اولا على قيام الساعة وبين مقدماتها الهائلة وذلة الكفرة فيها ثم التفت عن خطابهم الى ان حكى عنهم بطريق الغيبة مقالاتهم المتعلقة بانكار البعث ثم اجابهم بقوله فانما هى زجرة واحدة اى لاتستصعبوها فانها سهلة هينة فى قدرة الله تعالى والآن شرع فى بيان سهولته فقال ءأنتم اشد خلقا وفسر المصنف الشدة بالصعوبة لا الصلابة لانه لا يلائم المقام اى اخلقكم بعد الموت مع صغر جثتكم وضعف تأليفكم اصعب ام خلق السماء بلامادة مع عظم جرمها وقوة تأليفها وهو استفهام تقرير ليقروا بأن خلق السماء اصعب فيلزمهم بان يقول لهم ايها السفهاء من قدر على الاصعب الاعسر كيف لايقدر على اعادتكم وحشركم وهى ايسر واسهل فاعادتكم اولى بان تكون مقدورة له تعالى فكيف تنكرون ذلك والتفاوت بين الامرين بان يكون احدهما اصعب من الآخر انما هو بالنسبة الى المخاطبين وقدرتهم وتقديرهم فان كلا الامرين بالنسبة الى قدرة الله تعالى واحد لاتفاوت بينهما بالصعوبة والسهولة (قوله تعالى ءأنتم) مبتدأ واشد خبره وخلقا تميز والسماء عطف على انتم وحذف خبره لدلالة خبر انتم عليه اى ام السماء اشد خلقا وبناها مستأنف لبيان كيفية خلقها فيتم الكلام عند قوله ام السماء ويبتدأ من قوله بناها استعمل لفظ البناء فى موضع ذكر السقف فان السماء سقف مرفوع والبناء انما يستعمل فى اسافل البيت لافى الاعالى للاشارة الى انه وان كان سقفا لكنه فى البعد عن الاختلال والانحلال كالبناء وان البناء ابعد عن تطرق الاختلال اليه بالنسبة الى السقف فلهذه الدقيقة اختير لفظ البناء فى هذا الموضع (قوله ثم بين البناء) اى لما بين كيفية خلق السماء بقوله بناها بين كيفية البناء بوجوه اربعة الاول مايتعلق بالارتفاع فقال رفع سمكها واعلم ان امتداد الشئ اذا اخذ من اسفله الى اعلاه سمى سمكا واذا اخذ من جانب اعلاه الى اسفله سمى عمقا والمراد برفع سمكها هو جعل مقدار ارتفاعها من الارض او ذهابها الذاهب فى العلو رفيعا حتى ذكروا ان مابين الارض وبينها مسيرة خمسمائة عام وثخن كل واحدة منها كذلك والثانى من وجوه كيفية البناء مااشار اليه بقوله فسواها وفسره المصنف بوجوه ثلاثة الاول قوله فعدلها اى جعلها متعادلة الاجزاء فى سلامتها من العيوب وفى مشابهة اللون وفى سائر الاوصاف والثانى قوله اوجعلها مستوية اى متساوية غير مختلفة الاجزاء بالارتفاع والانخفاض بان يكون بعض اجزائها اقرب الى المركز بالنسبة الى البعض الآخر بل جعل جميع

(ءأنتم اشد خلقا) اصعب خلقا (ام السماء) ثم بين كيف خلقها فقال (بناها) ثم بين البناء فقال (رفع سمكها) اى جعل مقدار ارتفاعها من الارض او ذهابها الذاهب فى العلو رفيعا (فسواها) فعدلها اوجعلها مستوية او فتممها بما يتم به كمالها من الكواكب والدوائر وغيرهما من قولهم سوى فلان امره اذا اصلحه (واغطش ليلها) اظلمه منقول من غطش الليل اذا اظلم وانما اضافه اليها لانه يحدث بحركتها

اجزآئها متساوية البعد بالنسبة الى المركز فيكون ذلك اشارة الى كونها كرة
قالوا لما ثبت كونها محدثة مفتقرة الى فاعل مختار فأى ضرر فى الدين يتأتى من
كونها كرة ويحتمل ان يكون المراد باستوآئها كونهــا مسطحة ملساء والثالث
قوله اوتتميمها واستعمال التسوية فى معنى الاتمام والاصلاح شائع والثالث من
وجوه كيفية البناء ما اشار اليه بقوله واغطش ليلها وانما اضافه اليها وحق
حق الليل ان يضاف الى الارض لكونه اسما لزمان الظلمة الحاصلة فى الهوآء
بسبب حيلولة الارض بينهــا وبين الشمس فهو فى الحقيقة ظل الارض الا انه
اضيف الى السماء للملابسة بينهما من حيث ان الليل يحدث بسبب غروب الشمس
اى يحصل بسبب حركة الفلك والاضافة يكفى فيها ادنى الملابسة بين المضاف
والمضاف اليه والظلمة الحاصلة فى الليل لما حصلت بتدبير الله تعالى وتقديره لم يرد
ان يقال قوله اغطش ليلها بمنزلة ان يقال جعل المظلم مظلما فاوجهه والرابع من
وجوه كيفية بناء السماء ما اشار اليه بقوله واخرج ضحاها فسر المصنف الاخراج
الابراز وهو ظاهر والضحى بالضوء وحمل الكلام على تقدير المضاف اى واخرج
ضحى شمسها لان الضحى هو ضوء الشمس لقوله تعالى والشمس وضحاها وحذف
لدلالة الضحى عليه (قوله يريد النهار) اى يريد بضحى الشمس وضوئها
النهار وانما عبر عن النهار بضوء الشمس تسمية للمحل باسم شرف ما حل فيه
فان فضل النهار على الليل انما هو لاشتماله على نور الشمس وضوئها فهو اشرف
ما فيه فسمى النهار به لذلك ولما بين الله تعالى كيفية خلق السماء اتبعه بكيفية خلق
الارض فقال والارض بعد ذلك دحاها والجمهور على نصب الارض والجبال
بفعل مضمر مفسر بما بعده اى ودحا الارض رواسى الجبــال وقرئ بالرفع
والنصب هو المختار هنا لكون هذه الجملة معطوفة على الفعلية التى قبلها وبتقدير
النصب يحصل التناسب بينهما وكلمة بعد تقتضى ان يكون دحو الارض بعد
خلق السماء ولا يعارضه قوله تعالى فى سورة حم السجدة ثم استوى الى السماء
بعد قوله خلق الارض فى يومين وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها
وقدر فيها اقواتها فى اربعة ايام لما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال
خلق الله الارض باقواتها من غير ان يدحوها قبل السماء فسواهن سبع سموات
ثم دحا الارض بعد ذلك وقد ذكر اختلاف الناس فى خلق السماء والارض ايهما
كان اولا فى سورة البقرة وسورة فصلت وقيل كلمة بعد ههنا بمعنى مع كأنه تعالى
قال والارض مع ذلك دحاها كقوله تعالى عتل بعد ذلك زنيم اى مع ذلك وقيل
انها ههنا بمعنى قبل كما فى قوله تعالى ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر اى من قبل
الفرقان (قوله ورعيها) اى كلأها فان الرعى بكسر الرآء الكلأ وبالفتح

(واخرج ضحاهــا) وابرز ضوء شمسها كقوله تعالى والشمس وضحاها يريد النهار (والارض بعد ذلك دحاها) بسطها ومهدها للسكنى (اخرج منها ماءها) بتفجير العيون (ومرعاها) ورعيها وهو فى الاصل لموضع الرعى وتجريد الجملة عن العاطف لانها حال باضمار قد او بيــان للدحو (والجبــال ارساها) اثبتها وقرئ والارض والجبال بالرفع على الابتداء وهو مرجوح لان العطف على فعلية

(المصدر)

المصدر والمرعى فى اصل اللغة يطلق على موضع الرعى بفتح الراء وعلى زمانه وعلى نفس المعنى المصدرى الاانه لم يسمع استعماله فى المعنيين الاخيرين و يطلق ايضا على الرعى بكسر الراء وهو الكلأ وهومجاز فى هذا المعنى مبنى على تشبيه الكلأ بموضع الرعى بالمعنى المصدرى فى تعلق الرعى بالفتح بكل واحد منهما و يجوز ان يكون المرعى اذا اريد به الكلأ مصدرا ميميا بمعنى المفعول (قوله تمتيعا لكم) على ان المتاع بمعنى التمتيع كالسلام بمعنى التسليم وانتصابه اما على انه مصدر لفعله المحذوف المدلول عليه بسياق الكلام اى متعناكم بها تمتيعا او على انه مفعول له اى فعلنا ذلك تمتيعا لكم (قوله وتجريد الجملة عن العاطف) جواب عما يقال لم جرد قوله اخرج عن العاطف مع كون الجملة المتقدمة مصدرة به اجاب عنه اولا بان هذه الجملة فى موضع الحال من مفعول دحاها باضمار قد فان الماضى المثبت اذا وقع حالا لابد له من قد ظاهرة او مقدرة لتنا فى الظاهرى بين لفظ الماضى والحالية و باضمار قد يكون الماضى قريبا من الحال فيرتفع التنافى وفى مثله يجوز ترك الواو كما فى قوله تعالى اوجاؤكم حصرت صدورهم فلذلك جرد قوله اخرج منها ماءها ومرعاها عن العاطف وثانيا بانها جردت عن العاطف لكونها جملة مستأنفة لبيان قوله دحاها فان معناه بسطها ومهدها للسكنى ودحو الارض وتمهيدها لسكنى الحيوان لايكون الا باشتمالها على مالابد منه فى تأتى السكنى فيها من تهيئة امر المأكل والمشرب باخراج الماء والمرعى ومن ارساء الجبال عليها اوتادا لها فتستقر فيتأتى السكون والقرار عليها والكلام المستأنف لايعطف على ماقبله فلذلك جردت عن العاطف ثم انه تعالى لما بين ان بعث الاموات هين عليه تعالى حيث قال ءانتم اشد خلقا ام السماء بناها اخبر عن وقوعه و بين مايكون وقت وقوعه من تذكر الانسان ماعمله و براز الجحيم لجميع اهل الساهرة بحيث لاتخفى على احد فقال فاذا جاءت الطامة الكبرى اى بعدما بين لكم امكان البعث وسهولته فاعلموا انه اذا جاءت الطامة اى الحادثة التى تعلو على ماسواها وتقهره يقال جاء السيل فطم الركية اى دفنها وسواها وكل شئ كثر حتى علا وغلب فقد طم (قوله وما موصولة) اى الذى سعاه وعمله فى الدنيا من خير اوشر اومصدرية اى يتذكر سعيه (قوله لكل راء) هذا العموم مستفاد من لفظة من لانها من الفاظ العموم ويرى منزل منزلة اللازم وهذا العموم لاينافيه قوله تعالى فى سورة الشعراء وازلفت الجنة للمتقين و برزت الجحيم للغاوين لان اظهارها انما هو لتهديد الغاوين خاصة ولكن المؤمنون يرونها انها مأوى الكفار ومثواهم والمؤمنون يمرون عليها حال مجاوزة الصراط و يؤيده قوله تعالى وان منكم

(متاعا لكم ولانعامكم) تمتيعا لكم ولمواشيكم (فاذا جاءت الطامة) الداهية التى تطم اى تعلو على سائر الدواهى (الكبرى) التى هى اكبر الطامات وهى القيامة او النفخة الثانية او الساعة التى يساق فيها اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار (يوم يتذكر الانسان ماسعى) بان يراه مدونا فى صحيفته وكان قد نسيها من فرط الغفلة اوطول المدة وهو بدل من اذا جاءت وما موصولة اومصدرية (وبرزت الجحيم) واظهرت (لمن يرى) لكل راء بحيث لاتخفى على احد وقرئ وبرزت ولمن رأى ولمن ترى على ان فيه ضمير الجحيم كقوله تعالى اذا رأتهم من مكان بعيد اوانه خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم اى لمن تراه من الكفار وجواب فاذا جاءت محذوف

الاوا ودها الى قوله ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا و يحتمل ان يكون اظهارها لكل واحد عبارة عن اظهارها اظهارا بينا لانها صور اعمال المبطلين ابرزها تعالى يوم البعث بصور الحقيقة لجازوا بها جزاء وفاقا ولا يلزم منه ان يراها كل واحد بل يجوز ان لا يراها الا اصحاب تلك الاعمال كما لا يرى جنة الاعمال الصالحة الا اهلها (قوله دل عليه يوم يتذكر) اى اذا جاءت يتذكر الانسان سعيه وما عمله و يعرفه كل ما يستحقه وما أواه (قوله او ما بعده) اى يجوز ان يكون جواب اذا محذوفا دل عليه قوله تعالى فاما من طغى الى آخر الآية كأنه قيل فاذا جاءت الطامة فان الامر كذلك اى فان الطاغى الجحيم وهى مأواه وان الخائف الجنة وهى مأواه فان قيل على ما ذكرت يكون الجواب هو الجملة الشرطية المصدرة باما التفصيلية الدالة على تفصيل ما اجمل سابقا ولم يسبق فى الكلام مجمل حتى تكون كلمة اما تفصيلا له فيكون لغوا خاليا عن الفائدة قلنا انها ليست للتفصيل هنا بل هى حرف جئ بها تو كيد ترتب الجزاء على الشرط و بيان ان الحكم ثابت البتة كما فى قولك اما زيد فمنطلق فان معناه مهما يكن من شئ فزيد منطلق اى ان يقع فى الدنيا شئ يقع انطلاق زيد مرتبا عليه والمقصود القطع بوقوع الانطلاق حيث جعل وقوعه لازما لوقوع شئ ما فى الدنيا وفى شرح الرضى جواز السكوت على مثل قولك اما زيد فقائم يرفع دعوى لزوم التفصيل فيها و يحتمل ان يكون قوله او ما بعده معطوفا على قوله يوم يتذكر والمعنى اودل على الجواب المحذوف ما بعد قوله يوم يتذكر الانسان من التفصيل وتقدير الكلام فاذا جاءت الطامة الكبرى يقع ما لا يدخل تحت الوصف والبيان و يكون قوله فاما من طغى تفصيلا لذلك المحذوف (قوله واللام فيه سادة مسد الاضافة) اى الى ما يعود الى المبتدأ يعنى انه لابد فى الخبر من رابط يربطه بالمبتدأ اذا كان جملة وكلمة من فى قوله من طغى موصولة فى موضع الرفع على الابتداء وقوله طغى صلتها وقوله فان الجحيم هى المأوى خبره ولا ضمير فيه يعود الى المبتدأ فذهب البصريون الى ان تقدير الكلام فان الجحيم هى المأوى له وانما حذف لطول الكلام وذهب الكوفيون الى ان تقديره فان الجحيم هى مأواه فسد الالف واللام مسد العائد لعدم الالتباس يعنى ان ترك التعريف بالاضافة لعدم الحاجة الى تعريف المأوى بالاضافة الى صاحبها لان كل احد علم ان صاحب المأوى هنا هو الطاغى فلما لم يحتج الى الرابط لعدم الالتباس ترك العائد ولم يضف الاسم بل عرف تعريف الحقيقة للدلالة على ان حقيقة المأوى فى حقه هو الجحيم ليس الاوليست اللام فى المأوى لتعريف العهد اذا لم يسبق حصة من الحقيقة معهودة بين المتكلم والمخاطب

فدل عليه يوم يتذكر الانسان او ما بعده من التفصيل (فاما من طغى) حتى كفر (وآثر الحياة الدنيا) فانهمك فيها ولم يستعد للآخرة بالعبادة وتهذيب النفس (فان الجحيم هى المأوى) هى مأواه واللام فيه سادة مسد الاضافة للعلم بان صاحب المأوى هو الطاغى وهي فصل او مبتدأ

لاصر محسا ولا كناية فقوله واللام فيه سادة مسد الاضافة ليس معناه انه ترك الاضافة الى الضمير العائد واقيم حرف التعريف مقامها من حيث ان حرف تعريف العهد يغني غناء الاضافة الى الضمير في افادة الربط بل معناه انه ترك الاضافة الى الضمير لعدم الاحتياج الى مايدل على الربط وعرف الاسم تعريف الجنس مع توسيط ضمير الفصل بينه وبين اسم ان لافادة الحصر ومثل هذا الضمير لاموضع له عند الخليل وبعض العرب يجعله مبتدأ ومابعده خبره (قوله مقامه بين يدي ربه) يعني ان المقام انما هو للعبد واضيف اليه تعالى للابتداء تعالى من حيث كونه بين يديه ومقاما لحسابه والعبد انما يخاف من ذلك المقام لعلمه بالمبدأ والمعاد فان الخشية من الله تعالى نتيجة العلم به والخشية من مقام الحساب نتيجة العلم بالمعاد ولما كان الخوف من الله تعالى سببا وعلة لمخالفة الهوى ونهي النفس عن الهوى قدمه عليه ضرورة تقدم العلة على المعلول وكما ان الطغيان وايثار الحياة الدنيا والذهول عن الآخرة اصل لجميع القبائح والسيئات فكذلك الخوف من الله تعالى ومخالفة الهوى اصل لجميع الطاعات والحسنات ولذلك كان الوصفان الاولان سببا لكون صاحبهما من اهل الجحيم وكان الوصفان الاخيران سببا للسعادة الابدية (قوله متى ارساؤها) على ان ايان ظرف زمان بمعنى متى مبني على الفتح لتضمنه معنى حرف الاستفهام وان المرسى مصدر بمعنى الارساء وهو الاثبات فان المصدر الميمي واسمي الزمان والمكان مما زاد على ثلاثي يكون على لفظ اسم المفعول فيه وقوله تعالى مرساها مبتدأ وايان خبره (قوله اومنتهاها ومستقرها) على ان يكون المرسى اسم مكان ينتهي اليه المتحرك ويستقر فيه كمرسي السفينة كان الساعة شيء متحرك يجري الى جانب الوقوف مثل جريان السفينة الى مستقرها وكان المشركون يسمعون اخبار القيامة واوصافها الهائلة مثل انها طامة كبرى وصاخة وقارعة فيسألون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن وقت وقوعها قائلين ايان مرساها استعجالا لها واستهزاء بمن يخبر عنها وايهاما لاتباعهم انه لااصل لها كما قال تعالى يستعجل بها الذين لايؤمنون بها (قوله من ان تذكر وقتها لهم) اشارة الى ان قوله من ذكراها فيه مضاف محذوف وهو الوقت وصلة محذوفة هي لهم والقرينة الدالة عليهما ذكره في مقابلة حكاية سؤال الكفار عن وقت اتيانها فان ايان مرساها سؤال منهم عن وقت اتيانها وفيم انت في مقابلة حكاية سؤالهم وهي قرينة دلت على ذينك المحذوفين والمعنى ما انت في شيء من تبيين وقتها لهم لانك لاتعلم وقتها لان الاستفهام في قوله فيم انت للانكار اي ان تبيين وقتها لهم لايزيدهم الا غيا فعلى هذا انت مبتدأ وفيم خبره قدم عليه

(واما من خاف مقام ربه) مقامه بين يدي ربه لعلمه بالمبدأ والمعاد (ونهى النفس عن الهوى) لعلمه بانه مرد (فان الجنة هي المأوى) ليس له سواها مأوى (يسألونك عن الساعة ايان مرساها) متى ارساؤها اي اقامتها واثباتها اومنتهاها ومستقرها من مرسى السفينة وهو حيث تنتهي اليه وتستقر فيه (فيم انت من ذكراها) في اي شيء انت من ان تذكر وقتها لهم اي ما انت من ذكراها لهم وتبيين وقتها في شيء فان ذكراها لايزيدهم الا غيا ووقتها مما استأثره الله تعالى بعلمه

ومن ذكرها تعلق بما تعلق به الخبر (قوله وقيل فيم) عطف على فحوى كلامه السابق اى وقيل قوله فيم ليس خبرا مقدما لما بعده بل هو خبر مبتدأ محذوف اى فيم هذا السؤال الواقع من الكفرة فتم الكلام عنده ثم استأنف بجملة انت من ذكراها بيانا لسبب الانكار على سؤالهم كانه قيل انها قريبة غير بعيدة لانك علامة من علاماتها فارسالك يكفيهم دليلا على دنوها والاهتمام بتحصيل الاستعداد لها فلا معنى لسؤالهم عنها (قوله وقيل انه متصل بسؤالهم) اى وقيل انه ليس من كلامه تعالى على احد الوجهين بل هو من تتمة قول المشركين ايان مرساها والمعنى يسألونك عن الساعة قائلين متى ارساؤها وفى اى شئ انت مصاحبا من ان تذكر وقتها لنا فقال تعالى فى جوابهم الى ربك منتهى علمها (قوله وهو لا يناسب تعيين الوقت) اى كون حالك مقصورا على الانذار لا يناسب تعيين الوقت اذ لا مدخل لتعيين وقتها فى الانذار وان محض الانذار لا يتوقف على علم المنذر بوقت قيامها بل المناسب لذلك تعيين ما يكون حاملا للمبعوث اليهم على الخشية وتحصيل الاستعداد لها بالايمان والطاعة (قوله على الاصل) فان الاصل فى اسم الفاعل اذا كان بمعنى الحال او الاستقبال الاعمال والاضافة انما هى للتخفيف ثم انه تعالى لما بين كونه عليه الصلاة والسلام مبعوثا لمجرد الانذار من الساعة وشدائدها بين ان شدتها بحيث انهم يوم يعاينونها يستقصرون مدة لبثهم فى الدنيا او فى قبورهم ويزعمون انهم لم يلبثوا فيها الا آخر يوم او اوله ويوم ظرف لما فى كان من معنى التشبيه ولما ورد ان يقال ما وجه اضافة الضحى الى ضمير العشية والعشية لا ضحى لها وانما الضحى لليوم اشار الى جوابه بقوله اى عشية يوم او ضحاه يعنى ان تنوين عشية عوض عن المضاف اليه وهو يوم منكر ومعنى قوله او ضحاها او ضحى ذلك اليوم الذى اضيف اليه العشية الا ان الضحى والعشية لما كانا من يوم واحد تحققت بينهما ملابسة مصححة لاضافة احدهما الى الاخر فلتلك الملابسة اضيف الضحى الى العشية والمراد اضافته الى يوم تلك العشية ومثله شائع فى كلام العرب يقولون آتيك الغداة او عشيتها وآتيك العشية او غداتها يريدون آتيك غداة النهار او عشية النهار الذى تلك الغداة اوله فحذف ما حذف للاختصار (قوله كان ممن حبسه الله فى القيامة حتى يدخل الجنة قدر صلاة مكتوبة) عبارة عن استقصار مدة لبثه فيها بما يلقى من البشرى والكرامة فى البرزخ والموقف تمت سورة والنازعات بفضل الله تعالى وكرمه واحسانه ومنه ولطفه

[الهامش:]
... انكار لسؤالهم ... انت من ذكراها مستأنف ومعناه انت ذكر من ذكراها اى علامة من اشراطها فان ارساله خاتما للانبياء امارة من اماراتها وقيل انه متصل بسؤالهم والجواب (الى ربك منتهاها) اى منتهى علمها (انما انت منذر من يخشاها) انما بعثت لانذار من يخاف هولها وهو لا يناسب تعيين الوقت وتخصيص من يخشى لانه المنتفع به وعن ابى عمرو منذر بالتنوين والاعمال على الاصل لانه بمعنى الحال (كانهم يوم يرونها لم يلبثوا) اى فى الدنيا او فى القبور (الا عشية او ضحاها) اى عشية يوم او ضحاه كقوله تعالى الا ساعة من نهار ولذلك اضاف الضحى الى العشية لانهما من يوم واحد * عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة والنازعات كان ممن حبسه الله فى القيامة حتى يدخل الجنة قدر صلاة مكتوبة

(سورة عبس مكية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(قوله تعالى عبس) يقال عبس اى كلح بوجهه يعنى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عبس وتولى اى اعرض بوجهه والصناديد جمع صنديد وهو السيد الشجاع وكان عليه الصلاة والسلام يدعوهم الى الاسلام تبليغالهم و رجاء ان يسلم باسلامهم غيرهم لان عادة الناس انه اذا مال اكابرهم الى امر مال اليه الاصاغر (قوله على اختلاف المذهبين) اى فى تنازع الفعلين فان الفعلين المذكورين تنازعا واستدعى كل واحد منهما لن ينصب قوله ان جاءه على انه مفعول له فأعمل البصريون الفعل الثانى لقربه منه اى تولى لان جاءه الاعمى والكوفيون اعملوا الفعل الاول اى عبس لان جاءه وام مكتوم كنية ام ابيه وكان ابن ام مكتوم معروفا بجدته لابيه روى انه لما نزلت الآية خرج عليه الصلاة والسلام فى طلبه وهو يقول من رأى الاعمى فلما لقيه ماقعدوقال لن تزال فى عيالى مابقيت عيال محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وروى انه عليه الصلاة والسلام ما عبس فى وجه فقير بعد نزول هذه الآيات (قوله وقرئ أأن بهمزتين وبالف بينهما) اى بهمزتين فقط وبهمزتين بينهما الف للفصل بين همزة الاستفهام وهمزة ان ومعنى الاستفهام الانكار وعلى هاتين القراءتين يوقف على تولى ثم يبتدأ بقوله أان جاءه على معنى ألأن جاءه الاعمى فعل ذلك فقوله أأن على هاتين القراءتين ليس متعلقا بما قبله (قوله وذكر الاعمى للاشعار الخ) جواب عما يقال انه تعالى لما عاتب سيد المرسلين صلى الله تعالى عليه وسلم على مجرد انه عبس فى وجه ابن ام مكتوم كان ذلك تعظيما عظيما منه تعالى لابن ام مكتوم واذا كان كذلك فكيف يليق بمثل هذا التعظيم ان يذكره باسم الاعمى مع ان ذكر الانسان بهذا الوصف يقتضى تحقير شأنه اجاب عنه اولا بان ذكره بلفظ الاعمى ليس لتحقير شأنه بل للاشعار بعذره فى الاقدام على مافعله والدلالة على انه احق بالكرامة وثانيا بانه كان لزيادة الانكار على ما فعله من العبوس والتولى فان اهل الاعذار وسع الله فى حقهم مالم يوسع فى حق غيرهم كأنه يقول انه بسبب عما استحق مزيد الرفق والرأفة فكيف يليق بك ان تخصه بالغلظة والتولى وانما قال لزيادة الانكار لان اصل الانكار مستفاد من قوله عبس وتولى باسناد الفعلين الى ضميره عليه الصلاة والسلام بصيغة الغيبة فان مقتضى الظاهر ان يقال عبست وتوليت عن جاءك بصيغة الخطاب فالسلوك الى طريق الغيبة يشعر ان العابس والمتولى غير المخاطب وانه يشكى الى المخاطب من فعله احق بالرأفة والرفق اولزيادة الانكار كأنه قال تولى لكونه اعمى كالالتفات فى قوله

(سورة عبس مكية وهى احدى واربعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(عبس وتولى ان جاءه الاعمى) روى ان ابن ام مكتوم اتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعنده صناديد قريش يدعوهم الى الاسلام فقال يا رسول الله علمنى مما علمك الله وكرر ذلك ولم يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس واعرض عنه فنزلت فكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يكرمه ويقول اذا رآه مرحبا بمن عاتبنى فيه ربى واستخلفه على المدينة مرتين وقرئ عبس بالتشديد للمبالغة وان جاءه علة لتولى او عبس على اختلاف المذهبين وقرئ أأن بهمزتين وبالف بينهما بمعنى ألأن جاءه الاعمى فعل ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وذكر الاعمى للاشعار بعذره فى الاقدام على قطع كلام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم للقوم او الدلالة على انه

وذلك يدل على ان ذلك الفعل منكر لايتصور وقوعه ممن جبل على خلق عظيم ويعث رحمة للعالمين وانما المتصور ان يقع ذلك من غيره وان يشكو المتكلم الى المخاطب منه وهو انكار عظيم لوقوعه فيكون ذكر ذلك المستهزأبه بوصف الاعمى مفيد الزيادة الانكار عليه كأنه قيل قد استحق ذلك المسكين عندك العبوس والاعراض عنه وكان من حقه ان تزيد لعماه التعطف والاهتمام بامره كما ان وجه الالتفات من الغيبة الى الخطاب فى قوله تعالى وما يدريك هو زيادة الانكار على فعله فانه تعالى صور فعله مع الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فى صورة من يشكو الى احد جانيا جنى عليه ويقبل على الجانى حين التهب غضبه وحمى رأسه مواجها اياه بالتوبيخ والزام الحجة فكان الالتفات الواقع فى الآية لمزيد الانكار فان قيل ان ابن مكتوم كان قد استحق التأديب والزجر لانه وان كان لايرى القوم لعماه لكنه لصحة سمعه كان يسمع مخاطبة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم مع اولئك الكفار ويعرف بذلك شدة اهتمامه صلى الله تعالى عليه وسلم بشأنهم فيكون اقدامه على قطع كلامه عليه الصلاة والسلام ايذاء له ولاشك ان ايذاءه عليه الصلاة والسلام معصية عظيمة وايضا الاهم مقدم على المهم وقد كان ابن ام مكتوم اسلم وتعلم ما يحتاج اليه من امر الدين بخلاف الصناديد المذكورة فانهم لم يسلموا بعد وقد كان اسلامهم سببا لاسلام جمع عظيم فكان الاستمرار على دعوتهم وتقرير الدلائل لهم والزام الحجة عليهم اهم واليق بحاله عليه الصلاة والسلام وكان قطع الكلام معهم والاقبال على ابن ام مكتوم تقديما للنفع القليل على خير العظيم ولاوجه له فثبت بهذين الوجهين ان ابن ام مكتوم كان يستحق التأديب والزجر فكيف عاتب الله تعالى رسوله على ان ادبه بترك الاقبال عليه والتولى عنه والحال انه عليه الصلاة والسلام انما بعث ليؤدب المؤمنين ويعلمهم محاسن الآداب واجيب عنه بوجهين احدهما ان الامر كما ذكر الا انه عليه الصلاة والسلام عوتب بناء على ان ما فعله يوهم ظاهره تقديم الاغنياء على الفقراء وقلة المبالاة بانكسار قلوب الفقراء وهو لايليق بمنصب النبوة وثانيهما ان ابن ام مكتوم وان كان قد استحق التأديب والتولى الا انه تعالى لم يعاتبه عليه الصلاة والسلام على ذلك بل على ما كان فى قلبه من الميل اليهم بسبب قرابتهم وعلو منصبهم وشرفهم وان لم ينفر طبعه عن الاعمى بسبب عماه وعدم قرابته وقلة شرفه فلما كان العبوس والتولى لهذه الداعية لالاجل تأديبه على ما ارتكبه من الذنب عوتب على ذلك (قوله واى شئ يجعلك داريا بحاله) اى بحال هذا الاعمى قدر لفعل الدارية مفعولا تنبيها على ان قوله لعله يزكى ليس مفعوله بل تم

(وما يدريك لعله يزكى) اى واى شئ يجعلك داريا بحاله لعله يتطهر من الآثام بما يتلقف منك وفيه ايماء بان اعراضه كان لتزكية غيره (او يذكر فتنفعه الذكرى) او يتعظ فتنفعه موعظتك

(الكلام)

الكلام عند قوله وما يدريك فيوقف عليه و يبتدأ بما بعده على معنى وما يطلعك على امره وعاقبة حاله على ان الاستفهام بمعنى النفي اى لايدريك شئ ثم ابتدأ فقال لعله يزكى على ان ضمير لعله للاعمى ولعل فى كلامه تعالى مستعمل فى معنى القطع والتحقق مجازا فان لعل ونحوه فى كلام العظماء يراد بهما ذلك وتلقف الشئ تناوله بسرعة والمراد به ههنا الاستفادة والتعليم (قوله وقيل الضمير فى لعله للكافر) فعلى هذا كلمة لعل على اصل معناها الذى هو الترجى الكائن من قبله صلى الله تعالى عليه وسلم ولذلك قال انك طمعت فى اسلامه الخ (قوله وقرأ عاصم) اى قرأ فتنفعه بالنصب والباقون بالرفع فمن رفعه جعله معطوفا على يذكر ومن نصبه نصبه على انه جواب لعل بالفاء فان الفعل المضارع ينتصب بان مقدرة بعد الفاء بشرطين احدهما السببية وثانيهما ان يكون قبلها احد الاشياء الستة الامر والنهى والاستفهام والنفي والتمنى والعرض ولا شبهة فى تحقق الشرط الاول ههنا بخلاف الشرط الثانى فانه غير متحقق بحسب الظاهر الا انه حمل الترجى على التمنى من حيث ان متعلق كل واحد منهما غير موجود بل مطموع الحصول بعد فقدرت ان بعد الترجى كما قدرت بعد التمنى ليكون الفعل معها فى تأويل المصدر فعطف المصدر على المصدر الاول هربا من عطف الاخبار على الانشاء فتقدير الآية فلعله يكون منه تذكر فانتفاع ونظيره قوله تعالى لعلى ابلغ الاسباب ثم قال فأطلع بالنصب على قرآءة حفص والمعنى لعله يكون منى بلوغ الاسباب فالاطلاع الى اله موسى ويحتمل ان تكون كلمة لعل ههنا للتمنى كما يدل عليه عبارة الكواشى حيث قال ونصب على جواب التمنى قال صاحب المفتاح وسبب مجيئ لعل بمعنى التمنى فى قولهم لعلى ساحج فأزورك بالنصب هو بعد المرجو عن الحصول (قوله تعالى اما من استغنى) اى عن الله تعالى وعن الايمان وعن التزكى بما له من المال كذا روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه وقول المصنف فيما بعد يسرع طالبا للخير يدل على ان المعنى هنا من استغنى عن طلب الخير مطلقا و التصدى للشئ عبارة عن التعرض له و التقيد به والاهتمام بشأنه بالقلب والقالب بان تقبل عليه بوجهك وتميل اليه بقلبك و ضده التشاغل عنه بالميل الى غيره و يقال له التلهى والتغافل واصل تصدى تتصدى يقال تصدد للشئ يتصدد اذا كان فى صدده وقربه ومواجهته والصدد ما استقبلك وصار فى قبالتك وفى الصحاح الصدد القرب يقال داره صددداري اى قبالها نصب على الظرف وحذف تاء التفعل من تتصدد للتخفيف وابدلت الدال الاخيرة ياء كما فى تقضى البازى ومن قرأ تصدى بتشديد الصاد ادغم تاء التفعل

وقيل الضمير فى لعله للكافر اى انك طمعت فى تزكيه بالاسلام وتذكره بالموعظة ولذلك اعرضت عن غيره فمايدريك ان ماطمعت فيه كائن وقرأ عاصم بالنصب جوابا للعل (اما من استغنى فانت له تصدى) تتعرض بالاقبال عليه واصله تتصدى وقرأ ابن كثير ونافع تصدى بالادغام وقرئ تصدى اى تعرض وتدعى الى التصدى

(و ما عليك ألايزكى) و ليس عليك بأس فى ان لايتزكى بالاسلام حتى يبعثك الحرص على اسلامه الى الاعراض عمن اسلم ان عليك الا البلاغ (واما من جاءك يسعى) يسرع طالبا للخير (وهو يخشى) الله او اذية الكفار فى اتيانك او كبوة الطريق لانه اعمى لا قائد له (فأنت عنه تلهى) تتشاغل يقال لهى عنه والتهى وتلهى و لعل ذكر التصدى والتلهى للاشعار بان العتاب على اهتمام قلبه بالغنى وتلهيه عن الفقير ومثله لاينبغى له ذلك (كلا) ردع عن المعاتب عليه اوعن معاودة مثله (انها تذكرة فمن شاء ذكره) حفظه او اتعظ به و الضميران للقرءآن او العتاب المذكور وتأنيث الاول لتأنيث خبره

فى الصاد بعد قلبها صادا وقرئ تصدى بضم التاء وتخفيف الصاد اى تحمل وتدعى الى التعرض والتصدى له اى يدعوك داعى الى التعرض والتصدى له من الحرص والتهالك على اسلامه (قوله وليس عليك بأس) اشارة الى ان ما فى وماعليك نافية بمعنى ليس حذف اسمها وعليك خبرها وقوله ألايزكى فى موضع الجر بكلمة فى المقدرة المتعلقة باسم لا وهو بأس المقدر والجملة فى موضع النصب على انها حال من فاعل تصدى مقررة لجهة الانكار ويجوز ان تكون كلمة ما استفهامية على معنى اى شئ عليك ان لايتزكى بالاسلام من تدعوه اى لاشئ عليك فيه فيؤول المعنى الى كونها نافية وقوله يسعى حال من فاعل جاءك وقوله وهو يخشى جملة حالية من فاعل يسعى على التداخل اى يسعى حال كونه خائفا من الله تعالى ان يقصر فى اداء شئ من تكاليفه وما اوجبه عليه (قوله للاشعار بان العتاب على اهتمام قلبه بالغنى وتلهيه عن الفقير) لا عن مجرد تعبيس الوجه والتولى عنه ووجه الاشعار انه تعالى ذكر المتصدى له بوصف الاستغناء فاشعر ذلك ان سبب العتاب على تصديه عليه الصلاة والسلام هو جعل تصديه متعلقا بالمستغنى وكذا وصف المتلهى عنه بالسعى الى الخير والافتقار والخشية يدل على ان سبب العتاب هو التلهى عن من اتصف بالوصف المذكور والظاهر ان المراد بالغنى المستغنى عما دعى اليه من التزكى بالايمان والطاعة و بالفقير الطالب المحتاج الى ذلك فانه عليه الصلاة والسلام حاشاه ان يكون تصديه للصناديد لاجل شدتهم وكثرة اموالهم وتلهيه عن الاعمى لعدمه وفقد ماله (قوله ردع عن المعاتب عليه) وهو تلهيه عليه الصلاة والسلام عمن جاءه يسعى وهو يخشى وتصديه لمن استغنى عن الحسن انه قال لما تلا جبريل عليه الصلاة والسلام على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم هذه الآيات عاد وجهه كانما اسف فيه الرماد ينتظر ماذا يحكم الله تعالى عليه فلما قال كلا سرى وانكشف (قوله والضميران) اى ضمير انها وضمير ذكره فان كانا للقرءآن يكون وجه ارتباط هذه الآية بما قبلها انه تعالى لما ذكر استغناء الصناديد عن قبول ما دعاهم اليه عظم شأن القرءآن ووصفه بانه هدى للناس وتذكرة لهم وليس شرفه وعلو قدره بقبول الصناديد اياه حتى تتهالك على قبولهم اياه بل ان شرف الخلق بقبولهم اياه واتعاظهم به فمن شاء اتعظ به فاقتصر على تبليغه اليهم ودع الحرص على قبولهم وايمانهم واياك ان تعرض عمن آمن به تطييبا لقلوب من استغنى عنه وان كان الضميران للعتاب يكون وجه الارتباط انه تعالى لما عاتب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على ما وقع منه من الاهتمام باسلام

(الصناديد)

الصناديد لتضمنه قلة المبالاة بشأن ضعفاء المسلمين مع جلالة قدره الشريف عنده تعالى عقبه بقوله ان هذه المعاتبة تذكرة اى موعظة للسامعين فما تعظوا بهما يا معاشر من يطلب تحلية النفس بالاخلاق الجيدة والآداب المرضية ولازموا باجلال الفقراء الطائعين تزكية نفوسهم عن المعاصى وتحليتها بالطاعات (قوله صفة لتذكرة) فيكون قوله فمن شاء ذكره جملة معترضة بين الصفة وموصوفها وان كان فى صحف خبرا ثانيا لقوله انها تكون الجملة معترضة بين الخبرين نقل عن صاحب الكشاف انه انكر كونها اعتراضا وقال سرط الاعتراض ان يكون بالواو او مجردا عنها واما الاعتراض بالفاء فغير مفهوم واجيب بان هذا النقل منه ينافى ما صرح به الزمخشرى فى قوله تعالى فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لاتعلمون فى سورة النحل من انه من الاعتراض على بعض الوجوه ويحتمل ان يكون فى صحف حالا من ضمير انها وعلى التقديرين لايوقف على قوله فمن شاء ذكره ويوقف عليه ان جعل فى صحف خبر مبتدأ محذوف اى هى فى صحف وهو جمع صحيفة وهى الصحف التى انتسختها الملائكة من اللوح وهى مكرمة عند الله مرفوعة فى السماء ويحتمل ان يكون المراد بالصحف صحف الانبياء عليهم الصلاة السلام لقوله تعالى ان هذا لفى الصحف الاولى وهى صحف الانبياء المتقدمين اشار المصنف الى الاحتمالين بقوله كتبة من الملائكة او الانبياء ينسخون الكتب من اللوح او الوحى والسفرة كالكتبة لفظا ومعنى جمع سافر وهو الكاتب من سفر اذا كتب والسفر بالكسر الكتاب وبالفتح مصدر بمعنى الكتابة (قوله او سفراء) عطف على قوله كتبة اى ويحتمل ان يكون سفرة جمع سافر بمعنى سفير وهو الرسول الذى شأنه السفارة والتبليغ والى المعنيين اشار المصنف بقوله جمع سافر من السفر او السفارة وهى الرسالة اما من الله تعالى الى الرسل فيكون السفرة الملائكة واما من الله تعالى الى الامة فالسفرة بهذا المعنى هم الرسل من البشر (قوله والتركيب للكشف) اى تركيب حروف السفرة سواء كان من السفر بمعنى الكتابة او من السفارة بمعنى الرسالة والتبليغ ينبئ عن معنى الكشف والتبيين اما على الاول فلأن فى الكتابة معنى الكشف والتوضيح ويقال للكتاب سفر وللكاتب سافر لان كل واحد منهما يبين الشئ ويوضحه واما على الثانى فلأن السفير يعبر عن مرسله ويكشف عنه حكمه ولما ذكر السفرة اثنى عليهم بوصفين الاول انهم كرام اى يكرمون عند الله تعالى والثانى انهم بررة اى اتقياء مطيعون فان كل واحد من الملائكة والانبياء عليهم الصلاة والسلام كذلك قال الامام قوله تعالى مطهرة

(فى صحف) مثبتة فيها صفة لتذكرة او خبر ثان لان او خبر محذوف (مكرمة) عند الله (مرفوعة) مرفوعة القدر (مطهرة) منزهة عن ايدى الشياطين (بايدى سفرة) كتبة من الملائكة او الانبياء ينسخون الكتب من اللوح او الوحى او سفراء يسفرون بالوحى بين الله تعالى ورسله او الامة جمع سافر من السفر او السفارة والتركيب للكشف يقال سفرت المرأة اذا كشفت وجهها (كرام) اعزاء على الله تعالى او متعطفين على المؤمنين يكلمونهم ويستغفرون لهم (بررة) اتقياء

بأيدي سفرة يقتضي ان تكون طهارة تلك الصحف انما حصلت بأيدي هؤلاء السفرة فقال القفال في وجهه انها لما كانت لا يمسها الا الملائكة مطهرون قيل ذلك وهو قصر اضافي والمراد تنزهها عن ايدي الشياطين كما اشار اليه المصنف بقوله منزهة عن أيدي الشياطين وماذكر من قول الامام مبني على ان تكون الباء في قوله تعالى بأيدي سفرة متعلقة بمطهرة وليس بلازم لجواز تعلقها بمحذوف هو صفة لصحف اي صحف كائنة بأيدي سفرة ويجوز ايضا تعلقها بما تعلق به كلمة في في قوله في صحف اي انها مثبتة في صحف كذا بايدي سفرة كذا (قوله دعاء عليه باشنع الدعوات) فان القتل اشد شروأشنعه فان قيل الدعاء على الانسان انما يليق بالعاجز والقادر على كل شئ كيف يليق به ذلك اجيب بان ذلك ورد على اسلوب كلام العرب فانهم اذا انكروا فعل احد يقولون قتله الله والمقصود بيان انهم استحقوا اعظم انواع العقاب حيث اتوا باشنع القبائح فانه تعالى لما وصف الصناديد بالاستغناء عن الهدى والتمادي في الاغترار بما لهم من اسباب الردى وهددهم بقوله فمن شاء ذكره عجب عباده المؤمنين من ترفع الكفار عن التذكر والاتعاظ بهذه التذكرة البليغة والذكر الحكيم كانه قيل اي سبب في هذا الاستغناء والترفع مع ان اوله نطفة قذرة وآخره جيفة مذرة وهو فيما بين الوقتين حامل العذرة فقال قتل الانسان ما اكفره وهو صيغة تعجب والتعجب حالة انفعالية تعرض للنفس عند مشاهدة ما خفي سببه فهو تعالى منزه عن ذلك فذلك تعجيب من الله تعالى لخلقه اي اعجبوا من كفره بالله تعالى مع وضوح دلائل الوهيته ووحدانيته وكمال قدرته ونفاذ مشيئته ومن كفره بجلائل نعمه مع معرفته بكثرة احسانه اليه من بدء خلقه الى ان يتوارى في قبره ويحتمل ان تكون كلمة ما في ما أكفره استفهامية ويكون معنى الاستفهام فيه التقريع والتوبيخ اي اي شئ حمله على الكفر قال المفسرون نزلت الآية في عتبة بن ابي لهب وقيل المراد بالانسان الصناديد الذين اقبل عليه الصلاة والسلام عليهم وترك بن ام مكتوم بسببهم وقيل المراد ذم كل كافر ترفع بسبب غناه على الفقراء لفقرهم لانه تعالى انما ذمهم لتوهم فوجب أن يعم الحكم بسبب عموم العلة (قوله بيان لما انعم عليه) ليتضح كفرانه بنعم الله تعالى وابتدأ باول ما انعم به عليه من مبدأ حدوثه وهو خلق مثل هذه الصورة البهية من مثل تلك المادة الحقيرة لكون هذه النعمة اصلا لجميع النعم المتعلقة به الى آخر عمره والخصوصية وصف للنعمة التي بينها بقوله من مبدأ حدوثه فان حدوث من هو في احسن تقويم من مثل تلك المادة نعمة جليلة ولا وجه لجعلها وصفا للمنعم عليه لان

(قتل الانسان ما اكفره) دعاء عليه باشنع الدعوات وتعجب من افراطه في الكفران وهو مع قصره يدل على سخط عظيم وذم بليغ (من أي شئ خلقه) بيان لما انعم عليه خصوصا من مبدأ حدوثه

(النعمة)

النعمة المذكورة ليست مخصوصة بالانسان الذى دعى عليه بقوله قتل الانسان ضرورة ان ما فيه من التعريف ليس للاستغراق ولا لنفس الحقيقة فلابد ان تكون الاشارة الى حصة معينة تعيينا نوعيا او شخصيا (قوله والاستفهام للتحقير) اى لتحقير اصله للاشعار بان كل من كان اصله مثل هذا الشئ الحقير كيف يليق به التكبر والكفران بحق من انعم عليه بهذه النعمة الجليلة كما قال الحسن كيف يتكبر من خرج من سبيل البول مرتين (قوله فهيأه لما يصلح له من الاعضاء والاشكال) لما كان خلق الشئ عبارة عن احداثه على وفق التقدير كان متفرعا على التقدير وقد جعل التقدير فى الآية متفرعا على الخلق حيث قيل خلقه فقدره فلذلك فسر التقدير المعطوف على الخلق بالتهيئة فان التقدير قد يستعمل بمعنى التهيئة ايضا فيقال قدره فتقدر بمعنى هيأه فتهيأ فالمعنى احدثه احداثا جاريا على ما جرى فيه التقدير الازلى فى حقه مما يتعلق باعضائه واشكاله وكميته وكيفياته فهيأه لما يصلح له من الاحوال العارضة له والمصالح المتعلقة به فى بابى الدين والدنيا (قوله او فقدره اطوارا) اى ويجوز ان تكون الفاء للترتيب فى الذكر بان يكون قوله فقدره تفصيلا لما اجمل بقوله من نطفة خلقه فانه وان وقع جوابا لقوله من اى شئ خلقه الا انه اجمل فيه كيفية خلقه من النطفة ففصل ذلك المجمل بقوله فقدره اى قدر فى حق ذلك المخلوق اطوارا نطفة ثم علقة الى آخر خلقه ذكرا وانثى شقيا او سعيدا وانما عطفه بالفاء لان التفصيل يعقب الاجمال (قوله والهمه ان يتكس) اى ينقلب عن الهيئة التى كان الجنين عليها فى بطن امه فان رأسه وهو فى بطن امه كان الى جانب صدر امه ورجليه الى جانب رجليها وكانت فوهة الرحم غير مفتوحة قبل وقت الولادة فاذا جاء وقت الولادة انفتحت فوهة الرحم وانتكس المولود بان ينقلب وتصير رجلاه الى جانب صدر امه ورأسه الى جانب المخرج فيخرج رأسه اولا ولا يخفى ان ما ذكر تسهيل لسبيل الخروج فانه لولا الانفتاح والانتكاس لما تأتى الخروج (قوله اوذلل له سبيل الخير والشر) اى ويجوز ان يكون المراد تسهيل الذى يختار سلوكه من طريق الخير والشر وتيسيره الاقدار على سلوكه وتمكنه منه والهداية الى عاقبة كل واحد منهما ببعثة الانبياء وانزال الكتب واعطاء العقل المميز والقوى والاعضاء المستوية (قوله وتعريفه باللام) يعنى ان الكلام فى الانسان المدعو عليه وبيان ما انعم عليه فالمناسب للمقام ان يقال ثم يسر سبيله باضافة السبيل اليه الا انه عرف باللام للاشعار بانه غير مختص به بل هو سبيل عام لجميع المكلفين من الانس والجن على المعنى الثانى والحيوانات ايضا على المعنى الاول (قوله وفيه على المعنى الاخير ايماء) وجه الايماء انه لما فسر السبيل بسبيل الخير والشر فهم ان المكلف ما دام فى هذه

والاستفهام للتحقير ولذلك اجاب عنه بقوله (من نطفة خلقه فقدره) فهيأه لما يصلح له من الاعضاء والاشكال او فقدره اطوارا الى ان اتم خلقته (ثم السبيل يسره) ثم سهل مخرجه من بطن امه بان فتح فوهة الرحم والهمه ان يتكس او ذلل له سبيل الخير والشر ونصب السبيل بفعل يفسره الظاهر للمبالغة فى التيسير وتعريفه باللام دون الاضافة للاشعار بانه سبيل عام وفيه على المعنى الاخير ايماء بان الدنيا طريق والمقصد غيرها ولذلك عقبه بقوله

الدار فهو ابن السبيل وانسبيه يؤديه اما الى خير واما الى شر اى الى دار الجزاء بالثواب والعقاب والدار الآخرة هى الدار التى يقربها ويؤيد حمل السبيل على هذا المعنى انه حينئذ يحسن انتظام مابعد هذه الآية بها (قوله وعد الاماتة والاقبار فى النعم) لما جعل قوله تعالى من اى شئ خلقه الى قوله كلا مسوقا لبيان ماانعم الله تعالى به على الانسان وكفرانه به وخفى وجه كون الاماتة والاقبار نعمة بين وجه ذلك بان الاماتة وصلة فى الجملة الى الحياة الابدية وبان الاقبار تكرمة وصيانة للميت عن كونه طعمة للسباع وانما قال وصلة فى الجملة لان كونها وصلة الى ماذكر انما هو بالنسبة الى المؤمن لا الكافر لايقال الكلام ههنا فى الكافر بقرينة قوله قتل الانسان ما اكفره فكيف تعد الاماتة نعمة فى حقه مع ان الموت فى حقه مفتاح لكل بلاء ومحنة لانا نقول الاماتة فى نفسها شأنها ان تكون نعمة للميت يتخلص بها من سجن الدنيا الى سعة عالم الآخرة وكونها نقمة فى حق الكافر انما هو من سوء اعتقاده وسيئات اعماله (قوله والامر بالقبر) منصوب بالعطف على الاماتة فان قيل من اى شئ استفيد الامر بالقبر والحال انه ليس ههنا صيغة الامر قلنا هو مستفاد من قوله تعالى فاقبره فانه يقال قبر الحى الميت يقبره من باب نصر اذا دفنه بيده والقابر هو الدافن بيده ولايقال اقبر الميت الا اذا امر غيره بان يجعله فى القبر فالمقبر هو الله تعالى لانه هو الآمر بأن يدفن اموات بنى آدم فى القبور اكراما لهم وانهم لو القوا على وجه الارض كسائر الحيوانات لصار واجزرا للطير والسباع والمراد بالانشار الاحياء والبعث منقول من نشر الميت ينشر نشورا اذا عاش بعد الموت (قوله غير متعين فى نفسه) اى كما انه غير متعين فى علمنا ولعل الوجه فيه ان تعين لوقت فى نفسه متفرع على بقاء الافلاك وحركاتها وتكور الليل والنهار ونشور الاموات انما يكون بعد خراب العالم فلا سبيل لنا ان نقول ان وقت النشور متعين فى نفسه وان لم نعلمه بخصوصه لان تعين الوقت فى نفسه فرع تحققه ومالم يتحقق فى نفسه كيف يحكم عليه بانه متعين فى نفسه بخلاف الامور الواقعة حال بقاء العالم على حاله فان الموت مثلا وان لم يتعين وقت وقوعه بالنسبة الينا الا انه متعين فى نفسه من حيث انه لايقع الا فى حد معين من حدود الزمان (قوله لم يقض بعد من لدن آدم عليه الصلاة والسلام الى هذه الغاية) اشارة الى ان فى لما توقعا وانتظارا ولذلك قال تعالى لما يقض ولم يقل لم يقض لان قضاء المأمور به كان متوقعا فى زمن كل احد لتعاضد دلائل وجوبه عليه وتحقق ماهو مناط التكليف فيه من العقل والتمييز وسلامة القوى الظاهرة والباطنة ومعنى بعد فى مثل هذا الموضع بالفارسية هنوز وكان اصله بعد مامضى من الزمان الى هذا الوقت

(ثم حذف)

﴿ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره﴾ عد الاماتة والاقبار فى النعم لان الاماتة وصلة فى الجملة الى الحياة الابدية واللذات الخالصة والامر بالقبر تكرمة وصيانة عن السباع وفى اذا شاء اشعار بان وقت النشور غير متعين فى نفسه وانما هو موكول الى مشيئته تعالى ﴿كلا﴾ ردع للانسان عما هو عليه ﴿لما يقض ما امره﴾ لم يقض بعد من لدن آدم الى هذه الغاية ما امره الله بأسره اذ لا يخلو احد من تقصير ما

ثم حذف المضاف اليه فبنى بعد على الضم وقوله من لدن آدم الخ بدل من قوله بعد جيئ به ابراز المعنى التوقع المدلول عليه بلفظ لما * نقل الامام عن مجاهد انه قال في تفسير الآية لايقضى احد جميع ما كان مفروضا عليه ابدا وهو اشارة الى ان الانسان لاينفك عن تقصير البتة ثم قال وهذا التفسير عندى فيه نظر لان قوله لما يقض الضمير فيه عائد الى المذكور السابق وهو الانسان في قوله قتل الانسان ما اكفره وليس المراد من الانسان ههنا جميع الناس بل الانسان الكافر المترفع المتكبر فانه لم يقض ما امره الله تعالى به من ترك الكفر والتكبر بان يتأمل في دلائل الله تعالى و يتدبر في عجائب خلقه و بينات حكمته فكيف يصح ان يقال في تفسير الآية لايقضى احد ما كان مفروضا عليه وكلة ما في قوله ما امره موصولة وعائدها يجوز ان يكون محذوفا والتقدير ما امره به فحذف الجار اولا فبقى ما امره هو ثم حذف العائد ثانيا و يجوز ان يكون باقيا و يكون المحذوف من الهاءين هو العائد الى الانسان والباقى هو العائد الى الموصول فاعرفه وقس عليه امثاله ثم انه تعالى لما ذكر خلق ابن آدم من شئ حقير قليل وهو اول ما انعم به عليه في مبدأ حدوثه ثم ذكر بعض مايترتب عليه من النعم الموجبة للشكر ليتضح ان تكذيبهم وكفرانهم في غاية القباحة و الشناعة ذكر بعده ما انعم به عليه من النعم الخارجية وامره بالنظر اليه والتأمل فيه فقال فلينظر الانسان الى طعامه الذى يعيش به كيف دبرنا امره ولاشك انه موضع للاعتبار (قوله اتباع النعم الذاتية بالنعم الخارجية) فانما ذكر الى ههنا من النعم الموجبة للشكر نعم ذاتية محققة في نفس الانسان وهى خلقه بانزال النطفة من صلب الآباء الى ارحام الامهات وتصويره باحسن الصور والهيئات وما يتعاقب عليه من الاطوار والحالات الى ان ينتهى الى دار الابد وماذكره ههنا نعم خارجة عنه محتاج اليها الانسان في معاشه و بين انه كيف دبر في خلق طعامه الذى هو قوام حياته واقوى اسباب معاشه التى يستعد بها لمواده وذكر ان ذاته كما تكون بنزول ماء الرجل الى رحم المرأة كذلك طعامه انما يحصل بنزول الماء من السماء الى الارض وعا يتبعه من التدبيرات المتعلقة بتولده من الارض و بلوغه الى اقصى كماله * قرأ ماعدا الكوفيين انا صببنا بكسر الهمزة على الاستئناف وقرأ الكوفيون بفتحها على ان الجملة بدل من الطعام كانه قيل فلينظر الانسان الى انا صببنا الماء فان تكون الطعام وحدوثه من الارض بالاسباب المذكورة وكيفية حدوث المطر و بقائه معلقا في جو السماء مع كثرته وغاية ثقله وغير ذلك مما يعجز العقل عن ادراكه والمعنى فلينظر كيف حولنا احوال طعامه كما حولنا احوال نفسه في بدء خلقه وجعله من بدل الاشتمال لان انصباب الماء وانشقاق الارض

(فلينظر الانسان الى طعامه) اتباع للنعم الذاتية بالنعم الخارجية (انا صببنا الماء صبا) استئناف مبين لكيفية احداث الطعام وقرأ الكوفيون بالفتح على البدل منه بدل الاشتمال

ثم شققنا الارض شقا) بالنبات اوبالكرابهو اسناد الشق الى نفسه لسناد الفعل الى السبب (فانبتنا فيهـا حبا) كا لحنطة والشعير (وعنبا وقضبا) يعني الرطبة سمي بمصدر قضبه اذا قطعه لانهـا تقضب مرة بعد اخرى (وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا) عظاما وصف به الحدائق لتكاثفها وكثرة اشجارها اولانها ذات اشجار غلاظ مستعارا من وصف الرقاب (وفاكهة وأبا) ومرعى من أب اذا ام لانه يؤم وينتجع اومن اب لكذا اذا تهيأ له لانه متهيئ للرعي اوفاكهة يابسة تؤب للشتاء (متاعالكم ولانعامكم) فان الانواع المذكورة بعضها طعام و بعضها علف (فاذا جاءت الصاخة) اى النفخة وصفت بها مجازا لان الناس يصخون لها

سبب لحدوث الطعام فيكون بينهما اشتمال السببية فان الواجب في بدل الاشتمال ان يكون بينهما علاقة بغير الكلية والجزئية وقد حصلت ۞ والكراب قلب الارض للحرث (قوله واسند الشق الى نفسه) اى جعل اسناد الشق بمعنى الكراب اليه تعالى مجازا مع انه تعالى هو الموجد لجميع الاشياء من الجواهر والاعراض لكونه اسنادا الى غير ماهو له لان المراد بما هوله مايكون معنى الفعل قائما به وصفاله وحقه ان يسند اليه سواء كان مخلوقا له اولغيره وسواء كان صادرا عنه باختياره كضرب اولا كرض ومات فاسناد نحو الضرب الى من قام به حقيقة والى موجده الذى هوالبارى تعالى مجاز ولاشك ان شق الارض قائم بمن حرثها وقلبها (قوله لانها تقضب مرة بعد اخرى) فصارت لكثرة قضبها كانها عين القضب فسميت قضبا للمبالغة فيه (قوله عظاما) الغلب جمع اغلب اوغلباء كحمر في جمع احمر اوحمراء واصله في وصف الرقاب يقال رجل اغلب واسد اغلب اى غليظ العنق وامرأة غلباء اى غليظة العنق وجماعة غلب اى غلاظ الاعناق ذكر المصنف في وجه توصيف الحدائق بالغلب قولين الاول ان الحديقة الواحدة سميت غلباء توصيفا لها بوصف مجموع اشجارها الملتفة المتكثرة بحيث صارت كانها شئ واحد ضخم عظيم يشبه الرقبة الغلباء فالحديقة الواحدة لما وصفت بالغلباء بهذا الوجه وصفت الحدائق بالغلب والقول الثانى انه وصفت الحدائق بالغلب لكونهـا ذوات الاشجار الغلاظ الرقاب فوصفت بوصف اشجارها (قوله ومرعى) المرعى الذى لم يزرعه النـاس سمي ابا اما لانه يؤب اى يؤم و يقصد جزه لاجل الدواب والاب والام اخوان والنجعة بالضم طلب الكلأ في موضعه واما لانه يؤب و يهيأ للرعي على انه من ابلكذا اذا تهيأله (قوله تعالى متاعا لكم ولانعامكم) اى تمتيعا منصوب على انه مفعول له لقوله فانبتنا اى انبتنا ذلك كله تمتيعا لكم (قوله وصفت بها مجازا) فان الصاخة اسم فاعل من قولهم صخ لحديثه اى اصغى واستمع فهو صاخ اى مصغي ومستمع والنفخة ليس من شانها ان تصغي وتسمع بل الناس هم الذين يصخون لها فاسند الاصغاء والاستماع الى النفخة المسموعة مثل عيشة راضية اى مرضية وقيل سميت صيحة القيامة صاخة لانها تصخ لاذان اى تصمها لشدة صوتها يقال صخ الصوت الاذن يصخها صخا فهو صاخ اذا اصمها فعلى هذا يكون الاسناد حقيقيا ووجه ارتباط الآية بما قبلها انه تعالى لما بين ما انعم به على الانسان من النعم الذاتية والخارجية توبيخا وتقريعا لمن كفر بها وحثا على شكرها بالايمان والطاعة شرح بعده احوال القيامة للمناسبة بين شرحها و بين تعداد النعم المذكورة فى كونها

(يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه) لاشتغاله بشأنه وعلمه بانهم لاينفعونه اوللحذر من مطالبتهم بما قصر فى حقهم وتأخير ﴿ ٢٠١ ﴾ الاحب فالاحب للمبالغة كانه قيل يفر من اخيه بل من ابويه بل من صاحبته وبنيه (لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه) يكفيه فى الاهتمام به وقرئ يعنيه اى يهمه (وجوه يومئذ مسفرة) مضيئة من اسفر الصبح اذا أضاء (ضاحكة مستبشرة) بما ترى من النعيم (ووجوه يومئذ عليها غبرة) غبار وكدورة (ترهقها قترة) يغشاها سواد وظلمة (اولئك هم الكفرة الفجرة) الذين جمعوا الى الكفر الفجور فلذلك يجمع الى سواد وجوههم الغبرة ❊ قال عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة عبس جاء يوم القيامة ووجهه ضاحك مستبشر

(سورة التكوير مكية وآيها تسع وعشرون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اذا الشمس كورت) لفت من كورت العمامة اذا لففتها بمعنى رفعت لان الثوب اذا اريد رفعه لف اولف ضوؤها فذهب انبساطه فى الآفاق وزال اثره أو القيت من فلكها (٢٦) من طعنه فكوره (تاسع) اذا ألقاه مجتمعا والتركيب للادارة والجمع وارتفاع الشمس بفعل يفسره مابعدها اولى لان اذا الشرطية تطلب الفعل

داعية الى الايمان والطاعة فان الانسان اذا سمع احوال القيامة خاف فيدعوه الخوف منها الى التأمل فى دلائل الحق فقال فاذا جاءت الصاخة وجواب اذا محذوف يدل عليه قوله يوم يفر المرء الى قوله لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه والتقدير فاذا جاءت الصاخة اشتغل كل احد بنفسه وقوله يوم يفر المرء بدل من اذا ولايجوز ان يكون يغنيه عاملا فى اذا ولافى يوم لانه صفة لشأن ومعمول الصفة لايتقدم على الموصوف (قوله اوللحذر من مطالبتهم بما قصر فى حقهم) بان يقول الاخ لم تواسنى بمالك ويقول الابوان قصرت فى برنا والصاحبة اطعمتنى الحرام وفعلت وصنعت والبنون لم تؤدبنا ولم تعلمنا وقيل اول من يفر من اخيه هابيل من قابيل لانه العاصى ومن ابويه ابراهيم ومن صاحبته نوح ولوط ومن ابنه نوح عليه الصلاة والسلام (قوله وتأخير الاحب فالاحب للمبالغة) اى فى بيان اشتغال كل احد بنفسه فانه بدأ بالاخ لانه شقيقه ثم بالابوين لانهما اقرب اليه من الاخ ثم بالصاحبة والبنين لانهم الصق بالصلب واعلق بالنفس كانه قيل يفر من اخيه وكيف لايفر منه وهو يفر من ابويه وكيف لايفر منهما وهو يفر ممن هو أحب اليه منهما وهو الصاحبة والبنون (قوله وقرئ يعنيه) بفتح الياء وبالعين المهملة من قولهم عنانى الامر اى اهمنى وقصدنى ثم انه تعالى لما ذكر احوال يوم القيامة واهوالها بين ان المكلفين فيه على قسمين وميز احدهما عن الاخر بما يعرض لوجوههما يومئذ يقال اسفر الصبح اذا اضاء والغبرة الغبار والقترة سواد كالدخان ولا ترى اوحش من اجتماع الغبرة والسواد فى الوجه كما اذا اغبر وجه الزنجى فكأنه تعالى جمع فى وجوههم بين السواد والغبرة كما جمعوا بين الكفر والفجور وفى الحديث ان البهائم اذا صارت ترابا يوم القيامة يذرى ذلك التراب فى وجوه الكفار تمت سورة عبس بحمدالله وعونه

(سورة التكوير مكية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(قوله من كورت العمامة) التكوير التلفيف على وجه الاستدارة كتكوير العمامة تقول كرت العمامة على رأسى اكورها كورا وكورتها تكويرا اذا لففتها فالطى واللف والكور والتكوير واحد وجعل تكويرها بمعنى لفها وطيها عبارة عن رفعها عن مكانها لكون الرفع من توابع التكوير لان الثوب اذا اريد رفعه لف (قوله اولف ضوؤها) عطف على قوله لفت اى

(واذا النجوم انكدرت) انقضت ❊ قال ابصر خربان فضاء فانكدر او اظلمت

و يجوز ان يكون معنى كورت كور ضوؤها بتقدير المضاف او على اسناد فعل الحال الى المحل لان تكوير الضوء وذهاب انبساطه فى الآفاق انما يكون باذهاب نفسها لانها مادامت باقية يكون ضوؤها منبسطا غير ملفوف ثم فسر التكوير بالالقاء والاسقاط و يؤيده ماروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال يكور الله تعالى الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة فى البحر ثم يبعث عليهما ريحا دبورا فتضر بها فتصير نارا وعن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الشمس والقمر نوران مكوران فى النار يوم القيامة ولما ذكر هذا الحديث عند الحسن قال وماذنبهما قال انى احدثك عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فسكت الحسن قال الامام سؤال الحسن ساقط لان الشمس والقمر جمادان والقاؤهما فى النار لايكون سببا لمضرتهما ولعل ذلك يصير سببا لازدياد الحر فى جهنم فلا يكون هذا الحديث على خلاف العقل ذكر الله تعالى ههنا اثنى عشر شيأ و قال اذا وقعت هذه الاشياء فهنالك علمت كل نفس ما احضرت فكلمة اذا فى قوله اذا الشمس كورت وفيما عطف عليه عاملها وناصبها قوله تعالى فى آخر المعطوفات علمت نفس و ارتفاع الاسماء الواقعة بعد اذا على انها مفاعيل مالم يسم فاعله المفسرة بما بعدها عند البصريين فانهم لايجوزون ان يلى اذا غير الفعل وقال الكوفيون انها مرفوعة بالابتداء والافعال التى بعدها اخبارها بناء على ان التقدير خلاف الاصل والجملة على المذهبين فى محل الجر باضافة اذا اليها (قوله انقضت) اى تساقطت وتناثرت الجوهرى انكدر اى اسرع وانقض قال تعالى واذا الكواكب انتثرت فان السماء تمطر يومئذ نجومها فلايبقى فى السماء نجم الاوقع على وجه الارض قال عطاء وذلك انها كانت فى قناديل معلقة بين السماء والارض بسلاسل من نور وتلك السلاسل بايدى ملائكة من نور فاذا مات من فى السموات ومن فى الارض تساقطت تلك الكواكب من ايدى الملائكة لانه قدمات من يمسكها (قوله ابصر خربان فضاء فانكدر) الخربان بكسر الخاء المعجمة جمع خرب بفتحتين و هو ذكر الحبارى والبيت للعجاج عمر بن يعمر التيمى واوله

اذا الكرام ابتدروا الباع بدر ❊ تقضى البازى اذا البازى كسر

دانى جناحيه من الطود فمر ❊ ابصر خربان فضاء فانكدر

الباع قدر مد اليدين يعبر به عن الكرم يقول اذا الكرام ابتدروا او تسارعوا فعل المكارم بدر اى اسرع اليه كانقضاض البازى على الحبارى يقال كسر الطائر جناحيه اذا ضمهما حين ينقض وقوله تقضى البازى مصدر منصوب

(بنزع)

بنزع الخافض اسفه بتضعض لما كثرت الضادات ابدلت الاخيرة ياء (قوله من كدرت الماء فانكدر) الكدر خلاف الصفو يقال كدر الماء يكدر كدرا فهو كدر من باب علم وكدر يكدر كدورة بضم الدين فيهما بمعنى وكدره غيره فانكدر وتكدر النجم عبارة عن زوال نوره وضوئه (قوله سيرت عن وجه الارض) اى قلعت فصارت هباء منبثا اوسيرت فى الجو كالسحاب لقوله تعالى وهى تمر مر السحاب وقيل سيرها تحويلها من صفة الحجرية بجعلها كثيبا مهيلا اى رملا سائلا وكالعهن وهباء منبثا والعشار جمع عشراء كنفاس جمع نفساء وهى الناقة التى اتى على حملها عشرة اشهر من يوم ارسل عليها الفحل ثم هو اسمها الى ان تضع لتمام السنة وقيل هو اسمها بعد ماوضعت ايضا ومن عادة العرب ان يسموا الشئ باسمه المتقدم وان كان قد جاوز حد ان يسمى به وخص العشار بالذكر لانها اعز الاموال عند العرب وانها معظم اسباب معاشهم وتعطيلها تركها واهمالها من غير راع اشتغالا بانفسهم عند مجيئ امارات قيام الساعة (قوله او السحائب) اى ويجوز ان يراد بالعشار السحائب تشبيها لها بها والعشار وان كان مجازا فى هذا المعنى الا ان حمله عليه يوجب كثرة مناسبة هذه القرينة لما قبلها وشاع عند العرب تشبيه السحاب بالحامل لقوله تعالى فالحاملات وقرا كما مر فى سورة والذاريات والتعطيل الاهمال ومنه قيل لمرأة عاطل اذا لم يكن عليها حلى والوحوش جمع وحش وهو اسم لما يستأنس من حيوان البر وفسر حشرها بثلاثة اوجه الاول ان يجمعها هول ذلك اليوم من كل ناحية بحيث يختلط بعضها ببعض وبالناس مع كمال النفرة بينهما وتفرقها فى الصحارى والقفار والثانى ان تجمع احياء بعد الموت ليقتص لبعضها من بعض فانه قد ثبت انه تعالى يحشر الوحوش كلها فيقتص للجماء من القرناء ثم يقال لها موتى فتموت والثالث ماروى عن ابن عباس ان حشر البهائم موتها (قوله اذا اجحفت السنة) يقال اجحف به اى اذهبه واستأصله والسنة القحط وبناء التفعيل هنا يحتمل ان يكون لتكثير الفعل وتكريره والتعرض لحشر الوحوش بالمعنى الاول للدلالة على هول ذلك اليوم فان اجتماع الاضداد مع كمال النفرة بينها انما يكون لهول عظيم وبالمعنى الثانى لتأييد حشر المكلفين فان الحيوانات اذا بعثت للقصاص تحقيقا لمقتضى العدل فحشر المكلفين من الانس والجن يكون اولى (قوله احميت او ملئت) فان السجر فى اللغة يكون بمعنى الملاء وبمعنى الاحماء ايضا يقال سجرت الاناء وسجرت التنور قيل فى احماء البحار انه تعالى يكور الشمس والقمر والنجوم فى البحر يوم القيامة ثم يبعث عليها ريحا دبورا فتنفخه فيصير نارا وهو قوله

من كدرت الماء فانكدر (و اذا الجبال سيرت) عن وجه الارض او فى الجو (واذا العشار) النوق اللاتى اتى على حملهن عشرة اشهر جمع عشراء (عطلت) تركت مهملة او السحائب عطلت عن المطر وقرئ بالتخفيف (واذا الوحوش حشرت) جمعت من كل جانب او بعثت للقصاص ثم ردت ترابا او اميتت من قولهم اذا اجحفت السنة بالناس حشرتهم وقرئ بالتشديد (و اذا البحار سجرت) احميت او ملئت بتفجير بعضها الى بعض حتى تعود بحرا واحدا من سجر التنور اذا ملأه بالحطب ليحميه وقرأ ابن كثير وابو عمرو وروح بالتخفيف (واذا النفوس زوجت) قرنت بالابدان منها بشكلها او بكتابها وعملها او نفوس المؤمنين بالحور ونفوس الكافرين بالشياطين (واذا الموءودة) المدفونة حية وكانت العرب تئد البنات مخافة الاملاق او لحوق العار بهم من اجلهن

(سئلت باى ذنب قتلت) تبكيتا لوائدها كتبكيت النصارى بقوله تعالى لعيسى عليه الصلاة والسلام ءانت قلت للناس اتخذونى وقرئ سألت اى خاصمت عن نفسها وانما قيل قتلت على الاخبار عنها وقرئ قتلت على الحكاية (واذا الصحف نشرت) يعنى صحف الاعمال فانها تطوى عند الموت

تعالى واذا البحار سجرت وفى وجه امتلا ئها انه تعالى خلق الآن بين البحر حاجزا لايصل بعضها الى بعض كما قال تعالى مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لايبغيان اى لا يتجاوز ان حديهما باغراق ما بينهما فاذا رفع الله ذلك الحاجز فاض البعض فى البعض واختلط العذب بالملح وبالعكس فصارت البحور كلها بحرا واحدا فعمت الارض كلها ثم ارتفاع الحاجز الكائن بينهما يحتمل ان يكون بان اندكت الجبال وتفتت اجزاؤها وصارت كالتراب الهائل الغير المتماسك فلا جرم تنصب اجزاؤها الرفيعة فى اسافلها فتميل فى المواضع الغائرة من الارض فيصير وجه الارض مستويا غرقا تحت البحار وتصير الكل بحرا واحدا مستعليا على الارض وهذه الاحوال الست تكون فى مبادى قيام الساعة على ماروى عن ابى بن كعب رضى الله تعالى عنه انه قال ست آيات تكون قبل القيامة بينا الناس فى اسواقهم اذ ذهب ضوء الشمس فبينماهم كذلك اذ تناثرت النجوم فبينماهم كذلك اذ وقعت الجبال على وجه الارض فتحركت واضطربت الجن الى الانس والانس الى الجن واختلطت الدواب والوحوش والطيور وماج بعضهم فى بعض فحينئذ تقول الجن للانس نحن نأتيكم بالخبر فينطلقوا الى البحر فاذا هو نار متأججة قال فبينماهم كذلك اذ تصدعت الارض صدعة واحدة من الارض السابعة السفلى الى السابعة العليا فبينماهم كذلك اذ جاءتهم الريح فأماتتهم والله اعلم كذا فى المعالم ثم اعلم انه تعالى شرع فى ذكر الاحوال التى تكون بعد قيام الساعة فقال واذا النفوس زوجت بالابدان بان ردت اليها اوبان يضم كل احد الى من يشاكله ويماثله فى الخير والشر قيل ذلك حين تكون الناس ازواجا ثلاثة اى اصنافا ثلاثة السابقون زوج واصحاب اليمين زوج واصحاب الشمال زوج والشكل بالفتح المثل (قوله تبكيتا لوائدها اى لمن دفنها فى القبر وهى حية وهو جواب عما يقال ما معنى سؤال الموؤدة عن ذنبها الذى قتلت به مع ان الظاهر ان يسأل الوائد عن قتله اياها وتقرير الجواب ان هذه الطريقة افظع فى ظهور جناية الوائد والزام الحجة عليه فانه اذا قيل للموؤدة ان القتل لايجوز الا بذنب عظيم فما ذنبك وباى ذنب قتلت فلاجرم كان جوابها انى قتلت بغير ذنب فيفتضح الوائد ويصير مبهوتا وهذا كقوله تعالى لعيسى بن مريم ءأنت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله فانه عليه الصلاة والسلام لما اجاب بقوله سبحانك مايكون لى ان اقول ماليس لى بحق ماقلت لهم الاما امرتنى به ان اعبدوا الله ربى وربكم كان ذلك اشد فى تبكيت النصارى وفى توبيخهم (قوله وقرئ سألت) اى بفتح السين والهمزة على لفظ الماضى المبنى للفاعل المسند الى ضمير الواحدة الغائبة على ان الموؤدة هى السائلة

(تسأل الله)

نشرت فرقت بين اصحابها وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي بالتشديد للمبالغة في النشر اولكثرة الصحف اولشدة التطاير (واذا السماء كشطت) قلعت وازيلت كما يكشط الاهاب عن الذبيحة وقرئ قشطت واعتقاب القاف والكاف كثير (واذا الجحيم سعرت) اوقدت ايقادا شديدا وقرأ نافع وابن عامر وحفص ورويس بالتشديد (واذ الجنة ازلفت) قربت من المؤمنين (علمت نفس ما احضرت) جواب اذا وانما صح والمذكور في سياقها ثنتا عشرة خصلة ست منها في مبادى قيام الساعة قبل فناء الدنيا وست بعده لان المراد زمان متسع شامل لها ولمجازاة النفوس على اعمالها ونفس في معنى العموم كقولهم تمرة خير من جرادة (فلا اقسم بالخنس) بالكواكب الرواجع من خنس اذا تأخر وهي ما سوى النيرين من السيارات ولذلك وصفها بقوله (الجوار الكنس) اي السيارات التي تختفي تحت ضوء الشمس من كنس الوحشي اذا دخل كناسه وهو بيته المتخذ من اغصان الشجر

تسأل الله تعالى اوتسأل قاتلها قائلة باى ذنب قتلت بضم تاء المتكلم وحده فانه هو المناسب لكون الموءودة هي السائلة لان الظاهر ان يحكي كلامها بعبارتها وهذه القرآءة ذكرها المصنف بقوله وقرئ قتلت على الحكاية اى على حكاية قول الموءودة كأمر اى بعبارتها حين سألت وقرئ ايضا سألت باى ذنب قتلت على لفظ الاخبار عن الواحدة الغائبة على بناء المفعول كقرآءة الجمهور والظاهر ان يقرأ قتلت على لفظ حكاية قول الموءودة كأمر لانها هي السائلة كما ان الظاهر على قرآءة الجمهور ان يقال قتلت على لفظ خطاب الواحدة لان السائل حينئذ هو الله تعالى فالظاهر حينئذ ان يحكي قوله تعالى بعبارته ولما ذكرت الموءودة بالاسم الظاهر جاز الامران اسناد الفعل الى ضمير الغائب الذى هو عبارة عنها وحكاية قول السائل بعبارته بان يقال في قرآءة سألت قتلت بضم التاء وفي قرآءة سئلت قتلت بكسر التاء (قوله ونشر وقت الحساب) اى تفتح بعد ما كانت مطوية فتعطاها الناس منشورة بأيمانهم وشمائلهم فيقف الانسان على مافيها ويحصى عليه جميع اعماله فيقول مالهذا الكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها (قوله للمبالغة في النشر الخ) يعني ان التشديد لتكثير الفعل وتكريره اولتكثير محله اوللمبالغة في شدة التطاير اى تطاير الصحف وتفرقها بين الاصحاب فالتشديد للمبالغة في النشر بمعنى التفريق بحسب الكيفية انتهى (قوله قلعت وازيلت) بحيث ظهر ماوراءها وهو الجنة والعرش (قوله وانما صح الخ) اى صح ان تكون اذا المضافة الى الخصال الواقعة قبل قيام الساعة معمولة لقوله علمت نفس مع ان كونها معمولة له يستلزم ان تكون النفس عالمة بما احضرته من الاعمال في زمان وقوع الخصال الست المتقدمة وليست كذلك وانما تكون عالمة بها بعد قيام الساعة وتوضيح الجواب ان المراد بما هو المعمول لعلمت هو الزمان المتسع المحيط بتلك الخصال الاثنتى عشرة وابتداء ذلك الزمان المتسع هو زمان النفخة الاولى الذى هو زمان التكوير ومايتبعه الى ان يتم موقف الحساب وتعلم كل نفس جزاء عملها وفي ذلك الزمان المتسع تعلم كل نفس ما احضرت في صحيفة عملها وما احضرته في موقف المحاسبة وعند الميزان من آثار تلك الاعمال لان نفس الاعمال اعراض لايمكن احضارها كأنه قيل الزمان الذى يقع فيه هذه الامور الاثنتا عشرة بأسرها علمت فيه كل نفس ما احضرت (قوله ونفس في معنى العموم) جواب عما يقال من ان النكرة في سياق الاثبات للافراد والنوعية لا للاستغراق والعموم والمقام مقام الاستغراق والعموم لان العلم بما أحضرت حاصل لكل نفس حينئذ لقوله تعالى يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضرا وماعملت من سوء تود لو أن بينها وبينه امدا بعيدا فمعنى قوله علمت نفس بالتنكير

في موضع الاثبات وحصول الجواب ان ما ذكر اكثري لا كلي مطرد وان النكرة في سياق الاثبات قد يقصد بها العموم بمعونة المقام كما في قولهم تمرة خير من جرادة ونفس في الآية من هذا القبيل ثم انه تعالى لما فصل ما يكون في مبادي قيام الساعة قبل فناء الدنيا وبعده اقسم على ان القرآن العظيم قول رسول كريم فقال فلا اقسم بالخنس الآية ترهيبا للمشركين المنكرين للبعث والجزاء اى تأملوا ما ذكر لتعلموا انه كلام الهي منزل من عند الله تعالى على رسوله بواسطة رسول كريم موصوف بما ذكر من الاوصاف وكلمة لا في قوله فلا اقسم يحتمل ان تكون صلة مؤكدة وان تكون ردا للكلام سابق اى ليس الامر كما تزعمون ايها الكفرة ثم ابتدأ جل ذكره فقال اقسم بالخنس وان تكون لنفي القسم بناء على انه لا يحتاج اليه لوضوح الحق وهو ان القرآن كلام الهي منزل به الروح الامين ويبلغه الى سيد المرسلين صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى سائر الانبياء والمرسلين وعلى الملائكة المقربين (قوله والليل) عطف على الخنس وكذا قوله والصبح والعامل في اذا معنى القسم واذا مع ما بعده في موضع الحال اى اقسم بالليل مدبرا ومقبلا وبالصبح مضيئا وجواب القسم قوله انه لقول رسول وضميره للقرآن وان لم يجر له ذكر لحصول العلم به والخنس جمع خانس والخنوس الانقباض والاستخفاء وفي الحديث الشيطان يوسوس الى العبد فاذا ذكر الله تعالى خنس اى انقبض ولذلك سمي بالخناس والكنس جمع كانس وهو الداخل في الكناس الذي هو مقر الوحش والجواري جمع جارية اى الكواكب التي تجري في افلاكها وماسوى الشمس والقمر من الكواكب السبعة السيارة وهي المريخ ويسمى بهرام وزحل وعطارد والزهرة والمشتري خنس وكنس وخنوس هذه النجوم الخمسة رجوعها من اول البرج الى آخره وكنوسها اختفاؤها وغيبتها عن البصر تحت ضوء الشمس والنيران لا يكنسان لان المراد بكنوس الكواكب استتارها واختفاؤها وغيبتها عن البصر تحت ضوء الشمس كالظبي المستتر بالكناس ولا كنوس لهما بهذا المعنى والخمسة الباقية من السيارات جوار وكنس وهو ظاهر وخنس ايضا من حيث انها ترجع وتستقيم فانها تتغاير في آخر البرج اذكرت راجعة الى اوله فرجوعها من آخر البرج الى اوله هو الخنوس كما ان اختفاءها تحت ضوء الشمس كنوسها (قوله وهو من الاضداد) لان العسعسة دقة الظلام وذلك يكون في كل واحد من طرفي الليل فلذلك يقال عسعس الليل اذا اقبل ويقال ايضا عسعس اذا ادبر فمنهم من قال المراد به في الآية اقبل الليل لتناسب قوله تعالى والصبح اذا تنفس لان القسم حينئذ يكون باقبال كل واحد من الليل والنهار وان اريد بعسعسة الليل

(ادباره)

{والليل اذا عسعس} اقبل بظلامه او ادبر وهو من الاضداد يقال عسعس الليل وسعسع اذا ادبر

(والصبح اذا تنفس) اى اذا اضاء غبرته عند اقبال روح ونسيم (انه) ان القرآن (لقول رسول كريم) يعنى جبريل عليه الصلاة والسلام فانه قاله عن الله تعالى (ذى قوة) كقوله تعالى شديد القوى (عند ذى العرش مكين) عند الله ذى مكانة (مطاع) فى ملائكته (ثم امين) على الوحى وثم يحتمل اتصاله بما قبله وبما بعده وقرئ ثم تعظيما للامانة وتفضيلا لها على سائر الصفات

ادباره يكون القسم بادبار الليل واقبال النهار فتفوت المناسبة ويتضمن الكلام تكرار القسم به لان ادبار احدهما يستلزم اقبال الآخر (قوله اى اذا اضاء غبرته عند اقبال روح ونسيم) النسيم الريح الطيبة ويقال لها روح لكونها للاستراحة وتنفس الصبح عبارة عن اقبال النسيم المروح المتحرك عند طلوع الصبح فاذا هب ذلك النسيم عند طلوعه قيل تنفس والنفس المروح للقلب انبساطا وانقباضا جعل ذلك نفسا الصبح على المجاز ثم ذكر المشبه به واريد المشبه ثم اشتق منه تنفس بمعنى اقبل النسيم مع طلوعه ثم لما كان التنفس من لوازم ذهاب ظلمة الليل بطلوع الصبح وزوال غبرته كنى بتنفسه عن طلوعه وانبساط ضوئه بحيث زالت معه عسعسة الليل وهى الغبرة الحاصلة فى آخره وهى كناية متفرعة على الاستعارة والغبرة لون الاغبر وهو الشئ الملون بلون يشبه الغبار واضاء يجيئ لازما ومتعديا وكلاهما يصح ههنا وفى بعض النسخ اذا تنفس اى اذا اضاء غبره عن اقبال روح ونسيم والمعنى واحد اى شبه اقبال النسيم وقت طلوع الصبح بتنفسه فعبر عنه بالتنفس ثم اشتق منه تنفس وجعل تنفسه كناية عن اضاءته كما اشار اليه بقوله اى اذا اضاء (قوله فانه قاله عن الله تعالى) يعنى ان كون القرآن قول جبريل عليه الصلاة والسلام لا ينافى كونه كلام الله تعالى حقيقة لانه عليه الصلاة والسلام قاله وبلغه عن الله تعالى واعلم انه تعالى وصف جبريل عليه الصلاة والسلام ههنا بست صفات اولاها انه رسول فانه لا شك انه رسول منه تعالى الى الانبياء عليهم السلام وثانيتها انه كريم على ربه حيث جعله امين وحيه وواسطة بينه وبين رسله وهذا من اجل المناصب واشرف المراتب ومن كرمه انه وسيلة لنيل افضل العطايا واقصى الكرامات وهو المعرفة والهداية وثالثتها انه ذو قوة اى ذو قدرة على ما يكلف به لا بعجز ولا يضعف عن شئ مما يكلف به روى انه عليه الصلاة والسلام قال لجبريل ذكر الله تعالى قوتك وامانتك واثنى عليك بهما فما كانت قوتك وما كانت امانتك قال اما قوتى فانى بعثت الى مدائن لوط وهى اربع مدائن وفى كل مدينة اربعمائة الف مقاتل سوى الذرارى فحملتهم من الارض السفلى حتى سمع اهل سماء الدنيا اصوات الدجاج ونبيح الكلاب ثم هويت بهن فقلبتهن واما امانتى فانى لم اومر بشئ فعدوته الى غيره وروى ان شيطانا يقال له الابيض صاحب الانبياء قصد ان يتعرض النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فدفعه جبريل دفعة دقيقة رفعه بها من مكة الى اقصى الهند ورابعتها قوله تعالى فى حقه عند ذى العرش مكين اى ذى منزلة ومكانة عند الله ومن مكانته عنده تعالى انه تعالى جعله ثانى نفسه فى قوله فان الله هو مولاه وجبريل وهذه العندية كناية عن كونه ذا منزلة رفيعة وقدر عظيم عنده تعالى

وخامستها انه مطاع في ملائكته تطيعه الملائكة المقربون لعلمهم بمنزلته عندالله وسادستها انه امين على وحي الله تعالى ورسالته قدعصمه الله تعالى من الخيانة والزلل وقوله ثم بفتح التاء اشارة الى الظرف المذكور وهو عند ذي العرش ثم انه ان اتصل بما قبله بان يكون ظرفاله يكون المعنى انه عندالله مطاع في ملائكته المقربين يصدرون عن امره ويرجعون الى رأيه وان اتصل بمابعده يكون المعنى انه مؤتمن عندالله على وحيه ورسالته الى الانبياء وان قرئ ثم بضم الثاء تكون للتراخي الرتبي على طريق الترقي من صفاته الفاضلة الى ماهو افضل واعظم وهو الامانة (قوله تعالى وما صاحبكم بمجنون) عطف على جواب القسم وكذا قوله ولقدرآه بالافق المبين اقسم الله على ان القرآن كلامه نزل به جبريل رسوله الكريم الامين وعلى ان محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم ليس بمجنون وعلى انه قدرآه اي جبريل بالافق المبين (قوله وهو ضعيف) يعني ان ماذكره المستدل انما يدل على مقصوده ان لو كان المقصود من سوق الآية تعداد خصالهما الشريفة وبيان ان من ازدادت خصاله الشريفة فهو افضل وليس كذلك بل المقصود اثبات ان القرآن لاسيما هذه السور المصدرة بما يدل على مقدمات القيامة واهوالها وحي آلهي نزل به الملك المقرب عند ذي العرش نفيا لقول الكفرة انما يعلمه بشر وانه لمجنون وترغيبا للسامعين في استماع القرآن وتصديق جميع ماذكر فيه وهذا المقصود يستدعي ان يوصف الملك المتوسط بين يدي الله تعالى ورسوله بما وصف به من صفات الشرف والقربة وذلك لايستلزم كونه افضل من رسل البشر بل الظاهر ان وصف جبريل عليه السلام بهذه الصفات وبما هو ازيد منها وافضل مما يدل على شرف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالنسبة اليه من حيث ان جبريل مع اتصافه بهذه المناقب والفضائل الشريفة مبلغ الرسالة اليه فاي مرتبة اعلى من مرتبته بعدماثبت ان السفير بينه وبين ذي العرش مثل هذا الملك المقرب (قوله بمطلع الشمس الاعلى) افق السماء ناحيتها والآفاق النواحي الا ان المفسرين اتفقوا على ان المراد بالافق ههنا حيث تطلع الشمس استدلالا بوصفه بالمبين فان نفس الافق لامدخل له في ابانة الاشياء واظهارها وانما يكون له ذلك من حيث كونه مطلعا لكوكب نير يبين الاشياء بضيائه وذلك الكوكب هو الشمس واسند الابانة الى مطلعها مجازا باعتبار تسببه لها في الجملة فان الابانة في الحقيقة لضياء الطالع منه ثم خص من بين المطالع ماهو اعلى المطالع وارفعها وهو المطلع الذي اذا طلعت الشمس منه تكون في غاية الارتفاع ويكون النهار في غاية الطول وانما فعل ذلك حملا للمبين على كمال الابانة فانه كلما كان

(وما صاحبكم بمجنون) كما بهته الكفرة واستدل بذلك على فضل جبريل على محمد عليهما الصلاة والسلام حيث عد فضائل جبريل واقتصر على نفي الجنون عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو ضعيف اذ المقصود منه نفي قولهم انما يعلمه بشر افترى على الله كذبا ام به جنة لا تعداد فضلهما والموازنة بينهما (ولقد رآه) ولقد رأى رسول الله جبريل عليه السلام (بالافق المبين) بمطلع الشمس الاعلى (وماهو) وما محمد (على الغيب) على ما يخبره من الوحي اليه وغيره من الغيوب (بظنين) بمتهم من الظنة وهي التهمة وقرأ نافع وعاصم وحمزة وابن عامر بضنين من الضن وهو البخل اي لايبخل بالتعليم والتبليغ والضاد من اصل

حافة اللسان وما يليها من الاضراس من يمين اللسان او يسارهو الطاء من طرف اللسان واصول الثنايا العليا (وماهو بقول شيطان رجيم) يقول بعض المسترقة للسمع وهو نفي قولهم انه لكهانة وسحر (فاين تذهبون) استضلال لهم فيما يسلكونه في امر الرسول والقرآن كقولك لتارك الجادة اين تذهب (ان هو الا ذكر للعالمين) تذكير لمن يعلم (لمن شاء منكم ان يستقيم) بتحري الحق وملازمة الصواب وابداله من العالمين لانهم المنتفعون بالتذكير (وماتشاؤن) الاستقامة

الكوكب الطالع ارفع واعلى وكان النهار اطول كانت الابانة والاظهار اتم واكمل ✿ روى انه عليه الصلاة والسلام سأل جبريل عليه السلام ان يتراآى له في صورته التي خلقه الله تعالى عليها فقال ما اقدر على ذلك وما ذاك الى فاستأذن له فاتاه عليها فرآه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد ملأ الافق بكلكله اي بصدره ورجلاه في الارض ورأسه في السماء بجناح له بالمشرق وجناح له بالمغرب فغشي عليه فتحول جبريل عليه السلام الى صورة بني آدم الى آخر الكلام فقيل له عليه السلام مارأيناك منذ بعثت احسن منك اليوم فقال عليه الصلاة والسلام جاءني جبريل اليوم في صورته فاعتراني هذا من حسنه (قوله من الطنة وهي التهمة) اي وليس من الظن الذي يتعدى الى مفعولين اي هو ثقة في جميع مايخبر به لايتوهم فيه انه يخبر بشيء من ذلك عن الهوى وهذه القرآءة اعني القرآءة بالظاء هي قرآءة ابن كثير وابي عمرو والكسائي فالظنين الرجل المتهم وقرأ نافع وحمزة وعاصم وابن عامر بضنين بالضاد اي ببخيل يقال ضننت بالشيء بكسر العين اضن به ضنا وضنانة فانا ضنين اي بخيل وهو من باب علم فالمعنى يأتيه علم الغيب فلايبخل به عليكم بل يعلمكم ويخبركم به ولايكتمه كما يكتم الكاهن ماعنده حتى يأخذ عليه حلوانا واختار ابو عبيدة القرآءة الاولى لوجهين احدهما ان الكفار لم يبخلوه وانما اتهموه فنفي التهمة اولى من نفي البخل والآخر قوله الغيب فان البخل ومابمعناه لايتعدى بكلمة على وانما يتعدى بالباء فيقال فلان ضنين بكذا ولايقال ضنين على كذا (قوله حافة اللسان) اي جانبه والثنايا من الاسنان جمع ثنية وهي اربع اسنان في مقدم الفم اثنتان منها عليا واثنتان منها سفلى وورآء الثنايا اسنان اربع يقال لها رباعيات اثنتان منها عليا واثنتان منها سفلى وورآءها الانياب الاربع ثنتان من فوق وثنتان من تحت وورآءها الضواحك وهي اربع كذلك وورآءها الاضراس ثمانية من فوق وثمانية اخرى من تحت (قوله استضلال لهم فيما يسلكونه في امر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والقرآن) فان اين ظرف مكان مبهم منصوب بتذهبون والاستفهام فيه للانكار شبهت حالهم في تركهم ماهو الصواب والحق في باب الاعتقاد والعمل وعدولهم الى ماهو الباطل في ذلك بحال من يترك الجادة وهي معظم الطريق ويتعسف الى ما ليس بسبيل قط فانه يقال له الى اين تذهب استضلالا له وانكارا على تعسفه فقيل ذلك القول لمن ترك الدين الحق وعدل عنه الى الباطل على سبيل الاستعارة والمعنى اي طريق تسلكون ابين من هذا الطريق الذي ظهرت حقيته ووضحت استقامته وان في قوله ان هو نافية بمعنى ماهو والذكير بمعنى التذكر والعظة والعالمين يعم جميع ماسوى الله تعالى ممن يعلم

وبمن لايعلم وخص ههنا بمن يعلم من الانس والجن حيث قيل لمن يعلم والمخصص هو العقل وقوله تعالى لمن شاء بدل من قوله للعالمين باعادة الجار بدل البعض من الكل وان يستقيم مفعول شاء كأنه قيل ماهو الا بيان وهداية للخلق اجمعين ماهو الاهداية لمن شاء الاستقامة منكم بتحرى الحق واتباع البرهان والدليل وابداله من العالمين مع انه ذكر شاملا لجميع المكلفين لانهم هم المنتفعون به دون غيرهم فكان بذلك كأنه مختص بهم ولم يوعظ به غيرهم ثم بين ان مشيئة الاستقامة موقوفة على ان يعطى الله تلك المشيئة لان تلك المشيئة صفة محدثة فلابد في حدوثها من مشيئة اخرى فظهر من مجموع هذه الآيات ان فعل الاستقامة موقوف على ارادة الاستقامة وهذه الارادة موقوفة الحصول على ان يريد الله تعالى اعطاء تلك الارادة والموقوف على الموقوف على الشئ موقوف على ذلك الشئ فافعال العباد ثبوتا وانتفاء موقوفة على مشيئة الله تعالى وهذا قول اصحابنا (قوله يا من يشاء ها) اشارة الى ان الخطاب في قوله وماتشاؤن ليس للمخاطبين بقوله فاين تذهبون بل لبعض منهم وهم الذين عبر عنهم بقوله لمن شاء منكم فان قوله لمن شاء منكم يدل على ان منهم من يشاء الاستقامة ومنهم من لايشاء ها فالخطاب لمن يشاء ها منهم وجعل المصنف قوله تعالى الا ان يشاء الله من اقامة المصدر مقام الزمان كما في نحو آتيك خفوق النجم روى انه لما نزل قوله تعالى لمن شاء منكم ان يستقيم قال ابوجهل وكل الامر الينا ان شئنا استقمنا وان شئنا لم نستقم فانزل الله تعالى وماتشاؤن الا ان يشاء الله رب العالمين * تمت سورة التكوير والله اعلم بالصواب

(سورة الانفطار مكية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

ذكر الله تعالى في اول هذه السورة اربعة اشياء من اشراط الساعة اثنان منها يتعلقان بالعلويات واثنان منها يتعلقان بالسفليات وقال اذا وقعت هذه الاشياء علمت كل نفس ماقدمت من خير وشر ووقوعها عبارة عن خراب العالم وفناء الدنيا والسماء في هذا العالم كالسقف والارض كالبناء ومن اراد تخريب دار فانه اولا يبدأ بتخريب السقف وذلك هو قوله تعالى اذا السماء انفطرت وانتقض تركيبها وذلك يستلزم انتثار مافيها من الكواكب وتساقطها متفرقة ثم بعد تخريب السماء وانتثار كواكبها يخرب كل ماعلى وجه الارض و ينفذ بعض البحار الى بعض بارتفاع الحاجز الذى جعله الله تعالى برزخا بينهما فحينئذ يصير الكل بحرا واحدا وانما يرتفع ذلك الحاجز لتزلزل الارض وتصدعها (قوله قلب ترابها واخرج موتاها) يعنى ان بعثرة الشئ عبارة عن تفريق

يا من يشاء ها (الا ان يشاء الله) الا وقت ان يشاء الله مشيئتكم فله الفضل والحق عليكم باستقامتكم (رب العالمين) مالك الخلق كله * قال عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة التكوير اعاذه الله من ان يفضحه حين تنشر صحيفته

(سورة الانفطار مكية وايها تسع عشرة)

بسم الله الرحمن الرحيم

(اذا السماء انفطرت) انشقت (واذا الكواكب انتثرت) اى تساقطت متفرقة (واذا البحار فجرت) فتح بعضها الى بعض فصار الكل بحرا واحدا (واذا القبور بعثرت) قلب ترابها واخرج موتاها وقيل انه مركب من بعث وراء الاثارة كبسمل ونظيره بحثر لفظا ومعنى

لجزآئه وتقليبها ظهرا لبطن وبطنا لظهر وفى الصحاح بعثر الرجل متاعه وبحثره اذا فرقه و بدده وقلب بعضه على بعض و يقال بعثرت الشيء و بحثرته اذا استخرجته و كشفته وقال عبيدة فى قوله تعالى بعثر ما فى القبور ابرز واخرج ما فيها انتهى وقيل ان بعثر مركب من بعث ورا مأخوذة من الاثارة كبسمل فانه مركب من بسم ولام مأخوذة من لفظة الله وكذا بحثر فانه بمعنى بعثر وهو مركب من البحث والراء المضمومة اليه والمعنى بحث واخرج موتاها ومنه سميت سورة براءة المبعثرة لانها تبحث عن احوال المنافقين (قوله من عمل او صدقة) اى يجوز ان يكون المراد بما قدمته ما عمله بنفسه من الاعمال الصالحة والسيئة مقدما على موته و بما اخرته ما عمله بعد موته بان سنه لمن بعده سنة حسنة كانت او سيئة فان الاعمال الصادرة بمباشرة من بعده يصدق عليها انها اعمال الميت اخرها عن موته اذ كان له مدخل فى مباشرة من بعده بان سنه له واسناد الفعل الى سببه شائع كثير مثل بنى الامير و يجوز ايضا ان يراد بما قدمته الاموال التى تصدق بها قبل موته لتكون ذخيرة له فى النشأة الاخرى و بما اخرته الاموال التى خلفها لمن بعده من ورثته (قوله و يجوز ان يراد بالتأخير التضييع) فيكون المعنى علمت نفس ما عملته من الطاعات وما اضاعت العمل به ولم تعمل وقدمر ان تنكير نفس فى الآيات لا ينافى ارادة العموم والعلم بجميع ذلك كناية عن المجازاة عليه والمقصود من الكلام تقرير امر البعث والجزاء والزجر عن المعصية والترغيب فى الطاعة فان قيل فى اى موقف من مواقف القيامة يحصل له هذا العلم قلنا اما العلم الاجمالى فيحصل له فى اول زمان الحشر لان المطيع يرى آثار السعادة والعاصى يرى آثار الشقاوة فى اول الامر واما العلم التفصيلى فانما يحصل عند قراءة الكتب والمحاسبة (قوله اى شيء خدعك) اشارة الى ان ما فى قوله ما غرك استفهامية مرفوعة المحل على الابتداء وغرك خبره وان غرك بمعنى خدعك وجرأك على عصيانه يقال غره فلان يغره غرورا اذا خدعه وجرأه عليه وآمنه من ان يصل اليه المكروه من قبله مع انه غير مأمون والمعنى ما الذى خدعك وسول لك معصية ربك وآمنك من عقابه والاستفهام فيه بمعنى الاستجهال والتنكيل والتوبيخ (قوله وذكر الكريم للمبالغة فى المنع من الاغترار) جواب عما يقال قد سيقت الآية لاستجهال العصاة وتوبيخهم على اغترارهم بربهم فكيف يلائم لهذا السوق وصفه تعالى بالكرم والحال ان الاغترار بكرمه تعالى وجوده مما يدعو الى الاغترار به لان الكرم والجود عبارة عن قضاء حاجة المحتاج لا للعوض فلما لم يكن الكريم مستعيضا بما عنده استوى عنده طاعة المطيع وعصيان المسيء وهذا يوجب الاغترار به وقد روى ان

(علمت نفس ما قدمت) من عمل او صدقة (واخرت) من سنة او تركة و يجوز ان يراد بالتأخير التضييع وهو جواب اذا (يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم) اى شيء خدعك وجرأك على عصيانه وذكر الكريم للمبالغة فى المنع من الاغترار فان محض الكرم لا يقتضى اهمال الظالم وتسوية الموالى والمعادى والمطيع والعاصى فكيف اذا انضم اليه صفة القهر والانتقام والاشعار بما به يغره الشيطان فانه يقول له افعل ما شئت فربك كريم لا يعذب احدا او لا يعاجل بالعقوبة والدلالة على ان كثرة كرمه تستدعى الجد فى طاعته لا الانهماك فى عصيانه اغترارا بكرمه (الذى خلقك فسواك فعدلك) صفة ثانية مقررة للربوبية مبينة للكرم منبهة على ان من قدر على ذلك اولا قدر عليه ثانيا والتسوية جعل الاعضاء سليمة مسواة معدة لمنافعها

عليا رضي الله عنه دعا غلاما مرات فلم يجبه فنظر فاذا هو بالباب فقال له لم لم تجبني فقال لثقتي بحلمك وامني من عقوبتك فاستحسن جوابه واعتقه ولولا ان كرم الكريم يوجب الاغترار به لما استحسن جواب السلام وتقرير الجواب انا لا نسلم ان كرم الكريم يقتضي الاغترار به بل هو يقتضي الخوف والحذر من مخالفته وعصيانه من حيث ان اهمال الظالم يأبى كونه كريما بالنسبة الى المظلوم وكذا التسوية بين المطيع والعاصي وبين الموالي والمعادي فثبت ان محض الكرم لا يقتضي الاغترار به فكيف اذا انضم اليه وصف كونه قهارا منتقما ذا بطش شديد ثم اشار الى فائدتين اخريين لذكر الكريم فقال والاشعار بما به يغره الشيطان وقال ثانيا والدلالة على ان كثرة كرمه تستدعي الجد في طاعته فان كل واحد منهما معطوف على قوله للمبالغة فكانه قيل ايها العاصي كيف تجرأ على معصيته مع ان كرمه يستدعي ان لا يسوى بين المطيع والعاصي ولم تغتر بما به يغرك الشيطان من كثرة كرمه مع انها تستدعي الجد في الطاعة قضاء لحق شكره على كرمه وفيه اشارة الى ان سبب اغترار بني آدم تسويل الشيطان بقوله افعل ماشئت فان ربك كريم ثم انه تعالى لما وصف نفسه بالربوبية والكرم اتبعه بقوله الذي خلقك فسواك فعدلك ليكون كالدليل على ربوبيته وكرمه ودلالته على الربوبية ظاهرة لان من فعل هذه الامور الثلاثة في المخلوق لاجرم يكون ربا مالكا له وكذا دلالته على الكرم لانه لاشك ان اصل الخلق والايجاد كرم وجود لان الوجود محض كرم وكذا تسوية الاعضاء وتعديل البنية فان سلامة الاعضاء كونها مسواة اي تامة الخلق سالمة عن النقصان في خلقتها بحيث يكون الشخص بها بشرا سويا تام الخلق سليم الاعضاء انتهى (قوله والتعديل جعل البنية معتدلة متناسبة الاعضاء) الظاهر انه اراد باعتدال البنية اعتدال كيفياتها المتضادة ليكون كل واحدة منها منكسرة بحصول الفعل والانفعال بينها وبتناسب الاعضاء كون كل عضو منها معادلا للآخر لئلا يتفاوت بعضها عن بعض مثل ان تكون احدى اليدين اطول من الاخرى وكذا الرجلان والاذنان ومثل ان تكون احدى العينين اوسع من الاخرى قال علماء التشريح انه تعالى ركب جانبي هذه الجثة على التساوي حتى لاتفاوت بين نصفيه لا في العظام ولا في اشكالها ولا في الاوردة والشرايين والاعصاب النافذة فيها والخارجة عنها فكل ما في احد الجانبين مساو لما في الجانب الآخر كانه عدله (قوله اومعدلة بما يستعدها من القوى) عطف على قوله معتدلة والمنوى في يستعدها ضمير البنية بتقدير المضاف وهو الاعضاء اي والتعديل جعل كل

والتعديل جعل البنية معتدلة متناسبة الاعضاء اومعدلة بما يستعدها من القوى وقرأ الكوفيون فعدلك بالتخفيف اي عدل بعض اعضائك ببعض حتى اعتدلت او فصرفك عن خلقة غيرك وميزك بخلقة فارقت خلقة سائر الحيوانات

من اعضاء البيئة معادلا مناسبا لما بين له من القوة كاليد للبطش والرجل للمشي واللسان للتكلم والدين للابصار الى غير ذلك فالتعديل على هذا بين الاعضاء ومنافعها التي هي القوى المودعة فيها والبارز المنصوب في يستعدها راجع الى ما وانث الضمير العائد اليها لكونها عبارة عن القوى وذكر لقراءة عدلك بالتخفيف وجهين الاول انه بمعنى المشدداى عدل بعض اعضائك ببعض حتى اعتدلت والثاني انه من العدول اى فصرفك عن الخلقة المكروهة التي لسائر الحيوانات الى احسن تقويم والفاء في قوله فسواك فعدلك لافادة ان مابعدها كلام مرتب على ما قبلها في الذكر لا نها عاطفة لتفصيل المجمل على المجمل وموضع ذكر التفصيل بعد ذكر المجمل كما في نحو قولك اجبته فقلت لبيك والتسوية في الآية تفصيل الخلق والتعديل تفصيل التسوية (قوله اى ركبك في اى صورة شاءها) اى الله تعالى على ان قوله في اى صورة متعلق بركبك وان شاء في موضع الجر على انه صفة لصورة فلذلك قدر الضمير الراجع اليها بعد شاء ليربط به جملة الصفة بالموصوف ولم تعطف جملة ركبك على ماقبلها لانها بيان لقوله فعدلك اى فعدلك بان ركبك في اى صورة اقتضتها مشيئته وحكمته من الصور المختلفة في الحسن والقبح والطول والقصر والذكورة والانوثة ومن الصور التي تشبه الاب والام اواقارب الاب اواقارب الام او لا تشبه واحدا منهم (قوله وقيل شرطية) اى قيل ما شرطية وشاء فعل الشرط وركبك جزاء الشرط فيكونان في موضع الجزم والمعنى ما شاء من الصور ركبك عليها والجملة الشرطية في موضع الجر على انها صفة لصورة ايضا والعائد محذوف وهو عليها فعلى هذا يكون قوله في اى صورة متعلقا بعدلك ولا يجوز ان يتعلق بركبك لان ماكان في حيز الشرط لا يتقدم عليه فان قيل كيف يجوز ان يكون الظرف في صلة عدلك مع ان اىاسم استفهام فلها صدر الكلام فلا يعمل فيها ما قبلها قلنا من جعله متعلقا بعدلك حمل قوله في اى صورة بمعنى التعجب كما في قولك مررت برجل اى رجل كانه قيل فعدلك في صورة اى صورة اى في صورة عجيبة ثم حذف الموصوف لزيادة التفخيم والتعجب (قوله اضراب) اى اعراض عن ايجاب الارتداع من الاغترار بكرم الله تعالى عليهم بجعله كالمسكوت عنه الى بيان ماهو السبب في اغترارهم بالكرم وهو تكذيبهم بيوم الحساب والجزاء على ان يكون المراد بالدين الجزاء يقال دانه دينا اى جازاه وان اريد بالدين الاسلام كما قال ان الدين عندالله الاسلام يكون المعنى كيف ترتدعون عن الاغترار بالكريم وانتم مصرون على تكذيب الاسلام الذي هو السبب الاصلي

(في اى صورة ما شاء ركبك) اى ركبك في اى صورة شاءها وما مزيدة وقيل شرطية وركبك جوابها والظرف في صلة عدلك وانما لم تعطف الجملة على ماقبلها لانها بيان لعدلك (كلا) ردع عن الاغترار بكرم الله تعالى وقوله (بل تكذبون بالدين اضراب الى بيان ما هو السبب الاصلي في اغترارهم والمراد بالدين الجزاء او الاسلام

للاغترار به تعالى والجرأة على عصيانه فان كل واحد من تكذيب الجزاء ومن تكذيب الاسلام والاصرار عليه سبب اصلى فى الاغترار والجراءة (قوله تعالى وان عليكم لحافظين) يجوز ان يكون حالا من فاعل تكذبون اى تكذبون والحالة هذه ويجوز ان تكون جملة مستأنفة اخبرهم الله تعالى بذلك ليزجروا عما هم عليه من الاصرار على الكفر والتكذيب فان من وكل به ملائكة كرام على الله يكتبون اعماله ليحاسب يوم البعث والجزاء من عظائم الامور عند الله تعالى فانه لولا ذلك لما وكل بضبط الاعمال مثل هذه الملائكة الكرام وصف الملائكة بكونهم حافظين لحفظهم الاعمال وبكونهم كراما لكرامتهم عند الله تعالى بجدهم فى طاعته وبكونهم كاتبين لانهم يكتبون اعمال بنى آدم على علم منهم بجميع اعمالهم فان قيل قوله تعالى ماتفعلون يعم افعال القلوب وهو من المغيبات التى لايعلمها الا الله تعالى فكيف يكتبها الملائكة وقد دلت الآية على انهم يكتبون جميع افعال المكلفين من افعال القلوب ومن افعال الجوارح اجيب بان ماتفعلون عام مخصوص بافعال الجوارح وتخصيص العام كثير شائع وسئل سفيان الثورى كيف تعلم الملائكة ان العبد هم بمعصية او بحسنة قال اذا هم العبد بحسنة وجدوا منه ريح المسك واذاهم بسيئة وجدوا منه ريح النتن ومحصول كلامه انالانسلم ان افعال القلوب بالنسبة الى الملائكة من قبيل المغيبات التى لايعلمها الا الله بل هى بالنسبة اليهم مما نصب عليه دليل ثم انه تعالى بعد ان وصف الكرام الكاتبين لاحوال العباد ذكر العاملين فقال ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم والمراد نعيم الجنة وجحيم النار الموقدة و يصلونها اى يدخلونها صفة لجحيم اوحال من المنوى فى الخبر ويوم الدين طرف ليصلونها ولما بين انهم يقاسون حرها يوم القيامة بين انهم مخلدون فيها ولايخرجون منها فقال وماهم عنها بغائبين ويجوز ان يكون معناه يصلونها يوم الدين وما يغيبون عنها قبل ذلك فى قبورهم (قوله تعجيب وتفخيم) يعنى ان قوله تعالى ومأادراك مايوم الدين تعظيم لذلك اليوم ثم كرر تعجيبا للمخاطب وتفخيما لشأن اليوم وقوله لاتدركه دراية دار اشارة الى انما ادراك خطاب عام وقيل انه خطاب له عليه الصلاة والسلام خاطبه بذلك لانه ماكان عالما بذلك قبل الوحى وقيل الخطاب للكافرين زجرا لهم وتهديدا (قوله تقرير لشدة هوله وفخامة امره اجمالا) فان اليوم الذى لاينفع المرء فيه الا الايمان والطاعة ولا تستطيع نفس ان تنفع نفسا ولا ان تدفع عنها ضررا كيف يكون فيه حال من خالف الملك الجبار وعصاه قرأ الجمهور يوم لاتملك بفتح الميم واختلفوا فى انها فتحة اعراب اوفتحة بناء فمن قال

تكذبون بالجزاء (وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ماتفعلون) تحقيق لما يكذبون به ورد لما يتوقعون من التسامح والاهمال وتعظيم الكتبة بكونهم كراما عندالله لتعظيم الجزاء (ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم) بيان لما يكتبون لاجله (يصلونها) يقاسون حرها (يوم الدين وماهم عنها بغائبين) لخلودهم فيها وقيل معناه وما يغيبون عنها قبل ذلك اذ كانوا يجدون سمومها فى القبور (وما ادراك مايوم الدين ثم ماادراك مايوم الدين) تعجيب وتفخيم لشأن اليوم اى كنه امره بحيث لايدركه دراية دار (يوم لاتملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله) تقرير لشدة هوله وفخامة امره اجمالا ورفع ابن كثير والبصريان يوم على البدل من يوم الدين اوالخبر لمحذوف قال صلى الله تعالى عليه وسلم * من قرأ سورة انفطرت كتب الله له بعدد كل قطرة من السماء حسنة وبعدد كل قبر حسنة

انها حركة اعراب ذكر لنصبه وجوها احدها ان تكون بدلا من يوم الدين في قوله يصلونها يوم الدين وثانيها ان تكون ظرفا لفعل محذوف يدل عليه الدين اى يدانون ويجازون في ذلك اليوم وثالثها ان يكون منصوبا باذكر او اعني فيكون مفعولا به ومن قال انها فتحة بناء قال انما بني لاضافته الى الجملة وما اضيف الى غير المتمكن يبنى على الفتح وقوله او اخبر اى انه في موضع الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اى هو يوم لاتملك فانه لما قيل وماادراك مايوم الدين اخبر عنه بانه يوم لاتملك * تمت سورة الانفطار بحمدالله وعونه وحسن توفيقه

(سورة المطففين)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

قال مقاتل هي اول سورة نزلت بالمدينة وقيل هي مدنية الاثمان آيات وهي من قوله تعالى ان الذين اجرموا الى آخر السورة وقيل مكية وقال الكلبي قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة وهم يسيئون كيلهم ووزنهم لغيرهم ويستوفون لانفسهم فنزلت الآيات فخرج عليه الصلاة والسلام فقرأها عليهم وقال خمس بخمس الى آخر الحديث فاحسنوا الكيل بعد ذلك وقال السدى قدمها وبها رجل يسمى ابا جهينة ومعه صاعان يكيل باحدهما الغير ويكتال بالآخر لنفسه فنزلت فاحسنوا الكيل انتهى (قوله تعالى ويل) مبتدأ وللمطففين خبره وجاز الابتداء به اما لانه اسم لوادى مخصوص في جهنم لو ارسلت فيه الجبال لماعت من حره اى لذابت واما لكونه دعاء فانه في الاصل مصدر منصوب باضمار فعل لامن لفظه فان اصله اهلكهم الله تعالى ويلا او هلكوا ويلا فلما حذف الفعل وسد الويل مسده عدل الى الرفع للدلالة على الثبات والدوام كما في سلام عليك فلما كان الويل في الاصل مصدرا سادا مسد الفعل المخصص بصدوره عن فاعل معين كانت النكرة المذكورة مخصصة بذلك الفاعل فساغ الابتداء بها لذلك وفي الصحاح الطفيف القليل والتطفيف نقص المكيال وهو ان لايملأ الى اصباره اى رأسه وفيه ايضا البخس الناقص قال تعالى وشروه بثمن بخس وقد بخسه حقه يبخسه بخسا اذا انقصه وسمى البخس في الكيل والوزن تطفيفا اى تقليلا لكون مايبخس شيئا طفيفا اى قليلا حقيرا فان من لايملأ المكيال الى جوانبه وكذا من لا يسوى عود الميزان لاينقص الا شيأ قليلا من حق المشترى لان نقص الكثير يظهر فيمنع منه (قوله اى اذا اكالوا من الناس) يعني ان الاكتيال اخذ الحق من الغير بالكيل كما ان الاتزان اخذه منه بالوزن فهما اخذ الحق لنفسه والكيل والوزن اعطاؤه

(سورة التطفيف مختلف فيها وآيها ست وثلاثون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ويل للمطففين) التطفيف البخس في الكيل والوزن لان ما يبخس طفيف اى حقير روى ان اهل المدينة كانوا ابخس الناس كيلا فنزلت فاحسنوه وفي الحديث خمس بخمس ما نقض العهد قوم الاسلط الله عليهم عدوهم وماحكموا بغير ما انزل الله الا فشا فيهم الفقر وماظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل الامنعوا النبات واخذوا بالسنين ولامنعوا الزكاة الاحبس عنهم القطر (الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون) اى اذا اكتالوا من الناس حقوقهم يأخذونها وافية وانما ابدل على بمن للدلالة على ان اكتيالهم لما لهم على الناس او اكتيال يتحامل فيه عليهم

(واذا كالوهم اووزنوهم) اى اذا كالوا الناس اووزنوا لهم (يخسرون) فحذف الجار واوصل الفعل كقوله ولقد جنيتك اكمؤا وعساقلا بمعنى جنيت لك او كالوا مكيلهم فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ولا يحسن جعل المنفصل تأكيد المتصل فانه يخرج الكلام عن مقابلة ماقبله اذ المقصود بيان اختلاف حالهم فى الاخذ والدفع لافى المباشرة وعدمها ويستدعى ثبات الالف بعد الواو كما هو خط المصحف فى نظائره (الا يظن اولئك انهم مبعوثون) فان من ظن ذلك لم تجاسر على امثال هذه القبائح فكيف عن تيقنه وفيه انكار وتعجب من حالهم (ليوم عظيم) عظمه لعظم مايكون فيه

لغيره بالمكيال والميزان فحق الاكتيال ان يتعدى بكلمة من حيث يقال كلت من فلان ولا يقال كلت على فلان الا ان كلمة على اقيمت فى الآية مقام من لوجهين الاول الدلالة على ان المأخوذ الحق الثابت له على الناس فانه اذا قيل اكتلت منه لايفهم منه الا انه اخذه بالكيل مع قطع النظر عن كون المأخوذ هل هو حق له عليه اولا والثانى الدلالة على ان اكتيالهم من الناس اكتيال فيه اضرار لهم وتحامل عليهم فان كلمة على تدل على الاضرار والظلم يقال تحامل عليه اى ظلمه فقولهم اكتال عليه يفهم منه انه اخذ منه اخذ امتضمنا لتحامل عليه والوجه الاول اظهر (قوله اى اذا كالوا الناس اووزنوا لهم) يعنى ان الكيل والوزن عبارتان عن الاعطاء للغير بالمكيال والميزان فاللغة الشائعة فيهما ان يقال كالوا لهم اووزنوا لهم ولا يقال كاله اووزنه ونظم الآية اما من قبيل حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه والاصل كالوا مكيلهم اووزنوا موزونهم واما من قبيل الحذف والايصال كما فى قوله

ولقد جنيتك اكمؤا وعساقلا * ولقد نهيتك عن بنات الاوبر

والاصل جنيت لك اى لاجلك نوعين من الكمأة من اجودها فان اكمؤا جمع قلة واحدها كم‌ء والكمأة جمع كثرة لكم‌ء ايضا على غير القياس والتنوين فى اكمؤا للتعظيم والعساقل ضرب من الكمأة الواحدة عسقول وهى الكمأة الكبار البيض التى يقال لها شحمة الارض وبنات الاوبر كمأة صغار مزغبة على لون التراب وهى اردأ انواع الكمأة وازغب النمرات الصغار من ريش الفرخ (قوله ولايحسن جعل المنفصل تأكيدا لمتصل) اى لايحسن ان يكون كلمة هم فى الموضعين ضميرا مرفوعا منفصلا مؤكدا للضمير المتصل فى كالوا اووزنوا العائدين الى المطففين لوجهين الاول ان المقصود من الآية بيان اختلاف حالهم فى الاخذ والدفع وانهم حال الاخذ يستوفون وحال الدفع يخسرون وينقصون وعلى تقدير ان يحمل المنفصل تأكيدا للمرفوع المتصل يفوت هذا المقصود ويكون اول الكلام دالا على انهم يستوفون حال الاخذ ويكون ما بعده دالا على انهم اذا تولوا الكيل والوزن هم بأنفسهم على الخصوص اخسروا وهو كلام متنافر لان الحديث واقع فى الفعل وهو الاكتيال والكيل لافى المباشر والوجه الثانى ان الضمير لو كان مرفوعا مؤكدا للمنفصل لوجب ان يكتب الالف بعد واو الجمع فى امام المصاحف كما هو الاصل فى امثاله مثل قعدوا هم وقاموا هم وهذا الوجه ضعيف لان رسم المصحف كثيرا ما يخالف القياس المقرر فى علم الخط (قوله وفيه انكار وتعجب من حالهم) فى الاجتراء على التطفيف والانكار مستفاد من

صورة الاستفهام فان ألا هنا ليست للتنبيه بل هي همزة الاستفهام دخلت على لا النافية فأفادت الانكار على انتفاء ظنهم والتعجب مستفاد من ذكر الظن في موضع ذكر اليقين والانكار على انتفائه فان الواجب على العاقل ان يتيقن البعث والجزاء لتعاضد الدلائل العقلية والنقلية عليه وان لايقتصر على مايوجب الا فتضاح والخجالة على رؤس الاشهاد في يوم الحساب وان لم يتيقن به فلا اقل من ان يظنه ومن تجاسر عليه يرى من ظاهر حاله انه لايظن البعث والحساب ولايخطر بباله فضلا عن التيقن به فان الظن كاف في حصول الخوف الموجب للامتناع عن التطفيف ونحوه وعدم امتناعه عنه يدل على انه لايظن ذلك وذلك امر عجيب حيث كان أسوأ حالا من الكفار فانهم يظنون البعث ويقولون ان نظن الا ظنا ومانحن بمستيقنين (قوله او بدل من الجار والمجرور) فانه منصوب المحل (قوله لحكمه قدر المضاف لان ذاته تعالى لاتكون علة لقيامهم الا باعتبار كونه حاكما وآمرا بذلك (قوله وذكر الظن) فان ذكره ليس لاجل ان امر البعث والقيام من القضايا التي يكفي المؤمن ان يظن بوقوعها لانه مما يجب ان يعتقده المؤمن اعتقادا جازما ثابتا بل انما ذكر للمبالغة في المنع عن التطفيف لدلالته على ان الظن بالبعث والقيام يكفي في الامتناع والارتداع عن امثاله فضلا عن الجزم واليقين به وكذا وصف اليوم بالعظم فان ما يستعظمه الله تعالى لاشك انه يكون في غاية العظمة وقد مر ان عظمته لعظم مايكون فيه من الاهوال وكذا ذكر قيام الناس فيه لله الكبير المتعال اي لحكمه يدل على المبالغة في المنع عن ذلك وكذا ذكر وصف نفسه بالربوبية للعالمين فان من كان مالكا للعالمين وكان العالم باسره مسخرا في قبضته وقدرته كيف يمتنع عنه الظالم القوى وكيف يضيع حق المظلوم الضعيف فان مقتضى الربوبية ان لايضيع شيأ من حقوق المستحقين واصل المنع من التطفيف قد حصل بقوله اولا ويل للمطففين فانها كلمة يقال لمن استحق ان ينزل عليه بلية وآفة فيقال ويل لك زجرا له عما هو فيه فدل بذلك على ان المطففين ينزل بهم بسبب تطفيفهم بلية وعذاب هائل فما ذكر بعده يكون للمبالغة في المنع قال اعرابي لبعض الملوك انك قد سمعت ماقال الله عز وجل في المطففين اراد بذلك ان المطفف قد توجه عليه الوعيد العظيم في اخذ القليل فما ظنك بنفسك وانت تأخذ اموال المسلمين بغير كيل ولا وزن (قوله مايكتب من اعمالهم او كتابة اعمالهم) جواب عما يقال اخبر الله تعالى بان كتاب الفجار في سجين ثم فسر السجين بقوله كتاب مرقوم فصار كأنه قيل ان كتابهم في كتاب مرقوم

(يوم يقوم الناس) نصب بمبعوثون او بدل من الجار والمجرور ويؤيده القراءة بالجر (لرب العالمين) لحكمه وفي هذا الانكار والتعجب وذكر الظن ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس فيه لله والتعبير برب العالمين مبالغات في المنع عن التطفيف وتعظيم اثمه (كلا) ردع عن التطفيف والغفلة عن البعث والحساب (ان كتاب الفجار) مايكتب من اعمالهم او كتابة اعمالهم (لفي سجين) كتاب جامع لاعمال الفجرة من الثقلين كما قال

﴿وما ادراك ما سجين كتاب مرقوم﴾ اى مسطور بين الكتابة او معلم يعلم من رآه انه لا خير فيه فعيل من السجن لقب به الكتاب لانه سبب الحبس او لانه مطروح كما قيل تحت الارضين فى مكان وحش وقيل هو اسم مكان والتقدير مكان السجين او محل كتاب مرقوم فحذف المضاف ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ بالحق او بذلك ﴿الذين يكذبون بيوم الدين﴾ صفة مخصصة او موضحة اوذامة ﴿وما يكذب به الا كل معتد﴾ متجاوز عن النظر غال فى التقليد حتى استقصر قدرة الله وعلمه فاستحال منه الاعادة

فما معناه اجاب عنه المصنف اولا بان الكتاب فى قوله كتاب الفجار مصدر كتب يقال كتب كتبا وكتابا وكتابة اطلق فى الآية بمعنى المكتوب كضرب الامير والكتاب الذى فسر به السجين بمعنى السفر الذى كتب فيه الاعمال والمعنى الاعمال المكتوبة للفجار مثبتة فى الكتاب الجامع لجميع اعمال الفجرة وثانيا بان الكتاب الاول مصدر مستعمل فى اصل معناه وهو فى النظم مصدر مضاف والتقدير ان كتابة اعمال الفجار ثابتة فى السجين الذى هو كتاب جامع لاعمال الفجرة (قوله اى مسطور بين الكتابة) وفى الصحاح الرقم الكتابة والختم فان فسر المرقوم بالمكتوب يكون توصيف الكتاب للدلالة على انه بين الكتابة بحيث كل من نظر اليه يطلع على ما فيه بلا دقة نظر وامعان بوجه وان فسر بالمختوم يكون المقصود الدلالة على ان ذلك الكتاب مشتمل على علامة دالة على شقاوة صاحبه وكونه من اصحاب النار لان الختم علامة وكونه علامة الشر مستفاد من المقام لانه مقام الذم والتهويل (قوله فعيل من السجن) اختلف فى ان السجين علم لشئ معين او اسم مشتق فمن ذهب الى الثانى قال انه فعيل من السجن وهو الحبس كان الفسيق مشتق من الفسق فهو فى الاصل من اسماء الصفة وموضوع للمبالغة ثم نقل من الوصفية وجعل لقبا للكتاب لكونه سببا لحبس صاحبه ومعنى صيغة المبالغة الدلالة على المبالغة فى كونه سبب الحبس والتضييق فانه يؤول الى حبس لا يجد صاحبه فيه شيأ من الروح والسعة (قوله اولانه مطروح) اى ويجوز ان يكون السجين مبالغة المسجون ثم نقل من الوصفية وجعل لقبا للكتاب لكونه مطروحا فى اسفل المواضع واوحشها وهو اسفل سبع ارضين وفيه ابليس وذريته لعنه الله فيطرح فيه الكتاب الجامع لاعمال الفجرة الملقب بالسجين ليكون ذلك علامة لخسارهم وخفة مقدارهم ولا يصعد به الى السماء كما يصعد بكتاب المؤمنين كما قال ان كتاب الابرار لفى عليين (قوله وقيل هو اسم مكان) اى وقيل انه ليس بمشتق بل هو اسم علم لشئ معين هو الارض السابعة السفلى او حية فى جهنم او صخرة تحت الارض السابعة تقلب فيجعل كتاب الفاجر تحتها فعلى تقدير ان يكون السجين اسم مكان لا يصح ان يحمل عليه كتاب مرقوم الا بان يقدر المضاف فى قوله ما سجين او فى قوله كتاب مرقوم ليصح الحمل واليه اشار المصنف بقوله والتقدير مكان السجين او محل كتاب مرقوم (قوله للمكذبين بالحق) اى بما يجب تصديقه من الحق اى حق كان وقوله او بذلك اى ذلك اليوم الذى يقوم فيه الناس لرب العالمين ولم يذكر صلة المكذبين اما للتعميم لكل ما يجب ان يصدق به واما لدلالة القرينة عليه وهو يوم يقوم الناس فيه فعلى الاول

يكون قوله تعالى الذين يكذبون بيوم الدين صفة مخصصة لكون مفهومه اخص من مفهوم موصوفه وعلى الثانى صفة موضحة ان كان ذات الموصوف معلوما للمخاطب بوجه ما او بجهو لا من حيث انه يصدق عليه مفهوم الصفة وان كان معلوما له من هذه الحيثية ايضا تكون الصفة للذم فان الصفة الموضحة لابد ان يكون مفهومها عين مفهوم موصوفها ولا يكون بينهما فرق الا بالاجمال والتفصيل باشتمال مفهومها على زيادة تفصيل وبيان ليس فى مفهوم الموصوف بحيث يصلح ان يكون معرفا له كما فى قولك الجسم الطويل العريض العميق يحتاج الى فراغ يشغله (قوله المخدجة) اى المنتجة نتيجة باطلة لا يعتد بها من اخدجت الناقة اذا جاءت بولد هالك ناقص الخلق والاعتداء هو التجاوز للحد عن النهج الحق وحمله المصنف على اهمال القوة النظرية التى كاد ان يعرف الانسان بها الحق لذاته كوجود الصانع ووحدته واستكماله بجميع صفات الجلال والجمال ومن يكذب بالبعث والقيامة انما يكذب لاستقصاره قدرة الله تعالى وعدم اعتقاده بكونه تعالى قادرا على جميع الممكنات او لاستقصاره علمه تعالى وعدم اعتقاده بكونه تعالى عالما بجميع المعلومات من الكليات والجزئيات ليعلم انه تعالى عالم بتفاصيل اجزاء كل شخص متميزة عن اجزاء غيره وانه تعالى قادر على جمعها واعادة الحياة فيها ولاشك ان من وصف الله تعالى بما لا يجوز ان يوصف به فقد اهمل قوته النظرية ولم يستعملها ليكتسب بها العقائد الحقة ويعتقدها والاثيم يدل على المبالغة فى ارتكاب الاثم والمعصية بسبب الاتباع للشهوة والغضب فانه يستلزم اهمال القوة العملية التى كمالها ان تعرف الحق لاجل العمل به ثم انه تعالى وصف المكذب بيوم الدين بوصف ثالث فقال اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين وهذا من الاعتداء عن النظر فى شواهد النقل بانكار النبوة والقدح فى كون القرآن من عند الله تعالى والاعتداء بهذا الوجه وان كان مندرجا فى الاعتداء المذكور اولا الا انه خص بالذكر للمبالغة فى ذم من اتصف به فان امر الارسال والانزال اشرف آثار رحمة الله تعالى وفضله على عباده ومن انكرهما فهو فى غاية الطغيان فلا يستبعد منه تكذيبه بيوم الدين وفى الصحاح السطر بسكون الطاء الصف من الشئ ويجمع على اسطر وسطور مثل افلس وفلوس فى جمع فلس والسطر بفتح الطاء مثله ويجمع على اسطار مثل سبب واسباب ثم يجمع على اساطير والاساطير الاباطيل جمع اسطورة بالضم او اسطارة بالكسر فاساطير الاولين احاديثهم واخبارهم الباطلة (قوله ردلما قالوه) من ان ما يتلى عليهم اساطير يعنى ان كلمة بل ههنا للاضراب عن قولهم ذلك بعد ردعهم عنه وان

(اثيم) منهمك فى الشهوات المخدجة بحيث اشغلته عما وراءها وحملته على الانكار لما عداها (اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين) من فرط جهله واعراضه عن الحق فلا ينفعه شواهد النقل كما لم ينفعه دلائل العقل (كلا) ردع عن هذا القول (بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) رد لما قالوه وبيان لما ادى بهم الى هذا القول بان غلب عليهم حب المعاصى بالانهماك فيها حتى صار ذلك صدأ على قلوبهم فعمى عليهم معرفة الحق والباطل

وجه الاضراب عنه ابطاله وقد يكون الاضراب لمجرد الاعراض عما سبق وجعله فى حكم المسكوت عنه مع الشروع فيما هو أهم وههنا اضرب عنه لبطلانه فى نفسه وشرع فى بيان ماادى بهم اليه كأنه قيل ليس الامر كما يقولون من انه اساطير بل كان ماكسبوه من الافعال القبيحة سببا لحصول الرين وهو الدنس والصدأ فى قلوبهم فلذلك اضرب عن ذلك القول الباطل (قوله فان كثرة الافعال سبب لحصول الملكات) تعليل لكون الانهماك فى المعاصى سببا لغلبة حب المعاصى عليهم فان الانسان كلما تكرر عليه مباشرة المعصية حصلت فى قلبه ملكة نفسانية يزول بسببها انقاؤه عن ارتكابها بل يزداد ميله ورغبته فيها فذلك رين ودنس وظلمة على القلب مانعة من ادراك الحق والباطل كما ان الطاعات لها انوار وضياء معينة لمعرفة الحق والباطل فكلما كثرت الذنوب ازداد القلب ظلمة واسودادا وبحسب اسوداده يزداد المرء وقاحة حتى اذا اسود القلب كله والعياذ بالله تعالى لم يبق فى قلبه شئ من المعرفة والحياء ويرتفع بالكلية مايمنعه عن ارتفاع الشهوة والغضب فيغلب عليه حب المعاصى بحيث لايقدر على الامتناع عنها وكلمة ما فى قوله تعالى ما كانوا يكسبون يجوز ان تكون مصدرية وان تكون موصولة وراجعها محذوف ومحلها على التقديرين الرفع على الفاعلية اى غلب على قلوبهم كسبهم الذى كانوا يكسبونه (قوله فلا يرونه بخلاف المؤمنين) وهذه الآية من جملة ادلة الرؤية فان المؤمنين لو لم يروه فى الآخرة كالكفار لما كان لتخصيص الكفار بانهم محجوبون عن الله تعالى فائدة وايضا انه ذكر الحجاب هنا فى معرض الوعيد والتهديد للكفار ومايكون وعيدا وتهديدا لهم لايجوز حصوله فى حق المؤمن فوجب ان لايحصل هذا الحجاب فى حق المؤمن

يراه المؤمنون بغير كيف * وادراك وضرب من مثال

فينسون النعيم اذا رأوه * فياخسران اهل الاعتزال

واجاب المعتزلة عن هذا الاستدلال بان الحجاب المختص بالكفار ليس بمعنى عدم الرؤية حتى يقال انه تعالى لما خص الحجاب بالكفار دل ذلك على انه مرفوع عن الابرار بل هو مجاز عن كونهم أذلاء مهانين عند الله تعالى شبهت حالهم تلك بحال من كان محجوبا عن بعض السلاطين لحقارته وعدم استحقاقه الدخول عليه فاطلق عليهم اسم المشبه به ومنهم من اجاب بان تقدير الكلام انهم عن رحمة ربهم اوعن قرب ربهم لمحجوبون فليس لهم نصيب من ذلك (قوله تكرير للاول) وهو قوله كلا ان كتاب الفجار لفى سجين فيكون ردعا عن التطفيف والغفلة عن البعث والحساب مثله لما ذكر حال الفجار المطففين اتبعه

الافعال سبب لحصول الملكات كما قال عليه الصلاة والسلام ان العبد كلما اذنب ذنبا حصل فى قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه والرين الصدأ وقرأ حفص بل ران باظهار اللام وقرأ حمزة والكسائى وابو بكر بل ران بالامالة (كلا) ردع عن الكسب الرائن (انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) فلا يرونه بخلاف المؤمنين ومن انكر الرؤية جعله تمثيلا لاهانتهم باهانة من يمنع عن الدخول على الملوك اوقدر مضافا مثل رحمة ربهم اوقرب ربهم (ثم انهم لصالوا الجحيم) ليدخلون النار ويصلون بها (ثم يقال هذا الذى كنتم به تكذبون) يقوله لهم الزبانية (كلا) تكرير للاول ليعقب بوعد الابرار كما عقب بوعيد الفجار اشعارا بان التطفيف فجور والايفاء بر اوردع عن التكذيب

(ان كتاب الابرار لفي عليين وما ادراك ما عليون كتاب مرقوم) الكلام فيه كما مر في نظيره (يشهده المقربون) يحضرونه فيحفظونه او يشهدون على ما فيه يوم القيامة (ان الابرار لفي نعيم على الارائك) على الاسرة في الحجال (ينظرون) الى ما يسرهم من النعم والمتفرجات (تعرف في وجوههم نضرة النعيم) بهجة التنعم و بريقه وقرأ يعقوب تعرف على بناء المفعول ونضرة بالرفع (يسقون من رحيق) شراب خالص) مختوم ختامه مسك) اي مختوم اوانيه بالمسك مكان الطين ولعله تمثيل لنفاسته او الذي له ختام اي مقطع هو رائحة المسك وقرأ الكسائي خاتمه بفتح التاء اي ما يختم به و يقطع (وفي ذلك) يعني الرحيق او النعيم (فليتنافس المتنافسون) فليرتغب المرتغبون (ومزاجه من تسنيم) علم لعين بعينها سميت تسنيما لارتفاع مكانها او رفعة شرابها (عينا يشرب بها المقربون) فانهم يشربونها صرفا لانهم لم يشتغلوا بغير الله و يمزج لسائر اهل الجنة وانتصاب عينا على المدح او الحال من تسنيم والكلام في الباء كما في يشرب بها عباد الله (ان الذين اجرموا) يعني رؤساء قريش (كانوا من الذين آمنوا يضحكون) كانوا يستهزؤن بفقراء المؤمنين (واذا مروا بهم يتغامزون) يغمز بعضهم بعضا و يشيرون بأعينهم واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فاكهين) متلذذين بالسخرية منهم وقرأ حفص فكهين (واذا رأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون) واذا رأوا المؤمنين نسبوهم الى الضلال (وما ارسلوا عليهم) على المؤمنين

بذكر حال الابرار الذين لا يطففون (قوله الكلام فيه كما مر) فالمعنى الاعمال المكتوبة للابرار اوكتابة اعمالهم لفي عليين اي لفي كتب جامعة لجميع اعمال الابرار على ان عليين في الاصل جمع علي وهو فعيل من العلو للمبالغة فيه ثم نقل عن الوصفية وجعل علما لكتاب الجامع لكونه سببا لعلو صاحبه غاية العلو وقيل عليون اسم مكان اعرابه كاعراب الجمع لكونه على لفظ الجمع ثم اختلفوا في ذلك المكان وقيل هو السماء الرابعة وقيل هو السماء السابعة وقيل هو قائمة العرش اليمنى فوق السماء السابعة وقيل هو سدرة المنتهى فعلى تقدير كونه اسم مكان لا يحمل عليه كتاب مرقوم الا بان يحمل الكلام على تقدير المضاف في الاول او في الثاني و يكون التقدير وما ادراك ما كتاب عليين اوهو محل كتاب مرقوم (قوله على الاسرة في الحجال) وهي جمع حجلة بالتحريك وهي بيت العروس يزين بالاسرة والثياب والستور فان الاسرة لا تسمى اريكة الا اذا كانت في الحجال عن الحسن قال كنا لا ندري ما الاريكة حتى لقينا رجل من اهل اليمن اخبرنا ان الاريكة عندهم ذلك ولما عظم الله تعالى كتاب الابرار في الآية المتقدمة عظم بهذه الآية منزلتهم فقال ان الابرار لفي نعيم والرحيق من الشراب ما لا غش فيه ولا شيء يفسده (قوله اي مختوم اوانيه) من الاكواب والاباريق اي هو ممنوع من ان تمسه يد الى ان يفك ختمه الابرار وذلك يشعر بعزة الشراب ومرسله والمرسل اليه (قوله او الذي له ختام) عطف على قوله اي مختوم اوانيه بالمسك اي يجوز ان يكون قوله ختامه مسك بمعنى مقطعه اذا شرب ورائحة مسك بان توجد رائحة المسك عند خاتمة شربه فان ختام الشيء وخاتمه آخره (قوله والكلام في الباء كما الخ) اي كما مر في سورة الانسان من انها اما صلة الالتذاذ اي يشرب المقربون متلذذين بها او بمعنى من لان الشرب يبتدأ منها اومزيدة اي يشرب بها بتقدير يشرب ماءها لان العين لا تشرب وانما يشرب ماؤها و يحتمل ان تكون بمعنى في اي يشربون وهم فيها والجملة في موضع الصفة لقوله عينا (قوله يعني رؤساء قريش) اشارة الى ان سبب النزول ان اكابر المشركين كابي جهل والوليد بن المغيرة وامثالهما كانوا يضحكون من فقراء المسلمين و يستهزؤن بهم كعمار بن صهيب و بلال فنزلت ووجه ارتباطها بما قبلها انه تعالى لما وصف كرامة الابرار في الآخرة ذكر بعد ذلك

(حافظين) ينتقدون عليهم اعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم (فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون) حين يرونهم اذلا مغلولين في النار وقيل يفتح لهم باب الى الجنة فيقال لهم اخرجوا اليها فاذا وصلوا اليه غلق دونهم فيضحك المؤمنون منهم (على الارائك ينظرون) حال من يضحكون (هل ثوب الكفار) هل اثيبوا (ما كانوا يفعلون) وقرأ حمزة والكسائي بادغام اللام في الثاء * قال النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة المطففين سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيامة

(سورة الانشقاق مكية وآيها خمس وعشرون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اذا السماء انشقت) بالغمام كقوله تعالى يوم تشقق السماء بالغمام وعن على رضي الله تعالى عنه تنشق من المجرة (واذنت لربها) واستمعت له اى انقادت لتأثير قدرته حين اراد انشقاقها انقياد المطواع الذي يأذن للآمر ويذعن له

قبح معاملة الكفار معهم في الدنيا من استهزائهم وضحكهم منهم ثم بين ان ذلك سيغلب على الكفار في الآخرة والمقصود منه تسلية المؤمنين وتقوية قلوبهم وذكر من معاملاتهم القبيحة اربعة اشياء اولها قوله ان الذين اجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون اى يستهزؤن بهم وبدينهم وثانيها قوله واذا مروا بهم يتغامزون والتغامز تفاعل من الغمز وهو الاشارة بالجفن والحاجب ويكون الغمز ايضا بمعنى العيب والمعنى انهم يشيرون اليهم بالاعين استهزاء بهم ويعيبونهم ويقولون انظروا الى هؤلاء يتعبون انفسهم ويتركون اللذات ويتحملون المشقات لما يرجونه في الآخرة من المثوبات مع ان امر البعث والجزاء ليس بمتيقن بل هو بعيد كل البعد وثالثها قوله واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فاكهين اى معجبين فرحين بما فعلوا بالمؤمنين وهو حال من فاعل انقلبوا كما ان حافظين حال من فاعل ارسلوا قيل فاكهين وفكهين لغتان بمعنى ناعمين متلذذين وقيل فاكهين اى متنعمين مشغولين بما هم فيه من الكفر واتباع الشهوات وفكهين معجبين ورابعها قوله تعالى واذا رأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون اى هم على ضلال في تركهم التنعم الحاضر بسبب طلب ثواب لا يدرى هل له وجود اولا ثم قال وما ارسلوا عليهم حافظين يعني ان الله تعالى لم يبعث هؤلاء الكفار رقباء على المؤمنين يحفظون عليهم احوالهم ويتفقدون ما يصنعونه من حق او باطل فيعيبون عليهم ما يعتقدونه ضلالا وانما امروا باصلاح انفسهم واى نفع لهم في تتبع احوال غيرهم تمت سورة المطففين والحمد لله رب العالمين

(سورة الانشقاق مكية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(قوله انشقت بالغمام) الانشقاق التصدع وذلك من علامات القيامة والغمام السحاب والباء فيه للالة كما في قولهم انشقت الارض بالنبات والمعنى ان السماء تتصدع بغمام يخرج منها قيل يكون في ذلك الغمام ملائكة العذاب وكان ذلك اشد واوجل من حيث انه جاء العذاب من موضع الخير فعلى هذا يكون انشقاق السماء لنزول الملائكة وقيل تنشق للسقوط والانتقاض ويؤيد الاول ما روى من انها تنشق من المجرة وهي باب السماء يقال لها بالفارسية راه كهكشان وهي ترى في الشتاء في اول الليل في ناحية السماء وفي الصيف في اول الليل في وسط السماء وتنتقل في آخر الليل الى غير موضعها ويقال ان النجوم تقاربت في المجرة فطمس بعضها بعضا فصارت كالسحاب (قوله واستمعت له) الجوهري اذن له اذنا استمع وانشد

ان يسمعوا ريبة طاروا بها فرحا * وكل ما سمعوا من صالح دفنوا

صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به * وان ذكرت بشر عندهم اذنوا
وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما اذن الله لشئ كاذنه لنبي يتغنى بالقرآن اى ما استمع الى شئ كاستماعه الى صوت نبي يقرأ القرآن المنزل عليه وهو مجاز عن الاعتداد بذلك والاعتماد له اى لايعتد بشئ كاعتداده بذلك فان حقيقة الاصغاء والاستماع لما لم تتصور في حقه تعالى حملت على غايتها التي هي الاعتداد والرضى واذا اسند الى نحو السماء ممن ليس من اهل الاعتداد والاستحسان يكون مجازا من المطاوعة لتأثير قدرة الله تعالى وعدم الامتناع عنه بان شبهت حال السماء في انقيادها لتأثير قدرته تعالى حين اراد انشقاقها بانقياد المستمع المطواع للآمر فاستعير لانقيادها لفظ الاذن والاستماع المستعمل في غاية التي هي انقياد المأمور المطيع فهو مجاز في المرتبة الثانية قال الامام انه لم يوجد في جرم السماء ما يمنع من تأثير قدرة الله تعالى في شقها وتفريق اجزائها فكانت في قبول ذلك التأثير كالعبد الطائع الذي اذا ورد عليه الامر من جهة المالك انصت له واذعن ولم يمتنع كقوله تعالى آتينا طائعين وكذا قوله واذنت لربها وحقت عبارة عن نفوذ القدرة في الايجاد والاعدام وتفريق الاجزاء من غير ممانعة اصلا (قوله فهو محقوق وحقيق) اى جدير بان يستمع وينقاد لانها ممكنة لذاتها والممكن لذاته يحق له ان ينقاد لقدرة من يؤثر في وجوده وصفاته وافعاله (قوله واكامها) جمع أكم بفتحتين مثل جبل وجبال والاكم بضمتين مثل عنق واعناق والاكم جمع اكام مثل كتب وكتاب والاكام جمع أكم مثل جبل وجبال والاكم جمع اكمة مثل ثمر وثمرة والاكمة الجبل الصغير فان زلزلة الساعة تزيل جبال الارض واكامها وينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا فيستوى ظهر الارض وينبسط والمد بمعنى البسط مأخوذ من مددت الشئ فامتد ويؤيده ماروى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال مدت مد الاديم العكاظي فان الاديم اذا مد زال كل انثناء فيه واستوى وقيل انه مأخوذ من مده اذا أمده اى يتزايد سعتها يوم القيامة لوقوف الخلائق عليها للحساب واعلم انه لابد من الزيادة في وجه الارض سواء كان ذلك بتمديدها او امدادها لان الخلائق باسرهم من الاولين والآخرين لما كانوا واقفين على ظهرها يوم القيامة لابد من الزيادة في طولها وعرضها عن علي بن الحسن انه قال قال رسول الله عليه الصلاة والسلام اذا كان يوم القيامة مدت الارض مد الاديم حتى لايكون لبشر من الناس الا موضع قدميه يعني لكثرة الخلائق فيها (قوله وتخلت) اى خلت غاية الخلو حتى لم يبق في باطنها شئ فصارت بذلك كانها تكلفت في الخلو اقصى وسعها وطاقتها فان حقيقة التكلف غير

(وحقت) اى وجعلت حقيقة بالاستماع والانقياد يقال حق بكذا فهو محقوق به وحقيق (واذا الارض مدت) بسطت بان تزال جبالها واكامها (وألقت ما فيها) ما في جوفها من الكنوز والاموات (وتخلت) وتكلفت في الخلو أقصى جهدها حتى لم يبق شئ في باطنها (وأذنت لربها) في الالقاء والتخلية (وحقت) للاذن وتكرير اذا الاستقلال كل من الجملتين بنوع من القدرة وجوابه محذوف للتهويل بالابهام

متصورة في الارض والجهد بضم الجيم الطاقة وبالفتح المشقة وقوله واذنت لربها وحقت ليس بتكرار لان الاول في حق السماء وهذا في الارض ثم انه تعالى لما ذكر من مقدمات القيامة ومباديها امورا وجعلها شروطا ولم يذكر جزآءها ليكون ابهامه ادخل في التهويل كانه قيل اذا وقعت هذه الامور كان مالا يدخل تحت الوصف والبيان خاطب جنس الانسان خطابا منزلا منزلة مخاطبة كل واحد منهم على التعيين فقال له انك كادح الى ربك كدحا والكدح في اللغة السعي الشديد في العمل وذلك العمل اما الذهاب اليه تعالى بان يفارق البدن بالموت ويصل الى عالم الارواح واما اعماله التي عملها في الدنيا من الخير والشر فانه يسعى بها الى ربه فيحاسبه بها فالمعنى على الاول انك ساع مجتهد تسير مع انفاسك كما قيل انفاسك خطاك سيرا سريعا الى ربك اي الى لقائه بالموت فلاقيه عند مجيء اجلك فانظر بأي عمل تلقاه اي فالقه بعمل ينجيك لا بعمل يرديك وعلى الثاني انك كاد بعملك في دنياك كدا وسعيا تسير الى ربك فيحاسبك ويجازيك به فانظر بأي عمل تسير اليه (قوله او الاكتفاء) عطف على التهويل يعني ان المحذوف امامبهم يذهب ذهن السامع كل مذهب لابهامه لكون ذلك ادخل في التهويل اومتعين وهو قوله علمت نفس ماتسعى فيه من خير وشر ولم يذكر اكتفاء بما مر (قوله او بدلالة قوله) عطف على قوله مامر وقوله عليه اي على الجواب المحذوف وهو متعلق بالدلالة (قوله لاقي الانسان كدحه) اي عمله الذي كدح فيه وتعب وفيه اشارة الى ان ضمير ملاقيه راجع الى الكدح الا ان الكدح لكونه عرضا لايبقى يمتنع تلاقيه فلابد من تقدير المضاف اليه اي فلاق حسابه وحكمه لامفرله منه (قوله اي جهدا يؤثر فيه) بفتح الجيم وهو المشقة والتعب وهو تفسير لقوله كدحا لابضمها ولذلك عطف عليه الكد في الكشاف حيث قال الكدح جهد النفس في العمل والكد فيه حتى يؤثر فيها من كدح جلدة وجهد اذا خدشها (قوله اوفلاقيه) عطف على قوله محذوف واذا كان قوله فلاقيه جواب اذا يكون قوله ياايها الانسان انك كادح معترضا بين الشرط والجزآء والمعنى اذا كان يوم القيامة لقي الانسان عمله اي جزآء عمله واليه اشار بقوله والكدح اليه السعي الى لقاء جزآئه (قوله لايناقش فيه) يعني ان الحساب اليسير هو العرض بان تعرض عليه اعماله ويعرف ان الطاعة منها هذه وان المعصية هذه ثم يثاب على الطاعة ويتجاوز عن المعصية فهذا هو الحساب اليسير لانه لاشدة فيه على صاحبه ولامناقشة ولايقال له لم فعلت هذا ولايطالب بالعذر ولابالحجة عليه فانه متى طولب بذلك لم يجد عذرا ولاحجة فيفتضح كما قال عليه الصلاة والسلام من نوقش في الحساب فقد هلك والحساب اليسير هو العرض

او الاكتفاء بما مر في سورتي التكوير والانفطار او بدلالة قوله (يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه) عليه وتقديره لاقي الانسان كدحه اي جهدا يؤثر فيه من كدحه اذا خدشه اوفلاقيه و ياايها الانسان انك كادح الى ربك اعتراض والكدح اليه السعي الى لقاء جزائه (فاما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا) سهلا لايناقش فيه (وينقلب الى اهله مسرورا) الى عشيرته المؤمنين او فريق من المؤمنين او اهله في الجنة من الحور

وسوف من الله تعالى واجب (قوله اى يؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره) يعني ان قوله تعالى فى هذه السورة واما من اوتى كتابه وراء ظهره لا ينافى قوله فى سورة الحاقة واما من اوتى كتابه بشماله لامكان الجمع بينهما بان تخلع يده اليسرى من موضعها فتجعل وراء ظهره فيعطى كتابه بشماله من خلف ظهره قيل ويحتمل ان يكون بعضهم يعطى كتابه بشماله وبعضهم من وراء ظهره ولما اوتى كتابه من غير يمينه علم انه من اهل النار فيقول واثبوراه قيل الثبور مشتق من المثابرة على الشئ وهي المواظبة عليه وسمى هلاك الآخرة ثبورا لانه لازم لا يزول (قوله وقرأ الحجازيان) وهما نافع وابن كثير والشامى وهو ابن عامر يصلى بضم الياء وفتح الصاد وتشديد اللام وقرأ ابو عمرو والبصرى وعاصم وحمزة يصلى بفتح الياء واسكان الصاد مخففا وقرئ يصلى بضم الياء وسكون الصاد وتخفيف اللام اى يدخله غيره لقوله تعالى ونصليه جهنم (قوله فارغا عن الآخرة) وعما فيها من الحساب والثواب والعقاب فتقاعد لذلك عن تعب المجاهدة فى الطاعات واجتناب المعاصى والمنكرات فابدله الله تعالى من ذلك السرور والامن غما واثما بخلاف المؤمن فانه لما كان متقيا عن المعاصى مجتهدا فى الطاعات غير آمن من العذاب ولم يكن فى الدنيا مسرورا بالمال والجاه ولم يكن له فيها الاهم الآخرة والخوف من اهوالها ابدله الله تعالى من غمه ذلك سرورا ابديا لا ينقطع (قوله ظن ان لن يحور) ان فيه مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان المضمر ولن يحور خبرها والجملة سدت مسد مفعولى الظن والمعنى ان هذا الكافر ظن ان الامر والشأن لن يحور الى الله تعالى بان يبعث بعد الموت والحور الرجوع والمحار المرجع وقيل الحور الرجوع الى خلاف ما كان عليه المرء كما فى قولهم نعوذ بالله من الحور بعد الكور والمعنى على هذا انه ظن ان لن يرجع الى خلاف ما هو عليه فى الدنيا من السرور والتنعم ثم قال تعالى بلى اى لتبعثن وعلى الثانى ليبدل سروره بغم لا ينقطع وبلاء لا يزول ان ربه كان به بصيرا عالما بما يعمله من الكفر والمعاصى فلم يكن ليجوز فى حكمته ان يهمله ولا يعاقبه على سوء اعماله كنى بعلمه تعالى عن بعثه ومجازاته عليها وكلمة لا فى قوله تعالى فلا اقسم يجوز ان تكون لرد الكلام السابق وابطاله فانه تعالى حكى عن المشرك انه ظن ان لن يحور اى يبعث فأبطل الله تعالى ذلك الظن بقوله لا ثم قال بعد اقسم بالشفق والفاء للتعقيب فانه تعالى لما اوجب الحور والبعث بقوله بلى فرع عليه رد قوله وابطال ظنه و يجوز ان تكون كلمة لا صلة وقد مر مرارا واتفق العلماء غير عكرمة ومجاهد على ان الشفق اسم للاثر الباقى من الشمس فى الافق بعد غروبها ثم اختلفوا بعد ذلك فذهب عامتهم الى

(واما من اوتى كتابه وراء ظهره) اى يؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره قيل يغل يمناه الى عنقه ويجعل يسراه وراء ظهره (فسوف يدعو ثبورا) يتمنى الثبور ويقول يا ثبوراه وهو الهلاك (ويصلى سعيرا) وقرأ الحجازيان والشامى والكسائى ويصلى كقوله تعالى وتصلية جحيم وقرئ ويصلى كقوله ونصليه جهنم (انه كان فى اهله) فى الدنيا (مسرورا) بطرا بالمال والجاه فارغا عن الآخرة (انه ظن ان لن يحور) لن يرجع الى الله تعالى (بلى) ايجاب لما بعد لن (ان ربه كان به بصيرا) عالما باعماله فلا يهمله بل يرجعه ويجازيه (فلا اقسم بالشفق) الحمرة التى ترى فى افق المغرب بعد الغروب وعن ابى حنيفة رضى الله تعالى عنه انه البياض الذى يليها سمى به لرقته من الشفقة

انه هو الحمرة التي ترى في المغرب بعد غروب الشمس واليه ذهب ابو يوسف ومحمد رحمهما الله وظاهر قول ابي حنيفة رحمه الله ان الشفق البياض الذي يعقب الحمرة الا ان اسد بن عمرو قال ان اباحنيفة رجع عن هذا القول واختار ان الشفق هو الحمرة قال به صاحباه والشفق في الاصل الرقة ومنه ثوب شفق اذا رق لطول اللبس و الشفقة على الانسان رقة القلب عليه واذا كان هذا اصله فهو بالبياض اولى منه بالحمرة لان اجزاء الضياء في البياض ارق وفي الحمرة اكثف فان اثر الشمس اعني ضوءها يأخذ في الرقة و الضعف من غيبة الشمس الى ان يستولى سواد الليل على الآفاق كلها وقال عكرمة ومجاهد ان الشفق هو النهار بناء على ان الشفق اثر الشمس وهو كوكب نهاري واثرها هو النور و يؤيده انه تعالى عطف عليه الليل وهو يستدعي ان يكون المذكور قبله النهار فيكون القسم واقعا بالليل و النهار الذين احدهما معاش والآخر سكن وبهما قوام امور العالم (قوله وماجمعه) اى وماكان منتشرا بالنهار فان الليل اذا اقبل آوى كل شئ الى مأواه والوسق ضم الشئ بعضه الى بعض يقال وسقه فاتسق واستوسق كوسعه فاتسع واستوسع وما في قوله تعالى وما وسق موصولة اوموصوفة بمعنى الذي جمعه او شئ جمعه اشار اليه المصنف بقوله وماجمعه بتقدير العائد فانه لابد من العائد على التقديرين بخلاف ما اذا كانت مصدرية واشار ايضا الى ان جمع الليل للمخلوقات عبارة عن ستره اياها بظلمته واحاطة الظلمة بها فان ظلمة الليل كانها تجلل الجبال والبحار والاشجار والحيوانات فكانه تعالى اقسم بجميع المخلوقات كما قال تعالى فلا اقسم بما تبصرون ومالا تبصرون وهذا المعنى لايحصل على تقدير أن تكون مامصدرية لان المقسم به حينئذ يكون بوسق الليل وجمعه لابما يجمعه الليل من المخلوقات وقيل يحتمل ان يكون المراد بما جمعه العباد المجتهدين بالليل لانه تعالى مدح المستغفرين بالاسحار فيجوز ان يحلف بهم (قوله مستوسقات لو يجدن سائقا) اوله ۞ان لنا قلائصا حقائقا و القلوص الناقة الشابة والحقائق جمع حقاق جمع حقة وهي الناقة التي استكملت ثلاث سنين ودخلت في الرابعة وصف الشاعر قلائصه الحقاق بكونها مستوسقات اى مجتمعات وتمنى ان يكون لها سائق (قوله اوطرده الى اماكنه) عطف على قوله جمعه وستره يعني ان الوسق في اللغة كما يكون بمعنى الجمع يكون بمعنى الطرد والابعاد ايضا كما يقال للابل المسروقة وسيقة لان السارق طردها من اماكنها وفي الصحاح الوسيقة من الابل كالرفقة من الناس فاذا سرقت طردت معا (قوله اجتمع وتم بدرا) مبني على ماقال من ان اتسق واستوسق مطاوعان لوسقه بمعنى جمعه يقال امور فلان متسقة اى مجتمعة على الصلاح كما يقال منتظمة ثم انه تعالى

(والليل وماوسق) وما جمعه وستره من الدواب وغيرها يقال وسقه فاتسق واستوسق قال ۞ مستوسقات لو يجدن سائقا ۞ او طرده الى اماكنه من الوسيقة (والقمر اذا اتسق) اجتمع وتم بدرا (لتركبن طبقا عن طبق) حالا بعد حال مطابقة لاختها في الشدة

لما ذكر ماأقسم به ذكر بعده ما اقسم عليه فقال لتركبن طبقا عن طبق واختار المصنف قرآءة من قرأ بضم الباء على خطاب الجنس الذى هو فى معنى الجمع لان النداء فى قوله ياايها الانسان انك كادح للجنس ومن قرأ ليركبن بالياء وفتح الباء جعل الكلام اخبارا عن الغائب وهو الانسان المذكور بالاسم الظاهر المنزل منزلة الغائب اى ليركبن الانسان ومعنى الآية ان الناس يلقون يوم القيامة اهوالا وشدائد حالا بعد حال و شدة بعد شدة كانهم لما انكروا البعث اقسم الله تعالى ان البعث كائن لامحالة وان الناس يلقون فيه الشدائد والاهوال الى ان يفرغ من حسابهم فيصير كل احد الى ما اعد له من جنة أونار فهى نظير قوله تعالى بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم (قوله وهو لمايطابق غيره) يعنى ان الاصل اسم لما طابق غيره يقال ماهذا بطبق هذا اى لا يطابقه ومنه قيل للغطاء الطبق ثم قيل للحال المطابقة لغيرها طبق (قوله اومراتب من الشدة بعد المراتب) عطف على قوله حالا بعد حال لان طبقا على الاول اسم مفرد اطلق على الحال المطابقة لغيرها وعلى هذا جمع طبقة بمعنى مرتبة يقال طبقات البيت اى مراتبه فالمراد بها فى الآية طبقات الشدة ومراتبها التى بعضها اشد من بعض وهى الموت ومابعده من اهوال القيامة (قوله اوهى وماقبلها) اى اوهى هذه المذكورات وما كان قبلها من الدواهى العارضة للانسان من ابتداء وجوده الى ان يموت (قوله باعتبار اللفظ) فان لفظ الانسان مفرد فهو طب خطاب المفرد المذكر ولو اعتبر معناه لضم الباء على طريق خطاب جماعة الذكور وعلى تقدير ان يكون الخطاب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يكون قوله طبقا اسما مفردا لما طابق غيره وهى اما احواله التى يترقى عليه السلام فيها من الظفر والغلبة على المشركين المكذبين بالبعث واظهار دينه على الاديان كلها واما مراتبه عليه الصلاة والسلام فى القرب من الله تعالى والاستحقاق لانواع فضله ورحمته بحيث لايعلم كنه ذلك غيره تعالى واما ماركبه من طبقات السماء كانه تعالى يقول اقسم يامحمد على انك لتركبن حالا بعد حال حتى يختم لك بعاقبة جميلة فلايحزنك كفرهم وتماديهم فى الكفر والتكذيب او لتركبن درجة بعد درجة فى القرب من الله تعالى والكرامة عنده اولتركبن السموات طبقا بعد طبق فانها سبع سموات طباقا فهى بشارة له عليه الصلاة والسلام بصعوده الى السموات لمشاهدة ملكوتها واجلال الملائكة اياه فيها وقد فعل الله تعالى به ذلك ليلة الاسراء وقوله بعد حال و بعد المراتب اشارة الى ان عن بمعنى بعد ووجه ذلك ان الانسان اذا صار الى الشئ مجاوزا عن شئ آخر فقد صار الى الثانى بعد الاول فصح ان يستعمل فيه بعد وعن معا وايضا

وهولما يطابق غيره فقيل للحال المطابقة او مراتب من الشدة بعد المراتب هى الموت ومواطن القيامة واهوالها اوهى وما قبلها من الدواهى على انه جمع طبقة وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى لتركبن بالفتح على خطاب الانسان باعتبار اللفظ او الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم على معنى لتركبن حالا شريفة ومرتبة عالية بعد حال شريفة ومرتبة عالية اوطبقا من اطباق السماء بعد طبق ليلة المعراج . وقرئ بالكسر على خطاب النفس وبالياء على الغيبة

لفظة عن قيد البعد والمجاوزة فكانت مشابهة لفظة بعد فصح استعمال احداهما بمعنى الاخرى (قوله وعن طبق صفة لطبقا) اى لتركبن طبقا كائنا بعد طبق او حال من الضمير فى لتركبن وقوله مجاوز لطبق على قراءة تركبن بفتح الباء وقوله او مجاوزين له على القراءة بضم الباء (قوله بيوم القيامة) خص يوم القيامة بانتفاء ايمانهم به مع انهم لايؤمنون باكثر مايجب الايمان به بل بكله من حيث ان الكلام مسوق لتوبيخ منكرى البعث والقيامة وتشنيع حالهم لانه تعالى حكى عن الكافر انه ظن ان لن يحور ثم حكم بانه يحور البتة ثم اقسم بالحوادث المتغيرة الطارية على الافلاك والعناصر على ان الناس يلقون بعد البعث طبقا بعد طبق الى ان يستقر كل احد فيما اعدله فان الشفق حالة مخالفة لما قبلها وهو ضوء النهار ولما بعدها وهو ظلمة الليل وكذا الليل حالة حادثة بعد انبساط ضوء النهار بتغير احوال الحيوانات من التفرق الى الاجتماع ومن اليقظة الى النوم وكذا اتساق القمر وكونه بدرا حالة حادثة بعد كونه ناقصا فهو تعالى اقسم بهذه المذكورات على انهم يبعثون ويركبون طبقا عن طبق فتخصيص هذه المذكورات بجعلها مقسما بها من حيث ان لها دلالة على ثبوت الدعوى فان من قدر على تغيير الاجرام العلوية والسفلية من حال الى حال على حسب المصالح ومقتضى الحكمة لابد ان يكون قادرا على جميع الممكنات عالما بجميع المعلومات فيكون قادرا على البعث والقيامة فلذلك فرع عليه استبعاد عدم ايمانهم بالفاء الدالة على السببية فقال فما لهم لايؤمنون بالبعث والجزاء فان عدم ايمانهم بذلك بعد ظهور الحجة وزوال الشبهة منكر مستبعد جدا وعطف عليه استبعاد عدم خضوعهم وانقيادهم للقرآن عند سماعهم اياه من حيث انهم بالغوا فى امر الفصاحة والبلاغة الى اقصى المراتب الممكنة لنوع البشر فعند سماعه لابد ان يجزموا بكونه معجزا خارجا عن طوق البشر وكونه كلاما الهيا ويعلموا بذلك صدق مبلغه عليه السلام فى دعوى الرسالة فيؤمنوا به ويقبلوا جميع ماكلفهم به ✽ فسر السجود اولا بالخضوع والانقياد ثم جوز ان يراد به نفس السجود عند تلاوة آية السجود على ان يكون المراد بالقرآن آية السجدة بخصوصها لامطلق القرآن وايد هذا الاحتمال بما روى فى سبب النزول (قوله واحتج به) اى بهذه الآية وتذكير الضمير لكونها فى معنى المنزل ووجه الاحتجاج ان الذم انما يتوجه على من ترك الواجب (قوله استهزاء بهم) لان البشارة هى الاخبار بالخبر السار وقد استعملت فى الخبر المؤلم (قوله استثناء منقطع) اى من الضمير المنصوب فى قوله فبشرهم الراجع الى الذين كفروا ولاشك ان الذين آمنوا ليسوا من جنسهم فيكون الاستثناء منقطعا بمعنى لكن الذين آمنوا ويجوز ان يكون متصلا والمعنى

القيامة (واذا قرئ عليهم القرآن لايسجدون) لايخضعون او لايسجدون لتلاوته لماروى انه عليه الصلاة والسلام قرأ واسجد واقترب فسجد بمن معه من المؤمنين وقريش تصفق فوق رؤسهم فنزلت واحتج به ابو حنيفة رضى الله تعالى عنه على وجوب السجود فانه ذم لمن سمعه ولم يسجد وعن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه انه سجد فيها وقال والله ماسجدت فيها الابعد ان رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يسجد فيها (بل الذين كفروا يكذبون) اى بالقرآن (والله اعلم بما يوعون) بما يضمرون فى صدورهم من الكفر والعداوة (فبشرهم بعذاب اليم) استهزاء بهم (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) استثناء منقطع او متصل والمراد من تاب وآمن منهم (لهم اجر غير ممنون) مقطوع او ممنون به عليهم ✽ عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة انشقت اعاذه الله ان يعطى كتابه من وراء ظهره

يعني البروج الاثني عشر شبهت بالقصور لانها تنزلها السيارات وتكون فيها الثوابت اومنازل القمر اوعظام الكواكب سميت بروجا لظهورها او ابواب السماء فان النوازل تخرج منها واصل التركيب للظهور (واليوم الموعود) يوم القيامة (وشاهد ومشهود) ومن يشهد في ذلك اليوم من الخلائق وما احضر فيه من العجائب وتنكيرهما للابهام في الوصف اي وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما او المبالغة في الكثرة كأنه قيل ما افرطت كثرته من شاهد ومشهود او النبي وامته اوامته وسائر الامم اوكل نبي وامته او الخالق والخلق او عكسه فان الخالق مطلع على خلقه وهو شاهد على وجوده او الملك الحفيظ والمكلف او يوم النحر او عرفة والحجيج او يوم الجمعة والمجمع فانه يشهد له او كل يوم واهله

الا من تاب منهم وآمن بعد مانزلت هذه الآية فانهم وان كانوا في الحال كفارا الا انهم متى تابوا واستحقوا لان يثابوا وآمنوا وعملوا الصالحات تخلصوا من استحقاق العذاب الاليم واستحقوا لان يثابوا بأجر غير منقوص ولامقطوع لان نعيم الآخرة لا ينقطع * تمت سورة الانشقاق والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(سورة البروج مكية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(قوله البروج الاثني عشر شبهت بالقصور) اي اطلق اسم القصور التي تنزل فيها الاكابر والاشراف على بروج السماء الاثني عشر استعارة تصريحية تشبيها لها بالقصور لكونها منازل السيارات اومقر الثوابت وقيل المراد بالبروج ههنا النجوم التي هي منازل القمر وهي ثمانية وعشرون نجما ينزل القمر كل ليلة في واحد منها لاتخطاها ولايتقاصر عنها واذا صار القمر الى آخر منازله دق واستقوس واستتر ليلتين ان كان الشهر ثلاثين يوما وان كان تسعة وعشرين فليلة واحدة واطلاق البروج على هذه النجوم ايضا مبني على تشبيهها بالقصور من حيث ان القمر ينزل فيها ولظهورها ايضا بالنسبة الينا لان البروج تنبئ عن الظهور وقيل المراد بالبروج عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها وقيل المراد بها ابواب السماء وسميت بروجا لظهورها بالنسبة الى من ينزل من السماء ولان النوازل تخرج منها كما تخرج من القصور (قوله واصل التركيب للظهور) اى للظهور والامتياز بحسب الرفعة والاشتمال على المحاسن فان القصور لرفعتها وما فيها من المحاسن ظاهرة للاعين فلذلك سميت بروجا ثم يقال برجت المرأة اى شبهت بالبرج في اظهار المحاسن وهومعنى قولهم التبرج اظهار المرأة زينتها ومحاسنها للرجال قال تعالى غير متبرجات بزينة (قوله ومن يشهد) اى ومن يحضر في ذلك اليوم من الخلائق الاولين والآخرين من الجن والانس والملائكة والانبياء عليهم الصلاة والسلام فانه سبحانه وتعالى لما اقسم باليوم الموعود الذى هو يوم القيامة تنبيها على عظيم قدره وشرفه من حيث كونه يوم الفصل والجزاء ويوم تفرده فيه تعالى بالملك والحكم عطف عليه الشاهد وهو من يحضر في ذلك اليوم من الخلائق والمشهود فيه الذى هو مافي ذلك اليوم من العجائب (قوله اوالنبي وامته) عطف على قوله ومن يشهد في ذلك اليوم اى ويجوز ان يكون الشاهد من الشهادة لا من الشهود وهو الحضور فعلى هذا يكون المشهود بمعنى

المشهود عليه لان الشهادة لاتتعدى بنفسها بل بحرف الجر يقال شهد به وشهد عليه الا انه حذف الصلة كما حذف من المشترك واصله مشترك فيه وعلى تقدير ان يكون الشاهد والمشهود من الشهادة ذكر وجوها في تعيين المراد بهما الاول ماذكره بقوله اوالنبي وامته و يدل عليه قوله تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله ولاشك ان تبشيره وانذاره ودعوته عليه الصلاة والسلام انما هو بالنسبة الى امته فكذا شهادته تكون بالنسبة اليهم كما قال تعالى في حق امته عليه الصلاة والسلام و يكون الرسول عليكم شهيدا والثاني ما ذكره بقوله اوامته وسائر الامم لقوله تعالى في حق امته عليه الصلاة والسلام وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس والثالث ماذكره بقوله اوكل نبي وامته لقوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد فانه يدل على ان كل نبي شاهد على امته والرابع ما ذكره بقوله اوالخالق والخلق لقوله تعالى وكفى بالله شهيدا اى شاهدا مطلعا على احوال خلقه والخامس ماذكره بقوله او عكسه فان كل جزئي من جزئيات العالم شاهد على ان له صانعا وعلى التقديرين يكون القسم واقعا بجميع الكائنات وخالقها قال الشاعر

فياعجبا كيف يعصى الاله ✽ ام كيف يجحده الجاحد

وفي كل شئ له آية ✽ تدل على انه واحد

والسادس ماذكره بقوله اوالملك الحفيظ والمكلف لقوله تعالى وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد فتكون كل نفس مشهودا عليها من حيث ان حفظة اعمالها تشهد عليها بها والسابع ماذكره بقوله او يوم النحر فقد روى عن ابن عمر وابن الزبير والنخعي والثوري رضي الله عنهم ان الشاهد يوم الاضحى فانه يوم عظيم يشهد لمن حج بالاعمال واستحقاق الرحمة والثامن ماذكره بقوله اوعرفة فانه ايضا يوم عظيم يشهد للحجيج وهو جمع حاج كما يقال للغزاة غزى وللعادين على اقدامهم عدى والتاسع ماذكره بقوله او يوم الجمعة والمجتمع فانه يشهد على كل عامل بما عمل فيه من خير وشر والعاشر ماذكره بقوله اوكل يوم واهله روى عن الحسن انه قال مامن يوم الا و ينادى انا يوم جديد وانى على ماتعمل فى شهيد فاغتنمني فلوغابت شمسي لم تدركني الى يوم القيامة (قوله قيل انه جواب القسم على تقدير لقد قتل) احتيج الى التقدير لان جواب القسم اذا كان جملة فعلية وكان الفعل ماضيا مثبتا تصدر الجملة بلام الابتداء الداخلة على كلمة قد نحو والله لقد خرج ولا يجوز الاقتصار على احدهما الاعند طول الكلام كما فى قوله تعالى والشمس وضحاها الى قوله قد افلح من زكاها فانه لم يؤت

قتل اصحاب الاخدود) قيل انه جواب القسم على تقدير لقد قتل

والاظهر انه دليل جواب محذوف كأنه قيل انهم ملعونون يعني كفار مكة كما لعن اصحاب الاخدود فان السورة وردت لتثبيت المؤمنين على اذاهم وتذكيرهم بما جرى على من قبلهم والاخدود الخد وهو الشق في الارض ونحوهما بناء ومعنى الخق والاخقوق روي مرفوعا ان ملكا كان له ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما ليعلمه السحر وكان في طريقه راهب فمال قلبه اليه فرأى في طريقه ذات يوم حية قد حبست الناس فاخذ حجرا وقال اللهم ان كان هذا الراهب احب اليك من الساحر فاقتلها فقتلها وكان الغلام بعد يبرئ الاكمه والابرص ويشفي من الادواء وعمي جليس للملك فابرأه فسأله الملك عمن ابرأه فقال ربي فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فقده بالمنشار وارسل الغلام الى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف فهلكوا ونجا واجلسه في سفينة ليغرق فدعا فانكفأت السفينة بمن معه فغرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس وتصلبني وتأخذ سهما من كنانتي وتقول بسم الله رب الغلام ثم ترميني به فرماه فوقع في صدغه فمات فآمن الناس فامر باخاديد واوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت امرأة معها صبي فتقاعست فقال الصبي يا اماه اصبري فانك على الحق فاقتحمت

فيه باللام لطول الكلام او في ضرورة الشعر كما في قوله

حلفت لها بالله حلفة فاجر ۞ لناموا وما ان من حديث ولاصالي

ويجب في مثل تقدير قد بعد اللام لان لام الابتداء لا تدخل على الماضي المجرد فمن قال ان قوله تعالى قتل اصحاب الاخدود جواب القسم قال ان اصله لقد قتل اي لقد لعن فحذف كما في قوله تعالى قد افلح من زكاها ثم حذف كلمة قد وقيل في توجيه خلو الجملة عنهما ان الكلام محمول على التقديم والتأخير كأنه قيل قتل اصحاب الاخدود والسماء ذات البروج (قوله والاظهر انه دليل جواب محذوف) جعله اظهر بالنسبة الى كونه جواب القسم بناء على ما اشار اليه من ان السورة وردت لبيان شدة عداوة كفار قريش للمؤمنين واستحقاقهم بذلك لعنة الله تعالى وعظيم سخطه وان ذكر قصة اصحاب الاخدود والتعرض لحديث الجنود وفرعون وثمود المقصود منه تسلية النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه على ايذاء الكفار ببيان ان احوال المؤمنين مع الكفار في جميع الازمنة مستمرة على هذا المنهج وانه تعالى ينتقم من الكفار المعاندين لاوليائه المؤمنين فان ذلك يتضمن وعد المؤمنين ووعيد المشركين فاذا كان كذلك ظهر ان جعل كفار مكة على طرف وتوجيه القسم على تحقيق لعن اصحاب الاخدود لا وجه له ولاسيما ان ذلك يؤدي الى تقدير قد واللام وتقدير الكلام والسماء ذات البروج ان كفار قريش لملعونون لعنا مثل لعن اصحاب الاخدود والقتل لكونه اغلظ العقوبات لا يقع الاعن سخط عظيم يوجب الابعاد عن الخير والرحمة الذي هو اللعن فكان اللعن من لوازم القتل فلذلك عبر به عن اللعن لكونه ابلغ في التصريح باللعن من حيث انه بمنزلة اثبات اللعن بالبينة والاخبار بان اصحاب الاخدود ملعونون لقوة عنادهم ومبالغتهم في ايذاء المؤمنين يدل على ان كفار مكة ايضا ملعونون للاشتراك في العلة وهي الاصرار على الكفر والعناد والمبالغة في ايذاء المؤمنين وسلوك طريق الكناية ابلغ من التصريح وادخل في افادة التسلية (قوله فمال قلبه اليه) وكان الغلام يطيل عنده القعود بسبب ميله اليه فاذا ابطأ عن الساحر ضربه واذا ابطأ عن اهله ضربوه فشكا ذلك الى الراهب فقال يا بني اذا استبطأك الساحر فقل حبسني اهلي واذا استبطأك اهلك فقل حبسني الساحر فبينما هو بالطريق ذات يوم ظهرت حية قد حبست الناس الخ (قوله فاقتلها) اي بان تخلق في قوة ارمي بها هذا الحجر اليها واصيبها به فرماها فقتلها فصار ذلك سببا لاعراض

وعن علي رضي الله تعالى عنه ان بعض ملوك المجوس خطب بالناس وقال ان الله احل نكاح الاخوات فلم يقبلوه فامر باشاديد النار وطرح فيها من ابى وقيل لما تنصر نجران غزاهم ذونواس اليهودي من حمير فاحرق في الاخاديد من لم يرتد (النار) بدل من الاخدود بدل الاشتمال (ذات الوقود) صفة لها بالعظمة وكثرة ما يرتفع به لهبها واللام في الوقود للجنس (اذ هم عليها) على حافة النار (قعود) قاعدون (وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود) يشهد بعضهم لبعض عند الملك بانه لم يقصر فيما امر به او يشهدون على ما يفعلون يوم القيامة حين يشهد عليهم السنتهم وايديهم

الغلام عن السحر والتدين بدين الراهب والاشتغال بعبادة الله تعالى فصار الى حيث يبرئ الاكمه والابرص ويشفي من الادواء وهو جمع داء الى آخر القصة والرجفة الزلزلة ويقال كفأت الاناء اي كببته وقلبته وتقاعست اي تأخرت فكأنها ارتدت وكان لهذه المرأة ثلاثة اولاد احدهم رضيع فقال لها الملك ارجعي عن دينك والا ألقيتك واولادك في النار فأبت فأخذ ابنها الاول فالقاه في النار ثم قال لها ارجعي عن دينك فابت فالقى الثاني ثم قال لها ارجعي فابت فاخذ الصبي منها ليلقيه في النار فهمت بالرجوع فقال الصبي يااماه لاترجعي عن الاسلام فانك على الحق ولابأس عليك فألقي الصبي في النار والقيت امه على اثره عن عكرمة قال تكلم في المهد اربعة عيسى ويحيى وصاحب جريج وصاحب الاخدود وقال عطاء خمسة هؤلاء وابن ماشطة بنت فرعون وقال الضحاك ستة هؤلاء وشاهد يوسف عليه الصلاة السلام (قوله وعن علي رضي الله تعالى عنه) عن سعيد بن جبير رضي الله تعالى عنه انه قال اختلف في احكام المجوس فقال عمر رضي الله تعالى عنه ماهم بيهود ولا نصارى ولا لهم كتاب وقال علي رضي الله تعالى عنه قد كان لهم كتاب وحرم عليهم في كتابهم الاخوات والبنات وكانت الخمر قد احلت لهم فتنا ولها ملك من ملوكهم فغلبت على عقله فوقع على ابنته وعلى اخته فلما ذهب عنه السكر ندم وقال لهما ويحكما ماهذا الذي اتيت وما المخرج منه قالتا المخرج منه ان تخطب الناس وتقول ان الله قد احل نكاح الاخوات والبنات فقام خطيبا فقال ان الله قد احل نكاح الاخوات والبنات فقال له الجماعة معاذ الله ان نؤمن بهذا او نقربه ماجاءنا به رسول ولا انزل علينا كتاب فبسط فيهم السوط فابوا ان يقروا به فجرد عليهم السيف فابوا ان يقروا فخد لهم اخدودا واوقد فيه النيران وعرضهم عليها فمن ابى قذفه في النار ومن اجاب خلى سبيله (قوله وقيل لما تنصر نجران) اي اهل نجران اليمن روى انه وصل الى نجران رجل ممن كان على دين عيسى عليه الصلاة والسلام فدعاهم الى التنصر فاجابوه فسار اليهم ذونواس اليهودي بجنوده من حمير فخيرهم بين النار واليهودية فأبوا فاحرق منهم اثنى عشر الفا في الاخاديد وقيل سبعين الفا فان قيل تعارض هذه الروايات يدل على كذبها اجيب بانه لا تعارض لما روى عن مقاتل انه قال كانت الاخاديد ثلاثة واحد بنجران اليمن وآخر بالشام والثالث بالعراق (قوله صفة لها بالعظمة وكثرة ما يرتفع به لهبها) حطبا كان او غيره فان الوقود بالفتح وان شاع في الحطب الا انه يطلق على مطلق ماتتقد به النار اي شئ كان قال تعالى وقودها الناس والحجارة فالمقصود من توصيف النار بكونها

ذات الوقود تعظيم شأنها بالدلالة على كثرة مايكون سببا لاتقادها واشتعالها ولو لم يقصد به هذا المعنى لما بقى للتوصيف فائدة فانه من الظاهر المكشوف ان النار لاتخلو عن الوقود وكلمة اذ فى قوله تعالى اذ هم عليها قعود ظرف لقتل والمعنى لعنوا وقت كونهم قاعدين على حافة النار لالقاء المؤمنين فيها وحافة الشئ جانبه والظاهر ان المراد باصحاب الاخدود الجبابرة الذين يقعدون على شفير النار ويخيرون المؤمنين بين الارتداد وبين الوقوع فى النار فمن ترك الاسلام تركوه ومن كان يصبر عليه القوه فى النار وان ضميرهم فى قوله اذهم لهؤلاء الجبابرة وقعود جمع قاعد وعبر عن القعود على حافة النار وشفيرها بالقعود على نفس النار للدلالة على انهم حال قعودهم على شفيرها مستولون عليها يقذفون فيها من شاؤا ويخلون سبيل من شاؤا (قوله وماانكروا) يقال نقم الامر اذا عابه وكرهه اى وماعابوا منهم وما انكروا الا ايمانهم وانما قال الا ان يؤمنوا بلفظ المستقبل مع ان الايمان وجد منهم فى الماضى لدوامهم عليه فى الآتى حتى لو كفروا فى المستقبل لما عذبوهم على ما مضى فكأنه قيل الا ان يستمروا على ايمانهم (قوله استثناء على طريقة قوله ولاعيب فيهم) فان كل واحد منهما من قبيل تأكيد المدح بما يشبه الذم فان كون سيوف الشجعان مشتملة على كسور فى حدها من مصادمة الجيوش من اعز المحامد واجل المفاخر فكذا الايمان بالله تعالى اشرف جميع فضائل المكلفين ولغاية غوايتهم عدوه قبيحا وعابوهم به والمقصود من الآية بيان ان اصحاب الاخدود يستحقون لعنة الله تعالى وسخطه وذلك ان من اتصف بكونه عزيزا غالبا قادرا يخشى عقابه وحميدا اى محمودا لجميع المخلوقات بلسان المقال او بلسان الحال فان كل ذرة من ذرات الكائنات يثنى على صانعه بكمال العلم والقدرة والحكمة ويحمده على ما انعم به عليه من نعمة الايجاد وما يتفرع عليها من سائر النعم وبكونه بحيث ثبت له ملك السموات والارض بحيث لايشاركه احد فى تصرف شئ منهما يستحق ان يؤمن ويصدق بانه رب العالمين ويخص بالعبادة فالجاهل الذى نقم الايمان به وتخصيصه بالعبادة يكون فى نهاية الغواية ويستحق اللعن والسخط العظيم واخر ذكر اختصاصه تعالى بالملك التام عن كونه تعالى عزيزا حميدا لان الصفة الاولى دالة على كمال القدرة والثانية دالة على كمال العلم ولاشك ان اختصاصه بالملك التام بحيث يكون موجدا لجميع الكائنات ويكون ابقاؤها موجودة وافناؤها مفوضا الى محض مشيئته انما يكون عند حصول الكمال فى القدرة والعلم وقوله تعالى على كل شئ شهيد وعيد لهم لان من لايخفى عليه شئ يجازى كل احد على وفق عمله فهو وعد عظيم للمطيعين

(وما نقموا) وماانكروا (منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد) استثناء على طريقة قوله ☼ ولاعيب فيهم غير ان سيوفهم ☼ بهن فلول من قراع الكتائب ☼ ووصفه بكونه عزيزا غالبا يخشى عقابه حميدا منعما يرجى ثوابه وقرن ذلك بقوله (الذى له ملك السموات والارض والله على كل شئ شهيد) للاشعار بما يستحق ان يؤمن به ويعبد

(ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات) بلوهم بالاذى (ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم) بكفرهم (ولهم عذاب الحريق) العذاب الزائد في الاحراق بفتنتهم وقيل المراد بالذين فتنوا اصحاب الاخدود خاصة و بعذاب الحريق ماروى النار انقلبت عليهم فاحرقتهم (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجرى من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير) اذ الدنيا ومافيها تصغر دونه (ان بطش ربك لشديد) مضاعف عنفه فان البطش اخذ بعنف (انه هو يبدئ ويعيد) يبدئ الخلق و يعيده او يبدئ البطش بالكفرة في الدنيا و يعيده في الآخرة (وهو الغفور) لمن تاب

ووعيد شديد للمجرمين ثم انه تعالى لما ذكر قصة اصحاب الاخدود وما فعلوا بالمؤمنين اذهم عليها قعود اتبعها بذكر عقاب من آذى المؤمنين و بذكر ثواب اهل الايمان والطاعة (قوله بلوهم بالاذى) اشارة الى ان اصل الفتنة الابتلاء والامتحان وذلك قد يكون بالسراء وقد يكون بالاذى والمراد بها في الآية الابتلاء بالاذى بقرينة المقام فان اولئك الكفار امتحنوا المؤمنين بعرضهم على النار واحراقهم بها والى ان المراد بالذين فتنوا المؤمنين كل من فعل ذلك من اصحاب الاخدود وغيرهم لان كل واحد من اللفظ والحكم عام فالتخصيص ترك للظاهر من غير دليل وقال بعض المفسرين الفتنة هي الاحراق لقوله ثم بالنار يفتنون (قوله العذاب الزائد في الاحراق) يعني ان الفاتنين يعذبون في الآخرة بنوعين من عذاب الاحراق الاول جزاء كفرهم والثاني جزاء فتنتهم وايذائهم المؤمنين والحريق اسم كالحرقة بمعنى الاحتراق وفي الصحاح تحرق الشئ بالنار واحترق والاسم الحرقة والحريق والنوع الثاني وان كان من قبيل عذاب الاحراق بالنار الا انه خص باسم الحريق للدلالة على انه عذاب زائد على النوع الاول من العذاب من حيث ان كل واحد منهما وان كان عذابا عظيما في نفسه الا ان الثاني لما اجتمع مع الاول قوى واشتد وصار كأنه هو عذاب الحريق وان الاول ليس بالنسبة اليه بعذاب الحريق (قوله وقيل المراد الخ) عطف من حيث المعنى على قوله بلوهم بالاذى فانه قد فهم منه ان قوله الذين فتنوا يتناول اصحاب الاخدود وغيرهم وان المراد بالمؤمنين المؤمنون المفتونون مطلقا وان المراد بفتنة المؤمنين ايذاؤهم مطلقا وان المراد بعذاب الحريق عذاب الآخرة وعطف عليه ماقيل من ان المراد بالذين فتنوا اصحاب الاخدود والمعنى فلهم عذاب جهنم في الآخرة ولهم عذاب الحريق بنار الاخدود في الدنيا فانه روى انهم لما القوا المؤمنين في النار ارتفعت من الاخدود الى الملك واتباعه نار فاحرقتهم فاهلكوا بنفس مافعلوه بايديهم لاجل هلاك غيرهم ونجى الله تعالى المؤمنين الذين القوا في النار بقبض ارواحهم قبل ان تمسهم النار فيكون قوله تعالى قتل اصحاب الاخدود دالا على انهم كانوا ملعونين في تلك الحالة وانهم خسروا الدنيا والآخرة ثم انه تعالى ذكر ما اعده للمؤمنين فقال ان الذين آمنوا الآية قال الامام انما قال ذلك الفوز ولم يقل تلك لدقيقة لطيفة وهي ان قوله ذلك اشارة الى اخبار الله تعالى بحصول هذه الجنات لهم وقوله تلك اشارة الى الجنات واخبار الله تعالى بذلك يدل على كونه راضيا عنهم والفوز الكبير هو رضى الله تعالى لاخصوص الجنة ثم انه تعالى لما ذكر وعيد المجرمين ووعد المؤمنين اكد كل واحد منهما فقال لتأكيد الوعيد ان بطش ربك لشديد والبطش هو الاخذ

يضعف فاذا وصف بالشدة فقد تضاعف عنفه ثم استدل على شدة بطشه بذكر اقتداره على الابداء والاعادة بحيث لايقدر عليهما غيره فقال انه هو يبدئ ويعيد ويجوز ان يكون المقصود المبالغة في الوعيد لبيان ان بطشه لايختص بالدنيا ولابالآخرة بل ان شاء بطش فيها وان شاء يمهل العاصي ويؤخر امر المجازاة الى يوم القيامة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال ان اهل جهنم تأكلهم النار حتى يصيروا فحما ثم يعيدهم خلقا جديدا فذلك هو المراد بقوله تعالى انه هو يبدئ ويعيد ثم قال لتأكيد الوعد وهو الغفور الودود وذكر من صفات جلاله وكبريائه خمس صفات اولها الغفور قال الامام حكاية عن المعتزلة انهم قالوا هو الغفور لمن تاب وقال اصحابنا انه غفور مطلقا لمن تاب ولمن لم يتب لقوله تعالى ان الله لايغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ولان الآية مذكورة في معرض التمدح والتمدح بكونه غفورا مطلقا اتم واكمل فالحمل عليه اولى انتهى كلامه ولان الغفور صيغة مبالغة فالمناسب ان تحمل على الاطلاق قال الامام الغزالي الفعال ينبئ عن كثرة الفعل والفعول ينبئ عن جودته وكماله وشموله فهو تعالى غفور بمعنى انه تام الغفران كامله حتى يبلغ اقصى درجات المغفرة انتهى كلامه ولاشك ان الغافرية مطلقا اجود واكمل واشمل فحمل صيغة المبالغة عليها اولى لاسيما في مقام التمدح فقول المصنف الغفور لمن تاب ينبغي ان يكون المراد به لمن تاب عن الكفر (قوله المحب لمن اطاع) على ان الودود فعول بمعنى فاعل والمحبة في حقه تعالى يراد بها ارادة الكرامة والاحسان والانعام لمن اطاعه وهي صفة مدح له تعالى لانه لايجب عليه شئ وانما هو مجرد فضل منه واحسان وقيل يجوز ان يكون الودود فعولا بمعنى مفعول نحو ركوب وحلوب ومعناه ان عباده الصالحين يودونه لما عرفوه من فضله وجلالة ذاته ولما اتسع عليهم من فنون بره واحسانه والودود بهذا المعنى ايضا صفة مدح له تعالى لانهم انما يحبونه لفضله وافضاله (قوله وقيل المراد بالعرش الملك) فانهم يكنون بالعرش عن الملك لكونه من لوازم الملك يقال استوى فلان على العرش وان لم يجلس عليه وثل عرش فلان اذا ذهب سلطانه (قوله لايمتنع عليه مراد من افعاله وافعال غيره) فهذه الآية من جملة مااستدل به الاشاعرة في مسألة خلق الافعال قالوا للمعتزلة انكم تقولون انه تعالى يريد الايمان والطاعة من كل مكلف فيجب ان يكون فاعلا لهما بمقتضى هذه الآية واذا كان فاعلا لهما وجب ان يكون فاعلا للكفر والمعصية ايضا اذ لاقائل بالفصل روى انه دخل على ابي بكر قوم يعودونه فقالوا ياخليفة رسول الله الا ندعولك طبيبا ينظر اليك قال قد نظر الي قالوا

(الودود) المحب لمن اطاع (ذو العرش) خالقه وقيل المراد بالعرش الملك وقرئ ذي العرش صفة لربك (المجيد) العظيم في ذاته وصفاته فانه واجب الوجود تام القدرة والحكمة وجره حمزة والكسائي صفة لربك او للعرش ومجده علوه وعظمته (فعال لما يريد) لايمتنع عليه مراد من افعاله وافعال غيره

فأى شئ قال قلت قال قال انى فعال لما اريد ثم انه تعالى لما ذكر قصة اصحاب الاخدود واوعد بذكرها كفار قريش تسلية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولمن تأذى من المؤمنين من قبل المشركين ردف التسلية والايعاد بقوله هل اتاك حديث الجنود اى قد اتاك يا محمد خبر الجموع الكافرة المكذبة لانبيائهم ثم بينهم بقوله فرعون وثمود (قوله ابدلهما من الجنود) جواب عما يقال كيف ابدل فرعون من الجنود والبدل يجب ان يطابق المبدل منه فى الجمعية واجاب عنه بان المراد فرعون وقومه واستغنى بذكره عن ذكر قومه لكونهم اتباعه فيكون ذكره فى حكم ذكر الجميع (قوله لايرعوون) اى لايمتنعون عن التكذيب يقال ارعوى يرعوى اى كف ومنع وارعوى عن القبيح اى امتنع (قوله وكذبوا اشد من تكذيبهم) على ان تنكير قوله فى تكذيب التهويل والتعظيم ثم انه تعالى سلاهم بوجه آخر حيث بين اقتداره على المكذبين وانهم فى قبضته وحوزته كالشئ الذى احيط به من ورائه فسد عليه مسلكه فلا يجد مهربا فقوله والله من ورائهم محيط من باب التشبيه البليغ اى كأنه محيط بهم فى انهم لايفوتونه كما لايفوت المحاط المحيط ثم زاد فى التعجب من حالهم فقال بل هو قرءآن مجيد ومعنى الاضراب عنه ان ما كذبوا به ليس مثل ما كذب به الجنود بل هذا الذى كذبوا به قرءآن معجز بنظمه مجيد شريف عالى الطبقة من بين الكتب وحيد فى نظمه واعجازه (قوله وقرأ نافع محفوظ بالرفع على انه صفة القرءآن) فالتقدير بل هو قرءآن مجيد محفوظ فى لوح واللوح بالفتح الذى يكتب فيه وبالضم الهواء بين السماء والارض كذا فى الصحاح ومن قرأ بالضم فسره بما فوق السماء السابعة الذى فيه اللوح قال تعالى ههنا فى لوح محفوظ وقال فى آية اخرى انه لقرءآن كريم فى كتاب مكنون فيحتمل ان يكون الكتاب المكنون واللوح المحفوظ واحدا وهو محفوظ عند الله تعالى وهو ام الكتاب منه نسخ القرءآن وسائر الكتب ثم كونه محفوظا يحتمل ان يكون المراد به كونه محفوظا من التغيير والتبديل ويحتمل ان يكون المراد به كونه محفوظا من اطلاع الخلق عليه سوى الملائكة المقربين روى انه تعالى خلق اللوح المحفوظ من درة بيضاء دفتاه ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور طوله ما بين السماء والارض وعرضه ما بين المشرق والمغرب وفى صدر اللوح لا اله الا الله دينه الاسلام ومحمد عبده ورسوله فمن آمن بالله عز وجل وصدق بوعده واتبع رسله ادخله الله الجنة وقيل اللوح المحفوظ هو صدر العبد المؤمن وقيل اللوح شئ يلوح للملائكة فيقرأونه ولما كانت الاخبار والآثار واردة بذلك وجب التصديق به وعلم كيفيته عند الله تعالى تمت سورة البروج والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

حديث الجنود فرعون وثمود) ابدلهما من الجنود لان المراد بفرعون هو وقومه والمعنى قد عرفت تكذيبهم للرسل وما حاق بهم فتسل واصبر على تكذيب قومك وحذرهم مثل ما اصابهم (بل الذين كفروا فى تكذيب) لايرعوون عنه ومعنى الاضراب ان حالهم اعجب من حال هؤلاء فانهم سمعوا قصتهم ورأوا آثار هلاكهم وكذبوا اشد من تكذيبهم (والله من ورائهم محيط) لا يفوتونه كما لايفوت المحاط المحيط (بل هو قرءآن مجيد) بل هذا الذى كذبوا به كتاب شريف وحيد فى النظم والمعنى وقرئ قرءآن مجيد بالاضافة اى قرءآن رب مجيد (فى لوح محفوظ) من التحريف وقرأ نافع محفوظ بالرفع على انه صفة للقرءآن وقرئ فى لوح وهو الهواء يعنى ما فوق السماء السابعة الذى فيه اللوح * عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة البروج اعطاه الله بعدد كل يوم جمعة وعرفة يكون فى الدنيا عشر حسنات

(سورة)

(سورة الطارق مكية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(قوله والسماء والطارق) اعلم انه تعالى اكثر فى كتابه الكريم ذكر السماء والشمس والقمر لان احوالها فى اشكالها وسيرها ومطالعها ومغاربها وكثرة منافعها عجيبة ثم ان الله تعالى لما عطف الطارق على السماء ولا يعرف المراد منه بدون التفسير والبيان قال وما ادراك ما الطارق توطئة لبيان المراد منه وتفخيما لشأنه واعلاء لقدره ثم بينه بالنجم المضئ الذى يطرق اى يبدو بالليل ويخفى بالنهار فان ذكر الشئ مجملا ثم تفصيله وتبيينه ينبئ عن فخامة شانه واختلفوا فى ان تعريف النجم للاستغراق اوللعهد الخارجى فقال بعضهم انه للاستغراق كما فى قوله تعالى ان الانسان لفى خسر وقال آخرون انه نجم بعينه ثم قال ابو زيد انه ثريا وقال الفراء انه زحل لانه يثقب بنوره سمك السموات السبع وقال آخرون انها الشهب التى ترجم بها الشياطين لقوله تعالى فأتبعه شهاب ثاقب اى نافذ اومضئ يقال ثقبه يثقبه ثقبا اى جعل فيه منفذا ومسلكا ونفذ فيه وثقبت النار تثقب ثقوبا اى اتقدت واشتعلت ويقال لصاحب النار اثقب نارك اى اشعلها حتى تضئ وثقب النجم اى اضاء وشهاب ثاقب اى مضئ فلعل المعنى الاصلى للثاقب الذى فتح المنفذ واطلاقه على المضئ لوجود معنى فتح المنفذ فيه من حيث انه يثقب الظلام او الافلاك واطلاقه على من يوقد النار لكونه سببا لحدوث الضوء الثاقب (قوله وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما) اى بالتشديد بمعنى الا والباقون بتخفيفها واختار المصنف قراءة التخفيف فكلمة ان على هذه القراءة مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن واللام فى لما هى الفارقة بين المخففة والنافية وما صلة كما فى قوله تعالى فبما رحمة من الله وان المخففة مع ما فى حيزها جواب القسم اى اقسم ان الشان كل نفس لعليها حافظ ومن قرأ لما بالتشديد جعل ان نافية وجعل لما فى معنى الا والجملة ايضا جواب القسم اى اقسم ما كل نفس الا عليها حافظ يحفظ عملها ورزقها واجلها واذا استوفت جميع ذلك قبضها الى ربها فعلى هذا الحافظ هو الملك الموكل بالانسان كما قال تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال وكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب ولو وكل العبد الى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين والظاهر ان المراد بالحافظ هو الله تعالى كما قال الله تعالى وكان الله على كل شئ رقيبا فان الممكنات كما تحتاج الى الواجب لذاته فى ترجح وجودها على عدمها تحتاج اليه فى بقائها ايضا فهو تعالى هو القيوم الذى يحفظه وابقائه

(سورة الطارق مكية وآيها سبع عشرة) (بسم الله الرحمن الرحيم) (والسماء والطارق) والكوكب البادى بالليل وهو فى الاصل لسالك الطريق واختص عرفا بالآتى ليلا ثم استعمل للبادى فيه وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب) المضئ كأنه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه او الافلاك والمراد الجنس اومعهود بالثقب وهو زحل عبر عنه اولا بوصف عام ثم فسره بما يخصه تفخيما لشأنه (ان كل نفس لما عليها) اى ان الشأن كل نفس لعليها (حافظ) رقيب فان هى المخففة واللام الفاصلة وما مزيدة وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما على انها بمعنى الا وان نافية والجملة على الوجهين جواب القسم

تليق الكائنات كما قال ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا فكانه تعالى اقسم على ان كل ماسواه ممكن محدث محتاج فى اصل وجوده وبقائه الى حافظ يوجده ويبقيه ويوصله الى الكمال اللائق به وتربيته بان يخلق له ماينتفع به ويدفع عنه مايضره وعدى الحفظ بعلى فى قوله تعالى عليها حافظ لتضمنه معنى القيام فانه تعالى قائم على خلقه بعلمه واطلاعه على احوالهم واستيلائه وقدرته عليها والتصرف فيها حسبما يشاء (قوله لما ذكر ان كل نفس عليها حافظ) اشارة الى وجه ترتيب هذه الآية على ماقبلها وذلك لان اجمال ماقبلها متضمن لمعنى قولنا ان الانسان ماترك سدى بل له حافظ مطلع على اعماله وارزاقه وآجاله واذا استوفى جميع ماقدرله من ذلك يقبضه اليه فى البرزخ مدة ثم يبعثه ويحاسبه ويجازيه على حسب اعماله لكمال قدرته وحكمته واحاطة علمه بالكليات والجزئيات فان حفظ الاعمال ينبئ عن ذلك ولما كان ماقبلها متضمنا لهذه المعانى وكانت هذه المعانى سببا لتوصية الانسان بالنظر فى مبدئه ليعرف كمال قدرة المهيمن عليه وسائر صفات كماله ويستدل به على صحة البعث والجزاء ويجتهد فى ان لايكتب عليه حافظ اعماله سوى مايفرح به يوم العرض والجزاء ظهر بهذا التقرير ان ماذهب اليه شرف الدين الطيبى من ان الفاء فى قوله تعالى فلينظر الانسان فاء فصيحة تفصح عن ابتناء الكلام على الحذف والتقدير غير موجه اذلاحاجة فى ارتباط الكلام واستقامته الى ارتكاب الحذف لكفاية المذكور قبله فى كونه سببا للتوصية من غير ارتكاب الحذف (قوله بمعنى ذى دفق) فان الدافق عند البصريين بمعنى ذى دفق كلابن وتامر وعند الكوفيين بمعنى مدفوق كسر كاتم وعيشة راضية بمعنى مكتوم ومرضية (قوله والمراد الممتزج من الماءين) يعنى قيل خلق من ماء بتنوين الوحدة مع ان الولد انما يخلق من ماءين ماء الرجل الذى يخرج من صلبه وماء المرأة الذى يخرج من ترائبها وهى عظام صدرها حيث تكون القلادة وكل عظم منها تريبة بناء على ان الولد انما يتكون بعد اجتماع ذينك الماءين فى الرحم وامتزاجهما وصيرورتهما شيئا واحدا فلذلك قيل من ماء واحد ولم يقل من ماءين وذلك المجموع الممتزج يصدق عليه انه خارج من بينهما (قوله ولو صح ان النطفة تتولد الخ) جواب عما طعن به بعض الملاحدة فى هذه الآية فقال ان كان المراد من قوله تعالى يخرج من بين الصلب والترائب ان المنى انما ينفصل من ذينك الموضعين فليس الامر كذلك لانه انما يتولد من فضلة الهضم الرابع وينفصل عن جميع اجزاء البدن حتى يأخذ من كل عضو طبيعة وخاصية فيصير مستعدا لان تتولد منه تلك الاعضاء ولذلك ترى المفرط فى الجماع

الانسان ثم (...) لما ذكر ان كل نفس عليها حافظ اتبعه توصية الانسان بالنظر الى مبدئه ليعلم صحة اعادته فلا يملى على حافظه الا مايسره فى عاقبته (خلق من ماء دافق) جواب الاستفهام وماء دافق بمعنى ذى دفق وهو صب فيه دفع والمراد الممتزج من الماءين فى الرحم لقوله (يخرج من بين الصلب والترائب) بين صلب الرجل وترائب المرأة وهى عظام صدرها ولو صح ان النطفة تتولد من فضل الهضم الرابع وتنفصل من جميع الاعضاء حتى تستعد لان يتولد منها مثل تلك الاعضاء ومقرها عروق ملتف بعضها بالبعض عند البيضتين فالدماغ اعظم الاعضاء معونة فى توليدها ولذلك تشبهه ويسرع الافراط فى الجماع بالضعف فيه وله خليفة وهى النخاع وهو فى الصلب وشعب كثيرة نازلة الى الترائب وهما اقرب الى اوعية المنى فلذلك خصا بالذكر وقرئ الصلب بفتحتين والصلب بضمتين وفيه لغة رابعة وهى صالب

(انه على رجعه لقادر) الضمير للخالق و يدل عليه خلق (يوم تبلى السرائر) تتعرف وتميز بين ما طاب من الضمائر و ما خفى من الاعمال و ما خبث منها

يستولى الضعف على جميع الاعضاء وان كان المراد ان معظم اجزاء المنى يتولد هنـاك فهو ضعيف بل معظم اجزائه انما يتربى و يتولد فى الدماغ والدليل عليه ان المنى يشبه الدماغ فى صورته ولان المكثر من الجماع يظهر الضعف اولا فى عينيه وان كان المراد ان مستقر المنى هنـاك فضعيف ايضا لان مستقره هو اوعية المنى وهى عروق يلتف بعضها ببعض عند البيضتين وان كان المراد ان مخرج المنى هو الصلب والترائب فليس كذلك بل مخرجه هو الاحليل كذا نقل الامام شبهتهم ثم اجاب عنهـا بقوله لا شك ان معظم الاعضـاء معونة فى توليد المنى هو الدماغ وللدماغ خليفة وهى النخـاع وهو فى الصلب وله شعب كثيرة نازلة الى مقدم البدن وهى التريبة فلهذا السبب خص الله تعالى هذين العضوين بالذكر على ان كلامهم فى كيفية تولد الاعضاء من المنى كلام بمحض الوهم والظن الضعيف وكلام الله تعـالى اولى بالقبول انتهى كلامه والحـاصل ان الملاحدة خفى عليهم وجه قوله تعـالى يخرج من بين الصلب والترائب بناء على زعمهم ان المنى ينفصل عن جميع اجزاء البدن فيأخذ من كل عضو طبيعة وخاصية فيستعد لأن يتولد منه مثل تلك الاعضاء فأشار المصنف اولا الى منع زعمهم بانه محض وهم وظن ضعيف والله تعالى اصدق القـائلين واعلم باحوال ما خلقه على اى وجه يتولد ومن اى موضع يخرج فكلامه المجيد هو المعول عليه واجاب ثانيا بانا لو سلمنا صحة ما زعموه نقول وجه تخصيص الصلب والترائب الذين يتصل بهما معظم ما يتولد منه المنى المستقر فى الاوعية كونهما اقرب الى تلك الاوعية ولذا خصا بالذكر وجعلا مخرجا له وان كان معظم المخرج هو الدماغ والنخاع ولا ضرورة الى تخصيص الترائب بالنسـاء فانه قد ذهب قوم الى ان الولد مخلوق من الماء الذى يخرج من بين الصلب والترائب للرجل واحتج على ما ذهب اليه بان الله تعالى بين ان الانسـان مخلوق من ماء دافق وان الموصوف بذلك الوصف هو ماء الرجل ثم انه تعالى وصف ذلك المـاء الدافق بانه يخرج من بين الصلب والترائب فدل ذلك على ان الترائب ترائب الرجل وعدم التعرض لماء المرأة لاينافى ان يكون لمائها مدخل فى تكون الولد واجاب القائلون بالترائب ترائب المرأة عن هذا الاحتجـاج بان توصف هذا المـاء الممتزج بالدافق من قبيل توصيف المجموع بوصف بعض اجزائه (قوله والضمير) اى ضمير انه للخالق اى ان من خلقه من مثل ذلك الشئ الحقير لقادر على رجعه واعادته حيا بعد موته وقوله على رجعه متعلق بقادر فان قيل ما وجه الحصر المستفاد من تقديم الجار والمجرور الذى هو قوله على رجعه على عامله الذى هو لقادر مع انه تعالى قادر على كل شئ قلنا التقديم قد لا يكون

وهو ظرف لرجعه (فماله) لما للانسان (من قوة) من منعة في نفسه يمتنع بها (ولا ناصر) يمنعه (والسماء ذات الرجع) ترجع في كل دورة الى الموضع الذى تحرك منه وقيل الرجع المطر سمي به كما سمى اوبا لان الله تعالى يرجعه وقتا فوقتا اولما قيل من ان السحاب يحمل الماء من البحار ثم يرجعه الى الارض وعلى هذا يجوز ان يراد بالسماء السحاب (والارض ذات الصدع) ما تتصدع عنه الارض من النبات او الشق بالنبات والعيون (انه) ان القرآن (لقول فصل) فاصل بين الحق والباطل (وماهو بالهزل) فانه جد كله

الحصر بل قد يكون لمجرد الاهتمام والتبرك والاستلذاذ ونحو ذلك وقدم ههنا للاهتمام بالعلم فان الكلام فيه بخصوصه بناء على الامر بالنظر في مبدأ خلقه انما هو لكونه وسيلة ومؤديا الى العلم بصحة الرجع والاعادة والسرائر جمع سريرة بمعنى السر وهو مايكتم و يخفى والمراد بها في الآية ماأسر في القلوب من العقائد والنيات وما اخفي من الاعمال ❁ والابلاء والابتلاء الاختبار الجوهري بلوته بلو اجر بته واختبرته و بلاه الله بلاء وابتلاء ابتلاء اي اختبره واطلاق الابتلاء على الكشف والتمييز من قبيل اطلاق اسم السبب على المسبب لان الاختبار يكون للتعريف والتمييز وابتلاء الله تعالى عباده بالامر والنهي يكون لكشف ماعلم منهم في الازل (قوله وهو ظرف لرجعه) قيل عليه لايجوز ان ينتصب به للفصل بين المصدر و معموله بأجنبي وهو خبر ان اعني لقادر ولا ينتصب ايضا بقوله لقادر لانه تعالى قادر في كل الاوقات لايختص قدرته بوقت دون وقت الا ان يراد انه منتصب بمضمر دل عليه رجعه اى يبعثه يوم تبلى السرائر واجيب بان الفصل غير مانع من كونه ظرفا لرجعه لانه مؤخر تقديرا وانما قدم مراعاة للفاصلة على ان الظرف يتسع فيه مالايتسع في غيره (قوله في نفسه) مستفاد من عطف قوله ولاناصر على قوة فانه يدل على ان المراد بالقوة المنفية القوة الثابتة له في نفسه لاالقوة مطلقا والالمابقي للعطف فائدة لان القوة المستفادة من الغير قوة ايضا وقد نفيت اولا والمعنى اذا رجع الانسان في ذلك اليوم فحينئذ لايكون له شئ من القوة يدفع بها عن نفسه ماحل به من العذاب ولاناصر ينصره في دفعه ولا شك انه يرجع معناه الى التحذير عما يؤدي اليه (قوله سمي به كما سمى او بالان الله يرجعه) اى يرجع نوعه بانزال مثل الاول سمى المطر بمصدر رجع وآب بمعنى ذى رجوع وأوب اولانه لكثرة رجوعه وأوبه جعل نفس الرجوع والاوب مبالغة اولان الرجع بمعنى الراجع فان المطر النازل من السماء هو الذى صعد من البحار بان حمله السحاب منها ثم رجع الى جانب الارض ورجع يستعمل لازما ومتعديا يقال رجع هو بنفسه و رجعه غيره قال تعالى فرجعناك الى امك وهذيل تقول ارجعه غيره (قوله من النبات) بيان مافي قوله ما تتصدع عنه الارض فعلى هذا يكون المراد بالصدع نبات الارض سمى به لكونه صادعا للارض والارض تتصدع به ولما لم يتأت خروجه من الارض الابصدعه اياها جعل كأنه نفس الصدع فسمي به (قوله او الشق) عطف على قوله ما تتصدع فان الصدع في اللغة الشق والارض ذات الشق بالنبات والعيون فعلى هذا يكون الصدع على اصل معناه الا ان الصدع بهذا المعنى لما لم يكن نعمة في نفسه بل وسيلة الى خروج ماهو نعمة في نفسه وهو النبات

والعيون اخره في الذكر لفوات الملاءمة بين هذه القرينة و بين قوله والسماء ذات الرجع حينئذ لان الرجع باي معنى كان نعمة في نفسه ثم انه تعالى لما اقسم في اول هذه السورة الكريمة على ان من آذى المؤمنين ملعونون وسلى رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين وثبتهم على اذى المشركين وصبرهم عليه و بين عقاب الكافرين وثواب المؤمنين اقسم قسما آخر بقوله والسماء ذات الرجع على ان القرآن الذي بين هذه الامور لقول فصل يفصل بين الحق والباطل واشار الى كيفية خلقة النباتات في هذا القسم كما اشار فيما قبل الى كيفية خلقة الحيوان فان السماء ذات الرجع كالاب والارض ذات الصدع كالام يتولد من اجتماعهما انواع النباتات ثم انه تعالى بعد ما اخبر بحقية القرآن واقسم عليه بين انهم يكيدون كيدا في ابطاله بالقاء الشبهات لابطال بعض ما اخبر به القرآن كقولهم ان هي الاحياتنا الدنيا وقولهم من يحيي العظام وهي رميم وقولهم أجعل الآلهة الها واحدا وقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين وقولهم فهي تملى عليه بكرة واصيلا و بالطعن في مبلغه بقولهم ساحر وشاعر ومجنون و بقصد قتله عليه الصلاة والسلام كما قال تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك وتسمية ما كان من قبله تعالى في حق المشركين من استدراجهم والانتقام منهم من حيث لا يحتسبون كيدا من باب المشاكلة لوقوعه في مقابلة كيدهم وجزاء له كما اشار اليه المصنف بقوله واقابلهم بكيدي وذلك لان الكيد وهو المكر والاحتيال لا يجوز اسناده اليه تعالى مرادا به معناه الحقيقي وتسمية جزاء ذلك الشيء باسم ذلك الشيء على سبيل المشاكلة كثير في القرآن كقوله نسوا الله فنسيهم و يخادعون الله وهو خادعهم والله يستهزئ بهم بعدما حكى عنهم قولهم انما نحن مستهزؤن (قوله امهالا يسيرا) اشارة الى ان رويدا ههنا صفة مصدر محذوف لاسم فعل لانه لو كان كذلك لكان المعنى فمهل الكافرين امهلهم اروده فيكون الامر بالامهال تكرر ثلاث مرات فان مهل وامهل وارود بمعنى واحد وفائدة التأكيد قد حصلت بالثاني فيبقى الثالث بلا فائدة واما اذا كان صفة مصدر محذوف فانه حينئذ يكون تصغير رود بضم الراء وهو المهل و يكون التصغير للتقليل (قوله والتكرير) اي تكرير الامر بالامهال حيث قيل امهلهم بعد قوله مهل لزيادة التسكين والتصبير وكذا تغيير البنية حيث بني احد لفظي الامر من باب التفعيل والآخر من باب الافعال فانه ايضا لزيادة التسكين لان الواحد اذا عبر عنه بعبارتين مختلفتين يرى كانهما معنيان مختلفان يتعلق بكل واحد منهما قصد على حدة واعلم ان رويدا في كلام العرب يستعمل على ثلاثة اوجه احدها

(انهم) يعني اهل مكة (يكيدون كيدا) في ابطاله واطفاء نوره (واكيد كيدا) واقابلهم بكيدي في استدراجي لهم وانتقامي منهم بحيث لا يحتسبون (فمهل الكافرين) فلا تشتغل بالانتقام منهم او لا تستعجل باهلاكهم (امهلهم رويدا) امهالا يسيرا والتكرير و تغيير البنية لزيادة التسكين * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطارق اعطاه الله بعدد كل نجم في السماء عشر حسنات)

ان يكون اسما لفعل الامر فيعمل عمل الافعال يقال رو يدا زيدا اى ارود زيدا وامهله ولا يتصرف فيه على هذا الوجه لانه حينئذ يكون من الاسماء الغير المتمكنة والثانى ان يكون بمنزلة سائر المصادر فيضاف الى مابعده كما تضاف المصادر تقول رو يد زيد كما تقول ضرب زيد قال تعالى فضرب الرقاب والثالث ان يكون نعتا منصوبا كقولك ساروا سيرا رو يدا و يقولون ايضا ساروا رو يدا يحذفون المنعوت و يقيمون رو يدا مقامه وما فى الآية من هذا القبيل والله اعلم ❁ تمت سورة الطارق (سورة الاعلى مكية)

❁ بسم الله الرحمن الرحيم ❁

(سورة الاعلى مكية وآيها تسع عشرة) (بسم الله الرحمن الرحيم) (سبح اسم ربك الاعلى) نزه اسمه عن الالحاد فيه بالتأويلات الزائغة واطلاقه على غيره زاعما انهما فيه سواء وذكره لاعلى وجه التعظيم

(قوله نزه اسمه) يعنى ان الامر الالهى وارد بتسبيح اسمه تعالى الذى هو اللفظ الدال على ذاته المقدس عن الالحاد فيه اى عن الميل عن الحق والصواب فى تفسيره بان يفسر الاعلى مثلا بالعلو فى المكان و يفسر الاستواء على العرش بالاستقرار عليه فان الاعلى من العلو بمعنى الاقتدار والقهر والاستواء بمعنى الاستيلاء والتسلط وقيل الامر الالهى وارد بتنزيه ذاته تعالى لان الاسم لكونه من قبيل الالفاظ المؤلفة من الحروف المقطعة لا يجب تنزيهه لكن المسمى اذا كان فى غاية العظمة والجلالة يعبر عنه بشئ مما يلابسه كما يقال سلام على المجلس السامى والمعروض الى الحضرة السامية فيكون لفظ الاسم صلة مقحمة لتعظيم المسمى وقد وقع اقحامه مع قطع النظر عن قصد التعظيم فى قول لبيد ❁ الى الحول ثم اسم السلام عليكما ❁ ولكن اقحامه لقصد التعظيم يكون اولى ومن الناس من تمسك بهذه الآية مستدلا على ان الاسم والمسمى واحد وقال لان احدا لايقول سبحان اسم الله سبحان اسم ربنا فمعنى سبح اسم ربك سبح ربك والرب ايضا اسم فلو كان غير المسمى لكان المأمور به تسبيح غيره تعالى وهو استدلال ضعيف لانه اذا وجب تسبيح اسمه تعالى فوجوب تسبيح ذاته يكون اولى و يجوز ان يكون لفظ الاسم صلة على ما قيل وعلى كل واحد من التقديرين لادلالة فى الآية على اتحاد الاسم والمسمى قال الامام ههنا دقيقة وهى ان قولنا اسم لفظ وضع لكل مادل على معنى غير مقترن بزمان والاسم كذلك فيلزم ان يكون الاسم اسما لنفسه فههنا الاسم نفس المسمى فلعل العلماء الاولين ذكروا ذلك فاشتبه الامر على المتأخرين وظنوا الاسم فى جميع المواضع نفس المسمى انتهى كلامه فقوله فههنا الاسم نفس المسمى محل بحث وتحقيق المقام ان للاشياء وجودا فى الاعيان ووجودا فى الاذهان ووجودا فى اللسان اما وجودها فى الاعيان فهو الوجود الاصلى الحقيقى والوجود فى الاذهان هو الوجود العلمى الصورى والوجود فى اللسان هو الوجود اللفظى الدال على مافى الذهن من الصورة

العلية وتلك الصورة هي المنطبعة في النفس من الوجود العيني الخارجي فلولم يكن وجود في الاعيان لم تنطبع الصورة في الاذهان ولولم تنطبع الصورة في الاذهان لماعبر عنها اللسان فاذن اللفظ والعلم والمعلوم ثلاثة امور متباينة لكنها متطابقة متوازية وهذا مما يشهد به الذوق السليم بعد المراجعة الى ماذكره علماء الكلام في مباحث الكيف وبحث الوجود الذهني وظهر بهذا ان الاسم غير المسمى الذي هو الموجود في الاعيان بالوجود الاصلي كما انه غير الصورة الذهنية التي عبرعنها بالعلم وكذا لفظ الاسم الذي عبر به عن المفهوم الكلي الذي هو نوع من انواع الكلمة مميز عن الافراد الخارجية لذلك المفهوم وكذا كل لفظ وضع بازاء معنى اسماكان اوفعلا اوحرفا فله اسم علم ميز به نفس ذلك اللفظ من حيث دلالته على ذلك الاسم او الفعل او الحرف كما تقول في قولنا خرج زيد من البصرة خرج فعل ماض وزيد اسم ومن حرف فجعل كل واحد من الثلاثة محكوما عليه مع استحالة كون الفعل والحرف مخبرا عنه ومحكوما عليه فلفظ زيد في المثال المذكور وان كان اسما لنفسه بحسب الظاهر الا ان بينهما تغايرا اعتبار يا لان الشخص الخارجي مسمى بزيد باعتبار وضعه بازائه وهذا الاسم الموضوع بازاء الشخص مسمى بلفظ زيد باعتبار دلالته على ذلك الاسم الموضوع فالاسم هنا ايضا غير المسمى (قوله وقرئ سبحان ربي الاعلى) قيل ان علي بن ابي طالب وابن عمر رضي الله تعالى عنهما قرآها كذلك والظاهر انهما قرآها امتثالا للامر لاعلى انها من القرآن لماروى انه عليه الصلاة والسلام كان اذا قرأها قال سبحان ربي الاعلى وروى ايضا ان علي بن ابي طالب رضي الله عنه قرأ في الصلاة سبح اسم ربك الاعلى ثم قال سبحان ربي الاعلى فلما انقضت الصلاة قيل يا امير المؤمنين اتزيد هذا في القرآن قال ماهو قيل سبحان ربي الاعلى قال لا انما امرنا بشئ ففعلته امتثالا للامر وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال من قرأ سبح اسم ربك الاعلى فليقل سبحان ربي الاعلى وهذه الآثار والاخبار تؤيد قول من يقول المأمور به تنزيه ذاته تعالى وان لفظ الاسم صلة ذكر كناية عن الذات لكون الاسم من لوازمها كما يقال سلام على المجلس العالي قيل اول من قال سبحان ربي الاعلى ميكائيل وروى انه عليه الصلاة والسلام قال لجبريل عليه السلام ياجبريل اخبرني عن ثواب من قالها في صلاته اوفي غير صلاته فقال يا محمد مامن مؤمن ولامؤمنة يقولها في سجوده او في غير سجوده الا كانت له في ميزانه اثقل من العرش والكرسي وجبال الدنيا ويقول الله تعالى صدق عبدي انا الاعلى وفوق كل شئ وليس فوقي شئ واشهدوا يا ملائكتي اني قدغفرت لعبدي وادخلته جنتي

وقرئ سبحان ربي الاعلى وفي الحديث لما نزل فسبح باسم ربك العظيم قال عليه الصلاة والسلام اجعلوها في ركوعكم فلما نزل سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم وكانوا يقولون في الركوع اللهم لك ركعت وفي السجود اللهم لك سجدت

فاذا مات اتاه ميكائيل كل يوم فاذا كان يوم القيامة حمله على جناحه فيوقفه بين يدى الله عز وجل فيقول يارب شفعنى فيه فيقول قدشفعتك فيه اذهب به الى الجنة (قوله خلق كل شئ فسوى خلقه) اشارة الى ان حذف مفعول كل واحد من خلق فسوى لقصد التعميم وان تسوية خلق المخلوقات عبارة عن خلقها موضوعة على وجه الاحكام والاتقان سالمة عن الخلل والنقصان جامعة لجميع مايتوقف عليه كمالها فى ذاتها و ينتظم به اسباب معاشها (قوله اى قدر اجناس الاشياء) اى جعل اجناسها بمقدار معلوم وكذا جعل انواع كل جنس واشخاص كل نوع بمقدار معلوم وجعل ايضا مقدار كل شخص فى جثته واشكاله واوصافه من الحسن والقبح والسعادة والشقاوة والهداية والضلالة والارزاق والآجال وغير ذلك بمقدار معلوم كما قال تعالى وان من شئ الا عندنا خزائنه ومانتزله الا بقدر معلوم قال صاحب الكشاف قدر لكل حيوان مايصلحه فهداه به اليه وعرفه وجه الانتفاع به ثم قال يحكى ان الافعى اذا اتى عليها الف سنة عميت وقد الهمها الله تعالى ان مسح العين بورق الرازيانج الغض يرد اليها بصرها فربما كانت فى برية بينها و بين الريف مسيرة ايام فتطوى تلك المسافة على طولها وعلى عماها حتى تلتطم فى بعض تلك البساتين على شجرة الرازيانج فتحك به عينها فترجع باصرة باذن الله تعالى وهدايات الله تعالى للانسان الى مالايحد من مصالحه وحوائجه فى اغذيته وادويته وفى ابواب دنياه ودينه والهامات البهائم والطيور وهوام الارض باب واسع لايحيط به وصف واصف فسبحان ربى الاعلى (قوله انبت مايرعاه الدواب) روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال المرعى الكلأ الاخضر وفى الصحاح الرعى بالكسر الكلأ و بالفتح المصدر والمرعى زمان الرعى والموضع والمصدر والظاهر ان المرعى اسم مشتق اطلق على الكلأ تشبيها له بمكان الرعى (قوله يابسا اسود) الاول تفسير قوله تعالى غثاء والثانى تفسير احوى فان الغثاء مايبس من النبات وصار هشيما يقذفه السيل على حوانب الوادى واحوى افعل من الحوة وهى السواد والاحوى الاسود وهو صفة لغثاء وسبب كونه اسود اما احتراقه لشدة الحر او ان السيل يحمله فتعلق به اجزاء كدرة فيسود لذلك او ان الريح تحمله فيلصق به الغبار فيسود بذلك (قوله وقيل احوى حال من المرعى) وصف المرعى بكونه احوى اى اسود لشدة خضرته كما قيل فى وصف الجنتين مدهامتان اى سوداوان من شدة خضرتهما فعلى هذا يكون فى الآية تقديم وتأخير والتقدير الذى اخرج المرعى احوى فجعله غثاء (قوله سنقرئك

(الذى خلق فسوى) خلق كل شئ فسوى خلقه بان جعل له مابه يتأتى كماله ويتم معاشه (والذى قدر) اى قدر اجناس الاشياء وانواعها واشخاصها ومقاديرها وصفاتها وافعالها وآجالها (فهدى) فوجهه الى افعاله طبعا اواختيارا بخلق الميول والالهامات ونصب الدلائل وانزال الآيات (والذى اخرج المرعى) انبت مايرعاه الدواب (فجعله) بعد خضرته (غثاء احوى) يابسا اسود وقيل احوى حال من المرعى اى اخرجه احوى من شدة خضرته (سنقرئك)

على لسان جبريل) اى سنعلمك بان يقرأ عليك جبريل القرآن مرات الى ان تحفظ حفظا لا تنساه بعد ذلك او سنجعلك قارئا بالهام القرآءة بان نشرح صدرك ونقوى خاطرك حتى تحفظه بالمرة الواحدة حفظا لاتنساه فيكون حفظه عليه الصلاة والسلام لهذا الكتاب المطول من غير دراسة ولاتكرار ولا كتبة امرا خارقا للعادة ولاسيما هو امى فيكون معجزا وايضا ان هذه السورة من اوآئل ما نزل بمكة وقد اخبر الله انه سيظهر على يده امرا عجيبا غريبا مخالفا للعادة وهو انه تعالى سيقرئه وهو امى لايكتب ولايقرأ فيحفظه ولاينساه الاماشاء الله ان ينساه فيذهب به عن حفظه برفع حكمه وتلاوته كما قال تعالى ماننسخ من آية اوننسها فان الانساء نوع من النسخ وهذا اخبار عن الغيب وقد وقع كما اخبر فيكون معجزا قيل كان عليه الصلاة والسلام اذا نزل عليه القرآن اكثر تحريك لسانه مخافة ان ينسى وكان جبريل عليه الصلاة والسلام لايفرغ من آخر الوحى حتى يتكلم عليه الصلاة والسلام باوله مخافة النسيان فانزل الله سبحانه وتعالى سنقرئك فلاتنسى فلم ينسى بعد ذلك شيئا لانه لايخلف وعده ولا فى قوله تعالى فلا تنسى نافية وعليه الجمهور لاللنهى لان الانسان لاينهى عن النسيان لانه لامدخل فيه للاختيار فلاينهى عنه فلذلك ثبت الالف فى فلاتنسى فى الخط والتلفظ ومن جعله نهيا عن النسيان احتاج الى التكلف فى توجيه ورود النهى عما ليس باختيارى فقال ان النهى وان كان عن النسيان صورة لكنه فى الحقيقة نهى عن سببه وهو الغفلة عن دراسته وتكريره فكأنه قيل لاتغفل عن قرآءته وتكراره فتنساه واحتاج فى توجيه ثبوت الالف الى ان يقول انها مزيدة رعاية لفواصل الآى كما فى الظنونا والسبيلا وحمله على الخبر اولى لعدم احتياجه الى التكلف وقوله فلا تنسى اصلا اى لابطريق النسخ ولابغيره ذكر ليظهر كون الاستثناء متصلا (قوله وقيل المراد به القلة) اى قلة المنسى الذى يعقبه التذكر عطف من حيث المعنى على قوله بان تنسخ تلاوته فان المراد بنسيان ماشاء الله نسيانه حينئذ النسيان المستمر بحيث لايعقبه التذكر بعده فان النسيان الذى هو احد طريق النسخ لابد ان يكون مستمرا واما ان حمل الاستثناء على القلة فحينئذ يكون المراد بالنسيان النسيان المتعارف الذى يعقبه التذكر بعده ويكون المقصود من الاستثناء تقليل المنسى بهذا المعنى فانه عليه الصلاة والسلام قد عرض له النسيان بهذا الوجه كما ذكره المصنف ووجه ادهام معنى القلة من هذا الاستثناء ان المستثنى هو المنسى الذى تعلقت المشيئة بنسيانه ولاشك ان تعلق المشيئة بنسيان شئ منه غير معلوم اذ يجوز ان لاتتعلق بشئ منه اصلا وعلى تقدير تعلقها بنسيان

على لسان جبريل عليه السلام اوسنجعلك قارئا بالهام القرآءة (فلاتنسى) اصلا من قوة الحفظ مع انك امى ليكون ذلك آية اخرى لك مع ان الاخبار به عما يستقبل ووقوعه كذلك ايضا من الآيات وقيل نهى والالف للفاصلة كقوله السبيلا (الاماشاء الله) نسيانه بان تنسخ تلاوته وقيل المراد به القلة والندرة لماروى انه عليه الصلاة والسلام اسقط آية فى قرآءته فى الصلاة فحسب ابى انها نسخت فسأله فقال نسيتها

شيء منه فلاشك ان ماتعلقت المشيئة بنسيانه اقل من الباقي بعد الاستثناء فدار امر المستثنى بين ان ينتفي رأسا و بين القلة والندرة وما كان كذلك يكون في غاية القلة فهذا وجه من جعل الاستثناء على القلة (قوله اونفي النسيان) مرفوع معطوف على قوله القلة والندرة والنسيان المنفي على القولين الاخيرين هو النسيان الذي يعقبه التذكر الا انه على القول الاول بقصد استثناء القليل منه كأنه قيل فلاتنسى شيئا مما علمناك وقرأناه عليك نسيانا مستمرا وهو الذي يعقبه التذكر بعد الاقليلا منه وعلى القول الثاني لايقصد استثناء شيء منه و يكون قوله الاماشاء الله لنفي النسيان المتعارف رأسا وكل واحد من القسمين قسيم لقوله فلا تنسى شيئا مما اقرأناك اصلا الاماشاء الله نسيانه بان تنسخ تلاوته ولما كان قوله الاماشاء الله محمل على القلة جاز ان يراد منه نفي النسيان رأسا فان استعمال القلة بمعنى النفي رأسا وارد في كلامهم كما في قوله تعالى وقليل من عبادي الشكور فان قضاء حق الشكر بكماله غير مقدور للبشر (قوله فيعلم مافيه صلاحكم من ابقاء اوانساء) تفريع على التفسيرين واشار الى ان قوله تعالى انه يعلم الجهر ومايخفى تعليل للحكم السابق المشتمل على الاستثناء بان يجعل علمه تعالى بما ظهر من احوال عباده و بما يخفى منها او علمه بجهره عليه الصلاة والسلام بالقرآن مع جبريل و بما يخفى في نفسه مما يدعوه اليه من مخافة النسيان مجازا عن علمه بمافيه صلاح العباد فلاينسى ماانساه من الوحي ولايبقى ماابقاه الاالمصلحة تعود اليهم (قوله ونعدك للطريقة اليسرى) ضمن قوله نيسرك معنى الاعداد والتوفيق بيانا لوجه تعدية قوله نيسرك بدون اللام فان العبارة الشائعة ان يقال جعل الفعل الفلاني ميسرا لفلان ولايقال جعل فلان ميسر الفعل الفلاني فالظاهر ان يقال نيسر اليسرى لك الا انه جعل الفاعل ميسر الفعل في هذا الموضع وكذا في سورة الليل ايضا وفي قوله عليه الصلاة والسلام اعملوا فكل ميسر لما خلق له باعتبار التضمين اي معد وموفق له والمراد بالطريقة اليسرى اعمال الخير سميت يسرى لكونها مؤدية الى اليسرى والراحة وقوله تعالى ونيسرك معطوف على سنقرئك وقوله انه يعلم الجهر ومايخفى اعتراض والتقدير سنقرئك فلا تنسى ونوفقك للطريقة التي هي اسهل وايسر في حفظ القرآن او في باب التدين والطاعة ونون العظمة في قوله تعالى نيسرك ليستدل بعظمة المعطي على عظمة المعطا وكيف لاوقد كان عليه الصلاة والسلام صبيا لا اب له ولاام نشأ في قوم جهال ثم انه تعالى جعله في افعاله واقواله قدوة للعالمين وهاديا للخلائق اجمعين الى شريعة لم يهد الى مثلها احد من الاولين فكان بذلك سيد

اونفي النسيان رأسا فان القلة تستعمل في النفي (انه يعلم الجهر ومايخفى) ماظهر من احوالكم ومابطن اوجهرك بالقرآءة مع جبريل وما دعاك اليه من مخافة النسيان فيعلم مافيه صلاحكم من ابقاء او انساء (ونيسرك لليسرى) ونعدك للطريقة اليسرى في حفظ الوحي اوالتدين ونوفقك لها ولهذه النكتة قال تعالى نيسرك لانيسر لك عطفا على سنقرئك وانه يعلم الجهر اعتراض

المرسلين وخاتم النبيين واى عطاء اجل واعظم من هذا (قوله بعدما استتب له الامر) بيان لمعنى فاء التعقيب فى قوله فذكر يقابل استتب له الامر اذا تهيأ واستقام فانه تعالى لما تكفل له بتعليم القرآن وتيسير حفظه له بحيث لاينسى شيئا منه الاماشاء الله تعالى نسيانه او تيسير سبيل الرشد والتدين امره بتذكير الخلق ودعوتهم الى الحق ليكون جامعا بين منصبى الهدى والهداية ودولتى الكمال والتكميل (قوله لعل هذه الشرطية انما جاءت الخ) جواب عما يقال انه عليه الصلاة والسلام مبعوث الى الناس كافة لينذرهم بسوء عاقبة الكفر والعصيان ويذكرهم ثواب الطاعة والايمان فعليه ان ينذر الكل ويذكرهم سواء قبلوا منه التذكير وانتفعوا به ام لا فان نفعتهم الذكرى فبها والا فلا اقل من تزايد مثوباته عليه الصلاة والسلام بتكرار الانذار والتذكير وانقطاع حجة المعاندين حيث لايمكنهم ان يقولوا بعد الانذار والتذكير انا كنا عن هذا غافلين لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين فلم وجب عليه ان يذكر الخلائق اجمعين ان نفعتهم الذكرى والمصنف اجاب عنه بثلاثة اجوبة تقرير الاول ان ما ذكره من كون التذكير واجبا عليه مطلقا انما هو قبل الزام الحجة عليهم واتمام دعوتهم بتكرير التذكير باوضح البيان وابلغ التقرير الى ان يتضح الحق ويبين الرشد من الغى بحيث يظهر ان من أصر على الكفر والضلال بعده انما يصر عليه لمحض العناد وايثار الهوى على الهدى واما بعد ذلك فلا يجب اذ لافائدة له بعد ذلك سوى اتعاب النفس والتلهف على من آثر الشقاوة الابدية على السعادة الدائمة وتقرير الجواب الثانى ان قوله تعالى ان نفعت الذكرى وان كان تقييد اللايجاب بحسب الظاهر الا انه لم يؤت به فى هذا الموضع لتقييد الحكم به وانما اتى به ذما للمذكورين وتنبيها له عليه الصلاة والسلام يعنى ان هؤلاء لاتنفعهم الذكرى كما يقال فى حق رجل ادع فلانا ان اجابك والمعنى ما اراه يجيبك فكأنه قيل فذكرهم وما يظن انما ظلمهم وقبولهم منك واذا لم يكن التعليق والتقييد مرادا بقى الامر بالتذكير على اطلاقه غير مقيد بشرط رجاء نفعه وتقرير الثالث ان التقييد والتعليق بالنسبة الى طائفة معينة علم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان الذكرى لاتنفعهم لشدة اعراضهم عن الهدى ونظيره قوله تعالى فذكر بالقرآن من يخاف وعيد ويلزم من هذا الجواب انه عليه الصلاة والسلام اذا علم بنور النبوة او الوحى الآلهى ان الضال لايؤمن ولاتنفعه الذكرى لاتجب عليه التذكرة (قوله وهو يتناول العارف والمتردد) فان الناس فى امر المعاد على ثلاثة اقسام منهم من قطع بصحته ومنهم من جوز وجوده ولكن

(فذكر) بعدما استتب له الامر (ان نفعت الذكرى) لعل هذه الشرطية انما جاءت بعد تكرير التذكير وحصول اليأس من البعض لئلا يتعب نفسه ويتلهف عليهم كقوله تعالى وما انت عليهم بجبار الاية او لذم المذكرين واستبعاد تأثير الذكرى فيهم او للاشعار بان التذكير انما يجب اذا ظن نفعه ولذلك امر بالاعراض عمن تولى (سيذكر من يخشى) سيتعظ وينتفع بها من يخشى الله تعالى فانه يتفكر فيها فيعلم حقيتها وهو يتناول العارف والمتردد (ويتجنبها) ويتجنب الذكرى

(الاشقى) الكافر فانه اشق من الفاسق او الاشق من الكفرة لتوغله فى الكفر (الذى يصلى النار الكبرى) نار جهنم فانه عليه السلام قال ناركم هذه جزؤ من سبعين جزأ من نار جهنم او ما فى الدرك الاسفل منها ثم لايموت فيها) فيستريح (ولايحيى) حياة تنفعه (قد أفلح من تزكى) تطهر من الكفر و المعصية او تكثر من التقوى من الزكاء او تطهر للصلاة او ادى الزكاة (وذكر اسم ربه) بقلبه ولسانه (فصلى) لقوله تعالى أقم الصلاة لذكرى و يجوز ان يراد بالذكر تكبيرة التحريم وقيل تزكى تصدق الفطر وذكر اسم ربه كبره يوم العيد فصلى صلاته

لم يقطع فيه لا بالنفى ولا بالاثبات ومنهم من قطع بانكاره والقسمان الاولان يتناولهما مفهوم من يخشى لله دون الثالث فان من كان عارفا بالله تعالى و بكمال قدرته وعلمه وحكمته يقطع لذلك بصحة المعاد و يخشى الله تعالى و ينتفع بالذكرى وكذا من تردد وتوقف الى ان يتبين الحق له ولايكون من اهل العناد والاصرار فانه اذا سمع آية التخويف يقشعر جلده ويخاف ان يكون فيمن يقال من كفر وتولى فانه يصلى النار الكبرى ثم لايموت فيها ولايحيى بنكسر قلبه فيحمله ذلك على استماع الحق وقبوله بخلاف من غلبه هواه وحمله ذلك العناد والاصرار فان قلبه يقفل عليه فلا يصل اليه خوف الله تعالى وخشيته فلا ينتفع بالذكرى لان الانتفاع بهما مبنى على خشية القلب ولم يحصل فلا جرم يجتنب الذكرى ولايقبلها ولاينتفع بها وهو المراد بالاشقى الذى هو القسم الثالث من اقسام الناس (قوله الاشقى الكافر) يعنى ان المراد بالاشقى اما جنس الاشقى وهو الكافر اوفرد معين منه كالوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة والمفضل عليه على الاول جنس الفاسق وعلى الثانى سائر الكفرة وثم فى قوله تعالى ثم لايموت للتراخى الرتبى لان هذه الحالة افظع واعظم من نفس الصلى فهى متراخية عنه فى مراتب الشدة والكبرى اسم تفضيل لانه تأنيث الاكبر فيقتضى مفضلا عليه وهو نار الدنيا ان كان المراد بالنار الكبرى نار جهنم وان كان المراد بها ما فى اسفل دركات جهنم من النار يكون المفضل عليه ما فى الدركات التى فوقها فان فى جهنم نيرانا ودركات متفاوتة كما ان فى الدنيا ذنوبا ومعاصى متفاوتة فالكافر اشقى العصاة فلذلك يصلى اعظم النيران ثم انه تعالى لما ذكر وعيد من اعرض عن الذكرى ولم يتأمل فى دلائل الله تعالى اتبعه بالوعد لمن تزكى وتطهر من دنس الشرك بان قال لااله الاالله محمد رسول الله على ان يكون التزكى من الزكاء بمعنى الطهارة وقيل من الزكاء بمعنى النماء اى من صار زاكيا ناميا من جهة الاعمال الصالحة يقال زكا الزرع يزكو زكاء اى نما وكثر والزاكى النامى الكثير ويقال ايضا تزكى بمعنى تصدق وادى الزكاة (قوله و يجوز ان يراد بالذكر تكبيرة التحريم) عطف على قوله مايفهم من قوله ذكر اسم ربه بقلبه ولسانه فدعاه ذلك الى ان يصلى تعظيما له تعالى واجلالا ومن استدلاله على ذلك بقوله أقم الصلاة لذكرى فان من ذكر الله تعالى بكمال عظمته وكبريائه و بانواع فضله واحسانه دعاه ذلك الى الاشتغال بخدمته وطاعته وذهب الامام ابو حنيفة رحمه الله الى ان المراد بذكر اسم ربه تكبيرة الاحرام فيكون المعنى وذكر اسم ربه لافتتاح الصلاة و صلى عقيبه واحتج الآية على وجوب تكبيرة الاحرام حيث عدت فى جملة ماعلق به الفلاح وعلى انها ليست من اركان الصلاة

(من حيث)

[illegible] لا [illegible] القلب واللازم [illegible]
ثلاثة [illegible] كلها لا [illegible] على ان افتتاح الصلاة والشروع فيها
[illegible] بلفظة التكبير بل هو جائز بكل اسم من اسمائه تعالى فالمناسب على
مذهبه ان يحمل التزكى على التطهر للصلاة لتكون الآية مسوقة لكل من حصل
هذين الشرطين الطهارة وتكبيرة الاحرام وصلى بعدهما والائمة الشافعية
قالوا هذه الآية وان دلت على مدح كل من ذكر اسم الله تعالى وصلى عقيبه
لكن ليس فيها ما يدل على ان ذلك الذكر هو تكبيرة الافتتاح لجواز ان يكون
بمعنى ان من ذكر الله تعالى بقلبه ولسانه وذكر ثوابه وعقابه وعاد بعد ذلك الى
فعل الصلاة فحينئذ يأتى بالصلاة التى احد اركانها واجزائها تكبيرة الافتتاح
كما روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال فى تفسير هذه الآية ذكر
معاده وموقفه بين يدى ربه فصلى له قال الامام واقول هذا التفسير متعين
وذلك لان مراتب اعمال المكلف ثلاث اولاها ازالة العقائد الفاسدة عن القلب
وثانيها استحضار معرفة الله تعالى بذاته وصفاته وافعاله وثالثها الاشتغال
بخدمته وطاعته فالمرتبة الاولى هى المرادة بقوله قد افلح من تزكى وثانيتها
هى المرادة بقوله وذكر اسم ربه فان الذكر بالقلب هو المعرفة وثالثتها وهى
الخدمة هى المرادة بقوله فصلى فان الصلاة عبارة عن التواضع والخشوع
فمن استنار قلبه بمعرفة جلال الله تعالى لا بد وان يظهر فى جوارحه واعضائه
اثر الخضوع والخشوع انتهى كلامه واذا حمل التزكى على اداء الزكاة المفروضة
تكون الآية نظير قوله تعالى واقام الصلاة وايتاء الزكاة قيل هذا التفسير
بعيد من حيث ان عادة الله تعالى جارية على تقديم الصلاة على الزكاة اينما ذكرا
معا وهذا التفسير يستلزم مخالفة العادة وتركها (قوله فلا تفعلون ما يسعدكم)
اشارة الى ان المضروب عنه قوله تعالى قد افلح من تزكى اى لا تفعلونه بل تؤثرون
فان بل موضوعة لنفى ما تقدم وتحقيق غيره (قوله والخطاب للاشقين)
اشارة الى ان المراد بالاشقى جنس الكافر فهو فى معنى الجمع ونكتة الالتفات
المبالغة فى الذم فان الذم مواجهة ابلغ فى الذم مما يكون فى الغيبة وفى اضمار قل
تحقير لشأنهم بالاشارة الا انهم لا يستحقون لخطابه تعالى (قوله وقرأ ابو عمرو
بالياء) على الاخبار عن الاشقين وهم غيب (قوله فان نعيمها ملذ بالذات)
اى لذيذ ولا الا لاجل الالتذاذ والتفكه ولا يقصد به التغذى ودفع ألم الجوع
والعطش يقال لذذت الشئ اى وجدته لذيذا وانت تلتذبه وفى بعض النسخ
تلذذ اى كأنه محض التلذذ بخلاف نعيم الدنيا فانه يقصد لا لذاته بل لما يترتب
عليه من التقوى ونحوه والغوائل جمع الغائلة وهى الشر والمضرة (قوله

(بل تؤثرون الحياة الدنيا) فلا تفعلون ما يسعدكم فى الآخرة والخطاب للاشقين على الالتفات او على اضمار قل او الكل فان السعى للدنيا اكثر فى الجملة وقرأ ابو عمرو بالياء (والآخرة خير وابقى) فان نعيمها ملذ بالذات خالص عن الغوائل لا انقطاع له

(الا ان هــذا لفى الصحف الاولى) الاشارة الى ما سبق من قد افلح فانه جامع امر الديانة وخلاصة الكتب المنزلة (صحف ابراهيم وموسى) بدل من الصحف الاولى ❁ قال عليه السلام من قرأ سورة الاعلى اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل حرف انزله الله على ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام

(سورة الغاشية مكية وآيهاست وعشرون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(هل اتاك حديث الغاشية) الداهية التى تغشى الناس بشدائدها يعنى يوم القيامة اوالنار من قوله تعالى وتغشى وجوههم النار (وجوه يومئذ خاشعة) ذليلة (عاملة ناصبة) تعمل ما تتعب فيه كجر السلاسل وخوضها فى النار خوض الابل فى الوحل والصعود والهبوط فى تلالها ووهادها

والاشارة الى ماسبق من قد افلح) والمعنى ماذكر من قوله قد افلح الى آخر الآيات الاربع مذكور فى صحف الانبياء المتقدمين بعضاء وان لم يكن مذكورا باللفظ المذكور هنا (قوله فانه جامع امر الديانة) فان قوله قد افلح من تزكى اشارة الى تطهير النفس عن كل ما لا ينبغى من العقائد الفاسدة والاخلاق الذميمة وقوله وذكر اسم ربه اشارة الى تكميل الروح بمعرفة الله تعالى وقوله فصلى اشارة الى تكميل الله تعالى الجوارح وتزينها بطاعة الله تعالى وقوله بل تؤثرون الحياة الدنيا اشارة الى الزجر عن ايثار الحظوظ العاجلة على السعادة الابدية وقوله والآخرة خير وابقى اشارة الى الترغيب فى طلب الآخرة ومافيها من الروح والثواب الجزيل وهذه امور لا تختلف باختلاف الشرائع فلهذا قال تعالى ان هذا لفى الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى تمت سورة الاعلى بحمد الله وعونه وحسن توفيقه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(سورة الغاشية مكية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(قوله تعالى الغاشية) الغطاء هو الغشاء والغشاء هو الغطاء يقال غشيه يغشاه اى غطاه وكل ماساط بالشئ من جميع جهاته فهو غاش له وسميت القيامة غاشية لانها تغشى الناس جميعا من الاولين والآخرين اولانها تغشى الناس بالاهوال والشدائد ويجوز ان تكون الغاشية صفة بقرينة قوله تعالى وتغشى وجوههم النار وهل بمعنى قد اى قد اتاك خبر القيامة فتنبه لهو لها وما فيها من معنى الاستفهام للتقرير وتعظيم المستفهم عنه لانه تعالى عرف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من احوال الغاشية وحال الناس فيها مالم يكن هو ولا قومه عالمين به على التفصيل (قوله تعالى وجوه) مبتدأ وخاشعة خبره ويومئذ ظرف للخبر اى ذليلة يوم اذغشيت تلك الداهية الناس ولعل وجه صحة الابتداء بالنكرة كون تقدير الكلام اصحاب وجوه بالاضافة الا ان اثر الخشوع والمذلة لما كان يظهر فى الوجه اولا حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه قال الامام المراد بالوجوه اصحاب الوجوه وهم الكفار بدليل انه تعالى وصف الوجوه بانها عاملة ناصبة وذلك من صفات المكلف لكون الخشوع انما يظهر فى الوجه فاسند الى ضميره لذلك (قوله تعمل ماتتعب فيه) اشارة الى ان ارتفاع كل واحد من الاسمين على انه خبر بعد خبر لوجوه وان ناصبة وان كان خبر وجوه من حيث الاعراب الا انه من حيث المعنى تقييد للعمل بانه من قبيل

ما تعبت فيه الوجوه فان ناصبة بمعنى تعبة يقال نصب الرجل ينصب نصبا من باب علم اذا تعب فى العمل واذا كان كل واحد منهما خبر الوجوه يكون قوله يومئذ ظرفا لكل واحد من الاخبار الثلاثة وتكون الاخبار باسرها حاصلة فى الآخرة فان الكفار لما تكبروا فى الدنيا عن عبادة الله تعالى وطاعته كانوا يوم القيامة خاشعين اى ذليلين وعاملين فى النار اعمالا يتعبون فيها * والتلال جمع تل وهو الجبل الصغير والوهاد جمع وهدة وهو المكان المطمئن والوحل بفتح الحاء الطين الرقيق والتسكين لغة رديئة (قوله او عملت ونصبت) اشار بلفظ الماضى الى ان المراد بالعمل والنصب ما صدر عنها فى الدنيا والمعنى انها خاشعة فى الآخرة وقد كانت فى الدنيا عاملة ناصبة ولم تنفع بشئ من عملها ونصبها الصادرين عنها فى الدنيا لكونهما فى غير طاعة الله تعالى فالظاهر على هذا الاحتمال ان يكون قوله عاملة ناصبة خبر مبتدأ محذوف وتكون الجملة فى موضع الحال من ضمير خاشعة والتقدير وهى عاملة تعبة فى الدنيا فيما لم ينتفع به يوم اذ غشيت الداهية الكبرى (قوله وقرأ ابو عمرو وتصلى) بضم التاء وسكون الصاد على بناء ما لم يسم فاعله والباقون بفتح التاء على بناء الفاعل والمنوى فيه على تينك القراءتين للوجوه وقرئ بضم التاء وفتح الصاد وتشديد اللام (قوله بلغت اناها) اى بالغة غايتها فى الحر يقال آن الحميم يأنى انا اى انتهى حره والانا نهاية الحر (قوله ولعله طعام هؤلاء) جواب عما يقال قوله تعالى فى هذه السورة ليس لهم طعام الا من ضريع لاينافى قوله تعالى فى سورة الحاقة فليس له اليوم ههنا حميم ولا طعام الا من غسلين فان احد الحصرين ينافى الآخر لان الضريع غير الغسلين وايضا كل واحد منهما ينافى قوله تعالى ان شجرة الزقوم طعام الاثيم وتقرير الجواب ان الدركات متفاوتة على حسب اختلاف المعاصى واهلها من اهل النار فمنهم من طعامه الزقوم ومنهم من طعامه الغسلين ومنهم من طعامه الضريع ومنهم من شرابه الحميم ومنهم شرابه من الصديد لكل باب منهم جزء مقسوم ثم اشار الى جواب آخر بقوله او المراد بهذه الآية حصر طعامهم القيد بكونه مما يتحاماه الابل وتكرهه ولا تتناوله لمرارته فى الضريع وذلك لاينافى ان يكون لهم نوع آخر من الطعام كالزقوم والغسلين (قوله ذات بهجة) اى حسن على ان ناعمة من نعم الشئ بالضم نعومة اى صار ناعما لينا وتكون نعومة الوجوه اى غضاضتها وحسنا رتبها كناية عن التنعم وطيب الحال او على ان بناء ناعمة للنسبة بمعنى ذات نعمة والنعمة فى حق الوجه هو الحسن والبهجة * (قوله رضيت بعملها) اشارة الى ان السعى بمعنى العمل يقال سعى يسعى سعيا اذا عدا

او عملت ونصبت فى اعمال لاتنفعها يومئذ (تصلى نارا) تدخلها وقرأ ابو عمرو ويعقوب وابو بكر تصلى من اصلاه الله وقرئ تصلى بالتشديد للمبالغة (حامية) متناهية فى الحر (تسقى من عين آنية) بلغت اناها فى الحر (ليس لهم طعام الا من ضريع) يبيس الشبرق وهو شوك ترعاه الابل مادام رطبا وقيل شجرة نارية تشبه الضريع ولعله طعام هؤلاء والزقوم والغسلين طعام غيرهم او المراد طعامهم مما يتحاماه الابل ويتعافاه لضره وعدم نفعه كما قال (لايسمن ولايغنى من جوع) والمقصود من الطعام احد الامرين (وجوه يومئذ ناعمة) ذات بهجة او متنعمة (لسعيها راضية) رضيت بعملها لما رأت ثوابه (فى جنة عالية) علية المحل او القدر (لا تسمع) يا مخاطب او الوجوه وقرأ على بناء المفعول بالياء ابن كثير وابو عمرو ورويس وبالتاء نافع (فيها لاغية) لغوا

وكذا اذا عمل وكسبوا الى ان اللام فى قوله لسعيها راضية متعلقة براضية والتقدير راضية لسعيها فلما تقدم المعمول ضعف العامل فجيئ باللام فى قوله لسعيها ويجوز ان تكون لام التعليل اى لاجل سعيها فى طاعة الله تعالى راضية جزاءه وثوابا (قوله والتاء نافع) لتأنيث لفظ لاغية وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالياء لان التأنيث غير حقيقى ولان اللاغية بمعنى اللغو على انها مصدر كالعاقبة (قوله او كلمة ذات لغو) على ان تكون لاغية بمعنى النسبة مثل تامر صفة لمؤنث هى الكلمة او النفس واللاغية حينئذ للحدث لا للنسبة (قوله والتنكير للتعظيم) اى رفعة شأنها من حيث انها تجرى على وجه الارض من غير اخدود جرت لاينقطع وتجرى لهم حيث ارادوا اجراءها وماؤها اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل (قوله رفيعة السمك) اى عالية الى جهة الفوق فان السمك هو الامتداد الآخذ من اسفل الشئ الى اعلاه اذا جلس المؤمن عليها يرى جميع مااعطى له فى الجنة من الملك والنعيم اورفعة قدرها من حيث اشتمالها على جميع جهات الحسن والكمال فى ذواتها واوصافها لما قرر الله تعالى امر الغاشية وحكم بان بعض اهلها اشقياء معذبون اشد العذاب وبعضهم سعداء منعمون ومعلوم ان ذلك يتوقف على ثبوت الصانع القادر على ما يشاء اتبع ذلك ذكر ما يدل على ثبوته وكمال قدرته فقال أفلا ينظرون الى الابل انكارا على تركهم النظر الى عجائب المخلوقات وحثالهم على النظر والاعتبار لتحقق عندهم كمال قدرة الخالق وعلمه وحكمته فلا ينكروا اقتداره تعالى على البعث والفاء فى قوله تعالى أفلا ينظرون للعطف على مقدر بعد همزة لاستفهام اى أيعرضون عن النظر الى مايدل على صحة البعث وقدرة تعالى عليه او الى ما اتاك من حديث الغاشية افلا ينظرو الى الابل الخ (قوله باركة للحمل) اى باركة لان يحمل عليها ناهضة بالحمل وهو بالكسر ماكان على الظهر والباء فيه للتعدية اى رافعة اياه ونهض بمعنى قام وناء ينوء نوء اى نهض بجهد ومشقة وناء بالحمل اذا نهض به والوقر بالكسر الحمل ويجمع على اوقار كحمل واحمال يعنى ان الحكمة فى طول اعناقها امر ان احدهم اقتدارها على القيام باحمال الثقيلة فانها اذا امالت عنقها الى جانب خلفها يسهل عليها رفع مقدمها (قوله الى عشر) وهو بكسر العين وسكون الشين ما بين الوردين وهو ثمانية ايام ترد اليوم العاشر كذا فى الصحاح (قوله وقيل المراد بها السحاب) تشبيها بالابل فى كثرة ما نيط بها من حاج الناس كالابل واطلق الاسم المشبه به عليه لمجاز او قرينة المجاز ذكر فى جنب ذكر السماء والجبال وقوله كيف منصوب بخلقت على حد نصبه

قوله ذات لغو او نفسا تلغو فان كلام اهل الجنة الذكر والحكم (فيها عين جارية) يجرى ماؤها ولا ينقطع والتنكير للتعظيم (فيها سرر مرفوعة) رفيعة السمك او القدر (واكواب) جمع كوب وهو اناء لاعروة له (موضوعة) بين ايديهم (ونمارق) وسائد جمع نمرقة بالفتح والضم (مصفوفة) بعضها الى بعض (وزرابى) وبسط فاخرة جمع زربى (مبثوثة) مبسوطة (افلا ينظرون) نظر اعتبار (الى الابل كيف خلقت) خلقا دالا على كمال قدرته وحسن تدبيره حيث خلقها لجر الاثقال الى البلاد النائية فجعلها عظيمة باركة للحمل ناهضة بالحمل منقادة لمن اقتادها طوال الاعناق لتنوء بالاوقار وترعى كل نابت وتحتمل العطش الى عشر فصاعدا ليتأتى لها قطع البرارى والمفاوز مع مالها من منافع اخر

فى قوله تعالى كيف تكفرون والجملة بدل من الابل بدل اشتمال فتكون فى محل الجر وقد دخلت الى على كيف فى قولهم انظر الى كيف تصنع فيجوز ابدالها مما دخلت عليه كلمة الى قرأ العامة خلقت ورفعت ونصبت وسطحت بضم فاء الفعل وكسر عين الفعل وتاء التأنيث الساكنة مبنيا للمفعول والقائم مقام الفاعل فى كل واحد منها منوى فيه عائد الى ما قبله وقرئ كل واحد منها بفتح الفاء والعين على بناء الفاعل وهو ضمير المتكلم وحده وحذف ضمير المفعول الراجع الى ماقبلها للعلم به والتقدير خلقتها ورفعتها ونصبتها وسطحتها (قوله ولذلك) اى ولكون المقصود من حثهم على النظر الى انواع المخلوقات ان يتحقق عندهم اقتداره تعالى على البعث اورده عقيب ذكر امر المعاد ورتب عليه الامر بالتذكير فانه عليه الصلاة والسلام انما يذكرهم بحثهم على النظر فيما يدل على كمال قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته ثم انه تعالى حصر امره عليه الصلاة والسلام فى التذكير لانه عليه الصلاة والسلام لم يؤمر حينئذ الا بالتذكير ويؤيده قوله لست عليهم بمصيطر فتقتلهم وتكرههم على الايمان ثم نسختها آية القتال ويحتمل ان يكون المراد بالتسلط المنفى التسلط على قلوبهم بان تدخل الايمان فى قلوبهم كرها فلا نسخ (قوله وعن الكسائى بالسين) هكذا فى بعض النسخ وهو خطأ لان الكسائى ممن يقرأ بالصاد الخالصة والصواب وعن هشام وهو ممن يروى عن ابن عامر الشامى فانه قرأ بمسيطر بالسين على الاصل لانه من السطر قال الجوهرى سطر يسطر سطرا اى كتب والمسيطر والمصيطر المسلط على الشئ يشرف عليه ويتعهد احواله ويكتبها عليه واصله من السطر لان الكتاب مسطر والذى يفعله مسطر ومسيطر انتهى وقرأ حمزة بخلاف عن خلاد بالصاد والزاى اى يخلط صوت الصاد بصوت الزاى بحيث يمتزجان فيتولد منهما حرف ليس بصاد ولا زاى والخلط المذكور اى خلط حرف بحرف احد معانى الاشمام فى عرف القراء والباقون بالصاد خالصة (قوله لكن) اشارة الى ان الاستثناء منقطع لان المقصود منه اثبات ولاية الله عز وجل واقتداره على تعذيب من تولى واعرض عن اجابة دعوته عليه الصلاة والسلام بعد نفى تسلطه عليه الصلاة والسلام وليس فيه اخراج بعض من دخل فى المستثنى منه عن حكمه فعلى هذا تكون كلمة من شرطية جزاؤها قوله فيعذبه اى فهو يعذبه الله اذ لو كان الجزاء هو نفس الفعل الواقع بعد الفاء لكان مجزوما (قوله وقيل متصل) على انه استثناء من الضمير فى عليهم اى لست عليهم بمسيطر الا على من تولى عن الايمان وكفر فانك مسلط عليه بما يؤذن لك

ولذلك خصت بالذكر لبيان الآيات المنبثة فى الحيوانات التى هى اشرف المركبات واكثرها صنعا ولانها اعجب ماعند العرب من هذا النوع وقيل المراد بها السحاب على الاستعارة (والى السماء كيف رفعت) بلا عمد (والى الجبال كيف نصبت) فهى راسخة لاتميل (والى الارض كيف سطحت) بسطت حتى صارت مهادا وقرئ الافعال الاربعة على بناء الفاعل المتكلم وحذف الراجع المنصوب والمعنى افلا ينظرون الى انواع المخلوقات من البسائط والمركبات ليتحققوا كمال قدرة الخالق فلا ينكروا اقتداره على البعث ولذلك عقب به امر المعاد ورتب عليه الامر بالتذكير فقال (فذكر انما انت مذكر) فلا عليك ان لم ينظروا ولم يذكروا اذ ما عليك الا البلاغ (لست عليهم بمصيطر) بمسلط وعن الكسائى بالسين على الاصل وحمزة بالاشمام (الا من تولى وكفر) لكن من تولى وكفر

(فيعذبه الله العذاب الاكبر) يعني عذاب الآخرة وقيل متصل كأن جهاد الكفار وقتلهم تسلط وكأنه اوعدهم بالجهاد في الدنيا وعذاب النار في الآخرة وقيل هو استثناء من قوله فذكر اي فذكر الا من تولى واصر فاستحق العذاب الأكبر وما بينهما اعتراض ويؤيد الاول انه قرئ الا على التنبيه (ان الينا ايابهم) رجوعهم وقرئ بالتشديد على انه فيعال مصدر ايب فيعل من الاياب او فعال من الاوب قلبت واوه الاولى قلبها في ديوان ثم الثانية للادغام (ثم ان حسابهم) في المحشر وتقديم الخبر للتخصيص والمبالغة في الوعيد * عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الغاشية حاسبه الله حسابا يسيرا (سورة الفجر مكية وآيها تسع وعشرون او ثلثون)

من قبله ولما استشعر ان يقال ان الايمان من اعمال القلب فتسلطه عليه الصلاة والسلام عليهم باكراههم على الايمان تسلط على القلب بان يقبل الايمان وذلك ليس في وسع البشر اذ لا يستولي على القلب احد غير الله اجاب عنه بان الاستيلاء على جهاد الكفار وقتلهم بمنزلة الاستيلاء عليهم لقبول الايمان لكونه من الاسباب المؤدية الى الايمان (قوله وكأنه اوعدهم بالجهاد في الدنيا) جواب عما قال من ان السورة مكية وانه عليه الصلاة والسلام ما كان مأذونا بالقتال الا بعد الهجرة فكيف يصح حمل الكلام على الاستثناء المتصل المستلزم لان يكون المعنى انت مسلط على من تولى عن الايمان منهم ومحصل الجواب ان الكلام وارد على طريق الوعد له عليه الصلاة والسلام باذنه للقتال والوعيد للكفار المعاندين لا على طريق الاخبار بانه عليه الصلاة والسلام مسلط عليهم في الحال (قوله اي فذكر الا من تولى واصر فاستحق العذاب الاكبر) الظاهر ان من هذه موصولة وتولى صلتها وكفر عطف عليه والفاء في فيعذبه سببية دالة على ان التعذيب مرتب على التولي والكفر فسر قوله تعالى فيعذبه بقوله فاستحق العذاب الاكبر وهذا المتولي عن الاجابة لما لم ينفعه التذكير صار بمنزلة من لم يذكره عليه الصلاة والسلام فلذلك استثنى من جملة من امر عليه الصلاة والسلام بتذكيره (قوله ويؤيد الاول) وهو ان يكون الاستثناء منقطعا على معنى لكن الله هو المسيطر عليهم فيعذبهم ووجه التأييد ظاهر وهو يوافق المعنيين حينئذ بخلاف ما اذا كان الاستثناء متصلا (قوله وقرئ بالتشديد) والجمهور على تخفيف ياء ايابهم على انه مصدر آب يؤوب اذا رجع وقرئ بتشديد الياء وذكر لها وجهين الاول كونه مصدرا على وزن فيعال من ايب على وزن فيعل نحو حوقل حيقالا وسيطر سيطارا اصله ايواب فلما اجتمعت الواو والياء وسبقت احداهما بالسكون قلبت الواو ياء وادغمت الياء فصار ايابا والثاني كونه مصدرا على وزن فعال نحو كلم كلاما اصله اوواب قلبت الواو الاولى ياء لسكونها وانكسار ما قبلها كما في ديوان اصله دووان فصار ايوابا ثم فعل ما مر فصار ايابا وقوله تارة من الاياب وتارة من الاوب لمجرد التفنن لان كل واحد من الاوب والاياب مصدر آب بمعنى رجع يقال آب يؤوب اوبا واوبة وايابا * تمت سورة الغاشية والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد النبي الامي وعلى آله وصحبه وسلم

(سورة الفجر مكية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(قوله اقسم بالصبح او فلقه) الاول على ان يكون الفجر اسما بمعنى الصبح وهو اول وقت ظهور ضوء الشمس فى جانب المشرق ويطلق الفجر ايضا على نفس ذلك الضوء وهو قول الجوهرى الفجر فى آخر الليل كالشفق فى اوله والثانى على ان يكون الفجر مصدرا بمعنى انفجار الظلمة من النهار وانشقاقها عنه بان يشقها الضوء المذكور يقال فلقت الشئ فلقا اى شققته اقسم الله تعالى بما يحصل من انقضاء الليل وظهور الضوء وانتشار الناس وسائر الحيوانات فى طلب الارزاق وذلك مشاكل لنشور الموتى وفيه عبرة عظيمة لمن تأمل فيه فان الشئ انما يقسم به اذا كان فيه فائدة دينية مثل كونه دليلا باهرا على التوحيد او على صحة البعث والجزاء ونحوهما او فائدة دنيوية تحمل المكلف على شكر نعمة الله تعالى او بمجموعهما كالفجر فانه مشتمل على مجموع الفائدتين المذكورتين شبه قوله تعالى والفجر بقوله والصبح اذا تنفس من حيث ان الصبح جعل مقسما به فى كل واحد منهما واشار به الى ان المختار عنده كون الفجر بمعنى الصبح لا بمعنى الفلق والشق (قوله او بصلاته) اما بتقدير المضاف او بان يراد بالفجر ما وقع فيه على طريق اطلاق اسم المحل وارادة الحال اقسم بصلاة الفجر لكونها مما وقع فى اول اليوم من اعمال المكلفين وبادروا اليها والى مقدماتها اول يومهم ولان ملائكة الليل والنهار يجتمعون لاستماع ما فيها من القراءة كما قال تعالى ان قرآن الفجر كان مشهودا اى تشهده ملائكة الليل والنهار لاستماع القرآءة فيه واقسم بعشر ذى الحجة لانها ايام الاشتغال بمناسك الحج واعماله والحج المبرور من افضل الاعمال وانه كفارة لذنوب العمر وفى الخبر ما يوم من ايام العمل الصالح افضل من ايام التشريق (قوله ولذلك) اى ولاجل ان فسر الليالى العشر بعشر ذى الحجة لم يفسر الفجر بفجر كل يوم بل فسر بفجر يوم معين وهو فجر عرفة او فجر يوم النحر لان الحجاج يقفون بعرفات يوم عرفة متوجهين الى الرب الكريم راجين عفوه وغفرانه وان يتفضل عليهم بأنواع فضله ورحمته وهو موقف عظيم لا يخيب فيه الآملون وفى الحديث الحج عرفة وكذا يوم النحر يوم عظيم يريق الحجاج فيه الدماء فداء لانفسهم ويطوفون فيه طواف الزيارة الذى هو باقى اركان الحج بعد الحلق ورمى الجمار ويروى ان يوم النحر يوم الحج الاكبر فاستحق كل واحد من اليومين لان يقسم به وكان ذكر الفجر بجنب الليالى العشر قرينة لتخصيصه باحد اليومين (قوله او عشر رمضان) عطف على ذى الحجة فانها ايضا ليال شريفة لما

(بسم الله الرحمن الرحيم) (والفجر) اقسم بالصبح او فلقه كقوله والصبح اذا تنفس او بصلاته (وليال عشر) عشر ذى الحجة ولذلك فسر الفجر بفجر عرفة او النحر او عشر رمضان الاخير

وتنكيرها للتعظيم وقرئ وليال عشر بالاضافة على ان المراد بالعشر الايام (والشفع والوتر) والاشياء كلها شفعها ووترها او والخلق كقوله تعالى ومن كل شئ خلقنا زوجين والخالق لانه فرد ومن فسرهما بالعناصر والافلاك والبروج والسيارات او شفع الصلوات ووترها او بيومى النحر وعرفة وقد روى مرفوعا او بغيرهما فلعله افرد بالذكر من انواع المدلول ما رآه اظهر دلالة على التوحيد او مدخلا فى الدين او مناسبة لما قبلها او اكثر منفعة موجبة للشكر وقرأ غير حمزة والكسائى والوتر بفتح الواو وهما لغتان كالحبر والحبر (والليل اذا يسر) اذا يمضى كقوله والليل اذا ادبر

فيهـا من ليلة القدر التى هى خير من الف شهر فانه قد ورد فى الخبر اطلبوها فى العشر الاخير من رمضان وكان عليه الصلاة و السلام اذا دخل العشر الاخير من رمضان شد المئزر و ايقظ اهله وكف عن قربانهن وامرهن بالتهجد (قوله وتنكيرها للتعظيم) جواب عما يقال ما بال الليال العشر جاءت منكرة من بين ما اقسم به وتحصول الجواب انها لو وقعت بلام العهد لكونها معلومة معهودة فى نفسها لما افهمت الفضيلة التى تستفاد من التنكير (قوله على ان المراد بالعشر الايام) الا ان الظاهر على هذا ان يقال عشرة ايام لان الايام مذكر قال تعالى سبع ليال وثمانية ايام (قوله والاشياء كلها) عبر عنها بالشفع والوتر لان اجناس الاشياء وانواعها واشخاصها اما شفع او وتر ولا يتصور خلوها عنهما معا فصح ان يعبر بمجموع الشفع والوتر عن الاشياء كلها وكذا صح ان يعبر به عن المخلوقات بأسرها وعن خالقها لانه تعالى خلقها زوجين ذكرا وانثى ناطقا وصامتا كافرا ومؤمنا قادرا وعاجزا باردا وحارا رطبا ويابسا فلكيا وعنصريا الى غير ذلك وخالقها فرد واحد لاتعدد فيه بوجه ما (قوله ومن فسرهما الى قوله او اكثر منفعة موجبة للشكر) لما فسر مجموع الاشياء بالشفع والوتر اولا ثم فسر الشفع بالمخلوقات كلها والوتر بذات الخالق وكان ما ذكره المفسرون فى تفسير الشفع والوتر تخصيصا بلا مخصص اشار الى انهم لايدعون بما ذكروه انحصار مدلولهما فى ذلك وانما خصوا بالذكر من انواع مدلولهما ما رأوه اظهر دلالة على التوحيد كالعناصر و الافلاك و البروج والسيارات اذ لا مدخل فيها لغيرها او مدخلا فى الدين كالصلوات شفعها ووترها او مناسبة لما قبلها كيومى النحر وعرفة او اكثر منفعة موجبة للشكر كالاعضاء او القلب و الشفتين و اللسان وكالعناصر و الافلاك و البروج و السيارات فان منافعها اكثر من ان تحصى الا ترى ان انتظام احوال الحيوانات بأسرها منوط بالفصول الاربعة وان ثبت من الشارع تفسير الشفع والوتر ببعض ما ذكره المفسرون فالظاهر انه ليس مبنيا على تخصيص مداول اللفظ به بل انه وارد على طريق التمثيل بما رأى فى تخصيصه بالذكر فائدة معتدا بها فلنذكر بعض ماذكره المفسرون فى تفسيرهما فان منهم من فسر الشفع بالعناصر الاربعة والوتر بالافلاك التسع ومنهم من فسر الشفع بالبروج الاثنى عشر والوتر بالسيارات السبع ومنهم من فسر الشفع بما كان شفعا من الصلوات وهو ما عدا صلاة المغرب والوتر بما كان وترا منها وهو صلاة المغرب والوتر على قول ومنهم من فسر الشفع بيوم النحر لانه عاشر ايام الليالى العشر والوتر بيوم عرفة لانه تاسع تلك الايام وقد روى عنه عليه الصلاة والسلام انه فسرهما بذلك حيث قال

العشر عشر الاضحى والوتر يوم عرفة والشفع يوم النحر وقال عليه الصلاة والسلام بعضها شفع و بعضها وترومنهم من فسرهما بغير ماذكر ثم اختلفوا فى ذلك الغير فقال بعضهم الشفع اليومان اللذان بعد يوم النحر و الوتر هو اليوم الثالث بعدهما ثم قال حمل الشفع والوتر على ماقلنا اولى من حملهما على يومى النحر وعرفة لان يومى النحر وعرفة قداقسم بهما فى قوله وليال عشر اذا فسرت بعشر ذى الحجة فحمل الشفع والوتر عليهما يستلزم التكرار فى القسم بهما ولان بعض اعمال الحج انما تحصل فى هذه الايام التى بعد يوم النحر وقال البعض الآخر الشفع آدم وحواء والوتر مريم وقال آخرون الشفع العيون الاثنا عشرة التى فجرها الله تعالى من حجر موسى عليه الصلاة والسلام للاسباط والوتر الآيات التسع المذكورة بقوله تعالى ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات وقيل الشفع ايام عاد والوتر لياليهم كما قال تعالى سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام وقيل الشفع الاعضاء والوتر القلب قال الله تعالى ماجعل الله لرجل من قلبين فى جوفه وقيل الشفع الشفتان والوتر اللسان قال ولسانا وشفتين وقيل الشفع السجدتان والوتر الركوع وقيل فى تفسيرهما غيرذلك ولا وجه لتطويل الكلام بذكره قرأ حمزة والكسائى والوتر بكسر الواو والباقون بفتحها قيل فتحها لغة اهل الحجاز والكسر لغة تميم (قوله والتقييد بذلك لما فى التعاقب من قوة الدلالة على كمال القدرة ووفور النعمة) فان اصل الدلالة عليهما تحصل بمجرد ذكر الليل بدون التعرض لانقضائه بظهور ضوء النهار وذلك لان سلخ ضوء النهار من الليل وادخال الخلق تحت لباس الظلام بغروب الشمس آية دالة على كمال القدرة وفيه ايضا نعمة جليلة للناس حيث يستترون بظلمة الليل و يستريحون بالنوم و بالتعرض لانقضاء الليل وتعاقب النهار عليه تقوى تلك الدلالة فان آية الليل اذا محيت مع كونها محيطة بجميع اقطار العالم بانبساط آية النهار وشيوعها تجدد البرهان القاطع الدال على كمال القدرة والاحسان الشامل لجميع الحيوانات لانهم يصيرون بذلك كانهم اعيد لهم الحياة بعد الموت و يتسببون بذلك لطلب الارزاق الممدة للحياة الفانية التى يتوسل بها الى سعادة الدارين فان قيل القسم بالليل اذا يسر يغنى عن القسم بليال عشر قلنا المقسم به فى قوله والليل اذا يسر هو الليل باعتبار سيره ومضيه وفى قوله وليال عشر هو الليالى لا لاعتبار مضيها بل باعتبار خصوصية اخرى فلا يغنى احدهما عن الآخر (قوله او يسرى فيه) فيكون الكلام من قبيل ما اسند فيه الفعل الى زمانه مثل صام نهاره اى صام هو فيه وقام ليله اى قام فيه وتقييد الليل بالسرى بهذا المعنى لان السير فيه حافظ للسائر من حر الشمس فان السفر

والتقييد بذلك لما فى التعاقب من قوة الدلالة على كمال القدرة ووفور النعمة او يسرى فيه من قولهم صلى المقام وحذف الياء للاكتفاء بالكسرة تخفيفا

مع مقاساة حر الشمس اشد على النفس ومن شر قطاع الطريق غالبا لانهم مشغولون بالنوم فى الليل غالبا وقيل المراد بالليل اذا يسرى فيه ليلة النحر فان الحجاج تسرى فيها الى المزدلفة بعد افاضتهم من عرفات حين غربت الشمس وهم فيها والعامل فى اذا معنى القسم اى اقسم بالليل اذا مضى او يسرى فيه (قوله وقد حصه نافع الخ) ههنا ثلاث قرآءات الاولى حذف الياء وصلا ووقفا وهى قراءة الكوفيين وابن عامر الشامى والثانية حذفها وقفا لا وصلا وهى قراءة نافع وابى عمرو والثالثة عدم حذفها فى الحالين وهى قراءة ابن كثير ويعقوب وجه الحذف مطلق التخفيف ومراعاة الفواصل مع الاكتفاء بدلالة كسرة الراء عليها ووجه الاثبات مطلقا ان الياء لام الفعل لا تحذف فى الفعل حال الوقف فضلا عن حال الوصل فيقال هو يقضى ويغزو والا ارضى ووجه الحذف فى الوقف مراعاة الفواصل مع التخفيف والاكتفاء بالكسرة دون الوصل لانها لام الفعل والاصل فيها ان لا تحذف (قوله وقرئ يسر بالتنوين المبدل الخ) فان تنوين الترنم يلحق القوافى فى الاسم والحرف والفعل بدلا من حرف الاطلاق اى من حرف المد واللين لترك الترنم فان الالف والواو والياء الواقعة فى القوافى يترنم بها لما فيها من المد فيبدل منها التنوين اذا قطع الترنم لخلو التنوين من المد فاضافة هذا التنوين الى الترنم لادنى الملابسة لانها ليست لاجل الترنم بل لقطعه فان قيل فما فائدة قوله تعالى هل فى ذلك قسم لذى حجر بعد ان اقسم بالاشياء المذكورة قلنا هى زيادة التأكيد والتحقيق للمقسم عليه كمن ذكر حجة باهرة ثم قال هل فيما ذكرته حجة (قوله يدل عليه قوله الم تر كيف فعل) فانه لما اقسم الله تعالى بامور عظام ولم يذكر المقسم عليه ذهب الوهم الى كل مذهب ثم ذكر على طريق الاستفهام التقريرى ما يدل على تعذيب المعاندين المغرورين بما اوتوا من الحظوظ العاجلة دل ذلك على ان المقسم عليه المحذوف هو مثل قوله لنعذبن الكافرين وقيل جواب القسم هو قوله تعالى ان ربك لبالمرصاد (قوله تعالى الم تر) ليس من رؤية البصر لانه عليه الصلاة والسلام لم ير ببصره ما فعل بهم بل هو بمعنى الم تعلم وعبر عن العلم بالرؤية لان اخبارهم لما كانت منقولة بالتواتر الذى يفيد العلم الضرورى بالمخبر عنه نزل ذلك العلم منزلة العلم الحاصل بالمشاهدة (قوله على تقدير مضاف) لان القبيلة المسماة بعاد انما يصح تسميتها بارم كان ارم اسم جدها فلا بد من كون التقدير سبط ارم فان السبط اولاد الاولاد فعلى هذا يكون عاد وارم عبارتين عن طائفة واحدة هى قوم هود عليه الصلاة والسلام غاية ما فى الباب انهم سموه تارة باسم ابيهم وتارة باسم جدهم وعطف عليه قوله وقيل

حصه نافع وابو عمرو بالوقف لمراعاة الفواصل ولم يحذفها ابن كثير ويعقوب اصلا وقرئ يسر بالتنوين المبدل من حرف الاطلاق (هل فى ذلك) القسم او المقسم به (قسم) حلف او محلوف به (لذى حجر) يعتبره ويؤكد به ما يريد تحقيقه والحجر العقل سمى به لانه يحجر عما لا ينبغى كما سمى عقلا ونهية وحصاة من الاحصاء وهو الضبط والمقسم عليه محذوف وهو لنعذبن يدل عليه قوله (الم تر كيف فعل ربك بعاد) يعنى اولاد عاد بن عوص بن ارم ابن سام بن نوح قوم هود سموا باسم ابيهم كما سمى بنو هاشم باسمه (ارم) عطف بيان لعاد على تقدير مضاف اى سبط ارم او اهل ارم ان صح انه اسم بلدتهم وقيل سمى اوائلهم وهم عاد الاولى باسم جدهم ومنع صرفه للعلمية والتأنيث

(سمى)

سمى او انهم يعنى قبل الاولين من اولاد عادبن عوص عاد الاولى وارم تسمية لهم باسم جدهم وقيل لمن بعدهم عاد الاخيرة فارم فى قوله تعالى بعاد ارم عطف بيان لعاد ايذانا بانهم عاد الاولى القديمة كقوله وانه اهلك عادا الاولى (قوله ذات البناء الرفيع) وهو مابناه شدادبن عاد زاعما انه على مثال الجنة بناه فى ثلا ثمائة سنة وكان عمره سبعمائة سنة وهى مدينة عظيمة رفيعة لم يخلق مثلها فى البلاد قصورها من الذهب والفضة واساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها اصناف الاشجار والانهار وجاز وصف ارم بذات القدود الطوال ايضا لماروى ان قد أحدهم اثنا عشر ذراعا واكثر من ذلك وفى تفسير الكواشى قالوا كان طول الطويل منهم اربعمائة ذراع وكان احدهم يأخذ الصخرة العظيمة فيقلبها على الحى فيهلكهم وجاز وصفها ايضا بذات الرفعة والثبات لسيادتهم وكونهم عمادا لقومهم يقال فلان عماد القوم وعمودهم اى سيدهم ولثبات اعمارهم وسعة ارزاقهم (قوله بعث الله تعالى عليهم صيحة من السماء فهلكوا) ولم يدخل ارم احد منهم ولامن غيرهم حتى الساعة غير عبدالله بن قلابة فانه خرج فى طلب ابل له فوصل الى جنة شداد فدخلها فحمل ماقدر على حمله مما هناك من الجواهر وغيرها وبلغ خبره معاوية فاستحضره فقص عليه مارآه فبعث معاوية الى كعب فسأله فقال هى ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين فى زمانك احمر اشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال يخرج فى طلب ابل له ثم التفت فأبصر ابن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل (قوله والضمير لها سواء جعلت اسم القبيلة اوالبلدة) فالمعنى على الاول لم يخلق مثل تلك القبيلة فى القوة وطول العمر وهم الذين قالوا من اشد منا قوة وعلى الثانى لم يخلق مثل مدينة شداد فى جميع بلاد الدنيا (قوله ومضاربهم) جمع مضروبة خيمة مضروبة كما فى جمع مقصورة ومن كثرت خيامه كثرت اوتاده (قوله اولتعذيبه بالاوتاد) روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه ان خازن فرعون كان رجلا مؤمنا يكتم ايمانه وكذا امرأته فبينما هى ذات يوم تمشط رأس بنت فرعون اذ سقط المشط من يدها فقالت تعس من كفر بالله تعالى فقالت بنت فرعون وهل لك اله غير ابى فقالت الهى واله ابيك واله السموات والارض واحد لاشريك له فقامت البنت فدخلت على ابيها وهى تبكى فقال ما يبكيك قالت الماشطة امرأة خازنك تزعم ان الهك والهها واحد لاشريك له فارسل اليها فسألها عن ذلك فقالت صدقت فقال ويحك اكفرى بالهك واقرى بأنى الهك قالت لاافعل فمدها بين اربعة اوتاد ثم ارسل عليها الحيات والعقارب وقال لها اكفرى بالهك والا عذبتك بهذا العذاب شهرين فقالت

(ذات العماد) ذات البناء الرفيع او القدود الطوال او الرفعة والثبات وقيل كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد فخلص الامر لشداد وملك المعمورة ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فبنى على مثالها فى بعض صحارى عدن جنة وسماها ارم فلما تمت سار اليها باهله فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن عبدالله بن قلابة انه خرج فى طلب ابله فوقع عليها (التى لم يخلق مثلها فى البلاد) صفة اخرى لارم والضمير لها سواء جعلت اسم القبيلة او البلدة (وثمود الذين جابوا الصخر) قطعوه واتخذوه منازل كقوله وتنحتون من الجبال بيوتا (بالواد) وادى القرى (وفرعون ذى الاوتاد) لكثرة جنوده ومضاربهم التى كانوا يضربونها اذا نزلوا اولتعذيبه بالاوتاد

ثم عذبتني سبعين شهرا اماكفرت برب العالمين وكان لها ابنتان فجاء بابنتها الكبرى فذبحها على صدرها وقال لها اكفري بالهك والا ذبحت الصغرى على فيك وكانت رضيعة فقالت لو ذبحت جميع من على الارض على فى ماكفرت بالله تعالى فاتى بابنتها فلما اضجعت على صدرها وارادوا ذبحها جزعت المرأة فاطلق الله تعالى لسان ابنتها فتكلمت وقالت يا اماه لاتجزعي فان الله تعالى قد بنى لك بيتا فى الجنة اصبري فانك تفضين الى رحمة الله تعالى وكرامته فذبحت فلم تلبث ان ماتت فاسكنها الله تعالى الجنة وكان فرعون قد تزوج امرأة من اجمل نساء بنى اسرائيل يقال لها آسية بنت مزاحم فرأت ماصنع فرعون بالماشطة فقالت فى نفسها كيف يسعني ان اصبر على مايفعل فرعون وانا مسلمة وهو كافر فبينما هي تؤامر نفسها اذ دخل عليها فرعون فجلس قريبا منها فقالت يافرعون انت شر الخلق واخبثهم عمدت الى الماشطة فقتلتها قال فلعل بك الجنون الذى كان بها قالت ما بي من جنون وانما المجنون من يكفر بالله الذى له ملك السموات والارض ومابينهما وحده لاشريك له وهو على كل شئ قدير فمدها بين اربعة اوتاد يعذب بها ففتح الله تعالى لها بابا الى الجنة ليهون لها مايصنع بها فرعون فعند ذلك قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة (قوله صفة للمذكورين) فيكون مجرور المحل لكون بعض المذكورين قبله مجرورا بالباء وبعضه معطوفا عليه وتقديم هذا الوجه يدل على انه المختار عنده من حيث ان الوجه الثانى يحتاج الى حذف العامل وهو اعنى والوجه الثالث يحتاج الى حذف المبتدأ فما اختاره المصنف احسن بحسب اللفظ واختار صاحب الكشاف كونه منصوبا على الذم بتقدير اعني لكونه صريحا فى الذم والمقام مقام الذم فهو احسن من حيث المعنى (قوله ماخلط لهم من انواع العذاب) فسر سوط العذاب بانواع العذاب الملتف بعضها ببعض اتفاق طاقات السوط الذى يضرب به فسوط عذاب من باب التشبيه البليغ والعذاب بمعنى مايعذب به والاضافة بمعنى من اى فصب عليهم ماهو كالسوط من العذاب (قوله وقيل شبه بالسوط ماحل بهم) فاضافة السوط الى العذاب من قبيل اضافة المشبه به الى المشبه كما فى لجين الماء والصب مستعار للانزال والمعنى انزل عليهم عذابا فى الدنيا بالنسبة الى عذاب الآخرة كالسوط بالنسبة الى السيف (قوله يترقب فيه الرصد) وهو بفتحتين جمع راصد كالحرس جمع حارس والراصد الراقب والمرتصد المرتقب وصيغة مفعال قد تكون اسم مكان كالمضمار فانه اسم للمكان الذى يضمر فيه الخيل والمنهاج اسم للمكان الذى ينهج فيه وقد تكون للمبالغة كالمعطار والمطعان لمن يكثر من هذه الافعال والمرصاد ههنا يتبين ان يكون اسما للمكان الذى

(يترقب)

(الذين طغوا فى البلاد) صفة للمذكورين عاد وثمود وفرعون اوذم منصوب او مرفوع (فاكثروا فيها الفساد) بالكفر والظلم (فصب عليهم ربك سوط عذاب) ماخلط لهم من انواع العذاب واصله الخلط وانما سمي به الجلد المضفور الذى يضرب به لكونه مخلوط الطاقات بعضها ببعض وقيل شبه بالسوط ماحل بهم فى الدنيا اشعارا بانه بالقياس الى ما اعد لهم فى الآخرة من العذاب كالسوط اذا قيس الى السيف (ان ربك لبالمرصاد) المكان الذى يترقب فيه الرصد مفعال من رصده كالميقات من وقته

وهو تمثيل لارصاده العصاة بالعقاب (فاما الانسان) متصل بقوله ان ربك لبالمرصاد كأنه قيل انه لبالمرصاد من الآخرة فلا يريد الا السعي لها فاما الانسان فلا يهمه الا الدنيا ولذاتها (اذا ما ابتلاه ربه) اختبره بالغنى واليسر (فاكرمه ونعمه) بالجاه والمال (فيقول ربي اكرمني) فضلني بما اعطاني وهو خبر المبتدأ الذي هو الانسان والفاء لما في اما من معنى الشرط والظرف المتوسط في تقدير التأخير كأنه قيل فاما الانسان فقائل ربي اكرمني وقت ابتلائه بالانعام وكذا قوله (واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه) اذ التقدير واما الانسان اذا ما ابتلاه اى بالفقر والتقتير ليوازن قسيمه (فيقول ربي اهانني) لقصور نظره وسوء فكره فان التقتير قد يؤدي الى كرامة الدارين اذا التوسعة قد تفضي الى قصد الاعداء والانهماك في حب الدنيا ولذلك ذمه على قوليه وردعه بقوله (كلا) مع ان قوله الاول مطابق لاكرمه ولم يقل فاهانه وقدر عليه كما قال فاكرمه ونعمه

يترقب فيه الرصد فالباء الدالة على الظرفية قيل لبعض العرب اين ربك فقال بالمرصاد (قوله وهو تمثيل لارصاده العصاة بالعقاب) اى لاعداده العصاة العقاب على ان الارصاد بمعنى الاعداد وهو يتعدى الى مفعولين الى احدهما بنفسه والى الآخر باللام يقال اعد العقاب للعصاة وههنا لما عدى الارصاد الى العصاة بنفسه حيث قال لارصاده العصاة بنصب العصاة عدى الى العقاب بالباء الجوهري رصدته ارصده اى رقبته ارقبه وارصدت له اى اعددت له والحاصل ان قوله تعالى ان ربك لبالمرصاد استعارة تمثيلية شبه حاله تعالى في كونه حفيظا لاعمال العباد ومجازيا عليها على النقير والقطمير ولا محيد للعباد عن موقف حسابه الاليه بحال من قعد على طريق السابلة يترصدهم ليظفر بالجاني اولاخذ المكس اونحو ذلك ولا مخلص لهم عن المرور عليه فاطلق على الحالة المشبهة ما يعبر به عن الحالة المشبه بها (قوله كأنه قيل انه بالمرصاد من الآخرة) اى من اجل الآخرة وجزائها فيجب ان يهتم الانسان بامر الاخرة ويسعى لها لكنه لا يهتم الا بامر الدنيا ولا يخطر بباله امر الاخرة بالكلية مع انه تعالى تكفل برزقه واعد للعصاة عذابا أليما وكل واحد من الغنى والفقير ابتلى منه تعالى اما الاول فبأنه ايشكر ام يكفر واما الثاني فبانه ايصبر ام يجزع ويقول الانسان اذا اغناه ربه اكرمني ربي بما اعطاني يظن ان ما اعطاه ربه من الدنيا لكرامته عليه ويقول اذا افقره اهانني ربي وهذا من صفة الكافر فانه يظن ان الكرامة والهوان بكثرة الحظ من الدنيا وقلته بخلاف المؤمن فان الاكرام عنده هو توفيق الله تعالى لطاعته والهوان حرمانه منها والعياذ بالله تعالى والانسان مبتدأ وقوله فيقول خبره واذا لمجرد الظرفية معمول للخبر لكونه مؤخرا عنه تقديرا (قوله والانهماك في حب الدنيا) فان كثرة الممارسة بالشيء تورث تأكد المحبة به فان من احب شيئا اشتغل به واعرض عما يقطعه عنه فالتوسعة تؤدي الى الاعراض عن اكتساب ما يؤدي الى سعادة الآخرة فكان كل واحد من قوليه وهما قوله التقتير اهانة وقوله التوسعة اكرام مذموما مع ان قوله التوسعة اكرام صادق في نفسه لانه تعالى صدقه حيث قال فاكرمه (قوله ولم يقل فاهانه) عطف على قوله ذمه على قوليه يعني انه تعالى لما قال في الجملة الاولى فاكرمه ونعمه كان الظاهر ان يقول في قسيمه فاهانه وقدر عليه ولم يقل كذلك لما ذكره من ان التقتير والتضييق ليس باهانة بل قد يؤدي الى كرامة الدارين بخلاف التوسعة والتفضيل بالمال والجاه فانه اكرام في نفسه وهو صادق في قوله ربي اكرمني ولكنه ذمه على قول ذلك لا لكونه كاذبا فيه بل لسوء فكرته حيث ظن انه تعالى انما فضله بذلك لكرامته عليه ولم يعلم انه

ولان التوسعة تفضل والاخلال به لايكون اهانة وقرأ ابن عامر والكوفيون اكرمن واهانن بغير ياء في الوصل والوقف وعن ابي عمرو مثله ووافقهم نافع في الوقف وقرأ ابن عامر فقدر بالتشديد (بل لايكرمون اليتيم ولا يحضون على طعام المسكين) اي بل فعلهم اسوء من قولهم وادل على تهالكهم بالمال وهو انهم لايكرمون اليتيم بالتفقد والمبرة ولا يحثون اهلهم على طعام المسكين فضلا عن غيرهم وقرأ الكوفيون ولا تحاضون (ويأكلون التراث) الميراث واصله وراث (اكلا لما) ذا لم اي جمع بين الحلال والحرام فانهم كانوا لايورثون النساء والصبيان ويأكلون انصباءهم او يأكلون ماجمعه المورث من حلال وحرام عالمين بذلك (ويحبون المال حبا جما) كثيرا مع حرص وشره قرأ ابو عمرو وسهل ويعقوب لايكرمون الى ويحبون بالياء والباقون بالتاء (كلا) ردع لهم عن ذلك وانكار لفعلهم وما بعده وعيد عليه اذا (دكت الارض دكا دكا) دكا بعد دك حتى صارت منخفضة الجبال والتلال او هباء منبثا (وجاء ربك) اي ظهر آيات قدرته وآثار قهره مثل ذلك بما يظهر عند حضور السلطان (لماتعذرت) من آثار هيبته وسياسته (والملك صفا صفا) بحسب منازلهم ومراتبهم (وجيء يومئذ بجهنم) كقوله وبرزت الجحيم

تعالى كثيرا ما يوسع على العصاة والكفرة لانه يفعل مايشاء ويكون ذلك استدراجا ومكرا الهيا في حقهم (قوله ولان التوسعة تفضل) عطف على قوله ولذلك ذمه على قوليه وحاصله ان الانكار والذم لايتوجه الى قوله ربي اكرمني وانما يتوجه الى قوله ربي اهانني كأنه قيل الانسان اذا اكرمه ربه وتفضل عليه اعترف بالاكرام واذا لم يتفضل عليه سمى ترك التفضل هوانا وليس بهوان (قوله وقرأ ابن عامر فقدر بالتشديد) تقدير الرزق ترك التوسع فيه بجعله على مقدار البلغة (قوله اي بل فعلهم اسوأ من قولهم) يعني ان بل هنا للاضراب عن ذمهم على قولهم الى ما هو ادخل في الذم كأنه قيل دع ذكر قولهم فان عندهم ماهو شر منه وهو انه تعالى يكرمهم بتكثير المال وهم لايتفقدون احوال الايتام وعبر عن التروك والافعال بقوله بل فعلهم اسوأ تغليبا للافعال على التروك (قوله وقرأ الكوفيون ولا تحاضون) اصله تتحاضون فحذفت احدى التاءين اي لايحض ولايحث بعضكم بعضا على اطعام جنس المسكين ومن لايحض غيره على اطعام المسكين فان لايطعمه بنفسه اولى (قوله اي جمع بين الحلال والحرام) فان من جمع في الاكل بين نصيبه ونصيب النسوان والصبيان فقد جمع بين الحلال والحرام في الاكل (قوله قرأ ابو عمرو وسهل ويعقوب الخ) اي قرأوا الافعال الاربعة بياء الغيبة على اسنادها الى ضمير الانسان المتقدم ذكره وجمع الضمير الراجع اليه مع انه افرد في قوله اذا ما ابتلاه ربه من حيث انه مفرد لفظا وهو ظاهر وجمع معنى لان المراد به الجنس فبالنظر الى الثاني جمع وقرأ الباقون بتاء الخطاب للانسان على طريق الالتفات للمبالغة في الذم فان الذم مواجهة ابلغ من الذم في الغيبة ويحتمل ان يكون مبنى القرآءة بتاء الخطاب على تقدير قل اي قل لهم يا محمد كذا وكذا تصغير الهم وتنزيلا عن مقام الخطاب ثم انه تعالى ردعهم عن هذه الافعال الذميمة بقوله كلا ثم اوعدهم عليها بقوله اذا دكت الارض الى قوله يا ايتها النفس فانه اذا جاء يوم موصوف بصفات ثلاث فانه يحصل له حينئذ الندامة على ماصدر منه ويتمنى ان لو كان افنى عمره في التقرب الى الله تعالى بالاعمال الصالحة والمواساة بالمال الجوهري الدك الدق ويقال دككت الشيء ادكه دكا اذا ضربته وكسرته حتى سويته بالارض واندك سنام البعير اذا انفرش في ظهره فمعنى الآية اذا كسر ما على الارض من جبل وبناء وشجر حين زلزلت فاستوت جبالها وماكان مرفوعا عليها دكا بعد دك (قوله مثل ذلك)

لما تعذرت الحقيقة حمل الكلام على التمثيل بان مثل حاله تعالى في ظهور آيات قدرته وآثار قهره وسلطانه بحال السلطان اذا حضر بنفسه فانه حينئذ يظهر من آثار هيبته وسياسته ما لم يظهر بحضور وزرائه وسائر خواصه فاستعمل في الحال الاولى ما استعمل في الثانية (قوله يجرونها) الظاهر انها لا تنفك عن مكانها فالمراد بقوله وبرزت واظهرت حتى رآها الخلق وعلم الكافر ان مصيره اليها فالحديث محمول على التمثيل وبيان لكثرة الملائكة الموكلين عليها (قوله وليس في هذا التمني دلالة على استقلال العبد بفعله) كما زعمه المعتزلة من ان افعاله لو لم تكن بقصده واختياره بل كانت واقعة بخلق الله تعالى وقدرته وارادته لما كان لهذا التمني وجه (قوله الهاء لله) لما ورد ان يقال كيف يصح ان يرجع ضمير عذابه ووثاقه اليه تعالى مع انا يوهم ان يكون يوم القيامة معذب سوى الله تعالى لكنه لا يعذب ذلك المعذب مثل عذابه تعالى وهذا المعنى غير صحيح اشار المصنف الى دفعه بان المعنى حينئذ انه لا يتولى عذاب الله تعالى ووثاقه يوم القيامة سواه اذ الامر كله يومئذ لله ولا امر في يد غيره اصلا والعذاب والوثاق اسمان وضعا موضع التعذيب والايثاق كما يوضع العطاء موضع الاعطاء والمعنى لا يملك احد التعذيب والايثاق في ذلك اليوم الا الله تعالى وحده (قوله اوللانسان) اى الكافر المتوغل في عناده المنهمك في شهواته فتكون اضافة عذابه ووثاقه من قبيل اضافة المصدر الى مفعوله ويكون المعنى لا يعذب احد من الزبانية احدا من العصاة مثل ما يعذب ذلك الانسان ولا يوثق بالسلاسل والاغلال مثل وثاقه ثم انه تعالى لما وصف حال من اطمأن الى الدنيا وصف بعده حال من اطمأن الى الحق بحيث سكن الى اليقين فلا يخالطه الشك والاضطراب فاستقر على الطاعة ومقتضى العبودية فقال يا أيتها النفس على اضمار القول اى يقال لها عند الموت او عند البعث او عند دخول الجنة فاما ان يكلمه الله بنفسه اكراما للمؤمن المطمئن كما كلم موسى عليه الصلاة والسلام في الدنيا او على لسان ملك والاطمئنان عبارة عن الثبات والاستقرار وذكر المصنف في بيان كيفيته ثلاثة اوجه الاول استقرار النفس عند معرفته والاستغناء بمعرفته عن طلب غيره كما قال تعالى ألا بذكر الله تطمئن القلوب وذلك ان القوة العاقلة اذا اخذت تترقى في سلسلة الاسباب والمسببات فكلما وصل الى سبب يكون هو ممكنا لذاته محتاجا الى علة توجده وتمده طلب العقل له سببا آخر ثم اذا ترقى الى ممكن آخر أعلى منه لا يقف عنده ايضا بل لا يزال ينتقل من علة الى ما هو اعلى الى ان ينتهي الى واجب الوجود لذاته المستغني عن جميع ماسواه فحينئذ يقف العقل ويطمئن اليه ولا ينتقل عنه الى غيره لعلمه بان الامر

وفي الحديث يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون الف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك يجرونها (يومئذ) بدل من اذا دكت والعامل فيهما (يتذكر الانسان) اى يتذكر معاصيه او يتعظ لانه يعلم قبحها فيندم عليها (وانى له الذكرى) اى منفعة الذكرى لئلا يناقض ماقبله واستدل به على عدم وجوب قبول التوبة فان هذا التذكر توبة غير مقبولة (يقول ياليتني قدمت لحياتي) اى لحياتي هذه او وقت حياتي في الدنيا اعمالا صالحة وليس في هذا التمني دلالة على استقلال العبد بفعله فان المحجور عن الشئ قد يتمنى ان كان متمكنا منه (فيومئذ لا يعذب عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد) الهاء لله تعالى اى لا يتولى عذاب الله ووثاقه يوم القيامة سواه اذ الامر كله له او للانسان اى لا يعذب احد من الزبانية مثل ما يعذبونه وقرأهما الكسائي ويعقوب على بناء المفعول

(يا أيتها النفس المطمئنة) على ارادة القول وهي التي اطمأنت بذكر الله فان النفس تترقى في سلسلة الاسباب والمسببات الى الواجب لذاته فتستقر دون معرفته وتستغني به عن غيره او الى الحق بحيث لا يريبها شك او الآمنة التي لا يستفزها خوف ولا حزن وقد قرئ بها (ارجعي الى ربك) الى امره او موعده بالموت و يشعر ذلك بقول من قال كانت النفوس قبل الابدان موجودة في عالم القدس او بالبعث (راضية) بما اوتيت (مرضية) عند الله (فادخلي في عبادي) في جملة عبادي الصالحين

كله يرجع الى ارادته وقدرته وانه رب العالمين (قوله فتستقر دون معرفته) اى عندها وتستغني به عن غيره اى لا تطلب له سببا آخر والوجه الثاني ما اشار اليه بقوله او الى الحق وهو عطف على قوله بذكر الله اى او هي التي اطمأنت الى الحق وتيقنت به بحيث لم يخالطها شك والوجه الثالث ماذكره بقوله او الآمنة اى هي النفس الآمنة التي لا يستفزها اى لا يحركها خوف وهذا الوجه يؤيده قرآءة ابي بن كعب رضي الله تعالى عنه يا أيتها النفس الآمنة فعلى هذا يكون الاطمئنان عبارة عن سكون الامن في مقابلة قلق الخوف والحزن وعلى الثاني يكون عبارة عن سكون اليقين في مقابلة قلق الشك والريبة (قوله الى امره او موعده) لما تمسكت المجسمة بقوله تعالى الى ربك على مازعموا في حقه تعالى بناء على ان كلمة الى لانتهاء الغاية ومنتهى الحركة الآية هو المكان ومن تمكن فيه رد المصنف تمسكهم بان معنى الآية ارجعي الى حكم ربك او ثوابه بالموت او بالبعث وهذا الخطاب تخاطب به النفس عند الموت اوعند البعث فان خوطبت به عند الموت يكون المعنى ارجعي الى امر ربك وحكمه بالموت وان خوطبت به عند البعث يكون المعنى ارجعي الى ثوابه بالبعث (قوله ويشعر ذلك) اى قوله تعالى ارجعي الى ربك يشعر بكون النفوس موجودة قبل الابدان لان هذا القول انما يقال لما كان موجودا قبل هذا البدن ووجودها قبل الابدان لا يستلزم كونها ازلية كما ذهب اليه بعض القدماء وقوله راضية مرضية حالان من فاعل ارجعي اى راضية من الله تعالى بما اعطيت مرضية عنده بما عملت (قوله في جملة عبادي الصالحين) يعني يجوز ان يكون المراد بالمتشرفين باضافة التشريف الى ياء المتكلم عباده الصلحاء المتصفين بحلية الايمان والطاعة او الذين هم اخص واشرف منهم وهم المقربون والفريقان هما اللذان ذكرا في قوله تعالى فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين والخطاب على التقديرين للمؤمن المحتضر لا لمجرد روحه ولما عبر عنه بالنفس قيل ارجعي وادخلي وقوله فتستضئ بنورهم متفرع على كل واحد من التفسيرين جواب للامر فان الميت سوآء انضم الى اصحاب اليمين او الى المقربين يكون في حالة شريفة وهي انعكاس انوار علومهم وكما لاتهم اليه فان الارواح الشريفة كالمرايا المصقولة المجلوة فاذا انضم بعضها الى بعض ينعكس الى كل واحدة ما في مقابلتها من الفضائل والكمالات فيكون ذلك الانضمام سببا لتكامل السعادات الروحانية ثم قوله وادخلي جنتي اشارة الى السعادة الجسمانية ولما كانت السعادة الروحانية غير متراخية عن الموت في حق السعدآء قال فادخلي في عبادي بالفاء

الدالة على التعقيب ولما كان الجنة الجسمانية لا تحصل الفوز بها الا بعد القيامة الكبرى قال وادخلى جنتى بالواو لا بالفاء كذا فى التفسير الكبير وفيه بحث لانه معطوف على مدخول الفاء فيصير اليه معنى الفاء (قوله او ادخلى فى اجساد عبادى) على ان يكون الخطاب للروح تمت سورة الفجر والله اعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(سورة البلد مكية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(قوله اقسم سبحانه بالبلد الحرام) قد اجمع المفسرون على ان المراد بالبلد الحرام مكة وان السورة نزلت بها اقسم بها لشرفها بانه تعالى جعلها حرما آمنا وفيها البيت العظيم الذى هو قبلة اهل الشرق والغرب ونزل فى حقه واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا وجعل البيت المعمور بازائه ودحيت الارض من تحته ومقام ابراهيم الذى نزل فى حقه واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى وقال عليه الصلاة والسلام فى حق مكة ان الله تعالى حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهى حرام الى ان تقوم الساعة لم تحل لاحد قبلى ولن تحل لاحد بعدى ولم تحل لى الا ساعة من نهار الحديث وفضائلها لا تحصى فلذلك اقسم الله تعالى بها على ان الانسان لا يخلو من كبد ومقاساة مشقة والظاهر ان كلمة لا فى لا اقسم صلة كما فى قوله مامنعك الا تسجد اى مامنعك ان تسجد وقول الشاعر

تذكرت ليلى فاعترتنى صبابة ❊ وكاد ضمير القلب لا يتقطع

اى يتقطع ولا صلة وقيل انها نافية والمعنى لا اقسم به وانت حل اى حال مقيم به نازل فيه بل اقسم بك (قوله وقيده بحلوله عليه الصلاة والسلام فيه) على ان تكون الواو حالية لا اعتراضية وتكون الجملة الاسمية حالا من المقسم به فالحال قيد لعاملها اقسم الله تعالى بالبلد مقيدا بانه عليه الصلاة والسلام حال فيه اظهار المزيد فضله فعلى هذا قوله تعالى حل نعت بمعنى الحال كالساقط بمعنى الساقط والحرم بمعنى الحرام وقد قرئ وحرم على قرية اهلكناها اى وحرام يقال حل بالمكان يحل من باب نصر حلا وحلولا اى نزل (قوله وقيل حل مستحل تعرضك فيه) فعلى هذا يكون الحل بمعنى الحلال من قولهم حل الشئ يحل حلا وحلا لا وهو حل بل اى حلال مطلق والجملة على هذا معترضة بين القسم والمقسم عليه اقسم الله تعالى على ان الانسان خلق مغمورا فى مكابدة المشاق والشدائد واعترض بين القسم والمقسم عليه بقوله وانت حل بهذا البلد اى حلال يستحلون ايذاءك ولو تمكنوا من اخراجك منه لاخرجوك

(وادخلى جنتى) معهم او فى زمرة المقربين فتستضئ بنورهم فان الجواهر القدسية كالمرايا المتقابلة او ادخلى فى اجساد عبادى التى فارقت عنها وادخلى دار ثوابى التى اعددت لك ❊ عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الفجر فى الليالى العشر غفر له ومن قرأها فى سائر الايام كانت له نورا يوم القيامة

(سورة البلد مكية وآيها عشرون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد) اقسم سبحانه بالبلد الحرام وقيده بحلوله عليه الصلاة والسلام فيه اظهارا لمزيد فضله واشعارا بان شرف المكان بشرف اهله وقيل حل مستحل تعرضك فيه كما يستحل تعرض الصيد فى غيره

بل قتلوك مع انهم لاينتهكون فيه المحرمات فلايقتلون فيه صيدا ولايعضدون به شجرا او اى مكابدة لتلك مع عظيم حرمته من ان تستحل بهذا البلد الحرام كما يستحل الصيد فى غيره وفيه تثبيت لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتصبير على ماكان يكابده من اهل مكة وتعجب من جرآتهم وشدة عداوتهم له عليه الصلاة والسلام (قوله اوحلال لك) على ان الحل بمعنى الحلال له اى ذوحل وحلال لك ان تقتل بمكة من شئت وتقاتل من قاتلك والجملة على هذا ايضا اعتراض اقسم ببلده عليه الصلاة والسلام على ان الانسان لايخلوا من مقاساة شدة واعترض بينهما بأن وعده فتح مكة باى طريق امكنه فتحها تتميما للتسلية وتنفيسا له عما لحقه من أذاهم فانه تعالى فتح على يده مكة واحلها له وجعله فى حل مما يصنع فيهما من القتل والاسر فقتل بن خطل وهو متعلق باستار الكعبة ومقيس بن ضبابة وغيرهما وخرب دار ابى سفيان فقوله تعالى وانت حل بهذا البلد معناه وانت حل به فيما يستقبل ونظيره فى كونه بمعنى الاستقبال قوله انك ميت وانهم ميتون وذلك لان السورة مكية بالاتفاق وفتح مكة وقع فى سنة ثمان بعد الهجرة فأين فتحها من الهجرة فضلا عن وقت نزول الآية (قوله وماولد ذريته) اى ذرية آدم عليه الصلاة والسلام ان كان هو المراد بالوالد وذرية ابراهيم عليه الصلاة والسلام ان كان هو المراد بالوالد فعلى الاول يكون القسم بجميع افراد نوع البشر صالحهم وطالحهم لكونهم اشرف ماخلق الله على وجه الارض لما فيهم من النطق والبيان وحسن الصورة والتدابير الغريبة واستخراج العلوم البديعة وفيهم الانبياء والصلحاء الداعون الى الله تعالى والناصرون لدينه وكل مافى الارض خلق لاجلهم وقد قال تعالى فى حقهم ولقد كرمنا بنى آدم وقيل المراد بقوله وماولد الصالحون من اولاد آدم بناء على ان الطالحين كانهم ليسوا من اولاده بل هم بهائم فى صورة البشر وعلى الثانى يكون القسم بابراهيم وبجميع اولاده من العرب والعجم ويحتمل ان يكون المراد بابراهيم واولاده المؤمنين ويؤيد الثانى انه شرع ان يقال فى التشهد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم ومعلوم ان المراد بآله المؤمنون لامطلق اولاده (قوله او محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) عطف على قوله ذريته اى سواء اريد بالوالد آدم او ابراهيم عليهما الصلاة والسلام يجوز ان يراد بما ولد محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فانه عليه الصلاة والسلام آخر اولاد كل واحد منهما من الانبياء اقسم لبلده وبأول آبائه وبنفسه او اقسم بمكة وابراهيم بانى البيت الذى فيها وبولده الذى هو خاتم النبيين والمرسلين ومطهر ذلك البيت من الاصنام والمشركين (قوله وايثار ماعلى من) جواب عما يقال

او حلال لك ان تفعل ما تريد ساعة من النهار فهو وعد بما احل له عام الفتح (ووالد) عطف على هذا البلد والوالد آدم او ابراهيم (وماولد) ذريته او محمد صلى الله تعالى عليه وسلم والتنكير للتعظيم وايثار ما على من لمعنى التعجب كما فى قوله والله اعلم بما وضعت

لو كان المراد بما ولد العقلاء لكان الظاهر ان يقال ومن ولد فكيف او ثرما على من وتقرير الجواب يتوقف على بيان الفرق بينهما وهوان من لاتستعمل الا فى ذات من يعقل بخلاف ما فانها قد تستعمل فى صفة من يعقل للاشارة الى انها مما لايكتنه كنهها والبلوغ الى اقصى مراتب الفضل والشرف بحيث يكون الموصوف بها عجيب الشان بسبب اتصافه به كما فى قوله تعالى والله اعلم بما وضعت اى باى شئ وضعت اى يعلم انها وضعت موضوعا عجيب الشأن بديع الاوصاف فكذا قوله تعالى وما ولد اى ومولود اى مولود عجيب الشأن و فى شرح الرضى وتستعمل ما فى الغالب فى صفات العالم نحو زيد ماهو وما هذا الرجل فهو سؤال عن صفته والجواب عالم اوزاهد ونحوهما وقول فرعون وما رب العالمين يجوز ان يكون سؤالا عن الوصف ولهذا قال موسى عليه الصلاة والسلام رب السموات الآية ويجوز ان يكون سؤالا عن الماهية واجاب عليه الصلاة والسلام ببيان الاوصاف تنبيها لفرعون على انه تعالى لايعرف الا بالاوصاف وان ماهيته غير معلومة للبشر انتهى وقال المفسرون قوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء تقديره فانكحوا الطيب من النساء فجعلوا كلمة ما مستعملة فى صفة من يعقل ومن لاتستعمل هكذا ثم ان كلمة ما لشدة ابهامها تدل على ان الوصف الذى دل بها عليه بالغ الى اقصى غاية الكمال فتفيد فى مقام المدح تفخيم شأن الموصوف بانه مما لايكتنه كنهه فى اتصافه بذلك (قوله تعالى فى كبد) منصوب المحل على انه حال من الانسان اى مكابدا مهيئا لان تعتريه انواع الشدائد والمصائب وهو جواب القسم قال الامام حرفا فى واللام متقاربان تقول انما انت فى العناء وانما انت للعناء والنصب وفيه وجه آخر وهو ان قوله فى كبد يدل على ان الكبد قد احاط به احاطة الظرف بالمظروف والكبد فى الاصل مصدر بمعنى توجع الكبد وتألمه يقال كبد الرجل يكبد كبدا فهو كبد اذا وجعته كبده وانتفخت ثم اتسع فيه حتى استعمل فى كل تعب ومشقة ومنه المكابدة والآية تسلية له عليه الصلاة والسلام مما كان يكابده من قريش فالمراد من الكبد اما شدائد الدنيا فقط اوشدائد التكاليف فقط اوشدائد الآخرة فقط او الكل والظاهر من كلام المصنف انه حمله على القبر ثم البعث والعرض على رب العالمين ما لك يوم الدين الى ان يصل الى موضع الاستقرار اما فى الجنة واما فى النار ولا شك ان رعايتهما كما تناول شدائد الدنيا تناول شدائد التكاليف ايضا وهو الشكر على السراء بقضاء حقها والصبر على الضراء بالانقياد لمن ساقها ثم انه تعالى لما سلى رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وحمله على الصبر على اذى قريش بان اقسم على انه خلق الانسان فى كبد

(لقد خلقنا الانسان فى كبد) تعب ومشقة من كبد الرجل كبدا اذا وجعت كبده ومنه المكابدة والانسان لايزال فى شدائد مبدأها ظلمة الرحم ومضيقه ومنتهاها الموت ومابعده وهو تسلية للرسول عليه الصلاة والسلام مما كان يكابده من قريش والضمير فى (أيحسب) لبعضهم الذى كان يكابد منه اكثر او يغتر بقوته كابى الاشدين كلدة فانه كان يبسط تحت قدمه اديم عكاظى ويجذبه عشرة فينقطع ولايزل قدماه او لكل احد منهم اوللانسان (ان لن يقدر عليه احد) فينتقم منه (يقول) اى فى ذلك الوقت (اهلكت مالا لبدا) كثيرا من تلبد الشئ اذا اجتمع والمراد ما انفقه سمعة ومفاخرة اومعاداة للرسول (أيحسب ان لم يره احد) حين كان ينفق

بعد ذلك فيسأله عنه
يعني ان الله يراه فيجازيه
او يجده فيحاسبه عليه
ثم قرر ذلك بقوله (الم نجعل
له عينين) يبصر بهما
(ولسانا) يترجم به
عن ضمائره (وشفتين)
يستر بهما فاه ويستعين
بهما على النطق والاكل
والشرب وغيرها
(وهديناه النجدين)
طريق الخير والشر
او الثديين واصله المكان
المرتفع (فلا اقتحم العقبة)
اى فلم يشكر تلك الايادى
باقتحام العقبة وهو
الدخول فى امر شديد
والعقبة الطريق فى الجبل
استعارها لما فسرها به
من الفك والاطعام (وما
ادراك ما العقبة فك رقبة
او اطعام فى يوم ذى مسغبة
يتيما ذا مقربة او مسكينا
ذا متربة) لما فيهما من
مجاهدة النفس

الحد فى وعيد من كان عليه الصلاة والسلام يكابد منه اكثر المكابدة او ينتز هو بقوته لشدة الاقتدار وفى وعيد كل واحد من الفريقين فان قوله تعالى لقد خلقنا الانسان فى كبد لما كان تسلية له عليه الصلاة والسلام عما كان يكابده من اشقياء قريش باعتبار كونه عليه الصلاة والسلام من جملة افراد الجنس المذكور كان هؤلاء الاشقياء فى حكم المذكور فصح ان يرجع اليهم ضمير قوله أيحسب ويحتمل ان يرجع الى جنس الانسان المذكور سابقا اى أيظن ان لن يقهره قاهر ولن يغلبه غالب بان يبعثه ويجازيه على سوء اعماله مع علمه بانه خلق فى كبد ولا يمكنه دفع ضيق الحال وتعب العيش وما اصابه من انواع المحن والآفات عن نفسه وذلك ظن فاسد وخيال باطل والمقصود من وعيد الجنس تهديد الاشقياء المغترين بكثرة اعوانهم وشدة قوتهم وأن فى قوله تعالى ان لن يقدر وان لم يره مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان المضمر اى ان الشأن لن يقدر ولم يره وهى بجملتها تسد مسد مفعولى الحسبان والوقف على قوله احد لازم لئلا يتوهم كونه موصوفا بقوله يقول اهلكت مالا لبدا فان الظاهر انه مستأنف لبيان مايقوله فى موقف الحساب والانتقام فانه يقول فيه انفقت مالا كثيرا فى وجوه المكارم والمبرات او فى عداوة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلم ينفعنى شئ من ذلك سمى الانفاق اهلاكا من حيث انه لما لم ينتفع به كان ما انفقه هالكا ضائعا ثم قال أيحسب ان لم يره احد حين كان ينفق ماينفق رياء وسمعة ومفاخرة او معاداة له صلى الله تعالى عليه وسلم بلى انه تعالى قد رآه وعلمه وكان رقيبا عليه يعلم قصده ونيته فى الانفاق (قوله او بعد ذلك فيسأل عنه) من اين كسبه واين انفقه اشار به الى جواز ان يكون لم يره بمعنى لن يراه بقرينة لن يقدر عليه (قوله يعنى ان الله تعالى يراه) بيان لمعنى انكار حسبانه انه لم يره بمعنى لم يره احد حين كان ينفق ولم يقل ان الله رآه فجازيه على انه هو الظاهر للدلالة على الدوام والاستمرار وقوله او يجده فيحاسبه بيان لمعنى انكار حسبانه انه لن يرى ذلك منه احد بعد ذلك ولم يوجد ذلك فى كتابه الذى كتبه حفظة اعماله اى بل يرى ذلك منه ويجده فى كتابه يوم العرض والحساب فيجازيه ويحاسبه عليه (قوله ثم قرر ذلك) اى بين انه يبعثهم ويجازيهم بما عملوا ببيان انه تعالى انعم عليهم نعما جليلة وهم لم يشكروا تلك النعم (قوله واصله المكان المرتفع) وسمى طريق الخير والشر بنجدين لانه لما اتضحت الدلالة على كونهما طريق الخير والشر صارا كالمكانين المرتفعين الظاهرين للابصار من مكان بعيد بسبب كونهما واضحين للعقول بتلك الدلائل (قوله لما فيهما من مجاهدة النفس) بيان لوجه مشابهتهما بالعقبة

فان مخالفة النفس وترك مقتضاها يشبه العقبة فى صعوبة اقتحامها والدخول فيهما و فك الرقبة عبارة عن تخليصها من اسر الرق (قوله ولتعدد المراد بها) لما تقرر فى النحو ان كلة لا اذا دخلت على الماضى لابد من التكرير كقوله تعالى فلا صدق ولاصلى وفى الآية لم تتكرر حيث قيل فلا اقتحم العقبة اجاب عنه بانها وان لم تتكرر لفظا فهى متكررة معنى لان معنى فلا اقتحم العقبة فلافك رقبة ولا اطعم مسكينا لانه فسر اقتحام العقبة بهما (قوله مغبلات) اى كل واحدة منها مصدر ميمى على وزن مفعلة سغب يسغب سغبا فهو ساغب وسغبان من باب علم بمعنى جاع يجوع جوعا ومجاعة فقوله تعالى ذى مسغبة بمعنى ذى مجاعة وقرب فى النسب قرابة ومقربة وترب الرجل اى افتقر بحيث كانه لصق بالتراب ومتربة اى مسكنة وفاقة قيد الاطعام بكونه فى يوم جاع فيه الناس للقحط لان اخراج المال فى ذلك الوقت اثقل على النفس واوجب للاجر وقيد اليتيم بان يكون بينه و بين المطعم قرابة نسبية لانه يجتمع فى الاطعام حينئذ جهتا الصلة والصدقة وقرئ فك رقبة اواطعم على لفظ الفعل الماضى فيهما و نصب رقبة على انها مفعول فك والفعل فى هذه القرآءة بدل من قوله اقتحم على سبيل البيان و التفسير كانه قيل فلا فك رقبة ولا اطعم وقوله وما ادراك ماالعقبة اعتراض بين البدل والمبدل منه والمعنى انك لم تدرك كنه صعوبتها وثوابها وفى قراءة فك رقبة برفع الاسم المضاف الى رقبة يكون الاسم خبر مبتدأ محذوف اى هو فك اى اقتحام العقبة فك رقبة لان قوله وما ادراك ماالعقبة تقديره وما ادراك ما اقتحام العقبة فيكون المبتدأ راجعا الى المضاف المقدر وانما احتيج الى تقدير مضاف لانه لو لم يقدر وجعل فك رقبة تفسيرا لنفس العقبة للزم تفسير احد المتباينين بالآخر لان الفك مصدر والعقبة ليست كذلك و بتقدير المضاف يندفع المحذور قال الامام نقلا عن الفراء اذا قرئ فك واطعم على لفظ الفعل الماضى كان من عطف الفعل على الفعل و اذا قرئ على لفظ المصدر على تقدير هى فك رقبة او اطعام كان من عطف الفعل على الاسم وهو غير حسن فى قانون العربية وفيه بحث لان القرآءة على لفظ المصدر لاتستلزم عطف الفعل على الاسم لجواز ان يكون قوله ثم كان فى تلك القرآءة معطوفا على اقتحم لاعلى الفك كما اشار اليه المصنف بقوله عطفه على اقتحم اوعلى فك بثم لتباعد الايمان عن العتق والاطعام فى الرتبة اى لا فى الزمان لان الايمان شرط للانتفاع بما اقتحم فيه من الطاعات فيجب ان يكون مقدما عليها ومستقلا فى الانتفاع به لكونه معتبرا فى نفسه غير متوقف على شئ من الطاعات وقيل هى للتراخى فى الزمان بناء على ان المعنى ثم كان فى عاقبة امره من الذين آمنوا بان يموت على الايمان فان موافاة الموت على الايمان شرط

ولتعدد المراد بها حسن وقوع لا موقع لم فانها لاتكاد تقع فى الماضى الا مكررة اذ المعنى فلا فك رقبة ولا اطعم يتيما اومسكينا و المسغبة و المقربة والمتربة مفعلات من سغب اذا جاع وقرب فى النسب و ترب اذا افتقر و قرأ ابن كثير و ابو عمرو و الكسائى فك رقبة او اطعم على الابدال من اقتحم وقوله وما ادراك ما العقبة اعتراض معناه انك لم تدرك كنه صعوبتها وثوابها (ثم كان من الذين آمنوا) عطفه على اقتحم اوفك بثم لتباعد الايمان عن العتق و الاطعام فى الرتبة لا ستقلاله واشتراط سائر الطاعات به (وتواصوا بالصبر) واوصى بعضهم بعضا بالصبر على طاعة الله (وتواصوا بالمرحمة) بالرحمة على عباده

فلا اشتغال بالطاعات وفى هذه عدم التواصى بالصبر و بالمرحمة من وجوه كفرانه و سيئات خصاله دليل على انه يجب على المرء ان يدل غيره على طريق الحق كالصبر على الانتهاء عن المعاصى والمنكرات وعلى الامتثال بالاوامر و ملازمة الطاعات فقوله تعالى وتواصوا بالصبر اشارة الى تعظيم امر الله تعالى وقوله وتواصوا بالمرحمة اشارة الى الشفقة على خلق الله تعالى ومدار امر الطاعة ليس الا على هذين الاصلين وهو الذى قاله بعض المحققين ان الاصل فى التصوف امر ان صدق مع الحق وصداقة مع الخلق (قوله او بموجبات رحمة الله تعالى) يعنى ان المرحمة مصدر بمعنى الرحمة والشفقة الا انه يجوز ان يكون المراد بالمرحمة نفس الرحمة على عباد الله تعالى باى طريق امكن وان يراد بها مايوجب رحمته تعالى بمقتضى وعده على طريق اطلاق اسم المسبب على السبب تنبيها على كماله فى السببية والمرحمة بهذا المعنى اعم من المرحمة بالمعنى الاول وهى الشفقة لمن يستحقها من العباد وهو ظاهر واعم ايضا من الطاعة التى اوجب التواصى بالصبر عليها بقوله وتواصوا بالصبر على طاعة الله تعالى لان الطاعة لكونها منبئة عن الانقياد لتكليف الشارع انما تتناول فعل الواجبات وترك المحرمات ومايوجب رحمة الله كما يتناولهما يتناول السنن والمستحبات والآداب ايضا فلذلك لم يكتف بذكر التواصى بالصبر على طاعة الله بل ذكر بعده التواصى بما يوجب رحمة الله تعالى ايضا تكميلا للترغيب فى جميع ماهو من معالم الدين ثم انه تعالى بين ان اصحاب هذه الاوصاف المذكورة هم اصحاب الميمنة فى القيامة وقد بين الله تعالى ثوابهم فى سورة الواقعة بقوله فى سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة لامقطوعة ولا ممنوعة وفرش مرفوعة والميمنة اما بمعنى اليمين واصحاب اليمين هم الذين يعطون كتبهم بأيمانهم ويسلك بهم على طريق اليمين الى الجنة واما بمعنى اليمن والخير والسعادة فان السعداء ميامين على انفسهم بطاعتهم وكذا اصحاب المشأمة اما بمعنى اصحاب الشمال الذين يعطون كتبهم بشمالهم و يسلك بهم على جانب الشمال الى النار او بمعنى اصحاب الشؤم والشر الذين هم مشائيم على انفسهم بمعصيتهم (قوله ولتكرير ذكر المؤمنين باسم الاشارة) اى الموضوع للاشارة الى الحاضر المشاهد والكفار بالضمير اى ضمير الغائب شأن لايخفى وذلك لان ذكرهم باسم الاشارة تكريم لهم بانهم حاضرون عنده تعالى فى مقام كرامته وذكرهم بمايشار به الى البعيد تعظيم لهم بالاشارة الى علو درجاتهم وارتفاعها على درجة اضدادهم فان درجة من حضر عنده تعالى كيف لاتعلو على درجة من غاب عنه وذكر الكافرين بضمير الغائب

او بموجبات رحمة الله (اولئك اصحاب الميمنة) اليمين او اليمن (والذين كفروا بآياتنا) بما نصبناه دليلا على حق من كتاب وحجة او بالقرآن (هم اصحاب المشأمة) الشمال او الشؤم ولتكرير ذكر المؤمنين باسم الاشارة والكفار بالضمير شأن لايخفى

اشارة الى انهم غيب عن مقام كرامته تعالى وشرف الحضور عنده (قوله من اوصدت الباب اذا اطبقته) اوصد افعل من المعتل الفاء الواوى مثل اوعد يوعد وآصد ايضا افعل الا انه من المهموز الفاء مثل امن يؤمن وهما لغتان بمعنى اطبق واغلق يقال آصدت الباب واوصدته اذا اغلقته فمن قرأ مؤصدة بالهمزة جعلها اسم مفعول من آصدت ويجوز ان يكون من اوصدت ولكنه همز الواو الساكنة لضم ماقبلها على لغة من يقول مؤسى و يقرأ بالسؤق والاعناق وكان ابو بكر يكره الهمز فى هذا الحرف و يقول لنا امام يهمز مؤصدة فأشتهى ان اسد اذنى اذا سمعته فكانه لم يحفظ من شيخه وهو عاصم الاترك الهمز وقد حفظه حفص عنه بالهمزة وهو اضبط لحذفه من ابى بكر على مانقله القراء وان كان ابو بكر اكبر واتقن واوثق عند اهل الحديث ومن لم يهمز اخذها من اوصدت قيل فى قوله تعالى نار مؤصدة ان نار مبتدأ ومؤصدة خبره وعليهم متعلق بالخبر والوجه ان يكون مؤصدة صفة لها والخبر عليهم والجملة اما مستأنفة لامحل لها او خبر ثان والمعنى عليهم نار ابوابها مؤصدة مغلقة فلا يفتح لهم باب ولا يخرج منها غم ولا يدخل فيها روح ابد الآباد نعوذ بالله تعالى منها ومن موجباتها برحمة منه وفضل * تمت سورة البلد والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(سورة والشمس مكية)

بسم الله الرحمن الرحيم

(قوله تعالى والشمس الخ) اقسم الله تعالى بما ذكره من انواع المخلوقات المتضمنة للمنافع العظيمة على فلاح من زكى نفسه اى اصلحها وانما هما بالعلم والعمل وجنبها من نقصها بالجهل والمعصية ترغيبا فى الطاعات وتحذيرا عن المعاصى (قوله وضوئها اذا اشرقت) اى ارتفعت وانبسط نورها لان الاشراق يكون بعد الشروق الذى هو الطلوع يقال شرقت الشمس تشرق شروقا اى طلعت واشرقت اشراقا اى اضاءت بان ارتفعت وانبسط نورها والضحوة بعد الاشراق قال مجاهد والكلبى ضحى الشمس ضوءها اى نورها المنبسط على وجه الارض وهو نقيض الظل والمشهور عند العرب ان الضحوة وقت ارتفاع الشمس بعد الطلوع والضحى فوق ذلك والضحاء بالفتح والمد فوق ذلك وهو وقت امتداد النهار وقرب ان ينتصف واختار المبرد الاول حيث قال الضحاء والضحوة مشتقان من الضحى وهو نور الشمس المنبسط على وجه الارض المضاد للظل وفى الحديث لايقعدن احدكم بين الضحى والظل فانه مقعد الشيطان فعلى هذا الضحى هو الضوء المشرق

(عليهم نار مؤصدة) مطبقة من اوصدت الباب اذا اطبقته واغلقته وقرأ ابو عمرو وحمزة وحفص بالهمزة من آصدته * عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ لا اقسم بهذا البلد اعطاه الله تعالى الامان من غضبه يوم القيامة

(سورة الشمس مكية وآيها خمس عشرة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والشمس وضحاها) وضوئها اذا اشرقت وقيل الضحوة ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك والضحاء بالفتح والمد اذا امتد النهار وكاد ينتصف

لاالوقت و يدل عليه اضافة الوقت اليه حيث قال وقت الضحى اى وقت اشراق الضوء (قوله تلا طلوعه طلوع الشمس اول الشهر) الظاهر ان يقال بدل هذه العبارة تلا غروبه غروب الشمس وذلك فى ليلة الهلال فان تبعية القمر الشمس فى الطلوع لاتظهر للحس لكونه مغلوبا مضمحلا بنور الشمس بخلاف تبعيته لها فى الغروب فانها ظاهرة محسوسة (قوله اوغروبها) منصوب معطوف على قوله طلوع الشمس فان القمر يبقى طالعا عند غروب الشمس ليلة البدر (قوله اوفى الاستدارة) عطف على ماقبله فى المعنى فكانه قيل اذاتلاها فى الطلوع اوفى الغروب اوفى الاستدارة (قوله فانها تجلى اذا انبسط النهار) اشارة الى ان اسناد جلى الى ضمير النهار من قبيل اسناد الفعل الى زمانه كما فى نحو صام نهاره لان انجلاء الشمس يقع حين انبساط النهار وليس انبساطه مجليا لها (قوله اوالظلمة) منصوب بالعطف على الشمس فى قوله جلى الشمس اى و يجوز ان يكون ضمير جلاها راجعا الى الظلمة واخو يها العلم كما جاز رجوعه الى الشمس لذكرها آنفا واسناد يغشى الى ضمير الليل من قبيل الاسناد فى صام نهاره لان الذى يغطى ضوء الشمس فى الليل هو حيلولة الارض بين الشمس و بين ماوقع عليه ضوءها لانفس الليل الذى هو زمان تلك الحيلولة (قوله ولما كانت واوات العطف) جواب عما يقال من ان الواوات الواقعة بعد قوله تعالى والشمس وضحاها الظاهر انها عاطفة لان كونها قسمية يستلزم تعدد القسم مع كون المقسم عليه واحدا وقد اتفق الخليل وسيبويه على استكراهه وقال الاصغر أيني استقربنا ما استقربنا وتتبعنا كلام العرب فلم نر موضعا تعدد فيه القسم الاوقد كان كل واحد من القسم واقعا فيه على مقسم عليه على حدة فتعين كونها عاطفة وذلك يستلزم ان يعطف معمولان على معمولى عاملين مختلفين وهو لايجوز لان الحرف الواحد لاينوب عن عاملين مختلفين و بيان الملازمة ان النهار المجرور فى قوله تعالى والنهار اذا جلاها معطوف على معمول واو القسم الجار وهو الشمس وقوله اذا جلاها معطوف على قوله اذا تلاها وهو معمول فعل القسم و بما اجاب به ظهر انه من قبيل العطف على معمولى عامل واحد كما فى قولك ضرب زيد عمرا و بكر خالدا فان الواو فيه لعطف بكر وخالدا على معمولى ضرب وهما الفاعل والمفعول فكذا هنا وذلك لان الواو الاولى القسمية كما تعمل الجر لنيابتها عن الباء القسمية فكذلك تعمل النصب فى الظرف الذى بعدها لنيابتها عن فعل القسم واصل الكلام اقسم بالشمس فحذف الفعل وحرف الجر وانيبت الواو منابهما فسد مسدهما معا فهى عامل واحد عمل عملين مختلفين الجر والنصب فكان المجرور

﴿والقمر اذا تلاها﴾ تلاطلوعه طلوع الشمس اول الشهر اوغروبها ليلة البدر اوفى الاستدارة وكمال النور ﴿والنهار اذاجلاها﴾ جلى الشمس فانها تجلى اذا انبسط النهار والظلمة اوالدنيا اوالارض وان لم يجر ذكرها للعلم بها ﴿والليل اذا يغشاها﴾ يغشى الشمس فيغطى ضوءها اوالآفاق او الارض ولما كانت واوات العطف نوائب للواو الاولى القسمية الجارة بنفسها النائبة مناب فعل القسم من حيث استلزمت طرحه معها ربطن المجرورات والظروف بالمجرور والظرف المتقدمين ربط الواو بما بعدها فى قوله ضرب زيد عمرا و بكر خالدا على الفاعل والمفعول من غير عطف على عاملين مختلفين

والظرف الذان بعدها معمولى عامل واحد واذا عطف على هذين المعمولين بالواو لم يلزم العطف على معمولى عاملين وهذا الجواب لايجرى فيما اذا كان فعل القسم مصرحا به كما فى قوله تعالى والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس بعد قوله فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس فان الواو هنا عاطفة عطف بها المجرور على معمول الباء والظرف على معمول فعل القسم المصرح به وهو الظرف الاول فيحتاج فيه الى جواب آخر نحو ان يقال لانسلم ان الظرف المنصوب معمول لفعل القسم اوللواو النائبة منابه لان تقييد القسم بالزمان غير مناسب سواء كان الزمان حالا او مستقبلا بل هو معمول لمضاف مقدر مدلول عليه بالقسم نحو العظمة فان الاقسام بالشئ تعظيم له كانه قيل اقسم بعظمة الشمس وضحيها وبعظمة القمر اذا تلاها فالقمر المجرور وكذا الظرف بعده معمولان لذلك المقدر فيكون المجرور والظرف فى قوله تعالى والصبح اذا تنفس معطوفين على معمول عامل واحد فان قيل ماذكرته فى تقرير جواب المصنف من ان الواو العاطفة لنيابتها عن فعل القسم تنصب الظرف بعدها محل بحث لان فعل القسم المضمر بمعنى الحال لانه لانشاء القسم فى الحال فلا يعمل فى اذا لانه ظرف لما يستقبل والفعل الحالى لايعمل فى الظرف المستقبل لان الفعل الحالى لايصير استقباليا واذا لم يصلح فعل القسم المضمر ناصبا لظرف الزمان المستقبل فكيف تصلح الواو النائبة منابه ناصباله فلنافرق بين اقسم بالشمس غدا واقسم بها اذا اشرقت غدا فالذى لايجوز هو الاول لاالثانى فانه يجوز ان يقسم الآن باشراق الشمس وسائر مايترقب وجوده بعد زمان القسم (قوله وانما اوثرت على من لارادة معنى الوصفية) لم يرد ان كلة ما يوصف بها نعتا نحو يا كما يوصف بالذى فان ما ومن الموصولتين لايوصف بهما بخلاف الذى بل المراد ان ماقد تستعمل فى الصفات فيقال اذا اريد ان يسأل عن صفة زيد ما زيد فيجاب عنه بانه فقيه اوطبيب واذا اريد ان يسأل عن ذاته يقال من هذا والجواب عنه ان يقال هذا زيد (قوله ولذلك افرد ذكره) اى ولكون المقصود من ايثار ما على من الدالة على معنى الوصفية والقدرة الكاملة افرد ذكر البناء الدال على القادر بقوجعل صلة مايدل عليها لان شان الصلة ان تميز الموصول وتعينه (قوله تعالى وما طحاها) الطحو الدحو وهو البسط وابدال الطاء من الدال جائز قال عطاء والكلبى بسطها على الماء وقيل طحاها من تحت الكعبة والنفس ان حملت على الجسد فتسويتها عبارة عن تعديل اعضائها بعضها ببعض كما يشهد به علم التشريح وان حملناها على القوة المدبرة فتسويتها تكميل امرها باعطائها من القوى مايتم به جميع احوالها وبعض تلك القوى محركة وهى اثنتان شهوية

(والسماء وما بناها) ومن بناها وانما اوثرت على من لارادة معنى الوصفية كانه قيل والشئ القادر الذى بناها ودل على وجوده وكمال قدرته بناؤها ولذلك افرد ذكره وكذا الكلام فى قوله

والغضبية و بعضها مدركة وهي عشر الحواس الخمس الظاهرة والخمس الباطنة و بعضها لا مدركة ولا محركة وهي سبع الغاذية والنامية والمولدة والجاذية والهاضمة والماسكة والدافعة (قوله وجعل الماآت مصدرية بمجرد الفعل من الفاعل) اى بمجرد المنوى فى الهمها عما يرجع هو اليه فان الماآت التى فى قوله وما بناها وما طحاها وما سواها ان كانت مصدرية لا يكون مذكورا الا السماء والارض والنفس وما يتعلق بهما من المعانى المصدرية وهى البناء والطحو والتسوية وشئ منها لا يصلح لان يرجع اليه المنوى فى الهمها وقوله الا ان يضمر فيها اسم الله للعلم به استثناء من قوله بمجرد الفعل عن الفاعل واشارة الى ان سبق الذكر ليس شرطا فى ارجاع الضمير اذا كان المرجوع اليه لنباهة شأنه مما لا يغيب عن العقل كقوله انا انزلناه وقوله ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك على ظهرها (قوله و يخل بنظم قوله فالهمها بقوله وما سواها) وذلك انه على تقدير ان تكون مامصدرية يلزم عطف الفعل على الاسم لانه يكون تقدير الكلام حينئذ ونفس وتسويتها فالهمها ولا خفاء فى ركاكة هذا النظم و يمكن ان يقال لا بعد فى ان تجعل مامصدرية و يكون فالهمها عطفا على سواها بان يكون هو ايضا فى تأويل المصدر على معنى وتسويتها فالهامها فجورها غاية ما فى الباب ان يكون فالهمها كالافعال السابقة وهي بناها وطحاها وسواها فى تجردها عن الفاعل و يلتزم ان يضمر فيها اسم الله تعالى للعلم به فان قيل الفاء تدل على الترتيب من غير مهلة والتسوية تكون قبل نفخ الروح والالهام يكون بعد البلوغ فيختل انتظام الالهام المصدر بالفاء بما قبله على تقدير ان تكون مامصدرية قلنا التسوية عبارة عن تعديل الاعضاء والقوى الادراكية وذلك انما يكون بعد البلوغ و يدل عليه كون الصبي محجورا عليه غير مقبول الشهادة وغير مكلف بالاحكام الشرعية والهام الفجور والتقوى عبارة عن افهامهما واعقالهما وتعريفهما لهما من حيث ان احدهما حسن والآخر قبيح فهو مرتب على التسوية بالمعنى المذكور من غير مهلة (قوله وحذف اللام للطول) اى لطول الكلام بين القسم وجوابه قيل لما طال الكلام صار طوله عوضا عن اللام وقيل لما كانت اللام للتأكيد و قد ايضا تفيد التأكيد استغنى بهما عن اللام (قوله وكأنه لما اراد به) اى بقوله قد افلح من زكاها وهو بيان لوجه الاقسام عليه فانه تعالى لما اقسم بالشمس التى هى اعظم المحسوسات شرفا ونفعا ووصفها بأوصافها الاربعة التى هى ضوءها وكونها متبوعة للقمر ومتجلية عند ارتفاع النهار ومختفية متغطية بالليل ثم اقسم بالسماء التى هى مسير الشمس واعظم

(منها)

(ونفس وما سواها) وجعل الماآت مصدرية بمجرد الفعل عن الفاعل و يخل بنظم قوله (فالهمها فجورها وتقواها) بقوله وما سواها الا ان يضمر فيها اسم الله للعلم به وتنكير نفس للتكثير كما فى قوله علمت نفس او للتعظيم والمراد نفس آدم والهام الفجور والتقوى افهامهما و تعريف حالهما والتمكين من الاتيان بهما (قد افلح من زكاها) انماها بالعلم والعمل جواب القسم و حذف اللام للطول وكأنه لما اراد به الحث على تكميل النفس والمبالغة فيه اقسم عليه بما يدلهم على العلم بوجود الصانع ووجوب ذاته وكمال صفاته الذى هو اقصى درجات القوة النظرية

منها ومن المعلوم انهما طر كانهما الوضعية والآنية وتغيراحوالهما من الاجسام الممكنة المحتاجة الى صانع واجب الوجود لذاته دفعا للدور او التسلسل موصوف بصفات الجلال والجمال (قوله ويذكرهم) عطف على قوله يدلهم ولا شك ان هذه الامور المقسم بها من عظائم الآلاء (قوله وقيل استطراد) عطف على قوله جواب القسم والدمدمة اهلاك باستئصال وقيل هو التعذيب على اتم الوجوه ولم يجعل قوله تعالى كذبت ثمود جوابا لان اقسام الله تعالى انما يؤكد به الوعد والوعيد وهو ليس منهما بل ذكر استشهاد القوله قد خاب من دساها بخلاف قوله تعالى قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها فان الاول وعد لاهل التزكية بالظفر بكل خير والثاني وعيد لاضدادهم بالخيبة والخسران (قوله بسبب طغيانها) يعني ان الطغوى مصدر كالدعوى بمعنى الطغيان الا ان الطغوى لما كانت اشبه برؤس سائر الآيات اختيرت على لفظ الطغيان وان كان هو المشهور والباء فيه سببية ومفعول كذبت محذوف للعلم به والمعنى كذبت ثمود نبيها صالحا عليه السلام بسبب طغيانها وقوله او بما اوعدت به اي و يجوز ان يكون الطغوى اسما لعذابهم الذي اهلكوا به فتكون الباء للتعدية ومتعلقة بكذبت كما في قوله تعالى كذبت ثمود وعاد بالقارعة اي بالعذاب الذي حصل لهما ثم قال فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية فسمى ما اهلكوا به من العذاب طاغية لكونه مجاوزا عن القدر المعتاد فجاز أن يراد بالطغوى في هذه ما اوعدوا به من العذاب لكونه مجاوزا عن القدر المعتاد فان الطغيان في اللغة عبارة عن مجاوزة الحد (قوله تفرقة بين الاسم والصفة) وذلك ان فعلى اذا كانت من ذوات الياء وكانت اسما قلبت ياؤها واوا وان كانت صفة ابقيت الياء على حالها تفرقة بينهما تقول في الصفة خزيا وريا وصديا فان خزيا صفة بمعنى مستحية من خزى الرجل اذا استحيي وريا من روى وصديا من صدى اي عطش فهو صديان وهي صديا مثل عطشان وعطشى وزنا ومعنى وتقول في الاسم تقوى و بقوى في اسمي الاتقاء والانتظار من تقى الله تقيا اي خافه و بقيته اي انتظرته وابقاء الياء على حالها في الصفة اولى من ابقائها في الاسم لان الصفة اثقل من الاسم والياء اخف من الواو وان قرئ بطغواها بضم الطاء يكون ايضا مصدرا كالرجعى والحسنى الا ان قلب يائه واوا حينئذ يكون مخالفا للقياس اذ القياس بقاؤها على حالها كالسقيا (قوله حين قام طرف لكذبت) اي كذبوا نبيهم حين نهض اشقاهم لعقر الناقة امتثالا لامر من بعثه اليه فان انبعث مطاوع لبعث يقال بعثت فلانا على الامر فانبعث له وامتثل وان كان اذ طرفا لطغوى يكون بمعنى كذبوا نبيهم

ويذكرهم عظائم آلائه ليحملهم على الاستغراق في شكر نعمائه الذي هو منتهى كمالات القوة العملية وقيل استطراد بذكر بعض احوال النفس والجواب محذوف تقديره ليدمدمن الله على كفار مكة لتكذيبهم رسوله كما دمدم على ثمود لتكذيبهم صالحا (وقد خاب من دساها) نقصها واخفاها بالجهالة والفسوق واصل دسى دسس كتقضي وتقضض (كذبت ثمود بطغواها) بسبب طغيانها او بما اوعدت به من عذابها ذي الطغوى كقوله فاهلكوا بالطاغية واصله طغياها وانما قلبت ياؤه واوا تفرقة بين الاسم والصفة وقرئ بالضم كالرجعى (اذ انبعث) حين قام طرف لكذبت اولطغوى (اشقاها) اشقى ثمود وهو قدار بن سالف اوهو

... لا ... على تأويل الناقة فان افعل التفضيل اذا اضيف صلح للواحد والجمع وفضل بشقاوتهم لتوليهم العقر (فقال لهم رسول الله ناقة الله) اى ذروا ناقة الله واحذروا عقرها (وسقياها) فلا تذودوها عنها (فكذبوه) فيما حذرهم منه من حلول العذاب ان فعلوا (فعقروها فدمدم عليهم ربهم) فأطبق عليهم العذاب وهو من تكرير قولهم ناقة مدمومة اذا البسها الشحم (بذنبهم) بسببه (فسواها) فسوى الدمدمة بينهم اوعليهم فلم يفلت منها صغير ولا كبير او ثمود بالاهلاك (ولايخاف عقباها) اى عاقبة الدمدمة او عاقبة هلاك ثمود وتبعتها

بسبب طغيانهم حين انبعث او كذبوا بعذابهم ذى الطغوى حين انبعث واختلفوا فى الاشقى الذى هو عاقر الناقة هل هو شخص معين او جماعة فمن ذهب الى الاول قال اسمه قدار بن سالف وهو اشقى الاولين ويؤيده قوله تعالى فى سورة القمر فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر ومن ذهب الى الثانى قال انما جاء الاشقى بلفظ الواحد بناء على ان افعل التفضيل اذا اضيف يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ويؤيده قوله تعالى فكذبوه فعقروها (قوله ومن مالأه) اى صاحبه وعاش معه ملاوة من الدهر اى حينا وسهله وفى بعض النسخ ومن والاه اى صادقه وهو من الولى بمعنى الصديق (قوله فقال لهم) عطف على قوله انبعث فان ثمود لما اقترحوا الناقة واخرجها لهم صالح من الصخرة على الوجه الذى وصفوها عليه الصلاة والسلام جعل لهم شرب يوم من شربهم ولها شرب يوم معلوم فقال لهم ذروها وشربها اى نصيبها من الماء فاستمروا على ما امرهم به صالح عليه الصلاة والسلام الى ان استضروا بذلك فى امر مواشيهم فهموا بعقرها فلما علم صالح ماعزموا عليه اداهم الوصية فقال هذه ناقة الله لكم آية دالة على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته وعلى نبوتى فاحذروا ان تمسوها بسوء واحذروا ايضا ان تمنعوها من سقياها اى شربها ونصيبها من الماء فانكم ان تفعلوا ذلك تعذبوا فكذبوه فى انهم يعذبون ان فعلوا ذلك فعقروا الناقة فاطبق عليهم العذاب بحيث لم يبق منهم احد الا اهلكه (قوله اى ذروا ناقة الله) اشارة الى ان ناقة الله منصوب بعامل مضمر على التحذير واضمار الناصب هنا واجب لوجود العطف فان اضمار الناصب يجب فى ثلاثة مواضع احدها ان يكون المحذر نفس اياك وبابه الثانى ان يوجد فيه عطف الثالث ان يوجد فيه تكرير نحو الاسد الاسد والطريق الطريق (قوله وهو من تكرير قولهم ناقة مدمومة) يقال دمت الناقة بالشحم اى طليت به بحيث لم يبق منها شئ لم يمسه الشحم ثم كرر الدال بين عين الفعل ولام الفعل للمبالغة فى الاحاطة وهذه قاعدة مطردة فى كل مضاعف من الثلاثى كرر فاؤه بين العين واللام نحو زلزل فى زل (قوله او ثمود بالاهلاك) على ان يكون ضمير سواها راجعا الى ثمود باعتبار تأويله بالقبيلة كما عاد اليه ضمير بطغواها بذلك الاعتبار وعلى الاول يكون راجعا الى الدمدمة والعقوبة المذكورة معنى كما فى قوله تعالى اعدلوا هو اقرب فانهم قد هلكوا بصيحة واحدة من جبريل عليه الصلاة والسلام وتلك الصيحة اهلكتهم جميعا بحيث لم يبق منهم احد لاصغير ولا كبير (قوله اى عاقبة الدمدمة اوعاقبة هلاك ثمود) يعنى ان ضمير سواها ان رجع الى الدمدمة يرجع

(اليها)

فيبق بعض الابقاء والواو للحال وقرأ نافع وابن عامر فلا على العطف ﴿ عن النبي عليه السلام من قرأ سورة والشمس فكأنما تصدق بكل شيء طلعت عليه الشمس والقمر

(سورة الليل مكية وايها احدى و عشرون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والليل اذا يغشى) اى يغشى الشمس او النهار او كل ما يواريه بظلامه (والنهار اذا تجلى) ظهر بزوال ظلمة الليل او تبين بطلوع الشمس (وما خلق الذكر والانثى) والقادر الذى خلق صنفى الذكر والانثى من كل نوع له توالد او آدم وحواء وقيل ما مصدرية (ان سعيكم لشتى) ان مساعيكم لاسباب مختلفة لشتى جمع شتيت

اليها ضمير عقباها الا أنه حينئذ لابد من تقدير ما يضاف اليه العقبى (قوله فيبق بعض الابقاء) اى فيترحم بعض الترحم وفى الصحاح ابقيت على فلان اذا اوعيت عليه وورحمته يقال لاابقى الله عليك ان ابقيت على والاسم منه البقوى بفتح الباء وكذلك التقوى بفتح التاء (قوله والواو للحال) فقوله ولا يخاف عقباها فى محل النصب على انه حال من المنوى فى سواها الراجع الى الله جل ذكره اى فسواها غير خائف عقبى ماصنع بهم من الاهلاك اى عاقبتها وتبعتها كما يخاف الملوك والولاة لانه تعالى فعل بهم ما فعل بحق وحكمة وكل من كان فعله على وفق الحكمة ومقتضاها فانه لايخاف عاقبة فعله وان قرئ فلا يخاف بالفاء يكون معطوفا على قوله فسواها ومتفرعا عليهما تمت سورة الشمس بحمد الله وعونه وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(سورة الليل مكية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(قوله اى يغشى الشمس او النهار) يدل على الاول قوله تعالى فى السورة السابقة والليل اذا يغشاها وعلى الثانى قوله تعالى يغشى الليل النهار فالمفعول المقدر على التقديرين ليس بعام الا انه حذف اعتمادا على ما يدل عليه وان كان تقدير الكلام اذا يغشى كل ما يواريه و يستره بظلامه كان عدم ذكره للتعميم (قوله ظهر بزوال ظلمة الليل) هذا المعنى يناسب لكون المفعول المقدر ليغشى النهار وقوله او تبين بطلوع الشمس هو المناسب لكون المفعول المقدر الشمس اقسم الله تعالى بالليل ثم بالنهار لما فى تعاقبهما من مصالح لاتحصى فانه لو كان الدهر كله ليلا لتعذر المعاش ولو كان كله نهارا لاختل امر الاستراحة والمصالح المتعلقة بالليل فمقتضى الحكمة ليس الا تعاقبهما فلذلك امتن سبحانه وتعالى بذلك وقال هو الذى جعل الليل والنهار خلفة (قوله صنفى الذكر والانثى) على ان تعريف الذكر والانثى للجنس وعلى الثانى للعهد (قوله ان مساعيكم الخ) اشارة الى وجه الاخبار عن السعى وهو مفرد بشتى وهو جمع شتيت كمرضى ومرضى وجريح وجرحى و بيانه ان السعى مصدر قولك سعى الرجل يسعى اذا عمل وكسب والمصدر جنس يشمل جميع افراده لاسيما وقد اضيف الى الجمع فهو جمع فى المعنى الا ان المقصود بالاخبار عنه ليس هو السعى والعمل بالمعنى المصدرى بل المقصود الاخبار عن الاعمال الصادرة بالسعى فالمصدر ههنا بمعنى المفعول فلذلك فسره بالمساعى والاعمال المكتسبة والتشتيت المتباعد المتفرق يقال تشتت الامر تشتا وشتاتا اى تفرق وامر شت

وشتيت اي متفرق وحكم على الاعمال المكتسبة المختلفة بكون بعضها هدى و بعضها ضلالا بانها شتى لتباعد ما بين بعضها و بعض فان بعضها يؤدي الى الجنان و بعضها الى عذاب النيران وقد روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال فى تفسير الآية ان اعمالكم مختلفة عمل للجنة و عمل للنار (قوله تفصيل مبين لتشتت المساعى) اى مبين لاختلاف الاعمال من حيث اختلاف اجزيتها فان اختلاف انفس المساعى والاعمال فى انفسها معلوم لافائدة فى الاخبار عنه (قوله والمعنى من اعطى الطاعة واتقى المعصية) اشارة الى ان عدم ذكر متعلقات هذه الافعال للتعميم ليذهب ذهن السامع كل مذهب مما يصح تعلق الفعل به فمتعلق الاعطاء جميع مايتقرب بفعله واتيانه من العبادات القلبية والبدنية والمالية واعطاؤها صرف القوى والآلات فى تحصيلها وكذا متعلق الاتقاء جميع ماكان ملابسته معصية وكل واحد منهما لالم ينفع صاحبه بدون التصديق والايمان عقبه بقوله وصدق بالحسنى اى بالكلمة الحسنى ونظيره قوله تعالى او اطعام فى يوم ذى مسغبة تنبيها الى قوله ثم كان من الذين آمنوا والخلة بالفتح الخصلة واليسرى اعمال الخير بناء على ان الاعمال بالعواقب فكل ما ادى الى يسر وراحة فهو خصلة يسرى ومعنى تيسير المكلف لها ان يوفقه لاتيانها ويسهلها له من غير ان يعتريه من التغافل والكسل مايعترى المرائين والمنافقين وكذا المراد بالعسرى اعمال الشر المؤدية الى العسر والعذاب وتيسير المكلف لها ان يخذله و يخليه وشأنه لعمله باختيار المكلف ذلك (قوله نفى او استفهام انكار) اذا كانت كلمة ما نافية يكون مفعول يغنى محذوفا اى ليس يغنى عنه ماله شيئا وان كانت استفهامية تكون فى محل النصب على انها مفعول يغنى اى اى شئ يغنى عنه ماله اى لايغنى شيئا (قوله تعالى تردى) يحتمل ان يكون من التردى بمعنى الهلاك والموت يقال ردى يردى من باب علم اى هلك وارداه غيره و هو ردى اى هالك وتردى تفعل منه للمبالغة و يجوز ان يكون من ردى فى البئر وتردى فيه اى سقط فيه او تهور من جبل ومنه المتردية والمعنى اذا يسرناه للعسرى المؤدية الى دخوله النار وتردى فيها فما يغنى عنه ماله الذى بخل به وتركه لوارثه ولم يصحبه شئ منه الى آخرته التى هى موضع فقره وحاجته يعنى ان الذى ينتفع به الانسان هو ما قدمه من اعمال البر واعطاء الاموال فى حقوقها دون المال الذى يخلفه على ورثته ثم انه تعالى لما عرفهم ان سعيهم لشتى بحسب الجزاء و بين ان من آثر الهدى يهون عليه طريق الهدى ومن آثر الضلال واستغنى بشهوات الدنيا يهون عليه ما يؤدى الى العسر والعناء اخبر انه قد قضى ما عليه من الهدى والبيان والترغيب فيما ينفعهم والترهيب عما يضرهم فقال ان علينا

(لاالهدى)

لناعام من اعطى واتقى وصدق بالحسنى تفصيل مبين لتشتت المساعى والمعنى من اعطى الطاعة واتقى المعصية وصدق بالكلمة الحسنى وهى مادلت على حق ككلمة التوحيد) فسنيسره لليسرى) فسنهيئه للخلة التى تؤدى الى يسر وراحة كدخول الجنة من يسر الفرس اذا هيأه للركوب بالسرج واللجام (واما من بخل) بما امر به (واستغنى) بشهوات الدنيا عن نعيم العقبى (وكذب بالحسنى) بانكار مدلولها (فسنيسره للعسرى) للخلة المؤدية الى العسر و الشدة كدخول النار (وما يغنى عنه ماله) نفى او استفهام انكار (اذا تردى) هلك تفعل من الردى او تردى فى حفرة القبر او قعر جهنم (ان علينا للهدى) للارشاد الى الحق بموجب قضائنا او بمقتضى حكمتنا او ان علينا طريقة الهدى كقوله وعلى الله قصد السبيل

(وان لنا للآخرة والاولى) فنعطى فى الدارين ما نشاء لمن نشاء او ثواب الهداية للمهتدين او فلا يضرنا تركهم الاهتداء (فانذرتكم نارا تلظى) تلهب (لا يصلاها) لا يلزمها مقاسيا شدتها (الا الاشقى) الا الكافر فان الفاسق وان دخلها لم يلزمها ولذلك سماه اشقى ووصفه بقوله (الذى كذب وتولى) اى كذب الحق واعرض عن الطاعة (وسيجنبها الاتقى) الذى اتقى الشرك والمعاصى فانه لا يدخلها فضلا ان يدخلها ويصلاها ومفهوم ذلك ان من اتقى الشرك دون المعصية لا يجنبها ولا يلزم ذلك صليها فلا يخالف الحصر السابق (الذى يؤتى ماله) يصرفه فى مصارف الخير لقوله (يتزكى) فانه بدل من يؤتى او حال من فاعله (وما لاحد عنده من نعمة تجزى) فيقصد باتائه مجازاتها

الهدى اى للارشاد الى الحق بنصب الدلائل وبيان الشرائع بمقتضى حكمتنا او بموجب قضائنا ويجوز ان تكون الآية من قبيل قوله تعالى وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر اى علينا طريقة الهدى التى تؤدى سالكها الينا والهدى على الاول بمعنى الهداية والارشاد وعلى الثانى بمعنى الطريقة المبينة لهداية الله تعالى وارشاده سميت باسم ما هو سبب لتبينها مجازا (قوله فنعطى فى الدارين ما نشاء لمن نشاء) فيكون قوله ان لنا للآخرة والاولى فى معرض التأكيد والتحقيق لقوله ان علينا للهدى ولما يلزمه من الضمان لثواب الاهتداء فى الآخرة فان من تفرد بمالكية الدارين يملك ارشاد الانام الى الحق فى الدنيا ويملك اثابتهم على الاهتداء فى العقبى (قوله او ثواب الهداية للمهتدين) فيكون ذلك تتميما لقوله ان علينا للهدى على معنى ان علينا ان نهديه فى الاولى الى الحق وان نثيبه على اهتدائه فى الآخرة (قوله اوفلا يضرنا تركهم الاهتداء) فيكون استئنافا لبيان انه تعالى انما يهديهم ويرشدهم الى الحق رحمة لهم لا لمنفعة تعود اليه كأنه قيل علينا ان نهديكم الى صراط مستقيم ومن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن اساء فعليها لا تعود منفعة اهتدائه ولا مضرة عدم اهتدائه الينا وان اهتداءكم لا يزيد فى ملكنا شيئا لان لنا الآخرة والاولى فالوجوه الثلاثة لبيان وجه ارتباط الآية بما قبلها لا لبيان معناه لانه معلوم (قوله لا يلزمها مقاسيا شدتها) لما دل ظاهر قوله تعالى لا يصلاها الا الاشقى الذى كذب وتولى على انه لا يدخل النار الا الكافر وهذا الحصر ترده النصوص الدالة على وعيد العصاة والفساق حمل صلى النار على لزومها والخلود فيها مقاسيا شدتها وحرها لكون الصلى بهذا الوجه كال الصلى فيحمل عليه عند الاطلاق ولا شك ان الصلى بهذا المعنى مخصص فى الكافر وامر الفاسق مفوض الى مشيئة الله تعالى فاما ان لا يدخلها رأسا او يدخلها ولكن لا يلزمها وحمل جاء صلى النار على لزومها وسيلة الى دفع مايتوهم من ان منطوق قوله لا يصلاها الا الاشقى الذى يخالف مفهوم قوله وسيجنبها الاتقى فانه بمفهومه يدل على ان غير الاتقى لا يجنبها بل يصلاها ويدخلها ودخول عصاة المؤمنين النار يخالف الحصر السابق فلما جعل صلى النار بمعنى لزومها كان منطوق الاول خلود الكافر فيها ومفهوم الثانى دخول العصاة وهو لا يخالف انحصار الخلود فى الكافر لان دخول العصاة لا يستلزم خلودهم (قوله لقوله يتزكى) استدل به على ان الايتاء ليس المراد به صرف المال مطلقا بل المراد به صرف المال فى مصارف الخير وان كان يتزكى بدلا من يؤتى لا يكون له محل من الاعراب لانه لما كان بدلا من صله

الذي كان داخلا في حكم الصلة والصلات لامحل لها من الاعراب لان الصلة بعض الاسم و بعض الاسم لامحل له وان كان حالا من المنوى في يؤتى كان المعنى يؤتيه متزكيا اى متطهرا من الذنوب اومتزايدا في الخير زاكيا رفيع القدر عند الله تعالى لا للرياء والسمعة (قوله استثناء منقطع) لان ابتغاء المرضاة ليس من جنس النعمة التي يجازى عليها فيكون منصوبا على الاستثناء المنقطع وتكون الا بمعنى لكن اى لكن فعل ذلك ابتغاء وجه ربه اى لابتغاء التوجه الى ربه (قوله اومتصل من محذوف) يدل عليه قوله وما لاحد عنده من نعمة تجزى فانه يدل على ان المراد لايؤتى ماله لامر من الامور الا ابتغاء وجه ربه الاعلى فعلى هذا يكون المستثنى داخلا في المستثنى منه و يكون الاستثناء متصلا (قوله والآيات نزلت في ابو بكر رضي الله تعالى عنه) هذا ماذهب اليه جمهور المفسرين والشيعة ينكرون ذلك و يقولون انها نزلت في حق على بن ابى طالب و يستدلون عليه بان قوله تعالى و يؤتون الزكاة وهم راكعون نزلت في حقه فقوله الاتقى الذي يؤتى ماله يتزكى اشارة الا ما في تلك الآية ونحن نقول لايمكن حمل الاتقى المذكور في هذه الآية على على رضى الله تعالى عنه لانه تعالى قال في صفة هذا الاتقى وما لاحد عنده من نعمة تجزى وهذا الوصف لايصدق على على رضى الله تعالى لانه كان في تربية النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اخذه من ابيه وكان يطعمه و يسقيه و يكسوه و يربيه فكان عليه الصلاة والسلام منعما عليه نعمة يجزى عليها بخلاف ابى بكر فانه لم يكن لاحد عنده من نعمة دنيوية نعم كان للرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عنده نعمة الهداية والارشاد الا الدين الا ان هذه النعمة لايجزى عليها لقوله تعالى حكاية عنه عليه الصلاة والسلام ما اسألكم عليه من اجر والمذكور ههنا ليس مطلق النعمة بل نعمة تجزى فظهر ان هذه الآية لاتصلح ان تكون نازلة في حق على رضى الله تعالى عنه فتعين انها نزلت في ابى بكر لان الامة اجمعوا على ان افضل الخلق واكرمهم واتقاهم ابو بكر رضى الله تعالى عنه روى ان بلالا كان مولى عبدالله بن جدعان فسلح اى تغوط على الاصنام وكان صادق الاسلام طاهر القلب فاطلع المشركون عليه فشكوه الى عبدالله فوهبه لهم ومائة من الابل ينحرونها لآلهتهم فأخذوا يعذبونه في الرمضاء اشد العذاب وهو يقول احد احد فمر به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ينجيك احد احد ثم اخبر عليه الصلاة والسلام ان بلالا يعذب لاجل دينه فحمل ابو بكر رطلا من ذهب فابتاعه به فأعتقه فقال المشركون مافعل ذلك ابو بكر الا ليد كانت لبلال عنده فنزل قوله تعالى وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى وقال ابن الزبير وهو على المنبر كان ابو بكر يشترى الضعفة

(الا ابتغاء وجه ربه الاعلى) استثناء منقطع او متصل من محذوف مثل لايؤتى الا ابتغاء وجه ربه لا لمكافأة نعمة (ولسوف يرضى) وعد بالثواب الذي يرضيه والآيات نزلت في ابى بكر حين اشترى بلالا في جماعة تولاهم المشركون فاعتقهم ولذلك قيل المراد بالاشقى ابو جهل وامية بن خلف قال عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة والليل اعطاه الله حتى يرضى وعافاه من العسر و يسر له اليسر

من العبيد فيعتقهم فقال ابو بانى لو كنت تباع من يمنع ظهرك فقال يمنع ظهرى ربه فنزلت هذه الآية ثم وعده الله بان يرضيه فى الآخرة بثوابه فقال ولسوف يرضى تمت سورة الليل والحمد لله رب العالمين حمدا دائما ابدا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(سورة الضحى مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

فسر الضحى اولا بصدر النهار حين ترتفع الشمس بقرينة المعطف عليه بقوله والليل وفسر قوله تعالى والشمس وضحاها بضوء الشمس ونورها الكائن وقت ارتفاع الشمس واشراقها بقرينة اضافة الضحى الى الشمس لان اضافة صدر النهار اليها لامعنى له بخلاف اضافة النور اليها وفسر ثانيا بالنهار كله وقد اريد بالضحى النهار كله فى قوله تعالى افأمن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون اوأمن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون اى نهارا بقرينة وقوعه فى مقابلة قوله بياتا اى بائتين داخلين المساء (قوله سكن اهله) يعنى ان الاسناد مجازى من قبيل اسناد الفعل الى زمانه مثل صام نهاره وكذا الحال اذا فسر بقوله ركد ظلامه اى ثبت وكان بحيث لايزداد بعد ذلك وكل مثبت فى مكان فهو راكد فيه (قوله وتقديم الليل فى السورة المتقدمة) يعنى ان كل واحد منهما له تأثير عظيم فى صلاح العالم فلذلك اقسم به الا ان الليل له فضيلة السبق والاصالة بالنسبة الى النهار فانه يحدث بطلوع الفجر وبالغروب يعود الهواء الى الحالة الاصلية ولذلك قدم الظلمة فى قوله وجعل الظلمات والنور وللنهار فضيلة الشرف والاستنارة بالنسبة الى الليل فلذلك قدم هذا تارة وذاك اخرى فان قيل ما السبب فى انه تعالى ذكر الضحى وهو ساعة من النهار وذكر الليل بكليته اجيب بانه وان كان ساعة منه الا انه لكونه اشرف ساعاته نازل منزلة الكل (قوله لتركه الاستثناء) روى ان مشركى قريش ارسلوا الى يهود المدينة وسألوهم عن امر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال لهم اليهود اسألوه عن قصة اصحاب الكهف وعن قصة ذى القرنين وعن الروح فان اخبركم بقصة اهل الكهف وعن قصة ذى القرنين ولم يخبركم عن امر الروح فاعلموا انه صادق فجاءه المشركون وسألوه عنها فقال عليه الصلاة والسلام لهم ارجعوا ساخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله فاحتبس الوحى عنه اثنى عشر يوما وقيل عشرين يوما وقيل خمسة وعشرين يوما وقيل اربعين يوما حتى نزل جبريل عليه السلام بقوله تعالى ولاتقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله فاخبره بما سئل عنه ونزل ايضا

(سورة والضحى مكية وايها احدى عشرة آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والضحى) ووقت ارتفاع الشمس وتخصيصه لان النهار يقوى فيه اولان فيه كلم موسى ربه والقى السحرة سجدا او النهار ويؤيده قوله ان يأتيهم بأسنا ضحى فى مقابلة بياتا (والليل اذا سجى) سكن اهله وركد ظلامه من سجا البحر سجوا اذا سكنت امواجه وتقديم الليل فى السورة المتقدمة باعتبار الاصل وتقديم النهار ههنا باعتبار الشرف (ما ودعك ربك) ما قطعك قطع المودع وقرئ بالتخفيف بمعنى ما تركك وهو جواب القسم (وما قلى) وما ابغضك وحذف المفعول استغناء بذكره من قبل ومراعاة للفواصل روى ان الوحى تأخر عنه اياما لتركه الاستثناء كامر فى سورة الكهف

بقوله ماودعك ربك وماقلى فان قيل ماذكر من كون سبب احتباس الوحى ترك الاستثناء لايدل على انه كان عن قلى فاوجه قوله تعالى وماقلى اجيب بان اقصى ما فى الباب انه عليه الصلاة والسلام وقع منه ما هو ترك الافضل والاولى فظن انه صار ممقوتا روى انه عليه الصلاة والسلام قال لجبريل ماجئتنى حتى اشتقت اليك فقال جبريل بل كنت اليك اشوق ولكنى عبد مأمور وتلا وما نتنزل الا بامر ربك والتوديع اصله الودع وهو الترك وبناء التفعيل للمبالغة فيه لان من ودعك عند الرحيل مفارقا فقد بالغ فى تركك وقرئ ماودعك بتخفيف الدال وهوقليل الاستعمال فانهم اماتوا ماضى يدع ويذر فلايكادون يقولون ودع ولاوذر لثقل الواو فى اول الكلمة واستغنوا عنهما بترك واستعملوا مضارعهما لعدم الثقل (قوله اولزجره سائلا ملحا) روى ان عثمان بن عفان رضى الله عنه اهدى الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عنقود عنب فجاء سائل فاعطاه اياه ثم اشتراه عثمان بدرهم فقدمه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثانيا ثم عاد السائل فاعطاه ذلك فاشتراه عثمان ايضا وقدمه له فعاد السائل ثالثا فقال عليه الصلاة والسلام ملاطفا له لاغضبان عليه اسائل انت يافلان ام تاجر فتأخر عنه الوحى اياما لذلك فنزلت واما السائل فلا تنهر وروى ايضا ان خولة كانت تخدم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فجاء جرو البيت فدخل تحت السرير فمات هناك فمكث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اياما لاينزل عليه الوحى فقال ياخولة ماحدث فى بيتى حتى ان جبريل لايأتينى قالت خولة فهيأت البيت فكنسته فاهويت بالمكنسة تحت السرير فاذا جرو ميت فاخذته فالقيته خلف الجدار فجاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ترعد لحياه وكان اذا نزل عليه الوحى استقبلته الرعدة فقال ياخولة دثرينى فانزل الله تعالى هذه السورة فلما نزل جبريل عليه السلام سأله عن تأخيره فقال اما علمت انا لاندخل بيتا فيه كلب ولاصورة (قوله اولنهاية امرك خيرمن بدايته) على ان لايراد بالآخرة ما يقابل الدنيا بل يرادبها الحالة الآتية فالمعنى لاتظن ان ربك ودعك وقلاك فلذلك قطع عنك وحيه اياما بل كل حال يأتى عليك فيما بعد من الازمنة والايام فانها خير لك من احوالك الماضية ومن جملة احوالك انه احتبس عنك الوحى احيانا بعدتتابعه وتعاقبه عليك فقال الاعداء فيك ما قالوا وقلنا فى ردهم مؤكدا بالقسم ماودعك ربك وماقلى ولسوف يعطيك ربك فترضى وهذه الكرامة والموعدة خير لك مما كان قبل من تواتر الوحى وتتابعه (قوله واللام للابتداء الخ) لانها لا تدخل الاعلى الجملة الاسمية فلابد من تقدير مبتدأ اى ولانت سوف يعطيك ربك لا لام جواب

اولزجره سائلا ملحا او لان جروا ميتا كان تحت سريره اولغيره فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه فنزلت ردا عليهم (وللآخرة خيرلك من الاولى) فانها باقية خالصة عن الشوائب وهذه فانية مشوبة بالمضار كانه لما بين انه تعالى لايزال يواصله بالوحى والكرامة فى الدنيا وعدله ماهو اعلى واجل من ذلك فى الآخرة اولنهاية امرك خيرمن بدايته فانه لايزال يتصاعد فى الرفعة والكمال (ولسوف يعطيك ربك فترضى) وعد شامل لما اعطاه من كمال النفس وظهور الامر واعلاء الدين ولما ادخره له مما لايعرف كنهه سواه واللام للابتداء دخل الخبر بعدحذف المبتدأ والتقدير ولانت سوف يعطيك لا للقسم فانها لاتدخل على المضارع الا مع النون المؤكدة

وبجمعها مع سوف الدلالة على ان العطاء كائن لا محالة وان تأخر لحكمة (الم يجدك يتيما فآوى) تعديد لما انعم عليه تنبيها على انه كما احسن اليه فيما مضى يحسن اليه فيما يستقبل و يجدك من الوجود بمعنى العلم و يتيما مفعوله الثانى او المصادفة ويتيما حال (ووجدك ضالا) عن علم الحكم والاحكام (فهدى) فعلمك بالوحى والالهام والتوفيق للنظر وقيل وجدك ضالا فى الطريق حين خرج بك ابو طالب الى الشام او حين فطمتك حليمة وجاءت بك لتردك على جدك فازال ضلالك عن عمك اوجدك (ووجدك عائلا) فقيرا ذا عيال (فاغنى) بما حصل لك من ربح التجارة (فاما اليتيم فلا تقهر) فلا تغلبه على ماله لضعفه وقرئ فلا تكهر اى فلا تعبس فى وجهه (واما السائل فلا تنهر) فلا تزجر (واما بنعمة ربك فحدث) فان التحدث بها شكرها وقيل المراد بالنعمة النبوة والتحدث بها تبليغها ﷺ قال عليه السلام من قرأ سورة والضحى جعله الله ممن يرضى لمحمد ان يشفع له وكتب له عشر حسنات بعدد كل يتيم وسائل

القسم لان لام القسم لا تدخل على المضارع الامع نون التوكيد نحو والله لاضربن (قوله وبجمعها مع سوف) فان لام الابتداء لما تجردت للتأكيد وكانت السين تدل على التأخر والتنفيس حصل من اجتماعهما ان العطاء المتأخر لحكمة كائن لا محالة (قوله من الوجود بمعنى العلم) اى الم يعلمك يتيما فآوى اى فجعل لك مأوى تأوى اليه يقال اوى فلان الى منزله يأوى اويا على فعول وآويته انا ايواء وكان يتمه عليه الصلاة والسلام ان اباه عبدالله بن عبد المطلب توفى وامه عليه السلام حامل به ثم ولد عليه السلام فكان مع جده عبد المطلب ومع امه آمنة فماتت امه آمنة وهو ابن ست سنين ثم مات جده بعد امه بسنتين وهو عليه السلام ابن ثمان سنين ولما اشرف عبد المطلب على الموت اوصى عليه عليه السلام اباطالب لان عبدالله واباطالب كانا من ام واحدة فكان ابو طالب هو الذى يكفل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد جده الى ان بعثه الله تعالى فقام بنصره مدة مديدة ثم توفى ابو طالب بعد ذلك فلم ير عليه السلام من اثر اليتم شيئا فذكره الله تعالى هذه النعمة بقوله الم يجدك يتيما فآوى (قوله من علم الحكم والاحكام) اى وجدك غافلا عن علوم النبوة والاحكام الشرعية فهداك اليها كقوله ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان وقيل وجدك ضالا فى الطريق روى انه عليه الصلاة والسلام خرج مع عمه ابى طالب فى قافلة ميسرة غلام خديجة فبينما هو راكب ناقة ذات ليلة ظلماء وهو نائم فجاء ابليس فأخذ زمام الناقة فعدل به عن الطريق فجاء جبريل عليه السلام فنفخ ابليس نفخة وقع منها الى ارض الحبشة وقيل الى ارض الهند ثم رده الى القافلة وقيل انه عليه السلام ضل عن مرضعته حليمة حين فطمته وارادت ان ترده الى جده حتى دخلت الى هبل وشكت ذلك اليه فتساقطت الاصنام وسمعت صوتا انما هلاكنا بيد هذا الصبى وفيه حكاية طويلة وعن ابى عباس رضى الله تعالى عنه انه قال عليه الصلاة والسلام ضل فى شعاب مكة وهو صغير ومازال ضالا حتى كاد الجوع يقتله فرآه ابوجهل وهو منصرف عن اغنامه فرده الى جده عبدالمطلب وهو متعلق باستار الكعبة يتضرع الى الله تعالى فى ان يرد اليه محمدا و يقول يارب رد لى محمدا اردده ربى واصطنع عندى يدا فما زال يردد هذا الكلام حتى اتاه ابو جهل على ناقة ومحمد صلى الله تعالى عليه وسلم بين يديه فقال له لا يدرى ما ذا يرى من ابنك فقال عبد المطلب مارأيت قال انى انخت الناقة واركبته من خلفى فأبت الناقة ان تقوم فلما اركبته امامى قامت الناقة كأن الناقة تقول يا احمق هو الامام فكيف يقوم خلف من وجب عليه ان يقتدى به (قوله ذا عيال) صفة كاشفة لقوله فقيرا يقال عال يعيل عيلا

وعيلة وعيولا اى افتقر واعال الرجل اذا كثر عياله اى من ينفق عليه قيل العائل ذو العيال ثم اطلق على الفقير وان لم يكن له عيال والمشهور ان المراد بالعائل فى الآية الفقير تمت سورة الضحى بحمد الله تعالى وعونه وحسن توفيقه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(سورة الم نشرح مكية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الشرح التوسعة والفسحة السعة ومكان فسيح اى واسع وفسح له فى المجلس اى وسع له وقد شرح الله تعالى صدره عليه الصلاة والسلام بحيث وسع مناجاة الحق ودعوة الخلق بعد ماضاق عنهما جميعا فان مقام حضور الحق ومناجاته مقام شهود الحق والغيبة عن الخلق ومن كان غائبا عن الخلق كيف يتأتى له دعوة الخلق ومعاناتهم فان دعوتهم تستلزم الحضور معهم والحضور مع المخلوق ينافى الحضور مع الخالق ظاهرا فيضيق الصدر عن الجمع بينهما فكان حاضرا مع الحق مستغرقا فى مقام مناجاته دائما وهو غائب عنه مشتغل بدعوة الخلق ظاهرا فكان غائبا حاضرا (قوله اولم نفسحه بما اودعنا فيه الخ) فانه تعالى مافسح صدر احد من بنى آدم كفسحه لصدره المنير عليه الصلاة والسلام حتى وسع علم الاولين والآخرين وقال اوتيت جوامع الكلم (قوله وقيل انه) اى ان قوله تعالى الم نشرح لك صدرك اشارة الى ماروى ان جبريل عليه السلام اتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى صباه اى حين كان عند حليمة فى السنة التى اعادته فيها الى عبد المطلب وشق صدره واخرج قلبه وغسله وانقاه مما كان فيه من الدم الاسود ثم جاء بطست من ذهب قد ملئ علما وايمانا فوضعه فى صدره (قوله او يوم الميثاق) الظاهر ان المراد بيوم الميثاق ليلة المعراج ويؤيده ماذكره الامام النسفى ناقلا عن الكلبى ان جبريل عليه السلام اتاه فشق صدره وابدى عن قلبه ثم جاء بدلو من ماء زمزم فغسله وانقاه مما فيه ثم جاء بطست من ذهب قد ملئ علما وايمانا فوضعه فيه ثم قال كان هذا حين جاءه بالبراق ليلة المعراج اوحين كان عند حليمة فى السنة التى اعادته فيها الى عبد المطلب والقاضى عبد الجبار طعن فى هذه الرواية من وجوه احدها انه قد روى ان هذه الواقعة وقعت فى حال صغره عليه الصلاة والسلام وهى من المعجزات فلا يجوز ان تتقدم نبوته وثانيها ان تأثير الغسل فى ازالة الاجسام ولا شك ان الاخلاق والمعاصى ليسا من قبيل الاجسام فلا يؤثر فيهما الغسل وثالثها ان القلب لايصح ان يملأ علما وايمانا بل الله تعالى يخلقهما فى القلب واجيب عن الاول بان تقديم المعجزة عن البعثة يجوز عندنا وذلك هو

(سورة الم نشرح مكية (وآيها ثمان

بسم الله الرحمن الرحيم

(الم نشرح لك صدرك) الم نفسحه حتى وسع مناجاة الحق ودعوة الخلق فكان غائبا حاضرا او الم نفسحه بما اودعنا فيه من الحكم وازلنا عنه ضيق الجهل او بما يسرنا لك تلقى الوحى بعد ما كان يشق عليك وقيل انه اشارة الى ما روى ان جبريل اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صباه او يوم الميثاق فاستخرج قلبه فغسله ثم ملأه ايمانا وعلما ولعله اشارة الى نحو ما سبق ومعنى الاستفهام انكار نفى الانشراح

المعجى بالارهاص ومثله كثير فى حقه عليه الصلاة والسلام ومن الثانى فى قوله ان الغسل له تأثير فى ازالة الاجسام بان ما فى القلب من الدم الاسود لا يبعد ان يكون حصوله فيه علامة مؤدية القلب الى ميله الى المعاصى وابعاده عن الطاعات وتكون ازالته عنه سببا لمواظبة صاحبه على الطاعات واحترازه عن الشهوات المنبعثة عن توجه القوة الطبيعية اليها فتكون ازالته عنه مستلزمة لامتلائه بالعلم والايمان فصح ان يعبر عن تطهير قلبه عليه الصلاة والسلام من ذلك الدم بامتلائه بالعلم والايمان اشار المصنف الى الجواب عن طعن القاضى فى هذه الرواية بما حاصله ان المراد بما روى ليس ظاهره بل هو رمز الى توسيع الصدر فقال ولعله اى ولعل ما روى اشارة الى نحو ماسبق من تفسيح الصدر (قوله مبالغة فى اثباته) وجه المبالغة ان الانكار فى معنى النفى ونفى النفى اثبات فكان المعنى قد شرحنا لك صدرك واثبات الشرح بنفى النفى اثبات له فكان ابلغ من اثباته ابتداء (قوله ولذلك) اى ولاجل ان معنى الم نشرح قد شرحنا عطف عليه وضعنا لانه بهذا الاعتبار يكون العطف من قبيل عطف الجملة الخبرية على مثلها والعبء بالكسر الحمل والنقيض صوت الانتقاض والانفكاك ونقيض الرحل صوته عند تداعى اجزائه الى الانفكاك وشبه خطأه من تركه الافضل والاولى بالعبء الثقيل فاطلق عليه اسم المشبه به وهو الوزر ثم قرن بما يلائم المستعار منه وهو الوضع والحط فالوزر استعارة والوضع ترشيح (قوله او جهله بالحكم والاحكام) لعله اراد بالحكمة العلم المتعلق بتهذيب الاخلاق وتحلية النفس بالفضائل السنية وتخليتها عن الرذائل الدنية وفى تلويح الحكمة هى العلم النافع المعبر عنه بمعرفة النفس مالها وما عليها المشار اليه بقوله تعالى ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا وبالاحكام العلم المتعلق باصلاح الاعمال والمعاملات التى يتوقف عليها حسن المعاشرة بين الانام ويدور عليها انتظام احوالهم (قوله او حيرته) اى او المراد من الحمل الثقيل الحيرة التى كانت له عليه الصلاة والسلام قبل البعثة وذلك انه عليه الصلاة والسلام كان ينظر بكمال عقله الى عظم نعم الله تعالى عليه حيث اخرجه من العدم الى الوجود واعطاه الحياة والعقل وسائر ما يتبعهما من النعم فتثقل عليه تلك النعم ولا يدرى كيف يشكرها فيغلب عليه الحياء والحيرة فلما جاءته النبوة والتكاليف وعرف انه كيف يعبد ربه ويشكر نعمه زالت حيرته فان اللئيم لا يبالى بما اسبغ عليه من النعم المتظاهرة ولا يستحيى من مقابلتها بالخدمة والطاعة بخلاف انسان الكريم النفس فانه اذا تواترت النعم عليه وهو عاجز عن مقابلتها بنوع من انواع الخدمة فان ذلك يثقل عليه جدا بحيث

مبالغة فى اثباته ولذلك عطف عليه (ووضعنا عنك وزرك) عبأك الثقيل (الذى انقض ظهرك) الذى حمله على النقيض وهو صوت الرحل عند الانتقاض من ثقل الحمل وهو ما ثقل عليه من فرطاته قبل البعثة او جهله بالحكم والاحكام او حيرته

الاتلقى الوحى او ماكان يرى من ضلال قومه مع العجز عن ارشادهم او من اصرارهم وتصديه

فى ايذائه حين دعاهم الى الايمان (و رفعنا لك ذكرك) بالنبوة وغيرها واى رفع مثل ان قرن اسمه باسمه فى كلمتى الشهادة وجعل طاعته طاعته وصلى عليه فى ملائكته وامر المؤمنين بالصلاة عليه وخاطبه بالالقاب وانما زاد لك ليكون ابهاما قبل ايضاح فيفيد المبالغة (فان مع العسر) كضيق الصدر والوزر المنقض للظهر وضلال القوم وايذائهم (يسرا) كالشرح والوضع والتوفيق للاهتداء والطاعة فلا تيأس من روح الله اذا عراك مايغمك وتنكيره للتعظيم والمعنى بما فى ان مع من المصاحبة المبالغة فى معاقبة اليسر للعسر واتصاله به اتصال المتقارنين (ان مع العسر يسرا) تكرير للتأكيد او استئناف وعدة بان العسر متبوع بيسر آخر كثواب الآخرة كقولك ان للصائم فرحتين اى فرحة عند الافطار وفرحة عند لقاء الرب وعليه قوله

عليه الصلاة والسلام لن يغلب عسر يسرين فان العسر معرف فلا يتعدد سواء كان للعهد (ام للعلم .

يكاد يموت من الحياء فاذا كلفه المنعم بنوع من الخدمة سهل ذلك عليه فطاب قلبه (قوله او تلقى الوحى) اى او المراد من الوزر ما اصابه من الهيبة والفزع فى اول ملاقاة جبريل عليه الصلاة والسلام حتى كان تأخذه الرعدة ويستولى عليه العرق عند نزول الوحى ويقول زملونى ودثرونى ثم انه تعالى وضع عنه هذه الهيبة وقوى قلبه حتى الفه وصار يأتى بنفسه على شاهق الجبل لشدة اشتياقه اليه (قوله وانما زاد لك) جواب عما يقال ما الفائدة فى زيادة قوله لك فى قوله الم نشرح لك ورفعنا لك وفى زيادة عنك فى قوله ووضعنا عنك مع ان المعنى يتم بدونهما وبعد زيادتهما فاى فائدة فى تقديمهما على مفعول عاملهما وتقرير الجواب ان زيادتهما مقدمين على المفعول تفيد ابهام المشروح والموضوع والمرفوع ثم تبيينه وتوضيحه ومن المعلوم ان الايضاح بعد الابهام والتفصيل بعد الاجمال اوقع فى الذهن وابلغ فى البيان وذلك يدل على تعظيم المشروح والموضوع والمرفوع (قوله فلا تيأس من روح الله اذا عراك مايغمك) يعنى ان قوله تعالى فان مع العسر يسرا من قبيل تفريع الحكم على الدليل فى صورة الاستدلال بالجزئى على الكلى كانه قيل اذا وجدت وعلمت يسر الشرح والوضع والرفع مع عسر الضيق والثقل والخمول فتحقق ان لمطلق العسر يسرا اى يسر وتيقن ان العسر الذى انت فيه لا ينفك عن يسر عظيم وقس ما سيأتى عليك فيما بعد من وجوه العسر على مامضى من احوالك فاى زمهرير لايعقبه ربيع (قوله والمعنى بما فى ان مع من المصاحبة المبالغة فى معاقبة اليسر للعسر) يعنى انهما متضادان لايتصور معيتهما فلا بد من توجيه ذكر كلمة مع فى هذا المقام (قوله تكرير للتأكيد) اى لتقرير معنى الجملة المتقدمة وتمكينها فى القلوب فكما يكرر المفرد فى مثل جاءنى زيد زيد كذلك كررت الجملة هنا ايضا ويحتمل ان تكون الجملة الثانية مستأنفة بان العسر المذكور اولا متبوع بيسر آخر فان الاسم اذا ذكر معرفا ثم اعيد معرفا كان الثانى عين الاول فيكون العسر واحدا مع كونه مذكورا مرتين وذلك العسر اما العسر المعهود الذى كانوا فيه او جنس العسر الذى يعلمه كل واحد والنكرة اذا اعيدت مع الالف واللام كان الثانى عين الاول ايضا كما فى قوله تعالى كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول واذا اعيدت نكرة لايلزم ان يكون الثانى عين الاول ويسرا الثانى ههنا منكر فيحتمل ان يكون عين الاول والحال ان العسر الثانى ايضا هو العسر الاول فيكون قوله تعالى ان مع العسر يسرا تكريرا للاول وتأكيدا له وان يكون غيره فيكون الثانى كلاما مستأنفا مفيدا لان يكون مع عسر واحد يسران وهذا الاحتمال ارجح

او ابلس و يسرا ًفكر فيحتمل ان يراد بالثانى فرد يغاير ما اريد بالاول (فاذافرغت) من التبليغ (فانصب) فاتعب فى العبادة شكر الما عددنا عليك من النعم السابقة ووعدنا بالنعمة الآتية وقيل فاذا فرغت من الغزو فانصب فى العبادة اوفاذافرغت ﴿ ٢٨٧ ﴾ من الصلاة فانصب بالدعاء (و الى ربك فارغب) بالسؤال ولا تسأل غيره فانه القادر وحده على اسعافه وقرئ فرغب اى فرغب الناس الى طلب ثوابه * عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة الم نشرح فكأنما جاءنى وانا مغتم ففرج عنى

(سورة والتين مختلف فيها وآيها ثمان)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والتين والزيتون) خصصهما من بين الثمار بالقسم لان التين فاكهة طيبة لافضل لها وغذاء لطيف سريع الهضم ودواء كثير النفع فانه يلين الطبع و يحلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل رمل المثانة و يفتح سدة الكبد والطحال ويسمن البدن وفى الحديث انه يقطع البواسير و ينفع من النقرس والزيتون فاكهة وادام ودواء وله دهن لطيف كثير المنافع مع انه قد ينبت حيث لا دهنية فيه كالجبال وقيل المراد بهما جبلان من الارض المقدسة اومسجدا دمشق وبيت المقدس او البلدان (وطور سينين) يعنى الجبل الذى ناجى موسى عليه السلام و سينين وسيناء اسمان للموضع الذى هو فيه (وهذا البلد الامين) اي الآمن من امن الرجل امانة فهو امين او المأمون فيه يأمن فيه من دخله والمراد به مكة (لقد خلقنا الانسان)

لما علم من فضل التأسيس على التأكيد وكلام الله تعالى ينبغى ان يحمل على ابلغ الاحتمالين واوفاهما والمقام مقام التسلية والتنفيس والحمل عليه اولى روى ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال يقول الله تعالى خلقت عسرا واحدا و خلقت يسرين فلن يغلب عسر يسرين وكل هذا يؤيد كون الجملة الثانية كلاما مستأنفا (قوله تعالى فاذا فرغت فانصب) جواب شرط محذوف اى اذا تقرر عندك ما عددناه عليك وما عددناه لك من النعم فاتعب فى العبادة اذا فرغت من التبليغ شكرا لذلك فان الشكر يربط البعيد ويجلب المزيد والنصب التعب يقال نصب فى الشئ ينصب من باب علم اى تعب فيه وروى ان شريحا مر برجلين يتصارعان فقال ما امر الله بهذا انما قال فاذا فرغت فانصب يعنى انه تعالى امر ان يواصل بين بعض العبادات وبعضها وان لا يخلى وقتا من اوقاتها منها فاذا فرغ من عبادة اتبعها باخرى (قوله ولا تسأل غيره) الحصر مستفاد من تقديم الظرف تمت سورة الم نشرح لك والحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

(سورة التين مكية وقال ابن عباس وقتادة مدنية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(قوله وقيل المراد بهما جبلان) روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال هما جبلان من الارض المقدسة يقال لهما بالسريانية طوروزيتا لانهما منبتا التين والزيتون (قوله اومسجدا دمشق وبيت المقدس) قال ابن زيد التين مسجد دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس عبر عنهما بما كثر فيهما من التين والزيتون (قوله اوالبلدان) الكوفة والشام وسينين وسيناء اسمان للبقعة وهو الجبل الذى كلم الله تعالى موسى عليه الصلاة والسلام عليه اضيف ذلك الجبل الى البقعة التى حصل هو فيها والمعنى وجبل الموضع المسمى بسينين وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال الطور الجبل وسينين الحسن بلغة الحبشة وعن مجاهد سينين المبارك وقال الكلبى هو الجبل ذو الشجر وقال مجاهد ومقاتل كل جبل ذى شجر مثمر سينين وسيناء بلغة النبط (قوله من امن الرجل) يأمن بضم الميم فيهما فهو امين اى آمن بمعنى ذى أمن وهو الامانة يقال أمنت فانا آمن فالامين فعيل بمعنى فاعل وامانته ان يحفظ من دخله كما يحفظ الامين ما يؤتمن عليه (قوله او المأمون فيه) عطف على قوله

الى الآخر فالامين فعيل بمعنى المفعول فيه كالمشترك بمعنى المشترك فيه اقسم الله تعالى بهذه الاشياء لانه شرفها و بركها ولانها مساكن الانبياء والصالحين ومهاجر ابراهيم ومولد اسمعيل عليه الصلاة والسلام ومنشأه بمكة موضع البيت العتيق ومولد خير الانبياء ومبعثه وجواب القسم قوله لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم اى تعديل لشكله وصورته وتسوية لاعضائه فان التقويم تصيير الشئ على ماينبغى ان يكون عليه فى تأليف الاجزاء وتعديل الاعضاء والهيئات والاشكال وتكميله بالقوى الباطنة التى يتوسل بها الى الفضائل العلية والآداب والاخلاق المرضية يقال قومه تقويما فاستقام وتقوم روى ان ملكا من الملوك خلا بزوجته فى ليلة قمراء فقال لها ان لم تكونى احسن من القمر فانت كذا فافتى الكل بالحنث الاعمى قال لايحنث فقال الملك خالفت شيوخك فقال الفتوى بالعلم لابكبر السن ولقد افتى من هو اعلم منا وهو الله تعالى فقال لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم وكان بعض الصالحين يقول الهنا اعطيتنا فى الاولى احسن الاشكال فأعطنا فى الآخرة احسن الفعال وهو العفو عن الذنوب والتجاوز عن العيوب وقيل كان عيسى بن موسى الهادى يحب زوجته حبا شديدا فقال لها يوما انت طالق ثلاثا ان لم تكونى احسن من القمر فنهضت واحتجبت وقالت طلقتنى فباتا بليلة عظيمة فلما اصبح غدا الى دار المنصور فأخبره الخبر واظهر له جزعا عظيما فاستحضر المنصور فقهاء زمانه واستفتاهم فقال جميع من حضر قد طلقت الا رجلا من اصحاب ابى حنيفة رضى الله تعالى عنه فانه كان ساكتا فقال المنصور مالك لا تتكلم فقال بسم الله الرحمن الرحيم والتين والزيتون الى قوله لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم ثم قال يا امير المؤمنين فالانسان احسن المخلوقات ولاشئ احسن منه فلم تطلق امرأة الرجل فقال المنصور لعيسى بن موسى الامر كما قال الرجل فأقبل على زوجتك وارسل الى زوجته ان اطيعى زوجك و لاتعصيه فما طلقك (قوله ونظائره سائر الممكنات) اى وبان خص باجتماعه مثال كل ممكن قال الفلاسفة انه العالم الاصغر اذ كل مافى المخلوقات حاصل فيه (قوله بان جعلناه من اهل النار) على ان يكون اسفل حالا من مفعول رددناه ويكون المراد بكونه اسفل كونه فى غاية الانحطاط والقباحة من حيث الصورة والتقويم كناية عن كونه من اهل النار والمعنى ثم كان عاقبة امره حين لم يشكر تلك النعمة وهى نعمة الخلقة الحسنة ان رددناه اى صرفناه عن طريقه فى احسن الصور حال كونه اسفل من سفل خلقا وتركيبا واقبح من قبح صورة وخلقة

يريد به الجنس (فى احسن تقويم) تعديل بان خص بانتصاب القامة وحسن الصورة واستجماع خواص الكائنات ونظائر سائر الممكنات (ثم رددناه اسفل سافلين) بان جعلناه من اهل النار

وهم أصحاب النار (قوله او الى اسفل سافلين و هو النار) على ان يكون اسفل صفة مكان محذوف اى الى مكان اسفل أمكنة السافلين عن مجاهد ثم رددناه الى النار التى هى اسفل السافلين وعلى الوجهين يكون الاستثناء فى قوله الا الذين امنوا متصلا والمستثنى منه الضمير المنصوب فى قوله ثم رددناه لانه فى معنى الجمع لرجوعه الى الانسان المراد منه الجنس وتكون الفاء فى قوله فلهم اجر لتعليل كون المستثنى خارجا عن حكم المستثنى منه كأنه قيل لايحولون عن كونهم فى احسن تقويم الى ان يكونوا من اسفل السافلين من حيث الصورة لانهم مثابون فى الجنة تعرف فى وجوههم نضرة النعيم واما اذا اريد باسفل السافلين ارذل العمر بناء على ان من رد الى ارذل العمر يحول من احسن التقويم الى اسفل السافلين من حيث الصورة والشكل حيث يتقوس ظهره و يضعف سمعه و بصره و يتداعى جيع قواه واعضائه الى الانحلال والاضمحلال فحينئذ يكون الاستثناء منقطعا لان اهل الايمان والطاعة المخرجين عن كونهم مردودين الى ارذل العمر قد اثبت لهم حكم توهم عدم ثبوته لهم بسبب بلوغهم الى ارذل العمر وعجزهم عما فعلوه زمان الاقتدار عليه فيكون الا بمعنى لكن وقوله الذين آمنوا وعملوا الصالحات اسمه وقوله فلهم اجر غير ممنون خبره ودخول الفاء لتضمن اسمه معنى الشرط والمعنى ولكن الصالحين من الهرمى فلهم اجر وثواب دائم غير ممنون اى غير منقطع بسبب طاعتهم وصبرهم على ابتلاء الله تعالى اياهم بالشيخوخة والهرم فان المؤمن اذا عمل فى حال شبابه وقوته وحياته فاذا مرض اوهرم اومات فانه يكتب له حسناته بتمامها كما كان يعمل فى حياته وقوته الى يوم القيامة روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال ان المؤمن اذا مات صعد ملكاه الى السماء فيقولان يارب ان عبدك فلانا قدمات فائذن لنا حتى نعبدك على السماء فيقول الله تعالى سمواتى مملوءة بملائكتى ولكن اذهبا الى قبره واكتبا له حسناته الى يوم القيامة كذا فى تفسير الامام ابى الليث وعن انس رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المولود حين لم يبلغ الحلم ماعمل من حسنة كتبت لوالديه فان عمل سيئة لم تكتب عليه ولا على والديه واذا بلغ الحنث وجرى عليه القلم امر الله تعالى ملكين ان يحفظاه ويسدداه فاذا بلغ سنه فى الاسلام اربعين امنه الله تعالى من البلايا الثلاث من الجنون والجذام والبرص فاذا بلغ خمسين سنة ضعف الله تعالى حسناته فاذا بلغ ستين رزقه الله تعالى الانابة اليه فيما يحب واذا بلغ سبعين احبه اهل السماء فاذا بلغ ثمانين سنة كتب الله تعالى حسناته وتجاوز عن سيئاته فاذا بلغ تسعين غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر وشفعه فى اهل بيته وكان اسمه اسير الله فى ارضه

او الى اسفل سافلين وهو النار وقيل هو ارذل العمر فيكون (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) منقطعا (فلهم اجر غير ممنون) لاينقطع اولا يمن به عليهم وهو على الاول حكم مرتب على الاستثناء مقرر له

اذا بلغ ارذل العمر كيلا يعلم من بعد علم شيئا كتب الله له مثل ما كان يعمل في يوم صحته من الخير وان عمل سيئة لم تكتب عليه كذا وجدته في بعض التفاسير ووجدته ايضا معلقا على ظاهر التفسير الكبير نقلا عن تفسير الثعلبي من غير تفاوت بين عبارتهما انتهى (قوله فأى شئ يكذبك يا محمد) صلى الله عليك وسلم يعني ان ما استفهامية مرفوعة المحل على الابتداء و يكذبك خبرها والخطاب له عليه الصلاة والسلام والمعنى اى شئ ينسبك الى الكذب فيما اخبرت به من البعث والجزاء بعد هذا البيان والباء في قوله تعالى بالدين ليست صلة التكذيب بل هي مثلها في قوله تعالى والذين هم به مشركون فان تقديره والذين هم بسبب الشيطان مشركون بالله فحذف بالله فكذا تقدير هذه الآية فما يكذبك بعد بسبب تكذيب الجزاء والحساب فان من كذب بالجزاء وانكره فهو مكذب لمن اخبر به لا محالة ووجه كون ما ذكر في هذه السورة بيانا لحقية الدين حتى يصح ان يفرع عليه قوله فما يكذبك بعد بالدين انه تعالى اقسم بالامور المذكورة على انه خلق الانسان السوى من الماء المهين وحسن ظاهره وباطنه باحسن تقويم ودرجه في مراتب الازدياد والنماء الى ان استكمل واستوى ثم نكسه ورده الى ارذل العمر وبين به كمال قدرته ليستدل به على ان من قدر على الابداء على الوجه المذكور فهو قادر على الاعادة والجزاء ثم حقق انه عليه الصلاة والسلام غير مكذب بسبب الدين فقال على سبيل الاستفهام الانكارى اليس الله باحكم الحاكمين وانكار عدم كونه تعالى احكم الحاكمين اثبت له فيما ذكره من الخلق والرد كونه احكم الحاكمين صنعا وتدبيرا واذا ثبتت القدرة والحكمة بما ذكره من البيان صح القول بامكان البعث والجزاء وبوقوع ذلك اما الامكان فبالنظر الى القدرة واما الوقوع فبالنظر الى الحكمة فان عدم ذلك يقدح في الحكمة كما قال تعالى وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا وذلك انه تعالى ان كان خلقها لا لحكمة كان ذلك عبثا وهو لا يجوز على الحكيم وان كان خلقها لحكمة عائدة اليه تعالى يلزم كونه مستكملا بغيره تعالى عن ذلك علوا كبيرا فتعين انه تعالى خلق ما خلق لحكمة عائدة الى الانسان وهي اثابة المطيع وعقاب العاصي وتلك الحكمة لا تظهر في الدنيا لانها دار ابتلاء وامتحان فثبت انه لابد من دار اخرى غير هذه الدار ليثاب فيها الانسان ويترجح فالقول بوجود الاله القادر الحكيم يستلزم القطع بالقيامة والجزاء كما مر غير مرة وان الحكيم هو المتقن للامور ويلزم بذلك كونه تام القدرة كامل العلم ومن هذا شأنه كيف يستبعد عليه البعث والجزاء والمعنى اليس من فعل ذلك بالغ اتقان الامور وقيل معناه اليس الله تعالى بأقضى القاضين يحكم بينك وبين من يكذبك

(بالحق)

(فما يكذبك) اى فأى شئ يكذبك يا محمد دلالة او نطقا (بعد بالدين) بالجزاء بعد ظهور هذه الدلائل وقيل ما بمعنى من وقيل الخطاب للانسان على الالتفات والمعنى فما الذى يحملك على هذا الكذب (اليس الله باحكم الحاكمين) تحقيق لما سبق والمعنى أليس الذى فعل ذلك من الخلق والرد بأحكم الحاكمين صنعا وتدبيرا ومن كان كذلك كان قادرا على الاعادة والجزاء على ما مر مرارا * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والتين اعطاه الله العافية واليقين ما دام حيا فاذا مات اعطاه من الاجر بعدد من قرأ هذه السورة

بالحق والعدل من قولهم حكم بينهم اذا قضى فالآية حينئذ وعيد للمكذبين
تمت سورة التين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه وسلم

(سورة العلق مكية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(سورة العلق مكية وآيها تسع عشرة)
(بسم الله الرحمن الرحيم)
(اقرأ باسم ربك) اى اقرأ القرآن مفتتحا باسمه

قال اكثر المفسرين هذه السورة اول ما نزل من القرآن نزل بها جبريل على
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو قائم على حرا فعلمه خمس آيات من اول هذه
السورة الى قوله مالم يعلم عن الزهري انه قال اخبرني عروة عن عائشة رضى الله
تعالى عنها انها قالت اول مابدئ به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
الرؤيا الصادقة فكان لايرى رؤيا الاجاءت مثل فلق الصبح ثم حبب اليه الخلاء
يعنى العزلة فكان يأتى حرا و يمكث هناك ثم يرجع الى خديجة فجاءه ملك وهو
على حرا فقال له اقرأ فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم ماانا بقارئ قال فأخذنى
فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم ارسلنى فقال اقرأ فقلت ما انا بقارئ فأخذنى
فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم ارسلنى فقال اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق
الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم فرجع
بها يرجف برداله واخذته الرعدة حتى دخل على خديجة فقال زملونى زملونى
فزملوه حتى ذهب عنه الروع فلذلك قوله تعالى اقرأ باسم ربك يعنى اقرأ
بعون ربك ووحيه اليك كذا فى تفسير الامام ابى الليث وفيه ايضا انه عليه
الصلاة والسلام لما بلغ اربعين سنة كان يسمع صوتا فيناديه يامحمد ولايرى شخصه
وكان يخشى على نفسه الجنون حتى رأى جبريل عليه السلام يوما فى صورته
فغشى عليه فحمل الى بيت خديجة فقالوا انها تزوجت مجنونا فلما افاق اخبر
بذلك خديجة فجاءت الى ورقة ابن نوفل وكان يقرأ الانجيل ويفسره ثم جاءت
الى عداس كان راهبا فقال ياخديجة ان له نبأ وشأنا يظهر امره فخرج عليه
الصلاة والسلام يوما الى الوادى فجاءه جبريل عليه السلام بهذه السورة وامره
بان يتوضأ و يصلى به ركعتين فلما رجع دخل على خديجة وعلمها الصلاة وقال
جابر بن عبدالله اول مانزل ياأيها المدثر وقيل اول مانزل فاتحة الكتاب وقال
على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه اول مانزل من القرآن قل تعالوا اتل ماحرم
ربكم عليكم (قوله اى اقرأ القرآن مفتتحا باسمه) يعنى ان مفعول اقرأ
محذوف وهو القرآن حذف للعلم به اذ القرآءة فى عرف الشرع لاتستعمل الافى
قرائة القرآن وان محل باسم ربك النصب على انه حال من فاعل اقرأ و التقدير
اقرأ القرآن مفتتحا باسم ربك او مبتدئا به اى قل بسم الله الرحمن الرحيم ثم اقرأ

فالآية على هذا التوجيه تدل على انه يجب قرآءة التسمية في ابتداء كل سورة وهي حجة الامام الشافعي رحمه الله تعالى في جهره بالتسمية في اول كل سورة مع ماجاء من الاحاديث المروية في هذا الباب (قوله اومستعينا به) على ان الباء للاستعانة كما في قولك كتبت بالقلم فانه عليه الصلاة والسلام لما امر بالقراءة وتعسرت هي عليه فقال لست بقارئ قيل له اقرأ باسم ربك اي استعن باسم ربك واجعله بمنزلة الآلة في تحصيل الذي عسر عليك فان ربك يعينك عليها بأن يوحي اليك ويعلمك مالم تكن تعلم والباء على الاول للالصاق وللملابسة (قوله اي الذي له الخلق) على ان ينزل خلق منزلة اللازم فلا يقدر له مفعول بناء على ان المقصود بيان تفرده بالخلق وانه لاخالق سواه فاقتصر على المقصود ولم يتعرض لبيان متعلق الخلق فمعنى الذي خلق الذي حصل منه الخلق وتفرد به لاخالق سواه ووصفه تعالى بكونه متفردا بالخالقية تعليل لامره عليه الصلاة والسلام بالقراءة التي هي اصل جميع العبادات لان من تفرد بالخالقية يجب على المخلوق ان يعبده و يتذلل له (قوله اوالذي خلق كل شئ) وجه ثان لعدم ذكر مفعول خلق الاول اي و يجوز ان يقدر له مفعول و يكون تعلقه به مرادا الا انه حذف قصدا للتعميم ولما ورد ان يقال لماحكم بانه تعالى خلق كل شئ فقد علم ان خلق الانسان في جملة ماخلق فلم افرد بالذكر بعد ذلك التعميم اجاب عنه بقوله ثم افرد ماهو اشرف يعني ان كثيرا مايفرد ذكر الخاص بعد العام اظهارا لشرفه كما خص جبريل بالذكر بعد ذكر الملائكة للدلالة على انه لغاية شرفه صار كانه حقيقة منفردة خارجة من عداد ماسبق ولان المقصود من توصيفه تعالى بالخالقية تعليل الامر بالقراءة التي في معنى الامر بالعبادة فقوله الذي خلق كل شئ وان كان كافيا في بيان كونه تعالى مستحقا للعبادة لان خالق الاشياء كلها يجب ان يعبد و يعظم الا ان التعرض لكونه تعالى خالقا للانسان بخصوصه ادل على وجوب العبادة المقصودة من القرآءة (قوله اوالذي خلق الانسان) وجه ثالث لعدم ذكر مفعول خلق الاول اي و يجوز ان يقدر له مفعول خاص ابتداء الا انه ابهم اولا ثم فسر بقوله خلق الانسان تفخيما لخلق الانسان فان هذا الاسلوب انما يكون فيما يقصد تفخيم شانه (قوله جمعه) فان علق جمع علقة كثمر وثمرة والعلقة الدم الجامد ومالايكون جامدا فهو المسفوح ومقابلة الجمع بالجمع تقتضي انقسام الاحاد الى الاحاد فافادانه تعالى خلق كل فرد من افراد الانسان من علقة على حدة (قوله نزل اولا مايدل على وجوده) فانه تعالى لما اراد ان يبعثه رسولا الى المشركين كان الظاهر ان يقال اقرأ باسم ربك الذي لاشريك له الا انه لو قيل ذلك لابوا ان يقبلوا ذلك

اومستعينا به (الذي خلق) اي الذي له الخلق اوالذي خلق كل شئ ثم افرد ما هو اشرف واظهر صنعا وتدبيرا و ادل على وجوب العبادة المقصودة من القراءة فقال (خلق الانسان) اوالذي خلق الانسان فأبهم اولا ثم فسر تفخيما لخلقه ودلالة على عجيب فطرته (من علق) جمعه لان الانسان في معنى الجمع ولما كان اول الواجبات معرفة الله تعالى نزل اولا مايدل على وجوده وفرط قدرته وكمال حكمته .

(لاستحكام)

لاستحكام اعتقاد الشرك عندهم فرد بر سبحانه وتعالى لاجل ان يسمعوا كلامه بان قدم لهم مايدل على وجوده وفرط قدرته وكمال حكمته حيث وصف نفسه بما لاسبيل لهم الى انكاره فانه لايمكنهم ان ينكروا كونهم مخلوقين من علق ولاينكروا ان تلك الخلق لابدله من خالق ولا ان يدعوا ان ذلك الخالق هو الصنم لعلمهم بان الصنم لايخلق شيئا ومن المعلوم بداهة ان مالايخلق شيئا لايصلح الها فهذا الاسلوب يستلزم اعترافهم بوجود اله قادر حكيم فهو اسلوب لطيف فى الزام المشركين ودعوتهم الى التوحيد ونظيره ما يحكى ان زفر لما بعثه ابوحنيفة الى البصرة لتقرير مذهبه فيهم فوصل اليهم وذكر أباحنيفة منعوه من ذكره اكتفاء بأئمتهم واستغنائهم بهم عنه ولما لم يلتفتوا اليه ولم يسمعوا به رجع الى ابى حنيفة واخبره بذلك فقال له ابوحنيفة انك لم تعرف طريق التبليغ لكن ارجع اليهم واذكر فى المسئلة اقاويل أئمتهم ثم بين ضعفها ثم قل بعد ذلك ههنا قول آخر فاذكر قولى وحجتى فاذا تمكن ذلك فى قلبهم فقل هذا قول أبى حنيفة فانهم حينئذ يستحيون فلا يردونها (قوله تكرير للمبالغة) يعنى ان اقرأ الثانى تكرير للامر بالقرآءة تأكيدا ومبالغة فى الامر بها فيتم الكلام عند اقرأ الثانى ويكون مابعده كلاما مستأنفا بان يكون وربك مبتدأ والاكرم صفته والذى مع صلته خبره وقوله علم الانسان ما لم يعلم بدل من قوله علم بالقلم لكونه بيانا له (قوله او الاول مطلق) اى امر بمطلق القرآءة سوآء كانت على طريق التعلم من جبريل عليه الصلاة والسلام او على طريق تكرارها لنفسه طلبا للثواب او على طريق التعليم والتبليغ للامة واقرأ الثانى امر بان يقرأ للتبليغ وتعليم الامة او بان يقرأ فى الصلاة (قوله ولعله لما قيل له) اشارة الى جواز ان يكون اقرأ الثانى جوابا لقوله عليه الصلاة والسلام ما انا بقارئ اى اقرأ فان ربك الاكرم يعلمك القرآءة وان لم تكن قارئا الا انه على هذا ينبغى ان تكون العبارة قيل له اقرأ وربك الاكرم بدون الفاء لان قوله فقيل له على هذا التوجيه جواب لما ولاتدخل الفاء على جواب لما وليس فى الكلام مايصلح ان يكون جوابا لها غيره (قوله بل هو الكريم وحده على الحقيقة) فان الكرم افاضة ما ينبغى لا لغرض فان من اعطى مالاينبغى لا يكون كريما ومن اعطى ما ينبغى توقعا لعرض لا يكون كريما ايضا فظهر ان الكرم مختص به تعالى وانه لايعم بما انعم به الامحض الكرم بخلاف غيره تعالى فانه يعطى طلبا للعرض والغرض لايجب ان يكون من قبيل الاعيان بل المدح والثواب والتخلص من المذمة ونحوها كلها غرض (قوله اى الخط بالقلم) يعنى مفعول علم محذوف يتعلق به قوله بالقلم وتقدير الكلام علم الخط بالقلم

(اقرأ) تكرير للمبالغة او الاول مطلق والثانى للتبليغ او فى الصلاة ولعله لما قيل له اقرأ باسم ربك فقال ما انا بقارئ فقيل له اقرأ (وربك الاكرم) الزائد فى الكرم على كل كريم فانه ينعم بلا غرض ويحلم من غير تخوف بل هو الكريم وحده على الحقيقة (الذى علم بالقلم) اى الخط بالقلم وقد قرئ به

وقرأ ابن الزبير كذلك (قوله لتقيدبه العلوم و يعلم به البعيد) بيان توجيه كرمه الزائد فى تعليم الكتابة بالقلم فان الغرض المسوق له الكلام بيان اكرميته تعالى والاشعار بان اشرف النعم واجلها هو العلم لان الاكرمية انما تكون بافاضة اجل الاشياء وهو العلم بحقائق الاشياء فانه اشرف المواهب وعلم الخط والكتابة والقلم وسيلة يتوسل بها الى حفظ العلوم المهمة وتقييدها فلذلك قيل العلم صيد والكتابة قيد روى ان سليمان عليه الصلاة والسلام سأل عفريتا من الكلام فقال ريح لايبقى قال فما قيده قال الكتابة والقلم وان كان لاينطق الا انه يسمع اهل المشرق والمغرب فانه مادونت العلوم ولاقيدت الحكم ولاضبطت اخبار الاولين ومقالاتهم ولاكتب الله المنزلة الابالكتابة ولولاهى لما استقامت امور الدين والدنيا وصف الله تعالى نفسه اولا بوصف الربوبية ورتب عليه كونه خالقا للانسان من علق تنبيها على ان الخالقية لاسيما خالقية اشرف المخلوقات من دلائل الربوبية ولوازمها ثم وصفها بانه الرب الاكرم ورتب عليه تعليمه الانسان الخط بالقلم وتعليمه غير ذلك مما لايعلمه الانسان تنبيها على ان اجل المواهب واعز المطالب هو افادة الفوائد العلمية ومايؤدى الى تقييدها وضبطها لان الاكرمية انماتكون باعطاء اعز العطايا وفيه تشريف بليغ لشان العلم فانه لوكان فى جملة المطالب ماهو اشرف منه لكان ذكره اولى فى مقام بيان اكرميته (قوله وقد عدد سبحانه الخ) يعنى انه لامناسبة بحسب الظاهر بين ان يصف الله تعالى نفسه بانه الذى خلق الانسان من علق و بانه الذى علم بالقلم لكنه فى التحقيق فى غاية الحسن وذلك لانه تعالى بين اول احوال الانسان وهو كونه علقة وهى اخس الاشياء و بين ايضا آخر امره وهو صيرورته عالما بحقائق الاشياء وقادرا متمكنا على ضبط تلك العلوم وتقييدها وعلى تعليمها وتبليغها الى اهل البلدان البعيدة وهو امتنان عظيم بنقله من اخس الاحوال الى اعز المراتب واشرفها ودليل باهر على وجود الاله الكريم وفرط قدرته وكمال حكمته وهو قوله ولما كان اول الواجبات معرفة الله تعالى نزل اولا مايدل على وجوده الخ واشار اولا الى مايدل على معرفته عقلا فان قوله تعالى باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق يدل دلالة عقلية على معرفته تعالى بصفات كماله من وجوب وجوده وكمال قدرته وعلمه وحكمته وقوله الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم تنبيه على مايدل على معرفته تعالى سمعا فان ماحصل بنظر العقل من المعرفة عقلى وما حصل بالتعليم سمعى فان الاحكام التى لاسبيل الى معرفتها الاالسمع هى الحاصلة بالتعليم (قوله ردع لمن كفر بنعمة الله تعالى لطغيانه وان لم يذكر لدلالة الكلام عليه) فان الآية لما كانت مشتملة على اصول النعم

(ومباديها)

لتقيد به العلوم و يعلم به البعيد (علم الانسان مالم يعلم) بخلق القوى ونصب الدلائل وانزال الآيات فيعلمك القرآن وان لم تكن قارئا وقد عدد سبحانه مبدأ امر الانسان ومنتهاه اظهارا لما انعم عليه من ان نقله من اخس المراتب الى اعلاها تقريرا لربوبيته وتحقيقا لاكرميته واشار اولا الى ما يدل على معرفته عقلا ثم نبه على مايدل سمعا (كلا) ردع لمن كفر بنعمة الله لطغيانه وان لم يذكر لدلالة الكلام عليه (ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى) اى رأى نفسه واستغنى مفعوله الثانى لانه بمعنى علم

ولذلك جاز ان يكون فاعله ومفعوله الضميرين لواحد (ان الى ربك الرجعى) الخطاب للانسان على الالتفات تهديدا وتحذيرا من عاقبة الطغيان والرجعى مصدر كالبشرى (ارأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى) نزلت فى ابى جهل قال لو رأيت محمدا ساجدا لوطئت عنقه فجاءه ثم نكص على عقبيه فقيل له مالك فقال ان بينى وبينه لخندقا من نار وهولا واجنحة فنزلت

ومباديها وهو خلق الانسان من علق وعلى كمالها وغايتها وهو قوله علم الانسان مالم يعلم تضمنت جميع النعم واستلزمت معرفة المنعم وشكر نعمته ولما كان الرسول الذى بلغ هذه الآية لابد له من الرسل اليهم وهم جهال لا يعرفون النعمة ولا المنعم فضلا عن القيام بشكرها ردعهم وزجرهم عما هم عليه من الكفر والجهل فقال كلا وبين ان سبب ذلك انما هو الطغيان قال مقاتل معنى طغيانه انه اذا اصاب مالا زاد فى ثيابه ومركبه وطعامه وشرابه ونحو ذلك وقال الكلبى يرتفع من منزلة الى منزلة فى اللباس والطعام (قوله وذلك) اى ولكونه بمعنى علم جاز ان يكون فاعله ومفعوله ضميرين لشئ واحد فان ذلك من خصائص افعال القلوب يقال رأيتنى وعلمتنى ولو كانت الرؤية ههنا بمعنى الابصار لامتنع فى فعلها الجمع بين الضميرين وقوله تعالى ان رآه اصله لان رآه اى لرؤيته نفسه استغنى اى مستغنيا فكان فاعله ومفعوله ضميرين لشئ واحد فحذفت اللام كما يقال انكم لتطغون ان رأيتم غناكم فمحله النصب على انه مفعول له واول السورة يدل على مدح العلم وشرفه وآخرها يدل على مذمة المال وكفى بذلك مرغبا فى الدين والعلم ومنفرا عن الدنيا والمال والظاهر ان كون الغنى سببا للطغيان انما هو فى حق المحجوبين الذين يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة غافلون بخلاف اولى البصائر واصحاب العرفان فان عرض الدنيا لايلهيهم عن ذكر المولى وطاعته كسليمان عليه السلام فانه قد نال من الملك مالم ينله احد من العالمين مع انه لم يزدد بذلك الا تواضعا واستكانة وكان يجالس المساكين ويقول مسكين جالس مسكينا وكعبد الرحمن بن عوف فانه رضى الله تعالى عنه ماطغى مع كثرة امواله بل العاقل يعلم انه عند الغنى يكون اكثر حاجة اليه تعالى منه حال فقره لانه فى حال فقره لاتمنى الا سلامة نفسه وفى حال الغنى يتمنى سلامة نفسه وماله ومماليكه (قوله نزلت فى ابى جهل) مبنى على ماروى عن ابن عباس ومجاهد رضى الله تعالى عنهما انهما قالا هذه السورة اول مانزل الى قوله تعالى ان الى ربك الرجعى ومابعده نزل فى ابى جهل الى آخر السورة فيكون المراد من الانسان فى قوله تعالى ان الانسان ليطغى جنس الانسان وجملته ووجه ارتباط بعضها ببعض انه تعالى بين انه خلق الانسان من علق ثم بين انه رفعه من اخس المراتب الى اعز مفاخر الموجودات وهو التحلى بفضيلة العلم والعرفان ثم اشار بقوله كلا الى انه لم يشكر تلك النعمة الجليلة بل كفر وطغى اذا غناه ربه وزاده جاها ومالا فردعه عنه وقبح حاله ثم بين سبب كفرانه وطغيانه فقال ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى ثم اكد الردع والزجر فقال ان الى ربك الرجعى على الالتفات للمبالغة فى التحذير والتهديد من عاقبة الطغيان وذهب اكثر المفسرين الى ان اول

ما نزل قد انتهى عند قوله تعالى علم الانسان ما لم يعلم ثم نزل باقي السورة بعد زمان مديد في حق ابي جهل لعنه الله ثم انه عليه الصلاة والسلام امر بان يوضع في هذا الموضع و يضم الى آخر الآيات الخمس التي هي اول ما نزل من القرآن لا بنا تأليف الآيات انما كان بامر الله تعالى الا ترى ان قوله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله آخر ما نزل عند المفسرين ثم هو مضموم الى ما نزل قبله بزمان طويل وما ذكره صاحب الكشاف يؤيد هذا القول وهو قوله روى ان ابا جهل قال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اتزعم ان من استغنى طغى فاجعل لنا جبال مكة ذهبا وفضة لعلنا نأخذ منها فنطغى فندع ديننا و نتبع دينك فنزل جبريل عليه السلام فقال ان شئت فعلنا ذلك ثم ان لم يؤمنوا فعلنا بهم ما فعلنا باصحاب المائدة فكف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن الدعاء ابقاء عليهم و ترجيا وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال ابو جهل هل يعفر محمد وجهه بين اظهركم قالوا نعم قال فبا لذي يحلف به لان رأيته يفعل ذلك لاطأن على رقبته قال فقيل له هاهو ذاك يصلي فانطلق ليطأ على رقبته فما فجأهم الا وهو ينكص على عقبيه و يتقي بيديه فأتوه فقالوا له ما لك يا ابا الحكم قال ان بيني و بينه لخندقا من نار فنزل قوله ارأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى قال عليه الصلاة والسلام والذي نفسي بيده لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوا فعضوا ﷺ والهول الخوف والاجنحة اجنحة الملائكة ابصر العين اجنحتهم و لم يبصر اصحابها (قوله ولفظ العبد وتنكيره للمبالغة في تقبيح النهي) فانه لو قيل ينهاك بضمير الخطاب بدل لفظ العبد لدل الكلام على تقبيح النهي الا ان يراد لفظ العبد ابلغ في تقبيح النهي لان نهي العبد عن تعظيم مولاه اقبح من نهي فرد من افراد الانسان عنه و تنكير لفظ العبد يدل على تعظيمه وكماله في العبودية فيكون نهيه عن تعظيم مولاه ابلغ من نهي عبد ما اي عبد كان فكأنه قيل ينهى اكمل الخلق في العبودية عن عبادة ربه (قوله والشرطية مفعوله الثاني) ان جعل رأيت من رؤية القلب المقتضية للمفعولين وجعل قوله الذي ينهى مفعوله الاول وجعلت الشرطية الاولى مفعوله الثاني وهي قوله ان كان على الهدى او امر بالتقوى مع جوابها المحذوف وهو قوله ألم يعلم بأن الله يرى و يطلع على احواله من كونه على هدى في نهيه عن طاعة الله تعالى وعبادته اوكونه آمرا بالتقوى فيما يأمر به من عبادة الاوثان على زعمه الباطل وحذف جواب الشرط الاول اكتفاء عنه بجواب الشرط الثاني فان الشرط الثاني وهو قوله ان كذب وتولى مقابل للشرط الاول فان ذلك الناهي عن التكذيب للحق والتولي عن الصواب مقابل لكونه

في لفظ العبد وتنكيره للمبالغة في تقبيح النهي والدلالة على كمال عبودية المنهي (ارأيت ان كان على الهدى او امر بالتقوى) ارايت تكرير للاول وكذا الذي في قوله (ارأيت ان كذب وتولى ألم يعلم بان الله يرى) والشرطية مفعول له الثاني وجواب الشرط محذوف دل عليه جواب الشرط الثاني الواقع موقع القسم له والمعنى اخبرني عمن ينهى بعض عباد الله عن صلاته ان كان ذلك الناهي على هدى فيما ينهى عنه او آمرا بتقوى فيما يأمر به من عبادة الاوثان كما يعتقده او ان كان على التكذيب للحق والتولي عن الصواب كما يقول ألم يعلم بأن الله يرى و يطلع على احواله من هداه و ضلاله

على هدى فى امره وآمر بالتقوى فيما يأمر به فلما اجيب الشرط الثانى بقوله ألم يعلم بان الله يرى احواله علم ان جواب الشرط الاول من هذا القبيل ايضا وجاز ان تكون الجملة الاستفهامية وهى قوله ألم يعلم الخ جوابا للشرط كما جاز فى قولك ان اكرمتك أتكرمنى وان احسن اليك فلان هل تحسن اليه وجعل كل واحد من رأيت الثانى والثالث تكريرا للاول لاجل التأكيد فعلى هذا يجب ان يكون الخطاب فى قوله تعالى ارأيت لكل من يصلح ان يكون مخاطبا ممن له فطنة وعقل سليم او للانسان على الالتفات كما فى قوله ان الى ربك الرجعى وهذا هو الاظهر لا للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولا لابى جهل لان كل واحد منهما متوسط بين المتكلم والمخاطب عبر عنه المصنف بلفظ الغيبة حيث قال عمن ينهى بعض عباد الله فان من عبارة عن الكافر الناهى والبعض عبارة عنه عليه الصلاة والسلام فكأنه تعالى جعل الثالث حاكما بين الناهى و بينه عليه الصلاة والسلام فقال اخبرنى الحكم عمن ينهى بعض عباد الله عن طاعته و يزعم انه على الحق فى ذلك النهى وفى امره بعبادة الاوثان واخبرنى ايضا عمن يقول فى حقه انه على التكذيب للحق والتولى عن الدين الصحيح فما حكمك فى حقه الم تعلم بان الله يراه و يطلع على احواله من هداه وضلاله فيجازيه على حسب ذلك فهو وعيد بليغ (قوله وقيل المعنى) يعنى ان الضمائر كلها للكافر الناهى الا انه قيل ضمير ينهى وكذب وتولى عبارة عن الكافر الناهى وضمير كان وامر للعبد المنهى وان قوله تعالى ارأيت كلمة تعجيب عجب الله تعالى عباده من ابى جهل فى منعه العبد اذا صلى على ثلاثة اوجه الاول انه ينهى عبدا عن طاعة ربه والثانى ان المنهى عن الصلاة مهتد بصلاته وتعظيم ربه آمر غيره بتقوى الله تعالى بفعله والثالث ان الناهى عن الصلاة مكذب للحق متولى عنه غير قائل به والفرق بين القول الثانى والثالث مع ان ضمير ينهى وكذب وتولى فيهما للكافر وضمير كان على الهدى او امر للعبد المنهى هو ان الخطاب فى المواضع الثلاثة على القول الثانى للانسان على الالتفات وأرأيت للتعجب وعلى القول الثالث يكون الخطاب الاول له عليه الصلاة والسلام والخطاب الثانى للكافر الناهى خاطبه توبيخا له على قبح فعله ولما ورد على القولين الاخيرين ان يقال لم ذكر الامر بالتقوى بعد ارأيت الثانى على تقدير ان لا يكون تكريرا للاول بل يكون للتعجيب كما فى القول الثانى او التوبيخ كما فى القول الثالث ولم يتعرض له فى النهى اجاب عنه اولا بان الذى يشق على ابى جهل من افعاله عليه الصلاة والسلام وان كان فى حق نفسه عبادة الا انه فى حق غيره امر بالتقوى والطاعة لانه

وقيل المعنى ارأيت الذى ينهى عبدا يصلى والمنهى على الهدى آمر بالتقوى والناهى مكذب متولى فاعجب من ذا وقيل الخطاب فى الثانية مع الكافر فانه تعالى كالحاكم الذى حضره الخصمان يخاطب هذا مرة والآخر اخرى وكأنه قال يا كافر اخبرنى ان كان صلاته هدى و دعاؤه الى الله امرا بالتقوى أتنهاه ولعله ذكر الامر بالتقوى فى التعجب والتوبيخ ولم يتعرض له فى النهى لان النهى كان عن الصلاة والامر فاقتصر على ذكر الصلاة لانه دعوة بالفعل او لان نهى العبد اذا صلى يحتمل ان يكون لها ولغيرها وعامة احوالها محصورة فى تكميل نفسه بالعبادة وغيره بالدعوة (كلا) ردع للناهى (لئن لم ينته) عما هو فيه

عليه الصلاة والسلام كان كل من رآه وهو في الصلاة يرق قلبه فيميل الى الايمان والطاعة فكانت صلاته عليه الصلاة والسلام امرا بالتقوى بلسان الحال والفعل فكان النهي عن الصلاة نهيا عنها وعن الامر بالتقوى فلذلك اقتصر على ذكر الصلاة في مقام حكاية نهيه عن الامرين جميعا لحصول المقصود به ولم يقتصر على ذكر الصلاة في مقام التعجب من حال الناهي وفي مقام توبيخه لان التعجب من جميع قبائحه والتوبيخ على كل واحد منها ابلغ وادخل في الذم ثم اجيب عنه ثانيا بان ما ذكر من انه كما ينهى عن الصلاة ينهى عن الامر بالتقوى ايضا فلم اقتصر على ذكر الصلاة انما يتوجه ان لو قيل ينهى عبدا عن الصلاة فقط ولم يقل كذلك بل قيل ينهى عبدا اذا صلى وليس فيه تصريح بان المنهي عنه أهو الصلاة ام غيرها فهو يتناول نهيه عن الامرين جميعا فليس في الكلام اقتصار على ذكر النهي عن الصلاة فقط بل عدم ذكر المفعول به الغير الصريح لينهى يدل على ارادة العموم اي ينهى عن طاعة افعاله المحصورة في تكميل نفسه بالعبادة وغيره بالدعوة وهذه الآية وان نزلت في حق ابي جهل لكن كل من نهى عن طاعة الله تعالى يشاركه فيما تعلق به من الذم والوعيد حتى روى عن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه انه رأى في المصلى اقواما يصلون قبل صلاة العيد فقال ما رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يفعل ذلك فقيل له ألا تنهاهم فقال اخشى ان ادخل في وعيد قوله تعالى ارأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى فلم يصرح بالنهي عن الصلاة احتياطا واخذ ابو حنيفة هذا الادب الجليل حين قال له ابو يوسف رحمهما الله أيقول المصلي حين يرفع رأسه من الركوع اللهم اغفر لي حيث قال له يقول ربنا لك الحمد ويسجد ولم يصرح بالنهي احتياطا عن ان يقول ذلك (قوله ولنسفعنه بها الى النار) وذلك في الاخرة ويحتمل ان يكون المراد من هذا السفع سحبه على وجهه في الدنيا يوم بدر وتكون الآية بشارة بانه تعالى يمكن المسلمين من ناصيته حتى يجروه على وجهه اذا عاد الى النهي فلما عاد اليه مكنهم الله تعالى من ناصيته يوم بدر روى انه لما نزلت سورة الرحمن علم القرآن قال عليه الصلاة والسلام من يقرأها على رؤس قريش فتثاقلوا فقام ابن مسعود رضي الله تعالى عنه وقال انا أقرأها عليه الصلاة والسلام ثم قال ذلك ثانيا فلم يقم الا ابن مسعود ثم ثالثا الى ان اذن له وكان عليه السلام يبقي عليه لما كان يعلم من ضعفه وصغر جثته ثم انه وصل اليهم فرآهم مجتمعين حول الكعبة فافتتح قرآءة السورة فقام ابو جهل فلطمه فانشقت اذنه وأدماها فانصرف وعينه تدمع فلما رآه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رق قلبه واطرق رأسه مغموما فاذا

(لنسفعا بالناصية) لنأخذن بناصيته ولنسحبنه بها الى النار والسفع القبض على الشيء وجذبه بشدة وقرئ لنسفعن بنون مشددة ولأسفعن وكتبته في المصحف بالالف على حكم الوقف والاكتفاء باللام عن الاضافة للعلم بان المراد ناصية المذكور (ناصية كاذبة خاطئة) بدل من الناصية وانما جاز لوصفها وقرئت بالرفع على هي ناصية والنصب على الذم ووصفها بالكذب والخطأ وهما لصاحبها على الاسناد المجازي للمبالغة

جبريل عليه السلام جاء ضاحكا مستبشرا فقال ياجبريل أتضحك و يبكي ابن مسعود فقال سيعلم فلما ظفر المسلمون يوم بدر التمس ابن مسعود ان يكون له حظ في الجهاد فقال له عليه السلام خذ رمحك والتمس في الجرحى من كان به رمق فاقتله فانك تنال به ثواب المجاهدين فاخذ يطالع القتلى فاذا ابوجهل مصروع يخور فخاف ان يكون به قوة فيؤ ذيه فوضع الرمح على منخره من بعيد فطعنه ولعل هذا معنى قوله سنسمه على الخرطوم ثم لما عرف عجزه لم يقدر ان يصعد على صدره لضعفه فارتقى عليه بحيلة فلما رآه ابو جهل قال ياروبعي الغنم لقد ارتقيت مرتقى صعبا فقال ابن مسعود الاسلام يعلو ولا يعلى عليه فقال له ابو جهل بلغ صاحبك انه لم يكن احد أبغض الى منه في حال مماتي فروى انه عليه الصلاة والسلام لما سمع ذلك قال فرعوني اشد من فرعون موسى عليه الصلاة والسلام فانه قال آمنت وهذا قدزاد عتوا ثم قال للعين لابن مسعود اقطع بسيفي هذا لانه احد واقطع فلما قطع رأسه لم يقدر على حمله فشق اذنه وجعل الخيط فيها وجعل يجره الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وجبريل بين يديه يضحك و يقول يامحمد اذن باذن لكن الرأس ههنا مع الاذن واللام في قوله تعالى لئن لم ينته لام موطئة القسم والقسم بعدها مضمر اي لئن لم ينته والله لنسفعن والجمهور على تخفيف هذه النون والوقف عليها بالالف لانفتاح ماقبلها تشبيها لها بالمنون المنصوب وقد كتبت في مصحف عثمان رضي الله تعالى عنه بالالف على حكم الوقف واللام في قوله بالناصية بدل من الاضافة اي لنسفعن بناصيته اكتفاء بلام العهد عنها للعلم بان المراد ناصية المذكور ثم وصفها بانها ناصية كاذبة قولا خاطئة فعلا ووصفها بالكذب والخطأ على الاسناد المجازي لانهما في الحقيقة لصاحبها وقوله ناصية بدل من الناصية وجاز ابدالها من المعرفة وهي نكرة لانها وصفت بقوله كاذبة والنكرة الغير الموصوفة لا تبدل من المعرفة لئلا يلازم كون المقصود بالنسبة انقص دلالة على الذات المراد بالنسبة من غير المقصود وكل واحدة من قرآتي رفع ناصية ونصبها مبنية على الشتم والذم قال ابن الحاجب سئلت لم جمع بين الناصية و بين ناصية كاذبة خاطئة وهلا اقتصر على احداهما فاوجبت بان الاولى ذكرت للتنصيص على ناصية الناهي بناء على ان اللام فيها للعهد والثانية ذكرت للتنبيه على علة السفع لتشمل بظاهرها كل ناصية هذه صفتها (قوله اي اهل ناديه) قدر المضاف لان نفس المجلس والمكان لايدعى (قوله ينتدى فيه القوم) اي يجتمع ومنه دار الندوة بمكة كانوا يجتمعون فيها للتشاور ولايسمى المكان نادبا حتى يكون فيه اهله والشرط جمع شرطة بالسكون والحركة

(فليدع ناديه) اي اهل ناديه ليعينوه وهو المجلس الذي ينتدى فيه القوم روى ان ابا جهل مر برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يصلي فقال الم انهك فاغلظ له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال أتهددني وانا اكثر اهل الوادي نادبا فنزلت (سندع الزبانية) ليجروه الى النار وهي في الاصل الشرط واحدها زبنية كعفرية من الزبن وهو الدفع

زبني على النسبة واصلها زباني والتاء معوضة عن الياء (كلا) ردع ايضا للناهي (لا تطعه) و اثبت انت على طاعتك (و اسجد) و دم على سجودك (واقترب) و تقرب الى ربك و في الحديث اقرب ما يكون العبد الى ربه اذا سجد عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة العلق اعطى من الاجر كانما قرأ المفصل كله

(سورة القدر مختلف فيها و آيها خمس)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(انا انزلناه في ليلة القدر) الضمير للقرآن فخمه باضماره من غير ذكر شهادة له بالنباهة المغنية عن التصريح كما عظمه بان اسند انزاله اليه وعظم الوقت الذى انزل فيه بقوله (وما ادراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر) و انزاله فيها بان ابتدأ انزاله فيها او انزله جملة من اللوح الى السماء الدنيا على السفرة ثم كان جبريل ينزله على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نجوما في ثلاث وعشرين سنة وقيل المعنى انزلناه في فضلها وهي في أوتار العشر الاواخر من شهر رمضان ولعلها السابعة منها والداعي الى اخفائها ان يحيي من يريدها ليالي كثيرة (وجه

و هم كبار الجند واول كتيبة تحضر الحرب من الشرط وهو العلامة وسموا شرطا لانهم جعلوا لانفسهم علامة يعرفون بها (قوله او زبني على النسبة) اى على انه بياء النسبة الى الزبن وهو الدفع ويجمع على زباني ثم غير هذا اللفظ الى زبانية بان عوضت تاء التأنيث عن احدى الياءين بعد حذفها كالاشاعثة في جمع اشعثي و بالجملة فالمراد بالزبانية ملائكة العذاب وهم خزنة جهنم أرجلهم في الارض ورؤسهم في السماء سموا زبانية لانهم يزبنون الكفار اى يدفعونهم في جهنم وحذفت الواو من سندع في الامام اتباعا للخط باللفظ فان الواو لما سقطت في اللفظ لاجتماع الساكنين سقطت في الخط ايضا اتباعا والمعنى ليفعل ما خطر بباله من دعوة اهل ناديه واستعانته بهم في مناصبته عليه الصلاة والسلام فانه ان فعل ذلك فنحن ندعو الزبانية الذين لا طاقة لاهل ناديه وقومه بهم قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لو دعا اهل ناديه لاخذته الزبانية من ساعته عيانا وقيل بل هذا اخبار بان الزبانية يجرونه في الاخرة الى النار وكلمة ما في قوله عليه الصلاة والسلام اقرب ما يكون العبد الى ربه اذا سجد مصدرية واقرب مبتدأ حذف خبره و يكون من كان التامة اى اقرب وجود العبد الى ربه حاصل وقت سجوده فانه قد تقرر في علم النحو انه يجب حذف خبر المبتدأ اذا كان المبتدأ افعل التفضيل مضافا الى مصدر مذكور بعده الحال او الظرف مثل اكثر شربي السويق ملتوتا واخطب ما يكون الامير قائما والظرف في معنى الحال

(سورة القدر قيل انها اول سورة نزلت بالمدينة وقيل انها مكية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(قوله بالنباهة) النباهة الشهرة في رفعة القدر وكمال الشرف وكونها كذلك قائم مقام سبق ذكرها صريحا فصح ارجاع الضمير اليها يقال شئ نبه ونبيه اى مشهور ونبه الرجل بالضم نباهة اى شرف واشتهر (قوله تعالى وما ادراك ما ليلة القدر) اى ما غاية فضلها ومنتهى علو قدرها ثم بين له ذلك بقوله ليلة القدر خير من الف شهر قال مجاهد قيامها و العمل فيها خير من قيام ألف شهر ليس فيه ليلة القدر وذلك لان الاوقات انما يفضل بعضها على بعض بما يكون فيه من الخير و النفع فلما جعل الله تعالى الخير الكثير في ليلة القدر كانت خيرا من الف شهر لا يكون فيها من الخير و البركة ما يكون في هذه الليلة (قوله وانزاله فيها) جواب عما يقال القرآن انما نزل جملة واحدة في وقت واحد بل انزل منجما مفرقا في ثلاث وعشرين سنة فما

وجه قوله تعالى انا انزلناه في ليلة القدر واجاب عنه بثلاثة اوجه الاول ان المراد ابتدأنا بانزاله على طريق التنجيم و التفريق في ليلة القدر بناء على ان البعثة كانت في رمضان والثاني ان السؤال انما يرد ان لو كان المراد انزاله الى الارض والى الرسول عليه الصلاة والسلام فانه الذي كان منجما في ثلاث وعشرين سنة وليس المراد ذلك بل المراد والله اعلم ما روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان جبرائيل عليه الصلاة والسلام نزل به جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ على السفرة عليهم الصلاة والسلام وهم الملائكة في سماء الدنيا ثم كان ينزله على النبي عليه الصلاة والسلام منجما مفرقا على حسب المصالح في ثلاث وعشرين سنة والثالث ان السؤال انما يرد ان لو كان ليلة القدر ظرفا لنفس الانزال على معنى ان الانزال وقع في ذلك الزمان المعين وليس كذلك بل المعنى انا انزلناه في حق فضل ليلة القدر و بيان شرفها وقدرها وهذا المعنى لا ينافي كون الانزال مفرقا في ثلاث و عشرين سنة واختلف في تعيين ليلة القدر بعد اختلافهم في انها هل هي باقية تتكرر في كل سنة او انها كانت على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم رفعت وانقطعت فمن قال ان فضلها كان لنزول القرآن فيها يقول انها كانت مرة ثم انقطعت قال الامام النسفي رحمه الله تعالى قول من قال انها رفعت بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام قول مردود والجمهور على انها باقية ثم اختلفوا هل هي مختصة برمضان اولا فعن ابي حنيفة رحمه الله تعالى انها غير مختصة برمضان بل هي تدور في كل السنة و به قال بعضهم حتى روى عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه انه قال من يقم الحول يصبها وقال عكرمة المراد بليلة القدر ليلة البركة المذكورة في قوله تعالى انا انزلناه في ليلة مباركة وهي ليلة النصف من شعبان والجمهور على انها مختصة برمضان لقوله تعالى شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن مع قوله انا انزلناه في ليلة القدر فوجب ان تكون ليلة القدر في رمضان لئلا يلزم التناقض ثم قيل انها تدور في ليالي شهر رمضان مرة تكون في العشر الاول وتارة في العشر الاوسط واخرى في العشر الآخر وهي اشهر الروايتين عن ابي حنيفة رحمه الله تعالى وذهب صاحباه الى انها تدور في العشر الآخر من شهر رمضان استدلالا بما روى ابو سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال سئل اي ليلة هي فقال التمسوها في العشر الاواخر من رمضان فاطلبوها في كل وتر في احدى وعشرين اوثلاث وعشرين او خمس وعشرين او سبع و عشرين او تسع وعشرين وذهب اكثر العلماء الى انها ليلة السابع

والعشرين وذكروا فيه كرامات منها ان هذه السورة ثلاثون كلمة وشهر
رمضان ثلاثون يوما والكلمة السابعة والعشرون منها هى لفظ هى و تلك
اشارة اليها و منها ان ليلة القدر تسعة احرف وذكرها الله تعالى فى هذه
السورة ثلاث مرات فيبلغ عدد حروفها سبعة وعشرين ففيه اشارة الى انها
هى الليلة السابعة والعشرون ومنها انه كان لعثمان بن ابى العاص غلام
فقال يامولاى ان البحر يعذب ماؤه ليلة واحدة من الشهر قال اذا كانت
تلك الليلة فأعلمنى فاذا هى السابعة والعشرون من رمضان وقال عبيد بن
عمير كنت فى السابع والعشرين من رمضان فى البحر فاخذت من مائه فوجدته
عذبا سلسبيلا وقيل انها هى الليلة الاخيرة من رمضان استدلالا بقوله
عليه الصلاة والسلام ان الله تعالى فى كل ليلة من رمضان عند الافطار الف
الف عتيق من النار كلهم استوجبوا العذاب فاذا كان آخر ليلة من شهر
رمضان اعتق الله تعالى فى ذلك اليوم بعدد من اعتق من اول الشهر الى آخره
وقيل انها الليلة الاولى من رمضان لما روى ان صحف ابراهيم عليه الصلاة
والسلام انزلت فى الليلة الاولى من رمضان والتوراة انزلت لست ليال مضين
من رمضان بعد صحف ابراهيم بسبعمائة سنة وانزل الزبور على داود لثنتى
عشرة ليلة خلت من رمضان بعد التوراة بخمسمائة عام وانزل الانجيل على
عيسى لثمان عشرة ليلة خلت من رمضان بعد الزبور بستمائة عام وعشرين عاما
وقيل كان جبريل عليه الصلاة والسلام ينزل من القرآن ليلة القدر من بيت العزة
الى السماء السابعة قدر ماينزل به على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى السنة
كلها الى مثلها من القابل حتى نزل القرآن كلها فى ليلة القدر (قوله وتسميتها
بذلك لشرفها) اى على سائر الليالى على ان القدر بمعنى العظمة والشرف
من قولهم لفلان قدر عند فلان اى منزلة وشرف ثم ان شرفها يحتمل ان يكون
راجعا الى العامل فيها على معنى ان من اتى فيها بالطاعة صار ذا قدر وشرف
ويحتمل ان يرجع الى نفس العمل على معنى ان الطاعة الواقعة فيها لها قدر
وشرف زائد على شرف ماوقع فى سائر الليالى (قوله اولتقدير الامور
فيها) عن الواحدى ان القدر فى اللغة بمعنى التقدير وهو جعل الشئ على مقدار
معين من غير زيادة ولا نقصان وقال سميت بها لانها ليلة تقدير الامور والاحكام
لماروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال ان الله تعالى قدر فيها
كل ما يكون فى تلك السنة من مطر ورزق واحياء واماتة الى مثل هذه الليلة
من السنة الآتية وسلمه الى مدبرات الامور من الملائكة وهم اسرافيل وميكائيل
وعزرائيل وجبرائيل عليهم الصلاة والسلام ونظيره قوله تعالى فيها يفرق

وتسميتها بذلك لشرفها اولتقدير الامور فيها كقوله فيها يفرق كل امر حكيم

(كل امر)

كل امر حكيم واعلم ان تقدير الله تعالى لايحدث فى تلك الليلة فانه تعالى قدر المقادير قبل خلق السموات والارض فى الازل بل المراد اظهار تلك المقادير للملائكة فى تلك الليلة بان يكتبها فى اللوح المحفوظ وهذا القول اختيار عامة العلماء قيل للحسين ابن الفضل اليس قد قدر الله المقادير قبل ان يخلق السموات والارض قال نعم قيل فما معنى ليلة القدر قال سوق المقادير الى المواقيت وتنفيذ القضاء المقدر (قوله وذكر الالف اما للتكثير) فان العرب تذكر الالف ولا تريد حقيقتها وانما تريد المبالغة فى الكثرة كما فى قوله تعالى يود احدهم لو يعمر الف سنة واما لما روى انه ذكر لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رجل من بنى اسرائيل حمل السلاح على عاتقه فى سبيل الله الف شهر وهى ثلاث وثمانون سنة واربعة اشهر فتعجب لذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عجبا شديدا وتمنى ان يكون ذلك فى امته فقال يارب جعلت امتى اقصر الامم اعمارا واقلها اعمالا فاعطاه الله ليلة القدر فقال ليلة القدر خير من الف شهر الذى حمل الاسرائيلى فيها السلاح فى سبيل الله لك ولامتك من بعد ذلك الى يوم القيامة فى كل رمضان وقيل كان الرجل فيما مضى لايقال له عابد حتى يعبد الله الف شهر فأعطوا ليلة القدر ان احيوها كانوا احق بان يسموا عبادا من اولئك العباد (قوله تعالى والروح فيها) يجوز ان يكون جملة اسمية فى محل النصب على انه حال من فاعل تنزل وضمير فيها للملائكة ويجوز ان يكون الروح مرفوعا بالعطف على الملائكة ويكون فيها متعلقا بقوله تنزل وضمير فيها لليلة (قوله بيان لما له فضلت على الف شهر) يعنى ان قوله تنزل الملائكة جملة مستأنفة لبيان كونها خيرا من الف شهر كانه قيل لم ارتقى فضلها الى هذه الغاية فاجيب بان ذلك لما يوجد فيها من تنزل الملائكة فيها ومعهم جبريل عليه الصلاة والسلام بالرحمة من الله والسلام على اوليائه فيسلمون على كل عبد قائم او قاعد يذكر الله تعالى وهذا غير ما ذكره مجاهد فى بيان كونها خيرا من الف شهر الا ان يقال انهم انما ينزلون الى الارض رأفة ورحمة للمؤمنين والمؤمنات لا تبقى بقعة من الارض الا وعليها ملك ساجدا وقائم يدعو ويستغفر للمؤمنين والمؤمنات وظاهر ان من يشفع له الملائكة بالدعاء والاستغفار ينال من الخير ما لاينال بعبادته فى الف شهر فيؤول الى ما ذكره مجاهد روى عنه عليه الصلاة والسلام انهم ينزلون يسلمون علينا ويستغفرون لنا فمن اصابته التسلية غفر له ذنبه وعن كعب ان سدرة المنتهى فيها ملائكة لايعلم عددهم الا الله يعبدون الله ومقام جبريل فى وسطها ليس فيها ملك الا وقد اعطى الرأفة والرحمة للمؤمنين ينزلون مع جبريل

وذكر الالف اما للتكثير او لما روى انه عليه الصلاة والسلام ذكر اسرائيليا لبس السلاح فى سبيل الله الف شهر فتعجب المؤمنون وتقاصرت اليهم اعمالهم فأعطوا ليلة هى خير من مدة ذلك الغازى (تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم) بيان لما له فضلت على الف شهر

ليلة القدر فلا تبقى بقعة من الارض الا وعليها ملك ساجدا وقائم يدعو للمؤمنين والمؤمنات وجبريل لايدع احدا من الناس ممن يقوم فيها الا ويصافحه وعلامة ذلك ان يقشعر جلده ويرق قلبه وتدمع عيناه فان ذلك من علامة مصافحة جبريل عليه السلام فان نظر الملائكة الى الارواح ونظر البشر الى الاشباح فكما ان البشر اذا رأوا صورة حسنة قبلوها ومالوا اليها فكذا الملائكة اذا رأوا فى ارواح المؤمنين صورة حسنة وهى معرفة الله تعالى وطاعته احبوهم ورغبوا فى زيارتهم وتمنوا لقاءهم لكنهم كانوا ينتظرون الاذن كما قال الله تعالى عنهم وماتتنزل الا بامر ربك وقال تعالى فى هذه الآية باذن ربهم فانه يدل على انهم استأذنوا اولا فاذنوا وذكر فى الروح اقوال احدها انه ملك عظيم لو التقم السموات والارض كانت كلها لقمة واحدة له وفى التيسير ينزل الروح فى تلك الليلة وهو ملك من تحت العرش رجلاه فى تخوم الارض السابعة ورأسه تحت عرش الملك الجبار وله الف رأس كل رأس اعظم من الدنيا وفى كل رأس الف وجه وفى كل وجه الف فم وفى كل فم الف لسان يسبح الله تعالى بكل لسان الف نوع من التسبيح والتحميد لكل لسان لغة لاتشبه الاخرى فاذا فتح افواهه بالتسبيح خرت ملائكة اهل السموات السبع سجدا مخافة ان يحرقهم نور افواهه وانما يسبح الله غدوة وعشية فينزل تلك الليلة فيستغفر الصائمين والصائمات من امة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بتلك الافواه كلها الى طلوع الفجر وقيل انه طائفة من الملائكة لاتراهم الملائكة الاليلة القدر كالزهاد الذين لاتراهم الايوم العيد وقيل انه خلق من خلق الله تعالى يأكلون ويلبسون ليسوا من الملائكة ولا من الانس ولعلهم خدم اهل الجنة وقيل يحتمل انه هو عيسى عليه الصلاة والسلام لانه اسمه ثم انه ينزل فى موافقة الملائكة ليطالع امة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل انه القرءآن لقوله تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وقيل انه الرحمة لماقرئ ولاتيأسوا من روح الله بالضم كانه تعالى يقول الملائكة ينزلون وروحى تنزل فى اثرهم فيحصدون سعادة الدنيا وسعادة الآخرة والاصح ان الروح ههنا جبريل وتخصيصه بالذكر لزيادة شرفه (قوله وتنزلهم الى الارض) هو الاظهر لان الاحاديث دلت على ان الملائكة ينزلون فى سائر الايام الى مجالس الذكر والدين فلأن يحصل ذلك فى هذه الليلة مع علو شأنها اولى ولان مطلق النزول لايفهم منه الا النزول من السماء الى الارض وقيل ان الملائكة بأسرهم ينزلون الى السماء الدنيا فى ليلة القدر فان قيل كل واحدة من السموات مملوءة بمافيها من الملائكة بحيث لايوجد فى واحدة منها موضع قدم يخلو من ملك فكيف تسع جميع ملائكة السموات والارض او السماء الدنيا قلنا انما يرد ماذكرت لو كان نزولهم على

تنزلهم الى الارض او السماء الدنيا او تقربهم الى المؤمنين (من كل امر) من اجل كل امر قدر فى تلك السنة وقرئ من كل امرئ اى من اجل كل انسان

سبيل الاجتماع وليس بلازم لماروى انهم ينزلون فوجا فوجا فينزل بعضهم و يصعد آخرون كأهل الحج فانهم على كثرتهم يدخلون الكعبة ومواضع النسك بأسرهم لكن الناس بين داخل وخارج ولهذا السبب مدت الى غاية طلوع الفجر ولذلك ايضا ذكر لفظ تنزل ليفيد التدرج مدة بعدمدة (قوله ماهى الاسلامة) اشارة الى انقوله هى مبتدأ وسلام خبره ومعناه السلامة وقدم الخبر ليفيد الحصر كما فى نحو تميمى انا اى لايحدث فيها داء ولاشئ من الشرور والآفات كالرياح والصواعق ونحو ذلك مما يخاف منه بل كل مانزل فيها انما هو سلامة وخير وفى الحديث ان الشيطان لايخرج فى هذه الليلة حتى يضيئ فجرها والليلة ليست نفس السلامة بل ظرف لها ومع ذلك وصفت بالسلامة على طريق التوصيف بالمصدر للمبالغة ثم اشار الى جواز ان يكون سلام اسما بمعنى التسليم والمعنى ان ليلة القدر من غروب الشمس الى طلوع الفجر سلام اى تسلم فيها الملائكة على اهل الطاعة (قوله من اجل كل امر قدر فى تلك السنة) اى من خير وشر اوبما فيه صلاح المكلف فى دينه ودنياه والظاهر ان هذا الاحتمال مبنى على ان يكون المراد بالليلة المباركة فى قوله تعالى انا انزلناه فى ليلة مباركة ليلة القدر وسميت مباركة لما فيها من البركة والمغفرة للمؤمنين لانه ان كان المراد بها ليلة النصف من شعبان كما ذهب اليه الاكثرون فلا يظهر ان يكون وجه تسميتها بليلة القدر تقدير الامور لانه يستلزم ان يكون تقدير الاعمال والارزاق والآجال والمصائب وغيرها واقعا فى ليلة القدر وفى ليلة النصف من شعبان اما الاول فلقوله وتسميتها بذلك لتقدير الامور فيها واما الثانى فلقوله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم فان ضمير فيها يرجع الى الليلة المباركة وقد فسرت بليلة النصف وكون كل واحدة من الليلتين ليلة التقدير لايخلو عن بعد الا ان يقال ههنا ثلاثة امور الاول نفس تقدير الامور والاحكام اى تعيين مقاديرها واوقاتها وذلك فى الازل قبل ان يخلق الله السموات والارض والثانى اظهار تلك المقادير للملائكة بان تكتب فى اللوح المحفوظ وذلك يكون فى ليلة النصف والثالث اثبات تلك المقادير فى النسخ وتسليمها الى اربابها من المدبرات فتدفع نسخة الارزاق والنباتات والامطار الى ميكائيل ونسخة الريح والجنود والزلازل والصواعق والخسف الى جبرائيل ونسخة الاعمال الى اسرافيل صاحب سماء الدنيا ونسخة المصائب الى ملك الموت وقيل يقدر فى ليلة البرآءة الآجال والارزاق وفى ليلة القدر تقدر الامور التى فيها الخير والبركة والسلامة وقيل يقدر فى ليلة القدر مايتعلق به اعزاز الدين ومافيه النفع العظيم للمسلمين واما ليلة البرآءة فيكتب فيها اسماء من يموت وتسلم الى ملك الموت (قوله على

(سلام هى) اى ماهى الاسلامة اى لايقدر الله فيها الا السلامة ويقضى فى غيرها السلامة والبلاء او ماهى الاسلام لكثرة مايسلمون فيها على المؤمنين (حتى مطلع الفجر) اى وقت مطلعه اى طلوعه وقرأ الكسائى بالكسر على

انه كالمرجع) اي على انه مصدر ميمي على خلاف القياس فان قياس المصدر الميمي من الثلاثي ان يجيء على مفعل بفتح العين وكذا اذا كان اسم زمان فان كسر عينه مخالف للقياس لان قياس اسم الزمان من يفعل و يفعل بفتح العين وضمها ان يكون على مفعل بفتح العين ومايكون سواء حمل على المصدر اواسم الزمان ولا معنى لكون مطلع الفجر اسم مكان وهو ظاهر و يفهم من تقرير المصنف ان قوله تعالى من كل امر متعلق بقوله تنزل اي تنزل من اجل كل امر قضاه الله تعالى لتلك السنة الى قابل من عمل ورزق وحيات وموت اومن اجل كل امر من الخير والبركة وقيل تم الكلام عند قوله باذن ربهم ثم ابتدئ فقيل من كل امر سلام هي اي من كل امر محدث سلامة هي حتى مطلع الفجر اي هي الى وقت طلوع الفجر * تمت سورة القدر بحمدالله وعونه وحسن توفيقه وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(سورة البينة)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(قوله فانهم كفروا بالالحاد في صفات الله تعالى) بيان اوجه توصيفه تعالى اهل الكتاب بالكفر قبل بعثة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وذلك ان طريق الكفر غير منحصر في انكار الدين الناسخ وتكذيبه بل قديكون به مثل كفر اليهود وتكذيب عيسى عليه الصلاة والسلام وانكار دينه وقد يكون بانكار حكم من احكام اصل الدين والعدول فيه عن الحق مثل كفر النصارى قبل بعثة سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بالالحاد في صفات الله تعالى والعدول فيهما عن الحق والصواب كما قالوا في صفة العلم انها اقنوم من الاقانيم الثلاثة انقلبت الى بدن عيسى عليه الصلاة والسلام ونحو ذلك فان عامة النصارى مثلثة وعامة اليهود مشبهة يقولون عزير بن الله كما تقول النصارى المسيح بن الله واشترك الجميع في تحريف كتاب الله تعالى ودينه وسائر مايوجب الكفر قبل بعثة سيد المرسلين صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل المراد من الكفر ههنا هو الكفر بنبينا والمعنى لم يكن الذين كفروا بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم منفكين من اليهود والنصارى الذين هم اهل الكتاب ولم يكن المشركون من العرب وغيرهم وهم الذين ليس لهم كتاب منفكين اي منفصلين زائلين وفيه انه يبعد ان يقال لم يكن الذين كفروا بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم منفكين عماهم عليه حتى يأتيهم محمد ولاوجه للكفر بمن

انه كالمرجع او اسم زمان على غير قياس كالمشرق * عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة القدر اعطى من الاجر كمن صام رمضان واحيى ليلة القدر

(سورة البينة مختلف فيها وآيها ثمان)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب) اي اليهود والنصارى فانهم كفروا بالالحاد في صفات الله في

وَمِنَ التَّبْيِينِ (والمشركين وعبدة الاصنام (منفكين عما كانوا عليه من دينهم او الوعد باتباع الحق اذا جاءهم الرسول) حتى تأتيهم البينة) الرسول او القرآن فانه مبين للحق او معجزة الرسول باخلاقه والقرآن بافحامه من تحدى به (رسول من الله) بدل من البينة بنفسه او بتقدير مضاف اومبتدأ (يتلو صحفا مطهرة) صفته اوخبره والرسول وان كان اميا لكنه لما تلا مثل ما في الصحف كان كالتالي لها وقيل المراد جبرائيل وكون الصحف مطهرة ان الباطل لايأتي مافيها وانها لا يمسها الا المطهرون

لم يبعث بعد ولم يعلم خبر بعثه (قوله ومن التبيين) لان كونها التبعيض يستلزم ان يكون البعض من المشركين كافرا والبعض الآخر غير كافر لان تقدير الآية يكون حينئذ لم يكن الذين كفروا بعض اهل الكتاب و بعض المشركين فينبغي ان تكون للتبيين بان يذكر جنسا الكفار بقوله تعالى الذين كفروا على الاجمال ثم يفصل ذلك المجمل بقوله من اهل الكتاب والمشركين اخبر الله تعالى انهم قد اتفقوا على ماكانوا عليه من دينهم او خبر الوعد باتباع الحق اذا جاءهم الرسول الى ان تأتيهم البينة وكلمة حتى تقتضي ان ينتهي الاتفاق المذكور عند اتيان البينة بان يحدث منهم الاختلاف والتفرق عند اتيانها لان حكم مابعد كلمة الغاية يكون مخالفا لحكم ماقبلها لوجوب انتهاء الحكم المذكور قبلها عند تحقق الغاية فذلك قوله تعالى وماتفرق الذين اوتوا الكتاب الامن بعدما جاءتهم البينة جعل كل واحد من الرسول والقرآن بينة اما لكونه حجة مبينة لنبوته عليه الصلاة والسلام باعتبار كونه معجزة فانه عليه الصلاة السلام معجز باخلاقه الزاكية حيث بلغ فيها الى اقصى درجات الكمال واعجز الحكماء المهذبين عن ان يتشبهوا به في شيء من مكارم اخلاقه وكذا القرآن اعجز فصحاء العرب عن ان يأتوا بسورة من سوره فقوله او معجزة الرسول من اضافة الصفة الى موصوفها اى الرسول المعجز باخلاقه العظام والقرآن المعجز بافحامه من تحدى به اى باسكاته من طلب منه ان يأتي بمثله يقال فحم الصبي يفحم بفتح الحاء فيهما فحوما وفحاما اذا بكى حتى ينقطع صوته وكلمه حتى افحمته اى ابكيته في خصومة اوغيرها ويقال تحديته اذا باريته اى اعرضته في فعله ونازعته الغلبة (قوله بدل من البينة بنفسه) على ان يكون المراد بالبينة الرسول باعتبار كونه مبينا للحق اوكونه معجزا باخلاقه (قوله او بتقدير مضاف) على تقدير ان يكون المراد بالبينة القرآن المبين للحق او المبين لنبوته عليه الصلاة والسلام باعتبار اعجازه والتقدير وحي رسول او كتاب رسول (قوله صفته اوخبره) نشر على ترتيب قوله بدل من البينة او مبتدأ (قوله والرسول وان كان اميا) جواب عما يقال كيف نسب تلاوة الصحف المطهرة اليه عليه الصلاة والسلام وهو امي لايكتب ولايقرأ عن كتاب وانما يقرأها بوحي اليه عن ظهر القلب وتقرير الجواب انه عليه الصلاة والسلام وان كان اميا يتلو مااوحي اليه عن ظهر القلب الا ان متلوه الذي هو القرآن لما كان مصدقا مطابقا لصحف الاولين في اصول الشرائع والاحكام صار متلوه كانه هو صحف الاولين فعبر عن متلوه بها بطريق الاستعارة والصحف جمع صحيفة وهي ظرف المكتوب ومحله فلذلك فسره

الزمخشري بقوله قراطيس والمراد ما رسم فيها وقيل المراد بقوله رسول
يتلو صحفا جبريل عليه الصلاة والسلام فلا اشكال في نسبة التلاوة اليه ولم يرض به
لان من اتى الكفار والمشركين هو الرسول لا جبريل عليهما الصلاة والسلام
(قوله تعالى فيها كتب قيمة) جملة اسمية منصوبة المحل على انها صفة
لقوله تعالى صحفا وتلك المكتوبات التي تضمنتها الصحف هو المتلو دون نفس
الصحف (قوله عما كانوا عليه اوعن وعدهم) نشر على ترتيب قوله عما
كانوا عليه من دينهم او الوعد وقوله بالاصرار على الكفر متعلق بالتفرق عن
الوعد والمعنى وما تفرقوا عن الوعد بان الرسول الموعود اذا بعث يجتمع على
تصديقه واتباع دينه بان اخلفوا الوعد وصمموا على الكفر القديم وقوله
فيكون كقوله وكانوا من قبل الآية تفريع على وجه الثاني ووجه المشابهة بين
الآيتين حينئذ اشتراكهما في كونهما مسوقتين لتوبيخ من كفر بمن صدقه
وعظم قدره قبل فان من استفتح به عليه عليه الصلاة والسلام اي طلب الفتح
والظفر على اعدائه بحرمة النبي الموعود ومكانته عند ربه بان قال اللهم انصرنا
عليهم بحرمة النبي الموعود ثم كفر بعد بعثته حاله مثل حال من وعد بانه عليه
الصلاة والسلام اذا بعث يصدقه ويتبعه ثم كفر بعد بعثته عليه الصلاة والسلام
فانه كفر بمن صدقه قبل (قوله للدلالة على شناعة حالهم) فان افراد احدى
الطائفتين المتفقتين على الضلالة بالذكر في مقام الذم يدل على كونها اشنع
حالا من الاخرى مع ان بيان تفرق اهل الكتاب يدل على تفرق المشركين
بطريق الاولى لان اهل الكتاب عالمون بحقية امره عليه السلام من حيث ان نعوته
وبعثته عليه الصلاة والسلام مذكورة في كتبهم فاذا تفرقوا مع علمهم بحقية
امره كان غير العالم بامره اولى بالتفرق (قوله اي في كتبهم بما فيها) كل
واحد من حرف الجر متعلق بامر وقدر المفعول الاول للدلالة على ان المراد
بالامر الامر الوارد عليه بألسنة انبيائهم وان المعنى وما امر اهل الكتاب
على لسان سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام الا بهذه الاشياء وقدر المفعول الثاني
لان تعدية فعل الامر الى مفعوله الثاني بالباء دون اللام والمعنى ما امر اهل الكتاب
بما امروا به في الكتابين لشيء من الامور الا لاجل ان يعبدوا الله واهل السنة وان
احالوا ان يكون شيء من افعاله تعالى معللا بالغرض بناء على ان الفاعل لغرض يكون
ناقصا في ذاته مستكملا بذلك الغرض تعالى الله عن ذلك الا انهم قالوا ان افعاله
تعالى لابد ان تكون مغياة بالحكم والمصالح وكثيرا ما تستعمل لام الغرض في
الحكمة المرتبة على الفعل تشبيها لها به في ترتبها على الفعل في الوجود ووبخ الله
تعالى اهل الكتاب على تعكيس الامر ببيان ان الحكمة الاصلية في جميع ما امروا به

(فيها كتب قيمة) مكتوبات مستقيمة ناطقة بالحق (وما تفرق الذين اوتوا الكتاب) عما كانوا عليه بان آمن بعضهم او تردد في دينه اوعن وعدهم بالاصرار على الكفر (الا من بعد ما جاءتهم البينة) فيكون كقوله وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وافراد اهل الكتاب بعد الجمع بينهم وبين المشركين للدلالة على شناعة حالهم وانهم لما تفرقوا مع علمهم كان غيرهم بذلك اولى (وما امروا) اى في كتبهم بما فيها

فى كتابهم هى الشهادة المقرونة بالاخلاص ثم انهم تركوا ذلك وخالفوا حكمه وأوامره بان قال بعضهم عزير ابن الله وقال بعضهم عيسى ابن الله وقال بعضهم عيسى هو الله وقال آخرون ثالث ثلاثة وعامة اليهود مشبهة وكل ذلك شرك مخالف للتوحيد واخلاص العبادة له تعالى فجاز ان يكون الشرك من اوصاف اهل الكتاب ايضا و يكون عطف قوله تعالى والمشركين فى اول السورة من قبيل عطف الصفة على الصفة مع اتحاد الذات وقيل ليست اللام هنا لام الغرض بل هى صلة وان الناصبة مضمرة بعدها والتقدير وما امروا الا ان يعبدوا اى بان يعبدوا روى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه انه قرأ كذلك بناء على ما نقل عن الفراء فانه قال العرب تجعل اللام فى موضع ان بعد فعل الامر والارادة كثيرا كما فى قوله تعالى يريدون ليطفؤا نور الله بافواههم اى ان يطفؤا ويريد الله ليبين لكم اى ان يبين وامرنا لنسلم اى ان نسلم بمعنى بان نسلم ولم يلتفت اليه المصنف لان جعل اللام صلة واضمار ان بعدها واضمار الباء الجارة قبلها خلاف الظاهر (قوله تعالى مخلصين) حال من الفاعل فى ليعبدوا وحنفاء حال ثانية منه او من المنوى فى مخلصين وفى انتصاب مخلصين على الحالية من فاعل ليعبدوا اشارة الى انه يجب تحصيل الاخلاص من ابتداء العبادة الى انتهائها والاخلاص ان يأتى بما يفعله خالصا لداعية واحدة وهى قضاء حق الربوبية ومقتضى العبودية ولا يكون لغيرها من الدواعى تأثير فى الحمل على ذلك الفعل وجعل جميع ما يأتى به من الافعال خالصا لربه ان لا يستثنى شيأ منها لنفسه كان يطلب به الجنة او النجاة من النار فضلا عن ان يستثنى شيأ منها لغيره مثل ان يفعله رياء وسمعة واستدل بهذه الآية على انه لا يجوز دفع الزكاة الى الوالدين والمولودين والعبيد والاماء لانتفاء الاخلاص فى دفعها اليهم واذا كان انضمام صلة الوالدين والاولاد الى نية اصل القربة منافيا للاخلاص فكيف يبقى الاخلاص اذا انضم اليها طلب حظ نفسك وقضاء شهواتك ولهذا ذهب اهل السنة الى ان العبادة ما وجبت لكونها مفضية الى ثواب الجنة او الى النجاة من عذاب النار وانما وجبت لكون العابد عبدا والمعبود ربا ولو لم يحصل فى الدين لا ثواب ولا عقاب البتة بان امرنا ربنا بالعبادة لمحض العبودية ومقتضى الربوبية والعبادة عبارة عن الاتيان بالفعل المأمور به على سبيل التعظيم والتذلل له ولذلك قيل صلاة الصبى ليست بعبادة لانه لا يعرف عظمة الله فلا يكون فعله تعظيما لله تعالى وقيل ايضا فعل اليهودى مثلا ليس بعبادة وان فعله قصد التعظيم ربه لكون ما فعله غير مأمور به (قوله مائلين عن العقائد الزائغة) قال الجوهرى اصل الحنف الميل والانقلاب والاحنف هو الذى قلبت احدى ابهامى رجليه على الاخرى

(الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) لا يشركون به (حنفاء) مائلين عن العقائد الزائغة (ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة) ولكنهم تحرفوا وعصوا

(وذلك دين القيمة) دين الملة القيمة (ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها) اى يوم القيامة اوفى الحال بملابستهم مايوجب ذلك واشتراك الفريقين فى جنس العذاب لايوجب اشتراكهما فى نوعه فلعله يختلف لتفاوت كفرهما

وعن ابى زيد الحنف انقلاب ظهر القدم حتى يصير بطنا فالاحنف هو الذى يمشى على ظهر قدميه من شقها الذى يلى خنصرها وقيل الحنف الاستقامة فقوله تعالى حنفاء اى مستقيمين وانما سمى مائل القدم احنف على سبيل التفاؤل كقولك للمرعض مطبوب وللمهلكة مفازة والمصنف راعى القولين حيث اعتبر فى مفهوم الحنف كل واحد من معنى الميل والاستقامة لان الميل عن العقائد الزائغة انما يكون بالاستقامة (قوله دين الملة القيمة) جعل القيمة نعتا للموصوف محذوف لئلا يلزم اضافة الموصوف الى صفته التى هى بمنزلة اضافة الشئ الى نفسه فان دين القيمة مثل صلاة الاولى ومسجد الجامع فكما انهما فى تأويل صلاة الساعة الاولى ومسجد الوقت الجامع فكذا الآية فى تأويل الملة القيمة اودين الشريعة القيمة اوالكتب القيمة والملة والدين متحدان بالذات ومتغايران بالاعتبار فان الشريعة التى يبلغها الرسول الى الامة تسمى ملة باعتبار انها تكتب وتملى ودينا باعتبار انها تطاع فان الدين الطاعة يقال دانله اى اطاعه والدين ايضا العادة والشأن كما فى قوله * وهذا دينه ابدا ودينى * وكل واحد منهما اعم من الاسلام لانه يستعمل فى الحق والباطل والاسلام لايستعمل الافى الحق ولما كان بينهما مغايرة اعتبارية جازت اضافة احدهما الى الآخر وايضا هو من قبيل اضافة العام الى الخاص لان الملة المستقيمة اخص من الدين لمامر من ان الدين يستعمل فى الباطل ايضا والقيمة بمعنى المستقيمة فان قام الامر بمعنى استقام يقال قام الدليل على كذا اذا ظهر واستقام وقوله تعالى وذلك اشارة الى ماامروا به وهى الاعمال الصالحة التى معظمها اقام الصلاة وايتاء الزكاة المقرونة بالاخلاص المستلزم للعلم والاعتقاد الطابق فان بعض اهل الاديان كاليهود والنصارى يتعبون انفسهم فى الطاعات من غير ان يحصلوا الاعتقاد المطابق وبعضهم يحصلون الاعتقاد الحق ويهملون الاعمال وهم المرجئة الذين يقولون لاتضر المعصية مع الايمان فهو تعالى خطأ كل واحد من الفريقين فى هذه الآية وبين انه لابد من كل واحد من العلم والعمل فقال وما امروا الخ ثم قال وذلك دين القيمة ثم ذكر مآل كل واحد من اهل الكتاب والمشركين ثم بين مآل اهل الحق والتوحيد الى آخر السورة (قوله اوفى الحال بملابستهم مايوجب ذلك) فيكون من باب الاسناد المجازى حيث اسند اليهم كونهم فى النار وليسوا فيها فى الحال باعتبار كونهم فيما يوجبها (قوله واشتراك الفريقين فى جنس العذاب الخ) جواب عما يقال لاشك ان كفر المشركين اشد واغلظ بالنسبة الى كفر اهل الكتاب لان المشركين ينكرون التوحيد والرسالة والكتاب والبعث ومايتفرع عليه واهل الكتاب يؤمنون باكثرها

(واذاكان)

(اولئك هم شر البرية) اى الخليقة وقرأ نافع وابن ذكوان البريئة بالهمز على الاصل فى الموضعين (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية جزاءهم عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا) فيه مبالغات تقديم المدح وذكر الجزاء المؤذن بان ما منحوا فى مقابلة ما وصفوا به والحكم عليه بانه من عند ربهم وجمع جنات وتقييدها اضافة و وصفا بما يزداد لها نعيما وتأكيد الخلود بالتأبيد (رضى الله عنهم) استئناف بما يكون لهم زيادة على جزائهم (ورضوا عنه) لانه بلغهم اقصى امانيهم (ذلك) اى المذكور من الجزاء والرضوان (لمن خشى ربه) فان الخشية ملاك الامر والباعث على كل خير * عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة لم يكن كان يوم القيامة مع خير البرية مبيتا ومقيلا

واذا كان كذلك فكيف يجوز تسويتهما فى العذاب والجواب ان الفريقين لما اشتركا فى اعظم الجنايات وهو الكفر استحقوا اعظم العقوبات وهو الخلود فى نار جهنم واشتراكهما فى جنس عذابها لا يستلزم اشتراكهما فى جميع انواعه (قوله وقرأ نافع البريئة بالهمز) على الاصل لانها فعيلة من برأ الله الخلق اى ابتدأه واخترعه وقرأ الباقون بياء مشددة بدون همزة كالنبى والذرية فان اصلهما الهمز والقراءة بالهمزة وان كانت موافقة للقياس والاصل الا ان القراءة بدون الهمزة اجود من حيث ان جمهور العرب قد استمروا على ترك الهمزة فيه وفى النبى والذرية فكانت القراءة بالهمزة كالشئ المرفوض المخالف للاستعمال وتوسيط ضمير الفصل فى قوله اولئك هم شر البرية لافادة الحصر اى شر البرية هم دون غيرهم وكيف لا وهم شر من السراق لانهم سرقوا من كتاب الله تعالى نعوت سيد المرسلين عليهم الصلاة والسلام وشر من قطاع الطريق لانهم قطعوا طريق الدين الحق على الخلق وشر من الجهال الاجلاف لان الكفر مع العلم يكون كفر عناد وهو اقبح من كفر الجهال فظهر منه ان وعيد العلماء السوء اعظم من وعيد الجهال (قوله تعالى جزاؤهم) مبتدأ خبره جنات وفى الكلام حذف مضاف اى دخول جنات وعند ظرف للجزاء وخالدين حال وذو الحال وعامله كلاهما محذوفان لدلالة قوله جزاؤهم عليهما والتقدير يجزون بها خالدين ولا يجوز ان يكون حالا من الضمير المجرور فى قوله جزاؤهم لئلا يلزم الفصل بين المصدر ومعموله باجنبى وهو الخبر (قوله فيه مبالغات) اى فى الكلام المسوق لبيان مآل المؤمنين الموصوفين مبالغات فى اعلاء قدرهم واجلال شأنهم منها تقديم مدحهم على بيان مآلهم فان الكلام لما كان مسوقا لبيان مآل الفريقين كان الظاهر ان يقدم بيان مصيرهم على قوله اولئك هم خير البرية كما قدم بيان مصير الكفار على قوله اولئك هم شر البرية فلما عكس هذا الترتيب احتجنا الى طلب النكتة فى ذلك وكانت المبالغة المذكورة صالحة لان تكون نكتة فحكمنا بانها هى النكتة فيه ومنها جعل المثوبة الموصوفة جزاء فانه يتضمن الاعتداد بشأن ما وصفوا به من الايمان والاعمال الصالحة ومنها الحكم على ذلك الجزاء بانه من عند ربهم فانه يدل على علو قدر الجزاء وذلك يدل على علو قدر صاحبه عنده ومنها جمع جنات فانه يدل على ان لكل واحد منهم جنات كما يدل عليه قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان ثم قال ومن دونهما جنتان فذكر للواحد اربع جنات وقيل انه تعالى قابل الجمع بالجمع فى قوله جزاؤهم عند ربهم جنات وهو يقتضى انقسام الآحاد

الى الآحاد فيكون لكل واحد منهم جنة واحدة لكن ادنى تلك الجنات مثل الدنيا بما فيها عشر اكذا روى مرفوعا ومنها تقييدها اضافة فانه يدل على انهم لايخرجون من تلك الجنات فان العدن بمعنى الاقامة يقال عدن بالمكان اذا اقام به ومنها التقييد ها وصفا بمايزداد لها نعيما من جرى الانهار المذكورة فى القرآن من تحتها وهى نهر الماء ونهر اللبن ونهر العسل ونهر الخمر ولعل المصنف اراد بالوصف فى قوله ووصفا بمايزداد لها نعيما الوصف المعنوى الذى هو اعم من الوصف النحوى لئلا يخرج كون تلك الجنات بالنسبة اليهم دار الخلود عن الوجوه الدالة على المبالغة فان الخلود فى الجنة خير من دخولها كما ان رضى الله تعالى فيها خير من الخلود فيها والله سبحانه وتعالى اعلم

(سورة الزلزلة مكية وقيل مدنية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(قوله اضطرابها المقدر لها) لمادلت اضافة الزلزال الى الارض على اختصاصه بها وتعرفه بسببها بين معنى تعريف الاضافة بثلاثة اوجه وهى على الوجه الاول والثانى للعهد وعلى الثالث للعموم والاستغراق فان المصدر المضاف اذا لم يقصد به المعهود يحمل على العموم والمعنى اذا زلزلت جميع مايمكن فى حقها من الزلزال وجميع ما يحتمله المحل من خصوصيات الاضطراب والمعهود على الاول الاضطراب الذى قدره الله تعالى للارض عند احدى النفختين فانه قد سبق فى علم الله تعالى وقضائه ان تحرك الارض تحريكا شديدا عند النفخة الاولى لفناء الدنيا وعند النفخة الثانية لبعث الموتى احياء من بطن الارض كما يخرج الولد من بطن امه والمعهود على الوجه الثالث هو القدر اللائق بها فى الحكمة وماتقتضيه مشيئة الله تعالى وهو الزلزال الشديد الذى ليس بعده زلزال وتكون الارض بسببه قاعا صفصفا بانكسار ماعليها من الابنية والاشجار والجبال والتلال ويصير جميع ذلك نظير الهباء المنبث حتى تمهد الارض وتتسع لاهل الموقف من الجن والانس وصفوف الملائكة فان الارض لاتصير كذلك الا بزلزال شديد ونظيره قولك اكرم التقى كرامة واهن الفاسق اهانة تريد ما يستحقانه ويليق بهما من الاكرام والاهانة والزلزال بالكسر مصدر وبالفتح اسم بمعنى المصدر وفعلال بالفتح لايوجد فى غير المضاعف كالصلصال والقلقال الا نادرا نحو قسطال وهو الغبار (قوله من الدفائن والاموات) فان اريد بزلزال الارض اضطرابها عند النفخة الاولى يكون المراد بالاثقال الدفائن والكنوز فان الارض حينئذ تخرج جميع

(سورة الزلزلة مختلف فيها وآيها تسع)
بسم الله الرحمن الرحيم
(اذا زلزلت الارض زلزالها) اضطرابها المقدر لها عند النفخة الاولى او الثانية او الممكن لها او اللائق بها فى الحكمة وقرئ بالفتح وهو اسم الحركة وليس فى الابنية فعلال بالفتح الا فى المضاعف (واخرجت الارض اثقالها) ما فى جوفها من الدفائن والاموات جمع ثقل وهو متاع البيت

مافيها من الكنوز فيمتلئ ظهر الارض ذهبا ولايلتفت اليه احد وان اريد به الزلزلة الواقعة عند النفخة الثانية يفسر الاثقال بالاموات وعلى التقديرين تكون الاثقال استعارة بان شبه مافي جوف الارض من الدفائن والاموات بامتعة البيت فعبر عنه بالاثقال مجازا (قوله لمايبهرهم من امر الفظيع) اى لمايغلبهم من الامر الهائل اشار به الى ان الاستفهام في قوله ما لها التفظيع والتهويل فان كل من رأى تلك الزلزلة بغتة سواء كان ممن آمن بالبعث او كفربه يجوز ان يقول هذا القول لمايغلبه من الهول وفرط التحير الاان المؤمن يقول بعدما تدارك الامر ورجع اليه عقله وفكره هذا ماوعد الرحمن وصدق المرسلون واما الكافر فانه يحشر اعمى كماعاش اعمى فيستمر على السكرة والحيرة وقوله مالها جملة اسمية معناها التعجب اى اى شئ حدث فيها وعرض لهاحتى زلزلت هذه الزلزلة الشديدة فان التعجب لماكان عبارة عن كيفية انفعالية تعرض للانسان عند ادراك ما خفى سببه صح ان يكون السؤال عن السبب طريقا لانشاء التعجب واظهاره وكلمة اذا فى قوله تعالى اذا زلزلت الارض شرطية وجوابها تحدث وهو الناصب لها عند الجمهور ويومئذ اي يومئذ زلزلت بدل من اذا (قوله تحدث الخلق) اشارة الى ان المفعول الاول لتحدث محذوف وهوالخلق واخبارها مفعوله الثانى حذف اولهما لان المقصود ذكر تحديثها الاخبار لاذكر الخلق بناء على ان السورة نازلة لبيان هول يوم القيامة فنزل قوله تعالى تحدث فى حق تعلقه بمفعوله الاول منزلة اللازم ولم يقصد الا بيان تعلقه بمفعوله الثانى فانه لامدخل لذكر الخلق فى بيان هوله وانما يستحق التهويل بذكر ماتحدث به الارض الارض لكونها جمادا لا يمكن لها ان تحدث بلسان المقال وانما تحدث بلسان الحال فان الارض لما بطلت حالتها الاولى واضمحل جميع ماعليها بسبب الزلزلة دل ذلك على ان الدنيا قدانقضت مدتها وان الآخرة قداقبلت بمافيها من البعث والحساب والجزاء فلذلك وقعت هذه الزلزلة والاخراج وهذه الدلالة قداقيمت مقام التحديث فعبر به عنها (قوله وقيل ينطقها الله تعالى) فتشهد على كل عبد وامة بما عمل على ظهرها روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال حافظوا على الوضوء وخير اعمالكم الصلاة لوقتها وتحفظوا من الارض فانها امكم وليس فيها احد يعمل خيرا ولا شرا الاوهى تخبر به (قوله اواصل) عطف على قوله بدل ذكر لانتصاب اذا وجهين الاول انها منصوبة بجوابها وهو تحدث ويومئذ بدل منهاوالعامل فيه هو العامل فيها والثانى انها منصوبة بمضمر هواذكر اذا زلزلت واذا زلزلت يظهر جميع احوال الخلق فيجازى كل واحد بمايستحقه فحينئذ يكون

(وقال الانسان مالها) لما يبهرهم من الامر الفظيع وقيل المراد بالانسان الكافر فان المؤمن يعلم مالها (يومئذ تحدث اخبارها) تحدث الخلق بلسان الحال اخبارها مالاجله زلزالها واخراجها وقيل ينطقها الله فتخبر بما عمل عليها ويومئذ بدل من اذا وناصبها تحدث اواصل واذا منتصب بمضمر (بان ربك اوحى لها) اى تحدث بسبب ايحاء ربك لها بان احدث فيها ما دلت على الاخبار او انطقها بها ويجوز ان يكون بدلا من اخبارها

يومئذ اصلا معمولا لتحدث ظرفاله (قوله اذ يقال حدثته كذا و بكذا) جواب عما يقال كيف يكون بدلا من اخبارها وهو مفعول ثان لتحدث عدى اليه الفعل بلا واسطة حرف الجر وقوله بان ربك ان جعل بدلا منه كان هو المقصود بالمفعولية وقد عدى اليه الفعل بواسطة الباء واجاب عنه بان كل واحد من الاستعمالين فصيح فعدى الفعل الى المبدل منه بنفسه والى البدل بواسطة الحرف كانه قيل تحدث اخبارها بان ربك اوحى لها بان احدث عليها احوالا دالة على انه لاى شئ زلزالها واخراجها واللام قد تستعمل بمعنى الى كما فى قوله وشدها بالراسيات الثبت* اوحى لها القرار فاستقرت* و يجوز ان تكون اللام على اصل معناها اى فعلنا ذلك لاجلها فانها تتوسل بذلك الى التشفى من العصاة (قوله ولعل حسنة الكافر) جواب عما يقال ان حسنات الكافر محبطة بكفره وسيئات المؤمن معفوة اما ابتداء واما بسبب اجتنابه الكبائر فامعنى الجزاء بمثاقيل الذر من الخير والشر وحاصل الجواب الاول ان حسنات الكافر وان كانت محبطة بمعنى انه لا يستحق بها ثوابا الا ان ذلك لا ينافى ان يرى جزاء تلك الحسنات بان ينقص من عقاب كفره بمقدار تلك الحسنات وكذا سيئات المؤمن وان كانت معفوة بان لا يعذب بسببها الا ان ذلك لا ينافى ان يرى جزاءها بان ينقص من ثواب ايمانه وصالح اعماله بمقدار تلك السيئات وحاصل الجوابين الاخيرين طاهر (قوله اومن الاولى) وهى التى فى قوله فمن يعمل مخصصة بالسعداء وهم الذين لم يعملوا سيئة قط والاشقياء هم الذين لم يعملوا حسنة اصلا وقرأ هشام باسكان هاء يره فى الموضعين وصلا ووقفا وباقى السبعة يقرأونهما باشباع ضمة الهاء اى موصولة بالواو وصلا وسكونها وقفا كسائر هاء الكناية وهذه الآية نزلت ترغيبا فى الخير ولو كان قليلا وتحذيرا من الشر والذنب وان قل فلا ينبغى للمرأ ان يتهاون فى الذنب اليسير و يزعم ان المرء لا يؤخذ بمثله كما لا ينبغى له ان يجتنب عن اعطاء شئ قليل نحو تمرة وكسرة استقلالا به ولهذا قال عليه الصلاة والسلام اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة (قوله والذرة النملة الصغيرة او الهباء) قال الكلبى الذرة اصغر النمل وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما اذا وضعت راحتك على الارض اى كفك ثم رفعتها فكل واحد مما لزق بها من التراب ذرة وعلى الوجهين مثقال ذرة بمعنى زنة ذرة فان مثقال الشئ ميزانه ومثله والله سبحانه وتعالى اعلم* تمت سورة لزلزلة والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم

(سورة العاديات مدنية وقيل مكية)

يقال حدثته كذا وبكذا واللام بمعنى الى او على اصلها اذ لها فى ذلك تشفى من العصاة (يومئذ يصدر الناس) من مخارجهم من القبور الى الموقف (اشتاتا) متفرقين بحسب مراتبهم (ليروا اعمالهم) جزاء اعمالهم وقرئ بفتح الياء (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) تفصيل ليروا ولذلك قرئ يره بالضم ولعل حسنة الكافر وسيئة المجتنب عن الكبائر تؤثران فى نقص الثواب والعقاب وقيل الآية مشروطة بعدم الاحباط والمغفرة اومن الاولى مخصوصة بالسعداء والثانية بالاشقياء لقوله اشتاتا والذرة النملة الصغيرة او الهباء* عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة اذا زلزلت اربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(قوله تعالى والعاديات) جمع عادية وهي الجارية بسرعة من العدو وهو المشي بسرعة والياء التي فيها منقلبة عن الواو لكسر ماقبلها لانها من العدو كالغازيات من الغزو والضبح صوت يسمع من افواه الخيل وصدورها اذا عدت وهو غير الصهيل والحمحمة وذكر لانتصاب ضبحا ثلاثة اوجه الاول انه مصدر مؤكد لفعله المحذوف اى تضبح ضبحا على تأويل العاديات بالجماعة اوتضبحن ضبحا على وفق لفظ العاديات وهذا الفعل المقدر فى موضع النصب على انه حال من العاديات والثانى انه مصدر مؤكد للعاديات لان الشرط فى عامل المفعول المطلق ان يوافقه معنى لا لفظا والتوافق المعنوى متحقق ههنا لان الضبح لكونه من لوازم العدو صار مدلولا التزاميا له فكان ذكر العاديات بمنزلة ذكر الضابحات فصح انتصاب ضبحا بها على انه مفعول مطلق لها والثالث انه مصدر فى موضع الحال من المنوى فى قوله تعالى والعاديات اى ضابحات اوذوات ضبح او على ادعاء انها فى انفسها ضبح للمبالغة كما فى رجل عدل وكذا الكلام فى انتصاب قدحا فانه يجوز ان يكون مصدرا مؤكدا لفعله المحذوف اى فالتى تورى النار حال كونها تقدح قدحا والقدح ضرب الحجر بالمقدحة فان الخيل تضرب بحوافرهن وسنابكهن الحجارة فتخرجن منها نارا ويجوز ان يكون مصدرا للموريات لان الايراء لكونه من لوازم القدح وتوابعه دلت الموريات على القادحات التزاما ويجوز ان يكون حالا من المنوى فى الموريات على معنى فالتى تورى النار قادحة اوذات قدح (قوله يغير اهلها) يعنى ان اسناد المغيرات الى ضمير العاديات التى هى خيل الغزاة اسناد مجازى فان الاغارة فى اللغة هى الاسراع على العدو للظفر عليهم وهو فعل اصحاب الخيل (قوله اى فى وقته يريد ان صبحا) منصوب على انه ظرف للمغيرات وكانوا يغيرون على العدو صباحا لانهم فى الليل يكونون فى الظلمة فلا يبصرون شيأ وفى النهار يكون الاعداء متهيئين للوقعة والمحاربة واما وقت الصباح فالناس يكونون فيه على الغفلة وعدم الاستعداد فلذلك اختاروه للاغارة (قوله تعالى فأثرن) معطوف على اسم الفاعل قبله حملا على المعنى فان المعنى والخيل اللاتى عدون فأورين فاغرن فأثرن اصله فأثورن نقلت حركة الواو الى الثاء قبلها وقلبت الواو الفا لتحركها فى الاصل وانفتاح ماقبلها الآن فصار فأثارن فحذفت الالف لالتقاء الساكنين فبقى أثرن بوزن افلن يقال ثار الغبار اذا هاج وارتفع واثرته

(سورة والعاديات مختلف فيها وآيها احدى عشرة)

بسم الله الرحمن الرحيم

(والعاديات ضبحا) اقسم بخيل الغزاة تعدو فتضبح ضبحا وهو صوت انفاسها عند العدو ونصبه بفعله المحذوف او بالعاديات فانها تدل بالالتزام على الضابحات او ضبحا حال بمعنى ضابحة (فالموريات قدحا) فالتى تورى النار والايراء اخراج النار يقال قدح الزند فأورى (فالمغيرات) يغير اهلها على العدو (صبحا) اى فى وقته (فأثرن به) فهيجن بذلك الوقت (نقعا) غبارا اوصياحا (فوسطن به) فتوسطن بذلك الوقت او بالعدو او بالنقع اى ملتبسات به (جمعا) من جموع الاعداء روى انه عليه الصلاة والسلام بعث خيلا فمضى شهر لم يأته منهم خبر فنزلت ويحتمل ان يكون القسم بالنفوس

الا هيجته والنقع يطلق على الغبار وعلى الصياح وهو رفع الصوت يقال نقع الصوت واستنقع اى ارتفع وضمير به يرجع الى الزمان الذى وقعت الاغارة فيه وهو الصبح والباء بمعنى فى اى فهيجن فيه صياح النوائح وارتفاع اصواتهن ويجوز ان يكون ضمير به للمكان المدلول عليه بلفظ المغيرات لان الاغارة لابد لهما من مكان والباء للظرفية ايضا وان يكون للعدو والمدلول عليه بلفظ العاديات اى فأثرن بسبب عدوهن نقعا فالباء سببية وما اختاره المصنف اظهر الا انه جوز ان يكون ضمير وسطن به للعدو فتكون الباء سببية وان يكون للنقع لقربه ذكرا فتكون الباء متعلقة بمحذوف منصوب على الحالية من المنوى فى قوله فوسطن روى عن مقاتل انه عليه الصلاة والسلام بعث سرية الى حى من كنانة وامر عليهم المنذر بن عمرو واحد النقباء فمكث ما شاء الله ان يمكث ولم يأته خبرها فقال المنافقون قتلوا جميعا فأخبر الله تعالى عنها بقوله والعاديات ضبحا الى آخرها وبين بذلك سلامتهم وانهم توسطوا فى وقت الصبح جماعة الاعداء فأغاروهم وظفروا عليهم سالمين غانمين وان المنافقين كاذبون فى اقوالهم انهم قتلوا جميعا فعلى هذا تكون السورة مدنية لانه عليه الصلاة والسلام لم يؤذن له فى القتال وهو بمكة وايضا الظاهر حينئذ ان يكون تعريف العاديات للعهد ويكون المقسم به خيل تلك السرية ويجوز ان يكون التعريف للجنس ويكون المقسم به كل خيل عدت فى سبيل الله بالصفات المذكورة فانها تستحق لان يقسم بها لاتصافها بتلك الصفات الشريفة (قوله العادية آثر كالهن) اى الساعية المسارعة فى طريق الارتقاء الى درجات الكمالات الروحانية وضبحهن ماطرأ عليهن اثر بعثهن بالسعى فى مباشرة اسباب ذلك الارتقاء (قوله اذا ظهر لهن) ظرف لقوله المغيرات على الهوى اى الماحيات للرسوم البشرية والعادات الطبيعية وقت ان طلع عليهم صبح العرفان وتجلى لهم انوار القدس (قوله تعالى لربه) متعلق بكنود وقدم عليه رعاية للفواصل اى انه لكنود لنعمة ربه قيل اصل الكنود منع الحق والخير والكنود الذى يمنع ما عليه والارض الكنود هى التى لا تنبت شيأ روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال الكنود الكفور الذى يمنع رفده ويأكل وحده ويضرب عبده والمراد بالانسان الجنس والمعنى ان طبع الانسان يحمله على ذلك الا اذا عصمه الله تعالى من ذلك بلطفه ورحمته وقيل المراد به الكافر (قوله لظهور اثره عليه) يعنى ليس المراد بشهادة الانسان على نفسه بالكنود الشهادة بلسان المقال بل المراد الشهادة بلسان الحال فان آثار الكنود تظهر عليه بحيث لا يمكنه ان يسلب ذلك عن نفسه فصار بذلك كأنه شهد بذلك على نفسه ويجوز ان يكون ضمير وانه للبارى تعالى

العادية اثر كمالهن الموريات بافكارهن انوار المعارف المغيرات على الهوى والعادات اذا ظهر لهن مبدأ انوار القدس فأثرن به شوقا فوسطن به جمعا من جموع العليين (ان الانسان لربه لكنود) لكفور من كند النعمة كنودا او لعاص بلغة كندة او لبخيل بلغة بنى مالك وهو جواب القسم (وانه على ذلك) وان الانسان على كنوده (لشهيد) يشهد على نفسه لظهور اثره عليه او ان الله على كنوده لشهيد فيكون وعيدا (وانه لحب الخير) المال من قوله تعالى ان ترك خيرا (لشديد) لبخيل او لقوى مبالغ فيه (أفلا يعلم اذا بعثر) بعث (ما فى القبور) من الموتى وقرئ بحثر وبحث

لكونه اقرب المذكورين فتكون الآية وعيدا وزجرا له عن المعصية من حيث انه تعالى يحصي عليه اعماله وعلى الاول يكون تأكيدا لكنود وهو كفر انه ويؤيد الاول رجوع ضمير قوله وانه لحب الخير لشديد الى الانسان اى وان الانسان من اجل حبه للمال لبخيل ممسك او انه لقوى مطيق لحب المال مبالغ فى ايثار الدنيا وطلبها وهو فى حب الله وشكر نعمته ضعيف على ان اللام معدية لقوله لشديد يقال هو شديد لهذا الامر اى مطيق له قوى عليه (قوله جمع محصلا فى الصحف) يعنى ان تحصيل الشئ جعله حاصلا مجموعا فى غيره او جعله مميزا عن غيره فتحصيل ما فى الصدور اما جمعه واثباته فى الصحف او تمييزه عما لم يثبت فى الصدور (قوله وتخصيصه لانه هو الاصل) جواب عما يقال لم خص اعمال القلوب بالذكر فى قوله وحصل ما فى الصدور واهمل ذكر اعمال الجوارح واجاب عنه بان اعمال الجوارح تابعة لاعمال القلوب فانه لولا تحقق البواعث والارادات فى القلوب لما حصلت افعال الجوارح وذكر مبدأ الشئ بمنزلة ذكر نفسه (قوله اذا بعثر) لايجوز ان يكون ظرفا ليعلم لان الانسان لايراد منه العلم فى ذلك الوقت وانما يراد منه ذلك وهو فى الدنيا فلابد ان يؤول النظم بوجه يفيد معنى اى أفلا يعلم الانسان الآن انه تعالى عالم بجميع ما عمله سرا وجهرا من خير وشر فيجازيه على حسب ذلك ولايجوز ايضا ان يكون ظرفا لبعثر لان المضاف اليه لايعمل فى المضاف لانه بمنزلة ان يعمل بعض الكلمة فى بعضها ولا لقوله لخبير لان ما بعد ان لايعمل فيما قبلها فتعين ان يكون العامل فيه مادل عليه قوله ان ربهم بهم يومئذ لخبير اى أفلا يعلم الانسان فى الدنيا انه تعالى يجازيه اذا بعثر ومعنى علم الله تعالى بهم يوم القيامة مجازاته لهم على مقادير اعمالهم وكسر ان فى قوله ان ربهم بهم يومئذ لخبير مع انه فى حيز مفعول يعلم لوجود اللام فى خبرها كقوله والله يعلم انك لرسوله ومن فتح همزة ان قرأ خبير بلا لام (قوله وانما قال ما ثم قال بهم الخ) اشارة الى جواب ما يقال عبر عن اهل القبور اولا بكلمة ما وهى فى الاغلب لاتطلق الا على غير اولى العلم ولاتطلق على اولى العلم الا نادرا كما حكى ابوزيد سبحان ما سخركن لنا سبحان ما يسبح الرعد بحمده وفى التنزيل وما ملكت ايمانكم ثم انه تعالى عبر عن ضمير اهل القبور بضمير العقلاء حيث قال ان ربهم بهم ولم يقل ان ربها بها فما الحكمة فى ذلك واجاب عنه بان ذلك لاختلاف شأنهم فى الحالين فانهم ما داموا فى القبور اموات وجمادات فعبر عنهم فى تلك الحال بما يعبر به عن غير العقلاء ثم انهم يوم القيامة احياء عقلاء فلذلك عبر عنهم عند حكاية حالهم بضمير العقلاء توفية للحالين حقهما ونظير الآية قوله عليه الصلاة والسلام ليس للنساء من الولاء الا ما اعتقن او اعتق من اعتقن الحديث فانه عليه الصلاة والسلام عبر عن المعتق بفتح التاء بلفظ ما وعن المعتق بكسر

(وحصل) جمع محصلا فى الصحف او ميز (ما فى الصدور) من خير اوشر وتخصيصه لانه الاصل (ان ربهم بهم يومئذ) يوم القيامة (لخبير) عالم بما اعلنوا وما اسروا فيجازيهم وانما قال ما ثم قال بهم لاختلاف شأنهم فى الحالين وقرئ ان وخبير بلا لام * عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة والعاديات اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعا

التاء بلفظ من الخاء الرقيق الذى يتعلق به العتق بالبها ثم لانه يستخدم ويحجر عن التصرف ويباع فى الاسواق كالبهائم بخلاف العتق بكسر التاء فانه بحريته عاد الى الحالة الاصلية التى هى الانسانية فعبر عنه بمن * تمت سورة العاديات والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(سورة القارعة مكية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ سورة القارعة مكية وآيها عشر ﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) (القارعة ما القارعة وما ادراك ما القارعة) سبق بيانه فى الحاقة (يوم يكون الناس كالفراش المبثوث) فى كثرتهم وذلتهم وانتشارهم واضطرابهم وانتصاب يوم بمضمر دلت عليه القارعة

القرع الضرب بشدة واعتماد ثم سميت الحادثة العظيمة قارعة قال تعالى ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة واتفقوا على ان القارعة من اسماء يوم القيامة سمى بها لان الاجرام العلوية والسفلية يصطكان اصطكاكا شديدا عند تخريب العالم فبسبب ذلك الاصطكاك سمى يوم القيامة بالقارعة اى الساعة القارعة اسند الفعل اليها وهو لاهلها اسنادا مجازيا قال المصنف فى سورة الحاقة فى تفسير قوله تعالى كذبت ثمود وعاد بالقارعة اى بالحالة التى تقرع الناس بالافزاع والاجرام بالانفطار والانتشار يعنى انه سمى زمان الحالة القارعة باسم القارعة (قوله القارعة) مبتدأ وما مبتدأ ثان والقارعة خبره والجملة خبر المبتدأ الاول ووضعت القارعة موضع الضمير العائد الى المبتدأ الاول تفخيما لشأنها وافادة لزيادة التهويل وتقدير الكلام القارعة اى شئ هى ثم زادها تفخيما فقال وما ادراك ما القارعة يعنى انك لا علم لك بكنهها لانها من العظم والشدة بحيث لا تبلغه دراية احد ولا وهمه وما فى قوله وما ادراك مبتدأ وما الثانية مبتدأ ثان والقارعة خبر الثانى والجملة فى محل النصب على انها مفعول ثان لأدرى ومفعوله الاول الكاف وادراك لا يعمل فى مفعوله الثانى وهو قوله ما القارعة لتضمنه معنى الاستفهام وادرى مع ما فى حيزه فى محل الرفع على انه خبر المبتدأ الاول والفراش جمع فراشة وهو ما يتهافت فى النار ليلا والمبثوث المفرق يقال بثه اذا فرقه (قوله فى كثرتهم) لانه تعالى شبه الخلق وقت البعث بالكثير من الفراشة لان الفراش جمع فراشة ويوم منصوب بما دل عليه القارعة اى تقرع يوم يكون الناس كالفراش ولا يجوز ان يكون ظرفا للفظ القارعة المذكور اولا لاستلزامه تخلل الفاصل بين العامل الذى هو من صلة لام التعريف وبين معموله باجنبى وهو الخبر هذا على تقدير ان تكون القارعة اسم فاعل وان جعل علما للقيامة فلا يعمل ايضا ولا للمذكور ثانيا وثالثا اذ لا وجه لكونه ظرفا لشئ منهما ويحتمل ان يكون معمولا لاذكر مضمرا وقيل القارعة مرفوع على انه فاعل فعل مضمر ويوم منصوب به تقديره ستقوم القارعة يوم يكون (قوله

(كالصوف)

كالصوف ذي الالوان) فان الجبال مع كونها مختلفة الالوان كما قال تعالى ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها اذا تفرقت اجزاؤها وانحل تركيبها تصير مشابهة للعهن و هو الصوف الملون بألوان مختلفة اذا جعل منفوشا متبدد الاجزاء (قوله بان ترجحت مقادير انواع حسناته) على ان الموازين جمع موزون و هو العمل الذي له وزن وحظ عندالله وان ثقله عبارة عن رجحان مقداره على مقدار مايقابله من العمل القبيح واختيار موازينه على موزونه مع ان لضافة جنس الموزون ايضا تفيد العموم للدلالة على ان المراد احاطة انواع ذلك الجنس لا احاطة نوع واحد من انواعه فان انواع الاعمال الموزونة اما ان تكون ثقيلة اى راجحة على الاعمال التي لاوزن لها ولاقدر او تكون خفيفة مرجوحة بان لا يوجد لها عمل صالح او يوجد ولكن تكون سيئاته راجحة عليه فمسكن المكلف على الاول هو الجنة وعلى الثاني هو الهاوية وقيل الموازين جمع ميزان وهو ميزان واحد له لسان وكفتان يوزن به اعمال المكلفين وذكره بلفظ الجمع مع انه ميزان واحد تعظيما له الا انه لا وجه لان يراد بثقل الميزان وخفته ثقل احد كفتيه بالنسبة الى الاخرى وخفتها بالنسبة اليها مطلقا لان ثقل احد الكفتين على الاطلاق مستلزم لخفة الاخرى بالنسبة اليها وغير قسيم لها الا ان يكون المراد بثقل الميزان وخفته ثقل كفة الحسنة بما فيها من الحسنات وخفتها عنها بان لايكون فيها عمل صالح ولا يخفى ان جعل ثقل الميزان وخفته عبارة عن ثقل كفة الحسنة وخفتها في قوة ان يجعل الموازين جمع موزون وان يكون ثقل الموازين عبارة عن رجحان الحسنات على السيئات فلذلك لم يلتفت المصنف الى ان يكون الموازين جمع ميزان ذكر الامام في الكبير ان المتكلمين قالوا ان نفس الحسنات والسيئات لا يصح وزنها بل المراد ان الصحف المكتوب فيها الحسنات والسيئات توزن او يجعل النور علامة الحسنات والظلمة علامة السيئات فيوزن بالظلمة النور فمن ازداد نوره فهو في عيشة راضية ومن ازدادت ظلمته فهو من اهل النار او تصور صحيفة الحسنات بالصورة الحسنة وصحيفة السيئات بالصورة القبيحة فيظهر بذلك الثقل والخفة وتكون الفائدة في ذلك ظهور حال صاحب الحسنات في الجمع العظيم فيزداد سرورا و ظهور حال صاحب السيئات فيكون ذلك كالفضيحة له عند الخلائق الى هنا كلامهم وقال بعض العلماء لاتوزن اعمال الكافر وانما توزن الاعمال التي بازآئها الحسنات وليس للكافر حسنات لان حسناته محبطة بكفره وقيل قد ذكر الله تعالى الوزن فنؤمن به ولا نعرف كيفيته قيل قد ذكر الله تعالى من ترجحت حسناته على سيئاته ومن

(وتكون الجبال كالعهن) كالصوف ذي الالوان (المنفوش) المندوف لتفرق اجزائها وتطايرها في الجو (فاما من ثقلت موازينه) بان ترجحت مقادير انواع حسناته (فهو في عيشة) في عيش

او رجحت سيئاته على حسناته ولم يذكر من تساوت حسناته مع سيئاته فلعله من اصحاب الاعراف (قوله ذات رضى) بان يرضاها صاحبها او مرضية الاول على ان البناء للنسب والثانى على ان يكون الاسناد مجازيا فان حق الرضى ان يسند الى صاحب العيشة وقد اسند الى نفس العيشة المرضية (قوله فمأواه النار) على ان الهاوية من اسماء النار وان قوله تعالى فامه هاوية من قبيل التشبيه شبهت النار بالام للعصاة لكونها تهوى بهم وتضمهم الى نفسها كانضم الام الاولاد اليها وانهم يلتجئون اليها (قوله تعالى ماهيه) جملة اسمية سادة مسد مفعول ادراك علقت هى عنها لتضمنها معنى الاستفهام وهيه ضمير الهاوية والاصل هى دخلت الهاء عليها للسكت وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب ما هى بغيرهاء على الاصل ووقفوا بالهاء فقوله نار خبر مبتدأ محذوف اى هى نار شديدة الحرارة فان بناء حامية للنسبة كبناء تامر ولابن والحمى اشتداد الحرارة يقال حمى التنور بكسر الميم اى اشتد حره وتوصيف النار بها فى مقام المبالغة فى بيان هولها يدل على ان سائر النيران بالنسبة اليها ليس فيها شئ من الحرارة ❁ تمت سورة القارعة والحمدلله وحده وصلى الله تعالى عليه وسلم على من لانبى بعده

(سورة التكاثر مكية)

❁ بسم الله الرحمن الرحيم ❁

(قوله واصله الصرف الى اللهو) اراد الذى يدعو اليه اللهو والصرف الى اللهو واللعب لما كان مستلزما للشغل والاغفال عن المهم اطلق الالهاء الذى هو الصرف الى اللهو على الاغفال عن المهم كقول امرئ القيس فالهيتها عن ذى تمائم محول ❁ فان جعلها معرضة عنه من لوازم كونها منصرفة الى اللهو (قوله التباهى بالكثرة) اى بكثرة الاعداد والعشائر كما يدل عليه سبب النزول فتعريف التكاثر للعهد والمعهود التكاثر فى الامور الدنيوية الفانية فالآية تقريع لهم على سوء فعلهم حيث اشتغلوا بما لايعنيهم عن امر الدين والآخرة والعمل لها (قوله اذا استوعبتم عدد الاحياء صرتم) اى انتقلتم الى ذكر الاموات والتكاثر بهم يعنى ان قوله تعالى حتى زرتم غاية لقوله الهاكم وانه عطف عليه اى شغلكم التباهى والتفاخر بكثرة الاعوان حتى انتقلتم الى ذكر الاموات بعد ان استقصيتم فى ذكر الاحياء شبه الانتقال الى ذكر الموتى بزيارة القبور فعبر بها عنه تهكما بهم فان التفاخر بالمواضع التى تدفن فيها الاموات غاية الجهالة لان من فنى وصار بحيث يعبر عنه بالمقبرة كيف يصلح لان يفتخر به وفى هذا التعبير ايضا تعريض لهم بانهم

او رجحت سيئاته على حسناته ... ذات رضى ... او مرضية (واما من خفت موازينه) بان لم يكن له حسنة يعبأ بها او ترجحت سيئاته على حسناته (فامه هاوية) فمأواه النار والهاوية من اسمائها ولذلك قال (وما ادراك ماهيه نار حامية) ذات حمى ❁ عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ القارعة ثقل الله بها ميزانه يوم القيامة

(سورة التكاثر مختلف فيها وآيها ثمان)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الهاكم) شغلكم واصله الصرف الى اللهو منقول من لهى اذا غفل (التكاثر) التباهى بالكثرة (حتى زرتم المقابر) اذا استوعبتم عدد الاحياء صرتم الى المقابر فتكاثرتم بالاموات عبر عن انتقالهم الى ذكر الموتى بزيارة المقابر روى ان عبد مناف وبنى سهم تفاخروا بالكثرة

فكثرهم بنو اعبد مناف فقال بنو اسهم اما البغى اهلكنا فى الجاهلية فعادونا بالاحياء والاموات فكثرهم بنو اسهم وانما حذف الملهى عنه وهو ما يعنيهم من امر الدين للتعظيم والمبالغة وقيل معناه ألهاكم التكاثر بالاموال والاولاد الى ان متم وقبرتم مضيعين اعماركم فى طلب الدنيا عما هو اهم لكم وهو السعى لاخراكم فيكون زيارة القبور عبارة عن الموت (كلا) ردع وتنبيه على ان العاقل ينبغى له ان لا يكون جميع همه ومعظم سعيه للدنيا فان عاقبة ذلك وبال وحسرة (سوف تعلمون) خطأ رأيكم اذا عاينتم ما وراءكم وهو انذار ليخافوا وينتبهوا من غفلتهم

فعكسوا الامر من حيث ان المقصود من زيارة المقابر تذكر الموت والاعراض عن الدنيا والمباهاة بها فمن توسل بزيارتها الى المباهاة بالدنيا فقد عكس الامر وتردى فى وادى الجهالة والضلالة (قوله فكثرهم بنو اعبد مناف) اى غلبوهم بالكثرة من قولهم كاثرناهم فكثرناهم اى غلبناهم بالكثرة على ما ذكر فى باب المغالبة انهم اذا ارادوا الاخبار بالغلبة فى فعل نقلوا الافعال اللازمة من باب فعل بضم العين الى باب نصر ويذكرونه بعد فاعل مسندا الى الغالب قيد نحو كارمنى زيد فكرمته اى غلبته فى الكرم فعلته فيه ومثله كاثرناهم فكثرناهم فلما غلب بنو اعبد مناف على بنى سهم بالكثرة قال بنو اسهم ان البغى اهلكنا اى ان بغى الاعداء والقتال معهم اهلكنا فعدوا مجموع احيائنا وامواتنا مع مجموع احيائكم واموا تكم ففعلوا ذلك فزاد بنو اسهم فنزلت الآية والمقابر جمع مقبرة ومقبرة بضم الباء وفتحها والقبور جمع قبر وهو مصدر قبرت الميت اقبره واقبره قبرا اى دفنته فى المقبرة واقبرته اى امرت بان يقبر (قوله وانما حذف الملهى عنه) ضمير عنه راجع الى الالف واللام فى الملهى والمعنى وانما حذف الذى الهى عنه وعلل الحذف بعلتين الاولى تعظيم الملهى عنه وهو ما يعنيهم من امر الدين فان حذف الشئ قد يجعل ذريعة الى تعظيمه فان الحذف بمنزلة التنكير من حيث ان كل واحد منهما يفيد الابهام وكما ان التنكير يفيد التعظيم فكذا ما هو بمنزلته فكأنه قيل الهاكم التكاثر عن امر عظيم وهو ما يعنيكم من امر الدين والعلة الثانية المبالغة فى التعرض لكل ما حقه ان يشتغل به فانه اذا لم يذكر الملهى عنه يذهب الوهم فيه كل مذهب فيدخل فيه جميع ما يناسب المقام مثل الهيكم التكاثر عن الايمان بالله تعالى وبرسوله وبجميع ما جاء به من عند ربه وعن الطاعة التى تقتضيها الايمان (قوله وقيل معناه) اى قيل ليس المراد بالتكاثر التكاثر بالقبائل والاعوان ولا بزيارة القبور الانتقال من ذكر الاحياء الى ذكر الاموات بل المعنى ألهاكم التكاثر بالاموال والاولاد الى ان متم وقبرتم فانه كثيرا ما يعبر عن الموت بزيارة القبر فيقال لمن مات زار قبره فكأنه قيل شغلكم التفاخر بكثرة الاموال والاولاد حتى ادرككم الموت وانتم على ذلك ولقائل ان يقول انها نزلت فى اليهود حين قالوا نحن اكثر من بنى فلان وبنوا فلان اكثر من بنى فلان شغلهم ذلك عن الايمان حتى ماتوا على الضلال وقرأ ابن عباس أألهاكم التكاثر ويجوز ان يكون الاستفهام للتقرير وان يكون للتقريع (قوله كلا ردع) اى عما اشتغلوا به من التكاثر اى ليس الامر كما تتوهمون من ان السعادة الحقيقية منوطة بكثرة العدد والاموال والاولاد فان من مات وحده وبعث

(ثم كلا سوف تعلمون) تكرير للتأكيد وفي ثم دلالة على ان الثاني ابلغ من الاول او الاول عند الموت او في القبر والثاني عند النشور (كلا لو تعلمون علم اليقين) اي لو تعلمون ما بين ايديكم علم الامر اليقين اي كعلمكم ما تستيقنونه لشغلكم ذلك عن غيره او لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه فحذف الجواب للتفخيم ولا يجوز ان يكون قوله (لترون الجحيم) جوابا له لانه محقق الوقوع بل هو جواب قسم محذوف أكد به الوعيد واوضح به ما انذرهم منه بعد ابهامه تفخيما

وشغله وهو سبب وحده لا يكون سعيه للدنيا الا وبالا وحسرة عليه (قوله
تكرير للتأكيد) اي تكرير الردع والانذار المذكورين فهو ردع بعد
ردع ووعيد بعد وعيد الا ان الثاني لما كان اشد من الاول وابلغ جيئ بينهما
بكلمة ثم (قوله او الاول عند الموت) في وقت ما يبشر به المحتضر من
جنة اونار او في القبر حين سؤال منكر ونكير بقولهما من ربك وما دينك
ومن نبيك والثاني عند النشور وحين ينادي المنادي شقي فلان شقاوة لا سعد بعدها
ابدا او حين يقال وامتازوا اليوم ايها المجرمون والظروف المذكورة في
هذا الاحتمال متعلقة بقوله سوف تعلمون كما ان قوله اذا ما يلتم في الاحتمال
الاول متعلق به فيكون كل واحد منهما تأسيسا على حدة لا تكريرا
للتأكيد لان كل واحد من العلمين مغاير للآخر باختلاف الزمان ثم انه تعالى
كرر الردع فقال كلا لو تعلمون وتعلمون في المواضع الثلاثة بمعنى تعرفون
اشار اليه المصنف بان قدر له مفعولا واحدا وهو قوله خطأ رأيكم وقوله
ما بين ايديكم (قوله علم الامر اليقين الخ) يعني ان علم منصوب بنزع الخافض
وان اليقين بمعنى الامر المتيقن به وصف الامر المذكور بانه اليقين للمبالغة
في كونه متيقنا به وقيل علم منصوب على المصدرية والاصل لو تعلمون
علما يقينا فاضيف الموصوف الى صفته كما في قوله تعالى ولدار الآخرة خير ومسجد
الجامع وعلم اليقين ادراك الامر على ما هو عليه وعين اليقين مشاهدته كما هو
وحق اليقين الفناء في الحق والبقاء به علما وشهودا وحالا لا علما فقط واتفقوا على ان
جواب لو محذوف اي لو تعلمون ما بين ايديكم من الامر كعلمكم ما تستيقنونه لشغلكم
ذلك عن غيره لا التفاخر بكثرة العدد والاموال والاولاد لكنكم لا تعلمون
ذلك فلذلك غفلتم عن الاستعداد والتهيؤ له بالطاعة فحذف الجواب للتفخيم
فان الوهم حينئذ يذهب كل مذهب فيكون التهويل اعظم كأنه قيل لو
علمتم علم اليقين لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه ولكنكم ضلال وجهلة (قوله
لانه محقق الوقوع) فان قوله لترون الجحيم لو كان جوابا له اوجب ان لا يحصل
لهم رؤية الجحيم وذلك باطل وذلك لان جواب لو اذا كان مثبتا يكون معنى
الكلام انتفاءه لانتفاء الاول بناء على ما اشتهر من ان لو تفيد امتناع الثاني لامتناع
الاول وقوله تعالى لترون الجحيم مثبت فلو جعل جواب لو لكان المعنى انكم
لا ترونها لكونكم جهالا وهو غير صحيح ومما يدل على ان قوله تعالى
لترون الجحيم لا يصح ان يكون جواب لو أن قوله تعالى ثم لتسألن يومئذ عن النعيم
عطف على قوله لترون وهو اخبار عن امر كائن لا محالة ولا يخفى ان عطف
ما هو كائن لا محالة على ما لا يقع ولا يوجد قبيح في النظم ولما لم يجز كونه جواب

لوكمين كونه بجواب قسم محذوف اوعدهم بذلك بعد توصيفهم بالجهل بما بين ايديهم من الامر فاللام فى لترون لام جواب القسم والقسم لتأكيد الوعيد المدلول عليه بقوله سوف تعلمون أبهم الوعيد اولا ثم فصله بقوله والله لترون الجحيم لما فى ايضاح الشئ بعد ابهامه من التفخيم والتعظيم (قوله تكرير للتأكيد) اى لتأكيد الوعيد بعد توكيده بالقسم ونون التوكيد للدلالة على ان تلك الرؤية واقعة لامحالة شاؤا اوأبوا ويجوز ان لايكون تكريرا للاول بل تكون كل واحدة منهما لتأسيس رؤية غير الاخرى بان يراد بالاولى رؤيتها من مكان بعيد فان الغاوين يرونها وهم فى الموقف كما قال تعالى وبرزت الجحيم لمن يرى قيل انهم يرونها من مسيرة خمسمائة عام والرؤية الثانية اذا اوردوها وشاهدوا ما فيها من الاهوال التى كانت من بعيد كرؤيتها ببعض خواصها واحوالها مثل لهبها ودخانها ولما كانت الثانية اجلى واكشف من الاولى قيل ثم لترونها عين اليقين وهو الادراك بمشاهدة الشئ كما هو وجاز ان تكون مغايرة الرؤيتين بان يكون المراد بالاولى رؤية القلب وهى المعرفة وبالثانية الابصار وهذه المعرفة لاتحصل لمن ألهاه التكاثر عن النظر فى امر دينه واحوال معاده الا عند الموت وفى القبر وعند البعث قبل ان يبصروها ويشاهدوها (قوله اى الرؤية التى هى نفس اليقين) اشارة الى ان انتصاب عين اليقين على انه صفة مصدر لترونها اى لترونها رؤية هى عين اليقين وصفت الرؤية التى هى سبب اليقين بكونها نفس اليقين مبالغة (قوله الذى ألهاكم) اشارة الى ان تعريف النعيم للعهد لا للاستغراق وخص الخطاب بكل من ألهاه دنياه عن دينه من الكفار والفساق وخص النعيم بما يشغل صاحبه عن اداء شكره وطاعته بشهادة القرينة فان ما سبق من الخطاب كله لمن ألهاه دنياه عن دينه وذلك يدل على كون هذا الخطاب ايضا مخصوصا به وذلك يقتضى ان يكون النعيم الذى يسأل عنه انه هل ادى شكره بان تقوى به على طاعة المنعم اوكفر به بان قصر همه على ان يأكل الطيب ويلبس اللين ويقطع اوقاته باللهو والطرب ولايلتفت الى تحلية النفس بالفضائل العلمية والعملية فيكون مخصوصا بالنعيم الذى ضيع شكره وانتفع به كما تنتفع الانعام بشهادة النصوص الدالة على ارادة الخصوص منها ماروى ان ابا بكر رضى الله تعالى عنه قال لما نزلت هذه الآية يارسول الله ارأيت اكلة اكلتها معك فى بيت ابى الهيثم الانصارى من خبز شعير ولحم ضأن وبسر قد اذيب فى ماء عذب أتكون من النعيم الذى يسأل عنه فقال عليه الصلاة والسلام انما ذلك للكفار ثم قرأ وهل نجازى الا الكفور وقال الحسن لايسأل عن النعيم

(ثم لترونها) تكرير للتأكيدا والاولى اذا رأتهم من مكان بعيد والثانية اذا وردوها او المراد بالاولى المعرفة وبالثانية الابصار (عين اليقين) اى الرؤية التى هى نفس اليقين فان علم المشاهدة اعلى مراتب اليقين (ثم لتسألن يومئذ عن النعيم) الذى ألهاكم والخطاب مخصوص بكل من ألهاه دنياه عن دينه والنعيم مخصوص بما يشغله لقرينة والنصوص الكثيرة كقوله قل من حرم زينة الله كلوا من الطيبات

الا اهل النار فان الحكمة الالهية تقتضى ان يسأل كل من الهاه دنياه عن دينه عن شكر ما كان فيه من الحبور والنعمة ثم يعذب على ترك الشكر ليظهر له ان الذى ظنه سبب السعادة هو الذى كان من اعظم اسباب الشقاوة له فى الآخرة ووجه الاستدلال على التخصيص بنحو قوله تعالى قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق انه لا يليق بكرم الله تعالى ان ينعم على عبده الشاكر ثم يسأله اذ لا وجه لسؤال التوبيخ من حيث ان العبد اطاع ربه فيما انعم عليه ولا لسؤال الامتنان لان من ادخل احدا بيته واطعمه وسقاه لا يمن عليه بذلك فكيف يليق بكرمه تعالى ان يطعم عبده الشاكر ويسقيه ثم يمن عليه ويسأله عن شكر نعمته (قوله وقيل يعمان) اى يعم كل واحد من الخطاب والنعيم فيسأل كل واحد عن كل ما انعم الله تعالى به عليه انه هل شكر او كفر لقوله عليه الصلاة والسلام اول ما يسأل العبد يوم القيامة عن النعيم ان يقال له ألم نصحح لك جسمك ونروك من الماء البارد وقوله عليه الصلاة والسلام لا تزال قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن اربع عن عمره فيم افناه وعن شبابه فيم ابلاه وعن ماله من اين اكتسبه وفيم انفقه وعن علمه ماذا عمل به وكل ما وصل منه تعالى الى العبد من النعم داخل فيما ذكره عليه الصلاة والسلام وروى انه عليه الصلاة والسلام خرج ذات ليلة الى المسجد فى ساعة لا يخرج فيها ولا يلقاه فيها احد فلم يلبث ان جاء ابو بكر رضى الله تعالى عنه فقال عليه الصلاة والسلام ما اخرجك يا ابا بكر قال الجوع قال والله ما اخرجنى الا الذى اخرجك ثم دخل عمر رضى الله تعالى عنه فانطلقوا الى منزل ابى الهيثم الانصارى رضى الله تعالى عنه فدق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الباب وسلم ثلاث مرات فلم يجب احد فانصرف عليه الصلاة والسلام فخرجت امرأته تصيح كنا نسمع يا رسول الله لكن اردنا ان تزيد من سلامك فنال به خيرا ثم قالت بابى انت وامى ان ابا الهيثم خرج يستقى لنا الماء ثم عمدت الى صاع من شعير فطحنته وخبزته ورجع ابو الهيثم بقربة من ماء فوضعها ثم جاء يلتزم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويفديه بأبيه وامه ثم انطلق بهم الى حديقة فبسط لهم بساطا ثم انطلق الى نخله فجاء بقنو فقال عليه الصلاة والسلام أفلا نقيت لنا من رطبه فقال يا رسول الله انى اردت ان تجزوا من رطبه وبسره فأكلوا وشربوا من ذلك الماء فقال عليه الصلاة والسلام هذا والذى نفسى بيده انه من النعيم الذى تسألون عنه يوم القيامة اكل شهى ورطب طيب وماء بارد وقال الامام واعلم ان الاولى ان ايقال السؤال يعم المؤمن والكافر ولكن سؤال الكافر سؤال توبيخ لانه ترك الشكر وسؤال المؤمن سؤال تشريف لانه شكر واطاع واختلفوا

وقيل يعمان اذ كل يسأل عن شكره وقيل الآية مخصوصة بالكفار عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ ألهاكم التكاثر لم يحاسبه الله بالنعيم الذى انعم عليه فى دار الدنيا واعطى من الاجر كأنما قرأ الف آية

فى ان السؤال عن النعيم اين يكون والمختار انه يكون فى موقف الحساب فان قيل كيف يستقيم ان يكون فى موقف الحساب وقد اخبر الله تعالى ان هذا السؤال متأخر عن مشاهدة جهنم حيث قال ثم لتسألن وظاهر ان موقف الحساب متقدم على مشاهدة جهنم حيث قلنا كلمة ثم فيه ليست لتراخى زمان السؤال عن سؤال مشاهدة الجحيم بل هى للترتيب فى الاخبار كانه قيل ثم اخبركم انكم لتسألن يوم القيامة ونظيرها قوله تعالى فك رقبة او اطعام فى يوم ذى مسغبة الى قوله ثم كان من الذين آمنوا وقيل ان السؤال عن النعيم يكون اذا دخلوا النار فانهم حينئذ يسألون عن النعيم توبيخا لهم ليضطروا الى الاعتراف بالتقصير فى شكره فيقال لهم انما حل بكم هذا العذاب لانكم اشتغلتم فى الدنيا بالتنعم عن العمل الذى ينجيكم من النار ولو صرفتم عمركم الى طاعة ربكم لكنتم اليوم من اهل النجاة والفائزين بالدرجات فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا انا نسيناكم فبقيتم فى عذاب الهون والله اعلم

(سورة العصر مكية وآيها ثلاث)
(بسم الله الرحمن الرحيم)
(والعصر) اقسم بصلاة العصر لفضلها

(سورة العصر مكية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(قوله اقسم بصلاة العصر لفضلها) اطلق العصر واراد ما يقع فيه من الصلاة وهو كثير فانه يقال اذن العصر اى لصلاة العصر وصليت العصر اى صلاته ودليل فضلها على غيرها قوله عليه الصلاة والسلام الوسطى صلاة العصر فثبت انها افضل الصلاة لان تخصيص الصلاة الوسطى بعد قوله تعالى حافظوا على الصلوات يدل على فضلها لانه المقصود من التخصيص بعد التعميم وقوله عليه الصلاة والسلام من فاتته صلاة العصر فكانما وتر اهله وماله اى فهو كمن صار موتورا بان قتل اهله واصيب ماله فلم يدرك بدم قتيله وضمان ماله قال الجوهرى الموتور الذى قتل له قتيل فلم يدرك بدمه قال الخطابى وترأى نقص وسلب فبقى وترا فردا بلا اهل ومال والمراد فليكن حذره من فوتها كحذره من ذهاب اهله وماله وروى بنصب الاهل ورفعه فمن نصبه جعله مفعولا ثانيا لوتر واضمر فيه مفعول ما لم يسم فاعله عائدا الى الذى فاتته الصلاة ومن رفعه لم يضمر واقام الاهل مقام ما لم يسم فاعله لانهم المصابون المأخوذون فمن رد النقص الى الرجل نصبهما ومن رده الى الاهل والمال رفعهما وروى ان امرأة كانت تصيح فى سكك المدينة وتقول دلونى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فرآها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فسألها ماذا حدث فقالت يارسول الله ان زوجى غاب عنى فزنيت فولدت ولدا من الزنى فألقيت الولد فى دن من خل حتى مات ثم بعنا ذلك الخل فهل لى من توبة

فقال عليه الصلاة والسلام اما الزنى فعليك الرجم بسببه واما القتل فجزآؤه جهنم واما بيع الخل فقدار تكبت كبيرة لكن ظننت انك تركت صلاة العصر وفيه تفخيم بليغ لشأن هذه الصلاة ومما يدل على فضلها ان اسواق العرب انما تقوم وقت العصر لكونه وقت ارتفاع الحرارة بسبب انبساط ظل الحيطان على الارض فلما كان ذلك وقت تجارتهم والاشتغال بتحصيل اسباب معاشهم كان أداء صلاة العصر اشق عليهم وقد ثبت انّ افضل الاعمال اشقها وفي الحديث من حلف بعد العصر كاذبا لايكلمه الله ولاينظر اليه ولايزكيه (قوله اوبعصر النبوة) وهو من زمان بعثته عليه الصلاة والسلام الى انقراض امته في آخر الزمان ومن ذهب الى هذا القول احتج عليه بقوله عليه الصلاة والسلام انما مثلكم ومثل من كان قبلكم من الامم مثل رجل استأجر اجيرا فقال من يعمل من الفجر الى الظهر بقيراط فعملت اليهود ثم قال من يعمل من الظهر الى العصر بقيراط فعملت النصارى ثم قال من يعمل من العصر الى المغرب بقيراطين فعملتم انتم فغضبت اليهود والنصارى وقالوا نحن اكثر عملا واقل اجرا فقال وهل نقصت من اجركم شيأ قالوا لافقال هذا فضلي اوتيه من اشاء فكنتم اقل عملا واكثر اجرا فهذا الخبر كله دل على ان العصر هو الزمان المختص به عليه الصلاة والسلام وبامته فلاجرم اقسم الله تعالى به ايذانا بشرفه فاذا كان الزمان الذي هو كالظرف له ولجريان شرعه ودينه بهذه المثابة من الشرف فقس عليه شرف نفس المظروف (قوله او بالدهر) اطلاق لفظ العصر على مطلق الزمان وهو الدهر كثير شائع ويجوز ان يقسم به لشرفه من حيث اشتماله على انواع العجائب بحسب اختلاف فصوله وتعاقب ليله ونهاره واختصاص كل واحد منها بحكم يختص به مما يتعلق به انتظام احوال المخلوقات ومن جملة مافيه من العجائب ان بقية عمر المرء لاقيمة له فانه لوضيع الف سنة ثم تاب واناب اليه ثم توفي في اللمحة الاخيرة من العمر بقي في الجنة ابد الآباد فالدهر بحسب اشتماله على تلك اللمحة بالنسبة الى كل احد من اشرف الاشياء واجل النعم فجاز ان يقسم به لشرفه نقلست كه پيش شقيق بلخى پيرى آمد وكفت بسيار معصيتها كردم اكنون آمدم كه تو به كنم شقيق كفت كه دير آمدى دير آمدى و پير كفت زو امد زود امدم شقيق كفت چكونه پير كفت هر كه پيش ازمرك آيد زود آمده باشد شقيق كفت زود امدى ونيك كفتى فقد ثبت بهذه الرواية ايضا ان اللمحة الباقية من عمر المرء اجل النعم لمن تاب فيها (قوله والتعريض بنفي مايضاف اليه من الخسران) اى والتعريض بنفي ماينسبون اليه من الآفات مثل قولهم ومايهلكنا الا الدهر ووجه التعريض

أو بعصر النبوة او بالدهر لاشتماله على الاعاجيب والتعريض بنفي ما يضاف اليه من الخسران (ان الانسان لفي خسر) ان الانسان لفي خسران في مساعيهم و صرف اعمارهم في مطالبهم

اوعمل (وتواصوا بالصبر) عن المعاصي اوعلى الحق اوما يبلوالله به عباده وهذا من عطف الخاص على العام للمبالغة الا ان يخص العمل بما يكون مقصورا على كماله ولعله سبحانه انما ذكر سبب الربح دون الخسران اكتفاء ببيان المقصود واشعارا بان ماعدا ماعدد يؤدي الى خسر ونقص حظ او تكرما فان الابهام في جانب الخسر كرم * عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة العصر غفر الله له وكان ممن تواصى بالحق وتواصى بالصبر

(سورة الهمزة مكية وآيها تسع)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ويل لكل همزة لمزة) الهمز الكسر كالهزم واللمز الطعن كاللهز فشاعا في الكسر من اعراض الناس والطعن فيهم وبناء فعلة يدل على الاعتياد فلا يقال ضحكة ولعنة

بالنفي المذكور ان الاقسام بالشيء اعظام له ومايضاف اليه الخسران ويكون من شأنه ذلك لايعظم عادة ولانه لو نسب اليه شيء الحوادث كما تزعم الدهرية لكان شرّ بكاله تعالى ومبغوضا عنده فلايقسم به والخسر والخسران بمعنى واحد كالكفر والكفران ومعناهما النقصان وذهاب رأس مال الانسان وهو نفسه وعمره فهو في جميع سعيه وصرفه عمره في اشتغاله مهالك نفسه ومضيع عمره الا المؤمن العامل بطاعة ربه فانه غير مضيع نفسه التي هي رأس ماله بل اكتسب به سعادة الابد وربح في تجارته حيث ظفر بالشرف الباقي بمقابلة الخسيس الفاني (قوله والتعريف للجنس) بشهادة الاستثناء فانه قد تقرر ان صحة الاستثناء من جملة دلائل العموم والاستغراق (قوله والتنكير للتعظيم) اي لفي خسر عظيم لايعلم كنهه الا الله عز وجل وعظم الذنب اما لعظم من في حقه الذنب اولانه في مقابلة النعم العظيمة وكل واحد من الوجهين حاصل في ذنب العبد ومعصية ربه فلاجرم كان ذلك الذنب في غاية العظم (قوله وهذا من عطف الخاص على العام) اي عطف التواصي بالامرين على العمل الصالح مع ان العمل الصالح كما يتناول مايتعلق بتكميل نفسه يتناول ايضا مايتعلق بتكميل غيره من قبيل عطف الخاص على العام للمبالغة في بيان فضله وشرفه من حيث ان عطفه عليه يؤذن بكونه امرا مغايرا له غير مندرج تحته كما عطف جبريل على الملائكة عليهم السلام لذلك (قوله ولعله سبحانه الخ) جواب عما يقال ما الحكمة في انه تعالى ذكر الحكم في جانب الخسر ولم يذكر السبب وذكر في جانب الربح السبب وهو الامور الاربعة الايمان والعمل الصالح والتواصي بالامرين ولم يذكر الحكم وهو الربح واجاب عنه بان المقصود من انزال القرآن بيان اسباب سعادة الانسان ومايؤديه الى مرضاة الرحمن فاقتصر على بيان المقصود وساق بيانه على وجه علم منه اسباب الخسران حيث يجعل على ان من لم يباشر هذه الامور الاربعة فهو في خسران وايضا تعداد مثالب القاصرين ليس من دأب الكريم فلذلك لم يفصل اسباب الخسران تمت سورة العصر والحمد لله رب العالمين

(سورة الهمزة مكية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(قوله تعالى ويل) هي كلمة تهديد ووعيد وقيل هو اسم واد في جهنم

الا للمكثر المتعود وقرئ همزة ولمزة بالسكون على بناء المفعول وهو المسخرة الذي يأتي بالاضاحيك فيضحك منه ويشتم ونزولها في الاخنس ابن شريق فانه كان مغتابا او في الوليد بن المغيرة واغتيابه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

(الذی جمع مالا) بدل من کل اوذم منصوب اومرفوع وقرأ ابن عامر وحمزة والکسائی بالتشدید للتکثیر (وعدده) وجعله عدة للنوازل اوعده مرة بعد اخری ویؤیده انه قری وعدده علی فك الادغام

واللمز العیب واصله الاشارة بالعین وغیرها یقال لمز یلمز بضم العین وکسرها من المضارع وقرئ بهما قوله تعالی ومنهم من یلمزك فی الصدقات ورجل لماز ولمزة ای عیاب والهمزة مثل اللمزة والهامز والهماز العیاب والهمز مثل اللهز الطعن یقال همزه بالرمح طعنه فی صدره ولهز الفصیل امه اذا ضرب بها برأسه عند الرضاع والهمز کالهزم الکسر یقال تهزم السقاء اذا یبس وتکسر وهزمت الجیش هزما وهزیمة فانهزموا کذا فی الصحاح وللمفسرین الفاظ فی تفسیر اللفظین قال ابن عباس رضی الله تعالی عنهما الهمزة المغتاب واللمزة العیاب وقیل الهمز الطعن بالید واللمز باللسان وقیل الهمز بالمواجهة واللمز لظهر الغیب وقیل الهمز مایکون جهرا واللمز مایکون سرا بالحاجب والعین وقیل لابن عباس رضی الله تعالی عنهما من الهمزة واللمزة الذین یهددهم الله تعالی بالویل فقال هم المشاؤون بالعیب والنمیمة المفرقون بین الاحبة الناعتون للناس بالعیب وجمیع هذه الوجوه متقاربة راجعة الی اصل واحد وهو الطعن واظهار العیب فما ذکره المصنف خلاصة هذه الوجوه فقوله تعالی لمزة بدل من همزة والتاء فیهما للمبالغة فی الوصف کما فی علامة وراویة ولذلك یقال رجل همزة لمزة کما یقال امرأة همزة لمزة وقد اطرد ان بناء فعلة بضم الفاء وفتح العین لمبالغة الفاعل ای للمکثر المتعود لمأخذ الاشتقاق وان اسکنت العین تکون لمبالغة المفعول یقال رجل لعنة بفتح العین لمن کان یکثر لعن غیره ولعنة بسکون العین اذا کان ملعونا للناس یکثرون لعنه ویقال ضحکة بالسکون اذا کان الناس یضحکون منه بان یکون مسخرة لهم فمفتوح العین هو الذی یفعل بغیره وساکن العین هو الذی یفعل به غیره (قوله بدل من کل) ای ویل للذی جمع اومنصوب باضمار اعنی اومرفوع بتقدیر هو الذی جمع وعلی التقادیر هو وصف معنوی لکل من وصفه الله تعالی بهذا الوصف لانه یجری مجری السبب للهمز واللمز من حیث انه اعجب بنفسه لما جمع من المال وظن ان کثرة المال سبب لعز المرء وفضله فلذلك استنقص غیره ولم یجعله وصفا نحویا لکل لانه نکرة والنکرة وان تخصصت بالاضافة الی النکرة لایصح توصیفها بالموصولات (قوله وجعله عدة) وهو الذخیرة المعدة لحوادث الدهر کالمال والسلاح یقال اعددت الشئ لکذا وعددته له اذا جعلته عدة وذخیرة (قوله اوعده مرة بعد اخری) علی ان یکون عدد من العدد بمعنی الاحصاء الا انه نقل الی بناء فعل لتکثیر العمل کما فی جمع علی قراءة التشدید فانه یدل علی کثرة الجمع وتکرره وان جمع من ههنا وههنا فی ازمنة متعددة متطاولة ویؤید کون عدده بالتشدید مأخوذا من العد بمعنی الاحصاء قراءة من قرأ وعدده بالتخفیف باضافة

(لعط)

(يحسب ان ماله اخلده) تركه خالدا فى الدنيا فأحبه كما يحب الخلود اوحب المال أغفله عن الموت او طول امله حتى حسب انه مخلد فعمل عمل من لا يظن الموت وفيه تعريض بان المخلد هو السعي للآخرة (كلا) ردع له على حسبانه (لينبذن) اى ليطرحن (فى الحطمة) فى النار التى من شأنها ان تحطم كل ما يطرح فيها (وما ادريك ما الحطمة) ما النار التى لها هذه الخاصية (نار الله) تفسير لها (الموقدة) التى اوقدها الله وما اوقده لا يقدر غيره ان يطفئه (التى تطلع على الافئدة) تعلو اوساط القلوب وتشتمل عليها وتخصيصها بالذكر لان الفؤاد الطف ما فى البطن واشده تألما او لانه محل العقائد الزائغة ومنشأ الاعمال القبيحة

اشارة العدد الى تكثير المال ونصبه بالعطف على قوله مالا فالمعنى الذى جمع مالا وضبط عدده واحصاه على ان يكون جمع عدد المال عبارة عن ضبط عدده وكناية عن كثرته وقيل قوله وعدده بفك الادغام فعل اتصل به الضمير المنصوب بمعنى وعدده فيكون معطوفا على جمع وعلى التقدير ين تؤيد هذه القراءة كون قراءة بالتشديد مأخوذا من العد لا من العدة (قوله تركه خالدا فى الدنيا) يعنى ان قوله تعالى اخلده ليس بمعنى يخلده كما قيل انه من قبيل قولهم دخل فلان النار اذا اتى معصية والمعنى سيدخلها وهلك فلان اذا حدث به سبب الهلاك من غير ان يقع هلاكه بل لفظ اخلده هنا على اصل معناه ويحسب يحتمل ان يكون حالا من المنوى فى جمع وان يكون مستأنفا لبيان سبب اهتمامه بجمع المال وعده كأنه قيل ما باله يجمع المال ويهتم به ويترك سبب الاستعداد لما بعد الموت فقيل انه لزعمه ان بقاء الحياة والسلامة من الامراض والآفات يدور على مراعاة الاسباب الظاهرة والتشبث بها بحسب حقيقة ان المال سبب خلوده فى الدنيا وانه الذى تركه خالدا فيها زاعما انه كلما تأتيه حادثة من حوادث الدنيا قابلها بما يدفعها فاحبه كما يحب سعيد الذى هو الخلود فى الدنيا فالحسبان على هذا حقيقة ثم اشار الى جواز ان يكون قوله تعالى ايحسب ان ماله اخلده من قبيل الاستعارة التمثيلية بان لا يكون الكلام فيمن يحسب حقيقة ان المال مخلد بل يكون فيمن يكون حاله شبيهة بحال من يحسب كونه مخلدا فقال اوحب المال اغفله الخ وتلك الحالة الشبيهة اما الغفلة عن الموت وعما بعده من قوارع الآخرة او طول الامل المسببان عن حب المال والاشتغال بجمعه وضبط عدده فان كل واحدة من تينك الحالتين شبيهة بحال من يحسب ان المال مخلده فيعمل عمل من لا يظن الموت (قوله وفيه تعريض) اى وفى قوله تعالى يحسب ان ماله اخلده وترتيب الوعيد بالويل والهلاك عليه تعريض بان المخلد فى النعيم المقيم هو السعي للآخرة لانه قد تقرر انه ليس للانسان الا ما سعى واذا كان حب الدنيا والاهتمام بها مؤديا الى الويل والهلاك تعين ان المخلد فى الحياة الابدية والنعيم المقيم هو السعي للآخرة (قوله التى من شأنها ان تحطم كل ما يطرح فيها) اى تكسره وتأكله ويقال للرجل الاكول انه لحطمة وفى الحديث شر الرعاء الحطمة وهو الذى من عادته ان يضرب ويكسر وقدمر ان صيغة فعلة بفتح العين لمبالغة الفاعل جوزى الهمزة اللمزة بان يلقى فى الحطمة جزاء وفاقا فكما ان من شان المطروح وعادته الطعن فى الاعراض فكذا من شأن المطروح فيه ان يحطم ويكسر كل ما يطرح فيه (قوله وما اوقده لا يمكن غيره ان يطفئه) يعنى ان اضافة النار اليه تعالى لتفخيمها والدلالة على انها تتقد ابدا وليست كسائر النار تتقد تارة وتخمد

[illegible] (قوله [illegible] مؤصدة [illegible]) خد من [illegible] صورة البلدان آصدت [illegible]
واوصدتها [illegible] اطبقتها واغلقتها وان الاول افعل من مهموز الفاء
مثل آمن والثانى افعل من مثال الفاء مثل اوعد يوعد وكونها مطبقة عليهم
كونها بحيث لا فرجة فيها حتى يخلص اليهم منها روح و يخفف عنهم كرب
(قوله تمن) او تشتاق والاجبال جمع جبل وموصدة اى مطبقة مغلقة (قوله
اى موثقين فى اعمدة) يعنى ان قوله تعالى فى عمد فى محل النصب على انه حال
من الضمير المجرور فى عليهم اى ان الحطمة مطبقة عليهم حال كونهم موثقين
فى اعمدة والعمد بفتحتين جمع كثرة لعمود البيت وكذا عمد بضمتين فانه ايضا جمع
عمود كرسول ورسل و يجوز ان يكون جمع عماد مثل كتاب وكتب وجمع القلة
اعمدة والمقاطر جمع مقطرة وهى خشبة فيها خروق يدخل فيها ارجل المحبوسين
يقال لها بالفارسية كنده و بالتركى طمرق (قوله يقطر فيها اللصوص)
اى يجعلون فيها قطارا كقطارا لابل تمت سورة الهمزة والحمد لله رب العالمين

(سورة الفيل مكية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

اختلفوا فى تاريخ عام الفيل فقيل كان قبل مولد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
باربعين سنة وقيل بثلاث وعشرين سنة وقيل ولد عليه الصلاة والسلام بعد
يوم الفيل بخمسين يوما والاكثرون على ان عام الفيل هو العام الذى ولد فيه
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (قوله وهو عليه الصلاة والسلام
وان لم يشهد تلك الواقعة) جواب عما يقال ما وجه قوله تعالى الم تر مع ان الاصل
فى الرؤية ان تكون بصرية و ان يكون الاستفهام للتقرير فيكون المعنى
قد رأيت وشاهدت مع انه عليه الصلاة والسلام لم يشاهده وتقرير جوابه
ان المراد بالرؤية ههنا رؤية القلب وهى العلم عبر عنه بالرؤية لكونه علما
ضروريا مساويا فى القوة والجلاء للمشاهدة والعيان وانما قلنا علم ضرورى
لان طريق العلم بها الخبر المتواتر وهو يفيد علما ضروريا لاسيما وقد تأيدت
تلك الاخبار الضرورية المتواترة بمشاهدة آثار تلك الواقعة روى عن ابن
عمر رضى الله تعالى عنهما انه راى من الحجارة التى اهلك الله بها اصحاب الفيل
عند ام هانئ نحو قفيز منها وهى مخططة بحمرة كالجزع الظفارى وعن عائشة
رضى الله تعالى عنها انها قالت رأيت قائد الفيل وسائسه اعميين مقعدين
يستطعمان وكان عبد المطلب جد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وابو مسعود
الثقفى يشاهدان من فوق الجبل عسكر ابرهة الاسرم حين رماهم الطير

(بالحجارة)

[illegible] من [illegible]
[illegible] اذا اطبقته [illegible]
[illegible] الى [illegible]
﴿ ومن [illegible] ب
[illegible] ﴾ وقرأ
حفص وابو عمرو وحمزة
بالهمزة (فى عمد ممددة)
اى موثقين فى اعمدة ممدودة
مثل المقاطر التى يقطر
فيها اللصوص وقرأ
ابو بكر وحمزة والكسائى
بضمتين وقرئ عمد بسكون
الميم مع ضم العين ﴿ عن النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم
من قرأ سورة الهمزة
اعطاه الله عشر حسنات
بعدد من استهزأ بمحمد
واصحابه

(سورة الفيل مكية وهى
خمس آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)
(الم تر كيف فعل ربك
باصحاب الفيل) الخطاب
للرسول وهو وان لم
يشهد تلك الواقعة لكن
شاهد آثارها وسمع بالتواتر
اخبارها فكانه رآها ولذا
قال كيف ولم يقل ما

باستبار فهلكوا وقال عبد المطلب لصاحبه صار القوم بحيث لا يسمع لهم ركز فاهبطا من الجبل فقد خلا العسكر واذا هم موتى فجمعا من الذهب والجواهر وحفر كل واحد منهما لنفسه حفرة وملأها من المال وكان ذلك سبب غناهما وهذا كله من آثار تلك الواقعة التي شاهدها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فحصل له بذلك علم ضروري بما يؤدي الى العيان فكأنه تعالى قال الم تعلم يا محمد بالاخبار المتواترة المؤيدة بمشاهدة الآثار علما يوازي العيان في الايقان (قوله لان المراد تذكير مافيها من وجوه الدلالة الخ) يعني ان الاشياء لها ذوات ولها هيئات ولها كيفيات باعتبارها تدل على مدلولاتها وكلمة ما تدل على الاولى وكيف على الثانية والمقصود في هذا المقام ليس نفس تذكير مافعل بهم من الاهلاك لانه باعتبار نفسه لايدل على كمال علمه تعالى وقدرته وعزة نبيه وشرف رسوله وانما يدل عليه باعتبار مافيه من وجوه الدلالة وكيفيات الاهلاك فلذلك اختير ما يدل على الكيفيات على ما يدل على نفس الذوات (قوله فانهما من الارهاصات) بيان لوجه دلالتهما على شرف نبيه عليه الصلاة والسلام والارهاصات هي الخارقة للعادة الجارية على يد نبي قبل بعثته وقبل التحدي مأخوذ من الرهص بكسر الراء وهو الصف الاسفل من احجار الحائط فانه يجوز عندنا تقدم خوارق العادة على زمان البعثة تأسيسا للنبوة وتقدمه عليها كاظلال الغمام وتكلم الحجر والمدر لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم قبل البعثة ودعوى النبوة ومن هذا القبيل اهلاك من قصد تخريب الكعبة المعظمة حال كونها موضع الشرك وعبادة الاوثان اذ فيه دلالة على بعثة من يعظم البيت ويطهره من الرجس والاوثان ويدعو الناس الى عبادة الرحمن لان تعظيم البيت ليس لكونه موضع الشرك والعصيان بل لكونه بناه خليل الرحمن بناه لتأتي اليه الناس افواجا من كل فج عميق طائفين وعاكفين وراكعين وساجدين ومكبرين ومهللين مخلصين له الدين وقد جعله الله تعالى في علمه الازلي مولد سيد المرسلين ومسكنه الى ان هاجر منه بامر رب العالمين ومهبط ما يوحى اليه وقبلة امته الى يوم القيامة فكان لذلك حقيقا عن استيلاء الظلمة عليه وتخريبهم اياه فكان اهلاك اصحاب الفيل من جملة الارهاصات الدالة على شرفه ونبوته عليه الصلاة والسلام فان ابرهة لو سلط على مكة وسبى اهلها وقتلهم وخرب مافيها من البيت لاحتمل ماقدره الله تعالى من الامور المتعلقة بهما * والشرم الشق يقال شرمه اي شقه وسمي ابرهة بن الصباح اشرم لانه كان مشقوق الانف والشفة وسببه ان اباه ضربه بحجر يدفعه عن ابيه وجيده اوسببه ان ارياطا ضربه بالسيف فشرم انفه وشفته فجاء غلام ابرهة من خلفه فقتله * واصحمة

لان المراد تذكير ما فيها من وجوه الدلالة على كمال علم الله وقدرته وعزة نبيه وشرف رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فانهما من الارهاصات، اذ روي انها وقعت في السنة التي ولد فيها الرسول عليه الصلاة والسلام وقصتها ان ابرهة بن الصباح الاشرم ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشي بنى بيعة بصنعاء وسماها القليس واراد ان يصرف اليها الحاج فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فاغضبه ذلك فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بجيشه ومعه فيل قوي اسمه محمود وفيلة اخرى فلما تهيأ للدخول وعبأ جيشه قدم الفيل وكان كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن او الى جهة اخرى هرول فارسل الله طيرا مع كل طير في منقاره حجر وفي رجليه حجران اكبر من العدسة واصغر من الحمصة فترميهم فيقع الحجر على رأس الرجل فيخرج من دبره فهلكوا جميعا

حاشم النجاشي ملك الحبشة وكان اصحمة قد لبث فيهــا زمان ثم نازعه رجل
من الحبشة الى ارض اليمن فغلب عليها واستقر امره فيها زمانا ثم نازعه رجل
من الحبشة يقــال له ابرهة ابن الصبــاح فتفرقت الحبشة فرقتين فكانت فرقة
مع ارياط وفرقة مع ابرهة فكان الامر على ذلك الى ان قتل ابرهة ارياطا
واجتمعت الحبشة من اعوان ارياط لابرهة وغلب على اليمن كلها واقره النجاشي
على عمله ثم ان ابرهة رأى الناس يتجهزون أو ان الموسم الى مكة لحج البيت
الحرام فبنى كنيسة بصنعاء لم يبن الملك مثلها وسماها القليس واراد أن يصرف
اليها حج العرب ووجوههم فسمع بها رجل من كنانة فخرج اليها فدخلهــا
ليلا فقعد فيهــا الى ان قضى حاجته ولطخ بالنجاسة قبلتهــا فبلغ ذلك ابرهة
فقــال من اجترأ على هذا فقيل لعل ذلك فعل رجل من اهل مكــة سمع بالذى
قلت فى حق البيت الذى يعظمونه فحلف ابرهة عند ذلك ليهدمن الكعبة وقيل
اججت اى اشعلت رفقة من العرب نارا فحملتها الريح واحرقتها فحلف ليهدمن
الكعبة فخرج بالحبشة ومعه فيل اسمه محمود وكان قويا عظيما وثمانية اخر
وقيل اثناعشر وقيل الف فلما بلغ المغمس وهو موضع بقرب مكة بينه وبين
مكة ميل خرج اليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث اموال تهــامة ليرجع فأبى
وعبأ اى هيأ جيشه وقدم الفيل فكانوا كلمــا وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح
واذا وجهوه الى اليمن والى سائر الجهات هرول اى اسرع فى المشى ثم ان ابرهة
كان قد اخذ لعبد المطلب مائتى بعير فخرج اليه فى حق تلك المــائتين من البعير
فعظم فى عين ابرهة وكان رجلا جسيما وسيما وقيل له هذا سيد قريش وصاحب
عير مكة فلما ذكر حاجته قال له ابرهة سقطت من عينى جئت لأهدم البيت الذى
هو دينك ودين آبائك فألهاك عنه ذود اخذ منك فقال انا رب الابل وللبيت رب
يمنعه وامر قريشا ان يتفرقوا فى الجبــال والشعــاب تحوفا عليهم من معرة
الجيش ففعلوا ثم خرج من عنده واتى البيت واخذ بحلقته وجعل يقول

يارب لا ارجو لهم سواكا * يارب فامنع منهمو حماكا
ان عدو البيت قد عاداك * فامنعهمو ان يخربوا قراكا

فالتفت وهو يدعو واذا بطير من نحو اليمن فقال والله انها لطير غريبة ماهى
بحرية ولا نجدية ولا تهــامية وكان مع كل طير حجر فى منقــاره وحجران
فى رجليه اكبر من العدسة واصغر من الحمصة فكان الحجر يقع على رأس الرجل
فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه فهلكوا فى كل طريق وسهل
ودوى ابرهة اى اصابه داء ومرض وتساقطت انامله وماما ت حتى انصدع

يهدره عن قلبه اى انشق صدره و خرج قلبه منه وانفلت و زيره ابو مكتوم وطار يصلق خلفه فوقه حتى بلغ النجاشى فقص عليه القصة فلما اتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه ارى الله تعالى النجاشى كيف كان هلاك قومه عيانا كما سمع اخبارا (قوله وقرئ الم تر) اى بسكون الراء جدا فى اظهار اثر الجازم فان سقوط الالف يكفى فى ظهور اثره واسكان الراء بعد سقوط الالف جدا فى اظهار اثر الجازم وهذا الجد انما يليق بالشعر وكلام من احوجته الضرورة الى العدول عن العبارة الفصيحة ولايليق بفصاحة القرآن وكيف منصوب بقوله فعل لا بقوله تر لان كيف فيه معنى الاستفهام وله صدر الكلام فلا يعمل فيه ماقبله والكيد ارادة المضرة بالغير على سبيل الخفية فانهم كادوا البيت اولا ببناء القليس وارادة صرف وجوه الحاج اليه فضلل كيدهم بايقاع الحريق فيه وكادوه ثانيا بارادة هدمه فضلله بارسال الطير عليهم فان قيل انما سماه كيد وهو كان لايخفى ما اراده من المضرة بالبيت بل كان يصرح بانه انما يريد هدم البيت وتخريبه فالجواب انه وان كان يظهر ان مقصوده هدم البيت واضراره انتقاما ممن قعد فى كنيسته الا ان الذى كان يضمره فى قلبه هو الحسد للعرب فان اصل مقصوده من هدم البيت ان يصرف عنهم الشرف الحاصل لهم بسبب الكعبة الى نفسه والى كنيسته وبلدته فكان هدمه كيدا فى حق العرب (قوله تعالى وارسل) عطف على قوله الم يجعل لان الاستفهام فيه للتقرير فكان المعنى قد جعل ذلك وارسل وابابيل صفة لطيرا اى جماعات متفرقة لانها كانت افواجا فوجا بعد فوج يتبع بعضها بعضا قيل ابابيل جمع لا واحد له يقال جاء ابلك ابابيل اى فرقا وترميهم صفة اخرى لطيرا او حال منها لانها قد تخصصت بالصفة والطير اسم جنس اطلق ههنا على آحاد الجنس وجماعته فمن قرأ ترميهم بالتاء نظر الى كونه بمعنى الجماعة ومن قرأ بالياء نظر الى انه اسم جمع مذكر وانما يؤنث لكونه فى تأويل الجماعة او اعتبر كون الفعل مسندا الى ضميره تعالى اى يرميهم الله (قوله معرب سك كل) ذكر فى بيان اخذ السجيل اربعة اوجه الاول انه كلمتان بالفارسية جعلتهما العرب كلمة واحدة وهما سج وجيل فالسج الحجر والجيل الطين اى ترميهم بحجارة متخذة من هذين الجنسين والثانى انه من السجل وهو الدلو الكبير الذى فيه ماء يقال سجلت الماء سجلا فانسجل اى صببته بالدلو فانصب وقوله تعالى حجارة من سجيل اى حجارة كائنة مما صبه الله تعالى من خزائن قهره والثالث انه من الاسجال اى الارسال يقال اسجلت البهيمة مع امها اذا ارسلتها معها وهذا جعل سجيل اى مطلق مرسل والمعنى ان تلك الحجارة مما ارسله الله تعالى عليهم والعذاب يوصف بالارسال كما فى قوله تعالى وارسل عليهم طيرا

و قرئ الم تر جدا فى اظهار اثر الجازم وكيف نصب بفعل الم تر لمافيه من معنى الاستفهام (ألم يجعل كيدهم) فى تعطيل الكعبة وتخريبها (فى تضليل) فى تضييع وابطال بان دمرهم وعظم شانها (وارسل عليهم طيرا ابابيل) جماعات جمع ابالة وهى الحزمة الكبيرة شبهت بها الجماعة من الطير فى تضامها وقيل لا واحد لها كعبابيد وشماطيط (ترميهم بحجارة) وقرئ بالياء على تذكير الطير لانه اسم جمع او اسناده الى ضمير ربك (من سجيل) من طين متحجر معرب سنك كل وقيل من السجل وهو الدلو الكبير او الاسجال وهو الارسال او من السجل ومعناه من جملة العذاب المكتوب المدون

السجيل (قوله تعالى ولو سكنا عليهم السكونات والرابع انه مأخوذ من السجل الذي هو الكتاب اخذ منه لفظ سجيل وجعل علما للديوان الذي كتب فيه اعمالهم فكأنه قيل بحجارة كانت من جملة العذاب المكتوب في الكتاب المسمى سجيل (قوله كورق في زرع) كما نقل عن الفرآء انه قال العصف بقل الزرع وكونه مأكولا عبارة عن ان يقع فيه اكال فيفنيه و يخرجه عن ان ينتفع به شبه به اصحاب الفيل من حيث انهم فنوا وضاعوا اومن حيث ان الحجارة التي ارسلت عليهم خرقتهم واحدثت فيهم منافذوشقوقا كالزرع الذي اكله الدود اوعبارة عن ان يؤكل حبه و يبقى تبنه فالمعنى جعلهم كعصف مأكول الحب كما تقول زيد حسن بمعنى حسن وجهه اجرى الحسن على زيد مع انه حال وجهه اعتمادا على ظهور المراد شبهوا بزرع اكل حبه في ذهاب ارواحهم و بقاء اجسادهم (قوله اوكتبن) عطف على قوله كورق زرع اي و يجوز ان يراد بالعصف التبن من حيث انه تعصف به الريح عند التذرية وتفرقه عن الحب من قولهم الحرب تعصف بالقوم اي تذهب بالقوم وتهلكهم وناقة عصوف اي سريعة السير تعصف براكبها فتمضي به و يكون المراد بالتبن المأكول حينئذ التبن الذي اكله الدواب ثم القته روثا فيبس وتفرقت اجزاؤه شبه به القوم في تقطع اوصالهم وتفرق اجزائهم وفيه مبالغة حسنة وهو انه لم يكتف بجعلهم اهون شئ في الزرع وهو التبن الذي لايجدي حتى جعلهم رجيعا الا انه عبر عن الرجيع بالمأكول على طريق اطلاق الملزوم وارادة اللازم رعاية للادب واستهجانا لذكر الروث كما عبر بقوله تعالى كانا يأكلان الطعام عمايلزم اكل الطعام من التبول والتغوط لذلك روى انه تعالى لما رد الحبشة عن مكة بهذه الكيفية عظمت قريش في اعين الناس وقالوا هم اهل الله تعالى قاتل عنهم وكفاهم مؤونة دفع عدوهم فكان ذلك نعمة عظيمة من الله عليهم *تمت سورة الفيل والحمد لله على كل حال

(فجعلهم كعصف مأكول) كورق زرع وقع فيه الاكال و هو ان يأكله الدود اواكل حبه فبقي صفرا منه او كتبن اكلته الدواب وراثته * قال عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الفيل عافاه الله ايام حياته من الخسف والمسخ

(سورة القريش مكية)

(سورة قريش مكية وآيها اربع)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(لايلاف قريش) متعلق بقوله فليعبدوا رب هذا البيت والفاء لما في الكلام من معنى الشرط اذ المعنى ان نعم الله عليهم لاتحصى فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لاجله

قريش قبيلة وابوهم النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر وكل من كان من ولد النضر فهو قرشي دون ولد كنانة ومن فوقه وربما قالوا قريشي والقرش دابة تكون في البحر من اعظم دوابه لاتمر بشئ من الغث والسمين الا اكله و يطلق القرش ايضا على الكسب وعلى الجمع يقال فلان يقرش لعياله اي يكسب فهو قارش وقرشهم اي جمعهم وتقرش القوم اي

(احتموا)

اجتمعوا واختلفوا في سبب تسمية القبيلة المذكورة قريشاً فقيل سموا بتصغير القرش الذي هو دابة عظيمة تكون في البحر روى ان معاوية سأل ابن عباس رضي الله تعالى عنه لم سميت قريش قريشا فقال سموا باسم دابة في البحر تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا يعلى عليها اى تشبيههم بها من حيث اتصافهم بهذه الصفات قال الشاعر

وقريش هي التي تسكن البحر ❊ بها سميت قريش قريشا
تأكل الغث والسمين ولا تترك ❊ فيه لذى الجناحين ريشا
هكذا في البلاد حي قريش ❊ يأكلون البلاد أكلا كميشا
ولهم آخر الزمان نبي ❊ يكثر القتل فيهم والخموشا

فتصغير قريش للتعظيم كما في قول الحباب بن المنذر ❊ انا جذيلها المحكك ❊ وعذيقها المرجب ❊ يصف نفسه بالحذاقة في الامور بحيث يرجع اليه في معضلات الامور والجذيل تصغير جذل وهو اصل حطب عظيم ينصب في المعاطن لتحتك به الابل الجرباء والعذيق تصغير العذق بالفتح وهو النخلة ذات الحمل والترجيب ان تدعم الشجرة اذا كثر حملها لئلا تنكسر اغصانها ورب ما يبنى لها جدار تعتمد عليه لضعفها وقيل سميت قريشا لانهم كانوا كاسبين بتجاراتهم وضربهم في البلاد ولم يكونوا اهل زرع ولا ضرع فهو مأخوذ من القرش بمعنى الكسب تصغير قارش والقياس ان يقال قويرش غيرانه رخم وصغر كقولهم حريث في تصغير حارث وقيل انه مأخوذ من القرش بمعنى الجمع فانهم كانوا متفرقين في غير الحرم فجمعهم قصى بن كلاب في الحرم حتى اتخذوه مسكنا لهم فسموا قريشا لذلك اى لتجمعهم في الحرم وسمى قصى مجمعا شعر

ابوكم قصى كان يدعى مجمعا ❊ به جمع الله القبائل من فهر

وقرأ ابن عامر لئلاف قريش بغير ياء قبل اللام الثانية والباقون لايلاف بياء قبلها واجمع الكل على اثبات الياء في الثانى وهو ايلافهم واختلاف القراء في سقوط الياء وثبوتها في الاول مع اتفاق المصاحف على سقوطها فيه خطا دليل على انهم انما يتبعون الاثر والرواية لامجرد الخط والرسم اما قراءة ابن عامر ففيها وجهان الاول انه مصدر الف الثلاثى يقال ألفته الافا نحو كتبته كتابا ويقال الفت الشئ الافا والفا وقد جمع الشاعر بينهما في قوله

زعمتم ان اخوتكم قريش ❊ لهم الف وليس لكم الاف

والثانى انه مصدر آلف رباعيا نحو قاتل قتالا بمعنى الاف قريش الفة قريش رحلة الشتاء واما على قراءة الباقين فهو مصدر آلف الرباعى ثم قيل الايلاف هو الالف بناء على ان اهل اللغة قالوا الفت الشئ وآلفته الفا وايلافا بمعنى واحد

اى لزمته ودمت عليه فمعنى الآية لالف قريش هاتين الرحلتين ولزومهم اياهما وثباتهم عليهما بحيث اذا فرغوا من احداهما اخذوا فى الاخرى و بالعكس والظاهر على هذا المعنى ان تكون اللام فى قوله تعالى لايلاف متعلقة بماقبلها و التقدير فعل ربك باصحاب الفيل مافعل من تضليل كيدهم وتضييعه وارسال الطير الابابيل عليهم وجعلهم كعصف مأكول لايلاف قريش بالرحلتين و بقائهم عليهما فانه لوتم للحبشة ماعزموا عليه من هدم الكعبة وتخريبها لماامكن لهم ان يثبتوا على ماالفوه من الرحلتين اللتين يتوقف عليهما انتظام امر معاشهم فان اهل مكة ليس لهم زرع ولاضرع فليس لهم طريق معاش سوى التجارة وانها انماتأتى لهم بسبب ان ملوك تلك النواحى كانوا يعظمونهم و يقولون هؤلاء جيران بيت الله وسكان حرمه فكانوا بذلك آمنين فى اسفارهم لا يختطفون ولايتعرض لهم فى نفوسهم ولافى اموالهم فلولم يفعل الله تعالى باصحاب الفيل مافعل بهم ومكنهم من هدم الكعبة لزال عن اهل مكة هذا العز والشرف وانقطع عنهم تعظيم الملوك واحترامهم اياهم ولصار سكان مكة كسكان سائر البلاد يختطفون من كل جانب بسلب اموالهم وقتل نفوسهم فلما اهلك الله تعالى اصحاب الفيل ازداد رفع قدر اهل مكة وهيبتهم فى القلوب فاستمروا وداموا على ماالفوا به من رحلتهم فى الشتاء الى اليمن وفى الصيف الى الشام والظاهر ان الايلاف ليس بمعنى الالف بل همزة آلف انما زيدت لتعدية الفعل منه الى المفعولين والاصل الفت الشئ وآلفته غيرى بمعنى لزمته والزمته غيرى كانه تعالى قال فعلنا ذلك باصحاب الفيل لنؤلف قريشا رحلتيها ولنبقيهم على ماالفوا به روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال كانت السبب فى الفهم بالرحلتين ان قريشا كانوا اذا اصاب واحدا منهم مخمصة خرج هو وعياله الى موضع وجنوا على انفسهم جناية حتى يموتوا وكانوا على ذلك الى ان جاء هاشم بن عبد مناف وكان سيد قومه فقام خطيبا فى قريش فقال انكم احدثتم حدثا تغلون فيه وترلون وانتم اهل حرم الله تعالى واشرف ولد آدم والناس لكم تبع قالوا نحن نتبع لك فليس عليك منا خلاف فجمع كل بنى اب على الرحلتين فى الشتاء الى اليمن وفى الصيف الى الشام لان بلاد اليمن حامية حارة وبلاد الشام رطبة باردة ليتجروا فيمابدالهم من التجارات فما ربح الغنى منهم قسمه بينه و بين فقرائهم حتى كان فقيرهم كغنيهم فجاء الاسلام وهم على ذلك فلم يكن فى العرب بنوا اب اكثر مالا ولا اعز من قريش حتى قيل فيهم

الخالطون فقيرهم بغنيهم ❊ حتى يكون فقيرهم كالكافى

(قوله)

(ايلافهم رحلة الشتاء والصيف) اى الرحلة فى الشتاء الى اليمن وفى الصيف الى الشام فيمتارون و يتجرون او بمحذوف مثل اعجبوا او بما قبله كالتضمين فى الشعر اى جعلهم كعصف مأكول لايلاف قريش و يؤيده انهما فى مصحف ابى سورة واحدة وقرئ لالاف قريش ايلافهم

(قوله تعالى ايلافهم) بدل من الاول وانتصاب رحلة على انه مفعول به للمصدر كانتصب يتيما بقوله او اطعام فيكون الايلاف مصدرا من المبنى للفاعل مضافا الى مفعوله الاول واطلق عن مفعوله الثانى حيث لم يقيد بتعلقه به ثم جعل المقيد به بدلا من ذلك المطلق تفخيما لامر الايلاف وتذكير العظيم المنة فيه لكونه نعمة عظيمة كما تقول عجبت من احسانك احسانك الى زيد (قوله والفاء لما فى الكلام من معنى الشرط) جواب عما يقال كون اللام متعلقة بقوله فليعبدوا يستلزم ان يتوسط فاء التعقيب بين العامل ومعموله ولا وجه له وتقرير الجواب ان قوله فليعبد واقع فى حيز جواب شرط محذوف غاية ما فى الباب انه قدم عليه معموله لافادة الحصر ولزم منه توسط الفاء بينهما صورة ولفظا والرحلة بكسر الراء الارتحال و بالضم الجهة التى يرتحل اليها واصل الرحلة السير على الراحلة وهى الناقة القوية ثم استعمل فى كل سير وارتحال (قوله فيمتارون) اى يحملون الميرة وهى الطعام (قوله او بمحذوف) اى ويجوز ان لا تكون اللام متعلقة بقوله فليعبدوا بان تكون متعلقة بمحذوف مثل اعجبوا قال الامام محيى السنة فى تفسيره حاكيا عن الكسائى والاخفش اللام فى قوله تعالى لايلاف هى لام التعجب كأنه قيل اعجبوا لايلاف قريش رحلة الشتاء والصيف وتركهم عبادة رب هذا البيت ثم امرهم بعبادته فقال فليعبدوا وهذا كما تقول لزيد واكرامنا اياه على وجه التعجب اى اعجبوا لزيد والعرب اذا جاءت بهذه اللام اكتفت بها دليلا على التعجب من غير اظهار فعل التعجب الى هنا كلامه ووجه التعجب انه تعالى سهل لهم طريق معاشهم وحفظهم فى اسفارهم الى مواضع تجاراتهم من ان يتعرض لهم قطاع الطريق كما يتعرضون لسائر المسافرين مع اصرارهم على الشرك وعبادة الاوثان والظاهر على هذا الوجه ان يكون قوله تعالى فليعبدوا معطوفا على مقدر اى لينتهوا عن هذا الكفر فليعبدوا (قوله كالتضمين فى الشعر) وهو ان يتعلق معنى البيت بالبيت الذى قبله تعلقا لا يصح الا به وكون هذه اللام متعلقة بما قبلها كذلك لان المعمول يتوقف فى تمام معناه على عامله وعلى تعلقه به فان قيل تغاير البيتين ليس كتغاير السورتين فان حق كل سورة ان تكون مستقلة بنفسها ولا يتعلق ما فى احد السورتين بما فى الاخرى فكيف جاز ان تتعلق هذه اللام بما فى السورة المتقدمة قلنا السؤال ساقط على مذهب من يقول انهما سورة واحدة محتجا بما روى ان ابى بن كعب جعلهما سورة واحدة فى مصحفه و بما روى ان عمر رضى الله تعالى عنه قرأ فى الركعة الاولى من صلاة المغرب بسورة والتين وفى الثانية الم تر ولايلاف قريش من غير ان يفصل بينهما بقوله بسم الله الرحمن

الرحيم واما على ماذهب اليه الاكثرون وهو ان تكون كل واحدة منهما سورة منفصلة عن الاخرى فوجه سقوطه على مذهبهم ان تعلق اول هذه السورة بما قبلها الايلاف استقلالها عن الاولى لان القرآن كله كالسورة الواحدة او كالآية الواحدة يصدق بعضها بعضا ويبين بعضها بعضا وقولهم ان ابيا رضي الله تعالى عنه لم يفصل بينهما معارض باطباق الكل على الفصل بينهما (قوله وقرئ ليألف قريش الفهم) على انه امر الغائب باللام (قوله بالرحلتين) اشارة الى ان المراد بالجوع هو المجاعة الشديدة التي حلتهم هاشم على الرحلتين بسببها لا المجاعة التي اصابتهم بدعوة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين كذبوه وهي قوله اللهم اشدد وطأتك عليهم واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فاشتد عليهم القحط حتى اكلوا الجيف والعظام المحترقة فقالوا يامحمد ادع لنا فانا مؤمنون فدعا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لهم فاخصبت البلاد واخصب اهل مكة بعد القحط وهذا الاطعام لم يحصل بالرحلتين بل بدعوة رسول الله صلى الله تعالى عليه ومن على بابها اي اطعمهم من اجل جوع شديد كانوا فيه قبل الرحلتين وقيل بمعنى بعد اي اطعمهم بعد الجوع الذي اصابهم عن سيبويه قال الفرق بين عن ومن ان عن تقتضي حصول جوع قد زال بالاطعام ومن تقتضي المنع من مخافة الجوع والمعنى على هذا اطعمهم فلم يلحقهم جوع وآمنهم فلم يلحقهم خوف فتكون من لابتداء الغاية والمعنى اطعمهم من بدء جوعهم قبل لحاقه اياهم وآمنهم من بدء خوفهم قبل اللحاق

(سورة الماعون مكية وقيل مدنية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قوله استفهام معناه التعجب) يعني انه وان كان في صورة الاستفهام الا انه يقصد به المبالغة في التعجب يقال ارأيت فلانا ماذا قال ولماذا عرض نفسه ثم قيل انه خطاب للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل هو خطاب لكل عاقل ورأيت هنا يجوز ان تكون من رؤية البصر وان تكون بمعنى عرفت كأنه قيل ، أبصرت المكذب او أعرفته وان تكون بمعنى العلم فتكون بمعنى اخبرني فتتعدى الى اثنين الاول الموصوف والثاني محذوف قدره الزمخشري من هو وقدره القرطبي أمصيب هو ام مخطئ والمعنى ارأيت ياعاقل هذا الذي يكذب بالدين بعد ظهور دلائله ووضوح براهينه أيفعل ذلك لالغرض فكيف يجترئ العاقل على ان يلقي نفسه في العقوبة الابدية من غير غرض اولاجل الدنيا فكيف يجترئ العاقل على قبول العذاب المؤبد طمعا في اللذة اليسيرة الفانية (قوله سهل امرها)

[Margin:] لايلاف قريش تعجب بالسابق ولاطلاق الايلاف وفهم واتهم بها الامانا كل ولانوكل وتعلو ولا تسلى وصغر الاسم للتعظيم واطلاق الايلاف ثم ابدال المقيد منه للتفخيم (فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع) بالرحلتين والتنكير للتعظيم وقيل المراد به شدة اكلوا فيها الجيف والعظام (وآمنهم من خوف) خوف اصحاب الفيل او التخطف في بلدهم ومسايرهم او الجذام فلا يصيبهم ببلدهم * قال عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة لايلاف اعطاه الله عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها (سورة الماعون مختلف فيها وآيها سبع) (بسم الله الرحمن الرحيم) (ارأيت) استفهام معناه التعجب وقرئ أريت بلاهمزة الحاقا بالمضارع ولعل تصديره بحرف الاستفهام سهل امرها

اي امر هذه القرآئة يعني ان وقوع حرف الاستفهام في اول الكلمة جعل امر حذف همزة سهلا يسيرا مع كونه مخالفا للقياس والاستعمال فان ريت في رأيت لم يسمع من العرب ووجه التسهيل ان الماضي بسبب دخول حرف الاستفهام عليه شابه المضارع لان في الطلب معنى الاستقبال فأخذ حكم المضارع لذلك مع ان وقوع الهمزة اول الكلام اوجب ثقل وقوع همزة اخرى بعدها فسهل امر حذفها لذلك ايضا وحذفها في الآية اسهل من حذفها في البيت الذي ذكره الزمخشري وهو قوله

صاح هل ريت او سمعت براع ❁ ردّ في الضرع ماقرى في العلاب

لان البيت وان كان فيه حرف الاستفهام لكن ذلك الحرف ليس بهمزة فلو لم تحذف همزة رأيت لم يلزم الثقل الحاصل من اجتماع الهمزتين بخلاف الآية وقوله صاح اصله يا صاحب فحذف حرف النداء ورخم المنادى فصار صاح قوله ماقرى اي ماجمع يقال قريت الماء في الحوض اي جمعت والعلبة مايحلب فيه من جلد اوخشب وجمعه علب وعلاب (قوله بزيادة الكاف) الضمير المرفوع في ارايتك هو التاء والكاف انما زيدت لتدل على احوال المخاطب تقول ارأيتك زيدا او ارأيتكما زيدا او ارأيتكم زيدا بمعنى اخبر زيدا واخبرا واخبروا (قوله بالجزاء او الاسلام) فان الدين يستعمل بمعنى الجزاء كما في قوله تعالى مالك يوم الدين وبمعنى الاسلام كما في قوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام وتكذيب الاسلام كما يكون بتكذيب الصانع والنبوة والمعاد يكون ايضا بانكار شئ من الشرآئع (قوله والذي يحتمل الجنس) اي جنس من كان مكذبا بالدين اي شخص كان ويحتمل العهد ايضا حتى قيل انها نزلت في ابي سفيان كان ينحر جزورين في كل اسبوع فاتاه يتيم فسأله لحما فقرعه بعصاه وقيل نزلت في العاص بن وآئل وكان يجمع بين التكذيب بيوم القيامة والاتيان بالافعال القبيحة جعل علم تكذيبه بالجزآء منعه الواجب والمعروف وتركه التحريض على اطعام ثائرة الجوع عن المحتاجين وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة وقيل نزلت في ابي جهل روى انه كان وصيا ليتيم فجاءه عريانا يسأله من مال نفسه فدفعه ولم يعبأ به فأيس الصبي فقال له اكابر قريش قل لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم يشفع لك وكان غرضهم الاستهزآء به ولم يعرف اليتيم ذلك فجاء الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والتمس منه ذلك وهو عليه الصلاة والسلام ما كان يرد محتاجا فذهب معه الى ابي جهل فقام ابوجهل ورحب به وبذل المال لليتيم فعيره قريش وقالوا اصبوت قال لا والله ماصبوت ولكن رأيت عن يمينه وعن شماله حربة خفت ان لم اجبه يطعنها

وارأيتك بزيادة الكاف (الذي يكذب بالدين) بالجزاء او الاسلام والذي يحتمل الجنس والعهد ويؤيد الثاني قوله (فذلك الذي يدع اليتيم) يدفع دفعا عنيفا وهو ابوجهل كان وصيا ليتيم فجاءه عريانا يسأله من مال نفسه فدفعه او ابو سفيان نحر جزورا فسأله يتيم لحما فقرعه بعصاه او الوليد بن المغيرة او منافق بخيل وقرئ يدع اي يترك

اهله وغيره (على طعام المسكين) لعدم اعتقاده بالجزاء ولذلك رتب الجملة على يكذب بالفاء (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) غافلون غير مبالين بها (الذين هم يراؤن) يرون الناس اعمالهم ليروهم الثناء عليها (ويمنعون الماعون) الزكاة او ما يتعاور في العادة والفاء جزائية والمعنى اذا كان عدم المبالاة باليتيم من ضعف الدين والموجب الذم والتوبيخ فالسهو عن الصلاة التي هي عماد الدين والرياء الذي هو شعبة من الكفر ومنع الزكاة التي هي قنطرة الاسلام احق بذلك ولذلك رتب عليها الويل او السببية على معنى فويل لهم وانما وضع المصلين موضع الضمير للدلالة على معاملتهم مع الخالق والخلق عن النبي عليه السلام من قرأ سورة أرأيت غفر الله له ان كان للزكاة مؤديا

في ودع الدفع بعنف وجفوة واذى قال تعالى يوم يدعون الى نار جهنم دعا (قوله ولا يحض اهله وغيرهم) يعني ان مفعول يحض محذوف والمعنى انه لا يحض نفسه ولا يأمر به غيره ولابد ايضا من تقدير المضاف الى طعام اي لا يحث غيره على اطعام طعام المسكين لتكذيبه بالدين فانه لو اعتقد بالبعث والجزاء لسارع الى ما يؤدي الى سعادة الآخرة بمباشرته بنفسه ودلالة غيره عليه واضيف الطعام الى المسكين للاشعار بان ذلك حق المسكين وبانه لم يمنع عن المسكين الا ما هو حقه وذلك نهاية البخل وخساسة الطبع فان عدم مواساة الايتام والمساكين وترك قضاء حوائجهم الضرورية وكذا عدم حث غيره على مواساتهم واعانتهم وان لم يكن في نفسه اثما وجرما لكنه يصلح علامة لعدم اعتقاده بالجزاء وتكذيبه من حيث ان السبب في ذلك كله هو التكذيب بالجزاء فلذلك رتب قوله فذلك الذي يدع اليتيم على قوله يكذب بالدين بالفاء السببية للايذان بأن دع اليتيم وعدم حث غيره على قضاء حاجة المضطرين سببه التكذيب بالجزاء وجعل الزمخشري قوله تعالى فذلك جواب شرط محذوف والتقدير ان لم تعلم ذلك الذي يكذب بالدين واردت ان تعرفه فاعلم انه ذلك الذي يكذب بالجزاء وهو الذي يدع اليتيم (قوله يرون الناس اعمالهم) بيان معنى المفاعلة في قوله يراؤن فانه مفاعلة من الاراءة فالمرائي يرى الناس عمله وهم يرونه الثناء عليه والاعجاب فان قيل ما الفرق بين ان يقال عن صلاتهم وبين ان يقال في صلاتهم وما الحكمة في اختيار العبارة الاولى على الثانية فالجواب ان العبارة الثانية انما تقال اذا كان الانسان شارعا في الصلاة خالصا لوجه الله تعالى ومتذللا بين يديه بالتضرع والابتهال ولكنه يعبر به عن السهو والغفلة في اثنائها بوسوسة الشيطان او بحديث النفس وذلك لا يخلو عنه البشر ومعنى السهو عن الصلاة الغفلة عن اداء الصلاة على اي هي فيؤدي ذلك الى عدم المبالاة بها والاعتناء بشأنها برعاية شروطها واركانها واوقاتها وسننها وآدابها فيقوم ويحط ولا يدري ما يفعل وذلك فعل المنافقين وهو شر من ترك الصلاة لانه استهزاء بالدين فثبت ان السهو في الصلاة من افعال المؤمن لانه شرع فيها بنية صحيحة واعتقاد صادق والسهو عن الصلاة من افعال الكافر فانه وان باشرها صورة لكنه ساه غافل عن حقيقتها لانعدام قصده ونيته عن انس رضي الله تعالى عنه قال الحمد لله على انه لم يقل في صلاتهم لان السهو فيها قد يعتري بوسوسة الشيطان وحديث النفس وذلك لا يكاد يخلو عنه مسلم وكان عليه الصلاة والسلام يقع له السهو في صلاته فضلا عن غيره (قوله او للسببية) اي للدلالة على ان ما وصف به المكذب بالدين من دع اليتيم وترك حث غيره على الخير سبب للدعاء عليه بالويل والظاهر على هذا ان يقال

قويل لهم الا انه وضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على معاملتهم مع الخالق والخلق وذهب كثير من الصحابة والتابعين الى ان المراد من الماعون في الآية الزكاة و يؤ يده انه تعالى ذكره عقيب ذكر الصلاة وماروى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال من قرأ سورة الماعون غفرله ان كان للزكاة مؤديا فان كل واحد منهما يدل على ان المراد بالماعون الزكاة وذهب اكثر المفسرين الى ان المراد بالماعون اسم لما لايمنع في العادة و يسأله الغنى والفقير و ينسب ما نعه الى سوء الخلق و لؤم الطبيعة كالفاس والقدر والدلو والمقدحة والغربال والقدوم و يدخل فيه الملح فعلى هذا القول الماعون فاعول من المعن وهو الشئ القليل وسميت الزكاة ماعونا لانهما ربع العشر و هو قليل من كثير و المقصود من الآية على هذا القول الزجر عن البخل بهذه الاشياء القليلة فان البخل بها في غاية الدناءة و نهاية الخساسة والخباثة ومن اوصاف المنافقين قال الله تعالى في حقهم الذين يبخلون و يأمرون الناس بالبخل وقال مناع للخير معتد اثيم قال العلماء ومن الفضائل ان يستكثر الرجل في منزلة ما يحتاج اليه الجيران فيعيرهم ذلك ولا يقتصر على اتخاذ ما يهمه فقط

(سورة الكوثر مكية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(قوله تعالى انا) اصله انا فحذفت احدى النونات كراهة اجتماع الامثال * والانطاء الاعطاء بلغة اهل اليمن قال اهل اللغة الكوثر فوعل من الكثرة كنوفل من النفل والعرب تسمي كل شئ كثير العدد اوكثير القدر والخطر كوثرا فهو بناء يفيد المبالغة في الكثرة والافراط فيها قيل لاعرابية رجعت ابنها من السفر بم آب ابنك قالت آب بكوثر اى بالعدد الكثير من الخير وروى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال هو الخير الكثير (قوله وقيل) يعني ان المفسرين ذكروا في تفسير الكوثر اقوالا كثيرة منها ان المراد بالكوثر اولاده عليه الصلاة والسلام و يدل عليه ان هذه السورة نزلت ردا على من قال في حقه عليه الصلاة والسلام انه ابتر ليس له من يقوم مقامه قال ذلك لما مات ابنه القاسم وعبد الله بمكة وهما ابناء عليه الصلاة والسلام من خديجة رضي الله تعالى عنها ومات ابراهيم بالمدينة فوعد الله تعالى في اول السورة ان يعطيه نسلا يبقون على مر الزمان فانظر كم قتل من اهل البيت ثم ان العالم ممتلئ منهم والحمد لله ثم قال في آخر السورة ان شانئك هو الابتر وقيل الكوثر اتباعه واشاعه الى يوم القيامة ولا شك ان له من الاتباع مالا يحصيهم الا الله عز وجل وقيل

(سورة الكوثر مكية وآيها ثلاث)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(إنا اعطيناك) وقرئ انطيناك (الكوثر) الخير المفرط الكثير من العلم والعمل وشرف الدارين وروى عنه عليه الصلاة والسلام انه نهر في الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثير أحلى من العسل وابيض من اللبن وابرد من الثلج وألين من الزبد حافتاه الزبرجد وأوانيه من فضة لايظمأ من شرب منه و قيل حوض فيها وقيل اولاده او اتباعه او علماء امته او القرآن

الكوثر علماء امته وهو لعمرى الخير الكثير لانهم كانبياء بنى اسرائيل والذين يدعون عبادالله الى اتباع ماشرع لهم من اتيان مايسعدهم والاجتناب عما يرديهم وذلك وظيفة الانبياء عليهم السلام روى ان اتباع علماء هذه الامة تكثر على اتباع كثير من الانبياء وقيل انه يجاء يوم القيامة بالرسل والانبياء و يتبعهم اممهم فرعا يجيء الرسول ومعه الرجل والرجلان و يجاء بكل عالم من علماء امته ومعه الالوف الكثيرة فيجتمعون عند الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فرعا يزيد عدد متبعى بعض العلماء على عدد متبعى ألف من الانبياء عليهم الصلاة والسلام وذكر فى الطبقات الحنفية انه روى عن ابى حنيفة رحمه الله ان تقلد مذهبه من الشيوخ واكابر العلماء نحو من اربعة آلاف نفر فضلا عمن اقتدى به واهتدى باتباعه وقس عليه سائر الائمة المجتهدين رضوان الله تعالى عليهم اجمعين فكل ذلك خير كثير له صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل الكوثر القرآن وفضائله لا تحصى ولعل المصنف انما لم يرض بهذه الاقوال لان الكوثر الذى هو الخير الكثير يتناول جميع ما انعم الله تعالى به عليه عليه الصلاة والسلام وليس حمله على البعض اولى من حمله على الباقى فيجب ابقاؤه على مايعم خيرى الدنيا والآخرة لان حمله على البعض تخصيص من غير مخصص ثم انه تعالى لما ذكر رسوله وماانعم به عليه من الخير الكثير امره بشكر تلك النعمة العظيمة فقال فصل لربك وانحر بفاء التعقيب المؤذنة بالسببية اى اذا تقرر عندك ماافضلت به من الكوثر فدم على الصلاة الجامعة لانواع العبادة (قوله خلاف الساهى عنها المرائى فيها) اشارة الى ان قوله تعالى فصل مقابل لقوله فى السورة المتقدمة الذين هم عن صلاتهم ساهون وقوله لربك مقابل لقوله فيها الذين هم يراؤون (قوله شكر الانعامه) اى لانعامه عليه بقوله دم على الصلاة فان كثرة الانعام توجب مداومة المنعم عليه على شكر المنعم فكأنه قيل انا اعطيناك الكوثر فدم على الشكر فان الصلاة جامعة لاقسام الشكر وهى ثلاثة الاول الشكر بالقلب وهو ان يعتقد ان تلك النعم منه تعالى انعم بها عليه تفضلا وكرما والثانى الشكر باللسان وهو ان يمدح المنعم و يثنى عليه بما هو اهله والثالث الشكر بالجوارح وهو ان يخدمه و يتواضع له بالطرق التى بينها الشارع والصلاة جامعة لهذه الاقسام كلها (قوله خلافا لمن يدعهم) يعنى ان قوله تعالى وانحر مقابل لما ذكر من اوصاف المنافقين بقوله الذى يدع اليتيم و يمنعون الماعون فان ذبح البدن التى هى خيار الاموال والتصدق بلحومها على المحتاجين مقابل لدعهم ومنع الماعون عنهم (قوله ان من ابغضك) يعنى ان الشانئ بمعنى المبغض الذى هو ضد المحب يقال شنأه شنأ وشنآنا بفتح النون وسكونها

فصل لربك) فدم على الصلاة خالصا لوجه الله خلاف الساهى عنها المرائى فيها شكر الانعامه فان الصلاة جامعة لاقسام الشكر (وانحر) البدن التى هى خيار اموال العرب وتصدق على المحاويج خلافا لمن يدعهم و يمنع منهم الماعون فالسورة كالمقابلة للسورة المتقدمة وقد فسرت الصلاة بصلاة العيد والنحر بالتضحية (ان شانئك) ان من ابغضك لبغضه لك (هو الابتر) الذى لاعقب له اذ لايبقى منه نسل ولا حسن ذكر واما انت فيبقى ذريتك وحسن صيتك وآثار فضلك الى يوم القيامة ولك فى الآخرة مالايدخل تحت الوصف * عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الكوثر سقاه الله من كل نهر له فى الجنة وكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد فى يوم النحر

اى ابغضته فالمعنى ان من ابغضك اى من لايحبك بل يعاديك لمخالفتك له هو الابتر لبغضه لك فقوله لبغضه لك علة لكون الشانئ هو الابتر فانه يفيد كون بغضه علة لكونه ابتر اى مقطوع العقب روى ان عامر بن وآئل كان يمر بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم و يقول انى لاشنؤك وانك الابتر من الرجال فنزلت تمت سورة الكوثر وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(سورة الكافرين مكية و يقال لها ولسورة الاخلاص المقشقشتان اى المبرئتان من النفاق)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(قوله يعنى كفرة مخصوصين) روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال سبب نزول هذه السورة ان الوليد بن المغيرة والعاص بن وآئل والاسود بن عبد المطلب وامية بن خلف لقوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا يا محمد هلم فلنعبد ما تعبد وتعبد ما نعبد ونشترك نحن واياك فى امرنا كله فان كان الذى جئت به خيرا مما بأيدينا كنا قد شركناك واخذنا بحظنا منه وان كان الذى بايدينا خيرا من الذى بيدك كنت قد شركتنا فى امرنا واخذت بحظك منه فانزل الله تعالى قل يا ايها الكافرون ونزل قوله تعالى قل أفغير الله تأمرونى اعبد ايها الجاهلون فعدا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقام على رؤسهم فقرأها عليهم حتى فرغ من السورة فأيسوا منه عند ذلك فالالف واللام فى قوله تعالى الكافرون وان كانت للجنس بحسب الظاهر حيث وقع الكافرون صفة لاى الا ان ما فيه من التعريف للاشارة الى المعهود بقرينة سبب النزول ولان قوله تعالى لا اعبد ما تعبدون لايجوز ان يكون خطابا مع كل الكفرة لان فيهم من يعبد الله تعالى كاليهود والنصارى ولايجوز ان يقال لهم لااعبد ما تعبدون ولايجوز ايضا ان يكون قوله ولا انتم عابدون ما اعبد خطابا مع الكل لان فى الكفار من آمن وصار بحيث يعبد الله تعالى فعلنا بهذه القرينة ان الخطاب للكفرة المخصوصين الذين سبق فى علم الله تعالى انهم يموتون او يقتلون على كفرهم (قوله فان لا لا تدخل الا على مضارع بمعنى الاستقبال) لانها لاتدخل ابدا الا على المضارع الموصوف فان لا قد تدخل على الماضى بشرط التكرير نحو قوله تعالى فلا صدق ولا صلى وقد تدخل على الاسم كقوله تعالى ولا انتم عابدون وكذا قوله كما ان ما لا تدخل الا على مضارع بمعنى الحال فان معناه انها اذا دخلت على المضارع يكون المضارع بمعنى الحال فمعنى القرينة الاولى لاافعل فى المستقبل ما تطلبونه

(سورة الكافرين مكية و آيها ست)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قل يا ايها الكافرون) يعنى كفرة مخصوصين قد علم الله منهم انهم لايؤمنون روى ان رهطا من قريش قالوا يا محمد تعبد آلهتنا سنة و نعبد الهك سنة فنزلت (لا اعبد ما تعبدون) اى فيما يستقبل فان لا لا تدخل الا على مضارع بمعنى الاستقبال كما ان ما لا تدخل الا على مضارع بمعنى الحال (ولا انتم عابدون ما اعبد) اى فيما يستقبل لانه فى قران لا اعبد (ولا انا عابد ما عبدتم) اى فى الحال او فيما سلف (ولا انتم عابدون ما اعبد) اى وما عبدتم فى وقت ما انا عابده

منى من عبادة آلهتكم لما ذكره من ان المضارع المصدر بكلمة لا يكون للاستقبال وحمل القرينة الثانية ولا انتم عابدون فى المستقبل ما اطلب منكم من عبادة الهى لان اسم الفاعل وان كان صالحا للحال والاستقبال الا انه ههنا للاستقبال لوقوعه فى مقابلة لا اعبد ثم انهم اختلفوا فى ان القرينة الثالثة هل هى تأكيد للاولى اولا وكذا الرابعة هل هى تأكيد للثانية اولا واختار المصنف ان كل قرينة من القرينتين الاخيرتين لافادة معنى على حدة بان جعل كل قرينة مقيدة بزمان غير زمان القرينة الاخرى فحمل القرينة الاولى على الاستقبال بشهادة كلمة لا وحمل القرينة الثالثة على الحال او الماضى فكان المعنى لا افعل فى المستقبل ما تطلبونه من عبادة الاصنام ولست فى الحال او فى الماضى بعابد لما عبدتم من الاصنام وحمل القرينة الثانية وهى قوله ولا انتم عابدون ما اعبد على الاستقبال لوقوعها فى مقابلة الاولى وحمل القرينة الرابعة على استغراق النفى وشموله لجميع الازمنة بناء على ان الجملة الاسمية تفيد الدوام واذا دخل عليها حرف النفى تفيد دوام النفى ثم قال ويجوز ان تكونا تأكيدين على طريقة ابلغ اى ويجوز ان تكون القرينة الثالثة تأكيدا للاولى على طريقة ابلغ لان القرينة الاولى لنفى الاستقبال والثالثة تفيد دوام النفى فى جميع الازمنة كما عرفته فتفيد ما افادته الاولى مع زيادة فكانت تأكيدا لها على طريقة ابلغ وكذا القرينة الرابعة يجوز ان تكون تأكيدا للثانية على ابلغ وجه لان الثانية حملت بقرينة المقابلة على نفى الاستقبال والرابعة محمولة على عموم النفى فتكون ابلغ منها والفائدة على تقدير ان تحمل القرينتان على التأكيد قطع اطماع الكفار وتحقيق الاخبار بانهم يموتون على الكفر ولا يسلمون ابدا ويرد على تجويزه ان يكون قوله تعالى ولا انا عابد محمولا على الماضى كما اشار اليه بقوله او فيما سلف ان عابدا اسم فاعل وهو لا يعمل الا اذا كان بمعنى الحال او الاستقبال فكيف يصح ان يعمل فى قوله ما عبدتم وهو بمعنى الماضى الا ان يقال اعماله مبنى على كونه بمعنى حكاية الحال الماضية كما فى قوله تعالى وكلبهم باسط ذراعيه وقوله تعالى والله مخرج ما كنتم تكتمون ونحوهما وهو لا ينافى كون مدلوله واقعا فى الماضى فى نفس الامر (قوله وهو عليه الصلاة والسلام لم يكن موسوما بعبادة الله تعالى) اى قبل البعثة لان العبادة عبارة عن اعمال الجوارح الواقعة امتثالا لامر الله تعالى وقصد التعظيم وما وقع منه عليه الصلاة والسلام قبل البعثة من توحيد الله تعالى وتنزيهه عن كل ما لا يليق بجناب ذاته ومن مناسك الحج وافعاله على حسب ما تواتر من مشاعر ابراهيم عليه الصلاة والسلام وان كان عبادة بمعنى المعرفة

ويجوز ان تكونا تأكيدين على طريقة ابلغ وانما لم يقل ما عبدت ليطابق ما عبدتم لانهم كانوا موسومين قبل البعث بعبادة الاصنام وهو لم يكن حينئذ موسوما بعبادة الله تعالى

والا يقال بالحق الاانه ليس بعبادة بالمعنى المذكور لانه يجب كونها مسبوقة بامر الشارع ومأمورا بها من قبله ولاامر قبل البعثة ولان الشرائع السابقة على شريعة عيسى عليه الصلاة والسلام صارت منسوخة بشريعة عيسى واما شريعة عيسى فقد صارت منقطعة بسبب ان الناقلين عنهم النصارى وهم كفار قبل بعثة رسولنا صلى الله تعالى عليه وسلم بسبب قولهم بالتثليث والذين بقوا على التوحيد قلوا غاية القلة وتفرقوا فى البلدان فلم يكن قولهم حجة شرعية فثبت انقطاع شريعة عيسى عليه الصلاة والسلام فما وقع بعد انقطاعها لايكون على طريق الامتثال الشرع فلم يكن عليه الصلاة والسلام قبل البعثة موسوما بعبادة الله تعالى فلذلك لم يكن نظم الآية ولاانتم عابدون ماعبدت وان كان هو المطابق لقوله ماعبدتم (قوله وانما قال مادون من) جواب عما يقال المراد بقوله ما اعبد فى القرينة الثانية والرابعة هو الله تعالى فكيف عبر عنه بكلمة ما والاصل فيها ان لاتطلق على اولى العلم اذا اريد بهم نفس ذواتهم واما اذا اريد ان يعبر عنهم بما يدل على غاية التعظيم والتحقير فحينئذ يعبر عنهم بكلمة ما فان ما الموصولة لا تستعمل فى ذى العلم الا باعتبار الوصفية فيه وتعظيم شأنه كقوله سبحان ما سخركن لنا اى سبحان العظيم الشان الذى سخر امثالكن لنا فكذا معنى الآية ولا انتم عابدون الاله العظيم الشأن الذى لايستحق العبادة غيره والحاصل ماقى ماعبد على المعبود بالحق حمل قوله تعالى ماعبدتم وما تعبدون على الباطل تحقيقا للتقابل والثانى انه لما عبر عن المعبودات الباطلة بما على الاصل عبر عن المعبود الحق ايضا بها للمقابلة والمشاكلة فان رعاية المقابلة تحسن ما لايحسن حال الانفراد ثم اشار الى جواب ثالث بقوله وقيل مامصدرية وحصوله انه انما يحتاج الى الاعتذار باحد الوجهين ان لوكانت ماموصولة وليست كذلك بل هى مصدر يةو المعنى لااعبد عبادتكم اى مثل عبادتكم ولابد من هذا التقدير لان الشخص لا يفعل نفس فعل غيره ولكن يفعل مثل فعله فكذا الكلام فى اخواتها (قوله وقيل الاوليان بمعنى الذى) فالمعنى لااعبد الاصنام التى تعبدونها ولاانتم تعبدون الله الذى اعبده والاخريان مصدريتان والمعنى ولا انا عابد مثل عبادتكم المبنية على الشك والتقليد ولا انتم عابدون مثل عبادتى المبنية على النص والبرهان والظاهر ان مقصود القائل بحمل هذه القرائن الاربع على التأسيس بيان التغاير بينها بهذا الوجه ولادخل له فى الجواب اذلا تعرض لوجه التعبير عنه تعالى بكلمة ما فى القرينة الثانية وانما اخره الى هنا من حيث ان له تعلقا بهذا المقام ايضا (قوله فليس فيه اذن فى الكفر

وانما قال مادون من لان المراد الصفة كانه قال لااعبد الباطل ولاتعبدون الحق اوللمطابقة وقيل ما مصدرية وقيل الاوليان بمعنى الذى والآخريان مصدريتان (لكم دينكم) الذى انتم عليه لا تتركونه (ولى دين) الذى انا عليه لا ارفضه فليس فيه اذن فى الكفر ولامنع عن الجهاد ليكون منسوخا بآية القتال اللهم الااذا فسر بالمتاركة وتقرير كل من الفريقين الآخر على دينه وقد فسر الدين بالحساب والجزاء والدعاء

ولامنع عن الجهاد) جواب عما يقال كيف امر عليه الصلاة والسلام ان يقول لهم لكم دينكم وهو اذن لهم في الكفر وقد بعث عليه الصلاة والسلام للمنع عن الكفر وايضا انه عليه الصلاة والسلام لما امر بان يأذن لهم في الكفر والثبات عليه لزم ان يكون ممنوعا عن الجهاد وهو عليه الصلاة والسلام مأمور به وتقرير الجواب ان قوله تعالى لكم دينكم لما كان معناه انكم لا تتركونه ابدا فلا يفارق ذلك عنكم كان ذلك فذلكة لقوله تعالى ولا انتم عابدون ما اعبد وبيانا لمحصل معناه فليس فيه اذن في الكفر بل هو تقريع وذم لهم بالاصرار على الكفر والضلال ولا منع عن الجهاد ايضا وقيل هذه السورة نزلت قبل الامر بالجهاد فهي منسوخة بآية القتال وان فسر الدين بالحساب كان المعنى لكم حسابكم ولي حسابي ولا يرجع الى كل واحد منا من عمل صاحبه اثر البتة فالامر ظاهر وكذا ان فسر بالجزاء وقد يستعمل الدين بمعنى الدعاء كما في قوله تعالى ادعوا الله مخلصين له الدين وان فسر الدين بالدعاء يكون معنى قوله لكم دينكم ان دعاكم لا يسمع ولا يقبل ومادعاء الكافرين الا في ضلال اي عن طريق قبول الله تعالى اياه ولا نفعه الاصنام ايضا لقوله تعالى وان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم وانما يقبل ويستجاب دعاء من آمن بالله تعالى واتبع سبيله كما قال تعالى ويستجيب الذين آمنوا ادعوني استجب لكم (قوله والعبادة) لعله تصحيف من النساخين والعبارة الفصيحة العادة فان الدين قد يستعمل بمعنى العادة والشان والمعنى لكم عادتكم المأخوذة من اسلافكم من الشياطين ولي عادتي المأخوذة من الملائكة ومن الوحي ثم يجزى كل واحد مني ومنكم على حسب عادته فالى الملائكة والجنة وتلقون الشياطين والنار اذ لا وجه لاطلاق لفظ العبادة على اعمال المشركين الا ان يقال اطلق عليها الدين والطاعة لوقوعها في صحبة قوله ولي دين والمشاكلة من صنائع اهل البلاغة والله اعلم * تمت سورة الكافرين والحمد لله رب العالمين

(سورة النصر مكية وقيل مدنية فانه روى انه عليه الصلاة والسلام عاش بعد نزولها سنتين)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(قوله اظهاره اياك) يعني ان نصر الله مصدر مضاف الى فاعله ومفعوله محذوف للعلم به اي نصر الله اياك وان المراد بنصره تعالى اياه عليه الصلاة والسلام اظهاره وجعله غالبا على اعدائه من قريش وسائر العرب يقال ظهرت على فلان اذا غلبت عليه وكذا الفتح فانه مصدر ايضا ومافيه

والعبادة عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الكافرين فكأنما قرأ ربع القرآن وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك

(سورة النصر مدنية وآيها ثلاث)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اذا جاء نصر الله) اظهاره اياك على اعدائك والفتح فتح مكة وقيل المراد جنس نصر الله المؤمنين وفتح مكة وسائر البلاد عليهم

من حرف التعريف عوض عن الاضافة ومضوله محذوف وهو مكة فان فتحها هو الذي يقال له فتح الفتوح والتقدير وفتح مكة وجواب اذا وعامله هو قوله تعالى فسبح وقد اشتهر ان الجواب هو العامل فيه اى اذا جاءك النصر والفتح وكثرة الاتباع والامم فاشتغل انت بالتسبيح والحمد والاستغفار وقيل اذا منصوب بجاء وقيل جوابه محذوف والتقدير اذا جاءت هذه الاشياء فقد عظمت نعمة الله تعالى عليك وقيل حضر اجلك و عطف الفتح على النصر من قبيل عطف المسبب على السبب لان النصر الالهى سبب للفتح وتقييد النصر بالاضافة اليه تعالى مع ان النصر لايكون الامن الله تعالى كما قال تعالى وما النصر الامن عند الله لتعظيم المضاف اى اذا جاءك نصر لايليق الابالله ولايفعله الاهو فسبح وقيل المفعول المقدر لكل واحد من النصر والفتح ليس امرا مخصوصا هو اياك ومكة بل الآية من قبيل ما حذف فيه المفعول للتعميم والمعنى اذا جاء نصر الله لمن آمن به وفتحه ديار الكفر عليه (قوله وانما عبر عن الحصول بالمجئ) جواب عما يقال من ان المجئ من خواص ما يصح عليه الانتقال من الجواهر و النصر والفتح ليسا من قبيل الجواهر فكيف اسند المجئ اليهما والظاهر ان يقال اذا وقع او حصل نصر الله عز وجل وتقرير الجواب انه عبر عن حصولهما بالمجئ تشبيها لهما بما يصح الانتقال فى حقه من حيث ان الحوادث قدر وجودها فى الازل فالله سبحانه قدر لحدوث كل واحد منها اسبابا معينة واوقاتا مقدرة لايحدث شئ منها الا اذا تحققت اسبابه وحضرت اوقاته فشبه كونها مربوطة معلقة بتلك الاسباب والاوقات بكونها متوجهة اليها بحيث تقرب منها شيئا فشيأ و شدة وقوعها عند حضور اوقاتها بمجيئها اليها فاطلق اسم المجئ على ذلك الوقوع ثم اشتق منه لفظ جاء فكانت استعارة تبعية وكلمة اذا ظرف لما يستقبل فالآية بظاهرها تدل على ان هذه السورة نزلت قبل ان نصره الله تعالى نصرا تسبب عنه فتح مكة ودخول الناس فى دين الله افواجا ولهذا قيل انها مكية وعده الله تعالى وهو فيها انه سيهاجر منها ثم انه تعالى يفتحها له و يدخل الناس فى دين الله افواجا بنصره له واظهاره على اعدائه وقيل كلمة اذا هنا لمجرد الوقت وان فتح مكة كان سنة ثمان ونزلت هذه السورة سنة عشر وروى انه عليه الصلاة والسلام عاش بعد نزول هذه السورة سبعين يوما ولذلك سميت سورة التوديع لما فيها من الدلالة على توديع الدنيا والتوجه الى دار البقاء و روى انه عليه الصلاة والسلام عاش بعد نزولها ستين يوما مستديما للتسبيح والاستغفار وعن عائشة رضى الله تعالى عنها انه عليه الصلاة والسلام كان بعد

وانما عبر عن الحصول بالمجئ تجوزا للاشعار بان المقدرات متوجهة من الازل الى اوقاتها المعينة لها فتقرب منها شيئا فشيأ وقد قرب النصر من وقته فكن مترقبا لوروده مستعدا لشكره

نزول هذه السورة يكثر ان يقول سبحانك اللهم و بحمدك اللهم اغفرلى وقال
مقاتل انه عليه الصلاة والسلام عاش بعد نزولها حولا واعلم ان صفات الحق
تعالى منحصرة فى قسمين سلبية وثبوتية والسلوب متقدمة على الايجابات والتسبيح
اشارة الى التعرض للصفات السلبية لواجب الوجود وهى صفات الجلال
والتحميد اشارة الى الصفات الثبوتية له تعالى وهى صفات الاكرام ولما امره
الله تعالى بالاشتغال بذكره بصفاته السلبية والثبوتية امره بعده بالاستغفار
لان الاستغفار فيه رؤية قصور النفس وكمال وجود الحق وفيه ايضا طلب لما هو
الاصلح والاكمل للنفس من حضرة وهاب العطايا وهذا الطريق اعنى
النزول من المؤثر الى الاثر اشرف طرق السائرين فان لهم طريقين فى مسيرهم
منهم من يقول مارأيت شيئا الا ورأيت الله بعده ومنهم من يقول مارأيت شيئا
الا ورأيت الله قبله ولاشك ان النزول من المؤثر الى الاثر اجل من الصعود من
الاثر الى المؤثر لان الاستدلال بالاصل على التبع اقوى من الاستدلال بالتبع
على الاصل ولكون هذه الطريقة اشرف الطريقين قدم الاشتغال بالخالق
على الاشتغال بالخلق وهو النفس فذكر فى حق الاشتغال بالخالق امرين التسبيح
والتحميد وفى حق الاشتغال بالنفس الاستغفار وهو حالة ممزوجة من الالتفات
الى الخالق والى الخلق (قوله تعالى يدخلون) فى موضع النصب على انه حال
من الناس ان جعلت الرؤية بصرية او بمعنى المعرفة وان جعلت بمعنى العلم كان
مفعولا ثانيا لها وافواجا حال من الضمير فى يدخلون والفوج الجماعة الكثيرة
روى انه عليه الصلاة والسلام لما فتح مكة اقبلت العرب بعضها على بعض
فقالوا اما اذا ظفر باهل الحرم فليس لاحد به طاقة وقد كان الله تعالى اجارهم
من اصحاب الفيل ومن كل من ارادهم بسوء ثم اخذوا يدخلون فى دين الاسلام
افواجا من غير قتال وقصة فتح مكة انه لما وقع صلح الحديبية وانصرف عليه
الصلاة والسلام اغار بعض من كان فى عهد قريش على خزاعة وكانوا فى عهده
عليه الصلاة والسلام فجاء سفير ذلك القوم واخبر رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم فعظم ذلك عليه عليه الصلاة والسلام ثم قال اما ان هذا العارض
ليخبرنى ان النصر يجئ من عند الله تعالى ثم قال لاصحابه انظروا فان اباسفيان
يجئ و يلتمس ان يجدد العهد فلم يمض ساعة الا جاء الرجل ملتمسا لذلك فلم يجبه
الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ولا احد من اكابر الصحابة رضى الله تعالى عنهم
ورجع الى مكة آيسا فتجهز عليه الصلاة والسلام للمسير الى مكة فخرج اليها
وفتحها ووقف على باب المسجد وقال ❊ لا اله الا الله وحده صدق وعده
ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ❊ ثم قال يا اهل مكة ماترون انى فاعل

(ورأيت الناس يدخلون فى دين الله افواجا)

بكم فقالوا خيرا اخ كريم فقال اذهبوا فانتم الطلقاء فاعتقهم ثم انهم بايعوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على الاسلام والسمع والطاعة ثم صار الناس يدخلون فى دين الاسلام فوجا بعد فوج (قوله جماعات كثيفة) اى كثيرة (قوله فتعجب) اى قل سبحان الله والحمد لله تعجبا مما اراك من عجيب انعامه عليك وهو الغلبة على اهل الحرم فان هذه الكلمة فقال عند التعجب عادة فصح ان يفسر الامر بالتسبيح بالامر بالتعجب لذلك ولاسيما ان المقام مقام التعجب ولعل الوجه فى ذكر هذه الكلمة عند التعجب هو ان الانسان عند المشاهدة الامر العجيب يستبعد وقوعه كانه يستقصر قدرة الله تعالى عليه و يخطر بباله ان يقول من يقدر عليه و يوجده ثم يتدارك انه فى هذا الزعم مخطئ فيقول سبحان الله تعالى تنزيها لله تعالى عن العجز عن خلق مثله من العجائب واعتقادا بانه تعالى على كل شئ قدير (قوله اوفصل له) يعنى يجوز ان يكون المراد بالتسبيح الصلاة تسمية للفعل باسم ماحل فيه لان الصلاة لاتخلو عنه فكانه جزء منها وقد عبر بلفظ التسبيح عن الصلاة فى مواضع من القرآن قال الله تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وقال فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وحمل اللفظ على المجاز لما وجب ان يستند الى قرينة تعين المعنى المجازى ايد هذا الاحتمال بما روى انه عليه الصلاة والسلام صلى ثمانى ركعات يوم فتح مكة داخل البيت ثم قيل انه عليه الصلاة والسلام صلاها شكر الله تعالى وقال آخرون هى صلاة الضحى وقيل اربع للشكر واربع للضحى (قوله اوفنزهه) لماروى انه عليه الصلاة والسلام سئل ما المراد بالتسبيح فى قوله تعالى فسبح بحمد ربك فقال تنزيه الله تعالى عن كل سوء فانه تعالى منزه فى ذاته وصفاته وافعاله عن كل مالايليق بشأنه الاعلى (قوله اوفاثن على الله تعالى) اى ويجوز ان يكون التسبيح لابمعنى التنزيه بل يكون بمعنى الثناء عليه تعالى بصفات الجلال ويكون التحميد بمعنى الثناء عليه بصفات الاكرام وصفات الجلال صفات دالة على عظمة الذات وكماله من غير كونها متعلقة بالمخلوق بالافضال والانعام عليه كالعظمة والكبرياء والملك والتقديس والعز والجبروت والعلم والسمع والبصر ونحوها وصفات الاكرام صفات لها آثار فى الخلق كالرحمن والرحيم والغفار والرزاق والوهاب والباسط والغنى ونحوها وقوله بحمد ربك حال من المنوى فى فسبح اى سبحه حامدا له اى مقدرا ان تحمده بعد التسبيح (قوله هضما لنفسك) اشارة الى ان الحكمة الداعية الى امر النبى المعصوم من الذنب بالاستغفار هضم النفس وكسرها بان يعدها قاصرة عن البلوغ الى درجة الكمال فى المعرفة والعبادة و يقول ماعرفناك حق معرفتك وماعبدناك

جماعات كثيفة كاهل مكة والطائف واليمن والهوازن وسائر قبائل العرب و يدخلون حال على ان رأيت بمعنى ابصرت او مفعول ثان على انه بمعنى علمت (فسبح بحمد ربك) فتعجب لتيسير الله مالم يخطر ببال احد حامدا له عليه اوفصل له حامدا على نعمه روى انه لمادخل مكة بدأ بالمسجد فدخل الكعبة وصلى ثمانى ركعات اوفنزهه عماكانت الظلمة يقولون حامدا له على ان صدق وعده اوفاثن على الله بصفات الجلال حامدا له على صفات الاكرام (واستغفره) هضما لنفسك واستقصارا لعملك واستدراكا لما فرط منك بالالتفات الى غيره وعنه عليه الصلاة والسلام انى استغفر الله فى اليوم والليلة مائة مرة وقيل استغفره لامتك وتقديم التسبيح ثم الحمد على الاستغفار على طريقة النزول من الخالق الى الخلق كما قيل مارأيت شيئا الا ورأيت الله قبله

حق عبادتك ولما كانت مراتب السير الى الله تعالى غير متناهية كانت كل مرتبة من مراتب العرفان فوقها مراتب آخر وعلى حسب تفاوت مراتب العرفان تتفاوت مراتب العبادة المتفرعة على معرفة عظمة المعبود فاذا وصل العبد الى مرتبة في العبودية ثم تجاوز عنها فبعد تجاوزه عنها يرى ذلك المقام قاصرا فيستغفر الله تعالى منه وهذا القدر انما يحتاج اليه على تقدير ان يكون معنى قوله تعالى واستغفره واستغفر الله لذنبك اما اذا كان معناه واستغفره لذنب امتك فالامر ظاهر (قوله كان توابا لمن استغفره منذ خلق المكلفين) يعني ان لفظ كان ههنا للدلالة على استمرار ثبوت خبرها لفاعلها منذ خلق المكلفين ومن كان هذا شانه افلا يقبل استغفارك وتوبتك فلا يرد ان يقال ان الافعال الناقصة انما تدل على زمان ثبوت خبرها لفاعلها فلفظ كان في الآية يدل على ان ذلك الثبوت في الماضي وكونه تعالى توابا في الماضي كيف يكون علة للاستغفار في الحال اوفي المستقبل ووجه سقوط هذا الوهم على توجيه المصنف ظاهر ومعنى كونه تعالى توابا انه يكثر منه قبول التوبة الكثيرة من التوابين اولكثرة ما تابوا منه من الذنوب (قوله ولعل ذلك) اي ولعل الوجه في كون نزول هذه السورة نعتا له عليه الصلاة والسلام ان كونه عليه السلام منصورا غالبا على اعدائه وحصول الفتح ودخول الناس في الدين افواجا يدل على تمام الدعوة والتبليغ وتمامه يدل على ارتحاله عليه الصلاة والسلام من هذه الدنيا اولان الامر بالاستغفار تنبيه على قرب الاجل كانه قيل قرب الوقت ودنا الرحيل فتأهب للامر ففيه تنبيه على ان العاقل يجب عليه ان يستكثر من التوبة والاستغفار اذا قرب اجله ولهذا سميت السورة سورة التوديع لما فيها من الدلالة على توديع الدنيا

(سورة المسد مكية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(قوله هلكت اوخسرت) فان التباب يكون بمعنى الهلاك كما في قوله شابة ام تابة اي ام هالكة ومنه قوله تعالى وما كيد فرعون الافي تباب اي في هلاك ويكون بمعنى الخسران ايضا كما في قوله تعالى وما زادوهم غير تتبيب اي غير تخسير بدليل انه يقال تب لفلان كذا اي استمر وتبت يدا ابي لهب اي استمرتا في الخسران والمراد بقوله تعالى يدا ابي لهب نفسه كما في قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وماقدمت يداه اي نفسه فعلى هذا يكون قوله تعالى تبت يدا ابي لهب دعاء عليه بهلاك نفسه (قوله وقيل انما خصتا الخ) يعني قيل المراد باليدين نفس الجارحتين المخصوصتين والمقصود من الكلام الدعاء عليه بهلاك يديه وخصتا بالدعاء بهلاكهما لقصده بهما رمي رسول الله صلى الله

انه كان توابا لمن استغفره منذ خلق المكلفين والاكثر على ان السورة نزلت قبل فتح مكة وانه نعي لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانه لما قرأها بكى العباس فقال عليه السلام ما يبكيك قال نعيت اليك نفسك فقال انها لكما تقول ولعل ذلك لدلالتها على تمام الدعوة وكمال امر الدين فهي كقوله اكملت لكم دينكم او لان الامر بالاستغفار تنبيه على دنو الاجل ولهذا سميت سورة التوديع * وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة اذا جاء اعطي من الاجر كمن شهد مع محمد يوم فتح مكة

(سورة ابي لهب مكية وآيها خمس)

بسم الله الرحمن الرحيم

(تبت) هلكت او خسرت والتباب خسران يؤدي الى الهلاك (يدا ابي لهب) نفسه كقوله ولا تلقوا بايديكم وقيل انما خصتا لانه عليه الصلاة والسلام لما نزل عليه وانذر عشيرتك الاقربين جمع اقاربه فانذرهم فقال ابو لهب تبا لك الهذا دعوتنا واخذ حجرا ليرميه به فنزلت

تعالى عليه وسلم حين انذره بعذاب الآخرة كأنه قيل شلت يداه كيف قصد
ان يرمي بهما سيد الكائنات وهو يدعوه لينجيه من شقاوة الابد الى سعادة
الدارين وابو لهب هو ابن عبد المطلب عم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وكان
شديد المعاداة له روي انه عليه الصلاة والسلام خرج الى سوق ذي المجاز يدعو
الناس الى التوحيد ويقول يا ايها الناس قولوا لا اله الا الله تفلحوا وابو لهب
خلفه يرميه وكان قد ادمى ساقه وعرقوبيه ويقول ايها الناس انه كذاب
فلا تصدقوه وروي انه اخذ حجرا ليرمي به رسول الله صلى الله عليه وسلم
فمنعه الله تعالى من ذلك حيث لم يستطع ان يرميه وهو قوله تعالى وتب (قوله
وقيل المراد بهما دنياه وآخرته) تشبيها باليدين من حيث انه يتسبب بهما
لما اصابه من الحوادث كما يتسبب الانسان بيديه لما يكسبه (قوله لاشتهاره
بكنيته) دون اسمه فان الرجل قد يكون مشهورا باحدهما دون الآخر
ولهذا يجعل اللقب عطف بيان للاسم اذا اشتهر الرجل بلقبه وقد يعكس
الامر اذا اشتهر باسمه ويؤيد هذا الوجه انه قرأ عليه الصلاة والسلام
تبت يدا ابولهب بالواو مع ان القياس ان يقرأ ابي لهب بالياء لكونه مضافا اليه
ووجه التأييد ان الشخص لما كان مشهورا بهذه الكنية وهي ابولهب بالواو
صارت بمنزلة اسم العلم فلم تتغير في شيء من الاحوال لان الاعلام لا تتغير بخلاف
المضاف في التركيب الاضافي فان اعرابه يتغير على حسب اختلاف العوامل
فيقال هذا ابولهب ورأيت ابالهب كما يقال علي بن ابوطالب ومعاوية بن
ابو سفيان بالواو فيهما لان كل واحدة من الكنيتين لما كانت بمنزلة العلم
لم تتغير لئلا يشكل فيهما المراد على السامع (قوله اولانه لما كان من
اصحاب النار كانت الكنية اوفق بحاله) فان مرجعه لما كان نارا ذات
لهب وافقت حاله كنيته فكان جديرا بان يذكر بابي لهب كما يقال
ابو الشر وابو الخير للشرير والخير (قوله وتب اخبار بعد دعاء) يعني ان
الجملة الاولى دعاء عليه بالهلاك كقوله تعالى قتل الانسان ما اكفره والمقصود
بيان استحقاقه لان يدعى عليه بالهلاك فان حقيقة الدعاء شأن العاجز وتعالى الله
عن ذلك علوا كبيرا والجملة الثانية اخبار عن تحقق المدعو ووقوع المطلوب
على نهج قول الشاعر وقد فعل على سبيل التفاؤل والعاويات في البيت روي
بالواو من عوى الكلب يعوي اذا صاح وبالدال من عدا في المشي اي اسرع
فلعل المراد بها الكلاب الكلبة وهي التي يأخذها شبه الجنون يسري مرضها
الى من تعضه ووجه قراءة وقد تب على كون الجملة الثانية اخبارا بعد دعاء ان
قد لا تدخل على الدعاء وانما تدخل على جملة خبرية مضمونها متوقع الحصول

وقيل المراد بهما دنياه
وآخرته وانما كناه
والتكنية تكرمة لاشتهاره
بكنيته اولان اسمه عبد
العزى فاستكره ذكره او
لانه لما كان من اصحاب
النار كانت الكنية اوفق
بحاله اوليجانس قوله ذات
لهب وقرأ ابن كثير ابي
لهب بسكون الهاء
وقرئ ابو لهب كما قيل
علي بن ابو طالب
(وتب) اخبار بعد
دعاء والتعبير بالماضي
لتحقق وقوعه كقوله
جزاني جزاه الله شر
جزائه * جزاء الكلاب
العاويات وقد فعل *
ويدل عليه انه قرئ
وقد تب

مثل قد خرج الامير لمن ينتظر خروجه فهذه القراءة دلت على ان ما بعدها ليس بدعاء كما قبلها (قوله او الاول اخبار عما كسبت يداه) اى اخبار بهلاك عمله وانه محروم مما يترتب عليه من المنافع والثانى اخبار بهلاك نفسه فانه هالك ضائع فى الدنيا والآخرة وانما عبر عن عمله باليدين لان اكثر الاعمال انما يحصل بمباشرة اليدين (قوله نفى لاغناء المال عنه) اى و يجوز اى تكون كلمة ما حرف نفى لامحل لها من الاعراب فعلى هذا يكون مفعول اغنى محذوفا اى لم يغن عنه ماله شيئا وهو استئناف جوابا عما كان يقول اللعين ان كان ما يقول ابن اخى حقا فانا افتدى منه نفسى بمالى وولدى و يجوز ان تكون استفهامية بمعنى الانكار فتكون فى موضع النصب باغنى اى اى شئ اغنى عنه ماله حين نزل به التباب والعذاب فانه لاحد اكثر مالا من قارون ومادفع عنه الموت والعذاب ولا اعظم ملكا من سليمان عليه الصلاة والسلام فهل دفع ذلك منه الموت ولم يصرح فى الآية ان المراد من الاغناء الاغناء فيما ذا قال بعضهم فى عداوة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فانه كان يعتقد ان يده هى العليا وانه يخرجه من مكة و يذله و يغلب عليه اعتمادا على كثرة امواله واولاده وقال بعضهم بل المعنى انهما لم يغنيا عنه فى دفع النار ولذلك قال سيصلى نارا فانه تصوير الهلاك بحيث يظهر معه عدم اغناء المال وما كسب و يؤيد هذا المعنى ماروى عنه من قوله ان كان ما يقوله ابن اخى حقا فانا افتدى منه نفسى بمالى واولادى (قوله وكسبه) على ان كلمة ما فى قوله وما كسب مصدرية وقوله اومكسوبه على ان تكون ماموصولة اوموصوفة اى والذى كسبه اوشئ كسبه والموصول وكذا الموصوف عبارة عن المكسوب فلذلك فسرها به فالكسب بمعنى المكسوب ثم انه يحتمل ان يكون المراد بماله رأس المال من اى نوع كان و بمكسوبه ما اكتسبه باصل ماله من النتائج والارباح و يحتمل ان يكون المراد بماله المال الذى ورثه من ابيه و بما كسب المال الذى كسبه بنفسه و يحتمل ان يكون المراد بماله مافى يده من المال مطلقا و بكسبه ما اكتسبه من الاعمال والاولاد والوجاهة والاتباع روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه انه قال ما كسب ولده وقد ورد فى الحديث تسمية الولد كسبا حيث قال عليه الصلاة والسلام ان اطيب ما يأكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه (قوله وقد افترسه اسد) اى اهلكه وكان ذلك بدعاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم دعا عليه لشدة عداوته له عليه الصلاة والسلام روى عن عروة بن الزبير ان عتبة بن ابى لهب كان تحته بنت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلما اراد ان يسافر الى الشام قال لآتين محمدا فلاوذينه فأتاه فقال يا محمد انى كافر بالنجم اذا هوى

او الاول اخبار عما كسبت يداه والثانى عن نفسه (ما اغنى عنه ماله) نفى لاغناء المال عنه حين نزل به التباب او استفهام انكار له ومحله النصب (وما كسب) وكسبه او مكسوبه بماله من النتائج والارباح والوجاهة والاتباع او عمله الذى ظن انه ينفعه او ولده عتبة وقد افترسه اسد فى طريق الشام وقد احدق به العير

وآباهي وتالفتك ثم تفل في وجه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ورد عليه ابنته وطلقها فقال عليه الصلاة والسلام اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وكان ابو طالب حاضرا عنده فوجم لها اى اشتد حزنه لاجل تلك الدعوة حتى امسك عن الكلام لاجل حزنه وقال ما اغناك يا ابن اخى عن هذه الدعوة فرجع عتبة الى ابيه فاخبره بما وقع له ثم خرج الى الشام فنزلوا منزلا فاشرف عليهم راهب من دير فقال ان هذه ارض مسبعة فقال ابولهب لاصحابه اغيثونا يامعاشر قريش هذه الليلة فانى اخاف على ابنى من دعوة محمد فجمعوا جمالهم واناخوها حولهم واحدقوا بعتبة فسلط الله تعالى الاسد وألقى السكينة على الابل فجعل الاسد يتخللهم و يشم وجوههم حتى وجد عتبة وافترسه فقال حسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه

من يرجع العام الى اهله ❁ فما اكيل السبع بالراجع

كان لكم فى هذه عبرة ❁ للسيد المتبوع والتابع

فعلى هذه الرواية احتمل ان يكون قوله تعالى تبت يدا ابى لهب اخبارا عن هلاك نفسه وقوله وتب اخبارا عن هلاك ولده عتبة وكون نزول هذه السورة متقدما على هلاكهما لاينافيه كون الاخبار بلفظ الماضى لان وروده بلفظ الماضى مبنى على انه محقق الوقوع فى علمه تعالى (قوله ومات ابولهب بالعدسة) وهى بثرة تخرج بالانسان وربما قتلت روى عن ابى رافع مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال كنت غلاما للعباس بن عبد المطلب وكان الاسلام دخل بيتنا فاسلم العباس وأسلمت ام الفضل وكان العباس يهاب القوم و يكتم اسلامه وكان ابولهب تخلف عن بدر فبعث مكانه العاص بن هشام ومن لم يتخلف رجل منهم الا بعث مكانه رجلا آخر فلما جاء الخبر عن واقعة اهل بدر وجدنا فى انفسنا قوة وكنت رجلا ضعيفا اعمل القداح فى حجرة زمزم فكنت جالسا وعندى ام الفضل جالسة وقد سرنا ما جاءنا من الخبر اذ أقبل ابولهب يجر رجليه فجلس على طنب الحجرة فكان ظهرى الى ظهره فبينما هو جالس اذ قال الناس هذا ابو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب فقال ابولهب كيف الخبر يا ابن اخى فقال لقينا القوم ومنحناهم اكتافنا يقتلوننا كيف ارادوا وايم الله ومع ذلك قالت الناس لقينا رجال بيض على خيل برق بين السماء والارض فقال ابو رافع فرفعت طنب الحجرة ثم قلت اولئك والله الملائكة فأخذنى وصرعنى على الارض ثم برك على يضربنى وكنت رجلا ضعيفا فقامت ام الفضل الى عمود فضربته على رأسه فشجته وقالت تستضعفه اذ غاب سيده والله نحن مؤمنون منذ كذا وقد صدق فيما قال فانصرف ذليلا فوالله ما عاش الا سبع ليال حتى رماه الله تعالى

ومات ابولهب بالعدسة بعد وقعة بدر بأيام معدودة وترك ميتا ثلاثا حتى انتن ثم استأجروا بعض السودان حتى دفنوه فهو اخبار عن الغيب طابقه وقوعه (سيصلى نارا ذات لهب) اشتعال يريد نار جهنم

بمكنسة فقتلته ولقد تركه ابناه ليلتين اوثلاثا ما قبر بدفناه حتى انتن في بيته والانتي قريش تتق العدسة وعدوانها كما تتق الناس الطاعون و يقولون نخشى هذه القرحة ثم دفنوه فهذا معنى قوله تعالى ما اغنى عنه ماله وما كسب والله اعلم فهو من جملة معجزاته عليه الصلاة والسلام حيث اخبر عن الغيب وطابقه وقوعه لان السورة مكية وكان هلاكه بعد الهجرة بزمان (قوله وليس فيه مايدل على انه لايؤمن) اى حتى يستدل به على وقوع التكليف بما لايطاق بناء على انه لاشك ان ابالهب مكلف بان يؤمن بجميع ماجاء به عليه الصلاة والسلام من عند الله تعالى ومن جملة ماجاء به انه لايؤمن وهذا تكليف بالجمع بين النقيضين وذلك مما لايطاق فالآية دليل على وقوع التكليف بمع ان العلماء اتفقوا على عدم وقوعه استدلالا بقوله تعالى لايكلف الله نفسا الاوسعها فانه يدل على عدم وقوع ذلك وان لم يدل على عدم جوازه والامر في قوله تعالى انبئونى باسماء هؤلاء للتعجيز لا للتكليف وقوله تعالى حكاية عن المؤمنين ربنا ولاتحملنا مالاطاقة لنا به ليس المراد بالتحميل التكليف بما لاطاقة لهم به بل ايصال مالايطاق من العوارض اليهم واذ قد تبين ان التكليف بما لايطاق غير واقع باتفاق العلماء فاعلم انهم اختلفوا في الجواز فمنعه الحنفية والغزالى من الشافعية والمعتزلة وجوزه الاشعرى ومن تابعه والمراد بما لايطاق اعم مما يكون ممتنعا في نفسه كالجمع بين الضدين اوممكنا في نفسه خارجا عن قدرة العبد كخلق الاجسام واما مايمتنع بناء على انه تعالى علم خلافه واراد خلافه كايمان الكافر وطاعة الفاسق فلا نزاع في جواز التكليف به ووقوعه لكونه مقدورا للمكلف في نفسه (قوله عطف على المستكن في سيصلى) وهى ام جميل بنت الحارث اخت ابى سفيان عمة معاوية كانت شديدة العداوة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قرأ عاصم حمالة بالنصب على الشتم والذم

وقد اتى بجميل * من سب ام جميل

وقرأ الباقون بالرفع اما على ان قوله وامرأته حمالة الحطب جملة اسمية سيقت للاخبار عنها بذلك واما على ان وامرأته عطف على مستكن في سيصلى وحمالة صفة لامرأته وجاز ذلك لكون اضافتها معنوية لكونها بمعنى الماضى او بدل اوعطف بيان لها اوخبر مبتدأ محذوف اى هى حمالة اومبتدأ خبره في جيدها (قوله يعنى حطب جهنم) جواب عما يقال انها كانت من بيت العزة اخت ابى سفيان فكيف يصح لها ان تكون حمالة الحطب واجاب عنه بثلاثة اوجه الاول انه ليس المراد بالحطب الحطب المتعارف بل المراد به ماحملته من الآثام والاوزار بسبب معاداتها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وحملها زوجها

بما يدل على انه لايؤمن لجواز ان يكون صليها للفسق وقرئ سيصلى بالضم مخففا ومشددا (وامرأته) عطف على المستكن في سيصلى اومبتدأ وهى ام جميل اخت ابى سفيان (حمالة الحطب) يعنى حطب جهنم فانها كانت تحمل الاوزار بمعاداة الرسول عليه الصلاة والسلام وتحمل زوجها على ايذائه اوالنميمة فانها توقد نار الخصومة اوحزمة الشوك والحسك كانت تحملها فتنثرها بالليل في طريق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقرأ عاصم بالنصب على الشتم (في جيدها حبل من مسد) اى مما مسد اى فتل ومنه رجل ممسود الخلق اى مجدوله وهو ترشيح للمجاز او تصوير لها بصورة الحطابة التى تحمل الحزمة وتربطها في جيدها تحقيرا لشأنها

على ايذائه عليه الصلاة والسلام استعير الحطب لتلك الآثام تشبيها لها بالحطب في ان كل واحد منهما سبب لايقاد النار واشتعالها اذ توقد بها نار جهنم كما ان الحطب يوقد به نار الدنيا والثاني ان الحطب مستعار للنميمة فانها توقد بها نار الفتنة والخصومة كما ان الحطب توقد به النار فان النمام يعمل في ساعة ما لا يعمل الساحر في شهر وعلى التقدير ين يكون قوله في جيدها حبل من مسد ترشيحا للاستعارة والاستعارة المرشحة ما اقترن بها ما يلائم للمستعار منه وهو ههنا الحطب الحقيقي ولا بعد ان يلقي حاملة الحبل على جيده بان يجعله حزمة ويحمله على ظهره بالحبل المرسل على الجيد والثالث ان الحطب على حقيقته الا انها لا تحمله لمصلحة بيتها حتى يقال انها من بيت الشرف والسمت فكيف تحتطب بنفسها بل المراد انها لشدة عداوتها لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تحمل بنفسها حزمة من الشوك والحسك والحطب والسعدان فتنثرها بالليل في طريقه صلى الله تعالى عليه وسلم ليتأذى به عند خروجه للصلاة فكان عليه الصلاة والسلام يطأه كما يطأ الحرير قيل كانت ام جميل تأتي كل يوم باباله من الحسك فتطرحها في طريق المسلمين فبينما هي حاملة حزمة ذات ليلة اعييت فقعدت على حجر لتستريح فجذبها الملك من خلفها فاهلكها بان خنقها بذلك الحبل فقوله تعالى في جيدها حبل من مسد تصوير لها بصورة الحطابة التي تحتطب لنفسها تحقير الشأنها لان الحطب لو حمل على الحقيقة لم يكن في الكلام استعارة حتى يكون قوله في جيدها ترشيحا لها (قوله او بيانا لحالها) عطف على قوله تحقير الشأنها اي ويجوز ان يكون المقصود من تصويرها بصورة الحطابة بيان ان حالها في نار جهنم تكون على نحو ما كانت عليه في الدنيا جزاء وفاقا بعملها فلا يزال على ظهرها حزمة من حطب جهنم من شجر الزقوم ونحوه وفي جيدها سلسلة من النار كما انها في الدنيا على هذه الصورة (قوله والظرف) وهو قوله في جيدها في موضع الحال من قوله وامرأته وقد مر انه مستكن في صلى فيكون في معنى الفاعل وحبل فاعل الظرف لاعتماده على ذي الحال وقوله او الخبر اي او هو في موضع الخبر لقوله وامرأته على ان يكون مرفوعا بالابتداء وحبل فاعل بالظرف ايضا لاعتماده على المبتدأ روي عن اسماء رضي الله تعالى عنها انها قالت لما نزلت سورة تبت يدا ابي لهب جاءت ام جميل ولها ولولة وبيدها حجر فدخلت المسجد ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جالس ومعه ابو بكر رضي الله تعالى عنه وهي تقول

مذمما قلينا * ودينه أبينا * وحكمه عصينا

فقال ابو بكر رضي الله تعالى عنه يا رسول الله قد اقبلت اليك وانا اخاف ان تراك

او بيانا لحالها في نار جهنم حيث يكون على ظهرها حزمة من حطب جهنم كالزقوم والضريع وفي جيدها سلسلة من النار والظرف في موضع الحال او الخبر وحبل مرتفع به * عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة تبت رجوت ان لا يجمع الله بينه وبين ابي لهب في دار واحدة

(سورة الاخلاص مختلف فيها وآيها اربع)
(بسم الله الرحمن الرحيم)
(قل هو الله احد) الضمير الشان كقولك هو زيد منطلق وارتفاعه بالابتداء وخبره الجملة ولا حاجة الى العائد لانها هي هو اولما سئل عنه اي الذي سألتم عنه هو الله اذروى ان قريشا قالوا يا محمد صف لنا ربك الذي تدعونا اليه فنزلت وأحد بدل اوخبرثان يدل على مجامع صفات الجلال كما دل الله على جمع صفات الكمال

فقال عليه الصلاة والسلام انها لن تراني وقرأ فاذا قرأت القرآن جعلنا بينك و بين الذين لايؤمنون بالآخرة حجابا مستورا فلما انتهت الى ابي بكر رضي الله تعالى عنه قالت له قد ذكر لي ان صاحبك هجاني فقال ابو بكر لاورب الكعبة ما هجاك فولت وهي تقول قد علمت قريش اني بنت سيدها وانما حلف ابو بكر بانه عليه الصلاة والسلام ما هجاها بناء على انه من باب المعاريض لان القرآن لايسمى هجوا ولانه كلام الله تعالى لاكلام الرسول ففيه دليل على جواز المعاريض والله سبحانه وتعالى اعلم

(سورة الاخلاص مكية وقيل مدنية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(قوله الضمير للشان اولما سئل عنه) يعني ان ضمير هو فيه وجهان الاول انه ضمير الشأن لانه في موضع التفخيم وتفسير الشيء بعد ذكره مبهما يفيد ذلك فيكون مبتدأ والجملة الاسمية بعده خبره والخبر الجملة لما كان عبارة عن المبتدأ متحدا معه بالذات استغنى عن العائد والثاني انه عائد الى المسئول عنه المدلول عليه بالسؤال الصادر منهم قبل نزول هذه السورة قال الضحاك ان المشركين ارسلوا عامر بن الطفيل الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقالوا قل له شققت عصانا وسببت آلهتنا وخالفت دين آبائك فان كنت فقيرا أغنيناك وان كنت مجنونا داويناك وان هويت امرأة زوجناكها فقال عليه الصلاة والسلام لست بفقير ولامجنون ولاهويت امرأة انا رسول الله أدعوكم من عبادة الاصنام الى عبادة رب الانام فارسلوه ثانيا وقالوا قل له بين جنس معبودك أمن ذهب ام فضة فانزل الله تعالى هذه السورة فقالوا لنا ثلاثمائة وستون صنما لاتقوم بحوائجنا فكيف يقوم الواحد بحوائج الخلق فنزلت والصافات صفا الى قوله ان الهكم لواحد (قوله وأحد بدل اوخبرثان) يعني ان هو اذا لم يكن ضمير الشان بل كان ضمير ماسئل عنه وكان لفظ الجلالة خبره يحتمل ان تكون لفظة احد بدلا من الخبروان تكون خبرا ثانيا والمشهور عند النحاة ان النكرة الغير الموصوفة لاتكون بدلا من المعرفة لئلا يكون ماهو انقص في الدلالة على الذات المرادمقصودا بالنسبة وماهوأتم فيها توطئة لذكره واحد نكرة غير موصوفة فجعله بدلا من لفظ الجلالة مخالف لهذه القاعدة الا ان هذه القاعدة لما لم تكن متفقا عليها فان أبا علي جوز ابدال النكرة الغير الموصوفة من المعرفة جوز المصنف ابدال احد من لفظ الجلالة بناء على مذهب من جوز مثل ذلك (قوله يدل على مجامع صفات الجلال) مجامع بفتح الميم الاولى جمع مجموعة انث لتأنيث ماهي عبارة عنه وهو صفات الجلال اي الصفات السلبية وسميت صفات الجلال لكونها من الفضائل

(اللازمة)

اللازمة (قوله الا الواحد) اشارة الى ان الاحد بمعنى الواحد وان اصله وحد قلبت همزته واو التضعيف واكثر مايفعلون هذا فى الواو المضمومة والمكسورة الواقعتين اول الكلمة نحو أجوه واشاح فى وجوه ووشاح وقيل بينهما فرق بان الاحدية عبارة عن تفرد الذات وعدم تركيبها بشئ من الجائز التركيب اى لاتركيبا خارجيا ولاعقليا والواحدية عبارة عن انتفاء المشاركة فى الصفات وكون لفظة الله دالة على جميع صفات الكمال ظاهر لانه اسم للذات الواجب الجامع لجميع الصفات الذاتية والفعلية ولجميع الفضائل الذاتية الفواضل المتعدية وأما كون احدا دالا على جميع صفات الجلال فلان احدية الشئ عبارة عن كونه واحدا حقيقيا لاتعددفيه لافى ذاته ولافى صفاته وافعاله ومعنى كونه واحدا فى ذاته ان لايكون منقسما الى أبعاض واجزاء خارجية ولاعقلية والله تعالى يجب ان يكون كذلك لانه لو كان مركبا فى الخارج لكان مفتقرا الى كل واحد من اجزائه وكل واحد من اجزائه غيره فيكون مفتقرا الى غيره والمفتقر الى الغير ممكن فى نفسه ومبدأ الممكنات يمتنع كونه ممكنا فى نفسه ولو كان مركبا فى العقل لكان مشاركا لغيره فى ماهية ذلك الغير فيحتاج الى فصل يميزه عنه وذلك يستلزم امكان الواجب ايضا لان كل ماهية لما سواه تقتضى الامكان فلو كانت تلك الماهية ماهية للواجب لزم امكانه ومعنى كونه واحدا فى صفاته ان لا يكون له نظير ولاشبيه يضاهيه فى شئ من صفاته وليس له تعالى نظيراً يضاهيه فى شئ من صفاته اذ لو كان له نظير كذلك لاشتركا فى ذلك الوصف ولتميز الواجب عنه بحسب التعين العارض له ولو كان كذلك لكان مركبا مما به المشاركة والممايزة وقد مر ان التركيب يستلزم الامكان وينافى الوجوب الذاتى فوجب كونه تعالى واحدا فى صفاته ومعنى كونه واحدا فى افعاله ان لايكون له شريك فى افعاله فانه اذا كان له شريك فى افعاله لايخلوا ما ان يحتاج اليه فى فاعليته او كان كل واحد منهما مستقلا فى الفاعلية والتأثير والاول يستلزم الامكان والثانى يبطله برهان التمانع فقد ثبت ان الواحد الحقيق ما يكون منزه الذات عن التركيب الخارجى والعقلى وعن أنحاء التعدد ايضا بان يكون له من يشاركه فى صفاته وافعاله وذلك يستلزم ان لايكون جسما لان الجسمية تستلزم التركيب الخارجى لان كل جسم مركب فى ذاته من الاجزاء وان لايكون متحيزا لان التحيز ايضا يستلزم التركيب الخارجى فان كل متحيز يميزه مغاير لشماله فيكون منقسما وان لايشاركه احد فى نفسه حقيقته ولافى خواص تلك الحقيقة لان المشاركة فيهما اى فى الحقيقة الواجبة وخواصها المقتضية للالوهية تستلزم كونه تعالى متميزا عما يشاركه بحسب التعين العارض للماهية وذلك يستلزم كونه تعالى مركبا مما به المشاركة ومابه

اذ الواحد الحقيقى مايكون منزه الذات عن أنحاء التركيب والتعدد وما يستلزم احدهما كالجسمية والتحيز والمشاركة فى الحقيقة وخواصها كوجوب الوجود والقدرة الذاتية والحكمة التامة المقتضية للالوهية وقرئ هو الله بلا قل مع الاتفاق على انه لابد منه فى قل يا أيها الكافرون ولايجوز فى تبت

الامتياز وقد مر ان التركيب مناف للوجوب الذاتي فثبت ان الاحدية دالة على جميع صفات الجلال كما ان لفظ الله دال على جميع صفات الكمال فاذا تقرر هذا ثبت ان الاخبار عن مسئولهم بانه الله احد مع وجازة لفظه اتم بيان واكمل تعريف له بالنسبة الى البشر اذ لا سبيل لهم الى معرفة كنه ذاته وانما الذي في وسعهم معرفته بصفاته الذاتية والفعلية وبصفاته السلبية وهذا الاخبار كافل لمعرفته تعالى بهذا الوجه لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد (قوله ولعل ذلك) اى ولعل وجه الفرق بين السور الثلاث بان وقع الاتفاق على تصدير واحدة منها بكلمة قل وعلى عدم التصدير بها في الاخرى وجواز القراءة بها وبدونها في الثالثة ان سورة الكافرين مشافهة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ومخالفته لقومه في امر العبادة بان ينفرد كل واحد منهما بعبادة معبود غير معبود الآخر ومن المعلوم ان المشافهة لا تناسب ان تقع منه عليه الصلاة والسلام من عند نفسه من غير ان يكون مأمورا بها من قبله تعالى لانه عم ارسل لدعوة الخلائق الى اتباعه وطاعته في جميع ما جاء به من عند الله تعالى فكيف يليق به ان يقول لقومه من عند نفسه لا نجتمع متعاندين واحد ولا نتفق على عبادة معبود بل لكل واحد مني ومنكم معبود على حدة او ان يوادعهم اى يتركهم وما يدينون ولانه كيف لا يليق بالمؤمن ان يحكم على احد ويقول له من عند نفسه انك ممن ختم الله على قلبه فلا تؤمن ابدا ولا تعبد الله لحظة وانما يتأتى له ذلك اذا بين الله تعالى ان الامر كذلك وامره ان يخبره بذلك وان سورة تبت معاتبة عمه عليه الصلاة والسلام ومن المعلوم ايضا ان معاتبة العم ومشافهته بهذا التغليظ الشديد لا يناسب ان تقع منه عليه الصلاة والسلام لا من عند نفسه ولا بان يكون مأمورا بها من قبله تعالى لان للعم حرمة كحرمة الاب لان اب الرجل وعمه شعبتان من اصل واحد كما قال عليه الصلاة والسلام عم الرجل صنو ابيه وكل من كان في منصب الرسالة والدعوة الى الحق يجب ان تكون معاملته مع اعمامه باللطف واللين كما قال تعالى لموسى وهرون عليهما الصلاة والسلام فقولا له قولا لينا وقال لسيد المرسلين صلى الله تعالى عليه وسلم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاذا وجب مراعاة اللين مع عامة القوم فكيف بالعم الذي هو كالاب في استحقاق التعظيم والتكريم لا سيما ممن هو على خلق عظيم ومبعوث رحمة للعالمين فلذا لم تصدر سورة تبت بكلمة قل صونا له عليه الصلاة والسلام من ان يشافه عمه بالشتم والتغليظ وان شتمه عمه الخبيث بقوله تبالك ألهذا دعوتنا فكأنه تعالى يقول اسكت انت وتخلق بما نزل عليك من قولي واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ما انا اجيب عنك واشتمه فانزل قوله تبت يدا ابى

ولعل ذلك لان سورة الكافرين مشافهة الرسول عليه الصلاة والسلام ومواد عته لهم وتبت معاتبة عمه فلا يناسب ان يكون منه واما هذا فتوحيد يقول به تارة ويؤمر بان يدعو اليه اخرى

[illegible]
[illegible] الله تعالى [illegible] اذا [illegible]
[illegible] محمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم [illegible]
[illegible] فلما [illegible] ابو بكر في الجواب [illegible]
[illegible] صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ابو بكر ما السبب في ذلك قال
[illegible] ما دمت ساكتا فالملك يجيب عنك فلما شرعت في الجواب انصرف الملك
وجاء الشيطان واما سورة الاخلاص فانها توصيف له تعالى بالوحدة والصمدية
وتنزيه له تعالى عن الاولاد والاكفاء فصح ان يصدر عنه عليه الصلاة والسلام
من تلقاء نفسه وان يؤمر بان يصعد اليه فيلزم لذلك كونها مصدرة بقل
وكونها غير مصدرة به وهذا ما فهمته من قول المصنف ولعل ذلك الى آخره
الا انه محل تأمل لان قوله ونبذ معالمه عنه فلا يناسب ان يكون منه يدل على انه
عليه الصلاة والسلام لا مدخل له في هذا الكلام على تقدير عدم تصدير
السورة بقل سوى كونه تاليا لكلام الله المنزل اليه وقوله مقول به يدل على انه
عليه الصلاة والسلام يتكلم به من قبل نفسه على تقدير عدم تصديرها بقل
فبينهما تدافع ولان تعليل وجوب تصدير احدى السورتين بقل وعدم جواز
التصدير به في الاخرى بقوله فلا يناسب ان يكون منه تعليل الحكمين المختلفين
بعلة واحدة بحسب الظاهر وقوله وموادعته لهم معطوف على المشاقة
بالواو في اكثر النسخ والظاهر ان يعطف عليها بكلمة او و يكون المعنى لان
السورة من اولها الى آخرها اما مشاقة معهم بان يكون قوله تعالى لكم دينكم
ولي دين فذلكة لما سبق وتقريرا له وتكون اللام في قوله تعالى لكم ولي
متعلقة بالثبات والدوام المقدر كما اختاره المصنف واما ان آخر السورة
موادعتهم ومتاركتهم وما قبله تمهيد له كما اشار اليه بقوله اللهم الا اذا فسر
بالمتاركة وكلا التقديرين لا يناسب ان يكون منه عليه الصلاة والسلام وعطفه
بالواو يشعر ان تكون السورة مشاقة وموادعة وجه آخر في تفسيرها والجمهور
كسروا التنوين احد الله الصمد حال الوصل لالتقاء الساكنين التنوين ولام التعريف
وعن ابن عمر انه قرأ احد الله الصمد بضم الدال من غير تنوين بناء على ان التنوين
نون ساكنة والنون تشابه حروف اللين في انها من حروف الزيادة فلما شابهتها
حذفت عند اتصالها بالساكن كما يحذف حرف اللين عنده في نحو يغزوا القوم
ويرمي القوم ولهذا الوجه ايضا حذفت النون الساكنة في الفعل المجزوم
فقيل فلم يك ينفعهم ايمانهم ولاتك في مرية وعن ابن عمر ايضا احد الله الصمد
باسكان الدال وقطع همزة الوصل من غير سكت بينهما على اجراء الوصل
مجرى الوقف لاستمرار الوقف عليه وكثرته في ألسنتهم وفرارا من ثقل الحركة

(الله الصمد) السيد المصمود اليه فى الحوائج من صمد اذا قصد وهو الموصوف به على الاطلاق فانه يستغنى عن غيره مطلقا وكل ماعداه محتاج اليه فى جميع جهاته وتعريفه لعلمهم بصمديته بخلاف احديته وتكرير لفظ الله للاشعار بان من لم يتصف به لم يستحق الالوهية واخلاء الجملة عن العاطف لانها كالنتيجة للاولى او الدليل عليها

[illegible] ين وقال [illegible] التركة [illegible] كذلك وصلا على السكون (قوله السيد المصمود اليه) على ان الصمد فعل بمعنى مفعول كقبض بمعنى مقبوض من صمده اذا قصده روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال لما نزل الله الصمد قالوا وما الصمد فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الصمد الذى يصمد الناس اليه فى الحوائج اى تقصده والصمد بالسكون القصد ولاشك ان من يقصد اليه فى جميع المهمات ويرجع اليه فى جميع الحاجات يكون مستغنيا عن كل ماعداه وكاملا فى جميع صفاته وافعاله فهو غاية السيادة ونهاية رفعة الشأن وعلو القدر (قوله وهو الموصوف به على الاطلاق) قال حجة الاسلام الغزالى نور الله مرقده ومن جعله الله تعالى مقصد العباد فى مهمات دينهم ودنياهم واجرى على لسانه ويده حوائج خلقه فقد انعم عليه بحظ من هذا الوصف لكن الصمد المطلق هو الذى يقصد اليه فى جميع الحوائج وهو الله تعالى جل جلاله (قوله وتعريفه لعلمهم بصمديته) فان العرب بل اكثر الخلق تعرف انه تعالى هو الذى يقصد اليه فى الحوائج وان جميع ماسواه مفتقر اليه كما قال تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فلذلك جاء لفظ الصمد معرفا بخلاف احديته فانه لايخطر ببال اكثر الخلق ان فى الوجود ذاتا لاتركيب ولاانقسام فيه بوجه من الوجوه فضلا عن كونه واحدا فى صفاته بان لايكون له نظير وشبيه يضاهيه فى شئ من صفاته وواحدا فى افعاله بان لا يكون له شريك فيها وذلك لانهم لا يعرفون من الموجودات غير المحسوسات وكل محسوس منقسم فتبين انهم لا يعرفون موجودا هو واحد فى ذاته لا تعدد فيه بوجه فنكر لفظ احد لذلك (قوله للاشعار) وجه الاشعار ان قوله تعالى الله الصمد جملة اسمية طرفاها معرفتان فدل على انحصار الصمدية فيمن اتصف بالالوهية وعدم تحققها فيمن سواه وكونها من توابع الالوهية يشعر بان من لايكون صمدا لايستحق ان يكون الها لان انتفاء التابع يشعر بانتفاء المتبوع وهذا الاشعار يكون بتكرير اسم الله وجعل الصمد خبرا عنه اذ لو قيل هو الله احد الصمد من غير تكرير اسم الله لكان بمعنى ان الشأن الله احد الصمد او ان المسؤل عنه هو الله وما بعده بدل من الجلالة او خبر ثان وعلى تقدير ان يكون الكلام خاليا عن الاشعار المذكور وكرر مع عدم الاحتياج اليه لابد ان يكون ذلك النكتة والاشعار المذكور يصلح ان يكون نكتة فحمل عليها (قوله لانها كالنتيجة للاولى او الدليل عليها) وجه كون الجملة الثانية كالنتيجة للاولى ان من كان واحدا حقيقيا منزها عن انحاء التركيب والتعدد فى ذاته وصفاته وافعاله يكون مبدأ للكائنات باسرها

حافظاالهاومدبرا فلاحرم لايصمد فى الحوائج الااليه فظهر به ان كونه تعالى
صمدا نتيجة متفرعة على احديته ووجه كونها كالدليل على الاولى ان من كان
صمدا وملجأ لارباب الحاجات لابد وان يكون فى اعلى درجات الكمال منزها
عن جميع وجوه النقصان قادرا على جميع الممكنات عالما بجميع المعلومات وذلك
يستلزم الاحدية (قوله لانه لم يجانس) حتى يكون له من جنسه صاحبة فيتولد
منهما من يجانسهما والحمار وان لم يكن من نوع الفرس لكنه من جنسه
وان القوة المولدة تكون وسيلة الى توليد المماثل والمجانس ولا تكون وسيلة الى
توليد المباين ونفى المجانسة يستلزم نفى المماثلة لان انتفاء العام يستلزم انتفاء الخاص
على المصنف نفى كونه تعالى والدا بطريقين الاولى ان الولد لابد ان يكون من
جنس والده بمصاحبة من يجانسه ولا مجانسة فلا ولادة والثانية ان الولادة
مبنية على الاحتياج الى مايعينه فى حياته ويخلف عنه بعد وفاته ولا احتياج
ولا فناء فلا ولادة تتفرع عليهما فكلمة او فى قوله او يخلف عنه بعد وفاته
لتقسيم احوال الوالد وقدم نفى كونه والدا على نفى كونه مولودا من حيث
ان الكفرة ادعوا ان له ولدا ولم يدعوا ان له والدا فان مشركى العرب قالوا
الملائكة بنات الله وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح
ابن الله فبدأ بالاهم فقال لم يلد ثم اتبعه بقوله ولم يولد تعليلا لقوله لم يلد لانه
لما وقع الاتفاق على انه تعالى لم يكن ولدا لغيره ثبت انه لم يلد غيره (قوله
ولعل الاقتصار على لفظ الماضى) وعدم التعرض بانه لايلد فى المستقبل مبنى
على ان المقصود من الآية تكذيبهم فى قولهم ولد الله وان الملائكة بنات الله
وان المسيح ابن الله وكذا عزير ومرجع الجميع انه تعالى ولد فى الزمان الماضى
ولو كان المقصود بيان زعمهم انه لايلد فى شئ من الازمنة الثلاثة لما صح الاقتصار
على لفظ الماضى (قوله وذلك) اى وبيان وجه كونه تعالى منزها عن كونه
مولودا لغيره ان المولودية تقتضى النقصان من وجهين الاول كونه معلولا
لوالده مفتقرا اليه والثانى كونه حادثا مسبوقا بالعدم تعالى شأنه عن كل واحد
من الامرين (قوله اى ولم يكن احد يكافئه اى يماثله) اشارة الى ان احد
اسم يكن وكفوا خبره وله متعلق بكفوا لما فيه من معنى الفعل وهو المماثلة
والكفؤ المثل والشبيه والمعنى لم يكن احد كفوا له اى مثلا له ولما ورد على
هذا التوجيه ان يقال على تقدير ان يكون قوله له ظرفا لغوا متعلقا بكفوا كان
حقه ان يؤخر عن اسم كان وخبره لان الظرف اللغو فضلة يتم الكلام
بدونه والاصل فى الكلام الفصيح ان يؤخر الظرف اللغو عن فاعل الفعل
ومفعوله لانهما مقصودان بالنسبة وتقديم المقصود اولى وافصح فيكون

(لم يلد) لانه لم يجانس
ولم يفتقر الى ما يعينه
او يخلف عنه لامتناع
الحاجة والفناء عليه ولعل
الاقتصار على لفظ
الماضى لوروده ردا
على من قال الملائكة
بنات الله او المسيح ابن الله
او ليطابق قوله (ولم
يولد) وذلك لانه لايفتقر
الى شئ ولا يسبقه عدم
(ولم يكن له كفوا احد)
اى ولم يكن احد يكافئه
اى يماثله من صاحبة
وغيرها وكان اصله ان
يؤخر الظرف لانه صلة
كفوا لكن لما كان المقصود
نفى المكافأة عن ذاته تعالى
قدم تقديما للاهم

تقديم اللغو فيها على لا يفتصاحة لكونه خلاف الاصل فكيف قدم ه في الآية مع انه ظرف لغو ثم الكلام بتوله باسم كان و خبره اشار الى جوابه فقال وكان اصله ان يؤخر الظرف لانه صلة اى لغو وفضلة لا يفتقر اليه الكلام في تمامه و الظرف المستقر يفتقر تمام الكلام اليه لكونه خبرا فيه كما في قولك لم يكن فيهـا احد خير منك فان الظرف فيه مستقر لانه خبر كان و تقرير الجواب ان الظرف اللغو و ان كان الاصل فيه ان يؤخر الا ان هذا الاصل قد يترك اذا عرض للظرف اللغو ما يجعله مهما بالنسبة الى عامله فيقدم عليه لكونه اهم بالنسبة اليه كما يقدم المفعول على الفاعل اذا عرض له ما يجعله مهما بالنسبة الى الفاعل والمقصود في الآية ليس نفى ان يكون احد كفوا لشئ ما مطلقا بل المقصود نفى كونه كفوا لذاته تعالى (قوله و يجوز ان يكون حالا) عطف من حيث المعنى على قوله اى ولم يكن احد يكافئه فانه يفهم منه انه ظرف لغو متعلق بكفوا اى و يجوز ان لا يكون الظرف لغوا بان يكون حالا من المستكن في كفوا على انه صفة له في الاصل فلما قدم عليه انتصب حالا فاحد اسم يكن و كفوا خبره وله حال او بان يكون الظرف خبر او يكون كفوا منصوبا على انه حال من احد لانه كان صفة له في الاصل فلما تقدم عليه انتصب حالا قال ابو البقاء قوله احد اسم كان وفي خبرها وجهان احدهما ان الخبر كفوا فعلى هذا يجوز ان يكون له حالا من كفوا لان التقدير ولم يكن احد كفوا له وان يتعلق بيكن و الوجه الثانى ان يكون الخبر له وكفوا حال من احد أى ولم يكن له احد كفوا فلما قدم على النكرة انتصب حالا منها (قوله ولعل ربط الجمل) كانه جواب عما يتوهم من ان الجمل الثلاث في الآية من قبيل قولك زيد شاعر وعمر وطويل فان عطف الجملة الثانية على الجملة الاولى فيه لا يصح مطلقا اى سواء كان بين زيد وعمر ومناسبة كالاخوة والصداقة ونحوهما اولم يكن لعدم المناسبة بين المسندين اعنى الشعر وطول القيامة فينبغى ان لا يصح ربط الجمل الثلاث في الآية بالعطف لعدم المناسبة بين ما وقع مسندا فيها وهو الوالدية والمولودية والكفاءة فانها امور متباينة وتقرير الجواب منع انتفاء المناسبة بينها فانها امور متناسبة من حيث ان كل واحدة منها قسم من اقسام المثل فان المقصود من قوله لم يلد ان ينفى عنه تعالى القسم المخصوص من اقسام المثل وهو الولد ومن قوله ولم يولد ان ينفى عنه تعالى القسم الآخر منها وهو الوالد ومن قوله ولم يكن له كفوا احد ان ينفى عنه باقى اقسامه كالصاحبة والشريك ونحوهما فتحقق الجامع بين تلك الجمل الثلاث باعتبار اتحاد المسند اليه وتناسب المسند عطف

و يجوز ان يكون حالا من المستكن في كفوا او خبرا و يكون كفوا حالا من احد ولعل ربط الجمل الثلاث بالعطف لان المراد منها نفى اقسام الامثال فهى كجملة واحدة منبه عليها بالجمل

بعضها على بعض (قوله قرأ حمزة و يعقوب ونافع فى رواية كفؤا بالتخفيف) اى بسكون الفاء مهموزا وقرأ حفص كفوا بضم الكاف والفاء غير مهموز وقرأ الباقون بضمتين مهموزا وفى التيسير قرأ حفص بضم الكاف والفاء منونا من غير همزة و حمزة باسكان الفاء مع الهمزة فى الوصل فاذا وقف ابدل الهمزة واوا مفتوحة اتباعا للخط والباقون بضم الفاء مع الهمزة منونا وقد تقرر ان كل اسم على ثلاثة احرف اوله مضموم فانه يجوز فى عينه الضم والاسكان الا فى قوله تعالى و جعلوا له من عباده جزؤا (قوله فان مقاصده محصورة) اى فى ثلاثة وهذه السورة الكريمة كافلة بواحد منها وهو بيان العقائد فلما كانت كافلة بثلث مقاصد القرآن كانت معادلة لثلثه روى عن سهل بن سعد انه جاء رجل الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وشكا اليه الفقر فقال اذا دخلت بيتك فسلم ان كان فيه احد وان لم يكن فيه احد فسلم على نفسك واقرأ قل هو الله احد مرة واحدة ففعل ذلك فادر الله تعالى عليه رزقا حتى افاض على جيرانه وروى انه عليه الصلاة والسلام دخل المسجد فسمع رجلا يدعو ويقول اسألك يا الله يا احد يا صمد يا من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد مغفرتك مغفرتك مغفرتك ثلاث مرات فقال عليه الصلاة والسلام غفر لك غفر لك غفر لك ثلاث مرات

(سورة الفلق مكية و قيل مدنية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الفلق بسكون اللام الشق يقال فلقت الشئ فلقا فانفلق وتفلق اى شققته فانشق وتشقق والفرق بمعنى التمييز والتبيين قال الله تعالى و قرآنا فرقناه اى بيناه والفرق بين الشيئين فيه معنى الشق اذ به يصير كل واحد منهما فرقة متميزة عن الاخرى والمصنف حكم بان كل واحد من لفظى الفلق والفرق بفتح العين فيهما فعل بمعنى مفعول اى بمعنى المفروق عنه والمفلوق عنه وذلك انما يكون بان يكون الشئ مستورا محجوبا فينشق الحجاب الساتر عن وجه ذلك الشئ المستور فيظهر ذلك المستور وينكشف بانشقاق ماستره من الحجاب وزوال ذلك الحجاب المنشق مفلوق والمحجوب المنكشف بانشقاقه مفلوق عنه والظاهر ان سمى الفلق بمعنى المفلوق عنه على عمومه فيتناول كل ما يوجده الله تعالى من الممكنات وان شاع تفسيره بالصبح يقال انفلق وانفرق الصبح و يقال للشئ الجلى انه أبين من فلق الصبح ومن فرق الصبح لان الليل يفلق عنه و يفرق عنه فان الممكنات باسرها اعيان ثابتة فى علم الله تعالى مستورة تحت ظلمة العدم فان ظلمات العدم غير متناهية لعدم تناهى المعدومات الممكنة وساترة لجميع الممكنات والله تعالى فالق تلك الظلمات بنور التكوين والايجاد

وقرأ حمزة ويعقوب ونافع فى رواية كفؤا بالتخفيف مهموزا وحفص كفوا بالحركة و قلب الهمزة واوا والباقون بالحركة مهموزا لاشتمال هذه السورة مع قصرها على جميع المعارف الالهية والرد على من الحد فيها جاء فى الحديث انها تعدل ثلث القرآن فان مقاصده محصورة فى بيان العقائد والاحكام والقصص ومن عدلها بكله اعتبر المقصود بالذات من ذلك وعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه سمع رجلا يقرؤها فقال وجبت قيل يا رسول الله وما وجبت قال وجبت له الجنة

(سورة الفلق مختلف فيها وآيها خمس)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قل اعوذ برب الفلق) ما يفلق عنه اى يفرق عنه كالفرق فعل بمعنى مفعول و هو يعم جميع الممكنات فانه تعالى فالق ظلمة العدم بنور الايجاد عنها سيما ما يخرج من اصل كالعيون والامطار والنبات والاولاد

واظهر ما في عمله من المكونات فكانت باسرها مخلوقا عنها كصبح صار مخلوقا عنه بفلق ظلمة الليل عنه فظهر ان مفهوم المخلوق عنه يعم جميع الممكنات الا انه حمول عليها بالتشكيك فانه اظهر واولى فيما يخرج من اصل كالعيون من الارض والامطار من السحاب والنبات من الحب والنوى والارض والاولاد من الارحام فان معنى المخلوق عنه اظهر فيها بالنسبة الى المخلوق على وجه الابداع (قوله ويخص عرفا بالصبح) هذا الفرق مبنى على ان يكون نور الصبح وضوء النهار اصلا سابقا يطرأ عليه ظلمة الليل فتستره تارة وتنفلق عنه اخرى وهو عكس ما يدل عليه قوله تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون فانه يدل على ان ظلمة الليل اصل يغشاها ضوء النهار عند طلوع الشمس فتصير كزنجي ليس ثوبا شفافا وينسلخ عنها عند غروبه ويؤيده تقديم الظلمات على النور في قوله تعالى وجعل الظلمات والنور ويشهد عليه العقل ايضا ولا ضير اذ لكل وجهة (قوله وتخصيصه لما فيه من تغير الحال) جواب عما عسى ان يقال مقام الاستعاذة والاعتصام يقتضي تعظيم المستعاذ به ولا شك ان تعظيمه على تقدير تعميم الفلق لجميع الممكنات اعظم واقوى منه على تقدير تخصيصه بالصبح فان المعنى على الاول قل يا محمد اعوذ واعتصم برب جميع الممكنات البارزة من تحت ظلمة العدم ولا يخفى ان الصبح من جملة الامور الداخلة في هذا العام فيكون التعظيم في حمل الفلق على جميع الممكنات اتم واعظم فما وجه تخصيصه بالصبح وتقرير الجواب ان التعميم وان كان فيه مناسبة لهذا المقام الا ان التخصيص يناسب مقام الاستعاذة من وجه آخر من حيث ان مقصود العائذ من الاستعاذة ان يتغير حاله بان يخرج من حال ضيق الخوف والخشية الى فضاء الامن والسعة ويتخلص من وحشة الهم والحزن بنيل الفرح والسرور وتخصيص الصبح ادل على هذا المقصود لما فيه من تغير الظلمة وزوالها باشراق انوار الصبح وضيائها وتبدل وحشة الليل وثقله بسرور الصبح وخفته فان الليل له ثقل يكون الانسان فيه كلحم على وضم وهو الخشب الذي يقطع القصاب عليه اللحم فاذا طلع الصبح تبدل ذلك بالخفة والسرور ولهذا تجد لكل مريض ومهموم خفة في وقت السحر روى ان يوسف عليه الصلاة والسلام لما القي في الجب وجعته ركبته وجعا شديدا فبات ليلته ساهرا فلما قرب طلوع الصبح نزل جبريل عليه الصلاة والسلام باذن الله تعالى يسأله ويأمره بان يدعو ربه فقال يا جبريل ادع انت وانا اؤمن فدعا جبريل وامن يوسف عليه الصلاة والسلام فكشف الله تعالى ما كان به من الضر فلما طاب وقت يوسف قال يا جبريل وانا

قوله ويخص عرفا بالصبح ولذلك فسر به وتخصيصه لما فيه من تغير الحال وتبدل وحشة الليل بسرور النهار ومحاكاة فاتحة يوم القيامة والاشعار بان من قدر ان يزيل به ظلمة الليل عن هذا العالم قدر ان يزيل عن العائذ ما يخافه

ادعو ايضا وانت لؤ من فسأل الله ان يكشف الضر عن جميع اهل البلاء في ذلك الوقت فلا جرم مامن مريض الا ويجد نوع خفة في آخر الليل روى ان دعاءه في الجب كان هذا * ياعدتي في شدتي * ويامونسي في وحشتي * ويا راحم غربتي * ويا كاشف كربتي * ويامجيب دعوتي * ويا الهي واله آبائي ابراهيم واسحق ويعقوب ارحم صغر سني * وضعف ركني * وقلة حيلتي ياحي ياقيوم ياذا الجلال والاكرام وفي وقت الصبح ايضا محاكاة لاختلاف احوال الناس في طامة يوم القيامة حيث ان الخلق في الليل كالاموات ودورهم كالقبور ثم منهم من يخرج من داره مفلسا عريانا لايلتفت اليه ومنهم من كان مديونا فيجر الى الحبس ومنهم من كان ملكا مطاعا فيقدم اليه المركب وتقوم الناس بين يديه فكذا الحال في يوم القيامة بعضهم مفلس من الثواب عار عن لباس التقوى ومنهم من عليه من حقوق الله تعالى وحقوق عباده مالايطاق حمله فيجر الى الملك الجبار ومنهم من كان عبدا مطيعا لربه في الدنيا فصار ملكا مطاعا في العقبى يقدم اليه البراق ولما اشتمل وقت الصبح على هذا التغير والتبدل وكان حاكيا لاختلاف احوال الناس في طامة يوم القيامة كان تخصيص الفلق به مناسبا لمقام الاستعاذة لاشعاره بان من قدر على التغيرات المدلول عليها بالصبح يقدر ايضا على ان يدفع عن العائذ كل مايخافه ويحترز منه (قوله ولفظ الرب ههنا اوقع) اى اليق وانسب وقوعا جواب عما يقال ماالسبب في انه تعالى حين امر بالاستعاذة عند افتتاح قرآءة القرآن قال فاستعذ بالله وقال هنا قل اعوذ برب الفلق فعبر عن المستعاذ به باسم الرب ولم يقل قل اعوذ باسم الله مع ان اسم الله اشرف الاسماء واجاب عنه بان الشر المستعاذ منه في هذه السورة الكريمة هو الشر المضاف الى عالم الخلق وهو عالم المحسوسات والاجسام والجسمانيات وانما سمي عالم الاجسام والجسمانيات بعالم الخلق لان الخلق هو التقدير والمقدار من لواحق الجسم وشرور عالم الخلق مضار بدنية والاعاذة من المضار البدنية تربية فناسب ذلك ان يعبر عن يعيذ من تلك المضار باسم الرب فكأنه امر بان يقول يارب كما ربيتني من اول زمان تكويني الى هذا الوقت بانواع التربية فأدم لي التربية بان تحفظني فيما بقي من عمري ولا تقطعها عني بالتقصير في شكر نعمك وكلمة ما في قوله تعالى من شر ماخلق يجوز ان تكون موصولة وعائدها محذوف اى من شر الذي خلقه مما يكون له شر وضرر وان تكون مصدرية اى من شر خلقه بمعنى مخلوقه على ان يكون المصدر بمعنى المفعول (قوله وشره اختياري الخ) قسم الشرور المضافة الى عالم الخلق الى الاختياري والطبيعي وقسم الاختياري الى

ولفظ الرب ههنا اوقع من سائر اسمائه لان الاعاذة من المضار تربية (من شر ماخلق) خص عالم الخلق بالاستعاذة منه لانحصار الشر فيه فان عالم الامر خير كله وشره اختياري لازم ومتعد كالكفر والظلم وطبيعي كاحراق النار واهلاك السموم

اللازم والتعدى اى التعالا انتهى أثره الى غيره فالغير بل يلزمه كالكفر وسائر الآثار اللازمة ومثل ما يتعدى أثره الى فاعله كالظلم سواء تعلق بالمال او بالبدن او بالعرض ونحوه يتخلل فيه افتراس السباع وعضها واكلها ولدغ الحياة والعقارب (قوله ليل عظم ظلامه) يعنى ان الغاسق بمعنى عظيم الظلام صفة لمحذوف وهو الليل كانه لشدة ظلامه وتكاثفه طرف امتلأ ظلمة قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما الغاسق الليل اذا اقبلت ظلمته و جمعت و تكاثفت من قولهم غسقت العين اذا امتلأت دمعا وغسق الجرح اذ امتلأ قيحا واسند الشر الى الليل الغاسق وان لم يكن من فعله لملابسته واشتماله عليه من حيث وقوعه فيه (قوله وقيل السيلان) عطف على قوله الامتلاء يقال غسق الجرح غسقا اى سال منه الصديد و سمى الليل غاسقا لانصباب ظلامه على الارض (قوله وتخصيصه) جواب عما يقال قوله تعالى من شر ما خلق يتناول جميع الشرور المتعلقة بعالم الخلق سواء كانت طبيعية اواختيارية و شر الليل الغاسق مندرج فيه فما معنى تخصيصه بالذكر والاستعاذة منه بخصوصه و تقرير الجواب ان تخصيصه بالذكر مع اندراجه فيما ذكر قبله للاشارة الى تفخيم شره لكثرة وقوعه فيه وعسر دفعه اما كثرته فلان السباع تخرج فى الليل من آجامها والهوام من مساكنها وكذا السراق وسائر مترصدى الفرصة ينتشرون فيه لقصد الاضرار وعن عكرمة ان عفاريت الجن ترسل فى تلك الساعة واما عسر دفع ما وقع فيه من الشر فلان ظلمة الليل استر للقاصد بالسوء فيظفر بمن قصده على غرة وغفلة فلا تمكن من دفعه بنفسه ولا بالاستعانة بغيره لان الغوث يقل فيه ولذلك قال الليل أخفى للويل بمعنى انه استر لما يؤدى الى الويل والهلاك فيكثر الاضرار فيه بما يؤدى اليه (قوله وقيل المراد به) اى بالغاسق اذا وقب هو القمر سمى به لانه يكسف فيغسق اى يذهب ضوؤه ويسود ووقوبه دخوله فى الكسوف واسوداده ودليله ماروى انه عليه الصلاة والسلام اخذ بيد عائشة رضى الله تعالى عنها فأشار الى القمر وقال استعيذى بالله من شر هذا فانه الغاسق اذا وقب قال الامام وعندى فيه اى فى تسمية القمر غاسقا وجه آخر وهو ان صح ان القمر فى جرمه غير مستنير بل هو مظلم فهو المراد من كونه غاسقا واما وقوبه فهو المحاق وانمحاق نوره فى آخر الشهر والمنجمون يقولون انه فى آخر الشهر يكون منحوسا قليل القوة لانه لايزال ينتقص نوره ولايزداد وسبب ذلك نحوسته ولذلك لاتشتغل السحرة بالسحر الذى يورث التمريض الافى ذلك الوقت وهذا مناسب لسبب نزول السورة فانها نزلت لاجل انهم سحروا النبى صلى الله تعالى

(ومن شر غاسق) ليل عظم ظلامه من قوله الى غسق الليل واصله الامتلاء يقال غسقت العين اذا امتلأت دمعا وقيل السيلان وغسق الليل انصباب ظلامه وغسق العين سيلان دمعها (اذا وقب) دخل ظلامه فى كل شئ وتخصيصه لان المضار فيه تكثر و يعسر الدفع ولذلك قيل الليل اخفى للويل وقيل المراد به القمر فانه يكسف فيغسق ووقوبه دخوله فى الكسوف

(عليه)

عليه وسلم لاجل الترعيض واذا في قوله تعالى اذا وقب منصوب باعوذ اى اعوذ
بالله من كذا في وقت كذا (قوله والنفث النفخ مع ريق) وقيل انه النفخ
فقط اى بلا ريق ومنه قوله عليه الصلاة والسلام ان روح القدس نفث
في روعي ان نفسا لن تموت حتى تستكمل اجلها ورزقها الجوهرى التفل شبيه
بالبزاق وهو اقل منه اوله البزق ثم التفل ثم النفث (قوله وتخصيصه) اى
وتخصيص النفث بالذكر والاستعاذة من شره بخصوصه مع اندراجه تحت شر
عالم الخلق وقد استعيذ منه مطلقا فلم تبق حاجة الى الاستعاذة من شره بخصوصه
الا انه خص بالذكر لما ان السورة نزلت للاستعاذة من شر السواحر النفاثات
فاقتضت الحكمة ان تذكر النفاثات بخصوصهن و يستعاذ من شرهن لتكمل
آيات السورتين احدى عشر آية بعدد العقد التي عقدها لبيد بن اعصم اليهودى
روى ان غلاما من اليهود كان يخدم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاغوته
اليهود حتى اخذ لهم مشاطة رأس النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعدة
اسنان من مشطه واعطاهم اياها فسحروه فيها وكان الذى تولى ذلك رجل
منهم يقال له لبيد بن اعصم ثم دسها في بئر لبني زريق يقال لها ذروان فمرض
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وانتثر شعر رأسه واشتد عليه ذلك ثلاث ليال
فجعل يتألم ولا يدرى ما عراه فبينما هو نائم اذ اتاه ملكان فقعد احدهما عند رأسه
والآخر عند رجليه فقال الذى عند رجليه للذى عند رأسه ما بال الرجل
قال طب قال وما طب قال سحر قال ومن سحره قال لبيد بن اعصم اليهودى
قال وبم طبه قال بمشط ومشاطة قال واين هو قال في جف طلعة تحت راعوفة
في بئر ذروان والجف وعاء الطلع وقشره والراعوفة حجر في اسفل البئر يترك
هنالك اذا احتفرت البئر ليجلس عليه من ينقي البئر عند الاحتياج الى تنقيتها
فانتبه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مذعورا وقال يا عائشة اما شعرت ان الله
تعالى اخبرني بدائي ثم بعث عليه الصلاة والسلام عليا والزبير وعمار بن ياسر
فنزحوا ماء تلك البئر كأنه نقاعة الحناء ثم رفعوا الصخرة فاخرجوا الجف
فاذا فيه مشاطة رأسه عليه الصلاة والسلام واسنان من مشطه واذا وتر معقد
فيه احدى عشرة عقدة مغروزة بالابر فانزل الله تعالى هاتين السورتين فقال
جبريل للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم اقرأ آية وحل عقدة فجعل عليه الصلاة
والسلام كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد عليه الصلاة والسلام بعض خفة
حتى اذا انحلت العقدة الاخيرة قام صلى الله تعالى عليه وسلم كأنما نشط من عقال
وجعل عليه الصلاة والسلام يقول بسم الله ارقيك من كل شئ يؤذيك من
حاسد وعين والله يشفيك والمعتزلة انكروا صحة هذه الرواية وتأثير السحر

(ومن شر النفاثات في العقد) ومن شر النفوس او النساء السواحر اللواتى يعقدن عقدا في خيوط وينفثن عليها والنفث النفخ مع ريق وتخصيصه لما روى ان يهوديا سحر النبي عليه الصلاة والسلام في احدى عشرة عقدة في وتر دسه في بئر فمرض عليه الصلاة والسلام فنزلت المعوذتان واخبره جبرائيل بموضع السحر فارسل عليا كرم الله وجهه فجاء به فقرأهما عليه فكان كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد بعض الخفة ولا يوجب ذلك صدق الكفرة في انه مسحور لانهم ارادوا به انه مجنون بواسطة السحر

فيه عليه الصلاة والسلام وقالوا كيف يمكن القول بصحتها وهو تعالى يقول والله يعصمك من الناس وقال ولا يفلح الساحر حيث اتى ولان تجويزه يفضي الى القدح في النبوة ولان الكفار كانوا يعيرونه بانه مسحور ولو وقعت هذه الواقعة لكان الكفار صادقين في ذلك التعيير ومعلوم ان ذلك غير جائز وقال اهل السنة هذه القصة قد صحت عند جمهور اهل النقل وصحتها لا تستلزم صدق الكفرة في قولهم انه عليه الصلاة والسلام مسحور وذلك لانهم كانوا يريدون بكونه عليه الصلاة والسلام مسحورا انه ازيل عقله بسبب السحر فلذلك ترك دين آبائه فاما ان يكون مسحورا بألم يجده في بدنه فذلك مما لا ينكره احد وبالجملة فالله تعالى ما كان يسلط عليه شيطانا ولا انسيا ولا جنيا يؤذيه فيما يتعلق بنبوته وعقله واما الاضرار به من حيث انه انسان وبشر فانه يعرض له من حيث بشريته وبدنه فلا يبعد فيه وتأثير السحر فيه عليه الصلاة والسلام لم يكن من حيث انه نبي وانما اثر في بدنه من حيث انه انسان وبشر فانه يعرض له من حيث بشريته ما يعرض لسائر البشر الا ترى ان ما عرض له من كسر ثناياه يوم احد لم يقدح فيما ضمن الله تعالى له من عصمته بقوله والله يعصمك من الناس لان المراد من العصمة هي العصمة عما يخل بامر نبوته (قوله وقيل المراد بالنفث في العقد الخ) عطف على قوله من شر النفوس السواحر او النساء السواحر فيكون معنى الآية من شر جنس النساء اللاتي شأنهن ان ينفثن في عزائم الرجال المعقودة على امور بكلمات لطيفة او بمحاولات خفية فيغلبن عليهم ويحولنهم عن ارائهم وعزائمهم التي صمموا على امضائها بانواع المكر والحيلة فان كيدهن عظيم ويؤيد هذا التفسير قوله عليه الصلاة والسلام يا معشر النساء تصدقن فانى رأيتكن اكثر اهل النار فقلن وبم يارسول الله قال عليه الصلاة والسلام تكثرن اللعن وتكفرن العشير ما رأيت من ناقصات عقل ودين اذهب للب الرجل الحازم من احداكن والحازم الضابط لامره المتبصر في سيره شبهت عزائم الرجال وارائهم بعقد الحبال فاطلق عليها اسم العقد وشبه ابطال تلك العزائم بانواع المكر والحيلة بحل عقد الحبال بتليينها بنفث الريق عليها ليسهل حلها فان النساء بحيل طباع الرجال اليهن يتصرفن فيهم ويحولنهم من رأى الى رأى ومن عزيمة الى اخرى فأمر الله تعالى رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم بالتعوذ من شرهن ولذلك قال الامام الشافعي رحمه الله تعالى

ان النساء شياطين خلقن لنا ❁ نعوذ بالله من شر الشياطين

وقال بعض الظرفاء في جوابه

ان النساء رياحين خلقن لكم ❁ وكلكم يشتهي شم الرياحين

وقيل المراد بالنفث في العقد ابطال عزائم الرجال بالحيل مستعار من تليين العقدة بنفث الريق ليسهل حلها

(قوله)

(قوله وافرادها بالتعريف) جواب عما يقال لم عرف النفاثات ونكر غاسق وحاسد مع اشتراك الجميع فى كونه مستعاذا منه وجوابه ان كل نفاسة شريرة فعرف النفاثات تعريف الاستغراق ليفيد الاستعاذة من جميع آحادها وليس كل حاسد وغاسق شريرا فنكر تنكير النوعية (قوله لاغتمامه بسروره) تعليل لاختصاص ضرر الحسد بالحاسد قبل عمله بمقتضى حسده اى لاغتمام الحاسد وتحزنه بسرور المحسود بما فيه من النعمة روى عن على رضى الله تعالى عنه انه قال لله در الحسد ما اعدله يقتل الحاسد قبل ان يقتل المحسود (قوله وتخصيصه لانه العمدة فى اضرار الانسان بل الحيوان غيره) ذكره المصنف لتخصيص كل واحد من الغاسق والنفاثات والحاسد بالذكر مع ان الشرور المضافة اليها مندرجة تحت شر ما خلق لانها اما من قبيل الاجسام او الجسمانيات وجها استقلالا مناسبا له وتقرير الوجه المذكور لتخصيص الحسد بالذكر ان الحسد لما كان معظم الاسباب الحاملة للحيوان على اضرار غيره فانه انما يضر غيره غالبا طمعا فيما عنده واستكثر لها لرؤية غيره كان كانه كل السبب لشر الحيوان واضراره غيره فلذلك لم يكتف باندراجه تحت عالم الخلق بل خص بالذكر واستعيذ من شره بخصوصه (قوله ويجوز ان يراد بالغاسق ما يخلو عن النور وما يضاهيه كالقوى) فسر الغاسق اولا بالليل المظلم الظلمة وفسر وقوبه بدخول ظلامه فى كل شئ وفسر ثانيا بالقمر ووقوبه بدخوله فى الكسوف ثم فسر النفاثات اولا بالسواحر وثانيا بجنس النساء اللاتى يبطلن عزائم الرجال ثم فسر الحاسد بالانسان المتصف بالحسد اذا اظهر حسده وعمل بمقتضى حسده واشار ههنا الى تفسير كل واحد من هذه الاوصاف الثلاثة بتفسير آخر فقسر الغاسق بما يخلو عن حقيقة النور وعما يضاهيها كالقوى النباتية والحيوانية فانها تشبه النور فى كونها سببا لظهور الاشياء كالنور فان القوة النامية النباتية يزيد بها النبات فى الطول والعرض والعمق وكذا القوى الحيوانية وهى الحواس الظاهرة والباطنة والشهوة والغضب فان كل واحدة منها سبب لظهور ما يختص بها من الآثار فى الحيوان فشابهت النور بذلك والجمادات العنصرية خالية عن حقيقة النور وعما يضاهيه من القوى فهى المرادة بالغاسق وسرورها ما يترتب عليها بحسب طبائعها من المضرات وفسر الحاسد بالحيوان بان حمله كناية عنه بناء على ان الحيوانية لازمة للحاسد ومبنى هذه التفاسير ان الانسان لا يتضرر عن الاجسام الفلكية وانما يتضرر عن الاجسام العنصرية وهى اما جمادات او نباتات او حيوانات فامر الله تعالى بالاستعاذة من كل واحدة منها بكلام على حدة (قوله فانه انما يقصد غيره غالبا طمعا فيما

وافرادها بالتعريف لان كل نفاثة شريرة بخلاف كل غاسق وحاسد (ومن شر حاسد اذا حسد) اذا اظهر حسده وعمل بمقتضاه فانه لا يعود ضرره منه قبل ذلك الى المحسود بل يخص به لاغتمامه بسروره وتخصيصه لانه العمدة فى اضرار الانسان بل الحيوان غيره ويجوز ان يراد بالغاسق ما يخلو عن النور وما يضاهيه كالقوى وبالنفاثات النباتات فان قواها النباتية من حيث انها تزيد فى طولها وعرضها وعمقها كانها تنفث فى العقد الثلاثة وبالحاسد الحيوان فانه انما يقصد غيره غالبا طمعا فيما

منه) جواب عما يرد على تفسير الحاسد بالحيوان من ان التعبير بلفظ الحاسد عن الحيوان في مقام الامر بالاستعاذة من شر الحيوان يدل ان منشأ شر الحيوان منحصر في وصف حسده وليس كذلك وتقرير الجواب ان باقي الاوصاف الذميمة والاخلاق الرديئة وان جاز ان يكون منشأ شر الحيوان وحاملا له على اضرار غيره الا ان غالب ما يحمله على الاضرار هو الحسد فصار الحسد بذلك كانه يحمل الحامل عليه فالتنبيه على هذا المعنى يضيف الشر الى اللفظ المشتق المشعر بعلية المأخذ له (قوله ولعل افرادها) اى افراد الاجسام العنصرية التي هي الجماد والنبات والحيوان مع اندراجها في عالم الخلق للتنبيه على ان لها مزيد مدخل في الاضرار من حيث كونها اسبابا قريبة للمضرة والله اعلم بالصواب

(سورة الناس مكية وقيل مدنية)

بسم الله الرحمن الرحيم

الناس عند صاحب الكشاف اصله اناس بشهادة قوله تعالى انهم اناس يتطهرون فحذفت منه الهمزة التي هي فاؤه فبقي ناس فهو من قولهم آنست الشيء بمعنى ابصرته والقياس يقتضي ان يجوز اطلاقه على كل مبصر الا انه خص بالبشر عرفا وعند غيره لم يحذف منه شيء واصله نوس لقولهم في تصغيره نويس فهو من النوس بمعنى الحركة فكان القياس ان يطلق على كل متحرك الا انه خص بالبشر عرفا وقال آخرون هو من الانس الذي هو ضد الوحشة لانه يؤنس به وقيل هو من النسيان واصله الناسي بياء في آخر الكلمة على انه اسم فاعل من نسي ينسى فحذفت الياء من آخره اكتفاء بالكسرة وقرئ قل اعوذ رب بحذف الهمزة ونقل حركتها الى اللام ونحوه فخذ اربعة من الطير وقد افلح واجمع القراء على ترك الامالة في الناس وروى عن الكسائي الامالة فيه ان كان في موضع الجر (قوله لما كانت الاستعاذة الى قوله عم الاضافة ثمة وخصصها بالناس ههنا) جواب عما يقال ما الفرق بين السورتين حتى اضيف لفظ الرب في السورة المتقدمة الى الفلق بمعنى جميع الممكنات المفلوق عنها واضيف ههنا الى الناس وهو رب العالمين وملكهم والههم وليست ربوبيته بالنسبة الى الناس خاصة وتقرير الجواب ان ما وقع مضافا اليه في السورتين مظهر واقع موقع المضمر لانه عليه الصلاة والسلام وهو المأمور بالاستعاذة وحق المستعيذ ان يستعيذ بسيد نفسه ومالكه ومدبر امره فمقتضى الظاهر ان يقال في السورتين اعوذ بربي الا انه لما كان الشر المستعاذ منه

(في السورة)

منه وامل افرادها من عالم الخلق لانها الاسباب القريبة للمضرة عن النبي عليه الصلاة والسلام لقد انزلت على سورتان ما انزل مثلهما وانك لن تقرأ سورتين احب ولا ارضى عند الله منهما يعني المعوذتين

(سورة الناس مختلف فيها وآيها ست)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قل اعوذ) قرأ ورش في السورتين بحذف الهمزة ونقل حركتها الى اللام (برب الناس) لما كانت الاستعاذة في السورة المتقدمة من المضار البدنية وهي تعم الانسان وغيره والاستعاذة في هذه السورة من المضار التي تعرض للنفوس البشرية وتخصها عم الاضافة ثمة وخصصها بالناس ههنا فكانه قيل اعوذ من شر الموسوس الى الناس بربهم الذي يملك امورهم ويستحق عبادتهم

(ملك الناس اله الناس) عطف بيان له فان الرب قدلايكون ملكا والملك قدلايكون الها

فى السورة المتقدمة ليس شر عالم الخلق بل شر عالم العنصريات من الاجسام والجسمانيات فان الفاسق والنفاثات والحاسد كلها من عالم العنصريات وشر هؤلاء مضار بدنية متعلقة بالاجسام والشر المستعاذ منه فى هذه السورة وهو الوسوسة يختص بالنفس الانسانية ناسب للمستعيذ فى السورة الاولى ان يدرج نفسه فى جملة من يتضرر بشر عالم الخلق و يعبر عمن يستعيذبه بربو بتسه لمن يتضرر بالشر المستعاذ منه فلذلك قيل فى تلك السورة برب الفلق بدل ان يقول بربى فان الفلق يعم جميع الممكنات فضلا عن العنصريات ولذا ناسب فى هذه السورة ان يدرج المستعيذ نفسه فى جملة من يتضرر بالوسوسة ويعبر عمن يستعيذبه بربو بيته لمن يتضرر بها وهو نوع البشر ويقول اعوذ برب الناس فى موضع ان يقول بربى فلذلك اضيف لفظ الرب ثمة الى مايعم الناس وغيرهم واضيف ههنا الى الناس خاصة الا ان هذا التوجيه مبنى على ان يفسر الفلق بمايعم جميع الممكنات كما اختاره المصنف فينبغى ان يكون تقرير السؤال هكذا لم عدل عن ضمير المتكلم الى الاسم الظاهر ثم لم اوثر لفظ رب الفلق فى احدى السورتين ولفظ رب الناس فى الاخرى ويكون تقرير الجواب ان المستعيذ لما كان امام امته كان اللائق بمنصبه وخلقه العظيم ان يدرج نفسه عند الاستعاذة من شر عالم الخلق فى جملة من يتضرر من جهتهم انسانا كان اوغيره وعند الاستعاذة من شر الموسوس الى الناس فى جملة من يتضرر منه وهو الناس خاصة اشعارا بان الاستعاذة فى السورة الاولى ليست لاجل نفسه خاصة بل لكل مايدخل تحت مفهوم الفلق من الممكنات المادية كانه قيل اعوذ برب من يتضرر بشر عالم الخلق من شره و برب من يتضرر بشر الموسوس الى الناس من شره واما على قول من فسره بالصبح فوجه اضافة لفظ الرب اليه فى تلك السورة ان الشر المستعاذ منه فيها شرور خفية بناء على ان معظم المستعاذ منه فيها هو شر الفاسق والنفاثات والحاسد ولايخفى ان شرورها خفية فكان المناسب ان يعبر عن المستعاذ به فيها برب النور والظهور لان شأن المستعيذ ان يلتجئ الى من يخرجه مما هو فيه الى مايضاده و يدفعه وعبر عنه فى هذه السورة برب الناس لكون المستعاذ منه شرا مختصا بالنفوس الانسانية (قوله فان الرب قد لايكون ملكا) يعنى ان المقصود من عطف البيان ايضاح متبوعه اما بتعيينه او بتقليل اشتراكه ومفهوم رب الناس اعم من مفهوم ملك الناس لان التربية بمعنى السياسة والفوقية وهى لاتستلزم الملك وقدتكون بالتعليم والارشاد قال تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله الجوهرى ربيت القوم اى سستهم وكنت فوقهم ومنه قول

صفوان بن امية لأن يربني رجل من قريش احب الي من ان يربني رجل من هوازن فلما كان ملك الناس اخص من رب الناس صح ان يكون موضحا له وان يقال اشترا كه الا انه لم يصح ان يكون مبينا له لان ملك الناس قد يطلق على من يدبر امرهم مع كونه بمعزل عن الالوهية فبينه بقوله اله الناس وهو نهاية البيان وغاية التوضيح والتبيين لان لفظ اله مفردا كان او مضافا لا يطلق على غيره تعالى لان الالوهية مختصة به تعالى (قوله وفي هذا النظم دلالة على انه تعالى حقيق بالاعاذة) وجه الدلالة ظاهر لان من كان رب الناس بان كان مولى نعمهم الظاهرة والباطنة وملكهم الغالب عليهم القادر على التصرف فيهم فان الملك هو الذي يفتقر اليه غيره ويكون غنيا عن غيره والههم الذي يستحق العبادة لذاته لكونه خالق العالمين ورازقهم ومدبر امورهم حيث شاء كيف لا يكون حقيقا بالعياذة قادرا عليها (قوله واشعار على مراتب الناظر في المعارف) ضمن الاشعار معنى الاطلاع فعدي بعلى فان الاشعار لا يتعدى بعلى يقال شعرت بالشيء اشعر شعرا اي فطنت له ومنه قولهم ليت شعري اي ليتني علمت واشعرته فشعر اي ادريته فدري ويقال اطلعتك على سري فان الاستعاذة اولا بلفظ الرب ثم توضيحه بلفظ الملك ثم بلفظ الاله تطلع السامع على ان اول مايعرفه الناظر بنظره انه له ربا ثم يترقى في باب المعرفة فيحقق انه ملك ثم ينتهي الى معرفة انه اله فان الناظر في المعارف يعلم اولا بسبب مايرى عليه من النعم انه له ربا يربيه بانواع النعم ثم يتغلغل اي يتعمق في النظر حتى يتحقق اي يتيقن انه غني عن الكل وان جميع ماسواه يفتقر اليه وهو المعنى بالملك فانه اذا علم ان جميع ما عليه من النعم الظاهرة والباطنة انما يفاض عليه من ربه يترقى الى معرفة ان وجود كل موجود ومايتفرع على اصل وجوده من انواع الفضل ووجوه الاحسان انما يفاض عليه من خزائن رحمته التي وسعت كل شيء ويتحقق عنده انه غني عن الكل وانه ملكهم (قوله ويدرج في وجوه الاستعاذة المعتادة) اي يمشي من قولهم درج الرجل والضب يدرج دروجا اي مشى فان عادة المستعيذ ان يلتجئ اولا الى مايتيسر مما يظنه مأمنا ثم يترقى منه الى ماهو اكمل واقوى في كونه مأمنا ثم يترقى الى منتهى المطالب والملجأ الحقيق ولما كانت صفة الالوهية منتهى معارف الناظر وصفة الملكية دونها وكانت صفة الربوبية مبدأ معارفه ذكر من اوصاف المستعاذ به اولا صفة الربوبية ثم صفة الملكية ثم صفة الالوهية تنزيلا لهذه الصفات منزلة الذوات المتفاوتة في الملجئية فقوله ويدرج عطف على قوله ويستدل اي يستدل الناظر ويمشي في طريق نظره مشي من يمشي

وفي هذا النظم دلالة على
انه تعالى حقيق بالاعاذة
قادر عليها غير ممنوع
عنها واشعار على
مراتب الناظر في المعارف
فانه يعلم اولا بما يرى
عليه من النعم الظاهرة
والباطنة ان له ربا ثم
يتغلغل في النظر حتى
يتحقق انه غني عن الكل
وذات كل شيء له
ومصارف امره منه
فهو الملك الحق ثم
يستدل به على انه المستحق
للعبادة لاغير ويدرج
في وجوه الاستعاذة
المعتادة تنزيلا لاختلاف
الصفات منزلة اختلاف
الذات اشعارا بعظم
الآفة المستعاذ منها

فى وجوه الاستعاذة المعتادة والطاهر ان العبارة وتدرج بالعطف على قوله واشعار والمعنى وفى هذا النظم دلالة على كذا واطلاع على مراتب الناظر فى المعارف وتدرج اى ترق على سبيل التدريج الى منتهى معارف الناظر على وجوه تهييج المستعيذ على ان تكون كلمة فى بمعنى على و يكون قوله تنزيلا علة للتدريج اليه على وجوه تدرج المستعيذ و يكون قوله اشعارا بعظم الآفة علة التدرج المذكور بعد تعليله بقوله تنزيلا ووجه الاشعار ان المستعيذ لما امر بان يتدرج فى الاستعاذة بمن لايدرك بكنه ذاته بل انما يدرك بحسب اوصافه بان يصفه اولا باول ما يحصل للناظر من اوصافه و يذكره بذلك الوصف ثم يذكره بما يحصل له ثانيا ثم بما يحصل له ثالثا وينزل اختلاف الصفات منزلة اختلاف الذات دل ذلك على عظم الشر المستعاذ منه لامحالة (قوله وتكرير الناس) جواب عما يقال لم لم يكتف باظهار المضاف اليه الذى هو الناس مرة واحدة بان يقال برب الناس ملكهم الههم اجاب عنه بوجهين الاول ان عطف البيان انما يؤتى به لايضاح المتبوع وتبيينه واظهار الاسم ادخل فى ايجاب الايضاح بالنسبة الى اضماره والثانى ان فى اظهار المضاف اليه فى كل واحد من هذه التراكيب الاضافية اشعارا بشرفه وذلك لانه تعالى لم يكتف فى مقام بيان كونه حقيقا لان يستعاذ به باضافة لفظى الملك والاله الى ضمير الانسان بل عرف ذاته بكونه ربا الناس ملكا الناس ولولا ان الناس اشرف مخلوقاته واعز مظاهر ملكيته والهيته لما ذكرهم بالاسم الظاهر فى كل مرة (قوله اى الوسوسة) يعنى ان الوسواس بالفتح اسم بمعنى الوسوسة كما ان الزلزال اسم بمعنى الزلزلة والوسواس بالكسر مصدر كالزلزال واطلاق الوسوسة على الشيطان من قبيل توصيف العين بالمصدر للمبالغة فى الاتصاف كما يقال رجل عدل للدلالة على بلوغه فى الاتصاف بالعدالة الى حيث صار كأنه نفس العدالة و يجوز ان يحمل الكلام على تقدير المضاف اى من شر ذى الوسواس والخناس صفة مبالغة من الخنوس وهو الرجوع والتأخر وهو مجرور على انه صفة للوسواس بمعنى الموسوس وصف به لان شأنه وحرفته وشغله الذى هو عاكف عليه ان يخنس اذا ذكر العبد ربه والوسوسة والخنس صفتان للشيطان على حسب حالتى الانسان كما ورد فى الخبر ان الشيطان جاثم على قلب بنى آدم فاذا غفل وسوس واذا ذكر الله تعالى خنس اى تأخر وولى والوسوسة الدعوة الى الشر عن خفية واصل الوسوسة الصوت الخفى ومنه وسواس الحلى فان صوته سمى وسوسة لخفائه وسميت دعوة شياطين الجن

وتكرير الناس لما فى الاظهار من مزيد البيان والاشعار بشرف الانسان (من شر الوسواس) اى الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة واما المصدر فبالكسر كالزلزال والمراد به الموسوس وسمى بفعله مبالغة (الخناس) الذى عادته ان يخنس اى يتأخر اذا ذكر الانسان ربه (الذى يوسوس فى صدور الناس) اذا غفلوا عن ذكر ربهم

والانس الى الشر بالوسوسة لان شياطين الجن تدعو الى المعصية وتزينها باخفاء ضررها ولانها تغر العبد بسعة رحمة الله تعالى وعفوه او بان تخيل اليه ان في العمر سعة فتتوب بعد ما قضيت شهوتك منها اولانهم يدعون الى المعصية بكلام خفي يفهمه القلب من غير ان يسمع صوته وكذا شياطين الانس يدعون اليها باخفاء ضررها وارائة المنافع والمصالح في مباشرتها واظهار أنه ناصح له في ذلك وليس مراده الا المكر والخيانة او يجعله مغرورا بان يذكر له سعة رحمة الله تعالى وعفوه اوامكان التوبة بعد مباشرتها (قوله وذلك كالقوة الوهمية) شبه الشيطان بها من حيث انه يساعد الانسان في اتباع المعاصي والمنكرات واذا آل امره الى طاعة الله تعالى خنس واعرض عنه واخذ في المكر والحيلة ليصرفه عنها كما ان القوة الوهمية تساعد العقل في المقدمات فاذا آل الامر الى النتيجة خنست واخذت توسوسه وتشككه (قوله ومحل الذى الجر) على انه صفة الوسواس اوالنصب اوالرفع على الذم وعلى الوجهين الاخيرين يحسن للقارى ان يقف على الخناس و يبتدئ بقوله الذى يوسوس لطول الكلام (قوله من الجنة والناس بيان للوسواس او للذى) على معنى ان الشيطان الموسوس ضربان جني وانسي كما قال الله تعالى شياطين الانس والجن عن ابى ذر رضي الله تعالى عنه انه قال لرجل هل تعوذت بالله من شر شيطان الانس فقيل له هل للانس من شيطان قال نعم واستدل بالآية (قوله اومتعلق بيوسوس) فتكون من لابتداء الغاية اى يوسوس في صدورهم من جهة الجن ومن جهة الناس مثل ان يوقع في القلب من جهة المنجمين والكهان انهم يعلمون الغيب ومن جهة الجن انهم يضرون وينفعون (قوله وقيل بيان للناس) اى المذكور في قوله تعالى في صدور الناس بناء على جواز ان يطلق اسم الناس على الجن كما يطلق على الانس استدلالا بتسمية الجن نفرا ورجالا كما في قوله تعالى واذصرفنا اليك نفرا من الجن وقوله يعوذون برجال من الجن وكل واحد منهما من الالفاظ المستعملة في الانس والمصنف رحمه الله تعالى عد هذا القول تعسفا بناء على ان اطلاقه على القبيلين بعيد عن اللغة فان اهل اللغة اتفقوا على ان كل واحد من لفظي الجن والانس موضوع بازاء حقيقة مباينة للحقيقة التى وضع بازائها اللفظ الآخر وعلى ان احدى الحقيقتين سميت جنا لاجتنانها اى تسترها عن اعين الناس والاخرى ناسا لظهور افرادها للبصر على ان الناس من الايناس وهو الابصار قال تعالى آنس من جانب الطور نارا اى ابصر

(فكما)

وذلك كالقوة الوهمية فانها تساعد العقل فى المقدمات فاذا آل الامر الى النتيجة خنست واخذت توسوسه وتشككه ومحل الذى الجر على الصفة اوالنصب اوالرفع على الذم (من الجنة والناس) بيان للوسواس اوللذى اومتعلق بيوسوس اى يوسوس فى صدورهم من جهة الجنة والناس وقيل بيان للناس على ان المراد به مايعم الثقلين وفيه تعسف الا ان يراد به الناسي كقوله يوم يدع الداع فان نسيان حق الله يعم الثقلين *

فكما لا يطلق اسم الجن على بنى آدم لعدم اجتنانهم عن اعين الناس فكذلك ينبغي ان لا يطلق اسم الناس على الجن لعدم تعلق الايناس والابصار بهم الا ان يكون الناس من النسيان ويكون اصله الناسي وحذفت الياء اكتفاء بالكسرة فحينئذ يمكن ان يطلق اسم الناس على القبيلين لان نسيان حق الله تعالى متحقق فيهما ولا يجوز ان يقرأ في هذه السورة مالك الناس كما يقرأ مالك يوم الدين في سورة الفاتحة والفرق ان الملك بمعنى الرب فقوله رب الناس افاد كونه تعالى مالكا لهم فلو قرئ بعده مالك الناس لزم التكرار بخلاف سورة الفاتحة فانه لم يذكر فيها ما يدل على كونه تعالى مالك يوم الدين بغير هذه العبارة حتى يلزم التكرار واعلم ان في هذه السورة لطيفة بالغة وهي ان المستعاذ به قد ذكر في السورة المتقدمة بصفة واحدة وهي انه رب الفلق وان المستعاذ منه فيها ثلاثة انواع من الآفات وهي الغاسق والنفاثات والحاسد بخلاف هذه السورة فان المستعاذ به ذكر فيها بثلاثة اوصاف وهي الرب والملك والاله والمستعاذ منه آفة واحدة هي الوسوسة ومن المعلوم ان المطلوب كلما كان اهم والرغبة فيه اتم كان ثناء الطالب قبل طلبه اكثر واوفر وقد تقرر ان المطلوب في السورة المتقدمة هو سلامة البدن من الآفات المذكورة وفي هذه السورة هو سلامة الدين من وسوسة الشيطان فظهر بما ذكرنا ان في نظم السورتين الكريمتين تنبيها على ان سلامة الدين من وسوسة الشيطان وان كانت امرا واحدا الا انه اعظم مرغوب واهم مطلوب وان سلامة البدن من تلك الآفات وان كانت امورا متعددة ليست بتلك المثابة في كونها مطلوبا مهما لمن استعاذ منها اللهم اجعل امر ديننا اعز مطلوب لنا وثبتنا على نهج الاستقامة * واعذنا في الدنيا من موجبات الندامة يوم القيامة * نسألك العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدنيا والآخرة برحمتك يا ارحم الراحمين * والحمد لله رب العالمين * والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله وصحبه اجمعين * وعلى سائر الانبياء والمرسلين * وعلى الملائكة المقربين * من اهل السموات واهل الارضين * سبحان ربك رب العزة عما يصفون * وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

تمت الحواشي المتعلقة بتعليقات انوار التنزيل * واسرار التأويل * الذي صنفه الامام العالم الاوحد حبر الائمة سيد العلماء علي بن عمر البيضاوي تغمده الله برحمته ورضوانه * واسكنه اعلى جنانه *

عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ المعوذتين فكانما قرأ الكتب التي انزلها الله تعالى والله سبحانه وتعالى اعلم

[illegible] يا من منّ علينا [illegible] من حيث [illegible]
[illegible] وفضائل القسم ‌* وسلوه وسلاما على من بعثته لاعلام دلائل
توحيدك الربانية ‌* ولتبليغ احكامك بوسائل آيات القرآنية ‌* لاكمال مكارم
الاخلاق الانسانية ‌* ولابراز احكام الكمالات السبحانية ‌* وعلى آله واصحابه
الذين امروا في كل حال باتباع مسالك حبيب الله ‌* بقوله تعالى قل ان كنتم
تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ‌* وبعد لما [illegible] منا الله بطبع هذه الحاشية التى
كانت جامعة لفوائد لطيفة باحسن التعبير والتحرير ‌* وكاشفة لنكات دقيقة
قد ذكرت متفرقة في اكثر كتب التفاسير باوضح التحرير ‌* موافقا طبعه بطبع
النسخ الصحيحة المصرية ‌* صانها الله من [illegible] ع الآفات والبلية ‌* وتلك
الحاشية مشهورة بين العلماء والطالبين ‌* بشيخ زاده ‌* لمحمد محيى الدين ‌* المدفون
في هذه البلدة ‌* وهو قد كان في زمانه من فضلاء دار السعادة ‌* وقد جعله الله
من المحسنين الذين لهم الحسنى وزيادة ‌* وهو [illegible] عصره في هذا الميدان من
المحققين ‌* وفي اصابة مزايا حقايق آيات الله من الموفقين ‌* حشره الله وايانا
في زمرة الصلحاء والصديقين ‌* على التفسير الجليل الجليل المعروف في الالسنة
بتفسير القاضى المسمى بانوار التنزيل ‌* واسرار التأويل ‌* الذى الفه العالم
العلامة فريد عصره ‌* ووحيد دهره ‌* على [illegible] عمر البيضاوى ‌* نور الله
مضجعه بانوار قدسه القوى ‌* وهى اجل ما حرر ‌* اجل ما قرر ‌* على التفسير
المزبور الذى افادته من جوامع الكلم ‌* بلا شك ولا ريب بين اهل العلم ‌* فاضاءت
بطبعها مطبعتنا الكائنة في القسطنطينية ‌* وقاها الله عن كافة الآفات الارضية
والسماوية ‌* في زمان ظل سلطنة مولينا الفخم ‌* رافع الوية دين الاسلام المعزز
والمكرم ‌* اعنى به السلطان ابن السلطان ‌* السلطان الغازى عبد الحميد خان ثانى ‌*
اناله الله بكل ما تمناه وجعله غالبا وقاهرا على عامة اعداء حضرة السبع المثانى واعنى
بالمطبعة مطبعة (الحاج محرم افندى) ‌* اكرمه الله بالسعد والاقبال الابدى ‌*
وقد كانت مرتبة على تسع قطع من القواطع ‌* كل منها [illegible] سهل المأخذ والمطالع ‌*
لتيسير تفهم جميع من يطالع ‌* ووفق لطبع ست منها الشريف معصوم افندى
البخارى) فلما توفى رحمه الله وبقيت ناقصة مدة ما [illegible] جاء من احبائه (صالح
افندى القارغانى) فاراد الاتمام لنيل رضاء الملك [illegible] م ‌* وللخدمة المفتخرة
بين العلماء والطلباء الكرام ‌* فاتم الجلد السابع والثامن والتاسع بكمال الاهتمام ‌*
وقد تصادف ختام طبعه في اواسط جماذى الاخر [illegible] ثلاث وثمانية والف
من هجرة سيد الكائنات الموصوف بوصف [illegible] الطوف والمخلوق
على اجل خلق والط [illegible]